محمد حسنين هيكل



حرب الثلاثين سنة

١٩٦٧

الجزء الأول

سنوات الغليان

مقدمـــــــة

لعلى لا أتجاوز إذا قلت فى التقديم لهذا الكتاب : « **إن أيامى فى الفترة التى جرت فيها وقائعه كانت أشق تجربة فى حياتى ، كما أن أيامى فى الفترة التى حاولت فيها استعادة هذه الوقائع لكتابتها على صفحاته ، كانت أصعب مهمة حاولتها فى ممارستى لمهنتى !** »

□ وكانت تجربة الحياة مع الوقائع مكلفة . وأحسبها أضافت إلى عمرى سنوات لم أعشها ، وأشاعت فى شعر رأسى من البياض ما كان يمكنه أن ينتظر موعده الطبيعى فى شتاء العمر ، وحين تجىء مواسم نزول الثلج على رؤوس الجبال ، ورؤوس البشر !

□ وكانت تجربة استعادة الوقائع معذبة . رغم أن هناك مدرسة فى الكتابة ترى أن إعادة رواية قصة ظهرت ـ كما يقال ! ـ خاتمتها ـ جهد يسير . فكل قصة معلقة بنهايتها ، وإذا كنا نكتبها بعد نزول الستار على حوادثها بما فيها مشهد الختام ـ إذن فإن الحكمة بأثر رجعى ليست ادعاء فى غير موضعه ، بمعنى أنه من السهل تكييف الحوادث بما يتوافق مع النتائج بغير عناء لا لزوم له ، وإلا كنا نعقد الأمور بأكثر مما تحتمله طبائعها ـ ولم يكن ذلك اتجاهى .

●

وقد أستأذن فى تعليق بعض الحواشى على هامش التجربتين : تجربة الوقائع ، وتجربة استعادتها .

□ **إننى تحملت تجربة الحياة مع الوقائع بكل تكاليفها مؤمنا بأن الحياة لاتتجمد عند لحظة بعينها ، ثم إن عجلة التاريخ لا تكف عن الدوران ، كما تفعل عجلة ألعاب القمار ، تدور بسرعة ثم تتوقف أمام رقم يفوز بالغنيمة من راهن عليه ، بينما يخسر غيره لأن الحظ تخلى عنه ، ويمضى إلى لعبة قمار ثانية !**

فالحياة لاتتجمد إلى الأبد عند لحظة ، وعجلة التاريخ لا تتوقف نهائيا امام رقم .

وكان ذلك يقينى حتى فى أشد اللحظات قســاوة وقتامة ، واظن انه اليقين الذى تمنحه قراءة التاريخ للذين يعرفون فضلها .

وربما كان ذلك ما دفعنى ـ دون تزيد فى القول أو تفاخر ، إلى ان أعطى كل ما فى طاقتى واكثر ـ إذا كان ذلك ممكنا ـ لـ « جمال عبد الناصر » ولـ « أنور السادات » بعده من أجل هدف أن تواصل حركة الحياة تقدمها ، وأن تواصل عجلة التاريخ دورانها ، وهو ماحدث فعلا فى سنة ١٩٧٣ .

ولم اغير مكانى ، وهو الصحافة ، باستثناء فترة قصيرة جمعت بينها وبين العمل وزيرا للإعلام ، ثم أضيفت إلىّ وزارة الخارجية لفترة أسبوعين فى غياب وزيرها الأصلى السيد « محمود رياض » ـ وفى أوقات تداخلت فيها عناصر القتال ، وعناصر الدبلوماسية سنة ١٩٧٠ .

لم اغير مكانى ـ الصحافة ـ ولاتغيرت مكانتى ـ الصديق ـ فى هذه الفترة من الرجلين ، ولم أكن أريد غيرها ، أقل أو أكثر .

وربما كان اعتراضى على ماحدث فى أثناء مفاوضات فض الاشتباك الأول بعد حرب أكتوبر مباشرة ، ثم خلافى الذى وصل بى فى النهاية إلى السجن سنة ١٩٨١ ـ هو بالضبط تقديرى لحجم العطاء الذى قدمته الأمة كلها فى السنوات المشحونة بالقلق والأمل من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٧٣ ـ وخشيتى من أن الأمة قد لاتستطيع بسهولة أن تكرر معجزة عطائها ، فطبيعة المعجزة ـ وهى فى الحقيقة طبيعة البطولة ـ أنها لحظة بذاتها من الحياة غير قابلة للتكرار بلمسة على لوحة أزرار !

وأتذكر أن الرئيس الفرنسى « فرانسوا ميتران » دعانى يوما إلى غداء كنا على مائدته وحدنا فى مطعم « ليب » بـ « سان جيرمان » ، وناولنى نسخة من كتابه « السنبلة وحبة القمح » وهو يحوى طرفا من مذكراته وخواطره ـ وقد كتب عليها اهداءً رقيقا رحت أقرأ سطوره وهو ينتظرنى ، ثم قال لى :

ـ « سوف تجد اسمك مرات فى هذا الكتاب ، فقد تعرضت فيه لأيام كنت فيها ضيفا عليك فى القاهرة . سوف تجد أيضا اسم السادات . وسوف تجدنى أتحدث عن الخلاف بينكما دون انحياز لأحدكما فيه . تذكر أنك أنت الذى قمت بتقديم كلانا إلى الآخر أول مرة ، ولا أخفى عليك أن الخلاف بينكما ما زال حتى بعد كل هذه السنين الطويلة يحيرنى » .

وقلت له محاولا تجنب التفاصيل :

ـ « كان خلافنا فى صميمه خلافا على تقييم العطاء الذى قدمته الأمة من سنة ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ ـ كان تقديره أنه وقود يكفى للوصول حتى أكتوبر ١٩٧٣ ـ وكان تقديرى أنه وقد وصل إلى أكتوبر ١٩٧٣ يستطيع أن يندفع إلى ما وراءه ، وإلى ما بعده ، ويملك فى متناول يده بقليل من الصبر والتصميم أكثر بكثير مما قنع به وسكت عنده . »

وقال « ميتران » وهو يهز رأسه ، ويمط شفتيه على عادة الفرنسيين :

ـ « لعله كان يريدها آخر الحروب فى المنطقة ، ويحلم بتحقيق السلام . . لقد سمعت منه بنفسى هذا الكلام ؟ »

وقلت :

ـ « وسمعته أنا أيضا ، ولكنك تعرف أكثر منى حقائق هذا العصر ، بل وكل العصور قبله وبعده ، وهى أنه عندما يريدها احد « أن تكون آخر الحروب » فمعنى ذلك أنه يعطى للآخرين فرصة أن يفرضوا عليه ما يريدون مطمئنين إلى أنه فى النهاية قابل بما يعرضونه طالما أنه ليس مستعدا لما يترتب على عدم القبول . وحين تتعهد أمة بأنها لن تحارب دفاعا عن مصالحها عند اللزوم ، فالترجمة العملية لذلك أنها عطلت إرادتها حتى من قبل أن تبدأ لحظة تعارض الإرادات .

ثم أنت أول من يعرف أن السلام موازين قوة ، وأنه ليس هناك ما يحافظ عليه غيرها .

والقول بـ « نهاية الحروب » هو فى شكل من الأشكال وقوع فى محظور تجميد الحياة ، وتوقف عجلة التاريخ عن الدوران . وأنا لا أقول إن الحياة والتاريخ كليهما حروب ، وإنما أقول إنهما صراع . وفى مجرى أى صراع فإن القوة احتمال وارد ، ولا يستطيع طرف ، ولا يملك أن ينساه أو يتناساه » !

ثم آثرت أن أغير الموضوع وانتقل منه الى غيره !

هذا عن تجربة الحياة مع الوقائع سنة ١٩٦٧ .

□ وأما عن تجربة استعادة الوقائع وعذابها ، فإن السبب لم يكن اجترار المرارة ، وإنما كان السبب هو انتمائى إلى مدرسة فى الكتابة ليست هى بالضبط تلك المدرسة التى تؤمن بأنه ما دامت نهاية القصة قد ظهرت أمامنا ـ إذن فإن كتابة تفاصيلها سهلة ، لأنها تقدر على تكييف سياقها مع الخاتمة التى نزل عليها الستار !

وهذا المنطق ـ فى ظنى ـ مشوب « بشىء من الخلط » و « شىء من الخطأ » .

« شىء من الخلط » يتأتى من عدم التفرقة فى مقاييس النقد بين « **العمل الأدبى** » و « **العمل السياسى** » . فى « العمل الأدبى » هناك

قصّاص أو مخرج أو رسام تمثل موضوعه والعصر الذى جرى لديه ، والمناخ الذى أحاط به ، واختار أبطاله وأجناسهم وأعمارهم ، وحتى تقاطيعهم وملامحهم ، وقرر لهم حركتهم ابتداء من مشاعرهم الدفينة إلى مصائرهم النهائية . وهكذا فإنه حين ينزل الستار على المشهد الأخير فى الفصل الأخير يستطيع الناقد أن يبدأ مهمته ، ويصدر حكمه .

فى « العمل السياسى » يختلف الأمر لأن صانع القرار فى أى صراع لايتمثل موضوعه ، ولايختار أبطاله ، ولا يقرر لهم حركتهم من المشاعر إلى المصائر .

■ أمامه صراعات يخوضها ، وهى فى الغالب من صنع عوامل تاريخية أكبر منه .

■ وهو لايملك اختيار أبطاله فى الغالب بما فى ذلك الواقفين على ناحيته من الصراع لأن طبائع حركة المجتمعات ، وسرعة دورانها ، واحتكاكها تدفع إلى الساحة بمن تدفع دون تصميم مسبق يخضع لخطوط مرسومة سلفا .

■ ثم إن المسافة الطويلة من المشاعر الى المصائر ليست من صنعه بما فيها جريان الحوار .

وليس معنى ذلك ان شخوص « العمل السياسى » كابطال ماس إغريقية ، لا يملكون شيئا من مقاديرهم بل هم مجرد دمى على مسرح التاريخ يتقرر مصيرها دون دخل من إرادتها ـ فذلك آخر شىء اقول به ، بل لعلى واحد من المبالغين فى الاعتقاد بتاثير دور الفرد على مسار التاريخ .

كل ما أريد قوله هو أن مقاييس نقد « العمل الأدبى » تختلف عن مقاييس نقد « العمل السياسى » .

ومن مقتضى هذا الخلاف ، فإن أدوات ومقاييس النقد لابد لها أن تختلف .

وفى الحقيقة فإن صانع القرار السياسى يستطيع ان يختار لحظة رفع الستار عن كلمته فى حوار التاريخ ، ولابد له ان يختارها مدفوعا بمصالح حيوية ، ومسلحا بقوى حقيقية ، ومرتكزا على حسابات تستطيع أن تواجه لحظة رفع الستار وما بعدها ـ لكنه وراء ذلك يجد نفسه أمام مواقف وحقائق متغيرة بالأفعال وردود الأفعال تحكم وتتحكم فى تشكيل صراع إرادات .

وهكذا فإنه فى حين أن نقد « العمل الأدبى » يتعامل مع صورة مكتملة ـ فإن نقد « العمل السياسى » ـ بما فى ذلك الحرب ـ يتعامل مع حركة متلاحقة ، حتى فى ظلال السلام .

وبالطبع فإن الحركة المتلاحقة ليست فوضى بغير ضوابط يرجع إليها ويقاس عليها ـ وإنما هناك بالقطع معايير .

وظنى أن أهم معايير الحركة السياسية هى :

حجم المصالح الدائمة ـ ودقة حسابات اللحظة وما وراءها ـ ثم كفاءة الإدارة القادرة على معالجة المتغيرات الناشئة عن حوار ـ أو صراع ـ الإرادات .

وربما تجاوزت وقلت إن الفكر العربى يملك تقاليد يمكن قبولها فى نقد « العمل الأدبى » ـ لكن تقاليده فى نقد « العمل السياسى » لاتزال تبحث عن نفسها ، خصوصا وأن عهده بانتاج « عمل سياسى » مستقل مازال قريبا ، وبالتحديد لم تتوافر إمكانيته إلا بعد معركة السويس سنة ١٩٥٦ ـ وفى أعقابها امتلك العرب فكرا وفعلا إمكانية الحوار المستقل على مسرح العالم والعصر .

تلك كلمة سريعة عن هذا « الشىء من الخلط » !

●

وأما عن هذا « الشىء من الخطأ » فقد أكتفى بالقول بأن « العمل

السياسى » لايعرف من الأساس تلك اللحظة التى ينزل فيها الستار ، وتنطفىء بعدها الأنوار ـ مع المشهد الأخير فى الفصل الأخير !

فإذا كانت الحياة غير قابلة لأن تتجمد عند لحظة ، وإذا كانت عجلة التاريخ غير قابلة للوقوف الى الأبد عند رقم ـ إذن فإن خاتمة القصة ليست هى مانراه أمامنا . وحتى إذا رأينا الستار ينزل فإنه يكون قد نزل على مشهد لا يلبث أن يرتفع بعده لتظهر وتتحرك ابتداءً منه ، واتصالا به مشاهد !

ومن هنا فلقد كان العذاب الحقيقى فى تجربة استعادة الوقائع ، هو محاولة البحث عن الحقيقة وراء المشاهد ، وربط المشاهد بعضها بالآخر والنفاذ بها الى المستقبل ـ حتى تتكامل الصورة .

□

وربما كان علىّ هنا أن أعرض بعض ما قصدت إليه ـ أو لم أقصد ـ فى هذا الكتاب :

١ ـ لم أقصد أن أجعله نوعا من كتابة المذكرات . ومع أننى عشت دخائل الوقائع التى يتعرض لها الكتاب ، فإننى أخرجت نفسى بالكامل من دائرة روايتها .

٢ ـ أبعد الأشياء عن مقاصدى أن أجعل من هذا الكتاب محاولة لـ « كتابة التاريخ » ، والحقيقة أنه محاولة لـ « قراءته » ، وهذا معنى كررته كثيرا فى وصف ما أكتبه ، ومازلت متمسكا به .

وليس من باب التواضع أن أقول إن « كتابة التاريخ » ليست صناعتى ولا أنا مدعيها ، وليس من باب التفاخر أن أقول إن « قراءة التاريخ » حقى لأنها حق كل مهتم بالشئون العامة !

ولعلى لا أتزيد إذا قلت إن « قراءة التاريخ » كانت أصعب

بالنسبة لى لأنى عشت وقائعه ، وكان علىّ لكى أقرأه بأمانة أن أضع للاختبار كثيراً مما كنت أظن أننى أعلمه ، وأن أطرح للمراجعة كثيرا مما كنت أتوهم أننى أفهمه .

ولقد اتخذت ما كنت أتصوره لدىَ من علم ، أو فهم كمجرد دليل يقودنى إلى مواقع البحث والتفتيش حتى تكون قراءتى للتاريخ مستوفية ومتوازنة . ولقد وجدت فى بعض الأحيان ما أريده حيث قدرت أن أجده ، وفى أحيان أخرى اكتشفت أن اتجاهى يحتاج إلى إعادة تصحيح وإعادة ضبط .

٣ ـ وعلى وجه التأكيد فقد قصدت إلى بذل كل جهد ممكن ، لكى أجعل قراءتى موثقة ، وكان اعتقادى بعد كل أنهار الحبر التى سالت على تلال الورق فى السنوات الأخيرة ـ أن الناس لم يعودوا مستعدين لتقبل ما يلقى إليهم مهما كانت مصادره .

ولقد قال بعضهم إنهم « كانوا هناك » ـ عندما كانت الحوادث تصنع ، وفى بؤرة صناعتها ـ وأحسب أنهم لم يكونوا هناك !

وقال بعضهم إنهم « كانوا هناك » ـ لكنهم عندما رووا تحدثوا عن أنفسهم وما قالوه ، أو ما ظنوا أنهم قالوه ، أو ما تمنوا لو أنهم قالوه !

وربما أن بعضهم كانوا فى بؤر الحوادث ، لكن مشاعرهم حكمت رؤاهم ، وهذا إنسانى ! ومن ثم جنح الوصف ، وتاه الموصوف !

ومع ذلك ، فالنتيجة فى أقل القليل محيرة ، فالروايات المتعارضة والمتضاربة ألغت بعضها بعضا ، وتولت إحداها نفى الأخرى ، كما أن وقائع التاريخ تحولت إلى معارك سياسية ، ثم إن دروسه أصبحت حالة من الضياع لا يستطيع أحد فيها أن يعثر على دليل !

وأزعم أنه كان فى استطاعتى أن أقول « إننى كنت هناك » ورأيت بعينى وسمعت بأذنى ، وشاركت فى حوار الحوادث ، ثم يصدقنى كثيرون يعرفون أننى « كنت بالفعل هناك » ، ولكننى عدت بعد ذلك فأشفقت على نفسى ـ وربما على الناس ـ فلقد أصبح الشك هو القاعدة والتصديق صعب المنال . ولقد كان من هنا أننى ذهبت فى توثيق هذا الكتاب إلى حد يتجاوز المعروف والمألوف . والواقع أننى قصدت أن أتجنب ضمير المتكلم تماما . ولم ألجأ له إلا فى ثلاثة مواقف ، أو اربعة كان مستحيلا أن يستقيم حديثها بغيره . آثرت ـ عامدا ـ أن تكون الوثائق هى ضمير المتكلم !

□

ولقد تكون المناسبة الآن ملائمة لكى أبدى ملاحظة على حجم ونوع التوثيق فى هذا الكتاب . ولابد أن أقر بالعرفان فيه لـ « **ظرف** » ولـ « **فضل** » :

● **أما « الظرف » فهو أننى كنت بالفعل هناك رائيا وسامعا وطرفا فى الحوار ، وهذه حقيقة لا أخفيها ولا أعتذر عنها .**

ولأنى كنت أتمنى أن أكتب « القصة » فى يوم ـ من الأيام ـ قارئا للتاريخ ـ فلقد كان من هنا أننى لم أترك ما مر أمامى يضيع ، وإنما حاولت أن أسجله موثقا ، ولم يكن هذا سرا احتفظت به لنفسى ، بل إننى أشهرته حين وضعته ضمن « أسبابى » الرسمية لتقديم استقالتى من وزارة الإعلام غداة إعلان نتيجة الاستفتاء على انتخاب « أنور السادات » رئيسا للجمهورية . وفى رده علىّ بقبول الاستقالة (ولعلها الاستقالة الوحيدة فى تاريخ الوزارات المصرية الحديثة التى نشر نصها ، ونص الرد عليها كاملين على الملأ) ـ أشار الرئيس « السادات » بدوره إلى هذا « السبب » عارفا به ، ومؤكدا له .

ولا أتصور أن ذلك يحمل مظنة أى نوع من أنواع الاحتكار

للحقيقة ، فما أتيح لى كان متاحا لغيرى فى مثل ظروفى ، وكان الفارق الوحيد أن الكتابة فى يوم من الأيام كانت ـ بحكم المهنة ـ فى خواطرى ، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لغيرى ، وإنما طرأ فيما بعد لسبب أو لآخر .

وفى كل الأحوال ، فقد تعمدت الإشارة بوضوح إلى حيث توجد الوثائق متاحة ولا تزال للراغبين والطالبين .

هذا عن « الظرف » !

● وأما عن « **الفضل** » ـ وهو حجم ونوع التوثيق ـ فقد يلحظ قارىء هذا الكتاب أن التوثيق له من مصادر أجنبية ، لا يقل اتساعا وتنوعا عن التوثيق من مصادر عربية ، ولم تكن لى فيه ميزة أننى « كنت هناك » ـ **وكان الفضل فيه لعدد من الإخوة والأصدقاء لم يدخروا جهداً ، ولا وقتا لكى يتعقبوا موضوعات اهتمامى فى مكانها من مجموعات أوراق رؤساء الدول ، وملفات وزارات الخارجية ، وحتى فى تقارير عديد من أجهزة المخابرات فى أوروبا وأمريكا ، ولقد تحملوا فى سبيل ذلك الكثير بما فيه مشاق اجراءات استعمال قانون حرية المعلومات فى الولايات المتحدة ، وهو ليس طريقا مفتوحة للمرور بدون عوائق ، وإنما هو باب تقف عليه تعقيدات مقصود منها أن تصد وتعطل !**

وإذا كنت اتحرج من ذكر أسماء هذا العدد من الإخوة والأصدقاء ، فمرجع ذلك أننى لا أريد أن أتسبب لأى منهم فى إحراج هو فى غنى عنه .

●

وإذا قيل إننى انتفعت بـ « **ظرف** » فهذا صحيح ، ومع ذلك فقد كان كثيرون غيرى فى نفس « **الظرف** » وانتفعوا به حين كتبوا ، وبينهم رؤساء للوزارات « السيد كمال حسن على » بل ورؤساء للجمهورية

(الرئيس « أنور السادات ») - هذا فضلا عن وزراء للخارجية ، وقواد للجيوش ، وسفراء .

وإذا قيل إننى انتفعت بـ « **فضل** » إخوة وأصدقاء تحمسوا لما أعمل - فهذا أيضا صحيح ، ولقد نسبته إلى أصحابه عارفا بجميلهم ومقدرا .

ولست أعتذر لا عن « **الظرف** » ولا عن « **الفضل** » ، فليس فى أحدهما ما يبرر الاعتذار إذا كان الهدف هو طلب الحقيقة ، وأن تكون كل حقيقة بوثيقة ، حتى أستطيع أن أتقدم إلى طلب التصديق مرتاحا ومطمئنا بعد عذاب طويل فى البحث والتدقيق .

ومع ذلك فلعلى لا أتجاوز إذا قلت إن الوثائق لم تجعل مهمة هذا الكتاب أكثر سهولة ، وإنما بالعكس جعلتها أكثر صعوبة ، فالالتزام بالوثائق قيد من حديد ، ثم أن حجمها وتنوع مصادرها اقتضى جهدا يكفينى فى الإشارة إليه أن أقول إننى اضطررت لقراءة وتحليل ومقارنة أكثر من ستة آلاف وثيقة لم أستعمل منها مباشرة غير أقلها ، وفضلا عن ذلك ، فقد كان علىّ أن أختار بحيث تتصل وحدة الحديث والحوادث من خلال الوثائق قبل أى عنصر آخر !

□□□

أنتقل إلى قضية أخرى أظن أن هناك ضرورة لطرحها ، وهى شرح مقصدى من هذا الكتاب ، وموقعه بالضبط على خريطة عملى .

وأعتقد أنه لابد أن أبدأ من البداية :

□ أولا - إن لى رأيا ورؤية مؤداهما أن هناك مرحلة بأكملها هى المرحلة من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٨٥ - نستطيع أن نسميها حرب الثلاثين سنة . وهذه العقود الثلاثة هى الفترة الزمنية التى شهدت صعود ثم تراجع الحركة الثورية العربية ، وقد بدأت سنة

١٩٥٥ بظهور مقاومة عربية شاملة قادتها القاهرة ضد مخططات الغرب فى السيطرة على المنطقة تحت اسم حلف بغداد ، ثم تحت اسماء ومسميات أخرى تواردت بعده . ثم انتهت هذه الحقب الثورية الثلاث عندما استباح الغرب لنفسه حق النزول لاحتلال عاصمة عربية هى بيروت ، وبدعوى إنقاذها من احتلال إسرائيلى وصل بالفعل إلى قلبها ، وكانت تلك هى نهاية حرب الثلاثين سنة ! (ولعلها تثبت أنها كانت فى نفس الوقت بداية حرب جديدة من نوع جديد) .

□ ثانيا - إن هذه الفترة - حرب الثلاثين سنة - شهدت ثلاث ذرى عالية لحركة التاريخ فى المنطقة تمثلت فى ثلاث معارك رئيسية هى معركة السويس (١٩٥٦) - ومعركة سيناء (١٩٦٧) - ومعركة العبور (١٩٧٣) - كلها معارك فى حرب واحدة ، والمعارك المسلحة دائما - عندنا وعند غيرنا من الشعوب - هى ذرى الصراع عند أقصى درجات سخونته .

وهكذا فلقد بدأت سلسلة عن حرب الثلاثين سنة ، كان أولها كتاب « ملفات السويس » - عن المعركة الأولى (وقد صدر سنة ١٩٨٦) فى الذكرى الثلاثين لها .

والآن على صفحات هذا الكتاب أجدنى أمام المعركة الثانية ، وهى معركة سيناء سنة ١٩٦٧ ، وأصلى فى خشوع داعيا وراجيا أن أتمكن من كتابة المعركة الثالثة فى هذه الحرب ، وهى معركة العبور (١٩٧٣) .

□ ثالثا - إن المعركة التى أتعرض لوقائعها فى هذا الكتاب ، وهى معركة سيناء (١٩٦٧) هى أكثر المعارك الثلاث غموضا ، واشدها تعقيدا ، والغريب أنها المعركة التى تعرض لها القائلون باكثر مما تعرضوا لأى معركة غيرها ، والحاصل أنهم حولوها من ميدان فى حرب متصلة إلى ساحة من ساحات التأثير النفسى والسياسى المقصود لذاته بصرف النظر عما جرى وكان . والنتيجة

أن الناس أصبحوا فى حيرة من أمر هذه المعركة . وأشدهم حيرة أجيال الشباب .

وربما من هنا أننى وجدت نفسى مطالبا بدرجة معينة من التفصيل فى الرواية والتوثيق تصورته وحده قادرا على الكشف والجلاء ، وكان ذلك ما اضطرنى إلى أن أقسم هذا الكتاب عن معركة ١٩٦٧ إلى جزءين . أولهما وهو الذى أقدم له الآن يمد الجسور إلى ساحة المعركة تحت عنوان « **سنوات الغليان** » ، والآخر يصل بها إلى الأيام الستة المشهودة من يونيو سنة ١٩٦٧ ويكون عنوانه - إن شاء الله - هو : « **الانفجار** » !

ولقد دفعنى إلى ذلك حقيقة أن معارك الحروب لا تندلع فجأة من وسط السكون ، ولا تطل برأسها من فجوة مجهولة أو مظلمة ، وإنما هى من قديم ظاهرة لمحها المشرعون العظام للإمبراطورية الرومانية ، وصاغوها قانونا أو شبه قانون Historia Non Facit Sabbatum - أى أن التاريخ لا ينقطع فعله !

●

وليس مد الجسور إلى ذرى الحوادث بدعة فى محاولة تقصى الحقائق وجلائها وكشفها ، وعلى سبيل المثال ، فليس فى استطاعة أحد أن يكتب عن معارك الحرب العالمية الأولى دون أن يتعرض لظهور ألمانيا الموحدة على يد « بسمارك » ، وهزيمة فرنسا أمامها فى حرب السبعين من القرن الماضى ، ثم ما يتبع ذلك من دخول ألمانيا إلى سوق المطالبة بالمستعمرات (مؤتمر برلين ١٨٧٨) - ودون أن يتعرض لظهور الدور الأمريكى فى السياسة العالمية على يد « تيودور روزفلت » - ودون أن يتحدث عن ظهور اليابان بعد انتصارها على روسيا فى بحار الشرق الأقصى سنة ١٩٠٥ - فضلا عن الجسور المباشرة إلى هذه الحرب ، وبينها انهيار الإمبراطورية العثمانية الذى اشتهر باسم « المسألة الشرقية » ، بل وحتى اغتيال الارشيدوق « فرديناند » ولى عهد النمسا وقرينته فى مدينة سيراييفو اليوجوسلافية !

وبنفس المنطق ، فليس فى استطاعة أحد أن يكتب عن معارك الحرب العالمية الثانية دون أن يتعرض لقيام الثورة البلشفية فى روسيا ، واستيلاء الفاشية على إيطاليا ، وسيطرة النازية على ألمانيا ، ووقوع اليابان تحت حكم العسكريين ، ودخول الولايات المتحدة لإرث إمبراطوريات الغرب التقليدية ، وهى بريطانيا وفرنسا (فضلا عن الجسور المباشرة إلى هذه الحرب ، مثل قيام « هتلر » بضم النمسا ، واجتماع ميونيخ بين « هتلر » و « موسولينى » و « تشمبرلين » و « دالاديه » ، واحتلال ألمانيا لتشيكوسلوفاكيا ، ومطالبتها بأجزاء من بولندا ، وتوقيع معاهدة عدم الاعتداء بين « ستالين » و « هتلر ») .

وفى مثال قريب منا وشهير ، فإن أحدا لم يستطع أن يكتب معركة السويس (كل من كتبوا) إلا وكان الطريق إليها بادئا على الأقل من قيام ثورة ٢٣ يوليو - إلى أزمة الأحلاف العسكرية - إلى أزمة كسر احتكار السلاح - إلى أزمة سحب العرض الغربى بالمساهمة فى بناء السد العالى - إلى أزمة تأميم قناة السويس - إلى ما تلا ذلك من اجتماعات لندن حتى اجتماعات سيفر .

وهكذا كل معركة فى التاريخ . لكن بعضهم يؤثر رواية معركة سنة ١٩٦٧ باعتبارها وقائع تلك الأيام الستة من شهر يونيو سنة ١٩٦٧ ، وبعضهم يبدؤها من يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ مع ظهور الحشود الإسرائيلية أمام سوريا - أما قبل هذا اليوم أو ذاك فلم يكن هناك شىء ، وفجأة جاءت القارعة !

وليس هذا صحيحا ، ولا يمكن أن يكون ، فإن الجسور إلى المعارك جزء لايتجزأ منها ، كما أن الطرق إلى وقائع التاريخ الكبرى قطعة من نسيجها !

وبغير ذلك تصبح صراعات الأمم وحروبها أساطير وحكايات ، ويتنازل التاريخ عن أن يكون حركة تدافع قوى إنسانية هائلة ـ لكى يتحول إلى شبه مغامرات فردية : رصاص يرد على رصاص ، ومدافع تصرخ أمام مدافع ، ودبابات تتناطح مع بعضها فى الصحارى أو فى الوديان .

□ رابعا ـ وربما أن ما زين لى أسلوب التفصيل الدقيق هو اعتقاد يتملكنى بأن حروبنا لم تنته بعد رغم مقولة « نهاية الحروب » . لقد انتهت حرب الثلاثين سنة بذراها الشهيرة التى احتدمت فيها معارك السلاح سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣ ـ لكن الصراع مازال يدور ، وسواء أراد بعضنا ، أو أبوا ، فالمنطقة الآن فى حرب جديدة من نوع جديد .

فهناك معارك حقيقية تجرى فى الخليج وحول شواطئه ، وفى لبنان وعلى أطرافه ـ وهى معارك زادت فى كلفتها المادية والبشرية عن كلفة حرب الثلاثين سنة من أولها إلى آخرها ثلاثين مرة ، ولو أخذنا معيار الضحايا الإنسانية فقط لوجدنا أن ضحايا حرب الثلاثين سنة كانوا حوالى ثلاثة وثلاثين ألف ضحية فى كل المعارك الثلاث ، وعلى جانبى القتال (١٢٠٠ ضحية على الجانبين فى معركة السويس ١٩٥٦ ـ ١٥٦٠٠ ضحية فى معركة سيناء سنة ١٩٦٧ من الجانبين ـ ١٦٣٠٠ ضحية فى معركة العبور سنة ١٩٧٣ من الجانبين)[1] ـ بينما وصل ضحايا حرب الخليج حتى الآن إلى ٩٢٥٠٠٠ ضحية من الجانبين !

هناك أيضا معارك حقيقية فى جنوب لبنان (ضحاياها قرابة

(١) لم اضف إلى الحساب ضحايا حرب الاستنزاف (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠) وقد وصلوا على الجانبين إلى ٤٦٠٠ ـ غير قرابة ستة آلاف من العمال المصريين اعطوا حياتهم فى عملية بناء قواعد حائط الصواريخ الشهير ، الذى كان القاعدة الحقيقية لانطلاق قوات العبور .
كذلك لم اضف بالطبع خسائر حرب اليمن ، وكان عددهم اقل قليلا من خمسة آلاف ضحية .

خمسة وعشرين ألفا فى الجنوب وحده ، ولا يدخل فى الحساب من سقطوا فى بيروت أو غيرها من مدن لبنان وهم أكثر من ١١٥ ألف ضحية) ـ أى أن كلفة هذه الحرب تزيد بدورها ـ قرابة خمس مرات ـ عن كل كلفة حرب الثلاثين سنة التى هى موضوعى الآن ![2]

هناك أيضا معارك حقيقية فى الضفة الغربية وغزة ، وهى معارك لم يسبق لها مثيل ، ففيها تتجرأ الحجارة على شن الحرب ضد دولة نووية !

□ خامسا ـ وإذا كنت أذهب إلى أن حرب الثلاثين سنة التى اكتب عنها قد انتهت ، وأن صراع المصائر الذى نخوضه مازال مستمرا ـ إذن فإننى لا أكتب عن الماضى ، وإنما أكتب عن الحاضر الذى مازال حيا ، ومازال ممتدا إلى المستقبل ، وهنا لا تصبح التفاصيل تزيدا ، وإنما تتحول بدورها إلى دراسة تقصد إلى استطلاع الغد وتتحرق شوقا لإطلالة عليه .

وقد أتجاوز مرة أخرى ، وأقول إن خط الصراع المستمر هو الخط الذى أركز عليه ، وهناك فيما يتصل بالتعرض للصراعات الكبرى رأيان :

● رأى يركز على **الثوابت** التى تنشأ بسببها صراعات التاريخ الكبرى .

● ورأى يركز على **المتغيرات** التى تجىء بها العوارض الظاهرة لهذه الصراعات .

(٢) الارقام هنا معتمدة على تقارير الصليب الاحمر الدولى فى جنيف . والغريب ان حجم الخسائر المادية فى هذه الحروب يتناسب بشكل لافت للنظر مع حجم الخسائر البشرية ـ وذلك من واقع ما تقول به ادق التقارير الدولية بما فيها ما هو صادر عن الامم المتحدة . هناك ايضا ظاهرة اخرى لافتة للنظر ، وهى انه فى توزيع نسب الخسائر بين الطرفين ، فإن حساب الخسائر البشرية باستمرار هو ٢ إلى ١ على حساب العرب ، والعكس تماما فى التكاليف المادية فهى ٢ إلى ١ على حساب إسرائيل ، اى اننا ندفع تكاليف معاركنا بثلثين من البشر وثلث من المال . وإسرائيل العكس ثلثين من المال وثلث من البشر !

والتركيز على الثوابت يقترب من حركة وقوانين الصراع ، وأما التركيز على المتغيرات ، فهو يجرى وراء « **الحواديت** » والحكايات .

وأشهد أننى منحاز إلى الرأى الأول . منحاز ضد الرأى الثانى .

وبالتالى فلقد أقول مبكرا إن روايتى للوقائع كلها محاولة لتعقب مجرى الصراع الرئيسى بين الأمة العربية ، وبين الذين تربصوا بها طوال الحقب الثلاث التى استغرقتها حرب الثلاثين سنة . وأتمنى ألا أكون متشائما إذا قلت إن الصراع مازال جاريا ، وإن تغيرت ميادينه وتبدلت مواقعه ، واختلفت أطرافه .

□ **سادسا** ـ وما دمت قد أشرت إلى التشاؤم ، فلعلى قصدت فى تعقبى لخطر الصراع فى المنطقة على صفحات هذا الكتاب أن أنبه بعض المتفائلين الذين يتصورون أن العصر النووى قد أنهى إلى الأبد « إمكانية » استخدام القوة فى الصراعات .

ولقد كنت أتمنى لو كان هذا التفاؤل فى محله وفى موضعه ، ولكنه مع الأسف تفاؤل الحالمين ، ولا أريد أن ينزلق قلمى أو لسانى فأقول إنه قعود القاعدين يريدون أن يتلمسوا فى تقدم العلم مايبرر لهم تجنب المشاق .

وعلى فرض أن السلاح النووى أنهى إمكانية الحرب ، فلعلنا لاننسى أن هذه النهاية لاتتحقق إلا بالتعادل النووى ، وإلا فإن احتكار طرف لهذا السلاح وحرمان طرف آخر منه ، يعنى أنها سوف تكون حربا بالابتزاز ، وهذا أكثر أنواع الحروب مهانة وانكسارا .

وفى كل الأحوال ، فليس يحق لنا أن نغفل لحظة عن حقيقة أن الصراعات بين الأمم قائمة ودائمة ، وسوف تظل قائمة ودائمة حتى تتغير الدنيا وسكانها ، فتصبح أرضها هى الجنة وناسها هم الملائكة ، لكنه حتى يحدث ذلك فإن صراعات المصالح والأمن تؤدى لا محالة إلى الحروب . والعلم يؤدى الى اختلاف وسائل الحروب وأساليبها . والعصر

النووى قد يقنع بعض الأطراف بوضع حدود لاستعمالات القوة ، ومع ذلك فمن قال إن النار وحدها هى سلاح القوة ؟ !

□□□

هناك قضية حساسة أخرى أرى ملائما أن أتعرض لها قبل أن افرغ من هذه المقدمة ، لهذا الكتاب الأول عن سنة ١٩٦٧ ـ « سنوات الغليان » .

واتمنى فى شأن هذه القضية أن أسوق الملاحظات التالية :

١ ـ إن معركة سنة ١٩٦٧ لها سمة خاصة تفترق بها عن معركة السويس (١٩٥٦) التى سبقتها ، وعن معركة العبور (١٩٧٣) التى لحقتها .

وفى حين أن ماسبقها وما لحقها من معارك كانت له تضحياته ، وكانت له جوائزه التى حافظنا عليها ، أو تركناها تضيع ـ فإن معركة سنة ١٩٦٧ كانت تضحيات كلها بغير جوائز . ثم إن التضحيات كانت مأساوية ظاهرا وباطنا .

وبالتالى ، فإن كل طرف يحاول إزاءها أن يتهرب من مسؤوليته فى المأساة ، ويلقى اللوم فيها على غيره ، ويجد له فى ذلك مشايعين وسط كتائب الفتنة الكبرى المستبدة الآن بالعالم العربى .

ولعل ما اريد قوله فى هذه النقطة هو أننى لست متشيعا لطرف ، فانا لا أريد أن أغطى على أحد أو أتستر على فعل . ومن الحق أن اقول إن « جمال عبد الناصر » نفسه تحمل مسؤوليته عن ماساة سنة ١٩٦٧ وتحملها كلها لم يوزعها يمينا أو يسارا ـ شرقا او غربا على كل الأطراف مستثنيا نفسه .

وإذا كان ذلك ما فعله « جمال عبد الناصر » فليس لأحد بعد ذلك

حق أن يتزيد ، وإنما يكون على الذين يهمهم درس المأساة وعبرتها أن يتبينوا ، وأن يتقصوا دخائل الحوادث ودخائل النفوس ، فهذا وحده يجعل للمأساة فائدة حين يرتفع بها من أن تكون مأتما للبكاء على الأطلال ، ليجعلها منجما مليئا بالذخائر ، وكنوز المعرفة والتجربة معا .

٢ - ومع ذلك فإن أى قارىء سوف يلحظ أن اسم « جمال عبد الناصر » شخصيا سوف يتردد على صفحات هذا الكتاب بأكثر مما كنت أقدر أو أريد ، ولقد كنت أتمنى أن لا يكون الأمر كذلك ، ولكن المشكلة أن الوثائق التى يعتمد عليها الكتاب من ملفات الغرب وخزائنه تركز كلها على اسم « جمال عبد الناصر » والحقيقة أنها تستعمله اختصارا لحركة ورمزا لتوجه ، ولم يكن أمامى اختيار بديل !

٣ - إننى أتوقع مبكرا أن بعض ما أقوله فى هذا الكتاب ، أو بمعنى أدق ما تقول به الوثائق فى هذا الكتاب ، سوف يثير أطرافا داخل مصر وخارجها ، ولا حيلة لى فى ذلك .

إن محاولة « استعادة الوقائع » هى فى ناحية منها محاولة « لاستعادة الذاكرة » - وهذا بالفعل بعض ما قصدت إليه - خصوصا إزاء أجيال الشباب - ومطلبى فيه هو الحرص على المستقبل ، ذلك أن رجلا يفقد ذاكرته فى منتصف رحلة ، لايمكن أن يكون قادرا على تكملتها . وذلك حال الأمم !

وربما قلت إن العصر كله هو عصر الذاكرة الواعية . عصر المعلومات وحفظها وترتيبها واستدعائها لتكون حية فى المستقبل ، وفاعلة فيه بالإدراك الإرادى .

وقد ننبه أنفسنا إلى أننا بعد سنوات قليلة لا ندخل قرنا جديدا من الزمن فقط - وإنما ندخل ألفا جديدة هى الألف الثالثة من التقويم المتعارف عليه بين عموم البشر !

ولعل تمسكى الزائد بحديث الوثائق يرجع بالتحديد إلى أننى لا أريد أن يظن ظان أننى أعطيت نفسى حقوقا لا أملكها ، وهى تسمح لى بفرض الضرائب على البعض ، وتوزيع الأرباح على البعض الآخر .

والحقيقة أننا لسنا جميعا - أقصد أمتنا العربية - فى وضع من تستحق له أرباح ، وإنما نحن جميعا فى وضع من تستحق عليه ضرائب بصرف النظر عما إذا كان مسؤولا عنها مباشرة ، أو أنه يتحملها بدون مسؤولية مباشرة تستوجبها عليه .

وإذا نظرت إلى أحوالنا العامة ، وكما هى الآن ، فلعلى لا اتجاوز إذا قلت إن كلنا مسؤول وكلنا مذنب . ليس فينا أبرياء ، وليس بيننا قديسون ، ومع ذلك فهذه طبائع البشر طالما أن هذا الجنس من طينة الأرض ، وهم فى قلبها لم يهجروها بعد إلى كوكب آخر كالمريخ أو القمر !

٤ - وربما أضفت أننى لا أقصد إلى إيقاظ أشباح الماضى النائمة . فالأشباح هائمة وليست نائمة ، ولعلى أتجاسر فى طلب الإنصاف لكل الأطراف بالقول بأننا أمة مازالت تعيش مرحلة التناحر إلى قرب الحرب الأهلية : بين المدن والقبائل ، وبين الوديان والصحارى ، وبين الأغنياء والفقراء ، وبين العقائد والمذاهب والفرق - وليس فى هذا مايحق لنا أن نداريه أو نخجل منه ، فهو طبائع حركة تاريخية متعددة المواريث والرؤى ، مشتتة الولاءات والنزعات ، وأحسب أن لكل منها جميعا منطقا تتحرك منه ، وهو فى حسابها مشروع وشرعى !

ولقد خاضت كل الأمم قبلنا هذه المحنة ، وحتى إلى درجة الحرب الأهلية ، بينما هى فى طريقها لتحقيق وحدتها القومية .

بريطانيا عاشت سلسلة من الحروب الأهلية ، والولايات المتحدة عاشت أشهر حرب أهلية فى التاريخ ، والثورة الفرنسية العظيمة

خاضت غمار الحرب الأهلية فى طريقها إلى تأكيد مبدأ الحرية والإخاء والمساواة .

ولقد سرنا فى نفس الطريق ، وكان حتما أن نسير ، ومازلنا عليه سائرون ، فتحولات التاريخ الكبرى لا تحسمها عشر سنوات ، أو عشرون سنة ، أو ثلاثون .

وربما نتذكر أننا فى بعض اللحظات رفعنا السيوف على بعضنا ، ثم أعدناها إلى أغمادها تحت ضغط ظرف أو آخر داخل أوطاننا أو خارجها – لكن التناقضات لم تحل ، وربما جازفت مرة أخرى وقلت إن هذه التناقضات أكبر من أن تحلها السيوف ، وإنما التطور التاريخى وحده هو الكفيل بها !

٥ – وبدون أن أحمل مقولة « **أن التاريخ يكرر نفسه** » فوق ما تحتمله – فإن المرحلة الراهنة التى نعيش فيها الآن تذكرنى بعصر الفتنة الكبرى فى صدر الإسلام بفارق واحد ، وهو أنها فتنة لايجاورها حلم أموى عظيم يتجاوز مآسيها الحزينة والدامية ، بانطلاقة إمبراطورية واسعة تصل من شواطىء آسيا المطلة على بحر الصين ، إلى شواطىء الأطلنطى المطلة على أسبانيا ، وتعوض محنة المذاهب المتناحرة بعظمة الدولة القادرة .

وهكذا فإن الفتنة يقظى ، وأما الحلم ففى سبات عميق .

ولعلى أقول بأمانة : إن هدفى من كل ما أعرض له فى هذا الكتاب ليس صب الزيت على حريق الفتنة ، وإنما إضافة الزيت ، ولو حتى قطرة واحدة منه ، إلى شعلة الضوء حتى نرى كخطوة أولى أين نقف ، ولماذا نحن هنا ، وكيف السبيل إلى الخروج ؟ !

□□□

هناك أيضا مسألة اجتهادات أرى من واجبى أن أضعها تجنبا لأى التباس :

١ – سوف يلاحظ أى قارىء أن هناك تداخلا بين قصة معركة السويس ١٩٥٦ – وقصة معركة سيناء ١٩٦٧ وهى الموضوع الأساسى لهذا الكتاب . ولم يكن ممكنا تجنب مثل هذا التداخل ، لأن خواتيم قصة سنة ١٩٥٦ هى نفسها مقدمات قصة سنة ١٩٦٧ ، وإذا كان تقديرى صحيحا « بأن حياة الشجرة فى جذرها المدفون فى باطن الأرض لاتراه العيون ، فى حين أن الفروع والأوراق مجرد ظواهر مؤقتة ، عمرها ساعات أو بالكثير أيام » – إذن فالعودة إلى الجذور لم يكن منها بد ولا مفر . ولم تكن معركة سنة ١٩٥٦ – بالنسبة إلى معركة سنة ١٩٦٧ – علاقة شجرة بجذرها فقط ، وإنما كانت علاقة جنين برحم !

٢ – إننى من أنصار قاعدة فى الكتب ترى أن كل كتاب يجب أن يكون وحدة مستقلة تقرأ بذاتها منفصلة عما يسبقها ، وعما يلحقها ، مهما كان من اتصال وتسلسل السياق . ويخطر ببالى أنه يكون نوعا من الخيلاء إذا تصور أى كاتب أن كل قارىء كتاب جديد له يتحتم عليه أن يكون قد قرأ كتابه السابق ، وهكذا يسمح لنفسه أن يبدأ من حيث انتهى بالضبط دون أن يمهد ببناء جسر بين الاثنين يصل أحدهما بالآخر ويكون عذره فى ذلك محاذير التكرار .

ومع اعترافى بأن محاذير التكرار واردة ، فقد حاولت تلافى آثارها قدر ما استطعت ، وكان سبيلى إلى ذلك البحث عن وقائع جديدة ووثائق مختلفة تعبر عن حقائق كانت موجودة فى الصراع سابقا ، وظلت موجودة فيه لاحقا .

٣ – إننى اعود إلى الإلحاح على واقع اننى اقصر اهتمامى فى كل مجموعة حرب الثلاثين سنة على الصراع على الشرق الأوسط وفيه . امهد بذلك لكى اقول بعده إننى لا اتعرض الآن للأوضاع الداخلية لأى بلد بما فى ذلك مصر – إلا فى اقل الحدود ، بمعنى اننى اتعرض للأوضاع الداخلية فى حالة واحدة ، وهى أن يكون لهذه

الأوضاع دور مباشر ، أو غير مباشر على مجرى الصراع الرئيسى فى المنطقة ـ فيها وعليها .

□□□

ولعلى أطلت فى هذه المقدمة ، وكانت نيتى أن لا أطيل . ولكنى وجدت حقا علىّ أن أقدم وأوضح .

ومع ذلك بقيت حقوق لابد من أدائها لأصحابها وهم كثر ، وبدونهم لم يكن ممكنا أن أتشرف بتقديم هذا الكتاب إلى الذين يشرفنى أن يقرأوه .

هناك بعيدا عن مصر ، فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى أوروبا ، هؤلاء الذين كرسوا شهورا طويلة من علمهم واهتمامهم وصلاتهم لكى يحصلوا على ما طلبت من وثائق أجنبية .

وإذا كنت أوجه لهم الشكر دون أن أسميهم أمام الناس ، فعزائى أنهم يعرفون أنفسهم كما أعرف من ناحيتى دورهم .

يجىء بعد ذلك واجب الشكر لعدد من الأصدقاء فى مكتبى .

هناك الأستاذة مايسة الجمل التى أعطتنى جهدها بغير حدود ، وبكفاءة منقطعة النظير ، وإخلاص أعتز به كمساعدة بحث رئيسية فى إعداد مواد هذا الكتاب ـ رغم ظروف شخصية صعبة صادفتها فى الفترة الحرجة من صياغته .

وهناك الأستاذة جيهان عطية التى قضت شهورا ممتدة تتابع معى مسار هذا الكتاب بابا بعد باب ، وفصلا يلى فصلا آخر ، وقامت بذلك بحماسة وعلم وفهم .

وهناك أيضا زميلى وصديقى ورفيقى القديم الوفى الأستاذ منير عساف الذى تولى إدخال مواد الكتاب إلى العقل الاليكترونى ، ثم تولى إخراجها فى شكلها النهائى بجلد وكفاءة .

وأخيرا وليس آخرا ، فإن دينى كبير لقسم المعلومات فى الأهرام ، ولرئيسه الأستاذ أبو السعود إبراهيم ، وقد كانوا دائما حاضرين وسباقين .

□

لدىّ بعد ذلك اعتراف بالجميل أتقدم به لصاحبه ، وهو الأستاذ جميل مطر خبير العلاقات الدولية المشهود له ، وقد تفضل بقراءة مخطوطة الكتاب كاملة مقتطعا بذلك كثيرا من وقت ثمين ، ومبديا ملاحظات قيمة .

□

ولقد أضاف « الأهرام » إلى أفضاله علىّ فضلا متجددا .

فرئيس مجلس إدارته ورئيس تحريره الأستاذ ابراهيم نافع هو الذى سبق إلى طلب هذا الكتاب وحقوق توزيعه فى العالم العربى من قبل ان أخط حرفا واحدا فيه .

كذلك فإن « مركز الأهرام للترجمة والنشر » هو الذى تولى ترجمة كل الوثائق الأجنبية التى تظهر فى الكتاب ، وقد حرصت ـ مرة ثانية ـ على أن يقوم بها مترجموه ضمانا لحياد الترجمة ، والتزامها الموضوعى ، وبعدها عن مظنة أى هوى يتحيز فى ترجمة الألفاظ إلى ما يناسبه ويروق له !

ولئن كان هذا المركز هو القائم بنشر هذا الكتاب وطبعه ، فلابد أن اشهد أن كل الذين شاركوا فى هذا العمل تصرفوا باعتبارهم أصحاب الكتاب من أول حرف إلى آخر حرف ، وتلك مدعاة للإعتزاز ، ولعلى أخص بالذكر السيدة نوال المحلاوى مديرة مركز الأهرام للترجمة والنشر ، والأستاذ كمال السيد نائب مدير المركز ، والسيدة عفاف عبد العزيز ، وكثيرين غيرهم لا أعرف كيف أفيهم حقهم .

كذلك أذكر بالخير الصديق الأستاذ ماهر الدهبى الذى أشرف على إخراج هذا الكتاب ، وأضاف إليه لمسات فن وخبرة من حسن الحظ أنها مازالت باقية فى صحافة مصر .

□

بقى العرفان للسيد الحقيقى والوحيد لأى كاتب ، وأعنى به قارئه ، وأمام عطفه ورعايته يعجز كل قلم ، وينعقد أى لسان .

محمد حسنين هيكل

الباب الأول

أهم بلد فى الدنيا

« كل حرب فى التاريخ بقية معلقة من حرب سبقتها ! »

[معاهدة فرساى للسلام التى انتهت بها الحرب العالمية الأولى كانت هى بذاتها خميرة وبذرة الحرب العالمية الثانية !

والنتائج التى انتهت إليها معركة السويس سنة ١٩٥٦ كانت هى بذاتها مقدمات الإعداد لمعركة سيناء سنة ١٩٦٧ !]

الفصل الأول

جسر على السويس

١

كان « نابليون بونابرت » هو صاحب المقولة الشهيرة « **إن مصر هى أهم بلد فى الدنيا** » .

ولقد صك « نابليون بونابرت » هذه العبارة ، وفى خواطره ذلك الصراع الإمبراطورى المتأجج دائما والدامى أحيانا ـ بين بريطانيا وفرنسا اللتين خلت لهما الساحة الاستعمارية بعد أن جرى حصر أو تحجيم قوى سبقت إلى البحار والقارات البعيدة ، ترفع عليها أعلامها ، مقدمة لإخضاع شعوبها ونزح ثرواتها .

لقد جرى حصر وتحجيم إمبراطوريات اسبانيا وهولندا والبرتغال ، واقتصرت ساحة الصراع ، بالتالى ، على بريطانيا وفرنسا وحدهما ، **وفى تلك اللحظة بدا مؤكدا أن مصر بالتحديد أصبحت بؤرة الصراع بين الإمبراطوريتين ، فهى الدرة الغالية فى تاج الخلافة العثمانية التى تكالبت عليها كل العوامل المؤدية حتما إلى سقوط الدول وأولها غفلة السلاطين عن أداء حقوق الرعية ، وما ينجم عن ذلك فى المقابل ، وبالضرورة من سقوط عهود الولاء .**

ووقع الشعب المصرى فريسة لجماعات من الجند والمماليك والمشايخ ، تجمعهم نزعة الاستغلال وتفرقهم قسمة غنائمه ـ فى الوقت الذى كان فيه السباق الإمبراطورى يحوم حول مصر من كل الاتجاهات ، والخطر يتربص بها فى البحار القريبة ينتظر اللحظة الملائمة لكى ينقض :

● **كانت الإمبراطورية البريطانية** تزحف من الهند إلى شطآن الخليج العربى قاصدة عدن ، وهى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، وهدفها النهائى اجتياز هذا البحر إلى الشمال حيث نقطة اقترابه من البحر الأبيض عند برزخ السويس .

● **وكانت الإمبراطورية الفرنسية** التى قدرت أن يتحول البحر الأبيض ليصبح بؤرة للصراع حاسمة مع عدوها العتيد قد نقلت اهتمامها بسرعة إليه ، فراحت تضغط على شواطىء شمال أفريقيا العربية الإسلامية ، وراحت تمد بصرها من المغرب إلى المشرق وتفكر وتخطط . ثم قرر « نابليون بونابرت » أن أقصر الطرق أسرعها ، فإذا هو يعبر البحر من طولون إلى مالطا ، ومن مالطا إلى « أبو قير » ـ إلى الإسكندرية والقاهرة مباشرة !

وفى إطار هذه الخريطة للصراع ـ **كانت مصر بالفعل هى « أهم بلد فى الدنيا » .**

وربما لم يكن « نابليون بونابرت » يتصور ـ حتى فى أكثر أحلامه جموحا ـ أن بلاده ـ بعد قرن ونصف القرن وبضع سنوات ـ سوف تتحالف مع عدوها القديم (بريطانيا) فى مغامرة مشتركة لغزو مصر سنة ١٩٥٦ ، وأن مصر فى إطار صراع عالمى من نوع آخر وفى زمان مختلف ـ سوف تؤكد من جديد أنها « أهم بلد فى الدنيا » وأن شعبها الذى رآه بنفسه منهكا من استغلال الجند والمماليك والمشايخ ـ سوف يقف وحده فى ميدان قتال أمام غزو الإمبراطوريتين الكبيرتين .

٢

وفيما بين معركة « أبو قير » البحرية قبل أن يبدأ القرن التاسع عشر ، وحتى معركة السويس بعد أن انتصف القرن العشرين ـ تغيرت خريطة القوة فى العالم ، وتبدلت الموازين ، واختلفت قوانين الحركة .

تدافعت أمواج عالية وعاتية فى البحار والمحيطات طوال مسافة الزمن بين بداية فجر القرن التاسع عشر ، وإلى ما بعد ظهر القرن العشرين :

. . . الحلف المقدس للملوك الذى هندس له « مترنيخ » مستشار النمسا و « كاسلرو » وزير خارجية بريطانيا ، سنة ١٨١٥ ، لكى يمسك بموازين أوروبا بعد هزيمة « نابليون » .

. . . ثم إعلان المانيفستو الشيوعى سنة ١٨٤٨ بتوقيع « ماركس » و « انجيلز » .

. . . ثم قيام الوحدة الألمانية بتخطيط « بسمارك » ـ وتحقيق الوحدة الإيطالية بتاج « عمانوئيل الأول » .

. . . ثم وصول القوة البريطانية إلى مداها فى عصر « فيكتوريا » .

. . . ثم انكسار فرنسا فى حرب السبعين ـ غفلة من « نابليون الثالث » .

. . . ثم خروج ألمانيا الموحدة ، وإيطاليا الموحدة كلتيهما إلى دور استعمارى راح يلح ـ وبتهديد القوة إذا لزم ـ على إعادة طرح التقسيم القائم للمستعمرات على نحو يكفل العدالة بين الغاصبين !

وحين أهلّ القرن العشرون كان تدافع المتغيرات فى العالم قد ازداد تعقيدا . فقد ظهرت مع بداياته إشارات وعلامات تومىء إلى أن هذا القرن قد يصبح قرن الرأسمالية الأمريكية .

واختلط القديم والجديد ، وامتزج خطر الأفكار الزاحفة مع خطر المدافع الرابضة ، وتصادمت الحقائق البازغة مع الأمر الواقع الذى بدأ يضطرب أمام مهابة مصر من الاكتشافات العلمية والجغرافية غيرت كل الآفاق والتضاريس الاجتماعية والاقتصادية ، ولم تعد الخرائط المعتمدة من قبل قادرة على تحمل الضغوط النازلة عليها ، وبدا أنها تتمزق ، ووقعت الحرب العالمية الأولى ، وانتهت بالسلام القلق والمتوتر الذى صاغته معاهدة « فرساى » !

وكانت دولة الخلافة الإسلامية فى استانبول قد ذابت وتلاشت . فى نفس الوقت الذى تحولت فيه الشيوعية من مانيفستو وقعه « ماركس » و « انجيلز » إلى دولة فى روسيا اقامها « لينين » و « ستالين » .

وادى سلام « فرساى » المتوتر والقلق إلى ظهور فاشستية « موسولينى » فى إيطاليا ، ونازية « هتلر » فى ألمانيا ، وعسكرية « توجو » فى اليابان ، وتهيأ المسرح لحرب عالمية ثانية عام ١٩٣٩ .

وحين انتهت هذه الحرب العالمية الثانية ، كانت مواقع القوة قد انتقلت من مكامنها السابقة إلى موقعين جديدين : واشنطن ، وموسكو .

وكانت تلك واحدة من أهم وأخطر عمليات الانتقال لمراكز القوة فى التاريخ ، ذلك أن عملية الانتقال الجديدة لم تكن فى إطار دول أو امبراطوريات وإنما أصبحت الدول والإمبراطوريات عقائد اجتماعية فى نفس الوقت - وفوق ذلك فإن أدوات القوة المتاحة للمركزين العالميين الجديدين فتحت أبواب عصر يختلف عن كل ما سبق أن عرفته البشرية طوال تاريخها من قبل ، وهو العصر النووى بكل محاذيره ومحظوراته !

□

كانت الأسلحة النووية تحديا فعليا لفكرة الحرب من أساسها ، فلقد توصل الإنسان إلى استخدام قوى الطبيعة نفسها فى تدمير الحياة ذاتها ، ومن ثم فهناك لأول مرة سيف لايمكن إخراجه من غمده سواء للتلويح باستخدامه ، أو بالاندفاع إلى استخدامه فعلا - لكن هذه الحقيقة لم تكن ظاهرة بما فيه الكفاية أمام الساسة الذين يملكون قرار الحرب والسلام بقدر ما كانت ظاهرة أمام العلماء الذين يعرفون أسرار هذه الحقيقة ووقائعها .

كان العلماء الألمان هم الأسبق إلى محاولة استكشاف إمكانية تفجير الذرة ، وتنبه « هتلر » إلى هذه الإمكانية ، ولعلها كانت سلاحه السرى المرجو لتحقيق النصر ضد الحلفاء الذين تصدوا لمطامعه ، وأولهم الولايات المتحدة الأمريكية (الرأسمالية) والاتحاد السوفيتى (الشيوعى) .

وسارع عالم ألمانى مهاجر إلى أمريكا وهو « البرت اينشتين » إلى تنبيه الرئيس الأمريكى « فرانكلين روزفلت » لاحتمالات هذا السلاح الجديد ، وبدوره سارع الرئيس الأمريكى إلى تكليف عالم من أصل ألمانى أيضا وهو « أوبنهايمر » بأن يشرف على مشروع لإنتاج قنبلة ذرية تسبق قنبلة « هتلر » .

وحين تم إنتاج القنبلة الذرية الأمريكية كانت إيطاليا قد خرجت من الحرب مستسلمة ، وكانت ألمانيا النازية قد انهارت قبل أن تتمكن من إتمام صنع قنبلتها ، ثم إن اليابان كانت على حافة اليأس بعد انهيار ألمانيا إلى درجة أرغمتها على التقدم بعروض مؤداها قبول الهزيمة ، والتوقف عن القتال .

وبدا كما لو أن السلاح الذرى الجديد لن تتاح له فرصة التجربة الحية - ومع ذلك فإن الرئيس الأمريكى الذى دخل البيت الأبيض بعد وفاة « روزفلت » - وهو « هارى ترومان » - أصدر أوامره بإلقاء قنبلة ذرية على « هيروشيما » يوم ٦ أغسطس ١٩٤٥ أعقبتها - بعد ثلاثة أيام - قنبلة ذرية ثانية على « نجازاكى » !

وتشير الوثائق السرية للحرب العالمية الثانية إلى أن القنابل الذرية التى انقضت على اليابان لم تكن موجهة إليها ، وإنما كانت موجهة إلى الاتحاد السوفيتى قبل اليابان !

إن هذه الوثائق تشير إلى حقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية (الرأسمالية) بدأت تدرك وهى بعد فى خضم الحرب ضد « هتلر » أن صراعها العالمى القادم بعد هزيمة ألمانيا - سوف يكون مع الاتحاد السوفيتى (الشيوعى) فكلاهما - إمبراطورية وعقيدة - سوف يصطدم بالآخر عما قريب فى سباق على أقدار عالم ما بعد الحرب ، والصدارة فيه - وربما السيطرة .

والواقع أنه لم تمض أيام قليلة بعد انتحار « هتلر » واستسلام ألمانيا بلا قيد ولا شرط - حتى كانت طوكيو تبعث رسلها إلى سويسرا يلتقون سرا بـ « آلان دالاس » الذى كان يدير من جنيف ما سمى وقتها بـ « مكتب الخدمات الخاصة » والذى تحول فيما بعد إلى إدارة المخابرات المركزية الأمريكية - وقد سلم هؤلاء الرسل ، ومن بينهم الوسيط الدولى الكونت « برنادوت » إلى « آلان دالاس » - طلب اليابان بقبول الهزيمة ، وطلب الاستسلام .

وكان الرئيس الأمريكى « هارى ترومان » فى حالة تشاور مستمر مع مساعديه ، **وانقسمت الآراء بينهم :**

□ **فريق يرى بقبول استسلام اليابان دبلوماسيا دون استعمال السلاح النووى ، وهذه خاتمة مشرفة للحرب . . . وإنسانية !**

□ **وفريق ثان يطالب بإلقاء القنبلة الذرية ليس فقط كخاتمة عنيفة للحرب اللا إنسانية التى انتهت - وإنما كافتتاحية تحذير فى الحرب الجديدة التى يحتمل أن تقع مع الخصم الإمبراطورى العقائدى المنافس !**

رأيهم أنها **أولا** فرصة عملية مازالت متاحة لتجربة السلاح الجديد .

ثم أنها ثانيا فرصة متاحة لإعلان التوصل إلى سلاح نهائى تتحقق لأصحابه هيمنة على مصائر الدنيا لايملك أن يتحداها أحد .

ثم هى ثالثا رسالة إلى الاتحاد السوفيتى بأن يلزم حدودا معينة لايتجاوزها فى السباق العالمى المنتظر .

وتلقت اليابان أول حصة فى درس الدمار الشامل ، ولم تكن هى المقصودة ، وإنما شاء حظها أن تلعب فيه دور رأس الذئب الطائر لكى يتعظ غيرها !

لكن صراعات التاريخ الكبرى ليست لها دائما نهايات حكيمة ، أو تتوهم أنها حكيمة ، وذلك ما وقعت فيه الولايات المتحدة فإذا هى تخلط بين الأمر الواقع الراهن ، وبين إمكانية استمراره التاريخى ـ وهكذا فإن الذى كان مقصودا بالدرس الأول فى عصر القوة النووية لم يتعظ ، وإنما سارع ليحصل لنفسه على قنبلة ذرية هو الآخر ـ وتمكن من الحصول عليها واللحاق بالخصم .

ولم يكن هذا التعادل كافيا فضلا عن أن حقائق القوة النووية لم تكن بعد قد أفصحت عن كل أسرارها ، وهكذا كان لابد من اختبارات قوة بين المتنافسين الجدد .

فى إطار هذه الاختبارات جرت سلسلة من المواجهات بين الإمبراطوريتين الجديدتين .

مواجهة أولى فى البلقان بالتحديد فى الحرب الأهلية فى اليونان بين الملكية والشيوعية .

ثم مواجهة ثانية على تخوم الشرق الأوسط فى الحرب الأهلية فى إيران بين الجمهورية الشيوعية التى أقامها « جعفر بيشفارى » فى أذربيجان تحت سطوة الحراب الروسية ، وبين شاه إيران « محمد رضا بهلوى » الذى احتمى بالحراب الأمريكية .

ثم مواجهة ثالثة فى الشرق الأقصى دارت على أرض كوريا بين الشيوعيين ، وبين التابعين للولايات المتحدة فى الجنوب .

ولم تصل هذه المواجهات الثلاث[1] إلى نتائج حاسمة ، ربما لأنها جرت على خطوط التماس المباشر بين القوتين الأعظم فى العالم الجديد بعد الحرب العالمية الثانية ـ وخطوط التماس بطبيعتها حساسة وقابلة للانفجار ، وبالفعل فإن آخرها وهو حرب كوريا كاد يلامس حدود الخطر حين ارتبك القائد الأمريكى فى كوريا وهو الجنرال « دوجلاس ماك آرثر » بحجم تدخل الجيش الصينى فى الحرب بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ، وتدفق جحافله عبر نهر « يالو » لتقلب موازين هذه الحرب . **وفى لحظة عصبية اقترح « ماك آرثر » استعمال القنبلة الذرية لوقف التدفق الصينى ، وبادر الرئيس الأمريكى « هارى ترومان » إلى عزل القائد الشهير ، وهو يقول لمن حوله : « إنه ليس أحمق فقط ، ولكنه مجنون أيضا » !**

ومع ذلك ، فقد كانت طبائع الصراع وحركته تقتضى البحث عن ميدان آخر

(١) كان لى الحظ ان احضر هذه المواجهات الثلاث بنفسى ومباشرة كمراسل صحفى : فى اليونان سنه ١٩٤٧ ـ وفى إيران سنة ١٩٥٠ ـ وفى كوريا سنة ١٩٥١ .

لاختبار القوى ولممارسة السباق ـ وكان مثل هذا الميدان قد طرح نفسه فعلا بعد انتهاء معارك الحرب ـ **وكان هذا الميدان هو حركة التحرر الوطنى ، وثورة شعوب المستعمرات على الاستعمار القديم .**

كانت حركة التحرر الوطنى قد تحولت إلى تيار عارم يكتسح المنطقة الواقعة على المسافة الطويلة الممتدة من « جاكارتا » فى « إندونيسيا » إلى « الدار البيضاء » فى المغرب العربى .

وعلى طول هذا الخط الممتد من شواطىء المحيط الهادى ـ اقصى شرق اسيا ـ إلى شواطىء الأطلنطى ـ أقصى غرب افريقيا ـ كانت منطقة الشرق الاوسط هى أكثر المواقع حيوية وسخونة ، وأهمية بحكم ظروفها الحضارية والتاريخية ـ وزاد من خطورة ذلك كله أن هذه المنطقة كانت فى نفس الوقت مركز كل عقد المواصلات البرية والبحرية والجوية ـ ثم تضاعفت قيمة الجائزة الحضارية التاريخية الجغرافية ـ من حقيقة أن هذه المنطقة كانت فى نفس اللحظة موطن ثروة هائلة من النفط ، فقد تأكد أنها تحتوى فى باطنها على أكثر من ستين فى المائة من الاحتياطيات المؤكدة لأهم مصدر من مصادر الطاقة

وإذن فهناك كنز يستحق الصراع عليه ـ يؤكد أحد الأطراف (الولايات المتحدة وحلفاؤها من الاستعماريين القدامى) سيطرتهم عليه ـ أو تنتقل السيطرة إلى الطرف الآخر فيحصل على الكنز لنفسه ـ فإذا لم يستطع ، فعلى الأقل يحرم خصمه من الحصول عليه .

وكان العالم العربى هو عماد الشرق الأوسط ، وكانت مصر بالتحديد هى القلب فى وسطه بأحكام الجغرافيا والتاريخ ، وراح النسر الأمريكى يحوم حول آفاقها من البحر والجو ، وراح الدب الروسى يمد البصر إليها عبر السهول والصحارى .

ومرة أخرى بدا أن مصر فى الخمسينات من القرن العشرين تعود لكى تؤكد وضعها كـ « أهم بلد فى الدنيا » حسب تعبير « نابليون » ـ الشهير !



الأمير فيصل يرحب بعبد الرحمن عزّام ، السياسى المصرى البارز الذى عمل أمينا عاما للجامعة العربية ، ثم عينه الملك سعود مستشارا خاصا له ، وأوفده ممثلا شخصيا له إلى واشنطن لمعالجة قضية العقبة .

٣

ما بين السباق الإمبراطورى الأول بين بريطانيا وفرنسا عند مداخل القرن التاسع عشر فى اتجاه برزخ السويس ، وما بين سباق القوتين العالميتين الأعظم مع منتصف القرن العشرين ، واتجاه هذا السباق إلى صراع محتوم على أرض الشرق الأوسط وفى قلبه مصر ـ لم يكن « أهم بلد فى الدنيا » مجرد ساحة مفتوحة لسباق الإمبراطوريات وصراع القوى ، وإنما بدا أن هذا « البلد » يختلج ويتنبه ويهم بحركة تجعل منه دورا وليس مجرد أداة . ففى خضم السباق الإمبراطورى الاول ، وفى أوج تفاعلاته ـ قام « محمد على » بمحاولة جادة لبناء دولة عصرية فى مصر ، لكن حجم الصراع الإمبراطورى كان أقوى من المحاولة ، فإذا بشراسة الإمبراطورية تفترس محاولةالدولة العصرية فى مصر ، واستسلم « محمد على » فى معاهدة سنة ١٨٤٠ ، وتنازل عن الحلم القومى الكبير فى مقابل ولاية له ولاسرته داخل حدود مصر تضمنت شروطها ضمن ما تضمنته مطلب فتح أبواب مصر على مصراعيها للتجارةالدولية ، وكانت تلك مقدمة لها ما بعدها وقد تكفل به خلفاء « محمد على » ، حتى جاء « توفيق » فإذا هو لا يفتح الباب للسيطرة الاقتصادية والمالية فحسب ، وإنما يفتحه أيضا للاحتلال العسكرى البريطانى يقوده الجنرال « ولسلى » ، وكان الشعب المصرى لايزال أصلب عودا من امرائه ، وتولى بنفسه مهمة مقاومة الإمبراطورية ، ودخل ضدها موقعة بعد موقعة ، وقاسى وتحمل بدون أن ييأس ويستسلم . تفلت منه فرصة فإذا هو يصنع لنفسه فرصة بعدها ، وتضيع منه موقعة فإذا هو ينضغط ليستجمع قواه لموقعة اخرى قادمة .

□

إن الأسباب التى تجعل من ثورة سنة ١٩٥٢ موقعة من نوع مختلف وفريد فى التجربة المصرية لم تكن ترجع إلى شخصية رجل تاريخى شاءت له الظروف أن يتحمل مسؤولية تجسيدها ، وإنما كانت ترجع بالدرجة الأولى إلى حجم ما استجمعه الشعب المصرى من قواه ، وما اختزنه فى فترة اختمارها .

ولقد بدأت فترة الاختمار هذه فى الحقيقة بعد أن قبلت قيادات ثورة سنة ١٩١٩ أن توقع معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ولم تكن تلك المعاهدة ـ بما فيها أبدية التحالف

العسكرى مع بريطانيا - فى مستوى توقعات الشعب المصرى ، او حتى تضحياته ، ومن ثم فقد كان واضحا أن القبول بالمعاهدة فى واقع أمره عملية انضغاط لاستجماع القوة والعودة إلى الميدان من جديد .

وفى هذا الظرف اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ، وطالت فترة الانضغاط ، لكن هذه الفترة لم تكن مجرد حساب سنوات لأن عمق التجربة الوطنية جعل حسابها بالعرض ، وليس بالطول وحده . كانت سنوات الحرب فترة من التاريخ غنية وزاخرة عاشتها مصر مسرحا أماميا من مسارح ذلك الصدام الإنسانى الهائل الذى تطاحنت فيه أفكار ومذاهب ومصالح وجيوش ، ونشأت من ذلك كله طاقات أخذ منها الشعب المصرى نصيبيا هائلا من الإدراك والعمق والتصميم .

إن هذه الحرب العالمية ، وبحكم حقائق كبرى بينها استراتيجية الحرب نفسها - ربطت مصر بالعالم ربطا نهائيا ، فإذا هى تصبح جزءا عضويا منه .

كذلك حدث شىء آخر ، وهو أن ظروف هذه الحرب وآثارها ابرزت واقع انتماء مصر العربى واكدته ، وهكذا فإن إعلان وتوقيع ميثاق إنشاء الجامعة العربية تم قبل أن تنتهى الحرب العالمية ، ثم إن هذا الانتماء العربى ترسخ أكثر وأكثر حين أضيفت إلى روابط التاريخ والجغرافيا واللغة والثقافة - تجربة عمل عربى مشترك بالنار والدم فى فلسطين بصرف النظر عن النتائج العسكرية ، أو السياسية لهذا العمل المشترك .

يضاف إلى ذلك ان ملابسات جو الحرب العالمية - وسوقها السوداء - زادت من تعميق التناقضات الاجتماعية فى مصر ، وانتهت والحقيقة الاجتماعية فى مصر تقول إن نصفا فى المائة من سكانها يحصلون على خمسين فى المائة من دخلها القومى .

ومن أثر تلك الاعتبارات مجتمعة أن « الحالة الثورية » التى أحاطت بمصر بعد الحرب الغالمية كانت تحتوى على شحنة من المخزونات هائلة امتزج فيها العالم وصراعاته السياسية والفكرية - والإحساس بالانتماء إلى كيان أوسع من حدود الدولة - والوعى بحقائق اقتصادية واجتماعية لها تفاعلاتها - إلى جانب اليقين المستقر بالحاجة إلى موقعة أخرى تكسر قيود معاهدة سنة ١٩٣٦ وتستكمل مطالب التحرر الوطنى .

□

إن حساب قوة هذه المخزونات التاريخية ، والسياسية ، والاجتماعية - قبل اى دور فردى - هو الذى يفسر شدة الاندفاع المصرى الذى انفجر بثورة

١٩٥٢ ، والواقع انه فى مدى يقاس بالشهور بعد وقوع الثورة كانت مصر تشهد تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية كبرى مضت تلاحق بعضها بسرعة تكاد تخطف الأبصار .

وكانت الأمة العربية كلها تراقب ما يجرى على ضفاف النيل مندهشة فى بداية الأمر ، ثم مأخوذة به ومعجبة ، ولاحت ظاهرة كانت لها فيما بعد تداعيات هائلة . بدا أن الفكرة العربية كانت فى المنطقة روحا هائمة تبحث عن جسد ، فلما جرى ما جرى فى مصر بدا وكأن الروح العربية الباحثة عن جسد وجدت فى مصر أملها المنشود . ثم تجلى نوع من التوحد بالمعنى العاطفى والنفسى بين مصر وأمتها العربية . كأن هذا التوحد يفتقر إلى القواعد الأساسية للوحدة - اقتصادية وسياسية وعسكرية - لكن أحدا لم يلتفت إلى القواعد ، فقد كان ما يبدو للعيون كافيا فى تلك الحالة من الفوران التى اجتاحت ارض الأمة كلها .

وتسارع إيقاع الحوادث .

● **فى الوقت الذى كان فيه الاسد البريطانى يتراجع تحت ضغط الثورة المصرية - إذا بالنسر الأمريكى الذى كان يحوم حول آفاق المنطقة قد نزل على مصر ، وحش يحاول أن يخطف الفريسة من وحش آخر ، إمبراطورية جديدة تطمع فى إرث إمبراطورية قديمة ، واستغلت مصر هذا التناقض بين الجديد والقديم فى محاولتها لخلع مواقع السيطرة التى جثمت على صدرها سبعين سنة !**

● لم تكن مصر غافلة عن المطلب الأمريكى الذى ما لبث أن راح يلح عليها فى نقطتين :

□ **الانخراط فى معسكره الدولى المعادى للاتحاد السوفيتى ، تحت اسم الدفاع عن الشرق الأوسط** ، وكان الادعاء الأمريكى أن الخروج البريطانى من المنطقة سوف يخلق فيها فراغا ينفذ منه ، أو ينجذب إليه الاتحاد السوفيتى ، وعندما وجدت الولايات المتحدة أن فكرة الفراغ فى الشرق الأوسط ليست مقنعة بما فيه الكفاية لشعوب كافحت طويلا من أجل استقلالها غيرت الاسم ولم تغير المسمى ، اصبح المطلوب حلفا عسكريا خاضعا للولايات المتحدة ، لكن اسمه يمكن أن يصبح « الحلف الإسلامى » تحت ادعاء أن الدين الإسلامى يعادى الشيوعية ، ولم تيأس الولايات المتحدة الأمريكية حين ووجهت بمنطق أن الدين الإسلامى هو بالدرجة الأولى دعوة إلى الحرية ترفض التبعية مهما كان الطاغوت المستكبر !

□ **أما النقطة الثانية فى المطلب الأمريكى فقد كانت عقد صلح مع إسرائيل**

تبدأ به مصر ، ثم تقدمه إلى بقية الامة بالغواية ، أو بالضغط بدعوى أن الشرق الأوسط يجب أن يكون فى سلام مع نفسه قبل أن يتفرغ لاحتمالات الحرب ضد الاتحاد السوفيتى ، ولم تكن الثورة المصرية على استعداد لقبول هذا المنطق عن اقتناع بأن العدل هو المقدمة الطبيعية للسلام فى الشرق الأوسط ، وأن الصلح مع الخطر القابع فى قلب أرض الأمة ، والذى استولى بالفعل على جزء منها فى فلسطين ، والذى يتواصل تهديده باستمرار لبقية أرضها ـ هو ضرب من المستحيلات ، فالخطر الماثل أولى بالمواجهة من الخطر البعيد . أى أن الشر الواقع ، له الأسبقية فى المواجهة على الشر المحتمل ، وكل شىء غير ذلك خلط للأولويات وتبديد للجهود يستحيل قبوله .

● وراحت إسرائيل تبذل جهودها لإنجاح مخطط السيطرة الجديد الذى وجدته متوافقا مع تصورات أمنها .

ولجأت إسرائيل إلى أكثر من سبيل :

□ **كانت هناك محاولاتها للاتصال بالقيادة الثورية الجديدة تعرض صلحا معها ـ ووجدت الباب موصدا .**

□ **ثم كانت هناك محاولاتها لعرقلة الجلاء البريطانى عن مصر قبل التوصل إلى صلح ـ وتمكنت مصر من إحباط هذه المحاولة .**

□ **وأخيرا جاء الدور على الابتزاز باستخدام القوة المسلحة ، وتكررت الغارات الإسرائيلية على خطوط الهدنة سواء فى غزة ، أو على الحدود المصرية ، وأطلقت مصر قوات من الفدائيين شقوا طريقهم إلى العمق الإسرائيلى ، وردوا على الرصاص بالرصاص .**

وهرعت إسرائيل إلى الإمبراطوريتين القديمتين بريطانيا وفرنسا تطلب منهما السلاح الرادع للحركة القومية العربية التى أصبحت القاهرة معقلها المؤثر فى المشرق والمغرب من العراق إلى المغرب حيث البقايا الباقية من النفوذ البريطانى والفرنسى .

واستجابت بريطانيا بحدود ـ من رواسب ثقة كانت مازالت لديها ، وأما فرنسا فقد كانت استجابتها بغير حدود لأن اليأس من موقفها خصوصا فى الجزائر دفعها على طريق الشوك إلى نهايته !

وبدأ السلاح يتدفق على إسرائيل .

● **وردت مصر ، وكان لابد ان ترد ، فقررت أن تحصل على السلاح من حيث تستطيع الحصول عليه ، وهكذا تمت صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتى ،**

واعلنت فى شهر سبتمبر ١٩٥٥ ، وبهذه الخطوة اقتربت منطقة الشرق الأوسط من حافة الخطر .

والحقيقة أنه بعد إعلان الصفقة بأيام ـ وبالتحديد فى شهر إكتوبر ١٩٥٥ ـ أصدر رئيس وزراء إسرائيل وقتها « دافيد بن جوريون » توجيها إلى رئيس اركان حرب الجيش الإسرائيلى « **بأن يكون جاهزا لمعركة مع مصر تشن فى أقل من سنة وقبل أن تتمكن مصر من استيعاب ما لديها من سلاح جديد** » .(٢)

ولم يكن « بن جوريون » وحده فى هذا التصور لحتمية معركة عسكرية مع مصر قبل أن ينقضى عام واحد ، وإنما شاركته فى التصور أطراف أخرى : فرنسا اليائسة اولا ، ثم بريطانيا المترددة ثانيا .

وأما الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد كانت جعبتها لا تزال ملأى بوسائل اخرى .

□

وأهلت سنة ١٩٥٦ والولايات المتحدة تجرب وسائلها واحدة بعد الأخرى ، وبالتفكير الأمريكى ، فقد كان منطق الصفقات هو أول ما عرض نفسه على سياسة الولايات المتحدة ، وكان أساس هذه الصفقات هو مشروع السد العالى الذى تحوّل بالفعل الى رمز للمستقبل فى مصر .

□ **كانت الصفقة الأولى تقديم عرض بمساعدة مصر فى بناء السد العالى ،** وبمنطق أن تكاليف بناء السد العالى تفرض على مصر تخصيص مواردها له ـ فإذا كان ذلك تحتم عليها أن توقف صفقات شراء السلاح من الاتحاد السوفيتى ، وإذن فالصفقة هى وقف السلاح ـ فى مقابل البدء فى بناء السد العالى .

□ **والصفقة الثانية ـ ومنطقها متصل بالصفقة الأولى ـ هى شروط أكثر سخاء فى بناء السد العالى فى مقابل الصلح مع إسرائيل** ، بمفهوم أن من يقصدون إلى البناء يتحتم عليهم نبذ الحرب . ووصلت الولايات المتحدة فى هذه الصفقة إلى حد أنها قدمت مشروعا مكتوبا « لعقد » صفقاتها حمله مبعوث خاص من الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » وكان هذا المبعوث هو مستر « روبرت آندرسون » وزير الخزانة الأمريكى .

---

(٢) مذكرات موشى ديان عن معركة سيناء .

كلتا الصفقتين رفضت فى القاهرة .[٣]

وتحوّل منطق الصفقات إلى منطق المؤامرات ، وكان تقدير الرئيس « دوايت ايزنهاور » للمواجهة يبدأ من التسليم بأن الحرب المسلحة ضد مصر تنطوى على مخاطر معنوية وسياسية وعسكرية لا يصح قبولها إلا كملجأ أخير .

والمواجهة السليمة تقتضى وسائل أخرى لتحقيق أهداف الحرب دون إشعال نيرانها .

كان تقدير الرئيس الأمريكى أن يكون هناك تصاعد يزداد خطوة بعد خطوة حتى يتم القضاء على الدور المصرى المتعاظم وقتها .

■ **الخطوة الأولى هى عزل مصر** ، فالواضح أن القاهرة فى قيادتها للحركة القومية التى ارتفع مدها فى العالم العربى ـ تعتمد على عاصمتين عربيتين غيرها : دمشق والرياض ـ دمشق لها وهجها المعنوى ، والرياض عندها بريق الذهب .

وهكذا فإن عزل مصر يتأتى عن طريق الاستيلاء على دمشق بالانقلاب ، وإبعاد الرياض بالتخويف من خطر القومية العربية المتعاونة مع « الشيوعية الدولية » ! !

■ **الخطوة الثانية هى عقاب مصر** ، فعندما يتم الاستيلاء على دمشق بالانقلاب ، وعندما يتم إبعاد الرياض بالتخويف ـ فإن مصر سوف تصاب بالشلل من وطأة الحصار ، وحينئذ يجرى سحب عرض المساهمة فى مشروع السد العالى ، وهكذا فإن القاهرة لاتفقد أصدقاءها فقط ، وإنما تفقد أملها أيضا .

■ **الخطوة الثالثة هى القتل موجها إلى « جمال عبد الناصر » بالذات باعتباره « موقظ الفتنة » و « محرك التمرد » !**

□

يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ أعلن وزير الخارجية الأمريكى « جون فوستر دالاس » سحب العرض الأمريكى بالمساعدة فى بناء السد العالى .

---

(٣) رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس عن مهمة أندرسون فى مصر فى اوائل سنة ١٩٥٦ وما حمله معه من وثائق كان مفروضا على جمال عبد الناصر ان يوقعها : الجزء الرابع ـ الفصل الثالث ـ الصفحات من ٣٨٧ الى ٣٩٣ .

ويوم ٢٦ يوليو رد « جمال عبد الناصر » بإعلان تأميم شركة قناة السويس مع توجيه حصيلة إيرادها لبناء السد العالى .

وجن جنون بريطانيا وفرنسا ، وانضمت إليهما إسرائيل ، ووقع الثلاثة معا اتفاقية « سيفر » التى جمعت الثلاثة معا فى عملية مشتركة لغزو مصر .

تهجم إسرائيل من سيناء يوم ٢٩ أكتوبر .

وتلحقها بريطانيا وفرنسا بالهجوم على منطقة القناة عند بورسعيد يوم ٣١ اكتوبر .

ويتم حصار الجيش المصرى بين فكى كماشة ، ولا يعود أمام القاهرة غير أن نطوى أعلام الثورة العربية ، وترفع الأعلام البيضاء قبولا بالاستسلام !

وكانت المفاجأة ان اعلام الثورة بقيت على سارياتها ولم تترك مكانها لأعلام بيضاء ، وعاش الشعب المصرى أروع أيامه وتحركت وراءه امة عربية بأسرها ، وتحرك رأى عام عالمى واسع على امتداد القارات ، واهتزت موازين دولية بل وكادت تنقلب رأسا على عقب .

وقفت الولايات المتحدة ضد العدوان الثلاثى فى الأمم المتحدة ، فقد وجدتها فرصة سانحة لتصفية الامبراطوريات القديمة العاجزة عن حماية نفوذها ـ ومن ناحية اخرى كان على الولايات المتحدة أن تساير اندفاع شعوب العالم العربى إلى تأييد مصر ، وتعاطف الرأى العام العالمى مع شعبها الذى وقف وحده يقاتل فى معركة متعددة الجبهات ، سياسية واقتصادية ونفسية وعسكرية .

وفى مساء يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ وجه الاتحاد السوفيتى إنذاره الشهير ضد أطراف العدوان ، وأضيف تأثير هذا الإنذار إلى بقية العوامل الحاسمة فى مسار معركة السويس .

وحين اضطر أطراف العدوان الثلاثة إلى التسليم بفشل الغزو ، والتوقف عن القتال ، والقبول بهزيمة هدفهم ـ كان العالم كله قد عبر جسرا على السويس ، ودخل إلى ارض مختلفة .

□ خرج الشعب المصرى من المعركة وقد ازدادت ثقته بنفسه ، واشتد يقينه بأن احلامه ليست بعيدة عن متناول عزيمته ، وثبت لديه ان الشجاعة فى قبول تحدى الموت تستطيع أن تكون هى نفسها الشجاعة المطلوبة لقبول تحدى الحياة .

□ أضافت التجربة كثيرا إلى عمق عملية التوحد بين مصر وامتها العربية ، فقد رأت الأمة كلها رأى العين ما يستطيع عملها الموحد أن يحققه ، فعندما تم نسف خط انابيب البترول عبر سوريا ، وتوقف تدفق النفط إلى البحر الأبيض من موانىء سوريا ولبنان بعد أن توقف هذا التدفق قبل أيام من قناة السويس بعد إغلاقها ـ انهار الجنيه الاسترلينى ـ وبانهيار اقتصاد الإمبراطورية بعد عجز قوتها المسلحة تم حسم المعركة .

□ أدى الانتصار العربى فى مصر إلى روح جديدة اجتاحت افريقيا وأمريكا اللاتينية إلى جانب آسيا ، ولم يكن « هارولد ماكميلان » ـ رئيس وزراء بريطانيا الذى خلف « أنتونى ايدن » الذى اضطر إلى الاستقالة ـ مبالغا حين قال : « لقد هبت رياح التغيير » ـ وبالفعل فإن رياح التغيير بدأت هبوبها ، فاستقلت غانا وغينيا ومالى ، وكانت غيرها من دول أفريقيا على طريق الاستقلال ـ حدث هذا وكانت الثورة فى كوبا قد تشجعت ، فنزلت من جبال « سييرا مايسترا » لكى تدخل منتصرة إلى العاصمة « هافانا » .

□ نزل الستار رسميا ونهائيا على العصر الإمبراطورى التقليدى ، وصدقت تماما مقولة السياسى الأمريكى الشهير « دين أتشيسون » : « إن بريطانيا أضاعت إمبراطورية ولم تعثر على دور » . وفى نفس الوقت قال الكاتب البريطانى الكبير « مالكولم ماجريدج » : « إن ايدن ليلة السويس بدا كانه رجل محترم ضبطه بوليس الآداب عاريا فى بيت مشبوه مع غانية لعوب . . . كان يستطيع أن يغامر فى الليل ولكن ليس مع فرنسا » !

كان مشهد الإمبراطوريتين غداة السويس محزنا ، ومهينا !

□ أثبت الرأى العالمى فاعليته ممثلة بالأمم المتحدة ، إذا كان هناك شعب يملك قضية عادلة ، ويملك ـ وهذا هو الأهم ـ إرادة القتال فى سبيلها ويرضى بتحدى الموت حتى يتأكد احترام الحياة ، والواقع أنه لسنوات بعد السويس استطاعت الأمم المتحدة أن تتحوّل من مجرد مسرح للحرب الباردة ، ومجرد ساحة للخطابة تنفس كرب أصحابها ـ **إلى قوة حفاظ على** السلام الدولى لها مسؤولياتها ، ولديها ما يكفى **من الاحترام والمهابة** للوفاء بهذه المسؤوليات .

□ دخلت الولايات المتحدة إلى الشرق الأوسط من الباب الكبير ، ذلك أنها أيام الحرب العالمية الثانية ، وحتى أيام معركة السويس كانت تحاول الدخول من الأبواب الجانبية ، أو من النوافذ أحيانا ، فهى لم تكن راغبة فى أن تقتحم على حلفائها مناطق نفوذهم جهارا نهارا ـ وفى نفس الوقت فإنها لم تكن قادرة على ترك هذه المنطقة الحيوية فى أيد ترتعش بالشيخوخة أو الضعف .

وعندما هزم هؤلاء الحلفاء فى السويس ـ وجدت الولايات المتحدة نفسها معفاة من أى حرج ، بل إن هؤلاء الحلفاء الذين كانوا يضيقون ذرعا بجهودها من وراء ظهورهم راحوا هم أنفسهم يتوسلون إليها أن تدخل إلى الشرق الأوسط ، وأن تأخذ أموره فى أيديها حتى لاتنهزم مصالح الغرب فى المنطقة كلها بعد أن انهزم بعض أطرافه فى السويس .

□

كان الإنذار السوفيتى واحدا من أهم العناصر التى ظهرت فى السويس .

وربما يختلف كثيرون فى تأثيره المباشر على تطورات المعركة ، وما إذا كان هو العامل الفاعل فى توقف القتال فى الدقيقة التى توقف فيها ـ أو أن المعركة كانت منتهية من قبله ، وبالتالى فإن دوره لم يزد على تأكيد حقيقة أمر واقع تقرر سلفا من قبله .

إن هذه النقطة شغلت كثيرين من الباحثين ، بل وشغلت كثيرين من الذين كانوا شركاء فى إدارة معركة السويس ، وكان بينهم وزير الدفاع الفرنسى الذى قال لـ « شيمون بيريز » مدير وزارة الدفاع فى إسرائيل وقتها :

ـ « **إن الروس يقومون بعملية تهويش** » . « ايزنهاور » قال لـ « ألفان » سفيرنا فى واشنطن الذى قابله أمس إن « الإنذار الروسى جد ويجب أن تأخذوه كذلك » ـ **لكنى أعتقد أن « ايزنهاور » يبالغ ، فلا يمكن للولايات المتحدة أن تقبل ضرب باريس ولندن بالصواريخ النووية ـ ذلك معناه حرب عالمية ثالثة .** »

وسكت وزير الدفاع الفرنسى قليلا ثم استدرك قائلا :

ـ « **لكنى مع ذلك لا أستطيع أن أضمن شيئا** » ![٤]

وبالتأكيد فإن هذا الذى قاله الوزير الفرنسى كان ينطوى على منطق له دواعيه

(٤) مذكرات شيمون بيريز (رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس صفحة ٥٥٨ و ٥٥٩) .

من حقائق القوة وصراعاتها ـ ومع ذلك فإن عنصر الشك الذى عبر عنه فى استدراكه للحديث مع « شيمون بيريز » كان كافيا لإحداث أثره .

□

ولقد يستمر الجدل حول هذه النقطة العملية ، ولكن الذى لايختلف عليه احد هو الأثر الاستراتيجى للإنذار السوفيتى سواء كان هدفه عمليا ، او كان هدفه نفسيا . وسواء كان مجرد تهويش وهذا ظن ، أو موقف حزم وهذا بدوره ظن آخر .

إن الأثر الاستراتيجى تحقق فى الحالتين ، فقد كانت أول مرة يجرى فيها ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ تهديد بسلاح نووى فى إطار ازمة عالمية مفعمة بالتوتر .

إن هذا الأثر الاستراتيجى كان هو الذى أدى مباشرة إلى ظاهرة تعدد مراكز القوة النووية ـ ذلك أنه إذا ساور الحلفاء فى أى معسكر ظل من الشك فى أن القوة الرئيسية فى تحالفهم ـ الولايات المتحدة فى الغرب والاتحاد السوفيتى فى الشرق ـ لاتستطيع تحمل الخطر النووى دفاعا عن الآخرين ـ إذن فإن الآخرين يتحتم عليهم ان يكون لهم رادع نووى مستقل .

كان هذا هو المنطق الذى استند إليه « ديجول » فيما بعد لبناء قوة نووية فرنسية مستقلة ـ « قوة الضرب » كما كان يسميها ـ وكان منطقه أن أى رئيس أمريكى لن يقبل بتعريض « نيويورك » أو « واشنطن » للإبادة النووية دفاعا عن « باريس » أو « مارسيليا » . إنه يستعمل الرادع النووى إذا كان الخطر موجها إلى « نيويورك » و « واشنطن » فقط ، وليس إذا كان الخطر موجها إلى « باريس » أو « مارسيليا » . فى الحرب النووية لايقاتل طرف من أجل طرف آخر ، فحين يكون احتمال الإبادة واردا لا يستطيع تحمل المخاطرة غير المعرضين لها مباشرة وليس هناك أى ضمان آخر .

واتجهت فرنسا إلى صنع قوتها النووية المستقلة ، وفى سبيل ذلك تخلت عن الجانب العسكرى من حلف الأطلنطى وطلبت إلى قيادته أن تخرج من باريس .

نفس الشىء حدث فى الصين إزاء الاتحاد السوفيتى .

وكان معنى ذلك أن المعسكرين انقسما من الداخل ، وتعددت المراكز فيهما ـ بل وظهرت أسباب للتناقض داخل إطار كل معسكر .

وعندما اتجهت فرنسا إلى رادع نووى مستقل وجدت **ألمانيا الغربية** ـ وهى قلب

مشكلة الأمن الأوروبى ـ أنها لا تستطيع الوقوف ساكتة ، وإنما عليها أن تتحرك ـ فإذا حدثت مواجهة فى قلب القارة ، فإن أرض الأمة الألمانية ـ غربا أو شرقا ـ سوف تكون ميدانها .

وهكذا بدأت ألمانيا سياسة التوجه نحو الشرق .

وبالتوازى مع ذلك ، فإنه حين أصبحت الصين قوة نووية ـ أحست الهند أنها لا تستطيع ـ وبصرف النظر عن كل تعاليم « غاندى » ـ أن تحرم نفسها من السلاح النووى إذا كان فى مقدورها الوصول إليه ، وكان « نهرو » تلميذ « غاندى » هو الذى استدعى الأستاذ « بهابها » أستاذ الطاقة النووية فى الهند ليقول له : « **إننى سوف اصلى لروح « غاندى » واطلب منها المغفرة ، لكن الهند يجب أن يكون لها خيارها النووى** » .

اهم من ذلك كله بالنسبة للمنطقة ذاتها أن إسرائيل بدأت تفكر نوويا .

بدت لها مخاطر الحرب فى المستقبل كبيرة ، وأن تدور هذه الحرب بالأسلحة التقليدية ضد الحصار العربى المستحكم حولها ، فهذا احتمال مكلف إنسانيا ، وبدرجة لا تستطيع مواردها البشرية احتماله ـ فضلا عن التكاليف المتصاعدة للأسلحة التقليدية ـ فى حين أن توفير رادع نووى مرة واحدة يحل الإشكال بطريقة اقتصادية أسلم وأسرع .

وكان « دافيد بن جوريون » ـ خلال الاتصالات السابقة على اجتماع « سيفر » الذى تم فيه إعداد وتوقيع مؤامرة العدوان الثلاثى ـ قد استغل رغبة فرنسا الحارقة إلى دور إسرائيل فى فخ سيناء ـ **فإذا هو يطلب « مفاعلا ذريا صغيرا » لإسرائيل** .

وبعد أن توقف إطلاق النار على جبهة القناة ، وذهب « شيمون بيريز » إلى لقاء مع « جى موليه » رئيس وزراء فرنسا الذى وجد عليه واجب طمأنة إسرائيل بعد أن خاب فخ السويس ـ إذا بـ « شيمون بيريز » يثير موضوع « المفاعل الذرى الصغير » الذى طلبه « بن جوريون » فى « سيفر » ـ قائلا له :

ـ « حسنا ياسيدى رئيس الوزراء ، إن إسرائيل تريد مفاعلها الصغير » .(*)

(“ Et bien Monsieur le Premier Ministre, Israel veut son petit reacteur”)

(*) رواية « كريستيان بينو » وزير خارجية فرنسا الذى حضر المقابلة . كما ان تقريرا للسير « باتريك دين » الذى كان ممثلا لبريطانيا فى لجنة التنسيق السياسى بين دول العدوان الثلاثى ، اكدها فى تقرير معلومات قدمه لوزير الخارجية البريطانى .

وهز « جى موليه » رأسه موافقا .

□

إن التداعيات بعيدة الأمد للسويس لم تتوقف عند حد الانتشار النووى بتعدد المراكز ، وإنما تجاوزت هذا المنظور الأفقى إلى منظور آخر رأسى نشأت عنه آثار بعيدة فى عمق « الحالة العالمية » التى سادت من وقتها .

وإذا كان من السهل رصد ما جرى على المنظور الأفقى من انتشار وتعدد المراكز النووية من واشنطن وموسكو ولندن وباريس وبكين ودلهى وتل أبيب إلى آخره – فإن المنظور الرأسى ، بالعمق ، قضية أشد تعقيدا .

والحقيقة أنه بعد الإنذار السوفيتى ، فإن العالم ليلة ٦ نوفمبر ١٩٥٦ وجد نفسه واقفا على حافة الهاوية النووية ، ومهما قيل فى أنه كانت هناك شكوك فى إمكانية الانتقال بالإنذار السوفيتى من مرحلة التلويح إلى مرحلة التصريح ، ومن ثم إلى مرحلة التنفيذ ، فإن البشرية كلها لم تكن مستعدة لاختبار النوايا إلى النهاية .

كان التلويح كافيا فتوقف الجميع ، ثم استداروا راجعين بخطاهم بعيدا عن الحافة المظلمة .

إن البشرية أيقنت ساعتها أنها لا تستطيع فقط مواجهة اليقين النووى ، وإنما هى أيضا لا تستطيع مواجهة الشك النووى ، وكان هذا معنى يؤدى بدوره إلى معان .

أولها أن الحرب العالمية أصبحت مستحيلة بين الكبار ، فإذا كانوا هم من أطرافها – إذن فإنها بالقطع سوف تكون نووية ، حتى وإن لم تبدأ كذلك ، فالحرب بين الكبار ، وإن بدأت بالأسلحة التقليدية مكتوب عليها فى مرحلة من المراحل أن تنقلب نووية ، لأن أحدا من الطرفين لن يقبل الهزيمة أمام الآخر ، وفى يديه إمكانية لم يستعملها .

ومن هنا – وهذا هو المعنى الثانى – ظهرت نظريات الحرب المحدودة ، ذلك أن الصراعات الدولية لن تتوقف لمجرد استحالة الحرب العالمية ، فالأسباب الاقتصادية والسياسية والإنسانية التى تؤدى إلى الحرب مازالت باقية ، ثم إنه لايمكن حبس أو تجميد تفاعلات هذه الصراعات ، فإذا كانت السيطرة على إدارة هذه الصراعات يجب أن تظل محسوبة ولا يفلت زمامها ، فإن إطار الحرب يجب أن يكون محددا لكى يكون محدودا ، وأول ضمانات التحديد ألّا تنشب الحرب بين الكبار مباشرة ، وإنما تنوب عنهم أطراف أخرى يقفون هم وراءها دون اضطرار إلى المواجهة المباشرة ، وعواقبها غير المحدودة .

وترتب على ذلك – وهذا هو المعنى الثالث – أن الحروب الإقليمية اكتسبت ضراوة جديدة ، فلقد انتهز الكبار فرصة الصراعات المحلية لكى يصبوا فيها خلافاتهم ، ويجربوا فى ساحاتها أسلحتهم ، ويكسبوا ويخسروا فى أجواء يمكن ضبط درجة حرارتها عند حد أقصى لاتزيد عنه ، خصوصا وأن مفاتيح الوقود – إمدادات السلاح التقليدى المتطور – تكاد تكون احتكارا لهم . وفى هذه الأجواء اشتعلت نيران الحرب « المضبوطة » على خط عريض من الهند الصينية إلى القرن الإفريقى ، ومن أفغانستان إلى أنجولا .

واستوجب ذلك – وهذا هو المعنى الرابع – أن سباق الأسلحة النووية بكل تكاليفه لم يعد ممكنا تركه إلى ما لانهاية ، فليست هناك فائدة ترجى من تخزين سلاح نووى يستطيع تدمير العالم ألف مرة ، فمرة واحدة تكفى ، ومن اللافت للنظر أن الرجل الذى وضع اسمه على إنذار السويس – « نيكيتا خروشوف » – كان هو الرجل الذى تمكن مع الرئيس الأمريكى الذى خلف « دوايت ايزنهاور » مباشرة فى البيت الأبيض – وهو « جون كنيدى » – من توقيع أول معاهدة للحد من التجارب النووية – وهكذا بدأت المسيرة الطويلة نحو تحديد الأسلحة النووية ، والتطلع إلى نزع السلاح النووى .

خلال كل هذا الذى كان يجرى بالعمق على مستوى القرار الرسمى الدولى ، كانت جماهير شعوب العالم تختلج حتى الأعماق بمشاعر راحت ترتقى بنفسها يوما بعد يوم حتى وصلت بالمشاعر إلى مستوى الإرادة .

□

وكانت السويس نقطة التحول الفاصلة ، بها انتهت مرحلة ، وبعدها بدأت مرحلة أخرى فى التاريخ المعاصر .

كانت مصر لاتزال « أهم بلد فى الدنيا » على حد مقولة « نابليون » رغم أن الخريطة السياسية للعالم اختلفت ، وتبدلت موازين القوى ، وتغيرت قوانين الحركة .

الفصل الثانى

النصر له مائة أب

١

لعصور طويلة فى التاريخ السياسى للبشرية اختلط مفهوم الحرب بمفهوم القتال ، وكان ذلك أمرا طبيعيا ، فعلى امتداد قرون من الزمان كانت الحرب فعلا هى القتال !

على طول هذه العصور والقرون كانت الحرب صناعة الملوك ، وقوادها أمراؤهم أو فرسانهم ، وجنودها من المحترفين أو المرتزقة الذين اتصفوا بالإقدام والاندفاع ، وبرعوا فى عملية الذبح والقتل !

وعندما وقعت الثورة الفرنسية فى نهاية القرن الثامن عشر تغيرت أشياء كثيرة فى التاريخ السياسى للبشرية ، وامتد التغيير إلى مجالات كثيرة بينها على وجه التأكيد مجال الحرب ، ذلك أنه منذ لحظتها بدأ التمايز بين الحرب والقتال ، فالثورة الفرنسية فى مواجهة حصار الملوك لها لم تكن تستطيع أن تعتمد على الأمراء أو الفرسان ، فهؤلاء كانوا رجال الملك ، ولا كان فى استطاعتها أن تعتمد على المحترفين أو المرتزقة ، فالموارد لم تكن متوافرة لديها لشراء سيوفهم – **وبالتالى فإن هذه الثورة لم يكن لديها ما تعتمد عليه غير الشعب ، ومن يومها ظهر جيش « المواطنين المتطوعين » للدفاع عن الثورة والوطن ليحل محل جيش الملوك والأمراء والفرسان والمحترفين والمرتزقة !**

ولم يكن جيش « المواطنين » الذين تطوعوا لملاقاة زحف جيوش الملوك – مهيأ

للقتال ، ولا كان خبيرا بالمدافع والسيوف ، لكنه كان يملك سلاحا آخر هو الانتماء إلى فكرة ، والإيمان بها والاستعداد للتضحية فى سبيلها .

من يومها – وأكثر من أى يوم سبق – **أصبحت الحرب صراعا أوسع من ميادين القتال . وحين صك « كلاوزفيتز » أعظم أساتذة الحرب الحديثة عبارته** الشهيرة **التى قال فيها** : « **إن الحرب صراع بين إرادات ، طرف يريد أن يفرض إرادته على طرف » – فإنه كان يعبر عن الحقيقة الأبدية الأزلية فى قضية الحرب .** وحين أضاف « كلاوزفيتز » فيما بعد عبارته الشهيرة الأخرى التى قال فيها : « **إن الحرب هى ممارسة للسياسة بوسائل أخرى » فإن طبيعة هذه الحقيقة كانت تزداد جلاء** – لكن عندما أضاف رئيس وزراء فرنسا فى الحرب العالمية الأولى إلى قاموس المعرفة السياسية عبارة شهيرة ثالثة قال فيها : « **إن الحرب مسألة أخطر من أن تترك للجنرالات » كانت تلك كلمة شبه نهائية فى قضية الحرب . لقد أخذ كثيرون هذه الجملة عن « كليمنسو » على أساس أنها تعبير لاذع عن رأى له فى العسكريين ، لكن التعبير كان ينطوى على ما هو أكثر ، وكان فى صميمه يرسم خطا فاصلا بين القتال والحرب . القتال وظيفة الجنرالات ، وأما الحرب فإنها صراع أشمل يديره القادة الذين تقع عليهم مسؤولية مصائر الشعوب والأمم .**

ولقد جاءت الحرب العالمية الثانية ، فإذا هى تضع الخطوط والفواصل محددة وحادة بين الحرب والقتال ، فلقد أصبحت الحرب مجهودا شاملا أكبر من ميدان القتال ، مجهودا شاملا فى حشد الموارد ، وفى التخطيط السياسى والاقتصادى والاجتماعى والعلمى والثقافى أهم بكثير من حشد الجيوش ، ومن دبابات تتصادم مع دبابات ، ومن مدافع ترد على مدافع ، ومن طائرات تسابق طائرات ، ومن طاقة نيران تواجه طاقة نيران !

وبصفة عامة ، فلقد كان يمكن لأى مراقب لمسار الحرب العالمية الثانية أن يقول إن الألمان وحلفاءهم خصوصا فى اليابان كانوا أبرع فى القتال ، ولكن الانجليز وحلفاءهم ، وخصوصا الأمريكيين والروس كانوا أقدر على الحرب ، ولم يكن النصر النهائى فى هذا الصراع العالمى الهائل من نصيب الأبرع فى القتال ، وإنما كان من نصيب الأقدر على الحرب .

وفى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ترسخت أكثر وأكثر هذه الخطوط والفواصل بين الحرب والقتال – أكدت الحقائق السابقة واللاحقة أن « الحرب صراع إرادات » – وأن « الحرب ممارسة للسياسة بوسائل أخرى » – وأن « الحرب ليست مسؤولية جنرالات » – يضاف إلى ذلك أيضا أن الدول

الكبرى أصبحت فى نفس الوقت عقائد ، وهكذا فإن الصراع بينها اصبح فى العقول والنفوس والأفكار كما هو على الأرض والبحر والجو ، ثم إن تكنولوجيا السلاح النووى والفضاء أضافت إلى هذه الحقائق ظاهرة فى منتهى الغرابة ، وهى أن الحرب يمكن أن تدور بغير قتال . تناقض حتى فى الألفاظ : حرب مستغنية عن القتال !

□

وبمقتضى الحقائق الجديدة فى العالم ، فلقد كانت مصر هى الطرف الذى انتصر فى السويس ، ففى صراع الإرادات كانت هى الطرف الذى لم يستطع الآخرون أن يفرضوا إرادتهم عليه ، وكانت هى الطرف الذى مارس السياسة بكل الوسائل حتى يحتفظ بجائزة الحرب ، وهى « قناة السويس » فى يده دون أن يقدر الآخرون على انتزاعها من يده طوال مراحل الصراع كلها ، ثم إن الصراع لم يترك على مسؤولية الجنرالات إلا بالقدر الضرورى لأهداف الحرب بمعناها الحقيقى .

وهنا تتداعى ـ بالتسلسل المنطقى للمعانى ـ آثار لها قيمتها .

بين الآثار أنه عندما كانت فكرة الحرب مختلطة بفكرة القتال ، فإن النصر كان فى العادة ينسب إلى قائد مقاتل يتوج رأسه بأكاليل الغار ـ والأمثلة كثيرة فى التاريخ القديم .

وعندما تحقق الفصل بين الحرب والقتال فإن نسبة الانتصار إلى قائد بعينه أصبحت نوعا من المجاز ، أو ربما من الرمز للزعماء السياسيين الذين تحملوا مسؤوليات إدارة صراعات التاريخ العظمى ، فهم الذين ألهموا شعوبهم ، وهم الذين عبأوا مواردها ، وهم الذين بنوا تحالفاتها ، وهم فى النهاية الذين أعدوا للقتال حينما كان القتال ضروريا كعنصر من عناصر الصراع بما فى ذلك أنهم هم الذين اختاروا الجنرالات المقاتلين على جبهات النار المتعددة .

والمجاز قد يعبر ، كما أن الرمز قد يختزل الواقع بقصد السهولة واليسر ـ لكن التحليل الدقيق لابد من أن يقصد إلى ما وراء المجاز ، وإلى ما وراء الرمز ـ وهنا يتضح فارق كبير بين تحقيق النصر فى القتال وتحقيق النصر فى الحرب .

فى القتال يكون النصر من صنع طرف واحد ـ قائد بجيشه المقاتل .

وفى الحرب يكون النصر من صنع أطراف كثيرين شاركوا جميعا بجهد شامل فى تحقيقه .

وهكذا فإنه إذا كان انتصار السويس قد نسب إلى « جمال عبد الناصر » من باب المجاز والرمز ، فلقد كان ذلك تقديرا لإدارته الشاملة لصراع الحرب الكبير ـ لكن التحليل الدقيق كفيل بأن يظهر أن أطرافا عديدين شاركوا معه فى تحقيق مطالب النصر والتمكين منها .

ولقد كانت جماهير الشعب المصرى أول هذه الأطراف ، ثم كانت جماهير الأمة العربية بعد ذلك طرفا ثانيا ، وكان الرأى العام العالمى ممثلا فى الأمم المتحدة طرفا ثالثا ، كما أن القوتين الأعظم ـ الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ـ طرف رابع وخامس بصرف النظر عن الأهداف أو المقاصد المباشرة وغير المباشرة .

بمعنى أوضح وأدق ، فلقد شارك فى تحقيق النصر ، أو التمكين منه كل من شارك فى « منع العدوان الثلاثى من فرض إرادته على مصر » لكى تتخلى خاضعة عن قناة السويس كخطوة أولى لها ما بعدها !

إن هناك قولا شائعا بأن « **الهزيمة يتيمة ، والنصر له مائة أب** » ، والقول صحيح من ناحية إنسانية ، فكل فرد أو كل طرف يحب أو يتمنى ، أو حتى يختلق دورا لنفسه فى قصة انتصار ، فى حين أن كل فرد أو كل طرف يحاذر أو يتجنب ، أو حتى يتهرب من دور لنفسه فى قصة هزيمة .

وفى الأزمنة الحديثة فإن ما كان قولا شائعا أصبح أمرا مؤكدا ، وفى السويس كواحدة من ذرى صراعات العالم الكبرى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كان الأمر يقينا .

شارك فى تحقيق النصر أو التمكين منه أكثر من طرف تفاوتت أهمية أدوارهم واختلفت درجاتها .

كان للنصر بالفعل أكثر من أب . فيهم من شارك فى صنعه ، وفيهم من ساهم فى التمكين منه !

□

إن تحديد الأطراف التى تشارك فى أى انتصار ، أو فى التمكين منه ليس مسألة تتعلق بما انقضى من مراحل الصراع ، وإنما تتعلق بما هو قادم من هذه المراحل ـ ذلك لأن الأطراف لا تكتفى بمجرد الزهو بالنتائج ، وإنما هى أيضا تتوقع بعده أن تحصل على جزء من الثمار ، وهذه طبائع الأشياء وضروراتها ، ثم إن تلك نقطة بالغة الأهمية فى تقصى وتعقب أطوار الصراع الذى دار فى العالم العربى وعلى مقاديره من

معركة السويس وحتى معركة سنة ١٩٦٧ ـ وهى ثانى المعارك الكبيرة فى حرب الثلاثين سنة .

إن كل طرف من الأطراف التى اشتركت فى تحقيق انتصار السويس أو التمكين منه كانت لديه مطالبه ، وكانت هذه المطالب المختلفة باختلاف الأطراف هى التى حكمت مراحل الصراع التالية لمعركة السويس وصاغت شكل الحوادث ـ ذلك أن كل طرف بعد النصر راح يطالب باستحقاقاته ، وسواء كانت هذه الاستحقاقات شرعية وصحيحة ، أو متوهمة ومدعاة ـ فإن المطالب المختلفة للأطراف والمتناقضة احيانا ـ كانت هى بداية المشاكل لسنوات تالية .

وعلى هذا الأساس ، فإنه يصبح من اللازم مبكرا ـ تحديد الأطراف التى شاركت فى تحقيق النصر ، أو التمكين منه ـ شرعا وصدقا ، أو توهمت ذلك وادعته ، وأكثر من ذلك ، فقد يكون مناسبا فى نفس الوقت إلقاء بعض الضوء ولو بسرعة على المطالب والمستحقات للأطراف . . . فلقد كانت تلك هى الخمائر الأولى للتراكم المتفجر الذى هز المنطقة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ .

□

■■ **كانت جماهير الشعب المصرى أول هذه الأطراف** ، والحقيقة أن دورها كان صنع النصر وليس مجرد التمكين منه فقط ، وكما أظهرت « ملفات السويس »[١] فإن الحملة البريطانية ـ الفرنسية على مصر كانت تقوم على أساس فرضية رئيسية استخلصها رئيس الوزراء البريطانى ـ وقتها ـ « أنتونى ايدن » من خبرته الشخصية بمصر ، وقد اعتمد فيها على عدة مصادر بينها : أنه بالتخصص مستشرق ، ثم أنه كوزير دولة للشئون الخارجية سنة ١٩٣٦ تفاوض مع الزعماء المصريين لعقد معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ثم أنه كوزير للخارجية البريطانية مع « ونستون تشرشل » ابتداءً من سنة ١٩٤٠ وحتى فترة ما بعد الحرب تعامل مع الأوضاع فى مصر عن قرب بحكم أن مصر كانت مسرحا من أهم مسارح الحرب . وكان فى ظن « أنتونى ايدن » أن هذه الخبرة الشخصية مضافا إليها تقديرات بعض مستشاريه وبينهم من خدموا ـ أو بمعنى أصح حكموا ـ فى مصر تهيؤه أكثر من غيره لمواجهة لحظة الحسم فى هذه المستعمرة السابقة التى استفحل أمرها فى نظره فتجاسرت على قيادة ثورة قومية عربية عامة ضد سيطرة الإمبراطورية البريطانية فى المشرق .

كانت محصلة ما توصل إليه « أنتونى ايدن » أن الشعب المصرى سوف ينهار

---

(١) يرجى مراجعة كتاب ملفات السويس لمحمد حسنين هيكل الصادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر فى نوفمبر سنة ١٩٨٦ .

عند توجيه الإنذار البريطانى ـ الفرنسى إلى مصر يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ ، وسوف يتخلى عن إرادته تماما إذا بدأ القصف الجوى على بلاده ، كما هو مقرر وفق اتفاقية « سيفر » السرية مع فرنسا وإسرائيل ـ يوم ٣١ اكتوبر ـ ثم إنه إذا بدات العمليات العسكرية على الشواطىء المصرية مع إنزال القوات المتحالفة ، فإن الشعب المصرى سوف يخرج الى شوارع المدن المصرية يحرق ويدمر ويبحث عن قيادة جديدة توقع وثيقة استسلام .

ولكن ما فكر فيه « أنتونى ايدن » وانتظره لم يحدث ، وما حدث بالفعل كان عكسه ، فلقد قاوم الشعب المصرى ، وأصر على المقاومة ، وكانت هذه المقاومة ذاتها هى التى فتحت الطريق أمام بقية العناصر المؤثرة على الموقف بما فيها الإنذار السوفيتى على سبيل المثال . وتشير الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية إلى برقية شفرية موجهة لوزير الخارجية « جون فوستر دالاس » من موسكو بتوقيع سفيره فيها « بوهلين » وهى تحمل رقم ٣٢٨٨ وتاريخها المسجل عليها هو ٥ نوفمبر ١٩٥٦ (الساعة الثانية وخمس دقائق بعد الظهر) ـ وقد جاء فى هذه الوثيقة بالنص ما يلى :

« إن خطورة الموقف تدعونى إلى الاعتقاد انه من الخطر ان نتصور ان الاتحاد السوفيتى سوف يكتفى بالموقف الدعائى ، إزاء تطورات الحوادث فى مصر .

إن المقاومة المصرية للغزو استمرت حتى الآن اكثر من اسبوع ، ومن اعتبار طول هذه المدة اساسا ، فانا لا اظن ان السوفيت يمكنهم البقاء بعيدا عن التدخل . »

وكانت مطالب الشعب المصرى واستحقاقاته بعد النصر الذى حققه صموده قبل أى عامل آخر ـ مطالب واستحقاقات صحيحة وشرعية . فهذا الشعب كان يطلب حريته من الاستعمار ، وكان يبحث عن هويته ومكانه فى العالم ، ثم إنه كان ينشد العدل الاجتماعى داخل وطنه ، ولقد منح قبوله ورضاه للنظام الثورى الذى قام فى مصر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ على هذه الأسس الثلاثة ، وبالفعل بدا له أن النظام الذى قبل به وارتضاه يفى بمبررات شرعيته وموجباتها ، فلقد توصل بعد كفاح إلى اتفاق يؤدى إلى جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس ، ثم دخل مع بقية أمته العربية فى نضال عنيف ضد قوى السيطرة ، ثم بدأ يمارس عملية تحول اجتماعى وسياسى داخل الوطن ادت الى إسقاط النظام القديم للملكية والسلطة ، ثم بدأ يرى أن مجرد إعادة توزيع الثروة بالإصلاح الزراعى لا تكفى ، وإنما لابد لتحقيق العدل من طموح إلى التنمية يضاعف من قاعدة الثروة ويواكب محاولات إعادة توزيعها ، وفى هذا المجال أصبح مشروع السد العالى تجسيدا حيا لطموح التنمية . وكانت معركة

السويس - بما فيها تأميم شركة القناة - هى فى واقع الامر معركة من اجل بناء السد العالى يتصدر زحفا هائلا إلى آفاق التنمية ، وتتصل به خطة للتصنيع والكهرباء والتوسع فى استصلاح الاراضى .

كان السد العالى - وبما يرمز له - هو مطلب الشعب المصرى واستحقاقه ، وفى تلك اللحظات لم يكن السد العالى مجرد مشروع عملاق ولكنه كان صورة لأمل عريض وممتد إلى سنوات قادمة ، بل إن السد العالى بهذا المعنى وفيما تلا معركة السويس أصبح واحدا من المصادر المتجددة لشرعية النظام الثورى .

□

■■ وكانت الأمة العربية هى الطرف الثانى فى تحقيق النصر ، ولقد تعددت أساليب دخولها مع الشعب المصرى إلى ساحة المعركة .

فى البداية كان التأييد سياسيا بالمؤتمرات والمظاهرات .

ثم تصاعد التأييد بعد ذلك عمليا إلى حد الهجوم على السفارات البريطانية والفرنسية ومراكز الاستعلامات الأمريكية ، وإشعال الحرائق فى مبانيها .

ثم بلغ التصاعد ذروته عندما قررت مجموعة من الضباط القوميين فى سوريا نسف خطوط أنابيب البترول العابرة للأرض السورية فى اتجاه البحر الأبيض المتوسط ، وكانت هذه الضربة الحاسمة ضمن أهم العوامل المؤثرة فى مسار الحرب ، لأنه فضلا عن توقف تدفق نفط الشرق الأوسط تقريبا ، فإن الجنيه الاسترلينى تهاوى مرة واحدة فى أسواق المال العالمية .

وتروى الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية مشهد لقاء جرى بين الرئيس « شكرى القوتلى » رئيس الجمهورية السورية ، وبين السفير الأمريكى « موس » سفير الولايات المتحدة فى دمشق ، وعلى أثر هذا اللقاء كتب السفير الأمريكى إلى وزير خارجيته رسالة شفرية رقمها ٦٣٦١ وتاريخها ٨ نوفمبر ١٩٥٦ (الساعة ٤٨ : ٩ مساء) جاء فيها :

« فى الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم ذهبت لمقابلة الرئيس القوتلى لكى اقدم إليه رسالة الرئيس ايزنهاور (بعد إعلان وقف إطلاق النار فى السويس) ولم ينتظر القوتلى ، وإنما اندفع فيما يشبه الخطابة العنيفة يصب النقمة على الانجليز والفرنسيين ، وفى نفس الوقت أبدى تقديرا للروس ، وفيما يتعلق بنا فإنه ابدى امله ان نلتزم بالمبادىء التى يتحدث عنها الرئيس ايزنهاور .

وقد سمحت لنفسى ان اقول للرئيس القوتلى إنه ما دمنا نتحدث عن المبادىء ، فإننا نرى ان العرب قد اضعفوا موقفهم المبدئى حين تقاعسوا عن إدانة استعمال القوة من جانب الروس ضد شعب هنجاريا ، وانه كان الاولى بهم لكى يستقيم موقفهم المبدئى ان يعارضوا التدخل بالقوة فى بودابست مثلما عارضوا التدخل بالقوة ضد بورسعيد .

وعندما فرغت مما قلت كان القوتلى مستثارا ، فانفجر فى وجهى قائلا : « إننا منذ اعقاب الحرب العالمية الاولى نتصدى لمخططات الصهيونية التى تهدد كياننا ، بينما أنتم واصدقاؤكم تعطونها من وسائل تهديدنا ما يجعل خطرها غير محصور .

لاتكلمونا عن المبادىء . وعندما يكون وجودنا مهددا ، وبلادنا فى خطر - فلتتهدم خمسون بودابست . » !

وإذا كان الأمل فى العدل هو مطلب الشعب المصرى واستحقاقه بعد انتصار السويس - فإن « الحلم » بوحدة الأمة على أى شكل من الأشكال كان هو مطلب الشعوب العربية واستحقاقها بعد النصر .

كانت شعوب الأمة العربية « تحلم » بالوحدة ، لكن حلمها لم يكن محددا . كانت ترى فى نفسها ومن حولها امكانيات قوة ، ولكن هذه الإمكانيات تهدر نفسها وراء سدود من حدود مصطنعة رسمها الاستعمار ، وكانت تلك إلى حد كبير حقيقة ، وإن لم تكن كل الحقيقة ، ذلك، لأن حقيقة الوحدة - وحتى ضرورتها - لا تستطيع ان تحجب وجود خصائص وظروف اجتماعية واقتصادية لابد من أخذها فى الاعتبار ، ثم إن الحدود حتى وإن كانت مصطنعة خلقت وراءها بتراكم السنين ومستجداتها امورا واقعة يصعب نسيانها أو إنكارها .

وفى نشوة ما بعد النصر ، وفى غمرة مطالبه واستحقاقاته ، فإن « الحلم » كان سيد الموقف ، ثم إن غلالته الأسطورية نزلت على خريطة التضاريس المتنوعة والمتعددة فى أشكالها واحجامها ، وغطت عليها .

وفى حين كانت الجماهير العربية تهتف فى عواصم عربية عديدة قائلة : « بدنا الوحدة باكر باكر » ! - كان مثقف سياسى مرموق مثل الأستاذ « ميشيل عفلق » مؤسس حزب البعث يقول « لا ينبغى لمشاكل الوحدة أن تعطلنا ، الوحدة خلاقة ، وهى تستطيع ان تحل مشاكلها بنفسها » .

إن « الحلم » أخذ كثيرين فى سحره ، وحين تفاعل « الحلم » العربى مع « الأمل » المصرى فإن النتيجة تحولت إلى طاقة هائلة مشحونة لايستطيع أحد ان يقف فى طريقها وإلا جرفته ، وربما صعقته .

٢

■ **كانت الأمم المتحدة هى الطرف الثالث فى التمكين من النصر** ، وكان مجمل احوالها فى تلك الأيام من منتصف الخمسينات يسمح لها بأن تكون على نحو أو آخر شبه تعبير عن الضمير العالمى .

إن الأمم المتحدة منذ إنشائها – وربما إلى الآن – مرت بثلاثة أطوار .

● فى البداية كانت الأمم المتحدة ساحة للمواجهة بين القوتين الأعظم – الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى – وكانتا حليفتين فى الحرب ، وبعد انتهائها أصبحتا متنافستين على عالمَ السلام ، فكلتاهما تطلب الأولوية فى قيادة مستقبله تحت ظل السلاح النووى الذى فرض على الساحة الدولية احتمالات يصعب اختبارها ، أو استجلاء أسرارها !

فى ذلك الطور من حياة الأمم المتحدة أصبحت هذه المنظمة الدولية خشبة مسرح لا يقف عليها إلا اثنين من الكبار ، وأما الباقون جميعا فهم على مقاعد المتفرجين يراقبون ويتابعون مدركين أنهم ليسوا قادرين على الاشتراك فى الحوار ، فقضاياه معقدة وتكاليفه غالية .

ولسنوات ممتدة كان مسرح مجلس الأمن – وهو الجهاز الرئيسى للأمم المتحدة – حوارا بين وزير الخارجية الأمريكى « دين اتشيسون » (فى عهد الرئيس « هارى ترومان ») وبين السفير « آندريه فيشنسكى » المندوب السوفيتى الدائم (فى عهد الزعيم « جوزيف ستالين ») ، وتبارى الاثنان بل وتناطحا فى قضايا هامة مثل أزمة « اذربيجان » فى إيران ، وأزمة الحرب الأهلية فى اليونان ، وأزمة الحرب الكورية والهند الصينية فى الشرق الأقصى .

كان الحوار وكانت المواقف فى ساحة مجلس الأمن حكرا على « اتشيسون » من ناحية ، و « فيشنسكى » من ناحية أخرى ، وأما بقية المندوبين ، فقد كان عليهم متابعة الحوار بنوع من الاهتمام أو الانبهار أحيانا ، وفى أحيان أخرى بنوع من التسلية أو التندر .

ولأسبوع بأكمله فى الأمم المتحدة تقريبا كانت كل الوفود مشغولة بإعادة رواية حوار بين « فيشنسكى » و « اتشيسون » .

تكلم « اتشيسون » مرة فى موضوع كوريا ، ووقف « فيشنسكى » يرد عليه فإذا هو يقول له :

– « **إننى أعلم أن وزراء الخارجية الأمريكية لايكتبون خطاباتهم التى يلقونها هنا بأنفسهم ، وإنما يكتبها لهم سكرتيريهم .**

وهكذا فإننى عندما أرد على ماقاله المستر اتشيسون هنا لا أوجه حديثى إليه ، وإنما أوجه حديثى إلى سكرتيره الذى كتب له ما قاله أمامنا الآن . »

ثم راح « فيشنسكى » يرد على « اتشيسون » بقوله : « **إن سكرتيرك يامستر اتشيسون أخطأ حين كتب لك كذا وكذا ، وسكرتيرك يامستر اتشيسون كتب لك كذا وكذا وقد أخطأ ، وسكرتيرك يامستر اتشيسون . . . » إلى آخر الخطاب .**

كل هذا ووجه وزير الخارجية الأمريكية يحتقن بالغضب ، ويزداد احتقانا مع كل عبارة توجه القول لـ « سكرتيره » .

ثم ختم « فيشنسكى » كلامه قائلا : « **إن لدىّ نصيحة أوجهها لوزير الخارجية الأمريكية ، وهى أن عليه من الآن فصاعدا أن يكتب ما يريد أن يقوله بنفسه حتى يستطيع أن يتحقق من مصادر القول ويراجعها .** »

وجلس والمتفرجون جميعا معجبون به طربا ومفتونون .

وجاء الدور على « اتشيسون » فإذا هو يقف ليقول :

– « **إن لدىّ رجاء إلى المندوب السوفيتى ، وهو أن يلجأ إلى أحد لكى يكتب له ما يقول أمامنا هنا لأنه حين يتكلم من وحى تفكيره يقول كلاما لا رابطة فيه ولا منطق . نعم إن لدىّ مساعدين شاركونى فى التفكير ، وأما هو فكعادة الديكتاتوريين فى الاتحاد السوفيتى يأمر ويفرض آراءه الفجة منفردا وبالقوة** » !

ومرة ثانية صفق المتفرجون !

● **وجاء الطور الثانى فى حياة الأمم المتحدة فى أعقاب مؤتمر باندونج ، حين استطاعت مجموعة الدول الآسيوية والإفريقية المستقلة أن تتصدى لقيادة حركة التحرر الوطنى ، وأن تدخل إلى ساحة الأمم المتحدة حاملة معها آمالها واحلامها فى نظام دولى جديد .**

وكانت الرياح مواتية لدخول هذه القوة الثالثة إلى ساحة الأمم ، من ناحية لأن حلبة الصراع بين القوتين الأعظم انتقلت من قضية الأمن الأوروبى إلى التنافس على

النفوذ فى العالم الثالث ، ومن ناحية أخرى لأن استحكام العقد بين القوتين الأعظم خلق نوعا من الشلل فى فاعلية الأمم المتحدة ، واستطاع سكرتيرها العام الجديد وهو « داج همرشولد » أن يستغله لتعزيز هيبة المنظمة الدولية ، وذلك عندما حاول أن يجعل من هذه المنظمة حكما بين القوتين الأعظم وليس مجرد ساحة للمواقف والعبارات الحادة بينهما .

وكان معنى ذلك أن القوة الثالثة التى دخلت لتأكيد نفسها فى المجال الدولى مستعدة ، ثم إن المسرح الدولى ذاته كان مستعدا لها . جاهزا ومهيأ .

وفى هذا الطور وقعت أزمة السويس ، ثم جرت معركتها .

● ثم جاء الطور الثالث بعد ذلك فى حوالى منتصف الستينات – وقد جرت معركة سنة ١٩٦٧ فى إطاره ، ومازال العالم فيه حتى الآن – وهو طور فقدت فيه الأمم المتحدة فاعليتها عندما تحققت ديمقراطيتها ، وتجاوزت هذه الديمقراطية حدود المقبول من القمة الدولية . ولقد حدث ذلك عندما تفتحت أبواب الأمم المتحدة لعضوية كيانات مستقلة بالجملة – فإذا صوت بلد مثل كوستاريكا يتساوى مع صوت بلد مثل أمريكا !

عندما أسست الأمم المتحدة كان عدد أعضائها أقل من خمسين دولة ، ووقت السويس كان عدد أعضائها أقل من مائة دولة ، وفيما بعد زاد عدد الدول الأعضاء على مائه وخمسين ، وكان الكل يحاول أن يتكلم بغير دراية ، وأن يتدخل فى غير شأن ، وأن يتحدث لمجرد إثبات الوجود ، وكان الوفاق الدولى بين القوتين الأعظم على الأبواب ، وهكذا قررتا معا أن تأخذا أكثر القضايا حساسية وأهمية إلى خارج الأمم المتحدة .

لكن هذا الطور من حياة الأمم المتحدة كان – زمن السويس – احتمالا لم يجىء وقته بعد .

□

أيام السويس – إذن – وفى أعقاب انتصارها ، وأطرافه ، ومطالبهم واستحقاقاتهم ، كانت الأمم المتحدة فى الطور الثانى من حياتها ، وهو طور الحيوية والفاعلية بفضل دخول قوة عالمية ثالثة إلى ساحتها ، وبفضل رجل ذكى – « داج همرشولد » – تولى سكرتاريتها العامة .

وفى مناخ الأزمة والحرب – ١٩٥٦ – ملكت الأمم المتحدة قدرة غير عادية على الحركة والتصرف ، وقد اكتسبت هذه القدرة طاقة مضافة من حقيقة أن القوتين

الأعظم – الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى – كل منهما لأسبابه – وقفتا معا ضد العدوان البريطانى الفرنسى الإسرائيلى على مصر .

وفى هذه الأجواء لم تصبح الأمم المتحدة – بما فيها الجمعية العامة ومجلس الأمن – أداة قول فحسب ، وإنما أصبحت أداة فعل أيضا – بل إنها لأسباب موضوعية متعددة أصبحت أداة الفعل الدولى الرئيسية فى الأزمة ، وميدان حركتها الجماعية المؤثرة .

ولقد كانت التكليفات المنوطة بـ « داج همرشولد » فى تلك الملابسات واسعة ، وكان من جانبه على استعداد لتوسيعها أكثر ، ولعله تصور فى بعض اللحظات أن الأمم المتحدة تستطيع أن تمثل دور حركة عالمية لها حق فرض قراراتها فوق سيادات الدول الأعضاء .

ولقد وجد نفسه – فى جو أزمة دولية عاصفة – مكلفا بعدة مسئوليات :

● **عليه أن يوجه عمليات تطهير قناة السويس ، وإعادتها إلى الملاحة العالمية .**

● **وعليه أن يتوصل مع الحكومة المصرية إلى وضع نظام يكفل حرية الملاحة فى القناة لأعلام كل الدول بغير تمييز .**

● **وتحت تصرفه فى نفس الوقت قوات طوارىء دولية تتلقى الأوامر منه ، وهى مسؤولة عن فصل القوات المتحاربة ، وعن التمركز فى مواقع تكفل لها المحافظة على السلام .**

كانت هذه تكليفات « داج همرشولد » ، وكانت بنفسها مطالب الأمم المتحدة واستحقاقاتها – ولم تكن مصر تنازع فى هذه المطالب والاستحقاقات ، ولكنها كانت تريدها فى إطار سيادتها المستقلة لا تتجاوزها ، وكان رأى مصر أن تطهير القناة مسؤوليتها ، وأن تنظيم الملاحة فيها خاضع لضرورات أمنها ، وأن قوة الطوارىء الدولية ليست جيشا فاتحا ، وإنما هى تحت ولايتها حتى وإن كانت القوة الدولية ترفع علم الأمم المتحدة .

وهكذا فإنه فى الوقت الذى تصور فيه « همرشولد » دوره كمسئول لحكومة عالمية – فإن مصر أصرت على حصر دوره فى إطار إجراءات تنفيذية لنصوص وروح قرارات الأمم المتحدة .

ولقد استطاعت السياسة المصرية فى ذلك – بمزيج من المرونة والحزم – أن تتفادى صداما مع سكرتارية الأمم المتحدة كان كفيلا بتعقيد المواقف بأكثر مما هى

معقدة بظروفها ، وساعدت على ذلك صداقة بين وزير الخارجية المصرى المقتدر الدكتور « محمود فوزى » وبين سكرتير عام الأمم المتحدة الذكى « داج همرشولد » ، ولحق ذلك اتساع نطاق الصداقة ليشمل « جمال عبد الناصر » و « همرشولد » أيضا ـ إلى جانب أن مصر كانت قد استطاعت حشد عدد كبير من الدول العربية والآسيوية والإفريقية وغير المنحازة الى جانبها ، ووراء تفسيراتها لقرارات الأمم المتحدة .

وصحيح أنه أمكن تفادى الصدام بين تصورات الأمم المتحدة ـ كما تمثلها سكرتيرها العام ـ وبين تصورات مصر ، وصحيح أن نوعا من التعاون الودى حل محل امكانية الخلاف ـ لكن بعضا من المطالب والاستحقاقات المترتبة على دور الأمم المتحدة فى التمكين من النصر ظل معلقا لسنوات طويلة .

٣

■■ **وكان الاتحاد السوفيتى هو الطرف الرابع فى التمكين من النصر** ـ وبدوره كانت له مطالبه ومستحقاته .

كان الاتحاد السوفيتى قد شهد تغييرات عميقة بعد وفاة « جوزيف ستالين » (١٩٥٣) ، ولقد خلفه « مالنكوف » لفترة قصيرة ، ثم ظهرت على القمة فى الكرملين (١٩٥٤) قيادة ثلاثية تضم « فورشيلوف » رئيسا للدولة و « بولجانين » رئيسا للوزراء و « خروشوف » سكرتيرا عاما للحزب الشيوعى . لكن المؤكد أن القوات المسلحة السوفيتية بقيادة المارشال « زوكوف » كانت وراء الكواليس مؤيدة ومساندة للزعامة الجديدة فى عهد تزايدت واستحكمت فيه ضرورات السباق الذى اتسعت ميادينه بين القوتين الأعظم فبدأت تمتد إلى أقاصى الأرض ، وتتطلع إلى أبعاد الفضاء .

ومع ظهور القوة الثالثة فى « باندونج » ، وبروز حركة التحرر الوطنى كدور دولى مؤثر تسعى القوى العظمى إلى اجتذابه والتأثير عليه ـ كان الاتحاد السوفيتى يبحث عن فرصة للخروج من العزلة والنفاذ بعيدا وراء حدوده إذا استطاع .

وعلى امتداد أرض القوة الثالثة ، فإن مايجرى فى الشرق الأوسط كان الأكثر إثارة وإلحاحا على الاهتمام ، فإذا ما اضيف إلى ذلك أن الشرق الأوسط هو الجوار المباشر ـ على الأرض ـ للاتحاد السوفيتى ، كما أنه الجوار المباشر ـ عبرالبحر الأبيض ـ لأوروبا الغربية ـ إذن فإن أنظار الاتحاد السوفيتى كان محتما أن تلتفت إليه قبل غيره ، وكان ذلك تقديرا صحيحا فى محله وفى وقته تماما .

وفى قلب الشرق الأوسط ، فإن الأمة العربية ـ وفى طليعتها مصر ـ بدت فى حالة فوران ثورى لاشك فيه ، فهى تشهد تغيرات سياسية وتحولات اجتماعية وتوجهات دولية بالغة الأثر ، وبالغة الأهمية فى نفس الوقت .

وفى اللحظة التى التفت فيها الاتحاد السوفيتى إلى العالم العربى ـ فقد كان الاستعمار التقليدى على وشك أن يطرد من المنطقة ، وكانت السيطرة الأمريكية مازالت عاجزة عن الدخول إليها فى أعقابه لإرث تركته ، وكان واضحا أن المنطقة مقبلة على تفاعلات عنيفة ـ وبدا أن مصر هى المفتاح الرئيسى لها .

كانت مصر قد تمكنت من ازاحة الاحتلال العسكرى لضفاف قناة السويس ، ثم وقفت أمام مخططات الأحلاف الأمريكية ، وعندما جرى إرهابها بواسطة القوة المسلحة الاسرائيلية راحت تبحث عن السلاح حيث تجده ، وعندما قام « جمال عبد الناصر » بطلب السلاح من الاتحاد السوفيتى كان الرد عنده فى ظرف أسابيع .

وانقلبت موازين المنطقة ، وحاولت الولايات المتحدة إعادة « شرائها » بعرض المساعدة فى تمويل السد العالى ـ رمز آمال الشعب المصرى ـ لكن محاولة الشراء فشلت لأن « جمال عبد الناصر » كان مصرا على أن تدفع مصر ثمنا ماليا ـ وليس ثمنا سياسيا ـ لبناء السد العالى . وهكذا قام « دالاس » بسحب العرض الأمريكى ، ورد « جمال عبد الناصر » بتأميم قناة السويس . ودار الصراع فى المنطقة والعالم سياسيا ، ثم تحول إلى صراع عسكرى بالتواطؤ الثلاثى ، وصمدت مصر وحدها فى ساحة القتال ، ووراءها احتشدت كل طاقات الأمة العربية ، وكل تأييد القوة الثالثة ، وكل مناصرة الرأى العام العالمى ممثلا فى الأمم المتحدة .

وفى لحظة من اللحظات كانت الأنظار كلها على موسكو تنتظر منهاموقفا ـ وليس مجرد كلمة ـ فى هذه الأوقات الحرجة والحاسمة .

وفى يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ ـ حزم الاتحاد السوفيتى أمره ، واتخذ موقفا بالانذار السوفيتى الشهير .

إن ذلك الإنذار السوفيتى مازال حتى اليوم مثار أبحاث ودراسات مطولة تحاول استقصاء دواخله ، لكنه مهما كان من أمر كل هذه الأبحاث والدراسات ، فليس هناك شك لدى أحد أن الإنذار – فى الوقت الذى صدر فيه وفى المناخ العالمى الذى اكتنفه – أحدث أثرا سياسيا لايقبل الجدل .

● **من ناحية فإن هناك من يقول – والقول صحيح – إنه إزاء مخاطر الأسلحة النووية ، فإن أيا من القوى التى تملكه لاتتجاسر على استعماله إلا دفاعا عن نفسها .**

● **ومن ناحية أخرى فإن هناك من يقول – والقول صحيح – إن القوى العظمى فى هذا العصر تعتبر أن قوتها الحقيقية هى مهابتها ، فإذا هدد طرف بأبعد من حدود استعداده لقبول المخاطر – فإن أمره سوف ينكشف كنمر من ورق ، وحينئذ يفقد كل شيء .**

وعلى أى حال ، فإن الذى لايستطيع أن ينكره أحد هو أن الإنذار السوفيتى كان – وبصرف النظر عن الاحتمالات العسكرية – عنصرا سياسيا مؤثرا فى معركة السويس .

إن الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » شك على الفور فى جدية الإنذار السوفيتى ، وكذلك تشكك فى جديته « أنتونى ايدن » رئيس الوزراء البريطانى و « جى موليه » رئيس الوزراء الفرنسى ، وحتى « دافيد بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل – لكن مشكلة الأسلحة النووية أنها قضية لاتحتمل الشكوك . وإزاء الأسلحة النووية ، فإن حالة الشك فى حد ذاتها تستوجب الحذر والمراجعة لأن المخاطر المحتملة تفوق كل طاقات الاحتمال .

وربما كان ذلك بالفعل ما حدث .

وربما كان من الحق أن يقال إن « جمال عبد الناصر » نفسه ساورته الشكوك فى عزم الاتحاد السوفيتى على استعمال الأسلحة النووية ، بل لقد وصلت به الشكوك إلى حد أنه أثار الموضوع مع الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » فى لقاء بينهما بعد سنتين تماما من توجيه الإنذار .(٢)

قال « جمال عبد الناصر » فى ذلك اللقاء ، وصاغ قوله فى عبارة ودية تستفسر دون أن تستنكر :

(٢) مذكرة عن الاجتماع الخاص الذى عقده « جمال عبد الناصر » مع « نيكيتا خروشوف » فى استراحة الزعيم السوفيتى خارج موسكو يوم ٢ مايو سنة ١٩٥٨ محفوظة فى ارشيف منشية البكرى .

– « بالطبع أننا قدرنا موقفكم لكنى لا أخفى عليك أننى يومها ، وبعد أن قرأت نص الإنذار تساءلت فيما بينى وبين نفسى : **هل يعقل أن يكون الاتحاد السوفيتى مستعدا بالفعل لتوجيه صواريخه النووية الى لندن وباريس ؟ لقد كان ذلك فى ظنى كفيلا بأن يفرض على الرئيس الأمريكى أن يتدخل بأسلحته النووية ضد الاتحاد السوفيتى لأن ساعتها لن يكون الموضوع هو لندن وباريس وحدهما ، وإنما هو الغرب كله معرض للدمار .** »

ورد « خروشوف » بـ « **انهم كانوا جادين بالفعل فى الإنذار ، وإلا لما قاموا بتوجيهه** » .

ولعله أحس أن هذا الرد العام لايكفى لإقناع محدثه ، فأضاف بطريقة غامضة :

– « **لماذا يتصور بعض الناس أن عقاب بريطانيا وفرنسا على العدوان لايتحقق إلا بضرب لندن وباريس ؟ . . . لقد كانت هناك أهداف اخرى مباشرة فى تنفيذ العدوان يمكن توجيه ضربة محدودة إليها .** »

وكان الانطباع الذى أخذه « جمال عبد الناصر » هو أن « خروشوف » يلمح إلى أن الاتحاد السوفيتى كان فى تخطيطه – إذا لم تحدث استجابه لانذاره – أن يوجه ضربة إلى أساطيل الغزو .

وبعد المقابلة تساءل « جمال عبد الناصر » والشكوك ما زالت تساوره « **هل يمكن أن ذلك كان تخطيطهم فعلا ؟ وإذا كان ذلك صحيحا ، فكيف السبيل الى تنفيذه مع العلم أن توجيه ضربة نووية إلى أساطيل الغزو كان من شأنه أن تؤثر الضربة تأثيرا مباشرا على بورسعيد وما حولها من منطقة القناة ، وفيها وقتها حوالى المليون من المدنيين المصريين ؟** »

وبقيت إجابة السؤال معلقة ، ولعلها لا تزال كذلك حتى الآن – ومع ذلك فإن أحدا لايساوره شك – وقتها والآن – فى أن الإنذار أدخل على الأقل عنصر شك غير مقبول فى موقف كان بأكمله مستعصيا على القبول .

وربما زاد من الشك أن الاتحاد السوفيتى لم يتوقف عند حد توجيه الإنذار يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ وإنما اتبع ذلك بخطوات عملية ، ففى يوم ٧ نوفمبر – أى بعد الانذار بيومين – قام الاتحاد السوفيتى بتحركات عسكرية دفع فيها باعداد كبيرة من القوات البرية والجوية نحو الشرق الأوسط ، ووصفت جريدة « نيويورك تايمز » الصادرة فى ٩ نوفمبر هذه التحركات بانها « أحدثت فزعا فى أوروبا الغربية » .

ولم تمض أيام حتى أصدر رئيس الوزراء السوفيتى « بولجانين » بيانا قال فيه نص : « إن الاتحاد السوفيتى يستطيع الاستيلاء على أوروبا الغربية كلها ون حاجة الى استخدام صواريخ أو قنابل ذرية » ، ثم اقترح مشروعا للسيطرة لى الأسلحة النووية من ست نقاط ختمه بقوله : « إن العالم كله أمام خيار أن قبل المشروع السوفيتى ، أو يواجه حربا عالمية ثالثة لم تشهد البشرية مثيلا ن قبل لأهوالها وفظاعتها » !

وهكذا فإنه حتى بعنصر الشك النووى وحده أصبح الاتحاد السوفيتى طرفا فى منع العدوان من فرض إرادته ، وبحكم أنه أصبح طرفا ، فقد كانت له بالطبع مطالبة واستحقاقاته ـ وهكذا ، فلقد كان السؤال الأكثر غموضا بعد السويس هو :

ـ « ما هى مطالب الاتحاد السوفيتى واستحقاقاته ؟ وكيف بالضبط ؟ ! »

□

■■ وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هى الطرف الخامس .

الفصل الثالث

لغم فى خليج العقبة

١

بين كل الأطراف الذين شاركوا ـ بصرف النظر عن الدوافع والأسباب ـ فى منع العدوان الثلاثى من فرض إرادته ـ كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى الطرف الأكثر إلحاحا ، والأبرز حضورا على ساحة الصراع فور سكوت المدافع على جبهات السويس ، وكانت لذلك أسباب بعضها سابق على المعركة وبعضها استجد مع اشتعال ميرانها .

● الولايات المتحدة كانت قد دخلت لأول مرة الى الشرق الأوسط ـ والعالم العربى ـ من الأبواب الواسعة بعد الحرب العالمية الثانية .

● الولايات المتحدة كانت بعد الدخول الأول ، قد استطاعت مزاحمة المصالح البريطانية ـ الفرنسية القديمة فى بترول الشرق الأوسط ، والحصول لنفسها على نصيب الأسد فيه !

● الولايات المتحدة أصبحت هى الصديق « الكبير » للأسر والنظم التقليدية فى المنطقة ، والتى بدأت تواجه عواصف عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية .

● القوى الوطنية الجديدة فى العالم العربى لم تكن بعد قد تعاملت مباشرة مع الولايات المتحدة . وفى صراع هذه القوى ضد الإمبراطوريات التقليدية المسيطرة ـ فإنها ظنت أن الولايات المتحدة قد تكون عونا لها ضد

الاستعمار ، وكان هذا الظن يصدر احيانا عن حسن نية تبرىء الولايات المتحدة وطن الثورة العظيمة ضد الاستعمار من تهمة ممارسته ـ واحيانا اخرى كان يصدر عن فهم يرى أمامه إمبراطورية تحاول إرث إمبراطورية ، ومع ذلك فلم يكن يرى بأسا من استغلال تناقضات يحقق بها هدفا حالا ، وإن كان يعرف انه سوف يواجه بعدها تعقيدات مؤجلة .

إلى جانب هذه العوامل ـ ونتيجة لكثير منها ـ فإن الولايات المتحدة كانت هى الطرف الدولى الأقدر على الحركة فى تلك الظروف على ساحة المنطقة ، فبريطانيا وفرنسا فى الحضيض بعد هزيمتهما فى المعركة ، والاتحاد السوفيتى وافد جديد على الساحة العربية ، وبرغم كل ما حاول تقديمه لحركة التحرر العربى ـ ابتداء من مواقفه فى الأمم المتحدة ، إلى صفقة السلاح مع مصر ، إلى إنذار السويس ـ فإن كتلا اجتماعية وسياسية كبيرة فى العالم العربى كانت تنظر إليه بريبة ، بل وتناصبه العداء ولا تمانع من ان تجعل من أوطانها قواعد لحصاره فى الحرب الباردة ـ وحتى الساخنة .

وعندما أضيف الى ذلك كله موقف الولايات المتحدة الظاهر من العدوان على مصر ، والذى بدا أنه على حد قول « ايزنهاور » « يضع المبادىء قبل الأصدقاء » ـ إذن فإن الولايات المتحدة الأمريكية اصبحت فور وقف إطلاق النار « اللاعب الدولى الرئيسى » فى الساحة ـ بل إن الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » تملكه الاعتقاد بأنه « مهندس الأزمة » ـ فهو امام منطقة حيوية تفككت مفاصلها ، وليس هناك غيره الآن يتولى إعادة تركيبها على النحو الذى يلائم المصالح الأمريكية .

ولم يكن هناك سر فى اهداف « ايزنهاور » ، فمنذ امتنعت مصر عن دخول احلاف الغرب العسكرية ، ومنذ رفضت عقد صلح مع إسرائيل ، ومنذ بدات تشترى السلاح من الاتحاد السوفيتى ، ومنذ اعتذرت عن مقايضة بناء السد العالى بحريتها فى الحركة السياسية ، ومنذ اممت شركة قناة السويس ـ كانت اهداف « ايزنهاور » بمنتهى الوضوح والدقة ، وكما تظهرها يومياته[1] المكتوبة بخطه فى خزائن مكتبته بـ « آبيلين » ـ ولاية كنساس ـ محددة على النحو التالى :

١ ـ إخراج الاتحاد السوفيتى من المنطقة قبل ان يتمكن من تثبيت مكانته ونفوذه فيها .

(١) رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس صفحات ٣٥٩ و ٥٠٤ و ٥٧٦ و ٥٧٧ .

٢ ـ تعزيز المصالح الأمريكية الاقتصادية والعسكرية بكل الوسائل ؛ وفى مقدمتها دعم مراكز الولاء التقليدى للغرب على الأرض العربية .

٣ ـ حصار المراكز الثورية الجديدة فى العالم العربى وإسقاطها .

وبالنسبة لهذا الهدف الأخير ـ فإن « ايزنهاور » ـ ومن قبل معركة السويس ـ كان قد حدد طرق الاقتراب منه بثلاث وسائل محددة :[2]

١ ـ انتزاع الملك « سعود » ملك المملكة السعودية من العلاقة مع « جمال عبد الناصر » ، وكان « ايزنهاور » يعتقد أن التعاون بين الثروة السعودية ، والثورة المصرية فى مقاومة حلف بغداد ـ يعطى للحركة القومية فى العالم العربى تأثيرا فعالا وقويا . وكان « ايزنهاور » يدرك أن عداء الملك « سعود » لحلف بغداد وتعاونه فى هذا المجال مع « جمال عبد الناصر » ـ يرجع أساسا الى التناقض بين الأسرة السعودية الحاكمة فى الرياض ، والأسرة الهاشمية الحاكمة فى بغداد ـ وعلى هذا الأساس فقد بدا له انه يستطيع إقناع السعوديين بأن التناقض الاجتماعى بين الثروة والثورة أخطر وأعمق من العداء القبلى القديم .

٢ ـ الفصل بين القاهرة ودمشق ، ذلك أن دمشق بحكم دورها فى القلب من الحركة العربية كانت تشكل مع القاهرة محورا له جاذبية خاصة ، ولم يجد « ايزنهاور » ولا كل مستشاريه وسيلة لتحجيم دور دمشق ـ والتأثير بالتالى على القاهرة ـ غير وسيلة الانقلاب ، وبالفعل فإنه فى الشهور الأخيرة من سنة ١٩٥٥ والشهور الأولى من سنة ١٩٥٦ كانت هناك اكثر من جهة تتسابق على تدبير انقلاب عسكرى فى دمشق : وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تدبر ، وحكومة « نورى السعيد » فى العراق تشارك ، وتركيا تشجع ، وعناصر أخرى أقل شأنا ـ وإن لم تكن اقل تصميما ـ تتسلل ، ولعلها لم تكن مصادفة أن أخطر محاولات الانقلاب من الداخل فى سوريا ـ وهى المحاولة التى تزعمها سياسى سورى معروف فى ذلك الوقت وهو السيد « ميخائيل اليان » ـ جرى الترتيب لوقوعها يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ متوافقة مع بداية الهجوم الإسرائيلى فى سيناء كبداية لتنفيذ خطة فتح الباب للغزو البريطانى ـ الفرنسى !

٣ ـ تصفية مركز « جمال عبد الناصر » عن طريق العزل السياسى ، وعن

(٢) رجاء مراجعة الوثائق فى ملحق كتاب ملفات السويس صفحة ٥٧٦ و ٥٧٧ .

طريق الحصار الاقتصادى ، وعن طريق القتل إذا اصبح القتل لازما فى وقت من الأوقات .

وفى المحصلة النهائية ، فإنه يمكن أن يقال إن خلاف الولايات المتحدة مع حلفائها الغربيين ـ بريطانيا وفرنسا ـ وبعدهم إسرائيل ، لم يكن خلافا حول الهدف ، وإنما كان الخلاف حول الوسائل .

وبالطبع ، فإن السياسة الأمريكية لاتقبل أن يتصرف الآخرون بدون إذنها ، كما أنها كانت تريد الوسائل فى يدها ، وليس فى يد غيرها حتى تجىء النتائج منطقيا لحسابها ، وليس لطرف آخر غيرها ، وبدعوى أنها الآن مركز القيادة الذى لاينازع فى مطالب الغرب الرامية الى السيطرة على الشرق الأوسط بما فيه العالم العربى .

□

إن الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية فى هذه الفترة تلقى أضواء تكفى وحدها لإظهار وإثبات نوايا السياسة الأمريكية ومقاصدها فى هذه الفترة ، ومن ثم قد يصبح مناسبا عرض بعض هذه الوثائق التى يحتويها الملف "J . E." الخاص بمصر .

●●● هناك وثيقة تدعو الى الاستغراب يحتويها الملف ، وهى فى الواقع تقرير عن حديث خاص دار على العشاء بين وزير الخارجية الأمريكى « جون فوستر دالاس » وبين الصحفى الأمريكى الأشهر « جيمس رستون » رئيس القسم الخارجى فى جريدة « نيويورك تايمز » ، وكان « رستون » موضع ثقة « دالاس » ـ الذى كان حريصا على أن يضعه فى الصورة باستمرار .

ولاتشير الوثيقة على وجه التحديد إلى الطريقة التى وصل بها هذا التقرير الى يد الخارجية البريطانية ، لكنه يحمل تأشيرة مكتوبة من الوكيل الدائم للخارجية السير « ايفون كيركباتريك » ترجو من رئيس الوزراء « أنتونى ايدن » ووزير الخارجية « سلوين لويد » أن يقرآه بعناية .

والحقيقة أن التقرير يستحق القراءة باهتمام ، فهو لايتعرض فقط لملابسات معركة سنة ١٩٥٦ ، وإنما يحتوى على إشارات يمكن فهمها أكثر على ضوء ما حدث فيما بعد فى معركة سنة ١٩٦٧ ـ فضلا عن أنه إطلالة دقيقة على التفكير الأمريكى فى تلك الأيام .

يبدأ التقرير كما يلى بالنص :(٣)

(٣) ترجمة الوثيقة قام بها مركز الأهرام للترجمة والنشر .

« خاص
راى مستر دالاس فى التحرك الانجليزى الفرنسى .

وقد ابداه فى عشاء خاص مساء يوم الثلاثاء ٣٠/١٠/١٩٥٦ مع جيمس رستون المحرر بجريدة نيويورك تايمز . والعبارات الموضوعة بين قوسين هى كلمات دالاس بنصها كما سجلها رستون ، اما الباقى فبعبارة رستون القريبة من النص . وكانت الملاحظات الأصلية اكثر ارتباطا بتسلسل الحوار واكثر طولا وتحوى تكرارا . وقد اعيد تنظيم هذا المستخلص تحت رؤوس الموضوعات التى تعرض لها دالاس .

■ القول بسوء النية :

١ ـ قال دالاس إنه استمر طوال ثلاثة اشهر يحاول إقناع البريطانيين والفرنسيين بعدم استخدام القوة . وانه عندما كان يقابل لويد وبينو شخصيا كما حدث فى اجتماع الأمم المتحدة ، كانا يبديان اقتناعهما ، ولكن الأمور تتغير بمجرد عودة كل منهما إلى عاصمته .

(من المؤسف ان هناك بعض العناصر فى مجلس الوزراء البريطانى ممن يتعاطفون معنا تماما ايدوا استخدام القوة على طول الخط) .

٢ ـ خلال الأسابيع القليلة الأخيرة كان هناك « تعتيم كامل » على ذلك النوع من المعلومات التى اعتاد البريطانيون والفرنسيون تزويد حلفائهم الأمريكيين بها .

وقال دالاس : (لقد ارسلت برقيات فى الأسبوع الماضى إلى السفيرين فى لندن وباريس لمحاولة اختراق هذا التعتيم ، ولكنهما لم يحصلا إلا على معلومات قليلة ، وحتى ما حصلا عليه كان مضللا تماما . وحتى اللحظة الأخيرة مباشرة اعطتنا بريطانيا وفرنسا انطباعا بانهما سوف يلتقيان بفوزى(٤) فى جنيف) .

■ القول بالتواطؤ مع إسرائيل :

١ ـ استشهد دالاس بما يلى :

(ا) (الاستبعاد المفاجىء للملحق العسكرى الامريكى فى القدس من جانب زميليه البريطانى والفرنسى فى يوم السبت ، وهو اليوم الذى تمت فيه التعبئة العامة فى إسرائيل بينما هم فى العادة يعملون فى تعاون وثيق للغاية معنا .

(ب) الإشارة إلى السويس فى البيان الإسرائيلى الأول رغم ان ذلك لايتصل فى شىء بتدمير قواعد الفدائيين المصريين ، وهو العذر الذى اعلنته إسرائيل لهجومها على مصر .

(٤) الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية المصرية ، وكان همرشولد قد اقترح عقد اجتماع بحضوره فى المقر الاوروبى للامم المتحدة يشارك فيه وزير خارجية مصر ، ووزير الخارجية البريطانى ، ووزير الخارجية الفرنسى لمواصلة بحث الموقف ، وتحدد لهذا الاجتماع مبدئيا يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ .

٢ ـ قال دالاس إن الهدف الحقيقي لإسرائيل كان الاستيلاء على جزء من اراضى الأردن[٥] . (وقد اقنعهم البريطانيون بالا يفعلوا ذلك في هذه المرحلة وان يستعيضوا عنه بـ . . .) ـ وقطع دالاس كلامه ثم مضى قائلا (وعندئذ هاجم الإسرائيليون ، وقاموا بهجوم مخادع في اتجاه القناة ، وكان ذلك لإعطاء بريطانيا وفرنسا ذريعة للتدخل) .

٣ ـ وربما تكون اهداف إسرائيل الأساسية (تقطيع اوصال الأردن وحصول إسرائيل على الأجزاء التى تريدها منه)[٦] .

٤ ـ يتوقع دالاس ان القوات الإسرائيلية لن تلبث ان تنسحب من مصر (فقد ذهبت الى السويس للتمويه ، وبمجرد ان تدخل القوات البريطانية والفرنسية ستخرج إسرائيل) .

■ دالاس والإنذار :

١ ـ (إن الإنذار البريطانى الفرنسى لمصر واحد من اقسى الإنذارات التى قدمت في اى زمان ، لانه حتى إذا قبلت شروطه ، فستبقى القوات الإسرائيلية فوق اراضى مصر)

٢ ـ ولم تكتف بريطانيا وفرنسا بتوجيه الإنذار بدون التشاور مع الولايات المتحدة ، بل إنهما حاولتا في يومى الاثنين والثلاثاء[٧] ان تقنعا الولايات المتحدة بتاجيل تقديم مشروع قرارها بوقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل الى الامم المتحدة بدون ادنى إشارة إلى دوافعهما في ذلك .

■ دالاس وعبد الناصر :

١ ـ (إن سياسة عبد الناصر كفيلة بان تهزم نفسها بنفسها ، فهو وطنى طائش مفتوح العينين بجراة وحشية ، وانا اكرهه ، ولكننا لسنا بحاجة إلى دحره بهذه الطريقة ، ومن الافضل ان يتصدى له جيرانه ، وقد شرعت إيران بالفعل في مواجهته ، واخذ السعوديون في التحول عنه ، وسلطان المغرب يتنافس معه على قيادة العالم العربى ، وليبيا لا ترتاح إليه ، وهناك إمكانية لإقامة تحالف بين الأردن والعراق لمعارضته) .

٢ ـ إن الولايات المتحدة تريد ان تكسر عبد الناصر تماما كما تريد ذلك بريطانيا وفرنسا ، ولو استمر الضغط الاقتصادى والسياسى لمدة سنة لأودى به . لكن البريطانيين والفرنسيين كانوا حريصين على الخلاص منه تماما (قبل الكريسماس) .

---

(٥) يرجى ملاحظة هذه الاشارة المبكرة الى نوايا إسرائيل تجاه غزو وضم اجزاء من الأردن باعتبار ان ذلك هدفا رئيسيا لإسرائيل .

(٦) إشارة مبكرة ثانية وشديدة الوضوح الى مطامع إسرائيل في الضفة الغربية .

(٧) الاثنين والثلاثاء ٢٩ و ٣٠ اكتوبر .

٣ ـ كانت الولايات المتحدة على استعداد للنظر في مقاطعة القناة . وكذلك كان الفرنسيون ، لكن البريطانيين لم يقبلوا ذلك لأنه سيكلفهم ١٠٠ دولار في مقابل كل دولار يخسره عبد الناصر .

■ دالاس والنتائج العامة للعملية :

١ ـ إنها ماساة كبرى ، انه في الوقت الذى انكشف فيه الاستعمار والامبريالية الروسية في هنجاريا ـ يتصرف الإنجليز والفرنسيون مرة اخرى بمنطق استعمارى وامبريالى سافر .

٢ ـ إن الإنجليز والفرنسيين عليهم ان يفهموا انهم لايستطيعون ان يكونوا قوة عظمى إلا إذا كانت لديهم الوسائل الكافية لفرض سيطرتهم .

٣ ـ إن الأزمة سوف تؤثر على حلف الأطلنطى ، ولم يعد في وسعنا الآن ان نعتمد اعتمادا كبيرا على قوة اوروبا الغربية .

٤ ـ قال دالاس إنه يتوقع ان تتعرض خطوط الانابيب للتخريب ، ويتوقع نتيجة لذلك حدوث ضغط شديد على الفرنك والاسترلينى ، فهم يقامرون بكل شىء على تصور بقاء قناة السويس مفتوحة رغم الحرب ، وعلى استمرار تدفق البترول في خطوط الانابيب عبر البحر المتوسط ، وهذه مقامرة يائسة ، وإذا اخفقت فلست ارى وسيلة لإنقاذهم .

■ راى ايزنهاور :

١ ـ إن ايزنهاور ابدى رايه لإيدن وموليه (بقوة وشدة لايتصورهما احد) . فهو كرجل عسكرى يعتقد انه ليس من المستطاع من الناحية العملية الاستيلاء على القناة بدون الاستيلاء ايضا على القاهرة والإسكندرية ، وفي اعتقاده ان البريطانيين توصلوا الى هذا الاستنتاج قبل جلائهم عن قاعدة قناة السويس ، فهم لايملكون القوات الكافية لتامين هذا الهدف إزاء عناد المصريين ، وهو لايستطيع ان يفهم كيف يريدون ان يعودوا ، ويضعوا انفسهم في نفس الموقف بعد ان خرجوا لنفس السبب » .

□

●●● تجىء بعد ذلك في نفس الملف "J.E." ـ من الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية ـ وثيقة ثانية تتحدث عن مرحلة تالية من الصراع .

ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية ـ فور إعلان وقف إطلاق النار على جبهات السويس ـ تحركت بسرعة لضرب الحديد وهو ساخن ، فحاولت ترميم الجسور مع حلفائها الذين تآمروا على غزو مصر من وراء ظهرها ، ثم راحت تحاول تأمين بعض مصالحهم من منطق إنقاذ ما يمكن إنقاذه .

وبدأت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تحاول استغلال ضباب الرؤية الناشىء عن دخان المعارك لكى « تخطف » لحلفائها بعض مايعوضهم عن الكارثة التى حلت بهم : جربت أن تعطيهم دورا فى تطهير قناة السويس ، ودورا فى إدارتها المستقبلية .

وكانت مصر متنبهة تماما برغم سخونة الموقف وضباب القتال ودخانه .

وفى هذا المناخ التقى وزير الخارجية البريطانى « سلوين لويد » مع وزير الخارجية الأمريكية « جون فوستر دالاس » فى باريس ، ودار بينهما حوار ترويه هذه الوثيقة الثانية ، وهى على شكل تقرير عن هذا اللقاء فى باريس كتبه « سلوين لويد » لمجلس الوزراء البريطانى .(٨)

وكانت بعض الفقرات فيه لافتة للنظر وبينها :

● قال وزير الخارجية البريطانى سلوين لويد إنه يشعر بالقلق لأن « **الحكومة البريطانية لم تتلق أية تأكيدات بشأن القضايا التى تهمها لأن الحكومة المصرية رفضت مشاركة المعدات البريطانية ـ الفرنسية فى تطهير القناة ، كما رفضت مناقشة أى أمر يتعلق بمستقبل إدارة قناة السويس** » .

● قال وزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس : « **إن رد فعلنا تجاه غزو مصر لم يكن راجعا الى أى حب للمصريين إلا أن الولايات المتحدة لم تكن ترى كيف كان يمكن للنظام العالمى أن يستقر لو أنها أغمضت عينها** » .

● قال وزير الخارجية البريطانى : « **إن إرغامنا على الانسحاب ضيع من أيدينا كل الأوراق التى كان يمكن استعمالها فى الضغط على مصر لتحقيق حد أدنى من طلباتنا** » .

● قال وزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس : « **ليس دقيقا أننا أرغمناكم على الانسحاب من مصر . لقد ترتب كثير من النتائج السيئة على تصرفات بريطانيا وفرنسا ، ومن المحتمل أن تعالج الأمور على نحو أفضل بعد الانسحاب** » . وأضاف دالاس : « **إنه ليس من سياسة الولايات المتحدة استرضاء عبد الناصر أو التودد إلى العرب ، وهى بالتأكيد لا تثق بحكومة مصر ، وهى مستعدة للضغط على عبد الناصر لتسوية بعض المشاكل ، وقد يكون لحكومة الولايات المتحدة قدر من التاثير على عبد الناصر فى الوقت الحاضر ، ولكن هذا التأثير سوف يتناقص لأن عبد الناصر سوف يلمس بنفسه ان دافع الولايات المتحدة إلى الوقوف ضد التدخل البريطانى ـ الفرنسى ـ الإسرائيلى لم يكن صادرا عن حبها له ، وان الحكومة الأمريكية على اى حال ستمارس اقصى ضغط ممكن على عبد الناصر خلال الأيام القليلة القادمة** » .

(٨) النص الرسمى لمحضر الاجتماع منشور بكامله فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب برقم (١)

٢

كان التفكير الأمريكى تجاه بريطانيا وفرنسا واضحا .

إن لندن وباريس تصرفتا من وراء ظهر واشنطن ـ بادعاء أنهما من القوى العظمى ـ ولقد تخلت عنهما ، وكلاهما كان عليه أن يفهم الدرس .

ولقد كانت الولايات المتحدة تريد أن ترث دورهما الإمبراطورى فى الشرق الأوسط ـ بما فيه مصالحهما البترولية ـ وقد تحقق ذلك بحماقتهما قبل أى عامل آخر ـ ولم يكن لدى الولايات المتحدة دموع كثيرة تذرفها على الشموس الغاربة .

وربما كان فى مقدور الولايات المتحدة أن تساعدهما ـ بقصد الحفاظ على حلف الأطلنطى فى أوروبا ـ لكن هناك حدودا لهذه المساعدة . الولايات المتحدة سوف تحاول ـ وقد حاولت ـ لكنها لن تدخل فى صدام مع العرب ، لكى تحصل لبريطانيا وفرنسا على بعض الحطام من بقايا معركة السويس .

أما التفكير الأمريكى من الشريك الثالث فى العدوان وهو إسرائيل ، فقد كان اكثر تعقيدا !

كان مبعث التعقيد فيه يعود إلى عدة اعتبارات :

١ ـ **التعاطف الأمريكى العام مع إسرائيل لأسباب تاريخية وسياسية ونفسية متعددة .**

٢ ـ **النفوذ الواصل للعناصر اليهودية والصهيونية فى المجتمع الأمريكى ، وسيطرة هذه العناصر على بعض المراكز الحاكمة كمراكز الإعلام والمال والفنون .**

٣ ـ التعهدات الرسمية الأمريكية لإسرائيل ابتداء من اعتراف الرئيس « هارى ترومان » بها قبل دقائق من إعلان قيامها رسميا كدولة فى منتصف شهر مايو ١٩٤٨ ـ إلى تعهد الرئيس الذى خلفه وهو « دوايت ايزنهاور » بضمان أمنها . ولم يكن ممكنا على الأمد الطويل ضمان الأمن الإسرائيلى وصيانته إلا بالتوصل الى صلح بين العرب وإسرائيل « ببشارة » تحقيق السلام فى الأرض المقدسة ، أو بفرض هذا الصلح قسرا بدون الحاجة إلى « بشائر » إذا واصل العرب ، وعلى رأسهم مصر ، عنادهم ورفضوا الاعتراف بالدولة الصهيونية .

يضاف إلى ذلك عنصر تمتد ضروراته الى أوسع من حجم إسرائيل ، ذلك أنه إذا كان « ايزنهاور » يحلم بتنظيم حلف عسكرى فى الشرق الأوسط يستكمل حصار الاتحاد السوفيتى ـ فإن هذا الحلم لم يكن يستطيع حتى من الناحية العملية أن يستغنى عن إسرائيل . فإذا كان الاستغناء عن إسرائيل مستحيلا من الناحية العملية إذن فإن الصلح بين العرب وإسرائيل ضرورى ، فلا يعقل أن يقوم تنظيم دفاعى باشتراك أطراف متحاربة مع بعضها .

وكان الرئيس « ايزنهاور » فى السنة الأولى لرئاسته للولايات المتحدة قد أصدر توجيها رئاسيا بإنشاء مجموعة عمل تابعة لمجلس الأمن القومى أطلق عليها الاسم الرمزى « مجموعة ألفا » عهد برئاستها الى المستر « فرانسيس راسل » ، وكلفها بمهمة « إنشاء سياسات واتخاذ خطوات تنفيذية تؤدى إلى تحقيق الصلح بين العرب وإسرائيل » .

وفى ملابسات السويس سنة ١٩٥٦ كان التفكير الأمريكى فى حالة سيولة تبحث عن أشكال للمستقبل لم تتحدد بعد معالمها .

بالنسبة لبريطانيا وفرنسا كانت المسائل محددة ـ بمطالب الإرث الإمبراطورى .

وبالنسبة لإسرائيل لم تكن كذلك ـ فإلى جانب كل الاعتبارات الخاصة فى العلاقات بين واشنطن وتل أبيب ، فإن « السويس » طرحت ظواهر تستحق التأمل والدرس ، أهمها أن « إسرائيل تستطيع أن تقوم فى المنطقة بدور عند اللزوم » .

إن بريطانيا وفرنسا اكتشفتا هذا « الدور » مبكرا ، ولعله كان فى التفكير البريطانى منذ زمن بعيد ، وأما الولايات المتحدة فإنها لم تلتفت إليه بالقدر الكافى ، وإن كان هناك بعض من تنبهوا قبل غيرهم ، وكان بينهم على سبيل المثال الكولونيل

« ى . ب . ارشيبالد » الملحق العسكرى الأمريكى الذى سافر بطائرة خاصة إلى إسرائيل فور قيام الدولة واعتراف « ترومان » بها .

إن الكولونيل « ارشيبالد » كتب فى تقرير رسمى له مودع فى مركز الوثائق القومى الأمريكى بولاية « ماريلاند » ومؤرخ فى أول نوفمبر ١٩٤٨ ـ يقول :

« إن إسرائيل بلد صغير ، ولكن له امكانيات عسكرية كبيرة ، واعتقادى أن إسرائيل هى الجواد الذى يجب ان نراهن عليه مستقبلا لان الظروف سوف تضعنا باستمرار فى حالة قلق مع العرب » .

وفى ملابسات « السويس » سنة ١٩٥٦ كانت امكانيات إسرائيل العسكرية موضع اهتمام أكبر من مستوى ملحق عسكرى أمريكى فى سفارة تل أبيب سنة ١٩٤٨ ـ فهذه المرة كان الاهتمام على مستوى رئاسة هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية المسلحة .

كان « ايزنهاور » عسكريا بتجربته كلها قبل دخول البيت الأبيض ، وفى أوقات الأزمات فإن أقرب المعلومات والتقديرات إلى عقله كانت تلك الصادرة عن جهات عرفها من قبل واختبرها ، ثم إنها تجيئه بلغة يألفها ويفهمها . وفى أول نوفمبر ١٩٥٦ كان أمام « ايزنهاور » على مكتبه فى البيت الأبيض تقرير كتبه الأميرال « آرثر رادفورد » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية ، وكان التقرير يتحدث عن حالة الجيش الإسرائيلى بعد الحجم الهائل من التسليح الذى أغدقته عليه فرنسا وبريطانيا استعدادا لمعركة السويس . وجاء فى الصفحة الثانية من هذا التقرير ما يلى بالنص :

« وتقرر لجنة المعلومات والتقديرات الخاصة ان جيش الدفاع الإسرائيلى لديه الوسائل ، كما انه يمتلك المقدرة ، على تحقيق الأغراض التالية :

(ا) احتلال الضفة الغربية للأردن .

(ب) اختراق الحدود السورية إلى درجة تهدد العاصمة دمشق .

(جـ) اختراق الحدود المصرية والنفاذ الى عمق سيناء ، والبقاء فيها الى فترة تعتمد بالدرجة الأولى على تامين وسائل المواصلات والإمداد .

(د) فك قبضة الحصار المصرى على خليج العقبة وفتح الطريق الى إيلات .

(هـ) الاحتفاظ بالسيطرة الجوية على ارض معركة فى مواجهة القوات المصرية التى لم تتح لها الفرصة لاستيعاب سلاحها السوفيتى الجديد .

(و) القيام بعدد من هذه العمليات فى وقت واحد حتى فى مواجهة تنسيق عربى مشترك .

□

كان تقرير الأميرال « رادفورد » مثيرا لاهتمام الجنرال « ايزنهاور » ـ ربما بأكثر من أى شىء وضع على مكتبه فى تلك الفترة . والأفكار ما زالت تروح به وتجىء .

□ هو مضطر من ناحية الى أن يطلب من إسرائيل أن تنسحب من الأراضى التى احتلتها نتيجة للتواطؤ مع بريطانيا وفرنسا ، فما دامت هذه هى القاعدة التى تنطبق على الإمبراطوريتين ـ فليس مقبولا تطبيق غيرها على الشريك الثالث الصغير وهو إسرائيل .

هناك أيضا « اعتباراته » إزاء الأسر الحاكمة المعتدلة فى العالم العربى وهو يريد استمالتها .

□ من ناحية أخرى ، فإن « الدور » المحتمل لإسرائيل ظاهر ، وقد وضع للاختبار العملى فى « السويس » ، لكن البريطانيين والفرنسيين لم يحسنوا استعماله ، أو هم استعملوه فى الوقت الخطأ بالطريقة الخطأ ، ومع ذلك فإن الممارسة الخاطئة ليس من شأنها أن تسقط امكانية القوة المتاحة فى حد ذاتها خصوصا مع كل ما توافر لإسرائيل ، وأصبح فى يدها فعلا دون أن تتكلف الولايات المتحدة من أمره ثمنا ماديا فادحا على خزائنها ، أو ثمنا معنويا مكلفا أمام أصدقائها العرب .

اتصالا بذلك ، فإن الدور الإسرائيلى بدا حيويا عندما راحت القواعد العسكرية للغرب فى المنطقة تتعرض للعواصف بعد السويس ، فقد ذابت القاعدة الراسخة على ضفتى القناة ، وأصبحت قاعدة « الزرقاء » فى الأردن مهددة ، وقاعدة « الحبانية » فى العراق يلفها ضباب .

ونتيجة لتضارب الأفكار فى هذه المرحلة ـ تضاربت تصرفات .

ففى يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٦ كان المندوب الأمريكى الدائم فى مقر الأمم المتحدة بنيويورك يزأر فى الجمعية العامة بمطلب الإصرار على انسحاب قوات الدول الثلاث المعتدية ، مسايرا فى ذلك اتجاها كاسحا فى الجمعية العامة تتصدره مجموعة الدول الآسيوية الإفريقية .

وفى اليوم التالى مباشرة وصل إلى تل أبيب السناتور الأمريكى الشهير « جاكوب جافيتس » يحمل رسالة شخصية من « ايزنهاور » إلى « بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل جاء فيها ـ كما يذكر التقرير رقم ١٠٧٣/٢٧٦ من وثائق وزارة الخارجية البريطانية ـ ما نصه : « إن الرئيس ايزنهاور لا يتعجل انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى سيناء وقطاع غزة ، والعودة الى ما وراء حدودها » .

ولم يكن ذلك تضاربا فى القرارات بقدر ما كان حالة سيولة فى الأفكار . أفكار ما زالت تروح وتجىء . لم يستقر لها بعد قرار .

كان لابد للمستقبل أن يتخذ أشكالا تلائم نفسها مع الحقائق والضرورات المستجدة ، فالعمل السياسى بين مهامه أن يجعل الخطوط المتوازية تتقاطع ، أو تتلاقى عند نقطة معينة ، وبدا أن هذه النقطة تقترب مع منتصف شهر نوفمبر ١٩٥٦ وتستعد لتتخذ مكانها على الخريطة السياسية للمنطقة . ومثل أى نقطة على خريطة ، فقد كانت ملتقى خطين ، بالطول وبالعرض .

● الخط الأول : **كيف يمكن مع ضرورة انسحاب إسرائيل شأنها شأن غيرها من أطراف العدوان الثلاثى أن تنسحب ثم لا تعتبر مهزومة فى نفس الوقت مثلهم ؟**

● والخط الثانى : **كيف مع ضرورات انسحاب أطراف العدوان الثلاثى جميعا ألا تعتبر مصر منتصرة خصوصا إزاء إسرائيل ؟**

وبدأت الخطوط المتقاطعة على الخريطة السياسية للمنطقة تقترب يوما بعد يوم من نقطة التقائها ، ومن ثم بدأت الخطوط توحى بالخطط دون أن يعنى ذلك بالضرورة أنها مؤامرة تم تدبيرها وإبرام تفاصيلها بليل ثم بدأ التنفيذ .

إن التاريخ يعرف المؤامرة لكنه من الصعب تحكيم المؤامرة دائما فى تفسير وقائع التاريخ ، والذى يحدث فى العادة دون حاجة الى ترتيبات خفية فى الظلام هو أن التقاء طرفين أو أكثر على أهداف محددة يخلق اتجاهات متوافقة فيما بينهما تؤدى الى اتفاق . وأحيانا فإن أجواء الاتفاق فى النهاية قد تصل الى أبعد من نوايا الأطراف فى بدايته . فالحركة الذاتية للمصالح المتوافقة قادرة على أن تحقق من أسباب التعاون والعمل المشترك ما يفوق أى خطط مسبقة مكتوبة على الورق ، أو ممهورة بأختام التوثيق .

والأرجح أن هذا ما حدث فى العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل فى تلك الفترة القلقة من نهاية سنة ١٩٥٦ وحين وضعت النطف الجنينية لكثير مما تخلق وتكون فيما بعد سنة ١٩٦٧ .

٣

ولعل الوثائق السرية للحكومة الإسرائيلية أن تكون أفضل المصادر جميعا لبيان الطريقة التى تقاطعت فيها الخطوط المتوازية والتقت فى تلك الظروف ، ومن حسن الحظ أن هذه الوثائق السرية أتيحت كاملة لرجل واحد هو البروفيسور « مايكل بريشر » الذى كتب تقريرا ضافيا عن عملية صنع القرار الاستراتيجى والسياسى فى إسرائيل ، وكان « دافيد بن جوريون » بنفسه هو الذى وضع هذه الوثائق السرية تحت تصرف البروفيسور « بريشر » .

وتروى الوثائق السرية الإسرائيلية قصتها كاملة على النحو التالى :

● *فى ١١ نوفمبر (بعد اسبوع تقريبا من إعلان وقف إطلاق النار على جبهات السويس) كتب السفير الإسرائيلى فى واشنطن « آبا ايبان » ـ تقريرا الى رئيس الوزراء « دافيد بن جوريون » قال فيه :*

« علمت ان « كابوت لودج » (المندوب الامريكى الدائم فى الأمم المتحدة) لم يكف طوال هذا الأسبوع عن إبداء ضيقه لوزير الخارجية « دالاس » بشان خطابكم امام الكنيست يوم ٨ نوفمبر . ومن راى « لودج » ان هذا الخطاب جاء مستفزا لكل الدول الآسيوية والإفريقية التى استغلت ما جاء فيه لإظهار إسرائيل بصورة عدوانية[٩] .

وقد كان الراى السائد فى وزارة الخارجية هو ان إسرائيل لايحق لها ان تسىء الى نفسها بإظهار التشدد ، والمطالبة بالحدود القصوى التى يصعب تنفيذها إزاء إصرار الاغلبية الساحقة فى الأمم المتحدة » .

● *وفى ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ كتبت وزيرة الخارجية الإسرائيلية « جولدا مائير » التى كانت تشرف بنفسها على إدارة الجهد الإسرائيلى الدبلوماسى فى الأمم المتحدة تقريرا إلى رئيس الوزراء تقول له فيه :*

« جاء وكيل وزارة الخارجية الأمريكية « روبرت مورفى » للقائى ، وكان معى سفيرنا فى واشنطن « آبا ايبان » . وقد ابدى لنا « مورفى » وجهة نظر مؤداها اننا نستطيع الحصول على المطالب الحيوية لامننا إذا نحن قصرنا طلباتنا على نزع سلاح

(٩) كان دافيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل قد قال فى خطابه امام الكنيست إن اهداف إسرائيل الثلاثة من معركة سيناء قد تحققت بالكامل : (١) تدمير القوات المسلحة المصرية (٢) تحرير سيناء التى هى جزء من الوطن اليهودى (٣) وفرض حرية الملاحة فى خليج سليمان (العقبة) وفى قناة السويس .

سيناء ، وفى مقابل ذلك فإن الولايات المتحدة سوف تكون على استعداد لان تقدم لنا الضمانات الكافية لعدم عودة الظروف إلى ما كانت عليه قبل القتال ، وبما يفيد صراحة ان خليج العقبة سوف يفتح امام الملاحة الإسرائيلية .

ومن راى « مورفى » ان بقاء قوات جيش الدفاع فى المواقع الحالية امر يصعب قبوله فى الأمم المتحدة ، لكن انسحابا إسرائيليا من سيناء لا ينبغى ان يعنى عودة القوات المصرية إليها » .

وفى الأيام القليلة التالية توالت برقيات « جولدا مائير » و « آبا ايبان » على « بن جوريون » تحمل إليه انطباعات وزيرة الخارجية ، والسفير فى واشنطن نتيجة لقاءات بينهما ، وبين عدد من كبار الساسة والدبلوماسيين المشاركين فى اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وكانت هذه البرقيات بمثابة لقطات سريعة وكاشفة :

● *« قال لنا كريستيان بينو إنه احس من كابوت لودج ان الإدارة الأمريكية توافق على بقاء القوات الإسرائيلية فى غزة .*

وكان ليستر بيرسون (وزير خارجية كندا) متعاطفا ، بينما ابدى لونز (وزير خارجية هولندا) استعدادا لتاييد مطالبنا . اما لانج (وزير خارجية النرويج) فقد كان ودودا ، ولو انه بدا متحفظا . الغريب هو موقف سلوين لويد ، فقد قال بحماقة رغم معرفته بكل ماتم الاتفاق عليه فى سيفر إنه من المستحسن ان يظل قرار التقسيم هو اساس التسوية . »

● *وفى ٢٢ نوفمبر كتب « ايبان » منفردا برقية الى « بن جوريون » عن مقابلة له مع السكرتير العام للأمم المتحدة « داج همرشولد » قال له فيها :*

« لقد بدا همرشولد وكانه يتوسل إلىّ الّا تنسحب قوات جيش الدفاع من غزة بسرعة ، وإلا حدث فراغ مفاجىء . »

● *وفى اول ديسمبر ١٩٥٦ بعث « دافيد بن جوريون » إلى « جولدا مائير » بتعليمات صادرة عن لجنة الدفاع والأمن فى مجلس الوزراء جاء فيها :*

« إزاء الضغط الشديد من ايزنهاور ، فقد اتخذنا قرارا بسحب قوات جيش الدفاع ثلاثين ميلا إلى الشرق من قناة السويس ، ولكننا نطلب منك وكذلك من آبا ايبان فى واشنطن الّا يصدر عنكما ما يشير بشكل مباشر او غير مباشر الى خطوط الهدنة ، فنحن لاننوى الانسحاب إليها . »

● *وفى ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦ ابرق « دافيد بن جوريون » الى « آبا ايبان » :*

« إننا نريدك ان تكون على علم بالمطالب التى لاتنوى إسرائيل ان تتنازل عنها مهما كانت الضغوط :

١ ـ لابد من نزع سلاح كل المنطقة الشرقية من سيناء .

٢ ـ سوف تبقى القوات الإسرائيلية فى شرم الشيخ حتى نحصل على ضمانات عملية بحق الملاحة الحرة فى مياهه .
٣ ـ إن إسرائيل لن تسمح بعودة الإدارة المصرية الى غزة . »

● وفى ٢٩ ديسمبر ١٩٥٦ اشتركت « جولدا مائير » مع « آبا ايبان » فى كتابة تقرير يضم ملخصا لمقابلة جرت بينهما وبين « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكى :

« إن دالاس كان فى مزاج طيب ، وحتى عندما تحدث عن ضرورة انسحاب قوات جيش الدفاع من سيناء استجابة لإلحاح الامم المتحدة ، وتهدئة لخواطر العرب والمسلمين ، فإن لهجته كانت بالنصح وليس بالضغط ، وقد اتفق معنا تماما وإلى ابعد حد على النقط التالية :

● ضرورة نزع سلاح مناطق سيناء الشرقية .
● ضرورة بقاء غزة تحت إدارة الامم المتحدة ، فلا يعود إليها الحكم المدنى المصرى ، ولا اية قوات مسلحة مصرية .
● ضرورة حصول إسرائيل على حقها فى المرور البرىء من قناة السويس وخليج العقبة . »

وكانما اراد « بن جوريون » ان يثبت نتائج التفاهم الذى توصلت إليه « جولدا مائير » و « آبا ايبان » مع « دالاس » فإذا هو فى ٢٣ يناير ١٩٥٧ يتقدم الى الكنيست بطلب اعتماد مجموعة من الأسس لتكون إطارا للتحرك الإسرائيلى لها قوة التشريع بحيث يعرف العالم الخارجى مدى تصميم حكومته وحدود التزامها ، واقر الكنيست لـ « بن جوريون » بما طلب :

١ ـ تبقى قوات جيش الدفاع على خط داخل الحدود المصرية السابقة يمتد من الساحل الشمالى حتى شرم الشيخ ، وذلك حتى يتحقق لإسرائيل مطلبها فى الملاحة فى قناة السويس وفى خليج العقبة .
٢ ـ يمكن لمراقبين من الامم المتحدة ان يعودوا الى قطاع غزة ، ولكن لا تعود الى القطاع تحت اى ظرف من الظروف إدارة مصرية ، ولا قوات مسلحة من مصر .
٣ ـ لابد ان تفرض الامم المتحدة نزعا للسلاح فى النصف الشرقى من سيناء .

وتحركت السياسة المصرية ، وبدت ساحة الصراع وكانها لعبة جبارين باذرعة حديدية ـ من يلوى ذراع من ؟ وتقدمت مجموعة الدول الآسيوية الإفريقية بمشروع قرار للأمم المتحدة تطالب فيه بفرض عقوبات على إسرائيل .

وفى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٧ التقى « آبا ايبان » مع « روبرت مورفى » وكيل وزارة الخارجية الأمريكى ، وبعد المقابلة كتب الى « دافيد بن جوريون » برقية يقول له فيها : « إن مورفى قال لى بحضور شيلواح (الوزير المفوض بالسفارة الإسرائيلية فى واشنطن ، وكان منتدبا فى نيويورك مع الوفد الإسرائيلى) إن الضغط الآسيوى شديد للغاية فى الجمعية العامة ، وإسرائيل على حق فى الإصرار على مطالبها فى

خليج العقبة . ولكن بقاء قواتها فى شرق سيناء وغزة سوف يعطى سببا دائما للإثارة ضدها فى الأمم المتحدة » .

وفى يوم ٣ فبراير ١٩٥٧ كتب « ايزنهاور » خطابا سريا الى « دافيد بن جوريون » يقول له فيه : « إن الأمل يحدونى فى ان تقرر إسرائيل سحب قواتها بدون تاخير لامبرر له » .

وفى يوم ٨ فبراير ١٩٥٧ رد « بن جوريون » على « ايزنهاور » بخطاب جاء فيه : « إن إسرائيل ترفض كل اساليب الضغط مهما كان مصدرها » .

ثم عزز « بن جوريون » خطابه إلى « ايزنهاور » بتعليمات تنطق بالعناد :

« هناك مسائل يجب أن يكون واضحا انها ليست الآن ـ ولا فى المستقبل ـ موضوع مفاوضات :

١ ـ ليس قابلا للتفاوض ان يقع انسحاب لقوات جيش الدفاع قبل الحصول على ضمانات كافية لحرية الملاحة الإسرائيلية فى القناة والمضايق .
٢ ـ وليس قابلا للتفاوض ان تكون هناك عودة مصرية الى قطاع غزة . »

□

وبدا كأن أزمة لايريدها أحد على وشك أن تتعقد بين الإدارة الأمريكية وبين إسرائيل ، وهكذا شهدت الأيام الباقية من شهر فبراير ١٩٥٧ جهودا مكثفة شارك فيها عدد كبير من أعضاء الكونجرس الأمريكى ، وقيادات اتحادات العمال ، وعدد من زعماء اليهود ، وكان هدف الجميع تفادى الأزمة . ونتيجة لهذه الجهود تقرر أن تجرى اتصالات مكثفة بين « آبا ايبان » وبين وزير الخارجية الأمريكى « جون فوستر دالاس » ، وأن تعقد هذه الاجتماعات سرا فى بيت « دالاس » .

واستمرت الاجتماعات يوما بعد يوم وشارك فيها عدد من الخبراء على الناحيتين ، وكان الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » على اتصال بمجراها يبلغ بالتليفون يوما بيوم عن تقدمها حيث يكون ـ حتى فى ملاعب الجولف ، أو على ظهر يخته الرئاسى فى نهر البوتوماك .

ويروى « آبا ايبان » فى مذكراته إنه كان فى اجتماع مع « دالاس » فى بيته واتصل الرئيس « ايزنهاور » بوزير خارجيته تليفونيا ، وطال الحديث بالتليفون بينهما حتى انه هو و « شيلواح » ـ الذى كان معه فى بيت دالاس ـ استهلكا بالكامل زجاجة من الكونياك الفرنسى الفاخر كان وزير الخارجية الفرنسى « بينو » قد أهداها الى نظيره الأمريكى !

وهكذا اقتربت الخطوط وتلاقت . تحولت الخطوط الى **خطط مؤداها ببساطة** ان ن هناك انسحاب إسرائيلى ، وفى مقابل ذلك لا تكون **هناك عودة مصرية** إلى ضاع التى كانت قبل نشوب القتال .

وتم التوصل إلى مذكرة تفاهم تقرر انسحاب إسرائيل من سيناء وغزة ، وتقرر فى س الوقت مسؤولية الولايات المتحدة عن ضمان تحقيق ما تطالب به إسرائيل سواء عدم عودة مصر إلى غزة ، أو فى الملاحة البريئة فى قناة السويس وخليج العقبة .

وجاء فى مذكرة التفاهم بالنص مايلى :

« إن الولايات المتحدة تؤمن بضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية ، وفى نفس الوقت فإن الولايات المتحدة تؤمن بأن قطاع غزة يتحتم ان تكون له ترتيبات خاصة يتفق عليها مع السكرتارية العامة للأمم المتحدة .

وفيما يتعلق بحرية الملاحة فى الممرات المائية ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية ترى انه فى غيبة قرارات قاطعة مثل حكم من محكمة العدل الدولية ينص على العكس ، فإن الولايات المتحدة تؤمن بضرورة فتح الممرات المائية امام ملاحة جميع الدول بغير تمييز ، والولايات المتحدة سوف تمارس حقوقها فى الملاحة البريئة فى هذه الممرات ، وتعتبر ان هذا حق لها ولغيرها من الدول ، وسوف تضم جهودها إلى جهود كل القوى الأخرى الراغبة والمستعدة لضمان هذه الحقوق » .

☐

وعلى أرض الواقع ، وبصرف النظر عن الأوراق الحافلة بمذكرات التفاهم ، كان باق الإرادات يمارس حركته ، وفى بعض اللحظات كانت تطورات الحوادث السريعة كاد تحبس الأنفاس :

انسحبت القوات الإسرائيلية من شرق سيناء ، وتقدمت إليها قوات طوارىء الدولية ، ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى وصلت قوات الجيش لصرى ودخلت المنطقة .

وانسحبت القوات الإسرائيلية من قطاع غزة ، وتقدمت إليه قوات الطوارىء دولية ، ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى وصل الى غزة حاكم مصرى عام سؤول عن الإدارة المدنية للقطاع ، ومعه طلائع قوات مصرية .

وفيما بعد أصدرت مصر من جانب واحد إعلانا عن حرية الملاحة فى قناة لسويس ، وكان الإعلان المصرى يمارس حقوق السيادة المصرية فى منع الملاحة لإسرائيلية على أساس قيام حالة الحرب بين مصر وإسرائيل .

وكان « **بن جوريون** » غاضبا ثائرا يتصور أنه خدع وغرر به .

وفى نفس الوقت ، فإن الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » بدا متضايقا ومحرجا يشعر بالضغط عليه من كل أصدقاء إسرائيل فى الكونجرس ، وفى مقدمتهم « ليندون جونسون » الذى واجه « ايزنهاور » فى اجتماع مغلق ـ أشار إليه « ايزنهاور » فى مذكراته ـ قائلا : « إنك ضغطت بشدة على إسرائيل واستعملت معها أسلوبا مزدوجا أدى الى توريطها » .(١٠)

وفى هذا المناخ المفعم بالتوتر والحساسية أصدر « ايزنهاور » توجيها رئاسيا بتاريخ ١٥ مارس ١٩٥٧ ـ جاء فيه مايلى :

« إن الولايات المتحدة لابد لها ان تتأكد من ان قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة مكلفة بالحيلولة دون اى عرقلة للملاحة فى مياه الممرات .

ولابد ان يكون واضحا ان هذه القوات لا تنسحب من مواقعها إلا بإذن من السكرتير العام للأمم المتحدة .

ولابد ان يكون واضحا ان السكرتير العام للأمم المتحدة لايستطيع التصرف بإصدار مثل هذا الإذن إلا بعد الرجوع إلى الجمعية العامة ، لكى تكون امام الأمم المتحدة فسحة وقت كافية لبحث الآثار التى يمكن ان تترتب على مثل هذا الإجراء .

ويتعين على الولايات المتحدة فى مثل هذه الحالة إذا وقعت ان تتشاور مع الدول البحرية صاحبة المصلحة (مثل بريطانيا وفرنسا وهولندا ومجموعة الدول الاسكندنافية) بقصد اتخاذ كل مايلزم لتامين الملاحة فى الممرات .

وفى هذه الحالة ايضا فإنه يصبح من الصعب منع إسرائيل من ممارسة حقها المشروع فى الدفاع عن مصالحها وامنها . »

☐

كان « ايزنهاور » قد شارك فى ممارسة ضغط لاشك فيه على إسرائيل ، لكن دافعه إليه لم يكن راجعا الى حب لمصر أو حرص عليها :

كان من ناحية يخشى أن يتجدد القتال ، وتجد إسرائيل نفسها فيه وحيدة ضد القوة المصرية التى تتزايد إمدادها وحشدها ، وضد المساندة السوفيتية المتشجعة

(١٠) كان انشط هؤلاء الشيوخ فى المطالبة بكافة « حقوق » إسرائيل « ليندون جونسون » زعيم الاقلية الديمقراطية فى مجلس الشيوخ ، وقد روى « آبا ايبان » فى مذكراته ان « جونسون » قال له : « إننا قادرون على تعطيل كل شىء للإدارة فى الكونجرس إذا هم لم يستجيبوا بجد لطلباتكم » . وقد شاءت المقادير ان يكون « جونسون » هو الرئيس الامريكى الجالس فى البيت الابيض اثناء معركة سنة ١٩٦٧ .

برصيد معنوى وسياسى حققته خلال الأزمة ، وفى مواجهة غضب لاشك فيه من الرأى العام العالمى ممثلا فى الأمم المتحدة ، وبشكل لم يسبق له نظير . . .

ثم إن تجدد القتال بين مصر وإسرائيل وحدها (بعد اضطرار بريطانيا وفرنسا إلى الانسحاب) ـ كان كفيلا بتوسيع نطاقه مما يؤدى الى احتمال اشتراك دول عربية أخرى فيه . . .

فإذا اضطرت الولايات المتحدة إلى مساندة إسرائيل ـ وقد تضطر بعهد حمايتها وبضغط أصدقائها فى الكونجرس ـ إذن فإن الولايات المتحدة قد تجد نفسها متورطة فى حرب ضد العرب جميعا تؤثر على مصالحها ، وربما فى حرب عالمية تؤثر على أمنها !

وفى كل الأحوال فإن « ايزنهاور » كان يعتقد ـ بناء على ما لديه من تصورات ! ـ أن الأوضاع فى مصر مهيأة لتغيير ـ فإذا تحقق انسحاب إسرائيل بدأت تفاعلاته من الداخل . وعدم انسحابها هو الذى يمسك بهذه التفاعلات .

والواقع أن مطلبه الحقيقى من إسرائيل كان أن تترك له الفرصة ليتحرك على ساحة واسعة لكى يحقق هدفه ـ وهو نفس هدفها ، وبأسلوبه هو وليس بأسلوبها (وكان ذلك بالضبط هو موضع خلافه مع بريطانيا وفرنسا من قبل إسرائيل) .

وإذن فإنه ضغط من أجل الانسحاب ـ ولدوافعه .

ثم أعطى لإسرائيل تعهدات لم يستطع الوفاء بها سواء فى قناة السويس أو فى سيناء أو فى غزة ، ثم توقف فى الخندق الأخير !

وهكذا فإن السياسة الأمريكية التى لم تستطع أن تفى لإسرائيل بما تعهدت لها به كله ـ تحصنت فى الخندق الأخير ، وهو قضية الملاحة فى خليج العقبة ، وقدمت لإسرائيل من الضمانات الموثقة والمكتوبة ما جعل الخليج فى نهاية الأمر حقل ألغام !

٤

إن الوثائق المصرية عن هذه الفترة لاتحتوى على إجابة كافية لسؤال هام يطرح نفسه إزاء هذه التطورات وهو :

« إلى أى مدى كانت السياسة المصرية على علم بهذا الذى تم بين الولايات المتحدة وإسرائيل بما فى ذلك التعهدات الأمريكية القاطعة بشأن خليج العقبة ؟ »

ومن استقراء ظواهر الحال ، فقد بدا أن السياسة المصرية استقرت على خيار يعطى للملك « سعود » ملك المملكة العربية السعودية مهمة مواصلة بحث هذه القضية مع الإدارة الأمريكية ، وكان هو أكثر المتحمسين لهذا الخيار على أساس عدة اعتبارات :(١١)

□ أولها : أن جزر « صنافير » و « تيران » التى كانت مصر تمارس منها سلطة التعرض للملاحة الإسرائيلية فى الخليج ـ هى جزر سعودية جرى وضعها تحت تصرف مصر بترتيب خاص بين القاهرة والرياض .

□ والثانى : أن خليج العقبة والبحر الأحمر بعده هو طريق الحج الى الأماكن الإسلامية المقدسة التى تتحمل المملكة العربية السعودية مسؤولية حمايتها .

□ والثالث : أن المملكة العربية السعودية تربطها ـ نتيجة لحجم المصالح ـ علاقة خاصة بالولايات المتحدة تسمح لها بأكثر مما هو متاح لغيرها .

وبالفعل فإن الملك « سعود » نشط لهذه المهمة ، فأثارها مع الرئيس « ايزنهاور » أثناء زيارته لواشنطن فى الشهور الأولى من سنة ١٩٥٧ ، ثم عاود الإلحاح برسائله على « ايزنهاور » طوال النصف الأول من هذه السنة .

ولقد بلغ من حماسة الملك « سعود » لهذه المهمة أنه أوفد إلى واشنطن ممثلا خاصا له ، هو السياسى المصرى البارز « عبد الرحمن عزام » (باشا) الذى كان من

(١١) برجاء التكرم بمراجعة الوثائق الخاصة بهذه النقطة فى كتاب ملفات السويس ، وهى فى الملحق الوثائقى لذلك الكتاب تحت رقمى ٢٤٠ و ٢٤١ .

قبل أمينا عاما للجامعة العربية ، ثم أصبح مستشارا خاصا للبلاط الملكى السعودى بعد انتهاء خدمته فى الجامعة العربية .

ويحتوى ملف الشرق الأوسط فى مجموعة أوراق « ايزنهاور » الخاصة المودعة فى المكتبة الخاصة به فى « آبيلين » بولاية « كنساس » - على عدة وثائق لها أهمية خاصة فى شأن الاتصالات التى دارت بين الملك السعودى ، والرئيس الأمريكى عن خليج العقبة .(١٢)

وتكشف هذه الوثائق أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تواجه الملك « سعود » بتعهداتها السرية لإسرائيل ، ولكنها راحت تراوغ بغية كسب الوقت ، وحتى تغطى التطورات المستجدة على إلحاح الملك « سعود » فى قضية خليج العقبة ، أو تفتر حماسته لها فينساها !

ولقد وصل الأمر بـ « ايزنهاور » إلى حد أنه اقترح على الملك « **أن تعرض السعودية قضية خليج العقبة على محكمة العدل الدولية - وعلى ضوء حكمها فى الموضوع نتفاوض بشأن ما يمكن اتخاذه من ترتيبات** » !

وتسترعى الانتباه فى هذه الفترة مذكرة أملاها الرئيس « ايزنهاور » بنفسه وهى محفوظة فى أرشيفه الخاص ، والأرجح أن الذى كتبها أحد مساعديه فى مجلس الأمن القومى ، جاء فيها ما يلى :

« مذكرة بحديث مع الرئيس

قال لى الرئيس إنه تذكر شيئا من حديثه مع الملك سعود عندما كان الملك فى واشنطن ، وبالذات فإن الرئيس تذكر نقطتين :

١ - ان الملك اثار موضوع سلامة الحجاج إذا ما كانت للإسرائيليين حرية استخدام خليج العقبة ، وقد رددت عليه (اى الرئيس) باننى لا اتصور ان إسرائيل يمكن ان تتعرض للحجاج المسالمين المسافرين بالبحر الى مكة .

٢ - ان الملك طلب منى (اى الرئيس) الاتفاق على اسم شخص موثوق به فى السعودية لكى يكون حلقة اتصال لتبادل الرسائل السرية بينى وبينه ....

....

.... »(١٣)

(١٢) ثلاث وثائق من هذه المجموعة منشورة بنصوصها الكاملة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت ارقام (٢) و (٣) و (٤) ، وهى « مذكرة تفاهم » توصل إليها عزام (باشا) مع وزارة الخارجية الأمريكية ، ثم نص خطابين من ايزنهاور إلى سعود .

(١٣) جرى حذف بقية سطور هذه المذكرة لدواعى حماية اسماء الأشخاص حتى عندما تم رفع حظر السرية عن هذه الوثيقة بمقتضى قانون حرية المعلومات .

ولقد كان « ايزنهاور » يعرف منذ الدقيقة الأولى انه لا يواجه الملك « سعود » وإنما يواجه « جمال عبد الناصر » وراءه ، وكانت مشكلته إخراج الملك من القضية برفق لكى يتفرغ بعد ذلك لمواجهة الزعيم المصرى وبغير رفق !

□

فى أثناء ذلك كله لم تكن إسرائيل ساكتة ، كان الغيظ يستبد بها ، وفى نفس الوقت فإن قدرتها على الفعل كانت عاجزة ، والنتيجة الغريزية لهذا التناقض انها راحت تسعى بالدس فى كل مكان ، وذهب السفير الإسرائيلى فى لندن الى مقابلة مع الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية السير « ايفون كيركباتريك » الذى كتب تقريرا عن المقابلة بعث به الى « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانية يحمل رقم ٢٥٨ / ١٠٧٤ ج . أ . - جاء فيه بالنص :

« ١ - اعطانى السفير الإسرائيلى مجموعة تقارير إسرائيلية عن الموقف الداخلى فى مصر .

٢ - بإيجاز شديد ، فإن عبد الناصر انتهز فرصة انسحاب قواتنا وصوره لشعبه على انه نصر عسكرى وسياسى كبير ، وهو يستخدم ذلك لصالحه فى جميع البلاد العربية وبقصد إضعاف مركز اصدقاء الغرب فى المنطقة ، وبينهم نورى باشا (السعيد) .

وكان من رايه انه لابد ان نثبت ان مصر اضطرت الى تقديم بعض التنازلات ، فذلك سوف يضعف مركز عبد الناصر خصوصا وان الوضع الاقتصادى فى مصر اخذ فى التدهور ، والأخطاء والانتقادات فى ازدياد !

٣ - ابدى السفير الإسرائيلى بعض الملاحظات غير الودية عن السياسة الأمريكية ، وقال لى إنه تناول الغداء اخيرا مع السير وليام هيلى (رئيس تحرير جريدة التايمز) الذى رسم له صورة كئيبة عن الاحوال فى امريكا ، فالراى العام فيها غير مطلع على المعلومات ، وهو يندفع وراء عواطفه ولا يلتزم باحكام العقل . وقال لى السفير الإسرائيلى ايضا إن الرئيس ايزنهاور يعيش فى برج عاجى ، وان آثار جروح الحرب الكورية لم تلتئم بعد ، وانه يخشى ان تكون امريكا قد شرعت فى التخلى عن اوروبا واتجهت الى الانعزال .

وكان السفير يشعر بقلق شديد من تقرير اطلعه عليه السفير الإسرائيلى فى واشنطن مؤداه ان نهرو ينوى فى زيارته المقبلة ان يستخدم نفوذه لإعادة العلاقات بين امريكا وعبد الناصر ، وان ذلك من شانه الوقيعة مع حلف الأطلنطى واطرافه الأوروبيين الكبار .

٤ ـ لقد علقت على كلام السفير الإسرائيلي بان الاحتمالات التى اثارها قد تحدث . ولكن الولايات المتحدة سوف تكتشف ـ إذا تركت نهرو يلعب بخيالها ـ ان حلف الأطلنطى قد تبخر بين يوم وليلة ، واصبح روحا بلا جسد مثل جيزيل فى الفصل الثانى من الباليه المشهور .

إمضاء

ا . ك . »

وفى هذا التقرير ، فإن عبارة واحدة لفتت نظر وزير الخارجية « سلوين لويد » وهى العبارة التى وردت فى البند الثانى منه عن « **ضرورة إثبات أن مصر اضطرت إلى تقديم بعض التنازلات** » .

وفى اليوم التالى ، وفى اجتماع لرؤساء الإدارات فى وزارة الخارجية البريطانية ، طرح « سلوين لويد » سؤاله الذى تنبه إليه من تقرير السير « ايفون كيركباتريك » : « كيف يمكن إثبات أن مصر اضطرت الى تقديم بعض التنازلات ؟ » ـ وكانت الإجابة التى توصل إليها البحث هى أن موضوع الملاحة الإسرائيلية فى خليج العقبة هو النقطة المعلقة من آثار معركة السويس ، وأنه إذا فشلت جهود الملك « سعود » فى إقناع الرئيس « ايزنهاور » بحلها على نحو يتلاءم مع المطالب العربية ، فإن مجموعة من الاحتمالات يمكن أن تطرأ ، فإما أن يختلف « سعود » مع « ايزنهاور » وفى هذه الحالة فإن « ايزنهاور » سوف يوجه لومه وغضبه إلى « عبد الناصر » ـ وإما أن يسكت « سعود » عن إلحاحه ، وفى هذه الحالة فسوف يدب الخلاف بينه وبين « عبد الناصر » .

ومن تلك الأيام سنة ١٩٥٧ وحتى معركة سنة ١٩٦٧ ظل موضوع خليج العقبة حجة رئيسية فى الحرب النفسية لإثبات « أن مصر اضطرت الى تقديم بعض التنازلات » ، ولم يقتصر استعمال هذه الحجة على الذين « اكتشفوها » واقترحوها واستعملوها ، وإنما جرت فيما بعد على ألسنة كثيرة !

□

كانت تلك الأيام من بداية سنة ١٩٥٧ نهاية مرحلة ، وبداية أخرى من مراحل الصراع على الشرق الأوسط وفيه .

وكان الستار على المسرح يهتز متأهبا للارتفاع عن مشاهد أخرى شديدة الإثارة .

وكان الأبطال قد تغيروا .

الآن اصبحت الولايات المتحدة هى اللاعب الاساسى نيابة عن الغرب بعد ان افلت شمس الإمبراطوريتين القديمتين .

والآن كانت الولايات المتحدة على اعتقاد بأنها لم تاخذ مطالبها من انتصار السويس ولا استحقاقاتها فى انتصاره ، ولعل قوة تعهداتها لإسرائيل فى شان خليج العقبة كانت تعكس حجم تبرمها بما لم تحصل عليه ، وربما كان فى تفكيرها أنها ستفرضه على شكل ضرائب طالما لم يقدم لها على شكل أرباح .

وارتفع الستار على مشهد جديد .

الفصل الرابع

حالة من الفوران !

١

كانت مصر ذاتها هى المشهد الجديد الذى ارتفع الستار عليه فى بداية المرحلة الجديدة .

كانت لا تزال وفقا لتعبير « نابليون » الشهير : « **أهم بلد فى الدنيا** » **ـ لكن « شيئا ما » كان قد أضيف إليها ، فهى لم تعد كما بقيت لأكثر من ألفى سنة ـ منذ سقوط الإمبراطورية الفرعونية ـ لعبة فى الصراع الدائر على المنطقة وإنما أصبحت طرفا فيه ، بل لعلها أصبحت الطرف الأصيل تجاه القوى الخارجية الطامعة فى السيطرة والهيمنة . ثم إنها لم تعد كما كانت أيام الإمبراطورية راكعة امام فرعون إله ، وإنما أصبحت شعبا موحدا يمسك مصائره فى يديه ويشعر بالثقة فى قدرته على اختيار انتماءاته وولاءاته ، وأهدافه ووسائله .**

صحيح أن مصر بدأت تتنبه منذ عصر « محمد على » الذى حاول تأسيس دولة حديثة فى مصر إلا أن « محمد على » لم يكن مصريا ، وكذلك كان حلمه عثمانيا (أن يصبح خليفة فى استانبول أو صدرا أعظم على الأقل) ، ولعل مصر وشعبها كانا مجرد معابر يمشى عليها عائدا من حيث جاء أكثر قوة وأرفع شأنا وأعلى منزلة . وعندما انتهت أحلامه وانحصرت فى ولاية مصر وحدها ملكته الحسرة فضاع عقله ومات .

ولا يقلل ذلك من شأن « محمد على » فهو شخصية تاريخية تستحق الاحترام ، كما أنه من الصعب الحكم على رجل تاريخى خارج ظروفه وخارج زمانه .

وصحيح أن مصر استيقظت مرة اخرى بالثورة التى قادها « احمد عرابى » فى اواخر القرن التاسع عشر ، والتى تواصلت على نحو او آخر مع الثورة التى قادها « سعد زغلول » فى أوائل القرن العشرين ـ إلا أن هذه الفترة الجياشة انتهت بسيادة سلطة تمثل تحالف الاحتلال البريطانى والقصر الملكى وكبار ملاك الأراضى من المصريين الذين كانوا عماد الأحزاب السياسية التى تولت الحكم رسميا ـ وشكليا ـ بدستور سنة ١٩٢٣ ، وفى ظل هذا الدستور برزت طبقة النصف فى المائة التى كانت تحصل وحدها على خمسين فى المائة من الدخل القومى الذى يتولد من عمل وعناء الملايين من أبناء الشعب المصرى .

وصحيح ايضا ان ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تمردت على هذا التحالف الثلاثى الحاكم والمستغل ـ إلا أن هذه الثورة بدت ظاهرة غير عادية وغير مالوفة ، فقد كان مجيئها من حيث لا تجىء الثورات بالطبيعة ، ومن حيث تجىء الانقلابات بالمغامرات أو بالمؤامرات .

ولقد راحت ثورة سنة ١٩٥٢ تعطى إشارات تومىء إلى جوهر أصيل فيها وذلك عندما فرضت وطبقت الإصلاح الزراعى ، وأعلنت النظام الجمهورى ، واعتمدت برنامجا سريعا للانتاج والخدمات، ثم تمكنت من إنهاء الاحتلال البريطانى والتصدى بعده ـ مع بقية أمتها العربية ـ لمخططات الأحلاف العسكرية الأجنبية ، والإقدام على كسر احتكار السلاح ، والرفض الكامل للصلح مع إسرائيل ، والطموح إلى مشروع عملاق مثل مشروع السد العالى ـ إلا أن هذه الإيماءات كلها مع أصالة جوهرها لم تحقق لها شرعية كاملة .

كانت الشرعية فى ذلك الوقت مرتبطة بالوجود فى السلطة ، وكانت سلطة وطنية بكل قراراتها ـ لكن ذلك لم يكن كافيا كأساس ثابت لشرعية كاملة .

وربما يمكن القول إن شرعية الفترة ما بين يوليو ١٩٥٢ ويوليو ١٩٥٦ ـ كانت شرعية بالقبول والترقب فى نفس الوقت .

قبول بقرارات يوافق عليها الشعب ، وإن لم يشترك فى صنعها .

ثم انتظار لما بعد كل قرار يترقب ما سوف يليه ، وهل يتسق أو يتناقض ؟

وبعد معركة السويس تغيرت الصفة الشرعية للحكم ، كما تغيرت اشياء كثيرة فى مصر ، وفيما حولها وفى العالم .

إن معركة السويس لم تكن معركة قرار ، وإنما كانت معركة إرادة شارك فيها الشعب ، وكان هو الفعل والطاقة ، المحرك والوقود ، فى نفس الوقت .

لقد كان « جمال عبد الناصر » هو الذى اصدر قرار تأميم قناة السويس ـ لكن الذى خاض صراع الإرادات الذى تلاه كان شعبا بأكمله .

وحين انجلى دخان المعركة وبخارها ـ فقد كانت هناك قيادة وشعب فى نفس الساحة ، وفى ذات الخنادق ، وفى هذه اللحظة حققت ثورة ٢٣ يوليو شرعيتها الكاملة إذ تحولت إلى قبول عام يستند إلى عقد اجتماعى وسياسى عمقته التجارب ، وصهرته وصاغته نيران المعركة .

كان حدث ٢٣ يوليو فى بدايته « قوة » من الجيش خرجت استجابة لنداء .

ثم تحولت « القوة » إلى « سلطة » ـ اكتسبت « بعض الشرعية » من قرارات لها معانيها ودلالاتها .

وفى السويس تحولت « السلطة » إلى « شرعية حقيقية وكاملة » لها عقدها الاجتماعى والسياسى مع جماهير منحتها ثقتها بغير تعليق على شرط بين قرار وقرار .

□

خلال عملية التحول من « قوة »[1] إلى « سلطة » ، ومن « سلطة » إلى « شرعية قبول وترقب » ، ومن « شرعية قبول وترقب » إلى « شرعية عقد اجتماعى وسياسى كامل » ـ جرت تحولات واضحة فى تركيب القمة فى مصر .

---

(١) لكى تكون حدود التعبيرات المختلفة واضحة ، فإن هذا الفصل من الكتاب يعتمد التفرقة بين مجموعة من المعانى كالقوة والسلطة والشرعية والقانونية :

● فالقوة تعنى امكانية التاثير على المجتمع مع اختلاف تعدد اسباب هذا التاثير ، ومن ذلك فإن حزبا سياسيا يستطيع ان يكون قوة ، وكذلك تستطيع ان تكون جريدة نافذة التاثير قوة ، بل إن فردا يملك مكانة خاصة فى مجتمعه قوة .

● والسلطة تعنى السيطرة على جهاز الحكم بما له من ادوات وتنظيمات يمكن عن طريقها للقوة السياسية ان تصدر قرارات لها صفة الإلزام فى المجتمع .

● والشرعية ان تكون القوة المسيطرة على السلطة موضع رضا طوعى من المحكومين يقبلون ما يصدر عنها معتقدين ان دوافعه الاساسية هى خدمة مجموعهم حتى وإن لم يتوافق مع فكر او مصالح بعضهم .

● والقانونية هى القواعد والحدود والإجراءات التى تنظم عملية التزام المجتمع بما يصدر من قرارات ، وإلزام افراده إذا لم يلتزموا من ذات انفسهم بوسائل فرض طاعة السلطة ابتداء من القضاء إلى البوليس إلى الجيش .

ومعنى تلك التحديدات كلها انه يمكن تصور قوة بغير سلطة (حزب معارض له قواعد وجماهير مثلا) ـ كما انه يمكن تصور سلطة بغير شرعية (استيلاء بالقسر والغصب على الحكم مثلا) ـ كما انه يمكن تصور قانون يطاع دون ان يكون له سند شرعى (قوانين تصدرها سلطة احتلال اجنبى مثلا) .

فى بداية عملية التحول كانت على القمة السياسية فى مصر مجموعة من الرجال والشباب لم يزيدوا على عشرة أطلق عليهم وقتها وصف « مجلس قيادة الثورة » ـ لكنه كان واضحا منذ اللحظة الأولى أن واحدا بالذات بينهم كان له وضع خاص اشبه بما يصفه التعبير اللاتينى الشهير الذى يصف رجلا بانه « الأول بين متساوين » (Primus inter pares) ، وبالفعل فإنه كان الأول ، وبالفعل فإنه كان بين متساوين يعترفون له بالسبق فى التنظيم (تنظيم « الضباط الأحرار ») وبالقيادة فى هذا التنظيم ورئاسته (اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار) ـ لكن الوصول من مواقع القوة إلى مواقع السلطة كان محتملا ان يؤدى بتمايز الاداء وتحمل المسؤوليات إلى ترتيب آخر . وبالفعل فإن تجربة مرحلة القوة والسلطة كانت بمثابة امتحان إنسانى عسير .

والذى حدث هو أن نتائج هذا الامتحان الإنسانى العسير جاءت ايضا لصالحه فكرا وفعلا .

منذ اللحظة الأولى واجه وحسم فى قضية تبدو لأول وهلة وكأنها خلاف على الفاظ . فلقد كان فهمه لما حدث فجر ٢٣ يوليو أنه : « ثورة » ـ وكان هناك آخرون يتخوفون من المعنى ، ويقلقهم وقع اللفظ فى حد ذاته ، وجرى عرض أوصاف بديلة مثل وصف « الوثبة » و « النهضة » و « الحركة » وغيرها ـ وصمم على رأيه ولم يكن تصميمه تفضيلا للفظ على لفظ ، وإنما كان اعتقادا راسخا بجوهر المضمون المعبا داخل اللفظ .

وكان هو الذى ضبط للتغيير فى توجهات السلطة ـ بوصلته الاجتماعية وزاويته العربية ومحاور حركته الإسلامية ، والإفريقية ـ الآسيوية .

وكان هو الذى أدار حوار جبهة المقاومة وحوار مائدة المفاوضة فى نفس الوقت لتحقيق الجلاء ، وقاد عملية نقل سياسة مصر الخارجية من علاقة ثنائية وحيدة ومقصورة على بريطانيا وحدها ، أو على بريطانيا والولايات المتحدة وحدهما ، إلى علاقات مع العالم كله ، ثم عملية رفض الأمة العربية كلها لسياسة الاحلاف ، ثم عملية كسر احتكار السلاح .

وفى مقدمات المعركة ، فقد كان مشروع السد العالى مطلبه ، وتأميم قناة السويس رده ، وهكذا فإنه حين نشب القتال كانت المسؤولية عليه ، ولقد أدرك عندما رفعت المدافع رؤوسها أن المسؤولية وإن كانت عليه ـ إلا انها حرب الشعب والأمة ، وليست حرب القيادة سواء كانت له او لمجلس الثورة .

وهكذا كانت مهمته الأولى تعبئة إمكانات الشعب والأمة . ولقد توجه

بنداء المقاومة إلى الشارع وتحدث إليه من منبر الأزهر ، ووزع قرابة نصف مليون قطعة سلاح على المواطنين[٢] .

وتقدم تقارير القيادة البريطانية فى بورسعيد شهادات ناصعة على دور الشعب[٣] فى المعركة وتأثيره الكبير على نتائجها[٤] .

وكان هو الذى تولى فى نفس اللحظة مهمة التواصل بين الشعب المقاتل فى مصر ، وبين الأمة المساندة لشعبها المقاتل وراء الحدود ، وحين تم نسف خط أنابيب البترول فى سوريا ، فإن هذا العمل الكبير بنتائجه تحول إلى رمز حى لقدرته على ربط الجسور وفتح الطرق .

□

هكذا حينما توقف القتال ، فإن الرجل « الأول بين متساوين » لم يعد متساويا معهم .

لقد كان الأول بين متساوين من أول الثورة ، وفى الامتحان الإنسانى العسير لتجربة القوة والسلطة فإن مكانته تأكدت وتعززت ، وخلال المعركة فإن التغيير الكمى فى دوره تحول بطريقة كيفية لم يتحسب لها طرف ، ولم يسع لها بالقصد أحد ، والواقع أنها كانت ، بحجم مسؤولياتها ومخاطرها ، أكبر من أى حساب وأخطر من أى قصد .

وهكذا فإنه أصبح فى لحظة النصر « أولا » بغير منازع ، و « أكبر » بغير خلاف ، وحين سطعت الأنوار بعد الإظلام ، فلقد بدا وحده تقريبا فى دائرة الضوء وفى مركزها تماما .

تغيرت قواعد القوة ، ثم تغيرت مواقع الشرعية .

لم يعد مجلس قيادة الثورة هو المجال الذى تهيم حول أجوائه فكرة الشرعية ، وإنما تجسدت الشرعية ـ ولو لفترة من الزمان ـ فى رجل واحد .

ولم يعد الضباط الأحرار هم قاعدة قوة « جمال عبد الناصر » وإنما تغيرت القاعدة ، وتخطت هذا الإطار وتجاوزته .

---

(٢) فى نفس الوقت كان بعض الساسة القدامى من العهد السابق يتصلون ببعضهم ويتاهبون لعقد اتفاق مع الإنجليز تحت شعار « إنقاذ مايمكن إنقاذه » .
(٣) وثائق وزارة الدفاع البريطانية ـ ملف القيادة المشتركة للحلفاء فى حملة السويس .
(٤) وثائق وزارة الدفاع البريطانية ـ ملف القيادة المشتركة للحلفاء فى حملة السويس .

ولم تعد القوات المسلحة هي الموطن الذى نمت وتكونت فيه البؤرة الثورية ، وإنما ذابت البؤرة تماما فى شرعية وطنية وقومية ، غلابة وكاسحة .

ولم يكن هذا النوع من الشرعية اختراعا جديدا فى التاريخ ، وإنما كان ظاهرة رصدها كثيرون من كبار المفكرين فى العلوم السياسية والاجتماعية ، وفى مقدمتهم « ماكس فيبر » الذى فرق بين ثلاثة أنواع من الشرعية ، فرأى أن هناك شرعية تقليدية (مصدرها قبلى أو دينى) ـ وهناك شرعية دستورية قانونية (تجد فرصتها عندما تصل المجتمعات إلى درجة من التوازن بين مصالح الطبقات تسمح بها) ـ ثم إن هناك شرعية ذات طابع خاص بين الاثنتين هى شرعية الرجل الواحد (فى مراحل التحولات الكبرى ، وحين يظهر على المسرح رجل يتمتع بجاذبية وثقة تجعله فى لحظة من اللحظات رمزا لآمال شعب أو أمة ، وقادرا على التعبير عن هذه الآمال والسعى لتحقيقها) .

إن كل تطور عميق ، وكل تغيير كبير ـ هو بمثابة تساؤل تاريخى ، وكل تساؤل لابد له أن يعثر على إجابة لنفسه ، وكان « جمال عبد الناصر » بالتأكيد مطالبا بالرد على هذه المكانة التى تحققت له عند الشعب والأمة ، وسواء كان واعيا أو غير واع بهذا الحوار بينه وبين الظروف المستجدة ـ فإنه أجاب ، أو بمعنى أدق استجاب .

وهكذا فإن إحساسه بالمسؤولية بدأ يتطور ويتغير .

واعيا ـ أو غير واع ـ لم تعد مسؤوليته أمام الضباط الأحرار ، ولا أمام مجلس الثورة ، وإنما أصبح يحس مسؤوليته تجاه الشعب والأمة مباشرة ، فهم الآن قاعدة قوته وسلطته ومصدر شرعيته .

وكان معنى ذلك ببساطة أن هناك الآن عقدا سياسيا واجتماعيا جديدا : دولة يتجدد بناؤها .

وبما أن المعركة كانت ـ وراء ساحات القتال ـ ميدان نضوج وبروز قوى شعبية رفضت منطق « إنقاذ ما يمكن إنقاذه » ـ واندفعت إلى الصمود والمقاومة والتقدم ـ فإن الدولة المتجددة كان لابد لها أن تؤسس نفسها على هذه القوى التى نضجت وبرزت واندفعت ، وعلى مطامحها وآمالها .

ولقد كانت طبيعة « جمال عبد الناصر » تتيح له قبول وتحمل تبعات العقد السياسى والاجتماعى الجديد ، ففى سنوات السلطة السابقة على المعركة ـ كان قد حافظ على معدنه الثورى ، وعلى ولائه الطبقى ، وهكذا فإن توحده

السياسى مع الجماهير اثناء المعركة عززه توحده الاجتماعى مع الجماهير بعدها .

□

يتداعى من هذا الوضع خاطر ملح :

- « هل كان « جمال عبد الناصر » مهيأ لمهمة تجديد بناء دولة تقوم على شرعية مؤسسة على عقد سياسى واجتماعى يختلف عما كان قبله ؟ »

إن هذا الخاطر يستحق شيئا من إطالة النظر .

وبداية - فإن التعليم المنظم الذى تلقاه « جمال عبد الناصر » كان كافيا ، فلقد درس فى الكلية الحربية ، ثم تخرج من كلية أركان الحرب ، وأصبح مدرسا للتاريخ ، ثم مدرسا للاستراتيجية .

يلى ذلك أن التحصيل الثقافى الذى تمكن منه كان هو الآخر كافيا - فقد أتاحت له الدراسة والتدريس بعض الأبواب التى يستطيع بالدخول منها أن يوسع مداركه ، وأن يهتم بقضايا لاتتصل مباشرة بعمله .

يتصل بهذا أن التجربة العملية التى أتيحت له كانت بدورها كافية ، ففى فترة التدريس ، ثم فى فترة الإعداد للثورة ، ثم فى السنوات الأربع ما بين سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٥٦ وهى سنوات القوة والسلطة - تعرف وتمرس على فنون التعامل مع الرجال والظروف .

ومن باب الأمانة والموضوعية ، فإن من الحق أن يضاف إلى هذا كله شهادة يعترف بها أصدقاء « جمال عبد الناصر » وأعداؤه ، وتلك هى أنه كان يملك شهية مفتوحة بغير حدود للمعرفة عن طريق الأوراق والناس والحوادث .

وهناك سؤال يطرح نفسه عن ماهية الاستعداد المطلوب للعمل السياسى ؟

واى إجابة دقيقة عن هذا السؤال سوف تجد أن العمل السياسى عند أرقى درجاته هو الاستعداد لاستيعاب آمال الناس ، والقدرة على التعبير عنها ، والبحث عن الوسائل الممكنة لإدارة مواردهم الإنسانية والعملية لتحقيق تنفيذها .

أى أن السياسة شىء لايتصل بالضرورة بالدرجات العلمية ، ولا بالقدرة على الإبداع الثقافى ، ولا بطول مدة التمرس الإدارى ، وبالطبع فإن تنفيذ مطالب العمل

السياسى يحتاج إلى الثلاثة - لكن الإرادة السياسية هى التى تحدد المطالب أصلا ، وتعبر عنها بمقدار صدق تمثيلها للناس ، وبحكم قدرتها على تعبئة طاقاتهم وراءها .

وعلى طول التاريخ كله ، فإن الساسة وبناة الدول والامبراطوريات لم يكونوا من أعلام الفلسفة أو الفكر ، أو الخبرة الإدارية الطويلة .

وفى العصر الحديث ، فإن الثلاثة الكبار الذين قادوا أكبر صراع خاضته الإنسانية على رأس أكبر إمبراطوريات عرفها التاريخ لم يكونوا من أعلام الفلسفة ، أو أساتذة الفكر ، أو أصحاب الخبرة المتخصصة ، فـ « فرانكلين روزفلت » فى الولايات المتحدة بدأ محاميا ، و « ستالين » فى الاتحاد السوفيتى بدأ عامل صلب ، و « ونستون تشرشل » فى بريطانيا العظمى بدأ صحفيا .

وعند موقع القيادة فى الولايات المتحدة الآن[٥] « رونالد ريجان » (بدأ ممثلا) ، وفى بريطانيا « مارجريت تاتشر » (بدأت كيميائية) ، وفى الاتحاد السوفيتى « ميخائيل جورباتشوف » (بدأ زراعيا) .

ومهما يكن فإنه فى تلك اللحظة الفريدة من حياة مصر كان « جمال عبد الناصر » مهيأ بشواهد التاريخ ، وبحقائق الأمور ، بل وبواقع ما كان لديه فعلا - لمهمة تجديد بناء دولة - بشرعية عقد سياسى واجتماعى جديد .

ولكن كيف ؟ وما العمل ؟

٢

فى التصدى لمهام تجديد بناء الدولة - كانت قضية الانتقال من قواعد القوة والسلطة والشرعية السابقة على المعركة إلى القواعد الجديدة التى صنعتها المعركة - هى أكثر القضايا حساسية ودقة فضلا عن أن خطوط الانتقال كانت متعددة ومتوازية :

من قاعدة مجلس قيادة الثورة إلى دائرة أوسع .

---

(٥) وقت إعداد هذا الكتاب للنشر فى صيف سنة ١٩٨٨ .

من قاعدة تنظيم الضباط الأحرار إلى إطار أكبر .

من قاعدة القوات المسلحة كموطن نشأ فيه التنظيم التأسيسى إلى امتداد الوطن كله .

وبالنسبة لمجلس الثورة ، فقد كان تركيز الشرعية الجديدة فى الرجل الذى لم يعد «أولا بين متساوين» فقط ، وإنما أصبح « أولا على الإطلاق » - قضية معباة بمشاعر إنسانية يمكن فهمها . وبصفة عامة ، فإن عملية الانتقال تمت بقدر كبير من السلاسة واليسر . ومن باب الاحترام للحقيقة والتاريخ ، فإن تلك المجموعة من الرجال والشباب - تصرفت فى ظروف شائكة بكثير جدا من الحرص والوعى . وربما ساعد على ذلك أن سنوات التجربة العملية فى القوة والسلطة أجرت نوعا من الفرز الطبيعى المتفق مع شخصية كل منهم واستعداده ، ورؤيته لنفسه وللحقيقة الموضوعية .

كان أولهم « عبد الحكيم عامر » ، وكان وضعه هو الأكثر تعقيدا ، فقد كان الأقرب شخصيا إلى « جمال عبد الناصر » وكان المسؤول المؤتمن على القوات المسلحة سياسيا وعسكريا - لكن المعركة وظروفها ألقت ظلالا من الشك على قدراته ، فتحت حرارة نيران القتال وبروقه ورعوده اندفع « عبد الحكيم عامر » إلى تبنى نظرية القتال إلى آخر رجل وإلى آخر طلقة فى سيناء ، واختلف معه « جمال عبد الناصر » الذى كان من رأيه الانسحاب من سيناء وتجميع القوات المسلحة غربها لمواجهة العدو الرئيسى المتمثل فى الغزو البريطانى الفرنسى ، فضلا عن أن البقاء فى سيناء أمام خطر إنزال بريطانى فرنسى فى بورسعيد معناه السماح بقطع الجيش المصرى إلى شطرين : شطر فى سيناء معزول عن قواعده ، وشطر على القناة محروم من مقدمته الضاربة . وفى زحام التطورات وحتمية الاستجابة لتغيراتها بحسم ، فإن « جمال عبد الناصر » نحى « عبد الحكيم عامر » جانبا - تقريبا - وراح يقود الجيش - عمليا !

وحين انتهى القتال كان « عبد الحكيم عامر » شبه معتكف فى بيته نصف معترف بخطئه ، ونصف غاضب لكبريائه ، والواقع أن الرجل كانت له ميزات شخصية جذابة - أبرزها قدرته على خلق روح الأسرة فى المناخ الذى يعيش فيه - لكن الجيش كان يحتاج إلى روح الفريق أكثر من حاجته إلى روح الأسرة . وعلى أى حال ، فإن « جمال عبد الناصر » بعد تجربة المعركة تمسك ببقاء « عبد الحكيم عامر » بل ورفع رتبته العسكرية حيث لم يكن هناك داع للترفيع ، وإن كان « جمال عبد الناصر » قد تصور أنه بذلك يعيد لصديقه كامل ثقته بنفسه أملا أن مستقبل الأيام والتجارب كفيل بإتاحة فرصة تعوض وتستكمل .(٦)

(٦) تكفلت التجارب بإثبات العكس ، وكان ذلك واحدا من أكبر أخطاء « جمال عبد الناصر » .

كان هناك اثنان غير « عبد الحكيم عامر » برزا فى مجال العمل التنفيذى « **زكريا محيى الدين** » فى مجال الأمن الذى يعرف للأمن مضمونه الاجتماعى ودور السياسى إلى جانب شخصية قوية ومتوازنة - و « **عبد اللطيف البغدادى** » فى مجال القدرة التنظيمية وكفاءة الإنجاز السريع لما يكلف به من مهام إلى جانب جاذبية إنسانية تمكنه من العمل وسط فريق .

وكان هناك اثنان ظهرا فى مجال العمل الشعبى والجماهيرى : « **حسين الشافعى** » و « **كمال الدين حسين** » وكان لكل منهما مجاله وتأثيره .

ثم كان هناك ثلاثة ابتعدوا عن مجال العمل العام : « **جمال سالم** » (لأسباب شخصية) - و « **حسن ابراهيم** » (اختار أن يتفرغ للأعمال الحرة) - و « **صلاح سالم** » (تحرج موقفه لدواع متعددة ، واختار أن يتجه إلى الصحافة)

وأما التاسع وهو « أنور السادات » فقد توارى فى الظل (ينتظر مستقبلا كان وقتها فى علم الغيب) .(٧)

وعلى هذا النحو فقد كان اندماج مجلس قيادة الثورة فى دائرة الشرعية المستجدة مهمة ممكنة . بقى القادرون على العمل التنفيذى وزدات مسؤولياتهم . وبقى المهيأون للعمل الشعبى والجماهيرى ، وأصبح الحكم عليهم للناس ، وابتعد الذين كان لهم أن يبتعدوا ، وتوارى فى الظل من آثر الظل !

□ ولم تكن قضية تنظيم الضباط الأحرار بهذه الدرجة من السلاسة واليسر ، **فقد** كانت المجموعة أكبر ، وبالطبع أكثر تعرضا لمختلف التأثيرات .

كان بينهم صف على استعداد لتحمل المسؤوليات بجدارة وامتياز ، **ويرمز لهذا** الصف رجال من أمثال « **ثروت عكاشة** » الذى **أثبت أنه أهم وزير للثقافة عرفته** مصر ، و « **مجدى حسنين** » الذى قام بدور ريادى فى سياسة تعمير الصحراء ، و « **وجيه أباظة** » الذى لمع إداريا كمحافظ فى أكثر من موقع - وغيرهم وغيرهم .

وكان هناك آخرون فى هذا الصف تحملوا وحققوا ، وإن لم تقع عليهم الأضواء بشكل مكثف .

لكن هذا الصف كان وراءه صف آخر يختلف تركيبه ومزاجه ، فبعضهم فيه من أول القصة شدهم تنظيم الثورة كمغامرة ، والبعض تملكتهم نوازع السلطة بعد القوة ، وآخرون استطاع المجتمع القديم بمغرياته

(٧) كان « خالد محيى الدين » عضوا مؤسسا فى تنظيم الضباط الأحرار ، وكان من أكثر قادته نشاطا وحيوية وثقافة . وقد قضت الظروف أن يبتعد عن عضوية مجلس الثورة من قبل المعركة بسنتين لخلافات فكرية

أن يجذبهم وانحصر هدفهم فى حياتهم ، فإذا هم يحاولون تغيير الإطار الطبقى الذى عرفوه ليلحقوا أنفسهم بإطار طبقى غيره تصوروه أرقى وأعلى ، وأصبح حال بعضهم أزمة حقيقية فلا هم بقوا على الأرض ، ولا هم اكتسبوا أجنحة للطيران فى الأجواء التى حاولوا التحليق فيها .

وكانت تلك كلها مشاكل فتحت ثغرات إلى مشاكل ، فهؤلاء كان محتما أن يخرجوا من الجيش ضمن سياسة عامة تقررت بالنسبة لكل الضباط الأحرار حتى يتأكد الانضباط فى صفوفه ، وكان هناك ايضا عدد كبير من الضباط تقررت أفضلية تركهم لصفوفه لاعتبارات متعددة بعضها يتعلق بالانضباط ، وفيها ما يتصل بتقدير أن كفاءاتهم قد تكون أنفع خارج الصفوف ، ولأن خروج هؤلاء جميعا لم يكن له أن يبدو للناس ، ولا لهم ، وكأنه نوع من العقاب ـ فقد كان لابد من البحث لهم عن وظائف وأعمال ومهام فى الترتيبات الجديدة بعد المعركة .(٨)

□ وكانت قضية الجيش صعبة . قبل حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كان الجيش شكلا ومظهرا ، وبعد حرب فلسطين فرضت الضرورات تغيير النظرة إليه ، لكن الملك كان يعتبره منطقة نفوذ له ، وبعد الثورة تفككت أواصر الضبط والربط فيه ، فقد علت سلطة شباب الضباط الذين شاركوا فى الثورة وتنازلت سلطة قادتهم الذين كانوا بعيدين عن التنظيم ، فضلا عن أن الصراع بين مجلس قيادة الثورة وبين اللواء « محمد نجيب » كاد يقحم الجيش فى ميادين التحزب ، ثم جاءت صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتى مفاجأة لما ألفه الجيش وتعود عليه من أنواع المعدات ومدارس التدريب ، وبينما الجيش يحاول أقلمة نفسه على الأوضاع الجديدة جاءت المعركة ووقع القتال ، ثم كشفت تجربة النار أن الجيش فى حاجة إلى بناء نفسه بناء حديثا بالغ الجد والصرامة .

ومن ناحية ، فلم يكن هناك شك لدى أحد فى أن الجيش ـ على نحو أو آخر ـ مازال قاعدة القوة الرئيسية للنظام مهما كان من شأن التغييرات التى يمكن أن تطرأ على فكرة الشرعية ـ والجيش كذلك حتى فى أعرق الديمقراطيات ، فهو أهم أدوات السلطة والشرعية ـ لكنه من ناحية أخرى ، فإن الجيش يجب أن يتحول إلى أداة مقاتلة للدفاع عن الوطن الذى هو مهمته الرئيسية .

وربما كان أصعب القرارات فى ذلك الوقت ، هو القرار الذى قضى بأن يتوجه قادة الجيش الجدد إلى الاتحاد السوفيتى لكى يجلسوا على مقاعد الدراسة

(٨) خرج من الجيش إلى وظائف مدنية (سياسية أو إدارية) فى الفترة من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٥٧ حوالى ثلاثمائة وثمانين ضابطا ـ كان بينهم ٤٢ من الأعضاء فى تنظيم الضباط الأحرار .

من جديد ، يتعلمون عقائد القتال المناسبة لنظم أسلحتهم الجديدة لكى يتمكنوا من قيادة قواتهم فى معارك المستقبل . ولقد كان سهلا إرسال بعثات من شباب الضباط لكن هؤلاء حين يعودون كان محتما أن يصطدموا بالرتب الأعلى لاختلاف درجات العلم ، وأيضا لاختلاف عقائد الحرب ـ ولم يكن ذلك مطلوبا .

كل هذه كانت معضلات مطروحة للحل ، وربما كانت الحلول التى عرضت نفسها سليمة ، لكنه عند التنفيذ العملى لهذه الحلول كان الواقع أكثر خشونة ووعورة .

□

كانت المهمة التالية لإعادة ترتيب قواعد القوة والسلطة هى النظر فى أحوال الجهاز الإدارى للدولة ، فالشرعية خصوصا إذا تركزت ـ ولو مؤقتا ـ فى رجل واحد ترتهن بتجدد أهداف المجتمع واتساعها ، ثم بحسن تنفيذها .

وكان جهاز الدولة فى حالة يرثى لها .

لقد أعيدت صياغة جهاز الدولة فى أواخر القرن التاسع عشر بتوجيه وتصميم الاستعمار ، وتعلم هذا الجهاز ضمن ما تعلم عادة الاستعلاء على الناس ، ولعله لم يكن يحتاج فيها إلى علم جديد ، فالاستعلاء الإدارى ميراث فرعونى وسلطانى قديم !

وعندما انتقل الإشراف على جهاز الدولة جزئيا إلى سلطة حكومات الأحزاب الممثلة لكبار الملاك فى مصر ـ تعرض هذا الجهاز الإدارى للدولة إلى حالة تمزق فى الولاءات . فالشعب مغيب ، ولعبة السلطة كر وفر بين السفارة البريطانية والقصر الملكى ومجموعة الأحزاب المتصارعة فيما بينها ، والممثلة لنفس الطبقة اجتماعيا .

ثم لحقت حالة عدم الاستقرار بحالة تمزق الولاء ـ لأن الأحزاب المتصارعة بدأت تختار رجالها فى قلب الجهاز الإدارى ، ثم ينتقل الحكم من حزب إلى حزب ، فإذا بالتغييرات فى هذا الجهاز تتوالى محكومة باعتبارات لا علاقة لها بالأداء .

وكانت النتيجة أن جهاز الدولة فى مصر فقد دوره كمؤسسة .

كثرة التغييرات أزعجت كثيرين من نجومه آثروا الهجرة إلى العمل الاقتصادى ، خصوصا عندما اتسع مجال تأسيس الشركات خلال الحرب العالمية الثانية ، وفى أعقابها .

ثم إن كثرة التغييرات بدورها دفعت إلى السطح بأكثر العناصر استعدادا لأن تطفو على السطح .

كذلك فإن كثرة التغييرات أدت تحت السطح إلى صراعات داخلية فى كل جهاز يتمنى أصحابها بدورهم أن تتاح لهم الفرصة للظهور على السطح ، والسباحة مع التيارات المتشابكة .

هذا الوضع أدى إلى نتائج خطيرة ، أولها أن جهاز الدولة فقد ذاكرته المؤسسية .

وفى تلك الظروف اكتشف « جمال عبد الناصر » واقعة أصابته بدهشة شديدة ، فقد تبين له أن مصر ظلت تدفع لتركيا أصل وفوائد قرض على الجزية التى كانت تقدمها للخلافة العثمانية حتى سنة ١٩٥٥ .

كانت علاقة مصر بالخلافة قد انتهت رسميا من سنة ١٩١٤ بإعلان الحماية البريطانية على مصر ، لكن جهاز الدولة الإدارى ظل يدفع ـ بالعادة ، أو بالنسيان ـ استحقاقات الجزية العثمانية من سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩٥٥ بدون حق وبدون أساس ، وفى هذه الفترة دفعت مصر بالذهب مبلغا مقداره ٢٣١٧٤٩٨٤ جنيها .

وحين طلب « جمال عبد الناصر » مذكرة عن الموضوع جاءه الرد[٩] بأن مصر دفعت فعلا ، ودفعت بغير حق ، وأنها تستطيع مطالبة تركيا بما أخذته وتضيف عليه فوائد بواقع خمسة فى المائة سنويا وهو سعر الفائدة العالمى السائد وقتها ، ثم يكون لها أن تنتظر من تركيا رد المبلغ وفوائده وقد أصبح على هذا الأساس أكثر من سبعين مليون جنيه[١٠] . وكان « جمال عبد الناصر » يدرك فى أعماقه أن تركيا لن ترد شيئا ، ومع ذلك أشار بضرورة المطالبة . ولم تدفع تركيا بالطبع .

وكان ذلك مجرد نموذج !

والحقيقة أن مشكلة الجهاز الإدارى على كل المستويات كانت تسبب أرقا لـ « جمال عبد الناصر » وهو يحاول تجديد بناء الدولة فى تلك الأيام .

ولقد تصور أن إصلاح الأمر ممكن فى بداية الثورة عن طريق تطهير الجهاز الحكومى ، لكن التطهير أثبت أنه مجرد تكرار على نطاق أوسع لما كانت تقوم به الأحزاب من هزات قبل الثورة ، ذلك أن محاولة التطهير تحولت إلى فرصة لعناصر تحاول إزاحة عناصر ، وجماعات تريد أن تطفو على السطح بدلا من جماعات .

(٩) تقرير من وزارة الخارجية برقم ٦/٣٤٢/١١٥

(١٠) بقيمة النقود الآن يصبح هذا المبلغ قرابة ألف مليون دولار !

ولم تكن تلك الأحوال مستغربة على « البيروقراطية » المصرية ـ فهى وريثة الكهنوت المصرى الفرعونى القديم ، فقد تواكبت نشأة البيروقراطية المصرية مع نشأة الزراعة فى مصر ، ثم تعاقبت الدول غازية أو فاتحة ، وكان الجهاز البيروقراطى على استعداد لمسايرتها جميعا واسترضائها واحدة بعد واحدة ، بل كان على استعداد لاستيعاب قوتها وامتصاص طاقتها وجعلها دواما فى حاجة إليه .

وفى بداية الثورة كان الجهاز البيروقراطى ينظر إلى الحكام الجدد من الضباط نظرة حذر واتقاء للشر ، فقد بدت السلطة فى أيديهم بدائية وعنيفة خصوصا وأن مصادر هذه السلطة توحدت وتركزت ، ولم تعد كما كانت من قبل مرنة بحكم تعدد مصادرها (الإنجليز والقصر والأحزاب) .

ومع ذلك، فإن الجهاز البيروقراطى على نحو أو آخر ساورته الشكوك فى قدرة السلطة الجديدة على الاستمرار ، فهؤلاء « الضباط لم يتهيأوا للمقاعد التى جلسوا عليها » ، والنظام الملكى قد تسنح له فرصة ، والأحزاب قد تعثر على فجوة ، والإنجليز قد لا يجلون ، وإذا جلوا فقد يعودون مع استمرار احتكاك النظام الجديد بهم فى المنطقة .

ومع نتيجة المعركة ـ فإن البيروقراطية المصرية بدأت تدرك أن النظام الذى بدأ مع ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والذى راح يعيد صياغة شرعيته فى أواخر سنة ١٩٥٦ ـ باق معها إلى زمان طويل ـ لكن الموروث تظل له الغلبة على المكتسب .

وبطريقة ما فإن البيروقراطية المصرية التقليدية كانت تشعر أن النظام الجديد لايوليها ثقته ، وأنه يخشى على آماله من سراديبها ، كما أنه يتوجس من خبرتها الطويلة فى استيعاب الموجات الوافدة .

ولقد رأته منذ البداية يحاول تجنب طريقها فينشىء مجلسا أعلى للانتاج يتولى تنفيذ المشروعات بعيدا عنها ، ويفعل نفس الشىء فى مجال الخدمات بمجلس أعلى لها أيضا . . . وكانت هذه الثقة المتأرجحة بين قيادة الدولة وجهازها الإدارى ـ ومحاولة الدوران حولها بطرق بديلة أو موازية ـ مشكلة حقيقية !

□

وكان الحل الذى وجده « جمال عبد الناصر » لهذه المشكلة التى بدت له مزمنة ومستعصية هو التوجه إلى الجامعات يضخ منها دما جديدا إلى الجهاز البيروقراطى التقليدى .

تصور « جمال عبد الناصر » ـ وكان التصور صحيحا إلى حد كبير ـ أن الجامعات هى موطن العلم ، فإذا ما أضيفت إلى العلم خبرة التنفيذ مع قليل من الصبر ـ فإن النتائج قد تكون مبشرة . **وفى شهور قليلة من نهايات سنة ١٩٥٦ وبدايات سنة ١٩٥٧ انتقل من الجامعات والمعاهد العليا أكثر من ألف رجل بما لديهم من علم وفكر إلى ساحة العمل التنفيذى .**

كان تصور التوجه إلى الجامعات قد طرح نفسه فى الواقع قبل المعركة بشهور ، وذلك فى الوزارة الأولى التى رأسها « جمال عبد الناصر » بعد انتخابه رئيسا للجمهورية فى يونيو ١٩٥٦ ، وهى الوزارة التى دخلها الدكتور « عزيز صدقى » والدكتور « مصطفى خليل » والمهندس « سيد مرعى » والدكتور « عبد المنعم القيسونى » ـ وعندما طرح هذا التصور ، فقد كان ذلك من باب التجربة ، وبعد المعركة فإن نجاح التجربة ما لبث أن حولها إلى شبه قاعدة .

وهنا أيضا لم تكن المهمة سهلة . فقد كان لابد ـ أولا ـ من إقناع القيادات الجديدة القادمة من الجامعات إلى قمم العمل التنفيذى بفكر الثورة أساسا ، والثورة ليست مجرد إدارة لما هو قائم ، وإنما حلم يسعى لتحقيق ما يجب أن يقوم باستعمال طاقة الجهد الوطنى إلى مداها .

وكان لابد ـ ثانيا ـ من تمكين هذه القيادات الجديدة من فرصة مفتوحة لاختيار مساعديهم ، ونقل فكر الثورة كما فهموه إليهم ، وخلق روح فريق بينهم ، ثم تحريك طموحاتهم فى اتجاه خطة تستطيع ملامسة الحلم .

وكان لابد ـ ثالثا ـ أن تتاح لهذه القيادات الجديدة امكانية دراسة مجالات اختصاصهم للتعرف على كل المتاح إلى نهاياته ، فأسهل الأشياء تعريف المتاح بالاعتماد على تقديرات البيروقراطية القديمة ، وهى بدورها لاتستطيع تخطى الحدود التى عرفتها من قبل ، وإذا حدث ذلك فهو العقم .

كانت تلك مشاكل عملية ، وفى نفس الوقت كانت هناك مشاكل ذاتية ، أو لعلها نفسية .

ذلك أن هؤلاء القادمين الجدد كان يمكن أن يتصادموا مع العسكريين المهاجرين إلى العمل السياسى فى السلطة سواء من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، أو من تنظيم الضباط الأحرار ، فهؤلاء العسكريون يعتبرون أنفسهم أكثر أهلا للثقة ، والقادمون الجدد يعتبرون أنفسهم أكثر استحقاقا بالعلم والخبرة ، وكان تفكير « جمال عبد الناصر » أن تجربة العمل المشترك فى تنفيذ حلم وطنى طموح سوف تحقق مزجا واندماجا

بين الفريقين ، فيصبح اهل الثقة من اهل الخبرة ، ويصبح اهل الخبرة من اهل الثقة[١١] .

كانت هناك مشكلة أخرى محتملة ، وهى ان التنافس قد يقع بين القادمين الجدد وبعضهم خصوصا وأن طبائع الأشياء تحرض صاحب كل اختصاص على أن يتصور بحق او بغير حق ان اختصاصه هو الأولى بالرعاية ، والأحق بالنصيب الأكبر من الموارد .

وبصفة عامة ، فإن النتيجة كانت مقبولة ، وإن كانت بعض المحاذير فيما سبق كله ، قد استحال تفاديها .

□

كانت هناك فجوة أخرى قائمة وهى فجوة الفكر والثقافة .

فالفكر والثقافة دائما طلائع الثورات .

وكان عقل مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وإلى منتصف القرن العشرين يقف حائرا ومترددا أمام تيارين فى الفكر والثقافة :

□ **أولهما** : التيار الدينى بأصوله الراسخة المتمثلة فى الأزهر العتيد .

□ **وثانيهما** : هو التيار الليبرالى الذى ترجم عن أوروبا الغربية ، **ونسى نفسه** عاشقا متيما بما ترجم .

كان التيار الأول مأخوذا بالتراث ، وكان التيار الثانى ماخوذا بالتجديد .

وكان التراث الذى وجده أصحاب التراث هو ما ابقته الأيام بعد العصور المملوكية والعثمانية ـ ولم يكن هذا صالحا للعصور الجديدة المتغيرة . وبنفس المقدار فإن التجديد الذى حصل عليه أصحاب التجديد لم يزد كثيرا عن جهد الترجمة ـ ولم يكن ذلك كافيا للواقع الاقتصادى الاجتماعى . ولم يستطع التياران إيجاد لغة مشتركة بينهما إلا من خلال الاستثناء ، وليس من خلال القاعدة .

---

(١١) كل النظم السياسية فى العالم لها حق الاستعانة « باهل الثقة » من انصارها باعتبارهم الاقدر على فهم سياساتها وتنفيذها . فالرئيس الامريكى مثلا له الحق فور توليه مسؤوليته فى حوالى الفى منصب يستطيع ان يشغلها بتعيينات سياسية ، ويدخل فى هذا الإطار اكثر من ربع السفراء الامريكيين فى عواصم العالم المختلفة ، وبالذات فى العواصم الكبرى مثل لندن وموسكو وبكين وباريس وغيرها .

وأصبح الفكر والثقافة فى مصر خطين متوازيين لايلتقيان إلا فيما ندر .
ومن الحق أن يقال إن الإمام الشيخ « محمد عبده » وجيل الرواد من أمثال « طه حسين » و « أحمد أمين » و « أمين الخولى » قاموا بمحاولات شجاعة للوصل لقيت بعض النجاح فى وقت من الأوقات ، ثم غلبتهم الضغوط من الناحيتين .

ولقد أضيف إلى هذين التيارين ـ شبه تيار ثالث لم يقدر له أن يتقدم كثيرا ، وهو تيار الفكر الماركسى الذى ظهر بعد الحرب العالمية الثانية ، والذى حدث أن هذا التيار كان بعيدا تماما عن التربة الوطنية والقومية ، وقد جاءها غريبا ، وعندما بدا أنه يتخلص من غربته ويتأقلم كانت مصادره ومنابعه نفسها تجف ، والعصور تتجاوزه .

والواقع أن التيارات الثلاثة كلها ـ بما لها وما عليها ـ لعبت دورا هاما فى الحالة الثورية التى سادت مصر قبل الثورة ، لكن هذه التيارات جميعا وقفت أمام الحدث الجديد ـ الباحث عن حلم غير محدد ـ عاجزة ، وقصارى ما كان فى جهدها هو أن تسايره ، أو أن تداريه إلى حد أو آخر . ولم تكن المسايرة أو المداراة هما الدور الصحيح للفكر والثقافة ، فكلاهما كان يتعين عليه أن يقود . ومع ذلك فالقيادة الفكرية والثقافية لا تحدث اصطناعا أو اختلاقا . وهنا ظهرت الفجوة .

ولقد كانت المحاولات لتجسيرها ساذجة فى بعض الأحيان .

سعى بعض الضباط إلى الجامعات ليصبحوا من « الدكاترة » ـ فى نفس الوقت الذى سعى فيه بعض « الدكاترة » إلى مراكز السلطة لكى يصبحوا من « الضباط » .

وتحمس بعضهم يبحث عن عقائديين يلقنونهم ألفاظا مستحدثة عن « الثورة » و « التفاعل الثورى » و « مصالح كل الجماهير » ، إلى آخره .

ثم إن البعض الآخر ممن لم يستطيعوا ـ أو لم يشاءوا ـ تحصنوا وراء المتاريس القديمة يحاربون معاركهم بدرع الدين وسيفه .

وكانت تلك أزمة حقيقية أدت إلى خلط شديد ، وكان واقع الحال فى مصر يساعد عليها ، فالعقل المصرى ينوء تحت ثقل كبير جدا من التراث ، والضمير المصرى ينوء تحت ثقل كبير جدا من التاريخ ـ كل هذا والجغرافيا المصرية فقيرة شحيحة إلى درجة البخل !

ومع ذلك ، فقد كان النظام الثورى مندفعا على طريق التجربة ، وكان الأمل أن الاندفاع ، والاحتكاك بقوى العصر سوف يحقق المعجزة ، كما أن حركة التبادل الحى مع هذه القوى قد تحدث مزيجا من كل النافع فى التراث وفى الجديد وفى الفكر التقدمى والمتقدم فى العالم تكون منها صياغة خلاقة لفكر خصب وثقافة مزدهرة . ولقد كان الفتيل موجودا ، والزيت موجودا ، وقد تجىء من الاحتكاك بالعصر وبحركة التبادل الحى مع قواه شرارة يشع بعدها الضياء وينتشر .

ومن باب الإنصاف ، فإن شيئا من هذا حدث خصوصا فى مجالات الفنون التشكيلية والمسرح والموسيقى ، وربما كان التعبير فى هذه المجالات أسهل ، وربما أيضا ـ من باب العدل ـ أن التعبير فى هذه المجالات كان أبعد عن الصدام مع سلطة بدت فى عجلة من أمرها وجال بخاطرها أن تغيير المجتمعات يستطيع القفز فوق مراحل التطور .

ومع ذلك بدا أن قوة الآمال قد تستدعى قدرة تحقيقها !

□

ولقد اتصلت بذلك قضية أخرى حيوية وهى قضية الديمقراطية ، وكانت هذه القضية شاغل مصر قبل الثورة . ولقد اكتشف « جمال عبد الناصر » ـ خلافا مع تصورات خطرت له قبلها ـ أن الديمقراطية لم تكن نظام مصر قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . صحيح أنه كانت هناك أحزاب متعددة ، لكن هذا التعدد كان فى واقع الأمر يمثل طبقة واحدة هى طبقة كبار الملاك .

فى أيديهم الثروة ، ومعنى ذلك أن فى أيديهم السلطة .

ولقد تغيرت تصوراته عندما أتيح له أن يطل على المجتمع المصرى من الداخل ، ولقد تيقن من أن الأحزاب هى الطلائع السياسية للطبقات ، وبما أن الواقع كان يشير الى أن مصر كانت طبقتين : طبقة من الملاك ، وطبقة من المحرومين ـ إذن فإن الحكم فى مصر فى الواقع كان لحزب واحد يمثل طبقة واحدة تتنازع داخله جماعات متفرقة تنتمى إلى نفس الطبقة .

وإذا كان مطلوبا أن تكون هناك ديمقراطية حقيقية ، فإن هذه الديمقراطية لاتستطيع أن تنمو إلا بنمو طبقات المجتمع كلها بما يسمح بإيجاد توازن بينها تعيش الديمقراطية على حركته وتزدهر بتفاعلاته .

وكانت بعض توجهات الثورة قد أزاحت كثيرا من الامتيازات الطبقية القديمة ، وكان قانون الإصلاح الزراعى اهم هذه الخطوات . ولم يكن الإصلاح الزراعى

اختراعا توصل إليه « جمال عبد الناصر » أو توصلت إليه الثورة ، بل إنه كان مطلبا مكبوتا فى المجتمع المصرى نادى به كثير من المفكرين ، بل وتمناه بعض من تمرسوا بمسؤوليات الحكم والسياسة فى مصر قبل الثورة بكثير .

وفى يوم من الأيام عثر « جمال عبد الناصر » فى ملفات مجلس الوزراء على وثيقة أثارت اهتمامه .

كانت الوثيقة خطابا بخط يد « اسماعيل صدقى » (باشا) الذى تولى رئاسة الوزارة فى مصر اكثر من مرة فى العهد الملكى .

كان الخطاب موجها من رئيس الوزراء « اسماعيل صدقى » (باشا) إلى وزير الشؤون الاجتماعية فى وزارته وهو « عبد الجليل أبو سمرة » (باشا) وكان نص الخطاب كما يلى :

« رياسة مجلس الوزراء[١٢]
فى ١٦ ابريل ١٩٤٦

حضرة صاحب المعالى وزير الشؤون الاجتماعية

إن البحث الذى تقوم به اللجنة العليا لمقاومة الفقر والمرض والجهل يستدعى اول ما يستدعى وضع التشريع الذى ينظم الإصلاح الزراعى ، وهو الإصلاح الذى يشمل اثره ثلاثة ارباع سكان القطر واكثريتهم ممن يرزحون تحت أحمال المرض والفقر والجهل ، وقد قامت صفوة من الباحثين الاجتماعيين واستعرضوا فى الزمن الأخير اوضاع الريف المصرى من الناحية الاقتصادية ، وهى المتصلة بمعظم متاعب الفلاحين ، وانتهوا إلى حصر العلاج فى وسائل قليلة العدد ، ولكنها قوية الأثر تتلخص فيما يأتى :

(١) نشر الملكية الصغيرة التى تحقق حدا ادنى لحياة اسرة ريفية عادية ، والتى تسمح بتكوين طبقة ثابتة من صغار الملاك الزراعيين هى دعامة قوية من دعائم المجتمع .

(٢) حماية الملكيات الصغيرة من التقسيم الذى ينزل بها عن الحد الأدنى اللازم لتحقيق مستوى معيشة مقبول ، ويحول دون استثمارها استثمارا اقتصاديا صالحا ، وهو ما يدعو إلى تحريم التجزئة المترتبة على البيع والإرث .

(٣) تقييد الملكيات الكبيرة ، وله وسائله المعروفة من قصر الأرض الزراعية على من يتعهدها ، ووضع حد اعلى للملكية الواحدة ، وفرض ضريبة تصاعدية على هذه الملكيات الخ .

(٤) تنظيم الإيجار والعمل الزراعى كى يوزع ربح الأرض توزيعا عادلا بين

(١٢) صورة لخطاب صدقى (باشا) فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب صفحة ٧٩٢ تحت رقم ٥ .

المشتركين فى تكوينه ، وينال كل « قسطا من الرزق يسمح بحياة مقبولة . وهذا مما يدعو لوضع سعر للإيجار على اساس سليم . وحد للمساحة . وتعيين للزمن بحيث يشعر المستاجر بما يشبه مزايا الملكية ـ اما حماية العمل الزراعى فهو متشعب الأطراف والنواحى ، ويستدعى اول ما يستدعى الحيلولة دون إشباع مطامع اصحاب العمل بربط الأجور على اساس قانون العرض والطلب الذى كان السبب فى الفاقة المنتشرة بين عمال الريف فى القرى المكتظة بالسكان .

اود ان تعرض هذه المسائل وغيرها مما يتعلق بسكان الريف ومنهم سكان العزب ـ الذين لهم شانهم الخاص من النواحى الصحية والاجتماعية والاقتصادية بل والتعليمية ـ على اللجنة العليا . ولكن بعد ان تنال قسطها من بحث وزارة الشؤون الاجتماعية (وقد كانت بحسب ما علمت محل الدراسة من هذه الوزارة) حتى إذا ما اقرت اللجنة العليا المبادىء الأساسية للإصلاح قامت باقتراح التشريعات التى توفر له التنفيذ ـ واكون سعيدا لو جاءنى من معاليكم مايطمئننى على ان الموضوع حائز لعنايتكم واهتمامكم .

(إمضاء)
اسماعيل صدقى »

والواقع أن « جمال عبد الناصر » اهتم بهذه الوثيقة ، واطلع كثيرين من زملائه عليها ، وهو يقول : « لقد كان انطباعى عن صدقى (باشا) أنه من غلاة الرجعيين ، ومن واجبى أن أراجع نفسى ولا أظلمه » .

والآن كان الإصلاح الزراعى فى تفكير الدولة المتجددة أكبر من مجرد حل لمشاكل الجهل والفقر والمرض ، وإنما كان قاعدة من أهم قواعد التمكين للديمقراطية .

ولقد جاء الفوران الذى صاحب المعركة من أولها إلى آخرها ، ثم جاءت الآمال والطموحات التى أظهرتها حركة الجماهير بعدها لتقنع الجميع بانه لابديل عن مشاركة كل الشعب فى المرحلة المقبلة .

وكان السؤال المعضلة هو : كيف ؟

إن الديمقراطية لاتتحقق بمجرد فوران الجماهير ، لأن الآمال لا تتحقق بمجرد العواطف ، وإنما تتحقق الديمقراطية وتتحقق الآمال المعلقة عليها بتنظيم وإدارة حركة الجماهير .

وكانت الثورة من قبل قد أنشأت تنظيما باسم « هيئة التحرير »[١٣] ، لكن ظروف إنشاء هذا التنظيم كانت دفاعية فى أعقاب اختفاء « الوفد » والصدام مع

(١٣) ٢٣ يناير ١٩٥٣ .

جماعة الإخوان المسلمين . والآن حان الوقت لكى يصبح التنظيم السياسى اداة فعل مستقبلى ، وبدأ التفكير فى تنظيم جديد باسم « الاتحاد القومى » . ولم تكن المهمة سهلة ، فقد كان الطابع الرسمى يفرض منطقه بقوة الواقع على التنظيم الجماهيرى ـ ثم إن شرعية « جمال عبد الناصر » كانت تصل مباشرة إلى الناس وتنقل مباشرة عنهم دون حاجة إلى أسلاك أو قنوات ، وساعدت على ذلك أكثر تكنولوجيا الاتصال (الإذاعة والتليفزيون فيما بعد) ، ثم إن قوة الجهاز الحكومى مع مرحلة التأهب لخطط طموحة فى مجالات التنمية أخذت موقع الصدارة .

ومرة أخرى فإن الشرعية الفوارة التى نضجت وبرزت من تجربة النار ـ بدت قادرة على تخطى الواقع وتجاوز عقباته حتى تتلاحم المواقع والجبهات ـ لكن هذا التلاحم يحتاج وقتا ، كما يحتاج مناخا .

٣

هدف الشرعية الجديدة ـ وهدف جهاز السلطة وجهاز التنفيذ والتنظيم الشعبى إذا قام وراءها ـ هو الهدف الثابت للعمل السياسى على طول الأزمنة والعصور ، وهو هدف تغيير المجتمعات : **إدارة مواردها وتعبئة طاقاتها لصنع غد لها أفضل من يومها ومن أمسها .**

وعندما بدأ « جمال عبد الناصر » مسلحا بشرعيته الجديدة المستمدة بالدرجة الأولى من آمال مستقبلية عبرت عنها حركة الجماهير فى ظروف المعركة ـ فقد استهول بعض ما بدا له ، لم تكن مصر مجرد طبقات أفقية وإنما كانت كتلا رأسية فى نفس الوقت ، وأكبر كتلة فيها لم تكن لها ، وإنما للغرباء عنها !

كان قد واجه استغلال المصرى للمصرى حسب تعبير « مكرم عبيد »[١٤] ـ

(١٤) ابرز سياسى قبطى فى المرحلة الواقعة بين ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ ، وكان سكرتيرا عاما للوفد المصرى ، وتولى وزارة المالية عدة مرات ، وانفصل عن الوفد بتاثير غوايات القصر ، والف حزب الكتلة ، وكان من اذكى الساسة المصريين قبل الثورة ، ومن اكثرهم تقدما فى فكره ، واكثرهم مقدرة على التعبير عن نفسه كتابة وخطابة .

وذلك بقانون الإصلاح الزراعى . كانت ملكية الأرض هى ما رآه فاضحا وقتها وتصرف حياله .

وفيما يتعلق بالسيطرة الأجنبية ، فقد كان الاحتلال العسكرى هو الصورة الفاضحة فيما رآه وواجهه بالمفاوضات وبالحرب . والآن وبعد معركة السويس ، فإنه بدأ يرى صورة أخرى لحقيقة السيطرة لم تكن واضحة بالكامل أمامه من قبل . كان يعرف أن هناك مصالح أجنبية كبيرة فى مصر ، ولكنه لم يتصور حجمها كما كشفت عنه الوقائع ، وكان تأميم قناة السويس هو بداية الكشف الجلى ، ثم جاءت معركة السويس فإذا الحقيقة كلها عارية أمام عينيه .

وبدأ يتصرف بقوة وحزم حتى قبل أن يتوقف إطلاق النار على جبهة القتال .

وراحت أصداء التصرفات التى تترى فى القاهرة تطرق أسماع العاصمة البريطانية ، وتسجلها وثائق الخارجية البريطانية ـ ملفات القسم المصرى .

أولها فى الملفات تقرير يقول :

« سرى
رقم *J.E. 1015 / 77*

لقد عاد المستر ارنست كوبر ، وهو رئيس شركة برايس ، ووترهاوس ، بيت وشركاهم ، وهى شركة محاسبة قانونية فى القاهرة ، وقد قدم تقريرا إلى القسم المصرى جاءت فيه المعلومات التالية :

(ا) لقد استولى المصريون على شركة حلوان بورتلاند للاسمنت ، وهى فرع لشركة تانل سيمنت التى يملكها الدانماركيون ، ولقد طرد المصريون كل الموظفين الاجانب ، واستولوا على الشركة .

(ب) استولى المصريون على شركة ضاحية هليوبوليس (مصر الجديدة) التى تملكها مجموعة مالية بلجيكية ، وقد قاموا بطرد كل مديريها الإنجليز والفرنسيين واليهود ، واظهر المصريون انهم لن يدفعوا تعويضات .

(جـ) استولى المصريون على شركة ترام القاهرة ، وهى مملوكة لمجموعة بلجيكية .

(د) استولى المصريون على ما يقارب ١٢٠ شركة كبيرة يملك الرعايا الأجانب حصصا كبيرة فيها ، وبينها شركة شل للبترول .

(هـ) استولى المصريون على شركة مولارد للشرق الأوسط ليمتد ، وهى شركة بريطانية ، وذلك بوسائل ملتوية ، وهذه الشركة وإن كانت بريطانية فى إدارتها إلا انها هولندية فى ملكيتها .

(و) الغى المصريون ترخيص العمل لثلاث من شركات المحاسبين القانونيين

البريطانيين العاملين فى مصر ، وبينهم شركة برايس ، ووترهاوس ، بيت وشركاهم . ويبدو ان ناصر قد تجاوز حدود الانتقام من المصالح البريطانية ، فهو الآن ينقض على المصالح الفرنسية والهولندية والبلجيكية والدانماركية ، وهو ينتهز فرصة الأزمة لكى يكسر العمود الفقرى للمصالح الغربية فى مصر ، ومن المؤكد انه سيواصل ضرباته ليكسر الطبقة العليا المالكة فى مصر . إن الموقف فى منتهى الفوضى ، وبالتاكيد فإن هناك تاثيرات شيوعية فى الموضوع .

(الإمضاء)
ت . س . تال
٢٦/١١/١٩٥٦ »

وقد أشر وكيل وزارة الخارجية البريطانية بما يلى :

« لابد ان نثير حملة دعائية حول هذا الاستيلاء بالقوة على المصالح الغربية ، ولابد ان نلاحظ ان يكون تركيز الحملة بعيدا عما اصاب الرعايا البريطانيين بحيث ينصب كله على غيرهم من الاجانب ، ولكى لا نكون بمثابة من يعلن عن ضعفه » .

ثم يلحق بالتقرير الأول تقرير ثان :

« سرى

رقم J.E. 1015 / 78

جاء إلى القسم المصرى بوزارة الخارجية اليوم المستر ج . ج . الكسندروف رئيس شركة رالى إخوان فى الإسكندرية ، وهى من اكبر شركات تصدير القطن ، وادلى لنا بالمعلومات التالية :

١ ـ إن كل الشركات الأجنبية التى يعرفها فى الإسكندرية قد تم الاستيلاء عليها بما فى ذلك شركات تصدير القطن ، وشركات التامين ، وشركات الملاحة ، وكافة شركات النشاطات التجارية الأخرى .

٢ ـ إن المصريين الذين دخلوا للاستيلاء على شركته واجهوه بجرد كامل لأصولها ، وقد وجهوا إليه الاتهام بانه هرّب بعض اموالها عن طريق السفارة البريطانية فى القاهرة .

٣ ـ استولى المصريون على شركة باسيلى وشركاه لتجارة الأخشاب ، وهى اكبر الشركات العاملة فى تجارة الأخشاب فى مصر . وصاحب الشركة باسيلى باشا لبنانى الأصل ، والبريطانيون لايملكون فى اسهمها اكثر من ٢٠٠٠ جنيه ، ومع ذلك استولى المصريون على الشركة بالكامل .

٤ ـ يبدو للمستر الكسندروف ان المصريين يستولون على كل ما تصل إليه ايديهم من الأصول الأجنبية فى الشركات الصناعية ، او التجارية ، او المالية التى تصل إليها ايديهم .

٥ ـ يبدو للمستر الكسندروف ان المصريين يريدون لهذه الشركات التى استولوا عليها ان تواصل عملها كالمعتاد . وقد تمكن الإخوة رالى اصحاب الشركة من الاتصال بكل عملائهم فى الخارج ليخطروهم انهم لم يعودوا الآن مسيطرين على فرعهم فى الاسكندرية ، ويطلبون منهم التصرف على هذا الاساس .

(الإمضاء)
ت . س . تال
٢٦/١١/١٩٥٦ »

وما لبث مصدر هذا التقرير الأخير أن أضاف إليه ملحقا :

« سرى

رقم J.E. 1015 / 79

جاء إلى الإدارة المصرية اليوم مرة اخرى المستر الكسندروف ، وادلى بالمعلومات التالية :

١ ـ إن المصريين استولوا على اقطان فى شركته تساوى مليون جنيه ، وقد رفضوا الاعتراف بديون لشركته والتزامات إزاء البنوك بينها نصف مليون جنيه للبنك البلجيكى .

٢ ـ استولى المصريون على بورصة العقود للقطن ، واحتلوا كل بيوت السمسرة العاملة بها .

٣ ـ احتجز المصريون كل الأقطان التى كانت فى طريقها إلى الموانىء المصرية للتصدير للخارج .

٤ ـ سوف يجد حكام مصر الجدد انفسهم فى صدام مع كبار مصدرى القطن المصريين مثل فرغلى باشا الذين سوف يراودهم الخوف عندما يجدون انفسهم بمفردهم مع الوحش الذى دخل عليهم فى السوق .

٥ ـ ادلى الكسندروف ببعض المعلومات السياسية التى سمعها قبل ان يغادر الإسكندرية ، وبينها ان ناصر اطلق النار بنفسه على الماريشال صدقى والأميرال عزت ، وانه القى بعبد الحكيم عامر فى السجن . كما قال لنا تعبيرا عن شعور عامة الشعب المصرى إن احد سائقى التاكسى قال له معلقا على الحوادث : « نحن لا نريد من هؤلاء الضباط شيئا . نريد منكم الثلاثة قروش التى تعطونها لنا كل يوم وهى تكفينا » .

ويحتوى نفس الملف J.E. 1015 بعد ذلك على مجموعة من التقارير المشابهة قدمها المستر فيفيان جونز مدير البورصة الملكية لعقود التأمين ، والمستر ابيتسون مدير بنك أيونيون ، والمستر جون ماكناب رئيس إدارة شركة ايسترن للدخان . وكان

اهم ما اضافه هذا الأخير ان المحلات التجارية لعدد كبير من اليهود المقيمين فى مصر ، وبينها محلات داود عدس وشيكوريل وهانو وشملا واوروز دى بك قد تم الاستيلاء عليها .

□

فى هذه الفترة استرد الشعب المصرى كل ما سلب منه بالنهب المنظم الأول الذى تعرض له فى تاريخه الحديث ، وهو النهب الذى جرى على طول الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر إلى بدايات القرن العشرين ، واسترد أيضا كل ما سلب منه فى حماية الامتيازات الأجنبية التى ظلت تحاصره حتى وقع « مصطفى النحاس » (باشا) اتفاقية إنهاء الامتيازات الأجنبية فى « مونترو » على أن الضرر كان قد وقع ، ففضلا عما تم نزحه من ثروة مصر إلى خارجها ، فإن ما بقى فيها كان معظمه تحت السيطرة الأجنبية فيما عدا ملكية الأرض الزراعية التى كانت قبضة الأجانب قد ارتخت عنها لأسباب كثيرة أهمها أن الريف المصرى بدأ يظهر نوعا من التمرد .

ولقد كانت السيطرة الأجنبية على القطاع الصناعى والتجارى والمالى وقطاع المقاولات شبه محكمة ، وإذا اتخذت عضوية مجالس إدارة الشركات مقياسا للاستدلال ، فقد كان نصف مقاعد مجالس إدارة الشركات للأجانب ، وكان الربع للجماعة التى أطلق عليها وصف « المتمصرين » ، وأما الربع الباقى فقد كان متاحا للمصريين ومعظمهم من الباشوات الذين يتصدرون المجالس شكلا دون أن تكون لهم علاقة بأعمالها موضوعا . وبالطبع فإن الهياكل الإدارية العليا لكل هذه الشركات (وبينها البنوك ، وشركات التأمين والملاحة ، وتجارة الصادرات ـ خصوصا القطن ـ والواردات على اختلاف أنواعها ، والمشروعات الإنشائية الكبرى كضاحية مصر الجديدة ، ومصانع الأسمنت والسكر والزيوت والصابون ، واستخراج البترول وتكريره ، وتوليد الكهرباء وبيعها فى القاهرة والإسكندرية ، وشركات الفنادق الكبرى إلخ إلخ) ـ كانت كلها حكرا على الأجانب .

وحين يتطلع أى دارس الآن إلى هذه الفترة يتأملها فقد يستطيع أن يتوصل إلى الاستنتاج بأن تطورات المسائل كانت ترتيبا منطقيا تمهد مقدماتها لنتائجها خطوة بعد خطوة ، بمعنى أن جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس ـ قاعدة السيطرة العسكرية ـ كان مؤكدا أن يؤدى منطقيا إلى تأميم شركة قناة السويس ، ثم إن تأميم شركة قناة السويس ـ وهى قلعة السيطرة الاقتصادية ـ كان يجب أن يؤدى منطقيا بدوره إلى استرداد بقية المصالح المنهوبة التى تغطى معظم مناحى النشاط والحياة فى مصر . لكن المنطق بأثر رجعى سهل ، وأما وقتها فإن تلاحق التطورات لم يكن سريعا

فحسب وإنما كان محفوفا بالمخاطر ايضا ، وفى اقل القليل فإنه كان يحتاج إلى اعصاب من حديد .

على أن هذه التطورات المتلاحقة السريعة والخطيرة فى نفس الوقت ـ ترتبت عليها نتائج أكثرها إيجابى لكن بعضها كان سلبيا .

على الجانب الإيجابى ، فإن نجاح المصريين فى إدارة قناة السويس صاحبه نجاح لا يقل عنه اهمية فى إدارة معظم المصالح التى تم استردادها من مخالب النهب ، وامكن فى معظم الأحيان لعملية الانتقال من الإدارة الاجنبية إلى الإدارة المصرية ان تتم بنجاح . ولقد كانت هذه المصالح على اى حال هى الركيزة الأساسية لقيام القطاع العام الذى لايزال حتى هذه اللحظة اهم قوى الانتاج فى مصر .

أما النتائج السلبية ، فقد كان ظهورها بذورا مبكرة لمشاكل سوف تنمو فيما بعد وتتفاقم .

● كانت أولى هذه النتائج السلبية ان الراسمالية المصرية الوليدة حاولت ان تشترى بعض المصالح الأجنبية المستردة ، ومن ذلك ان « أحمد عبود » (باشا) وهو اغنى رجل فى مصر قبل الثورة حاول ان يشترى شركة الفنادق المصرية ، وكانت مملوكة للبلجيك قبل استردادها ـ ولقد رفض طلبه بعد فترة من التفكير والتردد . وكان منطق « جمال عبد الناصر » فى الرفض انه إذا اشترى « عبود » (باشا) شركة الفنادق المصرية ـ إذن فإن آخرين غيره سوف يتقدمون لشراء شركات اخرى . والمستعدون لشراء هذه الشركات سوف يكونون مثل « عبود » (باشا) من الأغنياء ـ وإذن فمعنى ذلك ان كل ما تم من إجراءات سوف يؤدى إلى جعل الأغنياء المصريين اكثر غنى ، وبالتالى تجعل الفقراء اشد فقرا ، وليس هذا هو المقصود من استرداد المصالح الأجنبية المنهوبة .

ونتيجة لرفض طلب « عبود » (باشا) فإن الرأسمالية المصرية الوليدة بدأت تتوجس خيفة ، فلقد فهمت بوضوح أن توسعها ليس مطلوبا ، وإذا كان الأمر كذلك فإن حصر نشاطها وارد !

● نتيجة اخرى سلبية هى انه باسترداد هذه المصالح الأجنبية كلها ، فإن مصر شهدت عملية خروج للأجانب على نطاق واسع منها ، والحقيقة انه فى تلك الظروف خلت فجاة قرابة عشرة آلاف وظيفة من



رفض عبد الناصر عرض احمد عبود (باشا) لشراء بعض الشركات الأجنبية المستردة ، لان ذلك سيجعل الاغنياء اكثر غنى ، والفقراء اشد فقرا ، وليس ذلك هو المقصود من استعادة المشروعات المنهوبة . فى الصورة عبود يتحدث إلى عبد الناصر ، وبجواره محمد نجيب .

وظائف الإدارة العليا فى الشركات من جميع الأنواع ، وأدى ذلك إلى طرح مشكلة عويصة .

كان ضروريا أن يحل مديرون من المصريين بدلا من المديرين الأجانب ، وكان السؤال : كيف يمكن اختيارهم ، وما هى المقاييس ؟

إضافة إلى ذلك ، فقد كان لابد من تقرير مرتبات ومكافآت المديرين المصريين الجدد - وكان السؤال : هل يحصلون على مرتبات من كانوا قبلهم فى وظائفهم أو تخفض المرتبات والمكافآت ، وعلى أى أساس ؟

وكانت القضية ملحة وعاجلة ، والقيادة السياسية العليا للعمل الوطنى فى شغل عنها بذيول القتال المسلح ، والمعارك السياسية الزاحفة فى أثره - وجرى البت على عجل .

وفى ظرف شهور معدودة تقدم آلاف من العسكريين والمدنيين إلى مناصب ومواقع كانت فى انتظارهم ، وحدث خلط حين فهم بعض هؤلاء أنهم فى مناصبهم ومواقعهم الجديدة بحكم الاستحقاق ، وليس بحكم التكليف بمهمة اجتماعية ، وساعد على هذا الخلط أنهم حصلوا على نفس المرتبات والمكافآت التى كانت مخصصة من قبل لمناصبهم ووظائفهم ، وكانت الدعوى أنه ليس من العدل تخفيض مخصصات العمل لمجرد أن شاغله أصبح مصريا !

● نتيجة سلبية أخرى ، وهى أنه بسبب نزوح هذا العدد الهائل من الأجانب عن مصر - فإن المساكن ، بعد المناصب والوظائف - أصبحت خالية ، وكانت هذه المساكن بالطبع فى أرقى أحياء القاهرة . وهكذا فإن التقدم إلى المناصب والمواقع ، ما لبث أن تبعه زحف منظم على المساكن أيضا .

ولقد حدث فى كثير من الأحيان أن الصعود الاجتماعى الجديد ، بالوظيفة والسكن ، تزامن مع صعود مناسب له فى الحالة العائلية ، وكان فى ذلك كله ما يدعو إلى التطير !

وهكذا فإنه من المفارقات الغريبة أن لحظة ثورية فريدة فى تاريخ مصر شهدت البذور الأولى لظهور « طبقة جديدة » - كان مقدرا لها فيما بعد أن تقوم بدور بالغ الضرر على الثورة خصوصا وأن هذا الدور وقعت ممارسته من داخلها ، وأحيانا بنفوذها وهيبتها .

إن مثل هذه الظواهر حدثت فى كل الثورات ابتداء من الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية وحتى الثورة السوفيتية وغيرها من الثورات ، وإن كان المفروض أن اللاحقين يتعلمون من دروس التاريخ السابقة . والواقع أن « جمال عبد الناصر » ما لبث أن تنبه إلى نمو طبقة جديدة ، وحاول بالفعل تصفية مشكلتها لكنه حين فعل كانت الامتيازات الجديدة قد عمقت آثارها ، والنتيجة أن الذين دفعتهم الثورة إلى عوالمهم الجديدة لم يكونوا على استعداد للتنازل ، وإنما كان استعدادهم أقرب إلى تغيير ولاءاتهم !

ومهما يكن ، فإنه فى ظروف الفوران التى كانت مصر تعيشها فى تلك الأيام بدت هذه المشكلة محصورة ، وبدا حلها سهلا - ولم يكن ذلك صحيحا !

٤

وعندما يعيش شعب أو أمة فى حالة الفوران ـ فإن هذه الحالة يمكن أن تكون بشائر فرصة ، كما أنها فى نفس الوقت يمكن أن تكون نذر قلق . فحالة الفوران فى حد ذاتها حالة سيولة ، والفرصة فيها أن الشعب ـ أو الأمة ـ يكون فى مزاج يتمكن معه من أن يعيد صياغة أفكاره وقيمه ، وعلى الجانب الآخر ، فإن حالة الفوران يمكن أن تصل إلى داعى القلق ، فالسيولة يمكن أن تتحول إلى فوضى يتفكك معها التماسك الوطنى ، وتتأثر وحدة قواه .

ولقد كان مجمل التطورات العسكرية والسياسية ، الاقتصادية والاجتماعية ، وما صاحبها جميعا من مشاعر وآمال وتطلعات ـ أن مصر فى حالة فوران ، حالة سيولة .

وكانت إحدى المهام الأساسية للشرعية الجديدة فى تلك الأوقات هى تعظيم امكانيات الفرصة التى تلوح بشائرها ، والتقليل من دواعى القلق الذى تلوح دواعيه .

وعلى المستوى السياسى ، فإن قوة الشرعية الجديدة بدت غير قابلة للتحدى ثم إن الساحة بدت مفرغة من غيرها ، فالأحزاب القديمة ذابت تقريبا ، ثم إن الجماعات التى رفعت رأسها منتهزة فرصة الغزو « **لإنقاذ مايمكن إنقاذه** » ما لبثت أن خفضت رؤوسها خصوصا حين جاءتها الحوادث بعكس ما توقعته ، فقد خرج النظام الثورى من معركة النار قويا ومتمكنا !

وعلى المستوى الاجتماعى ، فإن الطبقات المسيطرة بدت أضعف من أن تكون تحديا حقيقيا للنظام على الأقل فى المرحلة الراهنة . ومع رحيل عناصر السيطرة الاقتصادية الأجنبية ، فإن شريكها المصرى الأصغر والأضعف كان فى شغل بمخاوفه الداخلية عن أى مواجهة لنظام بدا فى عنفوان قوته .

وعلى المستوى العملى ، فإن الثغرات التى نشأت عن التحولات الكبرى فى قواعد القوة والسلطة وأجهزة الدولة والحكم ـ وحتى بوادر ظهور طبقة جديدة ـ لم تكن تشكل فى ذلك الوقت مخاطر يمكن أن يكون لها شأن يذكر .

وكان « جمال عبد الناصر » يؤمن أن حالة الفوران التى صنعتها ظروف المعركة لابد ان تصل بتفاعلاتها إلى تحقيق تماسك اكبر فى الوحدة الوطنية ،

فهذه الوحدة الوطنية هى أول الضرورات المطلوبة لتحقيق التقدم والحرية والعدل التى هى المطلب الدائم للشعب المصرى ، ومن ناحية اخرى فإن هذه الوحدة الوطنية هى الدرع المطلوبة لصد كل محاولات التدخل الخارجى . وقد كان ثابتا فى يقينه بأن القوى المعادية التى حاولت بالغزو الخارجى لن تكف عن المحاولة ، وسوف تتجه إلى الغزو الداخلى بديلا عن الغزو العسكرى .

وكان « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكية يطرح بالفعل شعار « **الغزو من الداخل** » ، وفى مواجهة هذا النوع من الخطر ، فإن الوحدة الوطنية هى خط الدفاع الأول عن كل مكتسبات النصر وجوائزه .

ويسجل محضر لمجلس الوزراء عقد برياسة « جمال عبد الناصر » فى ٥ فبراير ١٩٥٧ ـ وهو اجتماع بدأ فى الخامسة بعد الظهر ، واستمر إلى منتصف الليل ـ قوله بالحرف :

« لابد ان نتنبه إلى ان هناك الآن حملة مضادة موجهة إلينا تركز على تخويف الناس ، وهدفها هو ضرب الوحدة الوطنية .

وانا طلبت ان توزع عليكم تقارير عن الاستماع السياسى لما تقوله الإذاعات العلنية للدول المعادية سواء من محطات إذاعاتها العلنية ، او من محطات الإذاعة السرية التى تمولها .

نناقش هذا الموضوع فى الجلسة القادمة بعد ان تكونوا اطلعتم على هذه التقارير ، وإن كنت اود ان اقول لكم بعض الملاحظات تاخذونها فى اعتباركم وانتم تطلعون على هذه التقارير .

□ اولا ـ هناك تركيز على وصفنا بالشيوعية ، وطبعا هم يستغلون حقيقة ان سلاحنا الذى حاربنا به والذى يجىء إلينا الآن لاستعواض خسائرنا فى المعركة هو باكمله من الكتلة الشرقية . وطبعا يستغلون ايضا مساندة الاتحاد السوفيتى لنا .

□ وثانيا ـ تلاحظون انهم يحاولون وصف مركزنا فى العالم العربى على اساس انها إمبراطورية فرعونية جديدة يبنيها جمال عبد الناصر لحساب نفسه .

□ وثالثا ـ وهذه نقطة مهمة ، فهم بالجمع بين الشيوعية والفرعونية يحاولون التشكيك فى عقيدتنا الإسلامية . إذا كنا فراعنة فنحن عبدة اصنام ، وإذا اصبحنا شيوعيين فنحن ملحدين . هذا نوع من الحملات لابد ان ناخذه جدا .

□ ورابعا ـ فانا لاحظت ان بعض الإذاعات خصوصا الموجهة من فرنسا تخاطب إخواننا الأقباط ، وتحاول ان تستدل من اناشيد المعركة ، مثل نشيد الله اكبر ، على اننا ناس متعصبين واننا قاتلنا فى المعركة بالدروشة .

كلها كما ترون « نغمات » تؤدى إلى النيل من الوحدة الوطنية . وهذه مسالة لا تنفع فى علاجها اوامر او قوانين ، وإنما هى مسالة يعالجها العمل السياسى . ولا بد لنا جميعا ان نفهم ان واجب العمل السياسى هو خلق وتعميق التفاهم بين قوى المجتمع . لان قوى المجتمع إذا تصادمت مع بعضها لجات فئات منها إلى الاتصال بدول او جهات اجنبية ، وهذا يسهل الاختراق فى الداخل ويفتح له الباب .

وانا لست من انصار ان نستهين الآن بشىء وإلا اخطانا فى حق البلد وحق الثورة انا اعرف ان انتصارنا فى المعركة اعطانا جميعا ثقة زائدة فى انفسنا ، واصبحنا نتصور اننا نستطيع ان نواجه اى تحد ، وانا احذر من هذه الثقة الزائدة بالنفس . انا اوافق على الثقة بالنفس فهذا ضرورى . ولكن الثقة الزائدة غرور « يودى فى داهية » ! »

□

وفى الوقت الذى كان فيه « جمال عبد الناصر » يتحدث الى مجلس الوزراء بهذه المخاوف التى ساورته ـ كانت هناك بالفعل عناصر مصرية تتصل بجهات ودول اجنبية . وكان بعض هذه العناصر بلا قيمة تذكر ، إلا ان بعضها الآخر كان يمكن أن يكون مصدر أخطار محتملة .

□ فى هذه الفترة مثلا تمكن « أحمد عبود » (باشا) من ترتيب لقاء مع أحد أصدقاء الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » .

وفى الملف الخاص بمصر فى محفوظات البيت الأبيض الأمريكى لسنة ١٩٥٧ وثيقة سرية تحتوى على ملخص لما دار فى هذا اللقاء ، وهى عبارة عن ورقة تحمل عنوان « مذكرة عن محادثة تليفونية[١٥] بين الرئيس ووزير الخارجية » ، والظاهر أن « ايزنهاور » بعد أن سمع من صديقه عن مقابلته لـ « عبود » (باشا) اتصل من مكتبه فى البيت الأبيض بوزير الخارجية « جون فوستر دالاس » الذى كان فى مكتبه بوزارة الخارجية بنيويورك ، وتحدث معه فى عدد من الموضوعات ، وبينها حديث صديقه مع « عبود » (باشا) .

والملاحظ ان الوثيقة لا يظهر فيها تاريخ يوم محدد بالذات ، وإن كانت تحمل إشارة إلى التوقيت الذى جرت فيه المكالمة ، وهو الساعة الخامسة وعشرون دقيقة بعد الظهر :

(١٥) تسجل كتابة كل لقاءات رؤساء الجمهورية فى الولايات المتحدة . وكل ملاحظاتهم إلى مساعديهم ، وكل محادثاتهم التليفونية ـ لكى تكون الملفات كاملة .

« سال الرئيس وزير الخارجية عما إذا كان قد سمع عن مصرى اسمه عبود (باشا) وهو رجل اعمال نشيط فى مجال الملاحة البحرية وصناعة السماد . وقال الوزير إنه سمع عنه ، وقال الرئيس إن عبود (باشا) كان هنا وقابل صديقه . . . (اسم الصديق محذوف من الوثيقة) وقدم إليه تقريرا عن الأحوال فى مصر ، ويظهر ان عبود كان يتصور ان فى إمكانه مقابلته (اى الرئيس) او وزير الخارجية . إن عبود يقول : إنه التقى بناصر قبل سفره من مصر ، وإنه يريد ان يكون صديقا لنا إذا كانت هذه الصداقة لا تؤدى إلى إهانة له ، وإن ناصر على استعداد للقطيعة مع الاتحاد السوفيتى إذا نحن ساعدناه ، وهو قلق من علاقاته مع الاتحاد السوفيتى . ويظهر ان موقف ناصر سىء للغاية ، وان علينا ان نقرر إذا كنا نريد ناصر او ننوى ان نتخلص منه . وقال : إن ناصر اضطهده شخصيا لعدة سنوات ، واستولى على بعض مصانعه ، وكان شرسا للغاية فى معاملته لكنه الآن يبدى بعض النوايا الطيبة . ويظهر ان عبود معجب جدا بالانجليز ، ولكنه يكره الفرنسيين ، ويعتقد اننا وحدنا نستطيع ان نقوم بدور كبير . وسال الرئيس وزير الخارجية عما إذا كان يريد مقابلة عبود بنفسه ليسمع منه مزيدا من التفاصيل عن الأوضاع فى مصر إذا كان لديه الوقت . »

لم يكن اتصال « عبود » (باشا) بصديق « ايزنهاور » عدائيا ، ولكنه فى نفس الوقت كان من النوع المبطن بالإيماءات التى يمكن تفسيرها على هوى سامعها !

فى نفس الوقت كان الأستاذ « محمود ابو الفتح »[١٦] وبقية أشقائه يتحركون لحساب فرنسا بالدرجة الأولى الآن . قبل أن تبدأ المعارك حاولوا إلصاق انفسهم بالإنجليز متصورين أنهم الطرف الأرجح فى التواطؤ الثلاثى ، لكن بريطانيا كان لديها آخرون غير إخوان « أبو الفتح » وبدت غير مهتمة بهم .

وتقدم الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية صورة حية لمحاولات « محمود أبو الفتح » مع بريطانيا ، وقد بلغت قمتها فى عريضة قدمها « محمود أبو الفتح » باسم « لجنة مصر الحرة » إلى رئيس الوزراء البريطانى « أنتونى أيدن » وهى تحمل رقم ٣١١ ـ ١١٨٨٣٢ ـ ١١٧٣٦٤ .

ويلاحظ أن العريضة الموجهة إلى رئيس الوزراء البريطانى قدمت إليه فى السفارة البريطانية فى واشنطن ، وكان « ايدن » فى زيارة رسمية وقتها ـ بداية سنة ١٩٥٦ ـ للولايات المتحدة الأمريكية ـ وقد جاء فى العريضة ما يلى :

(١٦) صحفى مشهور بدا فى « الاهرام » وشارك فى تاسيس جريدة المصرى ، وانفرد بملكيتها فيما بعد ، وانتقل من الصحافة إلى الأعمال ، وكون ثروة كبيرة من تجارة الورق فى ظروف الحرب العالمية ، واصبح من اصحاب الملايين . وقادته مصالحه إلى ان اصبح احد ادوات مخطط العدوان البريطانى الفرنسى الإسرائيلى (رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس صفحة ٢٩٨) .

« إن كتاب هذه الرسالة طلبوا من احد اصدقائهم في شهر يونيو الماضي ان يقدموا إليكم معلومات وخلفيات عن الديكتاتورية العسكرية الشيوعية التي تحكم مصر ، ومنذ ذلك الوقت فإن الخطر الشيوعي على مصر زاد وتجاوز كل الحدود ، وهكذا فإننا نجد انفسنا امام واجب الكتابة إليكم مرة اخرى حول هذا الموضوع . إن في مصر الآن حكومة بوليسية كاملة ، وإن الغرب يمكن ان يواجه في هذا البلد الهام بموقف معقد مثل الذي نشأ في جواتيمالا . ولما كانت مصر تمارس نفوذا كبيرا في المنطقة المحيطة بها فإن الخطر الشيوعي من مصر يمكن ان يمتد الى ما حولها ، مما يهدد مصالح الغرب الحيوية في المنطقة . »

ثم مضت عريضة « محمود أبو الفتح » الى « ايدن » بعد ذلك فامتدت إلى حجم ثماني صفحات ، ثم انتهت بالعبارة التالي نصها :

« إن بريطانيا والولايات المتحدة تصرفان الآن ملايين الدولارات للحصول على صداقات هشة في المنطقة ، ومع ذلك فإن الولايات المتحدة وبريطانيا تستطيعان بجزء بسيط من هذه الأموال ان تساعدا اصدقاءهما على خلق اداة كفء ، وقادرة للدعاية التي يمكن ان تحمي مصالحهما في المنطقة » .

ثم جاء توقيع « أبو الفتح » بخطه على هـــذه الخاتمة الملتوية والمهينة .(١٧)

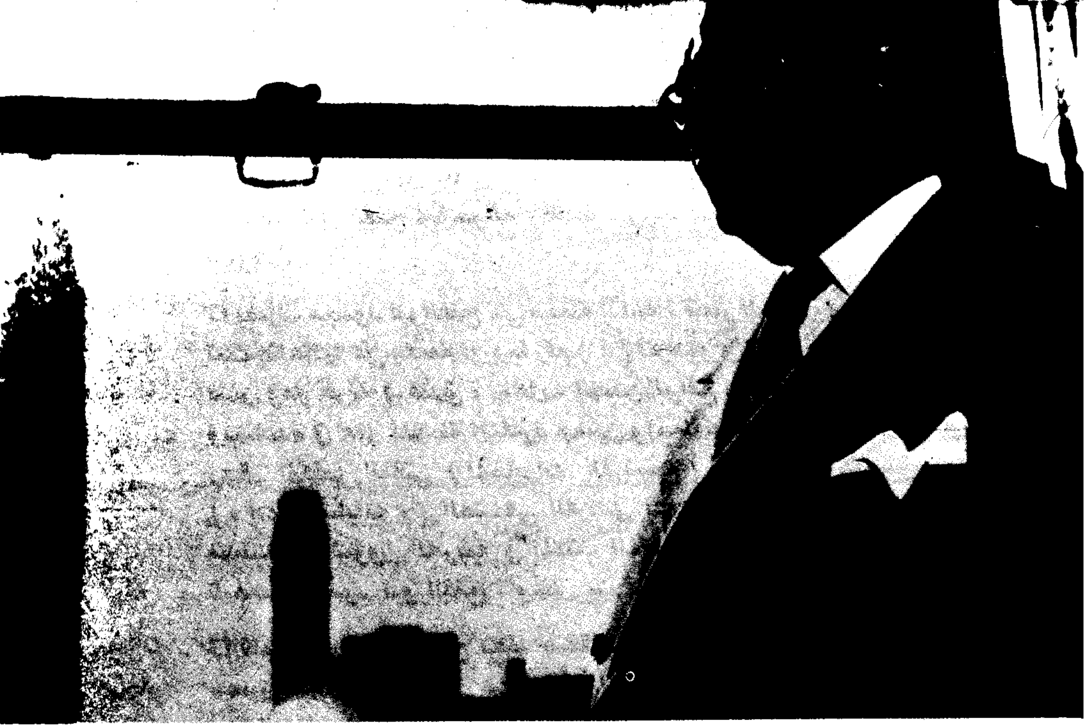
والغريب ان تأشيرة وكيل وزارة الخارجية الذى احال إليه مكتب رئيس الوزراء عريضة « محمود ابو الفتح » ـ جاءت لتوصى برفض طلباته باعتباره شخصا غير موثوق فيه .

وعندما يئس « محمود ابو الفتح » من بريطانيا باع نفسه بالكامل للمخابرات الفرنسية . ويشير تقرير سرى للمخابرات المصرية إلى معلومات حصل عليها احد « المندوبين » المكلفين بمتابعة نشاط إخوان « أبو الفتح » وقد تمكن من الاتصال بهم جميعا ونفذ إلى دوائرهم ـ وجاء في تقريره مايلي :

« ـ تتركز اتصالات محمود ابو الفتح الآن في الـ D.S.T. الفرنسية Département de Services Territoires ، وهو مستشارهم في شؤون الشرق الأوسط ، ويحمل

(١٧) نشرت النص الكامل لهذه الوثيقة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم ٦ ، وقد دفعني إلى ذلك في الواقع ان نصوص هذه الوثيقة تحمل صورة كاملة لفكر وحركة ما كان يسمى بالمعارضة المصرية في الخارج ، والتي كان لها اصدقاء في الداخل ، والتي عادت الآن إلى ممارسة دورها في مصر معتمدة على ضعف ذاكرة الناس ، وعادت لترددها نفس الكلام القديم باسلوب مختلف وفي ظروف متغيرة !

ومن سوء الحظ ان هذا النوع من الناس تكررت نماذجه بين الصحفيين من ذلك الجيل (راجع كتاب « بين الصحافة والسياسة » لمحمد حسنين هيكل) .



محمود أبو الفتح : أوصت تأشيرة وكيل الخارجية البريطانية برفض طلبه بمساعدة اصدقاء امريكا وإنجلترا « على خلق اداة كفء وقادرة للدعاية يمكن ان تحمي مصالحهما في المنطقة » . ومن ثم توجه أبو الفتح للمخابرات الفرنسية ، وعقد صفقات تجارية مع إسرائيل .

جواز سفر وتحقيق شخصية Titre de Voyage et d'Identitée صالحا لجميع البلاد لمدة خمس سنوات ، وهو جواز سفر فرنسي تمنحه فرنسا للأجانب في حالات خاصة .

□ استطاعت السلطات الفرنسية ان تعطي محمود ابو الفتح عقد تمليك شقة في عمارة فيكتوريا بمونت كارلو ، وهي افخم واضخم العمارات في اوروبا ، وشقة محمود ابو الفتح تقع في بلوك (د) في الدور الثالث ورقمها (٣٣٢) وقد قال لي محمود ابو الفتح : إنه سيطالب بالجنسية المونا جسك (جنسية إمارة موناكو) حيث يخول قانون إمارة موناكو لكل من يملك شقة في الإمارة ان يحصل على جنسية المونا جسك بعد مضي عام من إقامته الدائمة فيها . والعمارة التي سكنها محمود ابو الفتح مملوكة للمقاول المعروف « انتوان بادرون » ، وهو في الوقت نفسه يشغل منصب قنصل لبنان في موناكو ، وله نشاط واسع سياسي وتجاري ، وله صلات بإسرائيل . وقد تسلم محمود ابو الفتح عقد تمليك شقة عمارة فيكتوريا في نوفمبر ١٩٥٦ بعد تاميم شركة قناة السويس . ويملك محمود شقة اخرى في جنيف في العمارة رقم (٥٧) شارع ستاند في الدور الخامس ، كما انه يحتفظ بجناح خاص في فندق سكريب في باريس .

□ لم ينجح محمود ابو الفتح فى تحقيق صلات وثيقة مع المخابرات البريطانية ، وإن كانوا قد قدموا إليه سيارة رولز رويس هدية ، ومصدرى فى هذا الخبر هو المستر كلنتون جرين المدير العام لدائرة المخابرات الأمريكية فى لندن الذى اتصل بمحمود ابو الفتح ليؤجر له رخصة جريدة المصرى تمهيدا لإصدار الجريدة فى بيروت .

□ يشرف محمود ابوالفتح على محطة إذاعة « مصر الحرة » ومركزها فى نيس ، وهى تبث إذاعاتها على محطة اوروبا رقم (١) للراديو والتليفزيون ، ولها مكتب سرى فى نيس وهو غرفة فى فندق « روهل » الكبير الواقع بطريق روضة الإنجليز فى نيس ، ويساعده فى عمل المحطة اشقاؤه حسين واحمد كما يتعاون معهم المسيو موران من رجال المكتب الثانى (المخابرات الفرنسية) . ويقوم بالتنسيق بين الجميع (« إدوار سابليه ») الصحفى الفرنسى المعروف ، والذى يعمل فى نفس الوقت مستشارا للشؤون العربية فى المكتب الثانى (المخابرات الفرنسية) وهو صديق شخصى لمحمود ابو الفتح ، وعمل من قبل مراسلا لصحيفة المصرى فى باريس .

□ قام محمود ابو الفتح بعقد صفقات تجارية مع إسرائيل بالاشتراك مع شقيقه حسين ابو الفتح ، وقد سافرا معا إلى هامبورج بالمانيا واشتريا صفقة صفيح صدراها لإسرائيل ، واستوردا بدلا منها شحنة من موالح الـ « جريب فروت » ، وقد علمت بتفاصيل علاقاتهما التجارية مع إسرائيل من ايرفنج براون ، كما حصلت على معلومات إضافية عنها من مصدر الفاكهة الجزائرى « صلاح بوقليطة » .

□

لم تكن اتصالات « أحمد عبود » (باشا) أو غيره من نفس المواقع الاجتماعية ـ مثيرة للقلق ، والحق أن الرجل حاول أن يدارى فيما يقول ، وفى كل الأحوال فقد كانت مصالحه تنبىء عن مكنون صدره حتى قبل أن يفتح فمه بكلمة واحدة ، وكان لديه الذكاء ليدرك ذلك ، فحاول توصيل رسالته إلى من يهمه رأيهم ـ وتدخلهم إذا أمكن ـ بأسلوب مبطن .

ولم تكن اتصالات « محمود أبو الفتح » ـ أو أصحابه من نفس الاتجاه ـ مثيرة للقلق ايضا ، ولقد كان أسلوب خطابهم المكشوف واستعدادهم للعمل بلا محاذير أو ضوابط من أى نوع يتكفل وحده بوضعهم فى المكان الذى ارتضوه لأنفسهم .

كانت الاتصالات الداعية للقلق فعلا من عناصر أخرى لها مصادر حقيقية للتأثير والنفوذ ، وبين هذه العناصر الأخرى كان هناك عنصران على وجه التحديد يستحقان الاهتمام لأن مواقفهما التبست على نحو أو آخر بأهم الرواسى فى حياة الشعب المصرى وهو الدين : الإسلامى والمسيحى على السواء .

□ **على الناحية الإسلامية كان هناك عنصر جماعة الإخوان المسلمين** ، وكانت علاقته قد تعقدت بتنظيم الضباط الاحرار قبل الثورة وبعدها . ووصلت الحدة فى العلاقات بين الجانبين إلى حد محاولة اغتيال « جمال عبد الناصر » بواسطة شاب من الإخوان ، وإلى حد حل جماعة الإخوان المسلمين بقرار من مجلس الثورة .

كان الإخوان المسلمون يريدون السلطة (ولم يكن فى هذا بأس إذا كانوا على استعداد لأن يتقدموا للناس كتنظيم سياسى له برنامج اكثر تفصيلا من مجرد مقولة ان « الإسلام دين ودولة »)(١٨) ـ ولكنهم فى تلك الأوقات لم يكونوا على استعداد لذلك ، وأحس نظام ثورة ٢٣ يوليو ـ صوابا أو خطأ ـ أن مايريده الإخوان هو أن يتسلموا منه السلطة أو يقيموا من أنفسهم أوصياء عليه ـ ووقع الصدام وترتب على الصدام ثارات أخذت طابعا دمويا لسوء الحظ .

وخرج كثيرون من الإخوان المسلمين إلى المهجر وتعددت مسالك فرقهم ، فقد كان هناك من آثروا السكينة فى مهاجرهم ، وكان هناك من نشطوا إلى الدعوة ، وكان هناك آخرون قبلوا بعلاقات مع أطراف دولية وعربية لايعرفون على وجه اليقين ابعادها ، **فلقد تصوروا انهم فى تحالف من أجل الإسلام ، ولم يمدوا البصر إلى ما وراء ظواهر الأمور ، ولم يسائلوا انفسهم عن طبيعة هؤلاء الذين تحالفوا معهم ، وما هى حقيقتهم ، وما هى مقاصدهم البعيدة المدى**(١٩) .

ولقد أخذ النظام فى مصر هذه التحالفات مأخذ الجد ليس لفاعلية أطرافها واهميتهم ـ ولكن لأن المجال الذى اختاروه لمعركتهم كان بطبيعته نافذا إلى الأعماق .

وفى إطار هذا المجال جرى افتعال معارك وهمية بين القومية العربية وبين الإسلام ، ومعارك وهمية بين التحول الاجتماعى وبين التقاليد الإسلامية ، ومعارك وهمية اخيرا بين الاستعداد للتعامل مع الاتحاد السوفيتى كدولة عظمى وبين الاستعداد لقبول اتجاهه للإلحاد . والذى حدث فعلا هو انه امكن حصر هذه المعارك الوهمية ، وساعد على ذلك ان الحقائق كانت واضحة : نتائج التعاون مع الاتحاد السوفيتى ـ سواء فى السلاح أو فى التصنيع أو فى السد العالى ـ كانت للأمة ولم تكن عليها ، فى حين أن نتائج مساعدات الطرف الآخر الذى كان يدعى التحالف مع أطراف عربية وإسلامية ـ كانت ضد الأمة وعليها .

(١٨) استفاد الإخوان المسلمون من الدرس فيما بعد فعادوا فى منتصف الثمانينات إلى العمل السياسى ، واكتشفوا صيغة ملائمة لذلك .

(١٩) اتصالات الدكتور سعيد رمضان وهو صهر الأستاذ حسن البنا ظلت لسنوات طويلة تثير الاستغراب ، ولا اريد فى هذا الفصل من الكتاب ان اتطرق إليها بتفصيل اكثر .

وبرز دعاة إسلاميون يتصدون للفتنة ، وكان من حسن الحظ ان « الازهر » وهو قلعة الإسلام الحصينة قام بدوره بتوجيه مشايخ اجلاء من طراز الشيخ « محمود شلتوت » وغيره .

لكن بعض الغبار ظل معلقا في الأجواء .

□ على الناحية المسيحية كانت هناك تعقيدات ايضا ، وإن كان خطرها اقل لسبب هام ، وهو أن الفتنة على الناحية الإسلامية كان يمكن ان تقع عند قاع المجتمع ، اى بين الجماهير العادية ـ وأما على الناحية القبطية ، قد كانت العناصر التى اثارت المشكلة على القمة الطبقية للمجتمع .

إن الكنيسة القبطية كانت طوال تاريخها كنيسة الفلاحين ، وكانت الكنيسة حريصة وواعية فهى التى تصدت من قرون طويلة للكنائس المسيحية الأوروبية ورفضت منطقها وسيطرتها ، وفي العصر الحديث كانت هى التى تصدت للإرساليات التبشيرية الأوروبية والأمريكية وطوقت نشاطها .

وكان لورد « كرومر » ـ حاكم مصر الشهير في اوائل عصر الاستعمار البريطاني ـ صادقا عندما قال : « إنه لم يلحظ في مصر فارقا بين قبطي ومسلم سوى ان احدهما يصلى لله في كنيسة ، بينما الآخر يصلى لله في مسجد » .

لكنه في بداية عصر الاستعمار ظهر مايمكن ان يسمى بـ « الارستقراطية القبطية » في نفس الوقت الذى ظهر فيه مايمكن ان يسمى بـ « الارستقراطية المسلمة » . ولم تكن هناك في مصر ارستقراطية بالمعنى المعروف في أوروبا مثلا ، فكل الأسر التى ظهر غناها مع ملكية الأرض كانت جميعا على الناحيتين من ظواهر أواخر القرن التاسع عشر[20] ـ ولم يعرف لأى من هذه الأسر إسهام حضارى سابق ـ او لاحق ـ في حياة الشعب المصرى[21] .

ولقد كانت بوادر الشقاق التى ظهرت في مصر مع أوائل القرن العشرين صراعا على الوظائف ، وفرص الغنى بين عناصر هذه الطبقة الناشئة على قمة المجتمع المصرى بمن فيه من مسلمين واقباط ، وعندما استطاعت قيادة ثورة

---

(٢٠) رجاء مراجعة كتاب الأستاذ جبرائيل باير عن ملكية الارض الزراعية في مصر .
(٢١) يقتضى الإنصاف استثناء اربع شخصيات بالتحديد ساهمت في تشجيع بعض المجالات الحضارية وهم : الامير « عمر طوسون » الذى اعطى رعاية لا شك فيها لبعثات وابحاث ، ثم « محمد محمود خليل » (بك) الذى قدم قصره ومجموعته الفنية النادرة للأمة ، ثم الدكتور « على ابراهيم » (باشا) الذى اهدى إلى متحف الفن الإسلامى عددا من روائع مقتنياته ، واخيرا السيدة « هدى شعراوى » التى تولت تشجيع بعض المواهب الفنية الاصيلة .

سنة ١٩١٩ ـ و « سعد زغلول » بالذات على راسها ـ ان تتفادى احتمالات إشكال طائفى يستغله الاحتلال البريطاني ويعتبره دعوة للبقاء ـ فإن ذلك تحقق بتوافق على شبه صفقة تقريبا . فالعناصر المسلمة من الطبقة « الارستقراطية » كانت على استعداد لأن تترك « امتيازات اكثر في الثروة » للعناصر المثيلة لها من الاقباط في نفس الطبقة .

وعندما سادت في مصر حالة ثورية استحكمت من فترة الحرب العالمية الثانية إلى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فإن هذه الحالة استوعبت جماهير مصر كلها دون تفرقة بين الأديان ـ ولكن تساؤلا لاح حين قامت الثورة وتبين انه ليس بين اعضاء مجلس قيادتها عضو قبطى . وواقع الأمر ان مثل هذه التوازنات لم يكن لها محل داخل تنظيم ثورى نشأ في ظروف مصر اوقاتها .

ثم زاد حجم المشكلة عندما اختار النظام الثورى في مصر اقباطا للعمل معه من خارج الطبقة القديمة ، ومع ان هذا كان نفس ما تصرف به حيال المسلمين ، فإن المحاولات لتصوير الامر على غير وجهه الصحيح زادت إلحاحا .

وحين بدأ التفاعل بين مصر وبين أمتها العربية ـ أضيف إلى المشكلة تعقيد الخلط بين القومية والدين .

وعندما بدأت عملية استرداد المصالح الأجنبية في أجواء معركة السويس وبعدها بدا أن الخسائر على الناحية القبطية اكبر منها ـ نسبيا ـ على الناحية الإسلامية ، وكان هذا إلى حد ما صحيحا في ظاهره لأن المصالح الأجنبية كانت تمارس التفرقة ، وتحاول تعميق آثارها لكى تكون أداة صالحة للاستغلال في الوقت المناسب .

وكان السؤال الذى يجب ان يطرح وقتها هو : اى المسلمين واى الاقباط ؟ والحقيقة انه في عملية تصفية آثار السيطرة الأجنبية على مصر من اولها إلى آخرها ، اضيرت طبقة بالذات وتعرضت امتيازاتها للضياع ، وكانت هذه الطبقة قمة المجتمع بمسلميه واقباطه ، وبحجم وجود عناصرها في تركيب هذه القمة .

ولقد كان داعى القلق هو ان تحاول بعض العناصر الطبقية القبطية إشاعة هجسها إلى الجماهير القبطية لكن « كنيسة الفلاحين » تقدمت لأداء دورها في عهد الانبا « كيرلس » السادس ، وفي هذا الوقت أيضا بدأت محاولة جادة لتجديد شباب كنيسة الفلاحين » وكانت هذه المحاولة هى التى جاءت بعد ذلك بسنوات بالبابا شنودة » الثالث على قمة الهرم الكنسى القبطى .

ومع ذلك فإن بعض الأسر الظاهرة فى « الارستقراطية » القبطية المصرية راحت مثل مثيلاتها من بعض الأسر الظاهرة فى « الارستقراطية » المسلمة تمد ابصارها إلى الخارج ، فإذا اتصالات نشيطة بفرنسا ، وإذا اتصالات بالفاتيكان ، ثم بمجلس الكنائس العالمى .

وكانت فرنسا مستعدة ، وكان هناك بعض الاستعداد فى الفاتيكان .

وتحتوى التقارير السرية لبعض وزارات الخارجية فى أوروبا على معلومات حافلة بالدلالات ، وعلى سبيل المثال[٢٢] هناك تقرير فى ملفات وزارة الخارجية كتبه البروفيسور « ايلى جيتزبرج » وهو يحمل رقم ١٠٥٣/٧٦ فى ملف مصر سنة ١٩٥٧ .

والتقرير مقدم إلى المستر « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانية بعد رحلة قام بها كاتبه إلى مصر ، ومنها توجه إلى الفاتيكان ـ وجاء فى إحدى الفقرات من تقريره مايلى :

« رقم ١٠٥٣/٧٦

البروفيسور ايلى جيتزبرج

لقد قابلت فى روما الكاردينال سيران الذى تعرفون انه ليس فقط كبير الكرادلة بل هو ايضا المسئول عن الكنائس الشرقية . وقد يهمكم بوجه خاص ان تعرفوا انه كان راغبا فى استقبالى لانه قام فى اعتقادى فى الفترة الأخيرة بإعادة تقييم للأوضاع فى الشرق الأوسط وافريقيا ، وانه لم يعد يطيق المخاطر التى تتعرض لها المسيحية من جراء توسع حركة القومية العربية . ولقد حدث تحول ملحوظ فى الجو المحيط بالفاتيكان فى روما ، فقد انتهى خبراء الفاتيكان العاملين مع البابا إلى ان القومية العربية بوجه عام وحليفها الإسلام تمثل خطرا على الكنيسة ، ولا يمكن ان تكون حليفا محتملا بحكم ان العرب والفاتيكان معا يطالبون الآن بتدويل القدس . إن البابا لم يغير رايه فى تدويل القدس ، ولكنه الآن اصبح يخشى على المسيحية من تيار القومية العربية .»

وفى تلك الفترة شاعت دعوات وطبعت نشرات تنادى بأن مصر « فرعونية » وكانت هذه لعبة محفوفة بالمخاطر ، فإن العودة الى الفرعونية كانت ببساطة تعنى نزع الإسلام ، وهو فى اقل القليل أربعة عشر قرنا تمثل المكون الحضارى لروح مصر ، كما هى الآن ، وبكل من يعيش على أرضها من مسلمين واقباط .

---

(٢٢) لان هدف هذا الكتاب ليس إثارة النعرات او الحزازات ، فإنه يغفل كثيرا من الوثائق التى تحتوى على اسماء ووقائع ، ومثل ذلك لاضرورة له فى سياق شرح الأوضاع التى واجهت الشرعية الجديدة فى مصر بعد معركة سنة ١٩٥٦ .

وكانت الكنيسة فى الماضى وفى الحاضر اكثر إدراكا من الطبقة ، فقد كانت هى التى اختارت اللغة العربية لغة للصلوات . واللغة هى الوعاء الحضارى للشعوب والأمم .

ولقد تعامل « جمال عبد الناصر » مع البطريرك القبطى بنفس الأسلوب الذى تعامل به مع شيخ الأزهر ، فقد كان لكليهما الحق فى مقابلته فى اى وقت يشاء ، وكلاهما له أن يطلب ما يراه . وحين طلب الأنبا « كيرلس » السادس ان تساهم الدولة فى بناء الكاتدرائية الكبرى فى القاهرة لكى تكون مقرا لائقا برئاسة الكنيسة القبطية كانت مساهمة الدولة حاضرة .

ومع ذلك فقد ظل هناك من يهرولون إلى باريس والفاتيكان ـ تماما كما كان بين المسلمين من يجرون إلى لندن وواشنطن !

وشىء من ذلك كان يمكن تفسيره ، وإن كان من الصعب تبريره ، فجماعات هذه الطبقة من المسلمين والأقباط تعودت أن تعيش بالقرب من أوروبا الغالية ، ولقد اطمأنت إلى هذا الوضع واستراحت فيه ، وأن تنقطع الصلات على النحو الذى انقطعت به فى ظروف السويس ، وما بعدها مباشرة ـ فإن الخوف كان احتمالا واردا كما أن المحاولات لوصل ما انقطع عن طريق مسالك فرعية أو تحتية كان يمكن اعتبارها نوعا من البحث العصبى عن الأمن . وكانت عقدة الموضوع هى معرفة الحدود التى لاينبغى تجاوزها ، ثم الوقوف عندها وليس بعدها بخطوة واحدة . ومن الحق أن يقال إن الأغلبية توقفت حيث كان لابد أن تتوقف ، ولكن مجموعات قليلة هنا أو هناك عبرت فوق الخطوط الحمراء ومشت وراءها عارفة او جاهلة !

وكانت لذلك آثاره فيما بعد .

□

وفى المحصلة النهائية لصورة مصر بعد المعركة ، فإنه يمكن أن يقال باطمئنان إن هذه القوة الجديدة التى ظهرت فى المنطقة بدت مقبلة على الحياة مستعدة لمسئولياتها ، حالمة بمستقبل جديد ، مستعدة للعمل وللتضحية فى سبيله ، منطلقة من وراء حدودها الضيقة متصلة بأمتها العربية ، خارجة مع أمتها العربية كلها إلى عالمها الواسع تشارك فى صنع مصائره .

ومع ذلك كله فقد كانت هناك ثغرات . وكانت تلك طبائع الأشياء . فليس يعقل أن يتحول وطن من وضع التبعية إلى وضع الاستقلال الكامل ، وعلى نحو غير مسبوق فى تاريخ الأمم المستقلة ـ بدون عقبات .

كانت هناك ثغرات لكن الأمل كان قويا فى أن تستطيع الممارسة العملية لتحقيق مطالب التقدم والحرية والعدل ـ من سد كل هذه الثغرات حتى وإن حاولت قوى متعددة أن تستغل هذه الثغرات للنفاذ .

والحقيقة أن « جمال عبد الناصر » كان يرى هذه الثغرات ، ولعله كان كمدرس سابق للاستراتيجية يتعامل معها وفق نظريات « ليدل هارت » : **الاختراق ، والتقدم ، والالتفاف ، والتطويق ، وترك الجيوب المحاصرة فى المؤخرة تستسلم حين يستحكم حولها طوق الحصار .**

الفصل الخامس

إمبراطورية تستسلم لامبراطورية

١

كان الاسم الرمزى الذى اختاره أطراف العدوان لعمليتهم المشتركة ضد مصر هو « الفرسان » ولعلهم استوحوه من عنوان قصة « دوماس » الشهيرة : « **الفرسان الثلاثة** » ، وقد كانوا بالعدد ثلاثة : بريطانيا وفرنسا وإسرائيل . . .

ومن المهم بالنسبة لتطورات المستقبل الذى كان آتيا بعد المعركة إلقاء نظرة على أوضاع هؤلاء « الفرسان » فى أعقاب فشلهم « الباهر » فى تحقيق أهدافهم وفرض إرادتهم ، ولعل هذه النظرة أن تكون أصوب إذا بدأت بالأصغر متناهية إلى الأكبر حتى وإن كان هذا الترتيب فى حسابات القوة مؤقتا ـ والسبب أن حسابات المستقبل القريب بعد المعركة شارك فيها الأطراف طبقا للواقع السائد وقتها ، وهكذا فإن البدء بحالة إسرائيل بعد المعركة يصبح هو المنطقى والعملى . . .

ولقد خرجت إسرائيل من المعركة فى حالة من الإحباط والاكتئاب شديدة .

كان ظنها أنها أوفت نصيبها فى « فخ السويس » : بدأت القتال فى الموعد المحدد له بمقتضى اتفاقية « سيفر » ، ودفعت قواتها فى اتجاه قناة السويس حتى تعطى لبريطانيا وفرنسا غطاء لتدخلهما ضد مصر بدعوى حماية القناة ـ

ثم إن قواتها اصبحت فى النهاية وحدها فى شبه جزيرة سيناء بعد قرار مصر بالانسحاب لمواجهة قوة الغزو الرئيسية البريطانية والفرنسية ـ ثم إنها تحملت تضحيات لاشك فيها اثناء القتال العنيف الذى دار مع القوات المصرية قبل صدور أمر الانسحاب .

ومع ذلك فإن الفارسين الكبيرين ـ فى حلف الفرسان الثلاثة ـ توقفا عن القتال يوم ٧ نوفمبر ، ثم اضطرا إلى إعلان رضوخهما لقرار الانسحاب ـ ومعنى ذلك انها وحدها المعرضة للضغط الدولى ، ولقوة مصر بعده إذا هى تشبثت بالبقاء فى الأراضى التى دخلتها فى ظرف بدا لها وكانه حلم رائع من احلام التاريخ .

إلى جانب ذلك ، فقد كانت لهجة الإنذار السوفيتى الموجهة لها ـ خلافا للهجة الإنذار الموجهة إلى بريطانيا وفرنسا ـ تحمل ليس فقط طابع التهديد ، وإنما طابع الإهانة أيضا ، فقد أشار الإنذار إلى « أن بقاء إسرائيل نفسها كدولة يمكن ان يكون موضع شك » !.

وفى ذروة الأزمة ـ بدا لها أن الولايات المتحدة قد تعهدت لها بضمان حد أدنى من مطالبها ، وظنت أنها تستطيع الاعتماد على هذا الضمان . لكن المطالب ضاعت واحدا بعد الآخر .

كان المفروض أن يتم نزع سلاح النصف الشرقى من سيناء ـ ولم يحدث .

وكان المفروض أن لا تعود إلى قطاع غزة إدارة مصرية أو قوات عسكرية مصرية ـ ولم يحدث .

وكان المفروض أن تحصل على حق مرور سفنها فى قناة السويس بمقتضى ترتيبات دولية تفرض على مصر ـ ولم يحدث .

وكان المفروض أن تفتح الممرات البحرية أمامها فى خليج العقبة ـ لكن هذا المطلب بدوره بدا مُعْرِضا ، لأن مصر عهدت بهذه القضية إلى المملكة العربية السعودية بما لها من صلات خاصة مع الولايات المتحدة . وكان من المحتمل أن ينجح المسعى السعودى ـ ومعنى ذلك أنه بدوره مطلب آخر قد يضيع !

وهكذا كان المناخ فى إسرائيل كله كئيبا وداعيا للانقباض !

□

تشير ملفات لجنة الأمن والدفاع فى مجلس الوزراء الاسرائيلى ـ خصوصا ما أتيح منها بأمر من رئيس الوزراء « دافيد بن جوريون » للبروفيسور « مايكل

بريشر » ـ إلى أن صناع القرار فى إسرائيل تلك الفترة كانوا يشعرون بوحدة موحشة احسوا معها أن العالم يتخلى عنهم ـ مع إحساس فى نفس الوقت بأن عليهم التخلى سريعا عن هذه المشاعر ، وإلا فإن « الدولة فى خطر » .

وبعد شهور من البحث المكثف والتفكير العميق توصلت السياسة الإسرائيلية الى مجموعة خطوط :

١ ـ إن الجيش الإسرائيلى ـ بفضل ما اتيح له من إمداد فرنسى وبريطانى قبل المعركة واثناءها ـ مازال يمثل اقوى قوة ضاربة فى المنطقة(١) . ومن الآن فصاعدا ، فإن هذا الجيش لابد له ان يحصل على أولوية مطلقة فى موارد إسرائيل . وكانت فرنسا على إستعداد لتوريد السلاح حتى بعد المعركة ، وربما كان ذلك فى جزء منه إصرارا على حماقة العناد الى جانب أمل فى أن تستطيع إسرائيل أن تكون رادعا للحركة القومية العربية ، وبالذات بالنسبة لامتداد هذه الحركة إلى شمال أفريقيا وفى الجزائر بالتحديد .

٢ ـ التركيز فى القوة الإسرائيلية على الطيران ، فهو السلاح القادر على الحركة الخاطفة فى أحوال المفاجآت ، وهو سلاح يتطور بسرعة ، وتتزايد طاقته بكثافة من النيران يمكن نقلها فى دقائق إلى أرض « العدو العربى » وإلى أعماقه البعيدة ، فضلا عن أنه سلاح لايحتاج إلى حشد بشرى كبير لاتملكه إسرائيل التى كان تعدادها فى ذلك الوقت لايزيد على مليونين ونصف المليون من البشر .

ولقد كلف « شيمون بيريز » و « موشى ديان » بالحصول من فرنسا على خطط عمليات القيادة الجوية المشتركة التى قامت بتوجيه الضربة الجوية الأولى إلى مصر ، وكانت فرنسا مستعدة ليس فقط لتسليم الخطط ، ولكن لتسليم خرائط العمليات ذاتها .

٣ ـ إحاطة الجيش الإسرائيلى بهالة اسطورية تستند إلى تقدمه السريع فى سيناء (مع إغفال حقيقة أنه لم يتقدم فعلا إلا بعد إنسحاب القوات المصرية بأمر قياداتها) ـ لتكون من هذه الهالة الاسطورية فى حد ذاتها قوة ردع نفسية تفرض الخوف فى نفوس الأعداء من قبل أن يتحركوا ، وتقعدهم عن الحركة إذا فكروا فيها ، وتهز أعصابهم إذا تحركوا فتورثهم التردد الداخلى (وقد أشار الجنرال « تسفى تسور » الرئيس السابق لأركان الحرب الاسرائيلية الى هذه المسألة ، وأبدى تخوفه منها لأنها قد تؤدى إلى ثقة متزايدة بالنفس واستهانة بالآخرين ، ثم إنها قد تؤدى إلى

(١) كان هذا هو نفس تقدير هيئة اركان الحرب المشتركة فى الولايات المتحدة طبقا لتقرير رئيسها الأميرال « رادفورد » ، وقد سبقت الاشارة إلى نصه فى ص ٨١ .

خلق مؤسسة عسكرية تؤثر على روح إسرائيل المدنية ، وتحولها إلى مجتمع حامية عسكرية يبدد سلاحه فى أوهام القوة !) .

٤ ـ ضرورة البحث عن حليف دولى قوى يحل محل فرنسا الأكثر إخلاصا ، وإن كانت أقل قوة ـ وبريطانيا التى كانت باستمرار موضع تساؤل وشك بسبب روابطها التقليدية مع القبائل الحاكمة فى أجزاء متعددة من الوطن العربى .

وكان الاختيار الطبيعى هو « الولايات المتحدة » ، ولكن الولايات المتحدة كانت فى ذلك الوقت رغم تعاطفها الشديد مع إسرائيل ، ترسم لنفسها سياسة عربية طموحة تحل بها محل الامبراطوريتين القديمتين ـ بريطانيا وفرنسا ـ وقد بدا بعد المعركة أن سقوط نفوذهما ووجودهما فى المنطقة مؤكد ومحقق .

ومع ذلك فإن الضرورات هى الضرورات ، فليس هناك بديل للولايات المتحدة خصوصا إذا دب الخلاف بين هذه الامبراطورية الصاعدة ، وبين حركة القومية العربية التى بدت قوة كاسحة على الأرض العربية .

وإذن فالانتظار والترقب ، ووضع قواعد لجسور المستقبل .

٥ ـ وكان الجسر الرئيسى هو يهود الولايات المتحدة ، ويهود العالم عموما ، وهكذا فان مسلك الاستعلاء الذى كانت الدولة اليهودية تمارسه إزاء الهيئات اليهودية الأمريكية والعالمية من قاعدة أنهم آثروا الحياة فى التيه على العودة إليها ، واكتفوا بضريبة المال بديلا عن ضريبة الدم ، وبالتالى فليس لهم أن يشاركوا فى رسم سياستها ـ راح يتواضع كثيرا ويظهر ليهود العالم أن دولتهم الموعودة تضع مصيرها أمام أعينهم بعد أن تخلى الكبار فى العالم عنها ـ وكانت تلك فترة نوع من شبه الاندماج بين الحركة اليهودية فى العالم ، وبين الدولة اليهودية فى فلسطين .

وتشهد الطفرات التى طرأت على حجم المساعدات اليهودية لإسرائيل على هذه الحقيقة ، ففى حين أن ما تلقته إسرائيل من يهود العالم كان سنة ١٩٥٦ فى حدود مائة مليون دولار ، فإن هذا المبلغ وصل سنة ١٩٥٧ الى خمسمائة مليون دولار .

٦ ـ ومد « دافيد بن جوريون » بصره إلى أبعد ، فعلى هامش تقرير أعدته وزارة الخارجية الإسرائيلية عن احتمالات التعاون مع الولايات المتحدة ، بما فيه إمكانيات الحصول على سلاح أمريكى ـ كتب « دافيد بن جوريون » تأشيرة قال فيها :

« ماذا عن المانيا الغربية ؟ إنهم دفعوا لنا تعويضات لكن هذا لايكفى للتعويض عن جرائمهم ضد شعبنا ايام النازى . وهم الآن دولة قوية مرة اخرى ويصنعون سلاحا متطورا . اليس هذا مصدر اخر للسلاح يستحق الدرس ؟ » ! !

ولم يكن « بن جوريون » واهما او حالما كما تأكد فيما بعد . لقد تمت دراسة هذا الاحتمال ، وبعد سنتين وفى اجتماع عقد فى فندق « والدورف استوريا » فى نيويورك كان مستشار ألمانيا الغربية « كونراد اديناور » على استعداد لأن يسمع طلبات « بن جوريون » من الأسلحة الألمانية ، وكان على إستعداد كذلك ـ لأن يستجيب !

٧ ـ اعتبار القوة النووية هدفا أساسيا فى الضرورات الاسرائيلية ، فهذه القوة ضمان أخير إذا عزت واردات السلاح التقليدى فى يوم من الأيام ، ثم إن هذه القوة لا تحتاج إلى حشود بشرية فى ميدان القتال يمكن أن تكلف إسرائيل تضحيات بالدم لا قبل لها بها ، فضلا عن أن السلاح النووى أرخص فى التكلفة على المدى البعيد من سباق الأسلحة التقليدية ، فوجود سلاح نووى ـ حتى وإن استحال تطويره إلى المستوى الأرقى فى العالم ـ سلاح رادع حتى فى أشكاله البدائية .

وكانت فرنسا قد أبدت استعدادها لتقديم مفاعل نووى لإسرائيل تقررت إقامته فى منطقة « ديمونة » فى صحراء النقب ، والآن أصبح موقع هذا المفاعل محط الآمال ومعقد الرجاء فى تأمين المستقبل .

وحتى يتم إنشاء المفاعل ، فقد أقامت إسرائيل على عجل وحدة للأبحاث النووية فى معهد « وايزمان » ـ أهم معاهد العلوم والتكنولوجيا فى إسرائيل ـ وتوجهت بالدعوة إلى كل العلماء اليهود بأن يهرعوا الى الوطن الموعود ليضيفوا علمهم إلى عوامل أمنه بل وبقائه . وكان أبرز الذين ذهبوا سرا فى ذلك الوقت الدكتور « ادوار تيللر » وهو عالم امريكى من اصل هنجارى شارك فى صنع القنبلة الهيدروجينية ، وقد بقى « تيللر » سنتين كاملتين وراء جدران معهد « وايزمان » !

كانت هذه الوقائع لا تزال ـ فى ظروف ما بعد المعركة ـ خبيئة فى طوايا الغيب .

٢

فى ظروف ما بعد المعركة كان الطرف الثانى فوق إسرائيل ـ فى سلم الضعف ـ هو فرنسا . والحقيقة ان « شكل » فرنسا بعد المعركة كان اغرب الأشكال جميعا . بدت فرنسا وكانها مصابة بحالة من « البارانويا » وهو مرض نفسى يورث أصحابه تناقضا فى التصرفات ، وتضاربا فى المواقف يرتفع بحدتها ، ويهبط بها فى ثوان بتاثير وساوس داخلية تستبد بالأعصاب .

وتكشف وثائق وزارة الخارجية الأمريكية والبريطانية عن نماذج من السلوك الفرنسى فى تلك الظروف ، وكلها يدعو إلى التساؤل فعلا عما إذا كانت هناك فى باريس حكومة تفهم ما يجرى حولها ، أو تحدد فى وسطه ما تريد ؟

برقية رمزية من السفير الأمريكى فى باريس المستر « ديللون » إلى « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكى .

« رقم ٨٥٨٠

١٢ نوفمبر ١٩٥٦ *الساعة ٩,٢٥م*

ابدى لى موليه (رئيس الوزارة الفرنسية) ضيقه من إنعدام التنسيق بين القوى الغربية الكبرى ، وكان دليله فى ذلك رفض الرئيس ايزنهاور لدعوة الحكومة السويسرية إلى إجتماع قمة خماسى (يضم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا تضاف إليهم الهند ممثلة بنهرو ، ويكون إشتراكها فيه نيابة عن العالم الثالث) .

وقال لى موليه إن بريطانيا وفرنسا رحبتا بالفكرة ، وان الدلائل تشير إلى ان بولجانين يتقبلها ، كما ان نهرو لايمانع فيها ـ وان الذى يدهشه هو رفض ايزنهاور للفكرة من اساسها .

وقال لى موليه إن الفكرة فى الواقع لم تنشا من الحكومة الفرنسية ولكن صاحبها هو المسيو منديس فرانس (رئيس وزراء فرنسا السابق الذى تمكن من حل مشكلة الهند الصينية) . وإن منديس فرانس بعث باحد انصاره الشبان وهو المسيو هرنيو[٢] الى برن لكى يقترح على الحكومة السويسرية ان تاخذ هى زمام المبادأة ، وتطرح هى فكرة الدعوة إلى مؤتمر قمة .

(٢) اصبح فيما بعد وزيرا للدفاع فى حكومة الرئيس فرانسوا ميتران الاشتراكية .

وكان راى رئيس الوزراء ان هذا الاجتماع ضرورى بقصد التنسيق بين الحلفاء الغربيين الكبار ، وإلا فإنهم سوف يواجهون هزيمة سياسية شاملة فى الشرق الأوسط لا تقل فداحة عن كارثة ميونيخ التى استسلم فيها الغرب امام هتلر ، ثم دفع الثمن غاليا بالحرب العالمية الثانية .

وقد ظلت كلمة ميونيخ هى الكلمة التى شاعت فى حديث موليه طوال مدة لقائنا .

(التوقيع)

ديللون »

•

« تقرير من السير ايفون كيركباتريك[٣]

رقم ١٠١٥ / ٧٢

١٥ نوفمبر ١٩٥٦

(١) قال لى المسيو جازبيه إنه يريد ان يبحث معى مسالة النظام المصرى الجديد الذى يتعين إقامته عندما يسقط ناصر . وقال إنه فهم اننا نتجه إلى صالح تشكيل حكومة من الوفد . ولكن الحكومة الفرنسية ترى ان ذلك خطا لان الأمور تتطلب حكومة مصرية جديدة تقوم على عناصر تقدمية .

(٢) قلت إننى لا اعتقد اننا نختلف فى اهدافنا ، فنحن ايضا نرغب فى إقامة حكومة ديمقراطية وتقدمية فى مصر . ولكن الشىء المهم ان نتخلص من ناصر لان اولويات المسائل لها الأولوية . ونحن لانعتقد ان هناك الآن فى مصر اى شخص او جهة تقدمية يمكن لها ان تشكل معارضة متجانسة تقوم بقلب نظام ناصر . ونحن نتصور ان الوفد هو الوحيد الذى يستطيع ذلك .

(٣) قال المسيو جازبيه إنه يظن انه يستطيع ان يتفهم موقفنا ، فنحن من انصار الوفد، ليس على اساس عقائدى ، ولكن لاننا نعتبر الوفديين هم اقرب العناصر التى يمكن ان تنجح فى إسقاط ناصر . وقد امنت على فهمه ذلك قائلا : إن ذلك بالضبط موقفنا .

(التوقيع)

ايفون كيركباتريك »

وفى اليوم التالى توجه المسيو « جازبيه » إلى مقابلة رئيس الوزراء البريطانى « أنتونى ايدن » وتحدث إليه فى حضور السير « ايفون كيركباتريك » والكومندر

(٣) صورة من التقرير فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب ص ٨٠١ رقم (٧) وللانصاف فليس هناك فى الوثائق دليل على ان قيادة الوفد فى مصر ، وبالذات مصطفى النحاس (باشا) ـ كانت على علم بنوايا وخطط بريطانيا .

« نوبل » ثم انضم إليهم بعد قليل وزير الدفاع البريطاني « انتوني هيد » . وفي هذا الاجتماع - وطبقا لتقرير صادر عن رئاسة مجلس الوزراء موجه إلى وزير الخارجية للعلم والإحاطة - فإن المسيو « جازييه » أثار مع « ايدن » كل الموقف في الشرق الأوسط برمته ، وجاء في الصفحة الخامسة من هذا التقرير ما نصه :

« إن المسيو جازييه قال لرئيس الوزراء إن الحكومة الفرنسية منهمكة الآن في إعادة النظر في كل أوضاع الشرق الأوسط بعد سقوط ناصر الذى تشير كل معلوماتهم في القاهرة إلى ان نظامه على وشك الانهيار . وطبقا لما نقله المسيو جازييه ، فإن الحكومة الفرنسية ترى ان سوريا قد اصبحت عميلا للاتحاد السوفيتي ، وقد يكون من المناسب الآن السماح للحكومة العراقية بالاستيلاء على سوريا ، كما كانوا يرغبون دائما .

وإذا تم ذلك ، فقد يكون من الضرورى تقديم تعويض لإسرائيل في مقابل ظهور دولة عربية جديدة وقوية .

وفي هذه الحالة ، فإن المملكة الأردنية يمكن ان تزول من الوجود حتى يتسنى لإسرائيل ان تحصل على اجزاء من الضفة الغربية للأردن(٤) .

وقال جازييه ايضا إن الحكومة الفرنسية ترغب في ان نكون على علم بسياساتها ، وهم يرحبون باى مقترحات لنا في هذا الصدد . »

●

وفي يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦ أقام السفير البريطاني في باريس السير « جلادوين جيب » غداء عمل للوزير الفرنسي « جوكس » حضره معه المسيو « دو بروى شانيل » ودارت فيه مناقشات لخصها الوزير المفوض البريطاني في سفارة باريس المستر « بيت » - في تقرير إلى وزارة الخارجية جاء فيه ما يلي :

« إن سعادة السفير اعطى للجانب الفرنسي معلومات عما حوته برقية السير ايفون كيركباتريك بتاريخ ١٦ نوفمبر بشان ما فعلته الحكومة البريطانية ونواياها للإساءة لسمعة ناصر . إن مسيو جوكس ابدى تقديره لجهودنا ، واقترح النقط التالية لخطوط الدعاية الفرنسية والبريطانية ضد ناصر :

(ا) إن قيادة القوات المتحالفة هى التى قضت على سلاح الطيران المصرى ، وإن هذا الجهد كان منفصلا تماما عن عمل الجيش الإسرائيلي .

(ب) إن ناصر قد هزم هزيمة ساحقة ، ولم يعد في استطاعته ان يتظاهر بانه الزعيم الطبيعي للمجموعة العربية ، وان « الخلافة » التى كانت القاهرة تطمح إليها بين المسلمين لم تعد امامها فرصة .

(٤) تلاحظ الاشارات المتكررة للضفة الغربية في مطالب إسرائيل .

(جـ) إن ناصر تصرف في الأزمة كلها من اولها إلى آخرها كدمية في يد الاتحاد السوفيتي .

(د) إن ناصر فتح باب الشرق الأوسط للاتحاد السوفيتي . وهذا معناه انه مكن للنفوذ الروسى في منطقة بالغة الحساسية بالنسبة لمجموعة الدول الإفريقية الآسيوية ومجموعة باندونج .

(هـ) إن استراتيجية ناصر هى إستراتيجية طاغية . وهو لم يحاول الدفاع عن الأراضي المصرية ، وإنما سحب القوات مثل اى حرس بريتورى الى مشارف العاصمة لكى تحمى شخصه .

ثم انتقل الحديث إلى سوريا ، وقال المسيو « دو بروى » إن سوريا مفتاح الموقف في الشرق الأوسط ، والاتحاد السوفيتي يحاول الحصول على هذا المفتاح ، ولابد من تغيير الأوضاع في سوريا ، ولكن المشكلة ان الحكومتين البريطانية والفرنسية لاتستطيعان اخذ المبادأة في هذا الموضوع بعد عملية السويس ، ولهذا فإن راى وزارة الخارجية الفرنسية فيما يتعلق بسوريا هو التعاون مع الولايات المتحدة في خطة لإسقاط النظام الحالى في سوريا ، وإقامة حكومة بديلة ، وانه ليس هناك في هذا الصدد سوى احتمالين ، فإما ان يعود الشيشكلى بانقلاب إلى السلطة ، وإما ان يدخل العراق بقواته لاحتلال سوريا وضمها إلى العراق . »

□

كانت الحكومة الفرنسية في باريس مستغرقة بالكامل في عوالم من الوهم صنعتها لنفسها ، فقد كانت منهمكة في التخطيط للشرق الأوسط بأكمله وكأنها تحاول أن تدير بصرها عن الهزيمة الساحقة التى لحقت بها في مصر .

والهرب إلى الأوهام ظاهرة طبيعية ، وحجم الأوهام التى يستغرق فيها اى طرف يتناسب في العادة مع إحساسه الدفين في أعماقه بحجم ما لحق به ، وما تمنى ان يداريه عن الآخرين ، وأن يخفيه في نفس الوقت عن وعيه .

لكن فرنسا ما لبثت أن استيقظت على ما يشبه لسعة قطعة من الجمر ، فقد بدأت الولايات المتحدة تتحرك في شمال أفريقيا بادئة من تونس .

كانت الولايات المتحدة على علاقة قديمة بالزعيم التونسى « الحبيب بورقيبة » وكان القنصل الأمريكى في تونس هو الذى تولى تهريبه من العاصمة الفرنسية قبل أن تلقى القوات الفرنسية القبض عليه . ولجأ « بورقيبة » الى مصر .

ولم يكن لقاؤه الأول مع مصر مرضيا له ، ولم يكن يكف عن رواية قصة مجيئه إليها لاجئا ، وظل يرددها حتى أواخر أيام حكمه .

ولم يكن « بورقيبة » يخفى أن القنصل الأمريكى هو الذى رتب له الهرب ، وانه أعطاه مبلغا من المال يصرف منه حتى يصل إلى القاهرة[٥] ، وانه نصحه ان يسعى لمقابلة السيد « عبد الرحمن عزام » (باشا) الأمين العام للجامعة العربية . وجاء « بورقيبة » إلى مصر ، ويبدو أن إقامته فيها لم تكن على هواه ، بل إنها أصابته بعقد متشابكة .

وقضى « بورقيبة » سنوات فى مصر ثم تفاوض مع فرنسا وعاد ، ولكن الولايات المتحدة بدأت من وراء ظهر فرنسا ترتب علاقاتها به .

ثم كانت المفاجأة سنة ١٩٥٧ وإذا بباريس تتلقى خطابا من الرئيس « ايزنهاور » موجه إلى رئيس الوزراء الفرنسى « جى موليه » يقول فيه :

« إن الحكومة الفرنسية وعدت الرئيس بورقيبة بإمداد تونس بالسلاح الذى يكفل لها إمكانية الدفاع عن نفسها فى ظروف صعبة فى الشرق الأوسط وشمال افريقيا ـ وحتى الآن فإن الحكومة الفرنسية لم تف بما وعدت تونس به . إننا نخشى ان يحاول الرئيس بورقيبة الحصول على الأسلحة من مصادر شرقية ، وفى نيتى إذا لم تف الحكومة الفرنسية بوعودها ان تقوم الولايات المتحدة بتقديم بعض الأسلحة إلى الحكومة التونسية . »

ويكتب السفير الأمريكى فى باريس أن رئيس الوزراء الفرنسى قال له : « إن **الرئيس ايزنهاور يهددنا . إنه يضع المسدس قرب جبهتى ، ويقول لى إما أن تقدموا السلاح لبورقيبة ـ وإلا** » . ثم يضيف : « **إننى لا أستطيع أن أتصرف تحت التهديد** » .

---

(٥) كان « بورقيبة » يروى قصة مجيئه إلى مصر (وقد سمعتها منه بنفسى عدة مرات) على النحو التالى :
« وصل إلى مرسى مطروح وهناك امسك به احد ضباط الحدود المصريين ، وساله عن اسمه وعن هويته ، وذكر له « بورقيبة » اسمه وقدم له تذكرة مرور اعطاها له القنصل الامريكى فى تونس .
ولم يقتنع ضابط الحدود المصرى ، وقرر احتجاز « بورقيبة » حتى يتمكن من سؤال القاهرة ، وكان مما ضايق الزعيم التونسى ان الضابط المصرى تندر على غرابة اسمه ، وحاول « بورقيبة » ان يشرح له ان « ابو رقيبة » تصغير لاسم « ابو رقبة » ، وإذا بالضابط المصرى يقول له ساخرا إن الاسم مازال مثيرا للضحك . وتضايق الزعيم التونسى وسال الضابط : « الم تسمع اسمى من قبل ابدا ؟ » واكد له الضابط المصرى انه لم يسمعه ، وانفجر « بورقيبة » يقول له : « إننى سعد زغلول تونس » وإذا بالضابط المصرى يقول : « تفضل إلى الحجز يا سعد زغلول » .
واتصل الضابط بقيادته فى القاهرة ، واتصلت قيادته بـ « عزام » (باشا) الامين العام لجامعة الدول العربية الذى طلب إذنا لـ « بورقيبة » بالدخول إلى مصر ، وتولى سلاح الحدود نقل « بورقيبة » الذى وصف مشاعره عند الوصول إلى القاهرة بقوله : « توقعت ان تقابلنى الجماهير على الصفين بالورود والرياحين هاتفة بحياتى ، ولكنى دخلت القاهرة فى سيارة حرس حدود ، ثم قضيت الليلة فى قيادة السلاح نائما على مكتب لانه لم يكن هناك سرير لى » .

ولم يكن رئيس وزراء فرنسا يدرك ساعتها انه مهدد ، وان التهديد الزاحف نحوه ليس من مسدس امريكى ، وإنما من مدافع فرنسية وجهها القائد العام الفرنسى فى الجزائر الجنرال « شال » حين اعلن تمرده على باريس .

وسقطت الجمهورية الرابعة كلها . وتقدم إلى الساحة رجل الساعة فى فرنسا : الجنرال « شارل ديجول » يعلن قيام الجمهورية الخامسة .

وخرجت فرنسا مؤقتا من لعبة الصراع على الشرق الأوسط فى الإطار الذى كانت تدور فيه وقتها ، لأن رجل الساعة الجديد كان يفكر فى إطار آخر .

٣

الإمبراطورية البريطانية ـ ثالث الفرسان وأكبرهم فى مؤامرة السويس ـ ظاهرة فريدة فى التاريخ ولعلها من أكثر مصادفاته استحقاقا للدراسة فى نشوء الإمبراطوريات وزوالها ، فالشعب البريطانى يملك مواهب إنسانية تستحق التقدير والاحترام ، ولكنه لايملك الوسائل الامبراطورية أو مواردها البشرية والاقتصادية ، وبالتالى العسكرية ، ثم إن موقعه الجغرافى على خريطة العالم يباعد بينه وبين مواقع السيطرة المتحكمة ، أو القادرة على التحكم ، كما كان الحال بالنسبة للإمبراطورية المصرية القديمة ، أو الإمبراطورية الرومانية فى العصور القديمة ، أو إمبراطوريات الأمويين والعباسيين فى العصور التالية لظهور قوة الإسلام .

ولعل قيام الإمبراطورية البريطانية يرجع ـ ضمن عوامل أخرى بالطبع ـ إلى عبقرية استغلال الفرص السانحة فى التاريخ ، فقد كانت الظروف التى نمت فيها هذه الإمبراطورية واستفحل أمرها ترجع بالدرجة الأولى إلى انشغال القوى الأخرى المرشحة للإمبراطورية بمشاكلها الداخلية وثوراتها الفكرية والاجتماعية ، وحروبها مع جيرانها ومنافسيها ، واستنزافها لنفسها ـ فاذا ببريطانيا قبل أن يتنبه الآخرون تسود على قارات بأكملها ، وتسيطر على أقدار بحار من البشر يكاد يصل عددهم إلى

أكثر من مائة مرة عدد سكان المركز المسيطر ، كان هذا دون أن تدخل حربا حقيقية تتأكد من خلالها سيادتها المطلقة على العالم .[٦]

وربما كانت هناك ثلاثة عوامل بالتحديد ساعدت وساندت : **أولها** اضطرار بريطانيا إلى استيعاب أسرار البحار بحكم عزلتها كجزيرة ، **والثانى** أن ما حصلت عليه من النهب الاستعمارى الأول تصادف مع بداية عصر البخار ، ومن ثم ساعد على بناء قاعدة صناعية ، **وأما الثالث** فقد كان التمرس بفنون بناء التحالفات والتوازنات المؤقتة والدائمة ، وهو ما عبر عنه « دزرائيلى » رئيس وزرائها فى ذروة العصر الفيكتورى بقوله : « **إن بريطانيا ليست لها صداقات دائمة ، وإنما لها مصالح دائمة** » .

وهكذا فإن الإمبراطورية البريطانية بدأت تفقد مركزها فى أواخر القرن التاسع عشر بطريقة شبه آلية عندما بدأ ظهور القوى المرشحة طبيعيا للدور الإمبراطورى بحكم اتساع الموارد البشرية والاقتصادية ، وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا .

ولقد استطاع التحالف مع الولايات المتحدة أن ينقذ الإمبراطورية فى الحرب العالمية الأولى ، ولما تكررت القصة فى الحرب العالمية الثانية لم يعد فى مقدور أحد إنكار الحقائق ، وإن ظل الاعتراف بها صعبا على الذين عنتهم الحقائق مباشرة وتعنيهم ، وأولهم على وجه التأكيد ساسة الإمبراطورية وأساطينها . ولعل أشهرهم وهو « ونستون تشرشل » كان أصدقهم فى التعبير عن واقع الحال ، وعن صعوبة الاعتراف به فى نفس الوقت ، وذلك حين كتب لصديقه « فرانكلين روزفلت » الرئيس الأمريكى الذى شاركه ثم تصدر بعده لقيادة الحرب العالمية الثانية يقول له :

« إن صاحب الجلالة الملك لم يخترنى رئيسا لوزرائه لكى أشرف على تصفية الإمبراطورية »

ولم يكن أى قدر من المكابرة يجدى أمام حقائق التاريخ وضروراته ، فقد كانت عملية تصفية الإمبراطورية تجرى فعلا ، وكانت أكبر خطوة على هذا الطريق هى أضطرار حكومة العمال برئاسة « كليمنت آتلى » وفى أعقاب الحرب العالمية مباشرة إلى التسليم باستقلال الهند . ومع ذلك فإن « تشرشل » عندما عاد إلى الحكم كان لايزال يكابر ، وتسجل المحاضر السرية لمؤتمر برمودا الذى عقد على مستوى القمة بينه وبين

(٦) من المفارقات الغريبة فى تاريخ الامبراطورية البريطانية انها لم تدفع بالدم ثمن قيامها ، ولكنها دفعت بالدم ضرائب تصفيتها من خلال حربين عالميتين (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ثم (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) .

الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور »[٧] حجم الأسى الذى كان يشعر به « تشرشل » إزاء ضياع الإمبراطورية .

كان الحديث كما تروى الصفحة العاشرة من محضر الاجتماع الخاص المغلق بين « ايزنهاور » و « تشرشل » يدور حول مصر . وإذا « تشرشل » يقول فجاة :

« إن الامبراطورية البريطانية هى اعظم ظاهرة عرفها التاريخ . وبصرف النظر عن كل ما يقوله الآخرون ، فإن « الاستعمار » رسالة إنسانية تستحق عرفان البشر جميعا وتقديرهم لفضلها . وإنه لمن السخف ان يفكر احد فى منح الاستقلال لشعوب لا تستطيع ، وليست مؤهلة لإقامة حكومات مستقلة » .

ثم استطرد وصوته يتهدج (طبقا لوصف المحضر) :

« إن التاريخ سوف يسجل ان بريطانيا تخلت عن واجبها فى الهند ، وان هذه كانت اكبر حماقة ارتكبت خلال العقد الأخير . إننى لن اعيش شخصيا لكى ارى النتائج التى سوف تترتب على هذه المأساة ، ولكن هناك غيرى حول هذه المائدة سوف يعيشون ليروا حجم الكوارث والأحزان التى تنتظر العالم الغربى نتيجة لتراجع الإمبراطورية » .

□

كان « تشرشل » لا يزال حيا حين تحولت الإمبراطورية الى حطام فى معركة السويس ، ومن المبالغة أن يقال إن مصر هى التى حطمت الإمبراطورية البريطانية فى السويس ، ومع ذلك فإنه ليس من قبيل المبالغة أن يقال إن مصر هى التى وجهت الضربة القاضية إلى الإمبراطورية فى السويس .

وربما كان أكثر ما سهل على مصر توجيه ضربتها القاضية الى الإمبراطورية هو ان الساسة والقادة الذين آلت إلى أيديهم المسؤولية فى لندن كانوا غير قادرين على الاعتراف بالحقائق الجديدة ، ولقد كانت أمامهم لكنهم كانوا خائفين من النظر إليها واستخلاص معانيها .

إن قراءة مجموعة المحاضر السرية لاجتماعات مجلس الوزراء البريطانى طوال سنة ١٩٥٦ ـ قبل المعركة وبعدها ـ تقدم صورة بائسة لأوهام القوة ، حين يفكر الأطراف بأكثر مما تحتمله قدراتهم ، ويخططون بأوسع مما تصل إليه إمكانيات القوة المتاحة لهم خصوصا إذا كانوا قد فقدوا أيضا ـ ضمن ما فقدوه ـ براعة صنع التحالفات والتوازنات ، ونسوا الحكمة القائلة بأن « الصديق السىء ليس عنده

(٧) مؤتمر القمة فى برمودا ـ شهر ديسمبر ١٩٥٣ .

ما يقدمه غير التوريط » ـ وكان هذا بالضبط ما حدث لبريطانيا من صداقة فرنسا وإسرائيل خلال رسم خطط التواطؤ فى السويس !

□

وتقع المعركة ، ثم تنتهى . ويعقد مجلس الوزراء[٨] اجتماعا يوم ٩ يناير ١٩٥٧ الساعة ٥ مساء فى مقر رئيس الوزراء ١٠ داوننج ستريت .

قال السير « أنتونى ايدن » (رئيس الوزراء) ـ « **إنه يأسف إذ يضطر لإبلاغ زملائه أنه غير قادر على الاستمرار فى الاضطلاع بمسؤوليته ، فبعد فترة الراحة التى حصل عليها قبل الكريسماس بناء على نصيحة الأطباء ، كان يأمل أن يسترد عافيته بما يسمح له أن يواصل عمله لفترة طويلة إلا أنه وجد أنه بحاجة إلى استشارة طبية أخرى . ووصل الأطباء الأربعة الذين استعان بهم إلى رأى إجماعى مؤداه أن صحته لم تعد تمكنه من الاستمرار فى تحمل عبء العمل كرئيس للوزراء . وقد قرر على أساس ذلك أنه ليس أمامه بديل عن الاستقالة ، وأنه قد أبلغ الملكة بما أستقر رأيه عليه عندما قام بزيارة قصر « ساندرينجهام » فى اليوم السابق . وأنه سيقدم استقالته الى جلالة الملكة رسميا عند استقبالها له بقصر « بكنجهام » فى وقت لاحق من نفس المساء . .** »

وكان أمام المجلس جدول أعمال مهين ، فقد عرض عليه « ماكميلان » تفاصيل الحالة الاقتصادية التى وصلت إليها بريطانيا نتيجة للمعركة ، وإذا هى تتطرق الى خفض نفقات تكاليف العلاج الطبى بما فى ذلك ضغط تكاليف الإنفاق على مستشفيات الأمراض العقلية !

وفى اليوم التالى عهدت الملكة إلى « هارولد ماكميلان » وزير الخزانة مع « ايدن » ـ بأن يتولى رئاسة الوزارة الجديدة .

وكان أول ما طلبه رئيس الوزراء الجديد تقريرا عن شخصية « جمال عبد الناصر » فهو يريد أن يعرف أكثر عن الرجل الذى يتحتم عليه الآن أن يواجهه .

وكان السير « همفرى تريفليان » السفير البريطانى فى مصر وقت وقوع العدوان قد فرغ لتوه من إعداد تقرير طلبه منه وزير الخارجية « سلوين لويد » (الذى بقى فى نفس منصبه مع « هارولد ماكميلان ») .

وليس هناك شك فى أن السير « همفرى تريفليان » كان من أذكى الدبلوماسيين

---

(٨) ... هذه الجلسة منشور بالكامل فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٨) ص ٨٠٢ .

البريطانيين فى زمنه ، ولكنه من الواضح انه تحت ضغوط الأحداث ، وفى الظروف الحرجة بعد المعركة راح يداور فى إبداء رأيه كتابة فى « جمال عبد الناصر » ، ولعله وقع فى الخطأ التقليدى لبعض الدبلوماسيين حين يكتبون لرؤسائهم ما يريد هؤلاء الرؤساء أن يسمعوه خصوصا إذا كانت الكتابة فى مناخ عداء وصل إلى حالة الحرب فعلا .[٩]

ويأتى تقرير « همفرى تريفليان » عن شخصية « جمال عبد الناصر » فى الوثيقة رقم ١٠١٥/ ٩٧ .

ويمضى على النحو التالى :

« سيدى

□ الرسالة التالية التى تحوى بعض الأفكار عن شخصية جمال عبد الناصر هى خلاصة ما استكملته فى القاهرة .

□ لقد سبق لرئيس الوزراء ، ولكم ، ولوزير الدولة لشئون الحرب ، ولوزير الخارجية ، ولبعض الأشخاص ممن سيطلعون على هذه الرسالة ، ان عرفوا عبد الناصر لفترة اطول مما عرفته . غير ان عبد الناصر شخصية معقدة ، وقد تغير تغييرا كبيرا فى السنوات الأخيرة . وقد يكون من المفيد ان اسجل بعض الملاحظات التى تحوى إنطباعاتى عنه ، وهى مستمدة من لقاءاتى المتعددة معه فى الفترة بين اغسطس ١٩٥٥ ويونيو ١٩٥٦ . وحتى خلال فترة اتصالاتى المتعددة معه لاحظت بعض التدهور فى حالته . وقد اخبرنى اشخاص ممن عرفوه خلال بضع سنوات انه قد تغير فى الفترة الأخيرة تغييرا ملحوظا الى الأسوأ .

□ وتتمثل قوته اساسا فى الثقة الكاملة بالنفس ، ودرجة عالية من المرونة ، والشجاعة ، والسيطرة على الأعصاب ، والاستعداد لاقتحام المخاطر الكبيرة ، والمهارة التكتيكية الكبيرة ، والارتباط العنيد باهدافه الأصلية . وجانب الضعف الأساسى لديه هو الافتقار إلى التعليم والخبرة بالعالم .

□ تجلت مهارته التكتيكية وكفاءته التنظيمية وقدرته على الصبر ، باجلى صورة ، فى انشطته الثورية وفيما تلا ذلك من علاقاته مع اللواء نجيب ، واعضاء مجلس الثورة الجامحين . وقد كان فى المحيط الذى يتآلف معه تماما فى الأيام الأولى السابقة للثورة وبعدها . فهاتان هما مرحلتا حياته اللتان يحب ان يطيل الحديث عنهما . فإنشاء شبكة من العناصر الموالية فى المنظمات المعادية ، والسرية الكاملة التى من الواضح انه يعشقها لذاتها ، والتحضير الطويل الذى كان من المقرر اصلا ان

---

(٩) إن الذى يدعونى إلى هذا الاستنتاج هو معرفة وثيقة بالسير (اللورد فيما بعد) « همفرى تريفليان » ، ولقاءات طويلة معه استمرت إلى ما بعد اعتزاله وتفرغه للعمل رئيسا لمجلس امناء المتحف البريطانى . وكانت اراؤه وذكريات تجربته مع « جمال عبد الناصر » اشد ما تكون اختلافا عن هذا التقرير .

يستمر حتى سنة ١٩٥٥ ، ثم التنفيذ السريع للخطة فى النهاية ، والمناورات الملتوية لجعل اللواء نجيب يفرط فى الاعتداد بنفسه حتى يمكن سحقه بلا مخاطرة . كانت هذه هى الموضوعات التى حدثنى عنها ساعات طويلة باستمتاع . . . . . غير اننا نخطىء إذا رسمنا صورة منظم المؤامرات الصبور الهادىء الذى لايفقد اعصابه ابدا . فعبد الناصر يفقد اعصابه احيانا ، ويتخلى عن هدوئه وصبره بصورة غير متوقعة . وقد حدثت حالات كثيرة من هذا القبيل حتى بعد مجيئى إلى القاهرة . ففى خريف ١٩٥٥ ، يقال إنه لولا تدخل زكريا محيى الدين لتم اتخاذ تدابير متعجلة وغير مدروسة ضد الولايات المتحدة ، نتيجة لتوقعات عبد الناصر بشان الرسالة التى حملها اليه جورج آلن عن صفقة الأسلحة الشيوعية . وفى ربيع ١٩٥٦ اتخذ عبد الناصر قرارا متعجلا وغير حكيم بالاعتراف بحكومة الصين الشيوعية ، لم يكن كما يبدو إلا نتيجة للمخاوف التى غذاها لديه الروس بان تقوم الأمم المتحدة بفرض حظر على توريد الأسلحة . وخطاب عبد الناصر فى مسطرد عقب سحب العرض بتمويل السد العالى ، واجزاء كثيرة من خطاب ٢٦ يوليو الشهير الذى اعلن فيه التاميم ، هى نماذج واضحة على فقده لأعصابه وسيطرته على نفسه ، مما كان سببا فى اضرار شديدة اصابته . ولكنه اردف ذلك بإبداء قدرة غير متوقعة على الصبر خلال الشهور التالية ، كان سببها الاعتقاد بان الغرب يتحين فرصة يبرر بها التدخل بالقوة المسلحة .

□ ولا اظن انى بحاجة إلى القول بانه لايلتزم الصدق دائما . فهو عندما يكون مطمئنا إلى ان الحقيقة لن تكتشف ، لا يتردد فى الكذب المباشر ، كما فعل مع المسيو بينو فى القاهرة عندما قال : إن المصريين لم يعودوا يدربون الثوار الجزائريين ، او يمدوهم بالسلاح . وهو كثيرا ما يلجا إلى إستخدام الحذف او الإيحاء حتى لايكون هناك شىء ثابت ضده ، ويحرص على الا يقول شيئا يمكن ان يثبت فيما بعد انه لم يكن صحيحا . فعلى سبيل المثال ، فقد نفى لى انه يهاجم مواقعنا فى عدن والبحرين ، بان قال : إنه ليست لديه منظمة فى اى من البلدين ، تاركا لى ان استنتج انه لا يساعد اعداءنا فى تلك المناطق بغير ذلك من الوسائل . ومن عاداته الاخرى المالوفة ان يعلن على الملا اشياء يعرف انها ليست صحيحة ، مثل القائمة الفرنسية بالأسلحة البريطانية التى قيل إنها وردت إلى إسرائيل[١٠] ، وقد استخدمها فى ١٩٥٥ فى وقت إعلان صفقة الأسلحة الشيوعية . ومن اساليبه ايضا ان يذكر قاعدة عامة مثل القول بانه لايهاجم المواقع البريطانية فى الشرق الأوسط ، ثم يبرر او يستثنى هجمات بعينها فى مناطق محددة ، مثل العرض الذى قدم للأردن بدعوى انه سمع ان البريطانيين يهددون بسحب دعمهم لها ، او يبرر حملات الدعاية بانها ناتجة عن عدم تنفيذ المسؤولين فى الاذاعة لسياسته المعلنة ، او انها نتيجة لخطا فى الإبلاغ .

إن الوثائق تثبت ان كل الامثلة التى استعملها « تريفليان » فى التدليل على خداع « عبد الناصر » كانت الخداع وليس العكس . والغريب ان « تريفليان » كلن يكتب وهو يعرف الحقيقة ويكتب ايضا لمن يعرفون ...يقة ، لكنه يظهر ان فنون الدبلوماسية تغلب اصحابها حتى على انفسهم !

□ وهو متفوق فى حبك المؤامرات . ومن اوضح خصائصه الشك والاسترابة . وذلك امر يعترف به ببساطة . وقد حاولت يوما ان اقنعه بانه يستطيع ان ينجز قدرا اكبر اذا ما ابدى قليلا من الثقة بالآخرين ، ولكنه قال إنه غير قادر على ذلك ، وذكر انه تآمر فى الخفاء لفترة طويلة بحيث اصبح يفكر بالأسلوب التآمرى ، وانه شديد الشك فى كل إنسان . وريبته تمتد إلى رجاله انفسهم . وقد اخبرنى ان العملاء الأجانب لايستطيعون ان يحصلوا على شىء من الدائرة المباشرة المحيطة به لأنه لا يكتب ابدا شيئا بخط يده . وقال إن الدكتور فوزى هو الشخص الوحيد الذى يثق به فى وزارة الخارجية ، وان نحو نصف العاملين فى الخارج من وزارة الخارجية ليسوا موالين للنظام . وقد زادت هذه العادة المتاصلة فيه من صعوبة تعاملنا معه .

□ وعبد الناصر ، سواء بوعى ، او بغير وعى ، يعانى من انفصام واضح فى الشخصية ، وهى حالة عقلية يبدو انها تتملك عددا من المصريين ، كما انها منتشرة فى الانحاء الأخرى من العالم العربى . ويبدو انه لا يدرك ، او يتظاهر بانه لا يدرك ، ان بعض الجهات يمكن ان تقارن بين صوتيه وان تحكم عليهما معا . ففى بداية مارس مثلا ، اخبركم بانه لن يهاجم المواقع البريطانية خارج مصر . ولكن لم تكد تمضى ايام قليلة حتى انضم الى الملك سعود ورئيس سوريا فى تقديم عرض علنى للاردن لمنحها دعما يحل محل الدعم البريطانى ، ويهدف بوضوح إلى تعويض مركز بريطانيا فى الأردن . ولم يمض اسبوعان على زيارتكم حتى كانت دعايته فى الإذاعة قد عادت إلى مهاجمة مواقعنا . وبعد اسابيع قليلة كان يذكر لأحد المراسلين الأمريكيين انه لم يصدقكم عندما ذكرتم له اننا لانحاول فصل السودان عن مصر . وفى اثناء احتفالات الجلاء كان يعد بصداقة بريطانيا ، ويعلن فى نفس الخطاب ان سياسته هى تحرير العالم العربى من المغرب إلى بغداد ، وهو يعلم تماما ان معنى ذلك تصفية مواقعنا السياسية الخاصة فى المنطقة . ولو كان هذا المسلك لا يصدر إلا عن مناورات تتسم بالنفاق من جانب سياسى بارع ، لكان من الأيسر التعامل مع عبد الناصر ، لكن انطباعى انه وإن كان عبد الناصر يميل إلى ان يظهر غير ما يبطن ، فإنه كان يستطيع ان يحقق نجاحا اكبر فى التوفيق بين صوتيه اذا كان على وعى تام بالتناقض بينهما . ويبدو ان حججه كانت تمضى بينه وبين نفسه على النحو التالى : الحرية والاستقلال مطلبان سليمان . إنجاز الوحدة العربية واجب ضرورى . والإسراع باستقلال الأراضى الخاضعة لبريطانيا ، وزيادة نفوذ مصر وقوتها فى العالم العربى هو تطبيق لهذين المبدائين . فإذا سقطت خلال ذلك التاكيدات التى يعطيها لنا فإنها خسائر لها ما يبررها وتستلزم منا التفهم لا الإنكار .

□ وهو لا يخفى انه نهاز للفرص . ومن عباراته المأثورة ان يقول : « الواقع انه ليست لدى خطة » . ويرى الغرب فيه ، وله كل الحق ، دكتاتورا طموحا مخادعا متعطشا للسلطة ، وعلى استعداد لاستخدام اى شكل من اشكال الخداع لتحقيق اهدافه . وهو بالتاكيد مدرك تماما لهدفه فى الاحتفاظ بقوته ومضاعفتها على حساب

الغرب سواء داخل مصر او خارجها . وقد ركز بالتدريج كل سلطات الحكم بين يديه . ولكن يبدو فى الوقت نفسه انه مقتنع بانه مبعوث العناية الإلهية لإيقاظ القومية العربية . وفى اعتقادى انه متدين حقا ومؤمن بالقدر . ولديه فكرة غير ناضجة بانه مكلف برسالة مقدسة ، وان الله القادر تعالى اختاره حاميا « لقافلة الحرية » . الم ينقذه الله القادر من القتل مرتين ، مرة من ان يكون قتيلا فى الاسكندرية ، ومرة من ان يكون قاتلا ؟ ولعلكم تذكرون الحكاية الغريبة التى يرويها فى « فلسفة الثورة » عن محاولة القتل التى قام بها ، والاثر الذى تركته فى نفسه صرخات زوجة الرجل الذى كان سيصبح الضحية . وقد وصف لى يوما بالتفصيل هذه الواقعة ، وكيف انه قضى الليلة كلها يصلى لله شكرا لانه لم يقتل الرجل . ولم تكن تلك نوبة هستيرية ، بل شعرت فى ذلك الوقت بان إعتقاده بتدخل قوة عليا كان صادقا ومخلصا . ومن الأضواء الجانبية الطريفة على شخصيته ان الشعور بانه كان مخطئا من الناحية الأخلاقية فى محاولته للقتل لم تمر بذهنه على الإطلاق .

□ وفى المجموع فإنه دكتاتور ثورى عدوانى ، يخلق المتاعب فى كل انحاء الشرق الأوسط بدلا من ان يحذو حذو بطله القديم المتزن ، مصطفى كامل ، ويعمل على إقناع الدول الكبرى بانه مهتم بتنمية بلده اكثر من إهتمامه بالمغامرات الخارجية . ويبدو ان وسائله المفضلة هى تهريب الاسلحة ، ووضع الخطط المحكمة للتخريب ، وخلق متاعب لاتنتهى يستخدم فيها كل وسائل الخداع . ويبدو انه عاجز تماما عن ممارسة ضبط النفس بقدر معقول . وقد طلبت من نهرو ان ينصحه قبل كل شىء بالتزام قدر من الهدوء وعدم التعجل ودفع الامور طوال الوقت ، ولكن ليس هناك ما يوقف حركته المستمرة وميله الدائم الى المغالاة والإفراط ، مما زج به وببلاده الى المازق الحاضر . وقد صحب ذلك إستعداد للمخاطرة يصل إلى حد الاستهتار . وقد قالت لى السيدة عبود ، تلك المراة الاسكتلندية القوية ، فى وقت مبكر عند وصولى إلى هنا : « إن ذلك الشاب له شجاعة الشيطان » . وفى شهر مايو الماضى قال لى : « إنكم لاتستطيعون ان تمارسوا معى سياسة البوارج الحربية كما فعلتم مع فاروق . فليس لدى عرش ولا منصب وراثى ولا ثروة » . وفى اكتوبر كان يتباهى بقوله : « إنه إذا هوجم ، فانه سيفعل ما فعله شمشون ، ويدمر اعمدة المعبد . وانه استعد لمقابلة الهجوم بتشكيل منظمة فدائية ستقوم ، خلال اربع وعشرين ساعة ، بقتل اى رئيس للجمهورية ، او رئيس للوزراء تنصبه بريطانيا . وفى التحليل الأخير فإن خصائصه الغالبة هى خصائص المقامر والمغامر .

□ وإنى ارسل صورا من هذه الرسالة إلى ممثلى جلالة الملكة فى واشنطن وباريس ، وإلى الضابط السياسى الملحق بقوات الشرق الأوسط فى قبرص .

ويشرفنى ياسيدى ان اكون خادمكم المطيع .

(توقيع)

همفرى تريفليان »

ويبدو أن تقرير السير « همفرى تريفليان » عن شخصية « جمال عبد الناصر » لم يعط « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء الجديد شيئا يمكن أن يتخذه أساسا لرسم سياسة جديدة ، وهكذا بدأ يسأل عن « احتمالات التغيير » فى مصر ، وراح الخبراء الذين يعرفون مصر ويستطيعون التنبؤ بمجريات الأمور فيها يكتبون تقاريرهم للعرض على رئيس الوزراء .

وكان أهم هؤلاء الخبراء هو المستر « جارفى » الذى عمل طويلا مساعدا للمستشار الشرقى فى السفارة البريطانية ، ثم رأس لجنة التنسيق الخاصة بين وزارة الخارجية وإدارات المخابرات السرية ـ وكتب « جارفى » تقريرا عن احتمالات التغيير فى مصر برقم ١٠١٥/ ١١٦ جاء فيه :

« ١ ـ لاتعتمد الآراء الواردة فى هذه المذكرة على اكثر من المعرفة الظاهرة بالشؤون المصرية ، بالاضافة إلى الشواهد التى امكن جمعها من الافراد الذين غادروا مصر .

٢ ـ هناك عناصر ثلاثة يتوقع ان تعمل على انحلال النظام الثورى فى مصر :

(ا) فقد القوات المسلحة المصرية لمكانتها ، نتيجة للهزيمة فى سيناء وضعف الأداء فى بور سعيد .

(ب) الخلل الاقتصادى الذى اعقب انسداد قناة السويس ، وتوقف معظم المواصلات البحرية والجوية ، ونقص التجارة الخارجية ، وتعطل برنامج التنمية الاقتصادية ، وصعوبة تصدير القطن ، وعلى الاخص زيادة العجز فى الوقود البترولى .

(جـ) توزيع الاسلحة بالجملة على المجندين ناقصى التدريب الملحقين بجيش التحرير الوطنى .

٣ ـ هناك قدر معين من الدلائل على انتشار السخط ، لكنها كلها تقريبا تتصل بالاقليات (الاقباط وغيرهم من المسيحيين) وبالطبقات المتعلمة ذات النزعة الغربية من سكان المدن . وقد كان هؤلاء يشكون من عبد الناصر منذ سنوات ، ولكنهم لم يفعلوا شيئا فى هذا الصدد ، وهم لايجدون الشجاعة على فعل شىء فى الوقت الحاضر إلا إذا جاءت المصادفات بظروف ملائمة ، وهم فى الأغلب يفضلون عودة حكومة من الباشوات .

٤ ـ يروى مصدر يمكن الاطمئنان إليه ان احد ضباط الطيران الموالين للنظام قام بعصيان ضد عبد الناصر ولكن يبدو ان هذا الضابط يمثل حالة منعزلة ، وانه ذو مشاعر قوية نحو الغرب رغم ارتباطه القوى بالنظام ، وقد لقى ـ فى حدود علمنا ـ بعض المتاعب مع النظام بعد اتهامه بمسائل تتصل بالنزاهة خلال الشهور الثمانية عشر الأخيرة .

٥ ـ كانت هناك احتمالات فى بداية العملية لنشوء معارضة سياسية بقيادة واحد او اكثر من الساسة القدامى ، تلقى بعض التاييد من جانب العسكريين . وهناك روايات تتردد بكثرة عن وقوع عصيان بين بعض الضباط فى ذلك الوقت ، ولكنها قد تكون بغير اساس . ومع توقف العمليات العسكرية ضد مصر ، فإنى اتوقع ان يعود اصحاب تلك المغامرة (ايا كانوا) الى جحورهم انتظارا لفرصة افضل . ومن شان تشديد قبضة سلطات الامن العسكرى بما يتجاوز بكثير حدود عملها المعتاد ان يجعل وقوع شىء من ذلك ـ فى الوقت الحالى ـ امرا اكثر صعوبة .

٦ ـ ليس هناك من يقطع بما إذا كان البلد فى حالة اختفاء عبد الناصر سيعود الى السياسات الحزبية القديمة ، او سيظهر نظام اكثر ميلا إلى اليسار ، او نظام إسلامى اكثر رجعية . وإذا جاء التغيير بعد فترة طويلة من العسر الاقتصادى والتفكك المطرد للدولة ، فإن هذا الاحتمال سيكون اكثرها ترجيحا .

٧ ـ لا علم لى بحدوث شىء يغير ما ذكرته السفارة فى القاهرة فى الشتاء الماضى من ان اى ثورة ناجحة ضد عبد الناصر تتطلب تاييد جزء كبير (ليس من الضرورى ان يكون الأغلبية) من القوات المسلحة ، ولاسيما الجيش ، ولابد لهذه الثورة من السيطرة على الجهاز الإدارى الذى يدار من وزارة الداخلية . وليس فيما سمعته من اللاجئين العائدين فى الشهر الماضى ما يدل على أن شيئا من هذه الشروط يمكن ان يتحقق على الفور . ورغم انه من المرجح ان يزداد الوضع الاقتصادى فى مصر سوءا (فى غياب المعونة الخارجية) مما يؤدى الى البطالة وانتشار السخط ، فإنى لم ار او اسمع شيئا يدعو للاعتقاد بان اختفاء النظام يمكن ان يحدث فى وقت قريب .

(توقيع)
ت . و . جارف
١٤ ديسمبر ١٩٥٦ »

واتجه رئيس الوزراء الجديد إلى بحث إمكانيات العمل السرى ضد مصر وضد « جمال عبد الناصر » ، وقد روى « بيتر رايت » الذى كان نائبا لرئيس جهاز الخدمة السرية البريطانى المعروف باسم M.I.5 ـ انه فى واقع الأمر لم يكن لدى الأجهزة السرية كلها بما فيها M.I.6 وهو الجناح الهجومى للمخابرات البريطانية خارج الحدود ـ ما تستطيع تقديمه لرئيس الوزراء .

لقد حاولت كل الأجهزة أن تعمل من قبل ضد « عبد الناصر » ونجحت فى بعض الأشياء ولم تنجح فى أهمها .

نجحت مثلا فى حل شفرة وزارة الخارجية المصرية ، ونجحت فى وضع عدد من السفارات المصرية وبينها سفارتها فى لندن تحت التسمع ، ولكن ما حصلت

عليه كان قليلا ، ولعل اهمه ـ طبقا لما يقوله « بيتر رايت » ـ هو الحصول على نسخة من رسالة كتبها السفير المصرى فى موسكو ، وأرسلت نسخة منها للعلم إلى سفارة لندن جاء فيها « إن الاتحاد السوفيتى يقوم بتعبئة قواته الجوية استعدادا لمواجهة مع بريطانيا » .[١١]

ولكن الأهم هو أن كل أجهزة العمل السرى البريطانية لم تنجح فى أداء المهمة الرئيسية التى كلفت بها وهى اغتيال « جمال عبد الناصر » وتصفيته جسديا ، وقد ذكر « بيتر رايت » أن « جهاز M.I.6 وضع خطة لاغتيال « جمال عبد الناصر » عن طريق نوع من غاز الأعصاب ، وخطة أخرى لاستعمال أنواع من السموم ، كذلك وضعت خطة اشترك فيها ضابط مصرى على صلة بالانجليز لضرب « ناصر » بالرصاص ، ولكن الخطط كلها لم تنجح . »

وقد أوضح « بيتر رايت » أن فرص العمل فى مصر غير متاحة لسبب رئيسى واحد وهو أن « عناصر » المخابرات البريطانية فى مصر كلها جرى اعتقالها عندما انكشف أمرها ، واستطاع جهاز الأمن المصرى أن يعثر على مقر تنظيمها الخفى وهو « وكالة الأنباء العربية » التى كانت غطاء شرعيا لهذه العناصر . وكان المسئول الأول عن هذه العناصر هو المستر « جيمس سوينبورن » نائب رئيس هذه الوكالة ويساعده المستر « جيمس زارب » ، وكان أهم أعوانه فيها عدد من البريطانيين العاملين فى شركة « شل » وشركة « برودنشيال » للتأمين ، كما كان بينهم قسيس هو الأسقف « جونسون » راعى الكنيسة الانجليزية المطلة على النيل عند نهاية شارع « ماسبيرو » .[١٢]

بدا أن طرق بريطانيا كلها مسدودة فى الشرق الأوسط ، فبدون القضاء على مركز مصر وبدون الخلاص من شخص « جمال عبد الناصر » ـ فإن الأمور تبدو مستحيلة .

---

(١١) صفحة ٨٥ من كتاب « صائد الجواسيس » الذى كتبه « بيتر رايت » الوكيل السابق لادارة المخابرات البريطانية M.I.5 والذى ثارت من حوله ضجة كبرى عندما حاولت السيدة « مارجريت ثاتشر » رئيسة وزراء بريطانيا منع نشره بحجة المحافظة على الأسرار .

(١٢) كتب اللواء « محمد شكرى حافظ » رئيس العمليات بالمخابرات العامة المصرية كتابا هاما فى هذا الموضوع تحت عنوان « جمال عبد الناصر والمخابرات البريطانية » وكانت معلومات هذا الكتاب صحيحة وكاملة التوثيق .

وتوصل « هارولد ماكميلان » الى نتيجة محزنة ولكنها بغير بديل وهى تنازل بريطانيا عن موقعها الخاص فى الشرق الأوسط الى الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى مؤتمر « برمودا » الذى عقد بين الرئيس الأمريكى « ايزنهاور » وبين رئيس الوزراء البريطانى « هارولد ماكميلان » جرت عملية التسليم والتسلم ، ولعلها كانت أول مرة فى التاريخ تحدث فيها مثل هذه العملية رسميا وتسجل على ورق وتوقع وتختم .

وتسجل وثيقة فريدة من ملفات وزارة الخارجية الأمريكية هذا المشهد الغريب فى التاريخ بعنوان :

« اتفاق على تخفيض الالتزامات البريطانية وراء البحار

١ - إن الرئيس الأمريكى يعبر لرئيس الوزراء البريطانى عن فهمه للضرورات التى تدعو الحكومة البريطانية إلى تخفيض اعبائها فى الشرق الأوسط ، وهو يتعاطف مع رغبة هذه الحكومة فى جعل التزاماتها فى المنطقة متوازنة مع مواردها الاقتصادية والعسكرية .

٢ - إن الرئيس قد اخطر رئيس الوزراء البريطانى بان الولايات المتحدة لن تستطيع تحمل كل الأعباء البريطانية التى ترى الحكومة البريطانية انها مضطرة الى التخلى عنها ، ولهذا فإن الولايات المتحدة تامل فى أن تواصل الحكومة البريطانية إخطار الحكومة الأمريكية بخططها فى المستقبل .

٣ - إن الرئيس سوف يتخذ الترتيبات التى تكفل استمرار التشاور مع الحكومة البريطانية فى المسائل والحالات التى يتعين فيها استطلاع راى الحكومة البريطانية ، وسوف يكون ذلك موضع الاعتبار .

٤ - إن الرئيس يعرب عن امله فى أن الحكومة البريطانية سوف تقوم بتخفيضات تدريجية ومنتقاة بما يناسب المصالح الغربية بصفة عامة ، ويتفق مع مطالب الأمن الضرورية للسلامة المشتركة . »

وكان « ماكميلان » على استعداد للقبول ، وكان له طلب واحد فى المقابل وهو أن تحصل بريطانيا على دعم مالى عاجل قيمته ٤٠٠ مليون جنيه استرلينى .

وبنهاية الإمبراطورية البريطانية فى المشرق ، وبانتهاء دور فرنسا فيه قبلها - كان الطريق قد انفتح لفصل جديد من الصراع على الشرق الأوسط وفيه .

الولايات المتحدة - بدلا من بريطانيا وفرنسا - ضد حركة القومية العربية الصاعدة بقيادة « جمال عبد الناصر » .

والولايات المتحدة مباشرة ضد الاتحاد السوفيتى الذى كان يتقدم الى المنطقة باعتباره الصديق الأهم لحركة القومية العربية الصاعدة .

الباب الثانى

معركة القرن

هناك « لعبة أمم » حقيقية - لكن موازين القوة هى التى تحركها ، وليس تسلل الجواسيس !

الفصل الأول

بداية العصر الأمريكى

١

وأخيرا تحقق للولايات المتحدة الأمريكية ما سعت إليه خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ـ وهو أن تصبح المسؤول الأول والأخير والقوة الوحيدة المعتمدة من الغرب كله لحماية مصالحه فى الشرق الأوسط وصيانة امنه ، ولم تكن الإمبراطوريات الغربية القديمة ـ بريطانيا وفرنسا ـ قابلة هذا الوضع أو راضية عنه ـ لكن هزيمتهما فى السويس لم تترك لأيهما مجالا للمكابرة ، ولم يعد هناك مفر من الاستسلام بالكامل للقيادة الأمريكية .

كان الرئيس الأمريكى « فرانكلين روزفلت » هو الذى بدأ (من سنة ١٩٤٠ إلى ١٩٤٥) مخطط إزاحة الامبراطوريات القديمة المسيطرة على الشرق الأوسط لكى يتحقق الإرث للإمبراطورية الجديدة البازغة فى الغرب ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية .(١)

وفى عهد خلفه الرئيس « هارى ترومان » (من سنة ١٩٤٥ الى ١٩٥٢) تباطأ الزحف الأمريكى على الشرق الأوسط لأن أوروبا عادت لتصبح ميدان الصراع العالمى الرئيسى ، فقد كانت تلك سنوات المشكلة الألمانية ، ومشروع « مارشال » لإعادة

---

(١) رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس ـ الجزء الأول ـ الفصل الثانى (نفط ونفوذ !) الصفحات من ٤٢ إلى ٦٠ .

إنعاش أوروبا الغربية إقتصاديا ، ومبدأ « ترومان » للأمن المشترك ، ومشكلة برلين ولمن تكون السيطرة عليها وهى قلب أوروبا تماما .

وأحيانا كان الشرق الأقصى ينافس أوروبا كمسرح ثان - وليس ثانويا - وذلك بقيام الحرب الكورية وتطوراتها التى أدت إلى ظهور الصين الشعبية كقوة كبرى فى آسيا .

وأما الشرق الأوسط ، فقد كان منطقة صراع مؤجل ، وكان أهم ما حدث فيه تلك الفترة هو إقامة إسرائيل التى تبعتها الحرب العربية الإسرائيلية الأولى سنة ١٩٤٨ . وفى الواقع فإن عملية إقامة إسرائيل لم تجر بالصراع العالمى وإنما جرت بنوع من التوافق ، فقد شاركت القوتان الأعظم بنفس المقدار تقريبا فى إقامة الدولة الاسرائيلية على حساب الوطن الفلسطينى . بل إن هذا الحدث لم يكن صراعا بالمعنى الحقيقى حتى على المستوى الإقليمى لأن النظم الحاكمة فى العالم العربى وقتها لم تكن طليقة .

وعندما انتهت رئاسة « هارى ترومان » فى آخر سنة ١٩٥٢ كانت الموازين فى أوروبا قد جرى ضبطها على نحو أو آخر . وكانت الحرب الكورية قرب نهايتها .

وعندما تولى الرئيس « دوايت ايزنهاور » رئاسة الولايات المتحدة يوم ٢٠ يناير ١٩٥٣ بدا أن الزحف على الشرق الأوسط يوشك أن يستأنف من جديد . فقد كان بموارده الاقتصادية ، ومواقعه الاستراتيجية ، وممراته المائية والجوية أهم غنائم الدنيا فى حين أن بقية مسارح الصراع العالمى (أوروبا والشرق الأقصى) كانت قضايا أمن أو ردع ، أو وضع حدود وموازين ومناطق نفوذ .

كانت القوة الأمريكية وقتها فى الذروة معززة بانتصار كامل فى الحرب العالمية الثانية ، وباحتكار للأسلحة النووية شبه مطلق ، وبموارد اقتصادية صناعية وزراعية ومالية بدت غير قابلة للنفاد .

وكان الرئيس الأمريكى فوق قمة هذا الهرم الضخم من القوة رجلا يختلف عن غيره من الرجال .

ويروى الرئيس « ترومان » فى يومياته[٢] المودعة فى المكتبة الوطنية المعروفة باسمه فى « ميسورى » مشهد لقاء بينه وبين « ايزنهاور » تم يوم ٢١ نوفمبر ١٩٥٢ - أى بعد أسبوعين من إعلان نتيجة انتخابات الرئاسة التى فاز فيها « ايزنهاور » مرشح الحزب الجمهورى على منافسه « ادلاى ستيفنسون » مرشح الحزب الديمقراطى .

(٢) الكراسة السابعة ، صفحة ٨٦ - من هذه اليوميات .

يقول « ترومان » :

« دعوت ايك (ايزنهاور) إلى لقائى فى البيت الابيض . اردت ان اشرح له احوالنا العامة واتجاهاتنا السياسية فى العالم ، وان اطلعه على ما يلزم إطلاعه عليه من الأسرار حتى يكون لديه الوقت الكافى للتفكير والتشاور مع مساعديه عندما يدخل إلى البيت الأبيض ليمارس الحكم .
اردت ايضا ان اعطيه فكرة عن اختصاصات ومسئوليات الرئيس .

« ايك » لم يكن يعرف الكثير عن حقائق الأمور وقد حاولت بامانة ان اقول له كل شىء ، كل ما يجرى ورايى فيه ونصائحى إذا اراد ان ياخذ بها .

استمع إلى « ايك » وانا اتحدث وبدا لى ماخوذا بما يسمع ، واخيرا نطق وقال لى :

سيدى الرئيس لم اكن اتصور المسائل على هذا النحو ؟

لم اكن اتصور ان الرئيس الامريكى يملك مثل هذا القدر من القوة غير المسبوق فى التاريخ .

يظهر ان لديه من السلطة اكثر مما كان للإسكندر الأكبر ، ولقيصر ، ولجنكيز خان ، ولنابليون ، وللويس الرابع عشر كلهم مجتمعين ! »

□

وبدأ « ايزنهاور » بمنطقة الشرق الأوسط ، فقد كانت هى المنطقة التى عرضت نفسها عليه كمسرح رئيسى لاستئناف الزحف الامبراطورى الذى بدأه « روزفلت » .

كان « روزفلت » وهو يحاول برفق أن ينتزع ميراث بريطانيا وفرنسا قد ركز على ثلاثة بلدان قابل ملوكها على ظهر الطراد الأمريكى « كوينسى »[٣] فى مياه البحيرات المرة بقناة السويس ، فى أثناء عودته من مؤتمر يالطا فى شهر فبراير ١٩٤٥ ، وهم : الملك « فاروق » ملك مصر ، والملك « عبد العزيز آل سعود » ملك العربية السعودية ، والامبراطور « هيلاسلاسى » ملك إثيوبيا .

أما « ايزنهاور » سنة ١٩٥٣ ، وعند توليه الرئاسة ، فلم يكن فى حاجة إلى الرفق ، وهو يقترب من منطقة الشرق الأوسط ، ويحدد أهدافه فيها ومطالبه منها .

تغيرت الأمور كثيرا عما كانت عليه فى محاولة « روزفلت » سنة ١٩٤٥ .

من ناحية تعزز النفوذ الأمريكى إلى حد الاحتكار فى السعودية واثيوبيا . ففى السعودية اكتملت سيطرة « أرامكو » على مصادر البترول السعودى ، وازداد

(٣) رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس - الجزء الأول - الفصل الثانى (نفط ونفوذ !) الصفحات من ٤٢ إلى ٦٠ .

الالتصاق السياسى بين واشنطن والرياض . كما وصل النفوذ الأمريكى إلى درجة الاحتكار أيضا فى إثيوبيا بعد أن تصادم « هيلاسلاسى » مع البريجادير « لاش » البريطانى الذى كان يرأس البعثة العسكرية البريطانية فى أديس أبابا منذ تحرير إثيوبيا من الإيطاليين سنة ١٩٤١ وقد انتهى هذا الصراع بمشهد غريب ، ذلك أن الإمبراطور الإثيوبى الذى وجد البريجادير البريطانى يتصرف وكأنه هو الامبراطور الحقيقى ـ تشجع بمساندة الولايات المتحدة ، وقرر أن « يتصرف » مرة واحدة ، وإلى الأبد مع البريجادير « لاش » ، وهكذا دعاه إلى القصر وعنفه ، وتعالى البريجادير « لاش » يرد على الامبراطور وكأنه ند له ، وإذا الامبراطور يستدعى حرسه ، ويقول للبريجادير المذهول : « إننى أعرف أن « لاش » بالانجليزية تعنى الكرباج ، وسوف أجعلك الآن تعرف تماما ما هو معنى اسمك »[٤] ، ثم أمر الحرس بنزع بنطلون البريجادير وبجلده بالكرباج حتى يعود إلى صوابه ، ولم يتمزق جلد « لاش » فى موضع حساس من جسمه فحسب ، وإنما تمزق فى نفس اللحظة ما تبقى من النفوذ البريطانى فى القرن الإفريقى !

من ناحية أخرى كانت هناك تغييرات ، فقد راحت إسرائيل التى كانت بدايتها توافقا غربيا شرقيا ـ تنجذب الى الغرب ـ فرنسا وبريطانيا أولا ، ثم الولايات المتحدة بضرورات الأشياء بعد ذلك .

ومن ناحية ثالثة ، فإن الملك « فاروق » الذى أرسى معه « روزفلت » أسس تفاهم مصرى أمريكى فى لقاء البحيرات المرة ـ فقد عرشه وحلت محله على قمة السلطة فى مصر مجموعة من الضباط يرأسها أحدهم وهو برتبة « كولونيل » ، وقد كانت هذه السلطة الجديدة فى مصر تتصدى للامبراطورية البريطانية وتحاول بحذر أن تقترب من الولايات المتحدة الأمريكية ـ لكن الموقف فى مصر بالنسبة لـ «ايزنهاور » كان مائعا فى البداية ، ثم ما لبث أن أخذ طريقا ينذر بالخطر بعد رفض مصر الانضمام الى أحلاف الغرب ، ثم شراؤها للسلاح من الاتحاد السوفيتى ، ثم تأميمها لشركة قناة السويس ردا على قرار أمريكى بسحب عرض المساهمة فى تمويل السد العالى .

وزادت نذر الخطر عندما رفض « جمال عبد الناصر » التسليم بأن الدور الأمريكى كان له الإسهام الأكبر فى ردع العدوان الثلاثى على مصر فى معركة سنة ١٩٥٦ ـ وبالتالى رفض أن يؤدى لهذا الدور مطالبه ومستحقاته كما يراها « ايزنهاور » لنفسه .

والواقع أن « جمال عبد الناصر » كان يعترف بأهمية الدور الأمريكى فى إفشال

(٤) مقابلة اجريتها مع الامبراطور « هيلاسلاسى » فى اديس ابابا فى شهر مايو ١٩٦٣ .

عدوان سنة ١٩٥٦ ـ لكنه رده إلى اصوله باعتباره خلافا بين حلفاء الغرب فى الأساليب ، وليس خلافا فى الأهداف ، ومع أن مصر استفادت من خلاف الأساليب إلا أن الحذر عليها واجب من التقاء الأهداف .

ولم يكن تقدير « جمال عبد الناصر » بعيدا عن الحقيقة ، فالوثائق الأمريكية عن هذه الفترة كلها تظهر بوضوح[٥] الخطوط التالية :

١ ـ مصر هى العقبة الوحيدة الباقية أمام مخطط السيطرة الأمريكية المطلقة على الشرق الأوسط ، فهى تعارض الأحلاف الغربية ، وأولها حلف بغداد ، ثم إنها ترفض الصلح مع إسرائيل ، وهو المقدمة الضرورية لتأمين مصالح الغرب فيها .

٢ ـ إن مصر تتشجع فى موقفها المعارض للمخطط الأمريكى بتحالف مع سوريا ، وهى المركز الفوار للقومية العربية ـ وبمساندة لها من المملكة العربية السعودية ، وهى أكبر الأثرياء فى العالم العربى ، والمبرر الأكبر لمساندة السعوديين هو عداؤهم التقليدى للهاشميين الذين انعقد لهم فى ذلك الوقت لواء حلف بغداد الموالى للغرب .

٣ ـ إنه إذا استحالت استمالة « جمال عبد الناصر » إلى جانب الغرب ، وإقناعه أو إرغامه على وقف التعامل مع الاتحاد السوفيتى ـ فإن السبيل الوحيد هو ضرب الثورة المصرية ، والقضاء على « جمال عبد الناصر » ، وتحقيق ذلك بعزله عن الملك « سعود » بالوقيعة ، وبانتزاع سوريا من صفه بالانقلاب ، ثم الخلاص منه شخصيا ، ولو بالقتل إذا اقتضى الأمر .

وكان القتل قد بدأ يدخل فى السياسة الدولية كسلاح معتمد ومقبول فى عالم طرات عليه حقائق كانت فى جوهرها تعبيرا جديدا عن أفكار سابقة طرحها « ماكيافيلى » فى القرن الخامس عشر حين نادى فى رسالته الشهيرة « الأمير » ـ بالفصل الكامل بين القوة ، وبين الأخلاق عند ممارسة الصراع السياسى !

(٥) رجاء مراجعة كتاب « ملفات السويس » صفحة ٤٣٧ و ٤٣٨ .

٢

كان الجنرال « دوايت ايزنهاور » وجها لوجه مع هذه الحقائق المستجدة على السياسة الدولية منذ اليوم الأول لدخوله الى البيت الأبيض، ولعله التقى ببعضها من قبل أثناء عمله كقائد عسكرى أعلى لقوات الحلفاء المنتصرة ضد « هتلر » فى الحرب العالمية العظمى الثانية ، ثم بعد ذلك أثناء توليه منصب القائد الأعلى لقوات الحلفاء فى أوروبا عقب تحقيق النصر :

أولى هذه الحقائق أن هناك الآن سلاحا ليس له سابقة فى التاريخ ، أى السلاح النووى ، وهو سلاح يستحيل استعماله فى القتال لأن قدرته على الدمار شاملة ، وإمكانية وصوله إلى أهدافه أفدح مما يستطيع تحمله طرف مقاتل ، مع العلم بأن الطرفين المرشحين للقتال به فى صراعهما للسيادة على العالم ، وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ـ كلاهما توصل إلى أسراره ، وتمكن من أساليب نقله واستعماله .

وهكذا فإن البشرية لأول مرة تملك سلاحا لايستطيع طرف أن يلجأ إليه ، أو يهدد باللجوء إليه إلا أن يكون ذلك بالخطأ غير المقصود فى الحسابات السياسية أو الحسابات التكنولوجية ، وقد كان هذا الخطأ غير المقصود هو ما يخشى منه « ايزنهاور » عندما تلقى نص الإنذار السوفيتى إلى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل مساء يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ بتوقيت واشنطن .

ويسجل الكولونيل « أ . ج . جودباستر » السكرتير العسكرى للرئيس « ايزنهاور » فى مذكرة سرية مودعة فى مكتبة « ايزنهاور » فى « آبيلين » بولاية « كانساس »[٦] ردة فعل « ايزنهاور » إزاء الانذار السوفيتى على النحو التالى :

« دخل هوفر (نائب وزير الخارجية الأمريكية) وسلم الرئيس مذكرة بولجانين ، وتعليق بوهلن (السفير الأمريكى فى موسكو) عليها . وقراها الرئيس كلمة كلمة ، وقدم له هوفر ردا اعدته وزارة الخارجية مقترحة إصداره عن البيت الأبيض .

وابدى الرئيس وجهة نظره ، ومؤداها ان ما يخشى منه ان الروس يرون ان موقفهم

(٦) الصندوق رقم ٤ فى مجموعة الاجتماعات الخاصة فى مكتب الرئيس « ايزنهاور » وتاريخ التقرير هو ٧ نوفمبر ١٩٥٦ .

فى الدول التابعة لهم فى اوروبا الشرقية تردى كثيرا نتيجة لتدخلهم المسلح ضد الثورة فى المجر ، وهم الآن على استعداد لأى مغامرة مجنونة .

ثم ابدى الرئيس رايه بان الروس لايمكن ان يكونوا على استعداد لمواجهة نووية مع الولايات المتحدة ـ وهى فى تقديره لعبة قمار يائسة .

ولاحظ المستر « فلجر » (احد المستشارين القانونيين للرئيس) ان مذكرة بولجانين تعرض على الولايات المتحدة التعاون فى العمل المباشر من خلال الامم المتحدة . وعقب الرئيس بقوله « إن مندوبينا فى الامم المتحدة لابد ان يقولوا لمندوبى الدول العربية : هل تريدون السوفيت فى الشرق الأوسط لكى يفعلوا معكم ما يفعلونه الآن مع المجر » .

ثم قال الرئيس إن الامر يقتضى دعوة مجلس الامن القومى بكامل هيئته لبحث الموقف .

ولاحظ المستر هوفر ان البريطانيين والفرنسيين ليس فى وسعهم ان يتوقفوا عن القتال قبل ان يسقط ناصر ، وان السؤال الذى تطرحه مذكرة بولجانين الآن هو « من يجب ان يذهب اولا : ايدن او ناصر ؟» ثم اضاف هوفر : « إن مركز ناصر الآن مهتز » » .

(ثم تجىء فقرة محذوفة بعد ذلك فى مذكرة « جودباستر » ـ والمفارقة ان لها تكملة فى اوراق « هوفر » نفسه إذ اورد فى مذكرة له تعقيبا على اجتماعه بالرئيس قدمها إلى وزير الخارجية جاء فيها « إن الرئيس قال إن مشكلة ناصر يمكن مواجهتها فيما بعد وبوسائل اخرى ، واما الآن فاظن انه من الافضل عدم الانسياق فى لعبة القمار مع بولجانين حتى ولو ادى الامر إلى ان يخرج ايدن اولا ثم يلحقه ناصر فيما بعد ! »)

□

وكانت الحقيقة الثانية وجها لوجه مع « ايزنهاور » أن الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية انفردت بظاهرة تختلف عن كل ما أعقب الحروب قبلها فى التاريخ .

كل حرب من قبل كانت مقدماتها حالة تعبئة عامة استدعت فيها الأطراف كل مواردها البشرية لحمل السلاح .

وكل حرب من قبل شهدت فى أعقابها حالة تسريح عامة قامت فيها الأطراف بـ « فك » حشودها الجرارة من البشر الحاملين للسلاح كى تعود أغلبيتها الساحقة الى حياتها المدنية العادية ـ كما كان حالها من قبل ـ تاركة للدولة جيشها النظامى عند الحد الأدنى الضرورى .

كل الحروب من قبل سبقتها حالة التعبئة العامة ، ولحقتها حالة التسريح العامة إلا الحرب العالمية الثانية ـ انتهت المعارك ومازالت هناك جيوش كبيرة ، وقوات مسلحة تواجه بعضها على نفس المواقع التى توقف عنها القتال الكبير .

وكانت الأسباب واضحة :

□ السلاح النووى لم يدع لأحد فرصة يتوهم فيها أن التعبئة انتهت ، والتسريح جاء أوانه ، فهذا السلاح النووى موجود وشبحه منتصب عند حافة الأفق !

□ ثم إن اندلاع الحرب الباردة بين عقائد مسلحة جعل التربص قائما والمفاجآت محتملة .

□ والخوف من المفاجآت المحتملة دفع إلى سباق فى السلاح النووى والتقليدى لأن كل طرف من الأطراف يخشى أن يتمكن الطرف الآخر من الحصول على ميزة عليه تعطيه تفوقا يغريه بالإقدام على المغامرة .

□ وأوروبا لا تستطيع أن تواجه الاتحاد السوفيتى وهو أمامها على الأرض إلى الشرق من القارة الأوروبية ، وهكذا يجب أن توجد الولايات المتحدة الأمريكية بقواتها فى القارة .

هذه العوامل كلها أدت إلى حلفين متقابلين فى أوروبا ـ حلف الأطلنطى فى الغرب ، وحلف وارسو ردا عليه فى الشرق ـ أى أكثر من ثلاثمائة فرقة على جانبى الخطوط فى أوروبا المقسمة سياسيا وعقائديا وعسكريا ، وفوقها على الناحيتين ظلال نووية كئيبة .

كانت لهذا الوضع تداعيات بالغة الأهمية :

جيوش ضخمة باقية فى حالة السلام ـ مؤسسة عسكرية تتزايد قوتها ونفوذها ـ مصالح نامية ومتشعبة أصبحت حياتها هى « صناعة وتجارة » الأمن القومى ! ـ علاقات بين السياسة والسلاح تتوثق روابطها بعيدا عن ميادين القتال .

والمشكلة أن هذا كله لابد له أن يتحرك ـ لكنه فى نفس الوقت لايستطيع أن يمارس حركته أمام بعضه غربا وشرقا وبأسلوب العمل المباشر .

وربما كان أكبر أخطاء « ايدن » فى معركة السويس هو نسيانه لهذه المشكلة ، وقد كانت أهم « موعظة » بعث بها « ايزنهاور » الى « ايدن » فى

اللحظات العصيبة للسويس هى قوله على التليفون لـ « هارولد ماكميلان » وزير الخزانة البريطانى لكى ينقلها لـ « ايدن » :

« قل لأنتونى على لسانى إنه ما دام قد تصرف وحده خارج حلف الأطلنطى ، فليس من حقه أن يلجأ إلى حماية مظلة هذا الحلف عندما تتعقد الأمور معه » !

□

وأخيرا كانت الحقيقة الثالثة الماثلة أمام « ايزنهاور » هى تزايد دور أجهزة العمل السرى ، فقد بدت بعد الحرب العالمية الثانية ، وفى إطار القيود المفروضة على حركة الجيوش بحكم الموازين الحساسة للقوى ومخاطر الأسلحة الجديدة ـ وسيلة متاحة ومباحة للعمل المباشر على الأجنحة ووراء خطوط المواجهة المستحيلة .

وكان نشاط « المخابرات الأمريكية » قد اتسع فترة الحرب العالمية الثانية بمقدار اتساع دور الولايات المتحدة فى هذه الحرب ـ كما أن مجالات نشاطها تنوعت .

كان هناك ـ أولا ـ مجال الحصول على المعلومات العسكرية الصرفة ـ وكان أهم مصدر لهذه المعلومات هو فنون التقاط إشارات الجيوش المتحاربة بما تحتويه من خطط وتقديرات وتوجيهات وأوامر ، وفك شفراتها ، وقد أنشىء جهاز كبير فى الولايات المتحدة لهذا المجال تحول بعد الحرب إلى وكالة الأمن القومى .

وكان هناك ـ ثانيا ـ مجال الحصول على معلومات سياسية عن مسار الحرب وأحوال أطرافها ـ وكان أهم جهاز لهذه المعلومات هو مكتب الخدمات الخاصة ، وكان مقره فى سويسرا ، وكان المسؤول عنه هو « آلان دالاس » وقد تحول هذا الجهاز بعد الحرب ، وفى عصر الرئيس « ترومان » ، إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وكان هناك ـ ثالثا ـ مجال تحليل المعلومات المتاحة كلها ، والوصول الى معانيها الحقيقية ودلالاتها المستقبلية لكى تدخل كعنصر مؤثر فى صنع القرار السياسى ، وإلا فإن حصيلة المخابرات تصبح مجرد قصص وحكايات مثيرة فى حد ذاتها لكنها ليست مؤثرة على مجرى الحوادث .

وفى ظروف الحرب استطاع هذا المجال أن يجند خيرة عناصر المفكرين فى الولايات المتحدة ، فقد كانت خدمتهم الوطنية فى إطاره أفيد ألف مرة من حمل السلاح .

وعندما يتذكر اى باحث مدقق أن خيرة المفكرين السياسيين والاقتصاديين فى الولايات المتحدة من أمثال « كينيث جالبرايث » (أشهر الاقتصاديين الأمريكيين) و « أرثر شلزنجر » (واحد من أكبر أساتذة التاريخ) و « ماك جورج باندى » (ألمع أساتذة العلوم السياسية) فضلا عن رجال من أمثال « هنرى كيسنجر » و « والت روستو » و « زبجنيو برجينسكى » ـ كانوا جميعا فى المخابرات الأمريكية فى مجال الدراسة والتحليل ـ لتأكد له إلى أى مدى امتزجت تجربة المخابرات بتجربة صنع القرار السياسى فى واشنطن !

إن هؤلاء جميعا بعد الحرب أصبحوا مستشارى الأمن القومى للرؤساء فى البيت الأبيض ، ووزراء للخارجية ، ومسؤولين تركوا بصماتهم واضحة على القرار الأمريكى ابتداء من الخمسينات وحتى الثمانينات .

□

ومع أن وكالة الأمن القومى .N.S.A كانت أكبر أجهزة المخابرات الأمريكية حجما وأكبرها نصيبا فى الاعتمادات المادية ، فهى مكلفة الآن بالتقاط كل إشارة تمرق فى الأجواء وفى الفضاء ومن أعماق البحار ، وكل حديث تليفونى فى العالم ، وكل رسالة شفرية مع حلها وتحليلها ـ إلا أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .C.I.A كانت **هى الأكثر** شهرة والأقوى فعلا ، فقد تحولت بعد الحرب العالمية الثانية ، وبقرار من الرئيس « ترومان » إلى **جهاز لـ « صنع وتنفيذ السياسات »** أى أنها وسيلة العمل المباشر وأداة القوة الفاعلة على الأرض ، للسياسة الأمريكية خلال العقود الأخيرة ، وحتى هذه اللحظة .

ولقد بدأ العصر الذهبى لوكالة المخابرات المركزية مع إدارة « ايزنهاور » تقريبا ، فإن الجنرال الذى دخل إلى البيت الأبيض كان يعرف بحكم خبرته العسكرية فى الحرب وقيادته لحلف الأطلنطى بعد الحرب أن الأسلحة النووية قد جعلت ممارسة القتال مستحيلة ـ وإذن فلا بد للصراع ـ أى للحرب من أن تعبر عن نفسها بوسائل أخرى خفية حتى لا تتأثر إلى درجة الخطر موازين حساسة .

أضيف إلى هذا العنصر الذاتى لدى « ايزنهاور » عنصر آخر إضافى ، وهو أنه اختار « جون فوستر دالاس » وزيرا لخارجيته ومنحه صلاحيات واسعة فى إدارة السياسة الأمريكية .

و « جون فوستر دالاس » هو الشقيق الأكبر لـ « آلان دالاس » .

« جون » مسؤول ـ كوزير للخارجية ـ عن إدارة سياسة الولايات المتحدة

الخارجية ، و « آلان » ـ كمدير لوكالة المخابرات المركزية ـ مسؤول عن تنفيذ أهداف هذه السياسة على الأرض وعمليا . وفى المواقع التى انتقل اليها الصراع بين القوتين الأعظم ، وميدانها هو العالم الثالث وفى قلبه بالتحديد الآن ـ الشرق الأوسط الذى هو مقر ومستقر وموطن أهم المصالح الأمريكية الاقتصادية والسياسية والأمنية .

هكذا برؤية الرئيس الذاتية للأمور ، وبالعلاقة الحميمة الى درجة الإخوة بين وزارة الخارجية وإدارة المخابرات المركزية ـ تداخلت الاختصاصات وتكاد تكون امتزجت فى فترة معينة من تاريخ الشرق الأوسط .

٣

وحين قام الرئيس « دوايت ايزنهاور » بتحديد أهداف سياسته فى الشرق الأوسط ـ فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أصبحت بشكل شبه تلقائى **هى** أداته الرئيسية فى تنفيذ هذه السياسة تعاونها وزارة الخارجية الأمريكية ـ وليس العكس !

كانت الوكالة فى السنة الأولى من حكم « ايزنهاور » قد حققت له انتصارين بارزين :

انتصار فى « جواتيمالا » تمكنت فيه من إسقاط حكم الكولونيل « آربينيز » الذى قام بعد توليه السلطة بمقاومة مصالح « شركة الفواكه المتحدة » وهى أكبر الشركات العاملة فى أمريكا اللاتينية . ولم يسقط حكم « آربينيز » فقط ، ولكنه صفى جسديا أيضا .

ثم انتصار فى « إيران » تمكنت فيه الوكالة من إسقاط نظام « محمد مصدق » الزعيم الوطنى الذى تصدى لامتيازات البترول البريطانية ، ورفض التنازل عنها ببساطة للشركات الأمريكية ، وفى الوقت الذى خاف فيه شاه إيران من ثورة « مصدق » وهرب من طهران ـ فإن ممثل الوكالة فى الشرق الأوسط وهو « كيرميت

روزفلت » تمكن من قيادة انقلاب مضاد للثورة عاد به الشاه إلى العرش ، ودخل بعده « مصدق » إلى السجن !

وجاء الدور على مصر .

☐

لم يكن « كيرميت روزفلت » غريبا على مصر ، فقد كان هو الذى انتدب بعد لقاء « روزفلت » بالملك « فاروق » سنة ١٩٤٥ ليكون حلقة وصل مع « أحمد محمد حسنين » (باشا) رئيس الديوان الملكى وقتها . وعندما قتل « حسنين » (باشا) فى حادثة سيارة على كوبرى قصر النيل سنة ١٩٤٦ ـ انتقل اتصال « كيرميت روزفلت » إلى عدد من الصحفيين الموظفين بالقصر أو العاملين لحسابه ، وبينهم « كريم ثابت » (باشا) المستشار الصحفى للملك .

كان « كيرميت روزفلت » بالمهنة الأصلية مدرس تاريخ ، ثم تحول إلى العمل فى المخابرات فى ظروف الحرب ، فقد اختارها مثل غيره من طبقته(٧) من هيئات التدريس فى الجامعات . وكان الغطاء الذى أعطى لـ « كيرميت » هو غطاء المراسل الصحفى فى الشرق الأوسط ، وتحت ستاره كان يمارس عمله الحقيقى .

وبعد الحرب كتب « كيرميت » كتابا عن المنطقة باسم « **بترول العرب وسياساتهم** » والتحق لعدة شهور بشركة الخليج للبترول التى كان لها النصيب الأكبر فى امتيازات نفط الكويت ـ لكن الاهتمام بالشرق الأوسط ما لبث أن استدعاه مرة أخرى للخدمة فى الوكالة ، حيث تولى الاشتراك فى العمليات الجانبية لانقلاب « حسنى الزعيم » وهو انقلاب تلاقت فيه مطالب السياسة مع مطالب شركات البترول . السياسة تريد وضعا ثابتا فى سوريا بعد الهزة الكبرى لمعركة سنة ١٩٤٨ التى انتهت بقيام إسرائيل ، والشركات تريد امتيازا لمد خطوط أنابيب لنقل البترول عبر سوريا .

وفى الشهور الأولى من سنة ١٩٥٢ ظهر « كيرميت روزفلت » فى مصر ثلاث مرات يمكن الآن رصدها ، وفيها التقى بعدد من أقطاب القصر وأقطاب الوفد وكبار الساسة البارزين على الساحة وقتها مثل « على ماهر » (باشا) و « نجيب الهلالى » (باشا) وكان شديد الاهتمام بوزير الداخلية مع كلا الرجلين وهو « مرتضى المراغى » (باشا) ويظهر أنه توسم فيه مستقبلا يجعل منه رجل الساعة فى تلك الفترة .

وتكفل قيام الثورة يوم ٢٣ يوليو بوضع حد لخطط هذا المستقبل المتوهم ! وعلى

(٧) كان عم والده هو « تيدى روزفلت » الذى كان رئيسا للولايات المتحدة فى مطلع القرن العشرين ، وقد قدمت عائلة روزفلت رئيسا اخر لأمريكا هو فرانكلين روزفلت الذى قاد بلاده فى الحرب العالمية الثانية .

اى حال فإن « كيرميت روزفلت » لم يلبث ان عاد إلى مصر بعد الثورة لأول مرة فى شهر اكتوبر ١٩٥٢ وكان يحمل جواز سفر دبلوماسيا يصف عمله بأنه « **مساعد خاص للرئيس** » ـ وكان ذلك هو الوصف الذى يطلق على طبقة معينة من رجال وكالة المخابرات المركزية .

كانت الوكالة ـ فى تركيبها الداخلى ـ مجتمعا طبقيا بالفعل .

- **على قمته عدد من أبناء العائلات الكبيرة الذين أدوا مثل « كيرميت » خدمتهم الوطنية فى إطار المخابرات ، ومعظمهم من الذين أتيحت لهم فرصة العمل مباشرة مع « آلان دالاس » فى عصر مكتب الخدمات الخاصة فى سويسرا . كان هؤلاء هم المكلفون بالاتصال بالملوك والقادة ، وكانوا يطلقون عليهم وصف « أعضاء النادى » ، وفى الغالب فإن مهامهم كانت مساندة العروش (كما حدث فى إيران) أو إعداد الانقلابات (كما حدث فى أكثر من بلد فى أمريكا اللاتينية) .**

- **تحت القمة كانت هناك الطبقة التى أطلقوا عليها وصف « الكشافة » ومعظمهم من أبناء العائلات المتوسطة والمهنيين السابقين ، وهؤلاء كانت مهمتهم إقامة العلاقات ، وتنظيم الشبكات ، وترتيب مهام جمع المعلومات من مصادرها ، وفى الواقع فإن معظم هؤلاء وجدوا الغطاء العملى لنشاطهم فى السلك السياسى ، حتى أن لجنة « تشرش » فى الكونجرس اكتشفت عندما تولت التحقيق فى نشاط المخابرات أن أكثر من عشرين فى المائة من الدبلوماسيين الملحقين بالسفارات الأمريكية فى الخارج هم من رجال المخابرات .**

- **وكان القاع فى الوكالة يضم الطبقة الثالثة ، وهى طبقة الرجال المكلفين ، أو الذين يمكن تكليفهم بالعمليات مباشرة ابتداء من سرقة أو تزوير الأوراق والمستندات ، ووضع أجهزة التصنت والاستماع ، وحتى جرائم الخطف والقتل ، وكان الوصف الشائع لهذا النوع من الرجال هو انهم قسم « الخداع » أو « التضليل الإعلامى » أو « الألعاب القذرة » ـ طبقا لنوع التكليفات التى تصدر إليهم .**

☐

وربما أمكن القول ـ رغم ما فى القول من تناقض ـ إن طبقة القمة فى وكالة المخابرات المركزية كانت إلى حد كبير متفتحة التفكير . فاتصالاتها فى وطنها ومباشرة مع مستويات صنع القرار (البيت الأبيض ـ الخارجية) . كما أن اتصالاتها خارج

وطنها سياسية ايضا فى الغالب . وكان نصف عملها خفيا ونصفه الأخر ظاهرا . وكان النصف الخفى بعيدا قدر ما هو ممكن عن مستوى « الألعاب القذرة » ـ وبالتالى فإن أفراد هذه الطبقة كانوا من نوع يمكن له أن يعيش وأن يتحرك فى أجواء متحضرة ، ووفق قواعد مقبولة للسلوك بعيدة الى حد كبير عن التشوهات المهنية التى تلحق بأفراد الطبقة الثانية أحيانا ، وأفراد الطبقة الثالثة دواما .

إن كل مهنة فى الدنيا تؤثر على أصحابها بطبيعتها بمقدار ما أن أصحابها يؤثرون فيها بقدراتهم ، ولعل مهنة العمل السرى من أكثر المهن المؤثرة على الذين يحترفونها . والتأثير يزداد بمقدار سرية العمل .

والذى يقرأ كتاب « صائد الجواسيس » لـ « بيتر رايت » الذى حاربته السيدة « مارجريت تاتشر » الى اللحظة الأخيرة بذريعة عقد السرية بين رجل المخابرات ، وبين جهازه مما يحرم عليه إذاعة أى شىء عن خبرته وخدمته إلا بتصريح مكتوب ـ يشعر إلى أى مدى تؤثر مهنة المخابرات فى أصحابها . **فهى مهنة توقظ الإحساس بالوهم لدى المشتغلين بها . تجعلهم يرون أخطارا لا وجود لها ، لأن وجود مثل هذه الأخطار هو فى حد ذاته مبرر وجودهم . بعد الوهم هناك تجسيد الوهم ، فوجود خطر يتطلب على الفور إيجاد مصدر تلقى عليه ذنوبه وأوزاره . ثم إن الحياة مع الوهم تورث حالة من الشك الدائم فى كل الأشياء وكل الأشخاص . وحالة الشك الدائم بدورها تخلق إحساسا بالخطر الداهم الذى لابد من توقيه ، والرد عليه قبل وقوعه إذا أمكن . ولقد كان مثل هذا التفكير هو الذى دعا عناصر من المخابرات البريطانية إلى هوس الاعتقاد ان رئيس وزراء بريطانيا العمالى الشهير « هارولد ويلسون » هو عميل للاتحاد السوفيتى ، ثم تصل من هذا الاعتقاد إلى ضرورة إزاحته عن منصبه ، ولو حتى بانقلاب فى أعرق الدستوريات البرلمانية وهى بريطانيا . ووصل الأمر بمجموعة من ضباط M.I.6 إلى حد انهم تدارسوا فى اعتقال « هارولد ويلسون » وكل مجلس وزرائه ، ووضعهم تحت التحفظ على الباخرة « كوين مارى » بعد تحويلها إلى سجن مؤقت ريثما يتم تطهير بريطانيا من « أعوانهم الشيوعيين العملاء » !**

مهنة المخابرات ايضا تعلم أصحابها دروسا بالغة السوء بينها اختراق القانون فى حماية السلطة ، فالذى يتجسس ويتصنت ويفتش ويغتال عند اللزوم يخرق القانون معتمدا على حماية مكفولة له ، ومع الأيام تصبح حدود القانون خطوطا وهمية يتجاوزها الناس حتى دون أن يتنبهوا !

فوق ذلك فإن العمل السرى بطبيعته يؤدى الى استشراء نوع من الفساد الجامح . فالعمليات السرية تقتضى مصادر للتمويل سرية . كما انها تقتضى

سلطات هى الأخرى سرية . ومع وجود تمويل سرى وسلطة سرية خصوصا إذا طالت مدة البقاء فى المنصب السرى ـ وكثيرا ما يحدث ذلك لأن الخبرة المكتسبة تصبح داعيا إلى طول البقاء ـ فإن النتيجة كوارث محققة ، وقد تكررت الظاهرة فى كل أجهزة المخابرات فى العالم .[٨]

العمل السرى إضافة إلى ذلك كله يعطى أصحابه إحساسا زائدا بالأهمية ، فهم يعرفون الآخرين ظاهرا وباطنا ، ويرونهم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم ، وهذا يخلق لديهم ـ شاءوا أو لم يشاءوا ـ شعورا بالاستهانة بالآخرين ، ورغبة كامنة فى التنكيل بهم لأنهم يظهرون للناس فى رأيهم ـ على غير حقيقتهم ـ لكن الحقيقة كلها ملك للعمل السرى وحده ، فهو المطلع وهو القادر ! !

واحتياج الدولة الحديثة للمعلومات ، وتردد الدولة الحديثة أمام احتمالات الحرب ، يجعل أجهزة المخابرات على كل المستويات هى الجهاز الأثير لكل الأنظمة شرقا وغربا من أبواب السلطة العليا فى أى وطن ، فهى العين التى ترى فى الظلام ، ثم إنها الذراع التى تضرب فى الظلام أيضا ![٩]

كان « كيرميت روزفلت » من الطبقة الأقل تأثرا بهذه التشوهات المهنية ، وهكذا فإنه كان مقبولا فى أوساط العمل السياسى العربى ، بما فيها مصر قبل الثورة ، وتجدد هذا القبول فى مصر بعد الثورة ، وحتى بعد أن عرف « جمال عبد الناصر » يقينا بالهوية الحقيقية لـ « كيرميت روزفلت » وبأن وصف « مساعد خاص للرئيس» وهو الوصف المسجل على جواز سفره ليس إلا قناعا يغطى وجه الحقيقة .

ولابد من الإقرار بأن « كيرميت روزفلت » شارك بدور فى عملية توجيه قدر من الضغط على الحكومة البريطانية لكى توقع على اتفاقية الجلاء ، ويمكن أن يقال إنه كان مقتنعا بأن مصر يمكن أن تفكر جديا فى الانضمام إلى حلف غربى فى الشرق الأوسط إذا تحقق جلاء الانجليز أولا من قاعدة قناة السويس .

---

(٨) ظل ادجار هوفر رئيسا لوكالة المباحث الفيدرالية الأمريكية اكثر من اربعين سنة ، ولقد تمكن من تطويع كل الرؤساء الامريكيين الذين تعاقبوا على البيت الابيض طوال هذه الفترة ـ بعضهم اراد استغلال معلوماته ، وبعضهم الآخر خاف ان يستغل هو معلوماته ، والنتيجة اربعون سنة كاملة على قمة واحد من اكبر اجهزة الامن فى اقوى بلد فى العالم ، ثم تكشف بعد ذلك ان الرجل حالة عقلية ونفسية قريبة من حافة الجنون .

(٩) تعرضت كل اجهزة المخابرات فى العالم تقريبا لهذه العوارض بما فيها الـ C.I.A. الامريكية والـ K.G.B. الروسية والـ S.D.E.C.E الفرنسية ، ولعل هذه الاعراض من اكبر اسباب انحرافات جهاز المخابرات المصرى فى بعض الاحيان رغم ان هذا الجهاز قام بكثير من الخدمات للأمن القومى .

ودخل « كيرميت روزفلت » معركة حامية فى كواليس وكالة المخابرات المركزية حول تقدير الموقف فى مصر .

كانت هناك داخل الوكالة مدرستان :

- **أولاهما يمثلها « كيرميت روزفلت » وهى ترى « أن الثورة المصرية هى « شكل المستقبل فى العالم العربى » وأن الرهان على « جمال عبد الناصر » يمكن أن يكون استثمارا مفيدا للمصالح الأمريكية من حيث أن توجهاته قد تلتقى معها فى مستقبل الأيام ، فهو معاد للاستعمار التقليدى (بريطانيا وفرنسا) وهو معاد للشيوعية (روسيا) فى نفس الوقت . ومن ثم فان على الولايات المتحدة أن تتفهم دوافعه ، وأن تساعده فى حدود معينة ، ووفق اشتراطات تتحدد مرحلة بعد مرحلة . »**

- **وأما المدرسة الثانية ، فقد كان يتزعمها قطب آخر من أقطاب الوكالة هو « جيمس انجلتون » ، وكان « انجلتون » يرى « أن الضمان الوحيد لمصالح الولايات وأمنها فى الشرق الأوسط مرهون بإسرائيل ، والتعاون معها وتقويتها لكى تصبح الأداة الضاربة للنفوذ الأمريكى فى المنطقة خصوصا بعد زوال الاستعمار التقليدى وقواعده العسكرية الظاهرة »** . وكان « انجلتون » قد تعاون فى أوروبا مع اليهود ، وكانت التنظيمات اليهودية فى أوروبا الشرقية أهم مصادره فى المعلومات عن أحوال الاتحاد السوفيتى . وكانت الوكالة قد تنبهت مبكرا ـ حتى من أيام الحرب ـ الى هذا المصدر ، وحصلت على إعتمادات طائلة للعمل المشترك اطلق عليها اسم « الصندوق الإسرائيلى » وكان « انجلتون » هو المشرف عليه .

وفى الفترة من أوائل سنة ١٩٥٣ وإلى أوائل سنة ١٩٥٥ ـ كانت مدرسة « كيرميت روزفلت » تبشر بامكانية نجاح تقديراتها ، فقد كان « جمال عبد الناصر » يقاوم الانجليز بضراوة ، ويختلف مع الأمريكيين برفق ، ويكتفى بمقولة إنه لا يستطيع أن يفكر فى قضية الأحلاف إلا بعد جلاء الاحتلال البريطانى ، ونهاية الاستعمار فى مصر .

□

وجاءت صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتى فى سبتمبر ١٩٥٥ صدمة لـ « كيرميت روزفلت » ومدرسته ، واستدعاه « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية فى حضور شقيقه « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية يسأله تفسيرا

وإيضاحا لما جرى ، ثم يطلب إليه أن يطير على الفور إلى القاهرة ليقنع « جمال عبد الناصر » ـ أو يهدده ـ بالتراجع عن الصفقة[١٠] .

ولم ينجح « كيرميت روزفلت » فى مهمته ، لكنه لم يتخل بالكامل عن فكرته ، فقد ظل على إعتقاد بأن هناك « عملية إنقاذ » محتملة للموقف إذا أمكن إتمام صفقة مقايضة السد العالى بعقد صلح بين مصر وإسرائيل يفتح الطريق لحلف عسكرى يضم الشرق الأوسط كله ـ بما فيه إسرائيل ـ ضد الاتحاد السوفيتى .

كان « كيرميت روزفلت » يستعين باثنين من المساعدين له فى القاهرة ، وكلاهما كان داخل السفارة الأمريكية تحت الغطاء الدبلوماسى التقليدى ، أولهما « جيمس ايكلبرجر » الذى كان يشغل منصب الوزير المفوض فى السفارة الأمريكية بالقاهرة ، والثانى « مايلز كوبلاند » الذى عمل لبعض الوقت ملحقا بها .

وكان كلاهما فى القاهرة فى تلك الأيام ، لكن « كيرميت » كان فى واشنطن يتابع التطورات المتلاحقة :

استوعبت واشنطن صفقة الأسلحة السوفيتية لمصر مع الإصرار على إعتبارها بكل الوسائل صفقة واحدة غير قابلة للتكرار . وتوصلت واشنطن إلى فكرة مقايضة السد العالى بالصلح مع إسرائيل تمهيدا لإقامة الحلف العسكرى الغربى المسؤول عن أمن المنطقة بأكملها ، وتقرر أن يقوم وزير الخزانة « روبرت آندرسون »[١١] بحمل المشروع إلى « جمال عبد الناصر » وعرضه عليه :

وكان « كيرميت روزفلت » متحمسا . ومن واشنطن كتب إلى مساعده « جيمس ايكلبرجر » خطابا جاء فيه :[١٢]

« عزيزى ايك

إن « معركة القرن »[١٣] قد بدأت بالفعل كما لابد وانك استنتجت ، وسوف تبين الأسابيع القليلة القادمة والأشهر التى تليها ، ما إذا كنا نستطيع ان نرسم طريقا

---

(١٠) رجاء مراجعة تفاصيل رحلة كيرميت روزفلت ، ومقابلته لجمال عبد الناصر فى القاهرة فى كتاب ملفات السويس صفحة ١٧٨ و ١٧٩ .

(١١) رجاء مراجعة تفاصيل مهمة أندرسون ونتائجها فى كتاب ملفات السويس ـ الجزء الرابع ـ الفصل الثالث ـ الصفحات من ٣٨٧ الى ٣٩٣ .

(١٢) تمكن احد ضباط المباحث المصريين من دخول شقة ايكلبرجر فى عمارة البدراوى بالزمالك ـ وعثر على الخطاب ضمن اوراق اخرى وتمكن من التقاط صور له ولمجموعة الأوراق الاخرى .

(١٣) وصل روزفلت فى تقديره لاهمية حركة الحوادث وقتها الى حد تسميتها « معركة القرن » ، والحقيقة ان المعركة كانت قريبة إلى هذه الدرجة من الخطورة ، فقد كانت معركة السيادة والسيطرة على الشرق الاوسط !

يحقق مصالح كل من الولايات المتحدة والعرب ، وان نحصل على التاييد لهذا الطريق . . . . . »

ثم يتطرق الخطاب إلى عرض التيارات المؤثرة فى واشنطن ، ثم يطل الى أهم نقطة فيه ، وهى الواردة فى الصفحة الثالثة منه :

« والآن اود ان اوجه إليك ، وإلى هانك (هنرى بايرود ـ السفير الامريكى فى القاهرة وقتها) سؤالا جوهريا .

إن كل جهودنا ، وبالتاكيد كل نجاحنا يعتمد على افتراض ان ارتباط مصر الحالى بالسوفيت ليس اكثر من حل مؤقت من جانب ناصر . ونحن نبلغ الجميع اننا مازلنا نعتقد ان النية الأساسية لناصر هى ان يجد صيغة للتعاون مع الغرب ، فهل مازال ذلك صحيحا ؟

لقد شعرنا بالانزعاج للأنباء التى جاءت اخيرا عن قبول بعض المقربين من ناصر للخط السوفيتى ، وانهم مقتنعون بان هدف السوفيت فى العالم العربى لايعدو ان يكون الايحاء بالثقة وكسب الأصدقاء . ويكفى ان تتصور ما يمكن ان يفعله ذلك فى « المناطق الهشة » مثل سوريا والعراق ، وما يمكن ان يصيب مكانة مصر نتيجة لذلك .

يجب ان نظل قادرين على إبقاء المراجع العليا هنا مقتنعة بان ناصر لن يتسامح ابدا مع هذا العرض الساذج للدوافع السوفيتية . وان يكون فى وسعنا إعطاء تاكيد بان ناصر لايطلب منا ان نتقاسم صداقة مصر مع الاتحاد السوفيتى على قدم المساواة .

اكون شاكرا لو تلقيت تعليقكم فى اقرب وقت .

ك . ر . »

□

وجاء « روبرت آندرسون » مبعوثا من الرئيس « ايزنهاور » الى « جمال عبد الناصر » بعرض مقايضة السد العالى بالصلح مع إسرائيل ، ورفضه « جمال عبد الناصر » . ولم يكن هذا الرفض صدمة كبيرة للحكومة الأمريكية ، فلقد أرادت العرض بالدرجة الأولى كاختبار للنوايا ـ خرجت بعده بنتيجة محققة هى اعتبار « جمال عبد الناصر » عدوا فى المنطقة يتحتم حصاره وعزله والخلاف معه ـ وإلا فإن الشرق الأوسط بأسره معرض للخطر .

وأما بالنسبة لـ « كيرميت روزفلت » فإن فشل الافتتاحية الأولى فى « معركة القرن » كان صدمة كبيرة ، ولم يكن قلقه على مصر ، وإنما على وضعه هو فى وكالة المخابرات المركزية وعلى نفوذه ، فرجال هذه الوكالة ـ شأنهم شأن رجال أى مؤسسة ـ يكبرون أو يصغرون بصحة تقديراتهم ، وترتفع مراكزهم أو تهبط بمقدار ما يتحقق نجاح أو فشل هذه التقديرات ، وربما كان أكثر ما ضايق « كيرميت روزفلت » أن « جمال عبد الناصر » قرر بعد معركة السويس أن خط الاتصالات الثانى مع الولايات المتحدة لابد من إغلاقه ، والتعامل من خلال الخط الأول وحده ، وهو خط السفارات فى واشنطن والقاهرة ـ وكانت هذه هى الضربة القاضية ، ومع أن « جمال عبد الناصر » كان يحس بأزمة « كيرميت » من وجهة نظر إنسانية إلا أن الخطوط المبدئية أصبحت واضحة ومحددة .

ولقد كان باديا أن نجم « كيرميت روزفلت » إلى أفول فى وكالة المخابرات المركزية ، وكذلك نجم مجموعته .

والنجوم لاتنطفىء مرة واحدة فى العادة كأنها شمعة عصفت بها الريح ، وإنما يخفت ضوؤها ويشحب . . . ثم يتلاشى أمام النظر ثانية بعد ثانية إلى أن يغيب ـ وهذا ما حدث لـ « كيرميت روزفلت » تماما .

ظهر بعد ذلك فى عدد من المسارح التى تنقلت بينها الأحداث فى الشرق الأوسط .

ظهر فى بيروت يحاول أن يساعد فى عملية تدبير انقلاب فى سوريا ، وكانت عملية متشعبة تتضمن بين بنودها إنشاء وتقوية شبكة إعلامية فى بيروت تتولى شن الحرب النفسية على دمشق ، ووراءها القاهرة . وكانت هذه العملية تتم بتنسيق امريكى ـ بريطانى ، تشارك فيه أطراف عربية خصوصا من اعضاء حلف بغداد ، أو الموالين باطنا لهم !

ثم ظهر « كيرميت » فى عمان أثناء الصدام الذى دار فيها خلال شهر مارس سنة ١٩٥٧ والذى كان فى حقيقته تمهيدا للأرض فى الأردن لمرحلة تالية من « معركة القرن » !

ثم ظهر فى الرياض يلتقى بالأمير « فيصل » ولى العهد . . . وعاد إلى واشنطن ، ثم خبا آخر شعاع ، وترك « كيرميت روزفلت » وكالة المخابرات عائدا إلى شركة « جولف » للبترول مستشارا لمجلس الادارة .

وترك الوكالة بعده مساعداه « ايكلبرجر » و « كوبلاند » ، فقد افتتحا مكتبا للاستشارات التجارية شركة بينهما فى بيروت اعتمادا أو استغلالا لصلات سابقة مع شركات البترول وغيرها من المصالح الأمريكية فى المنطقة ، ثم انفضت الشركة ، ودار « **مايلز كوبلاند » ، بعد ذلك على المراكز التى عرفها فى خدمته السابقة بما فيها**

القاهرة . وفى البداية كانت هناك رغبة فى مساعدته عن فهم لما حل بمجموعة « كيرميت » كلها ، ثم تبدل الموقف بعد أن تبين أن « كوبلاند » يبحث عن صفقة يبيع فيها أى شىء لأى مستعد للشراء فى أى سوق .(١٤)

(١٤) وبالفعل فقد وجد « مايلز كوبلاند » مشتريا لبضاعته ، وهكذا كتب ونشر كتابا بعنوان « لعبة الأمم » ، يلمح فيه ـ تلميحا وليس تصريحا ـ إلى ان المخابرات المركزية الامريكية كانت تعرف مسبقا بثورة يوليو ، وانها كانت على صلة بها على نحو او آخر ، ولم يكن ذلك بالقطع صحيحا باعتراف « مايلز كوبلاند » نفسه الذى تتكفل مراسلاته التى كتبها بإظهار الخلل فى شخصيته . وعلى اى حال ، فإن هذا الكتاب لم يلبث ان اصبح الذخيرة الأثيرة لدى كل من يريدون الهجوم على ثورة يوليو . بحسن ـ او سوء ـ نية !

ولقد فكرت فى وقت من الاوقات فى نشر ملف مراسلات « مايلز كوبلاند » مع عدد كبير من الشخصيات المصرية التى عرفها اثناء عمله فى مصر حتى يستريح ويهدأ هؤلاء الذين اتخذوه مصدرا معتمدا ومرجعا ! وبالفعل أرسلت هذا الملف الى مركز الأهرام للترجمة والنشر لترجمته الى اللغة العربية ، وقام المركز بالترجمة الكاملة لنصوص قرابة مائتى صفحة ، وكنت انوى نشر الملف كاملا ، ثم غيرت رايى لأن كل امر من الأمور لابد أن تظل له نسبته الصحيحة إلى حجم الأحداث وقيمتها ، ومع ذلك فإننى انشر فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب قائمة بمجموعة رسائل « مايلز كوبلاند » ، وهذه القائمة كفيلة وحدها بإلقاء كل الأضواء على الحقيقة .

* نماذج من رسائل « مايلز كوبلاند » منشورة بنصوصها كما ترجمها « مركز الأهرام للترجمة والنشر » ـ فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت ارقام ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ صفحات ٨١٠ ، ٨١٤ ، ٨١٧ و ٨٢٠ .

الفصل الثانى

العالم العربى هو الميدان !

١

كان « كيرميت روزفلت » مصيبا إلى أبعد مما خطر له وهو يكتب لـ « جيمس ايكلبرجر » عن « **معركة القرن** » التى توشك أن تبدأ . لقد وضع فى هذا التعبير ـ ربما دون أن يقصد ـ خلاصة شعوره وفكره وتجربته كمدرس تاريخ ، وكاتب ومسؤول كبير فى إدارة المخابرات المركزية الأمريكية .

كانت فعلا « معركة القرن » ، فهى فصل آخر من فصول الصراع المتصل والمستمر للسيطرة على الشرق الأوسط ، والعالم العربى فى قلبه . معركة قديمة جديدة ، سابقة ولاحقة ، اتخذت لنفسها أسماء عديدة منذ بدات : المسالة الشرقية يوما ، وإرث رجل أوروبا المريض يوما آخر ، والسباق الى الاستيلاء على ولايات الخلافة العثمانية يوما ثالثا ـ وكانت الأوصاف كلها تدل على نفس الموصوف وذاته : من يملك هذه المنطقة الواقعة فى قلب العالم ، ومن يمسك بايديه مصيرها ؟

كان هذا الصراع من الأسباب الرئيسية طوال تاريخ الامبراطوريات القديمة والجديدة لما احتدم بينها من حروب حتى جاء القرن العشرون الذى أصبحت الحروب فيه عالمية ، وكان مصير الشرق الأوسط مطروحا أثناء الحروب ، وبينها وبعدها . . . فى الحرب العالمية الأولى سقطت الخلافة ، ما بين الحربين الأولى والثانية قامت الامبراطوريتان الاستعماريتان القديمتان بتقسيمها بينهما وفق اتفاقية « سايكس

بيكو » ، وفى إطار هذا التقسيم الذى حصلت فيه بريطانيا على حصة الأسد أعطت لليهود وعد « بلفور » فى فلسطين ، وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية تقدمت الولايات المتحدة تطلب الإرث الإمبراطورى لنفسها . وفى اللحظة التى تصورت فيها الولايات المتحدة أن الارث آل لها وقعت ثورة ٢٣ يوليو ، وما تبعها من تحولات كبرى ظهرت خلالها حركة قومية عربية مركزها القاهرة . وابتعدت الغنيمة عن اليد المستعدة للإمساك بها . ابتعدت . تأخر وصولها إلى طلابها لكنها لم تضع تماما ، أو هكذا بدا .

لم يكن « كيرميت روزفلت » مخطئا فى الوصف ، ولا فى التصور الذى استوحى منه الوصف وإن أفلتت منه بعض التفاصيل ، فقد ظن أن « معركة القرن » سوف تبدأ مع سنة ١٩٥٦ وأن هدفها هو استمالة مصر بما فيها « جمال عبد الناصر » .

ولكن « معركة القرن » فى الواقع بدأت سنة ١٩٥٧ ، ثم إن وقائع الأحداث سنة ١٩٥٦ غيرت من هدفها فى تخطيط « ايزنهاور » ، فلم يعد هذا الهدف هو استمالة مصر بما فيها « جمال عبد الناصر » كما قدر « كيرميت روزفلت » أو كما تمنى ـ وإنما أصبح هدفها « **الاستيلاء على مصر بغير جمال عبد الناصر** » .

كانت مصر لاتزال فى إطار تلك الحقبة من الصراع : « أهم بلد فى الدنيا » !

□

لاتتغير سياسات الدول العظمى ـ التى يرتكز قرارها على مؤسسات ـ مرة واحدة من النقيض الى النقيض ، وإنما يحدث التحول تدريجيا وتتغير التوجهات ببطء . ولا تقع الحركة من مسار الى آخر على شكل زوايا حادة ، وإنما على شكل منحنيات واسعة . وسياسة أى دولة عظمى فى هذه الحالة تكاد تشبه المناورة الواسعة فى عرض البحر لباخرة عملاقة تبدأ تغيير سياستها بتقليل سرعتها ، ثم تبدأ فى الدوران وعيون ربانها على خرائطه الملاحية حتى يضبط مقدمته على الخط الجديد لطريقه وسط جبال الموج .

ومثل هذه الحركة ليست طبيعية فحسب ، وإنما هى الطبيعة ذاتها ، فبين النهار والليل فترة يتداخل فيها النور والظلمة وهى فترة الغسق . وبين الليل والنهار فترة مماثلة تتداخل فيها الظلمة والنور وهى فترة الفجر .

وكان ذلك فى الأرجح شكل الحركة فى البيت الأبيض والجو الذى تدور فيه .

كان « ايزنهاور » يحاول تغيير مسار سفينة السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط مدركا ان مطالب الولايات المتحدة ومستحقاتها ـ كما تتصورها ـ لن تصل إلى يدها بوجود « جمال عبد الناصر » ودوره فى المنطقة وتاثيره فى العالم

بعد معركة السويس . وكان من الطبيعى ان تكون الحركة بطيئة . وكان يرى الظلام قادما لا محالة ، لكن التوقيت كان لا يزال بعد فى مرحلة الغسق .

وربما كانت محاولة تتبع الأوراق التى اطلع عليها الرئيس « ايزنهاور » فى هذه الفترة خير وسيلة لمتابعة تفكيره . ومن الواضح طبقا لمجموعة أوراقه انه كان يعرف ما يريد لكن التحركات لم تكن حادة ، وكذلك الأضواء متداخلة . ومن الخطأ ـ طبقا لأوراقه ـ وصف موقفه بالتردد ، وربما كان الصحيح وصف موقفه بأنه يريد أن يستوثق من اتجاهات حركته ومن موقعه على الخريطة الملاحية لساحة الصراع . وبالتأكيد فإنها آثار تجربته الطويلة كقائد لجيوش هائلة تزحف من مختلف الاتجاهات تحت أعلام مختلفة نحو هدف واحد .

والراجح أن ترتيب الأوراق فى ملفات أزمة الشرق الأوسط فى ذلك الوقت كان هو نفسه ترتيب عرضها على الرئيس ، ومن ثم فإن سياق تفكيره ماثل تماما فى تتابع الأوراق وترقيمها .

وهناك ظاهرة يمكن ملاحظتها فى أوراق « ايزنهاور » ، كان الشىء الوحيد الذى يكتبه بخط يده هو يومياته ، وأما ما عدا ذلك ، فلم يكن يكتب شيئا سوى بعض العلامات : علامة استفهام مرة . علامة تعجب مرة أخرى . إشارات بحروف مرة ثالثة . وأما غير العلامات والاشارات ، فقد كان يملى ملاحظاته وتوجيهاته على احد مساعديه ، وتصدر على شكل مذكرة من الرئيس الى الجهة التى يعنيها الأمر فى كل حالة .

فى هذه الفترة تظهر مجموعة الأوراق التالية واحدة وراء الثانية :

● تقرير استماع ملتقط من إذاعة القاهرة ، والتقرير يشير إلى أن لهجة الإذاعة المصرية أصبحت شيوعية بالكامل ـ على حافة التقرير علامة استفهام والواضح أن صاحبها هو « ايزنهاور » !

تليه برقية شفرية من السفير الأمريكى فى القاهرة يقول فيها :

« بالإشارة إلى البرقية رقم ١٢٠٤ تاكدنا ان ما قاله لنا ناصر صحيح . فقد كشفت المراجعة الدقيقة للأشرطة التى قدمها مكتب الاستماع عن وجود اختلافات مادية اساسية عن ترجمة قسم الاستماع المحلى بالسفارة ، ويبدو ان النشرة الملتقطة موضوع البرقية رقم ١٢٠٤ كانت مفبركة بالكامل لذلك اطلب منكم عدم الالتفات لها . وانا اتصور ان هذه الأخبار المختلقة جزء من مؤامرة اوسع وربما كان الشيوعيون وراءها لتشويه صورة ناصر فى اعين الغرب . وفى نيتى ان اطلب تعاون السلطات المصرية معنا فى تحقيق دقيق لمعرفة جلية الأمر ، وسوف اوافى الوزارة باى تطورات »

(على حافتها بخط « ايزنهاور » علامة تعجب !)

● تقرير بريطانى المصدر (بمقتضى التعاون البريطانى - الأمريكى لتبادل المعلومات) والتقرير بتوقيع السير « تشابمان أندروز » الخبير بشؤون مصر ، والذى خدم فيها سنوات طويلة وزيرا مفوضا فى السفارة البريطانية بالقاهرة ، ثم نقل بعدها سفيرا فى بيروت لأنها أصبحت مركز معلومات أفضل . وفى هذا التقرير يقول السير « تشابمان أندروز » :

« إن سفير المملكة العربية السعودية السابق (الشيخ حافظ وهبة) موجود الآن فى جنيف . وقد اتصل من هناك بعمرو باشا (السفير المصرى السابق فى لندن) ليقول له إنه عائد لتوه من القاهرة ، وانه وجد فيها مقاومة سرية كبيرة لناصر . لكن عناصر المقاومة المصرية ، والملك سعود يعتقدان كلاهما اننا إذا سمحنا لناصر ان ينجح ، فستكون تلك نهاية حركة المقاومة المصرية ونهاية النظام الملكى فى المملكة العربية السعودية . واضاف السفير ان الملك سعود يزداد قلقا وعصبية نتيجة لازدياد نفوذ ناصر وغطرسته . ومن النقاط المحددة التى اشار إليها ظهور صور ناصر بشكل يدعو للانزعاج فى محلات الحلاقين وغيرهم فى المملكة العربية السعودية » !

● برقية من « ريموند هير » السفير الأمريكى فى مصر برقم ٧٤٣٥ جاء فيها :

« اثرت مع ناصر فى لقائى به اليوم موضوع التحركات السوفيتية السياسية فى المنطقة ، وكان رده : « ليس لك ان تقلق فى هذا الموضوع . إننا كافحنا طويلا لنتخلص من السيطرة الأجنبية ، ولا ننوى ان نكرر تجاربنا » ثم اضاف قائلا لى : « نحن لانثق باى من القوى الكبرى » .

وقال لى بعد ذلك : « إن نفوذ بريطانيا وفرنسا قد انهار فى المنطقة ، ولما كانت مصر تريد ان تكون لها علاقات طيبة مع الغرب ، فإن هذه العلاقات سوف تكون بالضرورة مع الولايات المتحدة ، ولكن المشكلة التى سوف تواجهنا فى هذا الصدد هى مدى ارتباط سياسات الولايات المتحدة ببريطانيا وفرنسا وإسرائيل » !

● مذكرة عن إجتماع فى مكتب « ايزنهاور » حضره بعض الوزراء والخبراء الى جانب « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والأميرال « رادفورد » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية ، وقد كتب المذكرة الكولونيل « جود باستر » السكرتير العسكرى للرئيس ، وجاء فيها :

« بدا الرئيس الاجتماع قائلا إن الهدف منه هو محاولة بلورة سياساتنا فى الشرق الأوسط . فالخطى السياسية يجب ان تتوافق تماما مع مصالحنا المالية والبترولية . ونحن لسنا هنا الآن لاتخاذ قرارات ، ولكن للتفكير والدرس . وقدم المستر هوفر (مساعد وزير الخارجية) ورقة للرئيس قائلا إنها مشروع ورقة عمل ، وهى لاتزال ورقة اولية تحتاج إلى كثير من الترتيب والصقل ولكنها تتضمن بعض الخطوط . تناول الرئيس الورقة ، وبدا يقرا بعض ما فيها للمجموعة ويعقب عليه احيانا .

اكد الرئيس انه واثق من شعوره بانه لابد لنا ان نعمل على « بناء » شخصية الملك سعود ليكون الشخصية الرئيسية التى تقود منطقة الشرق الأوسط ، ومن الضرورى ان يقتنع العراق وإيران باهمية هذا الدور .

وقال الوزير همفرى (وزير التجارة) إن الولايات المتحدة لابد ان تؤسس علاقاتها مع العرب المستعدين للتعاون معها . وتساءل الوزير روبرتسون عما إذا كان الوقت مناسبا لانضمام الولايات المتحدة رسميا الى حلف بغداد لأن ذلك سوف يطمئن العراق وإيران ، كما ان السعودية الآن يمكن ان ترحب بهذه الخطوة . وعقب الرئيس معترضا بان « انضمامنا إلى حلف بغداد هو ما تريده بريطانيا الآن ، وهذا سوف يؤثر فى نفوذنا على العرب .

واكد المستر آلان دالاس (مدير المخابرات المركزية) ان « الموقف يسوء بشكل خطير فى العراق ، وان نورى السعيد قد لايستطيع البقاء طويلا » ودارت المناقشة حول ما يمكن عمله لتقوية مركز نورى ، واستقر الراى على دعمه ببعض المساعدات العسكرية ، وخصوصا اجهزة الرادار ، وربما بعض الوحدات الجوية الأمريكية ، بالاضافة إلى بحث إصدار بيان سياسى يظهر التاييد لحلف بغداد . وتساءل الرئيس عما إذا كان هناك شخص يمكن إرساله إلى العراق ليساعد على ترتيب الأحوال هناك ، ثم اضاف انه يستحسن ان يتم ذلك من خلال السعودية .»

● برقية شفرية من السفير الأمريكى فى السعودية « وادزورث » برقم ١٠١١٣ جاء فيها :

« قابلت الملك سعود ، وهو شديد الإصرار على طلباته التى قدمها لنا عن الأسلحة . وقد قال لى إنه يريد ان يلتقى بالرئيس ايزنهاور ويتحدث معه عن « اشياء كثيرة تهم الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية » وقال لى الملك بلهفة : « إن هناك اشياء كثيرة لايمكن كتابتها فى الأوراق ، ولايمكن إرسالها فى البرقيات » .

إن الملك كان شديد العجلة لمقابلة الرئيس ، وقد فهمت منه انه سوف يركب الطائرة الى إيطاليا ، ومن هناك سوف يستقل إحدى البواخر التابعة لشركة الأمريكان اكسبورت : إما الباخرة كونستيتيوشن ، او الباخرة إندبندانس ، بحرا إلى نيويورك . وعندما قلت له إننى ما زلت فى انتظار وصول دعوة له من اعلى المستويات قال لى : « انقل ما قلته لك الآن الى حكومتك » ! »

□

بعد هذه المجموعة من الأوراق ، وما تحتويه من إشارات سريعة الى اتجاهات - تجىء فى اثرها مجموعة تالية توضح أن المسألة انتقلت خطوة أكثر فى اتجاه اتخاذ سياسة واضحة الاتجاه تصدر عنها قرارات محددة - بعضها يحمل نذرا مبكرة لبروق ورعود مازالت عند الآفاق بعيدة .

مجموعة الأوراق التالية كلها تقديرات موقف صادرة عن إدارة المخابرات المركزية الأمريكية ، والظاهر أن الأمور عادت مرة أخرى الى مسؤوليتها ، وكانت من جانبها على إستعداد للحزم والحسم وبشكل لايقبل اللبس . ففى التقرير الأول من هذه المجموعة وعنوانه « **تقرير مخابرات على مستوى الأمن القومى : احتمالات الاستقرار فى مصر وتاثيراتها على السياسة الخارجية** » ـ ورد فى البند الأول منه مايلى بالحرف :

« من الواضح أن نظام ناصر سوف يبقى مسيطرا على الأمور فى مصر لسنوات قادمة إلا إذا حدث أحد امرين :

(أ) اغتيال

(ب) هزيمة ساحقة امام إسرائيل » .(١)

والواقع أن كلمات هذا البند الأول من تقرير المخابرات المركزية الأمريكية لم تكن تحتاج إلى إضافات تلحقها ، أو تفصيلات تضاف إليها ، فقد كان الوقت مبكرا بعد لما هو أكثر من تحديد هدف نهائى واضح .

وفى العادة فإن هذه هى النقطة التى تبدأ منها اى استراتيجية . فهى تبدأ بتحديد هدفها النهائى ، ثم تحاول بعد ذلك تلمس السبل الى تحقيقه عن طريق تحويله إلى سياسات يمكن تحويلها بدورها الى خطط تنفيذية تتكفل بترجمة الهدف إلى حقائق واقعة .

إن هذه العملية هى الممارسة اليومية للسياسة فى تحقيق أهدافها . فالأهداف التى لا تستطيع تحويل نفسها إلى سياسات تظل مجرد أحلام يقظة ـ او نوم ! ـ ثم إن السياسات التى لا تستطيع ترجمة هدفها الى خطط تظل مجرد نوايا ـ طيبة أو سيئة ـ ثم إن الخطط التى لاتتخذ لنفسها خطوات تنفيذية على ارض الواقع تظل مجرد حبر على ورق .

والأهداف والسياسات والخطط تعيش كلها فى حركة التاريخ وليس خارجها ، بمعنى انها لاتنشأ وتعيش وتنمو فى انابيب اختبار معزولة ومعقمة ، وإنما هى حياة فى وسط الحياة متاثرة بما حولها مستجيبة لتفاعلاته متكيفة مع تطوراته .

ومؤدى هذا أن الأهداف النهائية لطرف من الأطراف فى أى صراع ـ وعندما يتم تحديدها ـ لاتمشى مباشرة إلى مقاصدها ، وإنما هى تتقدم وتتأخر ،

(١) صورة من مذكرة المخابرات المركزية الأمريكية منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٣) صفحة ٨٢٢

وتبطىء وتسرع ، وقد تلف من حول هدفها ، وقد تبدو مبتعدة عنه فى بعض الأوقات ـ لكن تلك كلها مقتضيات ظروف وملابسات تفرضها طبيعة الحياة السياسية فى اجواء تتغير درجات حرارتها واتجاهات الرياح السائدة فيها من يوم إلى آخر .

إن الهدف الاستراتيجى لايتغير فى العادة ، وإنما تختلف أساليب الاقتراب منه وفق حركة علاقات القوى صعودا ونزولا ، واستغلالا للفرص السانحة او الثغرات التى قد تنكشف على غير انتظار .

وهكذا فإن تحقيق الهدف النهائى لأى استراتيجية هو فى حقيقة امره حوار مع الحوادث والأطراف والزمن !

□

مجموعة أوراق « ايزنهاور » ـ مرة أخرى ـ ترسم صورة لهذه العملية المعقدة ، وهى الرحلة من تحديد الهدف إلى تحقيق تنفيذه فى ظل أجواء متغيرة .

خطوات تتلمس سبيلها . تبحث عن محاور لحركتها . تفتش عن رجال وعن فرص .

وفى أوراق « ايزنهاور » فى بداية سنة ١٩٥٧ ثلاث وثائق تستطيع فيما بينها أن تعطى صورة عن الحالة الفكرية فى دوائر صنع القرار الأمريكى عند مستوى القمة .

□ مذكرة بتقدير معلومات مخابرات كتبها ووقعها « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وهى موجهة إلى وزير الخارجية ، ويلاحظ أن نسخة منها أرسلت فى نفس الوقت إلى الأميرال « رادفورد » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية ـ وقد جاء فيها مايلى :

« مذكرة تقدير معلومات مخابرات

رقم ت س ١٥٨٧٣٤

١ ـ بدراسة وتحليل تقارير المخابرات بشان التطورات فى الشرق الأوسط نورد فى هذه المذكرة ما انتهينا اليه من حيث الموقف الذى يواجهنا الآن فى هذه المنطقة .

(أ) بعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية من مصر ظهر فراغ فى القوة فى هذا البلد . والواقع ان القوات العسكرية الوحيدة فى مصر هى الجيش المصرى وقوامه حوالى ٩٠,٠٠٠ جندى بمعدات كبيرة وبعض الطائرات التى تم تعويضها .

(ب) إن ناصر باق في السيطرة على الحكومة المصرية ، وعلى ما تبقى من قواتها المسلحة ، وهو مازال يمارس نفوذا كبيرا على القوات العسكرية ، وعلى وحدات التخريب في سوريا والأردن والسعودية ، وكان من شان التحركات الدبلوماسية والسياسة الأخيرة انه اعاد بناء هيبته وثقته بنفسه ، وهو يتلقى من موسكو تشجيعا سريا ووعودا بمعونة مالية . وطالما بقى ناصر في السلطة ، فسوف يحاول إحباط اى سياسة يعتبرها معادية لمطامحه خصوصا إذا ما اقتنع بان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية سيؤيده في تصرفاته ، وبان الولايات المتحدة الامريكية لن تتخذ اى إجراء فعال مضاد له .

(جـ) اما في سوريا ، فالوضع حرج إذ من الجائز ان يحدث فيها انقلاب شيوعى ناجح ، ولاسيما إذا ما استطاعت موسكو تسريب منظمات سوفيتية شديدة المراس زائدا نواة من القوة العسكرية يفترض ان تتالف في غالبيتها من طائرات واطقم طيران . وربما اسفرت الإطاحة بالحكومة السورية ، او حتى زيادة الضغوط السوفيتية على الحكومة الحالية ، عن قيام سوريا بدعوة موسكو لإرسال قوات إلى سوريا لحمايتها من إسرائيل ظاهريا . ومن شان هذا ان يحيل سوريا إلى قاعدة عمليات سوفيتية في المنطقة تعضيدا لمصر . ومن هنا فان سوريا تمثل فراغا ثانيا في القوة . وربما تحرك السوفيت لملئه بصورة سافرة اكثر مما هو الحال في مصر . اما الاردن ، فهو مستهدف بالمثل ، ولكنه اقل إغراء للسوفيت من الناحية الجغرافية .

(د) إن المذكرة السوفيتية للولايات المتحدة (عبارة محذوفة) وتورط الهيئة السوفيتية تورطا عميقا مع ناصر والعرب زائدا الوعود بمساعدات عسكرية توحى بان السوفيت ربما يحاولون القيام بعملية سورية وربما مصرية .

٢ ـ نقوم الآن بالتركيز على دعم الامكانيات الخاصة بمخابراتنا في المنطقة (سطور محذوفة) ونحن نقدر اى توجيه بالنسبة لاى إجراءات اخرى ترغبون في قيام وكالة المخابرات المركزية بها مساندة لاية تحركات سياسية وعسكرية تفكر الولايات المتحدة فيها .

(توقيع)
آلان دالاس
المدير »

□ مذكرة أعدتها « مجموعة عمل » تابعة لمجلس الأمن القومي في البيت الأبيض لعرضها على الرئيس ـ جاء فيها مايلي :

« من الواضح ان الحكومة المصرية الحالية لاتريد تقديم مساهمتها اللازمة لتسوية المنازعات القائمة الآن في الشرق الاوسط وفقا لمبادىء العدل والقانون الدولى . وسوف تكون لذلك عواقب رهيبة لامعدى عنها :

١ ـ استخدام القوة من جانب إسرائيل : فإزاء عجز الامم المتحدة بصورة فعالة عن تسوية نزاعات المنطقة طبقا لمبادىء الميثاق ـ فانها لن تعود قادرة على الحيلولة دون استخدام الأطراف المتنازعة للقوة في سبيل تحقيق التسوية . وفي ظل هذه الظروف ، يحتمل ان تستانف إسرائيل استخدام القوة ضد مصر ، ولا سيما فيما يتعلق بقطاع غزة ، وربما بصورة اوسع .

٢ ـ استخدام القوة في خليج العقبة : لان الملاحة في الخليج لايمكن تركها تحت رحمة قرار مصرى ـ فإن الامم البحرية قد يكون عليها ان تقرر استخدام القوة للابقاء على مضايق تيران وخليج العقبة مفتوحة ، لاعتقادها بان هذا حق صريح لها .

٣ ـ بدائل للسويس : لاريب ان الامم التى تتوقف اقتصادياتها الى حد كبير على المرور من الشرق الى الغرب ستلجا كتدبير سياسى إلى التعجيل بايجاد بدائل عن قناة السويس ، وهو ما قد يعنى استخدام اموال حكومية على اساس غير تجارى ، وربما تمثلت هذه البدائل في خط انابيب شمالى (عبر تركيا) او ناقلات ضخمة تستطيع تفادى قناة السويس ، او خط انابيب كبير يمر عبر اسرائيل مع الاعتماد بصورة اكبر ، ولو مؤقتا على بترول نصف الكرة الغربى ، والتعجيل بتطوير الطاقة الذرية في اوروبا الغربية .

٤ ـ إجراءات اقتصادية ضد مصر : لابد من الإبقاء على إجراءات اقتصادية ضد مصر من نوع ما طبق اخيرا ، وقد يكون من المطلوب اتخاذ إجراءات اخرى اشد تصل إلى درجة العقوبات .

٥ ـ الإدانة المعنوية لمصر : لابد من توجيه إدانة عامة لمصر من الراى العام العالمى المستنير ، ولابد من وضع الحكومة المصرية الحالية في التاريخ بوصفها خائنة لا للآمال المشروعة للشعب المصرى وحسب بل كذلك لجميع الامم العربية . »

□ برقية من الرئيس « دوايت ايزنهاور » إلى « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الذى كان يحضر اجتماعا لوزراء خارجية حلف الأطلسى في باريس جاء فيها :(٢)

« فوستر :

. . . .

. . . .

أمل ان يفهم اصدقاؤنا في منطقة حلف شمال الاطلسى بصورة واضحة انه ليست لدينا اية نية للوقوف مكتوفي اليدين نتفرج على الجناح الجنوبى للمنظمة وهو ينهار انهيارا تاما بسبب تغلغل الشيوعيين إلى الشرق الأوسط ، ونجاحهم هناك في

(٢) النص الكامل لبرقية ايزنهاور إلى دالاس منشور في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم (١٤) صفحة ٨٢٤

حين اننا لانعمل شيئا إزاء هذا . وإنى لواثق من انهم يعرفون اننا نرى ان لناصر تاثيرا شريرا في المنطقة . كما اعتقد باننا وإن كنا نشاطر البريطانيين والفرنسيين اراءهم في ناصر الى حد كبير ـ فخلافنا الوحيد معهم انهم اختاروا الوقت السيء والأسلوب السيء للإقدام على تدابيرهم التصحيحية . واهم من كل شيء في نظرى هو ان يرى اصدقاؤنا في اوروبا كما نرى نحن ضرورة الشروع سرا ، وعلى مستوى اركان الحرب في وضع سياسات ، وخطط تستطيع دول الغرب بمقتضاها ان تعمل سوية على جعل الشرق الأوسط آمنا من التغلغل السوفيتي . وليس يخالجنى اى شك في انه سيكون من المتعين علينا في قابل الأيام ان نكون راس الحربة في هذا القبيل .

ويحدونى اعتقاد مستمر ـ كما اظن بانه يحدوكم ـ ان يكون بين الإجراءات التى يتعين علينا اتخاذها ان نقيم منافسا عربيا لناصر ، والاختيار الطبيعى هو على ما يبدو نفس الرجل الذى طالما تحدثت انت وانا عنه[٣] .

فاذا استطعنا تنصيبه باعتباره الشخص الذى يستحوذ على خيال العالم العربى ، فإن بقاء ناصر لن يدوم طويلا .

توقيع
ايزنهاور »

٢

ما الذى يمكن استخلاصه من هذا كله ، في هذا التوقيت من بدايات سنة ١٩٥٧ ؟

إن الوثائق ناطقة بمجموعة من الحقائق لا يحتاج استخلاصها إلى جهد كبير :

١ ـ أن معركة « القرن » تدور رحاها الآن بالفعل وهدفها استعادة وتثبيت سيطرة الغرب (الولايات المتحدة بالذات) على المنطقة .

(٣) الملك سعود هو الشخص المقصود ، كما يتضح من يوميات ايزنهاور (رجاء مراجعة كتاب ملفات السويس ـ الجزء الخامس ـ الفصل العاشر ـ صفحة ٦٠٣)

٢ ـ وان المطلب الأول لها الآن هو تصفية الوضع الثورى في مصر . لأن هذا الوضع الثورى يهدد باحد امرين من وجهة النظر الأمريكية : ان تستطيع مصر تكتيل تيار قومي عربى قادر يمنع تحقيق الحلم الامبراطورى الأمريكي ـ والأمر الآخر هو ان مصر في محاولتها سوف تفتح الباب لدور سوفيتي على الأقل لكى توازن به المخطط الأمريكي ـ وهذا محظور لابد من التصدى له .

٣ ـ ثم إنه إذا أريد إحباط المشروع القومى المصرى بغير الوسائل المسلحة المباشرة التى قد تؤدى إلى صدام عالمى (كما فعلت بريطانيا وفرنسا في معركة السويس) ـ فإن وسائل العمل غير المباشر هى الحل الممكن والمأمون .

٤ ـ أن أهم وسائل العمل غير المباشر هو السعى لعزل مصر في العالم العربى ، ولما كان جزء كبير من العالم العربى معزولا بالفعل عن مصر وهو الجزء المتمثل في حلف بغداد بروابطه وفروعه في عواصم عربية متعددة ـ إذن فإن التركيز ينبغى أن يكون على حلفاء مصر في العالم العربى وأولهم في ذلك الوقت السعودية وسوريا : السعودية بأخذها من مصر ، وبناء شخصية الملك « سعود » كمنافس ، أو خصم لـ « جمال عبد الناصر » « بدعوى تخويفه من الشيوعية » ، وسوريا بالانقلاب الداخلى بعد أن ثبت أن أى وسيلة غيره لا تفى بالمطلوب !

٥ ـ قد تسنح فرص للاغتيال (وهى مرهونة بظروفها وتحت مسؤولية أجهزة أخرى مهيأة لها) .

٦ ـ هناك أخيرا الاحتمال الوارد في البند الأول من مذكرة المخابرات الأمريكية الخطيرة وهو : الهزيمة العسكرية المصرية الساحقة امام إسرائيل !

وإذن فإن العالم العربى هو بنفسه ، وبذاته ميدان المراحل الأولى من معركة « القرن » .

هو وليس أى ميدان غيره !

□

وكان هذا « الميدان » الذى بدأ إعداده للمراحل الأولى من معركة « القرن » ميدانا من أصعب الميادين بشريا وحضاريا وتاريخيا وواقعيا لكل انواع المعارك المتصورة ، أو المخططة .

ولعل الرؤية الأمريكية لهذا « الميدان » كانت موروثة عن الرؤية البريطانية التقليدية له . وكانت الرؤية البريطانية التقليدية له أن الصراع الى درجة الحرب الأهلية فيه ممكنة بسبب تناقضات عنيفة فى قلب هذا العالم العربى بين القبائل والمدن ، وبين الصحارى والوديان ، وبين التقليدى والجديد ، وبين الدين والقومية ، وبين الفقر المدقع والغنى الفادح ، وبين الراضين بالنفوذ الأجنبى والمعتمدين عليه وبين الرافضين له والثائرين ضده ، ثم استجدت على هذه التناقضات المتشابكة كلها تناقضات طارئة سببها قيام إسرائيل ، ثم تدفق البترول وتراكم فوائضه ، وأخيرا العلاقة مع الاتحاد السوفيتى وإمكانية التعامل معه ، أو ضرورة مقاطعته والتكتل مع الغرب ضده .

وإلى حد ما فإن هذه الرؤية كانت صحيحة فى خطوطها العريضة ـ **لكن الذى لم يتنبه له أحد بالقدر الكافى هو أن ظهور مشروع عربى قومى تقوده مصر يستطيع عن طريق تعبئة جماهير الأمة العربية الواسعة أن يغطى على هذه التناقضات ، ولو لبعض الوقت .**

وقد كان ذلك هو الوضع فى بداية سنة ١٩٥٧ ومن آثاره أن بدت شبه حالة من اختلاط المواقف والآراء ، والتردد بين الإقدام والإحجام .

وكتب وكيل وزارة الخارجية البريطانية خطابا(٤) موجها إلى السفير البريطانى فى بيروت يقول له فيه :

« عزيزى جورج

تلقينا تقريرا غير مباشر عن آراء اعرب عنها مؤخرا اللواء فؤاد شهاب (قائد الجيش اللبنانى) ونكون شاكرين لو ابديتم تعليقاتكم عليها :

إن اللواء شهاب يعتقد ان غزو مصر قبل شهور دفع ناصر إلى التعقل ، فقد ادرك الآن انه لا يستطيع ان يقوى الجيش المصرى بدرجة تكفى لمواجهة إسرائيل . وكذلك ادرك انه ليس من المجدى الاعتماد على روسيا إلى هذا الحد . ولهذا ينبغى لنا ان نصحح علاقاته مع الغرب ، ولا سيما الولايات المتحدة . وعلى هذا فان اللواء شهاب يدعو إلى ان نعمل من اجل تعاون ناصر مع الغرب ، فلو سقط ناصر الآن فإن اسمه وسياسته سوف يبقيان ذكرى حية ، اما إذا تعاون مع الغرب فإنه يستطيع

(٤) الوثيقة رقم ج ٥/ ١٠٧١ من وثائق وزارة الخارجية البريطانية .

ان يؤثر على سوريا والاردن من اجل مناهضة الشيوعية اكثر من اى شخص آخر . إن اللواء شهاب ابدى امله فى ان تقوم الولايات المتحدة بمساعدة ناصر ، وان تقدم له بوادر على حسن نواياها كأن تعيد إلى مصر سفيرها السابق فيها هنرى بايرود . وقد كان موضع ثقة ناصر . يعتقد اللواء شهاب ايضا ان شارل مالك (وزير خارجية لبنان) يخالف هذه الآراء . وفى اعتقاده ان شارل مالك لم يعد يعرف اتجاهات الرأى العام اللبنانى . »

ومن بيروت كتب السفير البريطانى « جورج ميدلتون » إلى وزارة الخارجية البريطانية برقية شفرية(٥) ليقول :

« إن رئيس الجمهورية كميل شمعون ابلغه ان الموقف الداخلى فى مصر آخذ فى التدهور ، ومكانة ناصر تتراجع لصالح المتطرفين بل إن ناصر قد يتحول إلى نجيب آخر . وقد وزعت الاسلحة الصغيرة باعداد كبيرة للغاية، وبدون تمييز على الاهالى ، ووقعت مناوشات مسلحة بين الفدائيين والإخوان المسلمين . والعداء للاجانب يزيد ، ويتخذ شكلا معاديا للمسيحيين بصفة عامة ، وبالتالى فليست هناك فائدة من التركيز على ناصر شخصيا لأن الموقف خطر ، واذا اصبحت مصر شيوعية ، فمن المؤكد ان سوريا سوف تسلك نفس الطريق ، وعندئذ يصبح الموقف فى الشرق الاوسط خطيرا . »

وقال السفير البريطانى فى برقيته إنه يتشكك فى معلومات « كميل شمعون » عن ناصر » وأنه قال له :

« لكى يصبح « ناصر » نجيبا آخر فيجب ان يكون هناك « ناصر » آخر » . وكان تقدير « ميدلتون » ان « ناصر » مازال هو العدو برغم تفاؤل كميل شمعون» !

ومن بغداد ـ عاصمة الحلف الغربى المعول عليه ـ كتب السفير البريطانى السير « مايكل رايت » برقية إلى وزير الخارجية البريطانى يقول له فيها :

« قال لى نورى باشا ـ عندما لقيته الليلة ـ « إنه تحدث مع الملك وولى العهد وغيرهما بشان الموقف من ناصر ، وتشير المعلومات المتوافرة لديه ان مصر تواجه الآن كثيرا من الصعوبات الاقتصادية وغيرها ، وقد سمع ايضا ان ناصر يواجه نوعا من الشقاق ، او على الاقل الاختلاف فى الراى بين مؤيديه . وخلص نورى إلى انه قد يكون من المفيد جس نبض ناصر فى حالته الحاضرة ، والتعرف على ما إذا كان ملتزما بشكل لا رجعة فيه بالتعاون مع الروس ، ام ان هناك فرصة لجذبه نحو التعاون مع البلدان العربية المعادية للشيوعية ومع الغرب » .

واضاف نورى : « إن الخلاف بين الدول نادرا ما يستمر بلا نهاية ، وإذا كان فى الوسع دفع ناصر او المحيطين به إلى الاستفادة من التجارب الاخيرة ، وتغيير سياستهم والاخذ بسياسة العمل بالتعاون مع العراق ضد الشيوعية ، ومن اجل

(٥) الوثيقة الرمزية OTP رقم ١٥١٣ .

حل المشكلة الفلسطينية ـ فإنه ليس من الحكمة التغاضى عن هذه الامكانية . وعلى ذلك فإن هناك رسالة تعد الآن لإبلاغها إلى القاهرة من توفيق السويدى عن طريق السفير المصرى فى بغداد لمعرفة ما إذا كان ناصر على استعداد لمقابلته بوصفه شخصية مستقلة تحظى بثقة الحكومة العراقية ولا تمثلها . فاذا جاء رد ناصر بالموافقة ، فسيكون توفيق السويدى مستعدا للسفر الى القاهرة واستكشاف الموقف . اما إذا كان الرد بالرفض ، او إذا وجد السويدى عند التقائه بناصر انه لاسبيل الى تحقيق تقدم ، فستكون حكومة العراق قد عرفت على الأقل حقيقة الموقف ولن يلومها احد فى المستقبل ، ولن تلوم نفسها لأنها لم تحاول » .

واضاف نورى : « إنه يبدو لأول وهلة ان الأمريكيين يستطيعون ايضا أن يلعبوا دورا ، ولذا فانه بعث اليوم برسالة الى واشنطن عن طريق القائم بالأعمال الأمريكى يقترح فيها ان يقوم سفير الولايات المتحدة فى القاهرة ايضا بمحاولة لجس النبض ، وطلب منى إبلاغكم بما سبق . وهو يعتقد ان سوريا الآن تدور فى فلك مصر ، وان مصر تدور فى فلك روسيا السوفيتية . وإنه إذا كانت هناك فرصة لكسر الحلقة او إضعافها فى مصر ، فإن ذلك سيكون مفيدا ».

ووصلت برقية السير « مايكل رايت » إلى مكتب رئيس الوزارة البريطانية الذى علق عليها بتأشيرة موجهة الى وزير خارجيته قال فيها بالحرف :

« اطلعت على برقية السير مايكل رايت عن آراء نورى بشأن الوضع الحالى لناصر . اقتراح نورى بأن تبذل محاولة لجذب ناصر إلى التعاون مع البلاد العربية المعادية للشيوعية اقتراح لم يكن متوقعا . واعترف بانه يبدو لى لأول وهلة اقتراحا غير حكيم ، واشعر بشىء من القلق لانه بادر بإبلاغ فكرته الى الأمريكيين . إن اى محاولة من جانب نورى والأمريكيين لمساعدة ناصر فى التغلب على متاعبه الداخلية الحالية لن تكون لها نتيجة غير زيادة المتاعب فى المستقبل ، ولن يلبث ناصر ان يخادع الغرب مرة اخرى ، وان يخادع نورى أيضا ، ومن الأفضل تركه ليسقط إذا كان هناك احتمال لذلك.»

٣

ولم يكن الرئيس « دوايت ايزنهاور » فى واشنطن فى حاجة إلى انتظار آراء اللواء « شهاب » أو تقديرات « كميل شمعون » من بيروت ، ولا كان لديه الوقت لسماع وساوس أهم أصدقاء الغرب فى المنطقة وهو « نورى السعيد » من بغداد ـ كان قد بدأ يحزم أمره ، ويستقر على تحركات عملية على ساحة الشرق الأوسط أعلنها تحت اسم « مبدأ **ايزنهاور** » الذى تقدم به إلى الكونجرس الأمريكى فى أوائل عام ١٩٥٧ .

كان « ايزنهاور » أيامها فى حالة نفسية تتسم بمسحة عدوانية ظاهرة لعل سببها الدفين فى أعماقه إحساسه بأن مدة رئاسته الأولى من سنة ١٩٥٢ الى ١٩٥٦ لم تحقق تقدما يذكر على كل الجبهات ، وخصوصا هذه الجبهة التى تدور عليها « معركة القرن » وهى جبهة الشرق الأوسط .

ولقد سقطت الامبراطوريات التى كانت تمسك فى قبضتها بإرث الخلافة العثمانية ـ لكن المشكلة أن هذا الإرث لم يصل إلى المطالب عنوة ـ وبصرف النظر عن الحق ـ وهو الامبراطورية الأمريكية .

وفى رؤية « ايزنهاور » فإن هذا « الإرث » كان معلقا فى الفضاء . ذلك أن « فراغ القوة » الذى نشأ فى الشرق الأوسط تتحرك فيه حركة عربية قومية حاشدة ، ولكنها « عاطفية » ، وهى تحت قيادة « جمال عبد الناصر » لا تبدو له مضمونة ، فهى تتحدث عن « استقلال حقيقى » يمكن أن يكون ضارا بمصالح الولايات المتحدة .

كانت تلك ـ على نحو أو آخر ـ رؤاه كما تبدو من يومياته ، وقد كتب بخط يده فى يومياته فى صفحة اليوم الأول من سنة ١٩٥٧ ـ وكانت رئاسته الثانية (حتى آخر سنة ١٩٦٠) على وشك أن تبدأ ـ يقول :

« لابد أن نخوض الحرب الباردة بروح قتالية . لابد أن نمارس فى ظل السلام منطق التجنيد والتعبئة ـ ونحن هذه المرة لانجند ونعبىء فرقا وجيوشا ، ولكن نجند ونعبىء شعوبا وامما لكى تقف فى خطوطنا ، وليس فى خطوط الشيوعيين » .

□

وفى نفس هذا اليوم الأول من سنة ١٩٥٧ ورغم جو الإجازة والاحتفالات براس السنة – وجه « ايزنهاور » الدعوة إلى ثلاثين عضوا من أعضاء الكونجرس ، ودعا معهم اثنين وثلاثين شخصية من كبار المسؤولين فى إدارته – لكى يجتمعوا سويا معه لمناقشة ما رآه « ايزنهاور » أخطر تحديات مدة الرئاسة الجديدة والسنة الجديدة ، واستمر الاجتماع أربع ساعات كاملة ، من الثانية بعد الظهر حتى السادسة مساء .

وبدأ « ايزنهاور » الاجتماع بقوله : « **إنه دعا إلى هذا الاجتماع الاستثنائى والموسع لأنه ينوى أن يتقدم بعد أيام إلى الكونجرس بمشروع قانون يعطيه سلطات استثنائية لمواجهة الأحداث الطارئة فى الشرق الأوسط .** »

ثم شرح « ايزنهاور » أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية والحيوية فى الصراع العالمى ، وكان مجمل حديثه تأكيدا جديدا لمقولة إن السيطرة على الشرق الأوسط هى فعلا « معركة القرن » .

واستعرض « ايزنهاور » بسرعة مجمل الأحداث العاصفة التى شهدتها السنة الماضية (١٩٥٦) فى الشرق الأوسط ، ثم خلص إلى أن الاحتمالات القادمة فى هذه المنطقة تقتضى أن يكون الرئيس الأمريكى على استعداد لمواجهتها على الفور وبكل الوسائل ، ثم استطرد « ايزنهاور » قائلا طبقا لمحاضر الاجتماع :(٦)

« إذا حدث عدوان سوفيتى على الشرق الأوسط ، فليس هناك بديل امام الولايات المتحدة سوى ان تتحرك بسرعة لكى تواجههم بدلا من ان تنتظر حتى تفقد هذه المنطقة للروس . إن اى سيطرة سوفيتية على الشرق الأوسط تعنى الكارثة المحققة لنا ولاوروبا التى تعتمد على بترول الشرق الأوسط .

واهمية تفويض من الكونجرس لى كى اتصرف تكمن بالدرجة الأولى فى انه إخطار للعالم كله باننا جاهزون للحركة إذا لزم الأمر . وانا اعد اننى بقدر الإمكان سوف اتبع اسلوب المشاورات الدستورية مع الكونجرس ، لكنى ارجوكم ان تتذكروا ان الحرب فى الأزمنة الحديثة مسالة ساعات فقط ، وانا اتمنى من صميم قلبى ان لا تضطرنى الأحداث إلى استعمال التفويض الذى اطلبه منكم . »

وأبدى عدد من أعضاء الكونجرس الحاضرين ، وفى مقدمتهم « راسل » و « رايبورن » عددا من التحفظات ، فقد قال « راسل » إنه « من الأفضل التزام القواعد الدستورية ، وإن موقف الولايات المتحدة سوف يصبح أقوى إذا توجه الرئيس بما يطلبه من الكونجرس أولا بأول مع تصاعد احتياجاته . فعندما يرى

(٦) صفحة ٣٨١ فى التاريخ المعتمد لحياة الرئيس « ايزنهاور » الذى اعده المؤرخ « ستيفن آمبروز » والذى نشر سنة ١٩٨٤ .

« الآخرون » أن هناك توافقا بين « السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية » سوف يجدون فعلا أمريكا موحدة . ورد « ايزنهاور » ردا له معنى حين قال :

« هذا النوع من التصرف الاجرائى مفهوم إذا كان الروس سوف يحركون جيوشا نظامية الى الشرق الأوسط لكن ما اخشى منه هو العدوان من الداخل على اى بلد عربى » .

وسئل « ايزنهاور » عما يعنيه بـ « العدوان من الداخل » وقال إنه **يقصد الانقلابات والثورات** . وسأله السناتور « رايبورن » قائلا : « **إن المنطقة مليئة بانظمة وطبقات متحكمة فاسدة ، فهل تخوض الولايات المتحدة الحرب فى كل مرة يطمح فيها شعب إلى تغيير اوضاعه ؟** »

ورد « ايزنهاور » قائلا : « **المسألة هى هل نحن قادرون على حماية أصدقائنا أم لا ؟ هل هؤلاء الأصدقاء يستطيعون الاعتماد على حمايتنا أم لا ؟** »

وقال السناتور « راسل » : « **إنك تريد أن تتصرف فى أجواء السلام وفق قوانين الحرب** » .

ورد « ايزنهاور » : « **إننا نواجه خطرين فى وقت واحد ، الغزو من الخارج والغزو من الداخل ، وسوف نكون حمقى إذا قاومنا احدهما دون أن نقاوم الآخر – فى هذه الحالة نسمح لأنفسنا بالهزيمة أمام الخطرين معا وفى نفس الوقت** » .

كان « مبدأ ايزنهاور » بالتحديد يتركز فى مطلبين عمليين :

١ – الموافقة على تخصيص ٤٠٠ مليون دولار معونة إضافية – غير اعتماد المعونة العادية – يستطيع الرئيس ان يتصرف فيها منحة بقرار منه لأى دولة مستعدة للتعاون مع الولايات المتحدة .

٢ – تفويض الرئيس باستعمال كل وسائل القوة الأمريكية – بما فيها استخدام القوة المسلحة – دون الرجوع إلى الكونجرس ضد اى عدوان على اى دولة معرضة للعدوان فى المنطقة « من طرف آخر تحت السيطرة الظاهرة ، أو المستترة للاتحاد السوفيتى » !

وفى يوم ٥ يناير عقد الكونجرس اجتماعا استثنائيا يعرض عليه الرئيس ايزنهاور « مبدأه » للشرق الأوسط ، وبعد جلسات طويلة ومناقشات وبعد التعديلات صوت الكونجرس لصالح الرئيس بالتفويض الذى طلبه ، وكانت نتيجة التصويت ٧٢ – ١٩ . واتخذ « ايزنهاور » بعد ذلك خطوتين :

□ دعا عددا من أصدقاء الولايات المتحدة فى المنطقة العربية إلى لقائه فى واشنطن[7] .

□ ثم بعث بصديقه « جيمس ريتشاردز » رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب إلى المنطقة لكى يعرض « مبدأ ايزنهاور » على كل دولها !

٤

كانت القاهرة تتابع ما يجرى من حولها ، قريبا وبعيدا ، وتصغى بآذان مفتوحة وعيون يقظة ، وكان إحساس « جمال عبد الناصر » إن معركة جديدة قد بدأت . لقد انتهت معركة العدوان ، وانسحبت قواته دون أن تستطيع فرض إرادتها على الشعب المصرى ـ لكن الصراعات الكبرى ليست بهذه البساطة . إن مصر انتصرت هذا صحيح ، ولكنه انتصار فى جولة ، والجولة بعدها جولات ، والجولات مشاهد فى معارك ، والمعارك فصول فى حرب ، والحرب صراع مستمر فى عالم تتحكم فيه موازين قوة ، وليس موازين عدل .

كانت تصوراته ما زالت متأثرة بخلفيته العسكرية ، وكانت تعبيراته عن هذه التصورات على نفس النهج .

وفى أوائل شهر أبريل ١٩٥٧ ، وكانت إسرائيل قد انسحبت من قطاع غزة ، وعادت إليه الإدارة المصرية والقوات المصرية ـ أحس « جمال عبد الناصر » أن معركة السويس قد وصلت إلى نهايتها ، وقرر لأول مرة أن يمنح نفسه إجازة لثلاثة أيام يفكر فيها مستقبليا ، فقد كان تلاحق الحوادث والتطورات ، وضرورات الاستجابة والحوار والمواجهة معها قد استغرقته بالكامل شهورا متصلة . . . شاقة ومضنية .

(٧) ذهب الملك سعود إلى واشنطن فى أواخر شهر يناير سنة ١٩٥٧ فى هذا الاطار ، وبعده ذهب الأمير عبد الاله ولى عهد العراق ، وهناك اقنعه ايزنهاور بان الوقت قد حان لعقد صلح بين السعوديين والهاشميين بمنطق أن كليهما الآن يواجه نفس الخطر (عبد الناصر) ، كما قام الرئيس الحبيب بورقيبة بزيارة رسمية لواشنطن فى شهر ابريل ١٩٥٧ .

وكان إطار تصوراته وتعبيره عنها على النحو التالى :[8]

« إننا انتصرنا فى معركة السويس ، وهذه مسالة ليست موضع شك ، لكن كل انتصار يحتاج إلى تعزيز ، وإلا فإنه معرض للخطر . وقواعد العسكرية تعلمنا اننا نعزز النجاح ولانعزز الفشل . إذا لم يتعزز اى نجاح ، فإن مراحل الصراع القادمة قد تخطفه من ايدينا ، ولذلك فإن علينا الان تحديد مصادر الخطر .

بريطانيا وفرنسا ليس منهما خطر الآن ، فقد خرجتا من المعركة بهزيمة كبيرة سوف تظل آثارها تتداعى ، وفى الفترة القادمة فلست أرى مخاطر كبرى من ناحيتهما .

الخطر من القوتين الكبيرتين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

ليست هناك إشكالات كثيرة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى الآن ، وهم يتصورون ان لهم حقوقا علينا وهذا صحيح ، ولكننا أعطيناهم فرصة لم يكونوا يحلمون بها فى العالم الثالث الذى خرجوا إليه كقوة مساندة لحركات التحرير ، وليس عندنا ما نعطيه لهم أكثر من ذلك . ولست أعرف تماما مدى ارتباطهم بالشيوعيين العرب على مستوى التحركات اليومية ، لكننى لاحظت أن عددا من الشيوعيين فى مصر قد نشطوا مستغلين فرصة وجودهم فى الحرس الوطنى والمقاومة الشعبية ، وحاولوا النفاذ بتنظيماتهم إلى بعض النقابات وفى أوساط الطلبة ، وقد اعتقلنا عددا منهم وسوف يقدمون للمحاكمة ، وانا انتظر رد فعل الاتحاد السوفيتى . والحقيقة اننى لا اريد مشاكل معهم لكننا على استعداد لهم إذا تصوروا ان موقفهم منا اثناء المعركة يمكن أن يكون حماية للشيوعيين المصريين او العرب . لا اتمنى خلافا معهم الآن ، واتمنى أن لا يدفعونا إليه بغير داع ، وإذا فعلوا فلن يكون امامنا خيار . لا اتوقع مشاكل فى الغالب ، فليست لديهم أدوات للعمل ضدنا غير الأحزاب الشيوعية ، وهذه امرها ميسور ، والتصدى لها لن يكون صعبا ، فهى ليست على درجة من القوة يخشى منها ، ولن اتردد فى مواجهتهم بدواعى مجاملة الاتحاد السوفيتى ، وإلا كنت اسمح لبعض الأطراف باللعب فى الجبهة الداخلية ، ثم إننى إذا ترددت ، فمعنى ذلك اننى اعطى حجة لدعاوى الأمريكيين واصدقائهم الذين يشنون علينا الآن حملة تدعى اننا ارتمينا فى احضان السوفيت .

الخطر الحقيقى إذن من الولايات المتحدة .

الولايات المتحدة تتصور انها قامت بدور فى هزيمة العدوان ، وهذا صحيح ، وقد أخذوا مستحقاتهم حين اتيح لهم ان يقولوا للعالم كله انهم فى وقت ازمة وقفوا ضد أصدقائهم انتصارا لمبادئهم ـ قالوا ذلك وكرروه فى الجمعية العامة ، وكانت له آثاره الطيبة بالنسبة لسمعتهم وهذا يكفيهم ، مع ذلك فانا واثق انه ليس كافيا من وجهة نظرهم .

(٨) مجموعة اوراق محمد حسنين هيكل عن تفاصيل لقاء طويل مع جمال عبد الناصر اتصل خمس ساعات مساء يوم ٤ ابريل ١٩٥٧ فى استراحة القناطر .

هم يريدون السيطرة على المنطقة . ونحن العقبة امامهم .

علينا ان نسال انفسنا الآن : ما هى اسلحتهم تجاهنا ؟

□ اولا - الحرب النفسية ، وهم يشنونها الآن علينا فعلا ، وليس امامنا دفاع غير ان تكون جماهيرنا على علم بما نفعله ، وان تشارك بنفسها فى فعله ، ثم ان نشرح وجهة نظرنا باستمرار امام الأمة العربية ، ونكون جاهزين طوال الوقت للرد على اية ادعاءات يثيرونها ضدنا .

□ ثانيا - الحرب الاقتصادية ، وهم ايضا يشنونها ، وهذه مشكلة ولكنها ليست صعبة ، وقد طلبت من الجريتلى[9] والقيسونى دراسة إمكانيات وضع اقتصادنا على مستوى اقتصاد الحرب ، وهذه هى الوسيلة الوحيدة لمواجهة الحصار الاقتصادى .

□ ثالثا - « الغزو من الداخل » وهذا تعبير دالاس ، وهم يمارسونه ضدنا فى السر رغم انهم يتهموننا نحن علنا باننا نمارسه فى المنطقة ضد اصدقائهم . وليست لديهم فرصة للنجاح فيه معنا ، ولقد جربوا وجرب الانجليز والفرنسيون قبل المعركة واثناءها وبعدها وفشلوا . وما لم يتحقق فى جو المعركة وإرهاب القوة الذى تعرضنا له لن ينجح بعد انتصارنا .

□ رابعا - ما تحاوله الولايات المتحدة الآن فى المنطقة هو محاولة عزل مصر عن بقية العالم العربى ، وهذه معركة لا نحتمل خسارتها . إذا خسرناها خسرنا اقوى اسلحتنا ، وهو إمكانية امة باسرها ، ثم إننا إذا خسرنا المعركة فى العالم العربى سهل عليهم بعدها ان يتقدموا لضرب مصر فى عقر دارها .

□ خامسا - ما الذى يتبقى لهم بعد ذلك : سلاح الاغتيال ، وهذه مسالة لا نستطيع ان نعتمد فيها إلا على الله مع اخذ كل الاحتياطات الواجبة . إذا وجد قاتل مصمم على القتل حتى ولو ضحى بحياته ، فليست هناك إجراءات امن تستطيع منعه من تحقيق هدفه . المسالة ان المستعد للتضحية بحياته ليقتل لا يمكن ان يكون ماجورا . واعتقادى ان الولايات المتحدة لا تستطيع فى هذه الظروف ان تعثر على رجل مستعد للقتل إلا إذا كان قاتلا ماجورا .

بعد سلاح الاغتيال يظل هناك سلاح الارهاب ووسيلته إسرائيل . واعتقادى ان إسرائيل بعد كل ما جرى لها فى معركة السويس - تحتاج إلى وقت لتعيد فيه بناء قواتها على مستوى المعركة القادمة ، وتعيد ايضا بناء تحالفاتها الدولية . بن جوريون لايتحرك إلى مغامرة بغير ان يطمئن إلى وجود قوة كبرى وراءه . هو بنفسه قال ذلك وكرره ، ودرس السويس نموذج عملى فى التطبيق .

---

(٩) الدكتور على الجريتلى ، وكان واحدا من المع الخبراء الاقتصاديين ، وكان جمال عبد الناصر يريده نائبا لرئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية ، واعتذر الدكتور الجريتلى وفاء لصداقته للدكتور عبد الجليل العمرى الذى تولى هذا المنصب فى اوائل الثورة ، وبرغم اعتذاره عن المناصب فإن جمال عبد الناصر كان يحترم أراء الدكتور الجريتلى ويثق فى علمه .

الوحيد القوى المحتمل لإسرائيل هو الولايات المتحدة . علاقتهم بإسرائيل نعرفها . وسوف يحاولون فى المرحلة القادمة زيادتها وتعميقها ، ومازقهم هنا بمقدار ما يظهرون الى جانب إسرائيل بمقدار ما يبتعدون عن الأمة العربية الى مجال معركتهم الجديدة ضدنا .

على الجانب الدفاعى . وانا لا اومن بالدفاع . إن الهجوم خير وسيلة للدفاع صحيحة - وهكذا فإن امامنا ان نحدد اين نهاجم ؟

اننا فى حاجة إلى ان نكون عدوانيين . لكى يهاجم طرف فليس ضروريا ان عدوانيا .

بهة يمكن ان نهاجم منها هى جبهتنا الداخلية . ان يكون عملنا فى الداخل يشد ويجذب بقية شعوب الأمة العربية إليه .

العالى . بناء السد العالى سوف يكون هو البرهان . إذا نجحنا فى بنائه فمعناه انتصارنا حقيقى ، واننا استطعنا تعزيزه . السد العالى هو الاختبار ؟ كيف السد العالى ؟ من يساعدنا بالخبرة ؟ امريكا بالقطع مستحيل ؟ روسيا لست ؟ هذا سؤال لابد ان نجيب عليه .

بالات تطوير الزراعة . التصنيع . الخدمات . استرداد المصالح الأجنبية النسبة . استمرار التمكين للعدل الاجتماعى ، وإعادة توزيع الثروة - هذه كلها هجومية . تقوى خطوطنا فى داخل حدودنا ، وتجعل لدعوتنا قيمة خارج . عندما نرى ان السعودية اصدرت قانونا بتحريم العبودية لأول مرة كرد للثورة الاجتماعية فى مصر ، فلا بد ان ندرك اننا نفعل شيئا هاما .

ان نكون على اتصال بكل القوى العربية التقدمية ، وان نقيم جبهة شعبية : امامنا حزب البعث فى سوريا ، آراؤهم طيبة ومشكلتهم انهم اضطروا إلى الانقلابات العسكرية المختلفة فى سوريا ، فقد وجدوا ذلك طريقا اسرع الى ، وهذا اساء لهم . هناك ايضا قوى كثيرة غير البعث . هناك قوى وطنية منظمة فى احزاب وحجمها اكبر من كل التنظيمات فى الحقيقة ، ولابد ان تكون معهم شرط وجود تنسيق لا نتورط بغيره فى ازمات لا لزوم لها . هناك قوى معنا ، ونحن نحتاج إلى فرز . مشكلتنا فى هذه القضية اننى استطيع ان فيمن اختار ، ولكنى لا استطيع ان اتحكم فيمن يختارنى . هناك بعض من قد ننا الآن ، ويرفعون اعلامنا ، ولكن تصرفاتهم يحتمل ان تسىء إلينا .

بعد ذلك قضية القوات المسلحة ، وعلينا ان نعيد بناءها وفق تجربتنا فى . لقد كان اتجاهى إلى تغيير كل قيادات الأسلحة . القوات البرية والبحرية . لكننى ترددت من ناحية لأن عبد الحكيم (عامر) يعتقد ان سا بكرامته وكرامة الجيش . من ناحية اخرى ، فقد وجدت اننى اذا غيرت الآن ، فمعنى ذلك اننى اعترف ضمنا بانها لم تكن على المستوى المطلوب فى . وهذا يقوى الادعاء الذى يروج الآن بان انتصار السويس كان انتصارا

سياسيا وهزيمة عسكرية ، وهذا غير صحيح ، ولكنها ضمن محاولات الحرب النفسية الموجهة إلى ثقة الناس بالجيش وثقة الجيش فى نفسه .

وجدت ايضا انه من الظلم أن أحكم على قيادات القوات المسلحة بالارتباك الذى ظهر فى تصرفاتهم فى المعركة ، فقد كان حجم « العدو » اكبر مما يمكن أن يتصوره خيال اى واحد فيهم . اقصى ما تصوروه هو هجوم تشنه إسرائيل ، ولكن ان يجدوا انفسهم فجاة امام غزو بريطانى ـ فرنسى ـ إسرائيلى ، فهذا كثير عليهم ، ويجب أن نكون منصفين .

هناك مجالات لابد أن ندخل إليها :

إسرائيل تفكر ذريا ، ولابد لنا نحن الآخرين ان نفكر مثلهم . طلبت حصرا لكل خبرائنا فى الطبيعة النووية ، وعرفت أن هناك عالما كبيرا بينهم لديه كل المؤهلات[10] ، ونحن نحتاج إلى مفاعل نووى ولابد ان نحصل عليه .

لابد ان نتمكن من صنع سلاحنا بما فيه الطائرات . عندنا مصانع سلاح على نطاق محدود ، وقد وضعنا برنامجا لبناء صناعة سلاح . الطائرات قضية اكثر تعقيدا ، ولابد ان نتعاون فيها مع احد . افكر فى الهند او يوجوسلافيا .

ايضا هناك الصواريخ . هناك علماء المان يتخاطفهم العالم بما فيه الولايات المتحدة ، وقد حاول بعضهم جس النبض معنا وقد قلت إننا نرحب . هناك واحد بالذات اتصل بنا ، ويظهر انه شارك بشكل كبير فى صنع صاروخ « ف ٢ » وقد وافقت على قدومه إلى هنا .

ليست المسالة هى ان نتمكن من صنع صواريخ او طائرات ، المهم ان هذه المجالات هى تكنولوجيا المستقبل ، ولابد ان نتيح للمصريين التعرف عليها والتخصص فيها ، وهذا عندى اهم من سرعة إنتاج الطائرات او الصواريخ .

هناك ايضا مسالة الأسلحة الكيماوية . وانا اعرف انها ممنوعة ، ولكننا لابد ان نملك سلاحا رادعا إذا سبقتنا إسرائيل فى مجال الذرة ، وسوف تجد كثيرين يساعدونها فيه . يقولون إن الأسلحة الكيماوية هى السلاح النووى للفقراء . واظن ان القول صحيح .

قبل هذا كله فنحن نحتاج إلى معلومات ، وقد وضعت خطوطا عريضة لإنشاء جهاز مخابرات على نسق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وانا أريده جهازا قادرا على جمع المعلومات وتحليلها ، وعلى تامين محاولات الاختراق الداخلى ، فقد وجدنا أن الانجليز والفرنسيين ، وكذلك إسرائيل لهم شبكات واسعة فى مصر ، ويجب أن نواجه ذلك كله .

وانا لا اريده جهازا مكتبيا او بوليسيا ، ولكنى اتصوره جهازا قادرا على اختراق

(١٠) كان يقصد وقتها استاذ الطبيعة النووية الدكتور « محمد النادى » .

إسرائيل . وايضا اريد ان يكون مستواه العلمى قادرا على فك شفرات البلاد التى تهمنا تحركاتها . إننا قطعنا شوطا لا باس به فى هذا الاتجاه ، ونحن الآن نفك عددا من الشفرات تعطينا معلومات لها قيمة .

كل هذه مجالات عمل للمستقبل ، وأما المعركة التى سوف تفرض نفسها علينا بسرعة ، بل إنها فرضت نفسها فعلا ، فهى المعركة على قلب العالم العربى وفكره ومشاعره وتوجهاته .

إنهم خرجوا الآن بمبدأ ايزنهاور . وهذا المبدأ موجه الى إدعاء محاربة الاتحاد السوفيتى . ولسنا نحن الذين سنحارب المعركة ضد الاتحاد السوفيتى . هم يريدوننا فى حظيرتهم لا اكثر ولا اقل . وايزنهاور بعث بممثل خاص له إلى المنطقة ، وهو يدور على كل العواصم العربية ولايجىء إلينا . قالوا لسفيرنا فى واشنطن : « إذا أردتم ان يجىء « ريتشاردز » إليكم فوجهوا دعوة إليه » . وقلت إننا لن نوجه دعوات إلى احد ، ونحن لا نريد أن نأخذ مساعدات او نقطع على انفسنا تعهدات . نحن لا نرى أن الاتحاد السوفيتى الآن هو الخطر علينا ، الخطر هو إسرائيل . ولو كان مبدأ ايزنهاور موجها الى كل المخاطر التى تواجه الشرق الأوسط لدعوناه لنحدثه فى الخطر الإسرائيلى . على فرض ان الاتحاد السوفيتى خطر الآن ، فهناك خطر داهم يسبقه هو خطر إسرائيل . لا نستطيع ان ننظر إلى الخطر بعين واحدة ، ومن الضرورى ان ننظر بعينين . السفير الأمريكى هير كان عندى ، وحاول أن يسألنى رأيى فى مبدأ ايزنهاور ، وقلت له عيبه انه « مبدأ اعور » ينظر بعين واحدة . رد على قائلا إنه على فرض صحة رأيى فإن « حالة العور » أفضل من « حالة العمى » ، وقلت له : « لا » . ولم اشأ ان ازيد لأنى أتحاشى بحث الموضوع كله فى هذا الوقت . سوف نضطر إلى إبداء رأينا ، ولكنى قلت للدكتور فوزى (وزير الخارجية) إن سياستنا الآن هى الصمت . نحن نحتاج إلى وقت لكى نهضم كل تجارب المعركة . خير ما نفعله الآن ان نعد قوانا ثم ننتظر . والحقيقة انه ليست لدى شكوك فى أن مبدأ ايزنهاور هو اول محاولة عملية لعزل مصر . يأخذون العالم العربى كله إذا استطاعوا معهم ، ثم يتركون مصر وحدها ، وانا اراها محاولة امريكية لتكرار عملية حلف بغداد بطريقة اشد مكرا وخبثا ، ومع ذلك أوثر ان اترك الأمور تشكل نفسها ، ونختار نحن بعد ذلك لحظة تدخلنا . هناك البعض عندنا يقولون لى : « ما الضرر فى أن ندعو ريتشاردز ، فهو يحمل فى حقيبته مساعدات مالية وعسكرية نحتاج لها » وقلت لهم : « لا تتعبوا انفسكم ليس لنا فى حقيبة ريتشاردز اى شىء . كل شىء عنده له شروطه ، والمسألة هى ما إذا كنا مستعدين لقبول شروط الولايات المتحدة ؟ إذا كنا سنفعل ، فلماذا تحملنا كل هذه المكاره لرفض شروط الانجليز والفرنسيين ؟ » !

إن ايزنهاور بالطبع يستعمل حكاية الخطر السوفيتى والشيوعى لأنه يريد غطاء مقبولا فى أمريكا . لا يستطيع ان يقول لهم إنه يريد محاربة القومية العربية . يريد محاربة مصر وسوريا وشعوب بلاد عربية أخرى لاتريد الخضوع للسيطرة .

لا يستطيع ان يقول هذا بالطبع ويقول . الشيوعية . و . النسلل الشيوعى . و « فراغ القوة » . حكاية الذئب والحمل تتكرر مرة اخرى . طبعا يركزون على سوريا . والدور بعدها علينا . السيطرة هى المطلوبة . وليس مواجهة خطر شيوعى يبالغون فيه . »

كانت هذه أفكار « جمال عبد الناصر » وبنفس تعبيراته وقتها .

□

ولم تلبث الأيام أن جاءته بالبرهان العملى على صحة ما فكر فيه وعبر عنه . فقد بعث إليه صديقه « جواهر لال نهرو » بخطاب يعرب فيه عن قلقه من « مبدأ ايزنهاور » ، وكان اهتمام « نهرو » بخطة « ايزنهاور » الجديدة مبعثه باكستان التى اتضح أن « مبدأ ايزنهاور » ينطبق عليها ، وقد زارها « جيمس ريتشاردز » مبعوث « ايزنهاور » ومعه حقيبته بما فيها من مساعدات مالية وعسكرية .

وكتب « جمال عبد الناصر » برأيه إلى « نهرو » ، وكان رأيه انه لا يوافق على مبدأ « ايزنهاور » من أساسه ، وتقديره أنها محاولة جديدة لعزل مصر وموجهة إليها بالتحديد قبل أى طرف آخر . ورد « نهرو » بأنه كتب إلى « ايزنهاور » بشأن مخاوفه مما يمكن أن تحصل عليه باكستان من أسلحة بالذات نتيجة لخطته الجديدة . ورد « ايزنهاور » على « نهرو » وبعث الرئيس الهندى إلى صديقه فى مصر صورة من رد « ايزنهاور » عليه ، وكان فيه البرهان .

قال « ايزنهاور » فى خطابه لرئيس وزراء الهند « جواهر لال نهرو » :

« عزيزى رئيس الوزراء

لسنوات طويلة ـ فإن دولا كثيرة فى المنطقة كانت تساورها المخاوف من احتمالات العدوان ، وقد وصلت بها هذه المخاوف احيانا إلى درجات من الانفعال الذى يصل إلى حد الهستيريا . ولقد وجدت حكومتى انه من الضرورى مساعدة هذه الدول على تجاوز هذه الحالة .

ولابد ان اقول لك إننا لم نفكر على الإطلاق فى ان واحدة من هذه الدول المعنية ، او مجموعة منها تستطيع او حتى تتحمل برامج تسليح كبيرة . وعندما نتحدث عن مساعدتها عسكريا ، فإن ما نعنيه فى حقيقة الأمر هو ان نساعد هذه الدول على بلوغ درجة من القوة توفر لها قدرا معقولا من الأمن ضد العصيان الداخلى او التخريب مع قدر من امكانية المقاومة إلى حد ما ضد العدوان الخارجى .

وإذا كان قد لفت نظرك ما قلته للكونجرس الأمريكى عندما طلبت تفويضه لمساعدة هذه الدول من ان الهدف هو مقاومة العدوان الشيوعى ، فإننى قلت ذلك لمجرد طمانتهم إلى اننا مستعدون وجادون فى مساعدتهم على حفظ استقلالهم . والحقيقة

اننى اعتقد ان مجرد إعلاننا لذلك سوف يقلل ـ او يزيل ـ اى احتمال للعدوان الخارجى . »

ثم استطرد « ايزنهاور » يقول لـ « نهرو » :

« وقد لا اكون فى حاجة إلى ان أؤكد لك انه ليس هناك اى احتمال جدى فى ان تستطيع اى دولة مستفيدة بسياستنا الجديدة ان تشن اى عمليات حربية بدون موافقتنا لأن حصولها على اسلحة امريكية يعنى اعتمادها إلى درجة كبيرة على إمدادنا لها بالذخائر وقطع الغيار ، وإمكانيات الصيانة التى نستطيع وحدنا توفيرها . وكل هذا سوف يتم حجبه ومنعه فى اللحظة التى يتصرف فيها اى طرف بسلاحنا خارج الأهداف التى نوافق عليها . »

وكانت هذه الفقرات من خطاب « ايزنهاور » إلى « نهرو » أكثر من كافية بالنسبة لـ « جمال عبد الناصر » ، ومع ذلك كان قراره : الانتظار ومراقبة التطورات ، وعدم التسرع إلى ردود فعل سابقة لأوانها !

٥

يقول الرئيس « ايزنهاور » فى يومياته[١١] : « إن مبعوثه الخاص إلى الشرق الأوسط زار كلا من : لبنان وليبيا وتركيا وإيران والعراق وإسرائيل والمغرب وباكستان والسعودية والسودان وتونس ، لكنه امتنع عن زيارة ثلاثة بلدان فى المنطقة هى : مصر وسوريا والأردن . وهو لم يزر مصر وسوريا لأن « المناخ السياسى لم يكن مواتيا » ـ وأما الأردن فهو لم يزره لأن أزمة سياسية معقدة وقعت فيه أثناء استعداده لزيارته » !

ومن اللافت للنظر أن مصر فى هذه الفترة استقبلت زائرا غربيا اسمه « ا . م . جرينوود » جاءها يحمل خطابات توصية إلى « جمال عبد الناصر » من الرئيس « ايزنهاور » ومن عدد من أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب وفى الكونجرس ، وحكام الولايات ، ورؤساء النقابات ـ يرجونه فيها استقبال المستر « جرينوود » والاستماع

---

(١١) صفحة ١٩٣ و ١٩٤ .

« بعطف » الى مقترحاته . وقابله بعض المسؤولين والصحفيين[١٢] المصريين ، **وقدم نفسه إليهم باعتباره « رئيس لجنة الشرق الأوسط للتسوية السلمية » ، وكان يحمل معه مشروعا كاملا لشراء قناة السويس وإدارتها ، وتحمل المشاكل العملية التى تقتضيها ضمانات حرية الملاحة . وكان الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية بين المسؤولين الذين قابلهم « جرينوود » ، ودخل الرجل إلى مكتب وزير الخارجية قائلا له :**

« **هل تريدون ألفى مليون دولار نقدا تواجهون بها مشاكلكم المالية** ؟ »

ورد عليه الدكتور « فوزى » باسما : « **هذه كفى مبسوطة لك** . »

ورد « جرينوود » بسرعة : « **ولكن عليك أن تسلمنى القناة أولا** » !

وانتهت القصة قبل أن تبدأ ، وقضى « جرينوود » فى مصر بعدها شهرا كاملا ينتظر مقابلة « جمال عبد الناصر » ليسلمه التوصيات المكتوبة التى حملها معه ، ولم يتحقق له ما يريد ، وترك ما معه فى ظرف مغلق معنون باسم « رئيس الجمهورية المصرية » .

ولم يستطع أحد فى القاهرة أن يقطع بشىء فى هذه القصة الغريبة ، وكان ظاهرا بكل الشواهد أنها عرض مسرحى جانبى ، وأما العرض المسرحى الحقيقى فقد كان بطله « جيمس ريتشاردز » الذى لم يجىء الى مصر - وكانت صور ما يجرى عليه ، وأصداء الأصوات المتبادلة فوق خشبته - تصل إلى القاهرة .

كانت كل الدول العربية التى زارها « ريتشاردز »[١٣] مستعدة لقبول « مبدأ ايزنهاور » ولكنها جميعا كانت مترددة فى إعلان قبولها تحسبا لمعارضة مصر وسوريا . وكانت المعارضة المصرية قد بدأت تظهر وتتصاعد مع كل محطة يتوقف فيها « ريتشاردز » ، وكانت المعارضة السورية على الذروة منذ أول لحظة .

وبلغت حساسية الموقف إلى درجة أن الرئيس اللبنانى « كميل شمعون » الذى استقبل المستر « ريتشاردز » فى مكتبه فى بيروت أصيب بحالة من التوتر الشديد فى اليوم التالى ، فدعا السفير الأمريكى فى لبنان إلى مقابلته ، وطلب « **إرسال وحدات من الأسطول الأمريكى السادس بسرعة إلى قرب الشواطىء اللبنانية كمظاهرة تأييد**

(١٢) كنت احد الذين قابلوا المستر جرينوود واستمعوا إليه ، وقد ارسل إلىّ خطابا يبدى فيه ضيقه من اننى لا استمع إليه باهتمام ، ولا اساعده على إحباط مخططات دالاس المعادية لمصر . ونص الخطاب منشور فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٥) صفحة ٨٢٦

(١٣) حدث لبس فيما يتعلق بالسودان ، فقد ذكر ريتشاردز فى تصريح علنى ان حكومتها وافقت على مبدا ايزنهاور ، ولكن وزارة الخارجية السودانية اصدرت تصريحا فى اليوم التالى ناقضت فيه فهمه لموقفها .

لحكومته ، كما طلب شحن بعض الأسلحة على الفور إليه لأن السوريين يستعرضون سلاحهم السوفيتى بطريقة مستفزة هذه الأيام ».[١٤]

وعندما توجه السفير « ريتشاردز » إلى زيارة تركيا لم تكن للتعليمات التى حملها معه[١٥] صلة بالأهداف المعلنة لـ « مبدأ ايزنهاور » وإنما كانت جميعا متصلة بالأوضاع الداخلية لبلدان الشرق الأوسط ، وفى مقدمتها من وجهة نظر السياسة الأمريكية « **البحث فى تحسين وتقوية وتدعيم العلاقات بين تركيا ، وبين كل البلدان العربية التى يمكن أن تكون مستعدة لذلك . وكذلك تحسين وتقوية وتدعيم العلاقات بين تركيا وإسرائيل** » !

وفى أثناء زيارته لليبيا كان عليه أن يعلق المساعدة الأمريكية على شرطين هما : « ابتعاد ليبيا تدريجيا عن مصر ، وبالتالى عن الاتحاد السوفيتى ! ثم السماح للولايات المتحدة بقواعد وتسهيلات عسكرية على أراضيها بما فى ذلك عقد اتفاقية تضمن وتنظم وجودا عسكريا أمريكيا على الأراضى الليبية »[١٦] .

وفى السعودية كانت مهمة السفير « ريتشاردز » أن يهدىء من نشاط الملك « سعود » فى تحمل مسؤولية قضية خليج العقبة ، فلقد أحست واشنطن بالقلق لأن الملك بدلا من مناقشة القضية عن طريق الخطابات السرية مع الرئيس « ايزنهاور » راح تحت ضغوط متعددة المصادر يصدر بيانات متشددة ، فقد أعلن الملك « سعود » يوم ٩ أبريل ١٩٥٧ « إن المملكة تحذر من انها سوف تضطر إلى ضرب البواخر الاسرائيلية التى قد تمر بخليج العقبة » .

وفى اليوم التالى نقلت وكالات الأنباء من الرياض « **أن السعودية احتجت على الولايات المتحدة لأن إحدى الناقلات الأمريكية مرت من الخليج تحمل شحنة بترول لإسرائيل** » .

ثم نقلت وكالات الأنباء بعد ذلك من الأمم المتحدة يوم ١١ أبريل « **أن السعودية أبلغت الأمم المتحدة أنها سوف تمنع مرور أى بواخر إسرائيلية من خليج العقبة** » !

ويوم ١٢ أبريل كان « ريتشاردز » قد وصل إلى السعودية ، **ولا تحتوى ملفات** وزارة الخارجية الأمريكية على وثائق كثيرة عن السعودية لأن معظم شؤون العلاقات

(١٤) برقية شفرية من السفارة الامريكية فى بيروت برقم ٢٥٦٧ بتاريخ ٢٦ ابريل الساعة ٩ مساء .
(١٥) تقرير مجلس الأمن القومى فى البيت الابيض رقم ١ / ٥٧٠٣ بتاريخ ٦ مايو ١٩٥٧ .
(١٦) مذكرة كتبها المستر راونترى مساعد وزير الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الاوسط .

معها من اختصاص مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض[١٧] ، ولكن البيان المشترك الذى أذيع على العالم بعد زيارة « ريتشاردز » أجمل نتائج الزيارة حين أعلن « أن البلدان يعلنان عزمهما على مقاومة النشاط الشيوعى ، والاستعمار فى شتى صوره ، واستعدادهما لمناهضة اية أخطار تهدد السلام والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط » !

□

وفجأة انفجر لغم تحت « مبدأ ايزنهاور » ومهمة « ريتشاردز » وكان انفجاره بنفس الأسلوب الذى انفجر به اللغم قبلها تحت « حلف بغداد » ومهمة الماريشال « تمبلر » ، وفى بنفس الموقع وهو الأردن . وكان الأردن بحكم موقعه على أطول خطوط المواجهة مع إسرائيل ، وبحكم الوجود الفلسطينى الكثيف بين سكانه من ناحية ، وبحكم دقة الظروف الحرجة المحيطة بسلطة الحكم فيه من ناحية أخرى - مهيأ اكثر من غيره لانفجار اللغم .

والحقيقة أن ظروف الفرع الحاكم من الأسرة الهاشمية فى عمان تستحق النظر الطويل فى تحليلها ، والحذر الشديد فى تناول سياساتها ، فقضيتهم ذات جذور ضاربة فى أعماق التاريخ العربى والاسلامى ، ثم إن فروعها القريبة والراهنة تمتد الى مواقع شديدة الحرارة والسخونة .

وفيما يتعلق بالجذور فقد يمكن ملاحظة العوامل التالية :

١ - إن أسر الأشراف ، وبصرف النظر عن تسلسل الأنساب وملابساته - تصورت منذ فجر التاريخ الاسلامى أن لها حقا ، وأن البقية من المسلمين تنازعها فيه ، وكان هذا سببا للخلاف والفتن . ولقد كانوا منذ البداية يستحون من المطالبة جهرا بما يظنونه حقا لهم ، وهكذا فقد كان أسلوبهم المختار هو التلميح بدلا من التصريح ، والتمنى بأن يسبقهم الآخرون الى المطالبة لهم بما يتحرجون من طلبه لأنفسهم . وفيما بعد بقيت هذه الحيرة متوارثة عبر الأجيال .

٢ - إن العروش الهاشمية لم تظهر إلا فى العصر الحديث ، وكان ظهورها مرتبطا بصراع الامبراطوريات الأوروبية على الخلافة العثمانية ، وحين ظهر « الشريف حسين » فى مكة ليتفاوض مع

(١٧) بمقتضى إعلان خاص اصدره الرئيس ايزنهاور بتاريخ ٢ مارس ١٩٥٣ تطبق احكام « قانون الامن المشترك » على السعودية . (نص القرار فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٦) صفحة ٨٢٩ .

الانجليز فى شأن العالم العربى بعد الحرب - فإن ما حدث فى اوائل التاريخ الاسلامى تكرر على نحو ما فى اواخره ذلك ان كثيرين نازعوا الأسرة الهاشمية فى دعوى الخلافة ، وكان ذلك موقف اسرة « آل سعود » التى لم تلبث أن استولت على الحجاز نفسه ، واخرجت منه بقايا الهاشميين ، كما كان ذلك موقف اسرة « محمد على » فى مصر التى راودتها بسند « الأزهر » - احلام خلافة إسلامية .

ولم يستطع الانجليز ، وربما لم يكن فى نيتهم اصلا أن يفوا بوعودهم لـ « الشريف حسين » الذى مات مقهورا . ولقد حاولوا تعويض أبنائه بعرش لـ « فيصل » فى سوريا لم تلبث فرنسا أن ازاحته عنه . واستبدل عرش دمشق بعرش فى بغداد لفرع « فيصل » وبعرش فى عمان لفرع « عبد الله » ، ولم تكن العلاقات بين الفرعين ودية ، ولا كانت علاقتهما معا ببقية العالم الاسلامى والعرب سهلة أو سلسة .

٣ - ومنذ بدايات الصراع العربى الإسرائيلى ، وبعد وعد بلفور المسنود بالانتداب البريطانى على فلسطين كان العرش الهاشمى فى عمان طرفا فى اتصالات ومخططات صعبة ووعرة ، وكان الملك « عبد الله »[١٨] فى الظروف التى ادت الى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وبعدها كمن يعيش داخل كسارة البندق معرض للضغط من جانبين وربما ثلاثة .

الحركة العربية الشعبية الهادرة فى مطالبها الحقة من ناحية ، وإسرائيل العدوانية الكاملة فيما تبقى من فلسطين (الضفة الغربية بالذات) من ناحية اخرى ، ومن الناحية الثالثة ضغط القوى الكبرى - وأولها بريطانيا - الراغبة فى الوصول إلى تسوية للمشكلة الفلسطينية دون أن يعنيها من الذى يدفع الثمن .

وحاول الملك « عبد الله » - وكانت له طموحاته ومطالبه الخاصة - وناور (والحديث هنا محاولة للتحليل والتقصى ، وليس للتحقيق والمحاكمة) لكن الظروف كانت أقوى منه وانطبقت كسارة البندق ، وجرى اغتيال الملك « عبد الله » على أبواب المسجد الأقصى فى القدس

(١٨) عرفت الملك عبد الله عن قرب فى ظروف حرب فلسطين عندما كنت مراسلا مقيما فى عمان بسبب قربها من ميادين القتال ، وقد قضيت اياما طويلة فى صحبته ، وفى حوارات طويلة معه ، وكنت اشعر من كرمه فى وقته مع صحفى مصرى شاب انه يتشوق إلى اعتراف عربى بدوره وبصعوبة هذا الدور . وكانت ازمة « عبد الله » الحقيقية ترجع إلى اعتقاده انه « ملك بلا مملكة فى حين يرى من حوله ممالك بلا ملوك » ، وكان هذا نص تعبير سمعته منه وقتها ونشرته فى حينه .

وبجانبه حفيده الملك « حسين » وكان وقتها فى السادسة عشرة من عمره .

٤ ـ وآل العرش الهاشمى فى عمان إلى « طلال بن عبد الله » ثم انتقل منه الى « حسين بن طلال » وكانت حركة كسارة البندق قد ازدادت شدة وعنفا . كانت تلك فترة الفوران الثورى فى العالم العربى ، ثم إنها كانت فترة تقدم الولايات المتحدة إلى دور امبراطورى فى الشرق الأوسط تحصل به على إرث الامبراطوريات الاستعمارية التقليدية . وكان الملك « حسين » موزعا بين شبابه وظروفه ، فشبابه كان يدعوه إلى الاتصال بالحركة القومية العربية ، وظروفه كانت تشده إلى إبقاء صلاته مع دول الغرب الكبرى ـ بريطانيا ثم الولايات المتحدة ـ قوية ووثيقة لأن ذلك فى تقديره كان المانع الوحيد لإسرائيل أن تستكمل دعاوى « أرض إسرائيل » بالاستيلاء على الضفة الغربية للأردن ، وربما الضفة الشرقية أيضا ، ولقد أدى هذا التوزع بين الشباب والظروف إلى مشاكل كبيرة وتعقيدات عسيرة ـ لكن مهارة الملك فى المناورة السريعة ، مع تجربته المباشرة فى رؤية حركة كسارة البندق على عتبات المسجد الأقصى ـ وفرت فسحة من الوقت كافية لمرور العواصف .

ولقد كان « جمال عبد الناصر » يفهم هذه الظروف ، وإن كان غيره من أقطاب الحركة الثورية لم يكونوا على استعداد لفهمها . ولعل من هنا أن علاقة « جمال عبد الناصر » مع الملك « حسين » ظلت متصلة[١٩] وإن شهدت فترات من التوتر والحدة على الجانبين . وكان « جمال عبد الناصر » يقول : « إن الملك حسين كراكب الدراجة يتحتم عليه أن يتحرك باستمرار وإلا وقعت دراجته » ـ وكان هذا الى حد كبير وصفا صحيحا .

وعندما وقعت تجربة الضغط على الأردن للانضمام الى حلف بغداد فى خريف سنة ١٩٥٥ ، وقام « أنتونى ايدن » رئيس الوزارة البريطانية بإيفاد رئيس اركان حرب الامبراطورية الماريشال « تمبلر » ـ استجاب الملك للثورة الشعبية التى اندلعت فى الأردن ترفض حلف بغداد . ولعله أدرك من يومها أن الدور البريطانى فى المنطقة وصل إلى مداه . وفى أوائل سنة ١٩٥٦ كان يقود عمليته الشهيرة ـ مع مجموعة من ضباطه المقربين ـ ضد الجنرال « جلوب » (باشا) قائد الجيش الأردنى رمز الوجود البريطانى الظاهر فى الأردن .

---

(١٩) لسنوات ظلت صورة جمال عبد الناصر فى مكانها فى غرفة نوم الملك حسين ، كما ظلت صورة الملك حسين فى صالون الاستقبال فى بيت جمال عبد الناصر .

وعندما وقعت معركة السويس فى خريف سنة ١٩٥٦ كان الملك « حسين » متحمسا لدخولها ، وكان « جمال عبد الناصر » هو الذى اتصل به على تليفون مفتوح مساء يوم الاثنين ٣٠ أكتوبر يرجوه « **أن لا يتدخل فى المعركة لأن إسرائيل متربصة بالضفة الغربية والقدس** » ، وحين حاول الملك أن يضيف شيئا قال له « جمال عبد الناصر » : « **إننى أعرف أن قلبك معنا ، وأنا لا أريد أكثر من ذلك الآن** » وانتهى الحديث التليفونى وكلا الرجلين يعرف تماما ما يقصده الآخر .

وفى ربيع سنة ١٩٥٧ ، وكان ضغط الولايات المتحدة على أشده لفرض « مبدا ايزنهاور » الذى حمله ممثله الخاص « جيمس ريتشاردز » ، تصور البعض فى الأردن أن الضغط الأمريكى تصعب مقاومته ، وساعد على ذلك التصور أن كل عناصر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التى كانت تعمل من قبل فى القاهرة وغادرتها بعد معركة السويس الى بيروت ـ انتقلت الآن بقضها وقضيضها وبكل أسلحتها ووسائلها الى عمان .

كان السيد « سليمان النابلسى » رئيسا للوزراء فى الأردن وقتها ، واحس بالضغوط الموجهة إلى وزارته ، ووقف فى اجتماع علنى يوم ٦ أبريل ١٩٥٧ يقول بالنص :

« إننا كعرب لنا مبادئنا القومية المستمدة من طبيعتنا وتقاليدنا ، ولسنا فى حاجة إلى من يقودنا » .

ووصل فى حديثه إلى « مبدأ ايزنهاور » وإذا هو يقول :

« إنهم يتحدثون عن الفراغ ، ولكن هذا الفراغ لايوجد إلا فى عقول الذين يتحدثون عنه ، والدفاع عن الأمة العربية لايمكن ان يقوم به غير ابناء الأمة العربية » .

وفى يوم ١١ أبريل أقيلت وزارة « سليمان النابلسى » وعهد إلى السيد « حسين الخالدى » بتأليف وزارة جديدة ، ولكن كل الأحزاب الأردنية رفضت التعاون معه ، وأصدرت بيانا تعتبر فيه « **أن وزارته الجديدة عملية تمهيد لقبول مبدا ايزنهاور** » .

وتعذر تشكيل وزارة « الخالدى » واعتذر فى اليوم التالى عن قبول التكليف الذى صدر إليه ، وجرى اختيار السيد « عبد الحليم النمر » يوم ١٣ أبريل لتشكيل وزارة جديدة قبلت الأحزاب الوطنية الأردنية أن تشارك فيها بشروط .

كان التوتر على أشده فى الأردن ، وبوادر الغليان تتصاعد .

وفجأة تقرر العدول عن تشكيل وزارة برئاسة « عبد الحليم النمر » والإعلان عن تكليف السيد « سعيد المفتى » بتأليف وزارة جديدة ، وكان ذلك يوم ١٤ أبريل .

وفى يوم ١٥ أبريل تألفت وزارة أردنية شبه قومية برئاسة السيد « حسين الخالدى » اشترك فيها السيد « سليمان النابلسى » والسيد « سعيد المفتى » .

خلال هذه التقلبات السريعة كلها حدثت الوقيعة بين الملك وبين بعض ضباطه المقربين ممن تحركوا معه فى عملية طرد « جلوب » (باشا) وتصفية النفوذ البريطانى فى الأردن .

وهرب اللواء « على أبو نوار » أبرز هؤلاء الضباط ـ وكان قد أصبح قائدا للجيش الأردنى ـ إلى سوريا ، ومن هناك بعث باستقالته ، وأعلن فى عمان عن تعيين اللواء « على الحيارى » خلفا له ، ولم تمض غير ساعات حتى كان اللواء « على الحيارى » بدوره يترك منصبه ، ويهرب الى دمشق ، ومن هناك يبعث باستقالته .

كانت دمشق هى الجمرة المتاججة وسط حقل الألغام العربى .

ودخلت قوات الجيش العراقى إلى الأراضى الأردنية .

وأعلن الرئيس « شكرى القوتلى » رئيس الجمهورية السورية وقتها ان هناك احتمال صدام عسكرى بين القوات السورية ، والجيش العراقى الذى دخل الى شمال الأردن « بدعوى ردع إسرائيل فى حين ان سبب دخوله الحقيقى هو المساعدة فى السيطرة على الأوضاع ، وفتح الطريق أمام مبدأ ايزنهاور » .

وكانت واشنطن تشدد ضغوطها لا تريد أن يحدث لـ « مبدأ ايزنهاور » فى عمان ما حدث فيها ـ قبل عام تقريبا ـ لـ « حلف بغداد » ، وكانت الرياض نهبا لمشاعر متناقضة تؤيد « مبدأ ايزنهاور » فى السر ، ولا تستطيع أن تجهر بتأييده فى العلن . وطار الرئيس « القوتلى » من دمشق إلى مكة ليقابل الملك « سعود » فى رحاب الكعبة ، ويستحلفه كما قال « **بأن يمنع وقوع فتنة عربية كبرى** » . وطار الملك « حسين » إلى مقابلة مع الملك « سعود » وعاد إلى عمان ليقول فى مؤتمر صحفى :

« إن الأردن لن ينفرد وحده باتخاذ اى سياسة ، وانه لا تسوية للنزاع مع إسرائيل إلا بعد حل مشكلة مليون لاجىء فلسطينى » .

ووصل « مبدأ ايزنهاور » إلى نفس الطريق المسدود الذى وصل إليه « حلف بغداد » ، وفشلت تحركات الأسطول الأمريكى السادس فى شرق البحر الأبيض المتوسط فى التخويف ، كما فشلت من قبل مهمة الماريشال « تمبلر » رئيس أركان حرب الامبراطورية البريطانية فى الضغط .

□

ولم يكن « ايزنهاور » فى واشنطن على استعداد للتسليم بان « موقعة عمان » هى نهاية مبدئه او مشروعه لحل ازمة الشرق الأوسط ، لكنه كان يدرك ان حقائق الموقف تفرض عليه عدم دفع الأمور إلى اكثر من ذلك فى اللحظة الراهنة .

وتوضح يومياته فى تلك الفترة أنه كان معجبا بجراة الملك « حسين » ومرونته ، كما أنه بدا ضيق الصدر بالملك « سعود » وما رآه من « عجزه عن الظهور فى الأوقات التى يتحتم فيها على الناس أن يقفوا ويعلنوا ما يرونه صوابا ، ويدافعوا عنه » ، وتظهر مراسلاته الداخلية مع وزير خارجيته « جون فوستر دالاس » أنه لم يعد مستعدا لتلقى إشارات الملك « سعود » فى شأن خليج العقبة ، فقد كتب فى توجيهات رئاسية الى وزير خارجيته يقول له :

« إن ما افهمه هو ان ما يهم الملك سعود فى القضية برمتها هو موضوع عدم التعرض للحجاج المسلمين من جانب إسرائيل ، وهذه مسالة نستطيع ان نقدم فيها للملك كل التطمينات والضمانات . وقد حان الوقت لكى يركز سعود كل جهده على خطر الشيوعية الدولية » .

وفى نفس الوقت كتب « ايزنهاور » رسالة شخصية إلى الملك « سعود » يقول فيها :

« إن احداث الأردن تبين لكل من يريد ان يرى مدى الأخطار التى يتعرض لها بلد مستقل بسبب عملاء الشيوعية الدولية . وقد اوضحنا عزم الولايات المتحدة الراسخ على دعم استقلال البلدان الحرة فى الشرق الأوسط وسلامة اراضيها »[٢٠]

وتكشف يوميات « ايزنهاور » إلى جانب ذلك أن إعجابه الخفى بـ « جمال عبد الناصر » مازال كامنا ، فقد لاحظ فى يومياته بسرعة « **ان نجم عبد الناصر مازال يعلو ، وسعود غير قادر على التصدى لجاذبيته ، ولابد من الاعتراف مهما كان ذلك مريرا بأن « رجلنا » (يقصد الملك « سعود ») لايملك مزايا الرجل الآخر الذى اختار جانب الشيوعية الدولية (يقصد « جمال عبد الناصر ») التى توشك الآن ان تحكم قبضتها على اصدقائه فى سوريا .** »

وتظهر أوراق « ايزنهاور » فى هذه الفترة أن أفكاره راحت تحوم فى محاولة لاستكشاف بدائل أخرى ، ففى مجموعة الأوراق الخاصة ، وبعد شهور قليلة مذكرة عن حديث مع الأمير « فيصل » ولى عهد المملكة العربية السعودية جرى فى مكتب

(٢٠) الرسالة تضمنتها برقية بتاريخ ١١ مايو ١٩٥٧ موجهة من وزارة الخارجية إلى مكتب اتصالات السفار[ة] الامريكية بالظهران ، وكان رقمها هو ٤٧٤ .

الرئيس فى البيت الأبيض ورقمه ٦٤٧٢ فى هذه المجموعة ، وتحمل الوثيقة فى اعلاها أربعة حروف بخط « ايزنهاور » .O.K. - D.E ـ أى أن « ايزنهاور » وافق على المحضر ، ثم وضع الحرفين الأولين من اسمه . وقد ورد فى محضر الاجتماع بالحرف ما يلى :

« ابدى الرئيس سعادته باستقبال الأمير فيصل ، واستذكر لقاءه السابق معه سنة ١٩٥٣ ، واعرب عن امانيه بنجاح العملية الجراحية التى اجريت للأمير ، واستفسر منه عن خططه للمستقبل .

ورد الأمير شاكرا للرئيس ترحيبه ، وقال إنه ينتظر تقارير اطبائه قبل ان يقرر موعد عودته الى السعودية .

وقد ابدى الرئيس قلقه العميق من التطورات الجارية فى الشرق الأوسط وعلى وجه الخصوص فى سوريا . ثم قال : « إن الولايات المتحدة حريصة على ان تتمكن دول المنطقة من تنمية توافق بينها تحقق به امانيها ..لكننا لا نريد ان نرى السوفيت بتاريخهم القاسى فى فرض سيطرتهم يحصلون على مواقع حاكمة فى بلدان الشرق الأوسط » .

وقال الأمير « فيصل » : « . . . . » . »

وإذا بالوثيقة تضع نقطا سوداء على كل ما قاله فى هذه الجلسة بنصوص الأحكام التى تنظم إذاعة الوثائق الأمريكية حتى بمقتضى قانون حرية المعلومات إذا كان ما تحتويه هذه الوثائق حساسا الى درجة تؤثر فى الأمن القومى الأمريكى مستقبلا ، أو تؤثر على امن وسلامة الأشخاص المعنيين بما جاء فى الوثيقة !

وكانت « معركة القرن » فى طريقها الآن إلى سوريا .

الفصل الثالث

وراء أسوار الكرملين

١

ولم يكن هناك حتى هذه اللحظة خطر على الشرق الأوسط لا من الاتحاد السوفيتى ، ولا من الشيوعية الدولية ، كما كان الإيحاء بدعاوى الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » ووزير خارجيته « جون فوستر دالاس » .

من ناحية لم تكن المنطقة معرضة له عمليا أو عقائديا ، ومن ناحية اخرى فلم يكن الاتحاد السوفيتى مستعدا لها سياسيا أو عسكريا .

من ناحية المنطقة ، فقد كانت القوى الأكثر نفوذا وسلطة هى القوى التقليدية المحافظة ، وكان نسيج العلاقات الاجتماعية ، ونسق مجموعة القيم المؤثرة فيها ـ أشد ما يكون تنائيا وبعدا عن الشيوعية . وحتى القوى الجديدة فى العالم العربى ، فى المدن والمراكز الصناعية ، لم تكن تعرف الكثير عن الاتحاد السوفيتى ، ولا الكثير عن الفكر الشيوعى ، وقد كان معظم ما تعرفه ـ وبسبب المتاح من أدوات الاتصال الثقافى ـ يعتمد على مصادر غربية وكله يستدعى التشكك ولا يستدعى الثقة ، ثم إن العناصر الصاعدة إلى السلطة ضمن هذه القوى الجديدة ـ لم تكن مرتبطة عقائديا ، وكان الطابع الأغلب على فكرها وتصرفها هو الطابع العملى الذى يبحث عن حلول سريعة لمشاكل كبيرة متراكمة . وحتى الأحزاب الشيوعية التى نشطت إلى العمل فى بعض بلدان

الشرق الأوسط ـ والعالم العربى فى قلبه ـ لم تزد على ان تكون بؤرا محاصرة مضغوطة فى نطاق العمل السرى تحت الأرض .

□

كان الاتحاد السوفيتى خارجا للتو من تجربة عميقة وعنيفة طرحت وفرضت عليه شواغل أهم من الشرق الأوسط . وفى واقع الأمر فإن هذه الشواغل كانت تلامس مشكلة التجربة السوفيتية ذاتها . إن الشيوعية قامت فى روسيا المتخلفة نسبيا على عكس فرضيات « ماركس » التى ذهبت إلى أن الشيوعية مرحلة تالية ، وليست سابقة على المرحلة الرأسمالية . ولم تكن روسيا وقت الثورة البولشفية قد بلغت المرحلة الرأسمالية ، وإنما كانت بعد عند بدايتها . وعندما رأى « لينين » أن الفرصة سانحة لاستيلاء الشيوعيين على السلطة لتطبيق نظرياتهم ، فقد بدا أن الحل الوحيد هو الفرض بقوة الحزب الذى تحول فى الواقع إلى قوة الدولة . ومع استمرار التجربة تحت قيادة « ستالين » فان بيروقراطية الدولة كان عليها أن تقوم فى واقع الأمر بمهام حزب الثورة .

وقد أضيفت إلى هذه الحقيقة الواقعية حقيقة ثانية ، وهى توجه « ستالين » خلافا مع « تروتسكى » إلى سياسة بناء الشيوعية فى بلد واحد ، فالثورة العالمية المستمرة بدت لـ « ستالين » دربا من الأوهام المستحيلة ، وعندما قرر أن يركز على بناء الاتحاد السوفيتى ، فإنه ما لبث أن وجد نفسه أمام تكاليف مادية وإنسانية غالية ، ولم يتردد أمام هذه التكاليف ، وكانت النتيجة عصرا طويلا من الإرهاب اقترن باسم « ستالين » وطبع عصره . ومع أن « ستالين » تمكن من بناء الصناعة الثقيلة فى الاتحاد السوفيتى ، واستطاع فرض رأيه فى الزراعة الجماعية ، فإن الثمن الذى دفعته الشعوب السوفيتية كان باهظا فى تكاليفه حتى على الشخصية السوفيتية .

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، وأثقالها وتضحياتها المخيفة . وفقد الاتحاد السوفيتى مساحات كبيرة من أراضيه المزروعة ، وجرى تدمير معظم مراكزه الصناعية الكبيرة . وانتهت الحرب والجيوش السوفيتية المنتصرة بقيادة الماريشال « جوكوف » تدخل « برلين » وتدك مخبأ « هتلر » . لكن الاتحاد السوفيتى المنتصر عسكريا كان اقتصاديا واجتماعيا فى حالة بالغة الحرج . وعاد « ستالين » يحاول إعادة بناء ما دمرته الحرب . وكانت الأساليب هى نفس الأساليب وأشد ، وكانت التكاليف هى نفس التكاليف وأغلى .

ومع بداية الحرب الباردة ـ فور انتهاء الحرب الساخنة ـ اضطر الاتحاد السوفيتى أن يعطى أولوية متقدمة للقوة العسكرية ، **فقد وجدها أقرب الطرق إلى** تحقيق أمنه ، وضمان دوره فى التوازن العالمى الجديد ، وطلب المساواة فى القوة مع الولايات المتحدة الأمريكية . وبالفعل ، فإن الاتحاد السوفيتى استطاع تجديد وتطوير قوته العسكرية بعد الحرب ، ثم ما لبث أن لحق بالولايات المتحدة فكسر احتكارها للقنبلة الذرية ، ولحق بها فى صنع القنبلة الهيدروجينية . ثم راح يركز فى ميدان الصواريخ ، ويحقق فيها قفزات واسعة .

□

وحين مات « جوزيف ستالين » (٥ مارس ١٩٥٣) فقد كان لابد أن تحدث بعد اختفاء سلطته الأسطورية ـ تقلصات على القمة فى الكرملين تمتص وتستغرق اهتمام القيادة التى انتقلت إليها خلافته . كانت سلطة « ستالين » الأسطورية قد كادت تخنق أنفاس الحزب تحت ثقلها ، كما أنها كانت قد حولت المحيطين به من أعضاء المكتب السياسى إلى مجرد ظلال لا وزن لها ولا تأثير . واحتل مقعد القيادة على عجل تلميذ « ستالين » المخلص وخليفته المنتظر ، وهو « جورجى مالينكوف » . لكن الانتقال لم يكن ممكنا إتمامه بهذه السهولة ، أو هذه البساطة . فبعد اختفاء « ستالين » بالموت اختلجت الحركة فى المكتب السياسى ، وانتقل النبض منها خافتا وضعيفا إلى بقية تنظيمات الحزب . وحدثت ـ وكان لابد أن تحدث ـ تفاعلات فكرية وذاتية لم يعد ممكنا تعطيلها . وهكذا سقط « مالينكوف » وأذيع بعد سقوطه بيان بأنه (أى « مالينكوف ») « اعترف » أمام المكتب السياسى بـ « أنه غير كفء » لرئاسة الوزارة ، وأن فهمه لمشاكل الزراعة مغلوط كما أن فهمه لمشاكل الصناعة غير كاف ، و « أنه بناء على ذلك يطلب إعفاءه من المسؤولية » ـ وأصدر المكتب السياسى قرارا يعهد فيه إلى « مالينكوف » بتولى منصب وزير القوى الكهربائية ، ثم مالبث أن عزل عن هذا المنصب أيضا مكتفيا بإدارة محطة كهربائية واحدة على تخوم سيبيريا .

وماهى إلا أسابيع أخرى حتى أعلن المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى عن تصفية أقوى رجل فى الاتحاد السوفيتى بعد « ستالين » وهو « لفرنتى بريا » وزير البوليس والأمن الداخلى . ولم يذكر المكتب السياسى فى بيانه كيف جرت تصفية « بريا » لكن التفاصيل التى تسربت بعد ذلك كشفت عن أن « بريا » حوكم بواسطة زملائه من أعضاء المكتب السياسى ، وحكم عليه بالإعدام ، ثم استدعى إلى قاعة اجتماع المكتب السياسى جنرال من الجيش السوفيتى كلف بتنفيذ الحكم فورا ، ونفذ بالفعل فى حجرة مجاورة .

وبدا فى سنة ١٩٥٥ أن نجما جديدا يصعد إلى القمة فى الكرملين بسرعة وحيوية وهو « نيكيتا خروشوف » ، ومع ذلك فإن « خروشوف » كاد يسقط من حالق

بعد قليل حين رأى بعض الأقوياء فى المكتب السياسى من امثال « مولوتوف » و « كاجانوفيتش » أن السكرتير العام الجديد بدأ يتجاوز حدوده . وعقدوا بالفعل جلسة لمحاكمته أرادوا عزله بعدها . وكان من ضمن التهم التى وجهوها إليه شهادة ادلى بها وزير الخارجية السوفيتية فى ذلك الوقت ، وهو « ديمترى شبيلوف » الذى قال أمام المكتب السياسى : « إن خروشوف لايصلح بحكم تصرفاته أن يكون زعيما للاتحاد السوفيتى ، وأنه يكاد يذوب من الخجل مرات بسبب تصرفات خروشوف ، ومن أمثلة هذه التصرفات أنه ـ أى شبيلوف ـ حضر اجتماعا بين خروشوف ورئيس جمهورية فنلندا وطوال الاجتماع كان خروشوف لايكف عن هرش صدره ، وتحت إبطيه ، وكأن ملابسه الداخلية مملوءة بالقمل والبراغيت » .

لكن « خروشوف » استطاع أن يفلت من حصار الاتهامات والمؤامرة مستعينا بنفوذ حليفه فى الجيش ، وهو الماريشال « جوكوف » بطل الحرب العالمية الثانية .

ولم تكد تمضى ثلاثة شهور حتى وجد « خروشوف » أن عليه التخلص من « جوكوف » بصرف النظر عن دينه له . فـ « جوكوف » يستند على قاعدة الجيش وهذه القاعدة تمثل قوة حقيقية ، وبالتالى سلطة حقيقية ، واستطاع « خروشوف » أن يستميل إلى جانبه عددا من ماريشالات الاتحاد السوفيتى بينهم « كونيف » و « سوكولوفسكى » و « روكوسوفسكى » و « أنطونوف » و « مالينوفسكى » و « فاسيلفسكى » . وتمكن بمساندة هؤلاء جميعا من مواجهة الماريشال « جوكوف » الذى اضطر إلى تقديم استقالته، ونشر باسمه بيانا فى جريدة « برافدا » يقول فيه : « لقد اكتشفت الآن لأسفى البالغ أننى ارتكبت أخطاء جسيمة فى القوات المسلحة . فلقد حاولت عرقلة العمل السياسى للحزب فى صفوف الجيش ، وإذ أعترف بأخطائى أمام المكتب السياسى ، فإنى أعترف أيضا بحق الحزب فى تقويم هذه الأخطاء » .

□

هكذا يمكن القول دون مبالغة بأنه فى الوقت الذى احتدمت فيه جبهة الصراع فى الشرق الأوسط لم يكن الاتحاد السوفيتى مستعدا للمنطقة سياسيا ، أو جاهزا لها عسكريا . كانت التفاعلات الدولية تستغرق قيادته ، وقصارى ما كان يفرض نفسه عليها فى ذلك الوقت هو جبهة أوروبا وجبهة الصين بحكم استمرار الأوضاع الناشئة فى ظل معارك الحرب العالمية الثانية .

إن ذلك لاينفى بالطبع أنه كانت هناك نظرة سوفيتية لمنطقة الشرق الأوسط ، واهتمام عام بأحوالها والتطورات المثيرة التى كانت تحدث على أرضها نتيجة للصراع

بين حركة القومية العربية ، وبين الامبراطورية الأمريكية المتحفزة على إرث الامبراطورية القديمة .

والحقيقة أن الاهتمام السوفيتى بالمنطقة كان قائما وكامنا بحكم حقائق الجوار الجغرافى ومطالبها ، وأولها مطلب الوصول إلى المياه الدافئة فى الخليج والمحيط الهندى ، وهو مطلب بدأ يلح منذ أيام « بطرس الأكبر » .

ولقد جرب الاتحاد السوفيتى فى مؤتمر « يالطا » أن يحصل على نصيب فى الشرق الأوسط ، لكن رياح الحرب الباردة مالبثت أن عصفت باتفاقية « يالطا » ، وحاول الاتحاد السوفيتى بوسائل أخرى فى إيران وفى اليونان فى النصف الثانى من الأربعينات ، ولم يصادفه النجاح ، ثم قنع بالانتظار بعد ذلك معترفا بأن مجمل الأوضاع فى الشرق الأوسط لا يعطيه مجالا كبيرا للحركة ، فالعناصر التقليدية حاكمة ، والبنى الاجتماعية ضعيفة ، والأحزاب الشيوعية شظايا مبعثرة ومطاردة .

وفى كل الأحوال ، فإن التفاعلات الداخلية فيه كانت تستغرقه عن العمل فى ميادين جديدة خارج أوروبا والصين .

وعندما بدأت رياح الثورة العربية تهب بعد يوم ٢٣ يوليو فى مصر ، فإن الانطباع الأول للاتحاد السوفيتى لم يكن مواتيا بل وكان عدائيا ضدها ـ ثم بدات التطورات تلفت أنظار البعض فيه خصوصا عندما احتدمت المعركة فى المنطقة ضد « حلف بغداد » ، فقد كانت هذه المعركة تنطوى على عناصر تهم الاتحاد السوفيتى مباشرة ، وتمس صميم أمنه .

وفى الفترة من قيام الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ، وحتى آخر الخمسينات ، فإن توجهات الاتحاد السوفيتى نحو المنطقة لم تزد على قرارين استراتيجيين لا ثالث لهما :

□ **أولهما** : القرار بتزويد مصر بالسلاح ، ولعل الهدف الرئيسى فيه كان إحراج الغرب .

□ **والثانى** : هو القرار بتوجيه إنذار إلى أطراف العدوان الثلاثى وقت السويس ، ولم يصدر هذا الإنذار إلا بعد أن كان العالم كله قد وقف بالكامل ضد العدوان فى الأمم المتحدة وخارجها .

لكن صدور هذين القرارين الاستراتيجيين ، ثم مجمل التطورات التى تلاحقت بعد ذلك فرضت نفسها على الاتحاد السوفيتى فى الوقت الذى بدا فيه أن الأمور فى الكرملين ، وعلى قمة القيادة السوفيتية بدأت تستقر لصالح « نيكيتا خروشوف »

وبقية ثلاثى القمة معه : الماريشال « فورشيلوف » **رئيس الدولة** ، والماريشال « بولجانين » رئيس الوزراء ـ إلى جانبه هو كسكرتير عام للحزب الشيوعى السوفيتى وأول الأمناء للجنة المركزية .

□

هكذا فى ذلك الصيف الحار من سنة ١٩٥٧ وحين راح « ايزنهاور » و « دالاس » يطلقان صيحات النذير والتحذير من خطر الاتحاد السوفيتى والشيوعية الدولية ـ كان الاتحاد السوفيتى بالكاد على وشك أن يضع لنفسه خطوط سياسة شرق أوسطية ، وعربية واضحة المعالم . والواقع أن هذه الفرصة لاستعادة الاهتمام ، وإعادة التقييم ، ورسم سياسات جديدة ، **وجدت نفسها بالمصادفات التاريخية امام قوة رئيسية واحدة قادرة على الفعل ، وهى قوة حركة التحرر الوطنى الممثلة بحركة القومية العربية النشيطة وقتها على طول المنطقة وعرضها . لقد ثبت أنها وحدها الأقدر على التصدى للاستعمار ومعنى ذلك التصدى للغرب . كما ثبت أنها وحدها الأقدر على تحريك أوسع الجماهير ، وإيقاظ هممها وتحويل طاقاتها إلى تيار عارم متدفق ـ وليس فقط تجنيد بعض الأعضاء فى السر كما تفعل الأحزاب الشيوعية . وقد أثر هذا الوجود الحى والقوى لحركة الثورة العربية على التشكيل الأولى لسياسة سوفيتية جديدة تجاه المنطقة ـ لكن هذا التلاقى لم يحدث ، ولم يكن له أن يحدث بطريقة ميكانيكية ، فقد كانت المسائل ما زالت تحتاج إلى الكثير من التفكير الأعمق والتجريب المباشر . لكن جسورا جرت إقامتها فى هذه الفترة .**

واللافت للنظر أن القوى الثورية فى المنطقة ، وفى مقدمتها الثورة المصرية راحت تحاول الرد على صيحات « ايزنهاور » و « دالاس » بالتشدد فى مواجهة الشيوعيين ، ومطاردتهم ومحاكمتهم . وعلى سبيل المثال ، فإنه فى آخر شهر اغسطس سنة ١٩٥٧ قامت السلطات المصرية بضبط تنظيم شيوعى واعتقال أعضائه . ومع ذلك ففى يوم ١٠ اكتوبر ١٩٥٧ وقف « نيكيتا خروشوف » فى اجتماع علنى فى موسكو يقول :

« إن جمال عبد الناصر ليس شيوعيا بل إنه يضع كل الشيوعيين المصريين فى السجن ، ونحن نتعاون معه لأنه زعيم وطنى يقاوم الاستعمار بكل أشكاله » .

وكان « ايزنهاور » و « دالاس » مصممان على ترديد نفس الصيحة المنذرة بخطر الاتحاد السوفيتى والشيوعية الدولية . وجرت محاولات بائسة للبحث عن دليل . وتكشف وثيقة لوزارة الخارجية البريطانية برقم ١٥/١٠٢٤ ـ ان اكبر خبراء

وزارة الخارجية البريطانية فى مسألة التغلغل السوفيتى كتب تقريرا لوزير الخارجية يقول فيه : « **إننى لا ارى بموجب كل ما لدينا من معلومات ان هناك دليلا يؤيد تغلغل الاتحاد السوفيتى ، أو أى من الدول الدائرة فى فلكه فى الحياة الاقتصادية فى مصر** » . ومع ذلك فإن وكيل وزارة الخارجية البريطانية فى ذلك الوقت السير « ايفون كيركباتريك » أضاف إلى البرقية تأشيرة بخطه قال فيها : « **اوافق على ان هذا صحيح ، ولكنى اتساءل : اليس بوسعنا ان نفعل شيئا بالشواهد التى توحى بأن ناصر :**

١ ـ يعتمد على مشتريات السوفيت من القطن المصرى .

٢ ـ يسمح لعدد من خبراء الكتلة السوفيتية بالوجود فى المصانع المصرية (على سبيل المثال هناك ٨٠ خبيرا وعاملا تشيكيا فى مصانع الخزف والصينى ؟)

(إمضاء)
ايفون كيركباتريك »

ولما كان الافتعال واضحا فى مثل هذه المحاولات اليائسة ، فإنها لم تحقق أى قدر من النجاح ، والحقيقة أن مصر والاتحاد السوفيتى كليهما لم يكن قد استطاع من ناحيته أن يرسم لنفسه سياسة ثابتة تجاه الآخر . كانت هناك لقاءات ، وكانت هناك اتصالات ، وكانت هناك خطوات عملية بعضها يصل إلى المستوى الاستراتيجى . لكن هذا كله لم يكن قد تم بعد تأسيسه على قواعد مستقرة . كان معظمه تعبيرا عن اهتمام ، وحوارا سريعا مع حوادث تقتضى ردود أفعال لا تستطيع الانتظار حتى ينتهى بناء الطرق والجسور التى تمشى وتتحرك عليها الخطط والسياسات .

وبدا ان هناك حاجة إلى لقاء مباشر على مستوى القمة أو قربها تكون الفرصة متاحة فيه لحوار مباشر وصريح .

٢

يوم ٥ أكتوبر ١٩٥٧ ذهب السفير السوفيتى فى القاهرة « ديمترى كيسيليف » إلى مقابلة الرئيس « جمال عبد الناصر » يحمل إليه مجموعة من صور أول قمر صناعى فى العالم « سبوتنيك » الذى أطلقه الاتحاد السوفيتى (فى اليوم السابق ٤ أكتوبر) إيذانا ببداية عصر الفضاء . كان إطلاق أول قمر صناعى إلى الفضاء انتصارا سوفيتيا لايحتمل الشك فى مجال العلوم والتكنولوجيا ، وكان إطلاقه مفاجأة كبرى ظهر معها أن الاتحاد السوفيتى قد قفز خطوة هامة إلى الأمام سبق بها الولايات المتحدة الأمريكية .

وانتهز « كيسيليف » الفرصة فقال للرئيس « جمال عبد الناصر » إن القيادة السوفيتية تتمنى لو استطاع أن يزور الاتحاد السوفيتى قريبا ، ويشارك فى احتفالات الثورة السوفيتية فى عيدها الأربعين بعد شهر واحد (أى أوائل نوفمبر) ـ ورد « جمال عبد الناصر » بأنه « كان يتمنى أن يلبى الدعوة ، ولكن أمامه فى مصر شواغل كثيرة تقيده ، فضلا عن أن الحملة الأمريكية والغربية التى تركز على سوريا تجعله يفضل البقاء لمتابعة التطورات ، ولكنه سوف يفكر فى إرسال ممثل خاص له يشارك فى الاحتفالات » . وأبدى « كيسيليف » ملاحظة مؤداها « إنه يقترح بصفة شخصية أن يختار الرئيس ممثله فى الاحتفالات على مستوى عال لأن القيادة السوفيتية تريد بحث العلاقات المصرية السوفيتية على مستوى يليق بأهميتها المتزايدة » . ورد عليه « جمال عبد الناصر » قائلا : « لقد خطر فى ذهنى الآن أن أرسل إليكم عبد الحكيم عامر » . وأبدى « كيسيليف » حماسته للاختيار .

والحقيقة أن « جمال عبد الناصر » كان على استعداد لتلبية الدعوة والسفر إلى موسكو لو أن ذلك كان فى استطاعته ، وكان يشعر برغبة فى أن يعرف أكثر عن الاتحاد السوفيتى ، فلقد سمع كثيرا وتناقض ما سمعه مع بعضه ، وكان تقديره لصفقة السلاح السوفيتى كبيرا ، وكذلك كان تقديره للإنذار السوفيتى ، ثم جاء إطلاق القمر الصناعى فزاد من اهتمامه بأن يرى بنفسه ، وأن يسمع مباشرة .

وصحيح أن شواغله فى مصر كانت تقتضى بقاءه فى القاهرة ، كما أن الضغوط المتزايدة على سوريا كانت تحتم بقاءه فى المنطقة قرب الحوادث ـ لكن



عبد الحكيم عامر يضحك لتعليق ابداه خروشوف ، وذلك فى اول زيارة له لموسكو لمناقشة الامور العسكرية وجس النبض بشان السد العالى .

هذه الأسباب الظاهرة لم تكن كل شىء ، وإنما كانت هناك أسباب اخرى اولها ان « جمال عبد الناصر » لم يكن يريد لزيارته الأولى إلى الاتحاد السوفيتى ان تكون رحلة تقديم شكر على صفقة الأسلحة وعلى إنذار السويس أو رحلة تقديم طلبات ، فقد كان يريد عقد صفقة سلاح ثانية ، والحصول على قرض للتصنيع إلى جانب جس النبض فى مشروع السد العالى ، وثانيها أنه وجد أن ظهوره شخصيا فى موسكو مع توقيت الضغط على سوريا بكل الدعاوى التى يرددها الغرب قد يتخذ ذريعة ضمن ذرائع الدعاية الغربية ، وثالثها انه كان يؤثر الحذر دائما ، ويفضل استكشاف المواقع قبل الدخول إليها ، ولعلها آثار تعليمه العسكرى .

وكان « جمال عبد الناصر » يثق ثقة كاملة فى السفير المصرى فى موسكو وقتها وهو الأستاذ « محمد عوض القونى » ويعتبره أكفء سفير مصرى تعامل معه ،

كما أن « القونى » كان على علاقة طيبة بالقيادات السوفيتية ، ومع ذلك قدر « جمال عبد الناصر » أن مناسبة سفر وفد مصرى على مستوى عال إلى موسكو سوف تتيح فرصة مركزة لتبادل الآراء على أعلى المستويات حتى بالنسبة لـ « القونى » نفسه .

وتم تشكيل الوفد المصرى وكان وفدا عسكريا صرفا ، فقد رأى « جمال عبد الناصر » أن الطابع العسكرى للوفد سوف يخفى بعض المهام التى كلف بها « عبد الحكيم عامر » وأولها جس النبض بشأن السد العالى ، حتى إذا فرض وتردد السوفيت إزاء ضخامة المشروع ظل فى الإمكان إبقاء السبل مفتوحة على أبواب اخرى .

وهكذا ضم الوفد إلى جانب المشير « عبد الحكيم عامر » كلا من الفريق البحرى « سليمان عزت » واللواء طيار « جمال عفيفى » واللواء « حافظ اسماعيل » واللواء « عبد العزيز مصطفى » وعدد آخر من المساعدين والمرافقين .

كان الوفد برئيسه مهيأ لتمثيل مصر فى العيد الخمسين للثورة السوفيتية .

وكان مهيا بتشكيله العسكرى لبحث صفقة سلاح جديدة .

وفوق ذلك ، فقد كان « عبد الحكيم عامر » مكلفا بالاتفاق على حجم قرض معقول لبرامج التصنيع ، فإذا ما تم الاتفاق عليه سافر إلى موسكو الدكتور « عزيز صدقى » وزير الصناعة بادئا من إطار الاتفاق إلى تفاصيل مشروعاته .

وأما بالنسبة للسد العالى ، فقد كان التكليف إلى « عبد الحكيم عامر » بأن يسأل فقط عن مدى الاستعداد السوفيتى دون الدخول فى تفاصيل .

وفى أول نوفمبر وصل « عبد الحكيم عامر » إلى موسكو مستقلا طائرة سوفيتية خاصة من طراز « ت ى ١٠٤ » وكان هذا الطراز من الطائرات الكبيرة النفاثة فى ذلك الوقت معجزة طائرة !(١)

---

(١) شاءت لى الظروف ان اكون المدنى الوحيد الذى يسافر مع هذا الوفد العسكرى ، فقد دعانى الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى لقائه يوم ٢٨ اكتوبر وفاجانى بقوله :

« هل لديك استعداد للسفر إلى موسكو مع عبد الحكيم ؟ »

ثم شرح لى مهمة الوفد ورئيسه ، واضاف : « إننى اتمنى لو انك تمكنت من الذهاب ، فانا اريد رؤية سياسية لاتجاهات السوفيت نحونا ، وسوف تسنح لك الفرصة مع الوفد لكى ترى كل شىء . عبد الحكيم كما تعرف سوف يكون مستغرقا فى مهامه الرسمية إلى جانب المراسم ، ثم إنه بطبيعته لا يستطيع إستعادة التفاصيل » .

واضاف ضاحكا : « من مشاكل عبد الحكيم انك لو سالته عن قصة سيدنا يوسف لرد عليك بانها « قصة صبى تاه ثم لقوه » ! ـ وليس هذا ما اريد معرفته .

إن الاتحاد السوفيتى قوة عظمى ، ونحن سنتعامل معهم لسنوات طويلة قادمة ، وفى مسائل حيوية بالنسبة لنا ، وسوف يفيدنى كثيرا ان اسمع منك حين تعود وبالتفاصيل . اريدك ايضا مع عبد الحكيم . ولا تنسى انها فرصة لك ايضا كصحفى . »

=

يوم أول نوفمبر ١٩٥٧ كان « عبد الحكيم عامر » فى موسكو ، وأول ارتباطاته فيها دعوة على العشاء فى مقر وزارة الدفاع السوفيتية . ووجد نفسه محاطا بكل النجوم من ماريشالات الاتحاد السوفيتى الذين قادوا أكبر الجيوش فى اخطر معارك الحرب العالمية الثانية .

فى أول نوفمبر ـ نفس اليوم ـ أذيعت فى القاهرة الأحكام الصادرة عن المحكمة العسكرية العليا فى قضية الشيوعية ، وأعلنت الأحكام بالفعل على ١٨ متهما تراوحت مدد العقوبات المحكوم بها عليهم ما بين ٦ و ١٢ سنة .

وكان التوقيت بطبيعة الحال مقصودا . ويبدو أن « جمال عبد الناصر » اراده إعلانا للعالم له دلالته فى يوم وصول « عبد الحكيم عامر » إلى موسكو ـ من ناحية ـ **ومن ناحية أخرى ـ اختبارا مبكرا ومباشرا لردود الفعل السوفيتية ، ورسالة لها معناها حتى وإن بدت غير دبلوماسية .**

وبرغم ذلك ، فإن « عبد الحكيم عامر » فى موسكو كان يسبح فى الأضواء الباهرة للدبلوماسية السوفيتية عند أعلى مستوياتها .

فى اليوم التالى لوصوله إلى موسكو كان مدعوا إلى حفل عشاء كبير أقيم فى قاعة « كاترين العظيمة » وهى أفخم قاعات الكرملين بأعمدتها الرخامية البيضاء الشاهقة ، وجدرانها وسقوفها المغطاة بالذهب ، وثرياتها التى لم يبدع أساطين الفن فى أوروبا أجمل منها ولا أروع .

وعندما دخل « عبد الحكيم عامر » إلى قاعة « كاترين » كان محط الأنظار بالفعل ، وكان ذلك راجعا بطبيعة الحال إلى أنه دخل فى هذه اللحظة ممثلا لمجد السويس . وأقبل عليه كبار المدعوين يتسابقون إلى مصافحته ، وكان المشهد مثيرا للاهتمام . وأقبل « ماو تسى تونج »قائد الثورة الصينية يصافحه ، ويظل ممسكا بيده وهو يقول له : « **قل للرئيس ناصر إننى أريد أن أراه ، وإننى معجب بكفاحه وصلابته فى سبيل استقلال بلاده وحريتها ، فأنا أحب جميع الذين يحبون حريتهم** » . ثم أمسك « ماو تسى تونج » بكتف « عبد الحكيم عامر » وقال له : « **إننى سعيد أن وزير حربية مصر شاب إلى هذه الدرجة ، فالمجهود العسكرى اليوم يقتضى جهدا لايقدر عليه غير الشباب ، وأريد أن أقول لك نصيحة من صديق اكبر منك سنا** » ، وسكت « ماو تسى تونج » لحظة ، ثم استطرد قائلا لـ « عبد الحكيم

- ورددت بانه ليس فى حاجة إلى هذا كله لاقناعى بالسفر إلى موسكو ، وانني جاهز من الآن للرحلة ، وهكذا جرى ضمى إلى الوفد الرسمى فى اللحظة الاخيرة ، وكانت تلك مفاجاة للسوفيت ، وقد احسست حتى من السفارة السوفيتية فى القاهرة ان السوفيت فى حيرة بسبب ظهورى المفاجىء مدنيا وحيدا ضمن وفد عسكرى !

عامر » : « **جنرال عامر لاتدخر جهدا فى الاستعداد ، وفى تدريب جنودك ، لن يتركوكم ولاتتصوروا أنهم سوف يسكتون عنكم بل هم سوف يطاردونكم إلى آخر الأرض** » . وفى هذه اللحظة اقترب « هوشى منه » من الاثنين ، وهو يسحب فى يده الأسقف « هيوليت جونسون » وكان معروفا بأفكاره التقدمية حتى أطلق عليه وصف « الأسقف الأحمر » .

وقال « هوشى منه » لـ « عبد الحكيم عامر » : « **لقد كنا نتابعكم ساعة بساعة ، وكانت قلوبنا معكم ، وقد أحسسنا بفخر عندما رفضتم الإنذار البريطانى الفرنسى ، وقررتم المقاومة مهما كانت التضحيات . إن الذى يحسب التضحيات أمام نداء الحرية سوف يجد نفسه يخسر الاثنين ـ حريته وتضحياته ـ بغير قتال** » .

لم يكن « خروشوف » قد التقى بعد بـ « عبد الحكيم عامر » وأقبل السفير « سيمونوف » وكيل وزارة الخارجية السوفيتية يربت على كتف « عبد الحكيم عامر » يستأذنه فى كلمة ، ثم يهمس فى أذنه بأن « خروشوف » يريد أن يراه بعد أن يفرغ من حديثه مع « ماو تسى تونج » و « هوشى منه » . وبعد دقائق توجه « عبد الحكيم عامر » إلى حيث يقف « سيمونوف » ومعه السفير « محمد القونى » والسفير « نيكولاى تسائيتسيف » ثم تحرك الثلاثة نحو باب القاعة حيث كان « خروشوف » ينتظر فى أحد الأركان . وهمس « سيمونوف » فى أذن « عبد الحكيم عامر » قائلا : « هل لاحظت . . . سفير فرنسا وسفير اسرائيل كلاهما يتابع كل سكنة وكل حركة تقوم بها » . وكان « خروشوف » قد مد يده لـ « عبد الحكيم عامر » مرحبا ، ثم احتضنه وقبله والأضواء كلها مسلطة عليهما وكذلك الأنظار . وقال « خروشوف » : « **يبدو أننا لن نستطيع أن نتحدث طويلا فى هذا الجو . إننى تركتك فى أول يوم لزيارتك إلى العسكريين لكنى لا أنوى أن أتركك معهم طويلا ، لقد فهمت أن الرئيس ناصر كلفك أن تبحث معنا عددا من المسائل ، وأريد أن أعرف منك رؤوس موضوعاتها حتى نستطيع أن نقرر من يمثلنا فى التفاوض بشأنها معك** » . ورد « عبد الحكيم عامر» بسرعة : « **إننى مكلف بثلاثة أنواع من المسائل : سياسية ـ اقتصادية ـ عسكرية** » . ورد « خروشوف » قائلا : « **حسنا . سوف أقول لك من الآن من سيتحدث معك فى كل مسألة .**

□ **وفى المسائل السياسية** سوف يكون حديثك معى ومع بولجانين (رئيس الوزراء) ومع جروميكو (وزير الخارجية) .

□ **وفى المسائل الاقتصادية** سوف يكون حديثك مع ميكويان (نائب رئيس

الوزراء للشؤون الاقتصادية) وبيروفكين (المشرف العام على العلاقات الاقتصادية الخارجية للاتحاد السوفيتى) .

□ **وفى المسائل العسكرية** سوف يكون حديثك مع الماريشال مالينوفسكى (وزير الدفاع) والماريشال سوكولوفسكى (نائبه) . »

وتساءل « خروشوف » : « هل هذا كاف ؟ » ، وتولى الاجابة نيابة عن « عبد الحكيم عامر » السفير المصرى « محمد عوض القونى » الذى قال لـ « خروشوف » : « إن هذا أرفع مستوى يمكن أن يتفاوض فيه الاتحاد السوفيتى مع أى دولة أخرى ، ونحن شاكرون لهذا الاهتمام » .

□

وكان الاهتمام بالفعل غير مسبوق فى علاقات الاتحاد السوفيتى بأى دولة أخرى .

فى المسائل العسكرية لم يطل النقاش . فقد تمت الموافقة على طلبات « عبد الحكيم عامر » وجرى توقيع عقد لصفقة سلاح جديدة .

وفى المسائل السياسية بدا أن الاتحاد السوفيتى يتفهم دور مصر فى العالم العربى ويقدر عاليا مقاومتها للاستعمار وأحلافه ، ويؤكد استعداده لمساندة مواقفها على النحو الذى تقرره هى وتختاره .

وفى المسائل الاقتصادية كان « عبد الحكيم عامر » يحمل معه مشروع السنوات الخمس الأولى للتصنيع . وقد فوجىء بأن الجلسة المخصصة لبحث المسائل الاقتصادية لم تقتصر على « ميكويان » وحده ، وإنما جاء معه كل من « خروشوف » و « بولجانين » . وعرض « عبد الحكيم عامر » تفاصيل المشروع قائلا : « إنه بالفعل مشروع طموح لكن الاستقلال الاقتصادى هو الوسيلة الوحيدة التى تراها مصر لتحقيق ثلاثة أهداف فى نفس الوقت : أن تقدر على مواجهة الحصار الاقتصادى الذى يحاولون فرضه عليها ـ وأن تواجه مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية الحقيقية بما فيها زيادة عدد السكان ـ وأن تأخذ دورها الطبيعى كدولة قوية فى المنطقة » . وقال « عبد الحكيم عامر » : « إن مصر لاتحتاج إلى منح ولا إلى هبات ، وإنما هى تريد مصانع وتريد ان تدفع ثمنها بشروط محتملة . فهى تريد ان تدفع بالتقسيط ، وتريد ان يبدا الدفع بعد ان تبدا هذه المصانع فى إنتاجها فعلا » .

وعرض « خروشوف » استعداد الاتحاد السوفيتي للمساهمة بـ ٥٠ مليون جنيه في مشروع الخطة بفائدة قدرها ٢,٥٪ مع فترة سماح مدتها خمس سنوات ، ومع تقسيط المبلغ على مدى ١٢ سنة بعد انتهاء فترة السماح . ثم توجه « خروشوف » إلى « عبد الحكيم عامر » بسؤال قائلا : « هل تعتقد أنه إسهام معقول ؟ » ورد « عبد الحكيم عامر » قائلا : « إنه لم يجىء إلى الاتحاد السوفيتي ليساوم ، وإن مصر طلبت فعلا ما هى في حاجة إليه ، وإنها لا تريد أن يتحمل أصدقاؤها أكثر مما يطيقون » ثم أضاف : « إنه في كل الأحوال سوف يتصل بالرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة » .

وكان هناك اجتماع آخر في الصباح بدأه « خروشوف » بسؤال « عبد الحكيم عامر » : « ماذا قال الرئيس عبد الناصر عن عرضنا أمس ؟ » ورد « عبد الحكيم عامر » قائلا : « لقد كلفنى أن أوجه إليكم شكره » . وابتسم « خروشوف » وقال : « يظهر أنه غير راض تماما عما فعلناه هنا . نحن نريدكم أن تشعروا أننا نقدر مشاكلكم ، ونريد أن نطمئن إلى أنكم راضون تماما عن هذه المهمة التى جئت من أجلها إلى موسكو » .

وفي المساء تولى « خروشوف » إبلاغ « عبد الحكيم عامر » بأن القيادة السوفيتية قررت رفع مساهمتها في خطة التصنيع الأولى إلى ٧٠٠ مليون روبل أى ٦٢ مليون جنيه . وأبدى « عبد الحكيم عامر » تأثره ، ثم أضاف : « الحقيقة أن هذا التجاوب من جانبكم يستحق التقدير ، وقد كنت أريد أن أطرح موضوعا آخر للمناقشة ، ولكنى سوف أطرحه الآن كمجرد رأس موضوع لمجرد التفكير فيه ، وليس لاتخاذ قرار عاجل ، وأقصد به مشروع السد العالى . إن مشروع السد العالى كما تعرفون هو الآن محور نضالنا بعد معركة قناة السويس ، ونحن نتصور أن بناءه هو الهدف الرئيسى لنا في المرحلة القادمة » .

ولم تكن الأمور تحت السطح بهذه البساطة البادية عليها . فالعلاقات بين القوى ليست عواطف أو مجاملات ، وإنما هناك وراء العواطف والمجاملات نوايا ومقاصد تتحين الفرصة لكى تتحسس طريقها ، ولاتريد أن تكشف عن سرها بسرعة قبل أن تتأكد من مواقع أقدامها . ولقد كانت هناك مجموعة من الإشارات تلفت الانتباه :

١ـ كان هناك الاهتمام المتزايد من جانب العسكريين السوفيت . فحفاوتهم البالغة بضابط مصرى شاب ، واستعدادهم لأحاديث

مستفيضة معه حول موقع الشرق الأوسط وخطورته الاستراتيجية ، وأهمية المحيطات والممرات المائية التى تحيط به ـ كانت تنبىء باهتمام يتخطى اللحظة الراهنة .

٢ ـ كانت هناك حادثة فرضت نفسها بسرعة ، ثم أمكن تدارك آثارها بطريقة أسرع . فأثناء حفل عشاء بدا أن السفير « نيكولاى تسائيتسيف » قد احتسى من أقداح الـ « فودكا » ما كان أقوى من سيطرته على لسانه ، فإذا هو يقول للواء « حافظ اسماعيل » عضو الوفد ، ولعدد من العسكريين الواقفين معه : « أنتم تتكلمون عن الحياد وعدم الانحياز وهذا لن يجديكم . لابد لكم أن تختاروا ، وإذا اخترتم جانبنا ، فإننا قادرون على حل جميع مشاكلكم » . وفوجىء « حافظ اسماعيل » كما فوجىء الملحق العسكرى المصرى الذى كان يقف معه ومع « تسائيتسيف » . وسارع « حافظ اسماعيل » فابلغ « عبد الحكيم عامر » بما سمع ، فقام بدعوة السفير « القونى » إلى مقابلته ونقل إليه ما جرى ، وكان رأى السفير « القونى » أنه لا يمكن السكوت على هذه الملاحظة ، وأنه سوف يثيرها مع « سيمونوف » ويطلب إيضاحا عنها . وفعل « القونى » ما تعهد به ، وتلقى الإيضاح المطلوب بالاعتذار عن ملاحظة « تسائيتسيف » وإلقاء مسؤوليتها على « حمى الفودكا » ، ثم تأكد الاعتذار في اليوم التالى حين تقرر سحب « تسائيتسيف» من عضوية الوفد السوفيتى .

لكن ملاحظة « تسائيتسيف » ظلت بعد ذلك إشارة تستحق التامل والدرس .

٣ ـ وكان هناك إلى جانب ذلك هذا الفيض من الحفاوة والمبالغة في الإطراء ، وكان يمكن أن يعزى هذا الفيض إلى كرم المشاعر وحدها ، وبالتأكيد فقد كان فيه الكثير من كرم المشاعر ، ولكن كرم المشاعر الزائد في السياسة الدولية حرى بأن يلفت الأنظار خصوصا في العلاقات بين قوة عظمى وقوة صغيرة ـ فلقد دعى « عبد الحكيم عامر » مثلا إلى الوقوف يوم الاحتفال بعيد الثورة على شرفة مقبرة « لينين » جنبا إلى جنب مع قادة الاتحاد السوفيتى ، وضيوف من أمثال « ماو تسى تونج » و « هوشى منه » ، كما أن « خروشوف » دعاه إلى بيته على فنجان شاى مع أسرته قائلا له إنه يعتبره مثل ابن له تماما . ولما كان هذا أول لقاء

بينهما ، فإن هذه العواطف بدت موضع تقدير من ناحية ، وموضع تدقيق من ناحية أخرى .

وللإنصاف ، فلعل الاتحاد السوفيتى أراد بهذه الحفاوة كلها أن يؤكد اهمية علاقاته مع مصر ، وأن يفتح أبوابا على مصاريعها حتى تكون الطرق سالكة عندما يستقر على تخطيط سياسى شامل للمنطقة التى بدا له من أول لحظة أن مصر تلعب فيها دورا بالغ التأثير ، وتقود فيها حركة تتعدى حدودها ، وتلفت الأنظار إليها كظاهرة فريدة فى السياسة الدولية فى ذلك الوقت .

ومن الواضح أن حذر الاتحاد السوفيتى فى علاقاته مع مصر ، وحرصه على مراعاة الحدود التى وضعتها لسياستها المستقلة لم تكن خافية على الغرب . ويوضح تقرير لوزارة الخارجية البريطانية[٢] أن السفير البريطانى فى موسكو استطاع أن يقدر على وجه سليم حقيقة الوضع ، فقد كتب إلى وزير خارجيته تقريرا بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٥٧ جاء فيه : « **ليس هناك شك فى أن السوفيت يراعون مشاعر مصر الوطنية والقومية ، ويحاذرون من أى إشارة يمكن أن تسىء إليها . ومن المؤكد أن العلاقات الوثيقة بين الطرفين لن تسفر عن أى تغلغل شيوعى فى مصر ، بل إن الحزب الشيوعى سوف يظل ممنوعا ، كما أن أقطابه سوف يظلون فى السجن . ولن يحاول الاتحاد السوفيتى التدخل لصالحهم ، ولن يكون للشيوعيين دور فى العلاقات المصرية السوفيتية . ومن الواضح أن الكرملين يظهر بكل الوسائل أنه لا يرغب فى فرض عقائده السياسية على الآخرين** » .

(٢) التقرير رقم ١٢٥٤٣٥ فى مجموعة ملفات وزارة الخارجية البريطانية .

٣

ولعل خير وسيلة لاستكشاف معالم التفكير السوفيتى بشأن مصر ، وبشأن الشرق الأوسط فى هذه الفترة هى العودة إلى نصوص حوار جرى فى أثناء هذه الزيارة مع الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » .[٣]

● سألت « خروشوف » عن سياسة الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط ، فأجاب : « **إن سياسة الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط وأهدافه لاتختلف عن سياسته وأهدافه فى أى منطقة أخرى غير الشرق الأوسط . ولكن الشرق الأوسط بسبب ظروفه يمثل جزءا هاما وحساسا من أحداث العالم الآن . ذلك أن شعوب هذه المنطقة تكافح فى سبيل استقلالها . بعضها استطاع تحرير نفسه ، وبعضها مازال يواصل معارك التحرير . بعضها حقق استقلاله ، وبعضها أخذ استقلالا ظاهريا تدعيه حكومات لا تمثل فى الواقع أمانى شعوبها . وهذه الحكومات تمارس سياسة هى فى حقيقة الأمر سياسة الاستعمار . وبسبب هذه الظروف كلها ، فى هذا المكان ، فى هذا الوقت من التاريخ ـ يعلق الاتحاد السوفيتى اهمية كبرى على كفاح شعوب المنطقة ، وسياسته فى هذا هى أن يساهم فى تدعيم الاستقلال السياسى والاقتصادى للدول المستقلة حتى يصان استقلالها ، وان يناصر الذين يكافحون من أجل استقلالهم حتى يصلوا إلى هذا الاستقلال كاملا** . »

● وسألت « خروشوف » عما إذا كانت هناك قاعدة معينة تحكم علاقاتهم مع دول المنطقة ، وكلها تتبع أنظمة إجتماعية وسياسية تختلف عن نظام الاتحاد السوفيتى ، وأجاب خروشوف : « **صدقنى إن الاتحاد السوفيتى يرتب سياسته على أساس العقيدة « اللينينية » فى التعايش السلمى ، ونحن نعتقد أن تعزيز التعايش السلمى بيننا ، وبين الآخرين مهما اختلفت نظمهم الاجتماعية والسياسية هو الطريق الوحيد لصيانة السلام** . »

● وسألت « خروشوف » عن رأيه فى أسباب التوتر فى الشرق الأوسط ، فقال :

(٣) اجريت هذا الحديث مع « نيكيتا خروشوف » يوم السبت ١٦ نوفمبر ١٩٥٧ فى الساعة الثانية عشرة ظهرا فى مكتبه بالدور العاشر من مبنى مقر اللجنة المركزية . وقد امتد لساعتين كاملتين . ونشرت نصوصه الكاملة فى وقتها فى عدد « الأهرام » الصادر يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر ١٩٥٧ .

« إن الأسباب الحقيقية للتوتر ـ كما نراها ـ أن الاستعمار اضطر تحت ضغط شعوب المنطقة إلى التسليم بتنازلات لهذه الشعوب ، ولكنه مازال يحاول إبقاء زمام السيطرة الفعلية فى يده . خذ بريطانيا مثلا ، وبريطانيا فى هذا الموضوع لها تجربة كبيرة . إن بريطانيا تدعى أن سياستها هى منح المستعمرات استقلالها تمشيا مع أمانى الشعوب ، ولكن هذه تصريحات مكشوفة ، إنها اضطرت للتراجع بعض الشىء لأنها لم تستطع أن تستمر فى فرض سيطرتها بالوسائل التقليدية ، وبريطانيا لاتريد أن تسلم ، لهذا فهى تلجأ إلى وسائل أخرى : أولها على سبيل المثال أن تبدو فى الظاهر كمن يحاول الاستجابة لمطالب الشعوب بينما تعمل فى الواقع على استبقاء مراكز نفوذها . وإحدى الوسائل فى هذا السبيل هى خلق الحكومات الخائنة لشعوبها المرتشية من المستعمرين . يريد الاستعمار بذلك أن يوهم الشعوب أنها تحكم نفسها بأبنائها . بينما الواقع القائم يقول لنا إن الاستعمار هو الذى يحكم .

إن الاستعمار يريد أن يبقى فى مواقعه ، لكى يواصل استغلاله للموارد الطبيعية فى المنطقة ، والشعوب تريده أن يخرج ، وقوة الاستعمار وقوة الشعوب فى معركة حامية من أجل هذا السبب . إن الشعوب تريد حكومات تعكس إراداتها ، وهذا آخر ما يريده الاستعمار بدليل أنه عندما قامت فى بعض هذه الدول حكومات تمثل شعوبها تمثيلا حقيقيا ، كما حدث فى مصر وسوريا ، فإن حقد الاستعمار عليها وحربه ضدها لايعرف حدا يقف بعده . إن الاستعمار فى حقده يلجأ إلى كل سبيل : يلجأ إلى الشك ، يلجأ إلى إرسال جواسيس ، يلجأ إلى نشر الإشاعات ، بل يلجأ إلى القتل ، وصدقنى إن ترسانة الاستعمار مليئة بأنواع كثيرة من السموم .

خذ مصر ، إن مصر تملك فى أرضها قناة ، هى قناة السويس ، التى تعتبر أهم نقطة فى المواصلات بين أوروبا وآسيا وافريقيا . والاستعمار يريد إبقاء سيطرته على هذه المنطقة ، لهذا فهو يريد أن تكون فى مصر حكومة موالية يختارها وينتقيها على هواه . ويصل الأمر إلى حد أن تتكاتف دول الاستعمار جميعها فى الهجوم على مصر . وحتى الولايات المتحدة الأمريكية التى أعلنت فى الظاهر عدم رضائها عن هجوم حلفائها على مصر كانت معهم فى المؤامرة ، وإنما كان هناك نوع من توزيع أدوار الرواية على الممثلين . ولقد فشلت الرواية ـ أعنى فشلت المؤامرة ـ وبقيت الحكومة المصرية الوطنية التى كان الاستعمار يريد الخلاص منها . ولقد كانت الخطة أن يتم القضاء على هذه الحكومة الوطنية بينما الأمم المتحدة تناقش مشكلة العدوان ، وكان التقدير أن لا تنتهى هذه المناقشة إلا وتكون فى مصر حكومة موالية مستعدة للتسليم . وهكذا لابد أن

اقول : إن مقاومة الشعب المصرى وحكومته كانت العامل الأول فى إحباط المؤامرة ، ولكنى أيضا لا أريد أن أكون متواضعا إلى الحد الذى أتغافل معه عن الدور الذى قام به الاتحاد السوفيتى فى سبيل إحباط خطة العدوان .

ولقد كان قصدنا أن نكشف أمريكا حين عرضنا عليها ـ قبل أن نوجه إنذارنا للمعتدين ـ أن تشترك معنا باسم الأمم المتحدة فى عمل مسلح لوقف العدوان على مصر . إن أمريكا رفضت ، وكنا نعرف أنها سوف ترفض ، ولكن قصدنا كان أن نكشف حيلتها ، ونفضح دورها فى المؤامرة . ولقد افتضح هذا الدور الأمريكى وانكشف ما كان خافيا من أمره بعد أن فشل العدوان على مصر ، فلقد خرجت الولايات المتحدة علنا تحاول أن تساعد حلفاءها فى ما لم يستطيعوا وحدهم القيام به . وكانت تساعدهم بطريقة غريبة . كانت تساعدهم على طريقة حبل المشنقة حين يساعد المشنوق ! أعلنت الولايات المتحدة فجأة مبدأ ايزنهاور الذى يدعى نظرية ملء الفراغ فى الشرق الأوسط . وكنت فى دهشة من حكاية هذا الفراغ الذى يريدون ملأه فى الشرق الأوسط . أين هو هذا الفراغ ؟ إن الشرق الأوسط منطقة مزدحمة بالسكان ، ثم إنه المنطقة التى نشأ فيها الجنس البشرى وحبا إلى الحضارة ، ثم هو منبت الثقافات .

كان المعنى الوحيد لإعلان هذا المبدأ من جانب ايزنهاور هو أن امريكا لاتعترف بحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وتعتقد بأن هذه الشعوب يجب أن تظل تحت الوصاية ، وصايتها طبعا . ولجأت الولايات المتحدة إلى أساليب جديدة وحديثة ومبتكرة ، ولكن القفازات البيضاء فى يد القاتل لاتستطيع تخفيف الألم عن الضحية . وهنا لم تكن الولايات المتحدة تعمل لضمان مصالح بريطانيا وفرنسا ، وإنما كانت تعمل لضمان مصالح احتكارات البترول . إنهم يريدون الغنى بأى شكل وأى وسيلة ، ورائحة البترول بما تشيعه حولها من أحلام ـ تفقدهم أعصابهم . ولما وجدوا أن الخطة ضد الهدف الأول وهو مصر لم تنجح تحولوا إلى هدف ثان ، وهكذا بدأت عملية سوريا . »

● وسألت « خروشوف » عن معلومات الاتحاد السوفيتى عما يجرى فى سوريا والضغوط الواقعة عليها ، وما إذا كان لديهم ما يثبت المؤامرة ضد سوريا . وقال خروشوف : « لدينا معلومات كاملة[٤] ونحن واثقون من دقتها ، وسوف أطلعك

(٤) اتضح فيما بعد أن الاتحاد السوفيتى كانت لديه معلومات كاملة عما يجرى ضد سوريا ، وكان الجاسوس الأشهر « كيم فيلبى » هو الذى نقل المعلومات إليهم من بيروت ، وقد حصل عليها من « ولبور ايفلاند » مندوب المخابرات الأمريكية فى سوريا ، وكان « كيم » ـ وهو ابن المستشرق « فيلبى » ـ قد وصل إلى أن أصبح نائب مدير المخابرات البريطانية ، وفى نفس الوقت فقد كان يعمل لحساب السوفيت ، وكان رجلهم الحقيقى قرب قمة جهاز M.I.6.

الفصل الرابع

دمشق محاصرة

١

كان الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » محقا ودقيقا إلى أبعد مدى فى الصورة التى عرضها عن الأخطار المحدقة بسوريا بعد أن اتجهت إليها عواصف المؤامرة التى تمكنت مصر من صدها ، وإرغامها على التراجع فى معركة السويس المنتصرة . ولعل « خروشوف » وهو يرسم تفاصيل الصورة كان يملك من الوثائق السرية التى حصلت عليها المخابرات السوفيتية ما يعزز روايته عن كل ما كان يجرى فى الخفاء .

إن الوثائق السرية للحكومة السورية والحكومة العراقية ، وكذلك الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية تكاد تتماشى حرفا بحرف مع الخطوط التى وردت فى الصورة كما رسمها « خروشوف » .

فى البداية كانت المؤامرات وهدفها الغزو من الداخل على حد تعبير « دالاس » . وكانت أشهر المؤامرات هى ما عرف باسم « قضية الدندشى » التى انكشفت وثائقها بالكامل بعد سقوط حلف بغداد . لقد بدأ انكشاف المؤامرة فى الواقع قبل سقوط حلف بغداد ، ودارت بشأنها محاكمات فى دمشق استمرت طوال عام ١٩٥٧ ، لكن الشكوك ظلت تساور البعض فى أن ما عرض من أدلة الاتهام فى هذه المحاكمات كان « مصنوعا » بقصد الدعاية السياسية ، حتى جاءت الوثائق الأصلية بعد سقوط حلف بغداد لتؤكد أن ما ظهر فى محاكمات دمشق قبلها كان مجرد لمحة مبكرة من الحقيقة .

على ملخصها . إنهم دبروا مؤامرات للاستيلاء على سوريا من الداخل ، وعندما لم تنجح هذه المؤامرات رأت الولايات المتحدة أن تدفع الأردن والعراق إلى مهاجمة سوريا . وكان تصورهم أن ذلك لو حدث ـ فإن الولايات المتحدة الأمريكية تبدو بعيدة بينما ينحصر الأمر فى نطاق دول عربية تتقاتل مع بعضها . ولقد تبين أن تنفيذ المؤامرة ضد سوريا على هذا النحو مستحيل . وأريد أن أحدد لك نقطة هامة ، وهى أن مبعث الاستحالة هنا لم يكن رفض حكومة الأردن وحكومة العراق القيام بما طلب منهما ، ولكن كان مبعث الاستحالة أن كلا من الحكومتين وجدت أنها لا تستطيع ضمان جيشها فى مثل هذه الحالة . ولقد قالت هاتان الحكومتان هذا الكلام بصراحة للحكومة الأمريكية ، وقالتا إنهما تخشيان فى مثل هذه الظروف أن تنضم قواتهما إلى الناحية الأخرى . وفى هذا الوقت عرضت إسرائيل إستعدادها لتنفيذ المهمة ، ولكن الولايات المتحدة منعت إسرائيل من الهجوم لأنها وجدت أن ظهور إسرائيل على المسرح سيكون دافعا إلى تكتل جميع الشعوب العربية . وهنا اتجه تفكير الولايات المتحدة إلى تركيا ، وكانت وجهة نظرها أن تركيا دولة مسلمة ، وسوريا دولة مسلمة . وعلى هذا النحو فإن هذا الوضع كان يضمن للولايات المتحدة أن تظل بعيدة عن خشبة المسرح بينما الدول الاسلامية تتقاتل مع بعضها . إن أمام الأتراك الفرصة كاملة ليروا أن الآراء التى تجيئهم من أصدقاء عبر الأطلنطى ليست دائما آراء ناضجة . ولقد وجهنا إنذارا للحكومة التركية ، ولعلها تكتشف أن الإله الأمريكى الذى تعبده ليس قويا إلى الحد الذى تتصوره . إن تركيا جار لنا ، ونحن نريد أن نعيش معها فى صداقة وهدوء . وكذلك فنحن نريد من تركيا أن تعيش مع بقية جيرانها فى صداقة وهدوء . إن صداقة القوى عقل ، وأما صداقة الضعيف ففيها وحدها يبدو حسن النوايا وحسن الأخلاق . »

منذ وقت مبكر ـ قبل السويس وحتى من قبل ثورة سنة ١٩٥٢ ـ كانت سوريا هى البؤرة الفوارة للصراع على الشرق الأوسط وفيه . كانت هى قلب العالم العربى فى نفس الوقت الذى كانت القاهرة هى موقع القوة فيه . وإذا كان ضرب موقع القوة هو الهدف النهائى ، فإن الاستيلاء على القلب ظل قبل كل المواقع وبعد كل المواقع مطلبا دائما .

وبصرف النظر عن تواصل موجات التاريخ العربى القديم ، فإن التاريخ الحديث يثبت أن الصراع على أقدار المنطقة كان هو نفسه الصراع على مصائر سوريا .

بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ـ وفى الوقت الذى دخلت مصر فيه عصر الدوامات الثورية ـ ظلت سوريا تقوم بوظيفة القلب فى الحركة العربية العامة التى لسعتها نار الهزيمة ومخاطر قيام دولة إسرائيل . وإلى جانب ذلك ، فقد كانت هناك مخاطر إضافية تتعلق بسوريا على وجه التحديد .

□ **أولها** : أن مصالح البترول الأمريكية ـ شركة « أرامكو » بالتحديد ـ راحت تراها أقرب طريق للأنابيب يحمل بترولها إلى الشرق الأوسط .

□ **وثانيها** : أن الهاشميين كانوا يرون لأنفسهم حقا فيها ، وإن تضاربت المشروعات المعبرة عن هذه الحقوق ، ففى حين أن رجل العرش الهاشمى فى بغداد ـ « نورى السعيد » ـ كان يراها جزءا من مشروع الهلال الخصيب ـ فإن الجالس على العرش الهاشمى فى عمان ـ الملك « عبد الله » ـ كان يراها جزءا من سوريا الكبرى .

□ **وثالثها** : أن قيام لبنان وبروز دور بيروت على شاطىء البحر الأبيض كقاعدة خلفية لعمليات البترول ، وكمركز تسمع ومتابعة ونشاط سياسى ودعائى ـ كان معرضا ومكشوفا أمام أية قوة تحكم فى دمشق .

وفى فوران ما بعد هزيمة سنة ١٩٤٨ دخل الصراع على سوريا مرحلة حادة وعنيفة . ما هى إلا شهور بعد انتهاء معارك حرب فلسطين حتى وقع فى سوريا أول انقلاب عسكرى من سلسلة كان مقدرا لها أن تتصل وتتلاحق لسنوات قادمة . كان الانقلاب بقيادة اللواء « حسنى الزعيم » رئيس أركان حرب الجيش السورى . ومنذ البداية كان واضحا أن هناك أيدى خفية وراء الانقلاب . فقد كانت أبرز منجزات « حسنى الزعيم » الذى نصب نفسه رئيسا لسوريا بعد عزل رئيسها الشرعى « شكرى القوتلى » ـ هى أن وقع اتفاقية « التابلاين » وهى شركة أمريكية قامت من باطن شركة « أرامكو » لنقل البترول عبر خط أنابيب يخترق سوريا إلى البحر .

ولم تمض إلا شهور أخرى حتى قام انقلاب مضاد قاده اللواء « سامى الحناوى » وكان واضحا أن هذا الانقلاب بصرف النظر عن الدعاوى جاء مواليا لبغداد سواء فى ذلك الحكومة العراقية ، أو شركة بترول العراق البريطانية التى لم تكن متحمسة لمشروعات شركة « أرامكو » لنقل البترول بالأنابيب عبر البحر الأبيض .

ولم تمض شهور حتى لحق بالانقلابين انقلاب ثالث قاده اللواء « أديب الشيشكلى » الذى أثبت لبعض الوقت قدرة على المناورة والحركة بين خطوط متعارضة . ولم يكد « أديب الشيشكلى » يستقر فى الحكم طويلا ، ويعيد ترتيب الأوضاع فى سوريا حتى تعرض حكمه لهزات أدت إلى سقوطه . وكان السبب الرئيسى فى هذه الهزات أن مجموعات من الضباط الشبان أحسوا أن الجيش السورى فى كل هذه الانقلابات يستخدم إما لتحقيق مآرب خارجية ، وإما لتحقيق مآرب ذاتية تتصل بأحلام قادة هذه الانقلابات .

ولم يكن هناك فكر واحد يجمع أمانى هذه المجموعات من شباب الضباط السوريين ، وإنما كانت اتجاهاتهم موزعة بين ولاءات تفتقد إلى بؤرة واحدة تجمعها أو إلى هدف واحد تطمح إليه . ولقد كانت الأغلبية بين هؤلاء الضباط بالقطع متحمسة للتوجه القومى العربى الذى أصبحت القاهرة مركز ثقله خصوصا بعد السويس . ثم إن جماعات مؤثرة بين هؤلاء الضباط كانت على صلة بحزب البعث العربى الاشتراكى ، وكانت دمشق هى مهده منذ قام بتأسيسه الأستاذ « ميشيل عفلق » . كما أن جماعات أخرى من الضباط الشبان كانت على صلة بواسطة ارتباطاتها العائلية التقليدية ببغداد ، ثم بقيت قلة من هؤلاء الضباط الشبان شدها الفكر الماركسى فى ذلك الوقت ووجدت فيه « الصيغة العلمية » للثورة الاجتماعية ، وكان الحزب الشيوعى السورى وقتها تحت قيادة ثورى حركى نشيط وهو الأستاذ « خالد بكداش » .

والحقيقة أن الجيش فى تلك الفترة أصبح بوتقة لكل الصراعات السياسية ، وارتهنت قيمة الأحزاب بقدرتها على التأثير فى الجيش . كما تعلق نفوذ أى سياسى سورى بمدى صلاته بضباط القوات المسلحة . وكان من شأن هذا الوضع أن يحدث مفارقات غريبة ومخاطر فى نفس الوقت يصعب حساب نتائجها . فقد كان بروز دور الضباط على هذا النحو معناه أن اختلاف الآراء يمكن أن يتحول فى أى وقت إلى تحركات ألوية وكتائب ، ومدافع ودبابات .

وكانت مصر والسعودية ـ والصداقة فى ذلك الوقت بين الملك « سعود » و « جمال عبد الناصر » فى عصرها الذهبى ـ تدركان معا أهمية سوريا . واستطاع الاثنان معا الاتفاق على خطة للعمل يعود بها الرئيس « شكرى القوتلى » إلى رئاسة سوريا كما كان قبل بدء مسلسل الانقلابات العسكرية ، وكان التصور أن هذه العودة

سوف تضفى على سوريا بعضا من الاستقرار يمكنها من المساهمة بدورها فى محور القاهرة ـ دمشق ـ الرياض ، والذى كان هو بنفسه جبهة التصدى لمقاومة محاولات السيطرة تحت اسم « حلف بغداد » .

وبعد السويس ، ومع بداية طرح « مبدأ ايزنهاور » وبداية افتراق الطرق بين « جمال عبد الناصر » الذى رفض « مبدأ ايزنهاور » والملك « سعود » الذى كان على استعداد لقبوله بدعوى توجهه إلى « مقاومة الشيوعية الدولية » ـ اشتد الضغط مرة أخرى على سوريا طبقا لمخطط « ايزنهاور » الشهير ضد « جمال عبد الناصر » والذى يستهدف « أخذ الملك سعود بعيدا عن جمال عبد الناصر » و « الاستيلاء على دمشق ولو حتى بالانقلاب » ـ وبذلك يتم عزل مصر وحدها ، ويتحقق هدف العدوان الثلاثى بوسائل أخرى غير وسيلة الغزو من الخارج .

□

كانت بداية المؤامرات تلك المؤامرة التى رتبها عميل لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية وهو «ويليام ولبور ايفلاند» مع السياسى السورى « ميخائيل اليان » . ولم تفلح هذه المؤامرة لأنها توافقت مع ملابسات العدوان الثلاثى على مصر .

ولم تتوقف خطط التآمر بهذا الفشل الأول ، وما لبث أن ظهر فى بيروت مسؤول آخر من المخابرات المركزية الأمريكية هو المستر « كاسن » وبدأ يجرى اتصالات أولية مع « عبد الكريم الدندشى » وهو صحفى سورى كان عضوا ظاهرا فى حزب التحرير السورى الذى أنشأه « أديب الشيشكلى » فى فترة حكمه . واستطاع « الدندشى » أن يرتب لاتصالات مع عدد كبير من الساسة السوريين بينهم عدد من رؤساء الوزارات وأعضاء مجلس النواب ، وبينهم السيد « مأمون الكزبرى » وعدد من كبار ضباط الجيش ، وبدأ الإعداد لانقلاب عسكرى كان الهدف منه الخلاص من كتلة الضباط الشبان المتوجهين بمشاعرهم إلى الثورة المصرية ، والمتأثرين بشخصية « جمال عبد الناصر » وأبرزهم فى ذلك الوقت العقيد « عبد الحميد السراج » الذى كان رئيسا للشعبة الثانية (المخابرات فى الجيش السورى) . وكانت جريمة « عبد الحميد السراج » فى نظر هؤلاء أنه هو الذى فكر ورتب لعملية نسف خطوط أنابيب البترول العابرة لسوريا فور بدء العدوان على مصر . ولقد كان الضيق بـ « عبد الحميد السراج » متناسبا بالطبع مع النتائج الضخمة التى ترتبت على نسف خطوط أنابيب البترول . وبدا واضحا أن الخلاص من « عبد الحميد السراج » أصبح موضوع الصراع المباشر .

وتشير وثائق « محاكمة الدندشى » إلى ان السفير العراقى فى بيروت وقتها « عبد الجليل الراوى » وملحقه العسكرى العقيد الركن « صالح السامرائى » اصبحا اهم اركان المؤامرة بالتعاون مع عدد من السياسيين والضباط السوريين ، ومع رجال المخابرات المركزية . وتروى الوثائق أن « عبد الكريم الدندشى »(١) رتب للمستر « كاسن » مقابلة مع السيد « مأمون الكزبرى » السياسى السورى المعروف والوزير السابق(٢) ، ودار الحديث بينهما حول امكانيات تغيير الأوضاع فى سوريا . وفى الحوار بينهما قال المستر « كاسن » لـ « الكزبرى » : « إنه اختاره من بين السياسيين السوريين كلهم ليشرح له وجهة نظر أمريكا ، وهى أن سوريا اخطر نقطة فى الشرق الأوسط ، وتخشى أمريكا من تسرب الشيوعية إليها ، وترغب أن تعالج الأوضاع فيها بأيدى السوريين أنفسهم حتى لا تضطر أمريكا إلى استعمال أيد غير سورية فى معالجة الأوضاع . وإنه ـ أى « الكزبرى » ـ محل ثقة أكثر الأحزاب السياسية ، وفى استطاعته المساهمة مع أمريكا فى تنفيذ سياستها ، وإنه مستعد لتقديم كل الامكانيات له حتى يتقوى هو وحزبه » . ورد « الكزبرى » بأن « أمريكا صديقة العرب ، وأنه على استعداد للتعاون معه ولكن امكانياته ضئيلة» . ورد المستر « كاسن » طبقا لنصوص وقائع المحاكمة بأن « الولايات المتحدة مستعدة لأن تقدم له الامكانيات التى يطلبها » . ورد « مأمون الكزبرى » بقوله : « إن السيارة تمشى بمقدار ما يوضع فيها من البنزين » . وأبدى « كاسن » أنه فهم المقصود من هذه الجملة ، وتواعد مع « الكزبرى » و « الدندشى » (الذى كان يحضر معهما المقابلة) على أنه سيعود إليهما فى اليوم التالى . وعاد إليهما فعلا ، وسلم « الكزبرى » رزمة من البنكنوت تحتوى على ٣٠ ألف ليرة ، وتعهد بدفع ألف ليرة شهريا لمساعدة جريدة يصدرانها للدعوة لآرائهما .

ثم رتب « الدندشى » مقابلة للمستر « كاسن » بعد ذلك مع سياسى سورى آخر هو السيد « لطفى الحفار » ، وكان رئيسا للوزراء من قبل . فى بداية المقابلة قال « كاسن » للسيد « لطفى الحفار » ما نصه (طبقا لوقائع المحاكمة) : « **إن حكومة الولايات المتحدة تعتبر أن لطفى الحفار مستشارها السياسى فى سوريا ، وإنه لشرف كبير لأمريكا أن تتعاون مع شخصية قوية مثله ، وإنها على استعداد لأن تضع كل الامكانيات المطلوبة تحت تصرفه لإيقاف « النشاط الشيوعى » فى البلاد** . » ورد « لطفى الحفار » وبنفس الأسلوب الذى رد به « الكزبرى » من قبل : « **إن امريكا حبيبة للعرب لولا موقفها من قضية فلسطين ، ومع ذلك فهو مستعد**

(١) ص ٥ من اعترافات . عبد الكريم الدندشى . كما وردت فى ملفات محاكمته .

(٢) اصبح السيد . مامون الكزبرى . فيما بعد اول رئيس للوزراء بعد الانقلاب ضد الوحدة وقيام حكم الانفصال فى سوريا

للتعاون معها لأنه يكره الشيوعية » . ثم قال « إنه يعقد دائما اجتماعات مع رؤساء العشائر والتجار ليخلق حركة قوية لمقاومة الشيوعية » . ثم أضاف : « إنه سيخبره فى اجتماع قادم بحجم المساعدات الأمريكية التى يطلبها للهدف المشترك » ، إلا أن المستر « كاسن ، أخرج كيسين بهما ٩٠ ألف ليرة سلمها لـ « لطفى الحفار » وقال إنها لبدء العمل ، ثم انصرف .

وقد ظهر فى وقائع المحاكمة أن « كاسن » قال لـ « الدندشى » فى أحد اللقاءات بينهما إن الأمريكان اتفقوا مع السعوديين على استمالة عدد من الضباط الموالين لمصر ، وإن الملك « سعود » متضايق من أن صورة « جمال عبد الناصر » توضع الآن فى كل مكان فى سوريا بدلا من صورة « شكرى القوتلى » رئيس الجمهورية ، وحتى من صورته هو . وكان هذا كله يجرى بالتوازى مع خطط رتبها السفير العراقى فى بيروت « عبد الجليل الراوى » وملحقه العسكرى العقيد « صالح السامرائى » وعدد من كبار السياسيين العراقيين . وتضم وثائق المحاكمة صورة خطاب كتبه السيد « فاضل جمالى » (وزير خارجية العراق) الذى قصد إلى لبنان ، واجتمع بعدد من السياسيين السوريين الضالعين فى هذه المؤامرات كلها فى فندق « الجبل الأخضر » فى « برمانة » . وقد وجه تقريره إلى السيد « نورى السعيد » وجاء فيه ما يلى :

« اشواق واحترامات وبعد

فقد اجتمع عندى السيد صبرى العسلى رئيس وزراء سوريا ، ومعه السيد ميخائيل اليان بحضور احمد مختار باشا ، ودام الاجتماع إلى الواحدة ليلا ، وها انا الخص لفخامتكم الوضع على الوجه التالى :

١ ـ الجيش السورى هو مصدر عدم الاستقرار ، وضعف الحكومة إزاءه يجعله سيد الموقف .

٢ ـ الجيش السورى يخشى الاقتراب من العراق وتحقيق اتحاد بين العراق وسوريا لانه يتصور ان العراق سيجرد الضباط من سلطاتهم .

٣ ـ الوزارة السورية الحالية ضعيفة وغير متجانسة .

٤ ـ السعوديون يدبرون خطة لإحداث انقلاب لصالحهم .

معالجة الموقف :

١ ـ استعرضنا إمكان إرسال جيش عراقى ، فلم نجد إمكانا لذلك ، فلا توجد اتفاقية بين سوريا والعراق لمجىء الجيش العراقى لحفظ النظام الداخلى . ولا توجد اكثرية وزارية تجرؤ على القيام بهذه الاتفاقية حتى ولو كانت سرية ولا توجد امكانية فى الوقت الحاضر لإحداث اى تقارب بين الجيشين العراقى والسورى ولو بغرض التدريب والمناورات لأن الجيش السورى لا يطمئن لذلك . ولا يمكن استغلال اى عدوان إسرائيلى على سوريا لأن ذلك قد يؤدى إلى صراع دولى تكون الغلبة فيه لإسرائيل .

٢ ـ إذا كان لا يمكن إرسال جيش عراقى ، فيجب العمل على كسب الجيش السورى وتكتيله إلى جانب اصدقائنا ، وهؤلاء لا يتوقعون مساعدات مالية كبيرة . »

□

وفى ربيع ١٩٥٧ بدا أن الحوادث تتسارع فى سوريا . فقد زاد نشاط مجموعة من ضباط الجيش السورى بقيادة المقدم « امين النفورى » وهو من انصار « اديب الشيشكلى » ، وتمكنت من فرض بعض التغييرات فى قيادة الأركان العامة للجيش السورى كان أبرز معالمها تعيين « النفورى » نفسه مساعدا لرئيس الأركان . ثم أعدت هذه المجموعة من مركز القوة الذى بلغته فى القيادة العسكرية السورية حركة تنقلات بين كبار ضباط الجيش كان أهمها نقل « عبد الحميد السراج » من رئاسة الشعبة الثانية (المخابرات) وهو الموقع الذى كان يستطيع أن يكشف منه حركة كل المؤامرات الموجهة إلى سوريا ـ إلى منصب آخر خارج سوريا كلها كملحق عسكرى فى إحدى العواصم الأوروبية . وأحس عدد من الضباط الوطنيين من مجموعة « عبد الحميد السراج » ومن المجموعات الموالية لحزب البعث بخطر هذه العملية . وكان رأيهم أن إبعاد « عبد الحميد السراج » هو مقدمة لتصفية مجموعات الضباط الوطنيين فى الجيش السورى تمهيدا لاستيلاء العناصر المتعاونة مع الولايات المتحدة على مراكز القوة فى الجيش ، وبالتالى على سوريا .

وتكشف التقارير السرية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية(٣) عن ان هذه الوكالة كانت على صلة مباشرة بالتطورات المتلاحقة داخل الجيش السورى فى ذلك الوقت . فيقول التقرير : « فى اجتماع استمر طوال اليوم قامت مجموعة النفورى بإعداد قائمة باسماء بعض الضباط الذين يشغلون مواقع هامة بقصد نقلهم من لماكنهم . وتعتبر هذه القائمة فى مجموعها بداية متواضعة لإبعاد الضباط اليساريين عن مراكز القوة . ولم تكن عمليات النقل تمثل استبعادا تاما لليسار ، ولكنها تمثل ما اعتقدت مجموعة النفورى أنها تستطيع أن تحققه كبداية . وكان اهم ما فى القائمة استبعاد المقدم عبد الحميد السراج ، وهو رجل اليسار القوى من موقعه المؤثر فى الأركان العامة . والسراج هو صاحب أكبر تاثير يسارى على

---

(٣) التقرير رقم ٣١٠/١٠ تحت عنوان . تقرير عن الموقف فى سوريا .

الحكومة . وقد وضع رئيس الأركان ـ اللواء توفيق نظام الدين ـ توقيعه على قائمة التنقلات . وفى نفس اللحظة نشب صراع داخلى عنيف . ويظهر ان المقدم السراج لا يبدى مقاومة تذكر لنقله ، وهو شىء يدعو إلى الدهشة ، ولكن الضباط اليساريين المنظمين المنتمين إلى حزب البعث الاشتراكى العربى رفضوا تنفيذ النقل ، ولقوا تأييدا من جانب مجلس الوزراء الذى تسيطر عليه مجموعة من البعثيين وحلفائهم من المستقلين . والمشكلة أن هؤلاء الضباط يشغلون مراكز متحكمة فى الوحدات المدرعة السورية فى معسكرى قطنة وقابون ، وكلاهما على أطراف دمشق .

ومن الواضح أن الرئيس القوتلى بتأثير السعوديين يؤيد حركة التنقلات ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا إزاء الاختلاف الكبير فى مجلس الوزراء . وإذا أقدم الرئيس القوتلى على إقالة الحكومة الحالية ، وأتى بحكومة أخرى غيرها مستعدة لتأييد نقل الضباط اليساريين ، فلن يكون أمام هؤلاء الضباط إلا أن يقبلوا الهزيمة ، أو أن يقوموا بانقلاب عسكرى مضاد عنيف . ولا ينبغى أن يتخذ رئيس الجمهورية هذه الخطوة إلا عندما تكون قوات النفورى مستعدة لمواجهة مسلحة مع اليساريين .

وتبين معلوماتنا أن التيار ربما يتحول لغير صالح اليساريين . ويقال إن القوتلى يرغب فى تشكيل وزارة جديدة برئاسة مأمون الكزبرى . »

ويبدو أن عملية « أمين النفورى » كانت أكبر مما بدا على السطح منها ، فقد كان « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يتابعها بنفسه إلى درجة أنه كتب بشأنها تقريرا بتوقيعه قدمه إلى الرئيس « دوايت ايزنهاور » وإلى وزير الخارجية الأمريكية « دالاس » . وتصادف أن كان الرئيس ووزير خارجيته يحضران مؤتمر القمة فى « برمودا » وطلب « آلان دالاس » من « كريستيان هيرتر » مساعد وزير الخارجية إرسال تقريره إلى هناك ، وقد جاء فى هذا التقرير ما نصه :

« إن الموقف ما زال غامضا فى سوريا ، ويبدو ان اغلبية فى مجلس الوزراء تتخذ موقف التأييد للسراج فى حين ان الرئيس القوتلى يبدو حازما على غير عادته فى تاييد الكولونيل نفورى[٤] (مساحة مشطوبة لا يمكن ان يزيد عدد كلماتها على ثلاث ـ ثم يستانف تقرير « آلان دالاس ») ونحن لا نعتقد ان هذه القضية سوف يجرى حسمها بواسطة المدنيين ، ولكن فى الغالب بالمجموعة التى يطلق عليها وصف الضباط الشوام بقيادة الكولونيل قبانى . وامام هذه المجموعة ثلاثة طرق يمكن ان تتبعها .

(٤) من الغريب ان « امين النفورى » اشترك فيما بعد فى وزارة الوحدة . وكان ذلك بمنطق تمثيل الكتل فى الجيش السورى ! !

(أ) انها قد تقف على الحياد ، ولكن هذا يكون فى الواقع فى صالح السراج . ونحن نعتبر هذا خطرا حقيقيا ، ونامل ان تتمكن المجموعة من مواصلة الضغط الكافى لاتباع الطريقين الآخرين .

(ب) انهم قد يحاولون فرض رجالهم على قمة القيادات العسكرية ، وفى هذه الحالة سوف تكون لديهم فرصة للنجاح فى طرح اية حلول وسط يرونها ، ومن وجهة نظرنا فإن هذا لا يبدو امرا غير مرغوب فيه .

(جـ) وهم قد يلقون بتاييدهم لصالح النفورى ، وهناك مبرر للأمل فى ان هذا سيكون قرارهم . وهناك شواهد تشير إلى ان بعض قادة مناطق الحدود يبدون رغبتهم فى تصفية العناصر اليسارية فى الجيش .

إمضاء
آلان دالاس
مدير

وأظهر سياق الحوادث بعد ذلك أن ما توقعه تقرير المخابرات المركزية الأمريكية لم يتحقق ، فقد استطاعت مجموعات الضباط الوطنيين على اختلاف انتماءاتهم الحزبية والفكرية أن تحبط مخطط السيطرة على قيادة الجيش السورى ، وتوقفت قائمة التنقلات حتى بعد أن وقعها رئيس أركان حرب الجيش (الذى أرغم على تقديم استقالته ، وكاد رئيس الجمهورية « شكرى القوتلى » يستقيل هو الآخر ثم عدل عن رأيه فى اللحظة الأخيرة) وبقى « عبد الحميد السراج » فى موقعه فى المكتب الثانى .

وفى هذا كله كانت القاهرة ـ و« جمال عبد الناصر » فيها ـ هى قبلة كل العناصر الوطنية فى الجيش السورى ، وكان هذا التوجه يلقى استجابة كاسحة فى الشارع السورى ، وبدأ حديث الوحدة مع مصر يقوى فى دمشق ، ويزداد قوة مع كل يوم ، فلم يعد هذا المطلب أملا قوميا فحسب ، ولكنه أصبح أيضا ملاذا للأمن ضد كل مؤامرات الغزو من الداخل .

٢

فشلت مؤامرات الانقلاب من الداخل ضد سوريا ، وبدأت على الفور محاولة غزوها من الخارج ، وبدا أن ذلك هو الحل الوحيد للاستيلاء على قلب الحركة العربية القومية فى دمشق ، وكانت الوسيلة لذلك بالطبع هى استخدام نفس حجة استيلاء « الشيوعية الدولية » على سوريا ، وتكليف دول حلف بغداد بغزوها لإنقاذها من « براثن السيطرة » عليها ! وكان معنى ذلك أن العراق وتركيا عليهما الآن أن يستعدا لعمل مسلح ضد سوريا . وبدأ حشد الجيوش وتوالت التحركات والمناورات العسكرية على الحدود السورية العراقية ، والسورية التركية . وتكررت الاجتماعات بين القيادات فى بغداد وأنقرة لدراسة الأوضاع والتأهب لإصدار قرار . ولم تكن إسرائيل بعيدة عما يجرى .

وتتكفل وثائق الخارجية الأمريكية بإعطاء صورة كاملة ومفصلة عن دخائل ما كان يرتب لسوريا فى ذلك الوقت .

□

فى يوم ٢٠ أغسطس كتب وزير الخارجية « جون فوستر دالاس » مذكرة سرية[٥] يشرح فيها الخطوط التى استقرت عليها وزارته بالتعاون مع إدارة المخابرات المركزية التى يديرها شقيقه « آلان دالاس » وكان نص هذه المذكرة كما يلى :

« وزارة الخارجية

واشنطن

سرى ٢٠ أغسطس ١٩٥٧

مذكرة إلى الرئيس

البيت الأبيض

فى موضوع سوريا ، اعتقد انه من المهم ان تتجنبوا الإدلاء باى تصريح ، او تلميح يفهم منه انكم وصلتم إلى قرار بأن سوريا اصبحت الآن « تحت سيطرة الشيوعية الدولية » بالمعنى المقصود فى القرار الخاص بالشرق الأوسط . ومن الناحية

(٥) صورة من المذكرة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب رقم (١٧) صفحة ٨٣١

الاخرى ، فلنتجنب اى تصريح بانكم تعتقدون انها ليست تحت تلك السيطرة . فما زال الموقف غير واضح . والرقابة صارمة . وسفارتنا تحت الحصار من الناحية العملية ، ولا نستطيع حتى الآن ان نصدر حكما سياسيا واضحا بشان مدى التغلغل الشيوعى .

ولمعلوماتكم الخاصة ، فإن السفير موس ، الموجود حاليا فى واشنطن ، يرى انه من المحتمل الا يكون التغيير كبيرا بقدر ما يبدو على السطح ، وان التحول إلى اليسار ليس كاملا حتى الآن .

واعتقد انه من المهم الا تقولوا شيئا يشجع إسرائيل مثلا على افتعال حادث مع سوريا ، اعتمادا على نظرية اننا حكمنا بأن سوريا خاضعة للسيطرة الشيوعية . ونحن من الناحية الأخرى نريد ان نحتفظ بحرية اتخاذ مثل هذا القرار فى ظروف معينة . ونريد الآن ان تبقى الحكومة السورية غير متأكدة من نوايانا .

واقترح ان يكون الخط الذى نتبعه هو ان الاتهامات التى وجهت إلى الولايات المتحدة فى الآونة الأخيرة كانت ستارا تستخدمه العناصر المعادية للغرب ، والموالية للسوفيت لتعزيز سيطرتها على الحكومة . وهناك دلائل على ان ما يجرى فى سوريا يسير وفقا لنمط كلاسيكى خطر . فالسوفيت يبداون بتقديم الوعود ، ثم بتقديم المساعدة ، العسكرية او الاقتصادية ، او كلتيهما . ومن خلال هذه المساعدة يعملون على ان يسيطر اشخاص موالون للسوفيت على اية مواقع كانت . والنتيجة الأخيرة المرجوة هى ان يسقط البلد تحت سيطرة الشيوعية الدولية ، ويدور فى الفلك السوفيتى ، وتدار مصائره من موسكو . ويجرى ذلك كله وراء ستار من الاتهامات الكاذبة بان هناك آخرين يتامرون ، ومن امثالهم الولايات المتحدة .

ونحن لا نعرف حتى الآن إلى اى مدى ذهبت سوريا فى هذا السبيل ، ولكن لا شك فى ان ما حدث بالفعل مؤشر على الخطر ، ويجب ان يكون إنذارا للآخرين ممن تعمل الأساليب السوفيتية على جذبهم .

وقد اصبح الشرق الأوسط كما نعرف هدفا اساسيا للتطلعات الشيوعية فى الآونة الأخيرة . وقد استغل الشيوعيون السوفيت والصينيون كل فرصة متاحة ، لبث التفرقة ، وعدم الاستقرار فى المنطقة . ونحن نتابع التطورات الجارية فى سوريا بقلق إذ انها تمس سلم المنطقة ، وهدوءها ، ورخاءها .

توقيع

جون فوستر دالاس »

□

وفى اليوم التالى ٢١ أغسطس ١٩٥٧ اتخذ « دالاس » خطوة جديدة على طريق الإعداد للتدخل العسكرى ضد سوريا ، فقد رأى أن يكون حلفاء الولايات المتحدة

الأوروبيين على علم بنواياها ، وهكذا كتب الرسالة الشفرية(٦) التالية إلى « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانية :

« إلى السفير فى لندن

رجاء تسليم الرسالة الشخصية التالية من وزير الخارجية إلى وزير الخارجية البريطانى :

عزيزى سلوين

إننا نشعر بقلق شديد للأحداث الجارية فى سوريا ، واعرف انها تسبب لك القلق ايضا . ويبدو لنا انه ليس هناك امل فى التصحيح من الداخل ، وعلينا ان نفكر فى الامكانيات الخارجية التى تتمثل فى القلق الشديد الذى تشعر به الدول الإسلامية التى لها حدود مشتركة مع سوريا . وقد يلزم ان نكون مستعدين لتحمل قدر من المخاطرة الجدية تجنبا لمخاطر واخطار اكبر فيما بعد . ونحن نولى هذا الأمر اشد الاهتمام ، وسنكون فى حاجة ـ بغير شك ـ إلى تبادل الراى معكم غدا ، او يوم الجمعة .

المخلص
فوستر »

□

وفى اليوم التالى ٢٢ أغسطس ١٩٥٧ ارتفع مستوى التشاور من وزراء الخارجية إلى القمة ، وبرقم ١٥٠٩ تحت عنوان « تصرف رئاسى » (Presidential handling) كتب « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكية إلى رئيس الوزراء البريطانى « هارولد ماكميلان » رسالة(٧) جاء فيها بالنص ما يلى :

« عزيزى هارولد

بعد دراسة الموقف دراسة وافية مع الرئيس قررنا ان نطلب من لوى هندرسون وهو وكيلى الأول ان يعجل بزيارته المقترحة لبعض سفاراتنا ، وان يضع انقرة على راس القائمة . وسوف يتيح له ذلك بالاضافة إلى اعماله العادية ان يحصل فى تركيا على معلومات مباشرة عن موقف بعض جيران سوريا من التطورات الجارية هناك . وقد علمنا ان العراقيين ، وربما الأردنيون سيكونون هناك فى ذلك الوقت ، وسوف يتصل لوى بسفيركم فى انقرة .

وقد ارسلت امس رسالة شخصية إلى بن جوريون اعرب فيها عن الأمل فى اننا

(٦) صورة من الرسالة الشفرية فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب رقم ١٨ ص ٨٣٤
(٧) صورة من الرسالة كاملة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب رقم ١٩ ص ٨٣٦

نستطيع ان نتصرف مفترضين انه لن يتخذ إجراء يربط المسالة السورية(٨) بجوانب النزاع العربى الاسرائيلى . ففى رايى ان هذا شرط لا غنى عنه حتى يمكن الوصول إلى حل بناء تحت رعاية عربية وإسلامية .

كما بعث الرئيس رسالة إلى الملك سعود يعرب فيها عن الأمل فى ان يستخدم الملك ـ بوصفه حامى الأماكن الإسلامية المقدسة ـ نفوذه الكبير لمنع تمركز العقيدة الشيوعية الملحدة فى احد المراكز الرئيسية فى العالم الإسلامى .

ويسرنى ان اعرف رايكم فى هذا الموقف ، واعتقد انه من المهم الا تمتنع إسرائيل فقط عن التدخل فى التطورات المحتملة فى سوريا ، بل وان تمتنع عن ذلك الدول الغربية ايضا . ويكفى ان يعرف جيران سوريا انهم سيلقون منا كل تاييد معنوى لأى تدبير دفاعى يرون ان عليهم اتخاذه .

المخلص
فوستر »

□

وكان « بن جوريون » أول من استجاب ، وفى نفس اليوم كما تظهر برقية سرية صادرة من سفارة الولايات المتحدة فى تل أبيب بتوقيع السفير « باكستر » موجهة إلى « جون فوستر دالاس » ، وجاء فى البرقية(٩) ما يلى :

« قال لى بن جوريون الذى قابلته فى مكتبه بتل ابيب بعد ساعة من تسلم برقيتكم إنه يستطيع ان يعطى بسرور التاكيدات المطلوبة إذا كانت الحكومة الامريكية تعنى انها تريد تاكيدا بان إسرائيل لا تعتزم ان تكون البادئة بالمتاعب مع سوريا . واعرب عن شكره الحار لرغبة الوزير فى تبادل الآراء معه بشان سوريا . وابدى النقاط التالية :

١ ـ إنه يشاطر الولايات المتحدة القلق من التطورات الجارية فى سوريا لانه فى رايه يستحيل التمييز بين « سوريا وروسيا » . فإسرائيل هى الهدف النهائى للاسلحة التى تتدفق من الاتحاد السوفيتى على سوريا ، وإن كان من الممكن ان يقال نظريا إن هذه الأسلحة تهدد لبنان او دولا عربية اخرى .

وهو يود ان يعرف ما ستفعله الحكومة الامريكية إذا تعرضت إسرائيل لهجوم من روسيا عن طريق سوريا .

وقال إن الصحف السوفيتية التى لا تنشر ابدا شيئا بدون غرض كانت بشعة فى الهجوم على إسرائيل فى الآونة الأخيرة ، واستشهد على ذلك بانباء تقول إن إيلات قد

(٨) كانت إسرائيل تعارض دواما فى دخول قوات عراقية إلى سوريا او الاردن تحت اى ظرف خشية ان يؤدى ذلك إلى زيادة القوة العربية على خطوطها .
(٩) نص البرقية فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب رقم ٢٠ ص ٨٣٨

سلمت للولايات المتحدة لتجعل منها قاعدة بحرية على خليج العقبة . وان فرنسا وإسرائيل تستعدان للهجوم على سوريا .

كما استشهد بن جوريون فى حديثه معى بملاحظة يبدو ان حكومته تتوجس منها بشكل خاص إذ أن السفير السوفيتى آبراموف قال لعضو المابام حزان فى اثناء لقاء بينهما ما نصه : « إن المدن الإسرائيلية لم تعرف بعد معنى التعرض للقذف بالقنابل » .

(راجع رسالة ايبان إلى وكيل الوزارة هيرتر فى ١٩٥٧/٧/٢٥)

٢ ـ وقال بن جوريون : « إن المطلوب هو تحرك امريكى قوى على غرار التحركات التى اوقفت السوفيت عند حدهم ، كما حدث مؤخرا عندما اقترب الأسطول الأمريكى السادس من الشواطىء الشرقية للبحر الأبيض المتوسط تأييدا للأردن ، والتصريح الأمريكى الذى سبق ذلك لتأييد فورموزا » .

٣ ـ وقال بلهجة عتاب معتدلة : « إن سوريا تتلقى من روسيا كميات هائلة من الأسلحة تشكل خطرا على إسرائيل اكثر من اى بلد آخر . وبينما تقوم الولايات المتحدة بتزويد لبنان والمملكة السعودية والعراق بالأسلحة ، فإنها ما زالت تمنع الأسلحة عن إسرائيل تنفيذا ـ فيما يبدو ـ لقرار الأمم المتحدة الصادر فى ٢ نوفمبر ١٩٥٦) ـ وإن كان لماذا ، لست ادرى » ؟

وتمضى برقية السفير الأمريكى فى إسرائيل بعد ذلك لتصل إلى البند الخامس الذى روى فيه السفير نقلا عن « بن جوريون » قوله : « إنه يرحب بوجه خاص بأن يفهم ماذا يعنى بعبارة « حل بناء » . » ثم أضاف السفير إلى مقابلته مع « بن جوريون » إضافة من عنده قال فيها :

« تعليق : ربما كانت الطلاقة التى تكلم بها بن جوريون بعد قراءته للرسالة مباشرة دليلا على انه اعطانى خلاصة مركزة لتفكير الحكومة الإسرائيلية الذى وصلت إليه بعد ايام متوالية من المتابعة المستمرة للأوضاع فى جارتها الشمالية . وقد دار حديثنا بلهجة معتدلة وبغير انفعال . ولكنه كان يردد كثيرا عبارة « نحن قلقون ، قلقون للغاية » . وقد قال لى : إننا سنتلقى ردا رسميا على رسالة وزير الخارجية فى المستقبل القريب ، عندما تكون الفرصة قد اتيحت له لمناقشة الموضوع مع ايبان الذى كان ينتظر فى الغرفة المجاورة عندما غادرت المكتب بعد محادثتنا التى استمرت عشرين دقيقة .

واتفقنا على اننا سنرد على اسئلة الصحفيين بان المقابلة تمت بناء على طلبى لنناقش الأمور الجارية ذات الاهتمام المتبادل . فإذا سئلنا عما إذا كانت سوريا بين موضوعات المناقشة ساجيب بان بلدينا يهتمان بطبيعة الحال بالتطورات فى سوريا .

إمضاء
باكستر »

وصل « لوى هندرسون » إلى المنطقة . وقام بزيارات لبيروت وعمان وبغداد ، ثم توجه إلى استانبول . وطوال الوقت كان يدلى بأحاديث عن مهمته يقول فيها إنه يقوم بمهمة تقصى حقائق عن الأحوال فى سوريا . وفى يوم ٢٦ أغسطس دعا الرئيس « جمال عبد الناصر » السفير الأمريكى « ريموند هير » إلى لقائه(١٠) ، وقال له إنه لا يفهم مبررا لهذه الحملة ضد سوريا ، وان مهمة « لوى هندرسون » فى المنطقة تثير تساؤلات تدعو إلى الشك والريبة . وأنه فهم من تصريحات « لوى هندرسون » أن المبعوث الأمريكى مكلف بمهمة لتقصى الحقائق فى سوريا ، فإذا كان ذلك صحيحا « فإننى لا أفهم لماذا لا يتوجه مباشرة إلى دمشق ، ويرى بنفسه ما يجرى هناك ، ويبحث على الطبيعة ما يريد أن يعرفه » . ثم قال الرئيس إنه على استعداد لأن يكفل حسن استقبال « لوى هندرسون » فى دمشق ، وبأن يضمن له مقابلة كل من يريد مقابلتهم فى العاصمة السورية لأنه ليس من المعقول أن يكون هدفه « إذا كان ذلك هدفه حقيقة » أن يتقصى الحقائق فى سوريا ثم يدور فى كل العواصم المحيطة بها دون أن يقصد إلى العاصمة المعنية بالأمر بالدرجة الأولى . ثم أضاف « جمال عبد الناصر » إنه يخشى أن هناك خططا لغزو سوريا بدعوى « الشيوعية المحلية » و « الشيوعية الدولية » . ومع أنه يستطيع أن يؤكد بناء على معلوماته ـ وهى وثيقة ومباشرة ـ أنه ليس هناك ما يبرر مثل هذه الادعاءات إلا أنه كان يفضل أن يتعرف « هندرسون » على الحقائق بنفسه . ثم قال « جمال عبد الناصر » للسفير الأمريكى : « إننى قرأت تقريرا من سفارتنا فى إحدى العواصم التى زارها هندرسون ، وعرفت أن هندرسون طرح على أحد الوزراء الذين قابلهم فى هذه العاصمة أربعة أسئلة عن السلاح الذى تشتريه سوريا من الاتحاد السوفيتى ، وعن عدد الخبراء السوفيت فى سوريا ، وعن الظروف التى تحيط بالموالين للغرب فى سوريا ، وعما إذا كان معنى ذلك أن سوريا تقترب أكثر مما يجب من روسيا ؟ » . وأضاف « جمال عبد الناصر » : « إن هذه الاسئلة كلها لم تكن فى حاجة إلى كل هذه الضجة التى ترافق مهمة هندرسون . فسوريا تشترى السلاح من الاتحاد السوفيتى كما اشترته مصر من قبل لأنه لم يكن متاحا لها أن تشتريه من غيره . أما التضييق على الموالين للغرب فى سوريا ، فمن الغريب أن يطرح هذا التساؤل ، فالطبيعى أن تضيق سوريا على كل الموالين لجهات أجنبية . ومن الطبيعى أن سوريا تريد الموالين لسوريا وليس للغرب أو للشرق . » ثم أضاف « جمال عبد الناصر » إن من شان هذا

(١٠) مذكرة عن لقاء « جمال عبد الناصر » و « ريموند هير » محررة بتاريخ ٢٧ أغسطس ، وهى بخط الدكتور « محمود فوزى » واصلها مودع بارشيف وزارة الخارجية . وتوجد صورة بالآلة الكاتبة ومعها مذكرة إرفاق بتوقيع الدكتور « فوزى » موجودة فى ارشيف منشية البكرى

المناخ كله أن يخلق فى المنطقة حالة من القلق ، فإذا اضيفت إلى هذه الحالة كل هذه البيانات عن حشود عسكرية ومناورات وخطط للتدخل المسلح ، فإن الموقف يمكن أن يكون خطيرا ، ويمكن أن تترتب عليه أزمة لا تقل عن أزمة السويس فى عنفها . ثم ختم « جمال عبد الناصر » هذا اللقاء قائلا للسفير : « إننى أريد أن يكون الرئيس ايزنهاور على بينة كاملة من أن مصر لا تستطيع أن تقف ساكتة إزاء هذه المخاطر المحيقة بسوريا » .

□

وفى ٢٨ أغسطس كانت الحكومة الإسرائيلية قد فرغت من دراسة الموقف ، وكلفت « آبا ايبان » وزير الخارجية بإبلاغ السفير الأمريكى « باكستر » برأيها فى الموقف ردا رسميا على رسالة « دالاس » . وكتب السفير الأمريكى برقية[١١] عن المقابلة (رقم ١٩٩ ـ ٢٨ أغسطس ـ الساعة الثامنة مساء) جاء فيها :

« بناء على طلب الجانب الاسرائيلى توجهت اليوم إلى وزارة الخارجية لمناقشة المسائل المتعلقة بسوريا بحضور هيرتزوج ، وكوماى ، وشلواح الذى يشغل الآن وظيفة انشئت حديثا كمستشار لوزير الخارجية لشؤون التخطيط ورسم السياسات . وعندما قلت إننى ارحب بهذه الفرصة للاستماع إلى آرائهم لأن الدراسات الجارية حاليا للموقف فى واشنطن لم تصل بعد إلى جديد يمكن نقله إلى حكومة إسرائيل ، فقد ذكروا لى انهم لا يتلقون منا تفاصيل كافية عن خططنا . وذكروا ان هذا لا يشجعهم ، واضافوا إلى ذلك عدم تفاؤلهم بالنسبة لاحتمالات المستقبل . فهم يرون ان للوقت اهمية خاصة . فكل يوم يتاخر فيه التعبير عن رد فعل قوى وإيجابى من جانب الولايات المتحدة ـ بوصفها زعيمة للعالم الغربى ـ يزيد من الاحتمالات الخطرة للتغاضى والانتظار على التهديد الذى تمثله سوريا . فإذا لم تكن هناك دلائل على ان هناك خطوات يجرى بحثها للتحرك بسرعة من اجل عكس اتجاه الأحداث فى سوريا ـ فقد يؤدى ذلك إلى قبول النظريات الخطرة التى تود سوريا والكرملين نشرها . »

ثم روى السفير الامريكى ان « شلواح » تدخل فى الحديث ، وقال له : « إن الموقف فى سوريا شبيه بما حدث فى مصر سنة ١٩٥٥ عندما حاول الغرب ان يقلل من اهمية صفقة الأسلحة التشيكية بناء على اعتقاد ثبت الآن خطاه بانه ما زال فى وسع الغرب أن يتعامل مع عبد الناصر ، وان اتخاذ موقف قوى إزاء الصفقة التشيكية ربما يؤدى إلى الإسراع بدفعه إلى المعسكر السوفيتى . إن الحكومة الإسرائيلية تعتقد ان القول بان عبد الناصر يشعر بالقلق من احداث سوريا هو نوع من خداع النفس ، وربما انه يحاول ايضا إعطاء هذا الانطباع لخداع الدبلوماسيين الغربيين الذين يقابلونه » .

(١١) النص الكامل للبرقية فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٢١ ص ٨٤٠ .

واستطرد السفير الأمريكى يقول فى برقيته : « لقد ذكروا لى ان خبراء الشؤون العربية فى الحكومة الاسرائيلية يرون ان تحول سوريا إلى بلد يدور فى الفلك السوفيتى اسهل بكثير من تحول مصر . ورغم ان ناصر اداة طيعة للسوفيت ، فإنه يصر على ان يعملوا من خلاله ، ثم ان لديه سيطرة قوية على جميع العناصر فى الحكومة المصرية . اما فى سوريا فهناك حركة شيوعية قوية وخلاياها على استعداد لتولى جميع الوظائف ، والعمل فى جميع المستويات الحكومية . وإذا لم يحدث شىء لمنع هذا ، فيجب ان نتوقع تطهيرا يجرى خطوة بعد خطوة ، ويسفر عن قيام « هنجاريا » أخرى لا يكون الغرب قادرا على التحرك ضدها . لكن الحكومة الاسرائيلية ترى انه ما زال هناك بعض الوقت الذى يمكن فيه تقديم مساعدة للعناصر السورية المعارضة وتشجيعها على العمل ، وان ذلك إذا تم بسرعة وبتاييد علنى او سرى من جانب الولايات المتحدة واصدقائها فى المنطقة ـ يمكنه إنجاز المطلوب بغير الاضطرار إلى حرب واسعة ، وبدون استخدام للقوة المسلحة . »

٣

ويثور الآن سؤال بالغ الأهمية وهو :

ما الذى كان مساعد وزير الخارجية « لوى هندرسون » يسمعه فى العواصم العربية التى زارها مبعوثا خاصا فى إطار مهمته « لتقصى الحقائق » ؟

إن أهمية هذا السؤال لا تتصل فقط بالشكل الذى اتخذته تطورات الحوادث فى تلك الأيام ، وإنما تتصل أيضا ـ وهذا هو الأهم ـ بانعكاساتها على تطورات الحوادث فى ايام قادمة .

مرة أخرى تتحدث الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية ، وربما كان أوضحها فى التعبير تقرير واحد مطول بعث به « لوى هندرسون » فى ثلاث برقيات شفرية متوالية من بيروت فى أعقاب اجتماعاته فى العاصمة اللبنانية مع رئيس الجمهورية « كميل شمعون » ومع وزير الخارجية « شارل مالك » ـ ويبدو أن « لوى هندرسون » كان يرسل تقريره تباعا على أجزاء لأن واشنطن كانت فى عجل من أمرها .

أرسلت البرقية الأولى[١٢] فى ٤٣ : ٥ من مساء يوم ٢٨ اغسطس ١٩٥٧ كما يلى :

« وزارة الخارجية

سرى جدا ـ من بيروت ـ إلى وزير الخارجية

الرقم : ٥٦٣ (الجزء الأول من ثلاثة)

من هندرسون إلى الوزير :

(١) وصلت إلى بيروت ١١ صباحا . قابلنى السفير هيث فى المطار ، واخذنى مباشرة إلى وزارة الخارجية حيث استقبلنا وزير الخارجية مالك ، ثم قمنا بزيارة قصيرة لرئيس الوزراء سامى الصلح ، وبعدها انتقلنا لمقابلة الرئيس شمعون لمحادثته اكثر تفصيلا .

(٢) شرحت لمالك ان من اغراض زيارتى للشرق الأوسط ان اناقش سفراءنا ، وان اتحدث مع اعضاء الحكومات الصديقة فى الشرق الأوسط حول المشاكل الناشئة عن التطورات الأخيرة فى سوريا . وقد تبادلت الراى فى استانبول مع رئيس وزراء تركيا ، ومع الملك حسين ، والملك فيصل ، وولى عهد العراق وغيره من القادة العراقيين . وإنى مستعد لأناقش معه آراء حكومتنا ، ولكنى اكون شاكرا لو اعطانى قبل ذلك آراءه بشان التاثير المحتمل للتطورات الجارية فى سوريا على لبنان .

(٣) قال مالك وهو يقرا من مذكرات معدة سلفا : إن هناك ثمانى نقاط يريد ان يبديها بشان الحالة فى سوريا .

(ا) الموقف خطير للغاية ، ويتطلب ان تتشاور جميع البلدان العربية والغربية المعنية ، وان تتصرف بطريقة موحدة .

(ب) إذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للعراق ، والأردن ، وتركيا ، ولبنان ، وإلى حد ما المملكة العربية السعودية ، وجميعها لا توافق على النظام السورى الحاضر ، وإذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للولايات المتحدة ، ودول الغرب الرئيسية غير قادرة على الوصول إلى حل للمشاكل السورية ، فلابد ان هناك ضعفا مخيفا فى العالم الغربى .

(جـ) إن الاقتحام الشيوعى فى سوريا هو نمو طبيعى لسنوات من التحضير الشيوعى ، وهو جزئيا نتيجة لمبدا ايزنهاور . واضاف بين قوسين إن هذا النبات كان سيصل إلى مرحلة الازدهار على اى حال ، ولكن مبدا ايزنهاور عجل بالعملية .

(د) إن الرد المناسب على هذا التطور الشيوعى فى سوريا حتمى وملح .

(١٢) صورة من برقية « هندرسون » الأولى فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٢٢ صفحة ٨٤٢ .

(هـ) إن التعايش بين سوريا ـ المحايدة ـ (على الطريقة اليوجوسلافية والمتجهة إلى الشيوعية ، وبين لبنان المتجه إلى الغرب مستحيل . فاجلا ، او عاجلا لابد ان يختفى احدهما . وينتج من ذلك بالنسبة لنا فى لبنان ان حياد سوريا ، او اتجاهها إلى الشيوعية هو بالنسبة لنا مسالة حياة ، او موت بكل معنى الكلمة .

هيث

ملحوظة : تم اخطار السيد بورديت (الشرق الأدنى) فى ٨,١٠ مساء ٢٨/٨/٥٧ » .

□

وفى الساعة الثانية و ١٧ دقيقة صباحا بعث « هندرسون » بالجزء الثانى[١٣] من تقريره إلى « دالاس » وقد أكمل فيه مقابلته مع « شارل مالك » وبدأ فيه مقابلته مع « كميل شمعون » وكان نص البرقية كما يلى :

(تكملة المقابلة مع « شارل مالك »)

« (و) إذا اجتاحت لبنان نزعة « الحياد » او معاداة الغرب او الشيوعية سيخرج الجميع خاسرين ، فيما عدا الاتحاد السوفيتى .

(ز) إن الخطر الذى يتعرض له لبنان من الاعمال الهدامة التى تحركها ، او توجهها اتجاهات خبيثة ، شيوعية ، او حيادية ، او معادية للغرب فى سوريا ، اكبر من خطر عدوان سورى مباشر .

(ح) إن الاعتبار الوحيد الهام الطيب هو ان الأغلبية الساحقة من الشعب السورى تنفر من النظام الحاضر .

(٤) شكرته وقلت إنى واثق من ان الحكومة الأمريكية تتفق معه تماما ، ثم اعطيته تحليلنا للموقف فى سوريا ، واوضحت انه إذا ظل النظام السورى الحالى فى السلطة ، فمن المحتم تقريبا ان تتحول سوريا خلال وقت قصير إلى دولة تدور فى فلك السوفيت ، وتستخدم كقلعة شيوعية مدججة بالسلاح فى الشرق الأوسط . وان قرون الاستشعار الممتدة من ذلك البلد التابع ستتغلغل فى البلدان المجاورة ، وتضعف مؤسساتها ، وتجذبها فى النهاية إلى الفلك السوفيتى . وعلى ذلك فإن استمرار العملية الجارية الآن فى سوريا سيكون معناها خسارة العالم الحر للشرق الأوسط ، وتهديد السلام العالمى . وقال مالك إن حكومته توافق على هذا التحليل موافقة تامة .

(٥) اعرب رئيس الوزراء الذى قمنا بزيارته بعد ذلك عن القلق الشديد للتطورات الجارية فى سوريا ، وقال إنه وقد اقام فى سوريا لفترة طويلة لديه اصدقاء سوريون كثيرون ، وانه يستقبل الآن سيلا من الزائرين السوريين الذين يعربون له ـ

(١٣) صورة من الجزء الثانى من برقية « هندرسون » فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٢٣ صفحة ٨٤٤

جميعهم تقريبا ـ عن الانزعاج للأحداث الجارية فى سوريا . وكانت زيارتنا لرئيس الوزراء اقرب إلى زيارة المجاملة ، ولم يذكر فيها شىء له اهمية سياسية .

(٦) ثم اخذنا مالك لمقابلة الرئيس شمعون . فشرحت للرئيس مرة اخرى الغرض من زيارتى للشرق الأوسط ، وطرحت عليه آراءنا ، وقلقنا بشان الوضع فى سوريا .

(٧) قال الرئيس إنه يوافق تماما على تقديرنا للموقف . وان ما يجرى الآن فى سوريا إنما هو المرحلة الأخيرة مما كان جاريا منذ سنتين . وانه حذرنا فى ١٩٥٥ من ان سوريا تتحول إلى منصة عسكرية وسياسية للسوفيت . ويستطيع المرء ان يقول الآن إنه لم يعد هناك وجود لحكومة سورية ، فالرئيس القوتلى مجرد من السلطة ، والبلد الآن فى يد مجموعة من العسكريين ، هم بدورهم تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى . وهذا الوضع مصدر للقلق الشديد ، ولا سيما فى لبنان ، والأردن . وقد تلقى للتو رسالة من الملك حسين يعبر فيها عن الانزعاج للموقف . وقد تحدث بالأمس مع وزير خارجية العراق الذى يرى الموقف خطيرا بالمثل . والسفير السعودى الذى عاد لتوه من الرياض يقول : إن الملك سعود يشعر ايضا بالقلق الشديد . غير ان الرئيس لم يشر إلى جزء من الرسالة التى حملها السفير السعودى معه ، والذى كان مالك قد ذكره لنا فى اثناء محادثتنا السابقة . ووفقا لما قاله مالك ، فإن السفير السعودى ، بعد ان اشار إلى ما ابداه الملك من اشمئزاز من السياسات السورية الحالية ، ذكر مع ذلك انه من الخطا ان يحاول جزء من العالم العربى ان يعزل سوريا ومصر . وقال الرئيس شمعون إن الحقيقة ان الملك سعود يخشى إذاعة القاهرة التى إذا هاجمته يمكن بسهولة ان تخلق له المتاعب ، بل وربما تشعل ثورة . ونظرا لوجود عدد كبير من الضباط والمعلمين والفنيين المصريين ، فإن لمصر تاثيرا كبيرا على المملكة السعودية . واكد الرئيس ان المشكلة التى تواجهنا لا تتعلق بسوريا وحدها ، فالحقيقة ان السوفيت يحاولون الاستيلاء على العالم العربى .

هيث »

□

وفى الساعة السابعة و ٢٩ دقيقة من صباح ٢٩ أغسطس ١٩٥٧ بعث « هندرسون » بالجزء الثالث والأخير[١٤] من تقريره إلى « دالاس » مستكملا فيه بقية حديثه مع « كميل شمعون » ، وكان نص برقيته كما يلى :

« (٨) ربما لا يكون النظام المصرى مواليا للشيوعية ، ولكنه يلعب فى الواقع لعبة الشيوعيين . والموقف فى اليمن قد اصبح خطرا حقا . وقد ذكر السفير السعودى ان الملك سعود نبه الإمام مؤخرا إلى وصول اسلحة سوفيتية . وان المبعوث الخاص الذى ارسله الملك سعود إلى الإمام بهذا التحذير ذكر انه شخصيا

(١٤) صورة من الجزء الثالث من برقية « هندرسون » فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٢٤ صفحة ٨٤٦

راى ١٠٠ طائرة سوفيتية فى اليمن . واسلحة لم يتم تفريغها من صناديقها . وذكر الرئيس ان اليمنيين يحتاجون إلى مائة سنة ليتعلموا قيادة هذه الطائرات . وقد لاحظ مبعوث الملك السعودى وصول عدة مجموعات من الفنيين السوفيت . وحتى إذا كان هذا التقرير عن شحنات الأسلحة السوفيتية مبالغا فيه ، فإن الوضع يدعو للانزعاج ، خاصة وان الروس لابد انهم يعتزمون إحضار طيارين سوفيت ، او طيارين دربهم السوفيت لقيادة تلك الطائرات .

(٩) ان الأعمال الشيوعية الهدامة الموجهة من سوريا بدات تصبح ملموسة بالفعل فى لبنان . وان حرس الحدود يعتقلون باستمرار شبانا لبنانيين عائدين من سوريا ، وقد حملهم الضباط السوريون منشورات هدامة وذخائر . وان هذه العملية كانت تجرى منذ عدة شهور لكنها زادت بدرجة كبيرة فى الأسابيع الأخيرة . ويبدو الآن انها اصبحت نشاطا منظما بعناية . والشبان اللبنانيون المعنيون هم عملاء لسوريا ، ومن الواضح انهم ليسوا من الشيوعيين العاملين . كما انهم لا يعملون على ابتلاع سوريا للبنان فى الوقت الحالى ، ولا يطلب منهم السوريون غير الإطاحة بالحكومة اللبنانية الحالية ، وإقامة حكومة اخرى تتبع خطى سوريا فى السياسة الخارجية . وعند ذلك تدخل مالك قائلا إنه إذا لم تتخذ خطوات قوية دون إبطاء ، فإن العالم الحر سيفقد لبنان والشرق الأوسط ، كما فقد الصين من قبل .

(١٠) قال الرئيس شمعون إن الكارثة ستقع إذا لم يوضع حد للتطورات الجارية فى سوريا . فإما « ان نصبح اقوياء ، وسوريا اضعف ، او ان ننهار » . ثم اعرب كل من الرئيس ومالك عن الأمل فى الا يكون معنى البيان الصحفى الذى ادلى به الرئيس فى ٢١ اغسطس بشان سوريا ، ان تعتقد الولايات المتحدة ان بلدان الشرق الأوسط يمكن ان تتعايش مع سوريا ذات الاتجاه الشيوعى . واكدت لهما انه لا يمكن استخلاص شىء كهذا من بيان الرئيس .

(١١) وقلت إنه من الواضح ان حكومتينا تتفقان تماما على ان استمرار وجود النظام الحالى فى سوريا يشكل خطرا على الشرق الأوسط ، وعلى السلام العالمى . وسالت عما إذا كانت لديه اقتراحات لوقف الاتجاهات الحالية فى سوريا . وقلت إنى لا اتوقع منه ان يقدم اقتراحات محددة فى محادثتنا الأولية ، واننا يمكن ان نناقش الأمر فى مقابلة ثانية . وسالت عما إذا كانت لديه تعليقات يريد ان يبديها فى الوقت الحالى .

(١٢) قال الرئيس إنه يود ان يناقش معنا هذا الأمر فيما بعد .

« هندرسون »

هيث (السفير الأمريكى فى بيروت) »

□

وعاد « لوى هندرسون » إلى واشنطن يمضى فيها أسبوعا واحدا . ثم يعود إلى المنطقة متوجها رأسا إلى استانبول ليحضر اجتماعا للمجلس الوزارى لحلف بغداد ، ولم يقتصر الاجتماع على وزراء الخارجية وحدهم ، وإنما حضره أيضا وزراء الدفاع مصطحبين رؤساء هيئة أركان الحرب لقواتهم المسلحة ، وخبراءهم العسكريين .

وبدأت الحشود العسكرية التركية تتجمع فى اتجاه حلب .

وبدأت حشود عراقية تتجمع فى اتجاه الحسكة ، ودير الزور .

وإضافة إلى ذلك بدأت واشنطن تعلن عن شحنات سلاح عاجلة تحملها الطائرات على جسور جوية طائرة بسرعة إلى العواصم العربية التى يقال إن الخطر السوفيتى وخطر الشيوعية الدولية يوشك أن يدهمها ، وأن يقتحم عليها أبوابها .

وكانت مسرحية الجسور الجوية الحاملة للسلاح صخبا إعلاميا صارخا ، ولم يكن ذلك هو الخطر ، وإنما الخطر ما وراء هذا الصخب من تهيئة وإعداد على جبهات أخرى .

كانت دمشق محاصرة ، والعاصفة تتجمع على وشك الهبوب عليها نارا ودما !

الفصل الخامس

الاندفــــاع إلى القاهــرة

١

كانت الأحوال السياسية فى سوريا هشة من قبل أزمة دمشق المحاصرة فى بداية خريف سنة ١٩٥٧ . ثم جاءت ظروف الحصار الذى راح يحيط بدمشق خطوة بعد خطوة ، فإذا بالأحوال فيها تصبح مدعاة لقلق شديد برغم الواجهة المتحدية والمعاندة التى كانت عاصمة الأمويين تواجه بها الحوادث .

من قبل كان مجمل الظروف التى مرت بها سوريا قد أوصلها إلى حالة من الارهاق شديدة . كانت هناك ظروف الانسلاخ عن الخلافة العثمانية ، ثم الحرب العالمية الأولى وما جرى فيها على أرض سوريا ، ثم معاهدة « سايكس بيكو » التى خصت فرنسا بالانتداب عليها ، ثم محاولة تنصيب « فيصل الأول » ملكا على سوريا ، ثم دخول الجيش الفرنسى وإخراج « فيصل » وتنفيذ صك الانتداب ، ثم استمرار الحكم الفرنسى فترة ما بين الحربين العالميتين وما ثار ضد هذا الحكم من انتفاضات شعبية تسعى للاستقلال ، ثم قيام الحرب العالمية الثانية وما توالى خلالها من أحداث مست سوريا مساسا مباشرا ، وأولها استسلام فرنسا مع بقاء جزء كبير من مستعمراتها تحت سيطرة حكومة « فيشى » الموالية للنازى ، ثم الغزو البريطانى لسوريا ، ثم مناورات الجنرال البريطانى « سبيرز » الذى كان يريد إخراج فرنسا من المشرق ، وكانت تستهدف أن تحل بريطانيا محل فرنسا ، وقد أدت هذه المناورات ـ إلى جانب حيوية القوى الوطنية فى سوريا ـ إلى استقلال سوريا سنة ١٩٤٥ .

ولم تتح لسوريا فرصة كافية لتدعيم استقلالها الجديد لأن الصراع مع الصهيونية حّول دمشق إلى قاعدة رئيسية لعمليات المقاومة الشعبية المسلحة ضد المخطط الصهيونى فى فلسطين ، ثم جاءت حرب ١٩٤٨ وما انتهت إليه من إحباط وشعور بالمرارة بلغ أشده فى دمشق بحكم موقعها ودورها وارتباطها الوثيق بالمشروع القومى العربى . ولم يكد صوت الرصاص يتوقف فى حرب فلسطين حتى وقع فى سوريا أول انقلاب عسكرى بقيادة اللواء « حسنى الزعيم » ، ولحقت به سلسلة من الانقلابات الكبيرة تخللتها ولحقتها سلاسل من الانقلابات الجزئية الصامتة أحدثت تغييرات هامة تحت السطح أمكن رصدها ، وإن لم ينتج عنها أثر الزلزال الذى تحدثه الانقلابات العسكرية الكاملة والصاخبة .

وطوال السنوات القلقة التى أعقبت الانقلاب على « أديب الشيشكلى » فى بداية سنة ١٩٥٤ وحتى سنة ١٩٥٧ حين تحول اتجاه العاصفة فى الشرق الأوسط إلى دمشق ـ كان الجيش السورى هو الساحة الرئيسية للصراعات ، وكانت هذه الصراعات قد حولته فى الواقع إلى كتل[(١)] تتآلف أحيانا وتتنافر أحيانا ، وتكاد تصل تنافرها إلى حد الصراع المسلح . **وكانت لبعض هذه الكتل بطبيعة الحال ارتباطات حزبية فى الداخل تؤدى إلى ارتباطات على الساحة العربية تؤدى إلى عاصمتين بالتحديد : الرياض وبغداد ـ استمرارا للصراع بين السعوديين والهاشميين ، وقد أصبحت دمشق الآن ميدانه . كذلك كانت لبعض هذه الكتل ارتباطات اجتماعية واقتصادية تؤدى بدورها إلى عاصمة أخرى هى بيروت التى أصبحت وقتها عاصمة توجيه ، وإدارة الحرب الباردة فى المشرق العربى . وكانت لحزب البعث العربى الاشتراكى بدوره كتلة من ضباط الجيش يعلنون بصراحة انتسابهم إليه ، وعضويتهم فى لجنته العسكرية . إلى جانب ذلك ، فقد كانت هناك مجموعات أخرى من الضباط يتجهون بأفكارهم إلى أحلام قومية عامة وغير محددة ، ولكنها جميعا تتطلع بشكل أو آخر نحو القاهرة .**

---

(١) برزت فى الجيش السورى فى هذه الفترة التى سبقت الوحدة مع مصر ست كتل رئيسية :
اولا : ظهر عبد الحميد السراج كقوة فردية لا ينتمى إلى اى حزب او جماعة .
ثانيـا : كتلة البعث ، وكان من ابرز عناصرها فى الجيش مصطفى حمدون ـ عبد الغنى قنوت ـ بشير صادق ـ حسان حيدة ـ وجمال الصوفى .
ثالثـا : كتلة حزب التحرير (الشيشكلى) وشملت جماعة من الضباط المناهضين للكتلة البعثية . وتزعّم هذه الجماعة امين النفورى ، ومن اعضائها جادو عز الدين ـ احمد عبد الكريم ـ وحسين حيدة (شقيق حسان حيدة) .
رابعـا : تارجحت بين الكتلة البعثية ، وجماعة النفورى كتلة رابعة تزعمها طعمة العودة الله واحمد الحنيدى .
خامسا : كتلة دمشق وتزعمها اكرم الديرى .
سادسا : كتلة عفيف البزرى وقد كان تعاطفها مع اليسار .

وربما كانت الشخصية الرئيسية فى دمشق فى تلك الفترة هى شخصية العقيد « عبد الحميد السراج » رئيس الشعبة الثانية فى الجيش السورى (المخابرات) فقد كانت أزمة نقله هى الأزمة التى بدأت منها العاصفة الجديدة على سوريا فى صيف سنة ١٩٥٧ ، وكان بقاؤه فى منصبه برغم هذه الأزمة إضافة زادت من قوته سواء بحكم موقعه فى الشعبة الثانية ، أو بحكم الهالة التى أحاطت به بعد الأزمة ، أو بحكم أنه أصبح فى ذلك الوقت مفتاح الأبواب إلى القاهرة . والحقيقة أن « عبد الحميد السراج » بحكم مسؤوليته عن الأمن فى الجيش السورى أصبح فى نفس الوقت مسؤولا عن أمن سوريا ، وكان رأيه أن أمن سوريا الوطنى يتصل اتصالا مباشرا بالقاهرة التى أصبحت مركزا رئيسيا لقيادة المشروع القومى العربى ، والتى برز فيها « جمال عبد الناصر » كقائد قومى للأمة العربية فى ظروف ما بعد السويس .

□

ومع بدء مهمة « لوى هندرسون » فى الشرق الأوسط ، ومع طوافه بالعواصم المحيطة بدمشق ، ومع عمليات التهديد المتصاعدة بحشد الجيوش وإجراء المناورات العسكرية ، وشحن السلاح بالطائرات إلى العواصم المتربصة والمتحفزة للانقضاض ـ بدا أن الصراع على سوريا وفيها يوشك أن يدخل فى مرحلة حاسمة .

كان يمكن اعتبار ما يجرى الآن ـ بداية خريف سنة ١٩٥٧ ـ عملية تمهيد للغزو ، وكان المقدر أن يجىء الغزو نفسه إذا تهيأ المسرح وتم إعداده ـ فى ظرف ثلاثة شهور .

كانت عملية التمهيد للغزو هى العملية التقليدية التى تستهدف إفقاد الطرف المرشح للغزو توازنه بما يؤدى به إلى التخبط فى تصرفاته فتحل به الفتنة الداخلية والتفكك ، أو أن يرتكب من الأخطاء تحت وطأة العصبية ما يسهل على الغزاة مهمتهم إذ يفتح لهم من الثغرات ما يمكنهم من النفاذ منه . وفى علوم السياسة الدولية ، فإن هذه العملية يطلق عليها وصف Destabilization وترجمته الحرفية « الإخلال بالتوازن » أو « الخلخلة » ولكن معناه يتعدى هذا الوصف المحدود الذى توحى به الألفاظ .

وكانت الأوضاع فى سوريا ـ كما سلف القول ـ جاهزة لهذه العملية تماما !

والحقيقة ـ أن هذا النوع من العمليات ـ التى توجه إلى أى طرف بقصد إفقاده لتوازنه ـ قادرة على أن تعطى لنفسها حركة ذاتية . فهذه العمليات تبدأ بالتحديد ضد طرف يشعر بوطأة الحصار ، وعندما تبدأ الخطوة الأولى فيها فإن الطرف المعرض

لهذه العملية يستجيب لها برد الفعل الذى يجىء بالطبع محكوما بكل الظروف التى هى بدورها متحكمة فيه .

إن كل موقف يخلق تداعياته الصادرة عن توزيع مراكز القوة ومواقع الضعف، فى بنيانه ، وهكذا تبرز وقت الأزمة بعض المزايا ، وتتضخم بعض المساوىء ، وتنفتح ثغرات إلى أوسع مما كانت عليه ، وتطرأ مطامح ومطامع تداعب أحلام آخرين كانوا بعيدين عن بؤر الصراع ، ولكن دوامته الدائرة بسرعة الآن وفى مناخ التوتر تشدهم إلى الحركة السريعة للتطورات واحتمالاتها .

وربما كان أوضح ما أسفرت عنه عملية إفقاد التوازن Destabilization أو الخلخلة فى سوريا فى ذلك الوقت ، هو بروز دور الحزب الشيوعى السورى .

☐

كان الحزب الشيوعى السورى من أقدم وأنشط الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى ، وكان رئيسه « خالد بكداش » من الشخصيات الحركية المشهود لها بالذكاء . لكن حجم الحزب كان محصورا بحكم أوضاع سوريا الاجتماعية بما فيها سيطرة القوى التقليدية والعشائرية والطبقية على مختلف أوجه الحياة والنشاط فيها .

وإلى جانب ذلك ، فإن الحزب الشيوعى السورى كان واقعا فى الأزمة العامة للحركة الشيوعية الدولية ـ إزاء حركة التحرر الوطنى التى قادتها عناصر تنتمى إلى الطبقة المتوسطة (الكبيرة أو الصغيرة) .

كانت الحركة الشيوعية الدولية فى عصر « ستالين » ترفض دور هذه الطبقات المتوسطة بدرجاتها المختلفة ، وفى العالم العربى فإنها لم تكن ترى فيها غير طبقة تدعى بالقومية العربية بينما مقصدها الحقيقى هو البحث عن أسواق متسعة لنشاطها الاقتصادى الذى يرتبط بمصالح الاستعمار الرأسمالى العالمى ، ومن هنا فإنها اعتبرت إسرائيل موقعا تقدميا وسط بيئة رجعية ومتخلفة .

وبعد وفاة « ستالين » ، وبعد ما حدث فى مصر ضد الاستعمار ابتداء من إجلاء الانجليز عن قاعدة قناة السويس ، وحتى كسر احتكار السلاح والتصميم على بناء السد العالى ـ فإن الاتحاد السوفيتى بدأ يراجع نفسه . وعندما قام « خروشوف » و « بولجانين » بزيارة إلى « بورما » يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٥ فإن كليهما عاد إلى موسكو بأفكار جديدة عن حركة التحرر الوطنى التى تقودها الطبقة المتوسطة فى بلدان العالم الثالث ، وبمقتضى هذه الأفكار فإن حركة التحرر الوطنى أصبحت فى رأى موسكو قوة تقدمية معادية للاستعمار وممثلة لطموحات شعوبها ، وقد عبر وزير خارجية الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت « ديمترى شبيلوف » عن هذه النظرة الجديدة بقوله لجريدة برافدا : « **إن الحركة الوطنية فى مصر قامت ضد الاستعمار ، وفى مجال التحولات الاجتماعية بتحقيق منجزات هائلة عجزت عنها الأحزاب الشيوعية طوال تاريخها ، وسوف تعجز عنها طوال عمرها ، وإن جمال عبد الناصر محق فى وضع الشيوعيين فى بلاده فى السجن لأنهم متحجرون لا يحسنون متابعة حركة التاريخ** » !

إن هذه التغييرات فى المواقف انعكست بالطبع ـ وكان لابد أن تنعكس ـ على مواقف الأحزاب الشيوعية العربية ، وفى مقدمتها الحزب الشيوعى السورى الذى وضعته تطورات الحوادث فى الشرق الأوسط ـ كما وضعت سوريا ـ فى مهب العاصفة .

ولقد تأثر هو الآخر بمثل ما تأثرت القوى الأخرى غيره بعملية إفقاد التوازن أو الخلخلة ـ وبدوره فإنه استجاب لها بردود أفعال متلاحقة صنعت حركتها الذاتية ، ويمكن لنظرة متأنية على هذه الحركة الذاتية لردود الأفعال أن تلقى الضوء على ما حدث لقوى أخرى غير الحزب الشيوعى السورى .

- **كانت العاصفة التى هبت على سوريا فى ذلك الوقت تتذرع بسيطرة الشيوعيين ، ومن ثم الشيوعية الدولية على سوريا ـ كوسيلة لإعطاء مبرر للحصار وللغزو .**
- **نتيجة لهذا أن الأضواء سلطت على الحزب الشيوعى السورى قبل غيره من القوى الظاهرة على المسرح السياسى السورى فى ذلك الوقت .**
- **ترتب على ذلك أن وكالات الأنباء والصحف راحت تتابع نشاط السيد « خالد بكداش » وتسعى إلى اجراء أحاديث معه ، ومن ثم ظهر دوره باكثر من حقيقة قوته .**
- **توافق ذلك مع إنذارات سوفيتية[٢] صدرت فى ذلك الوقت تحذر أطراف الحصار والغزو من عواقب تصرفاتهم ـ وكان صدورها طبيعيا ومطلوبا ـ ولكن ذلك بدوره أدى إلى زيادة التركيز على الحزب الشيوعى السورى ، وعلى رئيسه « خالد بكداش » .[٣]**

---

(٢) تكررت الانذارات السوفيتية فى ذلك الوقت إلى تركيا ، كما تحركت بعض وحدات الأسطول السوفيتى فى البحر الابيض فى اتجاه شواطىء سوريا تحذيرا للأطراف من اجواء مشحونة بالتوتر !

(٣) يلاحظ ان مكتب الاستعلامات التابع للسفارة الأمريكية فى القاهرة وزع نشرة مؤرخة بتاريخ ٢٧ اغسطس ١٩٥٧ عنوانها « بكداش الذى تلقى التدريب فى موسكو هو الزعيم الشيوعى الأول فى سوريا » ، وجاء فيها ما نصه :

● وبمنطق العمل السياسى ، فإن الحزب ورئيسه « خالد بكداش » انتهزا الفرصة وراح كلاهما يصدر البيانات ويدلى بالأحاديث والتصريحات لمواجهة الظرف ، وكان ذلك النشاط فى حد ذاته إيحاء بأن للاثنين دورا فى الحياة السياسية السورية يسبق أية أدوار أخرى .

● وبزيادة هذه الإيحاءات ، فإن الجماعات السياسية الباحثة عن دور والطافية على السطح بدأت تتصور أن الحزب الشيوعى هو إحدى صور المستقبل المحتمل وخياراته الممكنة فى سوريا . خصوصا وانه راح يتصدر ما بدا انه مقاومة وطنية للحصار والغزو المحتمل ، وهكذا انجذبت جماعات إليه ومن ضمنها بعض ضباط الجيش ، وكان الاسم البارز بينهم هو اللواء « عفيف البزرى » .

● فى المحصلة اصبح الحزب الشيوعى السورى مهتما بما يجرى فى الجيش السورى ، وراح يطمح إلى أن تكون فى صفوفه كتلة مؤثرة ضمن الكتل المؤثرة .

● وهذه المحصلة ادت بالحركة الذاتية إلى أن ظهور الحزب الشيوعى السورى على المسرح تحت هذه المساحة من الضوء أعطى مبررا للمنادين بالحصار وبالغزو ، اى أن ما بدأ بالادعاء راح يحقق نفسه إلى درجة ما مع الواقع بمنطق المثل العربى القائل « تخيل فخال » .

ثم تدخل الحوادث من دورة تقود بالتداعى إلى دورة ثانية .

اى أن الخطر الذى كان مدهوما بالدعاية أصبح خطراً محتملا بالادعاء .

وبدوره ، فإن الخطر الذى تحول من دعاية إلى ادعاء بدأ يزيد من درجة العصبية فى دمشق ، وراح يرفع مخاطر الاحتكاك بين كتل متناثرة لها هى الأخرى حركتها الذاتية بردود الأفعال !

وارتفعت درجة الحرارة حول دمشق وفيها .

= « كان تغلغل موسكو السياسى فى بعض مناطق الشرق الادنى الذى ظهر اخيرا فى تولى القوات العسكرية الموالية للسوفيت زمام السلطة فى سوريا ـ يتركز منذ زمن طويل فى نشاط عميلها خالد بكداش . وبكداش الذى تلقى التدريب فى موسكو منظم شيوعى محنك ومهيج جعل من قيادته فى دمشق محور الدعاية السوفيتية والمؤامرات . وتاريخ بكداش كشيوعى صريح فى ولائه لموسكو يقارن بتاريخ هوشى منه الزعيم الشيوعى فى فيتنام الشمالية الذى ظهر بمظهر الزعيم القومى حتى استولى على السلطة » .

٢

وكان « جمال عبد الناصر » فى القاهرة وعيناه على دمشق يتابع ما يجرى باهتمام يشوبه التخوف والقلق . وضاعف من أسباب تخوفه وقلقه أن إسرائيل اقدمت مرة أخرى على مناورتها التقليدية . يكون العالم العربى مشغولا بتهديد خارجى يثير ازمة داخلية ـ فإذا هى تتحرك بسرعة لتخطف لنفسها فى وسط الزحام غنيمة . وفى هذه الظروف وسوريا تحت التهديد وعواصم عربية عديدة تساعد هذا التهديد ، وتعطيه الحجج والأسانيد ـ دخلت القوات الاسرائيلية فاحتلت منطقة « جبل المكبر » فى القدس لكى تحكم الحصار حول المدينة القديمة .

وفى يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٧ قرر « جمال عبد الناصر » أن يتكلم عن الأزمة وملابساتها ، فأدلى بحديث صحفى للأهرام(٤) نقلته الإذاعة المصرية على كل موجاتها ، ونقلته أيضا وكالات الأنباء إلى عواصم العالم :

« إننى اتابع تطورات الموقف فى سوريا ، واتساءل :

■ هل انحازت سوريا حقيقة إلى المعسكر الشيوعى كما تدعى السياسة الأمريكية ؟

والجواب هو النفى قطعا .

■ هل يمكن أن تكون المسألة أن أمريكا تتصور ـ بغض النظر عن صحة هذا التصور أو بطلانه ـ أن سوريا انحازت إلى المعسكر الشيوعى ؟

والجواب على هذا ايضا بالنفى قطعا .

إن الولايات المتحدة الأمريكية لديها من إمكانيات العلم بحقائق الأوضاع فى سوريا ما يسمح لها أن تعرف كل الدقائق والتفاصيل ، ولقد قابلت بنفسى من المسؤولين الأمريكيين من يعرف زعماء سوريا جميعا ، ومن التقى بهم واحدا واحدا ، وتحدث إليهم بلغتهم الأصلية العربية

(٤) حديث مع « محمد حسنين هيكل » نشر على الصفحة الاولى من عدد « الاهرام » الصادر صباح يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٧ .

وعاش فى بلادهم يدرس ويراقب عن كثب . وليس معقولا ان يصل الخطأ فى الحكم إلى مثل هذه الدرجة التى توحى بها تصرفات السياسة الأمريكية ، وإذن لا يتبقى إلا أن تكون المسألة خطة مرسومة مدروسة تنفذ تفصيلا بعد تفصيل . »

ثم استطرد « جمال عبد الناصر » :

« إن الهدف الحقيقى للسياسة الأمريكية تجاه سوريا هو تحويل الأنظار عن الخطر الإسرائيلى ، واختراع أخطار أخرى غيره ينشغل بها اهتمام العرب . لقد كان الإجماع العربى أن إسرائيل هى خطر حقيقى على الأمة العربية ، وحاولت الولايات المتحدة بشتى الوسائل أن تجر العرب إلى صلح مع إسرائيل ، فلما فشلت هذه الوسائل جاء دور الوسيلة الجديدة وهى : خلق أخطار بديلة حتى ولو كانت أخطارا صناعية حتى يتفتت الإجماع العربى وتتفرق قواه .

ما أن كدنا نفرغ من معركة السويس وآثارها حتى بدأت نغمة الخطر الشيوعى ، ثم بدأ التركيز على مصر وسوريا ، ثم اتجهت كل قوى الضغط مرة واحدة إلى دمشق ، ثم ألقيت بضعة ملايين من الدولارات تطبيقا لمشروع ايزنهاور لتكون بمثابة الطعم الذى يلقى للصيد ، هذا فى نفس الوقت الذى تجرى فيه عملية التخويف جنبا إلى جنب مع عملية الإغراء . وهكذا بدأ تخويف الملوك والرؤساء العرب من الخطر الشيوعى ، وأن هذا الخطر محدق قريب ، وأن هذا الخطر انشب مخالبه بالفعل فى بلد من بلادهم ويوشك أن ينقض منها على غيرها ما لم يتصدوا له ويخرجوا لقتاله ، ولم تكن السياسة الأمريكية فقط هى التى تحاول أن تحقق غاياتها فى جو هذه الأزمة المصطنعة ـ وإنما لحقتها إسرائيل ، وهكذا وقف بن جوريون أمس ليقول إن الخطر الذى يواجه إسرائيل هو مصر وسوريا ، وليقول أيضا إن إسرائيل تريد فتح المجال للهجرة إليها حتى يصبح عدد سكانها اليهود ضعف عددهم الآن . واليوم يمضى بن جوريون إلى خطوة أبعد ، فيأمر قواته باحتلال جبل المكبر بالقدس .

ثم لا يوجد فى العالم العربى من يرى فى هذا كله نذيرا بالخطر . لماذا ؟ ـ لأن السياسة الأمريكية استطاعت تحويل المعركة ، فأصبح الخطر الآن فى نظر الذين انطلت عليهم الخدعة ـ قادما من سوريا ، والهجوم

المنتظر منها ، والعدو المتربص فيها ! أليست هذه هى الحال التى نراها من حولنا ؟ »

واستطرد « جمال عبد الناصر » :

« ولنأخذ مثلا عملية تزويد بعض الدول العربية الموالية للغرب بالسلاح ولنتأمل جوانبها ، فهناك ظاهرتان تسترعيان الانتباه فى هذه العملية :

□ الظاهرة الأولى : هى السرعة المسرحية التى يتم بها إرسال هذا السلاح إلى الدول الموالية للغرب ، وهذه السرعة المسرحية فى الواقع تركز تأثيرها على عملية تخويف الملوك والرؤساء وربما الشعوب أيضا ، والايحاء المقصود من السرعة هو أن الأمر عاجل وخطير ، وأن السلاح لا يستطيع أن ينتظر السفن ، ولهذا يجب أن تنطلق به الطائرات .

□ والظاهرة الثانية : أن هذا السلاح الذى يتم نقله بهذه الطريقة المسرحية بالطائرات لا يمكن بطبيعته أن يكون سلاحا ثقيلا يصلح للمعارك الحربية ، فالسلاح الذى ينقل بالطائرات لا يمكن أن يزيد عن أن يكون بعض السيارات والمعدات اللاسلكية ، وبعض المدافع الخفيفة والأسلحة الصغيرة ، فإذا لم يكن هذا السلاح صالحا لميدان القتال ، فما هو الميدان الذى يمكن أن يستخدم فيه ؟

والرد الوحيد الذى أجده على هذين السؤالين هو أن هذا السلاح موجه إلى الجبهات الداخلية فى البلاد التى يرسل إليها بالطائرات ، فهو إذن ليس موجها إلى أى عدو من الخارج ، وإنما القصد الحقيقى منه هو السيطرة على الداخل ، وكسر شوكة القومية العربية والقضاء عليها إذا كان ذلك فى نطاق المستطاع . ولم يكن أحب إلىّ من أن تعطى امريكا لمن تشاء من الدول العربية أسلحة ثقيلة ، وبكميات مؤثرة توفر لها مقتضيات الدفاع عن نفسها فى ميدان قتال حقيقى ، ولم اكن لأرى فى ذلك عيبا ، بل كنت أراه مدعاة للفخر ، فلقد حاولت بنفسى طويلا أن أقنع السياسة الأمريكية بأن تبيع سلاحا لمصر مع أنها تقدمه مجانا لاسرائيل ، ولكنى اكتشفت أننى كنت أطلب المحال ، وكانت امريكا على استعداد لأن تعطينا سلاحا يمكن استخدامه ضد الجبهة الداخلية ، ولم يكن ذلك السلاح الذى أريده وإنما كنت أريد سلاحا فعالا يستطيع

ان يدافع بكفاءة عن حدود اوطاننا . وينبغى علينا ان نتذكر امرين ونحن ندرس خطط السياسة الأمريكية الجديدة ضد سوريا :

الأمر الأول ـ ان الخطة ليست جديدة ، بل الحقيقة انها امتداد للخطة الاستراتيجية القديمة ، وإن كانت قد وجدت لنفسها الآن توجها تكتيكيا جديدا .

والأمر الثانى ـ ان الخطة كما يبدو من دراستها لا تتجه إلى سوريا وحدها ، وإنما هدفها الأصلى هو القومية العربية كلها .

لقد اختبرت السياسة الأمريكية خبرة مباشرة خلال خمس سنوات كاملة ، والنتيجة التى توصلت إليها هى أن السياسة الأمريكية تجاه العرب تسعى إلى تحقيق ثلاثة أهداف :

١ ـ تصفية الصراع العربى الإسرائيلى على اساس الأمر الواقع .

٢ ـ فرض تنظيم عسكرى يخدم المصالح الأمريكية وحدها .

٣ ـ ان تتحول الدول العربية جميعها إلى منطقة نفوذ سياسى دولى للولايات المتحدة الأمريكية . »

□

ولم يكتف « جمال عبد الناصر » بإعلان آرائه فى الأزمة ، وإنما كان عليه إلى جانب ذلك أن يتصرف عمليا . وهكذا طلب إلى العقيد « عبد الحميد السراج » رئيس الشعبة الثانية (المخابرات) فى الجيش السورى أن يجىء إلى القاهرة للقائه ، وأن يصطحب معه اللواء « عفيف البزرى » رئيس أركان الجيش السورى الذى راجت من حوله أقاويل التعاطف مع الحزب الشيوعى السورى .

ووصل الاثنان إلى القاهرة ، وقابلهما « جمال عبد الناصر » معا مساء يوم ١١ سبتمبر (بعد أيام من حديثه للأهرام) . وبدأ « جمال عبد الناصر » يسمع من الاثنين تقريرهما عن الأوضاع العامة فى سوريا ، ثم راح يوجه أسئلة حول مواقف الأحزاب السياسية ، ثم انتقل من ذلك إلى الكتل فى الجيش وتكويناتها وانتماءاتها الحزبية والسياسية . ثم انتقل إلى دور الحزب الشيوعى السورى ، وهنا توجه بحديثه بالدرجة الأولى إلى اللواء « عفيف البزرى » مضيفا انه سمع عن تعاطف اللواء « البزرى » مع الشيوعية ، وان هذا إذا صح يخلق وضعا خطيرا ابسط ما فيه أنه يعطى لأصحاب الحملة ضد سوريا مصداقية فى حربهم النفسية ضد سوريا . وكان رد اللواء « البزرى » انه متعاطف مع كل القوى المعادية



عبد الناصر
وعبد الحميد السراج

للاستعمار ، وإذا بدا انه يخص الحزب الشيوعى السورى بمعاملة خاصة ، فإن ذلك مبعثه ان الإنذارات التى يوجهها الاتحاد السوفيتى إلى القوى الاستعمارية تحدث تأثيرا كبيرا فى نفسية الشعب السورى إذ تجعله يشعر ان هناك قوة عظمى تقف وراءه وتسنده ، وهو يتصور أنه إذا وقع غزو ضد سوريا فإن الاتحاد السوفيتى يستطيع على نحو ما فعل فى معركة السويس ان يشارك فى ردع العدوان . وكانت وجهة نظر « جمال عبد الناصر » انه مع كل صداقة العرب للاتحاد السوفيتى ، فإن علينا جميعا الا ننسى انه « ليس بمقدور أى دولة عظمى ان تغامر بحرب نووية من أجل الآخرين . وان الدعم السوفيتى السياسى مهم بشرط ان نعى تماما ان مسؤولية القتال فى النهاية تقع علينا وحدنا » .

واستمر الحوار لبضع ساعات ، وكان اهم ما فيه بعد ذلك ان « جمال عبد الناصر » ابدى تخوفه من وجود كتل فى الجيش يتحكم قوادها فى معسكرات مسلحة تحت ضغوط نفسية شديدة مما قد يخلق مجالا للاحتكاك بين هذه الكتل يؤدى ـ ولو بسوء الفهم ـ إلى نقل الخلافات السياسية إلى صراعات مسلحة .

واقترح إنشاء مجلس يضم قادة هذه الكتل ، ويجتمع دوريا بحيث يكون فى مقدور كل منهم أن يتعرف على نوايا الآخرين ، وأن تكون من ذلك وسيلة للاتصال تحول دون اصطدامهم ببعضهم فى الظلام لأن ذلك إذا حدث سوف يؤدى بسوريا إلى حرب أهلية تحقق لقوى العدوان ما تريد دون أن تضطر هذه الدول إلى إطلاق رصاصة واحدة . وقال « عبد الحميد السراج » إن هذا الاقتراح كان موضع تفكير بالفعل ، وأنهم قبل أيام قليلة جربوا عقد اجتماع موسع يضم ٢٤ ضابطا من كل الاتجاهات . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن هذا الاجتماع يجب أن يتكرر ، وأن يصبح أطرافه مؤسسة مؤقتة حتى تنجلى الأوضاع .

وانتقل الرئيس « جمال عبد الناصر » بعد ذلك إلى مناقشة توزيع القوات السورية على الجبهات المحتملة للتهديد ، ثم طرح للبحث تقريرا للمخابرات العسكرية المصرية عن الحشود التى تواجه سوريا على الحدود مع تركيا والعراق . وبدا واضحا من المناقشة التى دارت بعد ذلك عن الاحتمالات العسكرية أن توزيع القوات السورية غير كاف ، خصوصا وأن قادة الكتل العسكرية فى الجيش مصرون على الاحتفاظ لكل منهم ببعض قواته قرب العاصمة حتى يحتفظ بدوره السياسى وقدرته على التأثير فيه .

□

وفى اليوم التالى قام « جمال عبد الناصر » بدعوة هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى الاجتماع به . وطرح عليهم أفكاره عن الأوضاع فى سوريا ، ثم أضاف إلى ذلك اقتراحا طلب إليهم دراسته .

كان تفكيره على النحو التالى :

١ – إن سوريا تواجه تهديدا عسكريا لا شك فيه ، وأن بروز هذا التهديد يخلق فى دمشق حالة من العصبية يمكن أن تؤدى إلى تصرفات غير محسوبة تفتح ثغرة لخطط العدوان .

٢ – إن الجيش السورى فى حالته الراهنة سواء بحجم قواته ، أو بدرجة انقسام الكتل فيه ، أو بتعدد مصادر التهديد أمامه يشعر بوحدة شديدة تساعد حالة العصبية السياسية العامة .

٣ – إن الجيش السورى والشعب السورى معا لا يصح أن يتركا فى هذه الظروف تحت توهم أن النصير الوحيد المرتجى لهم فى حالة تحقق العدوان هو الاتحاد السوفيتى واية إنذارات سياسية تصدر عنه . وأن هذه الإنذارات قد تشجع أقوالا وأفعالا غير مسؤولة دون أن يكون عليها التزام محدد فى حالة الخطر .

٤ – إن الامة العربية كلها تتابع ما يجرى فى سوريا بقلق لا يجد سبيلا إلى طمانينة يتاكد معها توازن التصرفات .

وكان اقتراح « جمال عبد الناصر » بعدها – وتنفيذا لاتفاقية الدفاع المشترك الخاصة بين مصر وسوريا – هو ان تطورات الموقف ربما تحتم على مصر ان تقوم بإرسال قوات مصرية إلى هناك ، وأن ذلك فى حد ذاته سوف يخلق شعورا بالاطمئنان فى سوريا ، ثم إن وصول مثل هذه القوات من ناحية أخرى يلاشى تأثير انقسامات الكتل بين الضباط فى دمشق ، إلى جانب انه إعلان للأمة العربية وللعالم أن سوريا لن تقف فى اى معركة محتملة وحدها .

وفى صباح ١٤ سبتمبر حضر اللواء « عفيف البزرى » اجتماعا مع اللواء « عبد الحكيم عامر » شارك فيه عدد من أعضاء هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية ، وبحثوا احتمالات التهديد على سوريا ، وخلصوا فى اجتماعهم إلى مجموعة من النقط أهمها :

١ – أن إسرائيل ما زالت هى العدو الأساسى ، وأن الخطط العسكرية الدفاعية لمصر وسوريا ينبغى أن تعد لمواجهة خطرها .

٢ – أنه ليس من المرجح أن تستطيع تركيا تحريك قواتها ضد سوريا لأن معنى ذلك أنها تكشف جبهتها الطويلة مع الاتحاد السوفيتى .

٣ – أنه ليس من الضرورى حشد قوات عسكرية كبيرة على حدود سوريا مع اى دولة من الدول العربية الموالية للغرب لأن هذه الحكومات مهما بالغ حكامها فى ولائهم للغرب لا يستطيعون مواجهة شعوبهم ، ولا إصدار الأمر لجيوشهم بالتوجه لقتال الجيش السورى . وأنه على فرض أن أى جيش عربى اتجه إلى حدود سوريا ، فلا ينبغى مواجهته بالسلاح .

ومع ذلك فلابد من التحوط لكل الاحتمالات .

وفى أواخر شهر سبتمبر كانت هيئة أركان حرب القوات المصرية قد أعدت خطة للعمل ، وفى يوم ١٣ اكتوبر ظهر أمام ميناء « اللاذقية » فى شمال سوريا أسطول مصرى يضم بضع ناقلات للجنود وثلاث مدمرات ، ونزلت إلى الشاطىء منها قوات مصرية تشكل فى مجموعها لواءين كاملين تصحبهما أسلحتهما الثقيلة من المدفعية والمدرعات . وحين اذيع نبا نزول قوات من الجيش المصرى إلى سوريا كانت

الأصداء فى دمشق مدوية ، وكانت الأصداء فى العالم العربى مثيرة ، وكانت موازين القوى فى الشرق الأوسط قد اختلفت .

□

لم تكن آثار وصول الجيش المصرى إلى سوريا مقصورة على دمشق ، ولا على غيرها من العواصم العربية فقط ، وإنما كانت هذه الآثار تحمل إلى العالم حقائق استراتيجية جديدة فى موازين القوى فى الشرق الأوسط :

- **من ناحية كان معنى هذه الخطوة أن كلا من مصر وسوريا قد أصبحتا جبهة عسكرية واحدة لأول مرة منذ أيام « صلاح الدين » و « محمد على » .**

- **ومن ناحية ثانية ، فإن هذه الجبهة الواحدة كانت تسيطر وراء خطوطها على كل ممرات البترول فى المنطقة ، أى قناة السويس فى مصر ، وخطوط نقل أنابيب البترول فى سوريا .**

- **ومن ناحية ثالثة ، فإن ثقل حركة القومية العربية الذى كان يرتكز على القاهرة قد اتسع بشكل هائل ، فامتد ليشمل سوريا أيضا . وترتب على هذا مباشرة أن الضغط الذى كان واقعا على أصدقاء الولايات المتحدة فى المنطقة قد ازداد فى وزنه وفى تأثيره بطريقة درامية .**

وفى المحصلة النهائية ، فقد كان معنى ذلك أن مشروع « ايزنهاور » من أساسه قد تلقى ضربة قاضية ، ولم يكن ذلك بالأمر السهل الذى يمكن للولايات المتحدة وأصدقائها فى المنطقة أن يتقبلوه بسهولة .

[ولعل « جمال عبد الناصر » أراد أن يفتح منفسا لبعض البخار المضغوط ، فقد طلب منى صباح اليوم التالى أن أتوجه إلى مقابلة السفير الأمريكى « ريموند هير » وأن أبلغه رسالة منه (الرئيس « عبد الناصر ») مع رجاء إبلاغها إلى الرئيس « ايزنهاور » خلاصتها : « ارفعوا أيديكم عن سوريا » . وكان مجمل رسالة « عبد الناصر » إلى « ايزنهاور » بعد ذلك هو « أنه إذا كانت الولايات المتحدة تخشى الشيوعيين فعلا فى دمشق ، ولا تتخذ ذلك تكئة لأهداف أخرى ـ فإن خير ما تستطيع أن تفعله الآن هو أن ترفع يدها عن سوريا ، فاستمرارها فى الضغط على هذا النحو الغليظ لن يكون له أثر إلا دفع سوريا إلى المجهول . ثم إن سوريا لن تسقط للشيوعية الدولية أو لغيرها من القوى فى العالم ، وإن هذه ليست فى كل الأحوال مسؤولية الولايات المتحدة ، وإنما هى مسؤولية الحركة القومية العربية » .]

وفى كل الأحوال ، فإن المواقف المستجدة راحت تفرض حركتها الذاتية بالأفعال وردود الأفعال ، فنزول القوات المصرية فى سوريا خلق حالة من الفوران فى العالم

العربى ، وفى سوريا على وجه التحديد ، وفى مواجهة هذا الفوران فإن القوى التى كانت ترتب وتدبر للعدوان على سوريا راحت تشدد ضغوطها ، وفى هذا المناخ المشحون ارتفعت الأصوات المطالبة بالوحدة بين مصر وسوريا .

٣

ولم تكن المطالبة بالوحدة بين مصر وسوريا فكرة جديدة . فلقد بدأ طرحها منذ المعركة ضد حلف بغداد ، وبعد معركة السويس فإن الإلحاح عليها بدأ يشتد يوما بعد يوم خصوصا فى مواجهة أخطار مشتركة بين البلدين .

وفى أواخر سنة ١٩٥٦ طرح الرئيس « شكرى القوتلى » مشروعا لاتحاد فيدرالى تحت اسم « الدول العربية المتحدة » يضم مصر وسوريا كنواة ، ويكون بابه مفتوحا لانضمام أية دولة عربية أخرى ترغب فى ذلك .

وفى فبراير سنة ١٩٥٧ وفى أثناء المناقشات المحتدمة حول مشروع « ايزنهاور » طرح السيد « صبرى العسلى » رئيس وزراء سوريا على « جمال عبد الناصر » اقتراحا بإقامة وحدة بين مصر وسوريا .

وفى شهر يوليو سنة ١٩٥٧ ، وخلال معركة الضغط الشديد على سوريا ، اتخذ مجلس الوزراء السورى قرارا بطلب إقامة اتحاد فيدرالى مع مصر .

وفى أثناء زيارة وفد برلمانى مصرى برئاسة « أنور السادات » لسوريا فى شهر نوفمبر ١٩٥٧ وفى أعقاب نزول الجيش المصرى فى اللاذقية ـ اتخذ البرلمان السورى قراراً بإعلان إرادته فى الوحدة بين البلدين ، وأعقب ذلك زيارة وفد برلمانى سورى إلى مصر ، وفى حضوره اتخذ مجلس الأمة المصرى قرارا بالاستجابة لرغبة البرلمان السورى بالوحدة .

كان الجو معبأ بنداءات الوحدة ، وبالدعوة إليها باعتبارها أملا مرتقبا ، وتأمينا ضروريا للبلدين فى مواجهة خطر مشترك .

وأحس « جمال عبد الناصر » أن العجلة تدور بأسرع مما كان مستعدا له . وفى



وبرت أندرسون — كيرميت روزفلت — كيسليف

بداية شهر يناير ١٩٥٨ قرر إيفاد مبعوث خاص هو اللواء « حافظ اسماعيل » إلى دمشق لكى يقوم بنقل وجهة نظره إلى المجلس العسكرى الذى يضم زعماء الكتل فى الجيش السورى . وكانت نداءات الوحدة قد بدأت تصل إليهم ، وراحوا بدورهم يندفعون فى تيارها . **وكانت وجهة نظر « جمال عبد الناصر » تتلخص فى أنه يوافق على الوحدة بين مصر وسوريا ، ولكنه يرى أن هذه قضية أخطر بكثير من مجرد إجراء يتخذ لمواجهة أزمة طارئة معينة ، وأن الوحدة لكى تقوم على أساس سليم ينبغى أن يجرى الإعداد لها بعناية ، وفى تقديره أن هذا الإعداد يقتضى فترة لا تقل عن خمس سنوات . وكان الاتجاه الواضح بين أعضاء المجلس العسكرى هو أنه فى الظروف الحالية ، فإن البدء بالوحدة قد يكون أدعى للسلامة على أن تحل المشاكل الضرورية لمرحلة الإعداد فى اثناء قيام دولة الوحدة وفى ظلها .**

وكانت الأمور فى دمشق تتحرك بسرعة ، فإن وصول القوات المصرية إلى سوريا ، ووجود خطة عسكرية مطروحة للدفاع عن حدودها إزاء مخاطر متعددة المصادر ــ فرض إجراء تحركات واسعة النطاق لتشكيلات الجيش السورى ، ولم يكن قادة الكتل المتنازعة فى الجيش السورى على استعداد لتنفيذ هذه التحركات التى كان من شأنها تجاوز انقسامات الكتل وتربصها ببعضها .

وعقد المجلس العسكرى الممثل لكل الكتل فى الجيش السورى اجتماعات متواصلة ، وكانت المخاوف الذاتية تغالب الخطر الماثل وضروراته ، وتأزم الموقف

واشتدت درجة حروجته إلى الحد الذى دعا بعض قادة الكتل إلى إعلان حالة الاستنفار فى وحداتهم التى تواجه بعضها البعض ، وأكثر من ذلك فإن بعض قادة هذه الكتل قضوا ليالى بأكملها ساهرين داخل وحداتهم مخافة أن تسبقهم كتلة أخرى إلى حركة مفاجئة . ثم تنادى الجميع إلى اجتماع لحل الموقف الشائك والدقيق بينهم ، وتداعياته المحتملة والخطرة على الأمن الوطنى لسوريا ، والأمن القومى بصفة عامة ــ **وإذا بالرأى الغالب بينهم أن أحدا منهم لا يستطيع أن يطمئن إلا بتسليم مقاليد الأمور جميعا إلى « جمال عبد الناصر » فهو وحده القادر على الفصل بين الأطراف المتعارضة ، والتى استحكمت الشكوك بين بعضها البعض . ولم ينفض الاجتماع إلا وقد طلب المشاركون فيه إعداد طائرة خاصة تحملهم إلى القاهرة لمقابلة « جمال عبد الناصر » لكى يمسك بنفسه بزمام الأمور ، ويتولى حسم المواقف ، ويقبل بوحدة فورية بين البلدين تنقل إليه مسؤولية المصائر وتحمله وحده تبعة توجيهها .**

وكان الوقت منتصف الليل فى دمشق !

□

كانت طائرة الوفد العسكرى السورى فوق مطار القاهرة فى الساعة الثانية من منتصف الليل يوم ١١ يناير ١٩٥٨ . وكان ركابها أربعة عشر ضابطا من أعضاء المجلس العسكرى[٥] ، وكانوا يحملون معهم مذكرة بطلب الوحدة الشاملة الفورية وقعوا عليها جميعا قبل سفرهم من دمشق ، وانتهت إلى القول بالنص : « **إن القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة السورية ، شعورا منها بمسؤوليتها القومية ودورها التاريخى ووفاء منها للشعب العربى فى سوريا الذى حملها مسؤولية الدفاع عن بقائه وسلامته لتعلن أن كل وحدة لا تنبنى على الأسس السابقة الذكر ــ ليست إلا تحالفا بين جيشين تابعين لدولتين منفصلتين ، ذلك أن متطلبات الدفاع وسلامة الأمة وحفظ كيانها فى عصرنا الحاضر تقتضى دمج الشعوب العربية المتحررة فى كيان واحد لتساهم فى تحرير بقية الوطن العربى ، وتقوم بواجبها لصون السلم العالمى .**

كما تعلن القيادة العامة باسم جميع القوات المسلحة أنها على أتم استعداد لتحمل جميع الواجبات الدفاعية التى تقتضيها الوحدة الفورية ، وتعتبر نفسها منذ الآن ملزمة بتنفيذ كل ما تتلقاه من أوامر وتوجيهات تعطى إليها من القيادة العامة الموحدة مهما ترتب على هذا التنفيذ ، وفى الوقت نفسه

---

(٥) المجلس بكامل هيئته يتكون من ٢٤ عضوا .

تحمل كل حكومة او فئة تتهاون فى تنفيذ هذه الوحدة خطورة ونتيجة عملها تجاه الشعب العربى بأسره ، وتجاه الأجيال العربية الصاعدة » .

وأحدث وصول طائرة الوفد إلى مطار القاهرة ونزول هذه المجموعة من الضباط السوريين منها ارتباكا فى مطار القاهرة ، وجرى الاتصال على عجل باللواء « عبد الحكيم عامر » ، وكان فجر يوم ١٢ يناير قد بدأ فى الطلوع ، وأشار « عبد الحكيم عامر » على أعضاء الوفد بأن يتوجهوا إلى قصر « الطاهرة » لكى يناموا فيه بضع ساعات للراحة ، وبعدها فإنه سوف يكون مستعدا للقائهم .

كان « جمال عبد الناصر » فى أسوان فى صحبة ضيفه « أحمد سوكارنو » رئيس جمهورية « اندونيسيا » والذى كان يقوم بزيارة رسمية إلى مصر فى ذلك الوقت . واتصل « عبد الحكيم عامر » بالرئيس « جمال عبد الناصر » فى أسوان ، وطلب « عبد الناصر » من « عبد الحكيم عامر » أن يقابلهم ، وأن يستمع إليهم ، ثم يخبرهم أنه ـ أى الرئيس ـ سوف يقابلهم فور عودته من أسوان .

والتقى اللواء « عبد الحكيم عامر » يوم ١٤ يناير بمجموعة الضباط السوريين الأربعة عشر واستمع إليهم مطولا ، ولم يبد رأيا فيما سمع مكتفيا بالقول بأن « الرئيس سوف يسمعهم ، ويتحدث إليهم برأى مصر فيما يطرحوه » .

وفى اليوم التالى ١٥ يناير ، وفى الساعة الثامنة مساء استقل أعضاء الوفد سيارات وضعت تحت تصرفهم متوجهين من قصر « الطاهرة » إلى بيت « جمال عبد الناصر » فى منشية البكرى . وجلسوا فى نصف دائرة حوله ومعهم « عبد الحكيم عامر » وبدأوا بتقديم المذكرة المكتوبة التى حملوها معهم من دمشق موقعة من كل أعضاء المجلس العسكرى بطلب الوحدة الفورية . وأمسك « جمال عبد الناصر » بالمذكرة ، ووضعها تحت منفضة على مائدة أمامه قائلا لهم : « **إن الموضوع أخطر من اية أوراق أو مذكرات . وأنا سمعت من عبد الحكيم ملخصا عما تحتويه هذه المذكرة ، ولن اقرأها امامكم الآن وإلا كنا نقفز إلى النتائج دون أن نتحرى مقدماتها وأسبابها** » . ثم أضاف : « **إننى ارسلت لكم وجهة نظرى فى موضوع الوحدة ، واننا لسنا مستعدين لها قبل خمس سنوات ، ولا أعرف ما الذى استجد خلال الأسبوعين الأخيرين بما يدعوكم الآن إلى المطالبة بالوحدة الفورية ؟** » .

وبدأوا يتكلمون[٦] .

(٦) المحضر الكامل لوقائع الاجتماع فى الملف رقم ٣٧٤ (شؤون عربية) الذى كان محفوظا فى ارشيف منشية البكرى ، وهو مكتوب بخط اليد ، وفى الأرجح ان كاتبه هو احد كبار الضباط المصريين من هيئة اركان الحرب الذين كانوا يقومون بدور ضباط الارتباط مع الوفد العسكرى السورى .

وصفوا حالة الفرقة بينهم ، وقد ادت إلى إعلان حالة الاستنفار الدائمة فى الثكنات لأن كلا منهم يتوجس من الآخر « **والبلد يمكن أن تضيع فيما بينهم** » . ثم وصفوا حالة الانقسام بين الأحزاب السورية التى نزعت اتجاهاتها السياسية إلى درجة توشك أن تحدث فتنة ، ثم تحدثوا عن تسلل بعض الشيوعيين إلى أعصاب حساسة داخل سوريا ، وعن نشاط خالد بكداش الذى حول حى الأكراد فى دمشق إلى قلعة مسلحة لا يجسر على الاقتراب منها غريب .

ثم تحدثوا عن أسلحة تقوم أجهزة الأمن فى حلف بغداد بتهريبها عبر الحدود إلى سوريا فى نفس الوقت الذى تتكاثف فيه الحشود العسكرية على الحدود التركية والعراقية مدفوعة بتحريضات أمريكية سافرة .

ثم تحدثوا عن الشخصيات السورية السياسية « المتهالكة » فى رأيهم ، وأن كلا منهم قد باع نفسه لعاصمة عربية ، أو أجنبية تدفع له الأموال الطائلة بما يؤدى إلى ان سوريا أصبحت وطنا معروضا للبيع .

كان « جمال عبد الناصر » يصغى باهتمام . وحين أحس أنهم قد أفرغوا همومهم أمامه بدأ يتكلم قائلا :

« **لابد أن أقول لكم إن كل ما سمعته منكم لا يبرر قيام وحدة ، فما ذكرتموه جميعا لا يخرج عن كونه أسبابا سلبية ، وهذه الأسباب السلبية سوف تكون عبئا على الوحدة أكثر مما تكون قوة دافعة لها** » . ورد أحدهم قائلا : « **ولكن الشعب فى سوريا كله يطلب الوحدة ، والوحدة هى المطلب الدائم بالنسبة للشعب السورى ، والوحدة مع مصر بالذات هى التيار الكاسح فى سوريا الآن** » .

وتدخل ضابط آخر من بينهم يقول : « **إن الناس فى سوريا يحسون أنهم مقبولون على الوحدة ، وأن مصر تصدهم . ومجلس النواب السورى اتخذ قرارا بالوحدة مع مصر ، ولكن مجلس الأمة المصرى لم يستجب ، وإنما ظل أسابيع طويلة مترددا ومحجما دون أن يجيب عمليا على النداء الموجه إليه من المجلس النيابى السورى . وبأمانة فإن هذا وضع جارح للمشاعر الشعبية فى سوريا** » .

ورد « جمال عبد الناصر » قائلا : « **إننى لست فى حاجة إلى أن أؤكد لكم اننى وحدوى بمشاعرى وتفكيرى ، لكن الوحدة ليست عملا سهلا . ولست أخفى عليكم أننا بدأنا بالكاد بعد معارك عنيفة ضد الاستعمار نوجه كل طاقتنا لبناء مصر ، وأملى فى بناء مصر هو أن تكون قاعدة قوية من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لنضال بقية الشعوب العربية . إن أملى أن نجعل من**

مصر نموذجا لامكانيات العمل الوطنى ، وبرغم ما فى ذلك من مشقة فاعتقادى أن هذا هو طريقنا الوحيد ليس فقط لتطوير مصر ، ولكن للوحدة ايضا . فعندما نجعل من مصر بلدا نواة لامكانيات التطور العربى ـ فإن ذلك سوف يكون له أثره فى تدعيم الدعوة إلى الوحدة عمليا وواقعيا وإيجابيا » . وقاطعه أحد الضباط قائلا : « سيادة الرئيس . تريد أن تعمل لمصر وتترك سوريا التى علقت آمالها على مصر وعليك . أنا أقول وأمرى إلى الله إنك بذلك تتخلى عن دعوة القومية العربية من أجل مصر وحدها » .

وابتسم « جمال عبد الناصر » ثم قال لمحدثه : « ما دمت قد آثرت أن تتكلم معى بهذه الصراحة ، فلا بد لى أن أبادلك القول بمثلها . فاذا تكلمنا بوضوح ، فلا بد لى أن أقول لكم إننى أعرفكم جميعا ، وأعرف حسن مقاصدكم ، ولكن لدىّ سؤالا واحدا محددا يلح علىّ منذ أن بدأتم تتكلمون ، وسؤالى هو : ما هى صفتكم التى تبيح لكم أن تتحدثوا معى فى هذا الأمر ، وأنتم غير مسؤولين سياسيا ؟ وسؤال آخر : هل تعرف الحكومة فى دمشق أنكم سوف تتحدثون معى عن الوحدة ؟ وإذا كانت تعرف ، فلماذا لم يوضع الأمر فى إطاره السياسى الشرعى الصحيح ؟ وإذا كانت الحكومة لا تعرف ، فمن حقى إذن أن ألح على سؤالى وهو من أنتم وما هى صفتكم ؟ ـ هل يعرف الرئيس شكرى القوتلى بما جئتم تحدثوننى فيه ؟ » ورد أحد الضباط قائلا : « إننا بعثنا أمين النفورى (أحد أعضاء المجلس العسكرى ونائب رئيس هيئة أركان حرب الجيش) إلى شكرى القوتلى ليخطره بأننا هنا ، وليحيطه علما بالسبب الذى جئنا من أجله وهو يمثل رأى الجيش ، وليس أمام شكرى القوتلى إلا أن يقبل ، فهو لا يستطيع أن يعارض اى شىء نطلبه » . ومد « جمال عبد الناصر » يده وأمسك بالمذكرة التى كان قد وضعها تحت المنفضة على المائدة ، وقال : « متأسف . إننى لا استطيع أن أقبل هذه الأوضاع ، وأنا أعرف أنكم تمسكون بأيديكم بزمام القوة الحقيقية فى سوريا . ولكنى من ناحيتى لا أقبل فى مثل هذه الأمور أن أتحدث ، أو أبحث إلا مع حكومة مسؤولة شرعيا ودستوريا » .

وساد الصمت . ثم قطعه أحد الضباط بقوله : « سيادة الرئيس . هل نعطينا وقتا نتصل بالحكومة ؟ سوف نبعث إذا وافقت برسول منا بالطائرة إلى الحكومة يعرض عليها الموقف ويستطلع رأيها ، وسنبقى نحن هنا حتى يعود الرسول برأى الحكومة الرسمى . ولا نريد أن نمشى من هنا إلا ونحن نعرف قرارك إلى أين بالتحديد » .

ودعاهم « جمال عبد الناصر » إلى الانتقال معه إلى مائدة العشاء ، وأن يتحدثوا معه فيما يشاءون إلا موضوع الوحدة .

وفى الفجر قامت طائرتهم من القاهرة متوجهة إلى دمشق . وفى عصر اليوم ذاته عادت الطائرة ، وعليها الأستاذ « صلاح البيطار » وزير الخارجية السورية ممثلا رسميا للحكومة فى دمشق .

□

كانت دمشق فى حالة ارتباك شديد . فقد فوجىء الرئيس « شكرى القوتلى » عندما علم بسفر الضباط إلى القاهرة ، واطلع على مذكرتهم بطلب الوحدة . وكان تعليقه الأول أن هذا انقلاب عسكرى سافر على السلطة . ثم تمالك أعصابه بعد قليل ليقول إنه هو أول المطالبين بالوحدة ، وأنه فى خطابه يوم إعلان الاستقلال كان هو القائل وهو يرفع العلم السورى بأنه يتمنى أن يعيش إلى اليوم الذى يرفع فيه علم الوحدة فوق علم الوطن . ثم بدأ يهدأ أكثر ، ويقول إنه هو الذى كان يجب أن يسافر إلى القاهرة ، وأن يبحث الموضوع مع « جمال عبد الناصر » . وأبدى الرئيس « القوتلى » بعد ذلك ارتياحه عندما علم بما دار بين « جمال عبد الناصر » وبين الضباط الذين سافروا إلى القاهرة ، وكيف أن « جمال عبد الناصر » أصر على أنه لايستطيع أن يبحث الأمر إلا مع الحكومة الشرعية المسؤولة فى دمشق .

ولقد أدرك الرئيس « القوتلى » بالتأكيد أن زمام الموقف قد أفلت من يده ، وأنه ليس فى وسعه غير أن يساير اتجاه الحوادث أو يتنازل عن الرئاسة ، وفى هذه الحالة فإنه سوف يضع نفسه فى موقف المعارض لمطلب الوحدة . وهكذا وافق على سفر وزير الخارجية الأستاذ « صلاح البيطار » رغم أن علاقاته بحزب البعث الذى يحتل فيه « صلاح البيطار » موقعا قياديا كانت مفعمة بالشكوك التى تصل إلى حد الكراهية .

ولم يلتق الأستاذ « صلاح البيطار » بـ « جمال عبد الناصر » يوم وصوله إلى القاهرة . فإن « جمال عبد الناصر » كان يريد قبل مقابلة الممثل الرسمى للحكومة السورية أن يبحث القضية المطروحة بتأن وهدوء . كان يدرك منذ اللحظة الأولى أن الظروف تفرض عليه أن يقبل شكلا من أشكال الوحدة . فعدم القبول كان يعنى فى هذا المناخ احتمال دفع سوريا إلى انفجار من الداخل لا يمكن تطويق نتائجه لا على مستوى الجيش السورى ، ولا على مستوى الشعب الذى بدأ يعرف بما يجرى فى القاهرة ، وراحت مظاهراته العارمة تجتاح كل المدن السورية بلا استثناء منادية بالوحدة ، ومرددة هتافا واحدا : « **بدنا الوحدة باكر باكر** . . . »

وفى يوم ١٦ يناير كان مجلس الأمة المصرى يقيم احتفالا بذكرى إصدار دستور ١٦ يناير ، وأقام السيد « عبد اللطيف البغدادى » مأدبة عشاء دعا إليها مجموعة الضباط السوريين الموجودين فى القاهرة وقتها ، ومعهم الأستاذ « صلاح البيطار » . وأحدث وجودهم فى احتفال المجلس جوا ملتهبا من الحماسة ، وحين دخل « جمال عبد الناصر » إلى مبنى المجلس ليشارك فى الاحتفال فوجىء بأن المجلس كله قد تحول إلى مظاهرة عارمة تطالبه بالوحدة . وتقدم الأستاذ « صلاح البيطار » من الرئيس « جمال عبد الناصر » يقول له : « **لقد جئت ممثلا للحكومة السورية أحمل طلبا رسميا منها بإقامة دولة الوحدة** » . وكان هذا على مسمع من الجميع . وانفجرت القاعة حماسة إلى درجة أن كثيرين فيها أجهشوا بالبكاء وانتابت بعضهم نوبات هستيرية ، فإذا صراخهم يتعالى بطلب الوحدة فورا . واستطاع « جمال عبد الناصر » تهدئة المشاعر بأن قال لـ « صلاح البيطار » ولمجموعة الضباط الذين أحاطوا به بأنه سوف يجتمع بهم غدا ، لكنهم أصروا على أن يجتمعوا به فى نفس الليلة ليسمعوا قراره لأنه من الضرورى بالنسبة لهم أن يعودوا إلى وحداتهم ، وإلا فإن حماسة الموقف قد تتولد منها شرارة فى جو ملتهب بالعاطفة . وانتهى العشاء قبل منتصف الليل بقليل ، وتوجه « عبد الناصر » إلى بيته ووراءه رتل من السيارات يقل وزير خارجية سوريا والممثل الرسمى لحكومتها ، وأربعة عشر ضابطا سوريا يمثلون الكتل المتحكمة فى الجيش السورى والحاكمة فعلا فى دمشق ، وعددا من المسؤولين المصريين .

وفى الساعة الثانية عشرة والربع بعد منتصف الليل كانوا جميعا جالسين حول « جمال عبد الناصر » فى صالون بيته ـ فى نفس المواضع التى كانوا فيها قبل ليلتين تماما . ولم ينتظر بعض الضباط حتى يجلس الكل على مقاعدهم ، وإنما بادر أحدهم بالقول : « **سيادة الرئيس . إنك رفضت أن تستمع إلينا ، وطلبت الرأى الرسمى للحكومة . وقد جاء وزير الخارجية يحمله** » . وبدأ « صلاح البيطار » دون انتظار يقول كلمته : « **إن الحكومة السورية تريد إتمام الوحدة كمطلب شعبى وقومى دائم ، وكطريق لا بديل غيره إلى استقرار سوريا** » . **ومضى « صلاح البيطار » يشرح ما لديه . فعرض لحديث طويل عن ضرورة الوحدة ومطلبها . ثم تحدث عن الظروف العربية والدولية والداخلية التى تجعل اللحظة مناسبة تماما « للفعل الوحدوى » على نص تعبيره لأنه أصبح فوق كونه حلما ضرورة مصير .**

وبدأ « جمال عبد الناصر » يبدى بعض التحفظات . وتدافع أربعة عشر ضابطا سوريا إلى الحديث يعرضون كل ما لديهم من حجج وآراء ، و « جمال عبد الناصر » يناقش ويرد ، وفى الساعة الخامسة والربع صباحا نظر فى ساعته ، وقال : « **إن الفجر**

قد طلع فعلا ونحن هنا ما زلنا نتكلم . وأظن أننى الآن مطالب بأن أقول لكم رأيى النهائى » . وسكت الجميع وتعلقت أبصارهم به ينتظرون ما بدا لهم أنه حكم مصير . وقال « جمال عبد الناصر » :

« **إننى مستعد لقبول المبدأ . وأنا أقبله تحقيقا لمطلب الشعب السورى ، وبصراحة لأننى أخشى على سوريا أن تضيع . ولكن لدىّ ثلاثة شروط ، وأنا أعرف مقدما أن بعضها صعب ، ولكنها بالنسبة لى لا تقبل أنصاف حلول :**

١ ـ أن يجرى استفتاء شعبى على الوحدة فى مصر وسوريا حتى يقول الشعبان فيهما رأيهما الحر ، ويعبران عن إرادتهما واختيارهما .

٢ ـ أن يتوقف النشاط الحزبى السورى ، وأن تقوم كل الأحزاب السورية دون استثناء بحل نفسها .

٣ ـ أن يتوقف تدخل الجيش فى السياسة توقفا تاما ، وأن ينصرف ضباطه إلى مهامهم العسكرية ليصبح الجيش أداة دفاع وقتال ، وليس أداة سلطة فى الداخل وسيطرة . ومعنى هذا « على المكشوف » أن كل قادة الكتل وأولهم أعضاء المجلس العسكرى جميعا عليهم أن يخرجوا من صفوف الجيش ليشتغلوا بالسياسة لأنهم بالفعل مشتغلين بها .

هذه هى شروطى » .

وسكت وساد الصمت عدة ثوان . وأحس « جمال عبد الناصر » أنهم جميعا مأخوذون بالمفاجأة ، وأنه من المناسب أن يواصل حديثه تفصيلا ليعطيهم وقتا لتمالك الأعصاب ، وهكذا استطرد ليقول :

« **إننى أعلم أنكم ستوافقون على شرط الاستفتاء الشعبى ، لكن الشرطين الثانى والثالث فى اعتقادى لا يقلان أهمية عن شرط الاستفتاء . إن الأخ صلاح البيطار هنا معنا وهو ممثل لحزب البعث . وحزب البعث من أكبر الأحزاب السورية . ثم من ناحية أخرى أنتم هنا ١٤ ضابطا تمثلون كتلا مختلفة فى الجيش ، وهذه الكتل أقرب إلى أن تكون أحزابا مسلحة منها إلى تشكيلات عسكرية . وسؤالى هو لصلاح البيطار أولا : هل حزب البعث على استعداد لأن يحل نفسه ويوقف نشاطه الحزبى ؟ ثم سؤالى لكم ثانيا : هل تقبلون الابتعاد عن السياسة والخروج من الجيش ، وهل يقبل ذلك بقية زملائكم ؟ إن ما أقوله لكم هو ما فعلته فى مصر حتى مع الذين خرجوا معى ليلة ٢٣ يوليو ليقوموا بالثورة . لقد قلت لهم جميعا إنه باشتراكهم فى الثورة قاموا بعمل سياسى ، وهو**

عمل سياسى وطنى يستحق التقدير ، ولكنهم بعده لم يعودوا صالحين لنظم الجيش وتقاليده ولضرورة تسلسل القيادة فيه حتى تظل له كفاءته القتالية .

إن الذين كانوا معى فى اللجنة التأسيسية لحركة الضباط الأحرار خرجوا معى من الجيش ، وأصبحوا وزراء سياسيين ، والذين شاركوا فى عملية الثورة طلبت منهم أن يبتعدوا عن الجيش ، وأن يبدأوا أدوارا جديدة فى الحياة المدنية » .

وكان « جمال عبد الناصر » قد نقل رسالته كاملة ، فتوقف وسأل : « هذا ما أرى ، فهل أنتم على استعداد له ؟ »

وتحمس بعض الضباط قائلين : « إنهم يفعلون ما يأمرهم به الرئيس » .

وقال السيد « صلاح البيطار » : « إنه سوف يعود فى شأن ما سمع إلى قيادة حزب البعث » .

وقال « جمال عبد الناصر » : « لقد طلع نور الصباح فعلا ، فاذهبوا الآن وحاولوا أن تفكروا ، ولكن ناموا أولا قبل أن تفكروا وخذوا وقتكم فى التفكير » .

□

كانت الحوادث طوفانا لا يقدر على احتجازه سد أو خزان ، وجرت الحوادث تتدفق أمواجا بعد أمواج .

سافر معظم الضباط إلى دمشق ، وهناك لم تتوقف مناقشاتهم ساخنة ملتهبة فى بعض الأحيان ـ وفى نهاية المطاف قبلوا بشروط « جمال عبد الناصر » وقاموا بإيفاد « عبد الحميد السراج » لإبلاغه بتصميمهم على انهم يقبلون بما يشاء فى سبيل الوحدة الشاملة ، وكان رأى « عبد الحميد السراج » أن الموقف لم يعد فيه خيار ، فإما الوحدة بين مصر وسوريا ، وإما الطوفان !

وسافر « صلاح البيطار » واجتمعت قيادات حزب البعث ، وجرت مناقشات أشبه بمبارزات السيوف ـ ثم أعيدت السيوف إلى أغمادها تسليما بأنه لا حل آخر غير الوحدة ـ أو انهيار سوريا .

وفى الحقيقة فإن أحدا ـ مهما كانت هواجسه وتحفظاته ـ لم يكن فى مقدوره أن يتلكأ فضلا عن أن يعترض ، فقد خرج زمام الحوادث من دور الحكم والأحزاب ، ومن المعسكرات والثكنات ، وأصبح الزمام فى الشارع ـ فى شوارع كل مدينة وقرية فى سوريا .

وكان الرئيس « شكرى القوتلى » هو أول من وجد التعبير الصحيح عن الوضع فى الشارع السورى ، ففى بداية اجتماع لمجلس الوزراء عقد فى القصر الجمهورى يوم ٣٠ يناير جلس « شكرى القوتلى » على مقعده ، ثم راح يردد الآية الكريمة : « قضى الامر الذى فيه تستفتيان » وراح يكررها مرة بعد أخرى .

وفى اليوم التالى كان يركب الطائرة من دمشق فى طريقه إلى القاهرة . ويوم أول فبراير كان من نصيب رئيس الوزراء السورى « صبرى العسلى » أن يعلن الاتفاق على اسس الوحدة بين مصر وسوريا .

وفى يوم ٥ فبراير انعقد فى القاهرة اجتماع لمجلس الأمة المصرى ، وفى دمشق اجتماع لمجلس النواب السورى (تغيب عن الجلسة نائب سورى واحد هو السيد « خالد بكداش » زعيم الحزب الشيوعى السورى الذى رفض أن يحل نفسه ، وغادر دمشق قبل إعلان الوحدة بيوم واحد متوجها إلى صوفيا عاصمة بلغاريا) . واتخذ المجلسان قرارا بالموافقة على طرح أسس الوحدة لاستفتاء عام يجرى يوم ٢١ فبراير مع ترشيح « جمال عبد الناصر » رئيسا لدولة الوحدة التى اتخذت لنفسها اسم « الجمهورية العربية المتحدة » .

وجرى الاستفتاء ، وكانت نتيجته موافقة كاسحة على إقامة دولة الوحدة ، وعلى انتخاب « جمال عبد الناصر » رئيسا لها .

ووصل « جمال عبد الناصر » إلى دمشق لأول مرة فى حياته يوم ٢٤ فبراير ١٩٥٨ ـ رئيسا منتخبا لبلد لم تطأه قدماه من قبل ، وكان وصوله واستقباله فى دمشق مشهدا من التاريخ العربى لا ينسى وإن ابتعدت بعده السنين . . .

وكتب السيد « عدنان مندريس » رئيس وزراء تركيا إلى وزير الخارجية الامريكية « جون فوستر دالاس » يقول :« إن تطورات الموقف فى حاجة إلى إعادة تقدير . فلقد نمت أمس ، وعلى حدودى الجنوبية دولة تعدادها ستة ملايين ، واستيقظت صباح اليوم ، وعلى حدودى الجنوبية دولة تعدادها ستة وثلاثون مليونا » .

ولم تكن دمشق محاصرة ، وإنما كانت دمشق على موقف الهجوم !

الباب الثالث

بوابات بغداد

« أسرارا غامضة أقل ،
وإدراكا واعيا أكثر ـ تلك
أول ضمانات الصحة
النفسية لأى شعب
أو أمة »

الفصل الأول

رسائل وقنابل !

١

كان المجلس الوزارى لحلف بغداد مجتمعا فى أنقرة على مستوى رؤساء الحكومات فى نفس اليوم الذى طار فيه الرئيس « شكرى القوتلى » إلى القاهرة ، ومعه رئيس وزرائه « صبرى العسلى » الذى قدر له أن يلقى بيان إعلان الوحدة بعد ذلك بيومين فى القاهرة . وبدأت أخبار الحوادث الجارية فى دمشق والقاهرة تقرع أسماع وابصار المجتمعين فى أنقرة ، وفى مقدمتهم « جون فوستر دالاس » وزير خارجية الولايات المتحدة الذى آثر أن يحضر الاجتماع بنفسه عندما تقرر أن توضع الخطط النهائية للزحف على سوريا .

كان على المجتمعين فى أنقرة أن يوقفوا اجتماعاتهم ، وأن يعيدوا ترتيب أفكارهم من جديد لمواجهة ما قد تسفر عنه التطورات المتلاحقة فى القاهرة ودمشق . واتصل « جون فوستر دالاس » يوم ٣٠ يناير ١٩٥٨ تليفونيا بنائبه فى واشنطن المستر « كريستيان هيرتر » وتباحث معه فى آخر التطورات ، ثم وجه إليه بعض التعليمات .

وفى ٣٠ يناير ، وبعد مكالمته مع « دالاس » الذى كان لا يزال فى أنقرة كتب المستر « كريستيان هيرتر » مذكرة إلى الرئيس « ايزنهاور » فى البيت الأبيض جاء فيها بالنص ما يلى :



ابدى المشتركون فى اجتماع اللجنة العسكرية لحلف بغداد فى انقرة قلقهم الشديد من النتائج الخطيرة التى يمكن ان تترتب على وحدة مصر وسوريا .

« سرى[1]

مذكرة للعرض على الرئيس

فى اثناء اجتماع حلف بغداد الذى عقد فى انقرة ، والذى انتهى للتو ـ اعربت الوفود الحاضرة عن قلقها الشديد للنتائج الخطيرة التى يمكن ان تترتب على الوحدة المقترحة بين مصر وسوريا . واعلن نورى السعيد رئيس الوفد العراقى ان الذى يحرض على الوحدة هم الروس وناصر ، وان الهدف الأخير هو السيطرة على العالم العربى . ووافق الأتراك والايرانيون والبريطانيون على ان الوحدة امر خطير ، واقروا ما ذكره العراقيون من ضرورة مقاومتها ، والسؤال هو : كيف ؟

ووافق وزير الخارجية (يقصد دالاس) على ان الوحدة خطرة ، وان هناك احتمالا كبيرا بان تكون مؤيدة من الروس ، وانها إذا تحققت فسيكون هناك خطر كبير لابتلاع الأردن ولبنان ، وتعريض العراق والمملكة العربية السعودية للخطر ، وان الأمر لن يكون مجرد سيطرة ناصر بل سيطرة السوفيت . واضاف الوزير ان الولايات المتحدة تود ان تساعد اصدقاءها العرب فى هذا الموضوع ، ولكن من

(١) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية ـ الملف (ر) بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٥٨ .

الصعب عليها ان تفعل ذلك إذا لم يكن هناك موقف موحد من جانبهم . واقترح ان تحاول العراق تنسيق موقف كهذا مع لبنان والأردن والمملكة العربية السعودية . وقال : إن الولايات المتحدة على استعداد لان تبعث برسائل إلى هذه البلدان الثلاثة تحثها على التعاون فى ذلك مع العراق . ووافقت الدول الأخرى الحاضرة فى اجتماع انقرة على ان تبعث برسائل مماثلة .

واقترح علينا الوزير (يقصد دالاس ايضا) ان تكون مخاطبتنا مع المملكة العربية السعودية فى صورة رسالة منكم إلى الملك .

توقيع

كريستيان هيرتر

القائم باعمال الوزير »

وصباح أول فبراير ١٩٥٨ استجاب الرئيس « ايزنهاور » لاقتراح وزير خارجيته « جون فوستر دالاس » كما نقله إليه « كريستيان هيرتر » نائب الوزير ، فكتب إلى الملك « سعود » خطابا شخصيا نصه كما يلى :[2]

« سرى

صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

يا صاحب الجلالة

نظرا للقيمة الكبيرة التى استخلصها من الفرص التى اتيحت لى مسبقا للتشاور معكم بشأن التطورات فى الشرق الأوسط ، فإنى اسمح لنفسى بمخاطبتكم فى موضوع الخطط التى اعلن عنها للتو بهدف إقامة وحدة بين مصر وسوريا يقال إنها ستتخذ اسم الجمهورية العربية المتحدة . ومعلوماتنا عن هذا التطور وعن القوى الخفية وراءه لم تستكمل بعد . بل إن المعلومات التى وصلتنا متضاربة إلى حد ما . ومع ذلك فمن الواضح لنا ان الوحدة المقترحة ستكون لها آثار خطيرة على الدول العربية الأخرى التى تجمعنا بها علاقات ودية .

ولكننا لكى نتمكن من اتخاذ قرار بشأن ما إذا كنا نستطيع ان نساعد اصدقاءنا العرب ، نحتاج إلى ان نعرف آراءهم ومواقفهم . وقد فهمت ان حكومة العراق تعتزم التشاور مع حكومة جلالتكم ، ومع حكومتى الأردن ولبنان فى الموقف الذى يمكن اتخاذه . . واعتقد ان هذا التشاور سيكون بناء ، وآمل ان ترحبوا جلالتكم بإطلاع هذه الدول العربية على آرائكم ومشورتكم فى هذا الخصوص .

(٢) ملفات الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية ـ الوثيقة رقم ١٢٠٦٥ د .

وإنى مهتم اشد الاهتمام باراء جلالتكم فى هذا الموضوع . واتطلع لان التقاها منكم فى اقرب فرصة ممكنة .

حفظكم الله ورعاكم .

صديقكم المخلص

دوايت ايزنهاور »

□

لا تشير الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية أو البيت الأبيض إلى أن الرئيس « ايزنهاور » تلقى رداً من الملك « سعود » على هذه الرسالة الموجهة له . والحقيقة ان الملك « سعود » كان مشغولا عن رسائل « ايزنهاور » بشان الوحدة بين مصر وسوريا ـ بما هو اهم . فقد كادت المواجهة المباشرة بينه وبين « جمال عبد الناصر » تنفجر ، وان يحدث انفجارها دويا فى المنطقة وفى العالم .

ولكى يكون السجل أمينا ، فإن العلاقة بين الرجلين كانت قد بدأت بداية ممتازة حينما أدى « جمال عبد الناصر » فريضة الحج سنة ١٩٥٤ والتقى لأول مرة بطريقة رسمية بالملك « سعود » الذى خلف والده الملك « عبد العزيز » على العرش فى مرحلة كان دخل البترول فيها قد بدأ ينقل السعودية إلى عوالم الغنى الباذخ . ويمكن القول على نحو ما إن العلاقة بين البدوى الملك ، والضابط الرئيس وصلت إلى درجة حميمة منذ اللقاء الأول . فقد كان كلاهما يتوسم فى الآخر خيرا . فـ « جمال عبد الناصر » كان يؤمن بأن الملك عربى شهم ، كما أن الملك بدوره كان يؤمن بأن « جمال عبد الناصر » رجل شجاع وقوى ، وكان كلاهما يدرك أهمية العلاقات بين السعودية ومصر . وقد فتح كلاهما قلبه للآخر إلى درجة أن « جمال عبد الناصر » فى لقاء بينهما فى مكتب الملك ، وبعد أن انتهت المحادثات الرسمية بينهما ـ قال : « إنه يريد ان يتحدث معه حديثا خاصا يفتح له فيه قلبه » . ورحب الملك . وقال « جمال عبد الناصر » : « إن الناس يتحدثون كثيرا عن الطريقة التى تصرف بها اموال البترول ، وخصوصا فى بناء القصور وما تحتويه من مظاهر البذخ ، وهو ـ اى جمال عبد الناصر ـ يرى ان دخل البترول على هذا النحو يضيع فيما لا طائل وراءه فى حين ان التقدم العلمى سوف يؤدى إلى ان يفقد البترول قيمته كمصدر للطاقة بعد ان تحل الطاقة النووية محله ، قبل نهاية القرن . وإذن فمن الضرورى استغلال هذه الفترة ، او عصر البترول لاعادة بناء المملكة العربية السعودية من دخله بناء سليما بحيث تظل للبترول فائدته الباقية ، والدائرة حتى بعد انتهاء عصره » .

وكان الملك يهز راسه موافقا ، وقد سال « جمال عبد الناصر » قائلا : « وبماذا تشير علىّ ؟ » ورد « جمال عبد الناصر » قائلا له : « رايى ـ وسامحنى فى صراحتى ـ انه بدلا من بناء القصور ، فإن الأولى تكريس الاموال للصرف على بناء المصانع والمدارس والمستشفيات » . وطال الحديث بينهما فى هذا الموضوع . وعندما انتهى اللقاء ، وخرج الاثنان من مكتب الملك إلى الردهة التى كان ينتظر فيها الأمراء والوزراء ورجال الدولة ـ إذا بالملك « سعود » يقول للجميع : « هل تعلمون ماذا قال لى اخى ؟ » ثم روى الملك تفاصيل ما اشار به عليه « جمال عبد الناصر » . ثم اضاف بعد ان انتهى من تلخيصه للحديث : « هذا كلام صديق ، وصديقك من صدَقك لا من صدَّقك » .

واستمر التعاون بين الرجلين وثيقا ولصيقا لعدة سنوات فى مواجهة مخططات حلف بغداد . ومع أن هذه المخططات كانت معبرة عن اتجاهات السياسة الأمريكية ، فإن عداء الملك للهاشميين الذين تصرفوا ، وكانهم دعاة حلف بغداد واصحابه ـ بدا اقوى من علاقاته الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية .

وعندما جاءت مقدمات معركة السويس ومضت ، وخرج منها « جمال عبد الناصر » قائدا قوميا بارزا فى المنطقة ـ فإن شيئا ما فى مشاعر الإخوة والصداقة بين الاثنين راح يتغير . ولعل الملك تضايق من صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتى . ولعله ايضا تضايق من ان الحملة ضد حلف بغداد اتجهت ضمن ما اتجهت إليه إلى الهجوم على الملوك دون تمييز . ولعل الملك تضايق كذلك من قرار تاميم قناة السويس الذى طرح على الساحة قضية الامتيازات التى يحصل عليها الغرب فى المنطقة كلها بما فيها مصادر البترول . ولعل الغيرة بعد ذلك وجدت طريقها إلى قلبه بسبب المكانة التى تحققت لـ « جمال عبد الناصر » بعد انتصار السويس .

ولقد كان هناك من يستغلون هذه الاعتبارات كلها ، ويحرّضون الملك على تضخيمها لأهداف سياسية أرادوها . فلقد كانت تلك هى الفترة التى قرر فيها « ايزنهاور » على نحو ما تظهر مذكراته ومجموعات أوراقه أن « سعود » هو الرجل الذى يتعين على الولايات المتحدة أن تساعده وتهيئه لمنافسة « جمال عبد الناصر » فى المنطقة ، وليتولى قيادة العالم العربى بعد إسقاط « جمال عبد الناصر » .

وطوال الفترات الحرجة من سنة ١٩٥٦ كانت القاهرة تتلقى أنباء عما يجرى فى

القصر الملكى فى الرياض ، وعما يقال فيه همسا فى مجالس الملك « سعود » . وربما كان هذا هو السبب الذى دفع « جمال عبد الناصر » لأن يقوم بزيارته إلى الدمام للالتقاء بالملك « سعود » رغم الظروف الحرجة التى أعقبت تأميم قناة السويس[3] . ولكن هذه الزيارة وإن بدت ناجحة على السطح ، فإنها لم تكن كذلك فعلا لأن الضغوط والحساسيات كانت أعمق وأبعد أغوارا . وبعد الزيارة بدأت القاهرة تسمع أن الملك « سعود » يشكو من بعض التصرفات المصرية . وكلف « جمال عبد الناصر » وفدا مصريا على مستوى رفيع بالسفر إلى السعودية لمقابلة الملك ، وسماع ما قد يكون لديه ، وتصفية المسائل معه على أى نحو يرتضيه . وكان الوفد مكونا من اللواء « عبد الحكيم عامر » والسيد « أنور السادات » والسيد « على صبرى » . والتقى بالملك ، وقال له « عبد الحكيم عامر » : « **إن الرئيس عبد الناصر يستحلفك بالله ، وبحق ما بينكما أن تفتح لنا قلبك ، وان تصارحنا بأى خطأ ترى اننا وقعنا فيه » . واستجاب الملك قائلا إنه لن يخفى شيئا « تحت العباءة » ثم عرض شكاويه من مصر ، وكان أهمها قضيتين :**

□ الأولى : ان بعض المدرسين المصريين العاملين فى السعودية يتحدثون ضده بما يعنى انه غير سياسته إزاء مصر .

□ والثانية : ان ضباط البعثة العسكرية فى الرياض يقولون كلاما لا يصح لهم ان يقولوه عن اتفاقية قاعدة الظهران التى كانت موضع مفاوضات بين الحكومة السعودية ، وبين الحكومة الأمريكية .

وأرسل « عبد الحكيم عامر » برقية من الرياض إلى « جمال عبد الناصر » فى القاهرة بما سمعه الوفد المصرى من الملك « سعود » ، ورد « جمال عبد الناصر » على الفور ببرقية لـ « عبد الحكيم عامر » قال فيها بالنص[4] : « **انقلوا إلى الملك سعود على لسانى انه مفوض بكل سلطات رئيس جمهورية مصر ، وله أن يبعد عن السعودية أى مدرس مصرى ، وأى ضابط مصرى يصدر عنه ما لا يرضيه . ونحن لن نغضب من ذلك ، ولن نعتب لأن العلاقات بين البلدين أكبر من تصرفات كل الأفراد** » . وأبلغ الملك ببرقية الرئيس ، وقال لأعضاء الوفد المصرى أمام كبار رجال حاشيته « **إن صدره قد انشرح** » .

□

(٣) رجاء مراجعة تفاصيل هذا اللقاء فى كتاب ملفات السويس ـ الصفحات من ٥٠٧ إلى ٥١٠ .

(٤) نص البرقية فى ارشيف منشية البكرى فى الملف رقم « ٣ » وعنوانه « مراسلات مع الملك سعود » ، وتوجد نسخة من البرقية فى القيادة العامة للقوات المسلحة . كما توجد نسخ فى ارشيف وزارة الخارجية .

وأحست القاهرة بارتياح لكن هذا الارتياح لم يقدر له أن يدوم طويلا . فقد كانت تفاصيل ما يجرى فى المفاوضات حول قاعدة الظهران يثير قلقها . كان الأمير « فيصل » هو المفاوض الرئيسى عن الجانب السعودى فى بداية المفاوضات . ووصل الأمير « فيصل » إلى اتفاق مؤداه تجديد اتفاقية القاعدة لمدة خمس سنوات مقابل إيجار قدره ٥٠٠ مليون دولار تدفع بواقع ١٠٠ مليون دولار فى السنة على أن يكون استعمال القاعدة مقصورا على تسهيل نزول الطائرات الأمريكية وإقلاعها ، وتموينها وصيانتها . ثم اقترح السفير الأمريكى أن يكون دفع الايجار السنوى بمعدل ١٠٠ مليون دولار كل سنة يدفع نصفها نقدا ، ويدفع النصف الثانى على شكل اسلحة امريكية للجيش السعودى . ولكن الأمير « فيصل » طلب دفع المبلغ كله نقدا بحيث يكون للسعودية مجال أوسع للاختيار . وتعثرت المفاوضات ، ولجأ السفير الأمريكى الذى كان يرأس جانب بلاده فى المفاوضات إلى الملك مباشرة ، فأصدر الملك أمره بقبول الاقتراح الأمريكى . وفوق ذلك قبل الملك بشروط ثلاثة علقت على مبيعات الأسلحة الأمريكية وفقا لهذا الاتفاق ، وكانت هذه الشروط :

١ ـ ان يكون اختيار وتحديد انواع السلاح الذى تشتريه السعودية من اختصاص وزارة الدفاع الأمريكية .

٢ ـ أن لا يستعمل هذا السلاح ضد إسرائيل .

٣ ـ ان تتولى بعثة عسكرية امريكية تحديد اماكن تجمع هذا السلاح ، والاشراف على التدريب به .

واضيف إلى الاتفاقية فى آخر لحظة ملحق خاص تتعهد فيه الحكومة الأمريكية « بحماية العرش السعودى ضد اى خطر يتهدده من الخارج أو من الداخل » .[5]

وكان الأغرب من ذلك كله ان الملك راى ان يتم دفع المقابل النقدى فى اتفاقية القاعدة إليه مباشرة فى حساب خاص باسمه فى احد البنوك الألمانية . وتلقت القاهرة معلومات بان الجزء الأول من التحويلات المالية باسم الملك احدث ارتباكا فى البنك الألمانى الذى تلقاه من الولايات المتحدة[6] . فقد راى مديره : « ان المبلغ ضخم ، وانه لا عهد للبنك بمثله فى الحسابات الشخصية وغير التجارية ، ومن ثم فإنه من

(٥) مذكرة من وزارة الدفاع الامريكية محفوظة ضمن مجموعة اوراق الرئيس ايزنهاور فى مكتبته بابيلين .

(٦) تقرير من السفارة المصرية فى جدة عن حديث السفير المصرى مع احد امراء الاسرة نقلا عن وقائع تحقيق اجرى فى هذا الموضوع بامر من الامير « فيصل » فى شهر مايو ١٩٥٨ .

الضرورى ان يحصل البنك على خطاب من وزير المالية السعودى حتى يتم الايداع وفقا للاجراءات القانونية والمالية » .

وتحقق ذلك بالفعل ، فارسل وزير المالية السعودى خطابا بهذا المعنى للبنك الذى لم يكتف بذلك ، وإنما طلب توقيع الملك شخصيا امام خبراء التوقيعات ، وسافر الملك فى رحلة إلى « بادن بادن » بحجة الاستشفاء ، وكان القصد الحقيقى هو التوقيع على الأوراق امام خبراء فى التوقيعات .

□

وزادت الشكوك فى القاهرة حينما عرف أن الملك فى أثناء وجوده فى « بادن بادن » قابل سرا بعض المصريين من رجال العهد الملكى السابق ، وأن أحاديث دارت بينهم حول إمكانيات إحداث انقلاب فى مصر ، وأن بعضهم وبينهم السيد « مرتضى المراغى » وزير الداخلية فى أواخر عهد « فاروق » عادوا من بادن بادن إلى بيروت ، وبدأوا يتحدثون فى مجالسهم عن إمكانية تغيير الأوضاع فى مصر !

وفى ربيع سنة ١٩٥٧ ، وكان الملك « سعود » قد زار عمان بعد الحوادث التى جرت فيها بسبب محاولات ضمها إلى مشروع « ايزنهاور » ، تلقت القاهرة معلومات بما كان يقوله الملك فى العاصمة الأردنية ، وبينه قوله : « إن الجماعة فى مصر مصبحين أو ممسين » . ومعناها ان النظام فى مصر قد لا يرى شروق الشمس او غروبها فى اى يوم . وكان هذا كله يثير الدهشة فى القاهرة ، ثم تبددت الدهشة ليحل محلها شعور بالأسف حينما طلب ضابط مصرى هو العقيد « عصام خليل » مقابلة اللواء « عبد الحكيم عامر » ليقول له إن احد اصدقائه من الضباط السابقين ، وهو من انسباء الأسرة المالكة السابقة اتصل به ، وحاول تجنيده لاجراء انقلاب عسكرى فى مصر ، وأنه سلمه مبالغ من المال وصلت إلى اكثر من ١٦٢٠٠٠ جنيه استرلينى . وقام الضابط بتسليم المبلغ إلى اللواء « عبد الحكيم عامر » . وانكشف السر . واحس الذين يعنيهم الأمر فى السعودية بأن القاهرة قد عرفت بكل شىء ، وهكذا طار الشيخ « يوسف ياسين » مستشار الملك إلى القاهرة يوم ١٨ ديسمبر ١٩٥٧ وطلب مقابلة الرئيس « جمال عبد الناصر » ونفى له اى دخل للملك فى الموضوع ، وعرض عليه الرئيس « جمال عبد الناصر » وثائق العملية بما فيها شهادة « عصام خليل » وكان رد الشيخ « يوسف ياسين » انها محاولة مدبرة بعناية للوقيعة بين الصديقين . وخلال المناقشة ابدى الشيخ « يوسف ياسين » ملاحظة مؤداها ان الملك

« سعود » هو الذى له الحق ان يغضب لما يشعر به من جفاء مصر نحوه . وطالبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بدليل على ما يقول ، وبدا الشيخ « يوسف ياسين » يروى قصصا بدت مستغربة على « جمال عبد الناصر » . قال : « إن الملك عاتب لأن الرئيس رفض وساطة الملك سعود لديه فى موضوع طلاق السيدة ناريمان صادق (زوجة الملك فاروق الثانية) من زوجها الحالى الدكتور ادهم النقيب » . وقال الشيخ « يوسف ياسين » : « إن الملك كتب خطابا شخصيا إلى الرئيس بعد أن لجأت إليه السيدة ناريمان طالبة عونه ـ يرجوه فيه أن تتدخل الحكومة المصرية لاقناع ادهم النقيب بان يطلق ناريمان صادق ، ولكن الرئيس رد على الملك قائلا إنه كان يسعده أن يلبى اى طلب له ، ولكنه فى هذا الظرف لا يستطيع لأن قضية الطلاق منظورة امام المحاكم ، ولا تستطيع الحكومة المصرية ولا رئيسها أن يتدخلا فى قضية منظورة امام القضاء » . وقال الشيخ « يوسف ياسين » : « إن الملك بعد أن تلقى رد الرئيس كان تعليقه بالضيق هو « لو اراد أن يكرمنى لفعلها » . » ورد « جمال عبد الناصر » على الشيخ « يوسف ياسين » قائلا : « هل سمعت عن حكومة متمدينة فى العالم تملك حق التدخل فى قضية أحوال شخصية امام المحاكم تمس علاقة رجل بزوجته ؟ » وقال الشيخ « يوسف ياسين » : « إن الملك عاتب ايضا لأن بعض الصحف المصرية نشرت أن الملك اعطى للسيدة ناريمان صادق ١٠٠ الف جنيه استرلينى » . ورد « جمال عبد الناصر » قائلا : « إنه يذكر الخبر الذى نشر لكنه يذكر ايضا ان الصحف المصرية التى نشرته نقلته عن صحف بيروت التى سبقت إليه فى وقت كان الملك فيه يقوم بزيارة رسمية للبنان » . وقال الشيخ « يوسف ياسين » : « إن الملك غاضب ايضا لأن الصحف المصرية نشرت تفاصيل قصة زواجه من فتاة لبنانية عمرها ١٧ عاما ، كما نشرت تفاصيل عن هدايا زادت قيمتها على نصف مليون جنيه استرلينى قدمها الملك لزوجته الشابة » . ورد « جمال عبد الناصر » قائلا : « إنه يذكر هذه الحادثة أيضا ، ويذكر ان الصحف المصرية نشرتها نقلا عن وكالات الأنباء والصحف الأمريكية ، فلماذا يغضب الملك من مصر ، ولا يغضب من امريكا ؟ »

ويبدو أن « جمال عبد الناصر » تضايق من مسار المناقشة ، فاوقفها بحزم قائلا للشيخ « يوسف ياسين »[(٧)] : « إننى لا ارى فائدة من مواصلة النقاش على هذا النحو ، وأنا ارجوك أن تذهب للملك وتنقل إليه اننى لا اعمل بسياستين

(٧) مذكرة بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٥٧ عن المقابلة مودعة فى ارشيف منشية البكرى فى جزء « شؤون عربية » رقم ٤١٢ /سعودية .

ولا بوجهين . قل له إن هناك مؤامرة على مصر وأنه كان بشكل ما وراءها . وقل له إن المستندات لدينا تثبت أن الأموال التى أعطاها المراغى للضابط المصرى عصام خليل هى أمواله ، وأنا لا أرتضى لنفسى أن انافق . فأنا أصادق من اصادقه علنا ، وإذا عارضت عارضت فى العلن » . وأضاف : « إنه سوف يتحدث بعد أيام (يوم ٢٣ ديسمبر فى عيد النصر فى بورسعيد) وأنه سوف يذيع كل تفاصيل الموضوع لكى يكون الشعب على علم بالحقائق » . ورد الشيخ « يوسف ياسين » بأنه يشعر أن الموضوع أكبر منه ، وأنه سوف يقترح على الملك أن يبعث بشقيقه وولى عهده الأمير « فيصل » لكى يصفى كل شىء مع الرئيس . واضاف إلى ذلك رجاءه بأن يتمهل الرئيس ، ولا يذيع شيئا عن الموضوع قبل وصول الأمير « فيصل » . وعاد الشيخ « يوسف ياسين » فى نفس اليوم إلى الرياض ، وفى اليوم التالى تلقت السفارة السعودية فى القاهرة برقية من الرياض نصها : « الأمير فيصل يحضر طرفكم فى أيام ـ اخطروا السيد على صبرى فى الرئاسة » .

ويوم ٢٣ ديسمبر ، وفى احتفالات عيد النصر فى بورسعيد القى « جمال عبد الناصر » خطابه ، وأذاع تفاصيل المؤامرة ، ولكنه لم يذكر شيئا عن السعودية ، أو اى دور لها فى المؤامرة . فقد آثر أن ينتظر وصول الأمير « فيصل » .

□

ووصل الأمير « فيصل » والتقى به الرئيس « جمال عبد الناصر » يوم ٣ يناير ١٩٥٨ وشرح له كل تفاصيل المؤامرة ، وكانت الدهشة بادية على الأمير « فيصل » وهو يسمع ، وكان تعليقه قرب نهاية المقابلة : « **فخامة الرئيس . طال عمرك الا يحتمل أن تكون هذه كلها دسائس لافساد ما بينك وبين الملك سعود ؟** » ورد « جمال عبد الناصر » : « **إننى أتمنى أن تكون كذلك . لكن الوثائق التى وجدتها أمامى لم تترك لى مجالا لهذا الظن** » . ثم أضاف : « **ومع ذلك فما رأيك أن أطلب إعداد ملف كامل يحوى كل ملفات التحقيق ووثائقه لكى تطلع عليه بنفسك ثم تقول لى رأيك ؟** »

وتلقى الأمير « فيصل » فى اليوم التالى ملفا كاملا بوقائع التحقيق ووثائقه . ثم التقى بالرئيس « جمال عبد الناصر » مرة ثانية يوم ١٣ يناير ، وقال فى المقابلة إنه يرجو أن يأذن له الرئيس بالسفر بالملف إلى السعودية ، وأنه سوف يعود إليه بعد أيام قليلة . وسافر الأمير « فيصل » ثم عاد مرة أخرى ، والتقى مع « جمال عبد الناصر » يوم ٢٣ يناير . ثم التقاه مرة رابعة فى نفس الشهر يوم ٣٠ يناير . وكان اقتراحه على



سلم الرئيس عبد الناصر للأمير فيصل عند لقائه به ملفا كاملا عن وقائع التحقيق فى قضية تدبير انقلاب فى مصر التى تثبت ان سعود كان وراءها بشكل ما .

الرئيس قبل أن يسافر هو « رجاء أن يتكتم دور الملك « سعود » في الموضوع ، وأن يترك له فرصة يعالج فيها الموقف كله ، وانه على أى حال سوف يسمع منه قريبا » . وقبل أن يغادر الأمير « فيصل » مكتب الرئيس « عبد الناصر » في اللقاء الرابع بينهما في شهر واحد – يوم ٣٠ يناير – قال له : « إنني اريد يا فخامة الرئيس ان اسألك سؤالا واحدا ، وهو هل انت مستعد لاستقبال سعود هنا ؟ إنني سوف ارتب الأمور على نحو يرضيك ، لكنى أريد أن اضمن انك في النهاية سوف تكون مستعدا لمقابلته ، والصفح عنه إذا ما ثبت ان ذلك كله جرى بعلمه » . ورد « جمال عبد الناصر » بانه « سوف يكون في هذه الحالة على استعداد لأن يركب هو الطائرة ، ويذهب للقاء الملك سعود في الرياض بشرط حضور الأمير فيصل معهما لأنه – أى جمال عبد الناصر – ما زال يأمل ان يخرج البلدان بسياسة واحدة لا سياستين » .

وسافر « فيصل » إلى السعودية ، ولفترة طويلة لم يسمع منه « جمال عبد الناصر » شيئا – ولكنه سمع من الملك « سعود » .

□

كانت خطوات إتمام الوحدة بين مصر وسوريا تأخذ طريقها المرسوم والمقرر في الأيام الأولى من شهر فبراير ١٩٥٨ ، وكان موعد الاستفتاء عليها بين الشعبين المصرى والسورى قد تقرر ، وإذا بالعراق والأردن يسبقان إلى إعلان اتحاد بين البلدين تحت اسم « الاتحاد الهاشمى » – كدولة اتحادية فيدرالية واحدة تضم العرشين الهاشميين في بغداد وعمان . وبدا أنه كان مقصودا لتوقيت إعلان هذا « الاتحاد الهاشمى » أن يتم سابقا لقيام « الجمهورية العربية المتحدة » بين مصر وسوريا – ومع ذلك فإن « جمال عبد الناصر » رحب بقيام هذا الاتحاد ، واعتبره على حد قوله في برقية تهنئة بعث بها إلى الملك « فيصل » ملك العراق : « إن الاتحاد العربى الهاشمى الذى وحد اليوم ما بين العراق والأردن هو خطوة مباركة للأمة العربية كلها باعتباره تقريبا ليوم الوحدة الشاملة بين كل العرب » . ومع أن وكالات الأنباء نقلت من القدس المحتلة رسائل جاء فيها أن إسرائيل استشيرت في شأن هذا الاتحاد – بواسطة لندن وواشنطن – ووافقت عليه ، فإن « جمال عبد الناصر » لم يغير رأيه في أن مجرد تحقيق خطوة وحدوية بين العراق والأردن ، وبصرف النظر عن الملابسات هو خطوة إلى الأمام . وحتى إذا كانت إسرائيل قد وافقت كما تقول رسائل وكالات الانباء[8] بهدف أن يتمكن هذا

(٨) برقية وكالة اليونايتد برس رقم ٤٥ ليوم ١٦ فبراير تحت عنوان « إسرائيل والاتحاد العراقى الأردنى » .

الاتحاد الهاشمي من مواجهة « الجمهورية العربية المتحدة » بطريقة فعالة ، فإن الاهم من ذلك كله هو ان خطوة وحدوية تحققت .

في نفس هذا اليوم ١٦ فبراير سمع « جمال عبد الناصر » من الملك « سعود » . فقد دعا الملك سفير مصر إلى مقابلته[9] ، وقال له في حضور الشيخ « يوسف ياسين » إنه يريد منه أن ينقل إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » الرسالة التالية :

« جاء إلى عندنا هنا قبل عدة ايام باش اعيان (يقصد السيد برهان الدين باش اعيان وزير خارجية العراق) وتوفيق السويدى (السيد توفيق السويدى باشا السياسى العراقى البارز) وسمير الرفاعى (كان رئيسا لوزراء الأردن) – وقابلونى بحضور الشيخ يوسف ياسين ، وابلغونى رسالة من فيصل ملك العراق ، وحسين ملك الأردن ، والأمير عبد الاله ، وعرضوا علىّ الانضمام إلى الاتحاد العراقى الأردنى على أن أكون انا المتصرف في كل شىء ، وفقط يحتفظ كل منهم بمركزه في بلاده . وصارحتهم بان الاستشارة امانة ، ولذلك فإنى لا انصحهم بهذا الاتحاد ، ولا أستطيع ان انضم إليهم لأن سياستى عربية واتضامن من اجلها مع الجميع ، ولا أستطيع ان اساهم في انقسام العرب ، كما لا أستطيع الانضمام إليهم حتى لا اجد نفسى أعمل مع الانجليز الأمر الذى يشكل استحالة مادية – انتهت رسالة الملك » . إمضاء : السفير . »

وفي تلك الأيام الحاسمة افتعلت الحكومة السودانية التى كان يرأسها السيد « عبد الله خليل » وكان من أشد الموالين للغرب أزمة مع مصر . فقد بعث بقوات سودانية لاحتلال منطقة « حلايب » على الحدود بين مصر والسودان . وكانت المنطقة مصرية وفق ما تقول به الخرائط المعتمدة ، ولكن السيد « عبد الله خليل » قال إن لديه خرائط أخرى حصل عليها تثبت أن المنطقة سودانية . وجرى بحث في القاهرة في كيفية مواجهة ما وقع ، وكان هناك رأى بدفع قوات مصرية إلى المنطقة . ورأى « جمال عبد الناصر » أن الموضوع كله مؤامرة موحى بها من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على الأرجح لافساد مناخ الوحدة بين مصر وسوريا – والتى كانت أجواء العالم العربى تموج بها في تلك الأيام . وكان رأيه : « إنه سوف يكون مشهدا غريبا ان تتقاتل قوات مصرية وسودانية على قطعة أرض في نفس الوقت الذى تقوم فيه مصر بعمل وحدوى كبير مع سوريا ، وإننا لا يجب أن نستسلم للاستفزاز » . كان الاستفتاء الشعبى على الوحدة على وشك أن يجرى في البلدين ، وفي يوم الاستفتاء ذاته توجه السفير السعودى في القاهرة إلى مقابلة الدكتور « محمود

(٩) تقرير من السفارة المصرية في الرياض بتاريخ ١٦ فبراير (ملفات وزارة الخارجية المصرية وارشيف منشية البكرى) .

فوزى » وزير الخارجية ، وسلمه رسالة من الملك « سعود » ، واشر عليها الدكتور « محمود فوزى » بخط يده بما نصه :

« إلى السيد الرئيس

سلمنى السفير السعودى هذه الرسالة مساء اليوم ذاكرا انها وصلت إليه بعد الظهر .

مع التحية والاحترام . ٢٢/٢/١٩٥٨ »

وكان نص الرسالة كما يلى :

« برقية واردة من جلالة الملك سعود

حضرة السيد الرئيس الاخ جمال عبد الناصر حفظه الله

علمت بقلب ملؤه الأسى والحزن نبأ الخلاف الذى نشب بين البلدين الشقيقين مصر والسودان . وليقينى انه يحز فى نفس السيد الرئيس ما يحز فى نفسى ، وفى نفس كل مسلم عربى ان تصل ذروة الخلاف فى هذا الأمر إلى هذا الحد الذى يشمت بنا الأعداء اجد من واجبى فى هذا الموقف ان اتقدم برجاء ملؤه الاشفاق لسيادة الاخ الرئيس ، كما اتقدم بمثله لحكومة السودان لتحكيم الروية لحل المشكلة بينهما ، وإخواننا فى البلدين ولله الحمد لهم فى حصافة الراى والاخلاص الوطنى الاسلامى العربى ما يحملهما على التاسى ، وابتهل إلى الله ان يضفى على هذا الخلاف البرد والسلام والأمان ، وإنى على تمام الاستعداد لبذل اى مسعى قد يراه إخواننا فى البلدين لحل هذه المشكلة التى تقلق كل مسلم وعربى . حفظكم الله وابقاكم .

إمضاء
سعود »

واتصل الرئيس « جمال عبد الناصر » بالدكتور « محمود فوزى » يقول له :
« إن الرجل يحاول ان يعرض وساطته بيننا وبين السودان فى الوقت الذى يتوسط فيه شقيقه بيننا وبينه » . ثم طلب إليه ان يتصل بالسفير السعودى ، ويدعوه لمقابلته ويبلغه ان الأزمة بين مصر والسودان تم تطويقها ، وانها لم تعد فى حاجة إلى وساطات مشكورة من جانب احد من الاخوان العرب .

وكان تقدير « جمال عبد الناصر » أن الملك فى حالة ارتباك ، وأنه يحاول أن يغطى ارتباكه بهذا النوع من الرسائل سواء عن الاتحاد الهاشمى ، أو عن الأزمة مع السودان . ولكن تقدير « جمال عبد الناصر » كان خاطئا لأن الملك الذى تصوره مرتبكا كان يتحرك بأقصى همة ونشاط .

٢

تم الاستفتاء على الوحدة وأعلنت نتيجته يوم ٢٢ فبراير ١٩٥٨ وانتخب « جمال عبد الناصر » رئيسا للدولة الجديدة .

ووصل « جمال عبد الناصر » إلى دمشق يوم ٢٤ فبراير ، وتوجه من المطار إلى بيت « شكرى القوتلى » وصحبه معه إلى قصر الضيافة الذى أعد لاقامته . وبدأت جماهير دمشق وجماهير سوريا تزحف إلى القصر وتحيطه ببحر عارم من البشر . وظهر « جمال عبد الناصر » على شرفة القصر يتحدث لأول مرة مع الشعب الذى انتخبه رئيسا له دون أن يلتقى به مباشرة ووجها لوجه . وتكرر ظهوره على الشرفة ، وتكررت خطاباته للجماهير فى ذلك اليوم أكثر من عشرين مرة . وفى نهاية يوم حافل بالمشاعر الجياشة دخل « جمال عبد الناصر » إلى غرفة النوم المعدة له يلتقط أنفاسه متصورا أن أمامه ساعات يستريح فيها قبل أن يبدأ يوما جديدا فى دمشق ، خصوصا وأنه كان قد عرف أن وفود كل أقاليم سوريا قد بدأت مسيرات شعبية عارمة تشق طريقها إلى دمشق .

وصحبه إلى غرفة نومه السيد « عبد الحميد السراج » يقول إن لديه موضوعا يريد أن يطلعه عليه . وسأله « جمال عبد الناصر » وهو يخلع ملابسه ويستلقى مرهقا على الفراش : « الا ننتظر للصباح ؟ » وقال « عبد الحميد السراج » : « فخامة رئيس أنا أعرف أنك مرهق ، ولكنى أريد توجيهك فى الموضوع الذى أريد عرضه عليك لأنه لا يقبل الانتظار » . وسأله « جمال عبد الناصر » : « هل يضايقك أن أسمعك وأنا مستلق على السرير ؟ » ورد « عبد الحميد السراج » : « سيدى . إننى أريدك أن تستريح ، ولم أكن لأشغلك بهذا الذى سأقوله لولا خطورته » . ثم راح « عبد الحميد السراج » يروى تفاصيل ما لديه ، قال وهو يخرج مجموعة أوراق من جيب سترته الداخلى ويضعها على مائدة صغيرة بجوار السرير ، وقد أتى بمقعد جلس عليه قربها :

« إن الملك سعود له صهر اسمه اسعد ابراهيم ، والملك متزوج من ابنته التى انجبت له ابنا هو الأمير خالد ، واسعد ابراهيم هذا اتصل بى عن طريق وسيط هو النائب عزيز عياد ، وعرض علىّ مبلغ مائة مليون جنيه استرلينى إذا انا قمت بانقلاب يحول دون قيام الوحدة بين مصر

وسوريا قبل إعلان نتيجة الاستفتاء ، وكان العرض ان يدفعوا لنا عشرين مليون جنيه استرلينى مقدما على أن يدفع الباقى بعد نجاح الانقلاب لكى يساعد على إصلاح الأحوال . . . ومعى هنا كل الوثائق والمستندات » .

ونهض « جمال عبد الناصر » من فراشه ، وأخذ مقعدا فى مواجهة « عبد الحميد السراج » وطلب إليه أن يبدأ القصة من أولها ، وأن يطلعه على وثائقها ومستنداتها ، وراح يسمع . ولنصف ساعة كان « عبد الحميد السراج » يتكلم دون مقاطعة .

قال « عبد الحميد السراج » :(١٠)

« إن حكاية الملك سعود مع الشعبة الثانية (المخابرات العسكرية التى كان يراسها عبد الحميد السراج طوال السنوات الثلاث السابقة على الوحدة) قصة طويلة . ويظهر انهم كانوا يتصورون اننا العقبة التى تقف امام مخططاتهم كلها وتقوم بكشفها . ولهذا فإنهم بعد ان يئسوا من مختلف المحاولات قرروا التوجه مباشرة إلى الشعبة الثانية .

إن الملك سعود دعانى لمقابلته مرة حينما زار دمشق قادما من بادن بادن وكان فى طريقه إلى بيروت . وقد قال لى فى هذا اللقاء إنه يعتبرنى مثل ابن له ، وانه يسألنى إذا كنت أريد شيئا . ووجدتها فرصة ملائمة لأقول له : يا جلالة الملك سامحنى إذا أخطأت فى حديثى إليك ، فهذه أول مرة أتحدث فيها مع ملك ، وطلبى منك أننى سوف أرجوك أن لا تصدق كلام الذين يذهبون إليكم ، ويقولون لكم إنهم يستطيعون أن يفعلوا كذا وكذا فى سوريا . إن هؤلاء لا يقدرون على شىء ، وأنتم تدفعون لهم أموالا طائلة ، ولدىّ كشف بأسمائهم جميعا ، كما أن لدىّ بيانا بالمبالغ التى حصلوا عليها منكم . إن هؤلاء الناس يضحكون عليكم ، وهم لايستطيعون أن يقدموا أو يؤخروا . إننى أفهم انك تريد أن تحارب الهاشميين . وإذا كنت تريد ذلك ، فإن ضمانتك هى الجيش السورى ، والجيش السورى هو الذى يحمى سوريا ، والشعب فى سوريا فقير وهو لا يستطيع أن يعطى لجيشه كل ما يحتاج إليه . فإذا كنت تريد أن تساعد حقيقة فما نتمناه منك هو أن تقدم مساعدة للجيش : كتيبة دبابات ، أو سرب طائرات أفيد من كل الأموال التى

(١٠) كنت مع « جمال عبد الناصر » فى قصر الضيافة . وقد سمعت بالقصة منه . وفيما بعد رجوت السيد « عبد الحميد السراج » ان يعيد روايتها لى كما رواها للرئيس امام جهاز تسجيل . والتفاصيل المذكورة هنا وكذلك السياق منقولة عن تفريغ لهذا التسجيل .

تصرفونها فى السر على الذين يقولون لكم إنهم يمنعون تحقيق احلام الهاشميين فى دمشق .

وفوجىء الملك سعود وقال لى : « إننى كنت أسألك عما إذا كنت تبغى شيئا لنفسك ، ولم أكن أسألك عن الجيش السورى » . وقلت له : « يا جلالة الملك إن الجيش السورى هو الذى يهمنى ، ونحن مستعدون أن نقيم لك تمثالا فى كل معسكر إذا ساعدت » . ولم يبد على الملك أنه استراح لما قلت له ، ولم يسفر لقاؤنا عن شىء . ولكنه دعانى إلى أن أزوره فى الرياض فى يوم من الأيام . وقلت له إننى على استعداد لأن أستجيب للدعوة فى أى وقت يتفضل فيه بتوجيهها .

وبعد شهور ، وفى ذروة أزمة الحشود التركية ضد سوريا ، فوجئنا برسالة من الملك يدعونى فيها أنا واللواء عفيف البزرى (رئيس أركان حرب الجيش السورى) إلى مقابلته فى الرياض . واستغربنا توقيت الدعوة . وطلب منا شكرى القوتلى أن نذهب ولو لليلة واحدة . وراح اللواء البزرى يتصل بسلاح الطيران ويطلب تخصيص طائرة لسفرنا ، ثم راح يدرس خط مسار الطائرة التى تحملنا إلى الرياض ، وتأخرنا عن الموعد المقرر ثم تحدد موعد السفر عند منتصف الليل ، **وقبل ان اخرج من مقر الشعبة الثانية متوجها للمطار ابلغت ان وكالات الأنباء العالمية نقلت برقية من الرياض تقول فيها : « إن السيد فطين زورلو رئيس وزراء تركيا قد وصل فجاة إلى الرياض » . وانكشف المستور امامنا ، واصبح واضحا ان هدفهم هو الجمع بيننا وبين الأتراك تحت رعاية الملك سعود . وطلبت إلغاء الرحلة ولم نذهب .**

وبعد أن أعلن الاتفاق على إقامة الوحدة بين مصر وسوريا طلب النائب عزيز عياد أن يقابلنى . وقابلته ، وقال لى إن صهر الملك سعود وهو أسعد ابراهيم يريد أن يقابلنى . وأحلته إلى ضابط فى الشعبة الثانية لكى يستطلع ما عنده ، وطلبت أنا معلومات عنه **وعرفت منها انه والد زوجة الملك المعروفة بأم خالد ، وأن الملك تزوج ابنته واصبح الرجل بعد ذلك من أصحاب الملايين . وأغرب ما أظهرته المعلومات التى جاءتنا عنه ان الرجل قبل أن يتزوج الملك من ابنته كان متهما ومحكوما عليه فى قضية سرقة حمار .**

ثم رأيته بعد ذلك ، وجلست معه لكى أعرف بنفسى ما عنده لأن كلامه مع ضابط الشعبة الثانية الذى كلفته باستطلاع ما عنده كان مبهما وغامضا .

وعندما قابلته راح يتكلم فى أمور عامة ، ثم خلص إلى ان الملك سعود حريص جدا على سوريا والشعب السورى عزيز عليه . وسألنى عما إذا كان لدىّ مانع فى أن أذهب إلى الرياض ، ولو سرا لمقابلة الملك لأنه يريد أن يفضى إلىّ - وهو يعتبرنى ابنا له - بأشياء هامة . وقلت له إن الظروف لا تسمح لى بمغادرة دمشق ، فاذهب أنت واسأل الملك فيما يريد ، فنحن نقدر آراءه ونصائحه ونحترم حرصه على سوريا وشعبها . وذهب الرجل وعاد قبل أيام قليلة من الاستفتاء . والتقيت به ، ورحت استدرجه لكى يقول لى كل ما عنده . وبدأ يحدثنى عن حرص الملك على سوريا وشعبها مرة أخرى ، وعن أن الاستقلال الذى تحقق لهما جاء بعد جهاد عنيف ، وأنه لا يصح التفريط فيه بسهولة . وأن هذا الذى يجرى تحت اسم الوحدة هو محاولة من عبد الناصر لاقامة إمبراطورية مصرية . وقلت له : « شو بيريد الملك ؟ » وشرح لى ما يريد الملك ، وقلت له إن الأمور بيدنا ، وليست فى يد غيرنا ، ولكن أى عمل يقتضى ترتيبات . فقال لى إن الملك على استعداد لأن يساعد ماديا وسياسيا على تحقيق الهدف . **ثم راح يعرض مائة مليون جنيه استرلينى يسلم لنا منها عشرون مقدما والباقى بعد نجاح الانقلاب قبل إتمام الوحدة . ثم أضاف أن الملك يضمن لنا « أن السفير الأمريكى سوف يقدم لنا اعترافه بنظامنا فور اعلان الانقلاب ، وكذلك اعتراف كل الدول الصديقة للولايات المتحدة** . وبعد يومين عاد أسعد ابراهيم وسلمنى شيكا[11] بمبلغ مليون جنيه استرلينى مسحوبا من البنك العربى المحدود فى الرياض على بنك ميدلاند فى لندن . وكان مدفوعا لحامله (شيك رقم ٥٢/٨٥٩٠٢) ، ثم عاد بعد ذلك بشيك بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه استرلينى مسحوبا من البنك العربى المحدود فى الرياض على بنك ميدلاند فى لندن (شيك رقم ٥٨/٨٥٩٠٣) ، ثم عاد بشيك آخر بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه استرلينى مسحوبا من البنك العربى المحدود فى الرياض على بنك ميدلاند فى لندن (شيك رقم ٥٩/٨٥٩٠٤) . وسألت أسعد ابراهيم عن بقية المبالغ ، فقال هذه ٢ مليون جنيه والباقى عندما يحدث شىء ، ولم تكن الشيكات التى سلمها لى بـ ٢ مليون جنيه وإنما بمليون و ٩٠٠ ألف فقط . وابتسم وكان علىّ أن أفهم انه اختصم لنفسه مائة ألف جنيه استرلينى عمولة . وقلت له إننا لا نستطيع أن نتحرك الآن لأن الاستفتاء سوف يجرى غدا والجيش مستنفر ، وهذا هو أسوأ وقت يمكن أن نتحرك فيه ، وعلى أى حال فلابد أن

(١١) صور فوتوغرافية للشيكات الثلاثة ، وإشعارات الايداع منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٢٥ صفحة ٨٤٨

تثقوا بنا ، وأنتم تعرفون أن الشعبة الثانية فى يدها كل شىء فى أى وقت . وأخرج من جيبه رسالة قال لى إنها موجهة من الملك إلىّ ، وكان مضمونها أن الملك فى كل الظروف لن يتخلى عنا إذا مشينا معه كما لم يتخل والده الملك عبد العزيز عن شكرى القوتلى . ثم سألنى عما إذا كنا نستطيع فور وقوع الانقلاب أن نسلمهم عددا من اللاجئين السياسيين السعوديين ؟ وأعطانى قائمة بأسمائهم ، ثم عاد يكرر أن السفير الأمريكى سوف يكون جاهزا لتقديم اعتراف بلاده بالانقلاب فور حدوثه . »

وتوقف « عبد الحميد السراج » فى روايته ليسلم لـ « جمال عبد الناصر » الذى كان يسمع مبهوتا مجموعتين من الوثائق :

□ مجموعة لصور الشيكات وأذونات الدفع المتعلقة بها .

□ ومجموعة من إشارات تحركات الطائرة الملكية السعودية الخاصة التى وضعت تحت تصرف « أسعد ابراهيم » والتى كانت تتنقل ذاهبة قادمة من دمشق إلى الرياض وبالعكس عدة مرات كل يوم . ثم عاد إلى استئناف روايته للوقائع ، فقال :

« الحقيقة أننى بعد أن تسلمت الشيكات كنت أريد أن أتأكد أن قيمتها سوف تنتقل إلى حوزتنا فعلا ، وكنت فى بيتى مساء ليلة أول أمس أفكر فى الموضوع ، ثم تذكرت أن جارى فى الدور الأسفل من البيت هو السيد واصف كمال وهو مدير البنك العربى المحدود فى دمشق (وهو البنك الذى تمت عن طريق فرعه فى الرياض عملية سحب الشيكات على بنك ميدلاند فى لندن) . ونزلت إليه أطرق بابه ، وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وايقظته من النوم ، وقلت له إن لدىّ شيكات وأنا أخشى أن يتدخل أحد لايقاف دفع قيمتها ، ولذلك فأنا أريد إتمام التحويل الآن . وكان الرجل فى حيرة من أمره لا يدرى كيف يستجيب لما طلبت منه فى هذه الساعة من الليل . وأخذته إلى فرع البنك العربى المحدود فى دمشق ومعى بعض الضباط ، واستدعينا فى نفس الوقت بعض معاونيه ، وأولهم نائب مدير البنك الذى استطاع للحق أن يستوعب الموقف بسرعة . وهكذا فى أول ساعة من الصباح كانت عملية سحب المبلغ من بنك ميدلاند برقيا وإيداعه باسمى فى حساب فى سويسرا قد تمت » .

وتوقف « عبد الحميد السراج » عن روايته للرئيس الذى كان يتفحص الشيكات ولا يصدق ما يسمعه ، ثم قدم للرئيس ايصالات بإتمام الايداع فى حساب باسمه فتح فى البنك العربى المحدود فى سويسرا تحت رمز (ع . س . -

أى عبد الحميد السراج) . وكان اول سؤال وجهه « جمال عبد الناصر » لـ « عبد الحميد السراج » بعد ان اكدت له الوثائق حقائق ما سمع : « هل يعرف شكرى القوتلى ؟ » وقال « عبد الحميد السراج » إنه لم يذكر الموضوع لأحد على الاطلاق . وفيما عدا ثلاثة من ضباط شعبته الموثوقين ومدير البنك العربى المحدود فى دمشق ونائبه ، فإن احدا فى سوريا كلها لا يعرف شيئا . »

□

وطلب الرئيس من « عبد الحميد السراج » أن يروى القصة لـ « شكرى القوتلى » . وأبدى « عبد الحميد السراج » مخاوفه من أن يقوم « شكرى القوتلى » بإبلاغ السعوديين بانكشاف المؤامرة . وقال له الرئيس « جمال عبد الناصر » : « إن شكرى القوتلى رجل عاقل ، وانت دائما سيىء الظن به . وعلى أى حال فإن شكرى القوتلى سوف يجىء إلىّ فى الصباح ، وسوف اطلب منك ان تحكى له كل شىء أمامى » .

ولم ينم « جمال عبد الناصر » بقية الليل ، وإنما تزاحمت الخواطر والذكريات فى مخيلته ، ولعله فهم وقتها لماذا لم يتلق ردا من الأمير « فيصل » بعد آخر مرة التقاه فى القاهرة . وكان « فيصل » قد وعده بأن يرد عليه ، وأن يجىء له بالملك « سعود » ليتكاشفا فى كل ما بينهما(١٢) .

وفى الصباح جاء « شكرى القوتلى » لتناول الافطار مع « جمال عبد الناصر » ، وفوجىء بوجود « عبد الحميد السراج » ، وفوجىء أكثر عندما قال له الرئيس : « إن لدى عبد الحميد شيئا ، واريد أن اسمع رأيك فيه » . وأعاد « عبد الحميد السراج » رواية قصته على « شكرى القوتلى » وسلمه صور الشيكات . وامسك « شكرى القوتلى » بالشيكات يقلبها بين أصابعه ، ثم نظر إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » وقال له : **كيف نتاكد أن هذه الشيكات صحيحة ، وأن التوقيعات عليها أصلية ؟ » وتضايق « عبد الحميد السراج » وقال « للقوتلى » : « سيدى هذه ايصالات إيداع المبالغ فى حسابات باسمى فى سويسرا ، وهى حوالى ٢ مليون جنيه استرلينى ، وابى مات على حصيرة لم يترك لى ابيض ولا احمر » . وراح « شكرى القوتلى » يضرب كفا بكف ويقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .**

---

(١٢) فيما بعد عرف « جمال عبد الناصر » من الأمير « فيصل » انه نقل للملك « سعود » بالفعل كل ما سمعه من « جمال عبد الناصر » وعرض عليه فكرته فى إجراء مكاشفة ومصالحة بين الاثنين ، ولكن الملك « سعود » اكتفى بالرد عليه قائلا : « ابشر ابشر » . ولعله كان ينتظر سماع انباء من دمشق .

وبعد الظهر عاد « عبد الحميد السراج » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يحمل إليه نص برقية مرسلة من السفارة السعودية فى دمشق إلى الديوان الملكى فى الرياض ، وكان نصها : « تاكد ان البناية مفشوشة » . واضاف « عبد الحميد السراج » أن كلمة « البناية » كانت هى الاسم الرمزى لعملية الانقلاب ، ومن المؤكد أن « شكرى القوتلى » ابلغ السفارة لكى ينبه الملك إلى ان الموضوع قد انكشف .

ولم يكن هذا هو كل شىء فقط مع « عبد الحميد السراج » وإنما كانت معه ايضا تفاصيل مؤامرة أخرى أعدها « أسعد ابراهيم » بالاتصال مع احد ضباط الطيران ، وقد وعده بأن يعطيه نصف مليون جنيه إذا قام بضرب طائرة « جمال عبد الناصر » فى الجو إذا جاء إلى دمشق بعد الاستفتاء (ولم تكن المؤامرة الكبرى للانقلاب قد نجحت) .

وبعد اقل من ساعة كان « جمال عبد الناصر » فى شرفة قصر الضيافة فى دمشق يروى للجماهير المحتشدة فى ساحته ، والمزدحمة حتى سفوح جبل « قاسيون » تفاصيل القصة كلها واسرارها . ولم تصل الحقيقة إلى الجماهير التى سمعته وحدها ، وإنما وصلت فى نفس الوقت إلى كل اطراف الأمة العربية ، وإلى كل أركان الدنيا بما فيها السعودية .

٣

كانت إذاعة تفاصيل المؤامرة ، وأسرارها بمثابة قنبلة انفجرت فى الرياض . وهرع بعض الأمراء الشبان إلى القصر الملكى ، وعرفوا أن الملك ليس فى العاصمة ، وإنما هو فى قصره فى المدينة المنورة . وكان الأمير « طلال »(١٣) هو أول من تمكن من الاتصال بـ « سعود » فى قصره بالمدينة . وسأله ما إذا كان قد سمع ما اذيع للتو من

---

(١٣) رواية الأمير « طلال » للرئيس « جمال عبد الناصر » عندما التقاه فيما بعد ، وهى بنصوصها الكاملة مكتوبة بخط السيد « سامى شرف » ومودعة فى ارشيف منشية البكرى ضمن ملف عنوانه : « السعودية - مؤامرة الملك سعود - فبراير ١٩٥٨ - رقم ٤ » .

دمشق ؟ ورد عليه الملك بقوله : « لا تنزعج وتوجه إلىّ فى المدينة » . ودخل الأمير « طلال » إلى القصر فى المدينة ليجد أن نائب أميرها « عبد الله السديرى » جالس مع الملك ، وكان الملك يسأله : « هل صدق أهل المدينة ما قاله الحاسدون فى دمشق ؟ » وسكت نائب أمير المدينة لم يجب . وكان الصمت فى حد ذاته إجابة كافية . وحاول الأمير « طلال » أن يستطلع رأى الملك فى الموضوع ، ولكن الملك راح يتحدث عن رحلة صيد قام بها إلى البر وعاد منها قبل ساعات . وأحس « طلال » أن الملك يراوغه ، فقال له منفعلا : « **بالله يا طويل العمر أن تبيض وجوه آل سعود . لو تركنا ما اذيع بغير رد لسودت الفضيحة وجوهنا ، وإحنا لا نمثل فردا ولا اثنين ، ولكن إحنا خمسة آلاف من آل سعود ، وأين نذهب بوجوهنا ؟** »

وتصنع الملك ابتسامة ، ثم قال لـ « طلال » : « **ابشر ابشر ، ما يخالف ، ولا تنزعجوا** » .

وفى الصباح استقل الملك طائرته قاصدا إلى الرياض ، ولم ينزل فى مطارها العام ، وإنما نزل فى مطار خاص قرب القصر . ودعا مستشاريه ، ولم يكد مجلسهم ينعقد حتى دخل عمه الأمير « عبد الرحمن آل سعود » وكان وقتها يعتبر عميد الأسرة بحكم كونه شقيق مؤسس المملكة ، وأكبر الأمراء سنا . وأمر الملك بالقهوة ، والصمت سائد فى المجلس لا يقطعه إلا قول الملك « كيف حالك ؟ كيف حالك ؟ » يوجهها إلى كل واحد من الجالسين أمامه . ثم قام الملك واتجه إلى مكتبه ، ودعا إليه مستشاريه الشيخ « يوسف ياسين » والسيد « جمال الحسينى » . ونهض الأمير « عبد الرحمن » واقفا يقول للشيخ « يوسف ياسين » : « **إلى اين تذهبان بآل سعود يا يوسف** ؟ » ثم يضيف : « **إلى الأرض الحضيض إلى جهنم والله** » . **قالها وانصرف** .

وصدر عن الديوان الملكى بعد قليل بيان نصه : « **إن جلالة الملك اصدر قرارا ملكيا بتكوين لجنة عليا للتحقيق فى هذا الأمر لاظهار معمياته ومقاصده ، وستنشر الحكومة هذا التحقيق فور الانتهاء منه** » .

ثم أذيع قرار ملكى بتعيين لجنة تحقيق تضم كلا من اللواء « سعيد العزى » مدير الاستخبارات ، والسيد « رشدى ملحس » وهو لبنانى يعمل مستشارا للملك ، والسيد « عبد الله بن عدوان » وكيل وزارة المالية .

□

واعتكف الملك فى قصره لا يقابل أحدا ، ولا يأذن لأحد بالدخول عليه . ولكن أخبار القلق الذى استبد بأمراء الأسرة كانت تصل إليه . وبدأت سلسلة من

التصرفات الهوجاء ، فقد تم القبض على السيد « مصباح كنعان » مدير فرع البنك العربى المحدود فى الرياض . وجىء به مكبلا بالحديد إلى مقابلة مع الملك لم يحضرها إلا الشيخ « محمد سرور الصبان » وزير المالية . وقال « مصباح كنعان » أمام الملك : « إن البنك لم يفعل إلا ما أمر به ، وأن فى حوزته توقيع الشيخ « محمد سرور الصبان » نفسه على إذن التحويل ، كما أن عنده توقيع « معتوق حسنين » رئيس مؤسسة النقد ، وكذلك عنده خطاب خاص من ديوان الملك بالاذن بالتحويل » . وسأله الشيخ « سرور الصبان » : « هل سمعت ما أذيع من وثائق فى دمشق ؟ كيف تسمحون بتسليم هذه الوثائق لأحد ، ومفروض أن تراعوا فى أعمالكم السرية المطلقة » . وحاول « مصباح كنعان » أن يدافع عن نفسه . وأمر الملك بإخراجه ، وأمر بإغلاق فروع البنك العربى المحدود فى المملكة كلها ، واقترح عليه الشيخ « محمد سرور الصبان » تأجيل هذا الأمر حتى لا يهز السوق المالية . ولكن السوق المالية كانت قد اهتزت فعلا ، فقد سارع بعض الأمراء تحسبا لاجراءات قد تتخذ ضد البنك العربى المحدود إلى سحب أموالهم منه . فقد سحب الأمير « طلال » مليونين من الجنيهات ، وسحب الأمير « عبد المحسن » والأمير « سعد » كل منهما نصف مليون جنيه . وتوالت طلبات السحب من البنك ، فقررت إدارته إغلاقه لمدة يوم حتى تتمكن من تدبير أرصدة للراغبين فى السحب . ولكن زحام الراغبين فى السحب تحول أمام البنك إلى شبه مظاهرة ، ثم توترت الأعصاب حين جاءت قوة من الحرس الملكى ، وفتحت لها أبواب البنك اضطرارا ، فإذا هى تدخل لتصادر كل ما لدى البنك من ملفات وأوراق .

وبلغ إلى مسامع الملك أن بعض الأمراء الشبان بدأوا يتطاولون عليه . فبعث احد مستشاريه ليقول للأمير « عبد الله الفيصل » (الابن الأكبر للأمير « فيصل ») إن الملك لا يريده فى المملكة فى الوقت الحاضر . وكان الأمير « فيصل » نفسه بعيدا عن الرياض ، واتصل به ابنه « عبد الله الفيصل » يستشيره فيما أبلغ به . ورد الأمير « فيصل » ببرقية مفتوحة ، ولعله قصدها جاء فيها : « **إن عبد الله الفيصل ليس ابنى ، وإنما هو رعية من رعايا مولانا الملك سعود . ويمكنه ان يطرده من المملكة دون الرجوع إلى احد** » .

ولكن المشكلة لم تكن مقصورة على الأمير « عبد الله الفيصل » وإنما بدأت تمس كل أفراد الأسرة الذين تكررت اجتماعاتهم ، وأصبحت فى واقع الأمر اجتماعا

واحدا[١٤] مستمرا يدخلون ويخرجون منه وهم حيارى لا يعرفون ما العمل ؟ وقرروا إرسال برقية إلى الأمير « فيصل » يطلبون إليه القدوم إلى الرياض ليحسم الموقف . ورد الأمير « فيصل » ببرقية قال فيها : « ليس لى من الأمر شىء ، فكيف تحملوننى التبعة ؟ الأحسن أن تتصلوا بالملك ـ فيصل » . وذهبوا إلى الأمير « عبد الرحمن » عم الملك ، وطلبوا إليه أن يتدخل لأن الشعب فى المملكة يغلى . واستجاب لهم الأمير « عبد الرحمن » وذهب إلى الملك ، وتحدث معه بلهجة قاسية لم يسمعها منه قبلا . وبدأ « سعود » يتهاوى ، وقال لعمه : « بماذا تشير علىّ ؟ » ورد عليه الأمير « عبد الرحمن » بقوله : « استمع إلى نصيحة إخوتك وأبناء عمومتك وخذ الأمر بالشدة ليظهر الحق ، وادع أخاك فيصل ليتعاون معك ، فهو جدير بتحمل المسئولية » . ورد الملك بأن الأمير « فيصل » غاضب عليه . وقال الأمير « عبد الرحمن » : « ادعه وقل له الحقيقة ، وأخلص له النية ، ولكل امرىء ما نوى » . وأملى الملك فى حضور الأمير « عبد الرحمن » على مستشاره الشيخ « يوسف ياسين » برقية جاء فيها : « توجه إلينا فى الرياض ـ سعود » . وبعد ساعة جاء الرد من الأمير « فيصل » وكان نصه : « **طال عمرك صحتى لا تتحمل السفر الآن . وحينما تتهيأ الظروف سأشد الرحال ـ فيصل** » . ورد الملك ببرقية قال فيها : « **نحن فى حاجة إليك ، فتوجه إلينا والله يرعاك ـ سعود** »

ووصل « فيصل » وطلب لقاء الملك وحده . ولم يعرف أحد ما دار بينهما ، وتوجه الأمير « فيصل » وعقد اجتماعا حضره كل أمراء « آل سعود » الموجودين فى الرياض يومها ، وروى لهم ما حدث بينه وبين الملك باختصار شديد ، **ثم أطلعهم على ورقة بتوقيع الملك يخول فيها للأمير « فيصل » جميع سلطات الملك ليعالج كل القضايا الداخلية والخارجية للمملكة .**

وصباح اليوم التالى ظهرت جريدة « النيويورك تايمز » بأول التفصيلات عن التطورات الأخيرة فى المملكة ، وكانت عناوينها « سعود يسلم الحكم إلى أخيه فيصل ـ فيصل هو الرجل القوى فى المملكة الآن » .

ونقلت وكالة « اليونايتد برس » من لندن برقية جاء فى مقدمتها : « **صرحت المصادر البريطانية المطلعة اليوم بأن تنازل الملك سعود عن سلطاته لأخيه الأمير فيصل يعتبر ريشة جديدة فى قبعة جمال عبد الناصر » . وسجلت أسهم شركات البترول هبوطا شديدا فى أسعارها ، وأصدر الأمير « فيصل » بصفته**

(١٤) مجموعة تقارير السفارة المصرية فى جدة خلال شهر مارس ١٩٥٨ ـ واصولها جميعا فى أرشيف وزارة الخارجية ، وقد حصلت السفارة على نسخ البرقيات المتبادلة فى الأزمة بين الملك والأمير « فيصل » من مكتب اتصالات القصر مباشرة !

رئيسا لوزارة جديدة تشكلت فى السعودية بيانا ناشد فيه الشعب السعودى ان يؤيد حكومته ، واذاع راديو مكة بيانا قال فيه : « إن حكومته الجديدة اصبحت مسؤولة عن الشؤون الداخلية والخارجية والمالية ، وانه هو الآن المسؤول عن القوات المسلحة السعودية » . وحين دخل الأمير « فيصل » إلى مقر رئاسة الوزارة بعد إذاعة بيانه كان فى انتظاره حشد من افراد الأسرة يصفقون له ويحيونه .

□

وكان الرئيس « ايزنهاور » فى واشنطن يتابع ما يجرى فى المنطقة ، وقد أحس ان الأمور فى الشرق الأوسط تأخذ اتجاها آخر غير ما قصد إليه حين كتب للملك « سعود » يطلب إليه أن يتشاور مع العراق والأردن ولبنان ، لكى يقوموا جميعا بالتنسيق فيما بينهم لمواجهة قيام الوحدة بين مصر وسوريا وظهور دولة جديدة كبرى فى المنطقة تحت اسم « الجمهورية العربية المتحدة » .

كانت تصرفات « سعود » التى انكشفت بهذه البساطة وتحولت إلى فضيحة مدوية صدمة كبرى بالنسبة للسياسة الأمريكية . والمؤكد فى كل الأحوال أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عن الاتصالات والمشاورات والتحركات التى جرت فى الرياض ، وانتهت بتنازل الملك « سعود » عن سلطاته لأخيه الأمير « فيصل » .

وفى بعض اللحظات بدا ضيق « ايزنهاور » بالتطورات فى الشرق الأوسط ـ شديدا يغلبه كلما حاول أن ينحيه عن أفكاره . وقد دعا مساعده العسكرى البريجادير « جودباستر » وأملاه مذكرة جاء فيها[١٥] :

« إننى حتى هذه اللحظة لم افهم ماذا حدث فى الشرق الأوسط . إن كل ما قراته لم يجعلنى مهيأ للتطورات التى جرت . فهل كنا على علم بها ام اننا فوجئنا مثل الآخرين ؟ لقد كانت سياستنا كما اعرف هى انتزاع سوريا بعيدا عن مصر ، وعزل ناصر بواسطة اخذ سعود من جانبه ـ فإذا نحن نفاجا بالعكس تماما . ناصر يستولى على سوريا بالكامل ، ثم يقوم هو بعزل سعود ـ إننى اريد تقريرا عن الكيفية التى تم بها ذلك .

توقيع ـ آيك »

وظل السؤال معلقا حتى كتب السفير « رينهاردت » (خبير بالشرق الأوسط ، وقد أصبح فيما بعد سفيرا للولايات المتحدة فى مصر) تقريرا قدمه إلى « جون أ .

(١٥) مجموعة اوراق « ايزنهاور » وكذلك مجموعة وثائق الخارجية الامريكية.

كالهون » مدير السكرتارية التنفيذية للبيت الأبيض لكى يضعه تحت نظر الرئيس عل يجيب عن سؤاله الحائر المعلق . وفى هذا التقرير كتب السفير « رينهاردت » بالنص :(١٦)

« من الناحية التاريخية درجت جميع الفئات السياسية العربية إلى الجعجعة بمبدأ الوحدة العربية ، ولكن لم يرتض اى منها التضحية بمطامحه الخاصة فى سبيل تحقيقها . وقد اتخذ حزب البعث العربى الثورى من الوحدة العربية ملمحا جوهريا من ملامح برنامجه السياسى عندما انشىء سنة ١٩٤٢ . وقام الحزب بعد ذلك بإنشاء فروع له فى لبنان والأردن وسوريا والعراق . وبعد الاطاحة بالدكتاتور السورى الشيشكلى فى عام ١٩٥٤ وما تلا ذلك من عودة الحياة البرلمانية فى سوريا ، اندمجت الشعبة السورية من حزب البعث مع الحزب الاشتراكى العربى السورى ، وهو جماعة يسارية راديكالية تضم عناصر من الطبقة المتوسطة السفلى ، ومن صغار ضباط الجيش . وعرف التنظيم الناشىء عن هذا الاندماج بحزب البعث العربى الاشتراكى ، واشتهر فى سوريا ايضا باسم « البعث » . ومنذ عام ١٩٥٤ فصاعدا اخذ هذا التجمع الجديد ، معتمدا اعتمادا شديدا على تاييد من يعطفون عليه من ضباط الجيش السورى ، يظفر شيئا فشيئا بالهيمنة على الخصوم السياسيين الطيعين الجبناء فى جميع انحاء سوريا . وادت الانشطة السوفيتية المتزايدة فى المنطقة بما فى ذلك الشحنات الضخمة من الأسلحة إلى مصر وسوريا ، وازدياد هيبة السوفيت بعد مغامرة السويس الانجليزية الفرنسية الاسرائيلية المجهضة ـ ادت لفترة ما إلى هذا الائتلاف الجديد بين حزب البعث والجيش للتعاون معا (سطور محذوفة فى التقرير ، ثم يمضى نصه بعد ذلك إلى القول) وذلك عندما تبين ان الانتخابات البلدية المقرر إجراؤها فى اوائل عام ١٩٥٨ قد تسفر عن هزيمة يلحقها الشيوعيون بالحزب . ومن هنا قرر ائتلاف البعث والجيش السعى إلى الاندماج مع مصر فورا على امل ان يعطيه ذلك الحماية التى توفرها زعامة الرئيس ناصر ، مما يهيىء للبعث فرصا اكبر لزيادة قوته .

وفى يناير ١٩٥٨ عقد الضباط العسكريون السوريون غير الشيوعيين ، ووزير الخارجية السورى البعثى اجتماعات درامية مع ناصر فى القاهرة توسلوا إليه فيها ان يقبل اندماج البلدين ، وكان هذا التطور مفاجأة للمصريين . وفى بادىء الأمر رفض ناصر النداءات السورية ـ غير انه كان من اشق الأمور عليه ان يقاوم نداء يستند إلى العقيدة الأصلية للفكر السياسى العربى الا وهى الرغبة العارمة فى الوحدة العربية . ومن ثم وافق المصريون على إنشاء الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن وفقا لشروطهم هم ، وليس لشروط الائتلاف السورى بين البعث والجيش . إن زعماء البعث توقعوا ان تكون لهم الهيمنة على الحكومة فى سوريا ، ولعلهم فكروا فى ان تصبح ايديولوجية البعث اساسا لنظام ناصر الثورى ، كما ان ضباط الجيش السورى افترضوا انهم فى وضعهم المدنى الجديد يستطيعون الاحتفاظ

(١٦) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الأمريكية .

بقوتهم العسكرية . والارجح ان كلا من الفريقين سوف يفجع لعدم تحقيق مطالبه . . . . » .

ولم يكن فى هذا التقرير ما يكفى لمواجهة قلق « ايزنهاور » على النتيجة التى الت إليها المخططات الأمريكية فى المنطقة ، ولعلها من هنا أن تقرير السفير « رينهاردت » لم يظفر منه إلا بعلامة استفهام خطها على هامشه . ثم كان طلبه بعد ذلك هو إعادة تقدير الموقف ، ودراسة إمكانيات العمل المتاحة فى الظروف المستجدة .

□

وعقدت اجتماعات مشتركة بين خبراء وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية ، ودعى بعض المهتمين من وزارة الدفاع ، ودارت مناقشات لمدة يومين كاملين فى قاعة خاصة بوزارة الخارجية فى واشنطن . ثم جلس « جون فوستر دالاس » وشقيقه « آلان دالاس » يناقشان المحصلة ، واتفق رأيهما على انه قد يكون من الضرورى التقدم إلى « ايزنهاور » **بتوصية لاجراء بعض الملاءمات مع خطوط مسار السياسة الأمريكية ، فهى « كما هى الآن على مسار صدام مكشوف مع حركة القومية العربية التى يبدو أن نجمها فى صعود » . ووافق « ايزنهاور » على المبدأ ، ولكنه اشار بألاّ يكون من شأن أية ملاءمات جديدة أن تظهر للآخرين وكأنها توجهات سياسية جديدة ، وأن يكون ذلك مفهوما جيدا لكل المسؤولين الامريكيين فى واشنطن وفى المنطقة .**

وكلف « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكية مساعده « ويليام راونترى » بإبلاغ توجيه سرى إلى جميع سفراء الولايات المتحدة فى المنطقة ، وكان نصه كما يلى :

« سرى للغاية(١٧)

توجيه رقم : ٢٢٧٩ — تسجيل : ١٨ ابريل ١٩٥٨

خاص ولعلم رؤساء البعثات الأمريكية فى الشرق الأوسط وحدهم

سياسة الولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة

١ ـ إن وزارة الخارجية تؤكد ان الأهداف الأساسية لسياسة الولايات المتحدة فى علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة ، باقية من غير تغيير .

إنها تؤكد من جديد ان ازدياد نفوذ مصر يتعارض مع القرار المشترك للكونجرس عن

١٧) صورة من النص الكامل للوثيقة منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٢٦ صفحة ٨٥٠ ـ وهذه الوثيقة لها ظرف خاص ، فقد جرى الحصول على صورة لها بعد الثورة العراقية مباشرة ، ومن مصدر داخل السفارة الأمريكية فى بغداد ، ولهذا فإن اسم السفارة الأمريكية فى بغداد ظاهر عليها .

الشرق الأوسط ، ويؤدى إلى تقوية القومية العربية ويشجع الاتجاهات المضادة للغرب ، وبالتحديد الاتجاهات المضادة لأمريكا ، فى الشرق الأوسط وفى افريقيا ، ثم هو يؤثر على هيبة حلف بغداد ، الذى يعتبر حلقة هامة فى شبكة الدفاع عن العالم الحر ، ويمس بالضرر موقف إسرائيل ومصالحها ، الامر الذى لا تستطيع الولايات المتحدة ان تتجاهله .

٢ - إن وجود السيطرة على مواصلات نقل بترول الشرق الأوسط إلى اوروبا ، سواء عن طريق قناة السويس ، او عن طريق انابيب البترول المتجهة إلى البحر الأبيض - تحت السيطرة الفعلية للقاهرة ، يعرض المصالح الامريكية فى المنطقة لخطر اكيد ، فإن ذلك يجعل الجمهورية العربية المتحدة الآن فى وضع يمكنها من ممارسة ضغط على الولايات المتحدة وغيرها من القوى الغربية ، وهذا الاحتمال يمكن ان يتحول إلى سلاح مخيف فى يد الرئيس ناصر .

٣ - . . . .

٤ - وفى الظروف الحالية ، فإن متابعة الاسلوب السابق تجاه الجهورية العربية المتحدة ، لن يؤدى إلا إلى مضاعفة سخط العرب ، ودفعهم إلى احضان السوفيت ، وهذا يتطلب بعض التغييرات فى اسلوب متابعة سياستنا ، ومن هنا تجىء مسالة « تخفيف » علاقاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة .

ولا يتضمن الأمر إعادة تقدير اساسى لسياستنا ، وإنما هناك تحول تاكتيكى مؤقت تفرضه الضرورة ، وعليه فإن الافراج عن ارصدة مصر من الدولارات المجمدة فى الولايات المتحدة ، وتخفيف بعض القيود المفروضة على التجارة ، وبعض الخطوات الأخرى ، تجرى دراستها فى الوقت الحاضر .

وإذا نجحنا فى ان نقنع ناصر بان الولايات المتحدة ، قد وطدت نفسها على حكمه ، وانها الآن على استعداد للاستجابة لبعض شروطه ، فإن النتيجة الحتمية لذلك ستكون فتورا فى العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والكتلة السوفيتية .

وإن احتمال نجاح تطور على هذا النحو موجود ، ويستدل عليه من تصريحات صادرة عن مصر - بينها تصريحات من ناصر نفسه - بما معناه ان الصلات القريبة بين مصر وروسيا قد استمدت جذورها من رفض الغرب ان يتفاوض مع مصر على اساس الشروط المصرية ، وهكذا فإن تحسنا فى العلاقات بين الولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة ، يمكن ان يؤدى - على المدى البعيد - إلى إثارة الشكوك فى الكرملين ، ثم إلى إضعاف العلاقات العربية السوفيتية إن لم يؤد إلى قطعها تماما .

٥ - يتحتم ان تظل جهودنا متجهة إلى مهاجمة فكرة الوحدة بين مصر وسوريا ، ولا يجب ان تتوقف جهودنا لايجاد فاصل بين البلدين ، وينبغى ان يظل ذلك من ابرز اسس سياستنا فى المنطقة .

وهناك قوى داخلية تشارك الغرب معتقداته ، كما ان هناك قوى خارجية يمكنها فى

اى لحظة ملائمة ان تتدخل ، وينبغى تدعيم هذه القوى من غير كلل ، وينبغى ان نذكر دائما ان اى تفسخ فى الجمهورية العربية المتحدة لن يقرر فقط مصير مصر تحت حكم ناصر ، وإنما سوف يجعل من السهل ايضا محاربة القومية العربية ، فى اى شكل تتخذه فى الشرق الأوسط .

٦ - ولسوف تكلل جهودنا بالنجاح اكثر إذا امكن عزل الجمهورية العربية المتحدة عن باقى العالم العربى ، وبالنسبة لهذه المهمة ، فإن ممثلى الولايات المتحدة ، سواء فى الاقسام الدبلوماسية ، او فى اقسام الاستعلامات والدعاية فى العالم العربى ، عليهم ان ينشروا الاعتقاد العام بان الجمهورية العربية المتحدة تشكل خطرا مباشرا على كل الحكومات العربية .

وفى البلاد الملكية علينا ان نشرح بقوة ان تدعيم الجمهورية العربية المتحدة قد يؤدى إلى سقوط حكم جميع البيوت الحاكمة ، كما انه فى الجمهوريات يمكن بث الخوف من ابتلاع القاهرة لهذه الجمهوريات .

وفى النهاية ينبغى انتهاز كل فرصة لتقوية الاتحاد العراقى الأردنى الذى سوف يستمر فى الحصول على تاييد الولايات المتحدة ضد الاتحاد السورى المصرى .

٧ - إن هذا المنشور يقدم تصويرا عاما لبعثات الولايات المتحدة الدبلوماسية فى الشرق الأوسط ، وتتلقى كل بعثة منها بالذات تعليمات مفصلة تناسب مكانها .

توقيع
راونترى »

□

وعلى الأرجح فإن هذا التردد والتخبط بين الحقيقة والتعبير عنها ، وبين السر والعلن ، كان يعكس مشكلة قوة عظمى من قوى العصر فاجأتها حوادث لم تكن مستعدة لها ، ومن ثم راحت ترتجل وتصطنع فى انتظار أن تمكنها الظروف ، وتتيح لها مناخا أكثر ثقة واستقرارا تستطيع فيه أن تعيد رسم سياستها والتعبير عنها فى تناسق وانسجام .

وربما كان خير ما يشرح الحالة النفسية للسياسة فى تلك الفترة من التردد والتخبط أنها راحت تفكر فى مشاريع وحدوية لا تخطر بعقل عاقل .

وتكشف إحدى وثائق مجلس الأمن القومى[١٨] أن لجنة تنسيق العمليات والسياسات التابعة له اقترحت أن تسعى الولايات المتحدة إلى إقامة دولة وحدة بين إيران وباكستان !

(١٨) الوثيقة رقم ٥٧٠٣/١ من ملفات مجلس الأمن القومى ، وهى بتاريخ ٦ مايو ١٩٥٨ .

وكان راى اللجنة انه إذا كانت الوحدة ممكنة بين مصر وسوريا وليس بينهما حدودا جغرافية ، فإمكانياتها أكثر بين إيران وباكستان لأن لهما حدودا مشتركة ! !

□

وتحتوى يوميات « ايزنهاور » (وهى مودعة فى مكتبته فى آبيلين ـ كانساس) على إشارات فى ذلك الوقت تظهر حيرة « ايزنهاور » إزاء الطريقة التى يمكن للولايات المتحدة أن تتصرف بها إزاء « جمال عبد الناصر » .

ويكتب « ايزنهاور » بخط يده فى يوم ١٠ مايو :

« إن امامى خططا كثيرة للخلاص من ناصر تقدمها لى المخابرات . وامامى تقارير مختلفة ومتضاربة عن نواياه ، فهم يقولون إن لديه جدول اعمال محددا للسيطرة على الشرق الأوسط بلدا بعد بلد تماما كما كان « هتلر » . وهم يؤكدون انه ليس شيوعيا ، ولكنه إذا استولى على الشرق الأوسط كله ، فإن الشيوعيين سوف يسيطرون على منابع البترول » .

ثم يستطرد « ايزنهاور » :

« إن فوستر (دالاس) يعتقد ان بإمكاننا إذا اتبعنا سياسة ذكية ان نستطيع استمالته إلى ناحيتنا ، ولو لحصر ضرره على مصالحنا ، وقد وافقت وقلت لفوستر : « على شرط ألا يبدو وكاننا نلعق حذاء ديكتاتور » .

والحقيقة اننى لا اعرف بعد كيف ينوى « فوستر » ان ينفذ سياسته هذه الذكية التى يتحدث عنها ، فقد اردنا عزل ناصر عن سوريا ، فإذا هو ياخذها بالكامل فى يده ! »

ويمضى « ايزنهاور » :

« إن القومية العربية حركة وطنية راديكالية ، ومثل هذه الحركات لها جاذبية ، وإذا اقترنت جاذبية الفكرة برجل يمثلها ، ويملك نفس القدر من الجاذبية الشخصية ، فمن المؤكد انه يستطيع اكتساح الاقطاعيين الذين يحكمون فى البلدان الأخرى ، وان يحرض شعوبهم على الثورة ضدهم ، وهذا يعطى الفرصة لـ « خروشوف » ليخنق الغرب ! ! »

ويصل « ايزنهاور » إلى بيت القصيد ، فيقول :

« لابد ان نجد وسيلة لتطبيق سياستنا فى مكان ما من العالم العربى ، ومن المحتم ان نثبت للجميع ان مبدا ايزنهاور له قوة على الفعل » .

ثم يصل « ايزنهاور » إلى القول :

« إن لبنان قد يكون فرصتنا لاثبات ان مبدا ايزنهاور قادر على الفعل ، ومع ان لبنان بلد لا يملك نفطا ولا جيشا ، فإنه يملك تجربة ديمقراطية معرضة الآن للخطر بسبب التحديات التى تواجه (الرئيس اللبنانى كميل) شمعون ! ! »

الفصل الثانى

الصيف الخطر !

١

كان « جمال عبد الناصر » قد ترك أفراح الوحدة فى دمشق ، وعاد إلى القاهرة مدركا أن مرحلة جديدة من الصراع على الشرق الأوسط ، وفيه توشك أن تبدأ . لقد انتهت مرحلة باءت فيها بالفشل كل مخططات الغرب ، وعلى رأسه الولايات المتحدة . وكان الفشل صارخا . وكان تقديره أن الذين تلقوا هذا الفشل لن يقبلوا به كنتيجة نهائية للصراع مهما كان ما يتظاهرون به . ومن ثم فإن المرحلة الجديدة من هذا الصراع سوف تكون بالغة الخشونة ، وبدرجة تتناسب مع حجم الفشل الذى منوا به .

ولعله من هنا أراد فى هذه الفترة أن يستكشف إمكانيات السوفيت بطريقة مباشرة وعميقة . كان يرى أن الولايات المتحدة هى التى تقود المرحلة القادمة من المواجهة ، وبخطط جديدة . فهى حتى الآن ، ومنذ أن تصدرت لقيادة التحالف الغربى ، كانت فى الشرق الأوسط تفكر وتتحرك وتفعل محكومة بمواريث الاستعمار التقليدى ـ البريطانى الفرنسى ـ الذى انهار فى السويس . وأما الآن ، وخصوصا بعد ما حدث فى سوريا وانتهى إلى قيام الجمهورية العربية المتحدة ، فهى على وجه اليقين سوف تعطى نفسها بداية جديدة لا علاقة لها بما سبقها ، ثم إن هذه البداية سوف يكون عليها فى مراحلها الأولى أن تعوض النكسات التى تلقتها فى كل من دمشق والرياض .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان « جمال عبد الناصر » يدرك ان الأمور مع السوفيت تحتاج إلى مناقشات صريحة[1] خصوصا بشموالد الموقف الذى اتخذه الحزب الشيوعى السورى من الوحدة . فهذا الحزب لم يكف بهرب رئيسه « خالد بكداش » من جلسة التصويت على الوحدة خروجا على الاجماع العام ، وإنما راح من « صوفيا » يصدر بيانات متواصلة ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وضد كل الأطراف التى ساعدت على إقامتها بما فيها حزب البعث . ووصل الأمر بالحزب الشيوعى السورى إلى أنه وصف حزب البعث بأنه « عميل مأجور لبنك مصر » على أساس تصور ارتآه الحزب الشيوعى السورى مؤداه أن النظام فى مصر كله « واجهة للمصالح البورجوازية التى تملك بنك مصر » . وإضافة إلى ذلك فإن « جمال عبد الناصر » كان يشعر أن الاتحاد السوفيتى يشعر بضيق يحاول بكل الجهود إخفاءه والتغطية عليه بسبب التناقض الواضح بين أفكار ثورة ٢٣ يوليو وبين التنظيمات الشيوعية ، وما نتج عن ذلك من ضبط لبعض التنظيمات الشيوعية واعتقال لأعضائها ، وصدور أحكام من المحاكم فى حقها . وهكذا استجاب لدعوة سوفيتية قائمة ، ووصل إلى موسكو فعلا فى أول زيارة رسمية له فى أواخر شهر أبريل ١٩٥٨ .

والواقع أن جدول أعمال المباحثات الذى حمله « جمال عبد الناصر » معه فى رحلته إلى موسكو كان مستوحى بالكامل من مؤتمر سرى عقدته الأحزاب الشيوعية العربية فى صوفيا(*) ، واتضحت منه خطوط سياساتها للمرحلة المقبلة . كانت المقررات السرية لهذا المؤتمر تقوم على ثلاث فرضيات وجدها « جمال عبد الناصر » من وجهة نظره خاطئة ، وأكثر من الخطأ فإنها كان يمكن أن تصبح خطيرة إذا تبناها الاتحاد السوفيتى كسياسة له بناء على نصيحة أصدقائه القريبين من الشيوعيين العرب . كانت هذه الفرضيات الثلاث على النحو التالى :

١ - إن الصلح مع إسرائيل لابد منه لأنه الطريق إلى توحيد كل جهود المنطقة ضد المصالح الاستعمارية الغربية .

٢ - إن الوحدة العربية دعوة رومانسية عاطفية ، وأنه مهما قيل عن تأثيرها العاطفى والمستقبلى لا يمكن فى الظروف الحالية إلا أن تكون وسيلة لفتح أسواق أكبر أمام البورجوازية العربية .

٣ - إن الأحزاب الشيوعية يجب أن يتم الاعتراف بها ، وأن تتمكن هذه الأحزاب من تحقيق تعاون بينها على مستوى المنطقة كلها . (وكانت هذه

---

(١) نشرت جريدة « برافدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعى السوفيتى خبر إقامة الوحدة بين مصر وسوريا فى إحدى صفحاتها الداخلية ، وكان حجم الخبر الذى هز الشرق الأوسط هو ثلاثة عشر سطرا فقط !

(*) منشور عن مقررات الاجتماع وزع فى بيروت ونشرته الصحف الشيوعية فيها .

الفرضية الأخيرة على تناقض مع ما سبقها لأنها تقوم على التسليم بأن هناك أساسا حقيقيا لوحدة العمل السياسى فى العمل العربى) .

وعلى مائدة المفاوضات فى الكرملين ، وفى مواجهة « خروشوف » و « بولجانين » قال « **جمال عبد الناصر » إنه يريد أن يطرح مجموعة من القضايا السياسية العامة ، وبعدها يمكن أن ينتقل البحث إلى مسائل التعاون الثنائى بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة . وكانت القضايا الثلاث هى بالتحديد ما استوحاه من مقررات مؤتمر الأحزاب الشيوعية العربية :**

(١) إسرائيل - (٢) **الوحدة العربية - (٣) الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى .**

وطالت المناقشات وتشعبت ، وثارت فى بعض الأحيان نقط خلاف محددة ، وحدثت مشاكل بسبب عملية الترجمة من الروسية إلى العربية ، وقد كان الزعماء السوفيت مصرين على أن يتكلموا دائما بلغة بلادهم ، كما أن « جمال عبد الناصر » إزاء ذلك رأى أن يستعمل اللغة العربية . ولم يكن هناك سوى مترجمين سوفيت معظمهم من خريجى معهد الدراسات الشرقية . وربما كانت لغتهم بالكتابة على الورق مقبولة ، ولكنها فى الحوار المتبادل كانت تفتقر إلى كثير من الدقة والوضوح .

ومن جانبهم ، فإن السوفيت حاولوا اختبار مدى التماسك بين الأعضاء المصريين ، والأعضاء السوريين فى وفد الجمهورية العربية المتحدة . كما أنهم راحوا يشدونهم إلى محاورات يستهدفون منها استكشاف ما إذا كان إلحاحهم على الوحدة قضية اقتناع بعيد المدى ، أو أنه ضغوط الظروف .

وعلى أية حال ، فإن الزيارة كانت فى أقل القليل فرصة يسمع فيها كل طرف الطرف الآخر مباشرة ، ويستنتج مما سمعه مما يشاء له ذكاؤه أن يستنتجه . ومع أن المراسم الاحتفالية - وقد بلغت درجة عالية من الحفاوة والتكريم - سادت كل أيام الزيارة - فإن الفرصة كانت متاحة للتعارف عن كثب . كما أن حرارة الزيارة فتحت الطريق بسهولة للاتفاق على مسائل العلاقات الثنائية ، وكان أبرزها أن « جمال عبد الناصر » طلب دراسة مشروع السد العالى جديا ، وإبلاغه بما إذا كان الاتحاد السوفيتى على استعداد للمشاركة فى تنفيذه . وكذلك حدث نفس الشىء بالنسبة لخطة التصنيع فى دولة الوحدة الجديدة ، وقد بدت للسوفيت شديدة الطموح . وأخيرا فقد كانت هناك مسألة التعاون فى مجال الطاقة الذرية ، وكان الواضح أن السوفيت لديهم بعض التساؤلات عن نشاط العلماء الألمان فى مصر فى مجال صناعة الطائرات والصواريخ . وقد رد « جمال عبد الناصر » على هذا التساؤل بقوله : « إنكم انتم هنا

فى الاتحاد السوفيتى ومنافسيكم هناك فى واشنطن تسابقتم على العلماء الألمان ، وإذا كنا قد استطعنا أن نقنع بعضهم بالذهاب إلى مصر ، فإن هدفنا الأساسى كان ألاّ نتخلف عن تكنولوجيا الطيران والصواريخ ، فقد كان هذا هدفنا بالدرجة الأولى » .

وفى اليوم الأخير للزيارة سأله خروشوف : « لماذا يتعجل العودة إلى القاهرة ، ولماذا لا يأخذ إجازة أسبوع على الأقل فى أحد منتجعات البحر الأسود - « يالطا » مثلا » - ورد « جمال عبد الناصر » « **إننى كنت أتمنى ، ولكن الحوادث فى المنطقة تتداعى تطوراتها ، وقد تلقيت وأنا هنا عندكم بالفعل تقارير عن مشاكل تجرى فى لبنان ، وكالعادة فإن الغرب يتهمنا ، وأحسب أننا مقبلون على صيف حار** » .

ولم يكن مخطئا فى تقديراته . ولم يكن بعيدا - كما تثبت الوثائق - عما كان يدور فى فكر « ايزنهاور » .

كان استقراء الوقائع يثبت مرة أخرى ، أنه ليس أقل أهمية من قراءة وثائقها .

٢

لم يكن « ايزنهاور » يرسم خططا فى الفراغ حينما اختار لبنان ميدانا لتجربة مبدأ « ايزنهاور » ، وإنما كان لبنان مهيأ بالفعل لحوادث الفصل الأول من الصيف الحار الذى توقعه « جمال عبد الناصر » وهو ما زال بعد فى موسكو .

إن العاصمة اللبنانية « بيروت » كانت قد تحولت فى سنوات سابقة إلى قاعدة لقاء ومواجهة بين كل التيارات الفعالة ، والمؤثرة فى الصراع الكبير على مصائر العالم العربى والشرق الأوسط . وفى الفترة اللاحقة لمعركة السويس مباشرة أصبحت بيروت مركزا رئيسيا لعمليات المخابرات والحرب النفسية والمؤامرات وتجارة السلاح ، إلى جانب أنها كانت من قبل ذلك فعلا قاعدة خلفية لنشاط شركات البترول ، وفوائض أمواله .

وحين قامت الجمهورية العربية المتحدة بالوحدة بين مصر وسوريا ، فإن الموازين الدقيقة والحساسة التى كانت حركتها تمسك بالعناصر المتنافرة والمتناقضة فى لبنان بدأت تختل . وبدأ الشرر يتصاعد من احتكاك كتل هذه العناصر بعضها ببعض .

وكانت أبرز دواعى الاحتكاك أن الأغلبية الاسلامية التى رضيت أن تعيش فى لبنان تحت حكم أقلية مارونية - بدأت تشعر أن قيام الجمهورية العربية المتحدة إلى شرق لبنان ، ومن حوله قد أعطاها بعدا وسندا تستطيع أن تطمئن إليه فى مواجهة أوهام راودت بعض الزعماء الموارنة فى سلخ لبنان عن انتمائه العربى ، وإلحاقه بأوروبا عبر البحر المتوسط .

وفى الفترة التى قضاها « جمال عبد الناصر » فى دمشق كانت مواكب القاصدين من بيروت إليها لا تنقطع عبر الجبال والوديان . وقدرت وكالات الأنباء - « رويتر » و « الأسوشياتد برس » - عدد اللبنانيين الذين قصدوا إلى بيروت فى هذه الفترة التى لم تزد على أسبوعين بأكثر من نصف مليون لبنانى (وهذا معناه أن نصف لبنان فى الواقع شارك فى مواكب الرحلة إلى دمشق) . وللانصاف ، فإن بعض الظواهر فى المناخ بدت جامحة ، فإن قيام الوحدة أطلق العنان لتطلعات مكبوتة طال كبتها ، إلى جانب أنه كان من بين السوريين كثيرون لم ينسوا بعد أن لبنان كان سنجقا سوريا . **بل إن الرئيس « شكرى القوتلى » خطب فى أحد الوفود فى ذلك الوقت يقول** : « **إن على لبنان أن يفكر الآن فى الالتحاق بالجمهورية العربية المتحدة** » . وكان هذا أكثر مما تحتمله طبائع الأمور فى بيروت ، خصوصا وأنه كانت هناك قوى كثيرة تحاول إشعال النار على رؤوس الجبال على الطريق بين بيروت ودمشق .

كان كل اللاعبين بالنار - هواة ومحترفين - قد ذهبوا إلى بيروت بالأمر أو بالتطوع .

ذهبت كل عناصر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية العاملة فى المنطقة . وتدفقت اعتمادات مالية من مصادر مختلفة على كل وسائل الاعلام وغيرها من أدوات الحرب المعنوية والنفسية فى بيروت . حتى أن تقريرا للمخابرات اللبنانية وصل إلى يد اللواء « شهاب » قائد الجيش اللبنانى فى ذلك الوقت - قدر كمية الأموال التى ألقيت فى السوق السياسية بمبلغ خمسين مليون دولار خلال مدة شهرين اثنين .[٢]

(٢) تقرير اللواء « فؤاد شهاب » تقرير تفصيلى ، والمعلومات التى وردت فيه شاملة ، وقد اطلع عليه السفير « عبد الحميد غالب » ونقل عنه فقرات طويلة فى تقرير للسفارة المصرية من بيروت ، ولا توجد منه - حسب -

وشهدت بيروت فى ذلك الوقت ايضا توسعا فى نشاط جماعة « مصر الحرة » التى أسسها « محمود ابو الفتح » (بمساعدة المخابرات الفرنسية) وراحت تكثف دعاياتها ضد الجمهورية العربية المتحدة . ومن بيروت مضت هذه المنظمة تحرر مواد إذاعتها الموجهة إلى مصر . وكان من أغرب ما أذيع على موجاتها فى ذلك الوقت مجموعات من التعليقات جاء فى عناوين بعضها : « الشعب يساق الآن فى الشوارع ليهتف بالوحدة » ـ و « الشرباصى (وزير الأشغال) والباقورى (وزير الأوقاف) يسافران إلى سوريا كمندوبين عن « جمال عبد الناصر » لبحث إمكانية استيعاب أرض سوريا ، والترتيبات المعيشية لمليون مصرى مهاجر » ـ و « الوحدة مازالت حبرا على ورق ، ومع ذلك بدأت معركة الاستغلال » .[3]

كان واضحا من كثرة عدد اللاعبين بالنار أن المعركة التى توشك أن تبدأ ليست دفاعا عن بيروت ، ولكن هجوما على دمشق .

□

وبدأ تطاير الشرر .

فى ٢٨ مارس ١٩٥٨ بدأت بعض العناصر من قرى الجبل تتحرش بالمواكب المتوجهة إلى دمشق سواء باعتراضها بحواجز الطرق ، أو بإلقاء الحجارة عليها ، ثم تطور الأمر إلى إطلاق النار فى الهواء تخويفا وإرهابا . ثم جرت ـ وكان لابد أن تجرى ـ مصادمات . وانتشر نطاق المصادمات ، ثم راجت فى بيروت على الأثر أخبار بدت مستغربة ، فقد شاع أن الرئيس « كميل شمعون » الذى أوشكت مدة رئاسته على الانتهاء يفكر فى ترشيح نفسه مرة أخرى للرئاسة خلافا لنصوص الدستور اللبنانى الذى يقصر رئاسة الجمهورية على مدة واحدة لكل رئيس . ثم جرى الهمس بأن هناك اتصالات تجرى لتعديل الدستور حتى تتحقق لـ « كميل شمعون » مدة رئاسة ثانية . وكان مبعث الاستغراب فى هذا كله أن مسألة تعديل الدستور للسماح للرئيس بمدة ثانية كانت هى نفسها النقطة التى تحطم فيها حكم الرئيس اللبنانى الذى سبق « كميل شمعون » وهو الشيخ « بشارة الخورى » . وفى فترة هذه الأزمة

= علمى ـ غير نسخة واحدة فى ارشيف المخابرات العامة المصرية ، ويبدو ان اصل التقرير احيل إليها بكامله لتكملة معلوماته ومتابعتها ، والتقرير يحمل تاريخ ١١ يوليو ١٩٥٨ .

(٣) تقرير استماع صادر عن مصلحة الاستعلامات فى مصر ، وكذلك تكرر التقاطه وورد فى تقرير للمخابرات العامة تحت عنوان : « النشاط المضاد ـ إذاعات موجهة فى الفترة من مارس إلى يوليو ١٩٥٨ » .

كان « **كميل شمعون** » **نفسه من أكثر المعارضين لتمديد فترة رئاسة الجمهورية ، والآن كان بنفسه يكرر خطأ سلفه .**

كانت حجة « كميل شمعون » وانصاره أن الموقف سنة ١٩٥٨ يختلف عن أى موقف سابق . فقيام الجمهورية العربية المتحدة ، وتأثير قيامها على القوى الاسلامية فى دمشق سوف يجعل هذه القوى تتشجع مما يهدد المركز الخاص للمسيحيين الموارنة فى لبنان . وهكذا فإن « كميل شمعون » فى تقدير نفسه ، وفى تقدير أنصاره كان أمام هدف أسمى من مصلحته الشخصية ، فقد كان عليه الآن إنقاذ مسيحيى الشرق . وبالفعل فقد كاد يحولها إلى نوع من الحروب الصليبية ، وفى نفس الوقت إلى تحرش سافر ومكشوف ضد الجمهورية العربية المتحدة بلغ مداه يوم ١٥ أبريل بالقبض على خمسة من حرس الجمارك السوريين بحجة أنهم دخلوا الأراضى اللبنانية فى أثناء مطاردة مع جماعة من المهربين !

وفى مواجهة الاضطرابات التى اشتعلت فى قرى الجبل على الطريق من بيروت إلى دمشق ، ثم انتقلت عدواها إلى بيروت ذاتها ـ كتب « كميل شمعون » رسالة إلى الرئيس ايزنهاور يسأله فيها « **عما إذا كان يستطيع أن يعتمد على مبدأ ايزنهاور لتحقيق الحماية للبنان المعرض الآن للخطر** » ؟[4]

واستجاب « ايزنهاور » دون أن يرد كتابة أو صراحة ، وإنما أصدر الأمر إلى بعض قطع الأسطول الأمريكى السادس بالتحرك إلى شرق البحر الأبيض المتوسط .

ولم يحدث تحرك الأسطول تغييرا أساسيا فى الأزمة اللبنانية التى راحت تشتد عندما تأكد أن « كميل شمعون » يعمل بالفعل لتجديد مدة رئاسته . ثم أدلى « شمعون » بحديث إلى إحدى الصحف الفرنسية يقول فيه : « **إننى لا أريد تجديد** مدة رئاستى ، ولكننى إذا لم أتأكد من وجود رئيس بعدى قادر على تحمل المخاطر الجديدة المحيقة بلبنان ، فسوف أستجيب لنداء الواجب » . وأحدث هذا التصريح ضجة كبرى بين قوى المعارضة الوطنية على مستوى الأحزاب ، وعلى مستوى الصحف . وأصدر الرئيس « شمعون » أمره باعتقال صحفى من أشد المعارضين لتعديل الدستور وتجديد فترة الرئاسة ، وهو الأستاذ « نسيب المتنى » . وجرت تظاهرات واحتجاجات تقرر بعدها الافراج عنه ، وعاد ليواصل حملته ، ولكنه لم يستطع أن يستمر فيها أكثر من ثلاثة أيام ، ففى ٨ مايو ١٩٥٨ جرى اغتياله ضربا بالرصاص . ولم يظهر فاعل توجه إليه التهمة . وثارت ثائرة أحزاب المعارضة ، واتسع نطاق عملها ليشمل كل القوى الشعبية فى لبنان ، وكان منطق الجميع « أن لبنان

---

(٤) برقية شفرية من السفير الامريكى « ملكلينتوك » إلى وزارة الخارجية ، وهى ضمن مجموعة وثائق وزارة الخارجية الموجودة فى مكتبة الرئيس « ايزنهاور » فى آبيلين ـ كانساس .

بتركيبته الدقيقة لا يستطيع أن يتحمل الاغتيالات » . ثم كان طلب القوى الوطنية بعد ذلك ضرورة أن يستقيل « كميل شمعون » وأن تتألف حكومة أمن وطنى تتولى المسؤولية إلى حين موعد إجراء انتخابات الرئاسة الجديدة ، وكان المفروض أن يحل هذا الموعد بعد ثلاثة شهور .

ورفض « كميل شمعون » وانحازت إليه كل العناصر المسايرة لاتجاهاته ، وبينها حزب « الكتائب » الذى حشد ميليشياته المسلحة ـ وفى مواجهة ذلك قام الزعيم اللبنانى « كمال جنبلاط » بحشد الميليشيات الدرزية فى جبال الشوف . وبدا لبنان على حافة الحرب الأهلية . **وفى نفس الوقت ادعى « كميل شمعون » أن عددا من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة السوريين المقيمين فى لبنان يشتركون فى إثارة الاضطرابات ، وهكذا صدر قرار بإبعاد ألف وأربعمائة سورى من لبنان !**

ومرة أخرى كتب « كميل شمعون » رسالة إلى الرئيس « ايزنهاور » يسأل فيها عن احتمال مساعدته وفقا لـ « مبدأ ايزنهاور » . وفى هذه المرة لم يكن طلبه مقصورا على إجراء مظاهرة بقطع الأسطول الأمريكى السادس فى الشواطىء اللبنانية ، وإنما كان طلبه هو نزول قوات أمريكية فعلا إلى بيروت لحفظ الأمن فيها .

□

وصلت رسالة « كميل شمعون » إلى واشنطن يوم ١١ مايو ١٩٥٨ . وبعد يومين ـ أى يوم ١٣ مايو ـ دعا « ايزنهاور » إلى اجتماع لمجلس الأمن القومى عقد فى المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض ، وحضره مع « ايزنهاور » كل من « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية ، ومساعده « كريستيان هيرتر » ـ عن الجانب الدبلوماسى ـ وعن الجانب العسكرى كل من الجنرالات « توايننج » و « جرونتر » من هيئة أركان الحرب المشتركة إلى جانب الجنرال « جودباستر » المساعد العسكرى للرئيس ، والمستر « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

كان « ايزنهاور » فى بداية الاجتماع متضايقا لأن نائبه « ريتشارد نيكسون » الذى كان يقوم بزيارة رسمية لفنزويلا قد قوبل بمظاهرة عدائية اعتدى عليه فيها بالضرب . وعندما أمكن إنقاذه من المظاهرة امتلأت شوارع العاصمة الفنزويلية « كاراكاس » بمظاهرات قطعت طريق « نيكسون » إلى المطار خارجا من فنزويلا . واضطر « ايزنهاور » إلى إصدار الأمر بتحريك كتيبة من جنود البحرية على عجل بالطائرات لكى تفتح طريق « نيكسون » من الفندق الذى كان يقيم فيه إلى المطار .

وكان « ايزنهاور » عندما دخل لاجتماع مجلس الأمن القومى قد عرف لتوه أن « نيكسون » قد تمكن من مغادرة « كاراكاس » دون حاجة إلى معونة القوات الأمريكية

التى كانت قد وصلت بالفعل إلى قاعدة « جوانتانامو » فى كوبا . ومع أنه اطمأن على أحوال نائبه فى الرئاسة ، فإن ملابسات الحادث كلها جعلته فى مزاج سيىء بالفعل من قبل أن يبدأ فى مناقشة رسالة « كميل شمعون » .

وتشير مجموعة أوراق « ايزنهاور » إلى أن الاجتماع بدأ ببعض الملاحظات التى أبداها الرئيس عما جرى لنائبه فى فنزويلا ، ثم انتقل إلى جدول الأعمال . وطلب « ايزنهاور » من « آلان دالاس » أن يبدأ بعرض الموقف فى لبنان . وراح « آلان دالاس » يقرأ الرسالة الموجهة من « كميل شمعون » إلى الرئيس « ايزنهاور » وكانت قد وصلت إلى واشنطن عن طريق المخابرات المركزية الأمريكية . وفى صلب الرسالة كان « كميل شمعون » يسأل مرة أخرى عما إذا كانت الولايات المتحدة على استعداد لمساعدته عسكريا تطبيقا لمبدأ ايزنهاور ، وعما إذا كانت مستعدة للتعاون فى ذلك الهدف مع البريطانيين والفرنسيين الذين أبدوا لـ « كميل شمعون » استعدادهم لمساعدته .

وطبقا ليوميات « ايزنهاور »[٥] التى كتبها بخط يده ، فإنه أبدى على الفور عددا من الملاحظات :

□ **أولها ـ أن « كميل شمعون » هو الذى تسبب فى الأزمة بسعيه لترشيح نفسه مرة أخرى لرئاسة الجمهورية مخالفا لأحكام الدستور** .[٦]

□ **والملاحظة الثانية التى سجلها « ايزنهاور » كانت قوله : « لماذا الفرنسيون ، وما هى ضرورة فرنسا فى الموضوع مع أن الكراهية ضدها فى العالم العربى حادة وعنيفة » . وأضاف « ايزنهاور » فى هذه الملاحظة : « إننى أفهم اشتراك البريطانيين ، فما زال لهم أصدقاء فى المنطقة ، وأما فرنسا فمسألة أخرى » .**

□ **ثالثا ـ تساءل « ايزنهاور » : « لماذا لا يستطيع كميل شمعون أن يعتمد على قائد جيشه اللواء شهاب فى السيطرة على الموقف خصوصا فى بيروت ؟ »**

□

(٥) صفحة ٤٦٤ من الكراسة الثانية من مجموعة الاوراق .

(٦) فى مذكراته المنشورة بعنوان « هجوم السلام » وفى صفحة ٢٦٥ من هذا الكتاب كتب « ايزنهاور » يقول بالحرف : « عندما سمعت ان كميل شمعون يريد تعديل الدستور لكى يتيح لنفسه فرصة اخرى فى الرئاسة كنت مقتنعا بانه اقدم على خطا سياسى . وكان رايى ان عليه بسرعة ان ينفى اية نوايا لديه فى هذا الصدد » .

وفى المكتب البيضاوى فى أثناء اجتماع مجلس الامن القومى طلب « ايزنهاور » من وزير خارجيته أن يبدى رأيه فى طلب « كميل شمعون » . وشرد « دالاس » فى تفصيلات تاريخية وسياسية طويلة أوقعت « ايزنهاور » فى حيرة خصوصا عندما قال « دالاس » إن « **جزءا مؤثرا من عداء كميل شمعون للجمهورية العربية المتحدة انها قاطعت شراء التفاح اللبنانى ، وهكذا أصبح هناك فائض فى السوق من هذا التفاح حجمه ٢٠ الف طن** » . وطلب إليه « ايزنهاور » أن يقصر كلامه على طلب التدخل العسكرى . وهنا أبدى « دالاس » بعض شكوكه حول الأساس القانونى الذى يمكن أن يرتب عليه نزول قوات أمريكية أو امريكية بريطانية فى لبنان ، إلى جانب أنه أبدى مخاوفه من ردود الفعل لدى الشعوب العربية ولدى الاتحاد السوفيتى .

والتفت « ايزنهاور » إلى « آلان دالاس » مدير المخابرات ، وطلب سماع رأيه ، وأبدى « آلان دالاس » رأيا مؤداه أنه يفضل العمل المستتر على العمل المكشوف لأن العمل المكشوف يمكن أن يستفز ردود فعل يصعب تقديرها . كما أنه إذا بدأ يصعب الرجوع عنه حتى وإن تأكد فشله خصوصا بالنسبة لقوى عظمى . ويبدو أن « ايزنهاور » نفد صبره ، فقد أبدى ملاحظة قال فيها : « **إذا تصرفنا فهناك مخاطر ، وإذا لم نتصرف فهناك مخاطر ، وظنى أن عدم التصرف أخطر مهما كانت العواقب** » . **ثم التفت إلى الجنرال « توايننج » وطلب منه إخطار وزارة البحرية بالاستعداد للتدخل ، والاتصال بلندن لتنسيق الجهود مع وزارة الحربية البريطانية بقصد القيام بعمل مشترك فى لبنان** .

وفى اليوم التالى يبدو أن الصورة تغيرت بعد لقاء بين السفير الأمريكى « روبرت ماكلينتوك » وبين اللواء « فؤاد شهاب » قائد الجيش اللبنانى . وفى هذا اللقاء طبقا لتقرير كتبه السفير « عبد الحميد غالب » سفير الجمهورية العربية المتحدة فى بيروت ـ فإن « ماكلينتوك » قال للواء « فؤاد شهاب » : « **إذا لم يتدخل الجيش اللبنانى لمواجهة الاضطرابات فى بيروت ، فإن الأسطول السادس سوف يقوم بنفسه بهذه المهمة** »(٧) .

ولم تعد هناك حاجة إلى تدخل عسكرى مباشر أمريكى ، أو أمريكى بريطانى ـ ولكن « ايزنهاور » كان يشعر أن الأزمة قد تتجدد فى أى وقت ، وهكذا طلب من « دالاس » وضع التطورات المحتملة فى لبنان على قائمة جدول أعمال مؤتمر قمة كان مقررا عقده مع « هارولد ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا فى الأسبوع الثانى من شهر يونيو ١٩٥٨ .

---

(٧) تقرير من السفير « عبد الحميد غالب » السفير المصرى فى بيروت بتاريخ ١٥ مايو ، واصله فى ملفات وزارة الخارجية المصرية . وهناك صورة منه مودعة فى ارشيف منشية البكرى .

وعندما قرأ « جمال عبد الناصر » تقرير السفير « عبد الحميد غالب » من بيروت ، وعرف بتفاصيل اللقاء بين السفير الأمريكى « ماكلينتوك » وقائد الجيش اللبنانى اللواء « فؤاد شهاب » ـ رأى أن الموقف يقتضيه أن يتحرك لأن الأزمة قد تتجدد فى أى وقت . **وتحرك فى ثلاثة اتجاهات** :

١ ـ بعث برسالة شخصية إلى البطريرك « بولس المعوشى »(٨) **يقول له فيها** : « إن اكثر ما يخشاه فى لبنان هو أن تتحول أزمة تجديد مدة رئاسة الجمهورية إلى حرب أهلية بين المسيحيين والمسلمين فى لبنان ، وأنه يعتبر نفسه مسؤولا عن كل عربى مسيحى بنفس مقدار مسؤوليته عن كل عربى مسلم . وأنه إلى جانب ذلك يعتبر أن الدم الذى يراق فى شوارع بيروت وغيرها من مدن وقرى لبنان أغلى من مطامح أى فرد . ثم ناشد البطريرك أن يبدى رأيه بما يكفل سلامة وسلام لبنان » . وذهب السفير « عبد الحميد غالب » إلى مقابلة البطريرك « المعوشى » وسلمه رسالة « جمال عبد الناصر » . وفى اليوم التالى أعلن البطريرك أنه لا يوافق على تعديل الدستور لأن تعديله فتنة تهدد لبنان بالانقسام .

٢ ـ **وكان اتجاه التحرك الثانى** نحو الفاتيكان . وقام السيد « حسين عزيز » وكيل وزارة الخارجية بدعوة القاصد الرسولى (سفير الفاتيكان فى القاهرة) وأبلغه رسالة مؤداها : « أنه لا ينبغى أن يساورهم قلق على المسيحيين فى الشرق ، وأن بعض ما يحدث الآن لا علاقة له بإخوة الوطن التقليدية بين المسلمين والمسيحيين فى العالم العربى ، ونحن نريد أن يتذكر البابا أن المنطقة التى تعيش فيها الأمة العربية هى مهبط كل رسالات السماء » .

٣ ـ **ثم كان الاتجاه الثالث** للتحرك هو أن الرئيس دعا السفير الأمريكى فى القاهرة « ريموند هير » إلى مقابلة معه ظهر يوم ٢٠ مايو ١٩٥٨ وأثار معه وقائع ما جرى ويجرى فى لبنان . وقال السفير(٩) : « إن الولايات المتحدة

---

(٨) قام بنقلها إليه السفير « عبد الحميد غالب » الذى بعث إلى القاهرة ببرقية عن لقائه مع البطريرك « المعوشى » وتاريخ هذه البرقية هو ٢٨ مايو ١٩٥٨ ، وهناك نسخة منها فى ارشيف وزارة الخارجية ، كما توجد مجموعة من ثلاث نسخ فى ارشيف منشية البكرى .

(٩) مذكرة عما دار فى المقابلة املاها الرئيس « جمال عبد الناصر » بعدها على السيد « سامى شرف » الذى كتبها بخطه ، وهى مودعة فى ارشيف منشية البكرى ، وقد طبعت بعد ذلك على الآلة الكاتبة وارسلت نسخ منها إلى وزارة الخارجية ، وإلى القيادة العامة للقوات المسلحة ، وإلى إدارة المخابرات العامة ـ كذلك يكمل هذه المذكرة تقرير بعث به السفير الأمريكى « ريموند هير » إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وهو ضمن مجموعة اوراق « ايزنهاور » فى الملف الذى يحمل عنوان « الانزال الأمريكى فى لبنان » .

تتحمل التزامات معينة إزاء الحكومة اللبنانية » . ثم استطرد يسأل الرئيس « عبد الناصر » : « ألا تستطيعون بنفوذكم الشخصى التدخل لدى الجبهة المعارضة فى لبنان لانهاء الأزمة ؟ » . ورد « جمال عبد الناصر » فقال بالنص ما يلى : « إذا كانت الحكومة الأمريكية تتصور ان هناك خطة مرسومة بين المعارضة اللبنانية وبيننا فهذا التصور خطأ . إن الحكومة الأمريكية فيما أرى تتجاهل العوامل الحقيقية للأزمة فى لبنان ، وفى رأيى أنها مسؤولة قبل غيرها عما يحدث فى هذا البلد الآن . إن التدخل الحقيقى فى أزمة لبنان جاء من ناحيتكم انتم (يقصد حكومة الولايات المتحدة) ، فقد ألقيتم بثقلكم مع فريق وضد فريق . الحقيقة ان الحكومة الأمريكية تتجاهل التطورات الموجودة بأسرها . إن المنطقة كلها تحكمها نزعة ترفض ان تقبل الخضوع وتثور على السيطرة . ولقد نسيت الحكومة الأمريكية هذا كله فى لبنان ، ونسيت أيضا أن لبنان بالذات له أوضاع خاصة . وان هذه الأوضاع تحتم ان يكون الشعب اللبنانى بأسره متماسكا مترابطا . وفى هذا الوضع ما الذى يمكن ان نفعله مع المعارضة ؟ ـ أعود فاكرر لك أنه إذا كانت الحكومة الأمريكية تتصور ان هناك اتصالات بيننا وبين المعارضة فى لبنان فهذا تصور خاطىء ، وإذا كانت تتصور اننا نستطيع أن نتدخل لدى المعارضة أو نضغط عليها ، فذلك إمعان فى الخطأ . إن زعماء المعارضة فى لبنان قادة مسؤولون ، ومسؤوليتهم أولا واخيرا امام الشعب الذى يقودونه » .

واستطرد « جمال عبد الناصر » يقول للسفير « ريموند هير » :

« أما التزاماتكم تجاه حكومة كميل شمعون فانا اعرفها . وليس هذا ما يعنينى فى المشكلة من أولها إلى آخرها . إن الذى يثير قلقى فى الأزمة كلها هو هذه الدماء التى تسيل . إننى اكره سفك الدماء ، واظنكم تعرفون ذلك . وتقديرى للموقف انه إذا سارت الأمور على هذا النحو ، فسوف يتعذر على الاطلاق إيجاد حل للمشكلة . إن النتيجة ستكون بعد ذلك مزيدا من الضحايا ، ومزيدا من سفك الدماء ، ومزيدا من الأحقاد بين أبناء الوطن الواحد ، وهذا ما لا اريد حدوثه مهما كانت الظروف . لذلك تجدنى من هذا الاعتبار وحده على استعداد بغير تردد ان اقوم بأى جهد تسمح به الظروف . ولكن المشكلة ليست سهلة وجهدى فيها محدود . ذلك لأن حكومة لبنان ادخلتنى طرفا فى المعركة من أول يوم ، وأؤكد لك انه لو لم تكن حكومة لبنان قد اتهمتنى لكنت حاولت أن

اعرض وساطتى . واظنك ترى معى انى لم أعد أستطيع ان افعل ذلك لأن حكومة لبنان اتهمت الجمهورية العربية المتحدة بغير دليل ، وصدقتم انتم » .

وواصل « جمال عبد الناصر » كلامه قائلا : « إننى قرات تصريحا لوكيل الخارجية الأمريكية « ويليام راونترى » امام لجنة الاعتمادات فى الكونجرس ، وقد اتهم الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل فى ازمة لبنان ، وانا اسالك الآن : « إذا كانت لديكم ادلة تؤكد هذا الذى يقوله « راونترى » فانا اريد ان اسمعها » » .

ولم يعلق السفير بكلمة ، وإنما كان يكتب نقاطا بما سمعه . واستطرد « جمال عبد الناصر » يقول :

« والآن علينا ان نسال انفسنا ما العمل ؟ والحل الوحيد الذى اتخيله الآن هو أن نحاول معا انتم ونحن ان نقوم بجهد مشترك Joint Approach بقصد إيجاد حل للأزمة الدامية ـ هذا إذا كنتم على استعداد » .

ومضى « جمال عبد الناصر » يقول :

« إن تصوراتى على النحو التالى : انتم اصدقاء لأحد طرفى النزاع وهو الحكومة اللبنانية ، ونحن اصدقاء للطرف الآخر فيه وهو المعارضة الوطنية فى لبنان . فإذا وافقتم على ان نقوم بهذا الجهد المشترك ، فنحن على استعداد لأن نتصل مع زعماء المعارضة فى لبنان ، وننقل إليهم اية مقترحات قد تؤدى إلى حل الأزمة . وسؤالى المحدد لك هو : « هل الحكومة الأمريكية على استعداد لأن تشترك معنا فى محاولة لوقف إراقة الدماء ؟ » إنكم تتحملون مسؤولية خطيرة فيما يحدث لأن تدخلكم السافر مع فريق ضد فريق هو الذى اوصل الأزمة إلى ذروتها الحادة الحالية . »

وسكت « جمال عبد الناصر » ينتظر تعليق السفير الأمريكى الذى قال :

« إن ما سمعته منكم الآن بالغ الأهمية ، وسوف أنقله فورا إلى واشنطن ، ولكنى أريد أن أستفسر منكم عما إذا كانت هناك فى تصوركم حلول تفصيلية محددة ؟ »

ورد « جمال عبد الناصر » قائلا :

« لا اظن انه من الصعب الوصول إلى حل إذا خلصت النيات . ومن متابعتى لمجريات الحوادث فى بيروت ، فإننى ارى ان هناك كتلة ثالثة بدات تؤكد دورها بين موقف المعارضة الوطنية ، وموقف الحكومة اللبنانية . ولقد عرفت ان هذه الكتلة الثالثة تقترح الآن أن يتولى رئاسة الجمهورية شخص محايد يثق فيه الجميع ، ويكون عليه أن يوقف القتال ، وان يتيح الفرصة أمام الأطراف لكى تتفاهم . ولقد فهمت من كل ما يصلنى أن هناك شبه قبول عام ان يتولى اللواء شهاب هذه المهمة ، فهو مسيحى مارونى مرموق ، ثم إن تصرفاته فى الأزمة جعلته موضع رضا من اطراف كثيرة ، ثم إن موقعه كقائد للجيش اللبنانى يسهل مهمته ـ ومع ذلك فهذه كلها تفاصيل . »

□

ووصل تقرير « ريموند هير » إلى واشنطن ووجد طريقه إلى مكتب « ايزنهاور » فى البيت الأبيض ، وقدمته اليه سكرتيرته « آن ويتمان » . وقرأه بإمعان ، ثم التفت إليها وقال(١٠) : « كيف يمكن لأحد أن ينقذ بلدا من قادته ؟ سعود ضعيف ، وكنا نعتمد عليه ولكنه لم يثبت أى كفاءة . وشمعون كان فى استطاعته أن يطرد شهاب ، ويعين جنرالا آخر يأتمر بأمره لكنه تردد ولم يفعل ، والآن فإن شهاب مرشح لخلافته . ناصر وحده هو الذى يعرف ما يفعل ، وسواء اختلفنا معه أو اتفقنا ، فلا بد أن نسلم بأنه زعيم حقيقى . »

كان « كميل شمعون » يرى تدافع التطورات ، وقد وجدها فى غير صالحه ، وقرر استباقها ، فأعلن يوم ٢١ مايو أنه لا ينوى ترشيح نفسه لمدة رئاسة ثانية ، ثم قرر فى نفس الوقت أن تقدم حكومته شكوى فى الأمم المتحدة يتهم فيها الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل فى شؤون لبنان ، وإرسال متسللين وأسلحة عبر حدوده لاثارة الاضطرابات فيه . وبدأت مناقشة الشكوى فعلا فى الأمم المتحدة ، وقررت الأمم المتحدة تكليف سكرتيرها العام « داج همرشولد » بتشكيل قوة مراقبة تتوجه إلى منطقة الحدود بين لبنان ، والجمهورية العربية المتحدة لتتحرى ما يجرى هناك على الطبيعة ، وتقدم تقريرا إليه (« همرشولد ») يعرضه على مجلس الأمن . وسجل « ايزنهاور » فى يومياته بعد صدور هذا القرار ملاحظة هامة قال فيها : « **لقد أثار استغرابى أن وفد ناصر فى الأمم المتحدة لم يعترض على إرسال قوة مراقبين إلى حدود بلاده ، وهذا معناه أنهم واثقون من أنفسهم** » .

(١٠) نشرت « آن ويتمان » كتابا بعنوان « يوميات البيت الأبيض » وقد وردت شهادتها عن هذا التقرير ، وقد روت فيه ما سمعته من « ايزنهاور » تحت العنوان الفرعى ليوم : ١٥ يونيو ١٩٥٨ .

وفى يوم ٨ يونيو ١٩٥٨ كان « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء البريطانى يقوم برحلته المرتقبة إلى واشنطن لاجتماع على مستوى القمة بينه وبين الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » . وكان اللقاء الأول بينهما يوم ٩ يونيو ، وكان مخصصا بالكامل للشرق الأوسط . وتظهر الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية تفاصيل ما جرى فى هذا الاجتماع(١١) .

تمضى الوثيقة على النحو التالى :

« وزارة الخارجية

مذكرة عن محادثات بين المملكة المتحدة ، والولايات المتحدة الامريكية ٩ يونيو ١٩٥٨

الموضوع : المعونة العسكرية للعراق ولبنان والاردن .

المشاركون :

من الولايات المتحدة : الرئيس ـ وزير الخارجية ـ آلان دالاس ـ السفير ديلون ـ السفير رينهاردت ـ السفير البريك ـ السفير راونترى ـ المستر سبراج من وزارة الدفاع ـ الجنرال توايننج ـ الجنرال جودباستر .

عن المملكة المتحدة : رئيس الوزراء ـ السفير كاشيا (السفير البريطانى فى واشنطن) ـ السير نورمان بروك (وكيل وزارة الخارجية البريطانية) ـ السير باتريك دين (مساعد وكيل الخارجية) ـ اللورد هود ـ الوزير المفوض ويلى موريس ـ المستر فريدريك بيشوب . »

ثم جاء فى المذكرة بعد ذلك ما يلى :

« طلب الرئيس إلى وزير الخارجية دالاس ان يشرح الموقف فى الشرق الاوسط . وتكلم الوزير ، فابدى انشغاله الكبير بالمشكلة التى تواجه الغرب وهى المحافظة من ناحية على حكومات موالية فى المنطقة ، ومن ناحية اخرى عدم استثارة قوى القومية العربية . وتطرق إلى ان هذه المشكلة اصبحت حادة فى لبنان لأن الصدام هناك قد بدا فعلا . ثم اوضح اننا اكدنا للبنانيين منذ حوالى ثلاثة اسابيع اننا سنبعث بقوات مسلحة لمساعدتهم فى بلادهم فى ظروف معينة ، وذلك فى المقام الاول لحماية المواطنين الامريكيين ، ولكن ذلك سيتم ايضا لتحقيق تدعيم الحكومة الحالية . ومنذ ذلك الوقت ، فقد اصبح يعتقد بان الوضع يتحسن بصورة تجعل إرسال قوات عسكرية امريكية إلى لبنان امرا غير ملح . ولكننا فكرنا منذ فترة قريبة

(١١) رغم انه جرى الحصول على هذه الوثيقة بمقتضى قانون حرية المعلومات ، فإن وزارة الخارجية الامريكية سلمت هذه الوثيقة فى النهاية وقد حذفت منها فقرات كثيرة بدعوى أنها تمس الأمن القومى حتى نهاية القرن الحالى !

حتى يوم الاثنين الماضى فى احتمال إرسال قوات على عجل . وعلى اى حال فالصورة ليست واضحة لنا . واشار الوزير إلى ان التعاون بين قواتنا العسكرية المختلفة ، وبين سفرائنا (البريطانيين والأمريكيين) كانت عونا طيبا . وفى اعتقاده انه يتعين علينا التعجيل بإرسال طائرات إلى لبنان والأردن . وقال إننا فى وضع طيب من حيث ما نسلمه إلى لبنان من دبابات واسلحة صغيرة .

وتدخل الجنرال « توايننج » قائلا إن هناك طلبا قد وصل حالا للحصول على ذخيرة خاصة وعلى ناقلة بحرية للجنود . وقال إن فى وسعنا الشروع فى توريد طائرات « هوكر هنتر » إلى لبنان والأردن بإرسال خطاب نوايا إلى لندن فى خلال اسبوع(١٢) . ثم قال الجنرال « توايننج » إن الحكومة العراقية تريد طائرات على وجه السرعة . وكان لدينا سرب من طائرات (اف ٨٦) فى جنوب فرنسا ، ولكننا اضطررنا إلى سحبه فى شهر اغسطس الماضى لأن بقاءه حيث كان يكلفنا مليون دولار فى الشهر . والعراق يريد بعض هذه الطائرات بسرعة ، وقد خصصنا له ١٥ طائرة لكننا لا نستطيع إرسال شىء منها الآن ، واسباب ذلك ان المطارات فى العراق فى حالة سيئة ، كما انه لا توجد تسهيلات صيانة ، ثم ان العراقيين لم يتدربوا على استخدامها ، وكذلك فإن قطع الغيار لها موجودة هنا فى الولايات المتحدة . وعلى اى حال فقد يكون فى وسعنا إرسال ما بين ٤ و ٦ طائرات إلى العراق فى غضون ثلاثة اسابيع .

وقال المستر ماكميلان (رئيس وزراء بريطانيا) إنهم فى انتظار طلب للحصول على طائرات ، وهم لم يتلقوا طلبات حتى الآن . وساله الوزير عما إذا كانوا يستطيعون تحويل ثمانى عشرة طائرة هوكر هنتر – ١٢ للأردن و ٦ للبنان – فى ظرف ثلاثة شهور ؟ ورد المستر موريس بانه قد يكون من الممكن إرسال ثلاث طائرات إلى كل بلد فى غضون ٦ اسابيع من التقدم بالطلب (وتدفع الولايات المتحدة الثمن) .

وابدى الوزير ملاحظة جاء فيها . . . . (فقرة محذوفة) ان . . . . ابلغه بان الحصول على هذه الطائرات مهم . واعتقاد الوزير ان إرسال هذه الطائرات يخلق تاثيرا نفسيا طيبا حتى ولو لم تكن لها قطع غيار . وقال الرئيس (ايزنهاور) إن من الاهمية القصوى إرسال من ٤ – ٦ طائرات . . . . (فقرة محذوفة) .

وعلق الوزير بان سرعة التصرف مهمة من زاوية سياسية ، وهى ان نبين بجلاء اننا نؤيد العراق لانه هو القوة الحقيقية التى تدعم لبنان والأردن . . . . (فقرة محذوفة) .

وقال الرئيس : إن المسالة مهمة ، وهى اختبار عملى لامكانيات التعاون البريطانى الأمريكى .

وابدى الجنرال توايننج اعتقاده بان تدريب العراقيين على الطائرات التى تصلهم

) طائرات هوكر هنتر تنتج فى بريطانيا ، ولكن الولايات المتحدة هى التى تشتريها لتسليمها إلى بلدان الشرق
سط المعنية ضمن برامج المساعدة العسكرية .

يمكن ان يقوم به خبراء امريكيون ، فوافق الرئيس على ذلك . . . . (فقرة محذوفة) .

ثم قال الرئيس للجنرال توايننج إن عليه ان يبعث رجاله إلى العراق فى اسرع وقت ممكن . . . . (فقرة محذوفة) .

وقال الرئيس إنه بالنظر إلى الأهمية النفسية لتاييد الاتحاد العربى الهاشمى إزاء الجمهورية العربية المتحدة ، فإن على الجنرال توايننج وزملائه فى المملكة المتحدة ان يعملوا معاً على توريد هذه الطائرات بسرعة .

واشار الوزير إلى ان التعاون بين العسكرية البريطانية والأمريكية على مسرح العراق لم يجر بطريقة سلسة . وقال الرئيس إن من الضرورى التحدث بصورة جدية إلى بعض من رجالنا حول هذا الموضوع . ثم استدعى الرئيس الجنرال توايننج الذى كان قد غادر الاجتماع ، وطلب منه التاكد من ان تعاونه مع البريطانيين وثيق وكامل فى المجال العسكرى . واتفق على ان يتم التعاون فى توريد المعدات العسكرية للعراق ولبنان والأردن من خلال بعثات عسكرية فى الميدان ، وبالتنسيق مع الأميرال « دينى » رئيس البعثة البريطانية للاتصالات المشتركة فى واشنطن . »

□

وفى يوم ١٥ يونيو بعث « كميل شمعون » إلى الرئيس « ايزنهاور » بطلب رسمى بإرسال قوات أمريكية إلى لبنان فورا لأن الأمن يتدهور نتيجة لتدخلات سافرة من الجمهورية العربية المتحدة . ودعا « ايزنهاور » إلى اجتماع طارىء لمجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض . وانعقد الاجتماع فعلا فى الساعة الخامسة وعشر دقائق فى المكتب البيضاوى . واستمر اجتماعه حتى الساعة السابعة إلا الربع . ويكتب « ايزنهاور » فى يومياته يومها ما نصه :

« إن شمعون طلب تدخل قواتنا . ولا اعرف كيف كان فى مقدورى إرسال بحارة الأسطول إلى بيروت قبل ان يقدم همرشولد تقريره إلى الأمم المتحدة . لم نكن نحن الذين ذهبنا إلى مجلس الأمن ، ولكنه هو الذى اختار ان يذهب . ولا اظننا نستطيع ان نتدخل طالما ان الأمم المتحدة لم تقل كلمتها بعد التحقيق الذى كلفت به . ثم ما هو المطلوب من تدخلنا ؟ هل نتدخل لحساب رجل هو الآن سجين فى قصره ، او فى فندق لا اعرف ، ثم ما هو مدى تدخلنا المطلوب ؟ لقد كنت اقول للانجليز والفرنسيين عندما تدخلوا فى السويس إنهم يجب ان يعرفوا هدفهم من التدخل ، وان يقرروا مدى تدخلهم ، وانا لا اريد ان اتورط فيما كنت احذر الآخرين منه . »

□

وفى يوم ١٨ يونيو وصل « داج همرشولد » السكرتير العام للأمم المتحدة بنفسه الى بيروت ، والحقيقة أن حكومة الولايات المتحدة كانت تستعجله ليذهب . وفيها عقد عدة اجتماعات مع كبار ضباط فريق المراقبين التابع للأمم المتحدة . واستمع منهم ، وخرج بنتيجة مؤداها : « أن فريق المراقبين لم يجد دليلا واحدا يدين الجمهورية العربية المتحدة بأى عمل من أعمال التسلل او تهريب الأسلحة » . والتقى « همرشولد » فى نفس الليلة فى بيروت بالسفير الأمريكى « ماكلينتوك » وأفضى إليه بانطباعه الأول . وقال له « ماكلينتوك » ما مؤداه انه يثق بـ « ناصر » اكثر من اللزوم . ورد عليه « همرشولد » بقوله : « مهما كان راى الآخرين ، فإنى اتحدث مع ناصر بصراحة كاملة فى كل ما يخطر لى ، واقول له دواما : « إنه لم يعدنى بشىء إلا وقام بالوفاء به » وانا اريد ان يبقى السجل باستمرار على هذا النحو . »[١٣]

وفى اليوم التالى اقام رئيس وزراء لبنان حفل غداء تكريما لـ « داج همرشولد » وبعد الغداء فوجىء « همرشولد » بدخول كعكة كبيرة مغطاة بالكريمة البيضاء ، وقد كتب عليها بالسكر وبلون احمر وباللغة الفرنسية : « ايتها الأمم المتحدة انقذى لبنان » . والتفت « همرشولد » يقول لرئيس الوزراء اللبنانى بالفرنسية أيضا : « سيدى الرئيس : إننى لا استطيع قبول هذه الدعوة لأن لبنان وحده هو الذى يستطيع ان ينقذ لبنان »[١٤] . وكانت الأشارة ذات معنى ، ولكن « همرشولد » فوجىء بعدها بحملة فى بعض الصحف اللبنانية ضد فريق الأمم المتحدة تتهمه بأنه يغمض عينيه . ثم تلقى من مقر الأمم المتحدة فى نيويورك تقريرا عن خطاب للسيد « فاضل الجمالى » رئيس وزراء العراق يدعو فيه الأمم المتحدة إلى إرسال قوات للبنان تتصدى عمليا للعدوان الواقع عليها !

وعاد « همرشولد » إلى نيويورك بعد أن زار عددا من العواصم العربية ، فقد كان عليه أن يقدم تقريره إلى الأمم المتحدة . وفى نفس يوم وصوله إلى نيويورك تلقى خطابا من رئيس وزراء إسرائيل الذى كان متحمسا لتدخل عسكرى أمريكى فى لبنان يؤدى إلى احتكاك عسكرى مباشر مع الجمهورية العربية المتحدة ـ يقول له فيه : « إننى اصارحك القول بانك تتخلى عن لبنان وتتركه وحيدا لمؤامرات الجمهورية العربية المتحدة . إننى لا اعرف اية تاكيدات تلقيتها من رئيس الجمهورية العربية المتحدة حينما اجتمعت به ، ولكنى اعرف أن هناك اسلحة ومسلحين

(١٣) مذكرات السير « برايان اوركهارت » مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة ، وهو دبلوماسى بريطانى مرموق (صفحة ٢٦٩) .

(١٤) مذكرات مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة السير « برايان اوركهارت » (صفحة ٢٧٠) .

وذخائر تتسرب عبر الحدود السورية إلى لبنان . وإننى لأتساءل عما إذا كنت بعلم او بغير علم لست شريكا[١٥] فى ميونيخ اخرى فى الشرق الأوسط[١٦] » .

□

وكانت الحملة الصحفية على « همرشولد » تزداد شدة وعنفا يوما بعد يوم فى أوائل شهر يوليو ، وقد شاركت فيها بالنصيب الأوفر الصحافة الأمريكية ، والصحافة البريطانية على جانبى الأطلنطى . وكان « همرشولد » يشعر بضيق لا يخفيه ، فقد كان يعرف بتجربته أن هذه الحملة وراءها « توجيهات رسمية » . وقد كتب إلى « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانى خطابا شخصيا[١٧] قال فيه : « إننى لم اكن اتوقع شيئا أفضل مما لقيت بالنظر إلى النظريات الغليظة التى راجت فى أعقاب أزمة السويس عندما قيل إن ناصر قد استغفلنى ، أو أننى كنت عميلا له ، مع أنى اعتقد أن نتائج الترتيبات المختلفة التى تمت مع مصر خلال هذه الأزمة ، والتى كنت مسؤولا عنها كان يجب أن تقنع هذه الصحف (فى لندن ونيويورك وواشنطن) بأنها كانت على خطأ طوال الوقت . ومع ذلك فإن هذا كله لا يهم ، وسوف يظل اعتقادى بأن الخط المستقيم سوف يبدو ملتويا أمام هؤلاء الذين انحرفوا عنه » .

وفى يوم ٧ يوليو توجه « همرشولد » إلى واشنطن وتناول الغداء مع « دالاس » وزير الخارجية الأمريكى ، وإذا بـ « دالاس » يحمل تحت ذراعه ملف قدمه إليه قائلا : « إنه يضم تقارير كاملة ومفصلة عن عمليات التسلل من الجمهورية العربية المتحدة إلى لبنان » . وقام « همرشولد » بتقليب بعض الصفحات فى الملف ، ثم قال لـ « دالاس » إن هذه كلها تقارير ليس لها مصدر ، ولم تخضع لأى نوع من التحقيق ، وهو لا يستطيع أن يعتمد عليها . وراح « دالاس » يصارحه « بأن الولايات المتحدة واقعة تحت ضغط عنيف من العراق وتركيا وإيران وإسرائيل للتدخل فى لبنان . وأكثر من ذلك فإن الجنرال « ديجول » الذى كان قد عاد إلى السلطة قبل ذلك بقليل[١٨] بعث إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا يقول لهما إنه إذا كان فى نيتهما التدخل عسكريا فى الشرق الأوسط ، فإن فرنسا يجب أن يكون لها دورها » .

(١٥) المصدر نفسه ، وبن جوريون هنا يشير إلى استسلام الحلفاء الشهير فى ميونيخ امام « ادولف هتلر » سنة ١٩٣٨ .

(١٦) المصدر السابق (صفحة ٢٧٣) .

(١٧) المصدر السابق (صفحة ٢٧٤) .

(١٨) عاد ديجول إلى السلطة بعد انقلاب الجنرالات الفرنسيين فى الجزائر يوم ١٣ مايو ١٩٥٨ وقد دعوه إلى الامساك بدفة الحكم ، وظل صامتا ليومين لاح خلالهما ان فرنسا مهددة بحرب اهلية ، وخرج ديجول يوم ١٥ مايو ببيان صحفى يقول فيه : « إننى فى خدمة فرنسا . إننى وحدى لا انتمى لأحد ، وبالتالى انتمى للجميع » .

كان « همرشولد » يشعر بالضغوط التى يتعرض لها « دالاس » لكنه لم يكن يستطيع أن يجعل من فهمه لموقف « دالاس » مبررا يدفعه إلى الاخلال بنزاهة الأمم المتحدة . وهكذا فإنه علق على ما سمعه من وزير الخارجية الأمريكى قائلا : « **إننى أعتقد أن ناصر كان مخلصا عندما عبر لى عن عدم رغبته فى ضم لبنان إلى الجمهورية العربية المتحدة** » .

وكانت العاصفة الكبرى لهذا الصيف الحار على وشك أن تهب . وكانت رعودها وبروقها على وشك أن ترى فى سماء بغداد .

٣

بينما كانت أنظار الكل مركزة على ما يجرى فى بيروت لم يتنبه كثيرون بالقدر الكافى إلى ما كان يجرى فى عاصمة حلف بغداد التى كانت قد أصبحت فى الوقت نفسه عاصمة الاتحاد الهاشمى الذى أنشىء لمواجهة قيام الجمهورية العربية المتحدة .

والملاحظة الغريبة على مجموعة الوثائق الأمريكية فى تلك الفترة أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت طوال سنة ١٩٥٧ مهتمة بإجراء تقديرات عن احتمالات المستقبل فى بغداد . وقد كتب مديرها « آلان دالاس » مذكرة إلى وزارة الخارجية أشار فيها إلى الصعوبات التى أضيفت إلى أثقال الحكومة العراقية نتيجة للتواطؤ البريطانى الفرنسى مع إسرائيل فى معركة السويس . وجاء فى هذا التقرير ، وفى البند الثالث منه ما نصه : « **تشير معلوماتنا إلى انتشار السخط فى الجيش العراقى ولا سيما بين الضباط الشبان ، وقد أشيع أن أربعين ضابطا على الأقل قد اعتقلوا . وقد ذكر مدير العمليات العسكرية فى الجيش العراقى للملحق العسكرى الأمريكى أنه « إذا صدرت أوامر للجيش بحماية نظام نورى السعيد ، فإنه يشك فى أن الجيش سوف يقبل إطاعة هذه الأوامر** » .

ثم جاء فى البند الخامس من هذا التقرير ما نصه : « **إن تقارير سفيرنا فى بغداد السفير كولمان قد رددت أكثر من مرة فى الفترة الأخيرة أن نورى السعيد يبدو باستمرار مجهدا ومشغولا** » .

ثم جاء فى البند السادس من نفس المذكرة « **إنه إذا لم يحدث تغيير أساسى فى العراق ، فإن مركز الحكومة العراقية سوف يضعف كثيرا ، وإذا أسقطت حكومة نورى السعيد فإن الحكومة الجديدة سوف تجد نفسها أمام ضغوط لا تستطيع تحملها** » .

ويبدو أن « آلان دالاس » ظل مشغولا بالعراق لشهور بعد ذلك ، فقد شكل مجموعة أمن موسعة لاعداد تقدير مخابرات مفصل عن الأحوال فى العراق شاركت فى وضعه هيئات متعددة منها إدارة المخابرات بوزارة الخارجية . ومساعد رئيس الأركان العامة ، ومدير مخابرات الجيش ، ومدير مخابرات الأسطول ، ومدير مخابرات سلاح الطيران . وقد انتهوا جميعا إلى تقرير عنوانه « نظرة على مستقبل العراق » وكان ملخصه : أن هناك فرصة للاحتفاظ بالاستقلال السياسى الحالى فى العراق طالما أن « نورى السعيد » يمارس نشاطه سواء كرئيس للوزراء ، أو كمركز قوة لتوجيه سياسات من وراء الستار .

ثم أشار التقرير إلى أن الخطر الأكبر على العراق سوف يجىء من « الضغوط الهدامة من جانب مصر وسوريا ضد تحالف الملوك الثلاثة فيصل وحسين وسعود » . ثم أشار التقرير فى بنده الأخير للجيش العراقى ، ولم يتوقع منه خطرا . وقد جاء فى البند الخاص بالجيش ما يلى : « إن القوات العسكرية العراقية التى يبلغ عددها نحو ٦٥ ألف جندى قادرة على المحافظة على الأمن الداخلى . وربما تكون قادرة على الدفاع عن البلد فى وجه هجوم من جانب أى من الدول العربية المجاورة . غير أن قدرة القوات المسلحة العراقية محدودة فى الدفاع ضد قوة كبيرة . وإذا ما دعى الجيش العراقى للمساعدة فى عمليات تجرى خارج بلاده ، فسوف يواجه مشاكل خطيرة فى الامداد والتمويل . وربما يعجز عن إبقاء أكثر من فرقة واحدة فى مسرح العمليات خارج حدود بلاده بدون الاضرار بقدرته على المحافظة على الأمن الداخلى[١٩] .

ثم لا يبدو بعد ذلك أن هناك تقديرات جديدة للموقف فى العراق ، ومن المحتمل أن اهتمام وكالة المخابرات قد توجه إلى بؤر أخرى للتوتر فى الشرق الأوسط .

□

كانت هناك أشياء كثيرة تجرى تحت السطح فى بغداد . وفى بعض اللحظات فإن ما كان يجرى تحت السطح ظهر كإشارات فوقه . كان يمكن لأى عين مدربة وخبيرة أن تلمحه ، وتحاول على الأقل استكشاف ما وراءه ولو لمجرد الاطمئنان . ولكن هذه

(١٩) تقرير المخابرات رقم ٢٩٢ وهو صادر عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

الاشارات بانت ، ثم اختفت دون أن يرصدها أحد من الذين كان يجب أن يعنيهم امرها .

ولقد عرف « جمال عبد الناصر » على سبيل المثال أن هناك تنظيما فى الجيش العراقى يطلق على نفسه اسم « الضباط الأحرار » . وكان السيد « عبد الحميد السراج » وزير الداخلية فى الاقليم السورى لدولة الوحدة هو مصدر معلوماته . فقد وصل « عبد الحميد السراج » إلى لقاء مع « جمال عبد الناصر » فى أوائل شهر مايو ١٩٥٨ وقال للرئيس : « إن اثنين من الضباط العراقيين العاملين ضمن الكتائب العراقية الموجودة فى الأردن قد اتصلوا به ، وسألوه عما إذا كانت الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لمساندتهم إذا ما قاموا بثورة فى العراق » . وقام « عبد الحميد السراج » بتسمية هذين الضابطين بأنهما العقيد الركن « عبد الكريم قاسم » والعقيد الركن « عبد السلام عارف » . وسأله « جمال عبد الناصر » عما إذا كان يعرفهما من قبل ؟ ورد « السراج » بأنه يسمع عنهما من التقارير التى تجيئه من بغداد ، ولكنه لم يلتق بهما إلا أخيراً بناء على طلبهما ، وفى نقطة على الحدود السورية الأردنية . وقال « عبد الحميد السراج » إن الضابطين العراقيين سألاه عن ظروف إجراء انقلاب فى العراق ، وعن إمكانيات نجاحه ، وعن القوى العربية والدولية التى يمكن أن تساعده . ثم طلب « عبد الحميد السراج » من الرئيس توجيهه فيما يمكن أن يرد به عليهما ذاكرا انه على موعد معهما فى الأسبوع القادم . وكان رد « جمال عبد الناصر » محددا فى عدة نقاط :

١ ـ أن الذى يريد أن يقوم بعمل وطنى لا يسأل أحدا فى الخارج عن الطريقة التى ينفذ بها هدفه ، فكل وطنى أدرى بالظروف التى يواجهها ، وليس هناك نموذج قياسى متعارف عليه يرسم الخطوات لأحد .

٢ ـ أنه من الخير للضابطين ولزملائهما إذا كانوا جادين أن يحتفظوا بأسرارهم لأنفسهم ، وإلا انكشف تنظيمهم وتمت تصفيته قبل أن يقدم على الخطوة الأولى فى عمله .

٣ ـ أن موقف الجمهورية العربية المتحدة المبدئى على أى حال واضح فى مساندة كل عمل يهدف إلى تحسين أوضاع أى شعب عربى سواء كان ذلك عن طريق التطور ، أو عن طريق الثورة .

ثم كان توجيه « جمال عبد الناصر » أن يظل على اتصال بالضابطين دون أن يكون هذا الاتصال مكثفا ، أو ظاهرا بحيث يبقى على علم بالتطورات دون أن يستطيع احد أن يمسك عليه انه كان متورطا فيها على نحو أو آخر .

والتقى « عبد الحميد السراج » بعد ذلك فى الموعد المقرر بكل من « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » ونقل إليهما ما سمعه . وراح كلاهما يروى له بعض التفاصيل عن تنظيم « الضباط الأحرار » فى العراق مما دعا « عبد الحميد السراج » ان يبعث بعد ذلك برسالة إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » يقول فيها إنه يبدو أن الموضوع الذى تحدث فيه معه فى لقائهما الأخير جدى ، وأنه يمكن أن يؤدى إلى تطورات هامة .

□

كان تنظيم الضباط الأحرار بالفعل كما وصفه « عبد الحميد السراج » عملا جديا . وقد قدر له بالفعل ان ينجح رغم أن بعض المعلومات قد تسربت عن خطته إلى أطراف سياسية فى العراق مما كان يمكن أن يؤدى إلى كشفه قبل التوقيت المناسب ـ لكن تحول الأنظار كلها إلى الأزمة اللبنانية أصاب آذانا كثيرة بالصمم ، وعيونا كثيرة بالعمى ـ فلم تسمع ولم تر .

كان التنظيم يضم قرابة مائة ضابط ، وبينهم من كانت لهم صلة بالأحزاب . وقد قام بعض هؤلاء بالفعل بإبلاغ احزابهم بخطة الثورة قبل تنفيذها فعلا يوم ١٤ يوليو (تموز) ١٩٥٨ .

والواقع ان ثلاثة أحزاب ، وهى « حزب البعث العربى الاشتراكى » فى العراق و « الحزب الشيوعى العراقى » و « الحزب الوطنى الديمقراطى » أبلغت جميعها بموعد الانقلاب يوم الجمعة ١١ يوليو ، أى قبل موعد تنفيذه بثلاثة أيام . ولقد تصرف كل حزب منها وفقا لخططه وتوقعاته فى المستقبل . ومن اللافت للنظر أن الحزب « الشيوعى العراقى » أعد وطبع بيانا قبل الثورة موجها إلى جماهير الشعب العراقى يدعوها فيه إلى اقتحام ساحة العمل الثورى ، وقد جاءت فى هذا البيان فقرة تحث الجماهير على « تجنب إبراز شعارات مبهمة أو متطرفة ، أو تلك التى تمجد هذا الزعيم أو ذاك من قادة الحركة الوطنية ، أو العربية على حساب طمس شعاراتنا الأساسية ، والتقليل من شأن نضال الجماهير الشعبية والجبهة الوطنية » . وبالطبع فقد كانت هذه الملاحظة تحذيرا مبكرا من الدعوة إلى أى وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، ومن التوجه إلى « جمال عبد الناصر » . ومن الواضح ان الحزب حتى فى تلك اللحظات المبكرة كان يستذكر تجربة « الحزب الشيوعى » فى دمشق .

وعند منتصف ليلة ١٤ يوليو بدأ اللواء العشرون ينفذ خطة الاستيلاء على بغداد ، كما وضعها كل من « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » ، وكانت أول خطوة فيها هى الاستيلاء على معسكر الرشيد ، واعتقال رئيس أركان حرب الجيش الفريق « محمد رفيق عارف » ، ثم التوجه لاحتلال قصر « الرحاب » والقبض

من الراحة ، وقد تصور بعد أن هدأت الأمور قليلا فى لبنان ان الفرصة قد تكون مهيأة لاجازة يستريح فيها أياما ، وأن تسافر معه السيدة قرينته[١] .

وهكذا اختار ان يسافر إلى يوجوسلافيا بطريق البحر ، واستقل الباخرة « الحرية » من الاسكندرية متوجها إلى « دوبروفنيك » المطلة على ساحل الأدرياتيكى وسط المنطقة المعروفة بالشاطىء « الدالماسى » والتى كانت المصيف الأجمل فى عصر إمبراطورية « آل هابسبرج » (الامبراطورية النمساوية الهنجارية) .

وكان الرئيس « تيتو » فى انتظاره على رصيف ميناء « دوبروفنيك » وكان برنامج اليوم الأول يشتمل على عرض لمسرحية « هاملت » لـ « شكسبير » يجرى تمثيلها تحت أبراج قصر قديم من قصور الامبراطورية حولته وزارة الثقافة اليوجوسلافية إلى مسرح طبيعى للعروض الكلاسيكية .

ولم تكن رحلة البحر كما تخيلها « جمال عبد الناصر » هدوءاً وصفاءً ، وإنما بدأت مشاكلها من أول يوم . فمن اليوم الأول كان « جمال عبد الناصر » غير قادر على أن ينفصل عما كان يشغله فى القاهرة طوال الأزمة اللبنانية ، وهكذا فإن غرفة اللاسلكى على الباخرة « الحرية » والتى كانت زودت بشفرة خاصة أرسلت وتلقت فى اليوم الأول من الرحلة ٦٢ برقية (غير الخدمة الكاملة لثلاث من وكالات الأنباء) . وقد كانت بينها برقية بالذات أرسلت إليه من القاهرة سببت له كثيرا من القلق إذ أنها احتوت على معلومات مفادها **أن حكومة السودان برئاسة « عبد الله خليل » قد أجرت اتصالات مع عدد من الحكومات الافريقية على حوض النيل لكى تبلغها انه إزاء إصرار مصر على المضى قدما فى بناء السد العالى ، فإن الحكومة السودانية « قررت أن لا تعتبر نفسها ملزمة باتفاقية مياه النيل »** . وقد كان تعقيب « جمال عبد الناصر » على هذه البرقية عندما قرأها : « **يظهر أن المشكلة القادمة امامنا هى الجنوب فى السودان . انتهينا من لبنان فى الشمال ، واختاروا الآن جبهة اخرى اقرب إلينا واشد حساسية** » . ثم بعث إلى القاهرة بتعليمات مفادها أن رأيه « **عدم المبالغة فى رد الفعل ، وانتظار عودته من يوجوسلافيا لأن خطورة الموضوع تفرض علينا الاقتراب منه بمنتهى هدوء الأعصاب . إننا فوتنا عليهم فرصة إثارة خلاف مع السودان بسبب حلايب ، وموضوع مياه النيل أهم من حلايب ، والواضح ان هدفهم استفزازى إذ يظهرون لنا أنهم قادرون على مضايقتنا فى اخطر ما يمس حياتنا ، وهو مياه النيل** » .

وكان الموضوع شاغله طوال اليوم ، بدأ يشعر بالقلق من حجم نشاط وكالة

(١) كان الوفد الذى صحب الرئيس « عبد الناصر » والسيدة قرينته على الباخرة « الحرية » مكونا من الدكتور « محمود فوزى » والسيدة قرينته و « محمد حسنين هيكل » والسيدة قرينته .

المخابرات المركزية الأمريكية فى الخرطوم ، ثم إن شعوره بالقلق كان اشد تجاه المعلومات التى تؤكد ان المخابرات الاسرائيلية (الموساد) تلعب دورا مؤثرا فى نشاط الحركات الانفصالية فى جنوب السودان ، وكان الواضح أن ما يجرى فى السودان شماله وجنوبه هو بدايات خطة جديدة للعمل هناك بعيدا قرب منابع النيل !

وفى اليوم الثانى للرحلة أبلغت إحدى المدمرتين اللتين كانتا تصحبان « الحرية » عبر البحر الأبيض بأن بعض قطع الأسطول الأمريكى السادس تقترب من القافلة المصرية ، وتطلب معلومات عن ركابها ومقصدها . وكان اتجاه قائد المدمرة التى تلقت الرسالة ألّا يرد على تساؤلهم بدعوى السرية . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن السرية لا داعى لها لأن الرحلة معلنة ، ووكالات الأنباء فى العالم كله تتابعها . ثم إن العلم المرفوع على الباخرة « الحرية » وهو مرئى أمام اية محاولة للاستطلاع ـ هو علم رئاسة الجمهورية العربية المتحدة . وبعد ساعات أرسلت إحدى المدمرتين المرافقتين لـ « الحرية » إشارة إليها تقول إن غواصة مجهولة تتابع مسيرة القافلة ، وان قيادتها تقترح إطلاق بعض قذائف الأعماق لابعادها . وكان رأى « جمال عبد الناصر » ان مثل ذلك لا داعى له .

□

وطاف « جمال عبد الناصر » بعد نزوله فى « دوبروفنيك » بعدد من الجمهوريات اليوجوسلافية ، واهتم بالجمهوريات ذات الكثافة السكانية الاسلامية . ثم وصل فى ختام رحلته إلى « بريونى » للقاء أخير مع « تيتو » . وكان الترتيب أن يغادرها صباح يوم ١٥ يوليو عائدا إلى الاسكندرية .

وفجر يوم ١٤ يوليو كانت أجهزة اللاسلكى مفتوحة لتلقى اية رسائل ، كما أن محطة الاستماع عليها كانت تتابع كل إذاعات العالم ، وكان ذلك تطبيقا لترتيبات معلومات خاصة قصد منها أن يكون رئيس الجمهورية العربية المتحدة على اتصال بكل التطورات المحتملة ، فرغم أن الموقف العام فى المنطقة بدا هادئا إلا أن الكل كان يدرك أن المفاجآت قد تنفجر فى أى لحظة . ولقد كان من ضمن استعدادات الطوارىء انه كانت هناك طوال الوقت طائرة خاصة من طراز « إليوشن ١٨ » تنتقل مع « جمال عبد الناصر » حيث يذهب بحيث يستقلها عائدا إلى القاهرة فى اى لحظة إذا ما اقتضت مفاجآت الظروف مثل هذه العودة على عجل .

وفى الساعة الخامسة وعشر دقائق اتصل بى ـ وكنت مقيما فى فندق بريونى ـ السيد « حسن صبرى الخولى » ـ وكان هو مسؤول الاتصالات على الباخرة « الحرية » فى هذه الرحلة ، وابلغنى أن محطة التقاط الاذاعات على « الحرية »

التقطت إذاعة بغداد قبل دقائق ، وسجلت منها بيانا عن قيام ثورة فى العراق . وغادرت الفندق القائم على رصيف الميناء سريعا متوجها إلى الباخرة ، والتقانى السيد « حسن صبرى الخولى » وفى يده الاشارة الملتقطة من إذاعة بغداد ، وسألنى ما إذا كان ضروريا إيقاظ الرئيس على الفور وإبلاغه ما حدث ، وكان اقتراحى عليه أن نتأكد من النبأ قبل إيقاظ الرئيس ، فمن المحتمل أن يكون هناك خطأ فى الموجات خصوصا وأن تقرير الاستماع لم يكن يحوى نص بلاغ كامل لأن الالتقاط كان مشوشا . واقترحت الاتصال بمطار دمشق لمعرفة ما إذا كانت لديه معلومات . ورد مطار دمشق بأنه أبلغ بأن مطار بغداد مغلق . وبعد دقائق قطعت هيئة الاذاعة البريطانية من لندن إرسالها العادى ، وأذاعت أول خبر يقول إن « **انقلابا عسكريا حدث فى العراق ، وأن النظام الملكى قد سقط فيها ، وأعلن قيام نظام جمهورى** » .

ولم يعد هناك مجال للشك أو للانتظار .

□

كانت فيللا « بريونكا » التى يقيم فيها الرئيس تبعد دقيقتين بالسيارة عن شاطىء البحر . وحملت معى الاشارة الملتقطة الأولى من إذاعة بغداد ، وورد برج المراقبة فى مطار دمشق ، ونص الخبر الأول الذى أذاعته لندن ، وتوجهت إلى فيللا « بريونكا » . وقال لى الضابط المكلف بنوبة الحراسة أمام جناح الرئيس ليلتها إنه لا يعرف كيف يوقظه دون ازعاج . ورجوته أن يتركنى أحاول . وتقدمت من باب غرفة نومه وطرقت الباب طرقا خفيفا عدة مرات . وفى ثوان كان « جمال عبد الناصر » يفتح الباب بنفسه ، ويخرج إلىّ مرتديا بيجامته إلى الصالون الملحق بغرفة نومه . ورويت له ما حدث . وتناول مجموعة الأوراق التى كانت فى يدى ، وراح يقرأها ويدقق فى كلماتها ، وكأنه يحاول أن يستشف ما وراء الحروف . **وكان تعليقه الأول هو أن قيام الثورة فى بغداد سوف يقلب المنطقة رأسا على عقب ، وأن الساعات القليلة القادمة قد تشهد أخطارا داهمة لأن الغرب ـ والولايات المتحدة فى مقدمته ـ قد يتصرفون جميعا بحالة من الجنون يصعب تقدير عواقبها .**

وكان تعليقه الثانى هو استعادة كل ما سمعه من « عبد الحميد السراج » عن الضابطين اللذين اتصلا به ، وقد تذكر اسميهما على الفور : « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » .

ثم كان تعليقه الثالث بعد ذلك أنه لابد من إعلان حالة التأهب القصوى فى الجمهورية العربية المتحدة ، وقام إلى التليفون الموضوع على مكتب فى ركن من الصالون وطلب توصيله بـ « عبد الحكيم عامر » فى القاهرة . وكان إتمام

الاتصال صعبا للغاية . فالخطوط فيما يبدو كانت مرتبكة ، واستطاع بالكاد أن يسمع صوت « عبد الحكيم » من القاهرة ، وأن يبلغه بقراره بإعلان حالة الطوارىء القصوى ، ثم يطلب إليه متابعة كل الاشارات التى سوف تصدر عن الباخرة « الحرية » . ثم دخل غرفة النوم بهدوء حتى لا يوقظ السيدة قرينته وعاد منها بحقيبة أوراقه ، وأخذ منها كراسة نزع بعض أوراقها ، وراح يكتب عليها بخط يده بيانا باسم الجمهورية العربية المتحدة استغرق اربع ورقات كان ختامه : « إن الجمهورية العربية المتحدة ستقوم بالتزاماتها كاملة تجاه جمهورية العراق وفقا لميثاق الضمان الجماعى العربى ، وإن أى عدوان على جمهورية العراق يعتبر عدوانا على الجمهورية العربية المتحدة » .[٢]

واستدعى « جمال عبد الناصر » أحد الضباط ، وكلفه بتوصيل البيان الذى كتبه إلى السيد « حسن صبرى الخولى » لكى تقوم محطة الارسال على ظهر « الحرية » بالابراق به إلى القاهرة حتى يذاع على الفور ، ثم أتبعه برسالة ثانية طلب إرسالها إلى القاهرة أيضا ، وفيها يطلب أن تقوم إذاعات القاهرة ودمشق طوال اليوم بنقل كل ما يصدر عن إذاعة بغداد أولا بأول ، وأن يبدو من هذه الاذاعات تأييد الجمهورية العربية المتحدة الكامل للثورة فى العراق . **وأخيرا بعث إلى دمشق والقاهرة يطلب اجراء اتصالات عاجلة بكل الوسائل المباشرة مع القيادات العراقية الجديدة ، والتعاون معها إلى أقصى الحدود فيما تطلبه ، وفى نفس الوقت كتب مجموعة من « النصائح » طلب إيصالها إلى بغداد ، وكان أهمها تكرار التعهد باستمرار تدفق النفط العراقى إلى أسواقه ، والتأكيد على استقلالية الثورة العراقية عن كل الأطراف بما فيهم الجمهورية العربية المتحدة ، وعدم التسرع بإبداء اتجاهات وحدوية حتى لا تثور ثائرة الغرب ضد الثورة فى مرحلة التعرض الأولى للخطر .**

□

وفى الساعة السابعة والنصف صباحا اتصل الرئيس « تيتو » من فيللا « بيانكا » التى كان يقيم فيها ، وقال لـ « جمال عبد الناصر » : إنه أبلغ بما جرى فى العراق ، وأنه يعتقد أن الشرق الأوسط مقبل على ساعات عصيبة ، وأنه على استعداد لأن يجىء الآن وعلى الفور إذا كان الرئيس مستعدا لاستقباله . وتذكر « جمال عبد الناصر » فى هذه اللحظة فقط أنه كان لا يزال يرتدى البيجامة ، وأسرع إلى

(٢) صورة من البيان بخط « جمال عبد الناصر » منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٢٧ صفحة ٨٥٢ . وقد كنت احتفظت بالأصل الذى كتب فى حضورى معى ، ثم سلمته فى القاهرة لمكتب الرئيس بعد ان احتفظت بصورة منه فى مجموعة اوراقى .

ارتداء ملابسه لكى يستقبل الرئيس « تيتو » ، كما طلب استدعاء الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية للتوجه إلى فيلا « بريونكا » .

وجاء الرئيس « تيتو » ولحقه الدكتور « محمود فوزى » ، ثم وصل وزير الخارجية اليوجوسلاف « بوبوفيتش » يحمل معه بعض البرقيات التى تلقتها وزارة الخارجية اليوجوسلافية خلال الساعتين السابقتين . وانتقل الاجتماع موسعا على هذا النحو إلى غرفة المكتب بالدور الأول من فيلا « بريونكا » . وكان أول شىء قاله « جمال عبد الناصر » هو قراره بأن يعود إلى مصر على الفور . وطلب إخطار قائد طائرة الطوارىء المرافقة له بالاستعداد للسفر إلى القاهرة فى ظرف ساعتين . واعترض الرئيس « تيتو » على الفور قائلا : « إن الطائرة الاليوشن سوف تستغرق فى رحلتها إلى القاهرة ثمانى ساعات ، وقيام طائرة وحيدة من طراز اليوشن ١٨ بعبور البحر الأدرياتيكى من مطار بولا المواجهة لبريونى ، ثم عبور البحر الأبيض المتوسط فى اتجاه مصر هو مخاطرة لا يمكن القبول بها ، خصوصا وأن الخلاص من طائرة وحيدة فوق البحر يمكن أن يكون عملية سهلة لأى قوة راغبة فى اصطيادها ، خصوصا وأن المعلومات التى ترد الآن كلها تشير إلى تحركات جوية كبيرة تجرى فوق منطقة البحر الأبيض المتوسط » . وكان رأى « تيتو » أن العودة بالباخرة أسلم . فلا يمكن لأى قوة مهما بلغت حماقتها أن تهاجم قافلة تضم عدة قطع : « الحرية » والمدمرتين المصريتين المرافقتين لها ، ثم إنه عندما فكر فى الصباح توقع أن يقرر الرئيس قطع زيارته ليوجوسلافيا ، واستقر على أن تنضم اثنتان من المدمرات اليوجوسلافية إلى القافلة لتعزيز الحراسة . وهكذا فإن أى قوة سوف تتردد عدة مرات قبل أن تقرر التعرض لخمس قطع بحرية تشق أمواج البحر مجموعة واحدة . وفكر « جمال عبد الناصر » قليلا ، ثم اتفق مع « تيتو » فى رأيه . ومع أنه كان يقدر أن الملاحة بأقصى سرعة قد تستغرق أكثر قليلا من يومين ، فقد تصور أنه سوف يستطيع فى كل الأحوال من فوق ظهر الباخرة « الحرية » وبواسطة محطتها اللاسلكية أن يظل على اتصال بالحوادث ، وأن يتمكن من إبلاغ وجهات نظره فيها إلى المسؤولين فى القاهرة ودمشق .

واتصل الرئيس « عبد الناصر » بالقائد البحرى المصرى المسؤول عن القافلة ، وهو الفريق البحرى « ناشد » وطلب إليه أن تكون الباخرة « الحرية » والمدمرات المرافقة لها مستعدة للإبحار فى أقرب لحظة ممكنة .

ثم راح يناقش كل احتمالات تداعى الموقف مع الجالسين معه فى غرفة المكتب ، وأولهم الرئيس « جوزيب بروز تيتو » .

٢

كان الرئيس « ايزنهاور » قد تناول عشاءه مع زوجته « مامى » فى الساعة السابعة مساء بتوقيت واشنطن ، ومعهما بعض الأصدقاء المقربين . وبعد العشاء انتقل « ايزنهاور » مع هؤلاء الأصدقاء إلى قاعة اللعب فى البيت الأبيض . ولمدة ساعتين راحوا يلعبون « البريدج » . ثم نهض الرئيس « ايزنهاور » متوجها إلى جناحه الخاص وأوى إلى فراشه ، وكانت الساعة العاشرة والنصف بتوقيت واشنطن . وبعد ساعة من النوم ، أى فى الحادية عشرة والنصف بتوقيت واشنطن ـ أى الساعة السادسة والنصف بتوقيت بغداد ـ دق التليفون بجوار سريره ، وكان المتحدث هو مستشاره « شيرمان آدامز » يبلغه بحدوث ثورة فى العراق أدت إلى إنهاء النظام الملكى ، وإعلان الجمهورية . وأضاف « شيرمان آدامز » إلى هذا النبأ قوله معلقا : **« لابد أن يكون هذا من صنع الكولونيل ناصر ايضا » . وطلب « ايزنهاور » دعوة مجلس الأمن القومى للاجتماع به فى مكتبه فورا ، وانه سينضم للاجتماع فى ظرف نصف ساعة .**

وعندما دخل « ايزنهاور » مكتبه مع منتصف الليل بتوقيت واشنطن كانت هناك مجموعة كبيرة من البرقيات قد وضعت أمام المقعد المخصص له على مائدة الاجتماعات ، وراح « ايزنهاور » يقلب أوراقها ، ويطلع بسرعة على ما فيها ، والكل من حوله صامت ينتظر رأيه .

وقال « ايزنهاور »[3] إن الوضع خطير ، وان الولايات المتحدة سوف تكون مطالبة بالتصرف فيه بحيث لا يخطىء احد فى فهم نواياها . ثم طلب أن تكون القواعد البرية والجوية والبحرية فى أوروبا الغربية جاهزة للعمل بمقتضى حالة الطوارىء القصوى . واستفسر من الجنرال « توايننج » عن درجة الاستعداد ، وعن القوات الجاهزة للتدخل السريع إذا ما تطلب الأمر ذلك . ثم طلب أن تنعقد مجموعة عمل تضم وزارتى الخارجية والدفاع ، وتنضم إليهما اجهزة المخابرات فى الجيش والأسطول والطيران إلى جانب المخابرات المركزية ، ثم أن يكونوا جاهزين باية توصيات قد تكون لديهم فى ظرف ست ساعات . واستغرق الاجتماع ٤٥ دقيقة عاد بعده « ايزنهاور » إلى غرفة نومه على أن يعود

(٣) مذكرة عن الاجتماع كتبها الكولونيل « جودباستر » المساعد العسكرى للرئيس « ايزنهاور » وهى محفوظة فى مكتبه بأبيلين ـ كانساس ـ ضمن ملف « الإنزال فى لبنان » .

إلى الاجتماع بمجلس الأمن القومى فى الساعة السابعة صباحا بتوقيت واشنطن قائلا إنه هو الآخر يريد أن يعطى نفسه فرصة يفكر فيها فى خطواته خلال الساعات المقبلة . وأضاف قائلا : « إن الحساب أمامنا بالدقائق والساعات ، وليس بالأيام والأسابيع » . وغادر قاعة الاجتماع ، والكل حول المائدة يحسون على حد تعبير « جون فوستر دالاس » بأن « الدنيا واقفة على حافة الهاوية » .

استيقظ « ايزنهاور » ـ كما كتب فى يومياته ـ فى الساعة الخامسة والربع لكى يجهز نفسه لاجتماع مجلس الأمن القومى المقرر له الساعة السابعة صباحا . وقد تناول افطاره وحيدا ، وفى أثنائه قرأ ملفا أعده له مساعده العسكرى « جودباستر » بما استجد خلال الساعات الفائتة . وكان الملف يحوى التقرير الأولى لمجموعة العمل التى واصلت اجتماعاتها أثناء نوم « ايزنهاور » ـ وحتى الفجر ، وكذلك بعض التقارير الواردة من سفارات الولايات المتحدة فى المنطقة ، إلى جانب رسالتين شخصيتين وجههما الملك « سعود » على عجل إلى « ايزنهاور » ، ثم أخيرا رسالة من « كميل شمعون » يطلب فيها التدخل الفورى للقوات الأمريكية وإلا انهار الوضع كله فى لبنان .

وكان نص تقرير مجموعة العمل الخاصة طبقا للوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية على النحو التالى :

« مذكرة إلى الرئيس

الموضوع : مجموعة العمل بشان العراق . هارى وروكويل .

المشتركون ـ من الخارجية : الوزير جون فوستر دالاس ـ روكويل (من إدارة مخابرات الخارجية) ـ السفير هندرسون ـ السفير مورفى ـ السفير رينهاردت ـ السفير ماك كومبر ـ الوزراء المفوضون . سانجر وماتوا وجرون .

من العسكريين : الجنرال توايننج (هيئة الأركان المشتركة) ـ كوارلس وسبراكو (من مخابرات الجيش) .

من وكالة المخابرات المركزية : آلان دالاس (مدير الوكالة) ـ نورمان بول (رئيس العمليات الخاصة) .

□ نص التقرير

ناقشت المجموعة الآثار المحتملة لتدخل الولايات المتحدة عسكريا فى المنطقة ، كما ناقشت ايضا الآثار التى يمكن ان تترتب على عدم التدخل . واهتمت اللجنة بصفة خاصة بطلب شمعون للتدخل فى لبنان باعتبار ان ذلك طلب رسمى يعطى اساسا قانونيا للتدخل ، كما ان التدخل فى لبنان يمكن ان يتم بدون مقاومة ، وهو ما يرجح ان يكون لبنان هو الاتجاه الأول لأى عمل عسكرى . وقد طلب المستر هارى

(مخابرات وزارة الخارجية) وايده فى ذلك الجنرال توايننج ان تكون اول خطوة هى وقف تسليم طائرات اف ـ ٨٦ وغيرها من المعدات المرسلة للعراق على الفور ، فهذه المعدات صدر الأمر بشحنها ، ومن المحتمل ان ينفذ امر الشحن تلقائيا ، وبدون اعتبار للظروف الطارئة . واحيط المجتمعون علما برسالتى الملك سعود الواردتين فى برقيتى السفارة الأمريكية فى جدة تحت رقم ٤٦ و ٤٧ .

(هناك فقرة محذوفة من التقرير(٤) ، ولكن يوميات « ايزنهاور » تكشف عنها إذ تشير إلى ان الملك « سعود » طالب فى البرقية الأولى بالتدخل العسكرى الأمريكى سريعا فى الشرق الأوسط ، وإلا « انهار كل شىء » . والثانية يقول فيها الملك إنه إذا لم تتدخل الولايات المتحدة عسكريا فى الموقف ، فإنه لن يكون امامه ـ مضطرا ـ غير « ان ينتقل إلى صف الجمهورية العربية المتحدة ») .

وكان هناك اتفاق عام على التدخل العسكرى لأن الامتناع عن التدخل سوف يترتب عليه ما يلى :

١ ـ استيلاء ناصر على المنطقة بكاملها .

٢ ـ ان نفوذ الولايات المتحدة سوف يضيع لا فى الدول العربية وحدها ، ولكن فى المنطقة كلها بشكل عام . وسوف تصبح القواعد الأمريكية فى الشرق الأوسط كلها معرضة للخطر .

٣ ـ سوف يصبح الاعتماد على تعهدات الولايات المتحدة بتقديم المساعدة عند الحاجة موضع شك فى جميع انحاء العالم .

ورأى الجنرال توايننج انه فى هذه الظروف ليس امامنا بديل غير التدخل .

(فقرة محذوفة)(٥)

وقد قرر الجنرال توايننج ان الأسطول الأمريكى السادس بدا يتحرك بالفعل إلى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وان قيادته لديها خطط معدة للانزال على الشواطىء اللبنانية ، وهى جاهزة لانزال اول كتيبة بعد اثنتى عشرة ساعة من إصدار الأمر . وتساءل المستر كوارلس عما إذا كان مناسبا إيجاد مظلة من الأمم المتحدة تجرى تحتها عملية التدخل العسكرى بحيث يكون هناك غطاء معنوى مناسب لها ، وانضم إليه ماك كومبر مضيفا ان مثل هذا الغطاء المعنوى قد تكون له اهميته بالنسبة لرد فعل الكونجرس ، مضيفا إلى ذلك انه من المحتمل ان بعض الدوائر السياسية فى العالم قد تتجه إلى القول بان تدخل الدول الغربية فى الموقف فى لبنان والعراق ، سوف يكون شبيها بالتدخل البريطانى الفرنسى فى السويس سنة ١٩٥٦ .

(٤) حذفت من هذا التقرير ـ عند الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات ـ فقرتان .

(٥) هذه هى الفقرة الثانية المحذوفة من التقرير عند الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات ، والارجح انها تتعلق بعمل المخابرات وادواتها فى المنطقة ، وقد حذفت باعتبارها حتى هذه اللحظة تعرض الأمن القومى الأمريكى والمتعاونين معه فى المنطقة لخطر قائم .

وقال السفير رينهاردت إن نطاق التدخل الغربى هو الذى سيحدد طبيعة ونطاق رد الفعل السوفيتى . واتفق معه المستر هندرسون فى ذلك . كما علق الوزير (دالاس) بانه يوافق علىّ ان التدخل ينطوى على خطر نشوب حرب عالمية . ورأى السفير هندرسون : « إننا يجب ان نواجه هذا الخطر الآن كما نواجهه فى اى وقت آخر . كما ان علينا ان نتقبل ان هناك جزءا من العالم غير الشيوعى لن يقف منا موقفا وديا فى البداية على الأقل » .

وقد قرأ « ايزنهاور » تقرير مجموعة العمل ، ووجد أن كبار مستشاريه لم ينتهوا إلى توصيات محددة يوجهونها إليه ، وإنما رأوا نظرا لخطورة القرار أن يعرضوا أمامه مناقشاتهم ، وأن يتركوا له استخلاص ما يريد بحكم مسؤوليته السياسية والدستورية عن قيادة « الأمة » خصوصا وأن الأمر يمكن أن يؤدى إلى نشوب حرب عالمية .

□

فى الساعة السابعة تماما كان « ايزنهاور » يدخل إلى مكتب « ريتشارد نيكسون » نائب الرئيس ، ثم يلحق به على الفور أعضاء مجلس الأمن القومى الذين كانوا ينتظرونه فى مكتب سكرتيرته « أن ويتمان » . ويسجل أحد مساعدى الرئيس ، وهو المستر « كاتلر » فى مذكراته أنه حينما دخل المكتب ونظر إلى « ايزنهاور » أحس على الفور بأنه « أمام رجل فى منتهى هدوء الأعصاب والارتياح ، وادرك على الفور من أول نظرة أن « ايزنهاور » قد وصل إلى قراره . » وكان إحساس « كاتلر » صحيحا فيما يبدو ، فإن « ايزنهاور » كتب فى مذكراته فى ذلك اليوم[٦] : « **فى هذا الصباح دعوت مجموعة مستشارى إلى اجتماع فى مكتبى لكى أتأكد للمرة الأخيرة أن كافة احتمالات الموقف قد تم بحثها . كما أن آخر المعلومات الدقيقة متوافرة لدىّ . وقد كان ذلك يوما بداته وانا اعرف ما ينبغى علىّ أن افعله فيه . كنت مقتنعا باننا امام ضرورة التدخل فى الشرق الأوسط . لقد جاء الوقت الذى يتحتم علينا فيه أن نتدخل ، وبالذات فى لبنان لكى نمنع تردى الموقف إلى حالة من الفوضى الشاملة . وكان هناك عنصر آخر فى تقديرى ، وهو أن حياة الرعايا الأمريكيين فى لبنان قد تكون فى خطر** » .

وكان « ايزنهاور » فى حالة صفاء ذهنى مختلط بشىء من الحماسة لما استقر عليه من قرار ، فقد كتب فى يومياته فى ذلك الوقت بالنص :

« **لقد فكرت ان ارتدى بدلتى العسكرية القديمة ، وقلت لمامى (زوجته)**

(٦) صفحة ٢٧٠ من مذكرات « ايزنهاور » .

ابحثى عن ملابسى العسكرية لكى اجرب واحدة منها . واتأكد من انها ما زالت على مقاسى » .

□

ويروى « ايزنهاور » فى مذكراته[٧] أنه طلب من « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية أن يبدأ بعرض ما عنده من مستجدات . ورد « آلان دالاس » قائلا :

« إن المعلومات المتوافرة لدينا تؤكد ان الانقلاب تم بواسطة عناصر موالية لناصر . وإن كنا لا نملك حتى الآن معلومات توضح لنا صلة ناصر بهم ، وما إذا كان هو شخصيا وراء الانقلاب . وهناك حظر تجول الآن فى بغداد الأمر الذى تصعب معه فرصة جمع معلومات دقيقة . وقد بلغنا ان حوالى خمسين ضابطا من الضباط الموالين للغرب قد احيلوا إلى التقاعد . وليست لدينا معلومات عن القوات خارج بغداد ، ومن المحتمل ان توجد فى مكان ما قوات موالية للملكية . ولما كان اختفاء الملك فيصل ورئيس وزرائه نورى السعيد قد حرم مثل هذه القوات الموالية للملكية ـ على فرض وجودها ـ من قيادة توجهها ، فإن الملك حسين كما علمنا باعتباره الرجل الثانى فى الاتحاد الهاشمى يظن انه يستطيع ان يعطى هذا التوجيه . وقد اصدر بالفعل اوامر اذاعتها عمان إلى وحدات الجيش العراقى التى تصورها موالية للملكية ، ولكننا لا نعرف إلى اى مدى يمكن ان يتحقق مثل هذا الأمر . والمعلومات لدينا من إسرائيل ان رئيس الوزراء دافيد بن جوريون فى حالة هياج شديدة ، وانه قد ينتهز الفرصة مدفوعا ببعض المتشددين إلى احتلال الضفة الغربية للأردن[٨] . ومن المحتمل ان يكون مصير الكويت معلق فى الميزان . وفى لبنان ابلغنا كميل شمعون ان الموقف ينذر باسوا العواقب ، وقال لسفيرنا إنه إذا لم نتدخل عسكريا نحن وبريطانيا ، فإن كل شىء سوف يضيع . إن شمعون يشعر بمرارة شديدة لاننا لم نسانده حتى وقعت الكارثة ، وقد تعارك مع قائد جيشه اللواء شهاب ، وطلب إليه إما ان يقاتل ، وإما ان يترك منصبه » .

ويستكمل « ايزنهاور » فى مذكراته روايته عن تقرير « آلان دالاس » فيقول :

إن آلان دالاس قال لنا أيضا إن الملك سعود فى حالة قلق شديد ، وهو يطلب من دول حلف بغداد أن تتدخل عسكريا فى بغداد ، وإلا فإنه مهما كان شعوره بالذل سوف يضطر إلى الرضوخ للجمهورية العربية المتحدة . وقد ختم دالاس كلامه لنا قائلا : « إن الوقت قد حان للعمل » .

ويروى « ايزنهاور » بعد ذلك أن « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية توجه لنا بالسؤال قائلا : « ألا تريد أن تسمع تقريرنا السياسى للموقف ؟ » وأحس

(٧) صفحة ٢٧٠ من مذكرات « ايزنهاور » .

(٨) إشارة اخرى إلى تصميم إسرائيل على احتلال الضفة الغربية للاردن .

« ايزنهاور » بحرج لأنه اهتم بسماع رأى المخابرات ولم يعط الفرصة لوزارة الخارجية . ورد قائلا : « فوستر بالطبع أريد سماعك . والآن أريد منك أن تعطينا تحليلك لاحتمالات تدخلنا فى لبنان ، وكيف يمكن أن يكون رد فعل السوفيت » . ورد « فوستر » بقوله إنه « **يعتقد أن السوفيت سوف يقومون بإحداث بعض الضجيج ، وبعض إشارات التهديد الموجهة ضد تركيا وإيران بالذات ، ولكنهم لن يذهبوا إلى أبعد إلا إذا تصوروا أن نتائج قيام حرب عالمية فى هذا الوقت قد تكون مواتية لهم ، وإن كان لا يعتقد أن السوفيت يريدون مثل هذا الاختبار لقوتهم إزاء قوتنا ، خصوصا إزاء تفوقنا عليهم فى القاذفات** » . وأضاف « فوستر » أنه « **إذا تدخلت الولايات المتحدة عسكريا فى لبنان ، فإن رد الفعل العربى هو الذى يجب أن يحسب حسابه ، فقد نتعرض لحملات سياسية ، وقد يكون هناك خطر على خطوط أنابيب البترول ، وقد تقفل قناة السويس فى وجه بواخرنا . وأنه من سوء الحظ أن الملك سعود الذى يرغب فى تدخلنا لا يستطيع أن يفعل شيئا لمساعدتنا ، ثم إن البريطانيين سوف يجدون أنفسهم مضطرين إلى إعادة احتلال الكويت لحماية بترولهم** » .

□

وجاء الدور على « ايزنهاور » ليعطى قراره ، وبدأ يقول وفقا لما كتبه فى يومياته الخاصة :

« **لقد وصلنا الآن إلى مفترق الطرق . فمنذ سنة ١٩٤٥ وسياستنا تقوم على ضرورة الوصول إلى منابع البترول ، وضمان سيطرتنا عليها بدون أية عوائق من جانب أى طرف . وأن يتحقق ذلك سلميا إذا أمكن . والآن فإن علينا أن نناضل لكى نمنع ناصر من السيطرة على هذه الموارد ، وإلا أعطيناه المال والنفوذ والقوة التى يتمكن بها من تدمير العالم الغربى . لقد كان علينا فى نقطة ما على الطريق أن نواجه هذه المشكلة ، وقد وصلنا إلى هذه النقطة الآن** » .

ثم التفت « ايزنهاور » ناحية الجنرال « توايننج » قائلا له : « Go Ahead » اى « ابدأ فى التصرف » . وخرج الجنرال « توايننج » من قاعة الاجتماع لكى يتصل تليفونيا بالبنتاجون ، وينقل قرار الرئيس بالتدخل العسكرى .

□

ودق جرس التليفون على المكتب ، وكان « هارولد ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا على التليفون . ودارت بين الاثنين محادثة يسجلها تقرير خاص فى ملفات البيت الأبيض جرى حذف فقرات عديدة منه عندما تم الحصول على نصه وفقا لقانون

حرية المعلومات . لكن الأجزاء غير المحذوفة (مع الاشارة إلى مواضع الحذف) كفيلة بإظهار فحوى المحادثة التليفونية وتوجهات أطرافها .

□ **ايزنهاور** : لديكم كل المعلومات ، وتقارير المخابرات عن العراق ، وكيف أن ما حدث يؤدى إلى تفاقم الوضع فى لبنان . وقد طلب منا الرئيس شمعون أن نتدخل وقررنا تنفيذ الخطة . وهذا لمعلوماتكم الخاصة الشديدة السرية .... (فقرة محذوفة)

■ **ماكميلان** : .... (كل تعليقه على ما سبق من كلام ايزنهاور محذوف)

□ **ايزنهاور** : .... (كله محذوف)

■ **ماكميلان** : .... (كله محذوف)

□ **ايزنهاور** : طبعا . ولكم أن تعلموا أنه فيما يتعلق بنا ، فليس فى وسعنا اعتبارا من هذه اللحظة أن نهتم بأى شىء يجرى فى أى مكان آخر من العالم . إن الوضع هناك لا يستطيع أن يتحمل أكثر من ذلك .

■ **ماكميلان** : .... (كله محذوف)

□ **ايزنهاور** : والآن لحظة واحدة فقط حتى لا يكون هناك أى سوء فهم ...... (فقرة محذوفة)

■ **ماكميلان** : .... (كله محذوف)

□ **ايزنهاور** : حسنا الآن . سأقول لكم طبعا إننى لست راغبا فى المضى إلى أكثر . لقد استعرضنا الموقف الآن ، وناقشنا ما يمكن أن يكون عليه رد فعل الكونجرس فى الموقف ، وإذا كان علينا أن نخطط الآن لعملية أكبر تواصل الطريق إلى نهايته ، وتمتد إلى سوريا والعراق ، إذن فنحن نبتعد عن أى شىء فى سلطتى القيام به دستوريا بغير قرار من الكونجرس . إن هناك مشاكل أمامنا فى الكونجرس فى تبرير ما نعتزم القيام به دون الرجوع إليهم[9] .

■ **ماكميلان** : .... (كله محذوف)

□ **ايزنهاور** : فى هذه اللحظة سيستغرق الأمر ..... لا أعرف على وجه التحديد

---

(٩) توحى هذه العبارة بالطبع بفحوى العبارات المحذوفة من قبل فى حديث الرئيسين . فمن شبه المحقق ان « هارولد ماكميلان » اقترح على « ايزنهاور » عملا عسكريا مشتركا لا يتوقف عند حدود لبنان ، وإنما يمتد إلى سوريا (الجمهورية العربية المتحدة) والعراق .

الوقت المقرر لوصول القوات إلى هناك ، لأن هناك ارتباطا بين صدور الأوامر وساعات توقيت العمليات بعدها . وانا لا ارغب فى إعطاء أى معلومات على الخطوط المفتوحة[١٠] .

■ **ماكميلان** : طبعا ـ والآن هل ستوجه خطابا للأمة ؟

□ **ايزنهاور** : نعم . وهذا موضوع سرى جدا . إننا سوف ندعو إلى جلسة عاجلة لمجلس الأمن . وسأوجه إذاعتى إلى الأمة بعد انعقاد هذا المجلس .

■ **ماكميلان** : غـدا ؟

□ **ايزنهاور** : حسنا . ربما .

■ **ماكميلان** : .... (كله محذوف)

□ **ايزنهاور** : لم نكن نعرف ما هى آخر التقارير .

■ **ماكميلان** : .... (كله محذوف)

□ **ايزنهاور** : الذى أفكر فيه الآن كما يلى : إذا تطور الموقف بحيث أصبحنا أمام أحد احتمالين : إما التخلى عن جميع مصالحنا القومية ، أو تدميرها ـ فسيكون علىّ أن أذهب إلى الكونجرس ، وأطلب سلطة للتصرف . وفى وسعنا فهم هذا القدر الآن والاتفاق عليه ...... (فقرة محذوفة)

■ **ماكميلان** : .... (كله محذوف)

□ **ايزنهاور** : أنا لا أعرف فى هذه اللحظة متى نحتاج إلى قواتكم ، ولا فى أى مكان ، فالموقف متحرك بسرعة ، وعلى أى حال ، فلابد من جعلهم على أهبة الاستعداد ، وأيا كان ما يحدث بعد ذلك فسوف نتصرف وفق ما نفهمه الآن .

■ **ماكميلان** : علينا أن ندعو إلى هذا كله علنا . فالمشكلة برمتها هى ما يجب أن يهمنا الآن . علينا أن نتعامل مع الخطر ككل .

□ **ايزنهاور** : طبعا . اعتبارا من هذه اللحظة فهذا هو الوضع ، ولسنا نعرف بعد ما سوف تتطور إليه الأمور . وأعتقد أن من السيىء لى ولك أن نتحدث على التليفون حول هذه الاحتمالات الضخمة .

---

(١٠) المحادثات التليفونية بينهما كانت تجرى عن طريق تليفون خاص مزود بجهاز Scrambler وهو يحولها إلى نوع من الشفرة . ولكنها مثل اى شفرة يمكن كسرها .

■ **ماكميلان** : ماذا تنوى ان تفعله بشأن حديثك للأمة ؟

□ **ايزنهاور** : كلا . ليس الليلة بالقطع . هذا موضوع سرى جدا .

■ **ماكميلان** : سأكتب إليك الآن رسالة تفصيلية وستصلك فى ظرف ساعة أو ساعتين . فهناك أشياء كثيرة لا أستطيع أن أقولها على التليفون .

□ **ايزنهاور** : نعم . افعل ذلك ، واعط تعليماتك لسفيركم هنا أن يحملها فورا إلى فوستر .

■ **ماكميلان** : سأكتب الآن فورا . وسيصلكم فى ظرف ساعة ، وسوف يسلم إلى فوستر .

□ **ايزنهاور** : أما بقية الاحتمالات ، فسنظل على اتصال بشأنها ، وأنا أعرف أننا سوف نفتح صندوق كل الشرور ، ولكن علينا أن نفتحه ، وإلا فإن البديل مواجهة كارثة كاملة .

ويضيف تقرير البيت الأبيض عن تسجيل المحادثة التليفونية فى نهايته ملاحظة تقول : « إن الرئيس التفت إلى وزير الخارجية فى ختام المحادثة التليفونية مع رئيس الوزراء البريطانى وقال له ...... (عبارة محذوفة) **واضاف الرئيس إنه اتفق مع ماكميلان على أشياء كثيرة . واستطرد الرئيس ، فقال إنه حاول أن يقول لماكميلان إنه ـ أى الرئيس ـ لا يستطيع أن يتخذ وحده قرارا بهذا الحجم بغير الرجوع إلى الكونجرس** » .

وكانت صناديق الشر كلها على وشك ان تفتح مرة واحدة .

٣

كانت الموسيقى تدق والأعلام ترفرف مع نسمات الريح حينما وصل « جمال عبد الناصر » إلى رصيف جزيرة بريونى ، واستقل من هناك قاربا مع الماريشال « تيتو » متوجها إلى الباخرة « الحرية » الواقفة فى عرض البحر متأهبة للرحيل ، ومن

حولها أربع مدمرات حربية : اثنتان ترفعان علم الجمهورية العربية المتحدة ، واثنتان ترفعان علم يوجوسلافيا .

ومن المفارقات أن هذا التوقيت فى يوجوسلافيا كان متفقا تماما مع محادثة « ايزنهاور » و « ماكميلان » بتوقيت واشنطن . ولكن أحدا من المبحرين فى المياه الصافية الزرقاء المحيطة بجزيرة بريونى لم يكن يعرف أن صناديق الشر كلها على وشك أن تفتح . كان تقديرهم جميعا أن هناك مخاطر شديدة ، ولكن حجم هذه المخاطر واتجاهات الخطر الكامن فيها لم يكن محددا بالقدر الكافى .

كانت الأزمة التى دفعت العالم إلى حافة الهاوية موضوع الحديث الدائر بين « جمال عبد الناصر » و « تيتو » وهما معا فى القارب السريع الذى راح يجرى فوق الموج متجها إلى الباخرة « الحرية » . وعندما صعدا إليها جرت مراسم وداع سريعة ، ثم تعانق الرئيسان وداعا ، ونزل الماريشال « تيتو » إلى القارب عائدا إلى بريونى ، وأطلقت قطع القافلة البحرية صفاراتها تحية له واستعدادا للرحيل .

كان الغروب بألوانه الرائعة قد بدأ ينفذ إلى السماء فى هذه المنطقة من شمال البحر الأدرياتيكى . ووقف « جمال عبد الناصر » على جسر الباخرة « الحرية » - ومعه الدكتور « فوزى » وأنا - يتأمل مهرجان الغروب . وعلى وجه التأكيد فإن إلحاح الأزمة كان يفرض نفسه على كل المشاعر والأفكار . وابتعد شاطىء بريونى ، ودخل « عبد الناصر » من سطح الباخرة إلى غرفة المكتب فى الجناح الرئيسى عليها ، وراح يقرأ البرقيات التى تجمعت ولم يطلع عليها فى الفترة التى استغرقها الانتقال من فيلا « بريونكا » إلى الباخرة « الحرية » .

وتحول الجناح الرئيسى على الباخرة « الحرية » إلى شبه غرفة عمليات . ففى ساعات قليلة كان مكتب الاتصالات الشفرية على الباخرة قد تلقى أو أرسل ١٧٢ برقية شفرية - كأن الباخرة كانت فى مجراها على أمواج الأدرياتيكى فى حوار متصل لا ينقطع مع القاهرة ودمشق .

□

وأشرق فجر ١٥ يوليو بتوقيت البحر الأبيض المتوسط والقافلة البحرية ما زالت تتجه جنوبا فى مياه الأدرياتيكى بأقصى سرعة ، والتقدير أنها سوف تخرج منه إلى البحر الأبيض المتوسط فى ظرف ساعات قليلة . وكانت الباخرة « الحرية » ما زالت تعمل كمركز قيادة عائم . ومع أول بشائر الصباح تلقى مكتب الاتصالات الشفرية على الباخرة أول إشارة عن نزول القوات البحرية الأمريكية إلى الشواطىء اللبنانية قرب بيروت . ومع أن بوادر العاصفة بدأت تهب على البحر الأبيض ، فإن القافلة راحت بأقصى سرعتها تشق طريقها إليه .

ومع الغروب - وبعد نهار حافل بزحام المشاكل والمشاغل - أقبل قائد الباخرة « الحرية » يطلب مقابلة الرئيس « عبد الناصر » ليقول له إن الضابط البحرى الكبير المكلف بقيادة مدمرات الحراسة اليوجوسلافية يقترح مراعاة حالة إطفاء كامل على كل قطع القافلة بما فيها « الحرية » . وأضاف إن هذا القائد أبلغه أنهم رصدوا بعض محاولات الاستطلاع الجوى . ونزل الليل وقطع القافلة كلها كأنها كتل من الظلام تجرى على سطح البحر المظلم . وفى الساعة التاسعة مساء بدأت المدمرة اليوجوسلافية التى تحمل رقم ٦٢ تبعث بإشارات بالأضواء تقول « **نطلب توقف القافلة - نريد إرسال قارب إلى الباخرة الحرية يحمل رسالة هامة من الرئيس تيتو إلى الرئيس عبد الناصر** » . وفوجىء الواقفون على سطح « الحرية » بقارب بمجداف يسرى فى ظلام الليل من المدمرة إلى « الحرية » . وكان تعليل اليوجوسلاف أنهم اختاروا هذه الوسيلة تأكيدا للأمن لأن أصوات محركات القوارب السريعة يمكن رصدها بأجهزة « السونار » ومن مسافات بعيدة . وبعد دقائق كانت رسالة « تيتو » أمام « جمال عبد الناصر » وكان نصها كما يلى :

« **من الرئيس تيتو إلى الرئيس ناصر - أناشدكم أن لا تتقدموا فى البحر إلى أكثر من الحد الذى وصلتم إليه الآن - الخطر شديد بعد التطورات الأخيرة - احتمالات مواصلة السفر بالبحر لم يعد يمكن تأمينها - أرجوكم العودة إلى أقرب ميناء يوجوسلافى - قد يكون فى إمكاننا تدبير طائرة عظيمة السرعة تعود بكم إلى وطنكم - أرجو أن أتلقى ردا على الفور - تيتو** » .

كان الدكتور « محمود فوزى » وأنا فى المكتب الذى يعمل منه « جمال عبد الناصر » على الباخرة « الحرية » - عندما قرأ رسالة « تيتو » . وقد ناولها للدكتور « محمود فوزى » ثم وصلت إلىّ - وكان واضحا أن الرئيس يطلب رأينا . ودارت مناقشة استغرقت بضع دقائق ، ثم قال « جمال عبد الناصر » : « إننى أظن أن تيتو يريد أن يستعير من الروس طائرة تى يو ١٠٤ الجديدة ، وهى تستطيع أن تقطع المسافة من بريونى إلى مصر فى ثلاث ساعات » . وانتهت المناقشة السريعة و « جمال عبد الناصر » يملى ردا على « تيتو » نصه :

« **من جمال عبد الناصر إلى الرئيس تيتو - فهمت وجهة نظركم - قررت أن اعود - انتظر معلومات إضافية - جمال** » .

وبعد ساعات قليلة جاء قارب آخر على الموج من المدمرة ٦٢ إلى الباخرة « الحرية » وكان يحمل رسالة اخرى من « تيتو » لـ « عبد الناصر » نصها :

« من الرئيس تيتو إلى الرئيس عبد الناصر ـ اتخذت كل الترتيبات ـ اقترح عودتكم إلى بريونى ـ ستكون فى مطار بولا طائرة عظيمة السرعة تنتظركم ـ إذا وافقتم أرجوكم أن تتركوا الباخرة الحرية لأنها بطيئة ، وأن تنتقلوا إلى إحدى مدمراتكم لتصلوا إلينا فى ظرف ثمانى ساعات ـ أعرف أن مكتب الاتصالات والشفرة على الحرية مهم لكم فى هذه الظروف ـ طلبت من البحرية اليوجوسلافية أن تضع تحت تصرفكم طائرتين حربيتين من طائرات الانزلاق على الماء ليكون من ذلك خط مواصلات دائم بينكم وبين الباخرة الحرية طوال ساعات رحلتكم بالمدمرة السريعة إلى بريونى ـ أتطلع بشوق إلى أن أراك مساء اليوم ـ تيتو » .

□

كان مكتب الاتصالات والشفرة على الباخرة « الحرية » يتلقى الخدمة الصحفية لثلاث من وكالات الأنباء (هى وكالة رويتر والأسوشيتد برس ووكالة الأنباء الفرنسية) . وبدأت أجهزة الاستقبال تتلقى فيضا من رسائل هذه الوكالات ، وكلها تشير إلى إعلان حالة الطوارىء فى كل القواعد الأمريكية فى البحر الأبيض وأوروبا الغربية . وكانت هناك إشارات لا يمكن أن يخطئها أحد فى تحركات القوات البريطانية برا وبحرا على القوس الممتد من جبل طارق إلى عدن . وكان هذا السيل من برقيات وكالات الأنباء ينقل إلى « جمال عبد الناصر » فى نفس الوقت مع البرقيات الشفرية القادمة من القاهرة ودمشق . وكان « جمال عبد الناصر » يقرأ هذا كله باهتمام ، وفى بعض اللحظات بدا أنه منشغل بفكرة تجول فى خواطره . وفوجئنا ـ الدكتور « محمود فوزى » وأنا ـ بالرئيس يقول لنا إن لديه فكرة تلح عليه منذ تلقى رسالة « تيتو » الأولى عن مخاطر العودة بالبحر ، وعن الطائرة عظيمة السرعة التى يمكن أن تنقله إلى القاهرة فى ظرف ثلاث ساعات . ثم راح الرئيس يفضى بفكرته إلينا ، ومؤداها أنه خطر بباله أن يذهب بالطائرة السريعة إلى موسكو فى زيارة سرية يلتقى فيها بالقادة السوفيت لكى يتعرف مباشرة على نواياهم فى حالة ما إذا تفاقمت الأزمة ووصلت إلى حد استعمال القوة المسلحة . وكان تقديره أن دخول الولايات المتحدة إلى منطقة العمل المسلح يصنع موازين تختلف عما كان عليه الحال فى وقت السويس ، وأن من الضرورى لنا أن نعرف مبكرا نوايا السوفيت حتى تكون حساباتنا على أساس سليم . وأنه لا يعتقد والأحوال على هذه الدرجة من الخطورة أن تبادل الرسائل يكفى ، وإنما لابد من التعرف على الحقائق وجها لوجه . وكان سؤاله بعد ذلك عن رأينا فى اقتراحه . ورجاه الدكتور « محمود فوزى » أن يعطينا مهلة

نتدبر الأمر معا ، ونعود إليه بعد ذلك برأينا . وكان رد « جمال عبد الناصر » : « هذا حقكما ، فأنا قضيت الساعات الماضية أقلب هذا الاقتراح من جميع جوانبه » .

وخرجنا ـ الدكتور « محمود فوزى » وأنا ـ إلى جسر الباخرة نطوف حوله ونفكر والحوار بيننا يلاحق أفكارنا . كانت هناك اعتبارات تؤيد رأى « جمال عبد الناصر » وكانت هناك محاذير تدعو إلى التروى . وكانت مهلة الوقت المتاح للتفكير محددة ، وهكذا عدنا إلى المكتب الذى يجلس فيه الرئيس ، وعرضنا أمامه وجوه الأمر على اختلافها ، وقال له الدكتور « فوزى » : « إن الكفتين متساويتان ، وأعتقد أنك وحدك بحكم مسؤوليتك تستطيع الترجيح بينهما » . وبقى « جمال عبد الناصر » صامتا لدقيقة بدا وكأنها زمنا طويلا ، ثم كان قراره بعد ذلك « أن نتوكل على الله ونذهب » .

□

ومرة أخرى تحولت الكابينة التى أعدت لـ « جمال عبد الناصر » على ظهر المدمرة المصرية « الناصر » إلى مركز قيادة .

كان السفير اليوجوسلافى فى موسكو قد طلب موعدا عاجلا مع الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » وأبلغه السفير برسالة من « تيتو » تتضمن سؤالا يقول : « إن الماريشال تيتو يسألكم هل من الممكن أن تضعوا طائرة نفاثة من طراز تى يو ١٠٤ تحت تصرف الرئيس عبد الناصر لكى يعود بها إلى القاهرة فورا نظرا لاستحالة تقدمه عبر البحر الأبيض المتوسط بسبب مخاطر أزمة الشرق الأوسط خصوصا بعد تدخل الولايات المتحدة عسكريا فى لبنان ، إن الـ « تى يو » تستطيع قطع المسافة من مطار بولا إلى القاهرة فى ثلاث ساعات ، وهذه مسافة تعرض مقبولة فضلا عن أن كل الأطراف التى اشتد غضبها فى البحر الأبيض سوف يفكرون مرات قبل أن يهاجموا طائرة سوفيتية على فرض أنهم اكتشفوا حقيقة ركابها » . وكان رد « خروشوف » على السفير هو قوله : « دعنى أصحح معلوماتك . طائرتنا الـ « تى يو ١٠٤ » معجزة علمية ، وهى قادرة على قطع المسافة من بولا إلى القاهرة فى ساعتين فقط » . ثم أضاف « خروشوف » أنه سوف يأمر بقيام الطائرة من موسكو فورا لتقلع إلى مطار بولا فى ظرف عشر دقائق . وبعث السفير اليوجوسلافى فى موسكو بنتائج مقابلته مع « خروشوف » إلى الرئيس « تيتو » وكانت برقيته أمام « جمال عبد الناصر » فى كابينة المدمرة « الناصر » فى أقل من نصف ساعة . وقرأها « جمال عبد الناصر » ثم قرر أن يبعث عن طريق « تيتو » برسالة مباشرة منه إلى « خروشوف » ، وكان

نصها : « إننى اقترح قبل ان اعود إلى القاهرة ان التقى بكم فى اى مكان يناسبكم ـ إننى الآن فى طريقى عائدا إلى بريونى ، وأمل عندما اصل إليها ان اجد ردا منك ينتظرنى ـ جمال عبد الناصر » .

وصلت المدمرة « الناصر » إلى مياه جزيرة بريونى ، وتوجهت بناء على رسالة تلقتها بعيدا عن الميناء ـ نحو خليج عند الطرف الشرقى لها . وهناك التقاها قارب سريع نقل ركابها[11] إلى الشاطىء ، وكانت تقف على رصيفه مجموعة من السيارات حملت الجميع إلى فيللا « بيانكا » مقر إقامة الرئيس « تيتو » .

كان « تيتو » واقفا على بابها ينتظر الرئيس ، وكان معه أربعة من مساعديه هم نائبه « كارديل » ووزير داخليته « رانكوفيتش » ووزير خارجيته « بوبوفيتش » ووزير حربيته الجنرال « جوشنياك » . وجلس الفريقان لاستعراض شامل ودقيق لآخر تطورات الموقف . وكانت اهم الأخبار المستجدة ان قوات بريطانية قد نزلت فى الأردن بالطائرات ، ولعل اكثر ما لفت النظر فى تفاصيل هذا الخبر المستجد هو ان الطائرات البريطانية عبرت المجال الجوى لاسرائيل فى طريقها من قبرص إلى مطار عمان . وبدا ذلك خطرا إضافيا على موقف كان فى الأصل مثقلا بالمخاطر . ودعى الجميع بعد ذلك إلى عشاء سريع ، فقد كانت الطائرة الـ « تى يو ١٠٤ » السوفيتية جاهزة للانطلاق إلى موسكو فى أى وقت . كان « خروشوف » قد اقترح أن يلتقى بـ « جمال عبد الناصر » فى موسكو لأنه أراد هو الآخر أن يكون قريبا فى لحظات الأزمة من كل أجهزة القيادة السوفيتية السياسية والعسكرية .

٤

كانت خطوة « ايزنهاور » التالية هى الالتقاء بقيادات الكونجرس ، فقد كان يعرف أنه إذا نزلت القوات فى لبنان قبل أن يتحدث إلى أعضاء الكونجرس ، فإنه سيواجه مشكلة كبيرة . ولعله أيضا كان يحتاج إلى وضع الكونجرس فى الصورة حتى إذا طرأت ظروف تفرض اتساع نطاق التدخل كان طريقه ممهدا . وبالفعل فإنه وجه

(١١) الرئيس « جمال عبد الناصر » والدكتور « محمود فوزى » والسيد « حسن صبرى الخولى » مسؤول الاتصالات على الباخرة « الحرية » ـ وانا .

دعوة عاجلة إلى قيادات الكونجرس (زعماء الأغلبية فى المجلسين ، وزعماء الأقلية ، ورؤساء اللجان) ، وكان عددهم ٢٢ عضوا . وقد التقى بهم فى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر . وقد كتب فى يومياته عن هدفه من الاجتماع يقول :

« لقد كانت لى ثلاثة أهداف من اجتماعى بهم فى هذه اللحظات المصيرية . الهدف الأول : أن أخطرهم ، وأن أشرح لهم دواعى قرارى بالتدخل العسكرى فى لبنان ـ والثانى : أن استطلع منهم اية آراء إضافية عن الموقف قد تكون غائبة عنى أو عن مساعدى ـ وثالثها : ان أتحسس اتجاهات الكونجرس فى حالة ما إذا كان علينا توسيع نطاق العمليات » .

وفيما يتعلق بنتائج الاجتماع ، فقد كتب « ايزنهاور » فى يومياته يقول :

« لقد استمعوا إلىّ باهتمام واستوضحونى فى عديد من النقاط ، وكان إلحاحهم باديا على نقطتين : أولاهما احتمال رد فعل لدى السوفيت ، والثانية هى الذرائع القانونية التى سوف نغطى بها تدخلنا العسكرى فى لبنان . وقد سألنى السناتور فولبرايت فى إحدى اللحظات بحدة عما إذا كان تدخلنا على هذا النحو فى لبنان يعنى أننا نشترك فى حرب أهلية لبنانية ، وما إذا كان ذلك موقفا صحيحا ؟

ولقد أحسست أنهم يعارضون أى اشتراك للبريطانيين معنا فى العملية لأن مثل ذلك قد يستدعى أشباح السويس . كذلك أحسست أنهم على وجه القطع لن يقبلوا بتوسيع نطاق العمليات إلى أبعد من لبنان إلا اذا كان هناك ما يستدعى ذلك فعلا شريطة أن أحصل على تفويض دستورى بذلك من الكونجرس » .

□

وانشغل « ايزنهاور » بعد ذلك فى إعداد بيان يوجهه للأمة فور إخطاره بأن عمليات الانزال قد بدأت فعلا . ويكتب « ايزنهاور » فى يومياته أن أصعب نقطة واجهته هى اختيار التعبير الذى يصف به عملية الانزال ، فلم يكن يريد استعمال كلمة « تدخل » Intervention أو أى كلمة مشابهة يمكن أن يكون لها أثر سيىء على الرأى العام العالمى . واستدعى أحد مستشاريه القانونيين وبعد مناقشة معه استقر على استعمال كلمة « تمركز » Stationed . واستدعى مستشاره الصحفى « جيمس هاجرتى » وأملاه نص بيان كتبه لكى يذاع فور ورود أول أنباء عن بدء عملية الانزال .

وجاءته أول الأخبار عن بدء العملية وكانت مطمئنة ، فقد أبلغه الجنرال

« توايننج » أن طلائع وحدات البحرية نزلت إلى الشاطىء قرب بيروت ، وان قائد الجيش اللبنانى اللواء « شهاب » كان بنفسه فى استقبالها ، ومعه السفير الأمريكى فى بيروت « روبرت ماكلينتوك »(١٢) . ثم جاء إليه الجنرال « توايننج » بآخر تقديرات هيئة أركان الحرب المشتركة ، وكان مؤداها أن القوات الأمريكية التى ستنزل إلى الشاطىء حتى فجر الغد سوف يكون تعدادها ١٤٣٥٧ جنديا ـ ومع أنه لا توجد حتى هذه اللحظة أية دلائل على إمكانية حدوث مقاومة لها ، فإن هيئة أركان الحرب المشتركة ترى أن تكون هناك خطة للتعزيز السريع إذا تغيرت الصورة فى أى وقت . وكان اقتراح هيئة أركان الحرب هو إصدار أمر إنذارى إلى القوات الجوية الأمريكية فى أوروبا وأمريكا ، وبالذات قوات الضربة الأولى والتى يبلغ عدد طائراتها ١١٠٠ طائرة . وكانت توصية « توايننج » مختلفة عن اقتراحات هيئة أركان الحرب المشتركة ، فقد كان رأيه أن صدور أمر إنذارى إلى مثل هذه القوة الكبيرة قد يدفع السوفيت إلى افتراض وجود خطط أمريكية أوسع مما هو مقدر الآن ، وبالتالى فإن ردود فعلهم المبنية على استنتاج خاطىء قد تدفعهم إلى تصرفات تؤدى إلى أفعال لا لزوم لها الآن .

وفكر « ايزنهاور » لبضع دقائق ثم قال : « **إنه يوافق على تقدير أركان الحرب المشتركة ، ولكنه لا يفعل ذلك من منطلق عسكرى ، وإنما من منطلق سياسى حتى يعرف السوفيت أننا جادون فيما نفعل » . وناقشه الجنرال « توايننج » فى ان « السوفيت قد يتمكنون فى بضع ساعات من حل إشارات العمليات فيتبينون حدودها ، ويتصورون بعد ذلك اننا « نحاول تهويشهم » ـ وذلك قد يدفعهم إلى المغامرة بقصد كشفنا . »**

ورد « ايزنهاور » بملاحظة لها معنى ، وقد وردت ملاحظته بالحرف فى يومياته حيث قال : « **إن هدفى ليس تخويف الروس . فالروس سوف يعرفون حقيقة موقفنا هذه اللحظة بوسيلة أو بأخرى ـ إن هدفى الحقيقى هو ناصر الذى يتصرف فيما يبدو لى تحت ظن أننا لن نتدخل مخافة الصدام مع السوفيت . وذلك يعطيه حرية فى الحركة غير محدودة ، ولابد أن نحاول إيقافه عند حد لا يتجاوزه » .**

ويلفت النظر أن « ايزنهاور » سأل الجنرال « توايننج » عما إذا كانت القوات التى نزلت فى لبنان قد اخذت معها اية إمكانيات نووية ؟ وقال الجنرال

(١٢) كانت تعليمات ايزنهاور إلى الجنرال توايننج عدم إخطار احد من المسؤولين اللبنانيين بموعد الإنزال بما فيهم الرئيس كميل شمعون ، ولكن طبائع الأمور ، وطبائع لبنان معا جعلت تنفيذ هذا الأمر نوعا من المستحيلات .

« توايننج » : « إن هذه القوات قد صحبت معها كتيبة مدفعية صواريخ من طراز « ليتل جون » المزودة برؤوس نووية » . ورد « ايزنهاور » بان « هذا أحسن » .

وكانت رسائل « ماكميلان » الموعودة إلى « ايزنهاور » قد وصلت إلى « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية ، وقد حملها إليه لورد « هود » السفير البريطانى فى واشنطن . وكتب وزير الخارجية الأمريكية مذكرة إلى الرئيس عن هذه الرسائل ، وبعث بالملف كله إلى « ايزنهاور » . وكان نص مذكرة « دالاس » كما يلى :(١٣)

« الرئيس ـ البيت الأبيض

عزيزى الرئيس : جاءنى اللورد هود يحمل رسالتين واردتين لكم من هارولد ماكميلان ، وهما مرفقتان بهذه المذكرة ولا بد انكم ستطلعون عليهما .

.... (فقرة كبيرة محذوفة)

بالنسبة للنقطة الواردة فى الفقرة ٤ اعلاه بشان ما إذا كنا نريد ان يشترك البريطانيون معنا فى إنزال القوات إلى لبنان . لقد قلت للورد هود إننا خططنا لهذه العملية منفردين ، ونفضل تنفيذها كما خططنا لها ، ونحن نفضل ان لا يشترك البريطانيون فيها ـ فهذا يوافقنا اكثر .

وفيما يتعلق بطلب الأردن تاكيدا باننا سنتقدم لمساعدته ، فإننى اخبرت اللورد هود بان هذه مسالة جديدة تماما ولا يشملها تخطيطنا العسكرى الحالى ، ولذا فإنى لا ارى فى الوقت الحاضر اننا نستطيع ان نعطى الملك حسين التاكيد الذى طلبه ، ولا ان نقبل ما اقترحه البريطانيون من حثه على طلب الضمان فورا . ومع ذلك فإننا سوف ندرس هذا الأمر على وجه السرعة هنا فى وزارة الخارجية ومع العسكريين » .

وقرر « ايزنهاور » أنه من المستحسن أن يتصل هو تليفونيا برئيس الوزراء البريطانى « هارولد ماكميلان » . وكتب « ايزنهاور » فى يومياته عن هذا الاتصال التليفونى يقول ما نصه : « **إن ماكميلان أبلغنى أنه تلقى طلبا بالمساعدة العاجلة من شمعون وحسين ، وقلت له إننا تصرفنا فعلا فيما يتعلق بطلب شمعون ، وقواتنا بدأت نزولها فعلا فى بيروت . ورد علىّ ماكميلان ضاحكا بقوله : « إذن فانت تواجهنى بسويس أمريكية » . وقلت له : « إننا لا نريدهم معنا فى لبنان ، وإنه من الأفضل الآن أن يرتب نفسه للتحرك إلى الأردن بقوات مظليين » . ثم اضفت قائلا له : « إنه لا ينبغى أن يظهر أننا متواطئون معا » . ثم وعدته ان نقدم له اية مساعدات فى الامداد والتموين ، ثم أكدت عليه مرة أخرى : « إننا**

(١٣) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٥٨ .

لا نريد البريطانيين معنا فى عملية لبنان » . ثم أكدت له ان عليه أن يكون واثقا من اننا لن نتخلى عن حليف لنا . ولكن طلبات ماكميلان تبدو لى غير معقولة ، فهو يريد منا الآن أن نقوم بتنظيف كل المنطقة مرة واحدة خلال عملية مشتركة كثيفة لا تكتفى بلبنان وحدها أو الأردن ، وإنما تمتد إلى العراق وسوريا . إن مثل هذه الخطط تثير مخاوفى ، فأنا أريد أن أحدد تدخلنا ولا أسعى إلى تصعيده ، وقد رفضت طلب ماكميلان بحزم » .

□

وفى مساء هذا اليوم ـ ١٥ يوليو ـ أفضى « ايزنهاور » ليومياته الخاصة بالعوامل التى كانت تتنازعه فى هذه الساعات الحرجة ، فكتب يقول متأملا :

« هذه اول مرة فى مدة رئاستى الجا فيها إلى استعمال قواتنا المسلحة ، والحقيقة اننى افعل ذلك بمشاعر مختلطة . فانا لا اريد ان اعود إلى دبلوماسية المدافع Gunboat Diplomacy ، والحقيقة اننى لا ارى أن لبنان معرض لتهديد خطير فشمعون قد اعلن فعلا انه لن يعدل الدستور ، ولن يسعى إلى تجديد مدة رئاسته . كما اننى لا املك دليلا على اشتراك الروس او المصريين فيما يجرى فى لبنان ، او فيما وقع فى العراق . ولست ارى ان هناك مصالح حيوية لنا معرضة فى هذين البلدين . وإذن فلمن احشد هذا الاستعراض الكبير للقوة ؟ بالتأكيد فهو غير موجه للسوفيت ، ففى استطاعتهم ان يعرفوا ما هو اكثر مما يجرى على السطح . بالطبع إن الهدف الحقيقى هو ناصر . إن ناصر لابد أن يغير سياسته ، فهو يبدو لى مقتنعا بان الولايات المتحدة بسبب تقاليدها الديمقراطية لا تستطيع ان تتحرك بسرعة وحزم لحماية مصالحها الحيوية . إننى فى الغالب اريد بما افعله الآن ان اعطيه مادة للتفكير بينما هو يحاول تحقيق حلمه بتوحيد البلاد العربية . »

ومن اللافت للنظر أن المؤرخ الأمريكى « ستيفن أمبروز » الذى قام بمراجعة يوميات « ايزنهاور » بنصوصها الكاملة ، أضاف عندما بلغ هذه النقطة فى دراسته عن تفكير « ايزنهاور » ـ عبارة لها رنين خاص . فقد ذكر « أمبروز » عند هذه النقطة :

« من الواضح أن القاعدة الرئيسية لسياسة الغرب فى المنطقة هى العمل على إبقاء الدول العربية ضعيفة ومقسمة ومعتمدة على الغرب » .

□

ويبدو أن « ماكميلان » لم ييأس ، فقد قرر إرسال وزير خارجيته « سلوين لويد » إلى واشنطن على عجل . وبينما هو يطير فوق الأطلنطى يعبره من لندن إلى واشنطن طرأت مشكلة بشأن نقل قوات المظليين البريطانيين من قبرص إلى الأردن . فلم يكن هناك طريق تسلكه هذه القوات ـ مع استبعاد أجواء الجمهورية العربية



الدبابات الأمريكية تنزل على شواطىء لبنان يصحبها ١٦٠٠٠ من الجنود الأمريكيين المزودين بأحدث الأسلحة .

المتحدة فى مصر وسوريا ـ إلا العبور فى الأجواء الجوية الاسرائيلية . واتصلت الحكومة البريطانية فيما يبدو بالحكومة الاسرائيلية تطلب موافقتها ، لكن رئيس وزراء اسرائيل « دافيد بن جوريون » أصر على أن الطلب البريطانى يجب أن يعززه طلب امريكى لأنه ـ أى « بن جوريون » ـ لدغ بما فيه الكفاية من البريطانيين فى أثناء عمليات السويس .

□

وفى الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم الخميس ١٧ يوليو ١٩٥٨ كان « سلوين لويد » فى البيت الأبيض ، ويرافقه اللورد « هود » . وكان على موعد مع الرئيس « ايزنهاور » الذى طلب اشتراك وزير خارجيته « دالاس » فى الاجتماع . وجرى عرض كل جوانب الموقف . وكتب « جون فوستر دالاس » للسجلات مذكرة عن هذا الاجتماع جاء فيها بالنص :[١٤]

« إن وزير الخارجية عرض امام الرئيس ما ناقشه مع وزير الخارجية البريطانى لويد فى اجتماعهما قبل ذلك . وقد اتفقا على انه من الضرورى على بريطانيا والأردن الآن إلقاء بيان فى مجلس الأمن بشان الاستجابة البريطانية لما طلبه الملك حسين من مساعدة عسكرية ، وانهما يتصوران معا انه لا داعى لادراج الموضوع فى اعمال مجلس الأمن حتى يمكن تفادى اى مناقشة مع مصر فى هذا الصدد .

وقد ابدى الرئيس استغرابه من حالة الجماهير العربية التى استولى عليها ناصر بهذا القدر الكامل . ولاحظ الرئيس اننا اخفقنا فى القيام باى جهد له قيمة فى توزيع المعلومات وبث الدعاية فى البلاد العربية . وبالتاكيد فإننا لم نساعد اصدقاءنا بالقدر الكافى فى هذا المجال . وقال الرئيس لابد ان نكون اكثر ذكاء فى فهم حقيقة ان القومية العربية لا تتعارض مع العالم الحر ، ولكننا لا نفهم ذلك بالقدر الكافى بينما استطاع الشيوعيون ان يتبنوا مفهوم القومية العربية ، وقاموا بعمل افضل فى كسب عقول الشعوب العربية . وقد اشار وزير الخارجية (دالاس) إلى اننا نبذل جهودا كبيرة لانشاء محطة إذاعة قوية فى قبرص ، ولكن هذا المشروع يتعثر رغم انه بدا منذ سنتين . وتذكر الرئيس ان السفير هيث كان قد اخبره ان هناك محطة إذاعة قوية جاهزة لنقلها فورا إلى المملكة العربية السعودية لو امكن الحصول على موافقة الملك سعود .

.... (فقرة محذوفة) .

وقد ذكر سلوين لويد ان رئيس الوزراء هارولد ماكميلان طلب منه ان ينقل إلينا عرفانه بتاييد الولايات المتحدة لهم فى عملية الأردن ، وهم يقدرون اية مساعدات نستطيع تقديمها لهم ، ولكنهم ما زالوا على اعتقادهم بضرورة توسيع نطاق العملية وجعلها جهدا مشتركا بيننا وبينهم ، فذلك يجعل العملية نوعا من الردع الفعال . واشار الرئيس إلى ان الولايات المتحدة لا تتمتع مثل بريطانيا بمزايا حكومة برلمانية تساندها اغلبيتها فى اى قرار تتخذه ، على عكس الواقع فى النظام الرئاسى الأمريكى ، والذى يفرض على الرئيس ان يتعاون خطوة بخطوة مع الكونجرس . وقد قال الرئيس إنه من هذه الاعتبارات فإن عملياتنا فى البحر الأبيض المتوسط كان لابد من تقديمها كعملية مقتصرة على لبنان . ومع ذلك فإن من المؤكد اننا سنقف مع

---

(١٤) وثائق وزارة الخارجية الأمريكية (مجموعة شهر يوليو ١٩٥٨) .

البريطانيين كتفا بكتف . ولكن كما كان الحال فى عملية « تورش »[١٥] . فقد عرضت فرص كان من الخير فيها توزيع الجهد ، فيختص كل طرف من الحلفاء بمهمة .

وجرى حديث موجز عن تحركات القوات البريطانية داخل عمان ، ولم تكن هناك إلا معلومات قليلة . وكذلك كانت المعلومات قليلة عن وجود مؤامرة ضد الملك حسين دفعته إلى طلب القوات . وقد ذكر الوزير انه تم الاتصال به فى الساعة الثانية صباحا لأن الاسرائيليين اصروا على ان نؤيد الطلب البريطانى قبل ان ياذنوا للقوات البريطانية بعبور اجوائهم إلى عمان ، وانه وافق على تقديم تعزيز امريكى للطلب البريطانى .

وقد ذكر سلوين لويد ان البريطانيين نقلوا ٢٢٠٠ جندى من جنود المظلات إلى عمان ، وانهم سوف يحتفظون فى المؤخرة بمجموعة لواء احتياطى . وهم لم يرغبوا فى إرسال عدد اكبر من القوات بسبب مشكلة التموين الذى يتعين نقله جوا .

وذكر الوزير انه تحدث مع سلوين لويد حول مشكلات الخليج الفارسى ، ومنشات البترول الغربى هناك ومطالب تامينها ، وقد اتفقا على إحالة هذا الموضوع إلى اللجنة المشتركة للخبراء . وفى اعتقاد سلوين لويد انه بصرف النظر عما يمكن ان يقوله الخبراء ، فهناك مواقف لابد من التمسك بها . فلبريطانيا قوات فى البحرين ، واتفاقية مع شيخ الكويت للدفاع عن هذه المنطقة . وذكر الوزير (دالاس) ان السفير هيث يعتقد بان الملك سعود قد يرحب بوجود عسكرى ما فى مطار الظهران يمكن استخدامه عند الضرورة .

وطرح الرئيس اهمية زيادة قوة إيران وتركيا . ففى هذين البلدين من الروح المعنوية اكثر مما يوجد فى اى مكان آخر من الشرق الأوسط . واضاف الرئيس إنه يتعين ان يكون لدى إيران ١٢ فرقة فى وضع جيد ، والترتيب بعد ذلك لاضافة فرقتين اخريين . وقال إنهم يريدون بناء قواتهم العسكرية بسرعة اكبر ، ولابد ان نحاذر . فإذا زادت قوتهم عن الحد الذى تستطيع قيادتها ان تتحكم فيه ، فإن مؤسستهم العسكرية ممكن ان تتمزق من الداخل[١٦] .

وفى نهاية الاجتماع عاد سلوين لويد فاثار مع الرئيس آمال بريطانيا فى احتمال الاشتراك فى عملية اوسع . ولم يعطه الرئيس اى تشجيع ، ولكنه قال له ان يطمئن لاننا لن نرضى ان يصبح البريطانيون فى ورطة وحدهم . »

---

(١٥) الاسم الرمزى لحملة الحلفاء فى شمال افريقيا لتحريرها من حكومة « فيشى » الموالية للألمان . وقد كان « ايزنهاور » نفسه هو قائدها ، وكانت الحملة امريكية بالدرجة الأولى ، وكانت مشاركة البريطانيين فيها بالضغط على الألمان من جبهة اخرى هى جبهة تونس التى كان يقودها الماريشال البريطانى « الكسندر » .

(١٦) كان ايزنهاور فى هذه النقطة بعيد النظر إلى حد كبير كما ثبت فيما بعد عند سقوط النظام الملكى فى إيران .

٥

فجر يوم ١٧ يوليو هبطت الطائرة التى كانت تقل « جمال عبد الناصر » فى مطار « فينوكوفو » ، وطلب إليها برج المراقبة فى المطار أن تتوجه إلى نهاية أحد الممرات البعيدة ، ثم تتوقف هناك . ونزل « جمال عبد الناصر » ومعه ركابها الثلاثة ليجد ثلاثة مستقبلين فى انتظاره وهم « ميكويان » نائب رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ، والجنرال « سيروف » رئيس هيئة المخابرات السوفيتية الـ K.G.B. ، ومعهما « سوبوليف » المترجم الاخصائى فى اللغة العربية . واتجهت بهم السيارات إلى ضاحية « كاليتشوها » ودخلت إلى ساحة قصر صغير تحيط به الأشجار العالية من كل جانب . ونظر « ميكويان » إلى ساعته ، وقال للرئيس « جمال عبد الناصر » : « إن الساعة السادسة صباحا الآن ، وأنتم بالتأكيد تحتاجون إلى بعض الراحة ، وسوف يجيئكم الرفيق نيكيتا خروشوف الساعة العاشرة تماما » . ثم انصرف « ميكويان » . ولم يكن هناك متسع لأى راحة بحكم تدافع حركة الحوادث ، وضرورات الاستعداد لها بما فى ذلك الترتيب لاجتماع « جمال عبد الناصر » مع « نيكيتا خروشوف » الذى تقرر إتمامه بعد أربع ساعات . وطلب الرئيس إلى الدكتور « محمود فوزى » وأنا أن نجلس معا لوضع تصور لما يمكن أن يثار مع « خروشوف » . وبدت أمامنا لأول وهلة مشكلة الاتصال بالسفير المصرى فى موسكو « محمد عوض القونى » ، فإن القاهرة كانت قد أخطرت بطريقة سرية بتحويل كل رسائلها الشفرية إلى الرئيس على السفارة فى موسكو . ولما كانت هناك شفرة خاصة للرسائل طوال هذه الرحلة ، فقد كان مؤكدا أن السفارة فى موسكو الآن فى موقف محير لأنها بدأت فجأة تتلقى رسائل بشفرات لا تملك مفاتيحها . وكانت إجراءات الأمن تفترض ألا يعرف أحد بوجود « جمال عبد الناصر » فى موسكو فى هذه الساعات . وهكذا قام المترجم « سوبوليف » ـ وكان قد ظل فى قصر الضيافة ليقوم بمهمة الاتصال مع السلطات السوفيتية فى حالة ما إذا اقتضى الأمر داعيا لمثل هذا الاتصال ـ بإبلاغ وزارة الخارجية برغبة الوفد المصرى فى مجىء السفير « القونى » إلى قصر الضيافة بأى وسيلة يختارونها .

وبالفعل اتصل وكيل الخارجية السوفيتية بالسفير « القونى » فى بيته ، وكانت الساعة السادسة والربع صباحا ، وقال له : « إنه مطلوب بصفة عاجلة لتلقى رسالة هامة فى وزارة الخارجية . ولما كانت الوزارة تعرف أن سائق سيارته لم يحضر بعد فى هذا الوقت من الصباح المبكر ـ فإن الوزارة سوف تبعث إليه بسيارة خاصة تنقله إلى

مقرها » . ونزل السفير « القونى » بسرعة ليجد سيارة من وزارة الخارجية فى انتظاره ، وقد أسدلت الستائر السوداء على نوافذها . ودخل إليها ، وإذا هى تنطلق بأقصى سرعة فى اتجاه آخر يعرف بحكم خبرته بتخطيط موسكو أنه لا يؤدى إلى وزارة الخارجية . وحاول أن يستفسر من السائق ، ولكن السائق لم يرد عليه إلا بكلمة « خراشو » أى حسناً . ولعدة دقائق اعتقد السفير « القونى » أنه تعرض لعملية خطف ، ولم يكن أمامه ما يفعله والسيارة تنطلق به خارجة من موسكو إلا أن يقبع فى مكانه ساكنا ، وينتظر ما تجىء به المقادير . وبعد رحلة حافلة بالقلق دخلت السيارة المقلة له إلى قصر الضيافة فى « كاليتشوها » ونزل منها السفير « القونى » وتصادف وقتها أن كان الدكتور « محمود فوزى » وأنا جالسين على أريكة فى الحديقة نناقش الموقف ، ونسجل خواطرنا على ورق لكى نكون مستعدين لاجتماع مع الرئيس قبل اللقاء مع « خروشوف » .

وكانت دهشة السفير « القونى » بالغة ، خصوصا عندما عرف أن « جمال عبد الناصر » بنفسه موجود داخل قصر الضيافة .

□

وفى الساعة العاشرة جاء « خروشوف » . وتحولت غرفة المائدة إلى قاعة اجتماع . وبدأ « خروشوف » يتحدث ، فأبدى سعادته بأن « جمال عبد الناصر » قرر لقاءه قبل أن يتوجه إلى المنطقة ، وأنه طلب طائرة سوفيتية سريعة لتنقله إلى هناك ، ثم أضاف : « الحقيقة أننى كنت فى غاية الدهشة عندما سمعت أنكم على ظهر باخرة صغيرة تتقدمون ببساطة نحو البحر الأبيض . إن هذا البحر ملىء الآن بكثيرين لا يتمنون الخير لكم . وبالتأكيد فقد كان يسعدهم أن يجعلوا منكم وجبة شهية لبعض أسماكه » . وأقبل أحد الخدم بكأس ملأه بالفودكا ووضعه أمام « خروشوف » ، ودق « خروشوف » على المائدة قائلا لرئيس الخدم : « ارفع هذا من أمامى » . ثم التفت إلى « جمال عبد الناصر » يقول له : « **حينما تكون معى فأنا لا أشرب ابدا . انا اعلم انك مسلم متدين ، وانا احترم عقيدتك** » . ثم التفت إلى الناحية التى كان يجلس فيها الدكتور « فوزى » وأنا ، وقال لنا : « **لقد كان يسعدهم أن يواجهوه وحده فى البحر الأبيض . فهم يعرفون انه اصبح رمزا لكفاح العرب ، ولهذا فإن المعركة الدائرة اليوم اصبح محورها هذا الشاب ودوره** » . قالها « خروشوف » وأشار إلى « جمال عبد الناصر » . ثم ملأ كوبا أمامه بالمياه المعدنية وقال : « **إننى اشرب نخب كفاح الشعوب العربية ، ونخب انتصار العرب ، ونخب قائد العرب** » . ثم مضى « خروشوف » يقول : « **انا لا اتكلم عن الغيب ، ولكنى اومن بمنطق التاريخ . لقد انتهى الاستعمار ، وانتهى عهد الامبراطوريات ، وانا ارى امامى هزيمتهم**

كاملة . إنهم لا يرون أنفسهم على حقيقتهم ويتمسحون بعبارات عن الديمقراطية ، ويتعلقون بأذيال ادعاء الدين » . ثم وصل « خروشوف » إلى صلب الحوادث حين قال :« إن ثورة العراق كانت مفاجأة لهم ، لقد سقط حلف بغداد ، فهل يتصور أحد الآن حلف بغداد بغير بغداد ؟ أو أن بغداد أصبحت فجأة ضد حلف بغداد ؟ لقد حذرتهم طويلا . عندما كنا فى لندن أنا وبولجانين قال لى ايدن : « إذا تأكد لنا أن بترولنا فى الشرق الأوسط معرض للخطر ، فسوف ندخل الحرب » . وقلت لايدن يومها : « استعمل عقلك . ماذا سيفعل العرب ببترولهم غير أن يبيعوه لكم ؟ ـ إن الاتحاد السوفيتى ينتج من البترول أكثر من حاجته ، فهو إذن ليس طامعا ، وليس مشتريا لبترول الشرق الأوسط ، وإنما انتم فى الغرب المشترى الوحيد » . » وضحك « خروشوف » ثم استدرك قائلا : « ولكن المشترى غير اللص ، وهم لا يريدون شراء البترول ، وإنما يريدون سرقته . والمشكلة الآن هى أنهم يعتقدون أن ثورة العراق تهدد البترول » .

وهكذا مهد « خروشوف » بنفسه للموضوع الذى يطرح نفسه للمناقشة ، وهو ثورة العراق وتداعيات الموقف بعدها . كان السفير « محمد القونى » قد سارع إلى إعداد ترتيبات لارسال البرقيات الشفرية الواردة من القاهرة إلى قصر الضيافة . كما أن الجنرال « سيروف » (مدير المخابرات) الذى كان قد جاء فى صحبة « خروشوف » أيضا (مع « ميكويان » ومع وزير الخارجية « جروميكو ») كان يحمل معه ملفا بآخر التطورات عما يجرى فى الشرق الأوسط . وبعد استعراض المعلومات من مصادرها المتعددة جرى بحث كل الاحتمالات . وطال اللقاء إلى موعد الغداء ، ثم اتصل بعده إلى المساء ، وكان ملخص وجهة نظر « جمال عبد الناصر » من ناحية :

« ان الموقف خطير ، وأن الجمهورية العربية المتحدة لا تريد أن تضاعف من خطورته ، وأنها سوف تبذل كل جهدها للسيطرة على ردود أفعالها لأنها لا تقبل أن تعرض السلام العالمى للخطر . وأنه عندما يعود إلى المنطقة ـ اليوم ـ فإنه سوف يبذل كل جهده لتهدئة أعصاب كل الأطراف لكنه يشعر أن بعضهم يدفع الأمور إلى مناطق خطرة » .

وبدا تشوق « خروشوف » شديدا لمعرفة أية تفاصيل قد تكون لدى « جمال عبد الناصر » عن القيادة العراقية الجديدة (وكانت قد برزت بالفعل ثلاثة أسماء هى : « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » ـ وبعدهما كان هناك اسم اللواء « نجيب الربيعى » الذى عين رئيسا لمجلس السيادة) .

وقال « خروشوف » لـ « جمال عبد الناصر » صراحة : « الواضح أنهم رجالك ؟ » .

ورد « جمال عبد الناصر » على « خروشوف » بانه بهذا السؤال يقع فى نفس الخطأ الذى يقع فيه الغرب حين يتصور انه وراء كل حدث يجرى فى اى وطن عربى . ثم قال لـ « خروشوف » إنه « لا يعرف أحدا عن هؤلاء القادة الذين تتردد اسماؤهم فى معرض الثورة العراقية ، ولم يلتق فى حياته بأحد منهم » .

ثم قال لـ « خروشوف » : « إذا كنت انت بتجربتك الكبيرة فى الثورة تسألنى هذا السؤال ، فإن ايزنهاور ودالاس معهما العذر عندما يوجهان إلىّ الاتهام باننى « مدبر الثورات » فى العالم العربى » .

□

وراح « جمال عبد الناصر » يعطى لـ « خروشوف » فكرة عامة عن القومية العربية ، وعن الحالة الثورية فى الأمة العربية فى الظروف الراهنة ، وخلص فى هذه النقطة بأن قال : « لقد كان هناك مخزون محبوس من الآمال والتطلعات لدى كل شعب عربى ، فلما بدا أن الثورة المصرية قادرة على فتح الطريق تدافع كل المخزون والمحبوس من الطاقات ـ تيارات وحركات عارمة بغير ترتيب من احد وبغير تخطيط » .

ثم قال « جمال عبد الناصر » لـ « خروشوف » :« إننى أول من يساوره القلق فى بعض الأحيان نتيجة لتدافع الحوادث ، فهذا التدافع ليس فقط أكثر مما تحتمله أعصاب الغرب بل إنه فى نفس الوقت اكثر مما نستطيع نحن تحمل مسؤوليته ، ولكن المشكلة « أننا لا نستطيع أن نصد عفوية الجماهير ولا حقها المشروع فى تكسير أغلال التبعية » .

وسأله « خروشوف » عما إذا كان « ينوى ضم العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة ؟ » ورد « جمال عبد الناصر » بأن استعمال كلمة « ضم » دليل على أنه فشل فى التعبير عن آرائه بالنسبة لحركة القومية العربية . وأبدى « خروشوف » ملاحظة مؤداها أن « التنظيم » هو الذى يحل المشاكل التى أثارها « الرئيس » حول حركة القومية العربية . ورد « جمال عبد الناصر » بأن فكرة « التنظيم » مازالت تبحث لنفسها عن إطار فى الواقع العربى ، ومع ذلك فإذا كان « التنظيم » ممكنا فى إطار مشروعية دولة واحدة فإنه صعب على النطاق العربى العام ، مع أن ذلك هو النطاق الفعلى لحركة التفاعلات الجارية فى العالم العربى كله . ثم قال : « إننى حرصت دائما على أن لا يكون لنا تنظيم خارج حدود الدولة ، ومع ذلك فقد اتهمنا بذلك دون أن نكون قد مارسناه ، فكيف إذا كنا مارسناه بالفعل ؟ » .

ثم عاد « جمال عبد الناصر » إلى سؤال « خروشوف » عن العراق والجمهورية

العربية المتحدة ، وكان رأيه : « كما قلت لك ، فانا لم اثق بالقيادات الجديدة للعراق ، وإن كنت اتوقع أن يحدث ذلك بعد عودتى إلى المنطقة ، ولكن شعورى الآن هو الاستعداد لأكبر قدر من التعاون والتنسيق بغير وحدة ، فنحن ما زلنا نحاول حل مشاكل الوحدة بين مصر وسوريا » . وأضاف « جمال عبد الناصر » ملاحظة ذات معنى قال فيها : « ومن سوء الحظ أن أصدقاءكم الشيوعيين السوريين لا يجعلون حل هذه المشاكل سهلا ، وإنما هم يعقدونها بأكثر مما هى معقدة » . وفهم « خروشوف » مغزى الملاحظة ، فرد على الفور بـ « إنهم لا يتدخلون بين العرب وبعضهم ، وانهم لم يفتحوا فمهم بكلمة فيما يحدث للشيوعيين فى مصر ، أو لما حدث لهم فى سوريا » .

ثم قال « جمال عبد الناصر » : « فيما يتعلق بالموقف الراهن ، فإنى أراه فى حاجة إلى أعصاب ، وأنا أرى أعصاب الغرب « فالتة » . وبصراحة فإنى أفهم قلقهم ، فالمنطقة تبدو أمامهم كشلال يتدفق ، ومهما كان رأيى فى سياساتهم السابقة واللاحقة فى المنطقة ، فأنا على استعداد لأن أرى أن العصبية التى يتصرفون بها لها ما يبررها ولو جزئيا . ولكنى لا أعرف كيف تتطور الأمور » .

ثم قال : « إنه أرسل فعلا إلى قادة الثورة العراقية بنصيحته أن يحرصوا على استمرار تدفق النفط العراقى إلى الغرب حتى لا يخلقوا لأنفسهم مشكلة لا مبرر لها ، فهم فى كل الأحوال ـ على حد تعبير خروشوف ـ لن يشربوا بترولهم وإنما هم يريدون بيعه » .

ثم أضاف : « إنه مع هذا كله أراد أن يعرف مباشرة موقف الاتحاد السوفيتى فى حالة ما إذا أصر الآخرون على التصعيد دون مبرر حقيقى أو قانونى أو أخلاقى » .

وكانت وجهة نظر « خروشوف » أن « جمال عبد الناصر » مصيب فعلا فى تقديره أن الأمر يحتاج إلى أعصاب من حديد . وإلى أعصاب باردة . وأن الذى سينتصر فى المواجهة الجارية الآن فى الشرق الأوسط هو الذى يستطيع أن يضع أعصابه فى ثلاجة . وأضاف « خروشوف » أن « معلوماتهم تؤكد أن الولايات المتحدة لا تنوى توسيع نطاق العمليات لأنهم يعرفون أنهم إذا فعلوا فإن العالم العربى كله ضائع منهم لا محالة . ومع أن بعض أصدقائهم يحاولون توريطهم فيما هو أكثر ، فإن ايزنهاور يعلم من الحقائق المحتملة لأى مواجهة نووية بيننا وبينهم ما يكفيه ليلزم جانب الحذر . نحن أيضا نلزم جانب الحذر ، وأريد أن يكون ذلك واضحا أمامكم . فليس هناك فى العالم سياسى يستطيع أن يأخذ على ضميره أن يعرض شعبه لأهوال حرب نووية . ولذلك فيجب أن تبنوا موقفكم

على أساس انها مواجهة سياسية ، وليست عسكرية ، ولا يجب أن تكون عسكرية . وهى مواجهة أعصاب باعصاب . وانتم ارحتمونى كثيرا حينما وصفتوها بذلك « الوصف الصحيح » » .

ثم أضاف « خروشوف » أنهم « حتى من قبل أن يصل الرئيس عبد الناصر إلى موسكو أصدروا الأوامر لقواتهم للقيام بتحركات ومناورات لحلف وارسو فى منطقة البلقان وفى مواجهة تركيا . والهدف من هذه التحركات ليس عسكريا ، ولكن الهدف هو التأثير النفسى وليس أكثر » .

كانت المواقف تتحدد ، وزوايا الصورة تزداد وضوحا أكثر فأكثر حين جاء الجنرال « سيروف » ومعه خطة لعودة « جمال عبد الناصر » إلى المنطقة . وكان رأى « سيروف » أن الأسلم هو أن تتجنب الطائرة بكل الوسائل طريق البحر الأبيض ، وأن تتجه من موسكو إلى القوقاز ، وتعبر فوق إيران ، ثم فوق العراق إلى دمشق . ثم قال : إنه بعث إلى سفير الاتحاد السوفيتى فى طهران بتعليمات لطلب مقابلة الشاه بصورة عاجلة لكى يطلب منه إذنا بمرور طائرة سوفيتية خاصة عبر الأجواء الايرانية . وبالفعل فإن السفير السوفيتى اتصل بقصر « المرمر » فى طهران ، وطلب مقابلة عاجلة مع الشاه فورا لأن معه رسالة من « خروشوف » لا تستطيع الانتظار إلى الصباح .

وهكذا مضت ساعات المساء فى انتظار رسالة من طهران عن لقاء الشاه مع السفير السوفيتى ، وفى هذه الفترة فتح « جمال عبد الناصر » موضوع إسرائيل ، وكان رأيه : « إن إسرائيل عنصر فى الموقف يصعب حساب حركته ، فهم بعد الثورة فى العراق سوف يحسون أكثر بوطأة الحصار العربى عليهم إذ يجدون أن حلقاته توشك أن تتصل » .

وكان رأى « خروشوف » أن « المشكلة الحقيقية هى البترول وموارد الشرق الأوسط ، فهذا هو الاعتبار الذى يؤدى إلى شعور الولايات المتحدة بالتهديد » . وكان رأيه أن « إسرائيل هى مجرد أداة لسياسة الغرب يستعملها إذا احس بالخطر » .

ثم قال « خروشوف » : « إن الغرب يهددكم بقدرته على أن يستغنى عن بترول الشرق الأوسط بالطاقة الذرية ، وأنا أرى فى ذلك وهما ، واعتقادى انه للخمسة والعشرين عاما القادمة فإن الحياة فى الغرب سوف تتوقف على البترول العربى ، وأنه عرف أن الانجليز لديهم برنامجا يقضى بالاعتماد على المحطات النووية فى احتياجاتهم من الطاقة بنسبة ٤٠٪ خلال عشر سنوات ، وانه يرى فى ذلك وهما كبيرا ، فلربع قرن قادم على الأقل ليس هناك بديل عن البترول العربى ،

وإن كان الاتحاد السوفيتى لا يحتاج إليه لأنه ينتج الآن سنويا أكثر من مائة مليون طن (سبعمائة مليون برميل) . »

ثم دارت مناقشات حول الأوضاع العالمية ، وأخيرا جاءت برقية السفير السوفيتى فى طهران ، ومؤداها « أن الشاه وافق على طلب مرور الطائرة دون أن يسأل عن ركابها ، وأنه وافق بغير تردد ، وكان الارتياح باديا عليه عندما عرف أن هذه هى حدود الموضوع الذى دعا السفير السوفيتى إلى مقابلته على هذا النحو العاجل » !

وعند منتصف الليل كان « جمال عبد الناصر » يعود من « كاليتشوها » إلى مطار « فينوكوفو » ويتوجه إلى نهاية الممر الذى تقبع فيه الطائرة التى خصصت له ، وتصعد الطائرة إلى الجو ، وتنطلق بأقصى سرعة فى اتجاه الجنوب . وقد هبطت للتزود بالوقود فى مطار « صوفيا » قبل الفجر حتى تتمكن من مواصلة الرحلة إلى دمشق بغير توقف . وفى مطار « صوفيا » كان هناك حشد من القوات الجوية التابعة لحلف « وارسو » وكان واضحا أن هذا الحشد جزء من حرب الأعصاب التى تجرى بين القوتين الأعظم من حول الشرق الأوسط الذى كان يعيش واحدة من أخطر أزماته .

وفى ضحى يوم ١٨ يوليو عبرت طائرته فوق بغداد ، وأطل من نافذتها على العاصمة العراقية ، وبعث ببرقية تحية إلى « عبد الكريم قاسم » ثم وصل إلى دمشق بعد الظهر بقليل ، وفى عصر اليوم ذاته كان واقفا يتحدث إلى بحر من الجماهير احتشدوا فى ساحة قصر الضيافة . وكان حديثه للجماهير دعوة إلى العقل حرصا على سلام العالم . وكانت إذاعة موسكو تذيع بيانا مؤداه أن جيش القوقاز وقوامه نصف مليون جندى يقوم بمناورات ضخمة على حدود تركيا وإيران .

ولعل الاعلان الواسع عن هذه المناورات لم يكن موجها إلى الولايات المتحدة بقدر ما كان موجها لتركيا ، ذلك أن الحكومة التركية راحت تتصرف بانفعال شديد إلى درجة أن « الباى ميشيل » الوزير المفوض الاسرائيلى فى انقرة وقف فى حفل دبلوماسى يقول صراحة : « إن الولايات المتحدة سوف تتكفل بصيانة استقلال لبنان ، وأن بريطانيا سوف تتكفل بحماية الأردن ، وأن إسرائيل وتركيا عليهما الآن أن تتكفلا معا بسوريا » ! !

٦

كان « جمال عبد الناصر » و « ايزنهاور » فى سباق على الأصدقاء فى هذه الساعات التى بدأت فيها المواجهة تأخذ طابعا سياسيا .

كتب « جمال عبد الناصر » وهو ما زال بعد فى يوجوسلافيا رسائل إلى رؤساء الدول الافريقية الآسيوية ، وبالذات هؤلاء الذين يشاركونه نفس الاتجاه السياسى ، وفى مقدمتهم « نهرو » و « سوكارنو » و « أونو » و « شوين لاى » . ومن المفارقات أن « ايزنهاور » كان يكتب فى نفس اللحظة إلى كل من « نهرو » و« سوكارنو » و « أونو » » ـ ولم يكتب لـ « شوين لاى » بالطبع .

وبلغ السباق على الأصدقاء أشده . وكان ضمير العالم هو جائزة هذا السباق التى تستطيع ترجيح كفة طرف على طرف . وكتب السفير الأمريكى فى الهند « الزورث بانكر » تقريرا عن مقابلته لـ « نهرو » جاء فيه ما يلى :(١٧)

« اتاح لى تقديم رسالة الرئيس إلى نهرو الفرصة لكى اشرح لرئيس وزراء الهند خلفية الاجراءات التى اتخذتها الولايات المتحدة فى لبنان واسبابها . وفى البداية كان نهرو شديد الانزعاج بصورة واضحة . بعد ساعة وربع الساعة من حديثنا فى بيته بدات اعصابه تسترخى . وراح يسمعنى بجدية شديدة . وكان هدوؤه غير مشوب باى انفعال . ولا اشك فى انه يكن للرئيس ايزنهاور احتراما كبيرا لشخصه ولولائه الصادق لقضية السلام . ولكن من الواضح ان نهرو لا يتفق مع تقييمنا للأحداث التى تجرى على مسرح الشرق الأوسط ، فهو يعتقد ان القومية العربية قوة عارمة ينبغى ان يحسب لها كل حساب لفترة طويلة مقبلة ، وان على الدول العربية فى المنطقة ان يكون لها حق اختيار سياساتها دون اى تدخل اجنبى . وفيما يتعلق باهم النقاط التى برزت فى هذا الحديث ، فسيرسل تقرير واف عنها اليوم فى الحقيبة إلى المستر بارتلت فى لجنة الأمن ، ولكن النقط المهمة هى :

١ ـ ان نهرو يرقب إنزال قوات عسكرية فى اى مكان بقلق شديد ، وموقف حكومة الهند يتلخص فى انه يتعين سحب القوات الأجنبية باسرع ما يمكن .

٢ ـ ان نهرو قد اطلع بعد عودته من « الله اباد » على بيان الرئيس فى الكونجرس وخطابه فى الاذاعة ، وكان رايه ان اى محاولة من جانبنا للبكاء على نورى السعيد

---

(١٧) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية ـ البرقية رقم ١٣٥٤٣ بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٥٨ ـ الساعة ٩,٤٨ صباحا .

لا جدوى منها لأن نظامه كان يفتقر إلى الشعبية . ثم إن شمعون شخص غير مرغوب فيه .

٣ ـ كان رأى نهرو أن نزول قواتنا فى لبنان واحتمال دخولها فى اشتباكات عسكرية فى ذلك البلد هو وضع مؤسف يعطى للشيوعيين الفرصة لشن حملات دعائية واسعة ضدنا .

٤ ـ بالرغم من انتقاد نهرو وشكوكه ، فإن نصيحته لنا هى أن نعمل من خلال الأمم المتحدة ، وليس بواسطة التظاهرات العسكرية . »

□

وكان « خروشوف » فى حلبة السباق أيضا ، فقد كتب إلى شاه إيران يقترح عليه لقاء بينهما . ولعله كان يريد تحييد أو تخويف أصدقاء الولايات المتحدة بنفس الدرجة التى كان « ايزنهاور » يحاول بها تحييد أو تخويف أصدقاء الجمهورية العربية المتحدة .

ومن طهران يكتب السفير الأمريكى « ويلز » تقريرا عن مقابلة له مع الشاه يجىء فيه :[١٨]

« قال لى الشاه إن السفير السوفيتى جاء إلى مقابلته ، وقدم له دعوة لمقابلة خروشوف فى منطقة على الحدود السوفيتية الايرانية حيث يتهيا لهما معا الاستمتاع برحلة صيد . وابتسم الشاه وهو يستعيد هذه العبارة ، ثم علق بقوله : « ليس فى هذه المنطقة صيد » ثم اضاف انه ابلغ السفير السوفيتى بانه سيبحث الدعوة فى ضوء مصالح إيران . ثم قال لى الشاه بجدية : « إنه يريد مشورة واشنطن فيما إذا كان مناسبا ان يعقد هذا الاجتماع مع خروشوف » وهو شخصيا يشك فى إمكان الخروج من هذا الاجتماع بشىء كبير ، ولكن إذا احست الولايات المتحدة بان مثل هذه المحادثات تخدم اى غرض نافع ـ فهو يرحب بمعرفة آرائنا من حيث الكيفية والسبب . وقد قال لى حسين علاء (رئيس ديوان شاه إيران) على حدة إن الشاه اخبر السفير السوفيتى بانه بدلا من عقد اجتماع بين خروشوف وبينه (اى الشاه) فلعل من الافضل لخروشوف ان يستخدم الشاه نفوذه مع ناصر الذى هو السبب الرئيسى فى كل متاعب المنطقة . لكن الشاه فى حديثه معى لم يشر إلى هذه النقطة . وقد ناقشت مع الشاه بعد ذلك البرنامج العاجل الذى يستهدف تقوية الامكانات العسكرية لايران ، والذى بعثتم به إلىّ . وقد طلب الشاه ان اناقشه مع الجنرال هدايت » .

(١٨) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية ـ البرقية رقم ١٤٠٣٧ بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٥٨ ـ الساعة ٢,٤٧ بعد الظهر .

الفصل الرابع

تقرير بغداد

١

عندما وقف « جمال عبد الناصر » يخطب أمام الجماهير المحتشدة أمام قصر الضيافة مساء يوم ١٨ يوليو ـ كانت المفاجآت التى وقعت فى الأيام الأربعة السابقة ، والتى انقلبت بها الموازين فى المنطقة ـ قد تحولت إلى حقائق واقعة . خف أثر المفاجأة بعض الشىء ، وأفسح مكانه لنوع من الحيرة والتخبط تجلى فى تصرفات أطراف كثيرة .

من ناحية كانت رحلة « جمال عبد الناصر » السرية إلى موسكو قد بدت أمرا غير قابل للتصديق فى عدد من العواصم الغربية ، وأولها لندن التى وقف فيها المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية ليقول : « **إن وزارة الخارجية البريطانية تشك فى أن هذه الرحلة وقعت بالفعل ، وأنها تعتبر أن الأنباء التى راجت عنها هى نوع من حرب الأعصاب** » . وعندما أكد « عبد الناصر » بنفسه فى خطابه من شرفة قصر الضيافة بدمشق أنه كان فى موسكو بالفعل ، وأنه التقى بـ « خروشوف » وتباحث معه طوال نهار يوم ١٧ يوليو ـ كانت الدهشة واضحة فى لندن ، ومعها التساؤل عما دار فى اجتماع « عبد الناصر » و « خروشوف » وقد طرح هذا التساؤل فى الوقت نفسه عنصرا من القلق حول ما يمكن أن يكون الاتحاد السوفيتى قد قطعه على نفسه من تعهدات .

وكانت واشنطن بدورها فى حالة حيرة ، ولم يجد الرئيس « ايزنهاور » ما يعلق

به على الزيارة سوى تصريح أصدره « جيمس هاجرتى » مستشاره الصحفى ، وقال فيه : « **إن الولايات المتحدة تعتبر أن مصر مسؤولة مباشرة عن سلامة جنود البحرية فى لبنان** » . ورد « **جمال عبد الناصر** » **بعد ذلك فى خطاب ثان من شرفة قصر الضيافة قائلا** : « **إنه لا يعرف كيف يكون مسؤولا عن سلامة قوات غزت بلاد دولة ليست له فيها سلطة** » .

ودعا « بن جوريون » إلى اجتماع للجنة الأمن القومى والدفاع فى مجلس الوزراء ، وطرح فكرة أن الوقت مناسب لتوجيه ضربة عسكرية إلى سوريا ، ولقى معارضة فى ذلك من « جولدا مائير » التى كان رأيها أن أى تحرك عسكرى إسرائيلى فى هذا المناخ الدولى يمكن أن يجىء بمضاعفات ينقلب أثرها على إسرائيل . وكان تقديرها أن ذروة الأزمة قد فاتت ، وأنه من الواضح أمامها حرص القوتين الأعظم على تجنب الصدام المباشر بينهما ، وبالتالى فإن أى مغامرة إسرائيلية قد تجد نفسها مواجهة بلوم أمريكى شديد لا تستطيع تحمله فى الأوضاع الراهنة . وكانت هناك أغلبية فى لجنة الأمن القومى والدفاع تؤيد وجهة نظرها .

□

مساء يوم ١٨ يوليو كان « جمال عبد الناصر » مشغولا مع وفد عراقى على مستوى عال يمثل النظام العراقى الثورى ، وقد توجه هذا الوفد إلى دمشق عندما أذيع نبأ وصول « جمال عبد الناصر » إليها . كان الوفد العراقى مكونا من العقيد الركن « عبد السلام عارف » نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ، والأستاذ « صديق شنشل » وزير الارشاد القومى فى الحكومة الجديدة ، والسيد « محمد حديد » وزير المالية ، والسيد « عبد الجبار جومرد » وزير الخارجية .

كان « جمال عبد الناصر » قد استطلع آراء عدد من مستشاريه قبل أن يلتقى مع الوفد العراقى الذى دعى لتناول العشاء معه ، وكان أهمهم السيد « عبد الحميد السراج » وزير داخلية الاقليم السورى الذى قام بتجميع كم هائل من المعلومات عن الثورة العراقية بما فى ذلك الأطراف التى شاركت فى الترتيب لها ، والرجال الذين يتولون قيادتها ، والاتجاهات العامة التى تؤثر فى سياساتها . وقد خرج نتيجة لما سمع بنتيجة مفادها أن الثورة تواجه أوضاعا قلقة بسبب تضارب كبير بين الأطراف ، والرجال ، والتوجهات .

ثم استطلع « جمال عبد الناصر » آراء الأستاذين « ميشيل عفلق » زعيم حزب البعث ، والأستاذ « صلاح البيطار » نائبه الذى كان فى نفس الوقت وزيرا للدولة فى مجلس وزراء الجمهورية العربية المتحدة . وكان الأستاذ « ميشيل عفلق » بحكم

إيمانه المطلق بقضية الوحدة العربية من أنصار انضمام العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة ، ووصل إلى حد القول : « **إنه كان يود لو أن الرئيس جمال عبد الناصر نزل فى بغداد بالطائرة ظهر اليوم ، ولم ينزل فى دمشق . فقد كان وصوله إلى بغداد فى حد ذاته كفيلا بخلق تيار مؤيد للوحدة لا يستطيع أحد أن يتصدى له أو يعطل حركته** » . **وكان « جمال عبد الناصر » يرى رأيا يختلف ، وقد قال للأستاذ « ميشيل عفلق »** : **إنه يظن أن نزوله فى بغداد صباح اليوم « كان كفيلا بخلق حساسيات لا داعى لها . فإن الذين قاموا بالثورة وحققوا بها انتصارا لا شك فيه ـ كان يمكن أن يضايقهم أن يزاحمهم أحد فى مجد يومهم الذى يعيشون فيه . والحقيقة والانصاف كلاهما يفرضان ترك هذا اليوم لأصحابه الذين عرضوا حياتهم من أجله دون أن ينازعهم فى ذلك أحد » . ثم شرح « جمال عبد الناصر » للأستاذين « ميشيل عفلق » و « صلاح البيطار » بعض ما سمعه من « عبد الحميد السراج » عن الأوضاع فى بغداد . وأمن الأستاذ « ميشيل عفلق » على صحة هذه المعلومات ، ومع ذلك كان واضحا إصراره على رأيه . وقال « جمال عبد الناصر » إن « الوحدة بين مصر وسوريا تواجه حتى هذه اللحظة كثيرا من العقبات والحساسيات ، وأننا إذا أضفنا إليها واقع الحال فى العراق ، فسوف نجد أنفسنا أمام تعقيدات لا حل لها » . وكان تعليق الأستاذ « ميشيل عفلق » على ذلك هو قوله : « إن الوحدة خلاقة ، وأنها كفيلة بأن تحل مشاكلها بنفسها » . وعلق « جمال عبد الناصر » بقوله : « إن مثل هذا القول مقبول من الناحية النظرية ، ولكنه عند التجربة العملية أشد صعوبة » .**

□

كان العشاء مع الوفد العراقى مناسبة عامرة بالحماسة ومشاعر الزهو بانتصار كبير على المستوى القومى . وبعد أن فرغ العشاء كان « جمال عبد الناصر » على موعد مع الأستاذ « صديق شنشل » الذى كان صديقا قديما لـ « جمال عبد الناصر » بحكم انشغاله الطويل بالعمل العربى القومى . وقد روعى أن لا يتم هذا اللقاء فى قصر الضيافة حتى لا يسبب حساسية للآخرين من أعضاء الوفد . وعندما تم هذا اللقاء بدأ « جمال عبد الناصر » بأن قال لـ « صديق شنشل » إن « ما حدث فى بغداد[1] كان بالنسبة له أشبه ما يكون بالأحلام مستحيلة التحقيق » . وفوجىء « جمال عبد الناصر » بالأستاذ « صديق شنشل » يقول له : « **على المستوى القومى نعم**

(١) مجموعة أوراق ، محمد حسنين هيكل ، ـ مذكرات عن اجتماعات ، جمال عبد الناصر ، بالوفد العراقى ، وقد حضرت عددا من هذه الاجتماعات ، وكتبت عن تفاصيلها ملخصا من ٢٦ صفحة فى دمشق بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٥٨ .

يا سيادة الرئيس ، ولكنه على مستوى الوطن العراقى يمكن ان يتحول إلى كابوس ثقيل » . وبدت الدهشة على وجه « جمال عبد الناصر » فرغم كل ما سمعه من « عبد الحميد السراج » فإن ما يقوله « صديق شنشل » الآن يبدو له أسوأ مما تصور . ومضى « صديق شنشل » يقول : « **إن على رأس الثورة العراقية الآن رجلين ، أولهما نصف مجنون ، والثانى نصف عاقل** » !

كان نصف المجنون فى تقدير « صديق شنشل » هو اللواء « عبد الكريم قاسم » رئيس مجلس قيادة الثورة ، وكان نصف العاقل فى تقديره أيضا هو العقيد « عبد السلام عارف » . وراح « صديق شنشل » يروى لـ « جمال عبد الناصر » تفاصيل التفاصيل عن الظروف التى قامت فيها الثورة ، وكيف أنه كانت هناك مجموعات تتسابق إلى القيام بها منذ جرى تأسيس دولة الوحدة بين مصر وسوريا فى شهر فبراير . ثم كيف أن « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » انفردا بالعمل فى الأيام الأخيرة ، وأن ذلك أحدث خلافات كبيرة داخل المجموعات . ومن خلال هذه التفاصيل بدأ « جمال عبد الناصر » يدرك أنه كان على حق فى الآراء التى أبداها فى أثناء مناقشته مع الأستاذ « ميشيل عفلق » قبل ساعات قليلة . وحتى قرب الفجر كان « جمال عبد الناصر » يسمع ويسمع ، وتزداد مخاوفه لحظة بعد لحظة على الثورة العراقية ، خصوصا وقد شعر من خلال ما سمعه من الأستاذ « صديق شنشل » أن التوتر قائم حتى فى العلاقات بين « عبد الكريم قاسم » و « عبد السلام عارف » نفسيهما . وقبل أن يفترق الرجلان مع مطلع الفجر قال « جمال عبد الناصر » لـ « صديق شنشل » : « **إننى قبلت بالوحدة مع سوريا لظروف تعرفها ، ولقد تصورت أننا نستطيع أن نقوم بخطوة كبيرة إلى الأمام ، ثم ندعم الخطوط ونسد الثغرات على مهل . ولكن ذلك لم يحدث فلا تزال خطوطنا طويلة ومكشوفة حتى الآن ، ثم إن الثغرات ما زالت مفتوحة ومعرضة ، وبرغم كل محاولاتى فلابد أن اعترف لك أننا لم ننجح بالقدر الذى تصورته أو تمنيته ، وأنا لا أريد أن أحمل تجربة الوحدة بين مصر وسوريا بتبعات كل هذه المتناقضات القائمة فى بغداد الآن . ولهذا فسوف تجدنى على استعداد لأن أقوم بكل عمل من شأنه تدعيم ثورة العراق ، ومن شأنه فتح آفاق التعاون الممكن بين البلدين ، ولكنى أرجوكم أن لا تطالبوننى بأى خطوة وحدوية الآن** » . وقال الأستاذ « صديق شنشل » إن « **هذا رأيه بالفعل . وأنه جاء إلى دمشق عازما على أن يصارح « جمال عبد الناصر » به من منطلق قومى ، وأنه لو كان قد وجد لديه اتجاها آخر لنصحه بعكسه لأن الوحدة بين مصر وسوريا معرضة للغرق فى الموج الخضم الذى يغمر بغداد الآن ـ رغم إيمانه الكامل بحقيقة الوحدة العربية** » .

وفى الصباح الباكر كان « عبد السلام عارف » على مائدة الافطار مع « جمال عبد الناصر » وكان حديثهما صريحا ، وقد وجد فيه « جمال عبد الناصر » ما يؤيد مخاوفه ـ فإن « عبد السلام عارف » قضى أكثر من ربع ساعة يشكو من « عبد الكريم قاسم » وكيف أنه حاول بعد نجاح الثورة أن يفرض نفسه قائدا أوحد لها ، ويحجب الآخرين مستغلا فى ذلك مجموعة من الضباط الذين بهرهم وجود اسمه رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، فى حين أن ذلك كان فى رأى « عبد السلام عارف » ترتيبا شكليا ضمن قيادة جماعية كان ضروريا أن يتفق عليها لتحمل مسؤوليات قيادة الثورة العراقية ـ ولكن « عبد الكريم قاسم » انتهز فرصة النجاح الأولى لقوات الثورة ، وبدأ ينسب كل شىء إلى شخصه . وكان رأى « عبد السلام عارف » أن التركيبة الوطنية للعراق بوجود السنة والشيعة والأكراد تسبب وضعا يستحيل معه انفراد « عبد الكريم قاسم » بقيادة الثورة والحكم .

وانضم بقية أعضاء الوفد العراقى إلى « جمال عبد الناصر » و « عبد السلام عارف » ومنذ اللحظة الأولى قال لهم « جمال عبد الناصر » : إنه على استعداد لتوقيع أى اتفاق مع النظام الثورى فى العراق لكنه ليس متحمسا لأى عمل وحدوى فى هذه الظروف .

كان بالفعل يشعر أن الخطوط طالت ، وأن الثغرات مفتوحة ، وأن أمن الحركة القومية العربية يحتاج إلى التدعيم والتركيز أكثر مما يحتاج إلى الاتساع والانتشار .

□

وكان فى ذهن « جمال عبد الناصر » فى تلك الساعات خاطر واحد ملح ، وهو وثائق حلف بغداد الموجودة فى مقر الحلف فى العاصمة العراقية ، فقد كان يدرك أن هذه الوثائق كفيلة بأن تعطيه صورة دقيقة عن عقل الغرب ومخططاته ، وكلها تحمل إجابات عن أسئلة كان تواقا إلى استكشاف خباياها لكى يستطيع رسم سياسته فى المنطقة للمرحلة المقبلة . وقد قام بتكليف العقيد « عبد المجيد فريد » الذى عينه يومها ملحقا عسكريا فى بغداد بأن يحاول الحصول عليها بأى وسيلة ممكنة . ونجح « عبد المجيد فريد » فى مهمته بأكثر مما كان يقدر أحد ، فقد تمكن فى غمار الفوضى التى كانت تسود بغداد عقب نجاح الثورة من دخول مقر الحلف . ثم استطاع أن يملأ حمولة طائرة كاملة بهذه الوثائق ويرسلها إلى دمشق ، ثم إلى القاهرة . وأطل « جمال عبد الناصر » على عقل حلف بغداد ومخططاته من الداخل ، وغاص ساعات طوالا فى سراديب وثائق حلف بغداد .

٢

يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٨ دعا الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » إلى اجتماع لمجلس الأمن القومى عقد فى المكتب البيضاوى بالبيت الأبيض فى الساعة العاشرة صباحا . وكان الهدف من الاجتماع طبقا لجدول أعماله يتكون من بند واحد هو بحث الوضع العالمى على ضوء التطورات فى الشرق الأوسط . وقد بدأ « ايزنهاور » هذا الاجتماع بقوله : « إننى أريد أن أفهم كيف استطاع ناصر أن يلهب حماسة جماهير جاهلة فى الشرق الأوسط ضدنا على هذا النحو ، وكيف استطاع « خروشوف » أن يلعب على الحصان الرابح ، وأن يحقق هذا النفوذ فى العالم الثالث بعد سنتين اثنتين من غزوهم لهنجاريا » . ثم أضاف إنه يريد أن يعرف أكثر عن هذه الحركة المسماة بـ « القومية العربية » . وكالعادة طلب « ايزنهاور » من « آلان دالاس » مدير المخابرات المركزية الأمريكية أن يكون أول المتكلمين . وقال « آلان دالاس » طبقا للمحاضر السرية لمجلس الأمن القومى[٢] : **« إننا يجب أن ننظر إلى القومية العربية باعتبارها فيضانا يتدفق بقوة ، وإننا لا نستطيع أن نقاومه ، وإنما نستطيع فقط أن نضع بعض شكائر الرمل حول المواقع التى ننوى الدفاع عنها »** . وقد وافقه « ايزنهاور » على الفور وبحماسة ، وأضاف « ايزنهاور » طبقا لنفس المحضر إلى ذلك قوله : **« لو لم تكن إسرائيل لكان فى إمكاننا وضع سياسة فعالة لنا فى المنطقة ، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه علينا باستمرار هو كيف يمكن أن نتخذ موقفا متعاطفا مع العرب بدون أن نوافق على تدمير إسرائيل ؟ » ثم أبدى ملاحظة بدت فيها مخاوفه حين قال : « لو أن هدف سياستنا الوحيد هو المحافظة على بعض العروش إذن فإن المستقبل امامنا ميئوس منه حتى على المدى القريب »** .

وأحس « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية بأن « ايزنهاور » فى تردده البادى الآن قد يؤثر على تحركات السياسة الأمريكية ، ولذلك تدخل قائلا بالحرف : **« لا ينبغى لنا أن نبالغ فى قوة القومية العربية والوحدة العربية ، فالوحدة بين مصر وسوريا حتى الآن لا تزال هشة ، ولا يمكن اعتبار الوحدة العربية حركة دائمة » . واختلف معه « ايزنهاور » قائلا : « إنه يرى أن هناك أساسا لحركة**

(٢) اوردها ستيفن آمبروز فى صفحة ٤٧٤ بالحرف نقلا عن مضبطة اجتماع مجلس الأمن القومى بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٨ .

القومية العربية ، وعلينا إما ان نتعاون معها ، وإما ان نحاول تغييرها ، وإما ان نقوم بمزيج من الأمرين » . ثم اضاف « ايزنهاور » انه حاول بكل جهده ان ينسق مع الملك « سعود » ولكن محاولته لم تسفر إلا عن نتائج هزيلة . ورد « جون فوستر دالاس » قائلا : « إن هذه السياسة على الأقل اعطتنا فسحة سنتين كاملتين فى المنطقة لكى نمنع تحولها إلى الشيوعية » . ورد « ايزنهاور » بان الموضوع كله يبدو له شديد التعقيد ، وأنه يحتاج إلى بحث معمق .

وفى اليوم التالى ـ ٢٤ يوليو ـ أملى « ايزنهاور » على أحد مساعديه وهو المستر « روبنسون » مذكرة إلى « جون فوستر دالاس » وزير خارجيته عن « ناصر » وعن حركة القومية العربية . ورد « دالاس » عليه يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٨ بمذكرة[٣] نصها كما يلى :

« إلى الرئيس : البيت الابيض

عزيزى الرئيس

لدىّ مذكرتكم ، وهى تحتوى على افكار تثير الاهتمام ، وإن كان لا يوجد بينها ما لم نمعن التفكير فيه فعلا . ولقد ورد فيها تساؤلكم عن « كيف نستطيع ان نهز ناصر ليتحرر من اعتقاده بان اصدقاءه الوحيدين هم السوفيت » ؟

إن الأصدقاء فى عرف ناصر هم هؤلاء الذين يساعدونه على تحقيق مطامعه . وتشمل هذه المطامع على الأقل بتر اطراف إسرائيل ، والاطاحة بالحكومات الحالية فى لبنان والأردن والمغرب وتونس وليبيا والسودان والمملكة العربية السعودية ، الخ ... واستبدالها باذنابه . ولأن الاتحاد السوفيتى متحرر من اى ارتباطات والتزامات سابقة فى المنطقة ـ ففى وسعه ان يساعد ناصر ، بل هو يساعده فعلا على تحقيق هذه الأهداف المتهورة اعتقادا منه بانه سيكون الوريث فى آخر المطاف . واما نحن فلا يسعنا ان نساعده بشرف فى هذه الأمور ، وبالتالى لا يسعنا ان نكون اصدقاء له كما هو شان السوفيت .

وطبيعى ان ناصر يسعده ان يحصل على معونات منا ، وعلى معونات من الاتحاد السوفيتى فى نفس الوقت ، ولكننى اخشى ان يقوده هذا إلى مجرد المضى فى طريقه دون الاعتدال فى مطامعه ، وهو ليس شخصا من النوع المعتدل كما انه ليس مهتما بتعزيز ما لديه ، وإنما يهمه المضى من نجاح سياسى إلى نجاح سياسى آخر ، وهذا هو ما يجعل المشكلة شديدة الصعوبة .

ونحن اساسا نتعاطف تعاطفا كليا مع القومية العربية إذا كانت تعنى وحدة بناءة منتجة للشعوب العربية . ومما يؤسف له ان القومية العربية من ماركة ناصر لا تفضى إلى هذا على ما يبدو ، وهو لم يعمل إلا القليل لتحسين احوال الشعب

(٣) مجموعة الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٥٨ .

المصرى ، وهو لم يعمل شيئا فى سوريا ، وهو يميل إلى طلب سلسلة لا نهاية لها من اسباب النجاح السياسى ، ولكن دون ان يتوقف لتعزيزه تعزيزا بناء .

المخلص

جون فوستر دالاس »

□

وتشير الوثائق السرية الأمريكية فى هذه الفترة إلى نشاط محموم يحاول أن يعيد رسم سياسة أمريكية تواجه المستجدات الطارئة فى المنطقة ، فتقوم باستبقاء الاتجاهات الرئيسية فيها وتدخل على ممارستها أية تعديلات تفرضها الظروف :

● دعا « ايزنهاور » إلى اجتماع لمجلس الأمن القومى ، وجاء فى التقرير[٤] الذى كتبه المستر « جوردون جراى » عن وقائعه بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٨ : « بحث المجلس الوضع فى الشرق الأدنى استنادا إلى :

(أ) تقرير شفوى موجز قدمه الوزير « دالاس » من وجهة النظر الدبلوماسية .

(ب) تقرير شفوى موجز من الجنرال « تواييننج » من وجهة النظر العسكرية للولايات المتحدة .

(جـ) تقرير شفوى موجز من « آلان دالاس » من وجهة نظر المخابرات .

(د) تقرير مقدم منى (« جوردون جراى » مساعد خاص للرئيس) عن نتائج مناقشات هيئة التخطيط بشأن طرق التصرف المحتملة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية بهدف الحيلولة دون ظهور الولايات المتحدة علنا بمظهر المعارض للقومية العربية ، وكيف يمكن أن نواجه الاذاعات المعادية لنا فى الشرق الأدنى » .

وقد وردت فى هذا التقرير فقرة كبيرة محذوفة من كلام « آلان دالاس » مدير المخابرات المركزية ، ومن الراجح أنها تتعرض لبعض العمليات السرية التى يجرى إعدادها أو تنفيذها .

● توجيه رئاسى بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٥٨ وقع عليه المستر « كارل هار » المساعد الخاص للرئيس ، وقد حوى فى البند الخامس منه توجيها من الرئيس بتكثيف الدعاية

(٤) مجموعة اوراق « ايزنهاور » فى مكتبته بآبيلين ـ كانساس ـ وقد اشير على التقرير بان سبع نسخ فقط منه قد جرى توزيعها .

الاعلامية والنفسية فى الشرق الأوسط ، وبضرورة التنسيق فى هذا الصدد بين وكالة الاستعلامات ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

ثم جاء فى البند السادس من نفس التوجيه الرئاسى ما نصه :

« **بالنظر لحقيقة أن الحكومة الجديدة فى العراق تملك فى حوزتها مجموعة كبيرة من الوثائق المتعلقة بحلف بغداد ، وبالنظر إلى ان هذه الوثائق يحتمل وقوعها فى أيد معادية للولايات المتحدة ـ فإن هناك ضرورة لمواجهة احتمال تسربها ، وكيف يمكن الرد على تاثيرات مثل هذا التسرب . هذا مع العلم بأنه قد يكون من الأفضل ...... (فقرة محذوفة ، وعلى الأرجح فإن ايزنهاور يطالب باسترداد هذه الوثائق باى وسيلة ممكنة) .**

● فى ٢٩ يوليو بعث « ايزنهاور » برسائل[٥] طمأنة إلى رؤساء كل من تركيا وإيران وباكستان يقول فيها :« **إنه يعرف أسباب قلقهم بشأن الخطر السوفيتى على الشرق الأوسط ، ولكننا لا نملك حتى هذه اللحظة أى دليل يجعل لهذا القلق أسبابا حقيقية ، وعلى أى حال فإن الاجراءات الحاسمة التى قامت بها الولايات المتحدة فى لبنان والمملكة المتحدة فى الأردن كفيلة بأن تظهر لأصدقاء الغرب مدى الحزم الذى يمكن أن يواجه به أى تهديد .**

● وفى آخر يوم من شهر يوليو ١٩٥٨ كان على وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن تقدم للرئيس « ايزنهاور » بناء على طلبه تقدير موقف كامل للوضع فى الشرق الأوسط ، وقد كتبه « آلان دالاس » تحت عنوان « تقرير مخابرات خاص ـ مقدم إلى الرئيس ـ عن القومية العربية كعامل من العوامل المؤثرة فى الشرق الأوسط ـ مقدم من المدير (مدير الوكالة ، أى « آلان دالاس ») »[٦] . واللافت للنظر مرة أخرى أن نصف الصفحة الأولى محذوفة بالكامل رغم الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات . وعلى الأرجح فإنها عادت لتكرار ما ورد فى تقديرها العام للموقف من قبل من أنه ليس هناك إلا أحد حلين : **إما إغتيال « عبد الناصر » وإما فرض هزيمة ساحقة عليه بواسطة إسرائيل . ولعل الأمر فى هذا التقرير كان أكثر تفصيلا مما ورد فى التقرير الأول**[٧] .

(٥) الوثائق السرية لوزارة الخارجية الأمريكية تحت رقم ٧٩٤ ـ يوليو ١٩٥٨ .

(٦) تقرير مخابرات خاص برقم ٢٧٤ موقع من « آلان دالاس » وعلى صفحته الأولى إشارة إلى ان الرئيس « ايزنهاور » اطلع عليه بتاريخ ٢ اغسطس ١٩٥٨ .

(٧) رجاء مراجعة نص التقرير المنشور على صفحة ١٨٦ والذى توجد منه صورة وثائقية فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١٣) صفحة ٨٢٢

وبعد ذلك امتد التقرير إلى ثلاث عشرة فقرة ، وقد جاء فى الفقرة السادسة مثلا : **« لقد ثبت أن لفكرة الوحدة العربية قوة هائلة وجاذبية شديدة فى كافة أنحاء العالم العربى تقريبا ، وأن لها قوة دفع لا ينتظر أن تفقدها فى المستقبل القريب ، إلا أننا لا نعتقد أن توحيد الدول العربية ودمجها فى « إمبراطورية » مركزية موحدة ممكن فى المستقبل المنظور (!!) فهناك فى المنطقة ظروف وأوضاع سوف تتحرك ضد النجاح النهائى لاقامة دولة عربية مركزية .... ثم إن هناك عوامل معادية لقبول « التفوق » المصرى ، وهى تعيد إحياء « الخوف » من « الاستعمار المصرى » وربما لا يقبل كثير من صانعى الثورة العراقية أن تكون القاهرة هى المصدر النهائى والوحيد للسلطة فى شؤون العراق . وقد يحدث نزاع بينهم وبين الناصريين .... »**

واستطرد البند السابع فى مذكرة « آلان دالاس » يقول :

« ٧ ـ غير اننا نعتقد ان العوامل المختلفة المؤدية إلى الفرقة فى المنطقة سوف تختفى لبعض الوقت نتيجة للجاذبية العاطفية القوية لحركة الوحدة العربية ، وخاصة إذا استمر وجود بعض اجزاء من العالم العربى تحت سيطرة الدول الغربية او نفوذها ، وفوق ذلك فإن وجود إسرائيل سيستمر فى إحداث تاثير توحيدى قوى بين العرب . »

ثم مضى البند الثامن من مذكرة « آلان دالاس » ليقول :

« ٨ ـ وقد اكتسب ناصر مكانته كبطل وطنى عربى شعبى نتيجة لسلسلة من الأحداث احرز فيها ، او بدا على الأقل انه احرز فيها ، انتصارات للقومية العربية ضد معارضيها ، مثل نجاحه فى الحصول على اسلحة سوفيتية ، وتاميمه لشركة قناة السويس ، واستعادته لمكانته بعد الهجوم الاسرائيلى البريطانى الفرنسى فى اواخر ١٩٥٦ ، والوحدة مع سوريا . كما أنه عزز نفوذه فى المنطقة عن طريق استخدامه البارع والقاسى للأعمال الهدامة والدعاية . وهذه هى الأسلحة الطبيعية لحركة ثورية ، ومن المستبعد ان يتخلى ناصر عن استخدامها » .

« ٩ ـ ومع ذلك ورغم قوة ناصر ومكانته ، فإن سيطرته على حركة الوحدة العربية الراديكالية ، داخل مصر ، وبدرجة اقل فى سوريا ـ ليست سيطرة مطلقة . وفيما يتعلق بالشؤون الداخلية لكل دولة على حدة فى المنطقة ، فإن سلطته ليست كاملة ، وهناك مجال واسع للخروج على إرادته . وفى اعتقادنا ان نفوذه يعتمد على « الجاذبية العاطفية » لبرنامجه ، وعلى شخصيته ، وعلى كفاءة دعايته اكثر مما يعتمد على اى تنظيم ياتمر بامره سواء كان سريا ام علنيا » .

ثم جاء البند العاشر ليقول :

« ١٠ ـ ومع ذلك فإننا نعتقد انه من الضرورى فى كافة الأمور العلمية النظر إلى

ناصر ، والجماهير الوطنية العربية ككل واحد لا يتجزأ . فقد توحد هو بوضوح مع أعظم انتصارات القومية العربية بحيث لا ينتظر ان ينافسه احد إلا إذا تعرض لسلسلة من الهزائم المتوالية[8] .... »

ثم جاء البند الحادى عشر ليتحدث عن أهداف « عبد الناصر » قائلا :

« ١١ ـ نعتقد ان موقف ناصر واهدافه هى فى جوهرها كما اعلنها بنفسه . فهو يعتزم القضاء على جميع بقايا المواقع الأجنبية المتميزة ، ووضع موارد العالم العربى بالكامل تحت تصرف القوى الوطنية العربية ، وهو يهدف إلى توحيد العالم العربى قاطبة وراء سياسة خارجية مشتركة ، وبرنامج مشترك للتحديث والتنمية والاصلاح . ونعتقد ان ناصر فى سعيه لتحقيق هذه الأهداف سيستمر فى استخدام وسائل الدعاية والنشاط الهدام ، ومساعدة القوى المحلية للقومية العربية . ولا نعتقد ان لدى ناصر برنامجا محددا ، او خطة مفصلة للدولة العربية الموحدة التى يعمل لاقامتها . ونعتقد انه سيكون راغبا فى تجنب الصدام المباشر مع القوة التركية ، او الاسرائيلية ، او الدول العربية التى تعارضه . »[9]

٣

فى احتفالات عيد ٢٣ يوليو ١٩٥٨ ، وفى خطاب عام ألقاه « جمال عبد الناصر » فى احتفال كبير أقيم فى ميدان الجمهورية ـ أعلن « جمال عبد الناصر » **أن الجمهورية العربية المتحدة تريد أن تكون أداة سلام ، ولا تقبل أن تكون أداة عدوان** . ثم طلب من العالم فى خطابه أن يعترف باستقلال العالم العربى ، وأن يحترم رغبة شعوبه فى عدم الانحياز . وأضاف : « **إننا لا نريد الحرب الباردة ، ولا نريد سياسة التكتلات ، ولقد سئمنا عمليات التهديد التى تضع منطقتنا كل يوم على حافة الهاوية** » . ثم توجه بنداء إلى دول الغرب يدعوها فيه إلى أن تفتح عيونها ، وترى الحقائق وتعترف بها . ثم أيد دعوة كان « خروشوف » قد وجهها لعقد مؤتمر عالمى على مستوى القمة داخل إطار الأمم المتحدة .

---

(٨) تلاحظ الإشارات المتكررة إلى ان الحل النهائى هو هزيمة ساحقة او سلسلة من الهزائم المتوالية !

(٩) الصفحة الثالثة من هذا التقرير ، وهى تضم هذه البنود . منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٢٨ صفحة ٨٥٤

كان « جمال عبد الناصر » يشعر بعد كل ما جرى فى المنطقة ان الخطوط طويلة ، وأن الثغرات مفتوحة ، وأن الحركة القومية العربية تحتاج اكثر ما تحتاج الآن إلى عملية تعزيز للمواقع التى وصلت إليها . وهكذا راح يحاول بأقصى جهد ضبط درجة الحرارة فى المنطقة ، وتخفيف حدة التوتر فيها .

وكتب خطابا بخط يده إلى الأمير « فيصل » ولى عهد السعودية بعث به من الاسكندرية بتاريخ ٢٧ يوليو ١٩٥٨ جاء فيه بالنص ما يلى :[١٠]

« عزيزى الأمير فيصل ،

اقدم لسموكم الملكى خالص تحيتى وتقديرى وبعد

فإن الذى حفزنى ان ابادر بالكتابة إليكم الآن هو الموقف المتازم الذى وصلت إليه الحالة فى الشرق العربى ، وهو امر يعرض المنطقة التى تعيش فيها امتنا إلى اخطار داهمة يتعين علينا جميعا ان نبذل كل جهد لوقف خطرها وردها .

وتقديرى للموقف الآن انه يفرض علينا ان نلتقى باسرع ما يمكن فى اجتماع على مستوى عال يحضره كل من يتيسر حضورهم من رؤساء الدول العربية . ونحن نستطيع ان نجعل من مثل هذا الاجتماع إذا تم عملا بناء نساهم به فى تطوير الحوادث . والواقع اننا لا نملك كدول عربية ان نترك امورا تمس اقدارنا فى يد الدول الكبرى وحدها لكى تتولى حلها باسلحتها ، او بمصالحها على احسن الفروض . وليس هذا هو الدافع الوحيد الذى يجعلنى ارى اجتماعنا امرا لازما ، وإنما هناك عوامل اخرى عديدة ـ اولها ان نتولى نحن فى هذه الظروف الخطيرة رسم الطريق امام شعوبنا على اساس جماعى يستند على الحق الذى يتمسك به صاحبه ، ويستند كذلك على الرغبة فى السلام . وثانيها ـ ان الراى العام العالمى ينتظر منا والمشكلة فى ارضنا ان لا نكتفى بمجرد السلبية ، بل يتعين علينا ان نحاول إيجابيا حل امور نحن اخبر بها من غيرنا . وثالثها ـ ان العالم العربى الآن كما ترون سموكم تجتاحه عواطف ومشاعر ضخمة انطلقت من عقالها ، وإن من واجبنا ان نحاول بكل ما فى طاقتنا ان نجند هذه العواطف ، وننظمها لتكون قوة دافعة بناءة . ورابعها ـ ان نحاول بقدر ما نستطيع أن نفوت الفرصة على من تحدثه نفسه بالعدوان متعللا بان الحركة القومية العربية تهدد مصالحه ، فيروح يبحث عن ذريعة يتعلل بها امام الراى العام العالمى .

إن هناك ـ يا صاحب السمو ـ اعتبارات اخرى كثيرة لم يتسع لى المجال لتفصيلها ، فاكتفيت بموجزها لانى ارغب ان تصل إليك رسالتى فى اسرع وقت ممكن . ومهما يكن من امر ، فإنى على استعداد لان اتلقى اية اقتراحات ترون إحاطتى علما بها . وإنى لارجو ان تتيح لى هذه الفرصة لقاء معكم ، ولو شاء جلالة الملك سعود ان

(١٠) ارشيف منشية البكرى ، وارشيف وزارة الخارجية ، وارشيف القيادة العامة للقوات المسلحة ، وارشيف المخابرات العامة .

يتفضل بالحضور فلعلها ان تكون فرصة تصفو فيها النفوس وتسكن ـ وإنى لارجو ان اراكم فى خير صحة وعافية . وفقنا الله جميعا وقوانا والهمنا رشده وصوابه إنه ولى التوفيق .

جمال عبد الناصر »

ورد الأمير « فيصل » مقترحا أن يكون الاجتماع بينه وبين الرئيس « جمال عبد الناصر » ثنائيا لأن هناك أمورا بين المملكة وبين الجمهورية العربية المتحدة « يلزم تصفيتها » فى اجتماع مكتوم . وبعد أيام كان الأمير « فيصل » فى القاهرة والتقى بـ « جمال عبد الناصر » ثلاث مرات ، ثم أصدر تصريحا قبل سفره قال فيه إن الفترة السابقة « **كانت سحابة صيف وانقشعت** » .

□

وأصدر « همرشولد » من مقر الأمم المتحدة تقريره عن شكوى « كميل شمعون » بأن الجمهورية العربية المتحدة تدفع بمخربين وأسلحة إلى لبنان ، وكان التقرير يبرىء الجمهورية العربية المتحدة من كل ما وجه إليها بشأن التسلل أو تهريب السلاح .

وقبل أن يذاع هذا التقرير كانت انتخابات رئاسة الجمهورية فى لبنان قد أسفرت عن انتخاب اللواء « فؤاد شهاب » قائد الجيش اللبنانى رئيسا للجمهورية . وكان هذا هو اقتراح « جمال عبد الناصر » الذى عرضه من قبل على السفير الأمريكى « ريموند هير » فى مقابلتهما يوم ٢٠ مايو ١٩٥٨ .[١١]

وكان أول ما فعله الرئيس اللبنانى الجديد هو أن كتب خطابا إلى « جمال عبد الناصر » جاء فيه بالنص :

« سيادة الأخ الرئيس

من دواعى اغتباطى الشديد ان تكون اول رسالة اكتبها بعد وقوع اختيار مواطنى اللبنانيين على شخصى للقيام بمهام رئاسة الجمهورية ، هى التى اوجهها إلى سيادتكم .

وإذا كنت ارى هذه الفاتحة وليدة الأمر الطبيعى اكثر مما هى وليدة الصدفة ، فإننى لأجد فيها رمزا عفويا لما ارجوه من عهد جديد بين الجمهورية العربية المتحدة الشقيقة ولبنان .

(١١) رجاء مراجعة وقائع هذه المقابلة . وقد سبقت روايتها فى صفحة ٣٢٥ من هذا الكتاب .

لقد قامت الجمهورية الشقيقة بخطوات إيجابية للمعاونة على تصفية الجو بينها وبين لبنان ، وإنى وكل من امكنه ان يطلع على الوقائع كما اطلعت لنعرف فى هذه الخطوات رغبتكم وتدخلكم الشخصى ، ونسجل فيه فضلكم الكبير .... »[١٢]

وقبل أن يصدر تقرير « همرشولد » رسميا ، وإن كانت اتجاهاته الرئيسية قد عرفت قبل إذاعته ـ قرر الرئيس « شهاب » أن يكون أول إجراء تتخذه حكومته **هو** سحب شكواها ضد الجمهورية العربية المتحدة قبل أن يصدر فى شأنها أى قرار . وتقدم السيد « محمد أحمد محجوب » وزير خارجية السودان يعلن باسم الدول العربية رغبتها المشتركة فى شطب الشكوى اللبنانية (التى قدمها « كميل شمعون ») من جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد قال فى مستهل كلامه أمام الجمعية ، والدكتور « محمود فوزى » وزير خارجية مصر جالس بجواره : « **إن العالم العربى ليست فيه خلافات ، وحتى إذا ظهرت فيه خلافات ، فإن الجامعة العربية هى المكان الذى تحل فيه وليس أى مكان غيرها** » .

وترتب على شطب الشكوى اللبنانية أن بدأ « جمال عبد الناصر » يرتب للمطالبة بانسحاب القوات الأمريكية من لبنان ، والقوات البريطانية من الأردن . واستدعى إلى مقابلته السفير الأمريكى فى القاهرة « ريموند هير » وأبلغه أن بقاء هذه القوات يخلق حالة من التوتر لا مبرر لها . وبعد ثلاثة أيام عاد إليه « ريموند هير » ليقول له : « إن مساعد وزير الخارجية للشرق الأوسط « روبرت مورفى » موجود فى المنطقة ، وقد زار بعض دولها ، وكان مترددا فى المجىء إلى الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن واشنطن تسأل الآن « إذا كان فى وسع الرئيس أن يقابله ؟ » وأبدى « جمال عبد الناصر » ترحيبه بمجىء « روبرت مورفى » وقال لـ « ريموند هير » إنه تابع مقابلات « مورفى » فى بغداد ، وقد تلقى عنها تقريرا كاملا . ونظر إليه « ريموند هير » متسائلا ، ولعله كان يسائل نفسه فيما « إذا كان الرئيس يعرف أكثر مما صرح به » . ولم يضف « جمال عبد الناصر » شيئا آخر .

□

كانت التقارير التى تلقاها « جمال عبد الناصر » من بغداد تشير كلها إلى أن السفير الأمريكى فى بغداد « جون جالمان » أفاق من صدمة وقوع الثورة ، ثم راح يفتح مسالك مع النظام الجديد .

(١٢) النص الكامل للرسالة بتوقيع الرئيس فؤاد شهاب منشور فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٢٩ صفحة ٨٦٠ ـ والأصل موجود فى ارشيف منشية البكرى ـ كما توجد نسخ على الآلة الكاتبة فى ارشيف وزارة الخارجية . ووزارة الحربية . وهيئة المخابرات العامة .

كان أول تقرير بعث به إلى واشنطن تقريراً[١٣] يتحدث عن أن الثورة التى نجحت كانت مصادفة الواحد فى المليون ـ فلم يكن لها فى الواقع أى فرصة للنجاح « **لولا مصادفات لم تكن فى حسبان أحد** » . ولعل « جالمان » كان بذلك يغطى على فشله فى توقع الثورة . ثم توالت تقاريره بعد ذلك على واشنطن تشير إلى أنه تمكن من لقاء « عبد الكريم قاسم » الذى أكد له أن العراق لا يفكر فى الانضمام للجمهورية العربية المتحدة ، وأنه يفضل أن يحتفظ بدوره المستقل فى المنطقة . ثم أضاف « جالمان » فى تقريره أن « عبد الكريم قاسم » قال له بلهجة ذات معنى إنه « **ليست علينا وصاية من أحد خارج العراق** » . ثم تكررت لقاءات « جالمان » بـ « عبد الكريم قاسم » كما تكررت بعدد من المقربين إليه إلى الحد الذى دعا « جالمان » لأن يكتب إلى واشنطن بتاريخ أول أغسطس قائلا بالحرف : « **إننى أستطيع أن أجد فى عبد الكريم قاسم منافسا لناصر أكثر مما أرى فيه صديقا له** » . **وطار « روبرت مورفى » إلى بغداد ليقابل « عبد الكريم قاسم » وليعلن من هناك اعتراف الحكومة الأمريكية رسميا بالجمهورية العراقية** !

وبعدها وصل « مورفى » إلى القاهرة ، والتقى به « جمال عبد الناصر » فى اجتماع دام أربع ساعات ، وخرج « مورفى » من الاجتماع ليعلن « **أن الولايات المتحدة تعترف بحركة القومية العربية ، وتحترم دوافعها** » **وأن هذه هى سياسة « ايزنهاور » الجديدة** !

□

وأملى « ايزنهاور » بنفسه بتاريخ ١١ أغسطس ١٩٥٨ مذكرة عن لقائه بسفير الجمهورية العربية المتحدة الدكتور « مصطفى كامل » عندما جاء ليقدم له أوراق اعتماده سفيرا جديدا للجمهورية العربية المتحدة فى واشنطن[١٤] . وقد جاء فيها ما يلى :

« مذكرة عن مناقشة

اثناء تقديم اوراق الاعتماد إلى الرئيس ايزنهاور بواسطة سفير الجمهورية العربية المتحدة .

دارت بحضور الرئيس ، وسفير الجمهورية العربية المتحدة مصطفى كامل ، وروبرت كوريجان القائم باعمال رئيس البروتوكول فى البيت الأبيض .

(١٣) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الامريكية (اغسطس وسبتمبر ١٩٥٨) .
(١٤) نص المذكرة موجود ضمن اوراق . ايزنهاور ، كما توجد منه نسخة فى مجموعة وثائق وزارة الخارجية .

« فى مناسبة تقديم اوراق اعتماده قال السفير للرئيس إن لبلاده ثلاثة اهتمامات رئيسية هى :

١ - الحرية فى الداخل

٢ - رفض التدخل الأجنبى

٣ - إسرائيل

وقال السفير إنه لن يتكلم كثيرا عن المسألة الأخيرة . وابدى الرئيس ملاحظة قال فيها : إن من الحماقة الادعاء بان مشكلة إسرائيل لا وجود لها . على انه ما دام لا السفير ولا هو مسؤولان عن الوضع الحالى - فمن الواجب عليهما ، وعلى الساسة فى البلدين ان يعملوا معا متعاونين وبذكاء فى سبيل الاهتداء إلى حل منصف لمشكلة إسرائيل .

وقال السفير إن شعب بلاده وشعوب المنطقة لا يريدون إلا الحرية والعدل بعد اجيال من الظلم والقهر ، وان الرئيس ناصر صادق النية فى رغبته فى علاقة ودية مع الولايات المتحدة ، وتعاون طيب معها . وان امانى ناصر والشعوب العربية إنما هى بعد كل شئ - امانى صِيغت على غرار مبادئ الحرية التى تقوم عليها الديمقراطية الأمريكية .

وقال السفير إن الرئيس ايزنهاور ينظر إليه فى الجمهورية العربية المتحدة لا باعتباره مجرد رئيس للولايات المتحدة بل للعالم الحر باسره ، ونحن جزء منه[١٥] . وقال إنهم يؤمنون بالله ، وان الشيوعية غريبة بالنسبة لهم ، كما كانت غريبة عن المسيحيين . واشار إلى ان الشيوعية محظورة فى مصر ، وانها ازيحت جانبا فى سوريا ايضا بعد اتحادها مع مصر .

ولاحظ الرئيس ان الولايات المتحدة تعتنق مبادئ الحرية وتقرير المصير ، وبالتالى فهى تؤكد كل شئ قاله السفير . واضاف الرئيس ان حق تقرير المصير ينبغى السعى إليه بطريقة سلمية ، وهو لا يرى اى فائدة إيجابية يمكن تحقيقها من الاذاعات الموجهة لشعوب بلاد مثل ليبيا وتونس والسودان تحرضهم على التمرد ضد الولايات المتحدة الأمريكية ، وتصفها بانها دولة استعمارية . واشار الرئيس إلى ان الولايات المتحدة لم تحاول إضافة ميل إلى الأراضى التى تسيطر عليها على طول هذا القرن . بل على العكس ، فقد منحت للفلبين استقلالها ، ومع ذلك فهى لا تزال تتحمل عبء مساعدتها .

وقال السفير إنه يقدر موقف الولايات المتحدة . ثم اشار باسف إلى ان بلاده تتعرض لحملة من المبالغات ، وانصاف الحقائق يجرى تكرارها كل يوم فى هذه

---

(١٥) كانت هذه آراء الدكتور « مصطفى كامل » شخصيا ، وقد خلط بينها وبين الآراء الرسمية ، وهذه مشكلة يقع فيها كثيرون من السفراء . ولم ترد هذه الفقرة فى التقرير الذى بعث به الدكتور « مصطفى كامل » عن مقابلته لـ « ايزنهاور » ولكن مذكرة « ايزنهاور » عن اللقاء هى التى كشفت عنها

البلاد . وقال للرئيس إنه « كجندى » يستطيع ان يقدر اننا نستطيع وضع المدافع فى ايدى الناس ، ولكنهم لن يطلقوها إلا إذا كان لديهم سبب . ثم قال السفير إنه عاش عشر سنوات فى العراق ، وقد تركها منذ تسع سنوات . وهو يعرفها ظاهرا وباطنا ، واكد ان النظام السابق على الثورة كان نظاما قمعيا ومعاديا لأمال الناس . وقال إنه قبل ان يغادر القاهرة التقى مع سفير الولايات المتحدة فيها . وقد تحدثا معا بالصدفة عن العراق ، ولم تكن الثورة قد وقعت بعد[١٦] ، وقد ساله السفير الامريكى عما إذا كان يتوقع ثورة فى العراق ، وكان رده وقتها ان الثورة يمكن ان تقع فى اى وقت . وبالتالى فإنه لم يفاجأ بما حدث فى بغداد عندما سمع به لأول مرة على سطح الباخرة التى كان يستقلها عبر الأطلنطى إلى نيويورك .

وطالب السفير بمزيد من الفهم للمشاعر العربية ، وابدى تطلعه إلى فترة طويلة من الصفاء فى العلاقات بين البلدين . »

□

وجاء « همرشولد » إلى المنطقة ليمهد لانسحاب القوات الأمريكية من لبنان ، والقوات البريطانية من الأردن . ووقعت أزمة عابرة بينه وبين « جمال عبد الناصر » . ففى اجتماعه الأول به أثناء هذه الزيارة قال « همرشولد » إنه نظرا لوجود مشاكل معقدة تتولاها الأمم المتحدة فى المنطقة كمسألة الترتيب للانسحاب ، فإنه اقترح على الدكتور « فوزى » فكرة أن يقوم بتعيين سفير فوق العادة له لدى الحكومة المصرية بقصد تسهيل الاتصالات ، وأن الدكتور « محمود فوزى » طلب إليه أن يثير الموضوع مع الرئيس لأنه وحده يستطيع البت فيه . ورفض « جمال عبد الناصر » هذا الاقتراح قائلا لـ « همرشولد » : « إن بيننا بالفعل وبين الأمم المتحدة سفير هو ممثلنا الدائم فى الأمم المتحدة ، ولا أعرف لماذا نريد أن نخلق وضعا فريدا لا سابقة له بيننا » . وحاول « همرشولد » أن يعرض اقتراحه تفصيليا ، وبادره « جمال عبد الناصر » بقوله : « مهما قلت لى ، فأنا لا أريد فى القاهرة مندوبا ساميا للأمم المتحدة أو لغيرها »[١٧] .

وبدأ « همرشولد » يرتب لاجراءات الانسحاب ، وقد تمت بالنسبة للقوات الأمريكية بغير مشاكل ، وأما بالنسبة للقوات البريطانية فى الأردن ، فقد امتدت

---

(١٦) كان السفير « مصطفى كامل » بعد ان تسلم أوراق اعتماده من القاهرة قد قضى إجازة فى سويسرا ، ثم سافر بالبحر إلى الولايات المتحدة الامريكية ، وانتظر فترة من الوقت قبل ان يستقبله الرئيس « ايزنهاور » ويتلقى منه اوراق اعتماده . وفى هذه الأسابيع كانت كل التطورات الكبيرة فى المنطقة قد توالت وتدافعت .

(١٧) محضر اللقاء كما كتبه الدكتور محمود فوزى الذى شارك فيه بنفسه توجد منه نسختان : إحداهما فى ارشيف منشية البكرى ، والثانية فى وزارة الخارجية ، وتوجد عليها تاشيرة بخط الدكتور محمود فوزى تطلب إرسال مضمون المحضر إلى الوفد الدائم للجمهورية العربية المتحدة فى نيويورك .

المشاكل من أول يوم إلى آخر يوم فى عملية الانسحاب . ففى البداية قالت الحكومة البريطانية إنها ترغب فى سحب القوات عن طريق الأجواء المصرية . ووافقت الحكومة المصرية . وطالبت الحكومة البريطانية بتأليف لجنة مشتركة مصرية - بريطانية لوضع الترتيبات ، ورفض « جمال عبد الناصر » قائلا إن الأمر لا يحتاج إلى ترتيبات ، وكل ما يحتاجه هو إخطار بمواعيد مرور الطائرات من أجواء الجمهورية العربية المتحدة . ولم تقبل الحكومة البريطانية ، وفضلت ما دام الأمر كذلك أن تجرى عملية الانسحاب عن طريق الأجواء الاسرائيلية .

وبعد أن تمت عملية الانسحاب البريطانى وقع حادث تسبب فيه سوء الفهم ، وسوء التنظيم معا . ذلك أن « همرشولد » اقترح فتح الأجواء السورية أمام الطيران الأردنى . وكانت هذه الأجواء قد أغلقت بعد نزول القوات البريطانية فى عمان . ووافقت الجمهورية العربية المتحدة على فتح الأجواء طبقا للقواعد المقررة من الاخطار عن مواعيد عبور الطائرات . وقد وقع الحادث الذى تسبب فيه سوء الفهم ، وسوء التنظيم عندما قرر الملك « حسين » بعد عدة أيام من إتمام الانسحاب أن يسافر إلى أوروبا بالجو ، ودخلت طائرته إلى المجال السورى دون إخطار عن موعدها ، ودون إخطار عن شخصية ركابها . وقامت بعض المقاتلات السورية باعتراضها ، وقال قائدها وهو طيار بريطانى إن هذه المقاتلات حاولت إرغامه على النزول فى مطار دمشق ، وأنه استطاع أن يعود بمعجزة بطائرته إلى مطار عمان . وأسىء فهم الموضوع ، وجرى تصويره وكأنه محاولة موجهة ضد الملك شخصيا . وتقدم رئيس وزراء الأردن « سمير الرفاعى » بشكوى إلى الأمم المتحدة ، وقام « همرشولد » بتكليف مساعده السفير « سبينيلى » بتحقيق الواقعة ، واكتشف « سبينيلى » حقيقة أن طائرة الملك لم تخطر بميعاد مرورها فوق الأجواء السورية ، ولا بشخصية ركابها . وبعث « سبينيلى » إلى « همرشولد » بتقرير يوضح الحقيقة ، وكتب « همرشولد » إلى الدكتور « محمود فوزى » رسالة يقول له فيها : « **إننى أعلم من وجهة نظر قانونية وعملية أن الجمهورية العربية المتحدة لا تتحمل أية مسؤولية عن الحادث ، ومع ذلك فإن الأمور يمكن معالجتها بطريقة رقيقة إذا كان فى وسع الرئيس عبد الناصر أن يبعث بكلمة طيبة للملك حسين** »(١٨) .

□

(١٨) مذكرات السير « برايان اوركهارت » مساعد السكرتير العام للامم المتحدة . وقد وردت فى فصل عنوانه « نوع من الدبلوماسية الوقائية » .

وفى يوم ٢٣ أكتوبر تم توقيع اتفاقية المرحلة الأولى من مشروع السد العالى ، وقد قدم الاتحاد السوفيتى لمصر قرضا بمبلغ ٤٠٠ مليون روبل للمساهمة فى تنفيذ المشروع ، وبفائدة قدرها ٢,٥٪ ومع فترة سماح قدرها ست سنوات حتى يبدأ السداد فى إعطاء فوائد المرحلة الأولى بتخزين المياه ، وعلى أن يكون السداد بعد ذلك على أقساط ممتدة لاثنى عشر عاما . ووقف « جمال عبد الناصر » يعلن أنه أمر بالبدء فورا فى تنفيذ المشروع الذى تتجسد فيه آمال الشعب المصرى فى التنمية ، والذى خاضت فى سبيله أعظم معاركها .

الفصل الخامس

سحب عابرة

١

لفترة وجيزة فى خريف سنة ١٩٥٨ كانت السماء فى المنطقة خالية من الضباب كثيف الداكن ، ولم تكن هناك إلا بعض السحب العابرة تحيط بأطرافها أشعة شمس الساطعة ، وكان الجو أشبه ما يكون بحالة ما بعد العاصفة .

وبالتأكيد فلقد كانت هناك مجموعة عوامل ساعدت على ظهور هذا الطقس :

● كل الأطراف كانت فى حاجة إلى فرصة تسترد فيها أنفاسها بعد تسابق محموم بين الحوادث والرجال .

● وكل الأطراف كانت تحاول استيعاب ما جرى بتفاصيله ودروسه المستفادة .

● وكل الأطراف كانت تستعد لمرحلة جديدة تعرف مقدما أنها على الطريق ، فالصراع على المنطقة وفيها لا يمكن أن يتوقف بطبائع الأمور .

● وكل الأطراف كانت تدرس تصرفاتها فى المعركة ، وتتبين أين مواقع الضعف فى خطوطها ، وكيف تستطيع تقويتها قبل أن تتحرك الرياح من جديد .

● وكل الأطراف كانت تحاول أن تتعرف على شكل المعارك القادمة ، وكيفية الاستعداد لها فى ظروف من موازين متغيرة .

وفى هذه الفترة بدت ثلاث ظواهر بالتحديد تلفت النظر :

١ ـ إن الولايات المتحدة نقلت حركاتها من القلب إلى التخوم . ففى فترة إعادة دراسة لأوضاع القلب كان مهما أن تتأكد من سلامة التخوم ، وهكذا انتقل الاهتمام الأمريكى ، ولو مؤقتا نحو إيران وتركيا ، ونحو شمال غرب أفريقيا ، ونحو السودان .

٢ ـ إن التقدير العام للجميع كان يؤكد أن دبلوماسية القوة المسلحة ، بما فيها تحريك الأساطيل ، وإنزال القوات على الشواطىء ، وغيرها من نفس النوع ـ هى ألعاب خطرة يمكن أن تستدعى ردود فعل أكثر خطورة ، وقد تقود إلى مواجهات لا يريدها أحد .

ومن ناحية أخرى ، فإن الخوف من المفاجآت على نمط ما جرى فى بغداد كان شبحا يؤرق مضاجع كثيرة ، فقد يتكرر مرة أخرى حيث لا يتوقع أحد .

وتفاعل هذين العنصرين معا أدى إلى التفكير أكثر فى العمل السرى ووسائله وأدواته فى الظروف الجديدة .

٣ ـ إن إسرائيل راحت تظهر وكأنها أكثر الأطراف شعورا بالقلق ، فظهور حركة القومية العربية على هذا النحو ، والاستعداد الأمريكى للتعامل مع هذه الحركة مع استمرار علاقاتها الوثيقة مع الاتحاد السوفيتى ـ كل هذا خلق فى إسرائيل حالة من الاحساس بالحصار لابد من كسره .

كانت خطوط المواجهات السابقة ، قومية وعقائدية وعسكرية ، تبدو فى حالة اهتزاز وسيولة ، وكان هذا كله يخلق أوضاعا قد تؤثر على رؤى المستقبل ، وخططه وشكله العام لسنوات مقبلة .

وتحت الهدوء الظاهرى ـ كان الكل يفكر ، ويخطط ، ويهم بالحركة .

□

طوال شهر أغسطس ١٩٥٨ تكررت اجتماعات مجلس الأمن القومى الأمريكى برئاسة الرئيس « ايزنهاور » ، وقد لوحظ فى هذه الاجتماعات أن مدير وكالة الاستعلامات الأمريكية كان يحضرها لأول مرة على قدم المساواة مع مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وأضيف إليهما مدير وكالة التعاون الاقتصادى الدولى .

وفى جلسة للمجلس صدق الرئيس « ايزنهاور » على محضرها بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٨ ـ بدا مؤكدا أن المجلس يعود إلى مناقشة السياسة الأمريكية فى

الشرق الأوسط من الأساس[1] . وقد جاء فى هذا المحضر ما نصه : « **ناقش المجلس بعض القضايا الأساسية الناشئة عن الحالة فى الشرق الأوسط على أساس القائمة التى أعدها مجلس التخطيط التابع لمجلس الأمن القومى ، وذلك على أساس مذكرة أحيلت إليه بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٥٨** » . وقد حذف من محضر الجلسة عند الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات كل ما تلى هذا البند ، ومن الواضح أنه يتعرض لخطط عمليات سرية .

وفى ١٩ أغسطس عقد المجلس اجتماعا آخر استكمل فيه بحث الموقف فى الشرق الأوسط ، وناقش فيه بالتفصيل بندين يتعلقان بالموقف فى الشرق الأوسط : **أولهما** خاص بتعزيز القواعد الأمريكية العسكرية فى المغرب ، والثانى خاص بالسودان . وكان المسؤول الذى تولى عرض موضوع السودان هو « آلان دالاس » وقد **قام** بمناقشته فيه « جوردون جراى » المساعد الخاص للرئيس الذى قال ـ كما يظهر فى الصفحة الثانية من محضر وقائع هذا الاجتماع ـ إنه « **من الضرورى بذل كل الجهود للمحافظة على استقلال السودان** » . وقد علق الرئيس « ايزنهاور » على هذه المناقشة بقوله : « **إن مجلس الأمن القومى يجب أن يكون جاهزا يستطيع أن يتحرك بسرعة لمواجهة أى طارىء** » .

وفى جلسة بتاريخ ٢٥ أغسطس أبدى الرئيس « ايزنهاور » فى أثناء اجتماع آخر لمجلس الأمن القومى ضيقه من أن بعض الزعماء المحليين فى الشرق الأوسط يحاولون انتهاز الفرصة لكى يلعبوا أدوارا هى فى رأيه أكبر من حجمهم . وقال إنه تلقى خطابا من الرئيس التونسى « الحبيب بورقيبة » يطلب منه فيه تركيز المساعدات الأمريكية فى العالم العربى على تونس ، لكى يجعل منها « فاترينة عرض » فى العالم العربى لما تستطيع الولايات المتحدة أن تقدمه لأصدقائها . كما أنه طلب كذلك أن يضع الرئيس « ايزنهاور » بالاشتراك معه ترتيبا لعقد مؤتمر على مستوى القمة سنويا بينهما . وعلق « ايزنهاور » فى الاجتماع بقوله : « **إن بورقيبة يريد أن يكون وحده وكيلنا المعتمد فى العالم العربى** » . وقال إنه سيرد عليه ، وبالفعل فإن وثائق مكتبة « ايزنهاور » تشير إلى أن الرئيس « ايزنهاور » كتب إلى « بورقيبة » بتاريخ ٣١ أغسطس خطابا يقول فيه بالحرف : « **إننا مضطرون بسبب اتساع مسؤولياتنا إلى مساعدة كثيرين من أصدقائنا على صيانة أمنهم فى وجه تهديدات خارجية ، وهذا دفعنا إلى توزيع مساعداتنا رغم أننا كنا نتمنى أن نتمكن من تركيزها على عدد قليل من الدول .**

(١) منذ اصدر الرئيس « ايزنهاور » قراره التنفيذى رقم ٥٨٠١ حول ضرورة سيطرة الولايات المتحدة على منابع البترول ، وحول ضرورة إقامة تنظيم عسكرى فى المنطقة يواجه الاتحاد السوفيتى ، وتشترك فيه إسرائيل جنبا إلى جنب مع الدول العربية .

وانا مستعد ان اسلم معكم إلى ان مساعداتنا لتونس كانت متناثرة . ولقد كنا نتمنى ان نختار عددا قليلا من الدول نركز عليها لكى نجعل منها « فاترينات للغرب » فهذه فكرة تروق لنا ، ولكن تنفيذها قد يؤدى إلى حرمان كثيرين من مساعدات كانوا يحتاجون إليها . » ثم أضاف « ايزنهاور » قائلا : « **وانا اسلم معكم بأن هناك حاجة إلى مشاورات مباشرة دورية بيننا . ولكنى اخشى ان يؤدى ذلك إلى التأثير فى وسائلنا المؤسسية التى نعتمد عليها فى التعاون الدولى** » .

وخلال شهر سبتمبر ١٩٥٨ تكررت اجتماعات مجلس الأمن القومى التى تركز على إيران . وفى اجتماع للمجلس بتاريخ ١٦ سبتمبر أبدى الرئيس « ايزنهاور » قلقه على أساس التقارير التى قرأها أخيرا من أن هناك « تخوفا » من أن تأخذ الأحداث فى إيران نفس الاتجاه الذى أخذته من قبل فى العراق ، وهو وضع لابد من تجنبه لأنه يمثل خطورة كبرى . وطلب الرئيس « ايزنهاور » من لجنة تنسيق السياسات أن تعد تقريرا خاصا عن الأوضاع فى إيران .

وبتاريخ ٩ أكتوبر ١٩٥٨ قدمت اللجنة تقريرها عن الأوضاع فى إيران تحت رقم ٥٧٠٣/١ ، وقد جاء فى هذا التقرير أنه « **مع أن الأحوال العامة تبدو هادئة ومستقرة على السطح فى إيران ، فإن هناك شكوكا بدأت تطل برأسها . ولقد ساعدت زيارة الشاه الأخيرة للولايات المتحدة على دعم حكم الشاه ، ولكن الملاحظ أن الثورة الناجحة فى العراق قد شجعت عناصر المعارضة السياسية مع عناصر من المثقفين ، وعناصر من الطبقة المتوسطة ، وإن هؤلاء قد يستطيعون أن يجذبوا إلى صفوفهم عددا من ضباط الجيش الشبان ، وإن هذا التحالف يستطيع عن طريق المطالبة بإصلاحات داخلية واسعة أن يؤدى إلى ضغوط شديدة على الجبهة الداخلية فى إيران** » .

ثم استطرد التقرير فى بنده السادس ليقول : « **إن الشاه حاول استيعاب هذه التحركات بإنشاء حزبين سياسيين مصطنعين . ومن الظاهر أن وجود هذين الحزبين لا يستند إلا على نفوذ هيئة** « **سافاك** » (**المخابرات الايرانية**) . **ثم ناقش التقرير بعد ذلك الاحتمالات والعمليات المعتادة التى يمكن القيام بها إذا حدث** « **أ ـ أن سقط نظام الشاه ، و ب ـ أن قام نوع من التمرد على حكمه لا يقوم به الشيوعيون ، أو حـ ـ إذا قام الشيوعيون بهذا التمرد** » .

٢

وطوال شهر سبتمبر ١٩٥٨ كانت الثورة الجزائرية هى الموضوع العربى الملح على « جمال عبد الناصر » ، فقد كان تصوره أن نجاح الثورة فى الجزائر ، وقيام حكومة جزائرية وطنية مستقلة يمكن أن يضيف إلى القوة العربية مَدَداً لا يستهان به . وكان تصوره الاستراتيجى أنه بالجمهورية العربية المتحدة فى القلب ، وبالجمهورية العراقية الجديدة إلى الشرق ، وبدولة جزائرية مستقلة فى المغرب العربى ، فإن الأمة العربية تكون قد حصلت على ثلاث ركائز أساسية تشمل المنطقة كلها من شواطىء الخليج العربى إلى شواطىء المحيط الأطلسى .

والحقيقة أنه بعد الهزيمة الفرنسية فى معركة السويس ـ فإن « جمال عبد الناصر » كان يشعر أن استقلال الجزائر لم يعد بعيدا . ولقد شجعه على هذا الاعتقاد سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وقيام الجنرال « ديجول » بتأسيس جمهورية فرنسية جديدة هى الجمهورية الخامسة . ومع أن عودة « ديجول » إلى السلطة جرت عن طريق انقلاب عسكرى قامت به قوات الجيش الفرنسى فى الجزائر مما كان يشير إلى أن الحكومة الجديدة التى يرأسها « ديجول » سوف تكون تحت رحمة المؤسسة العسكرية الفرنسية ـ إلا أن « جمال عبد الناصر » كان يرى أن حقيقة قيام الجيش الفرنسى فى الجزائر بانقلاب عسكرى هى دليل لا يحتمل الشك على أن هذا الجيش لم يعد قادرا على القتال ضد الثورة الجزائرية .

كانت مساعدات مصر للثورة الجزائرية قد بدأت من قبل اندلاع نيرانها ، وعندما اندلعت هذه الثورة فى أول نوفمبر ١٩٥٤ لم يكن تحت قيادتها أكثر من ألفى متطوع . ومع استمرار الثورة ، وزيادة الدعم المصرى ، ثم العربى لها كانت الثورة الجزائرية الآن موجودة على أرض المعركة بأكثر من مائة وعشرين ألف مقاتل .

كانت القيادة الحقيقية للثورة الجزائرية ، وعلى رأسها « بن بيللا » موجودة فى السجون الفرنسية منذ جرى اختطاف زعمائها قبل أيام من معركة السويس ـ ومع ذلك فإن « جمال عبد الناصر » شجع قيام حكومة جزائرية فى الخارج تتولى مواجهة الظروف المستجدة فى فرنسا بعد انقلاب الجنرالات الفرنسيين[٢] ضد حكومة

(٢) كان قائد الانقلاب العسكرى الفرنسى فى الجزائر هو الجنرال « سالان » ، وقد كان هو نفسه ابرز مهندسى عملية التواطؤ الثلاثى فى معركة السويس .

الجمهورية الرابعة فى باريس . وبالفعل فقد تألفت حكومة جزائرية مؤقتة فى المنفى ، وتم إعلان تأليفها فى ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ .

وفى البداية كان « ديجول » يتصرف على نحو يختلف عما تصوره « جمال عبد الناصر » ، فقد بدا وكأنه رهينة فى أيدى جنرالات الانقلاب يفرضون عليه استمرار القتال واتخاذ موقف متشدد تجاه الثورة الجزائرية ـ ولكن « جمال عبد الناصر » كان يرى أن الحقائق سوف تؤكد نفسها فوق كل مظاهر التشدد والاتجاه إلى العنف .

وفى هذه الفترة استطاعت الثورة الجزائرية أن تنقل معركتها إلى فرنسا ذاتها . فقد قامت فرق من الثوار بالتسلل إلى فرنسا ، وتمكنت من إشعال النار فى أربع مدن فرنسية بينها « مارسيليا » ، وأعلنت حالة الطوارىء فى فرنسا ، وفى ظرف أسبوع كانت السلطات الفرنسية قد اعتقلت أو احتجزت للتحقيق ٢٠٠ ألف جزائرى .

وسافر « ديجول » إلى الجزائر ليدرس حقائق الموقف على الطبيعة بنفسه ، وقابله المستوطنون الفرنسيون بمظاهرة عاصفة اضطر إزاءها أن يعلن أن الجزائر سوف تظل فرنسية إلى الأبد ، ولكنه عندما عاد إلى باريس أعلن أنه سوف يتقدم بمشروع لحل الأزمة يمكن الجزائريين « المسلمين » من تقرير مصيرهم فى ظرف أربع سنوات .

ومن القاهرة أعلن أقطاب الحكومة الجزائرية المؤقتة أنهم يرفضون مشروع « ديجول » ، وقد وقف السيد « فرحات عباس » فى مؤتمر صحفى فى القاهرة يعلن هذا الرفض ، وإلى جواره نائبا رئيس الوزراء فى الحكومة المؤقتة : « كريم بلقاسم » و « عبد الحفيظ بوصوف » .

وكان رأى « جمال عبد الناصر » وشاركه فيه ملك المغرب الملك « محمد الخامس » أن الحكومة الجزائرية المؤقتة تستطيع أن تقبل عرض « ديجول » للتفاوض دون أن يكون ذلك القبول مشروطا بالمشروع الذى طرحه « ديجول » . وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن التفاوض بين الثورة الجزائرية ، وبين الحكومة الفرنسية الجديدة يعنى ضمنا اعتراف « ديجول » بشرعية الثورة الجزائرية كممثل شرعى للشعب الجزائرى ، وأن ذلك فى حد ذاته كفيل بإسقاط الادعاء الفرنسى بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا .

□

وفى أواخر شهر سبتمبر وجد « جمال عبد الناصر » نفسه مضطرا إلى تحويل اهتمامه من الغرب (شمال افريقيا ـ الجزائر) إلى الجنوب فى السودان ، فما أن كاد

يعلن نبأ الاتفاق بين مصر وبين الاتحاد السوفيتى على تمويل المرحلة الأولى من مشروع السد العالى ، حتى فوجئت القاهرة بأن حكومة الخرطوم التى كان يرأسها السيد « عبد الله خليل » تعلن إسقاط اتفاقية مياه النيل ، وتضيف إلى ذلك انها سوف تنفذ مشروعا جديدا لبناء سد على النيل فى منطقة « الرصيرص » ـ ولم تكن لدى القاهرة أية اعتراضات على تنفيذ مشروع « الرصيرص » ولكنها كانت ترى أن تنفيذ المشروع يجب أن يتم بتنسيق بين مصر والسودان ، وأن يكون فى حدود اتفاقية مياه النيل ، ذلك لأن أى إخلال باتفاقية مياه النيل كفيل بأن يشجع قوى أخرى عند منابع النهر على تنفيذ مشروعات للسحب من مياهه دون أى تنسيق بين دول حوضه . وأحست القاهرة أن موقف حكومة السودان ينطوى على منطق سياسى أكثر مما يعتمد على حقائق اقتصادية . هذا فضلا عما يمكن أن يصيب الشعب المصرى من أضرار حقيقية إذا أسقطت أحكام اتفاقيات مياه النيل . وكان مما أثار الشكوك أكثر أنه فى وسط المناقشات الدائرة بين القاهرة والخرطوم أعلن فى واشنطن فجأة أن بعثة من البنك الدولى سوف تسافر إلى الخرطوم للتفاوض فى تمويل سد « الرصيرص » . وكان هذا كله ينطوى على مخاطر واسعة ، ثم إنه يقود البلدين إلى احتمالات صدام لا شك فيه .

وكثفت القاهرة معارضتها السياسية ، وكانت وجهة نظرها أن مصر والسودان كليهما معرض للخطر إذا ما أسقطت اتفاقية مياه النيل . وكان الاحساس العام على نحو أو آخر أن الحكومة البريطانية هى الطرف الذى يحرض فى الخرطوم على كسر اتفاقية مياه النيل . وركزت القاهرة على هذه النقطة من منطق أن إسقاط الاتفاقية سوف يضر بمصالح مصر والسودان معا لأنه سوف يطلق يد بريطانيا فى مستعمراتها الافريقية عند منابع النيل فى التصرف بمياهه على أى نحو يروقها .

وأحدثت معارضة مصر أصداء واسعة فى السودان ، فإن الجماهير السودانية التى كانت متعاطفة تقليديا مع مصر ، والتى ازداد تعاطفها مع القيادة المصرية للحركة القومية العربية العامة ـ كانت معبأة على الآخر . وسارت مظاهرات عارمة فى الخرطوم ، وامتلأت الأجواء بالحديث عن تواطؤ الحكومة السودانية مع قوى فى الغرب تستهدف بعثرة الصف العربى . وزادت حركة انتقال الوفود بين القاهرة والخرطوم ، وبدا واضحا أن هناك قوى كبيرة فى السودان تعارض أى وقيعة بين البلدين مهما كانت أسباب ذلك أو ذرائعه .

ووجد السيد « عبد الله خليل » رئيس الوزراء السودانى انه لم يعد فى

مقدوره مواجهة الموقف الشعبى المتفجر فى السودان ، فإذا هو يقرر تسليم السلطة إلى القوات المسلحة السودانية .

وصباح يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ أعلن فى الخرطوم أن الفريق « ابراهيم عبود » قائد الجيش السودانى قد تولى زمام السلطة فى السودان ، وألف مجلسا أعلى للحكم يضم كبار قادة القوات المسلحة . وكتبت جريدة « نيويورك تايمز » الأمريكية تعلق على أحداث الخرطوم قائلة : « **لقد كان من الأصوب دعوة الجنرالات ليتفضلوا بتسلم السلطة قبل أن يقوم الكولونيلات بتسلمها دون أن يدعوهم أحد** » .

وتحركت القاهرة بسرعة ، وكانت أول بلد يعترف بالنظام الجديد فى السودان . وكتب « جمال عبد الناصر » رسالة إلى الفريق « ابراهيم عبود » يقول له فيها : « **إن مصر على استعداد لكل عمل يهدف إلى توثيق الروابط بين البلدين والحكومتين والشعبين** » ، ثم عرض القيام بمفاوضات جديدة بين البلدين بهدف إعادة الاحترام إلى اتفاقية مياه النيل ، وإعادة توزيع الفائض الذى يوفره مشروع السد العالى بينهما لخدمة المشروعات الحيوية لمصالح الشعبين .

وفى اليوم التالى أصدرت الحكومة السودانية الجديدة تصريحا تلاه اللواء « أحمد عبد الوهاب » نائب رئيس وزراء السودان ، وجاء فيه : « **إن الأسباب التى كانت تحول دون الاتفاق مع القاهرة زالت بزوال النظام القديم** » .

كان الحكم الجديد الذى جاء إلى السلطة من خارج **إطار الحياة السياسية** التقليدية فى السودان غير راغب فى معركة مع مصر ، فقد كان **يحتاج إلى مساندتها** لكى يتمكن من تدعيم سلطته . وفى نفس الوقت ، فإن هذا **الحكم بدأ يرى حقيقة** ما يجرى عند منابع النيل سواء ما كانت تقوم به بريطانيا فى **مستعمراتها الافريقية** ، أو ما بدأت إسرائيل تنشط إليه فى جنوب السودان رغبة **فى فصله عن الشمال حتى** يتحقق لها مطلب أن ترى منابع النيل وقد انسلخت عن الاطار العربى الكبير .

□

وفجأة انتقلت الزوابع إلى الغرب مرة أخرى ، ولكنها هذه المرة كانت فى تونس ، فإن الرئيس التونسى « الحبيب بورقيبة » بعد فترة من التردد قرر أن تنضم تونس إلى الجامعة العربية . وانعقد اجتماع لمجلس الجامعة يوم ١١ أكتوبر ١٩٥٨ تقرر فيه قبول عضوية تونس ، وبدأت وفود الدول العربية إليه تشارك فى الحفاوة بمندوبها . وفوجىء المجتمعون بالمندوب التونسى يقف ويقول إنه سوف يتلو بيانا بأمر من الرئيس « بورقيبة » ، **وإذا بهذا البيان يمتلىء بالهجوم على مصر بادعاء انها نصبت نفسها قائدة للأمة العربية دون تفويض من احد ، وانها تتكلم فى المحافل الدولية**

وتتصرف باسم العرب جميعا دون ان تستشيرهم ، ثم إنها تتدخل فى شؤونها الداخلية . وتحول الاحتفال بتونس إلى ازمة خصوصا عندما قرر مجلس الجامعة شطب أقوال المندوب التونسى من محضر الجلسة . وفى اليوم التالى أذاعت الحكومة التونسية بيانا شرحت فيه أسباب خلافها مع القاهرة ، وجاء فيه : إن مصر قد منحت حق اللجوء السياسى إلى الزعيم التونسى « صالح بن يوسف » الذى كان نائبا سابقا لـ « بورقيبة » وزعيما بارزا للحزب الحر الدستورى ، « وأن مصر بمنحها حق اللجوء السياسى لصالح بن يوسف الذى حكم عليه بالاعدام فى تونس إنما تتدخل تدخلا سافرا فى الشؤون الداخلية التونسية . وبناء عليه ، فإن الحكومة التونسية قررت مقاطعة الدورة الحالية للجامعة العربية » .

ويوم ١٥ أكتوبر أعلنت وزارة الاعلام التونسية أن تونس قررت قطع العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية العربية المتحدة . ولوحظ أن إذاعة باريس بثت نبأ قطع العلاقات قبل ساعة من إذاعة البيان الرسمى التونسى . وقرر الأمين العام للجامعة العربية السيد « عبد الخالق حسونة » (باشا) أن يسافر إلى تونس لبحث الموقف . وعقد اجتماعا طويلا مع الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية قبل سفره إلى العاصمة التونسية . وقال له الدكتور « محمود فوزى » : « إننا لا نفهم هذا الموقف من « الحبيب » ونعتقد أن وراء الأكمة ما وراءها . ومعلوماتنا أن « صالح بن يوسف » كان لاجئا فى مصر مع « بورقيبة » وانه عندما اختلف معه بعد الاستقلال رفض العودة إلى تونس ، وقرر البقاء حيث كان (أى فى القاهرة) . ولم يحصل على إذن جديد للالتجاء إلى مصر ، وإنما هو يمارس نفس الحق الذى كان له مع الرئيس « الحبيب بورقيبة » ، والرئيس « بورقيبة » لابد له أن يعرف أن حقوق الالتجاء السياسى إلى مصر مصونة ومقدسة ، ولو كنا سمحنا بأى مساس بها لكان « بورقيبة » نفسه أول من أضير أيام الاستعمار الفرنسى . وعلى أى حال فنحن فى غنى عن عواصف فى الفناجين . وقد طلب إلىّ الرئيس « عبد الناصر » إبلاغك بأن تتحرى من « بورقيبة » شخصيا عن أية أسباب للشكوى لديه ، وأنت مفوض هناك فى حلها على أى نحو تراه مهدئا لخواطره » .(٣)

وسافر السيد « عبد الخالق حسونة » إلى تونس ، وقضى فيها يومين ، وعاد إلى القاهرة والتقاه الدكتور « محمود فوزى » مرة أخرى ، وسمع منه وزير الخارجية

(٣) مذكرة كتبها الدكتور محمود فوزى بخط يده ، وبعث بها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، وهى موجودة فى ارشيف منشية البكرى فى ملف عنوانه « تونس » رقم ٥ .

المصرية تفاصيل ما دار بينه وبين الرئيس التونسى ، وانطباعات « حسونة » (باشا) نفسه عن اللقاء . كان ملخص الموضوع فى راى « حسونة » (باشا) انه نفسى قبل اى اعتبار آخر ، فالرئيس « بورقيبة » فيما يبدو كان يطمح بعد قيام الثورة العراقية ، واختفاء « نورى السعيد » (باشا) من الساحة أن يصبح هو رجل الغرب فى المنطقة . ويبدو أنه طلب تفويضا من الغرب بأن يكون مسؤولا عن توحيد خطوط السياسة العامة فى شمال أفريقيا ، ولم يلق استجابة كافية ، وهذا فيما يبدو ضايقه . وهو يتصور نفسه رجل الدولة الحقيقى فى العالم العربى ، ولا يجد من الآخرين اعترافا كافيا بهذا التصور ، ثم إنه (أى « بورقيبة ») يعتقد أن « صالح بن يوسف » يتآمر لقتله . وقال الدكتور « محمود فوزى » إن « قضية صالح بن يوسف قضية يسهل حلها ، فنحن نستطيع تحديد نشاطه السياسى حرصا على العلاقات مع تونس طالما هو فى القاهرة » . ورد « حسونة » (باشا) قائلا إنه « إذا كانت هذه القضية يمكن تسويتها ، فهناك قضايا اخرى تصعب تسويتها » . ثم روى « حسونة » (باشا) كيف أنه فى أثناء مناقشته مع « بورقيبة » اشتكى له « بورقيبة » من أن بعض الصحف فى العالم العربى تصف « جمال عبد الناصر » بأنه « عملاق » . وأضاف « بورقيبة » أنه يعتبر ذلك تعريضا به لقصر قامته « فمعناه أننى قزم ، وأن الباقين كلهم أقزام ، وجمال عبد الناصر وحده هو طويل القامة وهامته اعلى منا جميعا » . ثم أشار « عبد الخالق حسونة » (باشا) إلى أن « بورقيبة » شكى له من أن هناك ضباطا مصريين تسللوا إلى تونس ، وهم يحرضون بعض ضباط الجيش التونسى ضده . ورد الدكتور « فوزى » على ذلك بأن رجا « حسونة » (باشا) أن يبعث إلى « بورقيبة » بأن « الحكومة المصرية تخوله الحق فى القبض على مثل هؤلاء الضباط إن وجدوا وتقديمهم إلى المحاكمة » . وكانت القضية أعمق كما احس « حسونة » (باشا) ، ولعل « جمال عبد الناصر » أراد أن يواجهها على طريقته ، فقد وقف فى مدينة المنيا يومها يخطب أمام جماهير حاشدة ويقول : « إن لواء القومية العربية ليس معقودا لجمال عبد الناصر ، وإن الحركة القومية العامة أكبر من أى فرد ، وإن قيادتها الحقيقية هى جماهير الشعب العربى فى حين أن جميع الأفراد إلى زوال » .

٣

فى لندن كان « هارولد ماكميلان » ما زال يشعر بخيبة الأمل لأن الرئيس « ايزنهاور » لم يستجب لاقتراحاته فى أثناء ثورة العراق بتوسيع نطاق العمليات ، وتحويلها إلى جهد مشترك بين الولايات المتحدة وبريطانيا . فقد اقترح « ماكميلان » وقتها ـ كما أشارت الوثائق من قبل ـ ألا تقتصر العملية على إنزال أمريكى فى لبنان ونزول بريطانى فى عمان ، وإنما يتم استغلال جو الأزمة لتطهير كل منطقة الشرق الأوسط بالزحف على سوريا والعراق أيضا مما كان كفيلا فى تقديره بإسقاط النظام فى مصر أيضا . كان « ماكميلان » يشعر بشىء من المرارة لأن « ايزنهاور » لم يستجب له ، ولو أنه استجاب لكان « ماكميلان » قد حقق ما عجز عنه « ايدن » فى السويس . كانت الفرصة فى رأيه متاحة لتعاون أمريكى ـ بريطانى يستعيد النفوذ الغربى فى العالم العربى ، ويوطد أركانه ، لكن « ايزنهاور » تردد وترك الفرصة تضيع .

وكتب « ماكميلان » إلى « ايزنهاور » يقول له :[٤]

« إن اصدقاءنا فى إسرائيل يشعرون الآن بمزاج سوداوى . فهم يجدون اننا تخلينا عنهم ورحنا ندغدغ اعصاب ناصر . ولقد اقترح مندوبهم فى لجنة التنسيق بيننا وبينهم عندما كنا نرتب سحب المظليين من عمان ان نتركهم يحتلون الضفة الغربية للأردن[٥] لأن ناصر سوف يستولى على الأردن كله فى يوم من الأيام ، وابدينا لهم اننا لا نستطيع بالقطع ان نشارك فى مثل هذا الاجراء او نسمح به . وعلى اى حال ، فإننى اعتقد ان اصدقاءنا فى هذا البلد (يقصد إسرائيل) يستحقون منك عناية اكثر ، وإلا فإن النظارة السوداء التى يضعونها على عيونهم قد تدفعهم إلى التصرف على انفراد . »

وكان « ماكميلان » قد بدأ من ناحيته يعتنى بهؤلاء الأصدقاء فى إسرائيل ، ولعله لم يجد بديلا لهم فى تلك الظروف التى سادت المنطقة وقتها ، وكانت طلبات « بن جوريون » محددة « **سلاح ... سلاح ... ومزيد من السلاح** » كما قال بنفسه للسفير البريطانى فى إسرائيل !

وسافر « شيمون بيريز » فى أواخر شهر أغسطس ١٩٥٨ إلى لندن ليعقد صفقة سلاح بريطانى بلغت قيمتها ٥٠ مليون جنيه . وفى يوم ٨ أكتوبر ١٩٥٨ أذاعت وزارة

(٤) يوميات « ايزنهاور » فى مكتبته بابيلين (كانساس) ـ وثائق الصندوق رقم ٦ .
(٥) مرة اخرى إسرائيل واحتلال الضفة الغربية !

الخارجية البريطانية بيانا رسميا اعلنت فيه ان الحكومة البريطانية قررت ان تسلم لاسرائيل غواصتين حمولة كل منهما ٧١٥ طنا ، وأن الغواصة الأولى منهما سوف يتم تسليمها يوم الخميس ٩ اكتوبر فى « بورتسماوث » حيث يقام احتفال يشارك فيه سكرتير وزارة الدفاع الاسرائيلية (شيمون بيريز) .

□

ولكن ما يجرى فى الخفاء كان أكثر مما يجرى إعلانه ، ففى ذلك الوقت وقبل أن يتولى الجنرال « ديجول » السلطة تمكنت الحكومة الاسرائيلية من الاتفاق مع الحكومة الفرنسية على رفع طاقة مفاعل « ديمونة » . وكان « شيمون بيريز » هو الذى وقع نيابة عن إسرائيل هذا الاتفاق مع الحكومة الفرنسية ، وبمقتضاه ارتفعت طاقة مفاعل « ديمونة » من ٥٠٠٠ كيلووات إلى ٢٤٠٠٠ كيلووات حرارى ، كما قامت فرنسا بتسليم إسرائيل كمية من اليورانيوم الطبيعى إلى جانب معدات للتبريد باستعمال الماء الثقيل . وكان ذلك يسمح لاسرائيل فى يوم من الأيام بتحويل البلوتونيوم المحترق إلى قنابل ذرية .

وبعد توقيع هذا الاتفاق ظل « شيمون بيريز » فى باريس يتابع وقائع الانقلاب الذى أدى إلى سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وقيام الجمهورية الفرنسية الخامسة بقيادة « ديجول » . وعندما استقرت الأمور حصل على موافقة النظام الجديد فى باريس على صفقة طائرات من طراز « سوبر ميستير » لاسرائيل كانت المفاوضات بشأنها قد تمت مع النظام السابق ، وكان عددها أربعين طائرة تسلم فى مدى أربعة وعشرين شهرا . وصرح « شيمون بيريز » فيما بعد لوكالة رويتر بأن « **إسرائيل فى العادة لا تتحدث عن صفقات السلاح التى تعقدها ، لكنها تجد نفسها أمام وضع خطير بعد أن ثبت أن المقاتلات السوفيتية الجديدة من طراز « ميج ١٧ » متفوقة على الطائرات الاسرائيلية من طراز « ميستير » التى تبيعها فرنسا لاسرائيل منذ سنة ١٩٤٥ وإن اسرائيل على هذا النحو مطالبة بتجديد سلاحها الجوى ، وهو عماد قوتها الضاربة** » .

□

وفى واشنطن كانت هناك علامات تدعو إلى إمعان النظر ، ففى المناخ الذى بدا فيه أن الحكومة الأمريكية تراجع موقفها تجاه حركة القومية العربية شعر جناح المخابرات المركزية الأمريكية المنادى بالتركيز على مصر ، وفى مقدمة صفوفه « كيرميت روزفلت » ـ بشىء من الانتعاش ، فقد تصور هذا الجناح فى الظروف الجديدة أن الجو ملائم له الآن لكى يظهر على الجناح الآخر المنادى بالتعاون مع إسرائيل إلى أخر المدى ، والذى يتصدر صفوفه « جيمس أنجلتون » .

كانت الولايات المتحدة قد استجابت لرغبة مصر فى الاستفادة بالقانون رقم ٤٨٠ الخاص ببيع فائض محصول القمح الأمريكى[٦] . واعتبر « كيرميت روزفلت » أن هذه الاستجابة قد تعطيه فرصة لفتح أبواب فى القاهرة ، واقترح تكليفه بالسفر إليها لجس النبض . وبالفعل كتب « كيرميت روزفلت » إلى الدكتور « أحمد حسين » سفير مصر السابق فى واشنطن يقول له إن هناك احتمالا كبيرا فى زيارة يقوم بها إلى القاهرة . وسأله عما إذا كان يلمح فى الجو علامات مواتية . وبعث الدكتور « أحمد حسين » برسالة « كيرميت روزفلت » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » مرفقة بخطاب منه ، وكان تعليق « جمال عبد الناصر » **أنه يفضل فى الظروف الحالية أن تكون للاتصالات مع الولايات المتحدة قناة واحدة ، وهى القناة الرسمية عن طريق وزارتى الخارجية فى البلدين** . ثم طلب من الدكتور « أحمد حسين » أن يكتب إلى « كيرميت روزفلت » بما معناه أنه « إذا أراد المجىء إلى القاهرة فى زيارة خاصة ، فسوف يلقى فيها كل ترحيب ، وأما إذا أراد لزيارته أن تكون غير ذلك ، فقد يكون من الأنسب التعامل بالوسائل الدبلوماسية العادية » .

ولم تكن هناك حاجة لارسال هذا الرد لـ « كيرميت روزفلت » فقبل أن يكتب إليه الدكتور « أحمد حسين » بما سبق كان « كيرميت روزفلت » يبعث إليه برسالة يقول له فيها إن رحلته إلى القاهرة قد تأجلت إلى أجل غير مسمى .

ولقد تبين فيما بعد بالفعل أن جناح « أنجلتون » المنادى بالتعاون مع إسرائيل قد حقق انتصارا مؤكدا فى واشنطن .

فقد وقعت ظاهرة نادرا ما تحدث فى السياسة الأمريكية إذ نشرت جريدة « نيويورك تايمز »[٧] وغيرها من كبريات الصحف الأمريكية فى أوائل أكتوبر أنباء تتحدث عن صفقات سلاح تعقد بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، وأن هذه الصفقات تقررت بعد عدة رسائل متبادلة بين « دافيد بن جوريون » و « دوايت ايزنهاور » ، وقد بدأت هذه الرسائل يوم ١٦ يوليو ، أى بعد يومين من ثورة العراق . وفى الرسالة الأولى بينهما أبدى « بن جوريون » حاجة إسرائيل الشديدة إلى « رادع » قوى يحمى أمنها من مخاطر تيار الوحدة العربى الذى يندفع كالشلال . ورد عليه « ايزنهاور » بأنه « يستطيع أن يؤكد له أن الولايات

---

(٦) كان الرئيس « جمال عبد الناصر » قد طلب إلىّ ان اسأل السفير الأمريكى عن مدى إمكانية استفادة مصر بهذا القانون ، وقد قابلت السفير بالفعل يوم ٨ ديسمبر ١٩٥٨ وناقشت الأمر معه ، وجاء الرد من واشنطن بالموافقة فى اليوم التالى مباشرة ، وكانت الصفقة الأولى فى الاستجابة لهذا الطلب بحجم ٨٠ الف طن ، وبعد ذلك تولى الدكتور « عبد المنعم القيسونى » مهمة مواصلة عمليات توريد القمح .

(٧) جريدة « نيويورك تايمز » عدد يوم ٢ اكتوبر ١٩٥٨ ـ الصفحة الأولى .

المتحدة الأمريكية تعلق اهمية كبرى على سلامة وازدهار دولة إسرائيل ، وان تلك سياستها الثابتة لا تحيد عنها . »

وعندما نشرت النيويورك تايمز أنباء هذه الرسائل أضافت إليها أن الولايات المتحدة التى لم تكن بين موردى السلاح لاسرائيل وجدت أخيرا ضرورة لتقديم بعض الأسلحة الدفاعية ضد الطائرات إلى هذا البلد .

وفى اليوم التالى صرح متحدث رسمى باسم وزارة الخارجية بأن ما حصلت عليه إسرائيل من الأسلحة هو قليل نسبيا relatively few ـ ثم كانت الظاهرة التى لا تحدث كثيرا فى السياسة الأمريكية ، وهى أن رؤساء تحرير الصحف الكبرى دعوا إلى مقابلة وزير الخارجية الذى نقل إليهم رجاء الرئيس أن يمتنعوا اختياريا عن نشر أخبار أية صفقات سلاح أمريكى لاسرائيل لأن ذلك يضر بالأمن الأمريكى . وفى نفس الوقت كانت السفارة الاسرائيلية فى واشنطن تعزز لدى رؤساء التحرير طلب الرئيس إليهم بالكتمان ، وبأن يتركوا المصالح المشتركة للبلدين تنمو بالطريقة المناسبة إزاء أخطار تهددهما معا فى منطقة خطرة من العالم .

وتوقفت صحف الولايات المتحدة كلها عن متابعة الموضوع ، وأشارت مجلة « يو . اس . نيوز أند وورلد ريبورت » إلى أن ذلك التوقف تم بناء على « نصيحة » !

□

ويلفت النظر فى ذلك الوقت أن الرئيس « جمال عبد الناصر » تلقى رسالة من الرئيس « تيتو » بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٥٨[٨] قال له فيها :

« لقد طرا امر اريد إخطاركم به . فقد زارنى فى بلجراد المستر ناحوم جولدمان رئيس المجلس اليهودى العالمى ، وهو كما قلت لكم يوما صديق قديم لى . وقد ابلغنى جولدمان برغبته ، ورغبة المجلس اليهودى العالمى فى إقامة جسر اتصال مع الجمهورية العربية المتحدة ومعكم ، لانه يشعر ان إسرائيل الآن تعانى من وحدة موحشة شاعرة ان اصدقاءها التقليديين لا يقبلون عليها بعد ازمة الصيف هذا العام كما كانوا يفعلون من قبل . وإنما هم يتعاملون معها كمن يتعامل مع ابن غير شرعى ، يساعدونها فى الخفاء ، ويتباعدون عن الظهور معها فى العلن . وقد ذكر لى جولدمان انه بات يخشى على إسرائيل من نفسها ، فقد بعث له بن جوريون يطلب

---

(٨) اصل الرسالة باللغة اليوجوسلافية ، ومعها ترجمة غير رسمية باللغة العربية مودع فى ارشيف منشية البكرى ، وقد ارسلت صورة منه إلى كل من وزارة الخارجية ، وإدارة المخابرات العامة بمذكرة وقعها السيد « سامى شرف » بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٥٨

منه القيام بحملة لجمع ٥٠٠ مليون دولار تقدم لاسرائيل مرة واحدة لامر يتصل بتعزيز امنها . وذكر لى جولدمان انه يخشى ان يكون ما يقصده بن جوريون بهذه العبارة المائعة هو الدخول فى برنامج نووى غالى التكلفة ليس من الناحية المادية ، وإنما من الناحية المعنوية . وذكر لى جولدمان انه مدفوع فى الافضاء الىّ بما افضى بحرصه على إسرائيل ، وانه يخشى ان إسرائيل قد تضيع روحها فى سبيل ما تتصور انه حماية لامنها . وذكر لى فى النهاية ان رغبة يهود العالم فى تحقيق نوع من السلام مع العرب قد يعطيهم الحجة المطلوبة لرفض الالحاح الاسرائيلى » . وقال « تيتو » فى ختام رسالته لـ « جمال عبد الناصر » إنه راى إبلاغه بكل ما سمع تاركا له حرية التصرف ، وإذا كان له ان ينصح كصديق ، فهو يقترح عدم ترك يد « جولدمان » الممدودة معلقة فى الهواء . »

واستدعى « جمال عبد الناصر » السفير اليوجوسلافى ، وأبلغه برد شفوى مؤداه أنه « يقدر حرص الرئيس تيتو على إبلاغه بما سمع كما أنه يقدر نصيحته ، والمشكلة كما يراها هى أن يتمكن جولدمان ، ومعه يهود العالم من أن يجيئوه بخريطة رسمية معتمدة تقرر فيها إسرائيل أين حدودها النهائية ، وما إذا كانت مستعدة لتنفيذ قرار التقسيم . وأما بغير ذلك فإنه يخشى أن الجمهورية العربية المتحدة سوف تجد نفسها فى مفاوضات مع إسرائيل عن طريق المجلس اليهودى العالمى ، وعلى أساس الأمر الواقع ، وهو ما لا يستطيع قبوله » .

٤

فى هذه الأجواء التى اندفعت فيها الأطراف المختلفة إلى استيعاب دروس الحوادث ، وإلى التأهب للمرحلة القادمة ، وإلى التحسب للمفاجآت التى يمكن أن تجىء على غير انتظار ـ كانت درجة الحرارة مناسبة تماما لزيادة دور وأهمية أجهزة العمل السرى .

وفى حين أن جناح « أنجلتون » فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أكد أسبقية دوره مرة أخرى ، فإن جهاز الـ M.I.6 وهو المخابرات البريطانية كان ـ بتهور المسؤول عن عملياته ، وهو « جورج يونج » ـ يكثف نشاطه فى المنطقة مركزا على بعض النقط الحساسة فيها .

والحقيقة أن هذه المرحلة شهدت بداية سباق تحت الأرض بين أجهزة العمل السرى ليس فى الولايات المتحدة وبريطانيا وحدهما ـ وإنما فى إسرائيل وفرنسا والاتحاد السوفيتى وتركيا وإيران ، بل وجنوب أفريقيا التى بدأت ترى توجه عدد من زعماء حركات التحرر الوطنى فى القارة السوداء إلى القاهرة التى علا نجمها بسرعة ، ومن ثم قررت « جوهانسبرج » متابعة نشاطهم فيها .

وقرب نهاية سنة ١٩٥٨ كان هناك جهازان جديدان للمخابرات فى المنطقة قدر لهما فيما بعد أن يلعبا أدوارا بالغة الأهمية فى عملية صنع الحوادث فى العالم العربى .

كان أولهما هو جهاز المخابرات العامة المصرى الذى أعيد تأسيسه فى إطار حديث بعد حرب السويس ، وكان سنة ١٩٥٨ قد استكمل تشكيلاته سواء بالنسبة للمخابرات (أى جمع المعلومات فى الخارج) ، أو للأمن القومى (أى مواجهة النشاط الخارجى الموجه إلى الداخل) ـ وقد قام على رئاسته السيد « صلاح نصر » .

وكان الثانى هو جهاز المخابرات العامة السعودى الذى اقامه الأمير « فيصل » رئيس وزراء المملكة العربية السعودية بعد أن تولى السلطة بتفويض كامل من الملك « سعود » فى أعقاب فضيحة الرشوة فى سوريا لمنع قيام الوحدة ولضرب طائرة « جمال عبد الناصر » .

وقد عهد الأمير « فيصل » إلى صهره السيد « كمال أدهم » برئاسة هذا الجهاز . وكان لقبه الرسمى فى البداية أنه « المستشار الخاص » للأمير « فيصل » (والملك « فيصل » فيما بعد) .

وكان جهاز المخابرات المصرى قد استوحى تنظيماته ، وأساليب عمله من عدد من الأجهزة المماثلة ، وبينها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وهيئة الـ « كى. جى. بى. » السوفيتية ، إلى جانب جهاز المخابرات فى ألمانيا الغربية .

أما جهاز المخابرات السعودى ، فقد ركز على نموذج وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وكانت الطرق مفتوحة أمامه ...

□

ومن ناحية عامة ، فإن عمل هذه الأجهزة ـ بما فيها جهاز المخابرات المصرى ـ كان خدمة مطلوبة لبلادها ، وفى مصر فإن هذا الجهاز أصبح ضرورة على المستوى القومى خصوصا مع اتساع مسئوليات الأمن العربى ، وامتدادها على مساحات واسعة من العالم .

وللانصاف ، فإن هذا الجهاز ادى خدمات ضخمة ، وقام بادوار تحسب له فى مجالات جمع المعلومات وتدقيقها وتحليلها ، كما استطاع تحقيق نتائج يشهد لها فى مجالات التجسس على مصر ، وقد أعطيت لهذا الجهاز كل الوسائل التى طلبها ، والتى وجدها ضرورية لعمله سواء من ناحية الاعتمادات ، أو من ناحية تسهيلات العمل .

وفى وقت من الأوقات كان لجهاز المخابرات المصرى أكثر من خمسين « عنصرا » داخل إسرائيل !

كما أنه فى وقت من الأوقات كانت لهذا الجهاز سلطات فى الاستطلاع والبحث والتحقيق راحت تتسع بمقدار اتساع نطاق الأمن القومى .

لكن المشكلة التى طرأت بعد ذلك أن جو الفوران الذى ساد فى العالم العربى فى النصف الثانى من سنة ١٩٥٨ انعكس على جهاز المخابرات العامة ، وأفرز ظاهرة تجاوز لم يكن هناك ما يدعو إليها فى عمله ، وضاعف من تفاقم هذه الظاهرة أن التعاون بين هذا الجهاز ، وبين القيادة العامة للقوات المسلحة ، وهى المسؤولة عن توجيه نشاط الملحقين العسكريين المصريين فى العالم ـ راح يتجاوز حدوده المرسومة ، فقد تصور هؤلاء أن نجاحهم فى العالم العربى مثلا مرهون باتصالات يقومون بها مع الضباط الشبان فى البلاد التى يعملون فيها ، أو مع الأحزاب والجماعات السياسية المتعاطفة مع القاهرة .

وكانت هذه نقطة تحول ضارة . إذ تصور كثيرون من مسؤولى المخابرات والملحقين العسكريين أن نجاحهم يقاس بما إذا كانوا يستطيعون جذب عناصر ، عسكرية أو مدنية ، تعقد صلاتها معهم ، وتحسب نفسها بعد ذلك على الجمهورية العربية المتحدة .

وقد أحدث هذا الوضع خلطا شديدا فى المهام خصوصا عندما بدأت بعض العناصر التى يجرى الاتصال بها فى استغلال صلاتها بممثلى القاهرة بمقدار ما بدا لها أن ممثلى القاهرة يستغلون صلاتهم بها .

وهنا بدا أن العمل العربى العام فى جزء هام منه ينتقل من مجال النشاط السياسى المفتوح إلى مجال العمل السرى المكتوم ، وهو جو ينتج بالتأكيد آثارا غير صحية ، وقد ساعد عليه أن الاختصاص بشؤون اللاجئين انتقل فى معظمه إلى إطار المخابرات .

وكان جهاز المخابرات السعودى فى بداية عمله يحاول ان يجد لنفسه طريقا يسترشد به ، ويمشى على آثاره . وكان رئيسه السيد « كمال أدهم » ذكيا وطموحا ، ثم إن صلته المباشرة بولى العهد (الملك فيما بعد) جعلت سلطاته نافذة إلى جميع المجالات متخطية لكل الحدود ، خصوصا فى ظل طبيعة تركيب السلطة فى المملكة .

٥

ولم تكن القوى الدولية والاقليمية ، والأجهزة الرسمية ، هى وحدها التى تحاول أن تجد لنفسها مواقع على خرائط المستقبل ـ وإنما كان ذلك أيضا هو وضع التجمعات السياسية الداخلية ، وفى مقدمتها الأحزاب على اختلاف انتماءاتها العقائدية . ولم يكن ظاهرا فى الساحة يومئذ غير ثلاثة تجمعات سياسية منظمة :

أولها ـ الاتحاد القومى فى الجمهورية العربية المتحدة ، وكان تنظيما ضعيفا شأنه فى ذلك شأن كل التنظيمات الرسمية التى يتم تشكيلها لاحقا للسلطة ، وليس سابقا عليها .

ثم كان هناك بعد ذلك حزب البعث العربى الاشتراكى ، وكان هذا الحزب وقتها يواجه مشكلة عويصة ، فمشاركته فى إقامة الوحدة بين مصر وسوريا ادت إلى قبوله بحل نفسه ـ ولكنه حل نفسه فى سوريا وحدها ، وبقيت تنظيماته فى غيرها من البلاد العربية ، وبالذات فى العراق والأردن ولبنان . وكان هذا الوضع مبعث حرج شديد للحزب ، كما أنه أدى به إلى مواقف أثرت على أفكاره وحركته وتنظيماته .

وكانت هناك بعد ذلك الأحزاب الشيوعية العربية ، ومع أنها كانت فى إطار اتجاه عقائدى واحد ، فقد كانت هناك خلافات فى توجهاتها ـ هذا مع أن حقائق الأمور فرضت عليها جميعا فى النهاية أن تضطر إلى اتخاذ نفس المواقف . وفى هذه الأوقات من نهاية سنة ١٩٥٨ كانت الحركة الشيوعية فى المنطقة تحاول بكل الوسائل أن تعطى نفسها حرية فى الحركة ، ووصلت بها دعاوى هذه الحرية إلى مزالق بالغة الخطورة . كان الذى يتصدر لقيادة الحركة الشيوعية العامة فى البلاد العربية هو الحزب الشيوعى السورى ، وكان هذا الحزب برئاسة « خالد بكداش » قد خرج من سوريا بعد تجربة الوحدة شاعرا بمرارة شديدة . ففى بعض اللحظات قبل قيام الجمهورية

العربية المتحدة تصور هذا الحزب أنه أقرب ما يكون إلى مواقع التأثير فى دمشق ، وإذا بموجة كاسحة من القاهرة تجرفه بالكامل خارج سوريا . ومضى يبحث عن وسيلة لاسترجاع ما ضاع منه ، ولكن الاحساس بالفشل والمرارة يستطيع أن يغير قواعد العمل السياسى وموازينه ومعاييره ، وهكذا فإن الحزب الشيوعى السورى فى هذه الفترة لم يكن فى خلاف فكرى أو سياسى مع الجمهورية العربية المتحدة فقط ، وإنما كان فى حرب ضدها بكل وسائل الحرب .

إن تاريخ الحزب الشيوعى السورى ، كما أن تاريخ الأحزاب الشيوعية العربية كلها ، لا يؤهلها على وجه اليقين للقيام بدور قيادى فى أى مجتمع من المجتمعات العربية . وفى تلك الظروف فإن الحزب الشيوعى السورى نجح فى شىء واحد ، وهو أن يجر جميع التنظيمات الشيوعية فى المنطقة وراءه إلى حرب ضد الجمهورية العربية المتحدة . ومع أن هذه كانت معركة خاسرة لهم منذ اللحظة الأولى ، فإن الأوهام قادتهم إلى دخولها على تصور أن علاقات الجمهورية العربية المتحدة الوثيقة بالاتحاد السوفيتى ، خصوصا بعد عقد اتفاقية المرحلة الأولى من السد العالى ، سوف تكون قيدا على حركتها ومجالا فسيحا أمامه .

لم يكن للأحزاب الشيوعية العربية جميعا ـ بما فيها الحزب الشيوعى السورى ـ رصيد جماهيرى ترتكن إليه ، فقد نشأت منذ البداية فى رعاية شخصيات غامضة معظمها من اليهود الفرنسيين ، أو الايطاليين . ثم تورطت فى حلقات متصلة من الأخطاء بدأت من الولاء الأعمى لستالين إلى التقدير الأعمى لمعنى قيام إسرائيل . فحتى بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ظلت الأحزاب الشيوعية تتصور أن إسرائيل قوة تحديث فى المنطقة قادرة على تطويرها ، ودفعها إلى المستقبل . ومع أن بعضها تحدث عن أهمية الوحدة العربية ، فقد كان ذلك مجرد استجابة لمشاعر الجماهير أكثر منه تعبيرا عن إيمان بحقائق تاريخية .

وللحقيقة ، فإن الحزب الشيوعى المصرى خرج لفترة من الفترات على هذه القوالب الجامدة ، خصوصا بعد أن عقدت كل التنظيمات الشيوعية المصرية المتناحرة اجتماعا سريا تحت رعاية الحزب الشيوعى الايطالى ، فوحدت صفوفها وحاولت توحيد اتجاهاتها ، وخرجت بتحليل صحيح لحركة الوحدة العربية صدر فى منشور بتوقيع « الرفيق خالد »(٩) سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى وقتها جاء فيه :

(٩) كان اسم « الرفيق » خالد اسما كوديا للدكتور « فؤاد مرسى » الذى اصبح فيما بعد وزيرا للتموين فى عهد الرئيس « انور السادات » . وفى الحقيقة فإن اثنين من المفكرين المصريين البارزين وهما الدكتور « عبد العظيم انيس » والأستاذ « محمود امين العالم » كان لهما الاسهام الأكبر فى تعريف التجمعات الشيوعية المصرية باهمية البعد القومى العربى .

« إن الوحدة العربية حقيقة نضالية مشروعة تستند على مقومات التاريخ المشترك ، والنضال المشترك ، والأرض المشتركة ، والتكوين النفسى المشترك ، واللغة الواحدة ، والتراث الخاص بها » . وفى الوقت الذى كان فيه الحزب الشيوعى السورى مصمما على أن القومية العربية هى مطامع طبقة بورجوازية نامية نحو أسواق جديدة ـ فإن الحزب الشيوعى المصرى كان يراها حركة وطنية معادية للاستعمار . لكن هذا الموقف المستقل للحزب الشيوعى المصرى لم يستطع أن يواصل انفراده بالرؤية والتحليل ، فما لبث بعد قليل فى خريف سنة ١٩٥٨ أن وجد نفسه مضطرا إلى العودة للدخول فى نفس الموقع مع بقية الأحزاب الشيوعية العربية التى راحت تحت زعامة « خالد بكداش » تخوض حربها ضد دولة الوحدة .

كان « خالد بكداش » بعد أن هرب من سوريا عند إعلان الوحدة قد توجه إلى صوفيا ، ومن عاصمة بلغاريا ترددت نداءاته وبياناته ضد الجمهورية العربية المتحدة . وعندما وقعت الثورة فى العراق ، وبدأ الحزب الشيوعى السورى ينشط فى الساحة السياسية فى بغداد ـ توجه « خالد بكداش » إلى العاصمة العراقية ، وأعطته أجواء بغداد فى ذلك الوقت فرصا واسعة للعمل مالبث أن استغلها هو ، واستغلها غيره . وكانت لعمليات الاستغلال هذه آثار واسعة وعميقة تتخطى بكثير قوة الحركة الشيوعية فى المنطقة ، وتأثيرها على الناس أو على الحوادث . فقد دفعت المنطقة مرة أخرى إلى مزالق خطرة ، وأحدثت شرخا غائرا فى الوضع العربى العام .

الباب الرابع

مدافع حروب باردة!

« أسهل الاختيارات هو موقف التبعية وأصعبها موقف الاستقلال
موقف التبعية اختيار مريح مرة واحدة طول العمر
وموقف الاستقلال اختيار مرهق كل يوم إلى آخر العمر »

الفصل الأول

قاسم وانقسام

١

كان « عبد الكريم قاسم » شخصية من أغرب الشخصيات التى ظهرت على مسرح السياسة العربية الحديثة . ولعل الأستاذ « صديق شنشل » لم يخطىء كثيرا عندما وصفه مبكرا فى دمشق بأنه نصف مجنون . ولقد بدت تصرفاته منذ اللحظات الأولى مثيرة للجدل ، فقد شاع فيها نوع من الانفصام يصعب تحليله أو تعليله . فمنذ اليوم الأول بدأ يشكو من أن هناك قوى تحاول أن تجره إلى وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، أو إلى اتحاد . والحقيقة أن أجواء بغداد كانت مفعمة بالانتظار بعد الثورة ، فقد كانت هناك جماهير عريضة تتمنى الوحدة ، وظهرت فى مواجهتها دعوة تنادى إلى الاتحاد . ولم يكن « عبد الكريم قاسم » يريد أيا من الاتجاهين ، ولعل هذه هى النقطة الوحيدة التى شاركه فيها « جمال عبد الناصر » الذى راح يرى أن نشوب معركة حامية فى بغداد بين القائلين بالوحدة ، والقائلين بالاتحاد هو افتعال لمعركة وهمية ليس هناك ما يقتضيها الآن ، لأن هناك أولوية يجب أن تسبقها ، وهى تأكيد وحدة الثورة العراقية ، وتدعيم مسيرتها نحو أهدافها .

وبدا « عبد الكريم قاسم » وكأن كل ما يعنيه هو تدعيم سلطته الشخصية بحيث ينفرد وحده بالسلطة فى العراق ، وقد اختار لنفسه فى ذلك الوقت لقب « **الزعيم الأوحد** » ، وأدى ذلك الوضع إلى مضاعفات سيئة على القمة العراقية . وبعث « جمال عبد الناصر » فى ذلك الوقت برسالة إلى « عبد الكريم قاسم » يطمئنه فيها إلى أن

الجمهورية العربية المتحدة ليس لها حزب ، وليس لها رجال يحسبون عليها فى بغداد ، وأن كل ما يهمها هو تثبيت الحكم الوطنى فى بغداد ، وتدعيم قوته . ورد « عبد الكريم قاسم » شفويا بما مؤداه أن مشكلته هى أن « عبد السلام عارف » ينسب الثورة لنفسه لأنه هو الذى قام بتنفيذها فى بغداد فى الوقت الذى كان هو (عبد الكريم قاسم) لا يزال بعد خارج العاصمة ، وأن كون « عبد السلام عارف » هو الذى قام بالتنفيذ لا ينفى حقيقة أنه هو (عبد الكريم قاسم) القائد الحقيقى للثورة .

وبعد أقل من شهرين اثنين من قيام الثورة ، أى فى يوم ٥ سبتمبر ١٩٥٨ جرت حادثة تثير الدهشة فى بغداد . كان مجلس الوزراء العراقى مجتمعا ، وكان « عبد الكريم قاسم » يرأس اجتماعه وكان إلى جانبه « عبد السلام عارف » نائبه ونائب القائد العام للقوات المسلحة . وفى وسط الاجتماع استأذن « عبد الكريم قاسم » وخرج وغاب لمدة نصف ساعة ، ثم عاد إلى قاعة الاجتماع مرة أخرى ، واتصلت أعمال المجلس إلى منتصف الليل ، ثم انفض الاجتماع . وانصرف « عبد السلام عارف » مع غيره من أعضاء مجلس الوزراء متوجها إلى سيارته ، **وإذا بسائق السيارة يسأله مندهشا عما حدث « لأن إذاعة بغداد اعلنت قبل ساعة انك أعفيت من منصب النائب العام للقوات المسلحة » ؟ وذهل « عبد السلام عارف » ولم يركب سيارته ، وإنما عاد إلى مبنى المجلس حيث وجد « عبد الكريم قاسم » يتحدث مع بعض الوزراء . وساله « عبد السلام عارف » امامهم جميعا عن النبأ ، وإذا بـ « عبد الكريم قاسم » يبكى بالدموع ، ويقول لـ « عبد السلام عارف » إنه غلب على أمره ، وان قواد الفرق الأربعة فى الجيش العراقى اجتمعوا وقرروا ضرورة تنحية « عبد السلام عارف » ، وانه هو (عبد الكريم قاسم) توسل إليهم لكى يعدلوا عن قرارهم ولكنهم صمموا عليه ، وتحت ضغطهم لم يكن امامه مفر من ان يوافق ، ثم كان لابد أن يذاع النبأ ، وان هذا كله حدث فى الفترة التى خرج هو (عبد الكريم قاسم) فيها من الاجتماع ثم عاد إليه بعدها . وساله عبد السلام عارف « لماذا لم يقل له بعد أن عاد إلى قاعة الاجتماع ولماذا لم يخطر المجلس بما حدث ؟ » وكان رد عبد الكريم قاسم « ان قلبه لم يطاوعه » .**

ولم تمض غير أيام قليلة حتى طلب « قاسم » من « عارف » أن يغادر العراق إلى أوروبا لبعض الوقت « حتى يستطيع تهدئة الأمور » . وسافر « عبد السلام عارف » ثم عاد بعد أسبوع ، فإذا هو يعتقل فى مطار بغداد ، ويوضع فى السجن . وبدأ « عبد الكريم قاسم » بعدها يلمح فى مجالسه إلى أن « عبد السلام عارف » كان يريد أن يفرض عليه أوضاعا لا يريدها ، وأن لديه الوثائق التى تثبت ذلك . وذهب بعض الوزراء القوميين ، وفى مقدمتهم الأستاذ « صديق شنشل » يستفسرون من

« عبد الكريم قاسم » عن أسباب ما فعل . **وقال لهم إن السفير البريطانى السير « مايكل رايت » ابلغه خمس مرات ، بان ياخذ حذره من « عبد السلام عارف » . ثم إن « عبد القادر اسماعيل » زعيم الحزب الشيوعى العراقى ذكر له أيضا أن « عبد السلام عارف » يتامر مع بعض الضباط على عزله ، والمناداة بوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة » . بل إن بعض الوزراء من الجمهورية العربية المتحدة من العسكريين السوريين حذروه من أن المصير الذى يعد له هو أن « يصبح المواطن الثانى فى الجمهورية العربية المتحدة ، كما أصبح « شكرى القوتلى » المواطن الأول فيها »**[1] ، بل إنهم حذروه من المصير الذى « انتهوا هم أنفسهم إليه ، فقد وجدوا أنفسهم بعد الوحدة وزراء بلا قوة سياسية فى حين انهم كانوا وهم ضباط فى الجيش أصحاب القوة السياسية كلها »[2] .

وعندما وصل هذا كله إلى القاهرة كان همها الأول ليس أن تدافع عن احد ، وإنما أن تؤكد لعبد الكريم قاسم أن ما يفكر فيه هو أبعد الأشياء عن نواياها . ووقف « جمال عبد الناصر » فى خطاب عام يقول : « **إن عبد الكريم قاسم هو قائد ثورة** العراق وزعيمها ، وإن القومية العربية ، والوحدة العربية يتحققان تماما بالتضامن المخلص والصادق » . لكن وساوس « عبد الكريم قاسم » ظلت تحكمه ، وكانت بالتأكيد تناسب مزاجه النفسى .

☐

وذهب بعض الوزراء القوميين إلى « عبد الكريم قاسم » وقالوا له إن « جمال عبد الناصر » أعلن عن نواياه ، وأنه على وجه التأكيد لا يطلب ولا يريد وحدة لسنوات طويلة مع العراق . وقال « عبد الكريم قاسم » إن لديه وثيقة تثبت العكس ، وأبرز لهم من درج مكتبه ورقة تحوى برقية صحفية حاول صحفى أمريكى أن يبعث بها إلى جريدته فى نيويورك . وكان النص العربى للبرقية يقول :

« يتزايد الشعور بالفزع هنا من احتمال قيام انقلاب او ثورة اخرى فى العراق . وقد علمت من اوثق المصادر ان ناصر يؤيد الاتجاه المعارض لقاسم ، وقد ايدت المخابرات الأمريكية والبريطانية ذلك . وتملك سفارة الولايات المتحدة ادلة قاطعة على ان المصريين يساندون الثائر القديم « رشيد على الكيلانى »[3] بالمال والسلاح ضد قاسم ..... »

(١) كان « شكرى القوتلى » بعد زوال صفته الرئاسية بقيام دولة الوحدة قد منح لقب « المواطن الاول » فى الجمهورية العربية المتحدة .

(٢) ذكر اللواء عبد الكريم قاسم اسم السيد امين النفورى على انه الرجل الذى تطوع له بهذه النصيحة !

(٣) كان من ابرز زعماء العراق فى العصر الحديث ، وقد تولى رئاسة الوزارة اكثر من مرة ، وقاد ثورة سنة ١٩٤١ فى العراق . وكانت ثورة ١٤ يوليو فى العراق بعد قيامها قد اعتبرته بطلا قوميا ، ومنحته ارفع الاوسمة .

ثم مضت البرقية على هذا النحو .

وفوجىء الذين كانوا يتحدثون مع « قاسم » بهذا الدليل الواهى ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وقال أحدهم لـ « قاسم » إنه « من الواضح أن هذه البرقية موحى بها من السفارة البريطانية ، أو السفارة الأمريكية ، أو أنها على وجه التأكيد موجهة لأعصابه أكثر مما هى موجهة إلى قراء صحيفة هذا المراسل فى نيويورك » . ثم كانت مفاجأتهم أكثر عندما علموا من « عبد الكريم قاسم » أنه بناء عليها أصدر أمرا بالقبض على « رشيد على الكيلانى » . وعندما تبدت دهشتهم قال لهم « قاسم » إن لديه ما هو أكثر ، فلقد جاءه السفير البريطانى السير « مايكل رايت »[٤] فى الساعة الثانية صباح اليوم (٦ ديسمبر ١٩٥٨) وقابله فى وزارة الدفاع ، وأبلغه برسالة عاجلة من لندن نصها : « **إن المخابرات البريطانية وصلتها معلومات تؤكد أن رشيد على الكيلانى يدبر لانقلاب ، وانه يتصل ببعض الضباط فى الجيش ، وأن مالا وسلاحا قد وضعا تحت تصرفه ليقوم بانقلاب يفتح الطريق لانضمام العراق فى وحدة ، أو اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة** » .

وكانت الدهشة تستبد بالجالسين معه ، ولم يجد ما يقوله سوى أن يعلق بقوله : « **لقد تبين لى أن ما يسمى بثورة رشيد على الكيلانى كان خيانة كبرى لمصلحة الاستعماريين والصهاينة** » . واحتد أحد الوزراء ، وقال لـ « عبد الكريم قاسم » إنه « **يستهول صدور هذا الكلام منه عن رشيد على الكيلانى ، وإذا كانت ثورة رشيد على الكيلانى التى حاربت الانجليز عميلة للاستعمار ، فماذا نقول عن احوالنا الراهنة ، ونحن حتى الآن لم نخرج من حلف بغداد ، ولا استطعنا إخراج الانجليز من قاعدة الحبانية . ثم تستمع انت الآن لدسائس السفير البريطانى مايكل رايت الذى كان موجودا فى العصر الملكى** » . ورد « عبد الكريم قاسم » بأن السير « مايكل رايت » **سوف يغادر العراق قريبا ، وقد عرض عليه عند لقائه أمس اسم السفير المرشح لكى يخلفه ، وهو السير « همفرى تريفيليان »** (الذى كان سفيرا لبريطانيا فى مصر حتى معركة السويس) **وهذا معناه أن الانجليز يراقبون النشاط المصرى ، ويتوقعون منه شرا فى العراق** .

□

وعندما وصل هذا كله إلى القاهرة دعا « جمال عبد الناصر » سفير العراق فى

(٤) تقارير السفير المصرى فى بغداد السيد « امين هويدى » حافلة بالوقائع والتفاصيل ، وكذلك تقارير السيد « عبد المجيد فريد » الملحق العسكرى فى بغداد يومئذ ، والجزء الاكبر من اصول هذه التقارير موجود الآن فى جهة واحدة ، وهى ارشيف هيئة المخابرات العامة .

القاهرة السيد « **فائق السامرائى** » **إلى مقابلته** . وابلغه رسالة[٥] منه طلب إليه ان يبعث بها إلى « عبد الكريم قاسم » . وكان مضمونها « **ان هناك محاولة لخلق خلاف لا مبرر له بين جمهورية العراق ، والجمهورية العربية المتحدة ، وهى فى الحقيقة عملية مقصود بها عزل العراق** . وأن **الرئيس جمال عبد الناصر لا يستطيع ان يراقب ما يجرى الآن ويكتفى بمتابعته والسكوت عليه ، وانه يفكر طويلا فيما يمكن عمله ، وهو لا يجد وسيلة غير أن يحاول بنفسه لقاء الرئيس عبد الكريم قاسم ليحدثه بكل ما فى قلبه . والرئيس على استعداد لان يذهب إلى بغداد إذا أراد عبد الكريم قاسم ذلك . وهو على استعداد للقائه والترحيب به فى دمشق أو القاهرة إذا رغب فى ذلك ، وستكون فرصة له ان يلمس بنفسه تقديرنا له ، واعتزازنا بثورة العراق . وإذا لم يكن يريد إتمام الاجتماع فى بغداد ، أو فى دمشق ، أو فى القاهرة ، فليكن اللقاء فى اى بقعة يختارها على الحدود العراقية السورية** » . ولم يتلق « فائق السامرائى » ردا على الرسالة ، وإن كانت التطورات فى العراق قد بدأت تتكفل بتقديم الرد .

بدأت حملات اعتقالات واسعة بين الضباط العراقيين . فقد اعتقل كل هؤلاء الذين عرفت عنهم توجهاتهم العربية الخالصة ، وبينهم معظم الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة ١٤ يوليو ، كما جرت اعتقالات لأعداد كبيرة من المدنيين المهتمين بالشؤون العامة ، وبينهم أعضاء كثيرون من حزب البعث العربى الاشتراكى . وجرت استقالات بالجملة من الوزراء القوميين ، وبينهم الأستاذ « صديق شنشل » وزير الارشاد ، والسيد « ناجى طالب » وزير الشؤون الاجتماعية ، والدكتور « عبد الجبار جومرد » وزير الخارجية ، والسيد « بابا على الشيخ محمود » وزير المواصلات والأشغال ، والدكتور « محمد صالح محمود » وزير الصحة ، والأستاذ « حسين جميل » . ثم لحق بهم فى تقديم استقالته السيد « فائق السامرائى » سفير العراق فى القاهرة .

ثم أعلن « عبد الكريم قاسم » ذات صباح أن الثورة فى خطر ، وأنه يرى تأليف جيش للمقاومة الشعبية يتولى حمايتها . وكان هذا يخلق وضعا خطيرا لأنه ينطوى على تشكيك فى الجيش ، وبالفعل فإن عددا من الضباط توجهوا إلى مقابلة « عبد الكريم قاسم » وشرحوا له محاذير وجود جيش شعبى مسلح فى مواجهة جيش وطنى منظم .

(٥) كتب السيد فائق السامرائى خطابا لعبد الكريم قاسم يتضمن رسالة جمال عبد الناصر ، وبعث بنسخة منه إلى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر لكى يتاكد من انها موافقة تماما لما سمع ، والنص هنا منقول عنها ، واصله موجود فى ارشيف منشية البكرى فى ملف يحمل عنوانه « السيد فائق السامرائى ـ مراسلات شؤون عربية ـ رقم ٣١٤٥ ب » .

وبدا واضحا من تعاقب الحوادث ان الحزب الشيوعى الذى استطاع اختراق الجيش بتجنيد اعداد محدودة من الضباط قد وجد فرصته فى الجيش الشعبى ، حتى وصل إلى السيطرة شبه الكاملة عليه .

وراح الجيش الشعبى يرتكب حماقات وجرائم لا حدود لها ، فقد أعطى نفسه حق القبض على الناس ، وحق تفتيش البيوت والمكاتب ،وحق عقد المحاكمات الشعبية على الآراء والأقوال ، حتى وإن كانت فى مجالس خاصة . وقد وصف السيد « فائق السامرائى » فى كتاب استقالته أحوال العراق بقوله فى نصها : « **إن ما يجرى فى العراق لا يمكن إلا أن يكون تمهيدا لاعلان حكم شيوعى مطلق ، وأنه يريد أن يكون سفيرا لحكومة تحترم نفسها ويحترمها الناس ، ويرفض أن يكون سفيرا لعصابة حمراء فى طريقها إلى السيطرة على العراق** » .

□

كان كل ما استطاعت دسائس الغرب وسفراؤه فى بغداد تحقيقه فى العراق هو دفع « عبد الكريم قاسم » إلى أحضان الأحزاب الشيوعية . ويبدو أن ذلك لم يكن يهمهم فى قليل او كثير ، لأن العدو الرئيسى كان لا يزال متمثلا فى الحركة القومية العربية التى يمكن أن تشكل فى الشرق الأوسط حاجزا قويا ضد مطامع السيطرة الغربية .

وابتداء من أواخر ١٩٥٨ بدأ « جمال عبد الناصر » يلمح فى خطاباته العلنية إلى مخاطر سيطرة الشيوعيين على بغداد ، ويرى فيها تهديدا على الفكرة العربية لا يخدم غير مصالح الاستعمار . ولفتت هذه المواقف نظر « ايزنهاور » فيما يبدو ، فقد كتب فى يومياته يوم ١٢ ديسمبر يقول :

« يبدو ان الأمور تتوتر بين ناصر وبين الشيوعيين ، ولكنى اتساءل عما إذا كان يملك حرية وقدرة التصرف على مواجهة عملاء الاتحاد السوفيتى ، بنفس الدرجة من القوة التى حارب بها أصدقاءنا فى المنطقة . ليس امامنا غير أن ننتظر لنرى » .

ثم ظهرت مخاوف « ايزنهاور » من الوضع فى الشرق الأوسط عموما بطريقة أوضح عندما بدأ يتلقى التقارير عن تغلغل الشيوعيين فى بغداد . ثم أقلقه أن زعماء حزب « تودة » (الحزب الشيوعى الايرانى) بدأوا يظهرون فى العاصمة العراقية جنبا إلى جنب مع زعماء الأحزاب الشيوعية العربية ، وعلى رأسهم جميعا « خالد بكداش » . ثم تزايد شعوره بالقلق على إيران .

وقرر « ايزنهاور » أن يبعث بـ « ويليام راونترى » مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط إلى المنطقة لكى يتحرى الأمور على الطبيعة . وسافر

« راونترى » وعاد ليشترك فى اجتماع لمجلس الأمن القومى ، ثم يقابل الرئيس « ايزنهاور » بعد الاجتماع فى الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق صباح يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ ، وقد حضر مقابلته مع الرئيس كل من نائب الرئيس « ريتشارد نيكسون » ووزير الخارجية الجديد « كريستيان هيرتر »[٦] . وتحتوى مجموعة اوراق « ايزنهاور » على مذكرة[٧] عن هذا الاجتماع وقع عليها الميجور « جون ايزنهاور » ابن الرئيس « ايزنهاور » وكان قد انتدبه للعمل فى مكتبه فى البيت الأبيض . وقد جاء فيها بالنص :

« قال المستر راونترى إنه احتفظ ببعض تفاصيل اجتماعه مع ناصر ، ولم يعرضها فى الاجتماع العام لمجلس الأمن القومى بسبب دقة التفاصيل . وبصفة عامة فإن حديثه مع ناصر كان مشجعا ، وقد برز فيه ما يلى :

(أ) إن ناصر يبدى قلقا حقيقيا إزاء التغلغل الشيوعى فى الشرق الأوسط .

(ب) إن ناصر قضى جزءا طويلا من المقابلة فى شرح اخطاء الولايات المتحدة فى التعامل مع الشرق الأوسط .

(جـ) إن ناصر كان شديد التاثر باستجابتنا السريعة لما طلبه من الحبوب بموجب القانون ٤٨٠ ، وقد ابدى تقديره بحقيقة ان وزارة الخارجية ابلغته بالموافقة على طلبه خلال اربع وعشرين ساعة من تقديمه .

(د) إن ناصر قرر العمل فى العراق ، فهو يرفض النفوذ الشيوعى المتزايد على قاسم ، ويدهشه ان قاسم يرفض الالتقاء به .

(هـ) يعتقد المستر راونترى بان فى وسعنا الاطمئنان إلى ان ناصر قادر على مواجهة التغلغل الشيوعى فى العراق ، وقد استشهد براى سمعه من السفير الأمريكى ريموند هير فى القاهرة يفيد ان حرص ناصر على عدم الانحياز فى توجهاته القومية العربية ، واعتزازه باستقلالها يجعل منه قوة قادرة على الوقوف فى وجه السيطرة الشيوعية فى العراق ، ولكن ناصر سوف يحاذر فى اندفاعه لانه لا يزال يرى الخطر الأكبر على القومية العربية من المصدر الاسرائيلى .

وعندئذ قال الرئيس (ايزنهاور) « هل يعنى ذلك ان ناصر يريد منا ان ندفع له على حساب إسرائيل ثمنا لمقاومته للشيوعية فى العراق ؟ » واعترف المستر راونترى بانه اشار إلى هذا عدة مرات باعتباره مشكلة خطيرة ، ولكنه كان ينحى الموضوع جانبا دون ان يوصى بإجراء معين .

---

(٦) كان « جون فوستر دالاس » قد تعلل بسوء حالته الصحية وقدم استقالته ، وقبلها الرئيس « ايزنهاور » قبل ذلك بعدة أسابيع . والحقيقة انه استقال بسبب فشل كل سياساته فى الشرق الأوسط .

(٧) مذكرة عن مقابلة « ويليام راونترى » مع الرئيس بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ وهى بتوقيع الميجور « جون ايزنهاور » .

وابدى الرئيس رايا ملخصه ..... (فقرة محذوفة) . وعلى اى حال فإن فى وسع ناصر ان يتصدى للشيوعيين بأفضل مما تستطيع الولايات المتحدة . وابدى مخاوفه من ان يطلب ناصر منا ان نتخذ مواقف معادية لاسرائيل .

.... (فقرة محذوفة) .

ثم عاد المستر راونترى إلى موضوع العراق ، وقال إن احتمالات الوحدة بينه وبين الجمهورية العربية المتحدة غير واردة ، وفى رايه ان لدى ناصر من المشكلات ما يكفى فى سوريا . ثم اشار إلى ان هناك ثلاث مجموعات رئيسية فى العراق هى : الشيوعيون ـ القوميون الممالئون لقاسم ـ وثالثا القوميون الذين يريدون الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .

وقال المستر راونترى إن جهد المجموعات القومية هو الذى يستطيع ان يقاوم التغلغل الشيوعى .... (عبارة محذوفة) . وقد توجه نائب الرئيس (نيكسون) بسؤال إلى المستر راونترى عما إذا كان يمكن التوفيق بين ناصر وبورقيبة ؟ ورد راونترى على هذا بقوله : « إن ناصر مقتنع اقتناعا كاملا بان بورقيبة يعمل لحسابنا ، واننا طلبنا منه دخول الجامعة العربية لكى يقوم بمهمة إغراق السفينة ، ولا اظن ان ناصر مستعد لان يتزحزح عن رايه . »

٢

وفى شهر فبراير ١٩٥٩ انعقد فى موسكو المؤتمر الواحد والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى ، ودعيت كل الأحزاب الشيوعية العربية إلى المشاركة فى احتفالات المؤتمر ، وكان ذلك شيئا مألوفا ، ولكن الذى بدا خارجا عن المألوف هو أن زعماء الأحزاب الشيوعية العرب ، وعلى رأسهم « خالد بكداش » أعطوا أماكن متميزة فى قاعة المؤتمر ، كما تهيأت لهم الفرصة لكى يلقوا بخطابات من على منصاته جاءت حافلة بالهجوم على الجمهورية العربية المتحدة لأنها تحل الأحزاب الشيوعية العربية كتنظيمات ، كما أنها تعادى الشيوعية كعقيدة ، وإلى جانب ذلك ، فإنها تطاردهم إلى داخل العراق ، وتحرض عليهم وتحاصر نشاطهم الديمقراطى ، وأن هذا كله يضع حكامها فى صف « الفاشست » و « الهتلريين » . كذلك بدا غير مألوف أن الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » دعا « خالد بكداش » إلى الوقوف بجواره على منصة

المؤتمر حيث التقطت لهما صور تذكارية نشرت إحداها بجريدة « برافدا » . وكان معنى هذا بوضوح فى القاهرة ودمشق أن القيادة السوفيتية ممثلة فى « خروشوف » قد وجدت أن الفرصة مناسبة لكى تقف علنا مع الشيوعيين العرب .

ولم تكن هذه مفاجأة كاملة ، فقد بدا للقاهرة ودمشق من الأيام المبكرة لثورة العراق أن القيادة السوفيتية تتصور ـ بكل هذا الحشد من الشيوعيين العرب الذين تسابقوا إلى بغداد بعد الثورة ـ أن أمامها فى العراق جائزة كبرى تستطيع أن تحصل عليها ، وأن تعوض بها ما فاتها تحقيقه فى مواقع أخرى من قبل .

ويبدو أن الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » كان يقدر أن احتياج الجمهورية العربية المتحدة للسلاح السوفيتى ، ولتمويل السد العالى سوف يكون قيدا على حركتها . وأضيف إلى ذلك أيضا أن القاهرة كانت قد وضعت لنفسها برنامجا نوويا طويل المدى ، وكانت الخطوة الأولى فيه هى إقامة مفاعل نووى . وقد فوتح الاتحاد السوفيتى فى إمكانية بيعه إلى مصر ، وأبدى استعدادا طيبا لبحث الموضوع . ومن مجمل هذه العوامل قدر « خروشوف » أنه يستطيع أن يعطى تشجيعه العلنى للشيوعيين العرب مطمئنا إلى وجود موانع موضوعية تمسك بأية محاولة للرد على تشجيعه .

وكان « جمال عبد الناصر » قد أحس مبكرا أن « خروشوف » يتحفز إلى تأييد الشيوعيين العرب ، خصوصا وأن عددا من الأحزاب الشيوعية خاصة فى الصين وألبانيا ، كانت تتهمه بأنه يقف مع البورجوازية العربية ضد الطبقة الكادحة العربية ، بسبب مطالب الاتحاد السوفيتى باعتباره واحدة من القوتين الأعظم ، بصرف النظر عن العقائد وأصحابها . وكان الموقف الذى يستغل ضده باستمرار هو تخليه عن الشيوعيين العرب .

وعندما كان « جمال عبد الناصر » يقوم بزيارته الرسمية لموسكو فى ابريل ١٩٥٨ فإنه من جانبه فتح هذا الموضوع مع « خروشوف » وكان يشعر انه فى حاجة إلى شرح وجهة نظره إلى القيادة السوفيتية بعد كل ما جرى فى سوريا . وفى ذلك الوقت حاول « خروشوف » مناقشة مواقف الشيوعيين العرب ، ولكنه فى النهاية أبدى تفهمه ، خصوصا عندما قال له « جمال عبد الناصر » إن المحتوى الحضارى لفكرة القومية العربية هو محتوى إسلامى ، كما أن الشعوب العربية متمسكة بأديانها ، وأن أية دعاوى تتجه إلى الالحاد لا مستقبل لها على الاطلاق فى العالم العربى .

وفى شهر سبتمبر ١٩٥٨ وكان السيد « محيى الدينوف » عضو المكتب السياسى يقوم بزيارة لمصر ، وكان الخلاف مع الشيوعيين قد بدأ مع محاولتهم لبسط نفوذهم فى

بغداد والانتهاء بالسيطرة عليها ـ أعاد « جمال عبد الناصر » شرح موقفه ، وقال إنه يخشى أن يؤدى ذلك إلى الاساءة للعلاقات العربية السوفيتية ، وانه يتمنى لو استطاع الطرفان بحكمة أن يتجنبا التورط فى نزاع لن يستفيد منه غير الاستعمار .

وبعد عودة « محيى الدينوف » بأيام إلى موسكو تلقى « جمال عبد الناصر » خطابا شخصيا من « نيكيتا خروشوف » كان نصه[8] كما يلى :

« عزيزى الرئيس جمال :

استمعت توا بكثير من الارتياح إلى الرفيق محيى الدينوف الذى حدثنا عن زيارته لمصر وعن محادثاته معكم ، ومع المشير عامر ، وغيره من اصدقائكم . ومن الواضح ان الرفيق محيى الدينوف مفتون بكم ، فلم يعد له من حديث إلا عن الجمهورية العربية المتحدة ، وقد تاثر إلى ابعد حد بكل ما رآه وسمعه فى بلدكم .

واعترف باننى كنت استمع إليه بسرور بالغ ، وبشىء من الحسد . وهو حسد مفهوم بطبيعة الحال ، فإن ظروفى لم تسمح لى للأسف بزيارتكم قبل محيى الدينوف . ثم خطرت لى فكرة اود ان اعرضها عليك : اليس الوقت الحالى مناسبا لكم للوفاء بوعدكم بالحصول على فترة من الراحة على شاطىء البحر الاسود سواء فى القرم ، او على ساحل القوقاز؟ إذا كان ذلك يناسبك الآن ، فسيكون من دواعى سعادتى ان القاك ، وان نقضى فترة الراحة معا . ففى عزمى ان انتقل هذه الايام من القرم إلى الساحل فى القوقاز حيث الجو اكثر دفئا . فإذا رغبت فى ذلك وسمحت ظروفك ، فإنى ادعوك للحضور إلينا مع اسرتك واصدقائك ، وجميع من تريد ان يحضروا معكم . وقد لاحظ محيى الدينوف الذى يكن لكم مشاعر الصداقة الاخوية انكم تعملون بلا هوادة غير مبالين بصحتكم ، وانكم فى اشد الحاجة إلى الراحة . إن كل من يعمل بإخلاص يحتاج إلى الراحة ويستحقها . وانت كسبت الحق فى هذه الراحة بشرف .

وإنى اسمح لنفسى بان اتوجه إليكم الآن بهذا الاقتراح لانى عندما تحدثت معكم آخر مرة ، ودعوتكم لقضاء فترة من الراحة مع اسرتكم فى بلدنا كانت إجابتكم ان الوضع ملتهب بدرجة تجعل من غير المستصوب ان تغادروا بلدكم . وكانت الاعتبارات التى رايتموها صحيحة فى ذلك الحين . اما الآن فلم يعد لتلك الاعتبارات وجود ، وهو امر يسعدنا جميعا . فالامبرياليون اعداء السلام قد منوا بهزيمة جديدة فى الشرق الأدنى ، وكان عليهم ان يبتلعوا دواء مرا تمثل فى ثورة العراق التى ترتب عليها اتساع جبهة التحرر الوطنى المناهضة للامبريالية والاستعمار .

وفى تقديرنا ان الوضع الدولى يتطور الآن لصالح البلدان المناضلة من اجل السلام والاستقلال الوطنى ، وذلك من دواعى غبطتنا وغبطتكم .

(...) النص الكامل للخطاب موجود فى ارشيف منشية البكرى فى الجزء الثالث من مجموعة ملفات مكونة من ...ية اجزاء عنوانها « مراسلات مع القادة السوفيت » ، وقد ارسلت نسخة من هذا الخطاب إلى كل من وزارة ...ارجية ، والقيادة العامة للقوات المسلحة .

ولن اثقل عليك بالحديث فى هذه المسائل تفصيلا ، وإن كنت امل ان التقى بك فى المستقبل القريب ، كى نتحدث فى جميع القضايا التى نرى مناقشتها . ومن الواضح ان لديك الكثير منها ، كما ان لدينا من ناحيتنا ما نود ان نناقشه معك .

وارجو ان تتقبل الشكر الصادق على الاستقبال الودى الحار الذى لقيه مبعوثنا محيى الدينوف منكم شخصيا ، ومن رجال دولتكم ، واسمح لى ايضا ان اعبر عن الامتنان القلبى للتمنيات الطيبة والتحيات التى بعثتم بها عن طريق الرفيق محيى الدينوف لشخصى ، ولزملائى ، وللشعب السوفيتى .

وإنى لأشد على يدك ـ مع فائق الاحترام .

نيكيتا خروشوف »

وأدرك « جمال عبد الناصر » من العبارات الأخيرة فى هذا الخطاب أن موضوع الشيوعيين العرب يلح على « خروشوف » وأن هذا الموضوع بالذات هو الموضوع الذى يود خروشوف أن يناقشه معه ، كما ورد فى هذه الفقرة من خطابه .

وفى شهر أكتوبر كان « عبد الحكيم عامر » على موعد لزيارة موسكو لبحث المرحلة الأولى من السد العالى ، ولجس النبض فى احتمال حصول مصر على مفاعل نووى من الاتحاد السوفيتى ، كما أنه كانت هناك صفقة أسلحة متطورة جديدة لابد من التفاوض عليها . وحمل « عبد الحكيم عامر » معه إلى موسكو ردا من « جمال عبد الناصر » على خطاب « خروشوف » جاء فيه قول « جمال عبد الناصر » إنه « **فى الوقت الراهن لا يستطيع السفر خارج الجمهورية العربية المتحدة ، وانه يسعده أن يعزز له دعوته السابقة لزيارة مصر ، وأن جو مصر فى هذه الفترة أكثر دفئا من سواحل القوقاز** » . وعاد « عبد الحكيم عامر » من موسكو ، وقد أجيب إلى كل ما طلب ، وحمله « خروشوف » خطابا مكتوبا منه إلى « جمال عبد الناصر » قال فى الفقرة الأخيرة منه : « **إنى أقبل مع عظيم الامتنان دعوتكم ، وأود صادقا أن أقوم بهذه الرحلة فى المستقبل القريب إلا أن اقتراب موعد المؤتمر الواحد والعشرين للحزب يمنعنى من تحقيق هذه الرغبة فى الوقت الحاضر** » .

ورد « جمال عبد الناصر » على خطاب « خروشوف » بخطاب كتب مسودته بخط يده[9] .

□

وجاء المؤتمر الواحد والعشرون للحزب ، وبدأت الوفود المدعوة تصل إلى

(٩) صورة من مسودة الخطاب بخط « جمال عبد الناصر » منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب صفحة ٨٦٢ تحت رقم ٣٠ .

موسكو ، وفى مقدمتها الأحزاب الشيوعية العربية . وكالعادة ، فإن عددا من زعماء هذه الوفود كتبوا ـ ونشرت لهم صحيفة « برافدا » وغيرها مقالات فى تهنئة الحزب السوفيتى بمؤتمره الواحد والعشرين . وكان « خالد بكداش » واحدا من الذين نشرت الصحف السوفيتية مقالاتهم ، **ولوحظ أن مقال « بكداش » تضمن تعريضا بالجمهورية العربية المتحدة ، وبسياساتها فى معاداة الشيوعية ، وأن هذا فى رايه عداء للديمقراطية نفسها ، وللتقدم الاجتماعى . ثم تناثرت فى بعض الصحف السوفيتية تعليقات على كتابات الشيوعيين العرب ، وكلها تؤيد وجهة نظرهم ، وتطالب بفتح الطريق امامهم لكى يمارسوا نشاطهم الديمقراطى والاجتماعى بغير قيود .**

وقبل انعقاد المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى بيومين ، كان السفير السوفيتى فى القاهرة « ديمترى كيسيليف » على موعد مع الرئيس « جمال عبد الناصر » لكى يستأذنه فى السفر إلى موسكو لحضور المؤتمر بوصفه عضوا فى مجلس السوفيت الأعلى . وانتهز « جمال عبد الناصر » هذه الفرصة لكى يتحدث إلى السفير بأقصى قدر من الصراحة طالبا منه أن ينقل كلامه إلى « خروشوف » ، وقال « جمال عبد الناصر »[١٠] :

« إننى آثرت ان اتحدث إليك شفويا ولا اضع ما سوف اقوله لك على ورق فى خطاب مكتوب للرئيس خروشوف ، لأن الموضوع الذى اريد ان اكلمك فيه حساس ، وانا اريد علاجه بغير الطريق الرسمى . إننى والحكومة فى الجمهورية العربية المتحدة نشعر بالقلق إزاء بعض الظواهر التى تتبدى فى علاقاتنا هذه الأيام . فالمقالات التى يكتبها خالد بكداش وامثاله لا تهمنا ، فقد كانوا ينشرون مثلها واسوا فى الصحف العراقية ، وفى صحيفة الحزب الشيوعى اللبنانى فى بيروت . ولكن ظهور هذه المقالات الآن فى الصحف السوفيتية ، وبينها صحيفة « برافدا » ، وهى الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعى السوفيتى يثير لدينا شكوكا نفضل ان نطرحها عليكم مباشرة ، خصوصا وان الأمر لم يقتصر على كتابات الشيوعيين العرب ، وإنما اضيفت إليه تعليقات صدرت عن الصحف السوفيتية ذاتها . وانا لست مستعدا ان اقبل مقولة إن الصحافة عندكم حرة تنشر ما تشاء ، فانا اعرف من واقع الحال ان الأمور على عكس ذلك ، وان ما يصدر فى الصحف السوفيتية لا يمكن ان يتم إلا بموافقة سياسية رسمية ، وتعبيرا عن اتجاهاتها . لقد كنا نرفض مثل هذا من الغرب ، وحتى عندما كانوا يتعللون امامنا بحرية الصحافة فقد كنا لا نقبل

(١٠) طلب الرئيس قبل اجتماعه بالسفير تسجيل وقائعه ، وكان يطلب ذلك فى بعض المقابلات الهامة التى لا يشترك فيها غيره ويكون من الضرورى حفظ تفاصيلها لسجلات الدولة ، وقد جرى تفريغ هذا الشريط الذى تحدث فيه « جمال عبد الناصر » إلى « كيسيليف » باللغة الإنجليزية ، ووضع اصل التفريغ ضمن الملف الثالث من « مراسلات مع القادة السوفيت » فى ارشيف منشية البكرى ، وقد ارسلت نسخ منه إلى القيادة العامة للقوات المسلحة .

دعاويهم رغم اننا نعرف ان صحافتهم بالفعل لا تخضع بالضرورة ، أو بالكامل لمؤثرات الدولة فى بلادهم . وإذا صدقت ما ينشر فى الصحف السوفيتية ، وليس امامى غير ان اصدق ، فهذا معناه ان الاتحاد السوفيتى يغير سياسته الآن تجاه حركة التحرر الوطنى . واكثر من ذلك فإنه يتدخل فى صميم امورنا الداخلية .

وقد نكون مفرطين فى الحساسية ، وقد يكون هذا صحيحا ، فنحن بلاد لم تحصل على استقلالها إلا منذ سنوات معدودات ، وغيرتنا على هذا الاستقلال تجعلنا احيانا مفرطين فى سوء الظن باى كلمة نعتبرها ماسة به . ولهذا فانا اخشى ان نجد انفسنا مضطرين لأن نستنتج مما نقرا ما يلزم استنتاجه ، وهذا بدوره سوف يؤدى إلى ردود من جانبنا . وإذا كنتم تتصورون ان حاجتنا إلى السلاح ، ورغبتنا فى بناء السد العالى سوف تمنعنا من الرد ، فإنكم تقعون فى خطا كبير . ولو ان تلك طبيعتنا لما كان هناك داع لكل هذه المعارك التى دخلناها ضد القوى الاستعمارية والامبريالية . فنحن لم ندخل هذه المعارك لأننا نكن لهم كراهية خاصة ، وإنما دخلناها لأننا نحب استقلالنا وحريتنا . وإذا بدات ردود الأفعال من جانبنا ، ثم توالت من جانبكم ، فلست اعرف إلى اين تصل الأمور؟ »

كان « كيسيليف » يكتب ما يسمع ، ولم يقل شيئا غير إنه سوف ينقل ما سمع كاملا ، وأمينا إلى « خروشوف » .

□

وبعد يومين اتصل مستشار السفارة السوفيتية بمكتب الرئيس ، وأبلغ أن لديه رسالة مكتوبة من « خروشوف » إلى « جمال عبد الناصر » . ودعى مستشار السفارة لمقابلة السيد « على صبرى » وسلمه رسالة « خروشوف » باللغة الروسية ، ومعها ترجمة غير رسمية باللغة العربية ، وكان نصها كما يلى[١١] :

« عزيزى السيد الرئيس

فهمنا من حديثكم مع السفير السوفيتى قبل سفره إلى موسكو ، ومن غيره من الأحاديث ، بالاضافة إلى ما تنشره صحف الجمهورية العربية المتحدة ، ان الأحداث المعروفة التى وقعت مؤخرا ادت إلى قلق حكومة الجمهورية العربية المتحدة وقلقكم شخصيا ، بشان احتمالات تطور العلاقات بين بلدينا . كما اثيرت تساؤلات عن موقف الاتحاد السوفيتى من حركة التحرر الوطنى العربية ، وهل لم يطرا عليه تغيير . وفى راينا انه يجب ان يكون هناك وضوح كامل بيننا بشان هذه المسائل الهامة .

(١١) أصل الرسالة باللغة الروسية ، وترجمتها غير الرسمية باللغة العربية فى ارشيف منشية البكرى ضمن الملف الثالث من « مراسلات مع القادة السوفيت » . وقد آثرت نشر نصها كاملا فى متن الكتاب ، وليس ضمن ملاحقه الوثائقية لأنها ترسم الصورة كاملة ، وتملا ثغرات كثيرة من اسباب الخلاف العربى ـ السوفيتى .

تعرفون يا سيادة الرئيس انه قد قامت بين دولتينا علاقات طيبة . وكان لذلك دوره الكبير في الدفاع عن سلم بلدان الشرق وامنها . حدث ذلك مثلا في ايام السويس ، وفي الايام التي كانوا يعدون فيها للعدوان على سوريا . ففي وقتها تحرك بلدانا معا لصد الهجوم المشترك من جانب قوى المستعمرين على حرية الشعوب العربية ، تلك الحرية التي احرزتها بالكثير من الجهود والتضحيات . كما ان التعاون الوثيق بيننا ساعد على تقويض الوضع الاحتكاري الذي طال عليه الأمد لرؤوس الأموال الأجنبية في الحياة الاقتصادية لبلدان الشرق الأوسط . ونحن نشعر باغتباط صادق للنهضة التي يشهدها الاقتصاد الوطني لهذه البلدان .

وقد قام هذا التعاون المثمر رغم اننا نعتنق ، كما يعرف الجميع ، آراء ايديولوجية مختلفة . وعندما كنا نناقش المسائل المشتركة التي تجمع بيننا في النضال من اجل السلم ، وضد قوى الامبريالية والاستعمار ، كان من الطبيعي ان نسعى في الاتحاد السوفيتي إلى عدم التركيز على الخلافات الايديولوجية القائمة . لكنكم رايتم في بور سعيد ان هناك ضرورة لابداء رايكم في هذه المسائل ايضا . والزمنا ذلك بان نعبر عن راينا داخل مؤتمر حزبنا . ومن الواضح ان كلا منا بقي على رايه ، وليس في ذلك شيء غير متوقع .

وقد كانت الخلافات الايديولوجية قائمة بيننا من قبل ايضا . ومع ذلك استطاع بلدانا ان يتعاونا بنجاح ، على نحو ما نتعاون الآن مع بلدان كثيرة اخرى يختلف نظامها الاجتماعي عن نظامنا . وإذا نظر المرء إلى الوضع الحالي نظرة واقعية ، فمن السهل ان يرى ان من يعادون قيام العلاقات الودية بين الاتحاد السوفيتي ، والجمهورية العربية المتحدة يريدون الآن ان يستغلوا خلافاتنا الايديولوجية . فاعداؤنا المشتركون من المستعمرين يبحثون عن اى ثغرة ينفذون منها لدق اسفين بيننا ، ولافساد ما بيننا من علاقات طيبة .

ونحن نزيح جانبا كل ما تبلغنا به الدول الغربية من افتراءات ضد حكومة الجمهورية المتحدة ، واود ان اخبرك يا سيادة الرئيس مخلصا ، ان هذه الدسائس من جانب الامبرياليين لا يمكن ان تؤثر علينا او تغير موقفنا الودي من الجمهورية العربية المتحدة ، وان الدول الغربية لن تنجح في العثور على تلك الثغرات في ناحيتنا . ولذا فإنهم يبحثون عنها ، وسيستمرون في البحث عنها ، في الصحافة في المقام الأول ، خاصة وانهم يرون انكم فتحتم لهم الباب في ميدان الكفاح ضد « الشيوعية الدولية » . ولكننا نود ان ندع هذه المسالة جانبا ، فالجميع يعرفون جيدا ان الكفاح ضد الشيوعية دائر منذ مائة عام ، ولا شك في انكم تعرفون اية نتائج حققها هذا الكفاح حتى الآن . ولكني على اى حال لست بحاجة إلى الافاضة في هذا الموضوع .

ولما كنت اعرفكم كقائد سياسي منذ سنوات طويلة ، فإني اعرب عن الأمل في الا ينجح الامبرياليون في العثور على تلك الثغرة في ناحيتكم ايضا ، لكيلا يحبطوا وحدة شعوب بلدينا في النضال ضد الاستعمار . وهل هناك اى اساس لان يقال إن

الجمهورية العربية المتحدة ، وغيرها من الدول العربية ، لم تعد تتعرض للخطر من جانب الدول الامبريالية التي تعمل اليوم ، كما كانت تفعل في الماضي ، على شحذ خناجرها للاجهاز على حرية البلاد العربية واستقلالها ؟

هل يمكن تصور ان مهمة النهوض باقتصاد تلك الدول ، وهي مهمة صعبة ، والقضاء على الآثار المفزعة للاستعمار ، قد انجزت ، واصبحت من ذكريات الماضي ؟ هل يمكن القول بانه لم تعد هناك الآن ضرورة لوحدة القوى المناهضة للامبريالية من اجل إنجاز المهام المتعلقة بالنضال ضد الاستعمار ، والتي لا تقل اليوم تعقيدا عما كانت عليه بالأمس ، وفي مقدمتها ضرورة وحدة العمل بين دول الشرق المستقلة ، والاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الأخرى ؟

في اعتقادنا ان الوضع اليوم يتطلب ، على العكس ، تعزيز هذه الوحدة ، وتشديد حملتنا المشتركة على الاستعمار والامبريالية . واقول صراحة إن خطر قوى الامبريالية عليكم اليوم اكبر من خطرها علينا ، لأن الاتحاد السوفيتي وصل إلى درجة من التقدم تتيح له ان يدرج في خططه القومية اهدافا لا تقدر عليها حتى اكثر الدول الراسمالية تقدما من الناحية الاقتصادية في العالم . ولكننا لا نخفي ان من مصلحتنا ان تضعف القوى الاستعمارية ، فهي ليست عدوة لحركة التحرر الوطني في بلدان الشرق وحدها ، بل هي عدوة ايضا للدول الاشتراكية ، ولو كان ذلك لسبب واحد هو عداء تلك القوى للسلام .

ونحن نعرف جيدا ان الدوائر الحاكمة في الدول الغربية لا تتورع عن استخدام اية وسيلة للوقيعة بين الاتحاد السوفيتي ، والجمهورية العربية المتحدة . وفي مقدورهم ان يطلعوك على وثائق عن « انشطة الشيوعية العالمية » يكونون قد اصطنعوها بانفسهم ، فباعهم طويل في هذا الميدان ، وهم ينفقون عليه اموالا طائلة ، وفي الولايات المتحدة جيش كامل من الاخصائيين الذين يعملون لنشر المعلومات الكاذبة والمضللة بين الساسة ، والراى العام في مختلف البلدان . وهدفهم الأساسي من ذلك هو إفساد العلاقات بين الدول التي تقف سياستها السلمية عقبة في طريقهم ، وخاصة إذا إتصل الأمر بالعلاقات بين دول الشرق المستقلة ، والبلدان الاشتراكية . وإذا اعطاهم المرء اصبعا فلن يلبثوا ان يقطعوا الذراع كلها .

ونحن نعرف ان هناك انباء تنسب إلى مصادر يوجوسلافية نشرتها مؤخرا الصحف البريطانية والفرنسية عن محاولة دبرت للاعتداء على حياتكم ، وذكر في هذا الصدد تلميحا باسم الاتحاد السوفيتي . وهم بينما يلجاون إلى هذه الأكذوبة التي تهدف بوضوح إلى صرف انظاركم إلى اتجاه خاطيء ، لا يشيرون بحرف إلى ان محاولة الاعتداء على حياتكم كانت تعدها المخابرات الفرنسية والاسرائيلية ، وهم يعلمون بذلك .

وهم يقدمون إليكم معلومات عن « تغلغل النفوذ الشيوعي » في اليمن عن طريق الخبراء السوفيت ، تماما كما حاولوا إفزاع زعماء اليمن بالحديث عن ميول الرئيس

عبد الناصر ، المؤيدة للشيوعية ، . وبالحديث عن مهمة خاصة مزعومة قام بتنفيذها الخبراء السوفيت الذين دعتهم حكومة الجمهورية العربية المتحدة للمعاونة فى إقامة مختلف المشروعات .

وقد اثبتت التجربة ان عملاء الامبريالية يعملون فى الجانبين من اجل تحقيق اهدافهم الانانية القذرة ، ولما كانت الجمهورية العربية المتحدة (وانتم شخصيا بوصفكم قائدها) لا تزال تمثل قذى فى عين الامبريالية ، فإنهم يريدون بكل وسيلة ان يعزلوكم عن البلدان الأخرى المعادية للامبريالية حتى يتمكنوا من الانفراد بكم ، والقضاء عليكم فيما بعد .

اما نحن فى الاتحاد السوفيتى ، والحكومة السوفيتية فقد ايدناكم ونؤيدكم بإخلاص فى نضالكم العادل ضد الاستعمار ، ومن اجل استقلال الجمهورية العربية المتحدة وحقوقها المشروعة . وموقفنا منكم ومن البلد الذى تقودونه لا يتغير نتيجة لظروف سياسية مؤقتة عابرة ، او لأسباب عارضة .

ونحن شخصيا نعرفكم قائدا بارزا لحركة الشعوب العربية من اجل التحرر من نير الاستعمار . وقد كان لنضال الشعب المصرى والشعوب العربية الأخرى من اجل الاستقلال الوطنى ، والتحرر من النير الاستعمارى دوره الكبير فى النهضة العارمة لحركة التحرر الوطنى لشعوب آسيا وافريقيا . وقد حظى هذا النضال بالاحترام والعطف والتاييد العميق من جانب الشعب السوفيتى ، والشعوب الأخرى المحبة للسلام . وايدنا نحن هذا النضال بكل إخلاص فى الماضى ، ونؤيده فى الحاضر ، وسنؤيده فى المستقبل .

وقد تلقينا بارتياح ما ذكرته للسفير السوفيتى من ان حكومة الجمهورية العربية المتحدة لن تحيد عن سياسة الصداقة مع الاتحاد السوفيتى . ويسعدنى ان الاحظ ان التعاون الأخوى والروابط الاقتصادية والثقافية بين الاتحاد السوفيتى ، والجمهورية العربية المتحدة متينة وتزداد تطورا . ونحن من جانبنا عازمون على دعم هذه الروابط وتوسيعها رغم ما هو معروف بصفة عامة من ان الاتحاد السوفيتى وشعوبه يواجهان الآن مهام داخلية هائلة لتنمية الاقتصاد الاشتراكى ، وبناء الشيوعية .

وقد اتيحت لنا الفرصة فى اثناء وجودك فى موسكو لاجراء محادثات صريحة وحميمة ، تبادلنا فيها الآراء حول شتى الشؤون الدولية ، والأحوال الداخلية فى بلدينا . ولم نتردد فى توضيح ان من مصلحتنا ان تزداد الجمهورية العربية المتحدة قوة ، وان تتطور بروح جديدة شابة ، وان يتضاعف دورها كعنصر هام فى السلام والاستقرار والرخاء فى الشرق الأوسط .

وفى هذا الصدد ، لعلكم تذكرون انى اعربت ايضا عن اعتقادنا بانه حدث بعض التعجل فى الوحدة بين مصر وسوريا ، فلم تؤخذ فى الاعتبار بدرجة كافية جميع السمات الخاصة لكل من البلدين اللذين تجرى الوحدة بينهما . ولقد اعربنا عن

رأينا ، وحاولنا بإخلاص وبروح الود ، ان نساعد فى قضية بناء الدولة الجديدة ، ومنع ظهور صعوبات فى المستقبل . ويبدو لنا ان هذه الحقيقة لم تلق الاهتمام الكافى فى ذلك الحين . لكنكم الآن ترون ان ذلك التعجل ترتبت عليه نتائج غير سارة كان فى الوسع تجنبها . والخبرة التى اكتسبها عدد من الدول ، والاتحاد السوفيتى من بينها ، تثبت ان فى الوسع ازالة الأسباب المؤدية إلى ظهور مثل هذه الصعوبات ، وذلك بمراعاة السمات الخاصة بتطور كل من الاقليمين اللذين تتالف منهما الجمهورية العربية المتحدة .

اما عن الموقف من الشيوعيين فى الجمهورية العربية المتحدة ، فإن الاتحاد السوفيتى لم ولن يتدخل فى الشؤون الداخلية للجمهورية العربية المتحدة ، رغم انكم يا سيادة الرئيس ، عندما سلكتم سبيل التقارب بين بلدينا ، كنتم تعرفون طبعا اننا شيوعيون ، واننا لا يمكن ان نتعاطف مع سياسة الكفاح ضد الشيوعية ، فهى سياسة نعتبرها خاطئة تاريخيا ، ولا جدوى من ورائها . ولذا فليس فى هذا شىء جديد ، سواء من جانبكم او جانبنا .

وإنى اتفق معكم فيما اعربتم عنه من الأمل فى ان تزداد متانة العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة . واود ان اذكر فى الختام ان ما تضمنته هذه الرسالة من تعبير صريح عن رأينا ، إنما يهدف إلى زيادة التفاهم بيننا ، وتعزيز علاقاتنا الودية فى النضال المشترك ضد الاستعمار ، ومن اجل تدعيم السلام والأمن فى الشرقين الادنى والاوسط .

موسكو فى ١٩ فبراير ١٩٥٩ .

المخلص

ن . خروشوف »

٣

وهكذا فإنه عندما ظهرت صور زعماء الأحزاب الشيوعية العرب مع « خروشوف » ومع غيره من القادة السوفيت بدا الأمر خارجا عن المألوف ، بل وبدا منذرا بالشر لأن هذه الصور لم تلبث أن أعقبتها حفلات أقيمت تكريما للشيوعيين العرب ، وقد وقف « خروشوف » فى إحداها خطيبا ، وراح يهاجم سياسة الجمهورية العربية المتحدة علنا . وبدا الأمر وكأنه يقوم بحملة مركزة لتأييد الشيوعيين العرب

وتحريضهم ، ولم يكن هؤلاء فى حاجة إلى مزيد من التحريض ، **فقد أصبح صوتهم فى** بغداد أعلى الأصوات ، وبدأت المحاكمات الاستثنائية تصدر أحكام إعدام بالجملة على مئات من القادة الوطنيين ، وطالت حبال المشانق حتى التفت حول أعناق مئات من المدنيين ، كما أصبحت طوابير الاعدام رميا بالرصاص مصيرا يتربص كل يوم بمئات من العسكريين !

وعندما جاءت رسالة « خروشوف » الأخيرة التى سلمها مستشار السفارة السوفيتية إلى السيد « على صبرى » وأضيفت محتوياتها إلى الصورة العامة للموقف بين البلدين ـ أصبح الأمر لا يحتمل الصمت من وجهة نظر « جمال عبد الناصر » وقرر أن يرد علنا على « خروشوف » ، واختار أن يرد من شرفة قصر الضيافة فى دمشق التى قصد إليها فى مناسبة الاحتفال بالعيد الأول لقيام الجمهورية العربية المتحدة .

وتحدث « جمال عبد الناصر » عن تاريخ الكفاح من أجل الوحدة العربية ، ومن أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية ، ثم وصل إلى ما جرى فى إطار المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، وقال إنه لا يخفى أن هناك خلافات عقائدية بين الجمهورية العربية المتحدة ، وبين الاتحاد السوفيتى ، بل إنه يعلنها لكل من يسمع ، فلكل بلد نظامه الاجتماعى الخاص ، **ولكل بلد عقائده التى يؤمن بها ، ونحن لا نتدخل فى عقائد الآخرين لكننا نرفض ان يفرض الآخرون عقائدهم علينا . وإذا كنا نعترف بمساعدات الاتحاد السوفيتى لنا ـ ونحن نعترف بها وسنظل ـ فإننا لا نجد فى هذا مبررا على الاطلاق للتخلى عن عقائدنا . وقال إن هناك مراسلات بينه وبين « خروشوف » وانه ما زال يأمل أن يستطيع الطرفان احتواء الخلاف بينهما حتى لا تشمت القوى الاستعمارية فى الغرب ، وهى بالطبع تريد الوقيعة بيننا وبينهم . كما أن هناك جماعات من الانتهازيين العرب يهمهم ان تسوء العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى . والقضية بالنسبة لنا اكبر من ان تكون قضية إمداد سلاح ، او معاونات اقتصادية ، او بناء سد عال عند اسوان ، وانه وهو يطرح موضوعات الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة ، وبين الاتحاد السوفيتى علنا على جماهير الشعب ، فإنه يفعل ذلك لكى يعرف السوفيت وغيرهم ان شعب الجمهورية العربية المتحدة يؤيده فى التمسك باستقلاله الوطنى وباختياره العقائدى . وقال إنه يريد أن يكون مفهوما أن لنا اصدقاء بين الشيوعيين ، واولهم الرئيس « تيتو » والرئيس « خروشوف » نفسه ، وبالتالى فنحن لسنا فى حرب مقدسة ضد الشيوعية ، وإنما نحن متمسكون بمبادئنا ، كما اننا لم نحاول ان نقنعهم بها ، او نصدرها إليهم .**

وقام « جمال عبد الناصر » بعد ذلك بجولة واسعة فى محافظات سوريا ، وتحدث فى أكثر من موقع . وفى حلب قال « جمال عبد الناصر » يوم ٢٦ فبراير :« **نحن لا نستلهم الوحى ، ولن نستلهمه من اى عقيدة غير عقائدنا** » . وفى اللاذقية يوم أول مارس قال « جمال عبد الناصر » :« **نحن لسنا مستعدون لقبول التبعية لأى طرف فى الغرب أو فى الشرق** » . وفى جبل العلويين يوم ٣ مارس قال « جمال عبد الناصر » **إن « الشيوعيين العرب يلعبون دور الطابور الخامس فى خدمة الاستعمار سواء كانوا يعرفون ذلك ، أو يجهلونه »** .

وفى يوم ٨ مارس ١٩٥٩ تمردت الفرقة الثانية العراقية فى الموصل بقيادة العقيد « عبد الوهاب الشواف » ، ودار قتال شديد بينها ، وبين قوات يسيطر عليها الشيوعيون ، واستطاع ممرض ينتمى إلى الحزب الشيوعى أن يطلق الرصاص على العقيد « عبد الوهاب الشواف » ويقتله . وبعدها استبيحت محافظة الموصل كلها لعملية من الارهاب لم يسبق لها مثيل وصلت إلى قتل الناس بالمئات فى الشوارع ، وإلى إرغام بعض الذين أيدوا تمرد « الشواف » من المدنيين على حفر قبورهم قبل إطلاق الرصاص عليهم ، وإلقاء جثثهم فى القبور التى حفروها ، كما أن عشرات جرى شنقهم فى أعمدة النور فى الشوارع .

ووقف « جمال عبد الناصر » يوم ١١ مارس فى ساحة الجلاء فى دمشق ليتحدث عن الارهاب الشيوعى فى بغداد ضد القوميين العرب ، **ووصف الشيوعيين لأول مرة بانهم « عملاء للأجنبى ، ولا يتحركون إلا بتعليمات »** .

وكان الارهاب فى الموصل على قدم وساق . وتدفق عشرات الألوف من أهالى الموصل إلى محافظات سوريا القريبة منهم لاجئين من المجازر الارهابية . وأعلنت إذاعة بغداد انه جرى إعدام أربعة وخمسين عسكريا ومدنيا فى الموصل بدون محاكمة لأن جرائمهم كانت واضحة ، ولا تحتاج إلى تحقيقات او محاكم .

ويوم ١٦ مارس جرى فى موسكو احتفال بتوقيع اتفاقية للمساعدة الفنية والمالية بين الاتحاد السوفيتى والعراق . واختار « خروشوف » ان يلقى فى هذا الاجتماع خطابا ينتقد فيه فكرة القومية العربية ، ويبدى رايه بأن القومية ليست أساسا للوحدة ، وإنما الأساس هو وحدة الطبقة العاملة فى العالم . ثم انتقد سياسة « جمال عبد الناصر » واتهمه بانه « يتصرف باسلوب احمق ، وان راسه ساخن ، وهو يتصور انه يستطيع أن يفرض سياسته على العالم » . ثم انتقد « خروشوف » لأول مرة سياسة عدم الانحياز قائلا إنها سياسة ذات وجهين ، وانتهز فرصة هجومه على عدم الانحياز ، واشار إلى الرئيس « تيتو »

وهو احد زعمائها باسلوب خارج قال فيه : « إن تيتو يعطينا خده لنقبله ، ويعطى مؤخرته للراسماليين الغربيين » .

ورد « جمال عبد الناصر » على « خروشوف » فى نفس اليوم ، ومن داخل المسجد الأموى الكبير فى دمشق قائلا : « إن دفاع خروشوف عن الشيوعيين فى بلادنا امر لا يمكننا قبوله ، وهو يعتبر تحديا لاجماع الشعب فى وطننا » . ثم قال : « إننا لن نبيع بلادنا لا بملايين الدولارات ، ولا بملايين الروبلات . وإن خروشوف حر فيما يقول ويفعل فى الاتحاد السوفيتى ، اما نحن فلسنا تحت وصاية احد » .

وعاد « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة ، وحضر يوم ٣٠ مارس احتفالا اقامته القيادة العامة للقوات المسلحة فى معسكر الهاكستيب بمناسبة انتهاء تدريب الفرقتين الثالثة والرابعة ، ووقف « جمال عبد الناصر » يخطب أمام مئات من ضباط الجيش قائلا : « إننا نريد صداقة الاتحاد السوفيتى ونرفض سيطرته » . ثم اضاف : « إن الشيوعيين يشنون حربا مسعورة ضدنا تساندهم فى ذلك قيادة الاتحاد السوفيتى ، وبذلك فإن هذه الاحزاب اثبتت انها ليست إلا عميلا لقوة كبرى » .

وكانت طاحونة الارهاب ما زالت تدور فى بغداد ، ووصل الأمر إلى حد قيام بعض الشيوعيين بالدخول على « عبد السلام عارف » فى سجنه حيث كان مقيدا بالسلاسل ، وضربوه بالخناجر حتى اثخنوا جسمه بالجراح .

وكانت المشادة العلنية بين « جمال عبد الناصر » و « خروشوف » قد تحولت إلى مبارزة علنية وقف العالم أمامها مندهشا ومأخوذا[١٢] كأنه يتابع مباراة مثيرة ، ولكنها لم تكن مباراة فى الرياضة ، وإنما كانت صراع إرادات من طراز مثير .

وحين أصدرت بعض التنظيمات الشيوعية السرية فى مصر بيانا تؤيد فيه موقف الاتحاد السوفيتى فى المشادة العقائدية مع مصر رد « جمال عبد الناصر » بحملة اعتقال لعدد من أفراد هذه التنظيمات .

وتلقى « جمال عبد الناصر » من موسكو بعض الرسائل من طلبة البعثات

(١٢) وصلت المشادة بين الزعيمين إلى ذروتها فى ٢٠ ابريل ١٩٥٩ حيث تبادلا اطول رسالتين متبادلتين بينهما ، وقد شرح كلاهما قصة الخلاف واسباب سوء الفهم من اولها إلى أخرها ، وكانت اللهجات حادة والاتهامات عنيفة ، وقد آثرت بسبب طول الرسالتين ان انشر رد « عبد الناصر » لانه يحوى الرسالتين معا ، فقد اورد فيه نصا بنص فقرات من رسالة « خروشوف » ورده عليها ، وبذلك فإنها الرسالة التى تتضمن القصة كلها ، وهى على صفحة ٨٦٥ برقم ٣١ فى الملحق الوثائقى - وقد كان السفير السوفيتى « ديمترى كيسليف » هو الذى حمل رسالة « خروشوف » إلى « عبد الناصر » كما ان السفير « محمد عوض القونى » هو الذى حمل رد « عبد الناصر » على « خروشوف » .

الدراسية المصرية فى الجامعات السوفيتية يشتكون فيها من سوء المعاملة التى بدأوا يلقونها فجأة حتى فى عنابر النوم . وكان أشد ما أثاره فى ذلك الوقت خطاب من دارسة مصرية للطبيعة النووية قالت فيه إنها تجد نفسها مرغمة على النوم فى غرفة تضم ثلاث شابات غيرها من جنسيات مختلفة ، لكنهن جميعا من الشيوعيات المقاتلات ، وقد وصلن فى تعاملهن معها إلى حد نبذها وإهانتها بدعوى أن مصر غيرت سياساتها ، وتركت المعسكر التحررى ، وانضمت إلى أعدائه . ثم شكت من أن غرف النوم تقع فى عنابر مختلطة للجنسين . وقد أطلعنى الرئيس « جمال عبد الناصر » على هذا الخطاب وغيره من خطابات الدارسين المصريين بموسكو ، وكلها تطفح بالشكوى ، وقال لى إنه يريد فى هذا الموضوع بالذات أن يرد بطريقة موجعة ، وسألنى أن أتوجه إلى مقابلة السفير الأمريكى « ريموند هير » وأن أسأله « إذا كانت الولايات المتحدة تستطيع أن تجد على الفور أماكن فى الجامعات الأمريكية لهؤلاء الدارسين المصريين فى الجامعات السوفيتية » . وكان رأيه أن السوفيت فى حاجة إلى أن يفهموا أن مصر ليست رهينة لدى طرف . وبالفعل فقد قابلت السفير الأمريكى وناقشت معه الموضوع . وسألنى عن عدد الدارسين الذين نطلب توفير أماكن لهم فى الجامعات الأمريكية - مع العلم بأن الفترة الدراسية للربيع قد بدأت بالفعل فى كل الجامعات الأمريكية . وقلت إن عددهم حوالى المائتين ، وأمسك « هير » رأسه بيديه مفزوعا من العدد ، وقال إن الأمر يحتاج إلى قرار على أعلى مستوى فى الولايات المتحدة ، وانه سيكتب فيه ليس فقط إلى وزارة الخارجية ، وإنما إلى البيت الأبيض . وعند منتصف الليل التالى اتصل بى « هير » ليقول لى إنه تلقى قبل دقيقة واحدة ردا إيجابيا على الطلب ، وأن كل القواعد سوف يجرى كسرها ، وأن نفوذ الرئيس « ايزنهاور » نفسه سوف يجرى استعماله لدى الجامعات الأمريكية لتقبل كل هذه الأعداد فى هذا الوقت المتأخر من العام الدراسى .

ولم يمض أكثر من أسبوع حتى كان مائتا دارس ودارسة مصريين يحزمون حقائبهم من موسكو ، ويستعدون لعبور المحيط إلى الولايات المتحدة .

وكانت حرائق الأعصاب ما زالت تشتعل على الناحيتين بين موسكو والقاهرة .[١٣]

(١٣) يلاحظ ان الطرفين بشكل ما كانا يحرصان على عدم الوصول إلى نقطة اللاعودة رغم ان هذه النقطة لاحت فى بعض الاحيان وكانها الخطوة التالية مباشرة .

بشكل ما بقيت هناك « لمعاوية شعرة » رغم ان الضغط عليها كان ثقيلا ، وربما كانت هذه النقطة هى التى مكنت من عقد اتفاقية المرحلة الثانية من تمويل السد العالى فى جو كانت ظواهره جميعا ضد إمكانية عقدها . فعندما ظهر ان هناك تداخلا بين بعض اعمال المرحلة الاولى والمرحلة الثانية ، كما ان هناك وفرا كبيرا يمكن تحقيقه من التنسيق بين اعمال المرحلتين - بدات عملية استطلاع النوايا فى نهاية سنة ١٩٥٩ وفى الأيام الاولى من سنة ١٩٦٠ ، تم عقد اتفاق المرحلة الثانية من السد العالى ، واصبح تنفيذ هذا المشروع العملاق - عملا واحدا متصلا وممتدا .

حسابات جديدة

(١)

فى أواخر شهر مارس ١٩٥٩ انعقد مؤتمر على مستوى القمة بين « ايزنهاور » و « ماكميلان » فقد أحست الولايات المتحدة وبريطانيا أن هناك أمورا كثيرة تقتضى لقاءً مباشراً بين البلدين ، وفى مقدمتها هذه التطورات التى بدت مثيرة على مسرح الشرق الأوسط . وكان الاجتماع الذى عقد بين الرئيسين فى البيت الأبيض صباح يوم ٢٠ مارس مخصصا بأكمله للمنطقة . وقد بدأه « ايزنهاور » بقوله[1] : « إن ما يجرى فى المنطقة يستوجب أعلى درجات الاهتمام ، فالقرار الذى اتخذه ناصر بمواجهة الشيوعيين فى العالم العربى فى منتهى الصراحة والعلنية » . ورد « ماكميلان » بقوله : « إن ناصر فى الحقيقة يحارب من أجل تاكيد زعامته على العالم العربى ، فقد فشل حتى الآن فى الاطاحة بقاسم رغم كل النشاط الهدام الذى قام به ، وعلينا ان نتساءل ما إذا كان ناصر قد وصل إلى نهاية قوته السياسية . وأيا كان الأمر ، فقد ظهر ان قدراته داخل العراق محدودة . وعلى أى حال ، فقد ادت جهوده للاطاحة بقاسم من خلال الهجوم على الشيوعية العربية إلى دفعه (أى قاسم) إلى مزيد من الاعتماد الداعى للخطر على التاييد الشيوعى » . ورد « ايزنهاور » معربا عن اعتقاده بأن « لحملة ناصر على

(١) الوثائق السرية لوزارة الخارجية الامريكية ـ مذكرة عن محادثات « ايزنهاور » و « ماكميلان » بعنوان « الشرق الأوسط فى المحادثات مع ماكميلان ـ واشنطن ـ ١٩ ـ ٢٣ مارس ١٩٥٩ » .

الشيوعيين العرب قيمة جوهرية ولابد من تشجيعها ، فهذه الحملة سوف تؤدى بالقطع إلى إضعاف النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط » . ورد « ماكميلان » قائلا إنه « يشك فى ان تؤدى حملة ناصر ضد قاسم إلى الاطاحة به » . وتوصل « ايزنهاور » كعادته إلى حل وسط لخصه بقوله : « إننا نستطيع ان نتخذ موقفا وديا ومشجعا لناصر دون ان نصبح طرفا فى حملته على قاسم أو نتخذ موقفا غير ودى تجاه النظام العراقى الحالى » .

وقد مضت مذكرة المحادثات بعد ذلك إلى تحليل الموقف كما قدره الرئيسان ، فقالت بالحرف : « إن المعركة الشاملة لناصر ضد الشيوعية العربية ادت إلى تخفيف الضغوط على الدول الصديقة للغرب فى الشرق الأوسط بما فى ذلك اعضاء حلف بغداد . وقد تفتت التماسك السابق للشعور العربى المضاد للغرب ، وساعد على ذلك ان هناك هدوءاً نسبيا فى الصراع العربى الاسرائيلى . كما تبدو لبنان والسودان والمملكة العربية السعودية مشغولة بسياساتها الداخلية واحوالها الاقتصادية ، ثم إن شعور هذه الدول جميعا تجاه الولايات المتحدة هو شعور طيب » .

ثم استطردت المذكرة تقول « إن الوضع فى الخليج الفارسى هادىء فى الوقت الحالى . غير ان سعى الشيوعيين إلى السلطة فى العراق قد بات مصدر هلع للقوى العربية المحافظة ، واوجد عدوا جديدا للقومية العربية فى المنطقة . وقد يفضى هذا بالزعماء القوميين إلى الاعتراف اعترافا ضمنيا بان مصالحهم لا تتعارض مع الغرب ، كما انه يقلل من التهديد القومى السابق لاستقرار المنطقة . ومن الجائز ايضا ان يؤدى الصراع بين القوميين العرب والشيوعيين العرب إلى عرقلة العمل العربى الموحد للمطالبة بحصة ابتزازية باهظة من دخل بترول الشرق الأوسط . ومن المؤكد ان التعامل التجارى مع القوميين فى مسائل البترول سيكون حقيقة من حقائق الحياة علينا ان نواجهها فى الخليج . ولكن العرب يدركون الآن ان إيران يسعدها دائما أن تحل محلهم باعتبارها المصدر الأول للبترول الخام ومنتجاته المكررة لأوروبا . لهذا فإننا لسنا واثقين من ان اى إجراء غير عادى يتخذ فى الوقت الحالى من جانب الولايات المتحدة والمملكة المتحدة هو إجراء ضرورى ، أو مرغوب فيه ، وإن كان من المجدى والمفيد ان نراقب عن كثب تطورات الأمور ، وان نظل على تشاور متصل . إن خبراءنا العسكريين عاكفون على التخطيط للطوارىء ، وفى اعتقاد الولايات المتحدة انه من الصعوبة الآن التكهن بالتطورات المقبلة ، وبالتالى فليست هناك حاجة فى هذه اللحظة إلى اتخاذ اى قرار بشأن خطط الطوارىء المحتملة . »

□

وتطرق « ايزنهاور » و « ماكميلان » إلى مناقشة الظروف المحيطة بإسرائيل ، وقال « ماكميلان » إن « إسرائيل قد ابلغت الحكومة البريطانية بقلقها مما تعتبره ليونة جديدة فى الموقف الامريكى ، وانها تشعر ان ناصر قد قام بعملية إلهاء بارعة للغرب ، فقد صور له (اى للغرب) انه هو وحده القادر على التصدى للخطر الشيوعى ، وبالتالى فإنه استطاع ان يخدر اعصاب السياسة الأمريكية . وهم فى إسرائيل واثقون ان ناصر لم يغير جلده ، وانه يقوم بمناورة تكتيكية يسترضى بها الولايات المتحدة بالعداء للشيوعيين ، وفى نفس الوقت يستعمل تعاطف الولايات المتحدة الراهن معه لكى يضغط على الاتحاد السوفيتى . وفى كل الأحوال فإنه يضيف إلى قوته . وإسرائيل واثقة انها هى التى ستواجه « غضبه » فى يوم من الايام » . . ثم قال « ماكميلان » إن « إسرائيل تلح اكثر من اى وقت مضى فى طلبات جديدة للسلاح . وقد تقدموا للحكومة البريطانية بطلبات ملحة للحصول على دفعة من دبابات « سنتوريون » . » واضاف « ماكميلان » إنه « تلقى من دافيد بن جوريون عددا من الخطابات يطلب فيها دعوته لزيارة لندن لكى يعرض قضيته بنفسه » .

ورد « ايزنهاور » على « ماكميلان » بأنه « يتفهم قلق إسرائيل » كما انه يرى دواعيه ، لكن الولايات المتحدة لا تستطيع ان تدخل فى هذه اللحظات فى اى موضوع خاص بتسليح إسرائيل ، لأن اى حركة فى هذا الاتجاه كفيلة بان تفسد كل ما تحقق للسياسة الأمريكية بسبب التطورات الأخيرة ، وتبدده قبل ان يعطى كامل ثماره . واقترح ان يتم تسليح إسرائيل فى الوقت الراهن بواسطة الدول الأوروبية .

ولاحظ « ماكميلان » أن « فرنسا برئاسة ديجول » قد لا تدخل فى أمر هذا التسليح لاسرائيل إلا من خلال « دول التصريح الثلاثى »[٢] ، فذلك الترتيب وحده يعطى لديجول المكانة التى يريدها لفرنسا كشريك على قدم المساواة مع الأنجلو- ساكسون (أى الولايات المتحدة وبريطانيا) .

وقد وافق « ايزنهاور » على هذه الملاحظة قائلا إنه لا يمانع أن تتم الاستجابة لطلبات إسرائيل على أساس التصريح الثلاثى ، وأن هذا أفضل من صفقات ثنائية يبرز فيها دور الولايات المتحدة .

ثم أضاف « ايزنهاور » عبارة ذات معنى إذ قال : « إنهم على اى حال يحصلون من هنا على اشياء هامة جدا لهم ، وهم اول من يقدر قيمتها » .

(٢) تصريح اعلنته الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥١ بتحديد كميات السلاح المرسلة إلى الشرق الاوسط . وشكلت فيما بينها لجنة سرية لمتابعة تنفيذه .

وفى اغلب الظن ان « ايزنهاور » كان بهذه الاشارة الغامضة يشير إلى نشاط جناح « انجلتون » فى وكالة المخابرات المركزية . وكان « انجلتون » فى ذلك الوقت منهمكا فى شراء بعض الأجهزة الدقيقة التى تحتاجها إسرائيل فى مجهودها النووى . ومما يساعد على ترجيح هذا الظن ان « ايزنهاور » اضاف بعد ذلك عبارة اخرى غامضة قال فيها : « الله اعلم بهذا الذى يفعلونه مع الفرنسيين » . وتستمد هذه الملاحظة معناها الحقيقى من ان إسرائيل كانت فى ذلك الوقت قد دعيت سرا لحضور تجربة نووية فرنسية فى منطقة « راجان » وسط الصحراء الغربية الافريقية الواقعة تحت الحكم الفرنسى .

□

وتشير محاضر مجلس الأمن القومى[٣] التالية لاجتماعات قمة « ايزنهاور - ماكميلان » إلى أن « ايزنهاور » راح يوما بعد يوم يفكر فى تقوية إيران . ففى وسط انشغال العرب بالمعركة الداخلية الدائرة بين القوميين والشيوعيين كان رأى « ايزنهاور » أن الفرصة مناسبة لتعزيز الأوضاع فى إيران ، فالشاه قلق من سيطرة الشيوعيين على بغداد ، وهو يطلب المزيد من المساعدات العسكرية ، ويلح كثيرا على طلبات قدمها للحصول على أسلحة متطورة . ومن ناحية أخرى ، فإن « ايزنهاور » يتفق معه ليس فقط فى تقييمه للخطر الشيوعى فى العراق ، وإنما هو يرى أن الفرصة فوق ذلك متاحة لجعل إيران تلعب دورا أكبر فى المنطقة ، خصوصا فى حالة ما إذا توقفت الصراعات العربية الداخلية . وربما كان الخلاف الوحيد بين وجهتى نظر شاه إيران ، ورئيس الولايات المتحدة يكمن فى قائمة أولويات كل منهما . ففى حين أن الشاه كان يضع السلاح على رأس قائمة أولوياته ، فإن رئيس الولايات المتحدة كان يضع الاصلاح الداخلى ، وزيادة كفاءة الدعاية الايرانية على رأس قائمة اولوياته .

وقرر « ايزنهاور » أنه قد يكون الوقت ملائما لكى يقوم بنفسه بزيارة لايران تعطى للشاه قسطا من الهيبة ، وتؤكد عمليا اهتمام الولايات المتحدة بالدور المقبل لايران .

□

وفى اجتماع للجنة تنسيق السياسات التابعة لمجلس الأمن القومى بعث الرئيس « ايزنهاور » بورقة تحمل توجيهات منه إلى اللجنة . وفيها قال « ايزنهاور » :[٤]

(٣) مجموعة الأوراق السرية لمجلس الأمن القومى - الوثيقة رقم ٥٨٢١/١ .
(٤) المصدر السابق .

« إن اهدافنا فى الشرق الأوسط ما زال يمكن إجمالها فى مطلبين :

١ ـ إبعاد السوفيت عن المنطقة .

٢ ـ استمرار تدفق البترول العربى دون عوائق .

لكن الظروف تعطينا الآن مرونة أكبر ، وآفاقا اوسع فى العمل . وبصرف النظر عما تقوم به الادارات المختلفة للسياسة الأمريكية ـ بما فيها وكالة المخابرات المركزية ـ فإننا يجب أن نركز على قادة المستقبل فى العالم العربى . ولهذا فإننى اريد توسيع نشاطنا الدعائى والثقافى خصوصا فى أوساط الطلبة والمدرسين ، واساتذة الجامعات والمثقفين إلى أكبر حد ممكن ، وليس ضروريا أن تلتصق جهودنا فى هذه المجالات بمطالبنا المباشرة من المنطقة ، فعلينا أن نفكر فيما هو ابعد من احتياجاتنا الملحة كما نقدرها فى الوقت الحاضر .

وانا اريد مرونة اكثر فى اتجاهات عملنا فى المنطقة . فعلينا ان نعيد دراسة توجيهاتنا السابقة التى صدرت فى ظروف مختلفة . وبدون ان نتخلى عن احتياجاتنا الضرورية النهائية فإن مراجعة توجيهاتنا السابقة سوف تكشف لنا أن هناك حدودا واسعة وراءها وفرصا متاحة يتحتم استغلالها . »

٢

ولم تكن إسرائيل راضية عن المناخ الجديد الذى يسود الشرق الأوسط ، خصوصا فيما يتعلق بحالة الليونة فى العلاقات بين القاهرة وواشنطن ـ على حد التعبير الذى كتبه « بن جوريون » فى رسالته إلى « ماكميلان » . ولم تكن بقادرة على أن ترى ما يجرى من تطورات دون أن يكون لها فيها دور أو تحصل منها على فائدة . وهكذا قررت أن تتحرك ، وتنتهز الفرصة لكى تفتح قناة السويس أمام ملاحتها متصورة أن القاهرة قد لا تتعرض لها حرصا على عدم إفساد الشعور بالتعاطف المتنامى تجاهها خصوصا فى الولايات المتحدة . فإذا ما تعرضت القاهرة لها فيه تنويه ، فإن هذا التعرض يمكن استغلاله لاثارة حملات سياسية ودعائية تعيد أجواء الشك والعداء إلى حيث كانت . وهكذا فى مارس ١٩٥٩ استأجرت شركة « زيم

الاسرائيلية باخرة عن طريق شركة امريكية ، وهى الباخرة « ليولوت » التى يقودها الكابتن « جورج مانولس » ثم ملأتها بحمولة من الأسمنت الاسرائيلى مرسلة إلى شرق افريقيا ، وبعثت بها إلى ميناء بور سعيد حتى تمر من قناة السويس إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى . واوقفت السلطات المصرية الباخرة ، ولم تسمح لها بالمرور ، وصادرت حمولتها . ولم تمض بعد ذلك إلا ايام قليلة حتى كانت إسرائيل تبعث بباخرة ثانية استاجرتها من الدنمارك ، وهى الباخرة « انجه توفت » ، وحملتها ببضائع إسرائيلية مرسلة إلى سنغافورة ، ومرة أخرى منعت مصر مرور الباخرة وصادرت حمولتها ايضا .

وتقدمت إسرائيل بشكوى إلى مجلس الأمن وسط ضجة دعائية كبيرة عن إصرار مصر على فرض سيادتها على معبر دولى للملاحة البحرية . وبدأ مجلس الأمن يناقش الموضوع .

وكان رأى « جمال عبد الناصر »[٥] أن ما تقوم به إسرائيل « خطة مدروسة ، وهى تتصور ان الوقت الحالى ملائم لتنفيذها ، خصوصا بالنسبة لموقف القوى الكبرى دائمة العضوية فى مجلس الأمن . فإسرائيل تعرف ان الولايات المتحدة الأمريكية قد ايدت باستمرار حقها فى استعمال قناة السويس . ومن ناحية أخرى فهى تظن أن جو الفتور الحالى بين الجمهورية العربية المتحدة ، وبين الاتحاد السوفيتى سوف يمنع الاتحاد السوفيتى من استعمال حق الفيتو ضد اى قرار يصدره مجلس الأمن بتاكيد حق الملاحة لكل الدول بغير تمييز فى قناة السويس . »

وكان رأى « جمال عبد الناصر » ايضا أن إسرائيل بهذه المحاولة لا تسعى إلى الاحراج فقط ، وإنما سعيها الحقيقى هو إلى إسقاط سلاح لا تزال له اهميته فى المشكلة الفلسطينية ، ذلك أن الجمهورية العربية المتحدة تمارس منع الملاحة الاسرائيلية من قناة السويس بمقتضى حالة الحرب المترتبة على الصراع العربى الاسرائيلى ـ فإذا استطاعت ان تسقط الآن هذا الحظر ، فمعنى ذلك أنها سلبت العرب أحد اهم اسلحتهم فى المقاطعة . ثم كان قراره بعد هذا انه تحت اى ظرف من الظروف ، ومهما كانت النتائج لا ينبغى أن يسمح لاسرائيل بالمرور من قناة السويس . واكثر من ذلك اعلن « جمال عبد الناصر » فى تصريح رسمى « انه حتى إذا حصلت إسرائيل على قرار من مجلس الأمن بحقها

(٥) مجموعة محاضر جلسات الحكومة المركزية لسنة ١٩٥٩ ـ جلسة ١٤ ابريل ١٩٥٩ ـ الصفحة ٣٨ .

فى المرور من قناة السويس ، فإن الجمهورية العربية المتحدة لن تنفذ هذا القرار إلا إذا نفذت إسرائيل ما يخصها من قرارات الأمم المتحدة ، واولها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة لسنة ١٩٤٧ الخاص بالتقسيم ، وكذلك القرارات الخاصة بحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة لأراضيهم ، أو تعويضهم التى صدرت سنة ١٩٥١ » .(٦)

ولقد زادت المشكلة تعقيدا حينما سئل « داج همرشولد » السكرتير العام للأمم المتحدة عن رأيه فى الأزمة ، فرد بقوله « **إن مجلس الامن ليس مخولا ببحث هذا النزاع ، فالنزاع فى حقيقته قانونى يدور حول تفسير نصوص معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨ الخاصة بحرية الملاحة فى قناة السويس . والمكان الطبيعى لاثارته ليس مجلس الأمن ، ولكن محكمة العدل الدولية** » . وانفجر غضب وزارة الخارجية الاسرائيلية ، وأصدرت تصريحا تقول فيه : «**إنه من الصعب على إسرائيل وعلى العالم الحر بأكمله أن يفهم حكمة هذا التصريح الصادر عن اكبر مسؤول دولى ، فلقد كان المنتظر منه أن يوجه نصيحة بالاعتدال إلى الجمهورية العربية المتحدة ، وبدلا من ذلك فإنه اتخذ موقفا لا يمكن تفسيره إلا بأنه اعتراف بالعجز السياسى الكامل للأمم المتحدة** » .(٧)

□

وبينما مجلس الأمن لا يزال حائرا أمام الأزمة التى فرضت عليه تقدمت إسرائيل خطوة أخرى نحو تحقيق أهدافها . فقد بدأت تستعمل نفوذها الكبير ، ونفوذ الجماعات الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية مع الاتحاد العام للعمال الأمريكيين .

وكانت المفاجأة أن اتحاد البحارة الأمريكيين أصدر بيانا يقول فيه إنه « يعتبر التعرض للبواخر الدولية ولحمولتها من البضائع العابرة للمحيطات عملا عدوانيا ضد حرية الملاحة ، وأن هذا العمل لابد من مقاومته بواسطة أصحاب المصلحة ما دامت الهيئات السياسية قد أثبتت عجزها عن مقاومته » . وهكذا كان قراره بمقاطعة عمليات دخول البواخر المصرية فى الموانىء الأمريكية .

وكان واضحا من بيان اتحاد البحارة الأمريكيين أن الأمر لن يكون مقصورا

---

(٦) حديث مع الصحفى الهندى « ر . كارانجيا » نشرته جريدة « بليتز » بتاريخ ٤ مايو ١٩٥٩ .

(٧) بيان للحكومة الإسرائيلية اذيع من راديو الجيش الإسرائيلى يوم ١١ مايو ١٩٥٩ (نقلا عن نشرات الاستماع لمصلحة الاستعلامات) .

على البواخر المصرية فقط ، وإنما سيمتد ليشمل بواخر كل الدول العربية فى نفس الوقت باعتبار انها جميعا تؤيد احكام مقاطعة إسرائيل وتطبقها فى موانيها . كما أن الخطة المرسومة لهذه المقاطعة للبواخر العربية لن تقتصر على الموانىء الأمريكية وحدها ، وإنما المقرر لها أن تمتد إلى موانىء أوروبا الغربية واليابان ، وأية موانىء أخرى فى العالم تستطيع نقاباتها البحرية أن تستمع إلى نداء اتحاد البحارة الأمريكيين وتستجيب له وتتعاون معا لتنفيذه .

وتصادف أن دخلت ميناء نيويورك باخرة مصرية هى الباخرة « كليوباترا » التى كانت تحمل شحنة من القطن المصرى طويل التيلة مصدرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية . وبدأ إتحاد البحارة الأمريكيين يمارس إزاءها إعلانه بمقاطعة البواخر المصرية ، فرفض أعضاؤه تقديم خدمات الموانىء لها بما فى ذلك تفريغ حمولتها .

وتوجه السفير المصرى فى واشنطن الدكتور « مصطفى كامل » إلى وزارة الخارجية الأمريكية لبحث الأزمة ، واقترح أن يستعمل الرئيس الأمريكى سلطاته بمقتضى إجراءات الطوارىء التى تمنحه الحق فى فض أى اعتصام عمالى إذا ما ترتب على تنفيذه إضرار بالمصالح الأمريكية . وقالت وزارة الخارجية الأمريكية إنها لا تستطيع أن تتقدم بمثل هذه النصيحة إلى الرئيس لأن مثل هذه السلطة المخولة له ترتبط بالطوارىء التى تمس أمن الولايات المتحدة القومى ، وهو أمر ليس محققا فيما يتعلق بأزمة الباخرة « كليوباترا » .(٨)

وظلت الباخرة « كليوباترا » أياما طويلة على رصيف ميناء نيويورك يحيط بها طابور من أعضاء اتحاد البحارة الأمريكيين لمنع الاقتراب إليها حتى لا تلجأ القنصلية المصرية فى نيويورك ــ وهى المكلفة برعاية أمرها ــ إلى أى ترتيبات أخرى لتفريغها بغير واسطة أعضاء اتحاد البحارة الأمريكيين .

□

وارتفعت درجة حرارة الأزمة ، فقد اجتمع اتحاد العمال العرب فى القاهرة ، واتخذ قرارا بالرد يقضى بمقاطعة البواخر الأمريكية فى موانىء الجمهورية العربية المتحدة . وبدا تطبيق القرار بالفعل فى الاسكندرية وبور سعيد والسويس واللاذقية . وفى اليوم التالى انضمت

---

(٨) تقرير من الدكتور « مصطفى كامل » سفير الجمهورية العربية المتحدة بواشنطن بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٥٩ واصله محفوظ فى ارشيف وزارة الخارجية . وتوجد ٦ نسخ منه فى ارشيف منشية البكرى . ويبدو انها كانت معدة للتوزيع على عدة جهات رسمية . ولكن ذلك التوزيع لم يتم لسبب او اخر .

إلى قرار المقاطعة إتحادات العمال فى بيروت وطرابلس والعقبة والكويت والرباط وبورسودان .

وكانت اول باخرة أمريكية اقتربت من ميناء الاسكندرية عند بدء تنفيذ قرار المقاطعة العربية هى الباخرة « انتربرايز » ، وقد ابلغها وكيل شركة الشحن التى تتبعها بينما هى لا تزال عند مدخل الميناء بأن الموقف الذى ينتظرها سيىء ، وأن هناك جموعا من العمال على الرصيف المقرر رسوها عليه يحملون لافتات تقول « لا ماء ... لا وقود ... لا طعام ... لا شحن ... لا تفريغ ... لا خدمات من اى نوع للبواخر الامريكية » . كما أن هؤلاء العمال يمسكون بميكروفونات تنادى بانه « لا تعاون مع اى باخرة أمريكية » . وأدارت « انتربرايز » دفتها لتفلت من المقاطعة ، لكنها لم تلبث ان وقعت تحت أحكامها فى ميناء بور سعيد لأنها كانت متجهة إلى الشرق الاقصى .

وفى ميناء بور سعيد كانت احكام المقاطعة قد نفذت فعلا على الباخرة « جون فرانكلين » ، وطبقت فى السويس على الباخرة « بن شبرد » .

وفى بيروت طبقت المقاطعة على الباخرة « مولين فيكتورى » و « سانتا لوتشيا » . واضطرت باخرتان أمريكيتان اخريان هما « ستيل » و « اكسبورت لاين » إلى التراجع عن ميناء بيروت والتوجه إلى اثينا . وفى اللاذقية طبقت أحكام المقاطعة على الباخرة « مونتويك » .

وفى نفس اليوم نقلت وكالة « يونايتد برس » برقية تقول إنها « علمت أن بقية الدول العربية التى لم تشترك موانيها فى تطبيق أحكام المقاطعة ضد البواخر الأمريكية سوف تستجيب لنداء الاتحاد العام للعمال العرب من القاهرة » . وكانت أبرز هذه الدول فى القائمة الجديدة هى : ليبيا وتونس والمملكة العربية السعودية واليمن .

وبذلك أصبحت المقاطعة العربية للبواخر الأمريكية شبه كاملة .

□

وهنا دخلت الأزمة إلى ارض الشوك . ذلك أن إسرائيل استغلت الفرصة شدت كل أنصارها فى الكونجرس ، وفى الرأى العام ـ فإذا مشروع قانون يقدم إلى كونجرس بوقف شحنات القمح الأمريكى إلى الجمهورية العربية المتحدة إذا واصلت مال الحصار ضد الملاحة الاسرائيلية !

لم يقل الكونجرس الامريكى شيئا عن البواخر الامريكية ومقاطعتها ، لكنه قال كثيرا عن البواخر الاسرائيلية .

٣

لم تكد أزمة الموانىء والبواخر ، واتحادات البحارة تنتهى ـ حتى فتحت إسرائيل جبهة أخرى . وكان لابد لها أن تفعل ، فإن الموقف الذى وجدت نفسها فيه بعد التطورات الأخيرة فى الشرق الأوسط كان يدفعها إلى الحركة باستمرار بحثا عن منفذ ، وإلا استحكم من حولها طوق الحصار . وكان اتجاه إسرائيل هذه المرة ومع بداية سنة ١٩٦٠ نحو إيران . وكانت طهران مستعدة لملاقاة إسرائيل فى منتصف الطريق .

وفى الواقع فإن الدولة الاسرائيلية منذ قيامها كانت تحاول أن ترسم لنفسها استراتيجية تتجاوز فيها الطوق العربى المحيط بها ، وتقفز إلى ما وراءه حيث توجد قوميات أخرى ليست عربية ، وإن كان بعضها يعتنق الاسلام . **وكان بصرها مركزا منذ اللحظة الأولى على تركيا وإيران**[٩] ، **خصوصا وهى تعرف أن تركيا بتأثير حركة « الشريف حسين » ضد دولة الخلافة أيام الحرب العالمية الأولى وبعدها ـ قد سادها شعور بالمرارة ضد العرب ، وأن هذا يعطى أرضية صالحة لمواقف تركية غير ودية تجاه العرب . وقد عبر ذلك عن نفسه بالدور الذى قامت به تركيا فى إنشاء حلف بغداد ، وفى توجيه انشطة لجانه خصوصا لجنة الأمن والمخابرات .**

وبالنسبة لايران فقد كانت هناك ايضا ارضية تبدو جاهزة ، وإن اختلفت تضاريسها . فالدولة الايرانية كانت لقرون طويلة منطقة احتكاك حضارى بين

---

(٩) مدت إسرائيل بصرها إلى اكثر من ذلك ، فقد حاولت تطبيق هذه السياسة مع الجماعات الدينية داخل البلاد العربية ، وتصور « دافيد بن جوريون » انه يستطيع ان يخلق جسورا مع الموارنة فى لبنان ، وقد روى وزير خارجيته « موشى شاريت » كيف ان « بن جوريون » طلب ان توجه إسرائيل جهودا اكبر نحو تمزيق لبنان ، وإقامة دولة مارونية فيه تشعر بحاجتها إلى التحالف مع إسرائيل . وقد وصف « شاريت » هذه الفكرة بانها « غير عملية » .

الحضارة العربية فى شبه الجزيرة العربية وبين الحضارة الهندية فى شبه القارة الهندية . وفى هذا الموقع ، وباحكام الجغرافيا والتاريخ ، فإن الدولة الايرانية ايضا كانت تشعر بحالة من شبه الحصار .

وعندما أصبح المذهب الشيعى الاثنا عشرى مذهبا رسميا للدولة الايرانية فى عهد الشاه « اسماعيل الصفوى » - فى ظروف مواجهة سياسية ومذهبية ضد الامبراطورية العثمانية السنية - فإن المذهب الشيعى ، وهو مذهب أقلية بين جموع المسلمين ، اضاف إلى المزاج النفسى للدولة الايرانية مزيدا من الشعور بالحصار . فالقومية المحاصرة بمواريثها الحضارية اعتنقت مذهبا يشعر هو الآخر بالحصار . وكان امتزاج هذين العنصرين يخلق ضغوطا شديدة على الذات الايرانية خصوصا عندما احتدم الصراع بين ايران الصفوية ، وبين دولة الخلافة العثمانية ، ولعبت الامبراطورية البريطانية دورها فى إذكاء روح هذا الخلاف وتعميق جذوره ، وكان هدفها من ذلك بالقطع هو عزل تأثير دولة الخلافة الاسلامية عن الوصول إلى جحافل مسلمى الهند الذين قامت بهم فيما بعد دولة باكستان .

واستمر الحال على نفس المنوال بعد عهد الصفويين إلى عهد أسرة « الكاجار » التى خلفتهم ، ثم استمرت نفس هذه العوامل الجغرافية والتاريخية فى التأثير على توجهات أسرة « بهلوى » التى اسسها الجاويش « رضا خان » سنة ١٩٢٢ ووضعها على عرش الطاووس بعد سقوط أسرة « الكاجار » . وقد كان « رضا خان » يتطلع باستمرار إلى « تركيا أتاتورك » ويتباعد قدر ما يستطيع عن العالم العربى ، ولم يقدم على خطبة اميرة مصرية من أسرة « محمد على » لابنه « محمد » إلا عندما أراد أن يضع نفسه فى مصاف الأسر المالكة القديمة فى منطقة الشرق الأوسط .

□

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وما وقع فيها من عزل « رضا خان » وصعود ابنه « محمد رضا خان » إلى العرش بمساعدة البريطانيين ، ثم ما لحق هذا من دخول النفوذ الأمريكى لإرث النفوذ البريطانى ضمن محاولة شملت الشرق الأوسط كله - لم يكن لدى حكومة الشاه فى طهران عندما قامت إسرائيل سنة ١٩٤٨ خيار غير الاعتراف بإسرائيل اعترافا فعليا de facto وإن تمهلت بعض الشىء قبل أن تقدم اعترافها القانونى de jure . ولم يكن فى استطاعتها أن تذهب إلى أبعد من هذا لأن دولا كثيرة فى العالم فى آسيا وأوروبا رفضت الاعتراف بإسرائيل لا واقعا ولا قانونا ، وكان أولها دولة الفاتيكان - فضلا عن أسبانيا واليونان وغيرهما من الدول التى امتنعت عن التورط فى الاعتراف بإسرائيل رغم كل الضغوط الأمريكية والبريطانية التى تعرضت لها .

وفى أواخر الاربعينات كان الوجود الاسرائيلى فى طهران يتقدم حثيثا ، ويحاول أن يحتل اكبر مساحة يستطيع أن يصل إليها للنفوذ والتأثير فى طهران .

وعندما بدأت بوادر الثورة الايرانية التى قادها الدكتور « محمد مصدق » ولقيت التأييد الذى لقيته من العالم العربى - بدأت الضغوط تشتد فى معارضة ظاهرة نمو العلاقات الاسرائيلية الايرانية ، وبالفعل فإن هذه الضغوط حققت نجاحا كبيرا عندما تصدى لقيادتها « آية الله الكاشانى » وهو أبرز آيات الله فى « قم » فى تلك الأيام . وقد أعلن مكتبه فى مايو ١٩٥١ أنه سئل فى فتوى عن شرعية الاعتراف الايرانى بإسرائيل ، ورد عليها بفتوى شرعية صادرة عن حوزته قال فيها : « إن الاعتراف بدولة إسرائيل هو تأييد لعدوان يقع على العرب المسلمين ، والمسلمين غير العرب » . وفى يوم ٧ يونيو صدر إعلان رسمى فى طهران عن وزارة الخارجية الايرانية يقول بالنص : « إن وزارة الخارجية الايرانية بعثت تلغرافيا اليوم إلى قنصليتيها فى تل أبيب والقدس المحتلة تبلغهما فيه أن أى وجود إيرانى رسمى فى إسرائيل قد أصبح منذ اليوم منحلا » . ويظهر أن « آية الله الكاشانى » لم يكن واثقا من صدق نوايا وزارة الخارجية الايرانية ، وهكذا كتب خطابا رسميا على أساس فتواه إلى وزير الخارجية الايرانية « كاظمى » يطلب منه تعهدا مكتوبا . وكتب إليه « كاظمى » خطابا برقم ٢٠٠٢ نصه :

« لخدمة الحضرة الشريفة آية الله السيد الحاج سيد أبو القاسم الكاشانى دامت بركاته - ردا على خطابكم الشريف المؤرخ بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٥١ نتشرف بعرض الآتى :

١ - لم تعترف الدولة الامبراطورية الشاهانية إلى الآن اعترافا كاملا بدولة إسرائيل (يقصد التفرقة بين الاعتراف الفعلى ، والاعتراف القانونى) .

٢ - اتخذ فى الآونة الأخيرة قرار بحل القنصليات الامبراطورية فى فلسطين .

٣ - لن يقبل فى إيران أى ممثل من قبل إسرائيل ، وبأى صفة كانت ، أو أى عنوان .

إمضاء
وزير الخارجية »

وعندما وقعت الثورة المضادة فى ايران ، وجرى الانقلاب على حكومة الدكتور « محمد مصدق » الوطنية ، وعاد الشاه الهارب خوفا من الثورة من

روبا إلى طهران مرة اخرى ، انفتح المجال من جديد امام إسرائيل . فإذا عثاتها التجارية تصل إلى طهران ، وتلحق بها بعد ذلك جماعات من دبلوماسيين ، ورجال المخابرات . وإذا البترول الايرانى يصبح المحرك رئيسى لاقتصاد إسرائيل ، والوقود الوحيد تقريبا لجيشها بكل أسلحته البرية البحرية والجوية .

وتنبهت الجامعة العربية فى ذلك الوقت إلى ما يجرى ، وكلفت حكومة العراق رئيسها « نورى السعيد » فى ذلك الوقت بالتدخل لدى الشاه ، وهو شريكه فى حلف بغداد لكى يلفت النظر إلى عواقب التعاون الاسرائيلى الايرانى النشيط ـ على العلاقات الودية التى يجب أن تقوم بين العرب وإيران . وروى « نورى السعيد » فى جلسة لجلس الجامعة العربية سنة ١٩٥٥ أن الشاه قال له عندما فاتحه فى الموضوع : « إن العرب لا يحق لهم ان يطالبونا بشىء ، فعندما توقف انتاج بترولنا اثناء ازمة التاميم ايام مصدق انتهز العرب الفرصة ، وزادوا من انتاج نفطهم لتعويض نقص الأسواق بسبب توقف انتاج البترول الايرانى » .

وفى معركة السويس سنة ١٩٥٦ كانت الآلة الحربية الاسرائيلية تتحرك بالكامل اعتمادا على بترول إيرانى(١٠) . وفى ظروف الدعوة المحمومة لحلف بغداد اشتد التنسيق الايرانى الاسرائيلى ضمن المخطط الغربى العام بدعوى الدفاع عن المنطقة . ثم وصل الأمر إلى مداه عندما وقعت ثورة ١٤ يوليو فى العراق ، وانهارت بذلك عمليا أية فاعلية لحلف بغداد . ووقتها أحس الشاه بأنه يستطيع أن يقنن علاقاته مع إسرائيل دون الخشية من أى حرج أو أية موانع .

□

ولشهور بعد الثورة فى العراق بدا النشاط الاسرائيلى فى إيران سافرا ومفتوحا ، ولم يعد الأمر مقصورا على التبادل التجارى بما فيه بيع البترول ، ولا على النشاط الثقافى وقد امتد ليشمل تبادل وفود صحفية وإعلامية ـ وإنما بدا السلاح الاسرائيلى يصل إلى إيران ، وكانت مقدمته شحنة من المدافع الرشاشة من طراز « عوزى » وصلت فى تقدير تقرير كتبته السفارة السعودية فى طهران بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٥٩ إلى ستة آلاف مدفع رشاش . وقد قام السفير السعودى فى طهران بإطلاع زميله المصرى السفير « محمود محرم حماد » على

(١٠) كان البترول الإيرانى هو وقود الآلة الحربية الإسرائيلية فى معارك سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٣ ـ رغم كل ما قاله الرئيس « السادات » ـ يرحمه الله ـ عن العرفان والوفاء لموقف شاه إيران ايام حرب العبور سنة ١٩٧٣ ، وفى الواقع فإنه كان مجرد غطاء دعائى لتسهيل تغيير السياسة المصرية تجاه الشاه « محمد رضا بهلوى » !

فحواها ، واتفق الاثنان على ضرورة ان يقوم السفراء العرب بمسعى مشترك لوقف التعاون العسكرى بين إيران وإسرائيل ، وزادت اهمية الموضوع عندما ذكر لهما السفير العراقى فى طهران انه علم من مصدر موثوق يعرفه من قديم ان هناك خطة للتنسيق بين اجهزة المخابرات المدنية ، والعسكرية فى البلدين .

وفى ١٠ مارس ١٩٦٠ توجه السفراء العرب فى طهران إلى مقابلة مع وزير الخارجية ، وشرحوا له مخاوفهم ، وقدموا إليه مذكرة مكتوبة بآرائهم ارفقوا بها قصاصة من جريدة « طهرانى جورنال » جاء فيها وصف « بن جوريون » بأنه « حارس السلام فى الشرق الأوسط » . ثم تعقدت الأمور حينما بدأت الوفود الاسرائيلية تشترك فى كل المؤتمرات والمناسبات العامة التى تعقد فى طهران مما كان يضطر كل الوفود العربية إلى الانسحاب من هذه المناسبات .

ثم ترددت أنباء عن اجتماعات سرية تعقد فى قصر المرمر بين الشاه ، وعدد من الشخصيات الاسرائيلية فى مقدمتها رئيس الوزراء « دافيد بن جوريون » والجنرال « موشى ديان » و « شيمون بيريز » المدير العام لوزارة الدفاع فى ذلك الوقت . وتجاسر السفير اليوجوسلافى فى طهران ذات مرة فى لقاء له مع الشاه ، فقال له :

« إن هناك ضيقا بين السفراء العرب الذين بلغهم انكم تجتمعون مع بعض الزعماء الاسرائيليين » . ورد عليه الشاه قائلا : « إننى قابلت بعضهم بالفعل ، ولكنى لم اقابلهم لأسباب سياسية » . ثم اضاف الشاه ما مؤداه انه استقبل بالفعل بعض الاسرائيليين « لأسباب ثقافية لا يستطيع هؤلاء العرب تقديرها . فهؤلاء الاسرائيليون المثقفون ، والعارفون بتاريخ الحضارات لفتوا نظرى إلى ان الذكرى الـ ٢٥٠٠ لتأسيس مملكة « قورش » بانى الحضارة الايرانية سوف تحل بعد سنوات قليلة ، وان الاحتفال بهذه الذكرى قد يكون مناسبة انسانية تجمع العالم كله على الحفاوة بلحظة تاريخية مشرقة . وانه سعد كثيرا برأيهم ، وخصص بالفعل ٢٠ مليون ريال للاستعداد لهذه الاحتفالات من الآن . »

ووصل ملخص لتقرير السفير اليوجوسلافى عن مقابلته مع الشاه إلى القاهرة فى إطار تبادل المعلومات بين الرئيسين « تيتو » و « عبد الناصر » . وكانت الأخبار قد بدأت تصل إلى القاهرة من مختلف المصادر بأن قرارا قد اتخذ بالفعل، وعلى أعلى مستوى بين الشاه و « بن جوريون » بقصد إقامة علاقات رسمية بين البلدين يتم بها تقنين العلاقات المتسعة بينهما فى كل المجالات ، والتى بدأت تصل إلى قضايا الأمن والدفاع . ولم يكن الأمر فى حاجة إلى تخمينات ، فقد نشرت صحيفة « كيهان » وهى

المقربة من بلاط الشاه خبرا فى صفحتها الأولى يوم ١٨ يوليو ١٩٦٠ تحت عنوان «إقامة تمثيل دبلوماسى بين إيران وإسرائيل» ، وجاء فى صلب الخبر ما نصه : «بدأت فى الأيام الأخيرة مباحثات بشأن إقامة تمثيل إيرانى فى إسرائيل ، وسوف يتم ذلك بمجرد إعداد الميزانية اللازمة . وقد صرح اليوم مصدر مطلع بأن موضوع إنشاء تمثيل إيرانى فى إسرائيل هو موضوع عادى لأنه سبق للحكومة الايرانية ان اعترفت رسميا بإسرائيل . وليس فى الموضوع تجديد إعتراف إذ ان حكومة إيران اغلقت فى وقت من الأوقات قنصلياتها فى إسرائيل لأسباب تتعلق بالميزانية ، ولم يكن هذا مبنيا على سحب الاعتراف ، وإنما كان مرهونا بالوقت الذى تسمح فيه الميزانية بوضع الأمور فى مكانها الصحيح» .

وبدا الموضوع خطيرا بالنسبة لـ «جمال عبد الناصر» لعدة اسباب :

١ ـ أن اسرائيل على هذا النحو تقفز فوق الطوق العربى المحيط بها إلى ما وراءه فى المنطقة .

٢ ـ أن التعاون الايرانى الاسرائيلى قد يصبح خنجرا فى ظهر الثورة العراقية التى مازالت تواجه ظروفا صعبة تستغلها قوى أجنبية عديدة .

٣ ـ أن اعتراف إيران بإسرائيل اعترافا كاملا سوف يكون سابقة خطيرة ، إذ انه يعنى ان إحدى الدول الاسلامية تعترف بها اعترافا كاملا لأول مرة .

٤ ـ أن اعتراف دولة إسلامية بإسرائيل قد يتخذ تكأة تستند إليه دول اخرى خصوصا فى افريقيا التى حصلت بلدان عديدة فيها على استقلالها اخيرا .

وتلقى سفير الجمهورية العربية المتحدة فى طهران برقية تطلب منه تقريرا تفصيليا عن احتمالات الاعتراف الدبلوماسى الكامل من جانب إيران بإسرائيل ، وإنشاء علاقات دبلوماسية بينهما . وبعث السفير «حماد» إلى القاهرة بتقرير كامل ، وأضاف إليه ترتيب جهد مشترك بين السفراء العرب فى محاولة للاحتجاج والتصدى ، وكان السفير السعودى فى طهران فى ذلك الوقت هو عميد السلك السياسى الأجنبى فيها . وتم الاتفاق على أن يقوم هو (أى السفير السعودى) معززا بأهمية المملكة العربية السعودية كأكبر منتج للبترول ، وبمكانته كعميد للسلك السياسى فى طهران ـ بطلب مقابلة عاجلة مع وزير الخارجية الايرانى ، وإبلاغه بقلق الدول العربية . وتمت المقابلة بالفعل صباح يوم الأربعاء ٢٠ يوليو .

وفى مساء نفس اليوم دعا السفير السعودى زملاءه من السفراء العرب فى طهران إلى اجتماع معه ليروى لهم ما دار بينه وبين وزير الخارجية[١١] .

روى السفير السعودى أنه أثار موضوع اعتراف إيران بإسرائيل وشرح لوزير الخارجية الايرانية عواقبه ، وكان رد وزير الخارجية عليه أن لفت نظره محتدا إلى تعرض صحف الجمهورية العربية المتحدة وصحف لبنان والعراق لشخص «صاحب الجلالة الامبراطورية الشاهانية» ، وأشار إلى خبر ظهر فى جريدة الأهرام عن سيدة اجنبية أعطت حديثا لإحدى الصحف الفرنسية قالت فيه إنها كانت عشيقة للشاه ـ ثم إن جريدة الجمهورية نشرت صورة عارية للآنسة «فرح ديبا» التى خطبها الشاه لنفسه ـ وهو (أى وزير خارجية إيران) يسلم بأن السفارة المصرية قدمت للخارجية الايرانية اعتذارا عن نشر هذه الصورة ، ولكن هذا الاعتذار لم ينشر فى الجريدة التى نشرت الصورة[١٢] . ثم روى السفير السعودى ايضا : «إن السفير الايرانى فى القاهرة يحاول منذ اسابيع مقابلة وزير الخارجية المصرى ، ولكن طلبه لم يلق استجابة حتى الآن» . ثم أضاف السفير السعودى فى روايته : «إن المشكلة هى أن حكومة سويسرا التى كانت ترعى مصالح إيران فى إسرائيل ابلغته (أى وزير خارجية إيران) انها لم تعد تستطيع مواصلة القيام بهذه المهمة لأنها تستنفد جهد كل موظفى السفارة السويسرية فى إسرائيل . فقد تبين لهم ان فى إسرائيل ٥٠ الف إيرانى منهم ٧ آلاف مازالوا يحملون جوازات سفرهم الايرانية» . وقال السفير السعودى فى نهاية تلخيصه لمقابلته مع وزير خارجية إيران أنه (أى السفير السعودى) قال لوزير الخارجية الايرانى : «إن الدول العربية لا تستطيع قبول وجهة النظر الايرانية كما سمعها ، وأن ما سمعه لا يوحى بالخير ، وانه لا يتصور ان إيران تفضل إسرائيل على مائة مليون عربى» .

ثم حدث ما لم يرد سفير السعودية أن يتصوره ، وأعلن رسميا فى طهران عن إعادة العلاقات مع إسرائيل ، وعلى أن هذا لا ينشىء وضعا جديدا ، وإنما هو استئناف لحقيقة كانت قائمة من قبل !

□

وفى القاهرة وجد «جمال عبد الناصر» أنه لابد من توجيه تحذير عنيف إلى شاه

---

(١١) برقية رمزية بتوقيع السفير «محمود محرم حماد» سفير الجمهورية العربية المتحدة فى طهران بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٦٠ ـ ارشيف وزارة الخارجية .

(١٢) كانت الصورة التى نشرتها جريدة الجمهورية لـ «فرح ديبا» بالمايوه منقولة عن مجلة «بارى ماتش» الفرنسية التى اشترتها من إحدى وكالات الأنباء التى باعتها فى العالم كله .

إيران . وهكذا وقف فى خطاب عام ، وتحدث عن « خطورة اعتراف الشاه بإسرائيل ، وانه بهذا الاعتراف يؤكد للعالم كله ولشعبه انه العوبة فى يد المخابرات المركزية الأمريكية التى اعادته إلى العرش بعد الانقلاب المضاد على ثورة مصدق ، وأن نهايته سوف تكون نهاية غيره من العملاء » .

كان رد « جمال عبد الناصر » عنيفا وموجها إلى الشاه مباشرة ، وقد شرح أسبابه فى ذلك العنف بأن هدفه الحقيقى هو أن يردع أى طرف يتصور أن بمقدوره استغلال وضع تجد فيه الجمهورية العربية المتحدة نفسها فى خلافات مع القوتين الاعظم فى نفس الوقت ، ويتوهم أن ذلك يمكن أن يحد من ردود فعلها تجاه أية إساءة إلى سياساتها . وأن الرد بعنف كان ضروريا لجعل آخرين فى العالم الاسلامى ، أو فى أفريقيا يفكرون مرتين قبل أن يحذوا حذو إيران . ثم إن سلاحه الأساسى الذى يعتمد عليه هو تعبئة الجماهير العربية فى كل مكان . فالحديث إلى هذه الجماهير يقتضى وضوحا قاطعا يختلف عن ظلال دبلوماسية المذكرات . ثم استشهد « جمال عبد الناصر » بما تفعله ألمانيا الغربية فى تطبيق مبدأ « هالشتين » على أى دولة فى العالم تعترف بألمانيا الشرقية . وبمقتضى هذا القانون فإن ألمانيا الغربية تقطع علاقاتها فورا بأى دولة فى العالم تعترف بالنصف الشرقى منها ـ فكيف إذا كان الاعتراف بعدو فى حرب لا تزال مستمرة ؟

وفقد الشاه أعصابه ، وأصدرت وزارة الخارجية الايرانية بيانا رسميا جاء فيه بالنص : « إن وكالات الأنباء الأجنبية نقلت مساء اليوم تصريحات مجنونة لجمال عبد الناصر تعرض فيها للمؤسسات المقدسة فى ايران . ولكن هذا الفرعون المصرى الأحمق يشوه حقائق موقف الحكومة الامبراطورية الشاهانية . إن تصريحات جمال عبد الناصر الغبية والشريرة والرخيصة لا تليق برئيس دولة ، ولكن هذا لا يدهش جلالة الامبراطور الذى يعلم أن ذلك الرجل قفز إلى السلطة على أساس غير شرعى » .

وقد اصدرت وزارة الخارجية أمرا إلى السفير المصرى فى إيران بأن يغادر طهران فى ظرف ٢٤ ساعة .

كان خطاب « جمال عبد الناصر » عنيفا ، وجاء رد الشاه بذيئا . والواقع أن العلاقات بين الرجلين لم يقدر لها أن تكون طيبة فى يوم من الأيام ، فقد كان الشاه متطيرا من ثورة ٢٣ يوليو فى مصر ، وقد زاد تشاؤمه عندما تم تأميم قناة السويس بنجاح ، وقد كان فى ذلك ما يذكره بمحاولة « مصدق » التى لم يكتب لها النجاح فى إيران . ثم ان الشاه كان حساسا باستمرار لحقيقة أن والده « رضا خان » قفز من جاويش فى اسطبلات الحرس الكاجارى ليجلس على عرش الطاووس ، وبالتالى فإن

كراهيته للثورات ، وحتى الانقلابات ، كانت ظاهرة لحالة انفصام عقلى تدعوه إلى التظاهر بعراقة الأصل وتجعله يبالغ فى مراسمها على ذلك أن يقطع صلته بالجذور وبالماضى تماما . وإضافة إلى ذلك ، فإن سقوط حلف بغداد بطريقة دموية فى العراق ، ألحق به جراحا نفسية ، ومخاوف لا سبيل إلى ردها .

□

وكانت الولايات المتحدة تحاول أن تتنصل من تصرفات الشاه . ففى الليلة السابقة لمغادرته لطهران تنفيذا لأمر الطرد الصادر عن الشاه ـ حضر السفير المصرى « محمود محرم حماد » حفل استقبال فى سفارة الهند قصد منه أن يودع بالجملة زملاءه من السفراء المعتمدين لدى الحكومة الايرانية . وروى السفير « حماد » فى تقرير له عن يومه الأخير فى طهران ما نصه :

« حضرت مساء الاثنين ٢٥ يوليو ١٩٦٠ حفل استقبال أقيمت فى سفارة الهند وقابلت فيها :

□ أولا : السيد جلال عبده وزير الخارجية الايرانية السابق ، وقد اعرب لى سرا عن دهشته لحدة تصريحات الشاه ، وأبدى أسفه لموقف بلاده من إسرائيل ، وقال لقد كان رأيه أن لا تغير إيران سياستها طالما أن إسرائيل لا تنفذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين .

□ ثانيا : انتحى بى السفير الأمريكى جانبا ، وأبدى لى دهشته من اتجاه إيران إلى الاعتراف رسميا بإسرائيل ، ثم أضاف قائلا لى : « إننى لا أعرف لماذا يخلقون لأنفسهم مشاكل جديدة فى حين أن لديهم ما يكفيهم منها » . ثم أبدى لى السفير الأمريكى عبارة فهمت منها « أنه بعد ما حدث ، فإنهم قد يضطرون إلى وقف تنفيذ قرارهم . »

وكان هذا هو ما حدث فعلا ، فإن مختلف القوى الوطنية فى إيران برغم ما تعانيه من كبت وقمع راحت تتحرك ـ حتى بالمظاهرات فى جامعة طهران ـ وتوقفت عملية تبادل السفراء ، وإن كانت قد تحولت إلى بعثة لرعاية المصالح المشتركة .

الفصل الثالث

أحـــزان أفريقيـــا

١

بعض السنوات فى التاريخ كبعض المواقع على الطرق ـ يشتد عندها الزحام وتكثر الحركة ، وتزداد احتمالات حوادث التصادم . وتلك فى الغالب مواقع تقاطع الطرق !

وعلى خرائط التاريخ نقط تقاطع ، كما على خرائط الطرق .

وضحايا حوادث التصادم على نقط تقاطع التاريخ أخطر شأنا وأبعد أثرا منهم على نقط تقاطع الطرق . ذلك أنه عندما تقع حوادث التصادم فى التاريخ فإن الضحايا ليسوا مجرد أفراد ، وإنما هم أفكار وأقطار ، وأفراد أيضا ، وإن كانوا فى العادة أفرادا من طراز خاص لم يكن غافلا عما دهمه ، وإنما كان فاعلا مسؤولا ولو حتى بمقدار !

□

وكان الجسر الذى مشت عليه الحركة السياسية الدولية من نهاية الخمسينات إلى بداية الستينات نقطة تقاطع طرق تاريخية ، وعلى نحو يكاد يجعل الوصف مطابقا للموصوف تماما ، مما يجعله حالة نموذجية للدراسة والتحليل !

كانت القوتان الأعظم فى سباق عنيف بينهما ، وهو سباق يحذر الكل من عواقبه . لكن الكل لم يكونوا قد استطاعوا بعد تقنين قواعده . وقد اشتد الخوف من

العواقب بعد معركة السويس التى أوصلت الدنيا إلى حافة الهاوية ،ولكن القوانين تحتاج إلى اتفاق وتوازن ورضا ، ولا يكفى فيها مجرد الخوف !

وكانت القوى الكبرى خصوصا بريطانيا وفرنسا قد نزلت عن عروشها الامبراطورية ، ولكنها لم تتنازل ، وهناك فارق كبير بين الاثنين ، فالنزول إكراه ، والتنازل إدراك ، والامبراطوريات لا تدرك بسهولة !

وكانت الأمم المتحدة ، وهى التجمع الدولى الذى قبله العالم نظاما لمجتمع الدول ـ ساحة برز فيها ضمير العالم معتمدا على أغلبية من الضعفاء تصدوا لسيطرة أقلية الأقوياء ، واستطاعوا فى السويس أن يضعوا المبادىء على درجة أعلى فوق المطامع ـ لكن أغلبية الضعفاء نفسها قصير وصبرها ـ حتى مع الانضباط ـ قليل ، ثم إن تباعد الظروف لا يستطيع أن يجعل منها حركة موحدة الاتجاه فى كل أزمة .

ولقد بدا بعد السويس ، واستفادة من نتائجها ودروسها، أن هناك محاولة لتنظيم المرور على طرق التاريخ المتقاطعة .

بدأت القوتان الأعظم محاولة على مستوى القمة لبحث سباق السلاح كمقدمة للوصول إلى نوع من الوفاق ، وقام « خروشوف » بزيارة للولايات المتحدة كان يجب أن تعقبها زيارة يقوم بها « ايزنهاور » للاتحاد السوفيتى فى ربيع سنة ١٩٦٠ .

وكانت القوى الامبراطورية السابقة مشغولة بعمليات المقاومة الأخيرة قبل التصفية النهائية : فرنسا فى الجزائر ـ وبريطانيا فى عدن والخليج العربى .

وكانت الأمم المتحدة قد وجدت لنفسها صيغة بدت ملائمة ، فإلى جانب تناقش القوتين الأعظم بالأسلحة وبالعقائد ـ كانت السكرتارية العامة للأمم المتحدة بشخصية « همرشولد » تمارس دورا أكبر بكثير من دور الموظف الدولى الأول ، وساعده على هذا الدور أن مجموعة الدول غير المنحازة بقيادة الهند ويوجوسلافيا والجمهورية العربية المتحدة ، ومعها كوكبة من الدول المؤمنة بنفس الاتجاه تتبعها كتائب من قوى حركة التحرر الوطنى ـ راحت جميعا تضع قوتها بالكامل وراء مبادىء الأمم المتحدة .

وبدا فى نهاية الخمسينات أن هذه الترتيبات التى أوجدتها ظروف الممارسة الدولية قابلة للنجاح فى مهمة تأسيس نظام دولى قابل للحياة والحركة والفعل .

ثم فجأة فى أوائل الستينات اختلت الموازين ، وتشابكت حركة الزحام ، وتصادمت عند تقاطع الطرق !

كانت افريقيا هى أول نقطة تقاطعت عندها الطرق فى نهاية حقبة الخمسينات ، وبداية حقبة الستينات .

كانت خمائر السويس قد نضجت بسرعة ، وادت إلى استقلال غانا فى سنة ١٩٥٧ ثم لحقها استقلال غينيا فى سنة ١٩٥٨ ، وهبت « رياح التغيير » ـ تعبير « هارولد ماكميلان » ـ على القارة السوداء حاملة بذور الثورة والتحرر ، وما هى إلا شهور حتى بدات علامات عشرين مخاضا لميلاد جديد فى قلب افريقيا .

وفى سنة ١٩٦٠ كان كل شهر تقريبا يسمع صراخ وليد أفريقى مستقل مطالب بحقوق الحياة .

فى أول يناير ١٩٦٠ أعلن استقلال الكاميرون ، وفى ٢٧ ابريل أعلن استقلال توجو ، وفى ٢٦ يونيو أعلن استقلال بلدين فى وقت واحد : مدغشقر والصومال الشمالى ، وفى ٣٠ يونيو أعلن استقلال الكونجو (زائير) ، وفى أول يوليو أعلن استقلال الصومال الجنوبى ، وفى أول أغسطس أعلن استقلال بنين ، وفى ٧ اغسطس أعلن استقلال ساحل العاج (كوت ديفوار) ، وفى ٨ أغسطس أعلن استقلال فولتا العليا (بوركينا فاسو) ، وفى ١١ أغسطس أعلن استقلال تشاد ، وفى ١٣ أغسطس أعلن استقلال النيجر واستقلال أفريقيا الوسطى ، وفى ١٥ أغسطس أعلن استقلال الكونجو (برازافيل) وفى ١٧ أغسطس أعلن استقلال الجابون ، وفى ٢٠ أغسطس أعلن استقلال السنغال ، وفى ٢٢ سبتمبر أعلن استقلال مالى ، وفى أول اكتوبر أعلن استقلال نيجيريا ، وفى ٢٨ نوفمبر أعلن استقلال موريتانيا . . .

زحام شديد على تقاطع الطرق !

□

ولم تكن عمليات الميلاد الجديد المتوالية بهذه السرعة كأنها شلال يتدفق مجرد مشهد طبيعى يخطف الأبصار بروعته ، ذلك لأن الاستعمار لم يكن مجرد قيد من حديد ينكسر ، فإذا هى الحرية بعد العبودية ، **وإنما كانت الحقائق اعقد من ذلك كثيرا ، واشد مدعاة للهم والقلق ، فقد كان الاستعمار يريد ان يمنح مظهر الاستقلال ، ويريد فى نفس الوقت ان يمنع جوهره ، يترك القيد الحديدى يقع بعد كسره ، ولكنه يحتفظ بصك العبودية فى جيبه ، ولم تكن صكوك العبودية اوراقا ، وإنما كانت حقائق اقتصادية وثقافية وسياسية تربط المستعمرات التى استقلت بعواصم السيطرة السابقة عليها ، اى انها تفرض الاضطرار بديلا عن القسر . فالاقتصاد التابع والثقافة التابعة والأمن التابع حالة من القهر اسوا مما يصنعه العنف ، فالعنف يستدعى المقاومة فى حين ان الاضطرار إلى التبعية يورث الذل !**

وهكذا فإن افريقيا غداة أيام الاستقلال أصبحت قارة حزينة ، فقد كانت قياداتها الجديدة فى أعماقها تدرك الحقيقة ، وإن راحت فى تصرفاتها تحاول الهرب منها بوسائل مختلفة ، فقد كان هناك من اختاروا الهرب عن طريق الأوهام العقائدية (« سيكوتورى » فى غينيا مثلا) ـ وكان هناك من اختاروا الهرب عن طريق الأحلام الذاتية (« نكروما » فى غانا الذى اختار لنفسه لقب « الأوساييفو » أى المنقذ المخلص . . مسيح إفريقى !) ـ وكان هناك من اختاروا الهرب من باب الاستسلام الكامل للواقع (« باندا » فى مالاوى مثلا) . ومع ذلك فإن إدراك الحقائق والهرب منها أو الاستسلام لها ـ ليس من شأنه ايقاف تفاعلات التاريخ ، وإن كان من شأنه جعل هذه التفاعلات مؤلمة ملتهبة ودامية .

وكانت مصر طوال تاريخها جسرا بين افريقيا وآسيا ، وكان هذا الجسر جغرافيا بمقدار ما هو تاريخى ، ثم جاء دور الثورة المصرية فى دعم حركات التحرر الوطنى ، وفى صنع روح باندونج ، وفى المشاركة الفعلية فى تحريك رياح التغيير بما فى ذلك تحملها بمسؤولية أساسية فى مناصرة ثورات شمال افريقيا ، واولها الثورة الجزائرية . وبمجمل هذه العوامل جميعا فإن القاهرة اصبحت بعد السويس عاصمة للتحرر الإفريقى .

وهكذا كانت القاهرة من أهم نقط تقاطع الطرق فى افريقيا وتلاقيها ـ او تشابكها ـ مع آسيا .

□

ومع بدايات سنة ١٩٦٠ كان « جمال عبد الناصر » يشعر أن هناك احتمالات للزحام وللصدام بالذات فى أفريقيا ، كما انه كان مشتركا فى عملية تشاور واسعة مع « نهرو » و « تيتو » . وكان « نهرو » أقرب إلى تفكيره فى هذه الموضوعات مما كان « تيتو » . واقترح عليه « نهرو » أن يلتقيا فى دلهى ، وكتب إليه يسأله إذا كان يستطيع ان يشارك معه فى الاحتفال بيوم الجمهورية فى الهند يوم ٢٦ يناير ، ثم يتفرغ الاثنان بعد الاحتفالات لأحاديث أفريقيا . واعتذر « جمال عبد الناصر » عن هذا الموعد ، فقد علم أن هناك ضيوفا كثيرين سوف يشاركون فى هذا الاحتفال ، وبينهم الرئيس « خورشيلوف » رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية . وكتب إلى « نهرو » يقترح موعدا آخر ، وفهم « نهرو » أن « جمال عبد الناصر » ليس مستعدا فى الوقت

الراهن ، وفى ظروف الخلاف المشتد مع الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط أن يلتقى ، ولو بالمصادفات ، مع شخصيات سوفيتية على مستوى رئيس الدولة . وكتب إليه خطابا[1] شخصيا جاء فيه :

« *عزيزى الرئيس ناصر*

كنت وزملائى فى الحكومة الهندية نتطلع إلى زيارتكم للهند ، وإلى اشتراككم فى احتفالاتنا بيوم الجمهورية فى ٢٦ يناير . وقد علمنا الآن انكم تفضلون ان تحضروا إلى الهند فى الأسبوع الأول من ابريل ، ومرحبا بكم فى الهند فى اى وقت يناسبكم . ومع ذلك فما زلت ارى انكم إذا كنتم غير راغبين فى ان تتداخل زيارتكم مع زيارة الرئيس فورشيلوف ، فإننا نستطيع ان نحقق رغباتكم . ولما كان من المرجح ان يغادر الرئيس فورشيلوف دلهى يوم ٢٧ يناير ، فهل يمكنكم ان تحضروا إلى دلهى فى ٢٧ او ٢٨ ؟

مع اطيب تحياتى .

المخلص
جواهر لال نهرو »

وكان رأى « جمال عبد الناصر » أنه لا يود الذهاب بهذه السرعة فى أعقاب زيارة « فورشيلوف » لأن ذلك قد يوحى ضمنا بوجود وساطة تقوم بها الهند بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى ـ فى حين ان الموضوعات التى كان راغبا فى مناقشتها مع « نهرو » كانت أوسع من الخلاف مع الاتحاد السوفيتى .

وعندما التقى الاثنان أخيرا فى ٦ أبريل ١٩٦٠ كان اتفاقهما منذ اللحظة الأولى على أن أفريقيا ، وما يجرى فيها ، وما سوف يجرى هو موضوع الساعة . وكانت مخاوفهما تتركز فى مشكلتين :

- **المشكلة الأولى** هى مشكلة تحول قيادات حركة التحرر السريعة الناشئة عن رياح التغيير من حركات ثورية هشة إلى دول سوف تكون بالتأكيد ضعيفة ، مما يعرضها لأزمات داخلية وخارجية قد تعرضها لأكثر مما هى قادرة على احتماله فى هذه اللحظة من تطورها .

- **والمشكلة الثانية** أن هذا الوضع سوف يكون فرصة مهيأة للاستغلال بواسطة القوتين الأعظم ، وهكذا فإن عواصف الحرب الباردة قد تؤدى إلى دمار شديد فى القارة الواقفة على عتبات الاستقلال .

(١) رسالة « نهرو » محفوظة فى ارشيف منشية البكرى ، كما توجد منها نسخة فى ارشيف وزارة الخارجية .

وعلى هامش هاتين المشكلتين اثار « جمال عبد الناصر » ازمة خلافه مع الاتحاد السوفيتى ، كما اثار « نهرو » ازمة خلافه مع الصين . وكان رايهما معا ان حركة التحرر الوطنى بصفة عامة قد وصلت إلى « تقاطع طرق » مع الكتلة الشيوعية . فهذه الكتلة وقفت مع حركة التحرر الوطنى إلى حين تحقيق الاستقلال . وحين تحقق برزت المطامح والمطامع لأن الفريقين لم يعودا كما كانا فى السابق يواجهان نفس الخصم ، ولنفس الهدف ، وهو تصفية الاستعمار .

كذلك اثار « جمال عبد الناصر » قضية هامة رآها فى ذلك الوقت ، وهى محاولات إسرائيل للنفاذ إلى القارة .

واتصلت المناقشات ، واستمرت بين الاثنين ، ولم يكن وقت الزيارة الرسمية كافيا ، فقضايا البحث بينهما ضخمة ، واحتمالاتها خطرة . وفى آخر يوم من أيام الزيارة وهو ٩ أبريل ١٩٦٠ مر « نهرو » على قصر الضيافة الذى ينزل فيه « جمال عبد الناصر » وترك له رسالة يفكر فى موضوعها حتى يتقابلا بعد ذلك فى موعد الوداع الرسمى ، وقد جاء فيها :(٢)

« *عزيزى الرئيس ناصر*

لم نستطع ان نغطى مساحة كل ما كنا نبحث فيه من موضوعات اثناء زيارتكم هنا فإلى جانب لقاءاتنا اثناء زيارتكم كان امامكم ايضا برنامج حافل بالزيارات ، وارجو الا يكون ذلك قد ارهقكم . وعلى اى حال ، فانتم لا تزالون فى عنفوان الشباب ، وممتلئون بالحيوية ، ومعتادون على العمل الشاق . لكننا لم نفرغ من كل ما كنا نعتزم بحثه . وانتم تعلمون اننى سوف احضر فى الشهر القادم مؤتمرا لرؤساء حكومات « الكومنولث » فى لندن . واتمنى ان استطيع قضاء يومين او ثلاثة فى مصر فى طريق عودتى . فإذا استطعت ان تعطينى وقتا كافيا يومى ١٥ و ١٦ مايو ـ وإذا كان ذلك يناسبكم ـ فإنى اقترح ان اتوقف فى القاهرة لنستكمل فيها ما بداناه هنا . وإذا اذنت لى ، فإنى اريد ان اقضى ثلاثة ايام فى مصر يومين منها معك فى القاهرة ويوم ثالث اتمنى ان ازور فيه السد العالى ، وربما معابد الاقصر ، فإن ذلك يجعلنى اشعر بنبض كل من مصر التى تتطور بسرعة ، ومصر القديمة العريقة .

توقيع
جواهر لال نهرو »

(٢) نص الرسالة بخط يد « نهرو » وبتوقيعه محفوظ فى ارشيف منشية البكرى . ويلاحظ ان هامش هذه الرسالة حوى تاشيرة بخط « جمال عبد الناصر » يطلب وضع جهاز تكييف فى الاستراحة التى سينزل فيها « نهرو » فى اسوان .

وسافر « عبد الناصر » من الهند إلى باكستان ، فقد كان حريصا فى كل مرة يزور فيها الهند بروابط عدم الانحياز – أن يزور باكستان أيضا بدواعى رابطة الاسلام . وكان يعرف مقدما أنه ليس لديه كثير يناقش مع حكومة باكستان ، ولكنه كان يقصد بالدرجة الأولى أن يلتقى بشعبها . وكان أثناء زيارته للهند قد دعا سفراء الجمهورية العربية المتحدة فى كل الدول الآسيوية إلى اجتماع معه فى « بومباى » ، وتشكل وقائع هذا اللقاء صورة لتفكيره فى تلك المرحلة . فقد بدأ حديثه [٣] مع السفراء فى آسيا بقوله :

« إننى احببت ان اراكم هنا مجتمعين فانا فى احيان كثيرة اراكم فرادى ، وهذه فرصة لنا جميعا كى نرى الصورة كاملة معا بحيث يخرج كل منا برؤية واضحة لقارة باكملها لها اهميتها الخاصة بالنسبة لنا . إنكم رايتم اثناء وجودكم هنا كيف تنظر جماهير الشعوب إلى الجمهورية العربية المتحدة ، فانا لا اعتبر ان خروج الناس لاستقبالى على هذا النحو تحية موجهة لى شخصيا ، وإنما اعتبره تحية موجهة إلى النموذج الذى قدمه الشعب فى بلدنا للتحرر وللبناء . والسؤال الذى اساله لنفسى ، واسالكم فيه الآن هو كيف نستطيع تدعيم هذا النجاح ، فنحن لا نملك ما تملكه امريكا او روسيا ، وانما نملك ثلاثة عناصر يجب ان نحرص عليها لتظل للجمهورية قيمتها وقدرتها على التاثير . والعناصر الثلاثة هى :

١ – الاخلاص للقضايا الافريقية الآسيوية .

٢ – الحياة فى هذه القضايا والتفاعل معها .

٣ – النموذج الذى نقدمه لكل الذين يتطلعون إلينا .

كل هذه العناصر مهمة لان قيمة اى بلد فى عالم اليوم تتحدد بقدرته على الاشعاع . ولابد ان تلاحظوا اننا نتحمل تكاليف كثيرة لنحتفظ بموقفنا المستقل . ونحن نجد ان الشرق والغرب كليهما ينظر إلينا على اننا عقبة فى طريقه إلى السيطرة . وفى آسيا وفى افريقيا مجالنا الحقيقى للحركة والتاثير . إننى كنت اتمنى ان تكون لنا امكانية التاثير فى اوروبا وامريكا ، ولكنى مضطر مع الأسف إلى الاعتراف بان إسرائيل تسبقنا فى هذين الميدانين . ولقد استطعنا مواجهتها فى آسيا منذ ايام « باندونج » ونحن الآن نواجهها فى افريقيا ، وعلينا ان نسبقها إلى امريكا اللاتينية .

وبالطبع فإن امريكا وروسيا كليهما يحاول عزل تاثيرنا المستقل ، ولا ينبغى ان نسمح لانفسنا ان نعزل . فإذا تم عزلنا عالميا ، فسوف تكون الخطوة التالية هى ضربنا محليا . »

(٣) محضر الاجتماع بين « جمال عبد الناصر » وسفراء الجمهورية العربية المتحدة فى آسيا كتب اصله بخط الدكتور « محمود فوزى » وقد اعيد نقله بالآلة الكاتبة على اوراق وزارة الخارجية التى احتفظت منه بنسخة ، وبعثت بالنسخة الثانية إلى الرئاسة . وهى محفوظة فى ارشيف منشية البكرى .

واعطى « جمال عبد الناصر » الكلمة بعد ذلك للدكتور « محمود فوزى » الذى طرح على السفراء كمدخل للنقاش تفاصيل ما كان قد جرى قبله من حوار فى دلهى بين « جمال عبد الناصر » و « جواهر لال نهرو » . ثم بدات المناقشة واتصلت ست ساعات .

وعاد « جمال عبد الناصر » إلى القـاهرة .

ولحق به « نهرو » بعد أسابيع قليلة كما اقترح .

واتصلت المناقشات بين الصديقين فى نفس الموضوعات . وكانت أعلام الاستقلال ترتفع بسرعة خاطفة فى عواصم أفريقية عديدة ، ومع ذلك فإن الصديقين المجتمعين فى القاهرة ، كانا يحاولان مد البصر إلى ما وراء أيام الأفراح العابرة ، ويخشيان مما هو قادم بعدها من أسباب الصدام ودواعيه .

□

ووقع الصدام الكبير فى الكونجو سنة ١٩٦٠ .

كان الكونجو فى أواخر القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين مستعمرة من نوع غريب فى التاريخ ، فقد كانت ملكيتها لملك بلجيكا الملك « ليوبولد السادس » شخصيا . كان « ليوبولد » هو مالك الغابات ، ومالك المناجم ، ومالك سكان الكونجو جميعا عبيدا له بالمعنى الحرفى للكلمة ، أى أن الملك كان بالفعل يتاجر بالبشر حتى خارج حدود مستعمرته . ولقد تسبب هذا الوضع فى حرج شديد للشعب والحكومة فى بلجيكا ، الأمر الذى أدى بـ « ليوبولد » وورثته إلى أن يحولوا ملكيتهم للكونجو إلى شركات مساهمة ، وظل هذا الوضع قائما تقريبا إلى أيام معركة السويس . ثم بدأت رياح التغيير تهب حتى ظهرت أول حركة سياسية وطنية سنة ١٩٥٩ . ويقول تقرير الأمم المتحدة الأول عن الكونجو بعد أن بدأت وقائع الصدام سنة ١٩٦٠ « إنه حتى سنة ١٩٥٧ لم يكن هناك فى الكونجو البلجيكى أى نشاط سياسى من أى نوع بواسطة سكان البلاد الأصليين . ولم تكن فكرة الاستقلال – ولو حتى كفكرة – مطروحة على الاطلاق . ووقعت أول قلاقل معادية للاستعمار سنة ١٩٥٩ » .

وبطبيعة الملكية الخاصة للكونجو على هذا النحو ، فإن ظهور القلاقل ما لبث أن تبعه تراجع سريع لأن القوى المسيطرة لم تكن حكومة لها مسؤولياتها ، وإنما كانت شركة ، أو مجموعة شركات لها مصالحها ، وهى ليست جاهزة للقمع بالقوة إزاء انتشار التمرد ، ولذلك فإن عليها أن تجد وسائل أخرى للتهدئة ، واستعادة السيطرة . وذلك ماراحت تفعله ، لكن رياح التغيير كانت تهب وتفرض بهبوبها تداخلات وانقطاعات وتغييرات على الترتيبات الأصلية .

ولقد اتخذت على عجل اجراءات لاعلان نوع من الاستقلال . وجرى نوع من الترتيبات المتسرعة ظهر خلاله ثلاثة رجال هم « كازافوبو » الذى تولى رئاسة الدولة ، و « لومومبا » الذى تولى رئاسة الوزارة ، و « تشومبى » الذى فضل أن يظل فى إقليمه « كاتنجا » ولا يتوجه إلى العاصمة فى احتفالات قيام الدولة الجديدة .

ولم يكن هناك من المقيمين فى الكونجو إفريقيون أو أجانب من كان مهيأ لفكرة الاستقلال عاطفيا أو عمليا . وهكذا فإن ما تلا إعلان الاستقلال كان هو بالضبط ما سبقه . وعلى سبيل المثال ، فقد تحولت قوة الأمن العام التابعة لمجموعة شركات استغلال الكونجو لكى تصبح جيشا للدولة المستقلة . وكان قائدها ضابطا بلجيكيا ، وكانت تعليماته فى اليوم الأول للاستقلال هى منشور طبعه ووزعه على جنوده يحمل جملة واحدة « **بعد الاستقلال = قبل الاستقلال** » . ولم يكن وحده فى هذا التصور ، وإنما كان ذلك هو التوقع العام السائد والمستقر .

ولكن المشكلة أن رئيس وزراء الكونجو « لومومبا »(٤) كان له تصور آخر دفعته إليه أحوال القارة عموما إلى جانب هبوب رياح التغيير عليها فى تلك الفترة . وهكذا **فإنه وقف يوم الاحتفال بمراسم الاستقلال ، وفى حضور ملك بلجيكا ، وأطلق العنان لكل المخزون والمكبوت من مشاعر الاحساس بالقهر والظلم . ولم يكن حديثه صدمة للملك فحسب ، وإنما كان صدمة أكبر للبلجيك ، وغيرهم من الأجانب الذين يعيشون فى الكونجو ، ويحصلون على امتيازات استغلالها أفرادا وشركات . ومنذ اللحظة الأولى ، فقد أدرك هؤلاء أن لومومبا « ظاهرة تهور واندفاع » يتحتم استئصالها مبكرا ، وقبل أن تحدث تاثيراتها ومضاعفاتها .**

ولقد كان التدخل بإثارة الاضطرابات سهلا ومتاحا ، ولم تنقض أيام حتى كانت الحكومة عاجزة عن السيطرة على الأمن فى العاصمة وخارجها ، وزاد على عوامل الاضطراب أن « تشومبى » المسؤول عن إقليم « كاتنجا » اعتبر نفسه مسؤولا أمام شركات النحاس والماس واليورانيوم فى « كاتنجا » وليس مسؤولا أمام حكومة على الورق قامت فى العاصمة . وعرضت الحكومة البلجيكية أن ترسل قوات لحفظ الأمن فى الكونجو ، ولكن « لومومبا » اعتبر ذلك عودة للسيطرة ، وطلب إلى الأمم المتحدة أن تبعث اليه بقوات تصون استقلال « الكونجو » ووحدة أراضيه إزاء محاولات للتمرد والانسلاخ بلغت ذروتها فى مقاطعة « كاتنجا » التى ما لبث « تشومبى » أن أعلن استقلالها عن الحكومة المركزية ، وتعقد الموقف أكثر حين طلب « تشومبى » قوات بلجيكية تساعده فى المحافظة على أمن المناجم فى مقاطعته ، ووصلت إليه هذه القوات

(٤) كان « باتريس لومومبا » هو الكونجولى الوحيد الذى حصل على شهادة البكالوريا ، واكمل بعدها دراسة منهج فى المحاسبة جعله يحصل على وظيفة فى احد البنوك .

فعلا ، وقفزت أزمة الكونجو لتفرض نفسها على القارة ، وعلى القوى المهتمة بمصائرها وثرواتها ، وبالتالى على العالم .

وقام السكرتير العام للأمم المتحدة « داج همرشولد » ـ بتأييد مجموعة الدول غير المنحازة ، وفى مقدمتها الهند ويوجوسلافيا والجمهورية العربية المتحدة ـ بتشكيل قوة دولية بدأ وصولها إلى الكونجو ، ولكن هذه القوات وجدت نفسها وسط دوامات وتيارات متصادمة متصارعة ، تشابكت فيها أطراف محلية وإفريقية ودولية تقاربت ، أو تباعدت خططها ومصالحها .

وكانت بداية المشاكل خلافا بين « لومومبا » و « همرشولد » فقد طلب « لومومبا » أن تكون القوات الدولية التى ترسل إلى الكونجو كلها قوات سوداء ، أى من افريقيا . ورفض « همرشولد » قائلا إنه لا يستطيع أن يميز فى إطار الأمم المتحدة بين الأسود والأبيض والأسمر ، فمثل هذا التمييز فى حد ذاته يتناقض مع روح الأمم المتحدة ذاتها .

وبعد وصول قوات الأمم المتحدة عادت المشاكل بين « همرشولد » و « لومومبا » لتطل براسها من جديد لأن « لومومبا » تصور أن القوات الدولية لابد أن تتلقى أوامرها منه شخصيا . وكان ذلك مخالفا لوجهة نظر « همرشولد » فقد خشى أن تتحول قوات الأمم المتحدة بهذا الوضع إلى طرف فى الصراع الداخلى ، فى حين أن مهمتها محددة بقرار من مجلس الامن يلقى عليها مهمة حفظ الأمن فى الكونجو كله .

وعندما أعلن « تشومبى » انفصال إقليم « كاتنجا » ودعا القوات البلجيكية لمساعدته فى حفظ الأمن ، اعتبر « لومومبا » أن هذا التطور يعطيه الحق فى اتخاذ قرار يطلب فيه إلى قوات الأمم المتحدة ان تشق طريقها إلى « كاتنجا » حتى ولو ادى الأمر إلى اشتباكات مسلحة مع القوات البلجيكية وقوات « تشومبى » .

كانت القاهرة ودلهى وبلجراد كلها تتابع التطورات ، وتشعر أن الدول غير المنحازة عليها مهمة فى تسهيل عملية الانتقال من الاحتلال إلى الاستقلال فى افريقيا بأقصى ما يمكن من السلاسة والهدوء . ولقد كان هذا هو ما دعا « جمال عبد الناصر » إلى أن يقبل اقتراحا من « همرشولد » بأن تشترك الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها دولة إفريقية فى قوة الأمم المتحدة العاملة فى الكونجو . وبالفعل وصلت إلى الكونجو كتيبة مظلات مصرية من خمسمائة جندى وضابط يقودها العقيد « سعد الدين الشاذلى » ، كما أن « جمال عبد الناصر » وافق على إرسال مجموعة من ضباط الاتصال المصريين ملحقين بهيئة الامم المتحدة فى الكونجو ، وكان يراسها الدكتور

« رالف بانش » مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة (وهو زنجى امريكى) وكان رئيس ضباط الاتصال المصريين هو العميد « أحمد اسماعيل على »[5] .

واقترح « عبد الناصر » على « همرشولد » أن يذهب بنفسه إلى الكونجو ، وأن يحاول تذليل العقبات بهيبته كسكرتير عام للأمم المتحدة خصوصا وأن الأنباء كانت قد بدأت ترد عن نشاط محموم يجرى فى « كاتنجا » التى وصلت إليها مجموعات من رجال المخابرات المركزية الأمريكية يتقدمهم « فرانك كارلوتشى »[6] ، كما وصلت إليها أيضا مجموعات من كبار الرأسماليين يتقدمهم البارون « جى روتشيلد » وريث عائلة « روتشيلد» المشهورة ، و « هارى أوبنهايمر » رئيس مجموعة مناجم جنوب افريقيا التى تملك امتيازات الماس فى « كاتنجا » . **كما أن المعلومات المتسربة من هناك كانت تشير إلى خطط ومؤامرات استطاع فيها هذا التحالف بين قوى المخابرات والمصالح الرأسمالية شراء ولاء الكولونيل « موبوتو »[7] قائد جيش الكونجو الذى بدأ ينقل ولاءه من الحكومة إلى جهات أخرى .**

واستجاب « همرشولد » لاقتراح « عبد الناصر » وسافر إلى الكونجو ولكن علاقاته بـ « لومومبا » اتسمت بالتوتر من أول يوم . فقد كان « لومومبا » على استعداد للشك الدائم فى كل أبيض ، كما أن « همرشولد » الذى اعتبر نفسه مسؤولا عن سلامة قوات الأمم المتحدة كان مصرا على أن تحتفظ هذه القوات بمطار تسيطر عليه ضمانا لمواصلاتها مع العالم الخارجى .

ولقد كان هناك تصادم ثقافى بين الأثنين تحول إلى تصادم شخصى بين الثائر الافريقى المتحمس إلى حد العصبية ، وبين الدبلوماسى السويدى الذى حقق لنفسه مكانة دولية تتجاوز حدود وظيفته ـ بالدور الذى قام به فى معركة السويس . وفى بعض اللحظات بدا أن « لومومبا » يفقد أعصابه ، فقد احتد على « همرشولد » وقال له فى أثناء أحد اللقاءات إنه سوف يطرد قوات الأمم المتحدة ويطلب قوات يستطيع أن يعتمد عليها من أى مكان يراه . وكان واضحا أنه يلمح إلى امكانية دعوة قوات سوفيتية . وحاول « همرشولد » أن يلفت نظره إلى خطورة ما يقول ودلالاته ، ولكن « لومومبا » كان يشعر أن حلقات الحصار تضيق من حوله يوما بعد يوم .

وتعقدت المشاكل ، وبدأت تعقيداتها تعكس نفسها على عمل قوات الأمم المتحدة

(٥) اختلف الضابطان المصريان الكبيران : « احمد إسماعيل » و « سعد الشاذلى » فى اثناء عملهما فى الكونجو ، وقد انعكس هذا الخلاف على علاقاتهما فيما بعد خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ وكان اولهما قد اصبح قائدا عاما للقوات المسلحة ووزيرا للحربية ، والثانى رئيسا لهيئة اركان الحرب .

(٦) « كارلوتشى » الآن سنة ١٩٨٨ هو وزير الدفاع فى حكومة الرئيس « رونالد ريجان » .

(٧) لا يزال « موبوتو » حتى هذه اللحظة ١٩٨٨ رئيسا للكونجو ، وقد قفز إلى الرئاسة بانقلاب عسكرى سنة ١٩٦١ ، وهو يعتبر من اغنى الأغنياء فى العالم .

بما فيها القوة المصرية . وكتب « جمال عبد الناصر » إلى « همرشولد » رسالة قال فيها : « **إنه اضطر إلى ان يطلب إلى القوة المصرية فى الكونجو الامتناع عن اداء مهمة كلفتها بها قيادة الأمم المتحدة لأن هذه المهمة تخرج فى رأيه عن نطاق التكليف الذى تحمله قوات الأمم المتحدة** » . وكانت المهمة التى أشار لها « جمال عبد الناصر » **ان القوة المصرية تلقت أمرا باحتلال مطار « ليوبولدفيل »** ، **كما ان قوات غانا تلقت امرا بالاستيلاء على إذاعة العاصمة الكونجولية ومنع اذاعة بيانات معادية لمهمة الأمم المتحدة من استديوهاتها ، بدعوى أن جنود القوى الدولية يتعرضون للضرب والقتل فى الشوارع من جراء التحريض السافر ضدهم من إذاعة « ليوبولدفيل » مما دعا « همرشولد » على حد قوله إلى إصدار قرار بالتدخل على هذا النحو** . وقال « جمال عبد الناصر » فى رسالته لـ « همرشولد » : « **إن الذى أفهمه هو أن مهمة قوات الأمم المتحدة هى مهمة سياسية بالدرجة الأولى ، وأما تدخلها بمهام قتالية ، أو مهام يمكن أن تؤدى إلى قتال ، فهى مسألة لابد من ابقائها إلى حالة الضرورة القصوى ، وعند الدفاع عن النفس فقط** » . وقال جمال عبد الناصر إنه « **اضطر إلى أن يعطى أمرا مباشرا للقوة المصرية خارج سلسلة القيادة الطبيعية فى إطار الأمم المتحدة لأنه وجد ان القوة المصرية يمكن أن تستغل فى خدمة سياسات تتعارض ليس فقط مع سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن أيضا مع روح الأمم المتحدة ابتداء من روح الميثاق إلى روح قرار إرسال قوة دولية إلى الكونجو** » . ثم ختم « **جمال عبد الناصر** » رسالته قائلا إنه « **يتمنى ألا تضطره الظروف إلى أن يصدر قرارا بسحب القوة المصرية المشتركة فى أعمال الأمم المتحدة من الكونجو** » .

وفى ٩ سبتمبر وصلت الأزمة إلى القمة الدولية ، وكتب « خروشوف » إلى « جمال عبد الناصر » رسالة[8] شخصية كان نصها كما يلى :

« *عزيزى الرئيس*

تدفعنى الأنباء التى وردت فى الأيام الأخيرة من جمهورية الكونجو إلى ان ابعث إليكم بهذه الرسالة الخصوصية . وكما تعرفون فان الموقف فى الكونجو يزداد تدهورا ، والسبب الأساسى لهذا التدهور هو ازدياد تدخل القوى الاستعمارية فى الشؤون الداخلية لجمهورية الكونجو . وقد اصبحت قيادة القوات التى ارسلت إلى الكونجو بناء على قرار مجلس الأمن ، والتى عينها السكرتير العام للأمم المتحدة ـ اداة لتلك القوى فى واقع الأمر . وبناء على اوامر تلك القيادة قامت القوات المذكورة فى الآونة الأخيرة باحتلال وإغلاق مطار العاصمة « ليوبولدفيل » ،

(٨) اصل الرسالة مودع فى ارشيف منشية البكرى تحت رقم (٤) ضمن مجموعة الملفات التى تحمل العنوان الرئيسى « مراسلات متبادلة مع القادة السوفيت » .

واستولت القوات التابعة للأمم المتحدة على محطة الاذاعة المركزية لحكومة الكونجو في « ليوبولدفيل » ، وهكذا اصبحت حكومة الكونجو لا تملك سيطرة على مطاراتها ، كما اصبح ممثلوها ممنوعون من دخول إذاعتها . كما ان اولئك الذين يدعون تمثيل الامم المتحدة في الكونجو يقدمون على افعال لا يمكن قبولها ، ويرتكبون تصرفات مهينة لحكومة جمهورية الكونجو ، ولشخص رئيس وزرائها « لومومبا » . ومن الواضح ان هذا كله سيؤدى إلى الاختلاف والاصطدام بين القوات التى وضعت تحت قيادتهم بناء على قرار مجلس الأمن ، وبين قوات الكونجو الوطنية . »

ثم اسهب « خروشوف » في مخاطر هذا الوضع ، وختم رسالته قائلا :

« وعلى اساس هذا كله قررت الحكومة السوفيتية ان تطلب من مجلس الأمن إبعاد قيادة قوات الامم المتحدة في الكونجو بعد ان تلطخت سمعتها ، ومن ثم فإن الحكومة السوفيتية تعتقد اعتقادا عميقا ان البلدان التى ارسلت قوات إلى الكونجو بناء على قرارات مجلس الأمن ، تستطيع ان تقدم اكبر خدمة بان تضع قواتها العسكرية تحت تصرف حكومة الكونجو مباشرة .

وامل يا سيادة الرئيس ان تلقى الافكار الواردة في هذه الرسالة تفهما وقبولا لديكم ، وارجو قبول وافر الاحترام .

إمضـاء
نيكيتا خروشـوف »

ولم يكن « جمال عبد الناصر » مستعدا لقبول وجهة النظر السوفيتية ، فقد كان معناها ان القوات المصرية وغيرها من قوات الدول الافريقية العاملة في الكونجو سوف تجد نفسها طرفا في صراعات داخلية وصلت بالفعل إلى حدود الحرب الأهلية في الكونجو .

لكن « جمال عبد الناصر » من ناحية اخرى لم يكن مستعدا لقبول التورط الذى انزلقت اليه قيادة الأمم المتحدة في الكونجو ، وكان رايه ان « همرشولد » معرض لضغوط شديدة خصوصا من الولايات المتحدة ، وهى ضغوط كان من الواضح انها تستهدف التخلص من « لـومومبـا » وتمهيد الطـريق لـ « موبوتو » . ولقد احس « جمال عبد الناصر » بالخطر ، ورأى مقدماته الزاحفة عندما عرف ان قيادة الأمم المتحدة بدات تضع قيودا على حركة « لومومبا » لأن لديها معلومات مؤكدة تؤكد وجود خطر على حياته ، وكان يقين « جمال عبد الناصر » يزداد يوما بعد يوم بأن شيئا يرتب في الخفاء لعزل « لومومبا » .

وكانت مخاوفه شديدة من ان يحدث شيء لا يستطيع منعه ، ولا يقبل الاشتراك فيه حتى بمجرد وجوده شاهدا لا يستطيع التاثير في مجرى الحوادث ، ومن هنا فإنه اعلن يوم ١٠ سبتمبر انه قرر سحب الكتيبة المصرية من الكونجو . وبدات الكتيبة المصرية انسحابها يوم ١٢ سبتمبر رغم إلحاح « همرشولد » على بقائها ، ونداءاته المتواصلة لهذا الغرض .

ولعل تقدير « جمال عبد الناصر » هنا كان صحيحا باكثر حتى مما تصور هو !

٢

يتحدث التقرير الخاص[9] للجنة الكونجرس الخاصة عن نشاط المخابرات التى يرأسها السناتور « فرانك تشرش » عضو مجلس الشيوخ عن ولاية « ايداهو » في الصفحة الثالثة عشرة منه ، فيقول عن وقائع تلك الأيام بالحرف ما يلى :

« إن اللجنة تلقت ادلة مقنعة بوجود مؤامرة لاغتيال « باتريس لومومبا » . لقد كان هناك عداء ضد « لومومبا » ، تتردد اصواته في المستويات العليا للحكومة ، وحتى إذا قيل إن الهدف المبدئى من إعداد ترتيبات لاغتياله بقصد مجرد تخويفه ، فإن هذا في حد ذاته تولدت عنه عملية محاولة الاغتيال . إن الأدلة تشير إلى ان الرئيس « ايزنهاور » ابدى انزعاجا شديدا بشان « لومومبا » في اجتماع لمجلس الأمن القومى بتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٦٠ ، وان « الان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية قد اخذ هذا الانزعاج الشديد على اساس انه تفويض باغتيال « لومومبا » . »

---

(٩) التقرير رقم ٤٦٥ ـ ٩٤ لاعمال الدورة الـ ٩٤ للكونجرس ـ فصل الانعقاد الاول ـ كانت اللجنة إلى جانب رئيسها مشكلة من اعضاء مجلس الشيوخ التالية اسماؤهم : « جون تاور » (ولاية تكساس) ـ « فيليب هارت » (ولاية متشيجان) ـ « والتر مونديل » (ولاية مينيسوتا) ـ « والتر هادلتون » (ولاية كنتاكى) ـ « روبرت مورجان » (ولاية نورث كارولينا) ـ « جارى هارت » (ولاية كولورادو) ـ « هاورد بيكر » (ولاية تنيسى) ـ « بارى جولدووتر » (ولاية اريزونا) ـ « تشارلز ماثياس » (ولاية ميرلاند) ـ « ريتشارد شفيكر » (ولاية بنسلفانيا) .

ويمضي تقرير اللجنة . فيقول في نفس الصفحة . إن ممثل الرئيس في مجموعة العمل الخاصة المنبثقة عن مجلس الامن القومي بخصوص الكونجو حدد توجيه الرئيس على النحو التالى : « ضرورة اتخاذ عمل مباشر ضد « لومومبا » ولا ينبغى فى ذلك الصدد التردد حيال اى اسلوب يمكن اتخاذه للخلاص من « لومومبا » . وبناء على هذا التوجيه الصريح بعث « آلان دالاس » بتعليمات إلى محطة المخابرات المركزية فى الكونجو بان « تتصرف » . »

□

من المؤكد فى تلك الأيام أن « ايزنهاور » كان ضيق الصدر إلى حد كبير بالمحاولات التى تجرى للتمرد على سلطان الولايات المتحدة فى العالم الثالث . فطبقا لنفس التقرير الصادر عن لجنة « تشرش » وفى صفحة ٧١ يتضح أن محطة أخرى صدر إليها الأمر بالتصرف المباشر ، وكانت هذه المحطة هى محطة « هافانا » عاصمة كوبا ، وكان مطلوبا منها أن تتولى تصفية « فيدل كاسترو » بكل الوسائل .

كان « كاسترو » سنة ١٩٥٨ قد وصل إلى قمة نجاحه فى الثورة ضد الجنرال « باتستا » ودخل بقواته الثائرة إلى عاصمة كوبا فى وقت كانت الصحافة الأمريكية فيه متحمسة له ولرفاقه ذوى اللحى الطويلة . وقد دخل « كاسترو » إلى هافانا فى موكب المنتصر غطته شبكات التليفزيون الأمريكى ، كأن دخوله مشهد من أحد افلام هوليوود . وبالفعل ، فقد كان معه فى نفس سيارة الجيب المغطاة بالزهور نجم السينما الأمريكية المشهور « ايرول فلين » ، كما أن الكاتب الأمريكى الأشهر « ارنست هيمنجواى » شرع قلمه لتحويل الثورة الكوبية إلى أسطورة .

وكالعادة لم تعش أسطورة الحرية طويلا فى الولايات المتحدة ـ فإن « كاسترو » بعد نجاح الثورة راح يؤمم الشركات الأمريكية الكبرى ، ويسترد امتيازاتها فى كوبا . ثم اتبع ذلك بالمطالبة بجلاء القوات الأمريكية من قاعدة « جوانتانامو » . ثم وقع فى خطيئة الاعتراف بالصين الشعبية ، وهى خطيئة لا تغتفر فى ذلك الوقت من وجهة نظر السياسة الأمريكية ، وزاد « كاسترو » على ذلك وقوفه فى اجتماع عام امام حشد من الجماهير ، فأمسك بوثيقة معاهدة الدفاع المشترك مع الولايات المتحدة الأمريكية المعقودة مع الجنرال « باتستا » ـ والتى كانت الولايات المتحدة تستند إليها فى رفض الجلاء عن قاعدة « جوانتانامو » ومزقها ، والقى ببقاياها قطعا صغيرة من الورق طائرة فى الهواء .

وصدر أمر « ايزنهاور » بالتصرف فى هافانا أيضا ، كما صدر أمره بالتصرف فى ليوبولدفيل .

□

وكان الموقف الدولى خطيرا فى هذه الفترة ، وبلغت خطورته حدا أثار المخاوف فى عواصم العالم تقريبا . فقد وصلت العلاقات بين القوتين الأعظم بطريقة مفاجئة إلى حد ينذر بشرور مستطيرة لم يكن احد على استعداد لها ، ولو حتى من الناحية النفسية .

كان العالم مهيأ لاحتمالات وفاق بين القوتين الأعظم على أثر زيارة قام بها « خروشوف » إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٥٩ . وكان لقاء القمة الدولية اقتراحا مطروحا فى الواقع فى فترة ما بعد معركة السويس مباشرة . ففى أواخر سنة ١٩٥٦ رأى « خروشوف » أن الموقف الدولى بعد السويس يقتضى اجتماعا على مستوى القمة . واستجاب « ايزنهاور » للاقتراح على اساس أن يتم اجتماع القمة فى إطار الأمم المتحدة ، وأن يضم الأعضاء الدائمين فى الأمم المتحدة . ووافق « خروشوف » لكن مشكلة الصين أعاقت تنفيذ الاجتماع ، ثم استطاعت القوتان الأعظم الخروج من المأزق بترتيب لقاء ثنائى بينهما بدأ بزيارة « خروشوف » للولايات المتحدة ، وكان مقررا أن تتبعها زيارة من « ايزنهاور » للاتحاد السوفيتى . وكان هذا الأسلوب هو الوسيلة المعقولة التى وجدتها الدولتان الأعظم للخلاص من عائق الصين ، والتنصل من اشتراك بريطانيا وفرنسا فى اجتماع القمة ، خصوصا وأن « ايزنهاور » لم يكن يحب الجنرال « ديجول » الذى أصبح رئيسا لفرنسا .

لكن ضغوط بريطانيا وفرنسا بعد إتمام زيارة « خروشوف » لأمريكا ، وادعاء أن القمة الدولية أصبحت حكرا على دولتين فقط أعاد اقتراح القمة رباعيا ـ أى بدون الصين ـ إلى الاهتمام العام مرة أخرى . وتم الاتفاق بعد اتصالات واسعة بين واشنطن وموسكو ولندن وباريس ان اجتماعا للقمة الرباعية سوف يعقد فى باريس فى منتصف مايو ١٩٦٠ .

وراح العالم يشعر بنوع من الانتظار المستريح ، وهو ينتظر موعد القمة الموعودة ، والتى سوف تتلوها بعد ذلك زيارة « ايزنهاور » لموسكو . كان المناخ الدولى يبشر بشائر ربيع من الانفراج .

□

وفجأة تنبه العالم من تفاؤله على ازمة لم يكن قد تأهب لها ، فقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية يوم ٢ مايو ١٩٦٠ أنها فقدت إحدى طائراتها فوق شمال تركيا ، ثم أضاف البيان أن هذه الطائرة يحتمل أن تكون قد سقطت فى أراضى الاتحاد السوفيتى لأن الرياح على الأرجح أخرجتها عن خط سيرها . كان البيان مستغربا ، ولكنه فى ذلك الوقت لم يثر ما هو أكثر من الاستغراب حتى كان يوم ٧ مايو ، فإذا بـ « نيكيتا

خروشوف » يقف أمام اجتماع لمجلس السوفيت الأعلى ليعلن أن الطائرة التى سقطت كانت طائرة تجسس أمريكية من طراز « ى ـ ٢ » التى صنعتها وكالة المخابرات المركزية لأغراض الاستطلاع السرى البعيد المدى . ثم أضاف « خروشوف » أن الطائرة لم تنحرف عن طريقها بفعل الرياح ، وإنما دخلت إلى قرب « كييف » وأنها لم تسقط ، وإنما أسقطت بواسطة صاروخ سوفيتى استطاع الوصول إليها فى أجواء عالية لم تكن الولايات المتحدة تتصور أن مدى الصواريخ السوفيتية يصل إليها . وأن قائد الطائرة لم يقتل فى الحادث ، وإنما هو حى ومعافى وقد اعترف بأنه فى مهمة تجسس ، كما ظهر أن اسمه هو الكابتن « فرانسيس باورز » . وأضاف « خروشوف » أن الطيار « فرانسيس باورز » كان يحمل ضمن متاعه دبوسا مسموما لينتحر بوخزة منه إذا وجد نفسه معرضا للسقوط فى أرض سوفيتية . ثم عرض « خروشوف » على مجلس السوفيت الأعلى بعض الصور التى التقطها الطيار بعدساته القوية المصنوعة خصيصا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ـ للمنشآت العسكرية السوفيتية فى المنطقة الجنوبية للاتحاد السوفيتى على طول الطريق من قاعدة « أرضروم » التركية حتى قرب « كييف » التى أسقطت طائرته قبل الوصول إليها .

وكان اعلان « خروشوف » فضيحة مدوية للولايات المتحدة . ولم يكن أمام « ايزنهاور » سوى أن يعترف ، فطلب إلى وزارة الخارجية الأمريكية أن تذيع بيانا تعلن فيه أن طائرة « فرانسيس باورز » كانت بالفعل تقوم بمهمة لجمع المعلومات السرية للتحقق من البيانات التى يقدمها السوفيت فى اجتماعات نزع السلاح الجارية فى جنيف ، وذلك قبل لقاء القمة فى باريس وبعده لقاء القوتين الأعظم بزيارة « ايزنهاور » لموسكو .

ورد « خروشوف » فى تصريح عام قائلا : « **إنه يتعجب من أن ايزنهاور لديه الجراة للتحدث عن زيارة الاتحاد السوفيتى » ، ثم اضاف : « إنه غير رايه فى ايزنهاور ، فقد كان يظنه رجلا امينا ثم اكتشف انه ليس كذلك ، فهو لا يستطيع ان يصف بالامانة رجلا يتلصص على مضيفيه قبل ان يزورهم » . ثم ابدى تردده فى حكمة دعوة « ايزنهاور » اصلا لزيارة موسكو !**

ورد « ايزنهاور » فى نفس اليوم قائلا : « إن عمليات جمع المعلومات هى من حقائق الحياة التى يجب ان تتقبلها الدول مهما كان رأيها سيئا فيها » . ثم أضاف : « إنه لا يزال مستعدا لزيارة موسكو ، وأنه ينوى القيام بهذه الزيارة فى موعدها المقرر » .

□



فرانسيس جارى باورز جالسا فى قفص الاتهام (لليمين) فى قاعة الأعمدة فى موسكو ، فى جلسة افتتاح محاكمته بتهمة التجسس ، وامامه محاميه .

وفى يوم ١٤ مايو وصل « خروشوف » إلى باريس لحضور مؤتمر القمة الذى كان مقررا افتتاحه يوم الاثنين ١٦ مايو . وغداة يوم وصوله ـ أى يوم ١٥ مايو ـ **اعلن الاتحاد السوفيتى انه « اطلق اضخم صاروخ فى العالم ، وان الصاروخ انطلق حاملا معه محطة فضاء وزنها خمسة اطنان ، وان هذه المحطة الفضائية سوف تمر فوق باريس ، وترسل منها تحية سلام فى نفس اللحظة المقررة لاجتماع تمهيدى بين الجنرال « ديجول » ـ مضيف القمة ـ و « نيكيتا خروشوف » ضيفها الغاضب .**

وفى الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين ١٦ مايو التام عقد الأقطاب فى قصر الاليزيه ـ مقر الرئاسة فى باريس . وفور انتهاء مراسم الافتتاح طلب « خروشوف » الكلمة ، فإذا هو يوجه إنذارا إلى « ايزنهاور » ثم يضيف انه إذا لم يقبل إنذاره فإنه سوف يقاطع اعمال المؤتمر ، وسيعود على الفور إلى موسكو . وكان إنذار « خروشوف » يحتوى على ثلاثة مطالب :

١ ـ الاعتذار الرسمى عن حادث طائرة التجسس .



خروشوف يضرب المائدة بيديه غاضبا فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى قصر شايو بباريس ، وإلى جواره اندريه جروميكو وزير الخارجية والمارشال مالينوفسكى وزير الدفاع . وقد استغرق المؤتمر ساعتين وعشرين دقيقة ، وحضره ٢٠٠٠ صحفى .

٢ ـ التعهد رسميا بوقف كافة أعمال التجسس فوق الأراضى السوفيتية .

٣ ـ تعهد رسمى من « ايزنهاور » شخصيا بمعاقبة المسؤولين عن حادث طائرة التجسس .

ثم اخرج « خروشوف » من حقيبته بعض الصور التى التقطها « فرانسيس باورز » ووجه حديثه مباشرة إلى « ايزنهاور » قائلا له : « كيف تدارى وجهك عن هذا المشهد القبيح ؟ »

واحمر وجه « ايزنهاور » وبدت عليه علامات غيظ شديد حاول بكل وسيلة أن يكظمه لكن احتقان وجهه كان دليلا على أنه يوشك على الانفجار . وقد رد بعصبية

قائلا : « إن رئيس الولايات المتحدة لا يعتذر عن حقيقة من حقائق الحياة » . ورد « خروشوف » موجها حديثه إلى بقية المشاركين فى القمة وقال : « إذن فانا اطلب تاجيل مؤتمر القمة حتى تنتهى مدة رئاسة هذا الرجل » واشار باصبعه إلى « ايزنهاور » ثم استدار خارجا من الجلسة والعالم كله يحبس انفاسه .

ولم ينس « خروشوف » وهو يخرج من القاعة أن يلتفت ناحية « ايزنهاور » ويقول له « لقد سحبنا دعوتك إلى موسكو » ـ قالها وخرج من باب القاعة . وسارع « ديجول » و « ماكميلان » إلى الخروج وراءه ، ولكنهما عندما لحقا به فى مقر إقامته اكتشفا انه توجه مع الماريشال « مالينوفسكى » إلى نزهة فى غابة بولونيا . وعاد الاثنان إلى لقائه فى المساء ليسمعا منه أنه إذا لم يستجب « ايزنهاور » إلى مطالبه قبل الصباح ، فإنه سوف يغادر باريس عائدا إلى موسكو فى الصباح .

ولم يعتذر « ايزنهاور » وإنما اصدر من باريس قرارا بإعلان حالة الطوارىء القصوى فى كل القواعد الأمريكية المنتشرة فى ارجاء العالم . وكان الراى العام الامريكى يؤيده بشدة ، فقد اعتبر ان رئيسه اهين إهانة بالغة بالأسلوب الذى اتبعه « خروشوف » فى إبداء غضبه بصرف النظر عن موضوع الغضب فى حد ذاته .

وصباح يوم ١٨ مايو غادر « خروشوف » باريس ، وفى المطار كان فى انتظاره حوالى الف وخمسمائة صحفى يمثلون صحافة العالم جاءوا لتغطية مؤتمر القمة . ووقف امامهم يتحدث فقال : « إن كل الوساطات التى قام بها ديجول وماكميلان ـ بينه وبين ايزنهاور ـ قد فشلت ، فقد كان التنازل الوحيد الذى عرضه ايزنهاور هو استعداده لوقف عمليات التجسس لمدة رئاسته التى كانت توشك على الانتهاء ، متعللا انه لا يستطيع أن يقيد حركة الرئيس الأمريكى الذى سيخلفه فى البيت الابيض » . وعقب « خروشوف » على ذلك أمام حشد الصحفيين بقوله : « كيف يمكن ان اعقد اتفاقا لوقف التجسس لا يدوم إلا لشهور قليلة فقط . ثم كيف يمكن أن اعقده مع رجل يتسلل إلى بيتى فى الظلام مثل اللصوص . لقد طلب منى عندما كنت ازوره فى امريكا ان اناديه « يا صديقى » وانا الآن نادم على كل مرة ناديته فيها بهذا الوصف . فانا لا أستطيع ان اصف بالصديق رجلا يتصرف مثل القطة عندما تتسلل إلى المطبخ لكى تسرق بعض اللبن » . ثم افضى للصحفيين بانه زار « ديجول » و « ماكميلان » مودعا قبل سفره ، ولم يخطر بباله ان يودع « ايزنهاور » .

□

كان « جمال عبد الناصر » و « نهرو » مجتمعين يومها فى القاهرة ، وقد

وصلت إليهما انباء ما حدث فى باريس . ومن قصر القبة توجه الاثنان بنداء إلى الاقطاب الأربعة يقولان فيه ان السلام العالمى فى خطر ، وان هذا السلام ليس ملك رجلين يخطىء احدهما ويغضب الآخر ، ويكون على البشرية كلها ان تدفع الثمن .

وراحت الحوادث تجرى بسرعة حين طلب الاتحاد السوفيتى يوم ١٩ مايو عقد مجلس الأمن فورا لبحث الانهيار السريع فى الموقف الدولى بسبب السياسة الخرقاء للولايات المتحدة الأمريكية . ذلك أن إصرار الولايات المتحدة على استمرار عمليات التجسس فوق الأراضى السوفيتية سوف يؤدى إلى الحرب . وفى جلسة مجلس الأمن قال « همرشولد » إن وجهة نظره باستمرار أن القمم الدولية كان يجب أن تعقد فى إطار الأمم المتحدة .

وبحكم أغلبية الغرب فى مجلس الأمن ـ فإن المجلس رفض فى جلسة مثيرة وصاخبة مشروع قرار سوفيتى بإدانة الولايات المتحدة ، وهكذا أعلن وزير الخارجية السوفيتى الذى كان يمثل بلاده فى اجتماعات مجلس الأمن أن حكومته قررت عرض الأزمة التى أدت إلى انهيار مؤتمر القمة ، وبالتالى إلى تدهور الموقف الدولى ، على الجمعية العامة للأمم المتحدة لتفادى الفيتو الغربى . وانتهت جلسة مجلس الأمن على مشهد مخيف ، فقد أعلن « جروميكو » أن الصواريخ السوفيتية تستطيع أن تطول بالضرب أى بقعة فى العالم ، ومن ناحية أخرى أعلن المندوب الأمريكى فى مجلس الأمن أن بلاده مصممة على مواصلة الحصول على المعلومات بأى وسيلة تراها ضرورية لضمان أمنها .

وتلاحقت التداعيات ، فقد انسحب الوفد السوفيتى من محادثات نزع السلاح فى جنيف يوم ٢٧ يونيو ، وفى ٢٩ يونيو أعلن الاتحاد السوفيتى أنه سوف يجرى سلسلة من التجارب بالصواريخ الحاملة للرؤوس النووية فى منطقة مساحتها خمسين الف ميل مربع من وسط المحيط الباسيفيكى .

ثم توالت صيحات « خروشوف » الغاضبة ، فأعلن يوم ٨ يوليو أن الاتحاد السوفيتى سوف يواصل بيع الأسلحة للدول العربية طالما أن الغرب يزود إسرائيل بالسلاح تمهيدا لاشعال حرب فى الشرق الأوسط .

وفى يوم ٩ يوليو ، وكانت كوبا تتعرض لتهديدات أمريكية واضحة ، أعلن « خروشوف » أن الاتحاد السوفيتى سيزود كوبا بالصواريخ التى تستطيع الوصول إلى الولايات المتحدة طالما أن كوبا تتعرض لتهديد أمريكى بضربها بالصواريخ .

ويوم ١١ يوليو أسقط الاتحاد السوفيتى طائرة تجسس ثانية فوق مياهه الاقليمية قرب ميناء « أركانجل » .

ويوم ٧ اغسطس أعلن « كاسترو » قبوله للصواريخ السوفيتية ، كما اعلن فى نفس الخطاب تأميم جميع الممتلكات الأمريكية فى كوبا .

وفى يوم ١٧ اغسطس بدأت فى موسكو محاكمة الطيار الأمريكى « فرانسيس باورز » قائد طائرة التجسس . وادلى « خروشوف » بتصريح قال فيه : « **إن الواقف فى القفص ليس هو فرانسيس باورز ، ولكنه دوايت ايزنهاور ـ فهذه هى الحقيقة** » . **ووقف « فرانسيس باورز » فى القفص ليدلى باعتراف كامل .**

ويوم أول سبتمبر ١٩٦٠ اذاع راديو موسكو أن « نيكيتا خروشوف » سوف يحضر بنفسه دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة التى تبدأ يوم ٢٠ سبتمبر ، والتى سيعرض أمامها الاتحاد السوفيتى شكواه من المغامرات الطائشة للولايات المتحدة الأمريكية .

٣

وبعث « خروشوف » إلى عدد من زعماء العالم يرجوهم الحضور إلى اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة لأن السلام العالمى فى خطر . وكان « همرشولد » يؤيد هذه الدعوة تعزيزا لمكانة الأمم المتحدة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لاستعادة دور الأمم المتحدة كميدان شرعى للعمل من أجل تعزيز السلام .

ومساء يوم أول سبتمبر بعث « نهرو » إلى « جمال عبد الناصر » برسالة(١٠) **يقول فيها** إنه يفكر جديا فى الاشتراك فى أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة شريطة أن يتم الاتفاق على موعد محدد لمناقشة الموقف الدولى ، فهو لا يستطيع أن يظل فى نيويورك فترة طويلة .

وبعد نصف ساعة كان « جمال عبد الناصر » يتلقى رسالة من « خروشوف » **يلح عليه فيها** لحضور اجتماع الجمعية العامة . كما تلقى فى نفس الوقت رسالة من « همرشولد » **يقول له فيها** : « إن اجتماع الجمعية العامة قد يكون مناسبة لبحث

(١٠) اصل الرسالة فى ارشيف منشية البكرى . وتوجد نسخة منها فى ارشيف وزارة الخارجية .

قضايا كثيرة تهم السلم العالمى سواء فى العلاقات بين القوى العظمى ، أو فى مناطق التوتر كالشرق الأوسط وافريقيا » .

وكان « جمال عبد الناصر » يحاول دراسة موقفه ، فعلاقاته مع « خروشوف » كانت لا تزال متوترة بسبب الخلاف الذى بدأ بينهما منذ نهاية سنة ١٩٥٨ حول دور الشيوعيين فى العالم العربى . وعلى الجانب الآخر ، فإن علاقاته بـ « ايزنهاور » رغم التحسن الذى طرأ عليها كانت تشهد تقلصات شديدة بسبب الصراع العربى الاسرائيلى المستمر ، وبسبب صفقات سلاح تردد أن « بن جوريون » حصل على وعد بها من « ايزنهاور » عندما اجتمع به فى واشنطن فى يناير سنة ١٩٦٠ . وفوق ذلك فإن تأييد الجمهورية العربية المتحدة لـ « لومومبا » فى الكونجو ، ولـ « كاسترو » فى كوبا ـ كانت تجعل مزاج الولايات المتحدة عموما مزاجا سوداويا تجاه كل الذين اتخذوا لانفسهم موقف عدم الانحياز .

وبعث « جمال عبد الناصر » إلى « تيتو » يستطلع موقف يوجوسلافيا ، ودهش عندما تلقى ردا[١١] من « تيتو » ظهر يوم السبت ٣ سبتمبر جاء فيه بالنص :

« ١ ـ لم اتلق من خروشوف رسالة مماثلة لما تلقيته انت ونهرو .

٢ ـ لست متاكدا من ان حضور الرؤساء لاجتماع الجمعية العامة بمثل هذه السرعة ، وبدون إعداد ودراسة كافية يسمح بالوصول إلى نتائج إيجابية .

٣ ـ إذا ذهبنا بدعوة من خروشوف على هذا النحو ، فقد يبدو ذلك انحيازا إلى جانب الروس .

٤ ـ لا اتوقع فى كل الاحوال خروج مثل هذا الاجتماع بقرارات جدية ، فرئاسة ايزنهاور على وشك ان تنتهى ، وهو لا يستطيع تقييد خلفه باية قرارات يتخذها فى نهاية مدة رئاسته .

٥ ـ اكون شاكرا لو بعثت لى بوجهة نظر نهرو ، فهو ايضا لم يكتب لى عن دعوة خروشوف له . »

ويوم ٥ سبتمبر بعث « جمال عبد الناصر » برأيه إلى « تيتو » وكان ملخصه :[١٢]

« ١ ـ إن همرشولد يؤيد اجتماع اقطاب العالم فى إطار الامم المتحدة فى نيويورك .

٢ ـ إن تقديره ان الولايات المتحدة لن تترك المجال للاتحاد السوفيتى وحده ولاصدقائه يمرحون فى الجمعية العامة ، وانها فى اللحظة الاخيرة سوف تقرر الحضور على ارجح الظنون .

(١١) اصل نص الرد فى ارشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة منه فى ارشيف وزارة الخارجية .

(١٢) اصل رسالة « جمال عبد الناصر » إلى « تيتو » فى ارشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة منه فى ارشيف وزارة الخارجية .

٣ ـ إن معلومات السفير المصرى فى باريس تشير إلى ان الجنرال « ديجول » مستعد للسفر إلى نيويورك حتى لا يترك الامر للاتحاد السوفيتى وحده ، او للقوتين الاعظم وحدهما إذا قررت الولايات المتحدة ان تحضر .

٤ ـ إن الفرصة فى نيويورك قد تكون متاحة لاتصالات على هامش اجتماعات الجمعية العامة تصفى كثيرا من المشاكل المؤثرة فى بؤر التوتر فى العالم .

٥ ـ إنه فيما يتعلق به بالذات ، فهو يعرف مقدما ان القوى الصهيونية قد تنتهز فرصة وجوده فى نيويورك إذا قرر السفر إليها ، وتواجهه بمظاهرات واعمال عدائية ، ومع ذلك فهو يدرس جديا إمكانية الحضور ويرى فيها مزايا لا يستهان بها » .

وهكذا كان . . .

٤

كانت نيويورك ابتداء من النصف الثانى من شهر سبتمبر ١٩٦٠ واستعدادا لدورة الجمعية العامة الطارئة للأمم المتحدة ـ مدينة فى حالة حرب : طوارىء معلنة ، أمن حديدى ، أعصاب متوترة ، انتظار قلق ، توجس وشك واستعداد باستمرار للأسوأ . وكانت هناك دواع يمكن قبولها لهذه الحالة ، إلى جانب مظاهر لهيستيريا لم يكن هناك ما يدعو لها .

كانت الدواعى الحقيقية أن المدينة فوجئت بانعقاد الجمعية العامة على مستوى رؤساء الدول فى اللحظة الأخيرة . وكان معنى ذلك أن قرابة خمسين رئيس دولة سوف يجدون فى مدينة واحدة فى نفس الوقت بكل ما يعنيه هذا الوجود ابتداء من احتفالات المراسم إلى احتمالات المؤامرات . وفى أبسط المظاهر ، فإن الفنادق لم تكن مستعدة لهذا العدد من الرؤساء والوفود المرافقين . وكان « همرشولد » دقيقا حينما قال : إن أمامى أسبوعين كاملين من الكوابيس أولها كابوس البروتوكول » .[١٣]

وكانت الوفود الدائمة للدول فى الأمم المتحدة تعيش على أعصابها ، فهذه الوفود كان عليها أن تتحمل عبء وجود رؤساء دولها فى الأمم المتحدة بكل ما يعنيه ذلك من

(١٣) لقاء مع « همرشولد » فى مكتبه فى الدور السادس والثلاثين من مبنى الأمم المتحدة جرى فى الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم ١٤ سبتمبر ١٩٦٠

التزامات وترتيبات سواء بالنسبة لحضور الجلسات ، أو إعداد موضوعات المناقشة ، أو ترتيب الاتصالات بين رؤسائهم ومن يرغبون فى الاتصال بهم من الرؤساء الآخرين .

وكانت الحكومة الأمريكية رغم مقولة إن هناك فارقا بين الأمم المتحدة ، وبين الولايات المتحدة ـ تواجه واقع أن هذا العدد من الرؤساء جميعا يحلون على أرض أمريكية . فهم لن يحبسوا انفسهم داخل مبنى الأمم المتحدة ، وإنما هم بالتأكيد سوف يتحركون ولو بقصد إتمام اتصالاتهم فى شوارع المدينة وحولها ، وكانت هذه مشكلة دعت قائد بوليس نيويورك إلى إخطار الحكومة الفيدرالية فى واشنطن أنه يحتاج إلى سلطات استثنائية ، ووسائل غير عادية توضع تحت تصرفه . فترتب مرور مواكب الرؤساء فى حد ذاته خلال تحركهم ، ودون أن تتصادم المواكب سوف يكون عبئا لا يمكن تحمل مسؤولياته .

وزاد العبء عندما هبط على المدينة جيش من رجال الأعمال الأمريكيين ومكاتب العلاقات العامة يحاولون الاتصال بالوفود ، فهم يجدونها فرصة لاتصالات على أعلى مستوى من أجل شراء البترول وبيع السلاح على الأقل .

وفى نفس الوقت فقد هبطت على نيويورك جيوش من أجهزة المخابرات وجدت أن هذا التجمع العالمى المنقطع النظير يمثل فرصة لا مثيل لها لاستطلاع المواقف ، وجمع المعلومات ، وقياس درجة حرارة المواقف والأزمات .

إلى جانب ذلك ، فقد كان الموقف الدولى متوترا . فمشاهد ما حدث فى مؤتمر القمة فى باريس كانت لا تزال صورا حية ماثلة فى الأذهان . ومحاكمة « فرانسيس باورز » كانت لا تزال مستمرة . وأحداث الكونجو لا تزال تترى وقائعها ، وكان آخرها أن « لومومبا » اختفى فجأة وبطريقة غامضة يوم ١٧ سبتمبر ، أى قبل افتتاح الجمعية العامة بعدة أيام . وصحافة نيويورك وصحافة الغرب مستثارة ومستفزة ، ولهجتها عدائية من أول سطر إلى آخر سطر فى الهجوم على مجرد فكرة الاجتماع باعتبار أن الاقتراح صدر أصلا عن « خروشوف » .

كانت هذه وغيرها دواعى معقولة للحالة التى بدت عليها نيويورك فى تلك الأيام من شهر سبتمبر ١٩٦٠ .

أما مظاهر الهستيريا التى لم يكن هناك ما يدعو لها ، فقد تمثلت فى تصرفات بدت للوهلة الأولى غير معقولة . فقد قام بوليس نيويورك بإبلاغ الأمم المتحدة ، وإبلاغ بعض الوفود أنه لا يستطيع أن يضمن أمن عدد من الرؤساء إذا هم نزلوا فى الفنادق . وكان « خروشوف » هو أول هؤلاء الرؤساء وجاء بعده « جمال عبد الناصر »

ثم تلاهما « كاسترو » . وكانت وجهة نظر بوليس نيويورك أن « خروشوف » مهدد لأن الطريقة التى تعامل بها مع « ايزنهاور » اعتبرت إهانة للشعب الأمريكى بأسره ، وبالتالى فإن بوليس المدينة عاجز عن حمايته تماما لأن كثيرين قد يكونون على استعداد للتهور ضده بتصرفات لا يستطيع أن يمنعها أحد .

وكان ذلك هو نفس الحال تقريبا بالنسبة لـ « كاسترو » لأن عشرات الألوف من اللاجئين الكوبيين كانوا يتربصون له ، إلى جانب أن المصالح الأمريكية التى أممها فى كوبا جعلت أعداءه فى نيويورك بحجم أكبر مما يستطيع بوليسها أن يسيطر عليه .

وفى حالة « جمال عبد الناصر » فقد كان الخطر افدح . فيهود نيويورك الذين يعتبرون ان مدينتهم هى عاصمة اليهود فى العالم ـ اعدوا عدتهم ، ورتبوا امرهم على مواجهته بمظاهرات عدائية له فى اى مكان يذهب إليه ، وهى مظاهرات قد يفلت زمامها فى اى لحظة . بل وصل بوليس نيويورك إلى حد توجيه النصح لوفد الجمهورية العربية المتحدة الدائم لدى الامم المتحدة بان يبحث لـ « جمال عبد الناصر » عن مقر يقيم فيه خارج حدود المدينة . ومع ان ذلك كان يمثل تعرضا اكبر لخطوط سير ابعد فى الذهاب والمجىء إلى اجتماعات الأمم المتحدة ، فإن بوليس نيويورك راى ان الخطر الذى يتعرض له موكب يسير باقصى سرعة على الطرقات ـ اقل حدة من مقر إقامة فى وسط المدينة محدد ومعروف .

وزاد على ذلك كله بالنسبة لـ « جمال عبد الناصر » أن الأوضاع فى العالم العربى كانت تمر بفترة عاصفة . فقد اغتيل رئيس وزراء الأردن السيد « هزاع المجالى » بقنبلة انفجرت فى مقر رئاسة الوزراء فى عمان قبل ايام قليلة من انعقاد الجمعية العامة . وكان الملك « حسين » يوجه أصابع الاتهام إلى الجمهورية العربية المتحدة ، أو بعض اجهزتها ، او بعض اصدقائها المحسوبين عليها . وكانت الصحف الأمريكية تنتهز فرصة هذه الأوضاع فى العالم العربى وتشن حملة ضارية على « جمال عبد الناصر » تتهمه بالتخريب ضد اصدقاء الغرب فى المنطقة ، وتضيف إلى ذلك سلسلة من « الذنوب » التى لا تغتفر فى رايها بينها : أن دعواه بعدم الانحياز هى فى واقع الأمر انحياز للاتحاد السوفيتى ـ كما ان معاداته لأحلاف الغرب عداء للولايات المتحدة ، إلى جانب انه بسياسته فى الكونجو ، وهى متعاطفة مع « لومومبا » وبسياسته فى أمريكا اللاتينية ، وهى متعاطفة مع « كاسترو » ـ تضعه دون شك على رأس إثارة المتاعب فى العالم كله .

□

وتصادف فى ذلك الوقت اننى ذهبت إلى نيويورك قبل وصول « جمال عبد الناصر » إليها بعدة أيام[١٤] . وبعد ان قضيت يوما واحدا مع الوفد المصرى الدائم فى نيويورك ، وجدت مناسبا أن أذهب فى اليوم التالى إلى واشنطن لاستطلاع الأجواء فى العاصمة ، خصوصا وأنه كانت هناك بعض المشاكل التى يتطلب الأمر مناقشتها مع وزارة الخارجية . والتقيت فى واشنطن بـ « كريستيان هيرتر » وزير الخارجية . وكانت هناك حتى هذه اللحظة مشكلة فى اختيار البيت الذى يمكن أن ينزل فيه « جمال عبد الناصر » خلال اشتراكه فى اجتماعات الجمعية العامة ، وبحيث يكون هذا البيت خارج حدود نيويورك ، كما طلبت سلطات الأمن فى المدينة . وقال لى « كريستيان هيرتر » فى معرض المقابلة إنه سمع ان « نياركوس » المليونير اليونانى وصاحب أكبر أسطول للناقلات فى العالم (وهو صهر « أوناسيس ») عرض أن ينزل « جمال عبد الناصر » ضيفا عليه فى « لونج أيلاند » ، كما أن شركة « وستنجهاوس » عرضت أيضا بيتا يملكه رئيس مجلس إدارتها فى نفس المنطقة . **وكان رايى « اننى اعلم ان « جمال عبد الناصر » لا يرغب فى النزول ضيفا فى بيت اى من رجال الأعمال ، وبالذات هؤلاء الذين لهم مصالح فى المنطقة »** . وتعهد « كريستيان هيرتر » بأنه سوف يطلب إلى إدارة البروتوكول فى وزارة الخارجية بأن تجد بيتا ملائما .

وسالنى « كريستيان هيرتر » عما إذا كنت اظن أن « جمال عبد الناصر » يمكن ان يقضى يوما واحدا فى واشنطن بعيدا عن الحمى التى تعيشها نيويورك لتكون من ذلك فرصة لمحادثات هادئة بينه وبين المسؤولين فى الولايات المتحدة . وكانت حجته فى هذا انه « بما ان الرئيس قد جاء إلى الولايات المتحدة ، فلا يجب تضييع المناسبة وتبديدها فى هذا السيرك الذى ستشهده نيويورك » . وكان ردى « اننى لا اعرف وجهة نظر الرئيس ، ولكنى إذا جازفت براى شخصى ، فإننى اظن ان جمال عبد الناصر يمكن ان يقبل دعوة رسمية لزيارة العاصمة لكنه لن يقبل دعوة شخصية توجه إليه من تحت المائدة » . ورد « كريستيان هيرتر » بانهم « لو وجهوا دعوة رسمية إلى جمال عبد الناصر ، فمعنى ذلك انهم سوف يضطرون إلى توجيه دعوات مماثلة لعشرين رئيسا على الأقل يتوقعون ان يلقوا نفس المعاملة » .

ولقد كان اكثر ما لفت نظرى فى الحديث مع « كريستيان هيرتر » انه راح يلح فى السؤال عن الأحوال فى سوريا قائلا إن لديهم معلومات بأن القلق فى

(١٤) كنت احضر دورة دراسية فى جامعة كولومبيا عن « التطورات الجديدة فى عالم الصحافة » وابرق إلىّ « جمال عبد الناصر » بان اقطع حضورى لهذه الدورة لكى اشارك مع الوفد المصرى الدائم فى الامم المتحدة فى الإعداد للجانب السياسى من زيارته للأمم المتحدة .

سوريا يزيد ، وان هناك اسلحة مهربة كثيرة تدخل عبر الحدود ، وقد رصدوا كميات كبيرة منها تمر عن طريق منطقة « حوران » .

وفى نهاية اللقاء قال لى « كريستيان هيرتر » ملاحظتين لهما معنى : الأولى انه يتمنى لو استطاع المحايدون أن يشرفوا حيادهم فى أثناء أعمال الجمعية العامة ، فلو انهم انحازوا كما يفعلون عادة إلى جانب السوفيت ـ فإن هذه سوف تكون فى نظر أمريكا علاقة شر وشؤم . والملاحظة الثانية هى قوله : « إن همرشولد يملك عبقرية سياسية فذة ، ولكن الأمم المتحدة لا يمكن أن تكون دور رجل واحد ـ One man's show » . وأضاف انه يعلم أن « همرشولد » يكتب مسودات كل مراسلاته بنفسه وانه يتعشى كل ليلة فى مكتبه ، وقد حذره « بانش » من هذا الجهد المضنى ، ولكن « همرشولد » رد عليه بقوله : « إن هذه هى الفائدة الوحيدة لكونه لم يتزوج فى حياته » . ثم هز « كريستيان هيرتر » رأسه وقال : « إن السكرتير العام للأمم المتحدة رجل مرهق . . مرهق جدا » .

□

وعدت إلى نيويورك فى اليوم التالى لارتباط على عشاء مع « هنرى لوس » مؤسس وصاحب ورئيس تحرير مجلة « تايم » وزوجته « كلارا بوث لوس» التى كانت تعمل بالصحافة مثل زوجها حتى عينها « ايزنهاور » سفيرة للولايات المتحدة فى روما . وقبل موعد العشاء بساعة واحدة اتصل بى « لوس » فى فندق « بلازا » الذى كنت انزل به ، وسألنى إذا كنت أمانع فى أن يكون معنا على العشاء صديق له أبدى اهتماما بلقائى . وسألته عنه ، وكانت المفاجأة انه « آلان دالاس » ـ وكان ردى اننى على العكس أرحب ، فمدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أصبح أسطورة باعتباره مستودعا لأسرار الدنيا ، وسوف يسعدنى أن التقى به فى بيته (بيت « هنرى لوس ») .

وتحول حديث مائدة العشاء ، وما بعده إلى حوار ثنائى فى الواقع بين « آلان دالاس » وبينى[١٥] . كانت قصة اختفاء « لومومبا » فجأة هى الموضوع

(١٥) مذكرات كتبتها بتاريخ ١٩ سبتمبر على اوراق فندق « بلازا » ، وقد ضمنتها صورة كاملة ومفصلة للقائى مع « الان دالاس » . وقد كتبت على هامش الصفحة الأولى من المذكرات مجموعة ملاحظات شخصية جاء بينها :

● إن آلان دالاس يختلف كثيرا فى ملامحه ومزاجه عن جون فوستر دالاس ، فهو بطىء فى إيقاع حديثه ، يعطى الانطباع لسامعه انه يفكر مرتين قبل ان يقول جملة واحدة .

● إنه مريض إما بـ « النقرس » او بـ « جلطة » فى الساق لانه بعد فترة قصيرة من بدء الحديث طلب كرسيا صغيرا لكى يمد ساقيه عليه قائلا : إنه مضطر إلى تمديد ساقيه باستمرار .

● إنه مدمن تدخين « بايب » ، فمنذ اللحظة الأولى استأذن صاحبة البيت فى ان تسمح له بتدخين البايب مؤكدا لها ان التبغ الذى يستعمله « جميل الرائحة » !

الرئيسى فى صحف الصباح يومها ، وسألت « آلان دالاس » عما إذا كان يعرف شيئا عن مصير الزعيم الكونجولى ، وكان رده : « إن آخر معلوماته هى أن « لومومبا » شوهد لآخر مرة وهو يحاول أن يجمع متطوعين من الجيش الكونجولى للذهاب معه لتحرير « كاتنجا » . » ثم سألنى مباشرة : « إننى لا أفهم لماذا تؤيدون « لومومبا » وهو رجل طائش يتصرف بأكبر قدر من الحماقة ؟ » وقلت له صراحة : « **إننا لا نؤيد « لومومبا » لشخصه ، وإنما نؤيد ما يمثله وما اصبح رمزا له ، وهو الوطنية الافريقية ، وانا على استعداد لأن أسلم بأن بعض تصرفاته تبدو غير متوازنة ، ولكن ذلك لا يمكن فصله عن الموقف المشوش الذى واجهه منذ أول يوم للاستقلال** . » وتوجه إلىّ بسؤال مباشر ثان : « ما هو رأى الرئيس ناصر فى « كاسترو » وهل يعتبر نفسه صديقا له بالفعل ؟ » وكان ردى أن « الرجلين لم يلتقيا فى حياتهما ، وربما تتاح لهما فرصة لقاء أول فى أثناء اشتراكهما فى أعمال الجمعية العامة فى نيويورك . وعلى أى حال ، فإن « كاسترو » يبدو لنا من بعيد زعيما وطنيا يمثل روح أمريكا اللاتينية . »

وعقب « آلان دالاس » على ما قلت بملاحظة عامة قال فيها : « **إن الله وحده يعلم ما الذى يمكن ان يجرى فى مبنى الأمم المتحدة خلال الأسبوع القادم . ولابد أن خروشوف يحتفظ تحت قبعته بعدد كبير من الأرانب** » . ثم استطرد : « **إن هناك منذ الآن إشاعات كثيرة عن نوايا خروشوف . هناك إشاعة تقول إنه سوف يجىء معه بفرانسيس باورز** (قائد طائرة التجسس التى أسقطها الاتحاد السوفيتى) **ويسلمه لنا هنا كدليل على حسن نيته ، ورغبته فى فتح صفحة جديدة استعدادا للرئيس الجديد الذى سيخلف الرئيس ايزنهاور . وهناك إشاعة أخرى بأن الباخرة التى يركبها داخلا إلى نيويورك سوف تلتقط من الماء « شيئا » مرسلا من الفضاء عن طريق القذيفة التى بعثوا بها إلى القمر قبل أيام ، وانا لا أعرف ماذا أو كيف ، ولكن الأجواء مليئة بإشاعات متوحشة** . »

ثم انتقل إلى موضوع آخر ، فقد قال : « إن معلوماته ان السوفيت متاخرون عن البرنامج المقرر لبناء السد العالى ، وانه إذا حدث شىء من هذا النوع ، فإن الولايات المتحدة سوف تكون على استعداد للمساعدة » . ثم مضى

= ● إن الحديث عن كاسترو وكوبا ، وعلاقة الثائر الكوبى بجمال عبد الناصر كان « لازمة » حديثه يعود إليه من خلال اى موضوع يتطرق له (ومن الواضح الآن ، وبأثر رجعى ان عملية غزو كوبا كانت فى ذهنه ، وان فكره كان يحوم حولها !) .

قائلا : « **إننا نحب ان نتصور ان هدفهم هو ان يسود الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط . وأؤكد لك انه ليست لنا مطامع فى المنطقة بل على العكس ، فنحن نقدم لها الكثير من المساعدات . وارجوك ان لا تتصور اننا بلد غنى يبذر أمواله بسفاهة ، فنحن أحوج ما نكون إلى اموال المساعدات التى نقدمها للآخرين . نحن فى حاجة إلى مدارس أكبر . عندنا نظام تعليم ممتاز ، ولكننا نستطيع ان نرتقى به** » .

ثم انتقل إلى موضوع إقامة « جمال عبد الناصر » فى نيويورك ، وقال : « إنه لا يعتقد انه سوف تنشأ مشاكل ، وصحيح أنه يعلم أن بعض الجماعات الصهيونية ترتب لمظاهرات ضده ، ولكنه يعلم فى نفس الوقت أن الطلبة العرب يرتبون لمظاهرات مؤيدة له . وقد عرف أن بعض الطلبة العرب تورطوا فى اتصالات مع « لوسون » وهو زعيم مجموعة نازية فى نيويورك ، وظهور مثل هذا النوع من الناس فى مظاهرات مؤيدة لناصر يمكن أن يفسد كل شىء . وقد اتصل بنفسه بمدير بوليس نيويورك ، وطلب إليه أن يتصرف بأقصى حزم حتى لا تحدث مشاكل . »

ثم انتقل بحديثه إلى الأحوال فى المنطقة العربية . وكما جرى مع « كريستيان هيرتر » فى اليوم السابق ـ كان « آلان دالاس » مهتما بالأحوال فى سوريا . وقد اضاف « ان الملك حسين فى حالة هياج شديد بعد اغتيال رئيس وزرائه هزاع المجالى . وانه ـ اى الملك ـ يفكر فى مشروعات خيالية “ Up to so many fantastic ideas ” وهو يتهم عبد الحميد السراج بتدبير اغتيال هزاع المجالى ، او على الأقل بالتحريض على اغتياله . »

ثم انتقل إلى السؤال عن الأحوال فى العراق ، ولفت نظرى وصفه للواء عبد الكريم قاسم » رئيس وزراء العراق بأنه « لومومبا آخر بالحركة البطيئة » Another Lumumba in slow motion.

وتدخلت « كلارا بوث لوس » لأول مرة فى الحديث ، فسألت « آلان دالاس » عن صحة ما يقال « من أن الوفد الكوبى لم يعثر حتى الآن على فندق يرضى بنزوله فيه ؟ » ورد « آلان دالاس » بالإيجاب « لأن كاسترو وجماعته سوف يحولون أى فندق ينزلون فيه إلى مستودع « زبالة » . » ثم التفت « آلان دالاس » ناحيتى وقال لى : « اسمع إننى لا أحب كاسترو ، ولا أعتقد كثيرا فى مزاياه " I do not think much of him ". ثم أضاف : « **إن هناك بعض الناس يتصورون أن إثارة المتاعب ضدنا حرفة يعيشون من ورائها . وكاسترو واحد من هؤلاء ، ولومومبا واحد آخر منهم** » . ثم استطرد : « **إننا كنا نفضل** أن تتولى دول أفريقيا مسؤولية مواجهة الموقف فى الكونجو ، **ولكننا اضطررنا** إلى التدخل حينما أحسسنا أن الوقت يفوت ، وأن هذا

البلد ينهار بسبب حماقة رجل واحد . ولم نكن نريد ان يدخل الكونجو فى الحرب الباردة ، ولكنه الآن فى وسطها على ما يبدو ، وأحب أن أقول لك ، وأرجو أن يعرف الرئيس أنه إذا حاول الروس أن يلعبوا هناك ، فإننا سوف نلعب أيضا ، وصدقنى **إننا سنكون فى منتهى القسوة and believe me we're going to be pretty tough»** .

ثم اضاف فى النهاية ، وفيما بدا أنه رسالة موجهة عبرى إلى « جمال عبد الناصر» قوله : « **إننى اعرف أن الرئيس ناصر متزن وعميق التفكير . وقد اصبح الآن من أقدم رؤساء دول العالم الثالث تجربة ، ولديه الآن الفرصة ليقود ، ونحن لا نعترض على قيادته ، ولا نحكم عليها بمقدار موالاتها لنا ، وإنما نريده أن يتصرف على أساس حياده الحر**»(١٦) .



شهد دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة التى عقدت فى سبتمبر ١٩٦٠ ، عدد كبير من ابرز زعماء العالم وقادته حينذاك . فى الصورة خروشوف يتحدث الى عبد الناصر الذى وقف تيتو الى جواره ، فى حين وقف نهرو خلف خروشوف ، وبينهما الملك الحسن الثانى .

٥

ووصل « جمال عبد الناصر » يوم ٢٣ سبتمبر إلى نيويورك . وكان قد أعد خطته لما يريد إنجازه فى اجتماع الجمعية العامة وعلى جوانبه . وكانت أهدافه للعمل محددة على النحو التالى :

١ ـ **كان يريد أن يشارك فى أعمال الجمعية العامة ، ويضم جهوده إلى جهود آخرين فى محاولة صادقة لانقاذ السلام العالمى .**

٢ ـ **وقد خطر له أن يقترح فى لقاءات يعقدها مع « تيتو » و « نهرو » ضرورة أن تقوم الدول غير المنحازة بتجميع صفوفها ، وتنسيق جهودها لكى تستطيع أن تقوم بدور احتياطى فى صيانة السلم العالمى ، إذا لم تستطع القوتان الأعظم التقدم خطوات على هذا الطريق من خلال اجتماعات الجمعية العامة .**



نهرو وعبد الناصر وسوكارنو فى حديث ضاحك فى حفل استقبال اقيم فى السفارة الهندية ...

---

(١٦) إننى خرجت فى هذا الموضع من الكتاب عن المنهج الذى الزمت نفسى به فيه ، وهو ان ابتعد عن التركيز على اى دور شخصى لى فى الحوادث ، ولكن بعض المواقع تفرض عكس ذلك خصوصا عندما تكون لما رايت او سمعت بنفسى دلالات خاصة ذات مغزى كبير على سير الحوادث ، ثم يكون من الصعب إيراد الوقائع دون نسبتها إلى مصدر واضح وصريح .

٣ ـ وكان فى تقديره ان يلتقى مع « خروشوف » فى محاولة لتسوية الخلافات العربية السوفيتية التى مازالت تتردى رغم حرص الأطراف على عدم الوصول إلى نقطة اللا عودة .

٤ ـ ثم كان ظنه بعدها أن يقابل « ايزنهاور » وجها لوجه ، وان يستطلع على اعلى مستوى نوايا السياسة الأمريكية واتجاهاتها .

وكان دوره نشيطا فى اجتماعات الجمعية العامة ولافتا للأنظار ، ثم إنه اتفق مع « تيتو » و « نهرو » على التمهيد لمؤتمر موسع للدول غير المنحازة . والتقى بـ « خروشوف » لكن لقاءهما لم يسفر عن تصفية الخلافات القائمة ، وإنما تحول إلى عمليات استعراض للمواقف ، وتحديد للمسؤوليات ، ومن الذى بدأ ، ومن الذى رد ـ وإن التقيا فى النهاية على أنه إذا لم يكن فى مقدورهما أن يدفعا العلاقات إلى الأمام فإن الواجب عليهما أن يمنعاها من التدهور إلى أبعد مما وصلت إليه .

□

وكان اجتماعه مع « ايزنهاور » مفيدا ، وإن لم يتعرض لاحتمالات المستقبل لأن انتخابات الرئاسة الأمريكية كانت على وشك أن تجرى ، بل إن معركة الانتخابات كانت جارية بالفعل على قدم وساق بين « ريتشارد نيكسون » نائب « ايزنهاور » مرشحا عن الحزب الجمهورى ، و « جون كيندى » عضو مجلس الشيوخ عن ولاية ماساتشوستس مرشحا عن الحزب الديمقراطى . بل إن « جمال عبد الناصر » كان فى الليلة السابقة قد تابع مواجهة مباشرة بين الاثنين على شاشات التليفزيون ، وخرج منها بانطباع متعاطف مع « كنيدى » ، مرجحا لاحتمالات فوزه .

وقد تم اجتماع بين « جمال عبد الناصر » و « ايزنهاور » فى الجناح الرئاسى بفندق « والدورف استوريا » فى نيويورك التى جاء إليها « ايزنهاور » لحضور الجمعية العامة ، والالتقاء بزعماء العالم الذين وفدوا عليها للمشاركة فى أعمال الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة . وتسجل وثائق البيت الأبيض وقائع ما جرى فى هذا الاجتماع فى مذكرة كتبها الجنرال « جودباستر » المساعد العسكرى لـ « ايزنهاور »(١٧) ، وقد جاء فى المذكرة بالنص ما يلى :

« بعد ان قام الرئيس بتحية الرئيس ناصر ومرافقيه ، وبعد التقاط صورة تذكارية له مع ناصر ، بدات المناقشة بان قال الرئيس (ايزنهاور) : « إنه اجتهد فى جعل خطابه امام الامم المتحدة خطابا توفيقيا . وقال إنه يعتقد ان الامم المتحدة ذات

(١٧) الوثائق السرية لوزارة الخارجية الامريكية : مذكرة عن اجتماع بين الرئيس ايزنهاور والرئيس ناصر (الجمهورية العربية المتحدة) ـ يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٠ ـ الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر .

اهمية بالغة فى عالم اليوم . حيث توجد بلدان كثيرة يتعين مساعدتها لتحقيق مستويات عصرية عالية من الانتاج والرفاهية الاجتماعية . فالمعونة الثنائية ليست حلا . والاسراف فيها يجعل العلاقة بين البلدان المانحة والبلدان المتلقية تجنح إلى ان تصبح علاقة هيمنة . وقال الرئيس (ايزنهاور) إنه يعتبر ان الامم المتحدة هى املنا العظيم فى تسوية المشاكل بين الامم ، وان هذا هو الذى حدا به إلى ان يكون توفيقيا فى خطابه حتى يسمح بان تكون دورة الجمعية العامة مجدية ، وإن كان الرئيس (ايزنهاور) قد اعترف بانه ربما لم ينجح فى هذه الغاية » .

وبدا الرئيس ناصر حديثه بالإعراب عن تقديره للمؤازرة التى قدمتها الولايات المتحدة للامم المتحدة ولمصر فى الصراع الذى حدث فى نوفمبر ١٩٥٦ . وقال إنه قدر هذه المؤازرة ، وإن كان قد عقب قائلا إن المصاعب وسوء الفهم جرت بعد ذلك على علاقاتنا . وقال الرئيس ناصر : « إن تجربة الامم المتحدة (ولعل ناصر كان يعنى هنا التجربة مع الامم المتحدة لانه استخدم العبارة بهذا المعنى عدة مرات اثناء النقاش) كانت تجربة بناءة جدا » . وقال الرئيس ناصر : « إن الجمهورية العربية المتحدة ازرت نشاط الامم المتحدة فى الكونجو من بداية الامر ولكنه دهش دهشة مزعجة لقيام الامم المتحدة باحتلال المطارات الجوية ، ومحطات الاذاعة فى الكونجو ، وهذه كلها انتهاكات لسيادة الكونجوليين » . ثم اضاف الرئيس ناصر انه اعتبر هذه التصرفات اخطاء من جانب الامم المتحدة ، وخطورة هذه الاخطاء ان بلدانا كثيرة كالجمهورية العربية المتحدة تعتمد على الامم المتحدة فى امنها فى عالم اليوم . والآن وبسبب مثل هذه التصرفات ، فإن الامم الافريقية بدات تفقد ثقتها فى الامم المتحدة . » .

ثم استطرد الجنرال « جودباستر » فى مذكرته عن اللقاء يقول : « إن الرئيس (ايزنهاور) رد على الرئيس ناصر بقوله : « إنه من الطبيعى ان قوات الامم المتحدة لا تكون كافية فى بعض الحالات للتوصل إلى تنفيذ قرارات الامم المتحدة ، وإن كانت الولايات المتحدة فى فترة رئاسته قد حاولت بكل طريقة تعزيز عمليات الامم المتحدة ، وتقديم العون لها فى تنفيذ قراراتها » . ثم قال الرئيس (ايزنهاور) إنه يظن ان السبب فى الامر الذى اصدرته الامم المتحدة بإغلاق المطارات فى الكونجو كان منع وصول الاسلحة والخبراء السوفيت ، فقد كان إرسالهم على وشك ان يتم دون طلب من الامم المتحدة . ولابد ان نتفق انه عندما تتدخل الامم المتحدة فى حالات من الفوضى الشديدة ـ كما يحدث فى الكونجو ـ فلابد ان يكون لرجالها الحق فى ان يقرروا بانفسهم ما هو ضرورى لصيانة النظام . وبالطبع فإنه يتصور ان الاراء سوف تختلف حول الاساليب ، على ان الحقيقة الواضحة هى ان الامم المتحدة ايدت تصرفات همرشولد تاييدا كاملا . وقال الرئيس (ايزنهاور) إن السؤال المهم الذى يتعين علينا ان نساله لانفسنا على ضوء الهجوم الشديد الذى يشنه الاتحاد السوفيتى ضد الامم المتحدة هو ، هل منظمة الامم المتحدة منظمة طيبة بصورة إجمالية ام لا ؟ » ورده هو شخصيا على هذا السؤال هو ، إنها منظمة طيبة بالنسبة للامم الكبيرة وكذلك الصغيرة » . »

ومضى الجنرال « جودباستر » في مذكرته بعد ذلك عن وقائع الاجتماع يقول : « إن الرئيس ناصر ابدى اعتقاده بان افريقيا تتحرك بسرعة إلى الامام ، وان هناك تغييرات ضخمة تجرى في القارة . وهو يعترض اعتراضا حازما على اى شيء من شانه ان يجعل من افريقيا ميدانا للحرب الباردة ، والواجب ان لا تسيطر عليها الولايات المتحدة او روسيا او اوروبا . وهو على وجه التحديد يعارض اى سيطرة روسية على الكونجو ، كما يعارض اى سيطرة غيرها » .

واستطرد الجنرال « جودباستر » في مذكرته ، فروى ما دار من مناقشات بين « ايزنهاور » و « جمال عبد الناصر » عن قصة صفقات السلاح منذ سنة ١٩٥٢ . ثم وصل « جودباستر » في مذكرته إلى القول : « قال الرئيس ناصر إنه منذ عام ١٩٥٢ وهو يرغب في علاقات طيبة مع الولايات المتحدة . وكان الحاجز الرئيسى الذى يحول دون ذلك باستمرار يتمثل في إسرائيل . وقال ناصر إنه طلب منا اسلحة لحماية بلاده من الهجمات الاسرائيلية فرفض طلبه ، ومع ذلك قدمت الولايات المتحدة اسلحة إلى إسرائيل . وتدخل الرئيس (ايزنهاور) عند هذه النقطة ، وقال إن ما قدمته الولايات المتحدة لاسرائيل كان مجرد اسلحة دفاعية . ورد الرئيس ناصر على ذلك بقوله إن الرئيس ايزنهاور بخبرته العسكرية الضخمة يدرك دون شك ان جميع الأسلحة لها قيمة هجومية . وسمى عددا من انواع الأسلحة التى قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل ، وبينها المدافع عديمة الارتداد من عيار ١٠٦ مم . ثم عاد الرئيس ناصر إلى تاكيد القول بان إسرائيل هى دائما الحاجز الذى يقف امام تحسين علاقاتنا . وقال إنه يتابع الحملة الانتخابية بين كنيدى ونيكسون ، ووجد كلاهما يتبارى في استرضاء إسرائيل ، كما انه يقرا خطبا مهينة لكثيرين من اعضاء الكونجرس الامريكى تؤيد إسرائيل على طول الخط . ومع فهمه لحقيقة ان الكونجرس ليس هو الحكومة ، فإنه مضطر إلى الاعتقاد بان كليهما يعبر عن سياسات مرسومة .

ثم انتقل الرئيس ناصر إلى شحنات القمح الامريكى لمصر ، وقال إنه ممتن لهذه الشحنات ، لكنه عندما يقف اعضاء في الكونجرس ليقولوا إن الجمهورية العربية المتحدة عليها ان تدفع ثمن القمح الامريكى بالسماح للبواخر الاسرائيلية بعبور قناة السويس ، فإن الواجب يقتضيه ان يقول إنه سيرفض دفع هذا الثمن ، وسيرفض القمح .

ورد الرئيس (ايزنهاور) إن هذه مشكلة صعبة ومعقدة ، وعلينا ان نحاول الاهتداء إلى الحق ، واين هو وكيف ؟ وفيما يتعلق به ، فإنه سيحاول . ثم طلب من الرئيس ناصر ان يفكر فيما إذا كان ممكنا العثور على بداية جديدة . ثم توجه الرئيس (ايزنهاور) إلى الرئيس ناصر بسؤال مباشر عما إذا كانت الدول العربية ملتزمة بتدمير إسرائيل ؟ ورد الرئيس ناصر بقوله : « إن هناك قولا متواترا بان العرب يريدون تدمير إسرائيل » . ثم اضاف انه لم يصدر عنه بيان واحد بانه ينبغى تدمير إسرائيل ، او إلقائها في البحر . وان الحل في رايه يكمن في تنفيذ قرارات الامم المتحدة .

وقال الرئيس (ايزنهاور) إنه عندما دخل البيت الأبيض بدا سياساته في العالم من منطق ان الحرب في عصرنا هذا قد اصبحت مقيتة مقتا مطلقا . ورد الرئيس ناصر بقوله إن في وسع اى شخص اليوم ان يبدا حربا ، ولكن اى شخص لا يستطيع إنهاء الحرب على هواه . وساله الرئيس (ايزنهاور) عن رايه في حل مشكلة اللاجئين ، وكم منهم يمكن ان يعودوا إلى إسرائيل إذا اعطوا حرية الاختيار ؟ ورد الرئيس ناصر على السؤال الموجه إليه بقوله : « إنه يعتقد انهم جميعا سيعودون ، وعندئذ تصبح إسرائيل بلدا مختلط السكان بدلا من ان تكون مجرد بلد يهودى . ومن شان هذا ان يحسن الوضع في المنطقة ، ويقلل ما يشعر به العرب الآن من الخوف والكراهية » . وساله الرئيس (ايزنهاور) كيف يمكن لاسرائيل إيواء مليون شخص إضافي داخل حدودها ؟ ورد الرئيس ناصر بقوله : « إن بن جوريون اعلن ان هدفه تهجير اربعة ملايين يهودى آخرين إلى فلسطين » . وبعد مناقشة حول العلاقات الامريكية الاسرائيلية ، وصل « جودباستر » إلى الجزء الأخير من مذكرته عن اللقاء فكتب يقول :

« إن الرئيس (ايزنهاور) صارح الرئيس ناصر باننا نتطلع إلى علاقات افضل مع الجمهورية العربية المتحدة ، ولكننا شديدو الارتياب في السوفيت ، فهم عندما يقدمون المساعدات للجمهورية العربية المتحدة يضعون في حسابهم انهم قد يصلون بواسطتها إلى الهيمنة على المصريين . ورد الرئيس ناصر بقوله : « إن المصريين لن يبيعوا حريتهم لأحد » . واعاد إلى ذاكرة الرئيس انه قاطع السوفيت علنا في وقت كانت فيه علاقاته مع الغرب شديدة السوء . وهو على استعداد لتحمل علاقات سيئة مع المعسكرين شرط ان تحتفظ بلاده بكرامتها . ثم قال الرئيس ناصر : « إن جون فوستر دالاس سحب العرض الأمريكى بالمساهمة في بناء السد العالى ببيان مهين » . وقاطعه الرئيس (ايزنهاور) في هذه النقطة قائلا : « لقد كان ذلك سوء تفاهم بين حكومتينا » .

وتساءل الرئيس (ايزنهاور) عما سيحدث في الأردن ؟ ورد ناصر بقوله : « إنه لا يتخذ إزاء الأردن إلا إجراءات دفاعية ، وهو غير منغمس في مؤامرات مع الروس ، او مع الولايات المتحدة ، او مع اى طرف آخر ضد الأردن . فالمؤامرات لن تفضى إلى شيء ، وإنه لا يملك عملاء في الأردن ، او في العراق ، او في لبنان مع تسليمه انه في هذه البلدان جميعا يوجد اناس يؤمنون بافكاره ويناصرونها ، وهو لا يعرف معظمهم » . ثم اضاف : « إنه لا يقبل ان يتسع إطار الجمهورية العربية المتحدة لأى طرف جديد إذا جاء ذلك عن طريق انقلابات ، او اعمال هدامة ، فلا رغبة له في مثل هذا الارتباط إلا إن تم من خلال إرادة تعبر عن نفسها طوعا » .

امضـاء
ا . ج . جودباستر
بريجادير جنرال »

الفصل الرابع

تحصين المواقع

١

فى أوائل سنة ١٩٦١ كان « جمال عبد الناصر » يقوم بعملية مراجعة ، ولعل الاحساس بالحاجة إلى هذه المراجعة هو الذى دفعه إلى اختيار السفر بالبحر إلى الدار البيضاء يوم ١ يناير ١٩٦١ فى أول زيارة له للمغرب ، ولحضور اجتماع لعدد من رؤساء الدول الافريقية المستقلة الذين هالهم ما يجرى فى أفريقيا ، وتلاقت أفكارهم على ضرورة اتخاذ موقف واحد لمواجهته .

ولم تكن شواغل « جمال عبد الناصر » فى ذلك الوقت مقصورة على أفريقيا ـ رغم أن أفريقيا فرضت نفسها فى ذلك الوقت على المسرح العالمى الواسع .

كانت شواغله أوسع من أفريقيا ، وأكثر تعددا فى ظلالها من لون واحد .

والحقيقة أنها كانت نفس الشواغل التى ألحت عليه من قبل فى أعقاب معركة السويس ، وجعلته يحس بالحاجة إلى فرصة لتدعيم وتعزيز ما استطاعت الثورة تحقيقه أو التخطيط له منذ قيامها وإلى ما بعد السويس .

كان قد بدأ هذه المحاولة ، ثم اعترضته قضايا سوريا حين حاولت الافلات من الغزو بالاندفاع إلى الوحدة ـ ثم توزع اهتمامه بعد ذلك ما بين تصاعد آمال الحركة الثورية العربية على كل المستويات ، وانفجارها على شكل ثورة من التطلعات والتوقعات القومية والاقتصادية والثقافية ، بل وجموحها أحيانا إلى ما يسبق وسائلها وإمكاناتها

-إلى ثورة فى العراق ـ إلى الخلاف مع الشيوعيين ـ إلى النزاع مع الاتحاد السوفيتى ـ كل هذا والصراع مع إسرائيل على أشده ، كما أن المخطط الامبراطورى الأمريكى ضاغط .

ولقد كان إحساسه بالحاجة الملحة إلى المراجعة والتدعيم والتعزيز لما تحقق ، يتصادم دائما مع إحساس مقابل بضرورة الاستجابة للتطورات التاريخية والتفاعل معها .

ولقد كانت سياسته فى معظم الأحيان ، وبحكم دراسته للاستراتيجية وتأثره بمدرسة « ليدل هارت » هى : **الاختراق ، والالتفاف ، ومحاصرة الجيوب ، ومواصلة التقدم ، ثم ترك الجيوب المعزولة للحصار أو الاستسلام .**

لكن المشكلة أن كثرة الجيوب التى تركتها عمليات الاختراق والالتفاف والحصار ، ثم احتمال أن تتمكن هذه الجيوب من الاتصال ببعضها ـ يهدد أى جبهة بهجوم عليها من المؤخرة .

وكان بعد انتصار السويس قد تقدم وترك وراءه جيوبا متعددة .

وفى أواخر سنة ١٩٦٠ كان إحساسه بأن الجبهات الدولية التى يصارع ضدها قد عثرت على حليف طبيعى فى الجيوب التى تركها وراءه ، والعكس بالعكس أيضا -وإذن فإنه يحتاج وفق مدرسة « ليدل هارت » إلى شىء من عمليات المراجعة والتدعيم ، ثم إنه قد يحتاج إلى تقصير بعض خطوطه ، وإلى تأمين أو تطهير بعض المواقع قربها .

وكانت السنوات التالية التى قضاها فى السلطة حتى الآن قد زادته معرفة بأحوال عالمه وتياراته ، كما زادته قربا من آمال شعوب أمته التى أحس طبقا لما قاله « **أنها أعطته أكثر مما تمناه أو حلم به** » .

وبشكل ما ، فإن ضرورة المراجعة والتدعيم والتعزيز كانت تلح عليه طوال سنة ١٩٦٠ وهو يرى نفسه فى خلافات مع القوتين الأعظم فى ذات الوقت ، ومع أنه كان يراها اختبارات ضرورية من أجل الاستقلال الحقيقى وتأكيده ـ فلقد كان تقديره العام أنه ينبغى تخفيض درجة الحرارة فى أكثر من موضع من مواضع الاحتكاك .

ولقد أثار الموقف الدولى قلقه باشتداد المواجهة بين خروشوف وايزنهاور ، وكذلك فإن ورطة الأمم المتحدة فى الكونجو أقلقته أيضا ، فهذه الورطة أثرت فى هيبة الأمم المتحدة ، وعلى مكانة سكرتيرها العام « داج همرشولد » .

ولقد أقنعه الجو الذى رآه فى نيويورك فى أثناء حضور اجتماعات الدورة

الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة أن رياح الحرب الباردة سوف تزداد برودة فى المرحلة القادمة ، وأنه من الضرورى أن تتحصن الأطراف الدولية الراغبة فى صيانة أمنها واستقلالها ضد هبوب الصقيع القادم .

ولم يكن التحصين فى رأيه خنادق عميقة ، ومتاريس عالية يقبع فيها ووراءها المقاتلون ، وإنما كان رأيه أن التحصين يؤدى أهدافه على أحسن وجه بالدفاع النشيط واليقظ .

□

كان فى نيويورك قد حقق تأثيرا كبيرا على قادة العالم ، وعلى جيل الزعماء الجدد الظاهرين فى آسيا وأفريقيا ، كما حقق خطوات ناجحة يجوز لها ان تنسيه شواغله أو بعضها :

□ كان هو الذى اقترح على عدد من زعماء عدم الانحياز أن يتقدموا معا بمشروع قرار للجمعية العامة يدعون فيه إلى استئناف الاتصالات على مستوى القمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وهكذا اشترك معه « نكروما » و « سوكارنو » و « نهرو » و « تيتو » بتوقيع اقتراح بمشروع قرار[1] قدم إلى رئيس الجمعية العامة نصه :

« الجمعية العامة

شاعرة بالقلق من التدهور الطارىء على العلاقات الدولية مما يهدد بأوخم العواقب

وعارفة بالآمال التى تعلقها شعوب العالم على هذه الدورة للجمعية العامة ـ فى تمهيد الطريق نحو تخفيف التوتر

وواعية بالمخاطر التى تهدد الأمم المتحدة والمسؤوليات التى تقع عليها

تطلب : كخطوة أولى عاجلة من كل من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، ورئيس مجلس الوزراء فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية أن يعيدا تجديد اتصالاتهما التى انقطعت أخيرا ، بحيث يتحقق عن طريق ذلك ما أعلنه كلا الطرفين من رغبته فى حل المشاكل الدولية الكبيرة والمعلقة بوسيلة المفاوضات . »

---

(١) نص القرار منقول عن بيان السكرتارية العامة للأمم المتحدة (الإدارة الصحفية) برقم ب . م/٣٨٩٥ ـ بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٦٠ .

□ وكان قد تمكن ايضا من إعادة تصحيح علاقات الجمهورية العربية المتحدة ببعض القوى الكبرى فى أوروبا ، وبينها بريطانيا وفرنسا .

فقد أبدت بريطانيا رغبتها فى استئناف العلاقات مع مصر ، وفتح صفحة جديدة ، وقبل « جمال عبد الناصر » مع إدراكه أن كتاب المصالح الدولية لا يعرف هذا النوع من الانقطاع بين ما كان سابقا ، وما سوف يكون لاحقا . وكان « هارولد ماكميلان » رئيس وزراء بريطانيا (المملكة المتحدة) الذى يحضر الدورة والذى يجلس قرب مقاعد وفد الجمهورية العربية المتحدة بحكم الترتيب الأبجدى ، غير مستعد لترك مشاكل البروتوكول تؤخر رغبته فى استعادة العلاقات مع البلد الذى برز باعتباره أهم قوة مؤثرة فى العالم العربى ، وهكذا فإنه قرر القيام بمغامرة مباشرة .

وذهب وزير الخارجية البريطانى اللورد « دوجلاس هيوم » إلى وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة الدكتور « محمود فوزى » يقول له : « إن رئيسى يفكر فى ان يتقدم لمصافحة الرئيس ناصر فى فترة الاستراحة فى اثناء جلسة الغد ، فهل تظن ان الرئيس ناصر سوف يمد له يده ، ومن ثم يلتقيان اثناء هذه الدورة ؟ » ورد « فوزى » قائلا بطريقته : « إنه واثق ان « رئيسنا » جنتلمان ، وهو لا يترك فى الهواء يدا معلقة تمتد إليه بالتحية . »

وكان اعضاء الوفد المصرى إلى الجمعية العامة ، الذين عرفوا بما دار بين اللورد « هيوم » والدكتور « فوزى » ، فى حالة من الفضول الشديد ينتظرون كيف يتصرف « ماكميلان » و « كيف يفعلها » ؟

وعندما جاءت الاستراحة ، رأى الكل « ماكميلان » يناور حتى تستطيع خطواته خارجا من مقعده إلى الممر الواسع فى القاعة ان تضعه وجها لوجه أمام « جمال عبد الناصر » ثم إذا هو يمد اليه يده قائلا بتواضع شديد : « إننى هارولد ماكميلان ، ويشرفنى ان اتعرف عليك » ! ورد « جمال عبد الناصر » باسما وقائلا : « إننى جمال عبد الناصر ويسعدنى ان القاك » !

ثم قام « ماكميلان » بقبول دعوة من « جمال عبد الناصر » فى اليوم التالى على فنجان شاى .

□ وكان « جمال عبد الناصر » أيضا قد حقق أول اتصال مباشر بأمريكا اللاتينية ، وقواها الثائرة ، فقد طلب « فيدل كاسترو » لقاءه ، وجاء إليه يحمل علبة من السيجار الكوبى ومحفظة من جلد التمساح ، وقال له وهو يقدمها له : « أما السيجار فأنا أعرف أنكم لا تنتجونه فى مصر وأما التماسيح فأعلم أن لديكم كثيرا منها فى النيل » ، ورد عليه « جمال عبد الناصر » ضاحكا بأن « مصر بالفعل فيها

خمسة تماسيح على حد علمه ، وكلها موجودة فى حديقة الحيوانات ، وبالتالى فإن المحفظة التى أعطيتها لى نادرة لأننا أيضا لا نملك تحويل خمسة تماسيح إلى محافظ وحقائب جلدية » .

ثم جلس « عبد الناصر » يتعرف على مشاكل أمريكا اللاتينية ، ويستمع مطولا إلى تقرير عن أوضاعها ، وقد استكمل سماعه بعد ذلك عندما قام بزيارة لـ « كاسترو » فى الفندق الذى كان يقيم فيه بحى « هارلم » . وكان « كاسترو » قد آثر الانتقال إلى حى الزنوج فى نيويورك لأن الفندق الذى نزل فيه بادىء الأمر اتهم الوفد الكوبى بأنه يذبح « الدجاج » وينظفه من « الريش » فى الصالونات لأنهم حريصون على طبخ طعام « كاسترو » بأنفسهم مخافة دس السم له فى طعام الفندق ! !

□ كان أيضا قد التقى بالجنرال « ديجول » الذى كانت هامته الطويلة لافتة للأنظار أثناء دخول الوفود وخروجها إلى قاعة الجمعية العامة ومنها . وقد ركز « جمال عبد الناصر » على ثورة الجزائر وضرورة الاعتراف بقيادتها ، وإطلاق سراح الزعماء الذين خطفتهم الحكومة الفرنسية السابقة ، والتفاوض معهم ومع الحكومة المؤقتة بقصد إنهاء حرب مكلفة فى الجزائر لم يعد ممكنا لها أن تعوق استقلالها . وحاول « ديجول » أن يناقش معه بعض الشروط ، ولكن « جمال عبد الناصر » صارحه بأنه لا يملك تفويضا بالمناقشة معه . وكان اهم ما اسفر عنه اللقاء هو ان « ديجول » وعد بفتح مسالك للاتصال المباشر ، كما انه وافق على السماح للزعماء الجزائريين المعتقلين بتلقى مكالمات تليفونية من الخارج ، أو بإجراء مكالمات تليفونية مع الخارج ، بحيث تستطيع أطراف القيادة فى « الداخل » أن تشارك فى الحوار مع القيادة فى « الخارج » لترتيب موقف تفاوضى معقول .

□ وكان فى نيويورك أيضا قد ناقش ضرورة إنشاء تجمع إفريقى يكون مرجعا أساسيا للقارة ، وتجمع لدول عدم الانحياز يكون حلقة رئيسية فى محاولة الحفاظ على السلام . والآن كان فى طريقه فعلا إلى اجتماع إفريقى تقرر عقده فى الدار البيضاء ، واختار أن يسافر بالبحر لكى تعطيه أيام الرحلة فرصة للتفكير الحر والطليق : يحلل ويقيم ويختار بين البدائل المطروحة والضرورات الملحة ، ويرسم خطا سليما للحركة وسط بحار هائجة !

ولم يترك « جمال عبد الناصر » لشىء أن يخرجه عن شواغله حتى عندما قيل له إن طائرة استطلاع فرنسية تحوم حول الباخرة « الحرية » وتلتقط صورا لها . وقد كان كل ما فعله أن صعد إلى سطح « الحرية » ومعه آلة تصوير التقط بها عددا من الصور لها !

٢

كان مؤتمر الدار البيضاء الذى شارك فيه كل من الملك « محمد الخامس » ملك المغرب ، و « قوامى نكروما » رئيس غانا ، و « أحمد سيكوتورى » رئيس غينيا ، و « موديبوكيتا » رئيس جمهورية مالى إلى جانب « جمال عبد الناصر » نفسه ـ نقطة تحول فى العمل الافريقى . فقد اجتمع فيه كل زعماء حركة الاستقلال فى أفريقيا ذلك الوقت ، وأرادوه تعبيراً عن إرادة إفريقية حرة لا تخضع للمحاولات التى تقوم بها الدول الاستعمارية للتحكم فى اتجاه رياح التغيير . كانت جهود الدول الاستعمارية فى ذلك الوقت تحاول أن تفرض ، أو تغرى بترتيبات تفرغ استقلال أفريقيا من جوهره ، فقد كانت هناك محاولة لتقسيم الدول الافريقية المستقلة حديثا إلى مجموعة فرنسية ، وإلى مجموعة أخرى بريطانية طبقا لعلم الاستعمار الذى كان يرفرف فوق هذه الأقطار قبل استقلالها ، وعلى أساس من التأثير الثقافى الذى خلقته لهجات السيطرة باللغة الانجليزية ، أو باللغة الفرنسية . وكان ذلك فى رأى عدد من زعماء القارة توجها خطيرا . وهكذا فإن الذين اجتمعوا فى الدار البيضاء وضعوا أنفسهم ـ بصرف النظر عن اية مؤثرات سابقة ـ فى موقع مستقل .

كان « جمال عبد الناصر » قد تحدث فى كتابه « فلسفة الثورة » عن دائرة إفريقية ـ ضمن دوائر ثلاث ـ تتحرك مصر تاريخيا فى إطارها ، والآن كانت أمامه الفرصة ليشارك فعلا فى رسم هذه الدائرة على الأرض ، وعلى الطبيعة . وهكذا ذهب إلى مؤتمر الدار البيضاء ، وأمامه مجموعة من الأهداف يسعى لتحقيقها :

١ ـ أن يشارك فى سعى القارة من أجل تحقيق ذاتها والوعى بشخصيتها ، والتأكيد على خطوط مصالحها وارتباطاتها .

٢ ـ وقد ركز جزءا من جهده لكى يزيل التباسا تاريخيا شاع وذاع ، وكأنه مطلوب مقصود فى حد ذاته ، وهو ان العرب فى افريقيا كانوا هم تجار العبيد فيها . وكان هذا الالتباس يخلق حساسيات شديدة فى الوقيعة بين الأمة العربية ، وبين القارة الافريقية . وقد اكتشف « جمال عبد الناصر » على الطبيعة دور الاسلام فى افريقيا . ففى إحدى المناسبات على هامش المؤتمر راح « جمال عبد الناصر » مع عدد من الأقطاب المشاركين فيه يتقصى الحقيقة وراء أسمائهم . فإذا أصل « سيكوتورى » من كلمتين : « سيك » وهى تصحيف لكلمة « شيخ » و « تورى » وهى تصحيف لكلمة « طريقة » اى أن اسم

« سيكوتورى » يعنى « شيخ الطريقة » . ثم ظهر ايضا ان اسم « سيفولا دياللو » هو تصحيف لاسم « سيف الله ضياء الله » . وان اسم « باليوا » (رئيس وزراء نيجيريا) هو فى الواقع تصحيف لاسم « أبو عليوة » ، وان الاسم الشائع فى غرب افريقيا وهو « مامادو » هو تصحيف لاسم « محمد » ، وان اسم « آمادو سردونا » هو تصحيف لاسم « احمد سر الدين » ، وان اسم « موديبوكيتا » هو تصحيف لاسم « المؤدب بخيت » . كان حديث بحث عن الجذور ، وظهر أن هذه الجذور متلاقية فى تربة إفريقية متصلة .

٣ ـ وحاول مع الآخرين أن يعثروا على كل الامكانيات المتاحة للتعاون الاقتصادى الذى كان فى رأيهم أساسا لأى عمل سياسى . وقد تبينوا معا على سبيل المثال ان خطوط الطيران لا تصل إلى عواصمهم إلا مرورا بعواصم الاستعمار القديم ، ونفس الشىء بالنسبة لشبكات البرق وخطوط التليفونات . وكان عليهم أن يبدأوا ، وكلفوا خبراءهم بأن يضعوا تصوراتهم .

٤ ـ وكانت أمامه مهمة اخرى علق عليها اهمية كبرى ، وهى دور إسرائيل فى التسلل إلى القارة . وقد وجد أن إسرائيل ذهبت إلى القارة بأبعد مما كان يقدر ، وأن الولايات المتحدة تساعدها فى ذلك . وقد استطاع اخيرا أن يجد الصيغة التى تستطيع بها افريقيا أن تتمثل خطر إسرائيل ، فقد عرضها أمام زملائه من قادة افريقيا على أساس انها صورة من صور الاستعمار الاستيطانى شانها فى ذلك شان جنوب افريقيا . وكحالة جنوب افريقيا ، فإنها جزء لا يتجزأ من الوجود الاستعمارى . وهكذا فقد كان اكثر قرارات المؤتمر دويا هو القرار الذى قال بالنص :

« يلاحظ المؤتمر باستنكار أن إسرائيل دأبت دائما على مناصرة الاستعمار كلما جرى بحث للمسائل الهامة المتعلقة بأفريقيا ، ولاسيما مسائل الجزائر والكونجو والتجارب الذرية فى أفريقيا . لذلك يندد المؤتمر بإسرائيل بوصفها أداة فى خدمة الاستعمار بنوعيه القديم والجديد ليس فقط فى الشرق الأوسط ، بل فى أفريقيا وآسيا . ويدعو المؤتمر كافة دول أفريقيا وآسيا إلى الوقوف أمام هذه السياسة الجديدة التى يستخدمها الاستعمار بخلق قواعد له » .

وكان هذا القرار صدمة لإسرائيل ، ولأصدقاء لها فى الغرب اعتبروا تسللها إلى أفريقيا جسراً لهم إلى قلب القارة .

□



طاف لومومبا بشوارع ليوبولد فيل فى سيارة عسكرية مقيدا بحبل امسك بطرفه احد الضباط ، وبعد ذلك جرى اغتياله غيلة وغدرا .

وعاد « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة بعد انتهاء أعمال مؤتمر الرباط ليجد على مكتبه برقية من « جيزنجا » نائب « لومومبا » نصها كما يلى :

« لقد علمنا من مصدر موثوق به ان رئيس وزرائنا لومومبا سيقتل هو والوزير موبولو والرئيس كانات اكيتو . كما علمنا ان فرقتين من جنود المظلات الأمريكيين على استعداد للحضور ومحاصرة العاصمة للقضاء ايضا على اعضاء الحكومة . ومما يؤيد صدق ذلك حضور قنصل امريكا متخفيا يوم ٤ فبراير ، وكذا تحليق طائرة مجهولة . إن الخطر وشيك الوقوع ، والحكومة الشرعية تفضل اندلاع حرب عالمية على ان تغتال غدرا . إننا نحتج بشدة على مؤامرات امريكا الاستعمارية وحلفائها بحجة حماية مواطنيها فى حالة قيام الشعب الكونجولى بثورة عندما يعلم بقتل لومومبا والشخصيات الأخرى . نطالبكم باتخاذ موقف حازم حتى يكون العالم على علم بما يجرى »

وتلقى الوفد المصرى الدائم فى الأمم المتحدة تعليمات بأن يقدم إلى مجلس الأمن مشروع قرار بالافراج عن « لومومبا » . وقدمه الوفد بالفعل يوم ٧ فبراير ١٩٦١ . ومساء يوم ١٢ فبراير تلقى « جمال عبد الناصر » من « اليزابيث فيل » بالكونجو معلومات تؤكد أن « لومومبا » تم قتله بالرصاص بعد أن جرى اعتقاله وهو يحاول تجميع جيش من المتطوعين يسير معه إلى تحرير « كاتنجا » . وقد ظهر أن الذى اعتقله هو الكولونيل « موبوتو » قائد قواته ، وأنه قام بتسليمه فى نفس يوم اعتقاله إلى عدوه « تشومبى » فى « كاتنجا » وفى لحظة وصوله إليها ضرب حتى الموت ، ثم رشق جسمه بالرصاص ، ثم أحرقت جثته .

وكان « جمال عبد الناصر » بنفسه هو الذى أكد للعالم رسميا نبأ قتل « لومومبا » . وأعلن « جمال عبد الناصر » أنه يضع أسرة « لومومبا » تحت حماية الجمهورية العربية المتحدة . وكتب له شقيق « لومومبا » خطابا[٢] يقول له فيه :

« يا صاحب الفخامة

إذا كان خطابى هذا لا يحمل جميع معانى الاحترام الواجب تقديمها لشخصكم ، فارجو الا يفسر ذلك بقلة العناية ، ولكن باننى اتعامل معكم كشقيق وراع ورجل إفريقى لم يتنازل عن روحه الافريقية . إن وقوفكم معنا ضربة لكل من ارادوا ان يوقعوا بيننا وبينكم حينما ارادوا إقناعنا ان العربى هو عدو للاسود ، وان العرب كانوا اصل فكرة الإتجار ببنى البشر فى تجارة الرقيق . ولقد تاكدنا ان ذلك غير صحيح ونحن نرى امامنا ان البرتغاليين وهم شعب مسيحى كانوا هم تجار الرقيق فى بلادنا ، وكانوا يقومون بذلك بامر من ملوكهم .

إمضاء
لويس لومومبا »

وكتبت له « بولين » زوجة « لومومبا » خطابا[٣] تقول فيه :

« إننى امراة لم تتعلم لأن الاستعماريين البلجيكيين حرمونا من فرصة الحصول عليه . لكنى مع إدراكى البسيط افهم مثل كل امراة وطنية فى افريقيا انكم اوفى الأصدقاء لشعوبنا . إننى بلسان امراة ـ والمراة هى موضع اسرار الرجل ـ اؤكد لكم اننا عرفنا الآن اصدقاءنا الحقيقيين . والله معك .

إمضاء
بولين لومومبا »

(٢) اصل الرسالة مودع فى ارشيف منشية البكرى ضمن مجموعة الملفات التى تحمل عنوان « ازمة الكونجو » .

(٣) اصل الرسالة مودع فى ارشيف منشية البكرى ضمن مجموعة الملفات التى تحمل عنوان « ازمة الكونجو » .

وكان « جمال عبد الناصر » متاثرا إلى ابعد حد بقتل « لومومبا » وقد تبادل خطابات فى هذا الموضوع مع « خروشوف » و « نهرو » و « تيتو » و « همرشولد » . وكان لومه لـ « همرشولد » شديدا ، فقد اعتبر ان « لومومبا » قد قتل تحت اعلام الأمم المتحدة ، وفى وجودها ، بل إن وجودها استغل كغطاء لجريمة بشعة هزت افريقيا . وكتب إليه « نكروما » خطابا مؤثرا يقول فيه : « إننى اقضى ليالى طويلة مع الدموع ، واشعر بالنار فى قلبى كلما تذكرت ان لواتنا كانت هناك ضمن إطار الأمم المتحدة ، وان الحرية التى ذهبنا لحمايتها قد اغتيلت على مرمى حجر منا » .

ولم يكن هناك كثير يمكن عمله ، فإن قوى الاستعمار ، وامتيازات واحتكارات الماس والنحاس واليورانيوم ، كانت تحارب معركة ضارية للاحتفاظ بكنوزها الافريقية .

٣

بعد صدمة أفريقيا راح « جمال عبد الناصر » يركز جهده على جبهة الدول غير المنحازة ، وفى منتصف أبريل ١٩٦١ كان الرئيس « تيتو » ضيفا عليه فى الاسكندرية ، وتحادثا طويلا فى الموقف الدولى ، وفى ضرورة بروز دور الدول غير المنحازة لمواجهة أوضاع دولية مثيرة للتوجس والشك . واستقر رأيهما على الدعوة إلى مؤتمر موسع للدول غير المنحازة ، وكتبا خطابا[٤] مشتركا من الاسكندرية بتاريخ ٢٢ أبريل سنة ١٩٦١ لصديقهما الثالث « جواهر لال نهرو » جاء فيه أنه :

« نظراً للتطورات العالمية ، وما تنذر به من اخطار زيادة التوتر الدولى إلى حد يهدد استقلال بعض البلدان كما يهدد السلام العالمى ، فقد بحثنا الحاجة الماسة إلى بذل نشاط اكثر فعالية ، وافضل تنسيقا من جانب جميع البلدان التى تسعى إلى تحسين العلاقات الدولية . وإذ بحثنا هذه القضايا ، فقد خطر لنا ان الوقت قد حان لعقد

(٤) اصل الرسالة مودع فى ارشيف منشية البكرى فى ملف عنوانه « مراسلات مع الرئيس جوزيب بروز تيتو » (الجزء الثالث)

اجتماع يحضره اكبر عدد ممكن من رؤساء بلدان عدم الانحياز . وفى راينا ان هذا الاجتماع يجب ان يعقد فى اقرب وقت ممكن ، وفى وقت يسبق تاريخ انعقاد الدورة السادسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد تلقينا فى اثناء محادثاتنا هنا رسالة سعدنا بها من الرئيس سوكارنو رئيس اندونيسيا وافق فيها على وجهة نظرنا . ورأينا انه يمكن ان يجتمع فى القاهرة مفوضون ممثلون لنا يتولون وضع جدول اعمال الاجتماع المقترح ، ويحددون مكانه وموعده .

إمضاء

جمال عبد الناصر

جوزيب بروز تيتو »

وارفق « جمال عبد الناصر » « وتيتو » بهذا الخطاب قائمة بأسماء عدد من الدول التى يقترحان دعوتها إلى حضور هذا الاجتماع ، وكانت القائمة تضم الدول التالية :

افغانستان ـ بورما ـ كمبوديا ـ سيلان ـ الهند ـ نيبال ـ اندونيسيا ـ اثيوبيا ـ غانا ـ غينيا ـ مالى ـ الصومال ـ السودان ـ المغرب ـ العربية السعودية ـ العراق ـ اليمن ـ البرازيل ـ فنزويلا ـ كوبا ـ المكسيك .

وتلقى « جمال عبد الناصر » بتاريخ ٣٠ ابريل ردا من « نهرو » ، وكان « نهرو » كعادته المثقف المحلق عاليا فى كل الآفاق ، والذى يحتار فى كثير من الأحيان أين ينزل على الأرض ؟

كان « نهرو » موافقا بصفة إجمالية على الفكرة لكنه طرح تصورات واسعة لتنفيذها ، وجاء فى نص خطابه :

« عزيزى الرئيس ناصر

١ ـ اشكركم على الرسالة المشتركة التى وصلتنى منكم ، ومن الرئيس تيتو ، واوافقكما تماما على انه من المرغوب فيه ان ننسق سياساتنا واعمالنا من اجل تحسين العلاقات الدولية .

٢ ـ وقد فكرت طويلا فى اقتراحكم ، ولدىّ بعض الاعتبارات التى اود طرحها عليكم .

٣ ـ إن مؤتمرا كبيرا كهذا الذى تفكرون فيه يجب ان يعقد عندما يكون هناك امل مؤكد فى الوصول إلى نتائج مرضية وعملية ، فلن يفيدنا كثيرا الاكتفاء بإدانة الآخرين .

٤ ـ كما انه من المهم اختيار وقت للمؤتمر لا يتعارض مع الجهود المبذولة لنزع السلاح .

٥ ـ ولما كنا نعارض الاحلاف والتكتلات العسكرية ، فينبغى الا نعطى الانطباع باننا نسعى إلى تكوين كتلة ثالثة حتى ولو لم يكن وراءها حلف عسكرى .

٦ ـ ليس من السهل وضع تحديد واضح للبلدان التى تعتبر غير منحازة ، ولقد ارسلتم إلى قائمة مجموعة من البلدان التى يمكن دعوتها ، ولكننى لا ارى سببا وجيها لاستبعاد بلاد مثل نيجيريا وليبيريا وليبيا وتونس والسنغال ولبنان .

٧ ـ وفى اوروبا يمكن ان تعتبر النمسا والسويد وفنلندا وايرلندا بلادا غير منحازة ، وفى امريكا اللاتينية يمكن ان تعتبر الارجنتين وشيلى فى نفس القائمة .

٨ ـ يمكن ان نطبق معيارا سلبيا للدول غير المنحازة فنقول إنها البلدان غير المرتبطة بحلف الأطلنطى ، او الحلف المركزى ، او حلف جنوب شرق اسيا ، او حلف وارسو ، لكن هذا وحده لا يعتبر منهجا كافيا .

جواهر لال نهرو »

وانعقد فى القاهرة فى شهر يونيو مؤتمر تحضيرى لقمة عدم الانحياز . ثم تلاه بعد ذلك مؤتمر على مستوى القمة فى سبتمبر ١٩٦١ فى بلجراد خرج فى النهاية بنداء من اجل السلام ، وكلف المؤتمر بناء على اقتراح من « جمال عبد الناصر » اثنين من الرؤساء هما « سوكارنو » و « موديبوكيتا » بتسليمه باليد إلى رئيس الولايات المتحدة فى واشنطن ، ويقوم اثنان آخران هما « نهرو » و « نكروما » بتسليمه باليد إلى زعيم الاتحاد السوفيتى فى موسكو .

وكلف المؤتمر رئيس وزراء الهند « جواهر لال نهرو » بصياغة ندائهم إلى القمة الدولية بالسعى إلى تحقيق السلام ، وكان « نهرو » فى احسن احواله وهو يشرح لقمة عدم الانحياز خطوط الأفكار العريضة التى ينوى وضعها فى نداء السلام الذى كلف بكتابته ، وقد خصص من كلامه ربع ساعة تحدث فيها عن مخاطر الحرب النووية ، واستحالة قبول مخاطرها قائلا :

« إننى اعرف لأننى اعتقد اننا ننتقل من عصر كانت فيه قوة الأمم تقاس بعدد جيوشها ، واما الآن فنحن فى عصر تقاس فيه قوة الأمم باتساع علومها » .

ولعلها كانت آخر مرة فى حياته وقف فيها على مسرح دولى ، وفتح قلبه لله ، وتكلم بهذه الحيوية .

□

كان معنى تأسيس حركة عدم الانحياز على هذا النحو بداية ظهور تجمع دولى يلتزم بمجموعة من المعايير ترسم طريقا لحركتها فى المجال الدولى ، يعتمد مجموعة من المبادىء اهمها الابتعاد عن عقد المحالفات والاتفاقات العسكرية من اى نوع كانت ،

وفى ١١ مايو ١٩٦١ جرى القبض على شبكة شارك فيها بعض الدبلوماسيين الأتراك ، وقد بدا تعقبهم منذ بداوا ينشطون فى سوريا ويحاولون جمع معلومات عن الضباط المصريين العاملين فى القيادة العامة السورية .

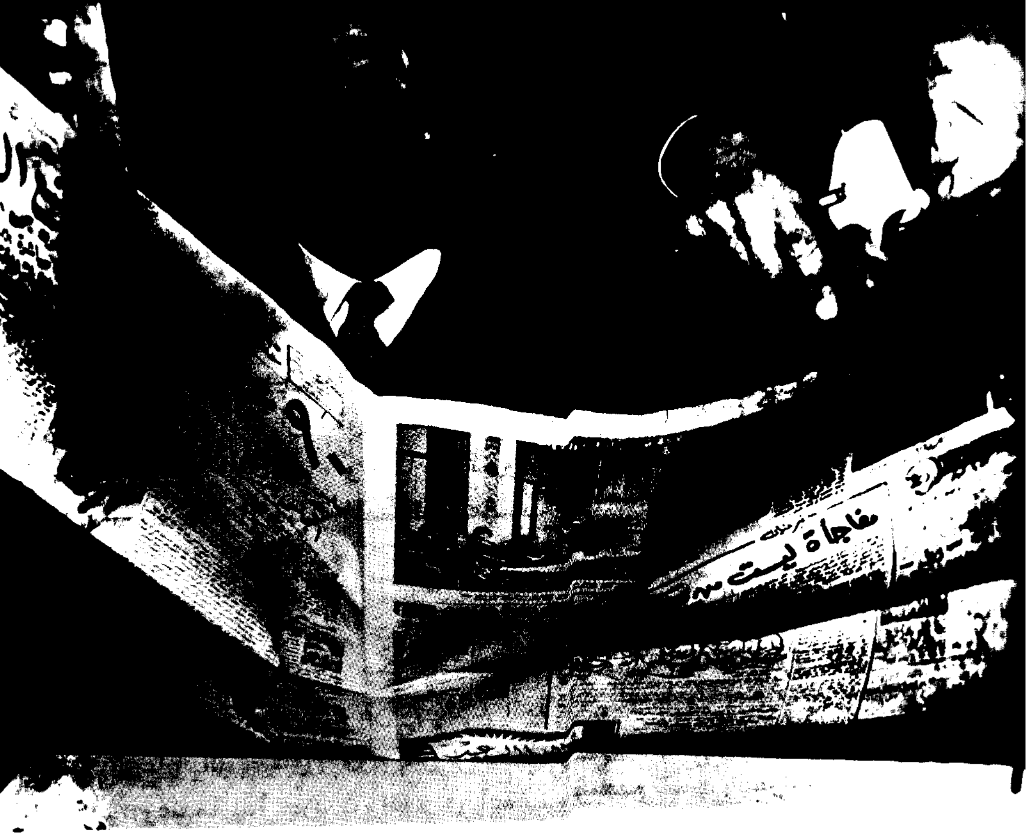
وكان بين التقارير التى استرعت الاهتمام فى ذلك الوقت تقرير قدمه السيد « صائب سلام » رئيس وزراء لبنان عن مؤامرة ترتب فى الأردن لاغتيال عدد من الشخصيات فى سوريا . وتبين أن مدبرى المؤامرة جندوا اعضاء من الحزب القومى السورى المنحل كمتطوعين لتنفيذ هذه العمليات فى دمشق . وكان أول الأهداف المطلوبة هو « عبد الحميد السراج » الذى كان هناك اعتقاد جازم فى عمان بانه الراس المدبر لاغتيال السيد « هزاع المجالى » رئيس وزراء الأردن .[٥]

وتوافقت مع هذه الحوادث حادثة أخرى بدت غريبة ، فقد ضبطت الشرطة المصرية « زيجموند نيوجورسكى » مساعد المستشار الصحفى الأمريكى ، وهو يوزع منشورات ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وكان يلقيها بالجملة من سيارته فى الصباح الباكر ، وكانت كلها تهاجم الجمهورية العربية المتحدة وسياستها فى الكونجو على أساس أن الجهد المصرى مبدد فى مغامرات خارجية تشغل الحكم عن العمل فى الداخل . وقد ألقى القبض على مساعد المستشار الصحفى ، وتم التحفظ على سيارته التى تحمل رقم ٤٠٥٦ هيئة سياسية ، ثم أفرج عنه بعد ذلك بمقتضى حصانته الدبلوماسية ـ لكن الحادث بدا مستغربا .

ومع ذلك فإن « جمال عبد الناصر » كان يعتمد سياسة للتهدئة . ووقعت فى تلك الظروف حادثة سجلها فى مذكراته السير « كولين كرو » القائم برعاية شئون المصالح البريطانية فى فترة قطع العلاقات . وقد كتب السير « كولين كرو » يقول إنه كان يستعد لمغادرة القاهرة بعد أن تقرر نتيجة لاجتماع « عبد الناصر » و « ماكميلان » فى نيويورك أن تستأنف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، لكنه لم يكن يريد أن يغادر القاهرة قبل أن يتمكن من العمل على إطلاق سراح آخر الجواسيس البريطانيين الذين اعتقلوا وحوكموا قبل السويس فى مصر . وكان يعتبر إطلاق سراح هذا الجاسوس الأخير وهو المستر « زارب » تصفية نهائية لبقايا مرحلة فى العلاقات بين البلدين . وروى فى مذكراته انه وسطنى فى إثارة هذا الموضوع مع الرئيس « جمال عبد الناصر » كإشارة ودية أخيرة نحوه قبل أن يغادر مصر .

---

(٥) كانت هذه المعلومات تاييدا لما قاله « الان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى أثناء اجتماعات الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة .



جيمس زارب يقرأ فى « الأهرام » خبر الافراج عنه وسفره .

وروى السير « كولين كرو » فى مذكراته أننى دعوته بعدها بأيام إلى مقابلتى فى « الاهرام » . وركب سيارته ليجيء إلىّ ، ولأول مرة فى حياته عرف معنى التفاؤل والتشاؤم . فقد كان يراقب إشارات المرور وهو قادم إلىّ ، فإذا صادفته إشارة خضراء اعتبرها سببا للتفاؤل ، وإذا صادفته إشارة حمراء اعتبرها سببا للتشاؤم . وحار بين الاشارات الخضراء والحمراء حتى وصل إلى مكتبى ، وفوجيء بى وأنا أقول له : « إنك طلبت هدية شخصية لك ، وقد طلب إلىّ الرئيس جمال عبد الناصر أن أسلمك هذا الشيك » . واحمر وجهه حرجا وعرته الدهشة . وأننى ألححت عليه أن يفتح المظروف الذى يحتوى على الشيك لكى يعرف قيمته الشخصية فى مصر . وأنه حاول أن يحتج ، ولكنى واصلت إلحاحى عليه حتى يفتح المظروف ، وبعد تردد قام بفتحه ، فإذا أمام المبلغ المطلوب دفعه فى الشيك اسم « زارب » ، وأنه أحس بالدموع فى عينيه . فقد أدرك لحظتها فقط أننى قدمت له الهدية التى كان يطلبها باسلوب من المزاح كاد يحطم أعصابه . ثم روى السير « كولين كرو » فى مذكراته أنه ذهب صباح اليوم التالى إلى باب سجن « طره »

وهناك سلموه آخر جاسوس بريطانى سجين فى مصر ، فقام بترحيله فى نفس اليوم إلى لندن ، واعتبر ان مهمته فى القاهرة قد انتهت نهاية سعيدة .

وكانت الواقعة صحيحة بكل تفاصيلها (وقد فعلتها مداعبة له !) .

□

ولم يكن التحصين بالأمن هو المطلب الحقيقى لـ « جمال عبد الناصر » . فقد كان يشعر على نحو ما أن الثورة تفقد قوة اندفاعها ، وأنه برغم كل ما تم فى مجالات التصنيع وتوزيع الأراضى ، وإنشاء المشروعات الكبرى وفى مقدمتها السد العالى ، واسترداد المصالح الأجنبية المسكة بأعصاب الاقتصاد المصرى ، فإن هناك حلقات ما زالت مفقودة .

وقد حدثت فى ذلك الوقت واقعة لفتت نظره إلى هذه الحلقات المفقودة . فقد حدث فى أوائل عام ١٩٦١ أن حكومة بلجيكا التى ضايقتها سياسة الجمهورية العربية المتحدة فى الكونجو - اتخذت قرارا بقطع العلاقات السياسية مع مصر . وردت مصر بوضع الرعايا البلجيكيين فى مصر تحت الحراسة ، وكان عددهم حوالى ثلاثمائة بلجيكى . وعندما بدأ جرد ثرواتهم فى أعقاب وضعهم تحت الحراسة تبين أن هذا العدد من البلجيكيين يمتلك قرابة مليون سهم فى شركات تعمل فى مصر فى مختلف المجالات . وقد دفعه هذا إلى طلب تقرير كامل عن ملكية الأجانب فى الاقتصاد المصرى . ولشهور بعد ذلك كانت أجهزة الدولة الحساسة مجندة للبحث عن السؤال الذى كان يلح على « جمال عبد الناصر » فى ذلك الوقت وهو : « **من الذى يملك مصر ؟** »

وكانت النتيجة التى توصل إليها البحث صدمة لا حدود لها . فقد تبين ان حوالى مائتى عائلة يهودية تحمل جوازات سفر بلجيكية او إيطالية او فرنسية او بريطانية - وبعضها لا يحمل جوازات سفر على الاطلاق من وقت الإمبراطورية العثمانية - تملك فيما بينها مصالح عقارية او مالية موظفة فى الشركات تزيد قيمتها على خمسمائة مليون جنيه بقيمة النقود فى ذلك الوقت .

وكانت تلك أول نقطة على الطريق الذى أدى بعد ذلك بشهور إلى قرارات يوليو الاشتراكية الشهيرة .

□

وعلى نحو ما فقد كان هناك إحساس عام فى القاهرة بأن الأطراف الراغبة فى توجيه ضربة إلى الجمهورية العربية المتحدة سوف تركز ضربتها القادمة على دمشق .

وفى عيد الوحدة الثالث ، ومن شرفة قصر الضيافة فى دمشق خطب « جمال عبد الناصر » فى جماهير حاشدة ، وكانت نقطة التركيز فى خطابه تستدعى النظر . وكانت هذه النقطة هى أنه « **لا إقليمية فى الجمهورية العربية المتحدة ، وإنما هناك بلد واحد** » . **ثم تكرر قوله بأن الاستعمار يركز على ضرب دولة واحدة .**

وفى أول مارس ١٩٦١ و « جمال عبد الناصر » لا يزال فى دمشق - تمكن « عبد الحميد السراج » من ضبط مؤامرة استهدفت إلقاء قنابل على قصر الضيافة عليها . وكان مصدر المعلومات عنها هو اللواء « فؤاد شهاب » رئيس الجمهورية اللبنانية . **وحين عاد « جمال عبد الناصر » إلى القاهرة كانت فى انتظاره حكاية أخرى غريبة . فقد ذهب إلى لقائه البابا « كيرلس السادس » بابا الاقباط ليروى له أن هناك راهبا سابقا فى الكنيسة طرد بسبب غموض تصرفاته ، واسمه الراهب « أرمانيوس الأنطونى » وأن البابا علم أن هذا الراهب زور خطابا نسب صدوره إليه (أى إلى البابا « كيرلس ») وأن الخطاب مرسل إلى « دافيد بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل . وكانت وجهة نظر البابا « كيرلس » أن الهدف من هذه العملية ليس مجرد تزوير خطاب ، وإنما هو يراها مؤامرة لإحداث فتنة طائفية تؤثر على الوحدة الوطنية . وقد تفهم « جمال عبد الناصر » وجهة نظر البابا ، ونصحه بإبلاغ النيابة العامة لكى تحقق فى الأمر وتستجلى جوانبه حتى تفوت الفرصة على أى محاولة لاستغلالها . وأخذ البابا بالنصيحة .**

□

كان السد العالى هو رمز آمال وجهود التنمية فى مصر . وخلال مناقشات الحكومة المركزية لدولة الوحدة جرى الحديث ذات مرة فى بداية سنة ١٩٦١ عن الحلم ببناء سد على نهر الفرات فى سوريا . وطلب « جمال عبد الناصر » كل المذكرات التى سبق كتابتها عن هذا السد ، وكل الدراسات الخاصة به . وزاد اعتقاده ، وهو يقرأ الأوراق بأن هذا السد إذا أمكن تنفيذه يستطيع أن يمثل فى سوريا ما كان يمثله السد العالى فى مصر . وخرج المشروع من الأدراج التى كان نائما فيها لسنوات ، وأعيد بحثه . وبعد اتصالات سياسية ودبلوماسية مكثفة تم يوم ٦ يوليو توقيع عقد بتنفيذه مع ألمانيا الغربية .

وبالفعل فإن هذا السد أصبح يمثل أملا ضخما فى سوريا ، فقد كان كفيلا

بتخزين ٣٠ مليار متر مكعب من المياه وراءه . وكان فى استطاعته أن يضبط تصرف نهر الفرات فى سوريا بمعدل ١٨ مليار متر مكعب سنويا . وبالتالى فإن أراضى منطقة الجزيرة الخصبة التى لم يكن يزرع منها غير ٣٧٪ من مساحتها أصبح ممكنا زراعتها بالكامل ببناء هذا السد . وكانت الشروط مواتية ، فقد وقع السيد « عبد اللطيف البغدادى » نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ووزير التخطيط مع « لودفيج ايرهاردت » نائب المستشار الألمانى ووزير الاقتصاد قرضا بمقدار ٥٠٠ مليون مارك ألمانى بفائدة قدرها ٣¾٪ تسدد على عشرين سنة بعد فترة سماح مدتها عشر سنوات .

وكان الغريب ان اللواء « عبد الكريم قاسم » فى بغداد بدأ يهاجم مشروع بناء سد الفرات على اساس انه عدوان على حقوق العراق فى مياهه ، كما أن « دافيد بن جوريون » هاجم مشروع بناء السد بحجة أن كل موارد المياه المتاحة فى المنطقة يجب ان يتم استغلالها بموجب تنظيم عام تشترك فيه كل دولها بما فيها إسرائيل .

واضيفت إلى ترسانة المهاجمين للجمهورية العربية المتحدة فى المنطقة دعوى أخرى مفادها أن سد الفرات يبنى فى الحقيقة توطئة لتهجير ملايين من الفلاحين المصريين إلى منطقة الجزيرة ! وقد تكرر هذا الادعاء من إذاعات عديدة فى المنطقة ، كما أصدرت به « حركة مصر الحرة » بيانا ضافيا وزعته فى بيروت ، وحاولت تسريب كميات منه إلى دمشق .

□

وفى هذا الوقت كانت الأحزاب الشيوعية العربية لا تزال تهاجم سياسة الجمهورية العربية المتحدة فى توجهاتها الوحدوية والدولية ومجالات العمل الداخلى .

وحتى عندما اعلن تأميم بنك مصر والبنك الأهلى ، فقد كان تحليل بعض جماعات الشيوعيين المصريين المعتقلين فى الواحات بأن ما يجرى فى الحقيقة هو صراع بين مجموعتين من الراسماليين : مجموعة يمثلها « أحمد عبود » (باشا) ومجموعة يمثلها « محمد أحمد فرغلى » (باشا) ، وأن السلطة العليا فى الجمهورية العربية المتحدة هى فى الواقع صراع بين المجموعتين . وذهبت جماعات أخرى إلى أنها راسمالية دولة . وكانت هناك أقلية وجدت فيما اتخذ من إجراءات مؤشرا على توجه تقدمى .

وانتهز « نيكيتا خروشوف » فرصة زيارة وفد برلمانى من الجمهورية العربية المتحدة برئاسة السيد « أنور السادات » فأثار مرة أخرى فى لقائه معهم مسألة اعتقال

الشيوعيين فى مصر ، ثم تطرق من ذلك إلى هجوم عام على سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، وعلى « جمال عبد الناصر » شخصيا . وفوجىء الوفد البرلمانى بكلام « خروشوف » ، وعندما عاد إلى القاهرة روى السيد « أنور السادات » لـ « جمال عبد الناصر » تفاصيل ما حدث ، وتبين له أن الوفد الذى فوجىء بكلام « خروشوف » خرج من الرد عليه . وطلب « جمال عبد الناصر » كتابة رد كامل على ما قاله « خروشوف » ، ووقعه السيد « أنور السادات » وسلم للسفير السوفيتى فى القاهرة .(٦)

كانت هناك محاولات للتحصين فى الداخل والخارج ، ومع ذلك فقد ظلت هناك ثغرات مفتوحة ، ومحاولات مستميتة من اتجاهات مختلفة لتوسيع نطاق هذه الثغرات والنفاذ منها ، وتحويل الثغرات المفتوحة إلى جبهات ساخنة .

---

(٦) كلفنى الرئيس « جمال عبد الناصر » بكتابة هذا الرد ، وقد كتبته فعلا ، وارسل لـ « خروشوف » دون أى سر فيه

الباب الخامس

قاطع الطرق

« إذا لم تتحدد قواعد أى حوار ومقاصده ارتبك سياقه وضاعت نتائجه ! »

الفصل الأول

قلب العالم الثالث وسطح القمر !

١

عندما خطا « جون وجاكلين كنيدى » خطوتهما الأولى إلى داخل البيت الابيض فى واشنطن ظهر يوم ٢٠ يناير ١٩٦١ ـ كان هناك شعور عام بأنه من المحتمل أن يكون العالم قد خطا معهما فى نفس اللحظة إلى عصر جديد فى العلاقات الدولية !

وكانت هناك مؤشرات كثيرة تومىء إلى ترجيح هذا الاحتمال ، وتعطيه حظا وفيرا فى التوقعات والحسابات التى تنهمك فيها عواصم الدنيا مع كل تغيير كبير يجرى فى البيت الأبيض ـ أو فى الكرملين !

كان « جون كنيدى » حتى فى المظهر شابا يبدو ممتلئا بالحيوية ، وقد قال هو فى تقديم نفسه يوم تنصيبه : « **إنه أول رئيس يدخل البيت الأبيض من مواليد القرن العشرين** » ـ ثم إن زوجته « جاكلين » بدت إلى جواره شابة جميلة وأنيقة على عكس ما كانت عليه زوجات الرؤساء الذين سبقوه إلى البيت الأبيض فيما تعيه الذاكرة ابتداء من « اليانورا » روزفلت زوجة « روزفلت » ـ وحتى « مامى » ايزنهاور ـ زوجة « ايزنهاور » !

ثم إن رجال الرئيس الجديد بدوا نوعا آخر غير ما كانه رجال الرئيس الذى سبقه . ففى حين كان رجال « ايزنهاور » من كبار رجال الأعمال والمحامين ، ومعظمهم

تجاوز الستين - فإن رجال « كنيدى » كانوا من رجال الفكر ، وأساتذة الاقتصاد والتاريخ ومعظمهم بين الأربعين والخمسين ، وكلهم بغير استثناء تقريبا على مصاف النجوم فى مجالات تخصصهم مثل « ماك جورج باندى » (سياسة) ، و « كينيث جالبرايث » (اقتصاد) ، و « آرثر شيلزنجر » (تاريخ) ، و « والت روستو » (علوم اجتماعية) ، و « تشستر بولز » (قانون) - وغيرهم عشرات .

وإلى جانب هؤلاء الذين أحاطوا به فى البيت الأبيض - فإن اختياراته للمناصب الرئيسية فى إدارته بدت براقة ، خصوصا فى وزارة الدفاع التى عين لها « روبرت ماكنمارا » ، ووزارة الخارجية التى عين لها « دين راسك » .

كان « كنيدى » يتكلم لغة حية ، ويطرح أفكارا فوارة ، وكان التليفزيون الملون الذى بدأ عصره على أوسع نطاق هو الآخر قد وجد فيه ، وفى زوجته « جاكلين » نفس مادة وعنصر النجوم ، وصنع منهما صورة باهرة تشد أى خيال . وكان لدى الاثنين استعداد للاستجابة . وهكذا فإنه عندما تمت عملية صنع رئيس للولايات المتحدة ، وسيدة أولى للبيت الأبيض سنة ١٩٦١ - جرت أيضا عملية ميلاد نجمين « جون » و « جاكى » !

ولقد كان عنصر الشك الوحيد فى تلك الأوقات الحافلة هو : « أين « جوزيف كنيدى » والد الرئيس فى هذا كله ؟ » إن « جوزيف كنيدى » العجوز كان مليونيرا التوت به المسالك والمقاصد ، فجمع أموالا ضخمة من ألاعيب البورصة وسراديب الصفقات ، وكانت الرئاسة هى حلمه الذى لم يتحقق له ، وأصبحت رغبته الحارقة أن يحقق بأحد أبنائه ما عز عليه أن يحققه لنفسه ، وكان الشائع - وربما شبه المؤكد - أن ثروة « جوزيف كنيدى » هى التى مولت الحملة الانتخابية لابنه « جون كنيدى » .

وإذن فإن عنصر الشك يعود فيصوغ نفسه فى تساؤل عما إذا كان المشهد الرائع للشباب والجمال ، والفكر والثقافة للإدارة الجديدة يمثل صورة أصيلة ، أو أنها فى واقع الأمر صورة مزيفة خلقتها قدرة المال حين يشترى وسائل العلاقات العامة ، فيصنع انطباعات ليست وراءها طبائع !

ويبدو أن الرئيس الجديد كان يقظا لهذه الشكوك والتساؤلات - فقد حرص على أن يحتفظ بمسافة بينه وبين والده « جو » ، وفى الوقت الذى كان فيه الابن يسبح تحت الأضواء الساطعة كان الأب حريصا على الانزواء فى الظلال ، ومع ذلك فقد نسبت إليه كل البقع الداكنة التى بدت وسط الأضواء . فقد نسب إليه على سبيل المثال أنه السبب فى بقاء « ادجار هوفر » مدير المباحث الفيدرالية مع الرئيس الجديد ، رغم أن كثيرين كانوا ينتظرون ويأملون فى سقوطه بعد أكثر من ثلاثين سنة فى منصبه

الذى هدد منه كل الرؤساء لأنه كان يعرف عنهم اكثر مما ينبغى . وهذا اعطاه حصانة كما قيل . كذلك بقى فى منصبه « الان دالاس » مدير المخابرات المركزية . وقيل إن سبب بقائه هو نفس سبب بقاء « هوفر » . ومع ذلك فإن الأضواء شدت الجميع ، وتلكأت بقع الظل ، وإن لم يلتفت إليها الناس كثيرا فى غمرة التحفز للتغيير .

□

بدا كما لو أن البيت الأبيض الجديد يعمل بكامل طاقته منذ اللحظة الأولى لانتقال السلطة ، وربما من قبلها .

واختار « كنيدى » لرئاسته شعارا معبأ بالإيحاءات . ففى حين كان شعار إدارة « ايزنهاور » هو « شعار الاستقرار » - فإن شعار إدارة « كنيدى » أصبح « الحدود الجديدة ، أو الآفاق الجديدة » ، وكانت حدود العالم تتسع فعلا ببداية عصر الفضاء ، وعصر الثورة الصناعية الثانية .

وبعد أيام فى البيت الأبيض أعلن أن الرئيس الجديد على موعد مع « نيكيتا خروشوف » فى فيينا بعد شهرين .

كان السوفيت كعادتهم مع كل رئيس أمريكى جديد قد قرروا اختباره ، وكان « كنيدى » من جانبه يشعر أنه مستعد للاختبار وجاهز له ، وكانت أداة التمهيد للاجتماع بينهما قد تمت بالفعل فى أثناء اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، حين قدمت الجمهورية العربية المتحدة مشروع قرار يدعو القوتين الأعظم إلى لقاء على مستوى القمة من أجل محاولة جديدة تصون السلام العالمى . ولم يتيسر عقد هذا اللقاء بعد هذه الدعوة مباشرة لأن حادثة إسقاط طائرة التجسس « يو ٢ » وما أعقبها من صدام بين « خروشوف » و « ايزنهاور » فى باريس سمم العلاقات بين الرجلين تماما ، بحيث أضحى من المستحيل عليهما أن يحاولا ولو على الورق بالاتصالات وعمليات جس النبض والتمهيد . وعلى أى حال ، فقد كانت رئاسة « ايزنهاور » عند الغروب ، وكان الأفضل ترك الفرصة معلقة حتى يحين موعد شروق جديد . وبعد أقل من أسبوع على بدء رئاسته أعلن « كنيدى » أنه أصدر أمرا بوقف كل عمليات التجسس فوق الاتحاد السوفيتى ، ورد « خروشوف » بأن أصدر قرارا بالافراج عن اثنين من ضباط طائرة من طراز « ب ٤٧ » سقطت فوق الاتحاد السوفيتى . وبالفعل ، فقد بدأ الترتيب بين الاثنين للقاء فى فيينا فى منتصف مايو ١٩٦١ . وقد انتهى الاجتماع إلى الفشل ، فـ « خروشوف » كان ما زال عدوانيا فى مزاجه ، و « كنيدى » كان لا يزال طريا فى عوده لأن قدراته لم تكن قد استوعبت بعد حقائق القوة اللازمة لأداء دوره .



كنيدى يحيى خروشوف عند وصوله للسفارة الأمريكية فى فيينا لبدء المحادثات بينهما

وقد توصل « كنيدى » ومستشاروه حتى من قبل اجتماع « فيينا » إلى اعتقاد ن الوقت ليس ملائما بعد فى العلاقات الأمريكية السوفيتية ، وأن أمام القوتين الأعظم مرحلة شقاق قبل أن تتضح المسائل لكى تفتح الطرق إلى مرحلة وفاق ـ وبالتالى فإن العمل دون مستوى القمة الدولية هو الآن أجدى وأولى .

ولقد كان ذلك ضمن توجهاتهم من قبل اجتماع « فيينا » ، وجاء اجتماع « فيينا » ليؤكده لهم .

والحقيقة انه منذ البداية كان الرئيس الأمريكى الجديد وكوكبة مستشاريه يرون ان العالم الثالث هو المجال المفتوح ، والمسرح المهيأ للتنافس بين القوتين الأعظم ذلك لأن المسرح الأوروبى كان قد ثبت على نحو أو آخر . وفى نفس الوقت فإن بلدان العالم الثالث التى برز دورها على طول المسافة والمساحة من باندونج إلى نيويورك فى اجتماع الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ـ وتشوق شعوب هذه الأمم إلى الحرية والتنمية يخلق

ساحة جياشة بالآمال والطموحات تتفتح فيها فرص لكسب النفوذ ، وكسب الأصدقاء ، وبالتالى التأثير فى الموازين العالمية القلقة .

وإلى جانب كسب الأصدقاء والنفوذ فى العالم الثالث ، فقد كان « كنيدى » ومستشاروه يعتقدون أن هناك خللا فى موازين القوة لابد من تعديله قبل التفاوض مباشرة مع الاتحاد السوفيتى ، فقد ظنوا أن الاتحاد السوفيتى يملك تفوقا فى قوة الصواريخ يعطى سبقا على الولايات المتحدة . وكانت هذه هى اللحظة التى فكر فيها « كنيدى » فى إرسال إنسان إلى القمر فى ظرف عشر سنوات بحيث يكون من ذلك إعلانا لا يحتمل الالتباس على أن الولايات المتحدة الأمريكية قد سبقت ، أو على الأقل لحقت .

هكذا بعد شهرين من رئاسته ، أصبح أمام « كنيدى » هدفان يريد الوصول إليهما :

قلب العالم الثالث ، وسطح القمر !

□

كانت ثلاثة من بلدان العالم الثالث تقوم بدور المقدمة والطليعة والقوة الضاربة معا وهى : الهند ، ويوجوسلافيا ، والجمهورية العربية المتحدة .

وقد اختار « كنيدى » لكل عاصمة من عواصمها سفيرا غير تقليدى يعكس اختياره اهتماما غير عادى بجعل علاقته بها علاقة مباشرة مع البيت الأبيض .

اختار « كينيث جالبرايث » سفيرا إلى الهند (و « جالبرايث » أشهر علماء الاقتصاد فى الولايات المتحدة وحتى الآن) .

واختار « جون كينان » سفيرا إلى يوجوسلافيا (و « كينان » هو الدبلوماسى الذى فلسف للحرب الباردة فى نظريته الشهيرة عن الاحتواء) .

واختار « جون بادو » سفيرا إلى الجمهورية العربية المتحدة (و « بادو » واحد من أبرز رجال التعليم ، وكان لسنوات قبلها مديرا للجامعة الأمريكية فى القاهرة) .

وفى الفترة ما بين إعلان انتخابه فى أوائل نوفمبر ١٩٦٠ وحتى توليه السلطة يوم ٢٠ يناير ١٩٦١ خصص « جون كنيدى » جلستين من جلسات « تحديد خطوط السياسة العامة » لإدارته ـ والتى عقدت فى بيت والده على شاطىء البحر فى « ميانسبورث » ـ لبحث العلاقات مع بلدان العالم الثالث ، وقد توصل مع مجموعة مستشاريه إلى تحديد الخطوط التالية :

١ ـ مع إدراك أن مساحة العالم الثالث واسعة ومتنوعة ، فإن هناك ثلاثة من البلدان المفاتيح لابد من التركيز عليها وهى : الهند ويوجوسلافيا والجمهورية العربية المتحدة .

٢ ـ إن التعامل مع هذه البلدان الثلاثة يجب أن يجرى ليس بمقتضى العلاقات الثنائية معها ، ولا باعتبار اتصالها بمشاكل إقليمية محددة بموقعها من العالم ، وإنما يجب أيضا مع هذين المستويين إضافة مستوى ثالث هو اعتبار دور كل منها على النطاق العالمى وفى مجال التأثير الدولى .

٣ ـ إن زعماء هذه البلدان الثلاثة : « نهرو » و « تيتو » و « ناصر » ـ وربما آخرون غيرهم مثل « سوكارنو » فى اندونيسيا ، و « نكروما » فى غانا ـ إذا أحسوا أنهم على صلة مباشرة مع الرئيس « كنيدى » فإن ذلك من شأنه أن يكون اعترافا أمريكيا بحقهم فى المشاركة فى أوضاع العالم بعد فترة طويلة من الإنكار الأمريكى لهذا الدور جاءت بآثار سلبية على سياسة الولايات المتحدة .

وكان التقدير الأمريكى أن جزءا من نجاح سياسة « خروشوف » فى العالم الثالث هو أنه خلق جسورا مباشرة بينه ، وبين الزعماء الجدد ، وأن هذا ما يتعين على رئيس الولايات المتحدة الجديد أن يفعله .

وكانت السياسة الجديدة بغير مصاعب غير عادية فى حالة الهند و« نهرو » ، وفى حالة يوجوسلافيا و « تيتو » ، ولكنها فى حالة الجمهورية العربية المتحدة و « جمال عبد الناصر » كانت فى مواجهة صعوبات .

وقد حضر « آلان دالاس » مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية اجتماعا فى « هيانسبورث » مع الرئيس الجديد ومستشاريه ، وشرح لهم مجمل الأوضاع فى مصر ، وملخصا لأحوال العلاقات معها ، وقد عقد هذا الاجتماع بشكل غير رسمى فى الحديقة الشتوية للبيت ، وليست هناك وثيقة تسجل وقائعه فيما عدا مجموعة نقاط كتبها « ماك جورج باندى » مستشار الأمن القومى للرئيس (فى أول مرة استحدث فيها هذا المنصب) وفيما يبدو فإن « آلان دالاس »[1] تحدث عن خطين متوازيين للسياسة الأمريكية :

(١) مقابلة لـ « محمد حسنين هيكل » مع « ماك جورج باندى » فى فندق « سميراميس » بالقاهرة مساء يوم أول يونيو ١٩٦٨ ، ومقابلة مع « آرثر شليزنجر » فى نيويورك فى شهر نوفمبر ١٩٨٦ ، إلى جانب إشارات وردت فى دراسة هامة قام بها الجنرال « موردخاى جازيت » مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية ، وهى منشورة ضمن مجموعة اوراق معهد « شيلواح » فى القدس سنة ١٩٨٣ .

□ أولهما خط مساعدة « جمال عبد الناصر » فى المواجهة الدائرة بينه ، وبين الاتحاد السوفيتى والشيوعية العربية .

□ والثانى خط ردع « جمال عبد الناصر » عن تحويل مصر إلى قوة استراتيجية فى المنطقة تضر بمصالح الغرب فيها بمجرد دعوتها وعملها على استقلالها ، لأن الاستقلال فى حالة مصر لا يمكن إلا أن يكون ضد الغرب باعتبار أن المنطقة داخلة فى إطار نفوذه التقليدى .

وقد لخص « ماك جورج باندى » الموقف من مصر بقوله :

« إن عداء ناصر للاستعمار سوف ينسحب على الغرب ، وضمنه الولايات المتحدة الأمريكية .

ثم إن قيادة ناصر للحركة القومية العربية ، سوف تعبر عن نفسها فى العداء لاسرائيل بالدرجة الأولى . »

وقد أضاف « آلان دالاس » : « إن تنفيذ مشروع السد العالى قد يجعل مصر تنبهر بالنموذج الشيوعى للتنمية على غرار ما حدث فى الاتحاد السوفيتى والصين » .

ورد عليه « آرثر شليزنجر » قائلا :

« إننا لا ينبغى أن نفرض عليهم نموذج حياتنا ، وفى نفس الوقت فإن السوفيت لن يستطيعوا أن يفرضوا عليهم نموذج حياتهم ، والحقيقة أن كلا النموذجين ليس ملائما لهم » .

ثم ركز « آلان دالاس » على دور السعودية باعتبارها « موطن الثروة فى العالم العربى » ، ثم ركز على دور إسرائيل باعتبارها « مركز قوة الردع فى العالم العربى » ، ثم أوضح المشقة الكبيرة أمام السياسة الأمريكية حين يكون عليها ان تحافظ على « موطن الثروة » قريبا جدا منها ، وأن تحافظ فى الوقت نفسه على « قوة الردع » فى متناول يدها مباشرة .

وكانت لدى « كنيدى » ثلاثة أسئلة محددة :

● هل أن « ناصر » يمثل بالفعل موجة المستقبل فى العالم العربى ؟ وكان الرد : نعم !

● هل يمكن عزل السياسة مع الجمهورية العربية المتحدة عن تفاعلات العلاقة مع إسرائيل ؟ وكان الرد : لا !

● هل نستطيع استحداث لغة فى التخاطب مع الجمهورية العربية تتجاوز مفردات الحرب الباردة ؟ وكان الرد : محتمل !

وعندما أثير موضوع الثورة الجزائرية ، وجد « كنيدى » فى الدائرة القريبة المحيطة به رجلا متحمسا للثورة الجزائرية ، ومؤمنا بانتصارها ، وهو مستشاره الصحفى « بيير سالنجر »[٢] الذى كان نصف فرنسى بالمولد ، وكان قد تعرف إلى كثيرين من المناضلين الجزائريين فى باريس عن طريق زوجته « نيكول سالنجر » ، واستمع إليهم وتحاور معهم ، وعرف عن طريقهم بمدى الدعم الذى تقدمه الجمهورية العربية المتحدة للثورة الجزائرية ، ومدى ارتباط زعماء هذه الثورة بالقاهرة .

□ .

كان « جمال عبد الناصر » يتابع الرئيس الجديد للولايات المتحدة باهتمام ، وكان - كما سبق القول - قد شاهد إحدى مناقشاته التليفزيونية فى أثناء الحملة الانتخابية عندما كان هو نفسه فى نيويورك خلال انعقاد الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة - وقد أحس بتعاطف معه بأكثر مما أحس تجاه منافسه ، وهو يومها « ريتشارد نيكسون » نائب الرئيس « ايزنهاور »[٣] .

وقد جاءه السفير الأمريكى فى القاهرة « فردريك رينهاردت » يوم ١٩ يناير ١٩٦١ يحمل له رسالة وداع من « ايزنهاور » نصها كما يلى :

« البيت الأبيض - ١٩ يناير ١٩٦١

إننى قبل ان اترك منصبى وجدت نفسى مدفوعا إلى ان اكتب لك خطاب وداع شخصى ، فخلال السنوات التى خدمت فيها كرئيس للولايات المتحدة اسعدنى ان اتعاون معك فى كثير من الأهداف المشتركة الهامة للسلام وللعدل فى العالم ، وسوف اتطلع دائما إلى صداقة معك برضا عميق .

خلال اتصالى بك تمكنت من ان اكسب رؤية مرضية للشخصية القومية للجمهورية العربية المتحدة ، ولجوهر قوتها وعظمتها . ولسوف اظل اتابع احوالكم باهتمام وتعاطف شديدين .

وأؤكد لك صداقتى واحترامى .

المخلص

دوايت ايزنهاور »

---

(٢) حوارات متصلة مع « بيير سالنجر » فى نيويورك وباريس والقاهرة والأقصر .

(٣) كان لسفير الجمهورية العربية المتحدة فى واشنطن وهو الدكتور « مصطفى كامل » ، راى أخر ، وقد عبر عنه علنا ، فاتهم « كنيدى » بانه موال لإسرائيل .

وقرأ « جمال عبد الناصر » رسالة « ايزنهاور » بينما السفير « رينهاردت » ما زال جالسا أمامه ، وحين فرغ من قراءتها كانت ملاحظته للسفير :

« لقد كانت بيننا خلافات كثيرة ، ولكنه كرجل مستقيم استطاع اخيرا أن يرى بعض اللمحات الصادقة عن ظروفنا ، ومن سوء حظنا انه ما كاد يتعرف على الصورة حتى انتهت مدة رئاسته ، ويظهر ان هذه ستكون مشكلتنا معكم باستمرار . كل أربع سنوات علينا ان نشرح احوالنا ولو حتى بالصدام لرئيس جديد فى البيت الأبيض » .

وراح « رينهاردت » يتحدث عن الرئيس الأمريكى الجديد ، وكيف انه أقرب سنا إليه (أى إلى الرئيس « عبد الناصر ») وبالتالى فإنه سوف يكون أقدر ، وأسرع على الفهم مما كان « ايزنهاور » .

ثم أشار « رينهاردت » إلى أنه من المحتمل أن الرئيس الجديد سوف يختار سفيرا جديدا له فى القاهرة ، وأن اختيار السفير الجديد سوف يعكس توجهات الرئيس الجديد على الأرجح . ثم أبدى أنه لا يعرف بعد من هو السفير الجديد ، وأن علينا ان ننتظر لنرى .

□

ولم ينتظر « جمال عبد الناصر » طويلا ليرى ، فبعد شهر واحد من دخول « كنيدى » إلى البيت الأبيض ، أى يوم ٢٠ فبراير ١٩٦١ ، بدأ « جمال عبد الناصر » سلسلة المراسلات الشخصية الطويلة والمباشرة بينه وبين الرئيس الأمريكى « جون كنيدى » .

وكانت القضية التى بدأ فكتب بشأنها إلى « كنيدى » هى « أزمة الكونجو » وكانت هذه المشكلة قد تفاقمت إلى أبعد من حدود الكونجو فسالت مضاعفاتها إلى افريقيا ، ومنها إلى بقية أنحاء العالم بما أثرت به على الأمم المتحدة ، فكرة وتنظيما واداء خصوصا فى أوقات الأزمات ، ذلك أنه بعد مقتل « لومومبا » تقدم جيش الكولونيل « موبوتو » فقام بحل برلمان الكونجو المنتخب ، واعتقل بقية أعضاء حكومة الاستقلال ، وجرى ذلك كله تحت علم الأمم المتحدة ، وفى أثناء عملها فى الكونجو .

وبدأ نص خطابه إلى « كنيدى » كما يلى :

« عزيزى الرئيس كنيدى

لقد وجدت لزاما علىّ ان اكتب إليكم فى هذه الظروف الدقيقة مدفوعا بثلاثة عوامل تشغل بالى وتثير قلقى .

□ اولها : المأساة المؤلمة التى وقعت فى الكونجو حتى وصل بعد الجريمة

الوحشية التى وقعت فيه باغتيال باتريس لومومبا ـ إلى حافة الحرب الاهلية . وهو الأمر الذى يجب تجنبه مهما كانت الظروف باعتبار ما يمكن ان ينشا عن ذلك من أخطار على سلامة الشعب الكونجولى ، وعلى سلامة شعوب افريقيا عموما . وتاثير ذلك على السلام العالمى .

□ وثانيها : الموقف العصيب الذى صارت إليه أعمال الأمم المتحدة فى الكونجو ، وضياع الآمال الكبرى التى كنا نعلقها على هذه التجربة التى كانت تبدو لنا فى بدايتها سابقة مشجعة ترسم طريقا جديدا فى تطوير الدول التى لم تحصل على فرصتها فى النمو ، وتعطيها عونا رشيدا متجردا عن المطامع الاستعمارية يقودها إلى غد افضل . وإنه لمن المهم فى هذه اللحظة ان نفرق جميعا بين الأخطاء التى ارتكبت باسم الأمم المتحدة وتحت علمها ، وبين ما تمثله هذه المنظمة بالنسبة للشعوب جميعا فى سلام قائم على العدل . وذلك أمر يتحتم معه ان نتوجه جميعا فى هذه اللحظات إلى محاولة جادة ومخلصة لاعادة الهيبة والاحترام لهذه المنظمة التى تمثل فى راينا احتمال السلام الوحيد فى جيلنا الذى نعيش فيه .

□ وثالثها : فإن الصدمة التى تلقتها شعوب افريقيا المتطلعة إلى املها بعد ليل استعمارى طويل ، لابد لها على الفور من تصحيح صادق وامين . فإن المرارة التى تشعر بها هذه الشعوب التى تابعت بمزيج من الحزن والغضب ما حدث لاستقلال الكونجو المهدد بالضياع ، وما حدث لحكومته الشرعية ممثلة فى البرلمان ، وهى نفس الحكومة التى اخذت على عاتقها مسؤولية دعوة الأمم المتحدة لمساعدتها ـ هذه المرارة لا ينبغى ان تترك آثارها تدفع شعوب افريقيا التى كانت تظن منذ اقل من عام انها رات النور ، إلى ظلام يائس يمكن ان تكون له اوخم العواقب .

من هذه الاعتبارات الثلاثة ، وما تثيره فى نفسى وقائعها ونتائجها ، وجدت من المستحسن فى هذه الأوقات ان اضع امامكم صورة من فكرى . . . . » .

ثم مضى « جمال عبد الناصر » يشرح بالتفصيل رأيه فى أزمة الكونجو ، وأزمة الأمم المتحدة ، وأزمة أفريقيا . وقد أشار فى معرض ذلك إلى مقارنة بين دور الأمم المتحدة والولايات المتحدة فى أزمة السويس ، ودورهما فى أزمة الكونجو ، واستخلص من ذلك دروسا ، واقترح حلولا تفصيلية .[٤]

وقبل أن يصله رد « كنيدى » تلقى رسالة من « نهرو » الذى كان بدوره يحاول استكشاف أمر الرئيس الأمريكى الجديد ، والذى اتيحت له فرصة لم تتح لـ « جمال عبد الناصر » ، فقد تصادف فى ذلك الوقت أن مر على دلهى كل من « افريل هاريمان » السفير المتجول فوق العادة الذى عينه « كنيدى » ممثلا له فى الأزمات الدولية

(٤) رسالة « جمال عبد الناصر » الأولى إلى « كنيدى » مودعة بارشيف منشية البكرى ، وهناك إشارة فى اسفلها تفيد بإرسال ثلاث نسخ منها إلى وزارة الخارجية .

بصلاحيات واسعة ، وكذلك « دين راسك » وزير الخارجية الأمريكى الجديد الذى مضى فى دلهى بضع ساعات عائدا من اجتماع فى بنكوك . وقال « نهرو » فى رسالته :[٥]

« عزيزى الرئيس ناصر

التقيت بالسيد هاريمان سفير الرئيس كنيدى مطلق الصلاحيات ، واجريت معه احاديث طويلة . وقابلت بعد ذلك السيد دين راسك وزير الخارجية الجديد فى الحكومة الأمريكية الجديدة . وقد تناقشنا مناقشات مستفيضة فى قضايا كثيرة بينها موضوع « لاوس » والحالة فى الكونجو . وقد اوضحت لهما ان الادارة الجديدة لابد لها كأولوية اولى ان تعمد إلى تقوية الأمم المتحدة .

ولقد احسست إحساسا لا يداخله شك فى ان الادارة الجديدة فى واشنطن ، وبالذات الرئيس كنيدى ، على وشك إدخال تغييرات كبيرة على السياسة الأمريكية ، وان هذه التغييرات سوف تكون فى الاتجاه الصحيح . ولكنى لا استطيع ان اقرر إلى اى مدى ستصل هذه التغييرات ، لكنى اعتقد انها سوف تؤدى بشكل ما إلى تخفيف حدة التوتر الدولى . وقد شعرت بارتياح عندما فهمت من زائرى ان هناك اتجاها للتعامل مباشرة مع الاتحاد السوفيتى[٦] فيما يتعلق بنزع السلاح وغيره من المسائل ، وكل هذا مفيد فى حد ذاته ، ولكن السؤال يظل قائما عن المدى الذى يصل إليه فى النهاية .

تذكر انك وعدتنى بإرسال السيدة قرينتكم وابنائكم إلى الهند ، ونحن فى انتظارهم ، وسوف يلقون منا كل رعاية عند حضورهم .

لك احسن التحيات وافضل التمنيات .

المخلص

جواهر لال نهرو »

□

وفى يوم أول مارس ١٩٦١ جاء رد « كنيدى » وقد جاء فيه ما نصه :[٧]

« عزيزى الرئيس

لقد قرات باهتمام عميق خطابك إلىّ بتاريخ ٢٠ فبراير بشان الموقف فى الكونجو . وإنى لأحترم الدوافع التى حدت بك إلى الكتابة إلىّ ، كما اقدر اهتمامك الكبير بتسوية الأزمة فى الكونجو فى إطار الأمم المتحدة . ومنذ وصلنى خطابكم ، فلعلكم

(٥) رسالة « نهرو » تحمل ارقام 711-PMH/61 فى ملفات رئاسة مجلس وزراء الهند .

(٦) لم يكن قد اعلن بعد عن اجتماع « كنيدى » و « خروشوف » الذى جرى بعد ذلك فى فيينا وفشل .

(٧) اصل هذه الرسالة فى ارشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة منها فى ارشيف وزارة الخارجية .

تلاحظون ان الموقف فى هذا البلد قد تحسن كثيرا عما كان عليه عندما كتبتم إلى . فقد صدر قرار عن مجلس الأمن يمكن للأمم المتحدة من استعادة الهدوء السياسى ، وإمكانيات العيش الاقتصادى لهذا البلد الذى مزقته الآلام . وإننى لسعيد ان كلا من الولايات المتحدة الامريكية والجمهورية العربية المتحدة صوتتا جنبا إلى جنب لصالح هذا القرار فاتحين بذلك مرحلة من الفهم والتعاون المشترك للفترة القادمة .

إننى الاحظ ان حكومتينا اختلفتا فى الماضى ، وما زالتا مختلفتين فى الحاضر على بعض جوانب الموقف المعقد فى الكونجو وفى غيره . ولكنى فى نفس الوقت سعيد بأن اسباب الخلاف لم تمنعنا من إيجاد ارضية مشتركة . وإنى لسعيد باهتمامكم بدعم هيبة وسلطة الامم المتحدة وقد لاحظت فى خطابكم انكم تحدثتم عن مسؤوليات خاصة تشعر بها حكومتكم تجاه هذه المنظمة . ولعلكم لاحظتم اننى فى خطاب تنصيبى رئيسا للولايات المتحدة ، وعدت بأن الولايات المتحدة سوف تعطى كل تاييدها للامم المتحدة ، ولميثاقها . وإنى لاتطلع بالذات إلى الدول غير المنحازة واثقا انها تستطيع ان تعطى الامم المتحدة الدعم الذى تطلبه . إن الولايات المتحدة تستطيع بمفردها ان تحمى مبادئها ومصالحها ، ولكن نظام الامم المتحدة قائم بالدرجة الأولى لحماية امن ومصالح الدول التى تحتاج إلى جهد جماعى . إن هذه الدول التى يهمها بالدرجة الأولى نظام الامم المتحدة لابد لها ان تقدم على دعمها لهذا النظام العالمى الذى يستطيع اكثر من غيره حماية امنها وسلامتها . وانا واثق ان حكومتكم بتاييدها لقرار مجلس الأمن ، وبمساعدتها للأمم المتحدة قد قامت بدور هام وإيجابى فى تدعيم قوة الحفاظ على السلام فى العالم . ولقد اسعدنى ان اشعر من خلال خطابك بالتزامك الشخصى بهذه المهمة . وإنى لانتهز هذه الفرصة لأقدم لكم تقديرى الشخصى واصدق امانىّ .

المخلص

جـون كنيدى »

ولم يقدر لهذه العبارات الرقيقية ، ولا لهذه النوايا الطيبة بالعمل على تدعيم الأمم المتحدة ـ أن تعيش طويلا . ففى أوائل أبريل ـ أى بعد أيام قليلة من رد « كنيدى » على « جمال عبد الناصر » ـ كانت العواصف تهب على البحر الكاريبى .

□

كان « آلان دالاس » قد أعد خطة لغزو كوبا عرضها على « ايزنهاور » المتحمس دائما للغزو من الداخل . وأقر « ايزنهاور » الخطة فى أواخر مدة رئاسته . وعندما التقى بخلفه فى البيت الأبيض « جون كنيدى » كان بين الأسرار التى أفضى بها إليه وهو يسلمه مقاليد الرئاسة ـ خطة غزو كوبا التى كان الاعداد لها قد سار شوطا بعيدا . وعندما دخل « كنيدى » إلى البيت الابيض كان « آلان دالاس » فى حاجة إلى تصديق جديد على الخطة من الرئيس الجديد . وناقش « كنيدى » ومستشاروه خطة

العمل المباشر فى كوبا التى كانت قد راحت تطالب بجلاء القوات الأمريكية عن قاعدة « جوانتانامو » وتؤمم شركات الاحتكار الأمريكية الكبرى ، وتحصل على أسلحة من الاتحاد السوفيتى .

وتشير الوثائق الى أن « كنيدى » لم يكن متحمسا لخطة غزو كوبا ، فقد بدت له غير كافية للخلاص من حكم بنى لنفسه قواعد شعبية واسعة . وراح « دالاس » يلح لإقناعه مستشهدا بنجاح المخابرات المركزية فى إجهاض ثورة الكونجو ، واغتيال « لومومبا » ، وكان إصراره أن شعبية أى زعيم فى العالم الثالث لا تستطيع أن تقف امام تحد بالسلاح ، وأن الجماهير سرعان ما تغير موقفها فتسقط معبودها القديم إذا بدا لها أن نهايته أصبحت محققة . وكان « آلان دالاس » يكرر كثيرا فى تلك الأيام قوله الشهير : « إن قبور الشهداء ، والنصب التذكارية التى يمكن أن تقام لهم ، ودموع العاجزين التى تذرف تحت أقدامهم ليست قوة حقيقية » .

ويؤكد كل مستشارى « كنيدى » الذين كتبوا فيما بعد مذكراتهم (وبينهم « شليزنجر » و « سورنسون » و « سالنجر ») أن « كنيدى » **ظل حتى اللحظة الاخيرة غير واثق من خطط الغزو التى أعدها « آلان دالاس » . فقد بدت له قوة شراذم الكوبيين المنفيين من أعداء « كاسترو » والذين ارتكزت عليهم خطة الغزو ـ قوة مبعثرة ينقصها الهدف والإيمان ، كما ينقصها التأييد الشعبى بصرف النظر عن كميات السلاح التى وضعتها المخابرات المركزية فى ايديهم . ولقد احس إحساسا غامضا بأن هدفهم الحقيقى هو أن يبدأوا عملية عسكرية غير ناضجة ، ثم تضطر القوات المسلحة الأمريكية بعد ذلك إلى التدخل بسلاحها لكى تحميهم وتحقق لهم هدفهم بالنيابة عنهم . ولم يكن من جانبه مستعدا لان يبدا رئاسته باستخدام الجيش الأمريكى فى عملية مسلحة لغزو كوبا . فلم يكن ذلك فى سياسته ، ولا كان فى مقدوره بسبب موقف السوفيت المؤيد لكوبا ، كما انه فى الوقت ذاته لم يكن يريد أن يفسد احتمالات القمة القادمة بينه وبين « خروشوف » فى فيينا . وتلقى تأكيدا بعد تأكيد من « آلان دالاس » بأن المهمة فى متناول اليد ، وأنه ليس عليه إلا أن يأمر فتتم عملية الغزو وينتهى نظام « كاسترو » الذى جرأ على تحدى الولايات المتحدة بالقرب من شواطئها مباشرة .**

وطال تردد « كنيدى » وزاد الضغط عليه ، وخشى فيما يبدو أن يفشل فى أول اختبار كبير للقوة تعرض له . وقال هو نفسه فيما بعد : « **إن آلان دالاس وضع المسألة امامى كما لو كانت اختبارا لرجولتى ، ومن سوء الحظ اننى قبلت منهم هذا التصوير للموقف وتصرفت على اساسه** » .

وعندما بدات المخابرات المركزية تنفذ خطتها لغزو كوبا تحقق بالضبط

ما كان « كنيدى » يخشاه . فقد فشلت قوات المرتزقة فى تحقيق مهامها منذ الساعة الأولى ، واستنجدت بالجيش الأمريكى . ورفض « كنيدى » وتمكن « كاسترو » من تصفية جيوب المرتزقة التى استطاعت النزول فى « خليج الخنازير » .

□

عندما بدأت عمليات غزو كوبا بعث « جمال عبد الناصر » ببرقية مفتوحة إلى « كاسترو » يقول له فيها : « **إن الذى يتعرض له شعب كوبا اليوم جريمة ضد السلام والضمير الحر للانسانية ، وأن أصدقاء الحرية فى العالم لن يقفوا موقف المتفرج من هذه الجريمة ضد شعب كوبا** » .

كان « جمال عبد الناصر » يتابع الأحداث فى دهشة من الطريقة التى يتصرف بها « جون كنيدى » فقد وجدها على عكس كل ما تصوره ، وربما تمناه ، فلقد أحس أن الرئيس الأمريكى الجديد استمرار شاب للرئيس الأمريكى الذى سبقه . كما أنه وجد فى المغامرة تلاعبا مخيفا بموازين السلام . وقد لاحظ باهتمام أن الاتحاد السوفيتى وقت اشتداد الأزمة قام بإرسال أول رجل فضاء (« يورى جاجارين ») إلى خارج الغلاف الأرضى وأعاده سالما .

وعندما تلاحقت إنذارات « خروشوف » الموجهة إلى « كنيدى » والتى قال « خروشوف » فى أحدها موجها كلامه للرئيس الأمريكى : « **إنك تعرض البشرية لحرب عالمية** » ـ **وجد « جمال عبد الناصر » أن مجموعة الدول غير المنحازة مطالبة بالتحرك السريع** .

وكان الرئيس « تيتو » يزور مصر قادما إليها بالبحر عن طريق الاسكندرية ، وأصبحت أزمة كوبا أول بند على جدول أعمال الرئيسين . وقد بعث إليهما « كاسترو » برسالة يقول لهما فيها : « **لقد ضربنا قوات الغزو ، وقمنا بتصفية فلولها ، ولم يبق منها إلا جماعات من الشاردين فى المستنقعات تركنا أمرهم للتماسيح** » .

ولم يكن فشل الغزو هو الأمر الذى اقتصر عليه اهتمام « جمال عبد الناصر » و « تيتو » ، فقد كان الإقدام على العمل فى حد ذاته تحديا لكل المواثيق والمبادىء وبصرف النظر عن النتائج هو الموضوع الذى ألح عليهما . وقد تعرضا له فى البيان المشترك الذى صدر عن مباحثاتهما ، وأعلنا أنه يجب اتخاذ إجراءات جماعية لكى لا تتعرض الدول الصغيرة لعمليات غزو من النوع الذى تعرض له شعب كوبا .

وكما فعل « جمال عبد الناصر » فى أزمة الكونجو ، فكتب مباشرة إلى

« كنيدى » ـ كتب « كنيدى » بدوره إلى « جمال عبد الناصر » يرد على موقفه فى شأن أزمة كوبا .

وجاء فى نص خطاب « كنيدى » إلى « جمال عبد الناصر » ما يأتى :[8]

« البيت الأبيض

واشنطن — ***٣ مايو ١٩٦١***

عزيزى الرئيس

لقد لفتت نظرى رسالتكم إلى المستر كاسترو فى الثامن عشر من ابريل ، وكذلك البيان الذى اصدرتموه مشاركة مع الماريشال تيتو فى التاسع عشر من ابريل . وإنى لأوافقكما كل الموافقة على أن الحرية والسلم والانسانية سيكتب لها النصر النهائى فى كوبا . غير أن رسالتكم والبيان المشترك يشيران إلى « العدوان » و « التدخل الأجنبى » اللذين قامت بهما الامبريالية . ومن مضمون القول وسياقه ان هذا حدث من جانب الولايات المتحدة . وقد اشرتم فى رسالتكم للسيد كاسترو إلى تجربة بلادكم الخاصة فى وقت ازمة السويس سنة ١٩٥٦ . وانى لأستعيد فى هذا الصدد كتابكم إلىّ فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٦١ الذى علقتم فيه تعليقا مواتيا على مسلك هذه الحكومة « خلال ازمة السويس ، عندما قامت الولايات المتحدة بتاييد المبادىء بغض النظر عن الصداقات » . ودعنى أؤكد لفخامتكم ان الولايات المتحدة لا تقل ولاء لمبادىء العدالة والتحرر فى الموقف الكوبى عما كانت عليه فى موقف السويس . وإن تجربة حكومتكم فى ذلك الوقت ينبغى ان تشكل اقوى اسباب الطمانينة بشان هذه النقطة . وإنى لواثق من أن فخامتكم ستوافقون معى على ان من الأهمية بالنسبة لجميع الذين يعملون للسلام فى جميع انحاء العالم أن يفهموا المغزى الحقيقى للأحداث الكوبية الأخيرة . إن الولايات المتحدة ، وهى نفسها امة نشات بالعصيان على الحكم الاستعمارى ليست غريبة عن امانى الشعوب الأخرى فى الحرية والاستقلال . »

ومضى « كنيدى » يشرح فى خطابه لـ « جمال عبد الناصر » قصة نظام « كاسترو » والمقاومة الداخلية ضده ، مما استغرق صفحتين كاملتين فى خطابه . ثم وصل إلى القول :

« لقد حدث فعلا تدخل فى الشؤون الداخلية لكوبا . فهناك قوة من خارج القارة تعادى العالم الحر . وقد حاولت هذه القوة من خلال استخدام نظام كاسترو تكثيف الحرب الباردة . ولعلكم تذكرون ما قلته للشعب الأمريكى فى العشرين من ابريل من اننا لا نعتزم ان تلقى علينا محاضرات عن « التدخل » من جانب الذين تركوا

(٨) اصل خطاب الرئيس « كنيدى » موجود فى ارشيف وزارة الخارجية ، وعليه إشارة تفيد ان نسخا منه قد ارسلت إلى القيادة العامة للقوات المسلحة ، وإدارة المخابرات العامة .

بصماتهم بالدم على الشوارع المخربة فى بودابست . إن النظام الكوبى ، برغم جهود الولايات المتحدة الصادقة للابقاء على العلاقات الودية معه قد انتهج سياسات معادية تجاه هذا البلد ، وقد تدخل هذا النظام تدخلا صارخا فى الشؤون الداخلية للدول الأمريكية المجاورة ، وسعى إلى قلب حكوماتها . وفى هذه المشكلة الخاصة بنصف الكرة الغربى تتحمل الولايات المتحدة مع غيرها من اعضاء منظمة الدول الأمريكية مسؤولية خاصة . وبالتالى فإن المشكلة ليست نزاعا ثنائيا بل هى هم اول من هموم نصف الكرة الغربى كله . »

ثم ختم « كنيدى » خطابه قائلا :

« ولعل الذين ينادون بالاستقلال السياسى للأمم الحرة يطلبون النظر فى الفاجعة الكوبية ، ويلوح لى ان الحقائق ليست معروفة جيدا وبالقدر الكافى فى دوائر كثيرة . ولهذا وتلقاء اهتمام فخامتكم الواضح بهذه المشكلة ، رايت انه من المفيد ان اوضح لكم فى جو من الاحترام والثقة المتبادلة قناعاتى الخاصة بشان معنى الأحداث الكوبية الأخيرة .

المخلص

جون ف . كنيدى »

ولم يسكت « جمال عبد الناصر » ولا كان فى مقدوره أن يسكت . وهكذا جلس بعد يومين من تلقيه رسالة « كنيدى » ليرد عليه . وجاء فى رده بالنص ما يلى :(٩)

« عزيزى الرئيس

لقد تلقيت باهتمام خاص خطابكم إلىّ بتاريخ ٣ مايو ١٩٦١ والذى دار موضوعه حول الموقف فى كوبا سواء من ناحية التصريح الذى صدر عنى بتاريخ ١٨ ابريل ، وكذلك من ناحية البيان الرسمى الذى اعقبه فى اليوم التالى صادرا بالاشتراك بين الماريشال تيتو وبينى . وقبل ان استطرد إلى موضوع هذا الخطاب ، فإنى اريد ان اسجل تقديرى للروح التى املت عليكم ان تكتبوا إلىّ فى هذا الموضوع . وإنى لأعتبرها بادرة طيبة من جانبكم تعزز جهود التفاهم المشترك بين شعب الولايات المتحدة وبين شعبنا . وإنى لأستاذنكم فى ان اتحدث إليكم بوحى من قول رسولنا محمد : « صديقك من صدَقك لا من صدّقك » . ذلك اننى اومن انه من الزم الاشياء فى الظروف التى يجتازها العالم الآن ان يجرى تبادل الراى بين الذين يعنيهم مستقبله فى صدق وفى وضوح . وإنى لأمهد بهذا القول لإعفاء نفسى من التقيد باللغة الدبلوماسية التقليدية فى حديثى إليكم إيمانا منى بأن دقة الموقف الدولى تستلزم مواجهة الحقائق ، وان حسن النية المستمد من المبادىء التى نؤمن بها هو دافعنا الوحيد للاهتمام بما جرى فى كوبا ـ يضاف إلى ذلك اننى احسست من متابعتى لحملتكم الانتخابية فى الخريف الماضى حينما كنت احضر دورة الجمعية

(٩) اصل الرسالة موجود فى ارشيف منشية البكرى ، وقد ارسلت نسخة منها إلى وزارة الخارجية .

العامة للامم المتحدة ـ انكم تحاولون مواجهة المشاكل بمنطق شاب ومتحرر . وتتطلعون إلى ما اطلقتم عليه اسم « الحدود الجديدة » . »

ومضى « جمال عبد الناصر » يروى رؤيته للثورة الكوبية ، ويستذكر لقاءه مع الدكتور « فيدل كاسترو » ثم وصل إلى القول صراحة :

« من واجبى إذن ان اقول لكم إن الانطباع الذى احسسنا به فى الجمهورية العربية المتحدة ، واحس به كثيرون فى ارجاء العالم ان الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عن الاحداث المؤسفة التى جرت فى كوبا . ولم يكن الأمر بالنسبة لنا يحتاج إلى جهد كبير ، فإن مجرد قراءة الصحف الأمريكية ومتابعتها ، بل إن متابعة التصريحات الرسمية المنسوبة لعدد من كبار المسؤولين فى حكومة الولايات المتحدة كان كافيا ليرسم امامنا ابعاد التدخل الأمريكى فى كوبا ، بل وتفاصيل هذا التدخل إلى دقائقه الصغيرة .

ولست اخفى عليكم ان ذلك كان صدمة كبرى للراى العام العالمى ، ولكننا نشعر بشرف ان علاج هذه الصدمة لا يكمن فى إنكار ما حدث ، وإنما العلاج يكمن فى مواجهته بصراحة بغية تجنب تكراره . واحب ان اؤكد لك ان موقفنا كان التزاما طبيعيا بالمبادىء التى نؤمن بها ، ولم يكن هدفنا من هذا الموقف ان نقف ضد الولايات المتحدة ، وإنما كان الهدف الأصيل ان نقف مع معتقداتنا النابعة من ضميرنا الوطنى . »

ثم ختم « جمال عبد الناصر » رسالته بقوله :

« إننى ارجو ان تحمل الملاحظات التى ابديتها جميعا على محملها الصحيح باعتبارها صادرة عن إعجاب عميق بالمبادىء العظيمة التى صنع بها الشعب الأمريكى هذا التقدم الباهر الذى وصل إليه ، وعن تقدير كبير للمسؤوليات التى تحملون شخصيا امانتها تجاه الجنس البشرى وامله فى سلام قائم على العدل ، وعن رغبة مخلصة فى تقوية اواصر الفهم والصداقة بين شعبينا .

المخلص

جمال عبد الناصر »

٢

بدون أية مقدمات تلقى « جمال عبد الناصر » من الرئيس الأمريكى « جون كنيدى » يوم ١١ مايو ١٩٦١ خطابا يسأله فيه عن رأيه فى الحل المناسب للصراع العربى الاسرائيلى ، وتسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين . ويضيف « أن الوقت قد حان فى رأيه للاعتراف بالحقائق حتى تستطيع المنطقة أن تبنى مستقبلها على أسس من الثقة والتعاون والمصالح المشتركة » .

كانت الرسالة تطلب إزالة التوتر فى الشرق الأوسط بإيجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، وهذا كل شىء ! أى أن الهدف كان تصفية آثار الأزمة دون بحث فى أسبابها وحقائقها !

وكانت تلك قفزة مفاجئة . كانت المراسلات بينهما من قبل دائرة حول أحداث الكونجو وأزمة كوبا . وفجأة قفز « كنيدى » من مجاهل أفريقيا ، ومن شواطىء الكاريبى إلى أعقد مشاكل الشرق الأوسط . ولقد كان معروفا باستمرار أن كل رئيس أمريكى جديد محكوم عليه بالاقتراب من هذه الأزمة لعدة أسباب :

□ **أولها** أنهم جميعا يحلمون بأن يكونوا صناع السلام فى الأرض المقدسة .

□ **وثانيها** أنهم جميعا معرضون للتأثير اليهودى وتوجهاته إزاء إسرائيل .

□ **وثالثها** أنهم جميعا يتصورون ضرورة إعادة ترتيب أوضاع المنطقة إزاء الاتحاد السوفيتى ، ويريدون شعوبها وأراضيها معا تحت تصرفهم فى الصراع العالمى الكبير .

لكنه بالنسبة لـ « كنيدى » بدا أن أزمة الشرق الأوسط قد لا تقفز إلى مقدمة اهتماماته بهذه السرعة ، فقد كان لديه ما يكفيه من مشاكل فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية ، كما أن علاقاته مع السوفيت سواء فى المجال السياسى ، أو فى مجال موازين السلاح كانت تفرض عليه أن يعطى الأولوية الأولى لعلاقته مع القوة الأعظم الثانية . وكان فى هذه الأيام المبكرة من شهر مايو يستعد لاجتماعه المرتقب مع « نيكيتا خروشوف » وقد تحدد له يوم ١٥ مايو . واتصالا بذلك فقد كانت لديه مشكلة مع حلفائه الأوروبيين وأولهم الجنرال « ديجول » ـ وهؤلاء أزعجهم أن تتحول القمة الدولية من رباعية كما كان مقدرا ـ وواقعا ـ فى باريس قبل شهور إلى قمة ثنائية فى

فيينا بين « كنيدى » و « خروشوف » وحدهما . وأخيرا فقد كانت الأزمة الكوبية لا تزال معه بكل تداعياتها .

ومن هذه الاعتبارات كلها ، فإن ردة الفعل الأولى فى القاهرة تجاه خطاب « كنيدى » بشأن الصراع العربى الاسرائيلى شابها إحساس بالاستغراب ، وثارت تساؤلات عن هدفه الحقيقى من ذلك فى هذه الظروف . وتراوحت التقديرات . فقد كان هناك تقدير يراها محاولة لاختبار النوايا بعد الخلافات الظاهرة بين الولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة بشأن الكونجو ، وبشأن كوبا . وكان هناك تقدير يراها محاولة لفرض تحديد المواقف قبل أن يقرر الرئيس الجديد سياساته على الأمد البعيد بالنسبة للمنطقة . كما برز تقدير يراها تكرارا لمحاولات سابقة تتصور أن الفرصة مناسبة الآن وقبل لقاء القمة بين « كنيدى » و « خروشوف » لتأكيد السيطرة الأمريكية على المنطقة ، وإخراجها من التوازنات بين العملاقين قبل أية مواجهات محتملة بينهما ، أو أية تسويات ممكنة . **وكان إحساس « جمال عبد الناصر » أن « كنيدى » يتصور أن الخلاف المحتدم بين القاهرة وموسكو قد يجعل موقف « جمال عبد الناصر » أكثر استعدادا للتسوية ، بغية الحفاظ على علاقاته مع الولايات المتحدة ، وتحسبا فى نفس الوقت لأية إجراءات قد يتخذها الروس بما فى ذلك وقف صفقات السلاح .**

□

وكانت بعض التقديرات التى برزت فى القاهرة صحيحة . فقد كان **هناك فعلا** كما تثبت الوثائق الأمريكية عنصر « اختبار النوايا » ، كما كان هناك عنصر « **تحديد** المواقف » ، كما كان هناك أيضا عنصر الخلاف مع الاتحاد السوفيتى الذى أعتبره بعض مستشارى الرئيس « كنيدى » عاملا قد يكون مواتيا لدفع « جمال عبد الناصر » إلى « التعقل » .

ولكن واشنطن كانت لديها إلى جانب ذلك تقديرات أخرى ، فقد احتدمت المناقشة بين مدرستين فى التفكير والتخطيط :

● **فريق يمثله « تشستر بولز » وكان رأيه** « أن ناصر حتى هذه اللحظة لا يزال يمثل موجة المستقبل فى الشرق الأوسط ، وأن التعامل معه يمكن أن يؤدى إلى فوائد للسياسة الأمريكية فى المستقبل القريب على الأقل . **فهو من** ناحية قوة شعبية كاسحة ، وهو من ناحية ثانية عنصر مقاومة تجاه الشيوعيين والاتحاد السوفيتى لا شك فيه . ثم إنه ثالثا قيادة قادرة فى منطقة عاصفة ـ لا بديل لها فى المستقبل المنظور . وإذا كان هناك بديل فهو

الفوضى الشاملة التى يستفيد منها الاتحاد السوفيتى أكثر مما تستفيد الولايات المتحدة » . وكان « تشستر بولز » مع ذلك كله يرى أن نفوذ « جمال عبد الناصر » فى الحركة القومية العربية ، وبعد الوحدة مع سوريا قد زاد بأكثر مما هو مرغوب فيه ـ ومع ذلك فإن القضية برمتها تقتضى أقصى حالات الحذر فى معالجتها .

● **وفريق آخر يمثله « ليندون جونسون »** نائب الرئيس الأمريكى الذى هرعت إليه عناصر وكالة المخابرات المركزية المؤمنة بحتمية التعاون مع إسرائيل « إلى النهاية » وفى مقدمتها « جيمس أنجلتون » مساعد مدير الوكالة الذى كان من رأيه أن « ناصر » لا يمكن الاعتماد عليه ، وأن أى تعاون معه لن يكون من شأنه إلا المساهمة فى زيادة نفوذه . وكانت مجموعة « جيمس أنجلتون » فى وكالة المخابرات المركزية قد حققت لنفسها مجالا واسعا للعمل فى الشرق الأوسط ، وأعطت نفسها الحق ـ بالتعاون مع عدد من شركات البترول ـ فى العمل مباشرة فى المنطقة « لتقليص نفوذ ناصر » تطبيقا للخط السياسى التقليدى المنادى بعزل مصر عن المنطقة تمهيدا لتوجيه ضربة مباشرة إلى القاهرة ، وباعتبار أن ذلك هو وحده الكفيل بضمان المصالح الأمريكية فيها .

كانت هذه المجموعة قد وجدت فى « ليندون جونسون » حليفا قويا فى البيت الأبيض ، وأصبحت تتصور أنها تستطيع بواسطته أن تمد تأثيرها إلى أعلى مستويات صنع القرار الأمريكى . والواقع أن « ليندون جونسون » كان بالنسبة لهذه المجموعة هو الشخص المناسب فى المكان المناسب فى اللحظة المناسبة .

وقد أبدى « ليندون جونسون » فى عديد من المناسبات التى جرت فى مجلس الأمن القومى فى تلك الفترة ـ وكرر آراء مفادها أنه « **ينبغى قص ناصر إلى حجمه الطبيعى ، وأن الفرصة الآن مواتية بسبب خلافه مع السوفيت من ناحية ، وبسبب الصراع بينه وبين عبد الكريم قاسم فى بغداد من ناحية ثانية ، وبسبب الحساسية المتزايدة ضد « طموحات ناصر » من جانب العروش التقليدية ـ يضاف إلى ذلك أن الأوضاع فى سوريا ، وهى الاقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة ، « تموج تحت السطح بقلاقل وتيارات تفتح فجوات وثغرات فى صفوف ناصر يمكن استغلالها » .** »

□

قرا « جمال عبد الناصر » رسالة « كنيدى » عدة مرات ، وأطال التفكير فيها . كتب عليها بخط يده مجموعة تأشيرات على النحو التالى :(١٠)

١ ـ تأشيرة موجهة إلى السيد « سامى شرف » نصها :

« سامى ـ ترسل نسخة سرى للغاية وشخصى إلى : بغدادى ـ المشير ـ كمال الدين حسين ـ على صبرى ـ الدكتور فوزى ـ حسين ذو الفقار صبرى ـ صلاح نصر ـ محمود رياض . ويطلب من كل منهم أن يجهز ملاحظاته على الرسالة .

إمضاء

جمال عبد الناصر »

٢ ـ تأشيرة موجهة إلى السيد « على صبرى » نصها :

« السيد على صبرى :

مطلوب تحليل للموقف الأمريكى كله والسياسة الأمريكية الجديدة .

إمضاء

جمال عبد الناصر »

٣ ـ وتأشيرة ثالثة موجهة إلى السيد « سامى شرف » مرة أخرى نصها :

« سامى

يطلب من المخابرات العامة أو حاتم توزيع ترجمة لكل ما كتبه كنيدى وما ألفه ، وتوزع على الأسماء التى سترسل إليها الرسالة .

إمضاء

جمال عبد الناصر »

وكان أول رد تلقاه « جمال عبد الناصر » من الذين أرسلت إليهم صور من رسالة « كنيدى » هو مذكرة أولية كتبها الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية

---

(١٠) مجموعة هذه الرسائل والمذكرات موجودة فى أرشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة كاملة من الملف الذى يحوى المجموعة فى ارشيف وزارة الخارجية . تعطى هذه التاشيرات صورة حية لعملية صنع القرار السياسى فى مصر . جمال عبد الناصر ، فقد كان كل قرار فى السياسة الخارجية يعتمد على تقديرات اربع جهات رسمية هى : مؤسسة الرئاسة ـ وزارة الخارجية ـ وزارة الدفاع ـ هيئة المخابرات العامة ، إلى جانب اى عدد من المسؤلين او الخبراء الذين يكون اختصاصهم متصلا بموضوع القرار . وكانت التقديرات تطلب دائما مكتوبة ، وباى قدر من التفصيل يراه اصحابها . كما انه كانت توضع تحت تصرفهم كل المعلومات اللازمة لبلورة افكارهم .

بأسلوبه المتميز المعروف . وقد كتب الدكتور « فوزى » فى مذكرته بالحرف يقول :

« السيد الرئيس

(أ) هذه رسالة إغراء ماهرة ، ولها فى نفس الوقت وزنها غير الهين كوثيقة سياسية هادفة ، وإن فاتها التوفيق حين غالت فى ذكر فضل الولايات المتحدة ومبادىء سامية عبر عنها قادة أمريكيون قدامى وامتهنها قادة امريكيون معاصرون ، وحين بالغت فى الترغيب عن طريق المادة ، ثم حين غضت الطرف عن طوفان المعونة الأمريكية لاسرائيل .

(ب) كان طبيعيا أن تفترض الرسالة بقاء إسرائيل .

(جـ) كلامها عن العودة ، أو التعويض للاجئين العرب لم يات صريحا فى ان الخيار فى ذلك لهم .

وقد لا يكفى لازالة ما تثيره تلك المجانبة من شكوك ما جاء من إشارة لقرارات الأمم المتحدة ، إذ أن فى طيات الرسالة محاولة ماكرة لاستدراجنا إلى طريق الانزلاق والمساومة والتنازل عن الحقوق .

(د) تعمدت الرسالة الا تذكر حقوق العرب ، وأن تقصر الاشارة على « صالحهم وخيرهم » .

(هـ) واضح أن هذه الرسالة جزء من حملة هجوم أمريكية ، قد يكون خير دفاع من جانبنا إزاءها هجوما نختار نحن وقته ونوعه ومداه وأسلوبه . ويجدر بنا فيما يتصل بالناحية الكلامية أو التفاوضية أن نرتكز إلى حقوق العرب ، ووجوب ردها إليهم كاملة ، ولسنا عند ذلك فى حاجة إلى التصريح بوجوب زوال إسرائيل .

كذلك تدعو الحال ، كما تدعو السليقة إلى الاحتفاظ لجانبنا بطابع الحزم والعقل ، وبالمودة المتبادلة مع كل من يمدون إلينا يدا صديقة ولا يناصبوننا عداء .

(و) من المفيد معرفة ما إذا كانت قد أرسلت رسائل مشابهة إلى رؤساء دول فى منطقتنا غير الجمهورية العربية المتحدة ، والتفكير فى أن نعلم بعض الدول الصديقة العربية وغيرها بما يجرى فى المناسبة الحالية . وقد يرى التفاهم على أن ننتهج وهذه الدول خطة من شأنها الافادة من الكرة التى القى بها كنيدى إلى الميدان ، والمزيد من إبراز حقوق العرب ، ومن الضغط على إسرائيل ، وكشف نواياها الشريرة للعالم ، وتأليب دوله عليها .

إمضاء
محمود فوزى
١٨/٥/١٩٦١ »

□

وبعد أيام قليلة كان الدكتور « محمود فوزى » قد عرف الاجابة عن السؤال الذى طرحه فى مذكرته إلى « جمال عبد الناصر » ، وهو السؤال الخاص بما « إذا كانت قد أرسلت رسائل مشابهة إلى رؤساء دول فى منطقتنا غير الجمهورية العربية المتحدة » . والذى حدث هو أن « كنيدى » بعد أيام من رسالته لـ « جمال عبد الناصر » بعث برسائل مشابهة إلى عدد من رؤساء الدول العربية . وكتب السيد « حسين ذو الفقار صبرى » نائب وزير الخارجية فى ذلك الوقت مذكرة إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » أحالها إليه الدكتور « محمود فوزى » وزير الخارجية ، وكان نصها كما يلى :

« السيد الرئيس

١ ـ نحن نعلم الآن ان الرئيس كنيدى أرسل فى الاسبوع الماضى رسائل مشابهة للرسالة التى وصلتكم إلى عدد من ملوك ورؤساء بعض الدول العربية .

٢ ـ ثم برز فجأة أن كنيدى قام بنشاط واسع فى هذا النطاق ادى إلى أن يقترح الملك سعود دراسة تلك الرسائل فى مجلس جامعة الدول العربية .

٣ ـ باطلاعى على محاضر الجلسات التى دارت حول هذا الموضوع ، وجدت ان ممثلى الدول العربية (لما قارنوا بين بعض هذه الرسائل) فطنوا إلى أن كنيدى ينوى أو يفكر فى مبادرة الدول العربية باقتراح حل لمشكلة اللاجئين داخل إطار معين محدود على أساس فكرة حل هذه المشكلة وحدها فتنهار القضية الفلسطينية من أساسها .

٤ ـ أما لو كان كنيدى قد قصر اتصالاته على الرسالة الموجهة لكم ، فكان يمكن الظن بانها محاولات منه لتفهم وجهة نظرنا ، ولكن الأسلوب الذى اتبعه ينفى هذا الظن الآن ويشير إلى نية مبيتة .

٥ ـ وباطلاعى على محاضر جلسات الجامعة العربية وجدت أيضا أن الدول العربية مالت إلى الوقوع فى الفخ الذى نصبه كنيدى ، وخاصة إذا لاحظنا ما جاء فى أقوال بعض المندوبين وأهمها ما يلى :

(أ) ماذا نقول لو جرى استفتاء ورفض اللاجئون العودة ؟

(ب) إن كنيدى وضعنا فى مأزق ، فكيف الخروج منه ؟

(جـ) ماذا نقول وكنيدى يبنى اقتراحاته على قرارات الأمم المتحدة ؟

(فيما يتعلق باللاجئين)

٦ ـ ولا شك أننا نعلم جميعا ان مداولات الجامعة لا يمكن الاحتفاظ بسريتها ، وان هذه الروح الانهزامية ، والتى تسلم باننا فى مازق سيكون لها اثر على تشجيع امريكا على المضى قدما فى خططها .

٧ ـ هذا علاوة على ما جاء على لسان بن جوريون من ان كنيدى عرض عليه اقتراحا لحل مشكلة اللاجئين ، وان بن جوريون وجد الاقتراح معقولا .

٨ ـ ولذا فإنى ارى انه يجب على الجمهورية العربية المتحدة فى مثل هذه الاجتماعات عدم تشجيع هذه الروح الانهزامية ، بل المبادرة باتخاذ موقف مضاد قوى .

٩ ـ واول ما يتحتم عمله هو إيجاد الوسائل التى تخرج المعركة من الميدان الذى حاول كنيدى ان يفرضه علينا (انها قضية لاجئين) .

١٠ ـ واعتقد ان معالجتنا للموضوع يجب ان تتناول تاكتيكا آخر على ضوء ما ظهر من ان كنيدى وسع ميدان اتصالاته فى هذا الموضوع مما يوحى بأنه مقدم على خطوة ما .

إمضاء

حسين ذو الفقار صبرى »

□

ولم يشأ « جمال عبد الناصر » أن يتعجل فى الرد على رسالة « كنيدى » فقد راح يفكر فيها على مهل ، ويتابع فى نفس الوقت وبقدر ما يستطيع حركة تيارات تحتية تجرى فى العالم العربى ، ويظهر منها قليل ، وكثير خاف لا تراه العيون .

وفى اليوم الأول من شهر أغسطس ١٩٦١ أى بعد قرابة ثلاثة شهور على تسلمه رسالة « كنيدى » بعث إليه برده عليها .

وفى مقدمة رده كتب « جمال عبد الناصر » بالنص :[١١]

« عزيزى الرئيس جون ف . كنيدى

لقد تلقيت بمزيد من الارتياح والتقدير خطابكم إلىّ بتاريخ ١١ مايو ١٩٦١ ، والذى تفضلتم فيه بإثارة بعض جوانب المشكلة ذات الأهمية البالغة ، والخاصة ، بالنسبة للأمة العربية على اختلاف شعوبها ، وهى ـ دون شك ـ قضية فلسطين .

وإذا كنت قد تاخرت فى الرد على هذا الخطاب ، فلقد كان باعث التاخير هو إعطاؤه ما يستحقه من فرصة الدراسة الدقيقة المتانية .

ولعل مبعث الارتياح الذى شعرت به حين تلقيت خطابكم ، كما اشرت فى العبارة الأولى من هذا الخطاب ، اننى كنت من جانبى اقلب النظر فى فكرة الاتصال بكم بشان نفس هذه القضية التى اثرتم فى خطابكم بعض جوانبها .

(١١) اصل الرسالة واجزاء كثيرة منها بخط « جمال عبد الناصر » موجودة فى ارشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخة منها فى ارشيف وزارة الخارجية .

ولقد كان فكرى فى الاتصال بكم يرتكز على مجموعة من العوامل :

□ اولها : ان ما تم بالفعل من تبادل المراسلات بيننا فى عدد من مختلف المشاكل العالمية كان واضحا فى دلالته على انكم تحاولون فتح ابواب التفاهم ـ وإبقائها مفتوحة ـ بينكم وبين عدد من الشعوب الأخرى التى تولى قضايا السلام اهتمامها الأول ، حفاظا على هذا السلام وصونا للجنس البشرى مما يتهدده من اخطار .

□ ثانيا : ان قضية فلسطين ، وما تفرع عنها من مشاكل هى ، بجانب كونها من القضايا الرئيسية التى تمس السلام العالمى مباشرة فى عصرنا ، فهى فى الوقت نفسه ذات اتصال وثيق بالعلاقات ما بين شعبينا ، واحب هنا ان اضيف اننى لا اربط احتمالات التفاهم بيننا بضرورة التقاء وجهات نظرنا فى هذه المشكلة على نحو كامل التطابق ، وإنما الذى اقوله هو انه من الأمور الحيوية فى هذا الصدد ان تكون لدى كل منا صورة واضحة للحقيقة ، بقدر ما يمكن ان يبدو منها إنسانيا من وراء ضباب الزمان ، ودخان الأزمات .

□ ثالثا : اننى تابعت باهتمام كل مرة تعرضتم فيها لهذه المشكلة سواء فيما القيتم من خطابات فى الكونجرس حين كنتم تمثلون ولاية ماساشوستس ، او ما صدر عنكم خلال حملة انتخابات الرئاسة ، ولست اخفى عليكم اننى قبل ان يصلنى خطابكم كنت ـ من تاثير فكرة الاتصال بكم فى موضوع فلسطين ـ احاول ان استشف صورة لموقفكم منه خلال سطور كتابكم عن استراتيجية السلام . ولقد كان إحساسى بما قرات عنكم مباشرة ، او بما نسب إليكم فى هذا الموضوع ـ يجعلنى اعتقد ان هناك زوايا كثيرة فى المشكلة تستحق مزيدا من الضوء .

على انى برغم هذا كله تصورت انه ربما كان المناسب ان ارجىء الاتصال بكم فى هذا الأمر باعتبار ما كان يواجهكم من مشاكل ضخمة ذات طابع ملح ، وعاجل فى الميدان الدولى .

ومن هنا ـ كما قلت لكم ـ اثار ارتياحى انكم اخذتم المبادرة ، وكتبتم إلىّ فى بعض زوايا الموضوع الذى كان بودى ان احدثكم من جانبى فى صورته الكاملة كما نراها هنا على الناحية العربية . ولست اريدا ان املا هذا الخطاب بالوثائق ومعانيها ، والقرارات واحكامها ، فذلك كله قد يكون له مجاله ، وإنما انا هنا احاول ان انقل إليكم تصورنا العام للمشكلة . واسمح لى ان اؤكد لك ان هذا التصور لا يقوم على اساس عاطفى ، وإنما ما حدث ماديا هو اساسه الوحيد . »

ثم مضى « جمال عبد الناصر » بعد ذلك فى خطابه الذى استغرق سبع عشرة صفحة كاملة يشرح لـ « كنيدى » كل مراحل تطورات القضية الفلسطينية ، وارتباط مصر بها فى إطار انتمائها العربى القومى ، كما تعرض لكل اتصالاته بهذا الشان مع الحكومة الامريكية .[١٢]

(١٢) النص الكامل لرسالة جمال عبد الناصر لكنيدى منشور فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٣٢ صفحة ٨٩٢

ودعا « كنيدى » إلى اجتماع لمجلس الأمن القومى جرى فيه عرض رد « جمال عبد الناصر » على رسالته . كان واضحا لجميع الحضور أن « جمال عبد الناصر » لن يقبل بتسوية للصراع العربى الاسرائيلى على أساس أن القضية الفلسطينية هى مجرد قضية لاجئين . وكان الرأى الغالب فى نهاية مناقشات طويلة أنه من الأفضل للسياسة الأمريكية أن تتحرك فى الشرق الأوسط فى هذه الفترة بعيدا عنه ، وأن تطورات الأحوال فى المنطقة « قد تخلق ظروفا تفرض عليه أن يتعقل أكثر فى تحديده لمواقفه » . وبالتالى فإن على الولايات المتحدة أن تركز جهدها أو بمعنى أصح تنشره بعيدا عن القاهرة ، ثم تعود إليها فيما بعد فى ظروف أكثر ملاءمة . وكان على وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن تصنع ، أو تساهم فى صنع هذه الظروف الأكثر ملاءمة . ويروى « جيمس أنجلتون » أنه فى هذا المناخ حصل على أول تفويض مفتوح له بالعمل والتصرف والتنسيق مع أى طرف يراه مستعدا وقادرا .

وكانت قرون الاستشعار فى إسرائيل يقظى ومتحفزة !

والغريب أن ذلك كله كان بالتحديد تقدير « جمال عبد الناصر » نفسه ، وهو يتابع ساحة عربية بدت له حافلة ومعبأة على الآخر .

٣

فى صيف سنة ١٩٦١ كانت القوى التى تنادت بالهجوم على الجمهورية العربية المتحدة تضم فرقا شتى لا يجمعها غير العداء لدولة الوحدة . وسواء كان هناك تنسيق مخطط بين هذه الفرق ، أو أن الهدف المشترك جمعها معا بغير تنسيق مخطط ـ فقد كان ما يلفت النظر أن مواقع الهجوم كانت دائما هى نفس المواقع .

كان التركيز باستمرار على مجموعة من الادعاءات أظهرها :

● **امتناع الجمهورية العربية المتحدة عن التصدى الفورى بالسلاح لمحاولات إسرائيل تحويل مياه نهر الأردن .**

● **« الديكتاتورية الناصرية » التى لا تستهدف غير التمكين لسيطرتها !**

● **« التسلط الفرعونى » الذى يمسك باقدار سوريا تحت دعوى الوحدة العربية !**

● **« سلب أموال الناس » بادعاء التحول الاشتراكى بما صحبه من قرارات التاميم !**

● **« زج الأبرياء فى السجون وتعذيبهم داخل أسوارها » .**

● **« الابتعاد عن الدين والاقتراب من الالحاد » بالتركيز على مشاكل الدنيا ، وإهمال العالم الآخر .**

وكان التوجه فى كل هذه الادعاءات يركز بصفة أساسية على سوريا باعتبار انها الجبهة الأضعف فى دولة الوحدة . والغريب أن الفرق التى تجمعت للهجوم حوت خليطا متنافرا ضم الملكيين والشيوعيين ، وجمع لفترة من الوقت على الأقل بين الملكيين والسوفيت !

□ □ □

والواقع أن الحركة على هذه الخطوط جميعا بدأت مبكرا ، ومن قبل صيف ١٩٦١ . ففى أواخر سنة ١٩٥٩ كانت جماعة « مصر الحرة » قد نقلت نشاطها إلى بغداد . وتقدم تقارير الاستماع إلى إذاعة بغداد نماذج مريبة لخطوط الهجوم على الجمهورية العربية المتحدة من مواقع متعددة :(١٣)

● **فى ١٠ ديسمبر ١٩٥٩** أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالحرف : **« إن الذين يسكتون على تحويل مياه الأردن هم المسؤولون عن ضياع حقوق العرب . واول هؤلاء المسؤولين هم حكام القاهرة »** !!

● **وفى ١٢ ديسمبر ١٩٥٩** أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالحرف : **« إن حكام الجمهورية العربية المتحدة يساومون فرنسا على شعب الجزائر الصامد ، وهم يبيعون الثورة فى مقابل تسهيلات مصرفية مع بنوك فرنسا باتفاقية حصلت فيها القاهرة على ٢٣ مليون جنيه »** !!

● **وفى ١٨ ديسمبر ١٩٥٩** أذاع راديو بغداد تعليقا آخر جاء فيه بالنص : **« فى القاهرة ودمشق ترتكب الجرائم ، وتهدد الأنفس البريئة ، وتمثل المهازل الدامية ، وتحاك المؤامرات ضد الأفراد وضد الشعوب . وفى القاهرة وقبل اكثر من عام كان الصنم الأكبر يحملق بعينيه صوب العراق المتحرر »** !!

● **وفى ١٩ ديسمبر ١٩٥٩** أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالنص : **« إنهم**

(١٣) تقارير استماع صادرة عن وزارة الإرشاد القومى .

يحشرون المئات من شعبنا فى السيارات السوداء مخترقة شوارع القاهرة والاسكندرية والاسماعيلية إلى سجون الفيوم والقلعة ، وإلى السجن الحربى الرهيب » !!

● وفى ٢١ ديسمبر ١٩٥٩ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالنص : « إن النهج الناصرى فى سوريا العربية ليس إلا مظهرا من مظاهر القضاء على حرية وانطلاق الشعب السورى . إن الديكتاتور المصرى حل الأحزاب الوطنية السورية ، وألغى حرية التفكير ، وأنهى إرادة السوريين لكى يفرض عليهم كلابا وجواسيس يكتمون أنفاسهم » !!

● وفى ١٥ يناير ١٩٦٠ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالنص : « هؤلاء الفراعنة الأقزام جاءوا اليوم ليبشروا باستعمار جديد ، وليعيدوا أمجاد الفراعنة الغابرين باسم القومية العربية » !!

● وفى ١٩ يناير ١٩٦٠ أذاع راديو بغداد تعليقا آخر جاء فيه بالنص : « إن سوريا تعانى أزمة اقتصادية طاحنة . ولم يجد ديكتاتور القاهرة حلا إلا أن يعقد مع أمريكا اتفاقية تحصل سوريا بها على ١٥٠ ألف طن قمح وشعير ، وهو أمر يدعو إلى الأسف » !!

● وفى ١٥ نوفمبر ١٩٦٠ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه : « إن هناك مهزلة تجرى فى سوريا ، فقد جرى تخفيض رواتب ضباط الجيش السورى ، وتمت تسريحات شملت ١٥٠٠ ضابط من أخلص الضباط الوطنيين » !!

● وفى ١٦ يناير ١٩٦١ أذاع راديو بغداد تعليقا جاء فيه بالنص : « وغدا .. غدا القريب نطهر سوريا من جرائم الفاشست والحكام الخونة ... ارفع يدك عن سوريا يا جمال ... ارفع يدك أيها الجلاد عن الشعب السورى ... الموت والخزى والعار يا جمال ... ارفع يدك يا سلطان الاحتكارات عن ولاية سوريا » !!

□

وكان الملك « سعود » يتحرك بأسلوب آخر ، فبعد فترة صمت أعقبت انكشاف المحاولة الفاشلة لرشوة « عبد الحميد السراج » حتى يقوم بانقلاب على الوحدة فى فبراير ١٩٥٨ ـ تلقى « جمال عبد الناصر » رسالة غريبة من الملك « سعود » جاء فيها بالنص ما يلى :(١٤)

(١٤) اصل الرسالة موجود فى ارشيف منشية البكرى ، وقد ارسلت صور منها الى وزارة الخارجية ، ووزارة الإرشاد القومى ، وإدارة المخابرات العامة ، وتوجد صورة من هذه الرسالة والتاشيرات المرفقة بها فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٣٣ صفحة ٩٠٠

« من سعود بن عبد العزيز آل سعود

إلى حضرة صاحب الفخامة السيد جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة حفظه الله

حضرة الأخ الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

ارجو لسيادة الأخ موفور الصحة والعافية ، وان يديم المولى علينا نعمه ويوفقنا لما فيه الخير والصلاح إنه سميع مجيب .

راجعنى كبار المشايخ والعلماء فى البلاد بخصوص ما اطلعوا عليه جميعا فى الصحف المصرية من وجود فكرة لدى بعض الأوساط فى مصر لتلحين القرآن العظيم على بعض الآلات الموسيقية وانغامها . وافادونى انه حصل لهم اضطراب وتشويش عظيم من ذلك خوفا من ان تحدث هذه الخطوة ثغرة كبيرة فى الدين . لقد دعانى هذا الحادث لما فيه من خطورة ان اراجع سيادة الأخ ، والفت نظره راجيا منه لما اعلم فيه من حصافة الراى ، وصدق العقيدة ان يعمل بنفوذه الكبير على منع هذا الأمر الذى لا ياتى منه إلا التفرقة والشقاق بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، والذى نحن فى غنى عنه . إنى اعتقد بانكم توافقوننى بان اعداء الاسلام والعروبة سيجدون فى هذا المجال مرتعا خصبا لبث سمومهم القتالة ، وهى فرصة ذهبية لا يجدونها فى كل وقت ، وبالأخص فى الدور الذى نجتازه نحن العرب ، ولذلك فإنى لأرجو مخلصا بان نكون جميعا ممن يحافظ ويدافع عن قدسية كتاب الله ، ويحرص على كرامته من اى عبث يراد به ، وإنى لمطمئن بانه سوف لا ينال احد منه شيئا . وقد وعد وهو اصدق الواعدين ، وقال فى تنزيله الحكيم « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وفى انتظار ما يطمئن الخاطر فى هذا الخصوص .

اخوكم

سعود السعود »

وكان واضحا أن الملك « سعود » يريد أن يتصيد شيئا . فإن الجريدة التى نشرت هذا الخبر فى أربعة سطور ما لبثت فى اليوم التالى أن كذبته واعتذرت عنه . وقد تم ذلك بالتأكيد قبل أن يقوم « المشايخ والعلماء » بمراجعة الملك .

وكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » على غلاف رسالة الملك تأشيرة قال فيها :

« على صبرى : هل ترى الرد على هذه الرسالة أو إهمالها ـ الرد يكون أن هذه المعلومات خاطئة ، ويرسل له البلاغ الرسمى المرفق ـ أو عدم الرد » .

وكتب « على صبرى » : « أرى أن أسلم السفير السعودى صورة من التكذيب الرسمى ليرفعه هو لسعود ، ولا داعى للرد » .

وأضاف « جمال عبد الناصر » إلى ذلك تأشيرة جديدة بخط يده جاء فيها :

« أوافق ، وأرى أن تسلم له الجريدة التى نشرت التكذيب .

جمال » .

□

وفى ديسمبر سنة ١٩٦٠ كانت العلاقات قد توترت بين الأمير « فيصل » وبين الملك « سعود » الذى تنازل له عن رئاسة الوزارة فى ظروف انكشاف المؤامرة على الوحدة ، واستحكم الخلاف بين الاثنين .

واستطاع الملك أن يضم إليه بعض الأمراء ، واستعاد سلطته من الأمير « فيصل » وشكل وزارة جديدة برئاسته فى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٦٠ ، واحتدم الصراع بين الأخوين !

وبعث الأمير « فيصل » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » رسالة يقول له فيها إنه فوجىء بأن اللواء « أديب الشيشكلى » قد وصل إلى السعودية ضمن محاولات لإحداث قلاقل فى سوريا . وأنه أمر بطرده من المملكة .

ويبدو أن الملك « سعود » عرف بأمر هذه الرسالة . وهكذا أوفد ممثلا خاصا له هو الشيخ « سرور الصبان » ليقابل « جمال عبد الناصر » حاملا رسالة من الملك . ولم يتمكن « جمال عبد الناصر » من استقبال الشيخ « سرور الصبان » الذى وجد طريقه فى النهاية إلى السيد « أنور السادات » وكان رئيسا لمجلس الأمة وقتها . وتسلم السيد « أنور السادات » رسالة الملك ، ومعها مجموعة من الوثائق تثبت براءته من موضوع « أديب الشيشكلى » وأرفقها بخطاب منه بعث به إلى المشير « عبد الحكيم عامر » راجيا تقديم الملف كله للرئيس .

وجاء فى خطاب السيد « أنور السادات » الذى كتبه بخطه ما يلى :[15]

« سيادة المشير

اتصل بى الشيخ سرور الصبان وقابلنى اليوم ٨ يناير ١٩٦١ وسلمنى المظروف المرفق طيه ، وهو عبارة عن الرسالة الشفوية التى كان الملك قد ارسلها من قبل

(١٥) أصل الرسالة ومرفقاتها فى أرشيف منشية البكرى ، وقد أرسلت نسخ منها إلى وزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، ووزارة الإرشاد القومى ، وإدارة المخابرات العامة .

وتفصيل موضوع الشيشكلى . وهو يطلب باسم الملك إبلاغها للرئيس . مع اخلص تحياتى وتسليمى .

المخلص

أنور السادات »

وكانت رسالة الملك المرفقة بالنص ما يلى :

« سبق ان اتفقت مع سيادة الاخ واخذنا فيما بيننا وعد شرف بان لا يعمل احد منا ضد الآخر مهما كانت الظروف والأحوال . بل يجب ان نكون متعاونين فى المصلحة العامة وعلى ما يعود بالنفع على بلادنا . وان من يسمع عن الآخر يخبره حالا بما وصل إليه ضد اخيه حتى نقطع خط الرجعة على من يريد الافساد بيننا . وإنى احب ان أؤكد لكم بانى على وعدى ولن احنث ـ لا فى الحاضر ولا فى المستقبل . وإنى مطمئن كل الاطمئنان إلى سيادة الاخ بانه واثق من وعدى له . وانا منذ شهرين وانا اسمع انه فى[16] بعض من يريد الاصطياد فى الماء العكر بينى وبين سيادتكم . وان هؤلاء الناس ربما يوحون لفخامتكم بامور القصد منها التشويش بطريق مباشر ، او غير مباشر . وقد تواترت الأخبار لدينا فى هذا الموضوع ، وانا على ثقة بانه لو كان لتلك الأخبار صدى لدى سيادتكم لأرسلتم لى من ينبئنى بذلك حسب الاتفاق . ولكن مع ذلك حرصا منى على ان تسير امورنا على ما اتفقنا عليه احببت ابعث اليكم هذه الرسالة لأؤكد لفخامة الاخ بانى لازلت ولن ازال على وعدى ، واملى انه إذا حصل لدى سيادتكم اى التباس بسبب ما ينقل لكم من اهل السوء ، وممن لهم مقاصد خبيثة ان تسالونى عن صحة ما نسب . وانا كما وعدتكم كسعود ابن عبد العزيز ساقول لكم الحقيقة . وعرفت مما نسب انه ارسل لكم معلومات عن موضوع الشيشكلى وان مجيئه إلى المملكة كان بناء عن رغبتى ، وانه طرد من البلاد بامر جهات اخرى ، وهذا خلاف للواقع تماما . فالواقع هو حسب ما جاء فى المخابرات البرقية بيننا وبين المذكور والسلطات المحلية فى جدة وهذه المخابرات مع الرسول ، وهذا ما احببت إشعار سيادتكم به لأدلل على صدق نواياى ، وحتى لا يجد اهل السوء مجالا للتلاعب بيننا .

سعود السعود »

وكانت هناك مجموعة برقيات رسمية مع رسالة الملك .

١ ـ برقية من « أديب الشيشكلى » إلى الملك (رقم ٢٠٠٦) من جدة :

« صاحب الجلالة الملك سعود المعظم

وصلت جدة صباح اليوم الاثنين قادما من البرازيل وحللت فى فندق « الكندره » بغية المثول بين يدى جلالتكم . ارجو صدور امر جلالتكم الملكى بما يلزم . ادامكم الله ذخرا .

اديب الشيشكلى »

(١٦) هناك اخطاء لغوية وإملائية واردة فى الرسائل وقد تركت كما هى طبق الأصل .

٢ - برقية من الملك « سعود » إلى محافظ جدة الشيخ « عبد الرحمن السديرى » :

« عبد الرحمن السديرى .. جدة

وصلتنا برقية من اديب الشيشكلى يذكر انه وصل جدة ، ويطلب مقابلتنا . وانتم ما عرفتونا عن وصوله . وانتم حالا اجعلو (كذا فى الأصل) عليه رقابة وامنعوه عن التجول . وقله يقول لك سعود إن وصولك ليس له اى مبرر ولكن اقل ما نعمل معه حالا يرجع من حيث اتى . ومن قبل جوازه السعودى اسحبوه منه . وسلموه للخارجية . واعطوه ورقة مرور .

سعود »

٣ - برقية من الشيخ « عبد الرحمن السديرى » إلى الملك « سعود » :

« جلالة مولاى الملك المعظم

برقية جلالتكم . حالا اعتمدنا امر جلالتكم فيما يختص باديب الشيشكلى ونفذناه . وجعلنا عليه مراقبة قوية . وطلبنا منه تسليم الجواز السعودى ، فامتنع عن تسليم الجواز مفيدا انه يحمل سمة العودة وسمة الاقامة فى البرازيل حيث تقيم عائلته وحيث هناك بيته وعياله ، ولا يستطيع العودة بدونه مطلقا . وإن كان لابد من سحب جوازه ، فإنه يقسم بشرفه إعادة الجواز فور وصوله إلى البرازيل . وقد الزمناه بتسليم الجواز منتظرين امر جلالتكم . اطال الله بقاكم .

الخادم

عبد الرحمن السديرى »

٤ - برقية من الملك « سعود » إلى محافظ جدة الشيخ « عبد الرحمن السديرى » :

« من قبل امتنع اديب الشيشكلى عن تسليم الجواز السعودى ، وقسمه بشرفه بإعادة الجواز السعودى عند وصوله إلى البرازيل باطل . فاديب قد سبق ان اقسم بشرفه بان يعيد الجواز ولم يعيده حسب وعده . فانتم نفذو (كذا فى الأصل) الأمر واستلمو (!) منه الجواز السعودى على كل حال بدون اى مراجعة منكم واعطوه ورقة مرور وسفروه حالا .

سعود »

٥ - برقية من الشيخ « عبد الرحمن السديرى » إلى الملك « سعود » :

« جلالة الملك المعظم

حسب امر جلالتكم ابلغنا اديب الشيشكلى ضرورة تسليم الجواز السعودى وقد

استلمناه بالفعل وسلمنا له ورقة مرور بعد سحبه بالفعل . ولم نتاخر عن تسفيره إلا لعدم وجود الواسطة . وحالا توجه بورقة مرور . ادام الله بقاكم .

الخادم

عبد الرحمن السديرى »

□

ويبدو أن الملك كان يريد أن يطمئن إلى أن رسالته ووثائقه وصلت إلى « جمال عبد الناصر » فاستدعى السفير « حافظ أبو الشهود » سفير الجمهورية العربية المتحدة إلى مقابلته وقضى معه ساعة كاملة ، وكتب السفير « حافظ أبو الشهود » تقريرا إلى القاهرة وردت فيه النقاط التالية :(١٧)

١ - استقبلنى الملك سعود فى مكتبه بالرياض وانفرد بى لمدة ساعة .

٢ - طلب إبلاغ السيد الرئيس انه ما زال على عهده « والله على ما نقول شهيد » .

٣ - ذكر أن اناسا نفعيين هدفهم المنفعة الذاتية يسعون إلى الدس والوقيعة ، وقد عرفهم ولن يهيىء لهم فرصة العمل قط .

٤ - أبدى جلالته دهشته مما قيل لنا بان سمو الأمير فيصل هو الذى قام بطرد اديب الشيشكلى ، بينما الحقيقة ان سموه لم يكن يعلم باى شىء عن الموضوع حتى ابلغه الملك بنفسه بما جرى .

٥ - قال لى إنه يفخر بانه حكم ٤٠ عاما اكتسب منها الخبرة والتجربة ، وتعود على سرعة البت ، وبهذا فإنه انهى موضوع الشيشكلى فى يوم واحد .

٦ - استوضحت من جلالته عن الأخبار التى راجت عن مقابلته لعبد الكريم قاسم ، واجاب بان قاسم طلب منذ شهرين الاجتماع بجلالته ولكنه رفض ، ثم طلب مرة اخرى فى هذه الأيام ، فرفض جلالته « بزوق » كما قال (كذا فى الأصل) .

٧ - اكد انه منع الصحف من التعرض لأخيه فيصل ذاكرا انه وإن كان فيصل غاضبا الآن « فمسيره ان يرضى يوما ما » .

٨ - تفاخر بأن الوزراء الجدد يجدون فى اعمالهم ، ويتواجدون فى مكاتبهم من الساعة الثالثة صباحا بالتوقيت العربى .

٩ - ختم المقابلة بقوله : « تستطيع ان تحضر إلى الرياض فى اى وقت تشاء ، وتبلغنى بما تريد ، ويصلك الرد فى الحال » .

□

وفى شهور صيف ١٩٦١ كانت هناك زيادة ملحوظة فى رسائل الملك « سعود » إلى « جمال عبد الناصر » ، فقد توالت هذه الرسائل فى أعقاب بعضها ، وفى بعض الأحيان وصل معدلها إلى رسالة كل يوم . وكانت لبعض هذه الرسائل أسباب

(١٧) اصل التقرير موجود فى ارشيف وزارة الخارجية . وقد ارسلت نسخ منه إلى رئاسة الجمهورية .

صحيحة ، ولكن بعضها الآخر بدا مقصودا فى حد ذاته كوسيلة لزيادة معدلات الاتصال .

كان السبب الصحيح الواضح فى تلك الأيام هو الأزمة التى تعرضت لها دولة الكويت التى حصلت على استقلالها ، وتقدمت بطلب الانضمام إلى عضوية الجامعة العربية وسط ترحيب من العالم العربى كله لم يخرج عنه إلا اللواء « عبد الكريم قاسم » الذى أعلن فى بغداد يوم ٢٥ يونيو ١٩٦١ أنه سوف يصدر مرسوما جمهوريا باعتبار الكويت قضاءً عراقيا تابعا للواء البصرة . وأعلنت الكويت يوم ٢٦ يونيو حالة الطوارىء ، وحشدت ما كان لديها من قوة على حدودها لمواجهة أى تحركات عسكرية مفاجئة معلنة أنها سوف تدافع عن استقلالها . **وأعلن « جمال عبد الناصر » أن الجمهورية العربية المتحدة ترفض منطق الضم بين البلدان العربية . وهى إذ توافق على مبدأ الوحدة ، فإنها ترى أن الشرط الأساسى لتحقيقها هو شرعية صدورها عن إرادة شعبية لا شك فيها . وأما منطق الضم والغزو ، فليس أمام كل المؤمنين بالوحدة إلا مقاومته ، ولو بالقوة عند الاقتضاء .**

وأعلن « عبد الكريم قاسم » فرض حصار على الكويت يشمل المياه والمواد الغذائية أيضا . ووجد العالم العربى نفسه فى مواجهة أزمة تضاف إلى أزماته ، خصوصا وأن « عبد الكريم قاسم » أبلغ « عبد الخالق حسونة » (باشا) الأمين العام لجامعة الدول العربية بأن حكومته سوف تنسحب من الجامعة إذا قبلت الكويت عضوا فيها .

وبدأت رسائل الملك « سعود » تتوالى . ففى يوم ٢٧ يونيو ١٩٦١ بعث إلى « جمال عبد الناصر » بخطاب جاء فيه : « **إننا نعتمد عليكم فى رتق هذا الفتق الذى لا يستفيد منه إلا أعداء العرب راجيا أن تروا رأيكم السديد الذى يحول دون هذا الأذى** » .

وبينما القاهرة تعلن استعدادها لارسال قوات إلى الكويت للحفاظ على استقلاله ، قامت إسرائيل بحشد قواتها على حدود سوريا . وفى يوم ٢٩ يونيو ١٩٦١ بعث الملك « سعود » إلى « جمال عبد الناصر » يقول له : « **علمنا اليوم نبأ الحشود الصهيونية التى تجمعت على خطوط الهدنة فى الاقليم الشمالى ، وتتبعنا هذه الأنباء ببالغ القلق والاهتمام ، ونرجو التفضل بإخبارنا بالطريقة التى ترونها بحقيقة الحال ، وهل تقدرون أن هذه الحوادث مقدمة لأعمال واسعة النطاق من جانب العدو حتى نتخذ للأمر عدته** » .

وفى ٣٠ يونيو ١٩٦١ بعث الملك « سعود » برسالة مطولة إلى « جمال عبد الناصر » أشار فيها إلى التوتر أمام الخطوط السورية ، وإلى أزمة الكويت ، ثم

أضاف فى نهايتها : « **ونحن كما تعلمون فخامتكم نتشاور وإياكم دواما فى مثل هذه الظروف . ومن اجل هذه الغاية راينا ان نوفد إلى فخامتكم وزير خارجيتنا ابراهيم السويل ليطلعكم على آرائنا ، وليقف على ما يكون لكم من رأى فى الموقف على خطوط الهدنة فى الاقليم الشمالى ، وفى الوضع بالنسبة للخطر الذى يتعرض له الكويت من تهديدات يثيرها اللواء عبد الكريم قاسم .**

والله نسأل ان يجنب العرب شر أنفسهم ، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل » .

وفى ٢ أغسطس ١٩٦١ بعث الملك « سعود » برسالة إلى « جمال عبد الناصر » يحيطه فيها علما بلقاء له تم مع الملك « حسين » فى الرياض قبلها بأيام . وجاء فى رسالة الملك « سعود » بالنص :[١٨]

« اريد ان احيط فخامتكم علما بالمحادثات التى دارت بيننا وبين الملك حسين فى زيارته الأخيرة فى المملكة ، وهى كما يلى :

□ اولا ـ ابدى الرغبة فى التحدث إلينا تأييدا للاخاء والصداقة وتوحيدا للجهود .

□ ثانيا ـ أشار إلى انه يراد من لجنة الخبراء[١٩] لفلسطين اتخاذ مواقف تساعد على فصل الضفة الغربية عن الأردن .

□ ثالثا ـ ابدى ملاحظاته على بعض ما ورد فى مقررات القيادة العسكرية (للجامعة العربية) .

□ رابعا ـ تكلم عن موضوع الكويت فقال إنه كان من أول المعترفين بالكويت ، وارسل وفدا للتهنئة ، وأن ما قام به عبد الكريم قاسم كان مفاجئا له . وانه مع اعترافه بالكويت واستقلاله وتهنئته له لم يشأ ان يقف موقفا قاسيا من عبد الكريم قاسم حتى لا يزيد من استفزازه وخشى من عاقبة من ورائه ، وانه عمل على الاتصال به لعله يجد طريقا معه لتوحيد الصف العربى ، كما انه سعى لديه لعقد اجتماع على مستوى عال لبحث القضية ، فابدى عبد الكريم قاسم أنه لا فائدة من هذا الاجتماع فى الوقت الذى تقف فيه الدول العربية موقفها المعارض للعراق ، وانه

---

(١٨) النص الكامل لرسالة الملك « سعود » موجود لدى ارشيف وزارة الخارجية ، فقد جرى تبادل هذه الرسائل جميعها بالطريق الدبلوماسى .

(١٩) لجنة الخبراء لفلسطين كانت لجنة منبثقة عن الجامعة العربية ، وكانت تحاول التقدم بتوصيات عن اهمية وجود كيان فلسطينى يمثل الشعب الفلسطينى مع التسليم بان الضفة الغربية وديعة تحت مسؤولية السيادة الهاشمية الأردنية إلى حين حل مشكلة فلسطين برمتها .

مصر على المطالبة بالكويت . وذكر الملك حسين بان دخول الكويت للجامعة العربية ، وحتى وجود قوات عربية تحل محل القوات البريطانية فيه لا يمكن أن يحل المشكلة ، ولابد من إيجاد تفكير فى وضع حل يكون العراق طرفا فيه حتى يمكن ان يحل الأمر بشكل يطمان له . وتساءل عما إذا كان بالإمكان عمل اتحاد بين الكويت وبعض الدول العربية ليساعد فى الأمر ، كما أشار بصورة خاصة إلى عتابه على الكويت لأن الأردن لا يحظى من الكويت بمعاونة وهو فى خط الدفاع عن الأمة العربية ، بينما الملايين من أموال الكويت مودعة فى خزائن البنوك البريطانية .

وقد اجبناه بان موقف قاسم كان موقفا مفاجئا لنا أيضا ، ولم يسعنى عند أول لحظة سمعته إلا أن أبادر بربط مصيرنا بمصير الكويت نظرا للعهد الذى بيننا وبين الكويت من الآباء والأجداد . وكذلك العهد بينى وبين الأخ الشيخ عبد الله السالم . »

وقد أشر « جمال عبد الناصر » بخطه على الرسالة قائلا : « **يرد عليه بالشكر على إخطارنا ، ويبلغ عن موقفنا من فلسطين والكيان الفلسطينى ، وأننا لا يمكن أن نستهدف فصل الضفة الغربية** » .

□□□

كان الملك « حسين » بدوره قد بدأ وكثف رسائله إلى القاهرة . ففى يوم ٢٣ فبراير ١٩٦١ وكان يوافق يوم الثامن من رمضان ١٣٨٠ هـ . بدا أن الملك « حسين » قرر فتح صفحة جديدة مع « جمال عبد الناصر » فبعث إليه دون أية مقدمات بخطاب شخصى طويل بدأه بقوله : « **نبعث لسيادتكم بأطيب تحياتنا وأصدق تمنياتنا ، ونحن نتفيأ ظلال شهر رمضان المبارك الذى أنزل فيه القرآن الكريم** » . ثم مضى الملك « حسين » يقول : « **وتحت تأثير هذه الذكرى المقدسة ، وما تحييه فى القلوب المؤمنة من معان زاخرة بالخير والأمل والتصميم نكتب لسيادتكم** » . ثم مضى الملك « حسين » يقول : « **ويهمنى يا سيادة الأخ أن تدركوا حقيقة الأسباب التى حدت بنا لكى نكتب إليكم ، وتتفهموا الروح الصادقة التى أملتها ، فنحن يعلم الله كنا وما زلنا قادرين على مقابلة الخير بالخير ، والمعروف بالمعروف كقدرتنا إلى دفع الشر إذا فرض علينا بمثله . وقد أعزنا الله فى هذه الحياة بالجرأة فى الحق ، وفى الدفاع عن أمتنا ، وفى أداء واجبنا نحوها** » . ثم مضى يقول : « **ونحن وإن كنا فى هذه الرسالة ننظر بعين الأمل إلى المستقبل المرتجى لا يفوتنا أن نؤكد حقيقة إيماننا بأن الشعب العربى والأمة العربية ما كانا ، ولن يكونا فى يوم من الأيام ملكا للحسين بن طلال ، أو لجمال عبد الناصر** » . ثم طالت رسالة الملك بعد ذلك عدة صفحات .

كان « جمال عبد الناصر » مرتاحا إلى مبادرة الملك ، وقد رد على رسالته يوم ١٣ مارس ١٩٦١ . وعاد الملك يوم ٢ أبريل فكتب إلى « جمال عبد الناصر » يقول ما نصه : « **تلقيت بعميق الشكر والتقدير رسالة سيادتكم المؤرخة بتاريخ ١٣ ادار (مارس) ١٩٦١ . ويقينا يا سادة الأخ أن ورودها ، وما فاضت به من مشاعر اخوية ، وما تضمنته من تجاوب خير مع رغبتنا الصادقة فى لقاء أشقائنا على صعيد المحبة بدل الجفاء ، والخير بدل الشر ، والثقة بدل الشك ، كل ذلك قد غمرنى بالسعادة والأمل** » . ثم طالت رسالة الملك بعد ذلك إلى عشر صفحات ، واضاف إليها بخط يده قبل توقيعها بإمضائه كلمة « **أخوكم الوفى المخلص** » ثم وقع بإمضائه : **الحسين بن طلال** .

ولاحظ « جمال عبد الناصر » أن رسالة الملك المستفيضة تعرضت لكثير من احداث الماضى ، ومع أنه كان مرتاحا إليها أيضا نفس ارتياحه إلى الرسالة الأولى ، فقد فضل أن يكون رده عليها مختصرا . وشرح وجهة نظره فى اختصار رده بقوله بالنص : « **لست أخفى على جلالتكم أننى خشيت أن يبدو تبادل الرسائل بيننا وكأنه مساجلة فى الآراء والمواقف ، وهو الأمر الذى أشعر أنه يقلل من الفائدة الايجابية البناءة لهذه الرسائل . وفى الحقيقة فإننى كنت قد اعتبرت أن دائرة التبادل الفكرى بيننا قد تمت ، ونقلت إلى كل منا لمحات من الدوافع المحركة لسياسة الآخر واتجاهاتها . ولم أكن أنوى أن أثقل عليكم برسالة جديدة . ولكنى عندما أحسست سواء عن طريق ما نقلته إلينا سفارتنا فى عمان ، أو عن طريق تصريحات بعض المسؤولين فى حكومتكم ـ أنكم تنتظرون ردا سريعا جديدا منى ـ بادرت فاستدعيت القائم بأعمال سفارتنا فى عمان لمقابلتى كى يحمل لجلالتكم هذا الرد** » . ثم أضاف « جمال عبد الناصر » قائلا : « **ثم يبقى أخيرا يا صاحب الجلالة ما أشرتم إليه فى ختام رسالتكم الأخيرة من رغبتكم فى الاجتماع بى ـ وإنى لأرحب كل الترحيب بالمشاعر الكريمة التى تملى عليكم هذه الرغبة ، مؤمنا أن هذا الاجتماع سوف يسهم فى خدمة الأمة التى نؤمن بشرف العمل من أجلها ، ونؤمن أن لها المستقبل العزيز** » .

□□□

وفى صيف سنة ١٩٦١ أيضا تجددت بطريقة أعنف حملة الاتحاد السوفيتى والاحزاب الشيوعية العربية ضد الجمهورية العربية المتحدة . ووصلت هذه الحملة إلى مداها عندما وقف « خروشوف » فى أحد خطاباته ضمن احتفالات أول مايو فتحدث عن ان **الشيوعيين العرب ، وهم المناضلون الحقيقيون من أجل الاستقلال السياسى والاجتماعى يوضعون فى السجون والمعتقلات فى الجمهورية العربية**

المتحدة ، وأن هذا يعنى ببساطة أن البورجوازية المصرية الحاكمة معادية للتطور الطبيعى للتاريخ .

وبدأت جريدة « برافدا » الناطقة الرسمية بلسان الحزب الشيوعى السوفيتى تنشر تفاصيل هذه الفظائع التى قالت إنها جرت فى سجون الجمهورية العربية المتحدة . فقد نشرت « برافدا » أن زعيما شيوعيا شهيرا هو السيد « فرج الله الحلو » قد قتل بواسطة وضعه على « خوازيق » فى سجن المزة فى دمشق . وبعث « جمال عبد الناصر » ببرقية إلى « عبد الحميد السراج » يسأل فيها عن الموضوع ، وكانت المفاجأة أن « عبد الحميد السراج » بعث من دمشق يقول إن الموضوع من أوله إلى آخره ملفق لأن « فرج الله الحلو » توفى فى بيروت قبل سنتين من قيام الوحدة ، وأن نعيا مستفيضا له نشر فى جريدة الحزب الشيوعى اللبنانى ، كما أن بيانا رسميا من الحزب عن وفاته صدر عن أمانة سر الحزب الشيوعى اللبنانى فى حينه . فكيف يأتى ذلك مع ما جاء فى جريدة « برافدا » يوم ٩ مايو ١٩٦١ ؟

ولم تسكت « برافدا » وإنما انتظرت يومين لتعلن أن زعيما شيوعيا آخر هو السيد « رياض الترك » قتل فى سجون الجمهورية العربية المتحدة . وكانت المفاجأة أن صحف لبنان نشرت صورا ، وأجرت أحاديث مع « رياض الترك » ظهر منها أنه ما زال حيا يرزق ، وما زال يمارس نشاطه فى بيروت . ونشرت الصحف المصرية نقلا عن الصحف اللبنانية صورا وأحاديث مع السيد « رياض الترك » ، ومع ذلك فإن الحملة لم تتوقف رغم أن نائب وزير الخارجية المصرى استدعى السفير السوفيتى فى القاهرة ، ولفت نظره إلى هذا التورط الذى وقعت فيه « برافدا » ووقعت فيه بعدها إذاعة موسكو.(٢٠)

□

ولقد بلغت دهشة « جمال عبد الناصر » من الاتحاد السوفيتى ، ومن الأحزاب الشيوعية العربية ذروتها فى شهر يوليو سنة ١٩٦١ ، ومن الموقف الذى اتخذوه جميعا إزاء صدور قرارات يوليو الاشتراكية الشهيرة فى الجمهورية العربية المتحدة . فقد كان موقفهم آخر موقف يتوقعه .

كانت قرارات يوليو فى رأيه خطوة بالغة الأهمية فى التطور الاقتصادى والاجتماعى فى الجمهورية العربية المتحدة . فقد كانت هذه القرارات فى

(٢٠) كان الرئيس « جمال عبد الناصر » يعرف اننى على علاقة صداقة مع « ساتياكوف » رئيس تحرير « برافدا » . وقد اتصل بى يومها ، وسالنى إذا كان « الاهرام » يستطيع ان يبعث بالراديو صورة لـ « رياض الترك » إلى جريدة « برافدا » ، وفعلت ذلك على الفور ، ولم اتلق ردا من « ساتياكوف » ، وكانت هذه هى المرة الوحيدة فى علاقاتنا التى امتنع فيها عن الرد على رسالة وجهتها إليه .

تقديره تعديلا اساسيا فى موازين العلاقات الاجتماعية ، كما انها كانت بداية لمرحلة جديدة فى التنمية ، فضلا عن انها بما أكدته من حقوق التأمينات الشاملة ، ومشاركة العمال فى إدارة المنشآت وفى أرباحها جاءت بوضع جديد من الديمقراطية الاجتماعية اعتبر نموذجا فى العالم الثالث كله . وإلى جانب هذا ، فإن هذه القرارات أضافت فكرتين وجد فيهما « جمال عبد الناصر » حلا لمشكلة الطبقة الجديدة التى بدأت تظهر بعد الثورة . ففكرة منصب واحد للرجل الواحد قضت على تطلع كثيرين إلى مناصب كثيرة ـ ومصادر للدخل متعددة ـ فى نفس الوقت ، كما أن وضع حد أعلى للمرتبات تحدد بخمسة آلاف جنيه سنويا خلق نوعا من العدل بين الحدود الدنيا والحدود العليا للدخول .

ومع ذلك فإن الأحزاب الشيوعية العربية راحت تهاجم هذه القرارات فى صحفها ومنشوراتها ، وانتقلت حملة الهجوم بعد ذلك إلى صحف وإذاعات الاتحاد السوفيتى ، **وكان مجمل رأى الشيوعيين أن القرارات الاشتراكية هى لصالح الطبقة المتوسطة ، ثم أنها تكرس رأسمالية الدولة ، كما أنها لا تحقق سيطرة البروليتاريا على وسائل الانتاج ، وأخيرا فإن إجراءاتها كانت تقصد إلى تخفيف الضغط عن الطبقات المستغلة ، وليس لتصفية هذه الطبقات !**

وربما كانت أهم الوثائق فى هذه الفترة تعليق مطول كتبه « جمال عبد الناصر » بخط يده لكى يذاع ردا على حملة الهجوم التى شنها الشيوعيون على قرارات يوليو الاشتراكية . فهو فى هذا التعليق المطول ، وضمن رده شرح فى واقع الأمر رؤيته الكاملة لحركة الثورة العربية فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والانسانية ، كما كان يتصورها(٢١) .

(٢١) نظرا لاهمية هذا الرد كوثيقة ، ولانها مكتوبة بخط يد « جمال عبد الناصر » فقد وجدت مناسبا نشر فقرات مطولة منها فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٣٤ صفحة ٩٠٢ . وكان الرئيس « جمال عبد الناصر » قد بعث إلىّ بصورة منها قبل إذاعتها ، وطلب رايى فيها . وبالطبع فقد احتفظت بهذه الصورة ضمن مجموعة اوراقى

الانقلاب والانقلاب على الانقلاب

١

فجر يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ استيقظ « جمال عبد الناصر » على أكبر صدمة وجهت إلى الحركة الثورية العربية منذ بدأت مسيرتها منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى تلك اللحظة . فقد دق جرس التليفون بجوار فراشه فى الساعة الخامسة وعشر دقائق ، وجرى إبلاغه بأن هناك حركة انقلابية قامت بها عناصر من الجيش السورى فى دمشق ، وأن إذاعة دمشق قد سقطت بالفعل فى يد الانقلابيين ، وأنهم أعلنوا منها البيان رقم واحد . وارتدى « جمال عبد الناصر » ملابسه بسرعة ، ونزل إلى مكتبه ليواجه يوما صعبا وحافلا . واكتشف بعد قليل أن مكتبه ليس هو المكان الذى يستطيع منه متابعة الحوادث دقيقة بدقيقة ويتصرف بما تقتضيه تطوراتها . واهتدى إلى أن المكان المناسب لهذه المهمة فى هذا اليوم الشاق هو مبنى إذاعة القاهرة الذى يستطيع منه أن يتابع إذاعة دمشق ، وأن يكون فى نفس الوقت على صلة بكل أجهزة الدولة المكافة بمتابعة التطورات أيضا .

والحقيقة أن « جمال عبد الناصر » لم يكن ينبغى له أن يفاجأ بما وقع فى دمشق ، فقد كانت الآفاق حافلة بالنذر توحى كلها وتشير إلى أن شيئا ما يرتب ضد العاصمة الشمالية للجمهورية العربية المتحدة ، وأن القوى

المعادية للثورة العربية داخل المنطقة وخارجها قد ركزت جهودها على عاصمة الأمويين العتيدة . ولكنه مهما قيل عن ضراوة المؤامرات من الخارج فإن أى مؤامرة من الخارج لا يمكن أن يكتب لها النجاح إلا إذا اعتمدت على عوامل داخلية يمكن استغلالها سلاحا لتوجيه ضربة المؤامرة . وربما كان ممكنا إيجاد أعذار لـ « جمال عبد الناصر » من وجهة نظر انسانية وعاطفية ، ولكنه من وجهة نظر سياسية وتاريخية يتحمل نصيبه من أخطاء شارك فيها كثيرون .

وربما كانت أبرز أخطاء « جمال عبد الناصر » فى مسؤولية الانفصال الذى وقع ... مصر وسوريا فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ـ هى :

١ ـ أنه وقع فى خطأ الاعتماد على مسلمات قديمة سابقة تكونت لديه فى مراحل متقدمة ، ولم يعد إلى مراجعتها ما بين وقت وآخر لكى يتأكد من استمرار صحتها وصدقها .

٢ ـ أنه قبل بتجربة الوحدة مع سوريا من نفس الأوضاع التى كانت قائمة فى سوريا عند إعلان الوحدة . وهكذا فإن التناقضات التى ساعدت على إنهاء الوجود المستقل للدولة السورية ظلت هى نفس العوامل المهددة لدولة الوحدة بعد قيامها ـ فمجموعات الضباط والأحزاب السياسية التى عجزت عن استبقاء الدولة السورية حتى تتهيأ الظروف الموضوعية للوحدة ـ بقيت هى نفسها بكل تناقضاتها هى العناصر الحاكمة فى دمشق بعد دولة الوحدة . ولم يكن مجرد قيام الجمهورية العربية المتحدة قادرا بالفعل أو بالواقع على فتح صفحة جديدة فى التاريخ . وإنما ظلت الصفحة التى فتحت بعد الوحدة اتصالا منطقيا بالسياق الطبيعى مع الصفحة التى سبقتها .

٣ ـ أن التفكير والعمل وفق مدرسة « ليدل هارت » (أى الاختراق والتقدم وتطويق الجيوب فى المؤخرة ـ وهو الأسلوب الذى اتبعه « جمال عبد الناصر » فى كثير من المواقف) كان لابد أن يعقبه تطهير لهذه الجيوب التى تركت فى الخلف خصوصا إذا كانت هذه الجيوب واقعة بالجغرافيا بعيدا عن المركز ـ وكان هذا ما لم يحدث بالضبط فى تجربة الوحدة . فقد تقدم بسرعة ، واخترق وطوق وترك جيوبا كبيرة لما بعد ، ولم يعد إليها لكى يعالج خطرها ، وإنما راح يواصل تقدمه وهى فى مؤخرة خطوطه تؤدى دورها ، وتؤثر بالتاكيد على حركته .

٤ ـ أن واحدة من أهم المشاكل التى واجهها فى سوريا ، وإلى حد كبير فى مصر هى مشكلة أى نظام يسمح لآماله أن تتعدى وسائله . وبهذا فإنه يجد نفسه معتمدا فى دفع التطور على أجهزة الدولة ، فإذا هى تقوم بدور لم تتهيأ له ، وقد حدث شىء من ذلك فى سوريا ، وتصرف عدد من الضباط المصريين الذين أحاطوا بالمشير « عبد الحكيم عامر » وبقيادته فى دمشق فى قضايا لم يتهيأوا لها .

٥ ـ أن « جمال عبد الناصر » وقع فى محظور يقع فيه كثيرون غيره من الثوريين إذ يعتمدون على الجماهير بطريقة تكاد تكون غيبية ، ناسين أن الجماهير مهما كانت حماستها لا تستطيع أن تفعل شيئا أمام قوة السلاح . كما أن هناك فترات فى تاريخ الشعوب يحدث فيها أن تتمكن قلة من المغامرين من أن تجر وراءها كتلا من الغافلين .

٦ ـ أن « جمال عبد الناصر » أحب سوريا على وجه اليقين ، لكنه لم يستطع النفاذ إلى قلب تركيبتها الخاصة ، ومن ثم فإنه وإن وصل إلى عواطفها لم يتمكن من التخاطب مع عقلها ، وربما قاس فى دمشق بمعيار ما كان يعرفه فى القاهرة . ولم تكن أداة القياس صالحة للحالتين ، وربما أيضا أن حركة المدن وجماهيرها أخفت عنه حركة الصحراء وقبائلها وعشائرها .

□

كان هناك آخرون شاركوا بنصيب أكبر فى التمهيد لما وقع ، وفى التمكين له . ولعل أبرز الظواهر التى يمكن رصدها فى هذا الصدد :

١ ـ إن مجموعة القادة العسكريين فى الجيش السورى قبل الوحدة ظلوا على ارتباطهم السابق بأحلامهم الشخصية ، وبارتباطاتهم الحزبية والاجتماعية . والغريب أن بعضهم كان ينتمى إلى حركات وسياسات شاركت فى التآمر على سوريا . فقد كان بينهم على سبيل المثال عدد من أنصار « أديب الشيشكلى » وممن وردت أسماؤهم صراحة فى مؤامرة « الدندشى » التى تمت باشتراك بغداد وأنقرة تحت رعاية وتوجيه المخابرات المركزية الأمريكية [1] . وقد أصبح من هؤلاء وزراء فى أول حكومة تشكلت لدولة الوحدة .

٢ ـ إن حزب البعث السورى اعتبر نفسه شريكا أساسيا فى إقامة الوحدة . ومن ناحية نظرية ، فقد كان ذلك صحيحا ، وأما من الناحية العملية ، فإن الظروف التى تمت فيها الوحدة كانت فى واقع الأمر إعلانا صريحا بأن حزب البعث السورى لم يكن له القدرة على توجيه دفة الأمور فى سوريا .

٣ ـ وترتب على ذلك أن كثيرين من الضباط ، ومن الأحزاب والتجمعات السياسية أعطوا لأنفسهم حقوقا ، أو انتظروا لذواتهم آمالا فى إطار دولة الوحدة ـ لم يكن هناك ما يبررها . ولقد أحس هؤلاء جميعا بعد قيام دولة الوحدة أنهم فى حقيقة الأمر فقدوا نفوذهم القديم فى سوريا ، ولم يستبدلوه بشىء فى الجمهورية العربية المتحدة .

٤ ـ إن الضغوط والمؤامرات التى أحاطت بسوريا فى الفترة الحرجة من سنة ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ خلقت إحساسا حادا بضرورات الأمن . ومن نتيجة ذلك أن اجهزة الأمن بما فيها جهاز المباحث والمكتب الثانى زادت من نفوذها ومن سيطرتها ، وكان ذلك بدعوى المحافظة على سوريا . ولكن عمل هذه الأجهزة ودورها لم يتوقف ، ولم يلائم نفسه للظروف الجديدة بعد قيام دولة الوحدة .

٥ ـ إن انتقال مركز الحكم إلى القاهرة خلق حالة من الفراغ فى دمشق ، ولم تكن دمشق معتادة على هذا الفراغ فضلا عن انه أصبح الآن ممتلئا بأصداء ما يحدث فى القاهرة ، وفى معظم الأحيان فإنه كان يصل مشوها ومشوشا .

٦ ـ إلى جانب ذلك ، فقد كانت الجماهير فى حالة فوران خلال قيام دولة الوحدة . ولم يكن كافيا أن تكون الاستجابة لهذا الفوران بعمليات البناء الاقتصادى أو التحول الاشتراكى وحدها . وكانت الجماهير فى سوريا تعيش وتنام بالسياسة ، وفجأة ساد نوع من الملل والرتابة ، وعلى نحو ما فإن العنصر الوحيد الذى حافظ على حركة فورانه بين القطرين أصبح زعامة « جمال عبد الناصر » . ولم يكن ذلك كافيا لأنه ليس بمقدور رجل واحد ان يكون جسرا وحيدا يربط ما بين بؤرتى حركة طموحة على هذا النحو ، خصوصا إذا كان التاريخ يقرب والجغرافيا تباعد .

□

وبدات المتاعب منذ وقت مبكر ، ولعلها بدات فى اليوم التالى لقيام الوحدة . فقد وضح أولا ان هناك خلافات كبيرة بين حزب البعث السورى ومجموعة الضباط المنتمين إليه ، وبين السيد « عبد الحميد السراج » وكتل من الضباط متشيعة له . ولم يكن « جمال عبد الناصر » الذى لا يعرف ما فيه الكفاية عن أوضاع سوريا الداخلية قادرا على ترجيح أحد الاتجاهين فى الخلاف ، ووجد نفسه مضطرا إلى محاولة التوفيق بين اتجاهين متناقضين .

(١) رجاء مراجعة التفاصيل فى صفحة ٢٣٨ من هذا الكتاب .

وزاد على ذلك أن كل بقايا القوى السياسية السورية كانت على خلاف مع حزب البعث ، كما أن الجيش السورى كان يحتوى على أكثر من كتلة غير كتلة البعث وكتلة « السراج » . وهكذا فإن الوضع الداخلى فى سوريا بعد الوحدة كان فى أعماقه يمثل هشاشة وضعه قبل الوحدة ، وكل ما زاد عليه هو قشرة صلبة خارجية يصنعها القبول العام لزعامة « عبد الناصر » وشخصيته القوية .

وفى هذا المناخ وجدت القوى المعادية لحركة الثورة العربية وللجمهورية العربية المتحدة فرصتها للعمل ، وهكذا جرت اتصالات ورتبت تحركات ، ودفعت أموال ، وجهزت خطط تتحين جميعها فرصة الانقضاض ، عارفة أن تداعى الأمور سوف يعطيها فى أى وقت فرصة ملائمة لضربة تأمل أن تكون قاضية .

□

وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٩ أحس « جمال عبد الناصر » بشكل واضح أن التناقضات الداخلية السورية توشك أن تعكس نفسها على الأمن القومى للجمهورية العربية المتحدة . وتجلى ذلك بوضوح فى أثناء مناقشة للحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة لمشكلة قيام إسرائيل بتحويل مياه نهر الأردن .

كانت عملية قيام إسرائيل بتحويل مياه الأردن جارية منذ أوائل الخمسينات ، ومن قبل قيام دولة الوحدة بكثير . وكانت الولايات المتحدة فى محاولاتها لتحقيق صلح بين العرب وإسرائيل على أساس التعاون على الأرض فى المصالح المشتركة بين الأطراف فى الشرق الأوسط ، قد اقترحت مشروعا لتقسيم مياه الأردن بين العرب وإسرائيل ، يذهب بين ما يذهب إليه إلى إقامة هيئة عليا مشتركة بين العرب وإسرائيل للتعاون فى اقتسام مياه الأردن . ورفض العرب وبينهم مصر هذا المشروع الذى تقدم به « اريك جونسون » المبعوث الخاص للرئيس « إيزنهاور » . وعلى الفور بدأت إسرائيل فى تنفيذ مشروعها الخاص للاستفادة من مياه الأردن . وكانت المشروعات الإسرائيلية لاستغلال مياه نهر الأردن قد أوشكت على الانتهاء قبل قيام الوحدة . ولم يكن باقيا من أعمالها إلا أجزاء قليلة تجرى كلها بقرب المنطقة المجردة من السلاح على الناحية الإسرائيلية من خطوط الهدنة .

وفى أثناء مناقشة المشكلة فى اجتماع للحكومة المركزية يوم الثلاثاء أول ديسمبر ١٩٥٩ ـ بدأ عدد من أعضاء الوزارة من الطرف السورى يطالبون بمنع إسرائيل بالقوة المسلحة من تنفيذ المرحلة الأخيرة من تحويل مياه الأردن . وكان رأى « جمال عبد الناصر » **أن الوقت الراهن ليس مناسبا للعمل العسكرى ، وأنه ربما كان الأجدى أن تسارع الجمهورية العربية المتحدة من الناحية العربية إلى إقامة**

مشروعات على نهر الأردن تستفيد من مياهه قبل ان تصل هذه المياه إلى المشروعات الإسرائيلية . كان ذلك فى رأيه يحقق هدفين فى نفس الوقت : تجنب الهجوم المسلح على إسرائيل لوقف مشروعاتها ، وفى نفس الوقت إلغاء أى قيمة لهذه المشروعات لأن العرب سوف يحصلون على المياه قبل وصولها إلى الإسرائيليين . فإذا أرادت إسرائيل أن تبادر هى إلى الهجوم كان العرب أمام حرب دفاعية يستطيعون الصمود فيها ، ثم إن العالم كله سوف يرى وجهة نظرهم ويقف معهم إزاء عدوان واقع على أراضيهم بينما هم يمارسون حقهم المشروع فى الدفاع عن النفس .

واحتدمت مناقشات ، وكان رأى السيد « أكرم الحورانى » : « أرى منع إسرائيل من تنفيذ مشروعها بالقوة . مع إثارة القضية فى مجلس الأمن على أنها قضية تهدد الأمن والسلام فى الشرق الأوسط . مع توضيح موقفنا أمام الرأى العام العربى »[٢] . ورد عليه الرئيس « جمال عبد الناصر » بقوله : « إن المشروع الإسرائيلى الذى ينفذ اليوم يقع جنوب المنطقة المجردة داخل إسرائيل ، وهذا يحرمنا من المبرر القانونى للحرب ، فقد كنا دائما نقول إنه لا يحق لهم دخول المنطقة المجردة بمقتضى اتفاقية الهدنة » . ورد السيد « أكرم الحورانى » قائلا : « المبرر أن لنا حق فى هذا النهر ، ولا يمكن أن تأخذ إسرائيل هذه المياه منفردة ، وتحرم الدول المعنية منها وهى لبنان وسوريا والأردن ، والعملية عبارة عن سرقة واغتصاب »[٣] . وسأله « جمال عبد الناصر » : . وما هو تطور الحرب كما تتصور ؟ » ورد السيد « أكرم الحورانى » قائلا : . عندما نقف فى وجههم ، فإن مجلس الأمن لن يسمح بقيام حرب فى الشرق الاوسط فنعود إلى المفاوضة ونأخذ حقنا ولا نترك إسرائيل تغتصبه لأن هذه كارثة »[٤] . وعلق « جمال عبد الناصر » بقوله : « قبل الكلام عن الحرب يجب ان نكون متأكدين أننا يمكن أن نكسب المعركة العسكرية ، إن الحرب كما نعلم جميعا هى استكمال السياسة بالطرق العسكرية ، ولكى ندخل الحرب يجب الا ندخل حربا خاسرة . ولهذا فإنى اقترحت مشروعا عربيا لاستغلال مياه الاردن حتى نعطى أنفسنا الفرصة للاستعداد » .

وتدخل السيد « صلاح البيطار » فى المناقشة ، فقال : « نستطيع أن نثير الموضوع الآن فى الأمم المتحدة ، وعندما نقول إننا سنستخدم القوة ، فإننا لن

---

(٢) محضر الاجتماع الخامس عشر للحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة المنعقد يوم الثلاثاء اول ديسمبر ١٩٥٩ ـ صفحة ١٩ .

(٣) المحضر السابق ـ صفحة ٢١

(٤) المحضر السابق ـ صفحة ٢٢

نستخدمها بالفعل ، ولكنها سبيل أن تتدخل الدول ويتحرك الراى العام ، ولكن لا يجوز السكوت على هذا الوضع لأن إسرائيل ستخلق بين الحين والآخر مشاكل جديدة وسيكون موقفنا فيها ضعيفا . وأنا أرى أننا مضطرون لإحداث أزمة حتى يقف الرأى العام العالمى بجانبنا فى قضية فلسطين ، أما إذا انتظرنا لحين تنفيذ إسرائيل لمشروعاتها ، فسوف نعتبر بعد ذلك معتدين أمام العالم . ولن تقبل الدول قيام حالة من الحرب بيننا وبين إسرائيل قد تؤدى إلى حرب عالمية . ذلك لأن العالم كله يتجه فى الوقت الحاضر إلى مشروعات التنمية ، ولا يرغب فى إشعال نار الحرب »(٥) .

وفى الجلسة التالية للحكومة المركزية ، وقد عقدت يوم السبت ٥ ديسمبر ١٩٥٩ تقدمت لجنة فرعية شكلت لبحث الموضوع بتقرير تضمن اقتراحا « **بالقيام بأعمال « شبه عسكرية » ، بمعنى أن نحول دون إتمام هذا المشروع بقدر المستطاع ، فنضعهم باستمرار تحت حالة من عدم الاستقرار بالنسبة للجزء الذى لم يتم تنفيذه بعد »**(٦) . **وتساءل « جمال عبد الناصر » فى بداية المناقشة قائلا : « ليست هناك عمليات بالقوة المسلحة يمكن تسميتها عمليات شبه عسكرية ، لأن كل فعل سوف يقابله عمليات انتقام ، وتتصاعد العمليات وتتطور » . وقال السيد « أمين النفورى » (وزير المواصلات) : « يجب أن تشعر إسرائيل والدول التى تستخدم إسرائيل أننا مستعدون للقتال ، وأعتقد أن لدينا من القوة ما يكفى للحيلولة دون أية مفاجآت ، أو أية عمليات انتقامية** . يضاف إلى ذلك تسليح قطاع غزة واللاجئين ، ولا مانع من رفع قسم من قوة الطوارىء الدولية حتى تشعر إسرائيل بتصميمنا على القتال . وأعتقد أنه بواسطة الاستعدادات الموجودة حاليا من الناحيتين العسكرية والمعنوية سيكون المجال واسعا أمام الجمهورية العربية فى وقوفها أمام إسرائيل . فيجب أن نجعل إسرائيل فى موقف الدفاع ، ونشعرها بأننا مصممون على منع هذا التحويل بكل قوة ، ولا نخشى أية تطورات منها بل العكس يجب أن تكون طريقتنا عدم جعل إسرائيل تشعر بالاستقرار حتى نجعل بقية اليهود الموجودين فى أوروبا فى موضع شك من استقرار هذه الدولة . والأسلحة الحالية العسكرية والبشرية تمكننا من محاربة إسرائيل ، ومن هو وراء إسرائيل »(٧) .

وسأله « جمال عبد الناصر » : « من هم الذين تقصدهم بعبارة الذين وراء إسرائيل ؟ » ورد السيد « النفورى » : « أقصد إنجلترا وفرنسا » . وقال « جمال عبد الناصر » : « لا أظن أن إنجلترا سوف تجازف بالدخول ضدنا عسكريا فى حرب

(٥) المحضر السابق ـ صفحة ٣٤ و ٣٥ .

(٦) محضر الاجتماع السادس عشر للحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة المنعقد يوم ٥ ديسمبر ١٩٥٩ ـ صفحة ٧ .

(٧) المحضر السابق ـ صفحة ١١ .

مسلحة ، ولكن فرنسا يمكن أن تجازف بسبب تأييدنا للثورة الجزائرية » . ورد السيد « أمين النفورى » قائلا : « إن فرنسا لا تستطيع أن تجازف ضدنا ومع إسرائيل بأكثر من تسعين طائرة . ولاشك اننا يمكن أن نقف ضد فرنسا أو غيرها من ناحية الطيران . ولا يمكن أن تصمد ٩٠ طائرة فرنسية أكثر من يومين » . ورد « جمال عبد الناصر » بقوله : « إننى لا أستطيع أن آخذ حسابات الطيران بهذه البساطة ، فالطيران سوف يلعب الدور الحاسم فى أى معركة مقبلة . إن من يملك التفوق الجوى يكون قد كسب المعركة تقريبا »(٨) .

وطالت المناقشات فى موضوع العمل العسكرى ، وتدخل « جمال عبد الناصر » فى النهاية لحسم المناقشة ، وقال : « **لابد أن أقول لكم رأيى بكل صراحة ، ورأيى انه كلما تأخرت المعركة كلما كان ذلك أفضل لنا . لابد قبل المعركة أن تتوفر لدينا كفاية ذاتية من السلاح . ونحن الآن نصنع العربات المدرعة ، وقد بدأنا فى إنتاج محركات الدبابات . وبالنسبة للطائرات ، فإن أمامنا عدة سنوات لكى نستطيع إنتاج الطائرات المقاتلة بمحركات ، كذلك سنبدأ فى انتاج المدافع المضادة للطائرات وغيرها . وهدفنا ألا يكون اعتمادنا على أحد فى اللحظة الحرجة . ولهذا فإننى أعتبره نوعا من المغامرة أن نجعل إسرائيل اليوم تفرض علينا وقت المعركة ، هناك فارق أساسى بيننا وبين إسرائيل ولابد أن تلاحظوه ، وهو أن إسرائيل تستطيع أن تتواطأ مع آخرين ، أما نحن فإذا انحزنا إلى دولة كبرى فقدنا استقلالنا . ولذلك فرأيى النهائى ما يلى :**

إذا قامت إسرائيل بأى عمل فى المنطقة المجردة من السلاح فعلينا إيقافها بالقوة . أما فى غير هذه الحالة ، فإن رأيى هو أن نحرمها من المياه بواسطة مشروعات عربية ، لكى نحتفظ فى أيدينا بتوقيت المعركة لا يفرضه احد علينا » .

والراجح أن هذا النوع من المناقشات على أعلى مستويات الدولة جعل « جمال عبد الناصر » يفكر ويطيل التفكير ، فقد أحس أنه يصدر عن منطق تسجيل المواقف ، ولا يصدر عن منطق التخطيط لمستقبل دولة أو امة .

□

دارت هذه المناقشات كلها فى بداية شهر ديسمبر ، وفى يوم ٢٣ ديسمبر أى بعد ثلاثة أسابيع كانت الجمهورية العربية المتحدة تحتفل بعيد النصر فى بور سعيد . وسافر أعضاء الحكومة المركزية من المصريين والسوريين مع « جمال عبد الناصر »

(٨) المحضر السابق ـ صفحة ٢٥

بالقطار إلى بورسعيد لحضور الاحتفالات . وتناولوا طعام الإفطار معا أثناء الذهاب ، وتناولوا طعام العشاء معا فى القطار أثناء العودة بعد الاحتفالات .

وفى اليوم التالى فوجىء « جمال عبد الناصر » بخطاب استقالة من السيد « مصطفى حمدون » الذى كان وزيرا للإصلاح الزراعى فى الإقليم السورى ، وهو فى نفس الوقت من أبرز الضباط المنتمين إلى حزب البعث . ثم لم تمض إلا ساعات حتى كانت مفاجأة « عبد الناصر » أشد ، فقد تلقى استقالة من السيد « صلاح البيطار » تلتها استقالة من السيد « أكرم الحورانى » . والغريب أنه فى هذه الاستقالات ، وفى الاتصالات التى أعقبتها بما فيها لقاءات بين « جمال عبد الناصر » وبين الثلاثة لم يرد ذكر مباشر ، أو غير مباشر لقضية الحرب ، وإنما كانت الأسباب متصلة بقضايا أخرى .

كان المشير « عبد الحكيم عامر » وقتها فى دمشق ، وقد أراد « جمال عبد الناصر » أن يحيطه علما بما يجرى فى القاهرة . وكتب إليه بخط يده فى هذه الفترة خمس رسائل مطولة ترسم بطريقة دقيقة وكاملة وقائع تلك الأيام ورؤية « جمال عبد الناصر » وآراءه فيها[9] . والواقع أن صفحاتها جميعا صورة حية وناطقة بمشاكل دولة الوحدة ، وتعقيداتها من البداية إلى النهاية .

- **كانت أولاها رسالة بتاريخ السبت ٢٦ ديسمبر (١٩٥٩)** وقد استغرقت ثمانى صفحات من أوراق مكتب الرئيس ، وقد شرح فيها تفاصيل لقاء بينه ، وبين وزير الإصلاح الزراعى فى سوريا (بعثى) وهو السيد « مصطفى حمدون » .
- **وكانت الرسالة الثانية بتاريخ الأحد ٢٧ ديسمبر (١٩٥٩)** وقد تضمنت تفاصيل لقاء « جمال عبد الناصر » بالسيد « أحمد قنوت » وهو أيضا ضابط سابق من أعضاء حزب البعث .

---

(٩) تعتبر هذه المجموعة من الخطابات المكتوبة بخط يد « جمال عبد الناصر » من أهم وثائق تلك المرحلة . وقد اتيحت لى الفرصة للحصول على صور منها فى أثناء مناقشة مع المشير « عبد الحكيم عامر » فى بيته فى شهر اغسطس سنة ١٩٦٧ . وكنت قد وجدت نفسى على غير إرادة منى وسيطا فى العلاقات المتأزمة بينه ، وبين « جمال عبد الناصر » فى ذلك الوقت . وكنت فى أثناء نقاش ساخن بيننا قد أثرت تصرفاته فى سوريا سنة ١٩٦١ وأراد أن يستشهد على بعض ما أثرت من نقط ، فصعد إلى الدور الأعلى من بيته ، وعاد بمجموعة من الخطابات التى كتبها له « جمال عبد الناصر » بخط يده وأرسلها له فى دمشق . وأستاذنته فى تصويرها ، وأذن ـ لكنه اشترط أن لا تخرج من بيته ، وان يتم تصويرها داخله ، وهكذا دعوت بالتليفون مصورا من « الأهرام » قام بالتقاط صور لمجموعة الرسائل كاملة . وفى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب وتحت أرقام ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ صفحات ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ . مقتطفات مصورة بخط « جمال عبد الناصر » للأجزاء التى تتصل بالسياق فى هذا الفصل من الكتاب ، وهى منشورة فى النص وفى الوثائق كما هى ، وباية اخطاء لغوية أو إملائية وردت فيها .

- **وكانت الرسالة الثالثة بتاريخ الاثنين ٢٨ ديسمبر (١٩٥٩)** وقد استغرقت ثلاثا وعشرين صفحة ، وحوت صورة مفصلة للقاء بين « جمال عبد الناصر » والأستاذ « صلاح الدين البيطار » والسيد « أكرم الحورانى » (وهى رسالة حافلة بالتفاصيل والتعليقات الحية والنابضة) .
- **وكانت الرسالة الرابعة بتاريخ الأربعاء ٣٠ ديسمبر (١٩٥٩)** وقد استغرقت تسع صفحات ، وقد جعلها « جمال عبد الناصر » خلاصة لمقابلاته مع « اكرم الحورانى » و « صلاح البيطار » و « مصطفى حمدون » و « أحمد قنوت » ، وكذلك الانطباعات التى خرج بها .
- **وأما الرسالة الخامسة ، وقد جاءت بتاريخ ٥ يناير (١٩٦٠)** واستغرقت عشر صفحات ، فقد جاءت على حد تعبير « جمال عبد الناصر » : « تكملة مختصرة للصورة التى شرحتها لك فى رسائلى السابقة » .

□

خرج حزب البعث السورى من حكومة الوحدة ، وبعد شهور تحول فى دمشق إلى حزب معارض ، وبطبيعة الأشياء وجد نفسه طرفا فى جبهة متسعة تضم بقايا النظام السابق على الوحدة بما فيهم الأطراف الذين عارضوا قيامها أصلا ، ومنهم الشيوعيون .

وظلت هذه الجبهة المعارضة تتسع حتى انضمت إليها أقوى الجماعات فى الطبقة المتوسطة خصوصا بين التجار ـ على أثر صدور قرارات يوليو الاشتراكية التى شملت بين ما شملت تأميم الشركة الخماسية ، وكانت اكبر تجمع مالى سورى !

وأعيد تنظيم الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة ، وبرز على القمة رجلان اصبح كلاهما نائبا لرئيس الجمهورية ، كان أحدهما هو المهندس « نور الدين كحالة » نائب رئيس الجمهورية لشؤون الإنتاج ، وكان الثانى هو السيد « عبد الحميد السراج » الذى أصبح نائبا لرئيس الجمهورية للشؤون الداخلية .

ولم يكن هناك مجال للمقارنة بين قوة كل من الرجلين ، فالأول ـ « نور الدين كحالة » فنى يعمل بأجهزته ، وكانت مسؤوليته الأولى فى ذلك الوقت تنفيذ مشروع سد الفرات ، أما نائب رئيس الجمهورية الآخر ، فقد كان سياسيا من رأسه إلى أخمص القدم ، وكان يجمع مفتاحين من المفاتيح الحاكمة فى العمل السياسى ، وهما التنظيم الشعبى الممثل فى الاتحاد القومى فى ذلك الوقت ، وجهاز الأمن الممثل فى المباحث والمكتب الثانى .

وساد فى دمشق إحساس عام بأن « عبد الحميد السراج » أصبح واقعا وعملا حاكم سوريا ، ولعل « جمال عبد الناصر » اراد ان يتدارك هذا الوضع ، فطلب إلى المشير « عبد الحكيم عامر » أن يكون ممثلا له فى سوريا .

كان مزاج كل من الرجلين اللذين قدر لهما أن يوجدا على القمة فى دمشق تلك الأيام متوتراً إلى أقصى درجة بحكم طبيعة وظروف كل منهما .

فـ « عبد الحكيم عامر » الذى كان نصف مكسور ونصف منكسر فى القاهرة بعد أزمته فى السويس وجد فى دمشق أجواء أخرى تتعامل معه وكأنه « نائب الملك » فى دمشق ، ومن سوء الحظ أنه راح يتصرف على هذا الأساس ، فإذا بمحيطه فى دمشق يتحول إلى شبه بلاط تزدحم فيه شبه حاشية ، وفى مثل هذه الأجواء فإن المقاييس تترهل والقيم تنفك يوما بعد يوم ، وكان البعد عن مركز السلطة فى القاهرة يشجع من حيث أنه يدارى ـ فما يصل إلى المركز يصبح مجرد أصداء يسهل الرد عليها بإرجاعها إلى الدس أو الافتراء (وكانت تلك كلها أوضاعا تداعت عنها فيما بعد عواقب سوف يبدو أثرها على مجرى الحوادث) .

ومن ناحية أخرى فإن « عبد الحميد السراج » الذى كان قد تخلص من ضغوط حزب البعث التى ركزت عليه(*) لم يكن راغبا فى أن يجد نفسه تحت رقابة « عبد الحكيم عامر » ، خصوصا وأن « السراج » كان فى وضع يسمح له برؤية تصرفات « عامر » عن قرب . بل لعل ما كان يراه شجعه أكثر بدعاوى الأمن على تشديد قبضة الأجهزة البوليسية على أهم المواقع فى دمشق . ولما كان التنظيم النقابى ، والتنظيم السياسى (الاتحاد الاشتراكى) كلاهما بقرب اختصاص « السراج » فإن التداخل بين مقتضيات الأمن ومجالات العمل السياسى خلق حالة من التشابك زادت وطأتها .

وعلى أى حال فقد وقع ـ وكان لابد أن يقع ـ تناقض بين الرجلين ، خصوصا وأن ضباط مكتب المشير كانوا جميعا ممن يعتبرهم « السراج » أعداء

---

* كان « عبد الحميد السراج » على اقتناع كامل بان حزب البعث السورى يريد الانفراد بالسلطة فى دمشق ، وقد عجز عن الوصول إليها قبل الوحدة لأن القوى الرجعية التقليدية فى سوريا اثبتت انها اقوى منه . ولكن الجيش السورى تصدى للرجعية التقليدية وحال دون استيلائها على السلطة . ثم جاء « جمال عبد الناصر » وقام الجيش بتسليم السلطة إليه بعد الوحدة . والان فى ظل الدولة الموحدة ، فإن البعث السورى راح يحاول أن يتسلم السلطة فى سوريا بإذن « جمال عبد الناصر » ورضاه . وكانت تصرفات « عبد الحميد السراج » تصدر عن هذا الاقتناع ، ونتيجة لذلك اشتعل الخلاف بينه وبين حزب البعث السورى ، وتحول إلى معركة قصف شديد : « عبد الحميد السراج » يتحدث عن مؤامرات ومخططات ، وحزب البعث السورى يتحدث عن الدولة البوليسية لـ « عبد الحميد السراج » . وفى الفترة التالية مباشرة لقيام الوحدة كان « جمال عبد الناصر » حائرا بين هذه التيارات المتضاربة ، خصوصا وانه كان يرى ان اصحابها ساهموا بنصيب فى إقامة دولة الوحدة .

له . وبالفعل فإن بعضهم اصبح ينظر إلى « السراج » ويتعامل معه باعتباره « العدو » . ومن جانبه ، فإن « عبد الحميد السراج » جعل المسائل اكثر صعوبة ، فقد راح بتصرفاته كل يوم يؤكد أنه « القوة الحقيقية » فى سوريا . ووصلت الأمور بين الرجلين إلى حالة مهينة ليس لكرامة كليهما فقط ، ولكن للدولة التى يمكن أن تحسب عليها فى النهاية تصرفاتهما معا .

ووصلت الأمور إلى نقطة الخطر فى أوائل سبتمبر ١٩٦١ فقد بدا « عبد الحكيم عامر » يقول إن رجال « عبد الحميد السراج » فى الداخلية ، وفى الاتحاد القومى يهاجمونه علنا ، ثم هدد « عبد الحميد السراج » بالاستقالة حين اصدر المشير أمرا بنقل عدد من ضباطه إلى القاهرة ، وأضاف إلى تهديده بالاستقالة عبارة سرى رنينها فى محافل دمشق ، فقد قال « إنه يستطيع إخراج « عبد الحكيم عامر » من دمشق مضروبا بـ « البندورة » (الطماطم) » !

وكان هناك آخرون يرون تدهور الأحوال بين الرجلين ، ويرتبون للنفاذ من الثغرة التى راحت تتسع بينهما كل يوم ، وكان هناك من يدفع المؤامرة ، ويدفع لها من الخارج ، وأصبح واضحا أن شيئا ما يمكن أن يحدث فى دمشق .

وللإنصاف ، فإن « عبد الحميد السراج » أعد ذات يوم قائمة بأسماء ضباط يعتقد أنهم متورطون فى الترتيب لانقلاب ، وكانت المشكلة أن عددا كبيرا من هؤلاء الضباط كانوا من أقرب أعوان المشير « عامر » ومن هيئة مكتبه ، وكان الرد السهل على هذه القائمة هو أنها محاولة للدس من جانب « عبد الحميد السراج » لا تستحق الإلتفات ، فهو يريد أن يتخلص من خصومه بضربة واحدة .

ووصل « عبد الحميد السراج » إلى حد أن قال صراحة إنه إما أن يكون هو فى دمشق ، أو يكون المشير « عامر » ، ثم أتبع ذلك ببرقية منه إلى « جمال عبد الناصر » صباح يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٦١ نصها بالحرف : « **إنك سلمتنى إلى من أهاننى ، فارجو إعفائى .**

إمضاء : **عبد الحميد السراج** »

وطارت من القاهرة برقية تستدعى « عبد الحميد السراج » إلى مقابلة الرئيس .

وجاء « عبد الحميد السراج » إلى القاهرة ، والتقى مع الرئيس « جمال عبد الناصر » لثلاث ساعات ، ولكن الكراهية المتبادلة بين « عبد الحميد السراج » و « عبد الحكيم عامر » غلبت كل شىء ، فقد صمم « عبد الحميد السراج » على انه لم يعد هناك مجال للتعاون بينه وبين المشير ، وفى نفس

الوقت فإن « عبد الحكيم عامر » من دمشق كان يلح على قبول استقالة « السراج » ويؤكد ان الناس بعد خروجه سوف يتنفسون الصعداء ، فقد ضجوا جميعا من أسلوب التسلط والقمع الذى كان يمارسه .

كانت مؤامرة الإنقلاب على وشك ان تطبق على دمشق وتمسك بها ، وكان الرجلان المسؤولان عن حمايتها فى شغل بصراع بينهما على من تكون له القوة ، ومن ينفرد بالنفوذ ؟ !

كانت المؤامرة تحت الإعداد والتخطيط منذ شهور ، وكانت ملايين الدولارات ترصد وتدفع ، وكانت الاتصالات والتحركات لتنفيذها قائمة ، ومع ذلك فإن الذين تعهدوا بها كانوا يخشون الإقدام والبدء بالخطوة التى لا رجوع بعدها . وعندما انفجر الخلاف بين « عبد الحكيم عامر » وبين « عبد الحميد السراج » انتهت الخشية وزالت كل اسبابها ، واندفعت المدرعات والدبابات إلى دمشق تتوجه لاحتلال مبنى القيادة العامة ، ومحطة الإذاعة والتليفزيون ، وإدارة البرق والبريد . كل المواقع التقليدية التى يبادر انقلاب عسكرى إلى احتلالها من الساعة الأولى حتى يحكم قبضته ، ويمكن لسيطرته !

٢

دخل « جمال عبد الناصر » إلى مبنى الإذاعة المصرية ، وكان وقتها فى شارع الشريفين بوسط القاهرة ، وتحول مكتب مدير الإذاعة إلى مقر قيادة مؤقت له . وكانت الساعة السابعة والنصف صباحا . وهناك كانت خطوط اتصالاته ثلاثة : الإذاعة مباشرة ، وأجهزتها الموجهة لالتقاط كل كلمة على الهواء فى المنطقة ، وأولها دمشق ـ ثم القيادة العامة للقوات المسلحة التى كانت لا تزال على اتصال مباشر بمبنى القيادة العامة فى دمشق ـ ثم مكتب الرئيس للمعلومات ، وكانت أجهزة المخابرات ووزارة الخارجية على اتصال دائم به . وعلم « جمال عبد الناصر » فور دخوله إلى المكتب الذى أصبح مقرا مؤقتا للقيادة بأن اتصالا تم إجراؤه بين القيادة العامة فى القاهرة ، والقيادة العامة فى دمشق . وطلب أن يحاولوا توصيله بالمشير « عبد الحكيم عامر »

بنفسه . وفى انتظار ان يتم الاتصال راح يقرأ نصوص البلاغات التى صدرت عن قيادة الانقلاب . والمؤكد أن أسئلة معينة كانت تلح على خواطره ، وربما كان أولها سؤال راح يحاول بشدة أن يطرده من فكره وهو « **هل ما حدث فى دمشق من صنع عبد الحميد السراج ؟ وأن أسلوب الانقلاب كان رد السراج النهائى على خلافه مع عبد الحكيم عامر ؟ » وكان ورود هذا السؤال على خاطره يصيبه بألم شديد . فقد كان رأيه فى « السراج » دائما أنه شاب وطنى أدى دوره فى إطار ظروفه ومن موقعه . ومع انه كان يعرف حجم ومواقع النقد الذى كان يوجه إلى « عبد الحميد السراج » فقد كان يستهول أن يقوم « عبد الحميد السراج » بالمشاركة فى ضرب الوحدة التى شارك فى تحقيقها بصرف النظر عن اية مشاعر شخصية !**

وبدأت بلاغات الانقلاب ترد إليه ، وراح يقرأ البلاغ رقم (١) بتدقيق واهتمام . كان نص البلاغ رقم (١) كما يلى :

« فى صباح هذا اليوم قام جيشكم الذى كان دائما ، وسيبقى دعامة وطنية راسخة . قام للحفاظ على أرض الوطن وسلامته وحريته وكرامته ، قام لإزالة الفساد والطغيان ورد الحقوق الشرعية للشعب ، وإننا نعلن أن هذه الانتفاضة الوطنية لا صلة لها بشخص أو بفئة معينة ، وإنما هى حركة هدفها تصحيح الأوضاع الغير شرعية . فيا أيها الشعب العربى ثق بجيشك ، فإننا أقوياء بعون الله . وإننا قد طرقنا كل باب للإصلاح قبل أن تتفجر ولم نجد وسيلة للتحرر من المستغلين واتباع طريق الحرية إلا القوة ، لكى تعود للشعب حريته وللجيش كرامته .

القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة »

ولاحظ « جمال عبد الناصر » أن البيان رقم (٢) حوى هجوما على القرارات الاشتراكية ، فجاء فيه بالنص :

« لقد صدرت قرارات سميت ثورية ، والثورة منها براء . قرارات ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب . كل ذلك ليخدعوا الكادحين من أبناء هذه الأمة وخاصة العمال والفلاحين » .

□

وقبل الساعة الثامنة بقليل استطاعت أجهزة الإذاعة مع أجهزة القوات المسلحة توصيل خط بين « جمال عبد الناصر » وبين « عبد الحكيم عامر » . وقد روى « عبد الحكيم عامر » أنه كان فى بيته ، ثم انتقل مع بعض ضباطه إلى القيادة العامة

حينما سمع بالأنباء الأولى عن تحركات قوات الانقلاب من معسكر « قطنة » . وبدا أن « عبد الحكيم عامر » مرتبك فى روايته لتطورات الحوادث بعد ذلك . وكان جل جهده أن يحاول إظهار أن الموقف « تحت السيطرة » . ولم يرتح « جمال عبد الناصر » لهذه العبارة ، « فالموقف لم يكن فى رأيه تحت السيطرة إذا كانت إذاعة دمشق فى يد الانقلابيين يذيعون منها بلاغاتهم واحدا بعد الآخر » . ولم يشأ « جمال عبد الناصر » أن يفقد أعصابه فى هذه اللحظات الحرجة ، فسأل « عبد الحكيم عامر » عن الموجودين حوله من الضباط ؟ وحين عرف أن بينهم السيد « طعمة العودة الله » ـ طلب أن يتحدث إليه . ومنه بدأ « جمال عبد الناصر » يتلقى إجابات شبه محددة عن أسئلة محددة كان يريد أن يعرف إجاباتها .

١ ـ عرف أن الحركة الانقلابية جرت بزعامة مجموعة من الضباط الشوام (الدمشقيين) ، والظاهرون منهم حتى الآن هم : « عبد الكريم النحلاوى » ، و « عبد الغنى دهمان » ، و « موفق عصاصة » .

٢ ـ ان التحركات العسكرية الأساسية قامت بها قوات حرس البادية بقيادة « حيدر الكزبرى » .

٣ ـ وأن « عبد الحميد السراج » لا دخل له بمحاولة الانقلاب .

٤ ـ وأن هناك انقساما بين مجموعات الضباط فى القيادة ، فبعضهم يخشى أن ينفلت زمام الأمور بأبعد مما قصدوا إليه .

٥ ـ وأن المشير « عبد الحكيم عامر » رغم أنه محاصر فى مقر القيادة ـ يحاول الوصول إلى حل وسط بين مجموعات الضباط المختلفين .

وبعدها بدأت مصادر المعلومات تصب لتعطى صورة أكثر وضوحا ، وأدق تفصيلا .

وبنظرة واحدة على أسماء الضباط المشتركين فى المحاولة عرف « جمال عبد الناصر » أن كثيرين بينهم هم فى الواقع من أفراد مكتب المشير « عامر » ، وأن الاسم الظاهر والمتكرر باعتباره العقل المدبر للانقلاب ، وهو المقدم **« عبد الكريم النحلاوى » كان منتدبا من عمله الأصلى كنائب لكاتم اسرار الجيش الأول ـ ليعمل كمدير لمكتب « عبد الحكيم عامر » . وهكذا فإن المؤامرة دبرت ورسمت خطوطها ، وأعدت فرص نجاحها بما فى ذلك تنقلات الضباط بين المواقع الحساسة ـ من داخل مكتب المشير وباسمه وبسلطته .**

□

وتكررت اتصالات « **جمال عبد الناصر** » بـ « عبد الحكيم عامر » **فقد تم** اتصال بين الاثنين فى **الساعة العاشرة والنصف صباحا** ، ثم فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، ثم فى الساعة الرابعة إلا ربعا بعد الظهر . ولم يكن « جمال عبد الناصر » راضيا عن الطريقة التى تسير بها الأمور ، خصوصا عندما علم بتفاصيل الحل الوسط الذى توصل إليه « عبد الحكيم عامر » مع مجموعات الضباط التى توافدت على القيادة العامة للقوات المسلحة ، والتى صدر على أثرها بلاغ عن قيادة الانقلاب يحمل رقم (٩) جاء فيه بالنص :

« **أيها الإخوة المواطنون**

إن القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة التى دفعها الشعور بالخوف على وحدة الصف العربى ، وحماسها للقومية العربية وتأييدها ودفاعها عن مقوماتها ، تعلن للشعب العربى الكريم أنها لا تنوى المس بما أحرزته القومية العربية من انتصارات ، وتعلن أنها لست عناصر مخربة انتهازية تمد يد الإساءة إلى قوميتنا ، فقامت بحركتها المباركة تلبية لرغبة الشعب العربى وآماله وأهدافه . وأنها عرضت قضايا الجيش وأهدافه على سيادة المشير « عبد الحكيم عامر » نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة الذى تفهم أمور الجيش على حقيقتها ، واتخذ الإجراءات المناسبة لحلها لصالح وحدة وقوة الجمهورية العربية المتحدة . وقد عادت الأمور إلى مجراها الطبيعى اعتمادا على ثقتها بحكمة القائد العام للقوات المسلحة ، وقائد الجيش الأول اللذين يحققان أهداف القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة . »

وتبين أن الحل الوسط الذى صدر على أساسه هذا البيان يتضمن مجموعة من الشروط بينها : أن تكون قيادة الجيش الأول من الضباط السوريين وحدهم ـ ترحيل الضباط المصريين إلى مصر ، وإعادة الضباط السوريين من القاهرة إلى سوريا ـ إلغاء بعض القرارات الاشتراكية ـ إذاعة بلاغ من قيادة الانقلاب يعلن إنهاء العصيان المسلح ـ صدور بيان من « عبد الحكيم عامر » بموافقته على ذلك ـ سحب قوات الانقلاب التى تطوق مبنى القيادة ـ القيام بعرض عسكرى فى اليوم التالى تشترك فيه كافة وحدات الجيش للتدليل على أن الأمور عادت إلى طبائعها .

□

ولم يكن « جمال عبد الناصر » مستعدا لقبول كل هذه الحلول الوسط ، فقد كان رأيه أن الوحدة لا يمكن أن تعيش على المساومات ، فقد قامت على

مبادىء ، وإذا اعتمدت على المساومات لكى تعيش فإن الذى يتبقى ليس وحدة ، وإنما الذى يتبقى سوف يكون نصف دولة مشلولة وعاجزة كما كان الحال فى سوريا قبل الوحدة . وقال رأيه بصراحة لـ « عبد الحكيم عامر » فى آخر محادثة بينهما ، ثم عزز ذلك برسالة مكتوبة إليه يحدد فيها خطوط موقفه ، ويطلب استسلاما كاملا لقوات التمرد ، ومحاكمة المسؤولين عنهم . وجاء فى هذه الرسالة ما يلى :

١ ـ إذا أصبحت المبادىء موضوع مساومة فقدت كل قداسة فيها ـ خصوصا عندما تجرى المساومة فى ظل التمرد وتحت تهديد السلاح .

٢ ـ لا يمكن أن أقبل بتدخل الجيش فى السياسة ، وكان هذا شرطا من شروطى الرئيسية لقبول الوحدة .

٣ ـ إن الأمة لم تتأخر عن تقديم أية تضحيات طلبت منها لكى يستطيع الجيش أن يؤدى واجبه .

٤ ـ لا أظن أن الأمة ، أو أن التاريخ يمكن أن يتسامح معى إذا قبلت اليوم مساومة تحفظ شكل النظام وإن كانت تسىء إلى جوهره .

٥ ـ إن عناصر التمرد تصرفت فى هذا اليوم ، كما كانت تتصرف مع « شكرى القوتلى » ولا يمكن من أجل هيبة الدولة أن أقبل بهذا الحل الوسط .

ثم أذاع « جمال عبد الناصر » بالفعل على الأمة خطابا مرتجلا تضمن الخطوط الرئيسية لما بعث به لـ « عبد الحكيم عامر » حتى يعرف ضباط الانقلاب بموقفه مباشرة منه ـ فقد خشى فى جو المساومات السائد فى القيادة أن تنقل وجهة نظره على غير معناها الصحيح .

وعلى أى حال ، فقد كان الجو المحيط بالقيادة هو الآخر لا يسمح بالحل الوسط رغم كل الأوهام الحائرة داخلها ، ذلك لأن مجموعات الضباط الذين قاموا بالتحركات ، والذين كانوا ضالعين فى التآمر مع قوى خارجية ، وجدوا أن أى حل وسط بعد بدء العملية فعلا يمكن أن تكون له عواقب خطيرة بالنسبة لهم ، **وكان من بين هؤلاء العقيد « حيدر الكزبرى » قائد لواء البادية الذى بعث إلى القيادة ببرقية يطلب فيها لزملائه من المتمردين أن يسحبوا البلاغ رقم (٩) ـ (الحل الوسط) ـ وإلا فإنه سوف يهدم مبنى القيادة على رؤوسهم بمدافعه .**

□

كان من الواضح أن هناك انقساما فى الجيش السورى ، ولم يكن مظهره هو ذلك الجو المفعم بالحيرة فى مبنى القيادة العامة ، وإنما عبر الانقسام عن نفسه بطريقة أوضح عندما بدأت إذاعة حلب تذيع بيانات معارضة لإنقلاب دمشق ، وتعلن أن قواتها سوف تزحف على العاصمة لتطهيرها من المتمردين ، وللمحافظة على الوحدة . ثم أعلنت قيادة هذه القوات فى اللاذقية أنها تطلب مددا من الجمهورية العربية المتحدة لتقوم بـ « واجبها المقدس » .

وقرر « جمال عبد الناصر » تعزيز قوات اللاذقية ، وكان يشعر أن مسؤليته تفرض عليه المحافظة على وحدة الجمهورية إلى آخر جهده . وصدر الأمر لوحدات من قوات الصاعقة بالنزول بالمظلات فى اللاذقية . وبدأت مقدمات عمليات الإنزال فعلا ، ثم حدث بعد ذلك أن إذاعة حلب توقفت ، وتبين أن قيادة المؤامرة كانت قد رتبت أمورها وواجهت قوات المظليين المصريين بكمائن تعترض طريقها ، ووجد « جمال عبد الناصر » نفسه فى مواجهة موقف بالغ الصعوبة ، خصوصا وأن قوات إضافية تحملها قطع الأسطول كانت على وشك الإبحار فعلا من بورسعيد والاسكندرية فى طريقها إلى اللاذقية لتعزيز الموقف هناك .

وكان ذلك ينطوى على احتمالين كلاهما مر :

□ أولهما ـ أن قتالا دمويا سيجرى بين المصريين والسوريين ـ وهذا محظور يتحتم تجنبه .

□ والثانى ـ أنه على فرض نجاح العمليات العسكرية ، فإن دولة الوحدة بعد هذه العمليات سوف تجد نفسها محاطة بالدم ومعتمدة على قوة السلاح ـ وهذا بدوره مستقبل لا خير فيه .

وفى المساء ، وقبل أن يغادر « جمال عبد الناصر » مبنى الإذاعة عائدا إلى بيته(١٠) أصدر قرارين :

(١٠) لم يستطع « جمال عبد الناصر » ليلتها أن ينام ، فقد أرقته خواطره رغم أنه كان يملك خاصية غريبة ، وهى قدرته على النوم إذا آوى إلى فراشه ، وفى تلك الليلة دخل إلى فراشه ، وذهبت به أفكاره إلى كل اتجاه وناحية . وبعد نصف ساعة دق جرس التليفون السرى فى غرفة نومه ، وإذا عاملة تليفون تقول له إن هناك مكالمة له من « مغاغة » ورد عليها بهدوء قائلا : « النمرة غلط » ووضع السماعة . وبعد قليل دق جرس التليفون بجواره . وكانت نفس العاملة تكرر له القول بأن هناك مكالمة له من « مغاغة » وعاد فكرر قوله لها : « النمرة غلط » . وسألته بحدة عن نمرة تليفونه ، ورد بأنه لا يعرفها ، وراحت تلوم رجلا لا يعرف رقم تليفونه ، ولم يكن فى الحقيقة يذكره لأنه لم يكن يطلب نفسه فيه ، وراحت عاملة التليفون تلاحقه . ورفع تليفونا آخر وطلب توصيله بالدكتور « مصطفى خليل » وزير المواصلات وقتها ، ودهش وزير المواصلات وهو يسمع رئيس الجمهورية قرب الفجر يتصل به ، ويقول « مصطفى أريد مساعدتك ، فهناك عاملة تليفون عندكم مصممة فيما يبدو على مطاردتى لأن أحدا يطلبنى من مغاغة ! » وتصرف الدكتور « مصطفى خليل » على الفور . وأمكن معرفة عاملة التليفون ، وصعقت السيدة المسكينة حينما علمت أن ذلك الذى كانت تزعجه طوال تلك الليلة العاصفة كان هو : « جمال عبد الناصر » .

□ الأول - يقضى بعودة « عبد الحكيم عامر » على الفور إلى القاهرة إذا كان ذلك فى مقدوره عمليا .

□ والثانى - إنهاء كافة العمليات العسكرية ، ووقف تعزيز قوات المظلات ، وإلغاء تحركات الأسطول المصرى فى اتجاه اللاذقية ، سواء ما بدأ منها فعلا ، أو ما هو موشك على البدء .

وفى تلك اللحظات كان الانقلاب الجديد يتلقى أول اعترافات رسمية به يتقدمها اعتراف من الأردن ، يليه اعتراف من الاتحاد السوفيتى !

وكانت بقية الاعترافات تعد على عجل .

□

وهكذا قام حكم الانفصال فى دمشق ، وتشكلت حكومة برئاسة السيد « مأمون الكزبرى » الذى كان من قبل ضالعا فى المؤامرات الأمريكية للانقلاب فى سوريا كما أثبتت المحاكمات والوثائق فى قضية « الدندشى » ، كما أعلن عن تعيين اللواء « عبد الكريم زهر الدين » قائدا عاما للقوات السورية المسلحة . وعاد منطق الانقلاب يفرض نفسه على التصرفات كما كان يحدث فى سوريا قبل الوحدة . وراح عدد من الساسة يتسابقون إلى تأييد الضباط المتمردين ، وربما كان بعضهم لم يعلم بعد بخفايا الدوافع التى حركت تمردهم . ولم يستغرب أحد فى القاهرة عودة هذا المنطق إلى فرض نفسه . وإن كان كثيرون توقفوا بدهشة أمام ما أذيع من راديو دمشق يوم ١٠ أكتوبر ١٩٦١ ، فقد أعلن أن السيد « مأمون الكزبرى » تلقى مكالمة تليفونية من الرئيس « شكرى القوتلى » « الموجود حاليا تحت العلاج فى المستشفى فى زيوريخ » وقد أبدى « شكرى القوتلى » اغتباطه « لوثبة الجيش المظفرة » كما أنه حمل « الكزبرى » تحياته وتمنياته إلى رجال الثورة الأشاوس ، وإلى السادة الوزراء ، وإلى أبناء الشعب جميعا » . كذلك توقف كثيرون فى القاهرة أمام بيان بتأييد الانقلاب صدر يوم ٢ أكتوبر ١٩٦١ وكان يحمل توقيعات عدد من السياسيين بينهم « أكرم الحورانى » و « صلاح البيطار » .

وأعلن عن النية فى إجراء انتخابات عامة فى سوريا ، وعادت إلى الظهور على الساحة كل الوجوه القديمة التى كانت معروضة فى السوق السياسية قبل الوحدة . ولم تستطع هذه المظاهر كلها أن تقنع أحدا بوجود استقرار فى سوريا ، فقد كانت كل الشواهد تكشف أن النار تحت الرماد ، وأن هناك قوى كثيرة تحاول جمع صفوفها بعد صدمة الانفصال لكى تتمكن من مقاومته ، وأن الأمور فى سوريا سائرة إلى انقسام خطير يمكن أن يهددها بالحرب الأهلية ، خصوصا وقد بدأ يتضح يوما بعد

يوم ما كان خافيا من شخصيات قادة الانقلاب . وما كان مستورا من اتصالاتهم وعلاقاتهم .

وفى يوم ٥ أكتوبر حدد « جمال عبد الناصر » موقفه فى خطاب رسمى حدد فيه عدة نقاط أهمها :

١ - إنه رفض الوسائل العسكرية كطريق إلى تدعيم الوحدة ، وإنه بنفس القوة يرفض أن تكون الحرب الأهلية طريقا لاستعادتها .

٢ - إن العدو الرئيسى للأمة العربية هو الاستعمار وإسرائيل ، وبالتالى فهو لن يدخل فى معارك جانبية .

٣ - إنه ليس من المحتم أن تبقى سوريا جزءا من الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن من المحتم أن تبقى سوريا .

٤ - إنه إزاء كل ما يذاع من إذاعة دمشق افتراء على عهد الوحدة ، فإنه على استعداد لقبول لجنة تحقيق من الجامعة العربية تتقصى الحقائق ، وتعلنها للأمة .

كان أول عمل لحكومة الانقلاب هو إعلان عزمها على إلغاء القرارات الاشتراكية ، وفصل مئات من المسؤولين وكبار الموظفين الذين شاركوا فى رسم وتنفيذ السياسات التى طبقت فى عهد الوحدة . وفى أقل من شهر واحد وصل عدد المعتقلين فى سوريا إلى أكثر من خمسة آلاف معتقل .

وقبل أقل من شهرين بعد الانقلاب سقطت وزارة « مأمون الكزبرى » وتألفت وزارة برئاسة السيد « عزت النص » . وعندما أجريت انتخابات المجلس النيابى يوم أول ديسمبر كانت الدعوة لمقاطعتها عامة وشاملة ، ونقلت وكالات الأنباء العالمية صورا حية عن عملية تزوير الانتخابات كرد على دعوة المقاطعة . وفى يوم ١٣ ديسمبر أعلن عن إعفاء ٧٣ ضابطا من الجيش السورى . وفى يوم ١٤ ديسمبر أعلن عن انتخاب السيد « ناظم القدسى » - وهو من الساسة السوريين القدامى الذين كانوا محسوبين على « نورى السعيد » - رئيسا جديدا للجمهورية فى سوريا . وتشكلت وزارة جديدة للمرة الثالثة خلال ثلاثة شهور ، وكانت برئاسة السيد « معروف الدواليبى » !

٣

كان حكم الانفصال فترة من أعجب فترات التاريخ السورى وأشدها غرابة . ولعل أهم شهادة على ما كان يجرى فى داخله هى شهادة الرجل الذى عينه الانقلابيون قائدا للجيش السورى بعد انكسار الوحدة . ومن حسن الحظ أن اللواء « زهر الدين » كتب اعترافاته كاملة فى كتاب نشره ـ كما قال فيما بعد ـ لتبرئة ذمته ، وحتى يخفف عن ضميره أثقال مما يتحمل به ، ويدفع عن نفسه اتهامات ظلت تلاحقه طوال حياته .

● قال اللواء « عبد الكريم زهر الدين » :[١١]

« أتانا المقدم عبد الكريم النحلاوى فى أحد الأيام حاملا لائحة تضم أسماء ما يقارب مائة وعشرين ضابطا ، طالبا إلينا إصدار الأوامر اللازمة لتسريحهم من الجيش ، أو نقلهم إلى الوزارات المدنية ، لأنهم ينتمون إلى أحزاب مختلفة ، وهو يقول بأن الجيش يجب أن يكون نظيفا من الحزبية . طلب منى النحلاوى توقيع أوامر النقل والتسريح المذكورة فورا إلا أننى رفضت البت بهذا الموضوع ، وبهذا الشكل الفردى ، بل قررت دراسة هذه القضية على صعيد مجلس الدفاع الكامل ، والذى كان يضم ما يقارب الخمسين عضوا ، وهم قادة الشعب فى الأركان العامة ، وقادة المناطق العسكرية ، وقادة الألوية المحاربة ، ومدراء مصالح الجيش ، ومدراء مدارس الجيش[١٢] . وأصدرت أمرا بعقد اجتماع لمجلس الدفاع المذكور ووافقت الأغلبية على التصفية ، وهنا طلب منى النحلاوى عن طريق الهمس بالأذن توقيع النشرة التى كان حضرها لهذه الغاية » .

● وقال اللواء « عبد الكريم زهر الدين » :[١٣]

« لجأنا إلى تشكيل مجلس للأمن القومى لتوجيه سياسة البلد بصورة غير مباشرة ، إذ أن الأكثرية الساحقة من أعضائه كانت من العسكريين . ولذلك كان من المفروض أن تطبق السياسة التى كان يرغب بها العسكريون . غير أن دهاء وألاعيب السياسيين كانت فى غاية الاتقان بحيث كانت تتجاوز

(١١) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » صفحة ١٧٤ .
(١٢) كانت هذه هى سلطة الحكم الحقيقية فى سوريا بعد الانقلاب وأثناء حكم الانفصال .
(١٣) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » صفحة ١٨٤ .

المقررات التى كان يتخذها مجلس الامن القومى . لاحظ العسكريون هذه السياسة ، فأخذوا يتذمرون بصورة علنية . وأذكر أننى استدعيت الأستاذ رشدى الكخيا فى إحدى زياراتى إلى حلب لمقابلتى فى نادى ضباط موقع حلب . وشرحت له الموقف ، وأوضحت له الأساليب التى تستعمل على صعيد الوزارة التى يرأسها معروف الدواليبى ، وعلى صعيد الرئاسة الأولى (ناظم القدسى رئيس الجمهورية) . وطلبت منه الذهاب إلى دمشق ، والاجتماع بالمسؤولين لشرح الموقف ، والتوعية ، ثم التحذير من الاستمرار بهذه السياسة التى قد تطيح بالحكم ، خاصة وأن الدعايات التى تروج فى البلد حول استغلال الحكام لكثير من الامور بدأت تشكل الحلقة الأولى من حلقات عناصر المقاومة ، وعناصر المعارضة ، وعناصر المحاربة الفاضحة للسياسة التى يتبعونها . »

● وروى اللواء « عبد الكريم زهر الدين »[١٤] كيف عرف ضباط الانقلاب بالأموال التى دفعت من الخارج لبعض رفاقهم ولعدد من السياسيين السوريين الذين شاركوا معهم فى الحكم ، وتمت اعتقالات وأجريت محاكمات سرية لكن وقائعها أصبحت حديث الناس فى كل المحافل !

● وشرح اللواء « عبد الكريم زهر الدين »[١٥] كيف احتدم الخلاف بين ضباط الانقلاب ، وبين السياسيين السوريين الذين وضعوا على مقاعد السلطة الرسمية بسبب القوانين الاشتراكية : السياسيون يريدون إلغاءها ، والعسكريون يطالبون بالمحافظة عليها لأن الرأى العام فى الجيش ، وفى الشعب متمسك بها !

● وأفاض اللواء « عبد الكريم زهر الدين »[١٦] فى تفاصيل ومسار الخلافات بين الطرفين ، وتدهور الأحوال بعد ثلاثة شهور من الانقلاب ، وإلى الحد الذى دعا ضباط القيادة إلى مقابلة رئيس الجمهورية ، وتقديم عدة مطالب إليه : إقالة حكومة « الدواليبى » ـ رفع الحصانة عن النواب المتهمين بالرشوة والتعامل مع دول عربية وأجنبية ـ اختصار مدة المجلس النيابى الجديد ـ إجراء انتخابات جديدة .

وعارض السيد « ناظم القدسى » قائلا : « إنه لا يقدر أن يخالف الدستور الذى أقسم اليمين بالمحافظة عليه » ، وقدم له زعيم الانقلاب المقدم

(١٤) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » صفحة ١٨٥ .
(١٥) المصدر السابق صفحة ١٨٦
(١٦) المصدر السابق صفحة ١٨٨

« عبد الكريم النحلاوى » فتوى من احد القانونيين مؤداها أن رئيس الجمهورية يستطيع مخالفة الدستور عندما يكون أمن البلد مهددا ، وطالما أن المخالفة هى للصالح العام » !

● ثم وصل اللواء « عبد الكريم زهر الدين »[١٧] إلى النقطة التى استيقظ عندها بعض ضباط الانقلاب من غفلتهم ، فقال :

« كانت القيادة تدرس دوما المواضيع العربية ، وتبدى أسفها لفقدان الوحدة مع مصر . وكانت تفتش عن الوسيلة التى تمكنها من العودة إلى الوحدة ، ولكن بشروط تحول دون انحرافات الوحدة السابقة ، وبصورة تحقق الديمومة لهذه الوحدة والتوسع على الصعيد العربى . لذلك وبعد الدراسات المتتالية والاجتماعات التى كنا نعقدها أحيانا مع السيد هانى الهندى ، والسيد فريد زين الدين وغيرهما من العناصر الوحدوية ، قررنا أن نخطو الخطوة الأولى ، ونرسل وفدا من الضباط لمقابلة الرئيس عبد الناصر ، والتداول فى المواضيع العامة والمتعلقة بالأخطاء التى ارتكبت زمن الوحدة . وكان ما طلبناه من الوفد هو معالجة الأمور التالية :

١ ـ وقف المهاترات الإذاعية فورا .

٢ ـ الاعتراف بالوضع الحاضر فى سوريا ليصار إلى الانتقال إلى معالجة عودة الوحدة على أسس جديدة .

٣ ـ عقد اتفاق عسكرى مشترك ما بين مصر وسوريا لتطبيق الخطط العسكرية الموضوعة أثناء الوحدة .

٤ ـ تصفية الأمور الإدارية المعلقة بين مصر وسوريا (أسلحة وسواها) .

لقد قررنا تشكيل هذا الوفد من العناصر التى ساهمت بحركة ٢٨ أيلول ، وذلك للدلالة على سلامة النية والصدق فى الطوية . كما أطلعنا الدكتور ناظم القدسى رئيس الجمهورية على هذا القرار الذى اتخذته القيادة . وقد وافق رئيس الجمهورية على هذه الخطوة . غير أنه اشترط الاجتماع بعناصر هذا الوفد قبل السفر ، لتلقينهم المواضيع التى يجب طرحها على الرئيس عبد الناصر . إلا أن الوفد سافر فجأة دون علمى ، أو علم رئيس الجمهورية ، بل بإيعاز من عبد الكريم النحلاوى الذى أدعى بأنه فهم منى ،

(١٧) المصدر السابق صفحة ١٦٤ .

ومن رئيس الجمهورية بأن الوفد يتمكن من السفر فى أى وقت يشاء . أى أن النحلاوى أهمل رغبة رئيس الجمهورية عندما طلب الاجتماع بأعضاء الوفد قبل السفر . »

□

وفى الساعة الثانية والنصف من مساء يوم السبت ١٣ يناير ١٩٦٢ دخل إلى مكتب « جمال عبد الناصر » فى بيته ثلاثة من ضباط قيادة الانفصال فى دمشق هم العميد « زهير عقيل » ، والعقيد « محمد منصور » ، والرائد « فايز الرفاعى » .

طلبوا لقاء معه بواسطة الفريق « جمال فيصل » القائد السابق للجيش السورى وكان قد بقى فى القاهرة بعد الانفصال ، وألح الفريق « جمال فيصل » ، وعلى أى حال فإن « جمال عبد الناصر » كان يريد أن يسمع بنفسه ، وأن يرى ، ولهذا وافق وحدد موعدا للقاء ، وجاء الثلاثة إليه فى حالة ارتباك شديد .

وبدأ العميد « زهير عقيل » فقال :[١٨]

ـ « سيادة الرئيس ... إنه كرم منكم ان تتفضلوا بمقابلتنا بعد كل ما حدث ، وقد كنا نثق ان هذا سيكون موقفكم بالنسبة لما نعلمه من حبكم لسوريا وللشعب السورى ، وكان هناك من زملائنا من يقولون إن سيادتكم سترفضون الاستماع إلينا لأن ما حدث منا قد آلمكم ، ولكن ـ سيدى ـ نحن نقسم لكم ان كل ما حدث لم يكن فى حسابنا ولا فى تصورنا » .

□ الرئيس ـ « **انا أعلم ان بعضا منكم انساقوا فى هذا الموضوع بحسن نية ، وغرر بهم ، وصورت لهم الأمور على غير صورتها الصحيحة ، ولكن ما حدث لم يعد مشكلة نوايا ... إنكم بما حدث ، مهما كان من نواياكم ، أسلمتم وطنكم إلى الرجعية المعادية لمصالح الشعب والمتعاونة مع الاستعمار** » .

■ العقيد محمد منصور ـ « **سيدى أقسم لكم أن بيننا كثيرين لا ينامون الليل وهم يشعرون أن الأمة العربية ترميهم بالانفصال والرجعية** » .

■ الرائد فايز الرفاعى ـ « **سيدى إن كثيرين بيننا واجهوا عقاب ضمائرهم قبل ان يواجهوا أى عقاب غيره** » .

(١٨) تسجيل صوتى للحديث طلب « جمال عبد الناصر » ترتيبه ، وكان يفعل ذلك فى بعض اللقاءات الهامة التى يريد عودة إلى وقائعها بعد ذلك بالتفصيل للدراسة ـ وشريط التسجيل محتفظ به فى ارشيف إدارة المخابرات العامة . وقد تم تفريغه وطبع نسخ محدودة منه .



عبد الناصر فى لقائه بالوفد السورى ، وقد جا وإلى يساره الفريق محمد الصوفى وزير الدفاع .

□ الرئيس ـ « إن الموضوع بالنسبة لى ليس موضوع عقاب .. إنه موضوع اكبر من ذلك ، إنه مسالة مبدا . إننى فى حرب مع الاستعمار والرجعية ولست فى حرب معكم ، لقد استعملوكم ، وأنا أعرف أن بعضكم اخذ الأمور بالعاطفة السطحية » .

■ العميد زهير عقيل ـ « لهذا جئنا إليكم .. سيادة الرئيس ... إن سوريا فى خطر . إن سوريا ـ سيدى ـ هى الهدف الذى يظن الاستعمار ، وأتباعه فى المنطقة انهم قاربوا الوصول إليه .

سوريا ـ سيدى ـ هى المقصودة بمحاولة الانقلاب فى لبنان ، والذين دبروا محاولة الانقلاب فى بيروت كانوا يريدون دمشق ، تمهيدا لمشروع الهلال الخصيب فى احضان الاستعمار وتحت سيطرته .

ومن ناحية أخرى ـ سيدى ـ فإن إسرائيل زادت نشاطها المشبوه فى المنطقة المنزوعة السلاح ، وهم تصوروا الانفصال فرصة سانحة للإسراع فى تنفيذ تحويل مجرى نهر الأردن . »

■ الرائد فايز الرفاعى ـ « سيادة الرئيس هم يظنون أن سوريا واقفة وحدها . وذلك يبدو صحيحا سيدى ما دامت سوريا بعيدة عن مصر ، وإلا فمع من تتعاون سوريا ؟

العراق ؟ كان الله فى عون العراق ، لم يعد فيه غير تصريحات حماسية تصدر كل يوم حتى ملها الناس ، واصبحت لا تطمئن صديقا ، ولا تخيف عدوا !

الأردن ؟ انتم ـ سيدى ـ تعرفون عن حسين أكثر مما نعرف !

الملك سعود ؟ هذا – سيدى – لا يملك شيئا غير « المصارى » يدفعه للرشاوى ، لكن الرشوة لا تقف دفاعا عن عقيدة !

ماذا يبقى لسوريا ؟ إمام اليمن ... هذا ... »

■ العميد زهير عقيل – « سيادة الرئيس هذا هو الموقف على حقيقته ، والحل الوحيد له ، كما نرى جميعا ، هو ان تعود الوحدة بصورة جديدة » !

□ الرئيس – « بهذه البساطة ؟ إن الوحدة ليست مسالة بسيطة إلى هذا الحد ، نقيم اليوم وحدة ، ونقوم غدا بانفصال ، ثم وحدة ... ثم انفصال ... إننا بذلك ندوخ الناس معنا » .

■ العميد زهير عقيل – « سيدى اقسم لكم مرة اخرى ان الانفصال ما كان فى حسابنا . لقد كانت هناك بعض الأخطاء ، وكنا نسعى لتصحيحها » .

□ الرئيس – « سافترض معك جدلا انه كانت هناك اخطاء ، وعلى اى حال ، فلقد قلت بنفسى بعد الانفصال إن تجربة الوحدة تعرضت لأخطاء كثيرة ، ولقد تكون الأخطاء التى عددتها هى الأخطاء التى رايتموها انتم وقد لا تكون ، المهم انى سافترض وجود اخطاء ، وسافترض بالتبعية ان هذه الأخطاء كانت فى حاجة إلى تصحيح ، فهل ياتى الناس بالدبابات لتصحيح خطا ... إن تحرك الدبابات معناه انقلاب شامل » .

■ العقيد محمد منصور – « حاشا لله سيدى ، والله ما خطر ببالنا ابدا ان نقوم بانقلاب عليكم او على الوحدة ، او على الاشتراكية ، انتم تعرفون – سيدى – محبة الشعب السورى لكم وإيمانه بمبادئكم » .

■ العميد زهير عقيل – « لقد كان كل هدفنا ان نلفت الأنظار إلى بعض الأخطاء » .

□ الرئيس – « بالدبابات ؟ ! »

إن واحدا منكم وهو عبد الكريم النحلاوى كان مديرا لمكتب عبد الحكيم عامر ، وكان يستطيع ان يقول للمشير كل ما عنده ، بل إن واجبه كان يقتضيه ذلك . كذلك كان واحد منكم وهو هشام عبد ربه يتولى حراسة قصر الضيافة الذى كنت انزل فيه بدمشق ، وكان فى استطاعته ان يجىء إلىّ إذا اراد » .

■ العميد زهير عقيل – « سيدى – لو تكرمتم بسؤال المشير فلسوف يقول لكم إن بعضنا قابله ظهر يوم الانقلاب ، وقال له إننا نتمسك برئاسة جمال عبد الناصر ، وصدر البلاغ التاسع على هذا الأساس » .

□ الرئيس – « إن الموضوع بالنسبة لى ليس موضوع رئاسة .. إنه مسالة قيم ومبادىء ، ومع ذلك ، فكيف تقبلون ان يكون رئيسكم طاغية ؟ »

■ العميد زهير عقيل – « طاغية ؟ حاشا لله سيدى . . . من قال ذلك ؟ »

□ الرئيس – « إذاعة دمشق صباح يوم الانقلاب » !

■ العميد زهير عقيل – « سيدى هذا كلام صدر عن بعض المغرضين الذين اندسوا فى الإذاعة يومها ، اما نحن فإن تقديرنا لكم وإيماننا بالوحدة والاشتراكية لم يتزعزع فى اى وقت من الأوقات ... إن موقفنا واضح – سيدى – فى البلاغ التاسع » .

□ الرئيس – « إن البلاغ الثانى ملىء بالطعن فى الوحدة والاشتراكية ، وهذا هو الذى اوضح بالنسبة لى شكل الانقلاب ، واتجاهاته الانفصالية الرجعية » .

■ العميد زهير عقيل – « سيدى ، صدقنى ، والله ما قرانا هذا البلاغ الثانى » .

□ الرئيس – « ما قراتوه ؟ .. كيف ؟ .. إنه يحمل توقيع ما اطلقتم عليه اسم « القيادة الثورية العربية العليا » ؟ »

■ العميد زهير عقيل – « سيدى ... والله ما قراناه ، لقد كنا يومها فى دوامة تدور بنا . لقد شعرنا منذ الصباح الباكر أن هناك من استغلوا الموقف بناء على تدبير سابق ، ووجهوه وجهة ما اردناها له » !

□ الرئيس – « إن مصفحات الانقلاب ذهبت فى الفجر إلى بيت عبد الحكيم عامر ، واطلقت عليه النار من غير إنذار ، ولو كان عبد الحكيم عامر فى البيت لقتل ، كذلك فلقد كان أولاد عبد الحكيم عامر كلهم فى دمشق حتى ما قبل الانقلاب بيومين ، ولقد عادوا بالصدفة استعداداً لدخول المدارس ، ولو كانوا قد تاخروا لقتلوا جميعا » .

■ العميد زهير عقيل – « سيدى ، هذا صنيع حيدر الكزبرى ، هذا جناح العقيد فيصل سر الحسينى ، ولم نكن على علم بمقاصدهم ، ثم اكتشفنا انهم قبضوا من الخارج .

لقد اكتشفنا الحقيقة كلها والوقت متاخر .

بعد ايام من الانقلاب فاحت الرائحة ، وزكمت الأنوف . وظهرت فى دمشق مئات الألوف من الليرات دفعها الملك حسين لفيصل وللكزبرى ، وما كان لنا بها خبر . ولقد باشرنا بالتحقيق وعثرنا على الأدلة وضبطنا بعض اموال الرشاوى ، ووضعنا اثنين فى سجن المزة ، وهما هناك هذه اللحظة » .

□ الرئيس ـ « وماذا كان رايكم فى ذلك ؟ »

■ العميد زهير عقيل ـ « سيدى ، هذه خيانة تامة ما فى ذلك شك ... لكن اللجنة القضائية التى شكلناها للتحقيق فى الموضوع عرقلت امامنا فرصة محاكمتهم » .

□ الرئيس ـ « لماذا ؟ »

■ العميد زهير عقيل ـ « سيدى ، اللجنة القضائية قالت هؤلاء قبضوا قبل الانقلاب وبقصد الإعداد له ، والانقلاب اصبح حكومة شرعية ، ومن ثم لا تجوز محاكمتهم وإلا كانت المحاكمة هدما للوضع الشرعى القائم » .
(ضحـــك)

■ العميد زهير عقيل ـ « هيك قالوا بالضبط سيدى » !

□ الرئيس ـ « انا أصدقك بالطبع ... هذا منطق الرجعية تماما حين تسيطر على جهاز الدولة وتسخر كل شىء حتى القانون لتعزيز أوضاعها وخدمة مصالحها » .

■ الرائد فايز الرفاعى ـ « لكننا سيدى نقف لهم بالمرصاد ، إنهم يحاولون السيطرة لكنهم يعلمون اننا واقفون لهم ، وهم يلعبون الآن ، يريدون أن يأخذوا كل الحقوق الاشتراكية التى حصل عليها العمال والفلاحون .

إنهم يقفون الآن معا جبهة واحدة ، أصحاب رؤوس الأموال ، والإقطاعيون ، والأحزاب السياسية ، وعملاء الرجعية العربية ، وحتى الأحزاب التى تدعى التقدمية تشترك معهم فى مناوراتهم ليخلو لها الجو ، بل العجيب ان الشيوعيين يقفون فى نفس الجبهة . لكن الشعب متنبه ، ولا يرضى عن اتجاهاتهم ، وكذلك الجيش لن يسمح لهم بتحقيق اغراضهم » .

□ الرئيس ـ « وكيف تستطيع ان تمنعهم ما دامت الحكومة فى ايديهم ، والمجلس التاسيسى منهم ... وما لدينا من معلومات يؤكد ان النية

متجهة إلى إلغاء القوانين الاشتراكية كلها ، وسلب الفلاحين والعمال مكاسبهم بها ؟ »

■ الرائد فايز الرفاعى ـ « سيدى ، نحن قادرون على الإطاحة بهم ، وهم يعرفون ذلك ، ويحاولون ان يمدوا مناوراتهم إلى الجيش » .

□ الرئيس ـ « لكن ذلك يصنع إزدواجية فى السلطة تعرض سوريا للخطر » .

■ الرائد فايز الرفاعى ـ « لذلك نقول ـ سيدى ـ إن الحل الوحيد المعقول هو عودة الوحدة على اسس جديدة » .

□ الرئيس ـ « وكيف نعيد الوحدة ؟ ... هل نعيدها بانقلاب جديد ؟

فى الحقيقة لا اتصور ان يحدث ذلك ، الوحدة عندى كهدف أغلى من أن اعرضها لأية مغامرة .

إن فكرة الوحدة تاثرت كثيرا بكل ما حدث حتى الآن . وصحيح أن عودة الوحدة بإنقلاب قد ترضى شعورنا جميعا ، ولكن يجب أن نفكر الآن بما هو اعمق من مجرد مشاعرنا .

وانا اتصور ماذا يمكن أن يحدث فى المنطقة الآن لو قام انقلاب وحدوى فى سوريا اعادها إلى الوحدة فورا .. إن الجماهير العربية التى صدمها ما حدث سوف تلتهب حماستها مرة ثانية .

إن القوى الاستعمارية المتربصة فى المنطقة سوف تتلقى صفعة العمر .. إن العناصر الرجعية سوف تفقد صوابها ، ولسوف ترتج عروش وتهتز تيجان .

إن إسرائيل ستجد نفسها فجأة امام اكبر خيبة امل منيت بها .

إننى اكاد الآن اسمع المنطقة كلها تهدر ، وأكاد ألمح الجموع الشعبية تزحف رافعة أعلامها وشعاراتها .

ولكن ماذا بعد ذلك عن تجربة الوحدة ذاتها ، ماذا عن الناحية الإيجابية فيها ، وبها يرتبط المصير العربى كله ؟

كذلك فانتم تريدون عودة الوحدة فى شكل جديد ... لقد قلتم لى هذا الآن ... وانا ايضا ارى مثل هذا الراى ... انا الآخر اطالب بشكل جديد للوحدة . إن كثيرين تصوروا ان إيمانى بالوحدة قد اهتز بعد كل

ما حدث ، لكننى أؤكد لكم أن إيمانى لم يهتز . بل لقد ازددت إيمانا . لكنه من الزم الضروريات أن نستفيد من التجربة .... أن ندرسها وأن نتعلم منها .

لو حكمت عواطفى كبشر ، فلربما نازعتنى العاطفة إلى عودة الوحدة الفورية ، ذلك قد يمسح آثار طعنة أحسست بها فى الظهر ، وذلك قد يرضى الكبرياء . لكنى اعتقد عن يقين انه ليس من حقى أن أفكر على هذا النحو . إن نظرتى إلى الأمور تختلف ... ربما لأنى أحسست أن الأمة العربية كلها ، والشعب السورى بالذات قد أعطونى من الحب اكثر مما حلمت به فى اى وقت من الأوقات . لقد أعطونى ما يشفى اى جرح ، وما يزيل اى عقدة من عقد الكبرياء . وذلك فيما اشعر يلقى علىّ واجبا اتمنى لو قدرت على الوفاء به . إن أول واجباتى فيما أشعر الآن أن انظر إلى المستقبل ، وإلى الأسس الثابتة التى يجب أن يقوم عليها ، وليس من حقى فيما أتصور أن اترك انفعالات اللحظة ، واحتمالاتها العاطفية المثيرة تشدنى . »

(فترة صمت) ...

□ الرئيس ـ قلت لكم إن إيمانى بالوحدة زاد بالتجربة ولم يقل . وقلت لكم إننا فى حاجة إلى ان ندرس كل ما حدث ونتفهم معانيه . وقلت لكم إن ذلك فى رايى ـ ورأيكم ـ سوف يفرض شكلا جديدا للتجربة . وكل هذه امور تستحق الدراسة بل وتتطلبها كضرورة حيوية للنجاح ، ثم هناك مسائل أخرى أقولها لكم بصراحة . بينها النظام الاجتماعى ... إننى لا اتصور أن تقوم وحدة بين مصر وسوريا وتكون القاهرة اشتراكية بينما دمشق راسمالية . كذلك بينها مسالتكم انتم ...

مسالة الجيش فى اى دولة ... هل تتلقى الدولة من الجيش أوامرها ، أم الجيش يتلقى من الدولة أوامره ؟

كل هذه مسائل لابد أن ندرسها ، وهى ما لا يمكن أن يتم بالانقلاب ، وإنما مجال بحثها بين حكومات وطنية تلتقى فى الهدف وتتحد عليه . »

■ الرائد فايز الرفاعى ـ « سيادة الرئيس ، وهل تنتظر الأخطار المحيطة بسوريا خصوصا من جانب إسرائيل ، حتى تجىء الفرصة لإقامة حكومة وطنية فى سوريا تتذاكر معكم فى هذه الأمور كلها ؟ »

□ الرئيس ـ « اريدكم جميعا ان تعرفوا انه مهما كان من أمر ما حدث ، او ما سوف يحدث ، فإن الجمهورية العربية المتحدة ، بكل قواها المسلحة ، بكل إمكانياتها المادية والمعنوية وراء سوريا ... هذا موضوع خارج عن اى مناقشة ... وهو فوق اى بحث . وهذا امر يجب أن تكونوا على ثقة منه واطمئنان . لن تكون سوريا وحدها فى مواجهة إسرائيل ابدا ، ولست وحدى الذى اقول ذلك ، وإنما هى إرادة الأمة العربية كلها ، والشعب المصرى ضمنها .

لذلك أقول لكم : فى مواجهة إسرائيل قفوا دون تردد ولا تتصوروا لثانية واحدة انكم بمفردكم امامها ، ففى لحظة الخطر ستكون كل القوات المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة معكم فى المعركة ...

ونحن على استعداد لهذا الأمر منذ اليوم الأول للانفصال ، وخططنا كلها مرتبة على اساسه ، ولسنا فى حاجة إلى إصدار تصريحات حماسية بشأنه ، فانا واثق أن كل فرد فى الأمة العربية يعرف موقفنا فيه كما أعرفه . »

(فترة صمت) ...

□ الرئيس ـ « لقد جعت ... هل تتعشون معى ؟ »

(خرجوا من بيت الرئيس الساعة الواحدة وخمس وثلاثين دقيقة صباحا) .

وتستكمل اعترافات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » بقية القصة فيقول :(١٩)

« كنا نعقد اجتماعات طويلة وعديدة فى مكاتب القيادة . حتى عقدنا اجتماعا فى منزلى ضم العناصر التالية :

اللواء زهر الدين ، واللواء نامق كمال ، والمقدم عبد الكريم النحلاوى ، والمقدم مهيب الهندى ، والمقدم هشام عبد ربه ، والرائد فايز الرفاعى(٢٠) ، والأستاذ نهاد القاسم ، والدكتور فريد زين الدين .

وقد تداولنا فى موضوع التقارب مع القاهرة ، ودرسنا مسألة إعادة الوحدة حتى لو ادى ذلك إلى انقلاب جديد .

(١٩) مذكرات اللواء ، عبد الكريم زهر الدين ، صفحة ١٩٠ .
(٢٠) كل الضباط المشاركين فى هذا الاجتماع هم من الضباط الذين خططوا وشاركوا فى تنفيذ انقلاب الانفصال (سبتمبر ١٩٦١) .

وهنا برزت فكرتان :

□ الأولى ، وهى فكرة العسكريين والدكتور فريد زين الدين ، وكانت تقضى بضرورة تشكيل حكومة انتقالية جديدة برئاسة الدكتور ناظم القدسى ، فيما إذا رغب ، وإلا فبرئاسة شخصية وحدوية معتدلة ، وذلك بعد إزاحة المجلس النيابى ، وإقالة الحكومة الحالية . ثم تشكيل وفد من الحكومة الجديدة ، وإعادة الوحدة بشكلها الجديد .

□ أما الفكرة الثانية ، وقد تبناها الأستاذ نهاد القاسم لوحده ، فكانت تقضى بتشكيل وفد وحدوى من عسكريين ومدنيين ، والذهاب برئاسة نهاد القاسم إلى القاهرة ، لمفاوضة الرئيس عبد الناصر ، قبل تشكيل أية حكومة فى سوريا . وذلك للاستنارة برأيه حول الأشخاص الواجب إدخالهم فى الوزارة الجديدة ، وحول الخطوات الواجب اتباعها ، من أجل الوصول إلى الاتفاق الكامل بخصوص الوحدة الجديدة . حتى أن الأستاذ نهاد القاسم قال إنه لا يتمكن من القيام بأى عمل قبل مقابلة الرئيس عبد الناصر ، وأخذ رأيه فى كافة المراحل الواجب تنفيذها .

وهنا تصدى له اللواء نامق كمال : إذا كنت تعتبر عبد الناصر لا يزال رئيسك ، وأنت لا تريد أن تخطو أية خطوة إلا بأمره فنحن لسنا من رأيك ، ولا نريد أن نأتمر بأمرته .

غضب الأستاذ نهاد القاسم عند سماعه هذا الكلام ، وانسحب من الاجتماع . أما الدكتور فريد زين الدين ، فقد بقى معنا فى المنزل حيث استعرضنا أسماء الوزراء فى الحكومة المقبلة . وكان الأعضاء المقترحون بأغلبيتهم الساحقة من الوحدويين (بعثيين ، وقوميين عرب ، ووحدويين اشتراكيين) . وقد درسنا موضوع رئاسة الدولة فى حال اعتذار الدكتور ناظم القدسى وتفضيله الانسحاب من الحكم بعد إقالة الوزارة وحل المجلس النيابى .

ماذا نفعل إذا استقال القدسى ؟

أكد الدكتور فريد زين الدين ضرورة إسناد المناصب الحساسة فى الوزارة المزمع تشكيلها إلى العسكريين ، وذلك لإعطائها طابع القوة . ولهذا فهو يرى أن يسند منصب الرئاسة الأولى فى الدولة لى أنا ، كما يرى أن احتفظ ايضا برئاسة مجلس الوزراء ، وذلك خلال المرحلة الانتقالية ، أى مرحلة المفاوضات مع الرئيس عبد الناصر .

لكنى رفضت فكرة استلام أى منصب مدنى ، وقلت بأننى سأحتفظ بقيادة الجيش فقط . وطلبت من الحاضرين التفتيش عن رئيس للدولة سواى .

وارجأنا البحث فى قضية جهاز الحكم . وانتقلنا إلى موضوع المباحثات المزمع إجراؤها مع الرئيس عبد الناصر . وكلفنا الدكتور فريد زين الدين بتحضير هذا الموضوع .

انفض الاجتماع ، وأخذ الدكتور فريد زين الدين يتردد على القيادة ليجتمع بالمقدم عبد الكريم النحلاوى ، وكل من هشام عبد ربه وشرف زعبلاوى ومهيب الهندى وفايز الرفاعى ومحمد منصور . وكانت هذه الاجتماعات تعقد بصورة متقطعة فى شعبة المخابرات ، وذلك لإنجاز الدراسة المتفق عليها .

باشرت بالتفرغ للأمور العسكرية . إذ كنا على أبواب معركة مع إسرائيل . وكنا نحضر العمليات العسكرية ، لأن المعلومات الموثوقة التى كنا نتلقاها كانت تشعرنا بقرب العاصفة . ولذلك فقد ابتعدت بعض الوقت عن جولات السياسة ، وتركت أمورها إلى النحلاوى ورفاقه .

وفى هذه الفترة عقدت اجتماعات القابون على مستوى كبير من الأهمية .

عقد اجتماعان فى مدرسة المدرعات فى القابون . وكان الاجتماع الأول بدون علمى أو حضورى . بل حضر هذا الاجتماع ضباط حركة ٢٨ أيلول ، بالإضافة إلى بعض قادة القطعات . وقد تداول المجتمعون فى قضية إعادة الوحدة . وانقسم المجتمعون إلى قسمين ، منهم من قال بضرورة المناداة بإعادة الوحدة الفورية بلا قيد أو شرط ، ومنهم من رفض هذا النداء رفضا باتا ، حتى ورفض التفوه بأى حديث يتعلق بالوحدة . وأدى الخلاف إلى تأجيل الاجتماع إلى اليوم الثانى . كما اقترح أحد المجتمعين ، وهو العقيد تيسير الطباع ، الذى كان يقود أحد الألوية المدرعة ، ضرورة إعلامى بهذا الموضوع ، وضرورة عقد اجتماع آخر برئاستى .

عقد الاجتماع الثانى برئاستى . وقد استدعيت لحضوره المسؤولين فى الجيش ، وذلك على صعيد القيادة العامة ، وصعيد قيادة القطعات المحاربة ، وصعيد قيادة المناطق والمصالح ومدراء المدارس العسكرية . ولا أزال أذكر من الذين حضروا هذا الاجتماع الذى عقد ليلا فى مدرسة المدرعات بالقابون كلا من :

اللواء زهر الدين ، والعميد مسلم صباغ ، والعميد عدنان العاقل ، والعميد زهير عقيل ، والعقيد زياد الحريرى ، والعقيد تيسير الطباع ، والعقيد محمود عودة ، والعقيد عبد الكريم العابد ، والعقيد عدنان شويكانى ، والعقيد محمد منصور ، والمقدم عبد الكريم النحلاوى ، والمقدم مهيب الهندى ، والمقدم هشام عبد ربه ، والرائد فايز الرفاعى . **وقد حضر كثيرون غيرهم** ، إلا أننى لم أعد أذكر أسماءهم .

استعرضنا فى هذا الاجتماع موضوع إعادة الوحدة . فأدلى العقيد شرف زعبلاوى نائب رئيس شعبة المخابرات برايه القاضى بضرورة القيام بانقلاب تعاد على أثره الوحدة الفورية . واستند بذلك على الموقف الذى وصفه بانه خطر . إذ قال بأن الجيش بكامله ناصرى ، وان الشعب بنسبة ٩٠٪ منه ناصرى . ولذلك فهو يقترح سرعة القيام بهذه الحركة ، خوفا من المد الناصرى الذى قد يطيح بنا بصورة فجائية .

وهنا تعالت اصوات الاحتجاجات .

تدخلت فى الموضوع واعدت الهدوء ، ثم طلبت دراسة القضية بصورة متانية ومفصلة حتى نصل إلى نتيجة . وقلت إذا اتضح لنا بان كلام المخابرات واقعى ، فيجب الإسراع إلى الانضواء تحت لواء الوحدة الفورية بلا قيد او شرط ، إذ يجب دوما أن ننحنى امام رغبة وإرادة الاكثرية من الشعب . أما إذا ثبت لنا بأن تلك الأقوال غير مضبوطة ، فينبغى تحاشى الاصطدامات التى قد تنشأ من جراء القيام بأية حركة لا تكون الأكثرية مؤمنة بها . ووجهت سؤالى إلى قادة القطعات المحاربة فيما إذا كانوا يؤيدون قول شعبة المخابرات من أن الجيش بكامله ناصرى ، وقد سألتهم واحدا واحدا ، فكانت إجاباتهم نافية نفيا قاطعا لحديث المخابرات ، وخاصة زياد الحريرى الذى استهجن هذا القول ، واكد بأن لواءه خال من أى ناصرى . ثم سألت قادة المناطق عن الناحية المدنية . فاستنكروا قول شعبة المخابرات . وقالوا بأنه خال من الصحة . وأخذنا جميعا باستعراض مختلف فئات الشعب ، حيث قلنا بأنه لا يمكن أن تكون النسبة التى حددها نائب رئيس شعبة المخابرات هى المضبوطة . إذ أن الشيوعيين هم غير ناصريين ، وجماعة اكرم الحورانى غير ناصريين ، والمسيحيون غير ناصريين ، والإخوان المسلمون غير ناصريين ، والتجار غير ناصريين ، ورجال الصناعة والاقتصاد غير ناصريين ، كما أن النسبة الكبرى من الفئات الأخرى كالعمال والفلاحين والطلاب غير ناصرية . لذلك لا يمكن أن تكون أقوال شعبة المخابرات صحيحة .

انتهى الاجتماع على أساس التروى والتريث فى موضوع إعادة الوحدة ، لأنه من المواضيع الحساسة جدا ، ولا يمكن أن يتم بهذا الشكل السريع ، وإلا فربما انتكست الخطوة الثانية للوحدة ، وقضى على الوحدة هذه المرة قضاء مبرما . »

كان حديث الوحدة الفورية فى القاهرة موقوفا ، والآن توقف هذا الحديث فى دمشق مؤقتا على الأقل ، ولكن بقية الأحداث لم توقف ولم تتوقف ، واولها حديث الانقلاب على الانقلاب .

وفى ٢٨ مارس ١٩٦٢ ، ولم تكن قد مضت على حكم الانفصال فى دمشق ستة شهور كاملة ، جرى الانقلاب على الانقلاب . واذاع راديو دمشق عند الفجر البلاغ رقم ٢٦ – باعتبار ان الانقلاب الجديد هو امتداد للانقلاب القديم ، وإنما عن طريق التصحيح والمراجعة .

□ كان نص البلاغ الأول (رقم ٢٦) كما يلى :

« إن القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة تحقيقا لرغبات الشعب ، وحفاظا على مكاسبه وأمنه واستقراره وحريته ، التى حققها له جيش الثورة فى الثامن والعشرين من أيلول ، تعلن بأن الجيش استمرارا لهذه الثورة قد استلم زمام الأمور فى البلاد ، اعتبارا من صباح هذا اليوم . وهى إذ تطلب من المواطنين الخلود إلى الهدوء والسكينة ، والانصراف إلى أعمالهم ، تحذر بأن كل محاولة للإخلال بالأمن أو إثارة الشعب ستقمع بمنتهى الشدة والحزم . »

□ ثم تلاه البلاغ رقم ٢٧ وكان نصه :

« تغلق المطارات والموانىء فى كافة أنحاء الجمهورية العربية السورية حتى إشعار آخر .

٢٨/٣/١٩٦٢ »

□ وجاء البلاغ رقم ٢٨ وكان نصه :

« لما كان المجلس التأسيسى والنيابى لم يقم بالمهمة الموكولة إليه ، وقد عجز عجزا تاما عن تحمل المسؤولية وتوجيه الحكم ، وكل همه تأمين منافع ومصالح أعضائه الشخصية ، ولم يسع سعيا صادقا لتحقيق أهداف ثورة الثامن والعشرين من أيلول التى هى أهداف الشعب ومصدر السلطات ، لذلك فإن القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة تعلن حل المجلس التأسيسى والنيابى اعتبارا من تاريخ صدور هذا البلاغ .

٢٨/٣/١٩٦٢ »

□ ثم لحق البلاغ رقم ٢٩ بما سبقه من بلاغات :

« قدم السيد رئيس الجمهورية استقالته التالية وهذا نصها :

إلى القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة :

أسباب صحية تمنعنى من الاستمرار بممارسة مهام رئاسة الجمهورية لذلك استقيل من مهام هذا المنصب فى ٢٨ اذار ١٩٦٢ .

وقد قبلت هذه الاستقالة .

١٩٦٢/٣/٢٨ »

□ وأخيرا جاء البلاغ رقم ٣٠ :

« قدم السادة رئيس وأعضاء مجلس الوزراء استقالاتهم من مناصبهم ، وقد قبلت منهم جميعا . »

واكتملت حلقات الانقلاب على الانقلاب .

وكانت دمشق تغلى وتفور .

الفصل الثالث

نيران متفرقة !

١

تمالك « جمال عبد الناصر » نفسه من صدمة الانفصال بسرعة .

فى أعقابها مباشرة كان شعوره على حد وصفه[1] هو « أنه يجد نفسه فى وضع قبطان سفينة انشطرت إلى نصفين فى وسط البحر » . وقضى أياما طويلة يراجع نفسه ، ويستذكر تفاصيل تجربة الوحدة وآمالها ومشاكلها .

كان شعوره الداخلى أن التجربة جاءت قبل أوانها ، ولم يكن هناك أساس موضوعى صلب لتحقيقها فى هذا الوقت بالذات ـ ومع ذلك فقد حدث أنها قامت وكان الحرص عليها واجبا .

وكان يراوده إحساس بأن الاحتفاظ بالوحدة مهما كانت الظروف كان يمكن ان يعرض سوريا لضرورات أمن لم يكن على استعداد لها وإلا وقع الضرر بهدف الوحدة نفسه .

وعندما كان يقرأ نشرات الإستماع إلى إذاعة دمشق التى كانت تظهر فرحة الشعب السورى بالانفصال كان قوله دائما :

« إننى أتمنى أن أصدق أن ذلك كله حقيقى . ولو صدقت لاسترحت . على

(١) مذكرات عن لقاء مع « جمال عبد الناصر » يوم ٢ اكتوبر ١٩٦١ .

الأقل أعرف أن الذين أسلمونى أمانتهم قد استردوا حقهم عندى ، وهم الآن مسؤولون عنه » .

ويوما بعد يوم كانت الحقائق الواقعة على الأرض تفرض نفسها عليه وراح يستجيب لها ، ولم يكن لديه على أى حال خيار آخر .

ثم استطاع أن يتخطى أزمته .

ولقد تخلص بسرعة من عقد كثيرة ، وآخرها « عقدة الكبرياء الشخصية » ـ وحين أعلن فى خطابه يوم ٥ أكتوبر ١٩٦١ « أنه ليس من المهم أن تبقى سوريا جزءا من الجمهورية العربية المتحدة ، وإنما المهم أن تبقى سوريا » فقد كانت ترجمة ذلك واقعيا أنه يفتح الباب أمام النظام الذى قام بالانفصال فى سوريا لكى يأخذ طريقه المستقل بغير عوائق ، بما فى ذلك استعادة عضوية سوريا فى الأمم المتحدة ، وفى جامعة الدول العربية .

□

وقد كتب إليه « نهرو » بعد أن قرأ خطابه فى ٥ أكتوبر رسالة شخصية يقول له فيها : « إننى تابعت تطورات الموقف عندكم بكثير من التعاطف ، وأعجبت بما أبديتموه من ضبط النفس ، وكان مسلككم مسلك رجل الدولة المسؤول . ونحن نعرف أن هدفكم هو ألا تتعرض الوحدة العربية إلا لأقل ضرر ممكن . فأنتم من مهندسى الوحدة ، ولذلك فقد كان موقفنا حيال تصرفاتكم مليئا بالتقدير » .[٢]

وكتب إليه « تيتو » بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٦١ رسالة شخصية يبدى فيها تقديره للطريقة المسؤولة التى تصرف بها حيال الأحداث المؤلمة التى جرت فى دمشق ، ويضيف إلى ذلك « أن أهمية ضبط النفس الذى أبداه تجىء من حقيقة أن ما جرى فى سوريا ليس مجرد تمرد داخلى أو انقلاب ، وإنما هو جزء من مؤامرة كبرى » .

ورد عليه « جمال عبد الناصر » بعد يومين : « لقد أدركت أن ما واجهناه فى سوريا ليس عملا داخليا ، وأحسست أن واجبى يقضى علىّ عند مواجهتى للتطورات أن لا أقصر النظر على مقتضيات اليوم ، بل وضعت نصب عينى

(٢) أصول رسالتى « نهرو » و « تيتو » وردود « جمال عبد الناصر » عليهما محفوظة فى أرشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخ من كل منها فى وزارة الخارجية .

ما يتطلبه المستقبل . ولقد كان همى فى اللحظات الحرجة أن لا أمكن المتآمرين من إشعال فتنة طاغية ليس فى الإمكان تقدير مداها . وعندما تبينت حدود الموضوع ، فقد أحجمت عن استخدام القوة . فقد وجدتها تمزيقا للجبهة الداخلية فى سوريا ، فى حين أن هذه الجبهة لم تكن فى حاجة إلى وحدتها قدر احتياجها إليها فى الظروف المقبلة » . ثم وصل « جمال عبد الناصر » فى نهاية رسالته إلى القول بالنص : « ومهما يكن من أمر ، فإننا نرقب بأعين مفتوحة تحركات الاستعمار وخططه » .

وبرغم تبادل الرسائل بين هؤلاء القادة الثلاثة لعدم الانحياز فى أعقاب أزمة ألمت بأحدهم ـ فإن « نهرو » و « تيتو » قررا المجىء إلى القاهرة لاجتماع مع « عبد الناصر » يظهر فيه تضامن الدول غير المنحازة ، كما أنه يكون فرصة لدراسة الاتجاهات الجديدة فى مناطق التوتر .

وفى منتصف نوفمبر كان الثلاثة معا فى القاهرة . وعقدوا عددا من الاجتماعات خصص أولها لبحث تطورات المنطقة بما فى ذلك مسألة الانفصال . وأما بقية الجلسات فقد خصصت لدراسة قضايا أخرى بدت ملحة للمجتمعين . وقد تباينت آراء الثلاثة فى هذه القضايا وأهمية كل منها :

كانت القضية الملحة بالنسبة لـ « نهرو » لا تزال قضية الحرب والسلام ، وقد قال إنه يخشى أن الاتجاه إلى الحرب بدأ يزيد ، فهو يلاحظ أن الولايات المتحدة بدأت تنفذ مشروعا واسعا لبناء مخابىء ذرية .

وأما بالنسبة لـ « تيتو » فقد اعتبر أن الخطر القادم هو التورط الأمريكى فى جنوب شرقى آسيا ، فهو يلمح أن الرئيس الأمريكى الجديد « جون كنيدى » يتدحرج خطوة بعد أخرى نحو التورط فى فيتنام .

وأما « جمال عبد الناصر » فقد كانت القضية التى تشغله هى قضية السياسة السوفيتية التى بدت له محيرة . وفى الجلسة التى أثار فيها « جمال عبد الناصر » هذا الموضوع راح « تيتو » يروى بالتفصيل وقائع خلافه مع « ستالين » . وكان تقييمه النهائى « أن الخطأ الذى يمكن أن يقع فيه أى طرف هو أن يتعامل مع الاتحاد السوفيتى باعتباره دولة شيوعية فقط » . ثم أضاف بالحرف : « إن الاتحاد السوفيتى قوة كبرى أولا وثانيا وثالثا ـ ويأتى بعد ذلك رابعا أنها دولة شيوعية » .[٣]

(٣) محضر اجتماع بين الرؤساء الثلاثة عقد فى قصر القبة يوم ١٩ نوفمبر ١٩٦١ . وقد وردت هذه الملاحظة لـ « تيتو » فى الصفحة ٢٢ من هذا المحضر وقد أرسلت نسخة منه إلى وزارة الخارجية ، ونسخة أخرى إلى وزارة الحربية .

وقد انتهى اجتماع الثلاثة إلى اتفاقهم على انه مهما كان تباين الآراء بينهم فى أولويات القضايا التى تواجههم ـ فإنه من المحتم فى المرحلة القادمة زيادة اليقظة والتنبه بين مجموعة دول عدم الانحياز . وتوجه الثلاثة إلى غداء شخصى فى بيت « جمال عبد الناصر » قبل أن يسافر كل من « نهرو » و « تيتو » عائدا إلى بلاده . وعلى الغداء تركز الحوار حول قضية الجزائر ، فقد أبدى الاثنان اهتماما بما يجرى فيها ، وكان رأى « جمال عبد الناصر » أن الثورة الجزائرية أقرب إلى تحقيق انتصارها مما يتصور أحد ، وأن « ديجول » رغم ما يبديه حتى الآن من عناد يمهد الطريق فى الواقع للاعتراف بما لم يعد هناك مفر من الاعتراف به .

□

ويوما بعد يوم راح « جمال عبد الناصر » يشعر أن الانفصال رغم كل ما انطوى عليه من آلام كانت له جوانبه الإيجابية ، فقد أعطاه حرية فى العمل لم يشعر بها طوال سنين الوحدة . وقد عبر عن ذلك بقوله[٤] : « **إننى اقبلت على تجربة الوحدة مدفوعا بعواطفى اكثر مما كنت مقتنعا بعقلى . كنت اتصور انه فى مقدورى ان اجنب سوريا مشاكل تناحر داخلى يمكن ان يؤدى بها إلى السقوط فريسة لمؤامرات الغرب عليها ... إلى حد ما فإننا استطعنا ان نمنع ذلك او على الاقل نؤجله . لكننى طوال الوقت كنت أشعر اننى مقيد اليدين ، فقد كنا نتعامل بمنطق المساومة فى سوريا ، فقد كان مفروضا علينا ان نسترضى ، وليس ان نتصرف بما تقتضيه الحقائق ، وهذا معناه اننى اعمل بالأسلوب الحزبى ، وانا رجل لا حزب لى . ولم يكن هناك ما يضطرنى إلى الاسترضاء إلا حرصى على أن لا اترك لأحد فرصة لاستغلال اى تصرف لنا فى سوريا . هذا معناه ايضا اننا كنا نعمل من أجل اللحظة الراهنة فى سوريا ، وليس من اجل المستقبل . فعندما تكون السياسة مساومات واسترضاء لا يستطيع احد ان يخاطر بفرض الأعباء والتكاليف التى يقتضيها صنع المستقبل** » . ثم يضيف « جمال عبد الناصر » : « **إننى مازلت مؤمنا بالوحدة العربية ، ولكننى الآن واثق من أن تحقيق الوحدة هدف للمستقبل لا ينبغى أن نفقد إيماننا به ، ولكننا لا نملك ان نسبق ضرورة توافر شروطه الموضوعية** » .

وكان قد بدأ يسمع ويتحقق من الخلافات داخل حكم الانفصال ، ويرى فيها مقدمات الانقلاب على الانقلاب ، وهكذا كان يضيف إلى تأملاته قوله : « **وعلى أية حال فقد ثبت أن الوحدة ممكنة ، والآن يظهر ـ وغدا سوف يتحقق أكثر ـ أن الانفصال صعب** » . وأخيرا يصل إلى نتيجة مؤداها :

(٤) مذكرة عن لقاء لى مع « جمال عبد الناصر » يوم ٢١ نوفمبر ١٩٦١

« **الآن فإن تركيز العمل العربى يجب ان يكون فى مصر . فمصر يجب ان تصبح بالفعل الدولة النواة فى الوحدة العربية الممكنة ، وان تصبح النموذج الذى يمكن أن يقدم المثال لبقية الأمة ، فهى الآن بالتعبير العسكرى تمثل الـ Firm Base ـ اى القاعدة الحصينة التى يمكن الدفاع عنها والبناء فيها** » .

ولعل هذا المنطق هو الذى قاده إلى أن يكون واضحا فى موقفه حين التقى بضباط الانقلاب فى بيته يوم ١٩ ديسمبر ١٩٦١ ليقول لهم بوضوح إنه « **يرفض رفضا قاطعا عودة الوحدة عن طريق انقلاب عسكرى** » !

٢

وكان هناك بالطبع كثيرون فى المنطقة وحولها لا يريدون له أن يتفرغ لعملية تعزيز القاعدة فى مصر ـ مدركين أنه ليس بمقدوره الانسحاب تماما من الساحة العربية . وهكذا كان هدفهم أن يشغلوه بنوع من النيران المتقطعة قد لا تستطيع إصابته فى مقتل ، ولكنها بالتأكيد تستطيع إشغاله ، وتشتيت اهتمامه .

كان الملك « سعود » على سبيل المثال واحدا من الضالعين فى مؤامرة الانفصال برغم كل الوعود والعهود ، ورسائل الود المتزايدة فى معدلاتها قبل الانفصال مباشرة . وقد روى الأمير « محمد البدر »[٥] ولى عهد اليمن فى ذلك الوقت أنه كان يزور الرياض ليلة الانقلاب ، وفوجىء بالملك « سعود » يطلبه إلى قصره ، فذهب إليه وإذا بالملك يقول له : « **سوف تسهر معى إلى الصباح لكى تعرف ما يحدث للتسلط والاستعمار المصرى** » . **وعند الفجر كان الملك وضيفه وبعض رجال حاشيته حول جهاز راديو بينما راح أحد الفنيين يضبط مؤشراته على إذاعة دمشق . وحين بدأت إذاعة البيان الأول التفت الملك إلى « البدر » وقال : « وقع صاحبنا فى شر أعماله » . وكان الملك شديد الحماسة للبلاغات التى تصدر عن الانقلاب**

(٥) رواية الأمير « محمد البدر » بنفسه لرئيس البعثة العسكرية المصرية فى اليمن

لدرجة انه طلب ان يجىء الإفطار له ولضيوفه ولحاشيته حيث يجلسون بجوار جهاز الراديو . ومضت الساعات ، وحين اذيع البلاغ رقم ٩ واشتم منه الملك احتمال التوصل إلى حل للأزمة كان تعليقه على الفور : « جاءكم الغم ـ اقفلوه » . وانصرف الأمير « البدر » ولم يكد يصل إلى بيت الضيافة الذى ينزل فيه حتى لحقه رسول من الملك يستدعيه مرة أخرى ، فعاد إلى القصر ، وبادره الملك بقوله : « الحمد لله تصححت الأمور ، المشير مقبوض عليه ، والراجح أن يتخلصوا منه قبل الصباح ، وهو الآن محطوط فى الحديد » ؟

وعندما عرف الملك بالانشقاق الذى حدث فى صفوف الانفصاليين بعد أسابيع قليلة من الانقلاب على الوحدة قرر ان يتدخل بنفسه فى هذه الخلافات . كان وقتها قد سافر إلى اسبانيا فى إجازة ، وقامت إحدى طائراته الخاصة تحمل سكرتيره الخاص فى ذلك الوقت ، وهو السيد « إسماعيل ابو خضرة » إلى دمشق يعرض أية مساعدات مالية تريدها حكومة « سوريا المستقلة » . وكذلك يبدى رغبة الملك فى لقاء عدد من القادة العسكريين ، واستعداده لإرسال طائرته الخاصة لمن يفوض منهم فى ذلك . وقد سافر إليه بالفعل ثلاثة من ضباط الانقلاب بينهم المقدم « هشام عبد ربه » ، ودار بينه وبينهم حديث طويل سألوه فيه عن أهدافه السياسية ، وكان رده : « اى شىء إلا عودة الوحدة بين سوريا ومصر » .

□ □ □

وفى اليوم الأخير من شهر ديسمبر ١٩٦١ حدثت محاولة انقلابية فى لبنان . فقد أحست بعض القوى أن حكومة اللواء « شهاب » تصرفت بطريقة ودية إزاء القاهرة بعد انقلاب الانفصال . فقد سهلت ترحيل المصريين من العسكريين والمدنيين الذين أخرجوا من سوريا بعد الانقلاب ، كما أن عناصر كثيرة فى الحركة الوطنية اللبنانية اعتبرت نفسها عيونا وآذانا للقاهرة على ما يجرى فى دمشق . وتحالف « كميل شمعون » الذى عاد من لندن قبل محاولة الانقلاب بثمان واربعين ساعة ـ مع الحزب القومى السورى الذى يرأسه السيد « عبد الله سعادة » وجرت المحاولة للاستيلاء على السلطة بالقوة المسلحة .

واضطر اللواء « شهاب » إلى استخدام الطيران اللبنانى فى ضرب المؤامرة ، ودارت معارك بالدبابات ، وجرى اعتقال ألفين وخمسمائة من أعضاء الحزب القومى السورى وأنصارهم . وحاصرت قوات الأمن اللبنانية قصر « كميل شمعون » وثبت

فيما بعد أن خطة المؤامرة رتبت فى معهد اللغات البريطانى بشملان فى لبنان(٦) ، ثم تأكدت هوية المؤامرة حين اذاعت وكالات الأنباء ، وبينها وكالة « رويتر » أن عددا من قادة المؤامرة الذين كان مطلوبا القبض عليهم قد فروا من ميناء « بيروت » بزورق حملهم إلى مدمرة بريطانية كانت واقفة خارج المياه الإقليمية . ثم أدلى « عبد الله سعادة » رئيس الحزب القومى السورى باعترافات قال فيها : « إن هدف الانقلاب كان التمهيد لتحقيق مشروع الهلال الخصيب بتكوين اتحاد بين سوريا ولبنان والأردن والعراق » . كما قال إن حركته كانت موعودة باعتراف بريطانى فورى فى حالة نجاح عملية الانقلاب .

وكان الهدف البريطانى من تأييد مشروع الهلال الخصيب ، هو تأكيد حصر مصر فى افريقيا ، وتصفية أى دور أو وجود لها فى المشرق العربى .

□ □ □

وكانت الحكومة السورية التى ترى أمامها الانقسامات فى الجيش السورى تشعر بورطة شديدة ، وكانت راغبة فى أى إجراء من شأنه تحويل الأنظار فى دمشق عما يجرى فى المعسكرات ، وفى المحافل السياسية . وفى ٢٧ يوليو ١٩٦٢ بعثت الحكومة السورية بمذكرة إلى الأمين العام للجامعة العربية تلفت نظره فيها إلى فقرة وردت فى خطاب ألقاه « جمال عبد الناصر » فى الاحتفال بالذكرى العاشرة لثورة ٢٣ يوليو جاء فيها بالنص : « النكسة التى حصلت السنة اللى فاتت فى سبتمبر هل أثرت على معنوياتنا ؟ لم تؤثر بأى حال على معنوياتنا . إننا اليوم أيها الإخوة ، ونحن نحتفل بأعيادنا ننظر إلى الشعب السورى فى الاقليم الشمالى للجمهورية العربية المتحدة ... فهل تمكنت هذه الرجعية ، وهل تمكن هذا الاستعمار ؟ أو هل تمكنت أموال الراشين والمرتشين من أن تقضى على روح الشعب السورى ؟ »

وبعد أن أوردت المذكرة السورية هذه الفقرة من خطاب « جمال عبد الناصر » أضافت بأن هذه الفقرة خطيرة ، وأنها فى رأى الحكومة السورية تعنى « أنه لا يزال يعتبر سوريا واقعة تحت سلطته لأنه يسميها بالاقليم الشمالى ، وأن مؤدى كلامه أنه يحرض الشعب والجيش على القيام بانقلاب أو الاقتتال وخلق البلبلة والفوضى وسفك الدماء . وعلى هذا النحو فإنها تشكل اعتداء صريحا على سيادة الجمهورية العربية السورية ، وكرامة شعبها » . وطلبت الحكومة السورية أن

(٦) كان معهد اللغات فى شملان رسميا مركزا لتعليم اللغة العربية لأعداد من الدبلوماسيين البريطانيين والأمريكيين ، وقد تعدى نشاطه هذه الحدود بكثير إلى درجة جعلت الوصف الشائع له هو « معهد الجواسيس » .

يجتمع مجلس الجامعة العربية لبحث شكواها فى اى بلد عربى غير مصر . وفى ١٦ أغسطس ١٩٦٢ رد الأمين العام للجامعة العربية بأنه قد دعا مجلس الجامعة العربية إلى الاجتماع يوم ٢٢ اغسطس فى مدينة « شتورا » اللبنانية للبحث فى الشكوى السورية .

وتحول مؤتمر « شتورا » إلى مناسبة للتشهير بمصر ، وأعدت الأطراف المشاركة فى هذه العملية ما بدا لها أنه ضربة قاضية لأى محاولة مصرية للرد . فقد استطاعت أسرة « أبو الفتح » وكان « أحمد أبو الفتح » هو أنشط أفرادها فى هذه الفترة ـ إقناع المقدم « زغلول عبد الرحمن » وهو من أقرباء أسرة « أبو الفتح » بالنسب المباشر وكان يشغل وظيفة الملحق العسكرى فى بيروت (حتى تلك اللحظة !) بأن يترك منصبه فى بيروت ، ويتوجه إلى « شتورا » حيث يظهر فجأة ، وبطريقة مسرحية امام مجلس الجامعة العربية ليدلى بشهادته عن عمليات « التخريب المصرى » فى سوريا ، وفى غيرها من البلاد العربية . وبالطبع فإن حديثه سوف يكون حديث خبير يعرف الخبايا من الداخل ، ولا يستطيع أحد أن يطعن فى شهادته !

وقد ذكر اللواء « عبد الكريم زهر الدين » قائد الجيش السورى بعد الانفصال فى اعترافاته ما يلى بالنص :(٧)

« إن المقدم زغلول عبد الرحمن بعد ان ادلى بشهادته امام مؤتمر شتورا عن الجرائم التى يرتكبها النظام المصرى توجه إلى دمشق ، وهناك اجتمع بالدكتور عبد الكريم العائدى ممثل الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وسلمه الأوراق الرسمية التى كان يحملها ، مع الاموال التى كانت فى صندوقه فى بيروت ، والتى جلبها معه خوفا من إخفائها بعد تركه لمكتبه واتهامه فيما بعد بسرقتها . لقد احسن المقدم زغلول بجلب كافة الوثائق وتسليمها بصورة رسمية لقاء إيصالات إلى مندوب الجامعة الذى اعادها بدوره إلى السفارة المصرية فى بيروت . غير ان جرائد وإذاعة القاهرة رغما عن ذلك اتهمت زغلول بالسرقة وغيرها من الاتهامات .

ثم بقى المقدم زغلول فترة لا باس بها فى دمشق . ولكنه عندما اظهر رغبته بإقامة مكتب ووسائل دعاية لصالح منظمة « مصر الحرة » ، اعتذرنا عن تلبية طلبه لانه سبق لهذه المنظمة ، وبعد حركة ٢٨ ايلول (سبتمبر) مباشرة ان تقدمت بهذا الطلب ورفضناه ، لاننا علمنا بان هذه المنظمة ممولة ومسيرة من قبل الاستعمار الفرنسى والانكليزى . وهو بعد ذلك سافر إلى اوروبا ولم نسمع عنه شيئا » .

□

(٧) مذكرات اللواء « عبد الكريم زهر الدين » ، صفحة ٣١٧ .

لم يسمع اللواء « عبد الكريم زهر الدين » (كما قال) شيئا عن « زغلول عبد الرحمن » بعد سفره من دمشق إلى أوروبا ، ولكن المخابرات المصرية(٨) كانت تريد أن تعرف عنه كل شىء . وقد استطاع احد ضباطها أن يحصل على تسجيل صوتى لمناقشة جرت بين « محمود أبو الفتح » و « زغلول عبد الرحمن » فى إحدى الغرف بفندق فى ضاحية « أوستيا » القريبة من روما عاصمة إيطاليا . وفى هذا التسجيل سمع صوت « زغلول عبد الرحمن » يقول لـ « محمود ابو الفتح » : **« انا حسيت إنه الناس اللى قابلتهم إمبارح مع احمد (يقصد احمد ابو الفتح) هم فى الحقيقة إسرائيليين ، وكانوا بيسألوا بإلحاح عن معلوماتى عن الصواريخ اللى بتتعمل فى مصر »** . وسمع فى شريط التسجيل صوت « محمود ابو الفتح » يرد عليه قائلا : **« اسمع يا زغلول ، انا مستعد اتعامل مع الشيطان ضد جمال (جمال عبد الناصر) »** .

ويبدو على نحو أو آخر أن « زغلول عبد الرحمن » بدأ يشعر أنه تورط بأكثر مما اراد لنفسه . وبعد فترة من الزمن تخبطت فيها تحركاته بين روما وباريس وجنيف ولندن قرر أن الأفضل له أن يعود إلى القاهرة ، ويسلم نفسه . وقد جاء بالفعل وأدلى باعترافات كاملة عن تجربته ، ثم أعاد تكرار اعترافاته أمام مجلس عسكرى عال شكل لمحاكمته . **وجاء فى اعترافاته امام المجلس العسكرى(٩) ان اسرته (اسرة « ابو الفتح ») اغرته بالهرب ، وانهم دفعوا له مبالغ لتسديد ديونه مقدما ، ثم راحوا بعد ذلك يدفعون له مرتبا شهريا قدره ثلاثمائة جنيه استرلينى . وقال ايضا إنه خرج من بيروت يوم لجوئه إلى سوريا استعدادا لمؤتمر « شتورا » مختبئا فى سيارة السفير السعودى فى بيروت ، وانه علم فيما بعد أن « أحمد ابو الفتح » تسلم ٢٥٠ الف جنيه استرلينى من السعودية مقابل إغرائه على الهرب ، وانه سلم « أحمد ابو الفتح » ملفا كبيرا يحوى صورا من كل ما كان لديه من أوراق .**

وكان من اخطر ما جاء فى اعترافات « زغلول عبد الرحمن » هو قوله « بان شخصين من المخابرات البريطانية جاءا لمقابلته وانه رفض فى البداية ، إلا أن أحمد أبو الفتح الح عليه ليلقاهما حتى لا يوقعه فى

(٨) التقرير الصوتى ، ومرفق به تقرير ضابط المخابرات العامة الذى قام به موجود فى ارشيف إدارة المخابرات العامة . وقد قامت الإدارة بتفريغه ، وطبعت منه ثلاث نسخ ـ احتفظت بواحدة منها فى ارشيفها المركزى ، وقامت بإرسال الثانية إلى رئاسة الجمهورية ، والثالثة إلى مكتب المشير « عامر » .

(٩) محاضر جلسات المجلس العسكرى العالى المشكل لمحاكمة المقدم السابق « زغلول عبد الرحمن » ـ جلسة ١٣ اغسطس ١٩٦٥ .

حرج . فوافق على مقابلتهما ، ووجد ان اهتمامهما مركز كله على مسالة الصواريخ التى تصنعها مصر » .

□ □ □

وفى أواخر عام ١٩٦١ وكانت الثورة الجزائرية تواجه أصعب ظروفها ، و « ديجول » يبذل قصارى جهده ليحول دون تحقيقها لانتصار كامل حتى يفرض على قيادتها موقفا « معتدلا » فى مفاوضات الاستقلال ـ كان رأى « جمال عبد الناصر » أنه من الضرورى تكثيف المساعدات للثورة الجزائرية حتى تستطيع تحقيق انتصارها كاملا ، وعلى نحو يحسم بشكل نهائى مطلبها فى الاستقلال الكامل . كان الأسطول الفرنسى يقيم حصارا شديدا حول الحدود الجزائرية مع تونس والمغرب لكى يحول دون وصول أية إمدادات حربية إلى المقاتلين فى اللحظات الفاصلة من القتال ، كما أن الأسطول الفرنسى كان يفعل نفس الشىء أمام الشواطىء الجزائرية . وبلغت دقة الموقف فى وقت من الأوقات إلى حد ان « جمال عبد الناصر » اتخذ قرارا باستعمال الغواصات فى نقل السلاح إلى الجزائريين حتى يتاكد لهم التفوق فى المعارك التى كانت تدخل مراحلها الأخيرة قبل المفاوضات . وبالتاكيد فإن « جمال عبد الناصر » اعتبر وقوفه إلى النهاية مع الثورة الجزائرية بمثابة الرمز الحى على ان التزامه بالقضايا العربية متين بصرف النظر عن الانقلاب فى سوريا ، وعن كل ما كان يتعرض له فى المشرق العربى !

وفى هذا الوقت قررت فرنسا ان تعمل مباشرة فى القاهرة ، وتمكن جهاز المخابرات المصرى فى ضربة من أكثر ضرباته توفيقا ان يلقى القبض على شبكة تجسس واغتيالات فرنسية كلفت بالعمل فى مصر تحت ستار مكتب رعاية المصالح فى السفارة التونسية بالقاهرة ، وكان المسؤول الأول عن هذه الشبكة موظف فرنسى يحمل جواز سفر دبلوماسيا يشير إلى انه بدرجة سكرتير اول فى الخارجية الفرنسية اسمه « جان بول فرانسوا بليفييه » . وقد اشترك معه فى أعمال هذه الشبكة عدد من الفرنسيين والإيطاليين ، واستطاع جهاز المخابرات المصرية ان يتابع الشبكة الفرنسية ، ثم يقبض عليها فى حالة تلبس ، وان يواجه رئيسها بما لديه من ادلة مصورة ومكتوبة . وجلس « بليفييه » صامتا لكى يكتب اعترافا خطيا جاء فيه :

« انا الموقع على هذا « جان بول فرانسوا بليفييه » اقر باننى كلفت رسميا بتصفية الممتلكات الفرنسية فى مصر الموضوعة تحت الحراسة ، ولكنى فى نفس الوقت تلقيت الأمر بان اجمع معلومات سياسية واقتصادية وعسكرية عن الجمهورية العربية المتحدة ، وان اقوم بإنشاء تنظيم يكفل حصولنا بانتظام على معلومات مخابرات

كنا نقوم بإرسالها بالحقيبة الدبلوماسية إلى الوزارة فى باريس . وقد رسمنا خطة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر على اساس ان ذلك هو الحل الوحيد لتغيير سياسة الجمهورية العربية المتحدة . ولهذا الغرض ارسلوا إلينا من باريس ضابط مخابرات فرنسى هو المسيو « هنرى جانيتز » وقد سبق له ان وضع خطة لاغتيال فرحات حشاد رئيس اتحاد النقابات التونسية . وقد قمنا بإعداد منشورات ضد نظام الحكم فى مصر عملنا على توزيعها ، وكنا نتولى كمهمة جانبية عملية جمع اخبار خاصة لمحطة إذاعة مصر الحرة التى تبث من مرسيليا ، والتى يديرها احمد ابو الفتح ، ويذيع منها مرتين كل يوم إذاعات موجهة إلى مصر . كما اننا قمنا ايضا بتهريب اموال لعدد من المصريين المعروفين بصداقتهم لفرنسا ، والذين وضعوا تحت الحراسة فى اواخر سنة ١٩٦١ » .

□

كان تقدير « جمال عبد الناصر » أن هذه العمليات كلها ، على تعدد اتجاهات القائمين بها ، وعلى اختلاف أهدافهم ـ هى نوع من النيران المتفرقة يقصد بها ان تشغله ، وتشتت اهتمامه ، وتضعه باستمرار على الدفاع فى معارك صغيرة وجانبية .

ولقد ادرك ان عليه ان يترك هذه المعارك لآخرين يتولون مواجهتها ، اما هو فيجب ان يتجه بكل جهده إلى تقوية « القاعدة الثابتة » .

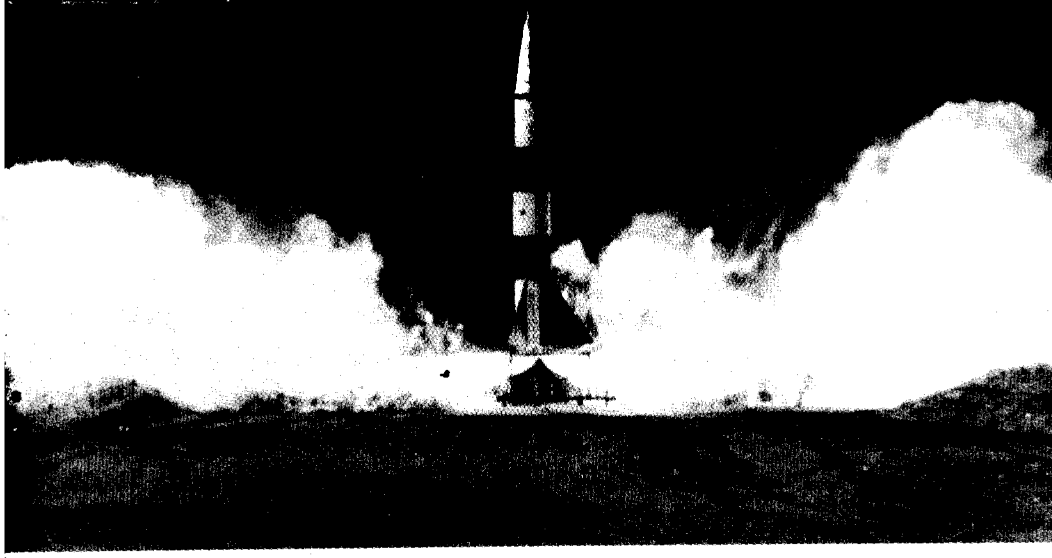
وطرح « جمال عبد الناصر » مشروع ميثاق العمل الوطنى امام مؤتمر للقوى الشعبية .

وبدأ الإعداد والعمل لتنفيذ اول خطة خمسية للتنمية على أساس مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات ، وفى مركز الصدارة من الخطة : إتمام السد العالى بمرحلتيه ، والتصنيع الثقيل .

وجرت يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٢ تجربة لصاروخين مصريين هما « القاهر » و « الظافر »[١٠] . ومع أن تجربة هذين الصاروخين أثبتت نقصا لابد من استكماله فى أجهزة التوجيه ، فإن ظهور صواريخ مصرية كان حدثا فى المنطقة ، وكان المشرف على مشروع الصواريخ هو أحد العلماء الألمان الذين شاركوا فى صنع الصاروخ « V » رقم (١) وهو الدكتور « وولفجانج بيلز » (وكان هو فيما بعد الذى اشرف على صناعة الصواريخ فى الصين) .

واعطيت دفعة كبيرة لصناعة الصواريخ ، وكان الإشراف عليها لعلماء ألمان من

(١٠) هذه الصواريخ ـ أو النماذج المتطورة منها ـ تقوم ساعة كتابة هذه السطور (بداية صيف ١٩٨٨) بدور كبير فى الصراعات الدائرة فى الشرق الأوسط .



الصاروخ « القاهر » لحظة اطلاقه ، الذى احدث دويا سياسيا هائلا فى المنطقة رغم نواقصه .

الذين كانت تتسابق عليهم الدول العظمى ، وبينها الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية .[١١]

وكان البرنامج النووى فى مصر قد دخل إلى عهد جديد بعد إتمام إنشاء مفاعل « انشاص » ، وبدأت مصر تعد بجانب مصانع « كيما » للسماد مشروعا لإنتاج المياه الثقيلة ، كما أن طبقات من اليورانيوم تم اكتشافها فى الواحات ، وفى جنوب الصحراء الشرقية .

□

ولعل الثغرة الأساسية التى تركها « جمال عبد الناصر » وراءه فى هذه الظروف ولم يقطع فيها بطريقة حاسمة كانت هى قضية القيادة فى القوات المسلحة . كانت تجربة الانقلاب فى سوريا قد أوضحت له أن أحوال القيادة العامة بما فيها شخص القائد العام تحتاج إلى مراجعة . كان هذا الموضوع قد طرح نفسه فى أعقاب حرب السويس ، ثم عاد ليطرح نفسه بصورة أشد بعد الانفصال فى سوريا ، وكان لابد من البت فيه ، ولكن « جمال عبد الناصر » آثر

(١١) كان الدكتور « فون براون » ، منشىء صناعة الصواريخ فى الولايات المتحدة ، بما فيها الصاروخ الذى حمل أول إنسان إلى القمر ـ أحد هؤلاء العلماء .

تأجيل البت فيه ، فقد تحرج من ناحية دفعا لمقولة إنه يتخلص من زملائه فى مجلس قيادة الثورة واحدا واحدا ، ومن ناحية ثانية ، فلم يكن يريد إحداث هزة فى الجيش فى أعقاب الانفصال ، ومن ناحية ثالثة ، فإنه وهو مقبل على مرحلة يريد فيها تدعيم الجبهة الداخلية بتكثيف العمل فى مجالات الإنتاج والخدمات ـ لم يكن مستعدا لأن يعرض الأداة الرئيسية للأمن القومى لأى خلخلة فى وقت تتزايد فيه التحديات من حول الجمهورية .

وكان السكوت على الأوضاع السائدة فى القوات المسلحة حلا وسطا ، ولم يكن بالضبط انقلابا « أبيض » ـ كما تقول بعض النظريات ـ وعلى أى حال فإن خطر الحل الوسط إزاء أوضاع من هذا النوع الذى كان سائدا لم يكن أقل من خطر انقلاب أبيض ![١٢]

٣

وكانت هناك قوى فى العالم ترقب القاهرة وترصد حركتها ، قد ظن كثيرون أن مفاجآت الحوادث وذيولها سوف تعطلها على الأقل ـ إذا لم تصبها بالشلل ـ لفترة طويلة .

ثم لاحظ هؤلاء جميعا أن القاهرة تجاوزت صدمتها بسرعة ، واجتازت امتحانها بكفاءة ، ولعل بعضهم راح يفكر ، ولعل بينهم من وجد الفرصة سانحة لكى يتحرك الآن وقبل أن تمشى الأمور إلى بعيد قد يصعب اللحاق به . وكانت التقديرات مختلفة باختلاف القوى كما أن التوجهات كانت متباينة بتباين مقاصد أصحابها . وربما كان البيت الأبيض الأمريكى أسرعهم إلى انتهاز الفرص فى ذلك الوقت .

(١٢) الحقيقة اننى لست من انصار نظرية الانقلاب الابيض التى تروج لها بعض الاجتهادات فى محاولة ساذجة ـ فى رأيى ـ لإعفاء جمال عبد الناصر من اى مسؤولية عن الجانب العسكرى سنة ١٩٦٧ ـ ولو كانت هذه النظرية صحيحة ، فلم يكن يحق لجمال عبد الناصر ان يقبل تحدى الحرب سنة ١٩٦٧ مهما كانت الظروف ، وإلا فكيف يدخل الحرب بجيش خارج عن طاعة قيادته السياسية ؟!

يوم ١٦ أكتوبر ١٩٦١ كتب « ماك جورج باندى » مستشار الأمن القومى للرئيس « كنيدى » مذكرة إلى « دين راسك » وزير الخارجية[١٣] جاء فيها بالنص :

« إن الرئيس مهتم كثيرا بالسياسة التى يمكن ان نتبعها إزاء مصر بعد الانقلاب فى سوريا . وهو يتساءل عما إذا كانت الصدمة التى تلقاها ناصر فى سوريا حتى وإن كانت صدمة مؤقتة سوف تدفعه إلى الانكفاء على الداخل ، وإلى خلق فرص لتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ولو بقصد الحصول على مساعدات اقتصادية منها .

إن الرئيس يطلب تقريرا ، ويطلب - إذا استدعى الأمر - برنامجا للعمل ، ويريد ان يكون ذلك عنده قبل يوم ٢٠ اكتوبر ١٩٦١ .

إمضاء

ماك جورج باندى »

وأحست القاهرة أن البيت الأبيض يفكر فى تحرك جديد تجاهها . واستطاع أحد الدبلوماسيين فى السفارة المصرية[١٤] فى واشنطن أن يحصل على تقرير داخلى من تقارير وكالة المخابرات المركزية سلمه للسفير « مصطفى كامل » الذى بعث به بالحقيبة إلى القاهرة . وقد وردت فى هذا التقرير مجموعة من النقط أهمها ما يلى :

١ - إن الوقت مناسب لتحرك امريكى نشيط وخلاق تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، فهناك مجموعة من العوامل تؤثر فى رؤية ناصر للأمور واهمها ضيقه الشديد من العرب بعد الانفصال فى دمشق ، وما تاكد له من مشاركة اطراف عربية فى تدبيره . وفى نفس الوقت فإن ناصر لا يزال على خلاف حاد مع الاتحاد السوفيتى ، وقد زادت مضاعفات هذا الخلاف من تاييد خالد بكداش للحكم الذى قام فى سوريا ، واعتبر ناصر ان بكداش لا يمكن ان يتخذ هذا الموقف بدون إجماع من الأحزاب الشيوعية العربية يؤيدها فيه الاتحاد السوفيتى الذى كان هو نفسه من اوائل الدول الرئيسية التى اعترفت بحكومة الانقلاب فى سوريا .

٢ - إنه من الواضح اعتمادا على معلومات مصادر موثوقة ان ناصر سوف يركز فى الفترة القادمة على العمل الداخلى ، وهو يرى ان العمل فى الداخل هو السبيل

(١٣) مذكرة عمل صادرة عن مجلس الأمن القومى برقم (١٠٥) بتاريخ ١٦ اكتوبر ١٩٦١ وقد ارسلت صور منها إلى وزير الدفاع ، ووزير الخزانة ، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

(١٤) قصة هذا الدبلوماسى لغز من الألغاز الغامضة ، فقد ظهر فيما بعد انه تعاون بشكل من الأشكال مع وكالة المخابرات المركزية ، وقد حاول دائما إبعاد الشكوك عن نفسه بالحصول على بعض التقارير الداخلية لوكالة المخابرات المركزية ، ولم يكن معروفا بشكل مؤكد إذا كانت الوكالة قد سمحت له ان يقوم بهذا الدور المزدوج ، او انه هو الذى اختار لنفسه هذا الدور . وقد كانت بعض تقاريره صادقة ، كما كان بعضها الآخر « مصنوعا » ، وفى النهاية فإن هذا الدبلوماسى عندما فرض عليه أن يختار رفض ان يعود إلى القاهرة ، وقرر البقاء فى الولايات المتحدة ، وتم فصله من الخدمة . وإذا كنت لا اذكر اسمه صراحة فى هذه الحاشية - رغم انه توفى إلى رحمة الله - فإن مبعث ذلك انه ادين بالطريق الإدارى ، وليس بطريق المحاكمة .

المفتوح امامه فى هذه الظروف لتقوية مركزه فى مصر حتى يتسنى له ان يعود مرة اخرى إلى العالم العربى فى ظروف مستجدة ، خصوصا إذا نجح رهانه على انتصار الثورة الجزائرية .

٣ - إن « ناصر قوى داخل حدوده » - قد لا يكون عنصرا معاديا للولايات المتحدة ، فخطره الحقيقى على مصالح الولايات المتحدة يجيء حين يخرج من حدود بلاده ، ويتدخل فى الشؤون الداخلية لبلدان الشرق الأوسط الأخرى .

٤ - إن ناصر لا يزال عنصرا هاما فى مقاومة الشيوعيين ونفوذ الاتحاد السوفيتى فى المنطقة - وهناك قدر معقول من الافتراض بانه إذا تلقى مساعدات مناسبة ، فقد يجد ان من مصلحته الاستمرار فى سياسة تكفل تحقيق العنصرين السابقين - اى بقاؤه داخل حدوده وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للآخرين - إلى جانب استمراره فى العداء للشيوعيين والاتحاد السوفيتى .

٥ - إن تفاعلات هذه العوامل التى سبقت الاشارة إليها قد تدفعه فيما بعد إلى رؤية الضوء بما يسهل عليه تجاوز عقدة استمرار الصراع مع إسرائيل . وإذا امكن الوصول إلى سلام بين مصر وإسرائيل ، فليست هناك قوة عربية او مجموعة قوى تستطيع ان تعرقل هذا الاتجاه .

□

وبدأ هجوم السلام الأمريكى على القاهرة يأخذ ملامحه ، وكانت بدايته خطابا بالغ الرقة من « جاكلين كنيدى » زوجة الرئيس الأمريكى الجديد والنجمة اللامعة فى إدارته .

كانت حكومة الولايات المتحدة قد تبرعت لمشروع إنقاذ اثار أبو سمبل (من الغرق نتيجة لتنفيذ مشروع السد العالى) بمبلغ عشرة ملايين جنيه من فوائض مبيعات القمح الأمريكى لمصر . وتعبيرا عن تقدير مصر لهذا التبرع وافق « جمال عبد الناصر » على عرض بعض آثار « توت عنخ آمون » فى الولايات المتحدة . كما أن مجلس الوزراء اتخذ قرارا بإرسال تمثال صغير لأحد النبلاء من عصر « توت عنخ امون » وجدت عدة نسخ فى مقبرته كهدية خاصة للبيت الأبيض . وكانت « جاكلين كنيدى » هى التى تولت الرد على هذه الهدية . وبتاريخ ٣ نوفمبر ١٩٦١ كتبت إلى « جمال عبد الناصر » الخطاب التالى نصه :[١٥]

« عزيزى الرئيس

لا اعرف كيف اعبر عن شكرنا العميق لك . إنك جعلت من الممكن لنا - على بعد محيطات كثيرة من مصر - ان نرى كنوز مقبرة توت عنخ آمون ، وكان ذلك كرما

(١٥) مجموعة وثائق البيت الابيض - مكتبة الرئيس كنيدى .

رائعا ، وإشارة رقيقة من جانبك . لقد عشت حياتى كلها اتمنى ان ارى آثار مصر ، وهكذا يمكنك ان تتخيل مشاعرى عندما وقفت امام كنوز توت عنخ آمون قطعة بعد اخرى . ولقد وقفت اخيرا امام التمثال الرائع الذى تفضلت بإهدائه إلى البيت الأبيض لأحد النبلاء من القرن الخامس قبل الميلاد . ووجدت نفسى اقف مشدوهة لا اعرف ماذا اقول حتى لكاننى فقدت القدرة على النطق .

لقد اغرمت بفنون مصر اكثر من غرامى باى فنون اخرى ، ومنذ ان كنت تلميذة صغيرة ، فلقد استطاع اساتذتى ان يفتحوا عينى على روائع الفن المصرى . وانت تعرف مشاعر زوجى تجاه إنقاذ آثار المعابد البديعة الموجودة فى اعالى النيل ، ولا تستطيع ان تتخيل ما الذى يعنيه ان اجد عندنا فى البيت الأبيض نموذجا من آثار مصر . إنه جميل إلى درجة اننى لا استطيع ان اشير إليه كشىء . إننى اشعر بالأسى له وهو يجد لنفسه بيتا جديدا بعيدا عن مصر ، ولكن لعله عزاء قليل له ولك ان تعلم ان طيفه سوف يظل معنا طوال حياتنا . وبالتاكيد فإن عمره سوف يكون اطول من اعمارنا ، وسيظل له دائما جلاله الذى لا يضاهى . وانا واثقة انه سوف يوقظ لدى كثيرين من الأمريكيين حبهم لحضارة بلادكم ، وربما كان فى ذلك بعض التعويض عن اغترابه . إننى اخشى يا عزيزى الرئيس اننى لن استطيع ان اجد الكلمات التى اشكرك بها وآمل ان تقدر شعورى بالعرفان ، واتطلع بشوق إلى ان تتيح لى الظروف شرف لقائك فى يوم من الأيام .

المخلصة

جاكلين كنيدى »

□

من الغريب أنه فى الوقت الذى راح فيه « كنيدى » يطرق أبواب القاهرة ـ كانت إسرائيل تبذل جهدا كبيرا لإقناع الولايات المتحدة باعتمادها وكيلا لها فى أفريقيا ، وبالذات فى الدول الحديثة الاستقلال . ويوم ٢١ نوفمبر كتب « مائير فيلدمان » مستشار الرئيس « كنيدى » للشئون اليهودية مذكرة للرئيس جاء فيها ما نصه :(١٦)

« إلى الرئيس

١ ـ تتذكر فى اجتماعنا قبل اسبوعين انك سألتنى عن معلومات عن المساعدات التى تقدمها إسرائيل إلى الدول الافريقية حديثة الاستقلال . وكان توجيهك ان نبحث مدى استعداد إسرائيل واهليتها لهذه المهمة .

٢ ـ لقد اعترفنا منذ وقت طويل بالدور الهام الذى تقوم به إسرائيل فى الدول الافريقية النامية ، وتقوم إسرائيل الآن بتنفيذ البرامج التالية :

(١٦) مجموعة الوثائق السرية لمكتبة « كنيدى » وكذلك مجموعة وثائق مجلس الأمن القومى .

(ا) تدرب عددا كبيرا من القادة الافريقيين والآسيويين ، ولديها الآن عشرة مراكز دائمة للتدريب فى إسرائيل .

(ب) ترسل إسرائيل خبراء ومستشارين إلى عدد من الدول المهمة . وفى الشهور العشرة الأولى من سنة ١٩٦١ ارسلت إسرائيل ٢٠٥ خبراء إلى افريقيا وآسيا ، وستة خبراء إلى امريكا اللاتينية ، ولديها الآن طلبات إضافية بـ ٦٥ خبيرا جديدا .

(جـ) تنظم إسرائيل مجموعات ومعدات تدريب فى عدد من البلدان ، وهى تنشىء الآن خمسة مراكز للتدريب قادرة على استيعاب ٥٠٠ فرد فى غرب افريقيا .

(د) تقيم مشروعات مشتركة ابرزها شركة غرب افريقيا التى تستخدم الآن خمسة آلاف موظف محلى وإدارة إسرائيلية مكونة من خمسين خبيرا ومستشارا .

إن هذا النشاط يناسب الولايات المتحدة الأمريكية ، ويخدم اغراضها باقل التكاليف للأسباب التالية :

١ ـ إن الخبرة الإسرائيلية رخيصة ، فالخبير الإسرائيلى لا يتكلف اكثر من ٨٠٠ دولار فى الشهر فى حين ان اى خبير امريكى يحتاج إلى ضعف هذا المبلغ على الأقل .

٢ ـ لأن إسرائيل دولة اصغر ، فإنها يمكن ان تكون اكثر نفاذا .

٣ ـ لأن ٥٠٪ من سكان إسرائيل من اصل آسيوى وإفريقى ، فإن ذلك يجعلهم قادرين بسرعة على التأقلم .

ونحن نقترح .... (بقية صفحات التقرير محذوفة لدواعى الأمن القومى المستمرة حتى الآن) . »

□

وفى يوم ١٠ يناير ١٩٦٢ رد وزير الخارجية « دين راسك » على التساؤل الذى وجهه له « ماك جورج باندى » وقد جاء فى رده ما يلى :

١ ـ إنه يقترح إمداد مصر ببعض المعونات الاقتصادية لإبعادها عن اى اقتراب من السوفيت .

٢ ـ إن إحساس ناصر نتيجة للمعونة بأن لديه ما يفعله فى بلاده سوف يغريه بعدم الخروج وراء حدوده .

٣ ـ إنه يقترح ان تكون المعونة لعدة سنوات لكى تعزز إمكانية الارتباط السياسى الطويل المدى .

٤ - إنه يقترح إجراء اتصالات مباشرة مع الحكومة المصرية عن طريق وفد سياسى يزورها ، وعن طريق بعثة خبراء تدرس اوضاعها .

٥ - إنه يقترح دعوة ناصر لزيارة الولايات المتحدة « ويرى ان ذلك امر مرغوب فيه » لتهيئة فرصة لإجراء مواجهة شخصية معكم ، ولتعريفه بالولايات المتحدة ، وبالغرب عموما ، فهو لم يزر اى بلد غربى إطلاقا باستثناء حضوره الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٦٠ ، ثم للتغلب على شعور ناصر باننا لا نريده ، وهو ما نعتقد انه أثر على مسلكه تجاه الولايات المتحدة تاثيرا معاكسا . »

وختم « دين راسك » مذكرته بقوله :

« إننى على علم بان هذه الخطوات ربما بدت تاييدا لنظام ناصر ، ولكن علينا ان نعرف أن الترتيب لهذه الأمور كلها سوف يستغرق وقتا طويلا نستطيع فيه أن نراجع موقفنا . وفى كل الأحوال فإننا يجب أن ناخذ مخاطر محسوبة . »

ويوم ٢٤ يناير ١٩٦٢ كتب الرئيس « كنيدى » إلى « جمال عبد الناصر » خطابا شخصيا كان نصه كما يلى :(١٧)

« عزيزى الرئيس

فى العام الذى مضى ، ومنذ تسلمت رئاسة الولايات المتحدة تبين لى ان هنك مشكلة كبيرة فى فهم آراء وشواغل اصدقائنا فى الخارج ، وان مبعث ذلك هو انه لا توجد صلات كافية بيننا وبين رؤساء الدول الأخرى . ومن الواضح امامى ان العالم يتغير بسرعة غير عادية ، والعلم الحالى ، والعقد الحالى فى رايى حاسمان بالنسبة لنا جميعا باكثر من اى علم ، او اى عقد سبقا على مدار التاريخ . واعرف انكم تشاطروننى الراى فى انه يتعين علينا ان نبذل كل ما فى طاقتنا لتحسين احتمالات السلام فى كل ركن من اركان العالم . ومن المقرر ان يقوم صديقى العزيز ومستشارى تشستر بولز برحلة إلى الشرق الأوسط وافريقيا . وبناء عليه يهمنى ان اطلب منه ان يبحث معكم بصراحة ، وبالنيابة عنى جميع انواع القضايا العالمية المعقدة التى تسبب المتاعب لعالمنا الآن . وفى وسع السفير بولز التوقف لبضعة ايام فى القاهرة فى شهر فبراير لإجراء هذه المناقشة معكم . ويمكنه ان يصل فى اليوم الثالث عشر من فبراير إذا كان هذا الموعد ملائما لكم .

ولعلكم تعرفون اننى قد عينت السفير بولز اخيرا ليكون ممثلى الشخصى ، ومستشارى بالنسبة لجميع جوانب علاقات الولايات المتحدة مع آسيا وافريقيا

(١٧) مجموعة وثائق مكتبة « كنيدى » ومجلس الأمن القومى ، وكذلك مجموعة وثائق وزارة الخارجية الامريكية لسنة ١٩٦٢ .

وامريكا اللاتينية . وقد توافرت له خبرة واسعة النطاق فى الشؤون الاقتصادية والسياسية لهذه الاجزاء من العالم . كما ان لديه فهما وتعاطفا عميقين بالنسبة للمشكلات المتشعبة للبلدان التى تسعى سعيا حثيثا فى سبيل تنشيط عملياتها الخاصة بالتنمية الوطنية الذاتية . وإذا وافقتم على لقائه فسوف يتم الإعلان عن توقفه فى القاهرة باعتباره فرصة لزيارة الجمهورية العربية المتحدة ليخرج بنفسه بانطباعات مباشرة عن مصر الحديثة . غير ان الغرض الحقيقى من زيارته للقاهرة هو ان يجتمع معكم ، وآمل ان تتحدثوا معه بمثل الصراحة التى يمكن ان تتحدثوا بها معى حول الموضوعات التى تمس العلاقات بين امتينا ، والشرق الأوسط بصورة عامة ، والشؤون الدولية جميعا ، وسوف يكون بمقدوره ان ينقل إليكم آرائى الشخصية حول هذه الموضوعات كلها . وساكون عظيم الامتنان لمعرفة رد فعلكم تجاه اقتراحى ، ويسعدنى ان اعرف مع تقديرى لكل اعبائكم ما إذا كان وقتكم سيتسع لمباحثات معه اعتقد انها ربما برهنت على فائدتها القصوى لكلينا .

مع اطيب التمنيات .

المخلص

جون ف . كنيدى »

وحين تسلم « جمال عبد الناصر » هذه الرسالة التى قدمها له السفير الامريكى « جون بادو » كتب فى أعلاها بخط يده بالنص :

« وافقت :

١ - على الزيارة ، ويكون ضيفا على الحكومة .

٢ - يتم الاتفاق مع السفير على برنامج الزيارة .

٣ - وافقت على مقابلته يوم ١٤ فبراير الساعة الثامنة مساء . »

□

وتم اللقاء فى موعده ، وتبعه لقاء ثان ، وسافر « تشستر بولز » من مصر بعد ذلك متوجها إلى أثيوبيا ، ومن عاصمتها « أديس أبابا » بعث ببرقية سرية إلى الرئيس « جون كنيدى » يعرض فيها نتائج لقاءاته مع « جمال عبد الناصر » :(١٨)

« سرى   ٢١ فبراير ١٩٦٢

إلى الرئيس من تشستر بولز

لقد كانت الأيام الخمسة التى قضيتها فى القاهرة وحولها مشجعة اكثر مما قدرت . إننى عقدت لقاءين مع ناصر قضيت معه فيهما خمس ساعات اتاحت الفرصة

١٨) مجموعة وثائق مجلس الأمن القومى ووزارة الخارجية الامريكية .

لاعرض عليه بشكل مكثف مجملا لسياسات الإدارة الأمريكية الجديدة . ولكى اسمع منه وجهات نظره فى القضايا الهامة بما فيها ازمات الشرق الأوسط ، وتعقيدات العلاقات المصرية الأمريكية . وكان حديثنا وديا طوال الوقت ولم يكن هناك اثر للانفعال فى اى لحظة ، وكان ناصر متمكنا من نفسه ، وقد طرح آراءه بطريقة صريحة وواضحة . ومن الواضح لى ان حكومة الجمهورية العربية المتحدة تريد تحسين علاقاتها مع الولايات المتحدة ، وقد اعتبروا ان زيارتى لمصر كممثل للرئيس فرصة لوضع اساس للتفاهم بيننا . واريد ان اعرض هنا بعض انطباعاتى :

١ - إن مصر سوف تظل تلعب بالتاكيد دورا اساسيا فى شؤون الشرق الأوسط بسبب موقعها ، وتاثيرها الثقافى فى العالم العربى ، واهميتها فى العالم الإسلامى ، وحجم سكانها ، وثروتها الزراعية ، وكفاءة وشخصية قيادتها المثيرة للحماسة . وإذا كان علينا ان نواجه عداء من مصر ، فلست ارى كيف يتسنى لنا ان نتوصل إلى حل لمشكلة فلسطين ، او ان نحقق اى هدف من اهداف الولايات المتحدة فى المنطقة .

٢ - إن اية ترتيبات سياسية مؤقتة لن تقدم لنا اكثر من فرصة لالتقاط الانفاس . فإذا كنا نريد ان نسعى لتحقيق سياسة بعيدة الأمد ، فيجب علينا ان نساعد على إيجاد حل لمشكلة زيادة السكان ، وزيادة تطلعاتهم مع وجود موارد اقتصادية محدودة - وإلا فإن الوقف فى هذا البلد المؤثر فى الشرق الأوسط سوف يصبح قابلا للانفجار بما يؤثر على المنطقة كلها .

٣ - إن نجاحنا يتوقف على قدرتنا على إقناع ناصر بالإمساك بالمحراث بدلا من الميكروفون . وبهذه الطريقة وحدها يمكن ان نضمن تقدم المنطقة سلميا إلى العالم الحديث .

ولقد خرجت من مقابلتى مع ناصر وبغيره من اعضاء حكومته بالانطباعات التالية :

١ - إن الحكومة فى مصر تقودها مجموعة من الرجال شديدى الكفاءة ، ومعظمهم فى سن الشباب ، مليئين بالعزم ، ولديهم تفان عميق لتحقيق اهدافهم .

٢ - مهما يكن من امر انتقاداتنا لناصر ومساعديه ، فإنهم مخلصون فى تفانيهم من اجل تحسين احوال الشعب المصرى ، وهم شديدو الوعى بالمظالم الاقتصادية التى حلت بمصر لأجيال متلاحقة ، وهم مصممون على إزالتها .

٣ - إن قادة الجمهورية العربية المتحدة - فيما احسست ورايت - رجال عمليون يبحثون عن الأساليب التى تمكنهم من تنمية اقتصادهم ، والمحافظة على سياستهم . وقد كانت الصناعة المصرية تقليديا موجهة إلى تحقيق اكبر عائد ممكن فى اقل وقت ممكن ، مع الاعتماد على الحماية دون نظر إلى الاستثمارات بعيدة المدى . وبرغم ان الحكومة حاولت بكل جهدها تشجيع راس المال الأجنبى ، فإن النتيجة كانت مخيبة للآمال . وعندما فقد ناصر وزملاؤه ثقتهم فى تحقيق اهدافهم على اساس نموذج راسمالى حر ، فقد بداوا يتجهون نحو التخطيط المركزى . وربما كانت القرارات

التى اتخذت اخيرا لزيادة تركيز التوجيه الاقتصادى تعكس إحباط النظام وغضبه عقب انفصال سوريا ، وخوفا من حدوث انقلاب مماثل فى مصر . وبعد ان ساروا طويلا فى اتجاه التخطيط المركزى يبدو لى الآن انهم يعاودون التفكير .

٤ - إن راى ناصر ومعاونيه فى الاتحاد السوفيتى ، وفى الصين الشعبية يبدو لى رايا عمليا غير ملتبس باى اتجاهات عقائدية . فهم سوف يستعملون الاتحاد السوفيتى كمصدر للسلاح والاستثمارات بما يلائم مصالحهم - وبالطبع فإنهم سوف يتبعون نفس الأسلوب معنا .

٥ - إن الجمهورية العربية المتحدة تنظر إلى إسرائيل كما تنظر الولايات المتحدة بالضبط إلى الاتحاد السوفيتى . ولن نتقدم بعيدا إذا حاولنا مجرد تسفيه هذا التقدير من جانبهم . وهم على اقتناع بان حكومة الولايات المتحدة لا تستطيع الصمود امام الضغوط الصهيونية فى الولايات المتحدة .

٦ - وبنفس الطريقة ، فإن المصريين على اقتناع بان البريطانيين والفرنسيين لم يتخلوا عن تصميمهم على تدمير ناصر ، وقد ذكروا لى ان مخابراتهم تعرف يقينا كثيرا من المعلومات عن التعاون البريطانى - الإسرائيلى . كما انهم يعتقدون ان البريطانيين والأردنيين كان لهم دور فى حوادث لبنان . وهم مصممون على ان اعضاء البعثة الفرنسية فى القاهرة والذين تجرى محاكمتهم الآن فيها كانوا يتامرون لقتل ناصر .

٧ - إن هذا يقودنى إلى الاعتقاد بان النظرة الأمريكية لناصر وزملائه تتسم بتبسيط شديد ، كما انه يشوبها الكثير من القصور . فلقد قللنا من اهمية الطابع الثورى لنظامه ، كما اننا فى ضيقنا من اعمالهم واقوالهم اتجهنا إلى التقليل من أهمية مصر وناصر فى مستقبل الشرق الأوسط .

ولقد شرحت لناصر النقط التالية :

١ - فى حالة هجوم سوفيتى على الولايات المتحدة ، فنحن واثقون من قدرتنا على توجيه ضربات رادعة لا يمكن احتمالها للاتحاد السوفيتى . ولم يساورنى شك فى ان ناصر يدرك ذلك تماما .

٢ - اكدت له اننا لا نرغب فى ان نفرض نظامنا على اى امة اخرى ، وبرامجنا للمساعدة تشهد بذلك . وقد عرضت عليه اهداف الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ، واكدت له اننا لا نريد السيطرة على المنطقة ، ثم إننا لم نعد فى حاجة ماسة إلى بترولها ، وكل ما يعنينا هو ان نساعد على تنمية المنطقة واستقلالها ليكون لها حق الاختيار فى إطار ثقافاتها الخاصة . وبالتاكيد فنحن لا نضغط على مصر ، ونحن على استعداد لقبول سياستها فى عدم الانحياز شريطة ان تكون غير منحازة فعلا .

٣ - إننا ندرك الضغوط العاطفية المتولدة فى كل من القاهرة وتل ابيب بسبب

الصراع العربى الإسرائيلى ، وندرك ان هذا لا يمكن ان يحل بين عشية وضحاها ، ولا نتوقع معجزات .

٤ ـ ونحن نعتقد ان ما يحدث فى مصر سوف يؤثر ليس فقط على مستقبل ناصر وحكومته وإنما على المنطقة كلها ، وان المستقبل لا يتوقف على الدعايات التى يبثها صوت العرب ، وإنما على قدرة الحكومة المصرية على حل مشاكل شعبها . وان مستقبل ناصر فى التاريخ سوف يتقرر بقدرته على مقابلته هذا التحدى .

وقد استمع ناصر إلى كل ما قلته باهتمام ، وبدا لى انه يتقبل خطوطه العريضة . وقد ركز فى رده معى على النقط التالية :

١ ـ إن الولايات المتحدة يجب ان تبنى سياساتها على الشعوب وإمكانيات تطورها ، وقدرتها على التحقيق ، وليس على اشخاص بعينهم مهما كانوا اصدقاء لها .

٢ ـ إن إسرائيل خطر حقيقى وقائم على الجمهورية العربية المتحدة . والجمهورية العربية المتحدة لن تبدا بالحرب ، ولكن إسرائيل ابدت تصميمها باستمرار على ان تفعل ذلك .

٣ ـ فى موضوع العلاقات الإسرائيلية ـ العربية فهو لا يريد من الولايات المتحدة إلا ان تراعى مصالحها ، ولا تسمح لجماعات الضغط الخاصة ، او للاقليات بان ترسم لها سياستها .

٤ ـ إن المجتمع الإقطاعى التقليدى القديم فى الجمهورية العربية المتحدة قد مات فعلا ، وإن الحكومة مؤيدة بالشعب مصممة على تصفية بقاياه .

٥ ـ إن هناك خلافات لا شك فيها بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، وليس هناك مجال لإنكار ذلك ، فهناك تصادم فى الأهداف فى بعض الأحيان ، ولكن لدينا رؤى مشتركة لكثير من الأمور ، وعلينا ان نحدد بالضبط اين نختلف واين نتفق .

٦ ـ إن مخاوفنا من الشيوعية فى المنطقة لا اساس لها ، فالنظام الشيوعى من ناحية سياسية واقتصادية غير قابل للتطبيق لا فى الشرق الأوسط ولا فى افريقيا .

إمضاء
تشستر بولز »

ولم تمض إلا أسابيع حتى كان الدكتور « عبد المنعم القيسونى » يقود وفداً اقتصادياً إلى الولايات المتحدة ، ويوقع هناك اتفاقا طويل المدى حصلت به الجمهورية العربية المتحدة على ما يساوى خمسمائة مليون دولار من القمح فى أربع سنوات .

□

ولم يطل الصفاء فى الجو طويلا ، فقد بدا كثير من أصدقاء الولايات المتحدة العرب يحتجون على الولايات المتحدة لأنها تكافىء أعداءها على حساب أصدقائها . واضطر الرئيس « كنيدى » إلى أن يكتب خطابا للملك « سعود » ولغيره من رؤساء الدول العربية جاء فيه بالنص[١٩] : « **إننى لا أعرف ما إذا كانت سياستنا الجديدة إزاء القاهرة سوف تحقق النجاح ، ولكننى أعتقد أنه إذا حدث ذلك فإن أصدقاءنا فى المنطقة سوف يكونون أول المستفيدين من المناخ فى الشرق الأوسط** » .

وكانت استجابة « كنيدى » لأصدقاء أمريكا من العرب متحفظة . ولكن استجابته لإسرائيل كانت أقل تحفظا . فقد بدأ « بن جوريون » يضغط على « كنيدى » من أجل الحصول على أسلحة أمريكية ادعى أنها لازمة لإسرائيل إزاء القوة النامية لمصر عسكريا واقتصاديا . وتحت ضغوط صهيونية مكثفة استجاب « كنيدى » فى شهر أغسطس ١٩٦٢ لطلب إسرائيل بالحصول على صواريخ « هوك » الأمريكية . ولم يستطع « كنيدى » أن يقاوم هذا الضغط بسبب قرب موعد انتخابات التجديد النصفى للكونجرس الأمريكى .

وحينما تسربت أول انباء عن هذه الصفقة قام الرئيس « جمال عبد الناصر » باستدعاء السفير الأمريكى « جون بادو » إلى مقابلته ، وابلغه انه يشعر أن القرار الأمريكى بتسليح إسرائيل بصواريخ « هوك » يعتبر بمثابة خطوة فى اتجاه تغيير فى سياسة الولايات المتحدة الجديدة فى المنطقة ، وانه ينظر إليه باعتباره تطورا خطيرا . وحاول السفير « جون بادو » أن يشرح الضغوط التى تعرض لها الرئيس الأمريكى ، ويضيف إلى ذلك « أن صواريخ الـ « هوك » هى فى كل الأحوال أسلحة دفاعية ، وقد أراد الرئيس كنيدى إعطائها لإسرائيل حتى يصرفها عن أى تفكير فى خيار نووى » ! ورد عليه « جمال عبد الناصر » بنقطتين :[٢٠]

١ ـ إننا إذا عدنا إلى منطق أن الضغط الصهيونى فى الولايات المتحدة يستطيع أن يفرض على الرئيس الأمريكى سياسات لا يريدها « فإننى لا أعرف إلى أى مدى يقودنا ذلك ، وما هى عواقبه على المستقبل » .

٢ ـ إنه من الغريب أن يقول له السفير الأمريكى إن صواريخ الهوك دفاعية ، وأن بين الأسباب التى تبرر إعطاءها صرف نظر إسرائيل عن أى خيار

(١٩) مجموعة وثائق مكتبة « كنيدى » ومجلس الأمن القومى الأمريكى .
(٢٠) تقرير السفير « بادو » إلى وزارة الخارجية الأمريكية . وهو ضمن مجموعة ملفاتها لسنة ١٩٦٢ .

نووى ـ فى الوقت الذى تتلقى فيه القاهرة تقارير تثير الشك حول قيام إسرائيل بمساعدة فرنسا ببناء مفاعل فى « ديمونة » .

□

وفى ذلك الوقت من شهر أكتوبر ١٩٦٢ وقعت أزمة الصواريخ التى وضعها الاتحاد السوفيتى على قواعد فى كوبا ، وتحرج الموقف العالمى إلى درجة تهدد سلامه بالخطر .

وفى يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٦٢ طلب السفير الأمريكى « جون بادو » موعدا عاجلا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » . وكان يريده فى نفس اليوم . ولم يتمكن « جمال عبد الناصر » من مقابلته فى الموعد الذى طلبه بسبب ارتباطه بمشاغل أخرى . ومر السفير الأمريكى على بيت الرئيس « جمال عبد الناصر » وترك له رسالة رسمية من الحكومة الأمريكية مرفقا بها خطابا موجها إليه من الرئيس « جون كنيدى » .

وكان نص الرسالة التى تركها السفير الأمريكى على النحو التالى بالحرف :[٢١]

« السفارة الأمريكية

القاهرة ـ الجمهورية العربية المتحدة ٢٣ اكتوبر ١٩٦٢

عزيزى السيد الرئيس

بناء على طلب الرئيس كنيدى ارفق مع هذا خطابا منه يتعلق بالموقف فى كوبا ، وكذلك نص البيان الذى وجهه الرئيس كنيدى إلى الامة الأمريكية مساء امس ٢٢ اكتوبر ، وإنى رهن امر حكومتكم لأى مزيد من التفاصيل ترغبون فى معرفتها .

وهل لى ان انتهز هذه الفرصة لانهى إليكم بصورة سرية ان علماء امريكيين قاموا اخيرا بزيارة مفاعل ديمونة الذرى فى إسرائيل . واستنادا إلى زيارتهم ، والتفتيش الذى قاموا به تجدد حكومة الولايات المتحدة تاكيداتها التى سبق ان قدمتها إليكم فى يونيو ١٩٦١ وهى ان نتيجة التفتيش الأمريكى تؤكد البيانات الإسرائيلية القائلة بان المفاعل الذى يجرى إنشاؤه لا يصلح إلا للاغراض السلمية وحدها . ويجرى العمل فى هذا المفاعل بصورة عادية ، ولا يوجد دليل قط على استعداده لإنتاج اسلحة نووية .

باحترام

جون س . بادو

السفير الأمريكى »

(٢١) صورة من خطاب السفير فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب صفحة ٩١٩ تحت رقم ٤٠

ثم تلت ذلك رسالة « كنيدى » الموجهة إلى « جمال عبد الناصر » وكان نصها :

« البيت الأبيض

عزيزى الرئيس

لقد طلبت من السفير بادو ان يسلم لكم شخصيا نسخة من خطاب للأمة سوف اوجهه إليها الليلة ، وهو يتعلق بالتطورات الخطيرة فى كوبا ، وعن الإجراءات التى قررت اتخاذها . فمن الواضح لنا ان هناك قواعد للصواريخ النووية قد وضعت على الأرض الكوبية بواسطة الحكومة السوفيتية . ونحن واثقون من صحة معلوماتنا ، وانها ليست موضع شك . ثم إن معلوماتنا تؤكد ان هناك قواعد جديدة للصواريخ يجرى بناؤها ، وقد طلبت من وزارة الخارجية ان تشرح لسفيركم هنا كل التفاصيل . واعتقادى ان هذا التصرف من جانب السوفيت يتناقض مع تصريحات المستر خروشوف ، ومع التاكيدات التى قدمها إلى شخصيا قبل ايام وزير الخارجية السوفيتى جروميكو ، والتى كان مؤداها ان الاتحاد السوفيتى لن يضع فى كوبا غير اسلحة دفاعية .

وتتذكرون اننى قلت قبل شهر فى تصريح علنى إنه « إذا تحول حشد القوات الشيوعية فى كوبا ليصبح هجوميا ، فإن الولايات المتحدة سوف تفعل كل ما فى وسعها لحماية نفسها وامنها وحلفائها .

ولهذا فإنى وجدت ضروريا ان افرض منطقة حجر نووى حول كوبا لأمنع وصول صواريخ هجومية اخرى بواسطة السوفيت ، واثق ان عملنا هذا سوف يؤدى إلى إزالة الصواريخ من كوبا .

إننى ابلغت المستر خروشوف باملى فى استئناف طريق المفاوضات السلمية . وقد وجهت وفدنا الدائم فى نيويورك إلى ان يدعو مجلس الأمن ، وطلبت من سفيرنا ستيفنسون ان يعرض قرارا يدعو إلى سحب الصواريخ السوفيتية من كوبا تحت إشراف مراقبين من الأمم المتحدة ، وهذا وحده هو الذى سيجعلنى ارفع حالة الحصار حول كوبا . واتمنى ان تصدروا تعليماتكم إلى وفدكم الدائم فى الأمم المتحدة ليتصرف ، ويتحدث مؤيدا لموقف الولايات المتحدة .

ولكم ان تطمئنوا إلى ان وزارة الخارجية هنا سوف تظل على اتصال دائم بسفيركم .

جون كنيدى »

□

كان العالم يقف على حافة الهاوية فى أواخر شهر أكتوبر ١٩٦٢ عندما اكتشفت طائرات التجسس الأمريكية قواعد لإطلاق الصواريخ نصبها الاتحاد السوفيتى على الأرض الكوبية . وبدا أن الصدام يمكن أن يقع بين القوتين الأعظم ، وأن يكون نوويا ، لكنه وفى **اللحظة الأخيرة ـ وكالعادة !** ـ أمكن تجنب الصدام ، ووصلت

القوتان الأعظم إلى حل رفعت فيه قواعد الصواريخ فى كوبا فى مقابل رفع بعض قواعد الصواريخ فى تركيا ، إلى جانب تعهد أمريكى بأن لا تقدم الولايات المتحدة على غزو كوبا .

ولقد أوضحت هذه الأزمة للعالم أن القوتين الأعظم تعرفان لغة مشتركة بينهما للخطاب فى وقت الأزمات ، وأن بقية الأطراف لا يعرفون هذه اللغة ، ولا يحسنون استخدامها ، ولربما كان أغرب ما حدث نتيجة للخطاب المباشر بين القوتين الأعظم فى وقت الأزمة ، أن الاتحاد السوفيتى قرر فك قواعد الصواريخ فى كوبا دون أن يتشاور ، أو يخطر الرئيس « فيدل كاسترو » زعيم كوبا الذى كانت الأزمة كلها تجرى على أرض بلاده ، وكان من المحتم أن تكون هذه الأرض أول مسارح العمليات بين العملاقين إذا وقع المحظور .

وفى يوم ٣١ اكتوبر رد « جمال عبد الناصر » على رسالة « كنيدى » إليه حول الأزمة ، وجاء فى نص خطابه ما يلى :

« رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

القاهرة فى ٣١ اكتوبر ١٩٦٢

عزيزى الرئيس

تلقيت بكثير من الاهتمام كتابكم المؤرخ فى الثانى والعشرين من اكتوبر الذى ارفق ببيانكم الرسمى إلى الأمة الأمريكية حول الوضع فى كوبا . والواقع اننى اقدر جهدكم لتوضيح اتجاه السياسة الأمريكية امام المعنيين بالتطور العالمى والمنشغلين بقضايا السلام .

واعتقد انه لم يعد هناك الآن مجال لمناقشة وجهات النظر المختلفة حول طبيعة القواعد المقامة فى كوبا ، والتى اثارت ريبتكم .

وفى الوقت عينه ، لم يعد هناك مجال الآن لمناقشة التدابير الأمريكية التى اتخذت لمقابلة هذا الوضع .

ولم يعد هناك مجال لمثل هذه المناقشة التى اصبحت ـ لحسن الحظ ـ بلا اثر . لأن اهتمام شعوب العالم بالسلام ، وانعقاد عزيمتها على صيانته وجهودها داخل الأمم المتحدة وخارجها ، وكذلك ما تميز به مسلك جميع اطراف النزاع من حكمة وتقدير سليم وشعور بالمسؤولية ـ هذه العوامل جميعا يحسن معها ، ومن الأجدى بالنسبة لها التطلع إلى المستقبل بدلا من التشبث بالماضى .

ويهمنى هنا ان اسجل بضع ملاحظات :

□ اولا ـ إننا لنقدر استجابتكم لنداء السيد يوثانت الأمين العام بالنيابة للأمم المتحدة ، وكذلك التعاون الذى قدمه إليه وفد الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة .

وما زلنا نعتقد ـ ويشاطرنا فى هذا الاعتقاد كثير من الشعوب المحبة للسلم ـ بان التعاون المخلص فى إطار الامم المتحدة هو خير ضمان لحل المشكلات حلا سلميا .

□ ثانيا ـ إننا لنقدر تقديرا عميقا ان التدابير الامريكية ـ بغض النظر عن راينا فيها ـ قد تمت بطريقة خالية من التحريض العدوانى .

□ ثالثا ـ إننا لنقدر وعدكم بعدم القيام بغزو كوبا عسكريا ، ونشعر بان هذا التعهد هو مساهمة صادقة فى التخفيف من حدة التوتر .

ولنا هنا ان نعلن بثقة اعتقادنا بان الولايات المتحدة ، وبما لها من قوة هائلة ، تستطيع ان تعزز السلام اكثر من سواها . وهى فى هذا المقام تحمل مسؤولية تاريخية امام البشرية باسرها ، لأن السلم القائم على العدل هو مطلب إنسانى يسبق كل ما عداه ، لانه لا يصون الحياة وحسب ، بل هو يشرفها ايضا .

التوقيع

جمال عبد الناصر »

الفصل الرابع

ثــــورة فى اليمـــن

١

ما كاد العالم يتنفس الصعداء بعد انتهاء أزمة الصواريخ الكوبية حتى انتبه فجأة ، فإذا هناك وضع جديد فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وبدا هذا الوضع الجديد وكأنه يجىء معه باحتمالات تغيير فى موازين القوة فى الشرق الأوسط تلوح بالفعل بوادرها . كانت مقدمات الحوادث التى أدت إلى هذا الوضع قد بدأت دون أن تلفت أنظارا كثيرة إلى إمكانيات تداعيها ، وإلى دلالاتها الحقيقية .

سمع العالم وسط انشغاله بأزمة الصواريخ الكوبية أن هناك انقلابا وقع فى اليمن ضد أسرة « حميد الدين » التى كانت قد عزلته عن العالم ، وفرضت عليه حجبا من ظلام القرون الوسطى . وفى وسط زحام الحوادث على المسرح العالمى لم يقدر أحد أهمية ما جرى ولا عواقبه . ثم بدأ العالم يلتفت بجد حينما تبين بعد أسابيع قليلة أن هناك قوات مصرية قد عبرت البحر الأحمر ووصلت إلى اليمن . وكانت المعانى الواضحة لذلك على الفور :

١ ـ أن القوات المسلحة المصرية تمكنت بسرعة من السيطرة على خط مواصلات طويل ـ من شمال البحر الأحمر إلى جنوبه ـ على امتداد ما يزيد على ألفى كيلومتر .

٢ ـ أن مصر بهذه السيطرة قد أصبحت تمسك بمداخل البحر الأحمر عند ملتقاه بالبحر الأبيض عند قناة السويس ، كما انها تمسك بمخارجه الجنوبية عند نقطة لقانه بالمحيط الهندى .

٣ ـ أن مصر بهذه القفزة البعيدة قد أصبحت موجودة فى شبه الجزيرة العربية ، وبالقرب من أهم مواطن البترول ومنابعه .

٤ ـ أن هذه العملية فى حد ذاتها تعنى أن حركة القومية العربية التى بدت تفاعلاتها محصورة ـ أو على الأقل هادئة ـ لمدة عام فى أعقاب انفصال سوريا ، قد عادت إلى نشاطها ، ثم إن هذا النشاط أصبح له جانب عسكرى .

ولم يكن العالم مستعدا لهذه المفاجأة . والغريب أن مصر كانت هى الأخرى فى حال المفاجأ بما حدث .

□

فى صيف ١٩٦٢ كانت القاهرة مستغرقة فى قضايا أخرى :

● كانت تلك هى الفترة الحرجة فى حياة الثورة الجزائرية ، فبعد أن تم توقيع اتفاق مع فرنسا ، وقع الخلاف بين القيادة الجزائرية . ذلك أن الحكومة الجزائرية المؤقتة التى كان يرأسها السيد « يوسف بن خده » اختلفت مع قيادة جيش التحرير فى الداخل ، واستحكم الخلاف إلى درجة تهدد بالحرب الأهلية حين تبنى الزعيم الجزائرى « أحمد بن بيلا » وهو القائد اللامع للثورة وجهة نظر العقيد « هوارى بومدين » قائد جيش التحرير الجزائرى . ورفض « بن بيلا » ومعه مجموعة من زعماء الثورة الذين خطفتهم فرنسا سنة ١٩٥٦ وبقوا فى سجونها حتى سنة ١٩٦١ ـ أن يدخل إلى الجزائر مع الحكومة المؤقتة ليشارك فى احتفالات يوم الاستقلال ، ويشارك بالتالى فى الحكومة التى قامت بعده . وكانت جموع الشعب الجزائرى التى صدمها الخلاف ورأته يدفع وطنها فى فجر استقلاله إلى حافة الحرب الأهلية ـ خرجت إلى الشوارع ونداؤها الوحيد : « **سبع سنوات بركات** » أى « **سبع سنوات تكفى** » ـ **إشارة إلى أن الجماهير التى خاضت حرب الاستقلال ترفض أن تدفع إلى حرب أهلية . وتدخلت مصر بدورها المتميز فى الخلاف ، وكان ذلك طبيعيا ، كما انه تحول إلى مطلب شعبى جزائرى . وبعد أيام عصيبة تراجعت الحكومة المؤقتة ، وافسحت المجال للقيادة الشرعية للثورة الجزائرية ممثلة فى « بن بيلا » ورفاقه ، وفى « بومدين » وجيشه . واستطاعت الجزائر ان تبدأ احتفالها الموعود بالاستقلال .**

● وفى نفس هذا الصيف ـ فى شهر يوليو ١٩٦٢ ـ انشغلت القاهرة لعدة أيام بمحاولة مولها الملك « سعود » وشارك فى الإعداد لها عدد من اللاجئين المصريين فى الخارج ـ وكان هدفها نسف المنصة التى كان مقررا ان يلقى « جمال عبد الناصر » منها خطابه فى العيد العاشر للثورة بميدان الجمهورية ـ عابدين ـ وقد اكتشفت العملية واكتشف سلاحها ـ وهو قنبلة موقوتة ـ قبل ساعات من موعد بدء الخطاب .

● وفى شهر أغسطس ١٩٦٢ انشغلت القاهرة بأحداث فى السعودية منها قيام مظاهرات وإجراء اعتقالات ، ثم وقع خلاف كبير بين الأسرة المالكة السعودية ـ فإن الأمير « طلال بن عبد العزيز » الذى كان قد اشترك فى الوزارة ـ التى شكلها الملك « سعود » قبل شهور عندما قام بانقلابه الأول على الأمير « فيصل » ـ مع عدد من إخوانه الأمراء الشبان ـ أقيل بدون مقدمات ظاهرة من منصبه كوزير للمالية ، ثم سافر إلى جنيف ، ثم عاد من جنيف إلى بيروت ليعقد فيها مؤتمرا صحفيا يعلن فيه أنه لن يعود للسعودية ، ثم يبدأ فى مهاجمة نظام حكم أخيه الملك « سعود » ويكشف عن حقائق وأوضاع فى المملكة لم يستطع أن يسكت عليها . وأعلن الأمير « طلال » فى مؤتمره الصحفى فى بيروت عن أسباب خلافه مع الملك « سعود » وهى أسباب تتعلق بطريقة الحكم فى المملكة ، وبالفساد المستشرى فى قصورها ، وبالأسلوب المتبع فى حكمها . وقال « طلال » إن خلافه مع الملك ليس خلافا شخصيا ، وإنما هو خلاف يقوم على أسباب موضوعية ومبدئية . وتأزم الموقف عندما انضم أربعة من الأمراء الشبان هم « عبد المحسن » و « بدر » و « فواز » و « سعد » (آل سعود) وشكلوا ما أسموه « حركة الأمراء الأحرار » وأعلنوا أنهم سوف يناضلون ضد الحكم القائم فى الرياض . وأمر الملك « سعود » بسحب جوازات هؤلاء الأمراء المتمردين عليه ، ثم أتبع ذلك بمصادرة أموالهم واحتلال قصورهم . وفى يوم ١٩ أغسطس ١٩٦٢ وصل الأمراء الخمسة إلى القاهرة ، وفيها أعلن « طلال » أن « معركتهم ضد سعود ومن أجل تغيير الأوضاع فى الرياض سوف تنتقل إلى داخل السعودية » .

● وكانت القاهرة منشغلة أيضا بعملية إعادة التنظيم الداخلى للحكم فيها . فقد أعلن « جمال عبد الناصر » يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٦٢ أنه نقل كل سلطاته إلى مجلس لرئاسة الجمهورية ، وأن أعضاء هذا المجلس لن يتولوا سلطات تنفيذية ، وإنما يقومون هم بالإشراف على عمل مجلس تنفيذى جديد برأسه السيد « على

صبرى » . وبمقتضى هذا التنظيم صدر إعلان دستورى يستوحى روح ميثاق العمل الوطنى وينظم سلطات الدولة :

- ☐ رئيس الدولة وهو رئيس الجمهورية يرأس مجلس الرئاسة ، ومجلس الدفاع القومى .
- ☐ مجلس الرئاسة هو الهيئة العليا لسلطة الدولة ، وهو الذى يرسم السياسات .
- ☐ المجلس التنفيذى هو الهيئة التنفيذية والإدارية العليا للدولة ، وهو الذى يقوم على تنفيذ السياسات .

● وفوق ذلك فقد كانت القاهرة منشغلة تلك الأيام باعتبارها طرفا فى قضايا السلام والحرب فى العالم ، وبحكم دورها الدولى ـ بمقدمات أزمة الصواريخ الكوبية .

☐

وسط هذه المشاغل ، وفى منتصف شهر أغسطس ١٩٦٢ وصل إلى القاهرة تاجر يمنى من « تعز » ـ التقى بالسيد « أنور السادات » رئيس مجلس الأمة ، وكان قد تعرف إليه من أيام عمله أمينا عاما للمؤتمر الإسلامى ، وكان اسمه « عبد الغنى المطهر » . وسمع « أنور السادات » منه عن وجود تنظيم للضباط الأحرار وسط الجيش اليمنى يقوده ضابط شاب هو العقيد « على عبد المغنى » . وفهم « أنور السادات » من زائره أن تنظيم الضباط الأحرار فى اليمن يرتب للقيام بانقلاب على حكم الإمام « أحمد بن يحيى حميد الدين » الذى وصل طغيانه بأمور اليمن إلى حد لم يعد يحتمله لا الشعب ولا الجيش . وفى هذا اللقاء بين الاثنين توجه « عبد الغنى المطهر » بسؤال مباشر إلى « أنور السادات » يسأله عما تستطيع الجمهورية العربية المتحدة أن تفعله لمساعدة هذا التنظيم إذا ما قام بانقلابه واستطاع أن ينهى حكم أسرة « حميد الدين » . وكان رد « أنور السادات » أنه لا يستطيع أن يعد بشىء إلا بعد الرجوع إلى « جمال عبد الناصر » .

وكان رأى « جمال عبد الناصر » عندما عرض عليه السيد « أنور السادات » تفاصيل لقائه مع « عبد الغنى المطهر » يتلخص فى عدة نقط : أولاها ـ انه ليس متحمسا لهؤلاء الذين يبحثون عن المساعدات قبل أن يتحركوا للأهداف التى يؤمنون بها ، ثم كان رأيه بعد هذه الملاحظة المبدئية أنه لا يتوقع معارضة داخل اليمن لأى انقلاب يقع فيها ضد حكم الإمامة ، وأما عن الأخطار الخارجية ، فهو على استعداد لأن يتصور احتمالاتها من مصدرين : المصدر الأول هو السعودية ، وإن كان تقديره أن الملك « سعود » مشغول

بمشاكله الداخلية عن اى شيء يمكن ان يحدث فى اليمن . واما المصدر الثانى للخطر فهو الاستعمار البريطانى فى عدن . وهو بدوره مشغول بالثورة التى تقودها نقابات العمال وعمال المصفاة فى الميناء الاستراتيجى الحساس . ولعل « جمال عبد الناصر » لم يأخذ كل ما سمعه من « أنور السادات » جدا . فقد كانت القاهرة تعرف رسلا كثيرين مثل « عبد الغنى المطهر » يفدون إليها من كل بلد عربى ، يحملون معهم آمالا وأحلاما تصل فى معظم الأحيان إلى حد الخيال المعلق فى الهواء لا يعرف له أرضا محددة يحط عليها .

وصباح يوم ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ تسربت من اليمن أخبار تفيد أن الإمام « أحمد » قد مات ، وترددت إشاعات توحى بأنه قتل نتيجة لقيام أحد ضباط الجيش بإطلاق النار عليه . وما لبثت إذاعة صنعاء أن أذاعت نبأ وفاة الإمام رسميا ، وانتقال خلافته إلى ابنه الأمير « محمد البدر » ولى العهد . وبدت الأمور طبيعية فى اليمن .

وصباح يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ لم تعد الأمور طبيعية فى اليمن ، فقد اعلنت إذاعة صنعاء صباح ذلك اليوم عن قيام انقلاب قاده العميد « عبد الله السلال » وأن هذا الانقلاب استولى على السلطة بعد مقتل « البدر » فى معركة مسلحة دارت على أبواب قصره فى صنعاء . وبعثت السفارة المصرية فى اليمن ببرقية تقول فيها إن القادة الحقيقيين للانقلاب مجموعة من الضباط الشبان ابرزهم العقيد « عبد المغنى » .

وكان التأييد الشعبى الذى حصل عليه الانقلاب من اللحظة الأولى كاسحا ، فسجل أسرة « حميد الدين » لم يترك لأحد دموعا يذرفها عليه داخل اليمن ، أو خارجه !

ومساء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ اعترفت الجمهورية العربية المتحدة بالنظام الجمهورى فى اليمن ، وأعلنت أنها على استعداد لمساعدة اليمن وشعبه بما يمكن لهما من دخول العصر الحديث إلى هذا البلد العربى الذى تعرض لأقسى أنواع الاستبداد فى التاريخ مما عطل دخوله ، أو حتى اقترابه من مشارف العصر الحديث !

□

لم تكن العلاقات التاريخية بين « آل سعود » وبين أسرة « حميد الدين » فى اليمن طيبة فى أى وقت من الأوقات ، فإلى جانب المنافسات التقليدية بين الأسر الحاكمة فى شبه الجزيرة العربية كان بين الأسرتين صراع وصل إلى حد الحرب

بسبب الخلاف على منطقتى « جيزان » و « نجران » ، فالرياض مصممة على انهما تحت ولايتها منذ تنازل « الشريف الإدريسى » عنهما للملك « عبد العزيز آل سعود » ـ بينما صنعاء تصر على أن المنطقتين امتداد طبيعى من اليمن ، وأن « الإدريسى » لم يكن يملك سلطة التنازل عنهما لأحد . ووصل الأمر إلى حد الحرب المسلحة بين الاثنين سنة ١٩٣١ حين قامت القوات السعودية باحتلال المنطقتين بقوة السلاح . وشهر إمام اليمن سيفه ، واستعر القتال يشتد حينا ويهدأ حينا آخر حتى عقدت بين الطرفين معاهدة الطائف سنة ١٩٣٤ . وبعدها ظلت العلاقة بين البلدين الجارين علاقة فيها من التوتر المكتوم أكثر مما فيها من الصفاء الظاهر . وكان إمام اليمن طوال هذه السنين يحاول موازنة علاقاته مع السعوديين بعلاقة محسوبة ومحصورة مع مصر التى كانت هى أيضا فى ذلك الوقت على خلاف مع السعوديين . كانت أسباب خلاف مصر مع السعوديين تعود إلى رفض الملك « فؤاد » أن يعترف بضم الحجاز إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٢٤ ، وربما كان الدافع الحقيقى إلى موقف الملك « فؤاد » أن حلم الخلافة راوده فى وقت من الأوقات ، ثم وجد أن استيلاء الملك « عبد العزيز » على الحجاز بما فيه الحرمين الشريفين تهديد لحامه . وكانت نتيجة الخلاف على أى حال هى أن العلاقات بين البلدين توقفت بالكامل طوال عهد الملك « فؤاد » . ولم تعد العلاقة بين البلدين إلى حالها الطبيعى إلا فى عهد مجلس الوصاية على عرش الملك « فاروق » بعد وفاة الملك « فؤاد » سنة ١٩٣٦ .

وفى الفترة التى كان فيها الرئيس الأمريكى « فرانكلين روزفلت » يرتب إرث بريطانيا فى المنطقة ، تلقى الملك « فاروق » نصيحة مؤداها أنه قد يكون من المستحسن أن يتمكن هو والملك « عبد العزيز آل سعود » من ترتيب العلاقات بينهما بما يلائم بداية مرحلة جديدة فى الشرق الأوسط . وبالفعل اجتمع الاثنان على ظهر يخت الملك « فاروق » فى ميناء « ينبع » السعودى فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤٥ .

وقد لاحظ الإمام « أحمد » أن علاقة وثيقة نشأت بعد ثورة ٢٣ يوليو بين « جمال عبد الناصر » وبين الملك « سعود » . وأحس بذكائه الفطرى أن لعبة التوازن التقليدى بين الرياض والقاهرة تحتاج إلى مراجعة جديدة ، وهكذا فإنه انضم إلى معاهدة التحالف بينهما ، وهى المعاهدة التى وقعت فى جدة سنة ١٩٥٥ . والحقيقة انه لا « جمال عبد الناصر » ولا الملك « سعود » أخذا توقيع إمام اليمن على اتفاقية التحالف مأخذ الجد . وإن لم يجد أيهما بأسا من توقيع الإمام معهما ، ولو حتى كرمز إلى قرب خروج اليمن من عزلته وراء حواجز الظلام .

وهكذا فإنه عندما اعلنت إذاعة صنعاء عن قيام ثورة فى اليمن لم تكن القاهرة

قادرة على إجراء حساب دقيق لموقف السعودية ، وكيف يمكن أن يتصرف الملك « سعود » . وربما كان على القاهرة فى ذلك الوقت أن تدرك مبكرا أن الملك لن يسكت ، فالظروف التى كانت تواجهه فى الداخل تجعله فى حالة من العصبية شديدة . كما أن الحقائق الاستراتيجية فى شبه الجزيرة العربية كان مقدرا لها أن تتخطى مشاعر كل الأفراد بصرف النظر عما إذا كانت فاقدة أو متمالكة لأعصابها .

إن السعودية كان محكوما عليها موضوعيا ، وبصرف النظر عن العوامل الذاتية ، أن تتدخل ضد ثورة اليمن عمليا ، خصوصا عندما دخلت مصر لتأييدها معنويا فى الأيام الأولى من قيامها .

صحيح أن الثورة فى اليمن كانت ضرورية إنسانيا وقوميا وبكل المعايير - إلا أن الحكم فى السعودية كانت له تقديرات أخرى .

١ - فالثورة فى اليمن بكل أبعادها السياسية والاجتماعية احتمال عدوى مباشر لأنه ملاصق .

٢ - ثم إن التأييد المصرى - حتى ولو كان معنويا - يحمل نذر أخطار مقبلة . فزيادة التأثير السياسى المصرى فى اليمن يعنى وجودا فاعلا لأفكار ليست مطلوبة فى شبه الجزيرة العربية ، ثم إنه إذا تحول التأييد المعنوى المصرى للثورة اليمنية إلى ما هو اكثر ، فإن هذا الوجود يخلق حالة تهديد قابلة للانفجار ، فالأسرة السعودية تتحسب باستمرار من القوة العسكرية المصرية ، ويندر أن يتحدث مسؤول سعودى عن العلاقات بين البلدين دون أن يشير إلى عمليات « محمد على » العسكرية فى نجد فى أوائل القرن الماضى ، وما كان من تدمير « الدرعية » عاصمة السعوديين أيامها .

٣ - إن الثورة فى اليمن سوف توقظ من النوم العميق الكتلة الانسانية الاكبر فى شبه الجزيرة العربية وهى الشعب اليمنى ، وهو شعب له مواريثه الحضارية فضلا عن وزنه السكانى الذى يجعل منه ثقلا حقيقيا فى أعماق شبه الجزيرة العربية .

٤ - إن دولة قوية فى اليمن قد تعود إلى المطالبة بإعادة رسم الحدود مع السعودية بالذات فى « جيزان » و « نجران » .

٥ - إن بقاء الحكم الإمامى فى اليمن كان شهادة لصالح الحكم فى السعودية بمقتضى أية مقارنة .

وإذن فقد كان « لابد » من « انتظار » تدخل سعودى مباشر !

□

كان الأمير « الحسن » - شقيق الإمام « أحمد » الذى مات وعم الإمام « البدر » الذى أعلنت إذاعة صنعاء أنه قتل - موجودا فى ذلك الوقت فى نيويورك يرأس وفد اليمن إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة . وحين تلقى أنباء ما جرى فى بلاده اعتبر نفسه إمام اليمن الأحق بالخلافة ، وأعلن أنه عائد إلى بلاده ليتولى المسؤولية وليقمع الثورة ، ويقطع رؤوس قادتها . واختفى الأمير « الحسن » من نيويورك يوم ٢٨ سبتمبر ، وظهر فى اليوم التالى فى قصر الملك « سعود » فى الرياض .

وصباح يوم ٢ أكتوبر ١٩٦٢ فوجىء مطار « الماظة » (بالقاهرة) بطائرة تقترب منه ، وتطلب حق النزول فيه قائلة : « إنها لديها معلومات خطيرة تهم القاهرة » . ونزلت الطائرة ، وكانت من طائرات النقل الأمريكية الكبيرة طراز « فير تشيلد ١٢٣ ب » تحمل علامات السلاح الجوى السعودى . ثم نزل منها ثلاثة من الطيارين السعوديين هم : الرئيس طيار « رشاد ششة » والرئيس طيار « أحمد حسين » والفنى « محمد ازميرلى » ، وقال الثلاثة على الفور إن طائرتهم محملة على آخرها بالأسلحة والذخائر ، ثم بدأوا فى رواية التفاصيل . قالوا إنهم كلفوا بالتوجه إلى مطار جدة فى الساعة الواحدة من صباح الثلاثاء ٢ أكتوبر ، وهناك وجدوا طائرة النقل الكبيرة تشحن بصناديق من السلاح والذخيرة . وكانت الأوامر الصادرة إليهم أن يذهبوا بها على الفور إلى مطار « نجران » على الحدود السعودية اليمنية وسوف يجدون هناك من يتسلمها منهم . واما هم فعليهم أن يعودوا بطائرتهم لأن أمامهم أن يكرروا الرحلة من « جدة » إلى « نجران » بحمولات مماثلة - ثلاث مرات فى نفس اليوم . واضافوا انهم بعد أن صعدوا بطائرتهم فى الجو تداولوا فيما بينهم ، واتفقوا على ان واجبهم القومى لا يسمح لهم بأداء ما كلفوا به ، فقد عرفوا بالطبع أن هذه الشحنة من الأسلحة ، وما سوف يليها موجهة ضد الثورة الجديدة فى اليمن . ولقد قرروا فيما بينهم أن الواجب القومى يفرض عليهم أن يجيئوا بطائرتهم وحمولتهم إلى القاهرة ، وهم بذلك يحققون هدفين : هدف الحيلولة دون وصول شحنتهم من السلاح إلى حيث تستعمل ضد ثورة اليمن ، ومن ناحية اخرى فإنهم بذلك يكشفون عمليا دليل التآمر لضرب هذه الثورة .

وبدأ تفريغ شحنة الطائرة فى مطار « الماظة » وكانت عشرين صندوقا من المدافع الرشاشة سريعة الطلقات تحتوى على ٢٤٠ مدفعا ، كما كانت هناك أعداد ضخمة من الصناديق الملأى بذخائرها . وكانت المفارقة أن كل هذه الصناديق تحمل

شارة كفين يتلاقيان ، وهى شارة المعونة الأمريكية . وطلب الطيارون السعوديون الثلاثة حق اللجوء السياسى إلى مصر .

ويوم ٣ أكتوبر ١٩٦٢ تكرر نفس المشهد ، وفى مطار أسوان هذه المرة ، فنزلت فيه طائرة حربية سعودية من نفس الطراز ، وكان فيها اثنان من الطيارين هما : الرائد طيار « محمد عبد الوهاب » والملازم طيار « محمد على الزهرانى » .

ويوم ٨ أكتوبر ١٩٦٢ تكرر نفس المشهد للمرة الثالثة ، ونزلت فى مطار « الماظة » طائرتان سعوديتان مقاتلتان يقود الأولى الرائد طيار « أحمد موسى عواد » ويقود الثانية الرائد طيار « عبد اللطيف الغنورى » .

وتلقت القاهرة معلومات بأن الأمير « الحسن » عم الملك توجه إلى منطقة « نجران » وهناك وزع كميات من السلاح والذهب على بعض القبائل التى قامت بشن هجوم على مدينة « صعدة » ، وقد توجهت كتيبة من قوات الثورة للدفاع عن « صعدة » ، وفى المعركة التى دارت قرب أسوارها قتل العقيد « على عبد المغنى » . وأحدث قتله قلقا فى صنعاء . وتزايد الإحساس بالقلق فى العاصمة اليمنية الثائرة مع أخبار تقول بأن القوات البريطانية فى إمارة « بيحان » (من إمارات اليمن الجنوبى) قد بدأت بإطلاق النار فى اتجاه بلدة « البيضاء » اليمنية !

وفى هذه اللحظات من القلق توجهت الحكومة اليمنية بنداء يطلب المساعدة العسكرية من الجمهورية العربية المتحدة .

□

ولثلاثة أيام متواصلة دارت فى القاهرة مناقشات واسعة ، وانتهت إلى رأيين مختلفين :

■■ **رأى يرى بوجوب مساعدة الثورة اليمنية** باعتبارها ثورة قامت بإرادة حرة ، وبعد عصور من الكبت المظلم طويلة ، وأن المقاومة ضدها تجىء من الخارج كما ثبت من الطائرات السعودية المحملة بالأسلحة والذخائر ، ولجوء طياريها إلى القاهرة وما حملوه معهم من وثائق تؤكد قيام العدوان ، كما أن توافق ذلك مع التحرشات العسكرية للقوات البريطانية فى بيحان يقطع بأن المخاطر على الثورة تجىء من وراء حدود بلادها ، ومن ثم فإن الخطر على الشعب اليمنى نفسه ، وليس على نظام قام فيه بالانقلاب أو بالثورة .

وكان هذا الرأى يضيف أن تردد الجمهورية العربية المتحدة فى نجدة شعب

اليمن سوف يعتبر تقاعسا عن اداء واجب ، وقد يحمل أمام الرأى العام العربى على محمل أن الجمهورية العربية المتحدة تخلت عن واجباتها القومية ، وأن هناك فارقا كبيرا بين الحرص على عدم التورط ، وبين التخلى عن ثورة وطنية لكى تقع ضحية للسلاح .

وكانت من أسانيد هذا الرأى :

١ ـ أن الجيش اليمنى يقاتل ، وقد فعل ذلك بالفعل وحده فى معركة « صعدة » .

٢ ـ وأن قبائل اليمن الكبرى « حاشد » و « بكيل » كلاهما فى صف الثورة ، ومعنى ذلك أن الخطر ليس كبيرا ، وإنما هو مركز فى عدد من القبائل الصغيرة التى يمكن شراء زعمائها ، وأن معظم هذه القبائل يتركز فى منطقة « صرواح » ـ كما أن مناطق « الشوافع » ـ السنّة ـ فى السهول المحيطة بالمنطقة الجبلية التى يسكنها « الزيود » ـ كلها مؤيدة للثورة .

■■ **وكان هناك فى مقابل ذلك رأى آخر يرى أن تكون مساعدات الجمهورية العربية المتحدة أسلحة وذخائر** ، على أن يتحمل الجيش اليمنى بمسؤولية القتال ، ذلك لأن أى وجود عسكرى مصرى فى اليمن قد يفسر على أنه تدخل ، وبصرف النظر عن التحرشات التى تواجه ثورة اليمن من الشمال ومن الجنوب ، فإن العمليات بطبيعة مسرحها سوف تكون أقرب إلى حرب العصابات ، **وهى** نوع من الحرب لم يتهيأ له الجيش المصرى إلى جانب أن هذا الجيش **لا يعرف الكثير** عن أوضاع اليمن ، ودخوله فيها على أى نحو مؤثر قد يواجهه بما **لم يستعد له** .

وكان السيد « أنور السادات » من المتحمسين للتدخل ، ولعله احس ان « ثورة اليمن » كانت فى إطار اختصاصه منذ لقائه الأول مع « عبد الغنى المطهر » .

وأما « جمال عبد الناصر » فقد كان من انصار المساعدة بالسلاح وانتظار التطورات[1] ، وفى نفس الوقت قام بإرسال السيد « أنور السادات » والسيد « كمال

---

(١) كنت من انصار هذا الراى ، فقد كنت اظن وقتها ان أوضاع الثورة فى اليمن لا تستطيع تحمل ثقل الوجود العسكرى المصرى ، فالأفكار مثل اى عملية نمو تحتاج إلى بنية اساسية (Infrastructure) لم تتوافر بعد فى اليمن ، وقد يؤدى عدم توافرها إلى مشاكل بلا حدود . وقد رجوت الرئيس « جمال عبد الناصر » ان يقرأ رسالة ماجستير قام بها الأستاذ « السيد مصطفى سالم » تحت إشراف الدكتور « شفيق غربال » تعرضت لعمليات الجيش التركى فى اليمن (نشرت فيما بعد تحت عنوان « تكوين اليمن الحديث » ضمن مطبوعات معهد الدراسات العربية سنة ١٩٦٣) ـ وقد اشار الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى رايى منسوبا إلىّ فى اجتماع لمجلس الوزراء ، وذكر امر هذه الرسالة التى رجوته فى قراءتها . وقد كان لى بعد ذلك اقتراح وسط بين التدخل ـ

رفعت » لاستطلاع الموقف على الطبيعة فى صنعاء . وكان معهما وفد من ضباط هيئة أركان الحرب كلف بدراسة التطورات المحتملة .

وعاد السيد « أنور السادات » من صنعاء إلى القاهرة بعد ست وثلاثين ساعة ، وكان تقديره أن ما تحتاج إليه الثورة هو سرب واحد من الطائرات ، وأن مجرد أزيزه فوق مواقع التحرش بالثورة اليمنية كفيل ببعثرة المقاومة ضدها ، وأن هذه هى بالضبط خلاصة تجربة الانجليز فى الجنوب العربى .

وبدأت الحوادث تتجه إلى هذا الاتجاه ، ثم تصنع لنفسها حركتها الذاتية ، فعندما يذهب سرب من الطائرات للعمل فى بلد بعيد تكون هناك حاجة إلى حماية قاعدته على الأرض ، وهكذا فإن سرب الطائرات احتاج إلى كتيبة حماية أرضية ، وراحت الحركة الذاتية للحوادث تفرض نفسها .

□

وتطوع الأمير « طلال » فوجه بيانا إلى الشعب السعودى يوم ١١ أكتوبر ١٩٦٢ قال فيه :

« انتم طبعا تتابعون الأحداث فى العالم العربى .. هذه الأحداث التى اطاحت بطغاة ظلمة فاسدين . وهزت آخرين هم الآن فى حالة لا يحسدون عليها .. وهذا هو منطق التاريخ ، وهذه هى إرادة الله وإرادة الشعوب ، ولكن حكام السعودية لا يعترفون بهذا المنطق ولا بإرادة الله وإرادة الشعوب .

وحسب معرفتى بهؤلاء الحكام لا اظنهم سيعترفون بهذا المنطق ، والدليل على ذلك قومتهم مع عم ملك اليمن السابق الحسن ..

الحسن هذا الذى عمل مع والده يحيى ، ومع اخيه احمد على كبت شعب اليمن وحرمانه من كل شىء حتى من ابسط متطلبات الحياة .. إن شعب اليمن ثار من اجل حريته ، ومن اجل عيشه ، ومن اجل كرامته .. لماذا لا يثور شعب اليمن ؟ لماذا لا يثور وحكامه احتفظوا بكل شىء لأنفسهم ، وحرموه هو من كل شىء ؟ »

ومضى يقول :

« إن تصرفات حكام اليمن السابقين ضد شعب اليمن لا يمكن ان توصف إلا بانها تصرفات إجرامية . قصد من ورائها القضاء على هذا الشعب .. يعنى قتل الشعب

=الكامل وعدم التدخل ، وهو السماح بإنشاء فرقة من المتطوعين العرب يذهبون للقتال مع الثورة اليمنية ، كما حدث فى الحرب الأهلية فى اسبانيا سنة ١٩٣٦ ، وكان ظنى ان هذا الاقتراح اقل فى خطره من التدخل الكامل واكبر فى اثره من مجرد مراقبة التطورات وانتظارها . وربما ان مسار الحوادث فيما بعد اظهر ان تصوراتى كانت نوعا من الرومانسية المفارقة للواقع فى العالم العربى !

باساليب كثيرة منها ما كان بالسيف . وغيرها كثير من الاساليب التى يجيدها عادة جلادو الشعوب .. إن ديننا العظيم . وإن قوانين الارض لا يمكن ان تقر مثل هذه الأعمال الإجرامية .

لا شك ان الملك سعود قد طار عقله عندما سمع بثورة اليمن . ولا شك انه فقد اعصابه عندما جرؤ وتحدى إرادة شعب اليمن واعلن مساندته لحكامه السابقين . »

ثم وصل إلى طرح تساؤل :

« ما الذى حشر الملك سعود وجعله يتدخل فى شؤون اليمن الداخلية ؟ السبب ان سعود يريد الإبقاء على الحكم الرجعى فى اليمن حتى يبقى هو نفسه .. اوليس من الافضل لسعود ان يحمى نفسه اولا قبل ان يساعد غيره ويحميه . وهذه المبالغ الضخمة التى عودنا سعود على صرفها يمينا وشمالا على مؤامراته ودسائسه ، اليست البلاد فى حاجة إلى كل قرش منها ؟ »

٢

كان الأمير « فيصل » ولى العهد ووزير الخارجية فى نيويورك حينما أعلن عن قيام الثورة اليمنية . كان قد قصد إلى نيويورك فى أوائل شهر سبتمبر لكى يقوم بإجراء فحوصات طبية رآها أطباؤه لازمة بعد عملية جراحية كبيرة أجريت له قبل ذلك بسنوات . وقد أبلغ الملك « سعود » أنه سوف يسافر مبكرا لإجراء هذه الفحوص ، وحتى يكون جاهزا بعد ذلك لرئاسة وفد السعودية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى الأسبوع الثالث من شهر سبتمبر ١٩٦٢ . ولم يكن الملك متحمسا لسفر الأمير « فيصل » ، فالعلاقات بين الأخوين كانت قد توترت بشدة فى أثناء رئاسة « فيصل » للوزارة ، ثم زاد توترها بعد ديسمبر ١٩٦١ حينما قرر « سعود » بعد أن اعاد تنظيم صفوفه أن يمسك بنفسه برئاسة الوزارة مرة أخرى ـ واعاد « فيصل » بالتالى إلى وضع نائب الرئيس . ولعل « فيصل » كان يؤثر الاستقالة والابتعاد ، لكنه خشى من عواقب ذلك ، وبالذات على المجموعات التى تحيط به من المستشارين والأصدقاء والمرتبطين بالولاء له شخصيا .

والواقع ان الأمير « فيصل » حاول أن يحفظ المظاهر إلى أبعد حد مع أخيه الملك « سعود » وحتى فى أثناء رئاسته للوزارة ، فقد كان لا يكلمه إلا مطرقا ولا يتحدث له إلا بصيغة « جلالتك ، طال عمرك » . وعندما كان الملك يريد فى بعض المناسبات العامة أن يوجه إليه بعض التعليمات ، فقد كان « فيصل » ينحنى ليتلقى تعليمات الملك ، بل وأحيانا كان يجلس القرفصاء إلى جوار مقعده لكى يستطيع الملك أن يهمس فى أذنه بما يريد . ولقد كان بين أسباب الهجوم الذى شنته مجموعة « الأمراء الأحرار » على « فيصل » ـ على هامش صراعهم مع « سعود » ـ **أن الأمير « فيصل » فى أثناء رئاسته للوزارة قام بتسديد ديون طائلة مستحقة على الملك ، وعلى أولاده من خزينة الدولة .**

والآن كان « فيصل » يدرك أن كل ما فعله مع « سعود » ذهب سدى . فالأخ الأكبر يكره أخاه الذى برز عليه سواء فى أثناء قيادته للقوات السعودية فى القتال مع أسرة « حميد الدين » فى اليمن ، أو فى أثناء توليه العمل طوال فترة حياة والده كوزير للخارجية ، الأمر الذى حقق له شهرة فى المجتمع الدولى ، وأعطاه تجربة لم تتوافر لأخيه الذى لم يتصل بالعالم .

ولقد أضيف إلى أسباب الكراهية أن الأمير « فيصل » كان فى حياته الشخصية متباعدا ، فبعد زواجه من سيدة تنتمى إلى أسرة تركية طيبة انتظمت حياته على نحو مختلف ، بما فى ذلك أن أبناءه قصدوا إلى الجامعات الكبيرة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبالتالى أصبح ، وأصبحوا معه يمثلون نوعا من الارستقراطية النسبية فى محيط الأسرة السعودية .

وأخيرا فإن الأمير « فيصل » أحاط نفسه بمجموعة من المستشارين والمساعدين بينهم فى ذلك الوقت « عبد الرحمن عزام » (باشا) ، والسيد « عمر السقاف » (وكيل الخارجية السعودى) ، والسيد « كمال أدهم » الذى كان باعتباره شقيق زوجة « فيصل » (الأميرة « عفت ») موضع ثقة الأمير ومستودع أسراره ، وقد عينه « فيصل » مستشارا مشرفا على كل أجهزة الأمن بما فيها المخابرات والمباحث . وبحكم هذا الموقع فإن « كمال أدهم » كان على صلة مباشرة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

وتشير اتصالات « فيصل » فى نيويورك إلى أن شاغله الأصلى كان فى الواقع بحث الأوضاع فى المملكة على ضوء تفرد « سعود » بالأمور فيها . ومن الواضح أن « فيصل » كان يلقى تشجيعا كبيرا من جانب مجموعة شركات « أرامكو » المسيطرة على بترول السعودية ، والتى كانت قد بدأت تضج من مسحوبات الملك « سعود » من عائدات البترول ، كما أنها انزعجت كثيرا لتصرفاته سواء فى ذلك تحالفه لبعض الوقت

مع « جمال عبد الناصر » أو عدائه فيما بعد ضده ، وخصوصا منذ انكشفت محاولته الشهيرة مع « عبد الحميد السراج » سنة ١٩٥٨ وحتى دوره فى ترتيب عملية الانفصال ، وهو دور كان كل عيبه فى نظر هذه المجموعة من المصالح البترولية الكبرى ـ هو أنه كان دورا مكشوفا بأكثر مما هو لازم للأمن والسلامة .

وكانت للأمير « فيصل » مجموعة من الأصدقاء الأقوياء فى نيويورك خصوصا فى دوائر شركات البترول والنقل والبنوك ، وكان يتزعم هذه المجموعة « تيرى ديوس » رئيس مجلس إدارة « أرامكو » وهو وقتها رجل نافذ التأثير فى صنع القرار الأمريكى فى الشرق الأوسط . كذلك كان الأمير « فيصل » يحظى بولاء « عبد الرحمن عزام » (باشا) إلى جانبه ، وهو وقتها السفير فوق العادة للسعودية فى الولايات المتحدة . وكان « عبد الرحمن عزام » (باشا) وهو رجل يملك تجربة طويلة وخبرة سياسية غنية قد ألقى بثقله إلى جانب الأمير « فيصل » ، وزاد الارتباط بين الاثنين حينما تحققت مصاهرة بينهما بزواج أحد أبناء « فيصل » من ابنة « عزام » (باشا) . وقد قام « عزام » (باشا) بترتيب برنامج حافل لمقابلات يجريها الأمير « فيصل » حتى من قبل وصوله إلى نيويورك . وكانت هذه المقابلات متنوعة تشمل أقطاب عالم البترول والمال ، وكذلك أعداد كبيرة من المسئولين الأمريكيين فى وزارة الخارجية وغيرها ، وتمتد إلى عدد من الرجال الأقوياء داخل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بما فيهم المستر « جون ماكون » المدير الجديد لهذه الوكالة ، والذى عينه « كنيدى » على رأسها بعد أن قام بإعفاء « آلان دالاس » فى أعقاب مهزلة « خليج الخنازير » فى كوبا . وكان « ماكون » نفسه من أقرب الناس إلى صناعة البترول وما يتصل به ، فقد اهتم بشؤون البترول بعد رئاسته للجنة الطاقة الذرية ، ولعله فى هذه اللجنة أدرك أن البترول سوف يظل لزمان طويل مصدر الطاقة الرئيسى . ولهذا فإنه بعد أن ترك لجنة الطاقة الذرية لم يلبث أن ظهر على رأس اتحاد شركات البترول القوية . وعندما أصبح « ماكون » مديرا لوكالة المخابرات المركزية ، فقد أصبح البترول ومناطق انتاجه وأحوالها أبرز اهتماماته والمجال الأولى بنشاطه .

□

وفى الأيام السابقة على قيام الثورة اليمنية يلاحظ أن الأمير « فيصل » تناول العشاء ليلتين متواليتين مع « جون ماكون » أولاهما فى جناح « عزام » (باشا) فى فندق « بلازا » والثانية فى جناح الأمير « فيصل » فى فندق « والدورف استوريا » .

وتكشف وثائق البيت الأبيض فى هذه الأيام عن مجالات اهتمام الأمير « فيصل » وعن تنوع هذه الاهتمامات يوما بعد يوم فى الأسبوع الأخير من شهر

سبتمبر . ففى مذكرة لمجلس الأمن القومى برقم ٣٥٦٨ ـ ٤٩ جاء تحت عنوان « الحديث مع الأمير فيصل »[٢] ما يلى :

« إن فيصل يعتقد انه لابد من مساعدة النظام فى سوريا ضد ضغوط الجمهورية العربية المتحدة ، وهو يعتقد ان الولايات المتحدة الأمريكية يجب ان تساعد الحكومة السورية باكثر مما تساعدها الآن . وقد بدا من الصعب إقناع الأمير فيصل ان الحكومة الأمريكية تحتفظ بمسافة بينها وبين الحكومة فى سوريا ، وتتردد كثيرا دون مبرر كاف فى مساعدتها للحكومة السورية . ويبدو ان السعوديين يرغبون فى زيادة نفوذهم فى سوريا ، وهم يريدون ان تكون السعودية هى الوسيط فى المساعدات الأمريكية لسوريا إذا كانت الحكومة الأمريكية لا ترغب فى الظهور علنا كمؤيد لدمشق . وقد مارس الأمير فيصل فى اثناء وجوده فى نيويورك ضغطا على مجموعة شركات « ارامكو » و « تابلاين » لكى يرتبوا مع بنك « مورجان جارانتى تراست وشركاه » قرضا للحكومة السورية بمبلغ ٢٨ مليون دولار . ويبدو ان فيصل يريد ان يخفى عن الحكومة السورية دور ارامكو والتابلاين فى هذا القرض بحيث يظهر هو وكانه المانح الحقيقى . ووزارة الخارجية (الأمريكية) لم تبد اى اعتراض على الصفقة معتبرة انها مسالة تخص ارامكو والتابلاين يقررون فيها على ضوء مصالحهما . وعموما فإننا نعارض اى تعامل مع سوريا من خلال وسطاء ، ونرى ان اى معونة لسوريا يجب ان يتم التفاوض عليها مباشرة مع الحكومة السورية . »

وتلت هذه المذكرة مذكرة ثانية من مجموعة وثائق البيت الأبيض يظهر فيها اهتمام الأمير « فيصل » بموضوع آخر ، وهى تحمل رقم ٣٥٧١ / ٣١ وقد جاء فيها ما يلى :

« موقف الأمير فيصل من مسالة العلاقات بين السعودية ، والجمهورية العربية المتحدة :

١ ـ إن العربية السعودية ترى انها محل هجوم مرير من ناصر الذى يحاول استعادة نفوذه بعد خسارته لسوريا .

٢ ـ إن المعونات الأمريكية السخية التى تقدمها الولايات المتحدة للجمهورية العربية المتحدة هى التى تساعد ناصر على الاستمرار فى السلطة ، بينما هو يبذل قصارى جهده لإضعاف مركز الأصدقاء الحقيقيين للولايات المتحدة فى المنطقة .

٣ ـ فى الوقت الذى يضعف فيه مركز ناصر ـ فإن الولايات المتحدة فيما يبدو تبنى سياستها على اساس انه الزعيم الطبيعى ، والذى لا بديل له فى المنطقة .

(٢) الوثيقة لا تحمل اى توقيع ، ويبدو انها مذكرة عمل ، ويظهر من نصوصها ان مصدرها هو وزارة الخارجية الأمريكية ، وانها ارسلت كـ « مذكرة عمل » إلى لجنة الشرق الأوسط فى مجلس الأمن القومى .

٤ ـ فى الوقت الذى لا تعارض فيه المملكة العربية السعودية اى معونات اقتصادية للجمهورية العربية المتحدة ، فإنها تطلب منا على الاقل استعمال نفوذنا الذى حققناه مع ناصر لمنعه من مواصلة هجومه على المملكة العربية السعودية . »

ثم تجىء مذكرة ثالثة تشير إلى اهتمام الأمير « فيصل » بالتعاون بين السعودية والأردن ، وكانت علاقة الأمير « فيصل » وثيقة بالملك « حسين » ، فقد كانت حلقة الوصل بينهما رجلا مقربا من كليهما وهو السيد « كمال أدهم » ـ شقيق زوجة « فيصل » وصديق الملك « حسين » منذ كان الاثنان زملاء صف فى كلية « فيكتوريا » بالاسكندرية (وكان من زملائهما فى نفس الصف السيد « عدنان خاشقجى ») .

وفى هذه المذكرة عن اهتمام الأمير « فيصل » بالعلاقات مع الأردن جاء ما يلى :

« إن الأمير يعلق اهمية على اتفاقية الطائف التى عقدت بين البلدين يوم ٢٩ اغسطس ١٩٦٢ وهى تشمل مجالات سياسية واقتصادية وعسكرية ، وتستهدف فى الواقع تحقيق تحالف عمل بين العرشين . وبرغم اهتمام فيصل بهذه الاتفاقية ، فنحن نراها بالدرجة الاولى عنصر طمانينة نفسى بين الطرفين . وقد ابدى لنا الملك حسين مخاوفه على الأوضاع الداخلية فى السعودية ، وهو يعتقد انه ما لم تقم السعودية بتنفيذ برنامج سريع للتنمية فإن الموقف الداخلى فيها قد ينفجر . وبصفة محددة فإن الأردن يامل ان يستبدل الخبراء والمدرسين المصريين بخبراء ومدرسين من الأردن ، كما انه يامل فى ان يستطيع جذب سياح ورؤوس اموال سعودية ، وربما حاول الحصول على قرض سعودى للتنمية . وفى المجال العسكرى ، فإن الأردنيين يخططون لاستعمال تسهيلات تدريب الطيارين التى انشئت فى السعودية لكى يتجنبوا تكاليف إنشاء نظائر لها فى الأردن . »

ثم تضاف مذكرة رابعة ، ومن الواضح أنها معدة للرئيس « كنيدى » تمهيدا لمقابلته للأمير « فيصل » وهى برقم ٣٥٦٧/٤١ وقد جاء فيها بالنص :

« ١ ـ إن هدف الأمير فيصل الأساسى من رحلته إلى الولايات المتحدة هو بالدرجة الأولى ان يقابل الرئيس وغيره من كبار المسؤولين فى الولايات المتحدة . وفى الوقت الذى يعتبر فيه فيصل ان علاقة الصداقة بين السعودية والولايات المتحدة ـ هى حجر الزاوية فى السياسة السعودية ، فإنه يحتاج إلى تاكيدات بان سياستنا فى الشرق الأوسط لن تتاثر بالمساعدات الاقتصادية التى تقدمها الولايات المتحدة للجمهورية العربية المتحدة . وفى عشاء عمل مع وزير الخارجية استطاع الوزير ان يوضح بالتفصيل كثيرا من اهداف سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة على ضوء مسؤولياتها العامة . وقد اعرب فيصل عن عرفانه بهذه البادرة على الثقة الشخصية به ، ومن المقرر ان يعود فيصل للاجتماع بوزير الخارجية ، ونحن ننوى ان نجعل من هذا الاجتماع فرصة لتوسيع آفاقه فيما يتعلق بالأوضاع الدولية .

٢ - إن آخر التقارير التى تلقيناها من اطباء الملك سعود تشير إلى ان الملك ليست لديه فرصة لأن يعيش اكثر من سنة واحدة بسبب تردى احواله الصحية . وطبقا لذلك فإننا نرى ان اجتماعات فيصل الحالية فى الولايات المتحدة هى فرصة مواتية لإعطاء كل التاكيدات اللازمة عن تاييدنا ، وصداقتنا للرجل الذى سيصبح وريثا للعرش ، وهى فرصة لابد من انتهازها لكى نؤكد له ان ناصر ليس رجلنا المختار فى المنطقة . وبالإضافة إلى ذلك ، فنحن نامل ان نستطيع خلال وجود فيصل فى الولايات المتحدة ان نؤثر على العوامل الإيجابية فى السياسة الداخلية السعودية ، كما اننا نريد ان نقلل إلى اقصى حد ممكن تاثير بعض العوامل التى تضايقنا فى سياسة السعودية ، واهمها التمييز ضد اليهود الامريكيين .

٣ - إن السياسة السعودية الأساسية هى الاعتماد على صداقة الولايات المتحدة ، وهذه الصداقة تاثرت فى العام الأخير بسبب مساعدتنا للجمهورية العربية المتحدة التى ترى السعودية انها مشتبكة معها فى حرب باردة . وقد ابدى الملك سعود وولى العهد فيصل قلقهما من ان مساعداتنا تقوى مركز ناصر ضد نظامهم ، وهم يريدون منا ان نستعمل مساعدتنا لكى نرغم ناصر على ان يتخلى عن الهجوم عليهم . ولقد كنا سعداء لأن نستجيب لثلاثة طلبات محددة تقدموا بها إلى البيت الأبيض ، وهى عقد توريد سلاح ، ومحطة إذاعة قوتها ٥ كيلووات ، وفريق من خبراء التخطيط يدرس احوال السعودية . »

□

وفى يوم ٤ أكتوبر ١٩٦٢ كان الأمير « فيصل » على موعد لمقابلة الرئيس « جون كنيدى » والغداء معه فى البيت الأبيض (كانت ثورة اليمن قد وقعت ، وتلتها التطورات التى تسارعت بعدها فى آخر أيام سبتمبر وأوائل أكتوبر ١٩٦٢) . **وكان هذا الاجتماع حساسا إلى درجة أن المحضر الخاص بوقعائه وضع فى خزينة مكتب الرئيس ضمن الوثائق التى لا يمكن إذاعتها ، أو الحصول عليها بواسطة قانون حرية المعلومات** . ومع ذلك فإن هناك مذكرة(٣) أعدها المستر « روبرت كومر » وهو مساعد مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومى المختص بالشرق الأوسط . وقد قدمها لـ « كنيدى » صباح يوم غدائه مع « فيصل » وفى الحقيقة فإنها تكاد تكون صورة عامة لما يمكن أن يكون قد دار فى الاجتماع . وكان نص هذه المذكرة كما يلى بالحرف :

« ٤ اكتوبر ١٩٦٢

مذكرة إلى الرئيس - رجاء الإطلاع عليها قبل الغداء .

إن فيصل هنا فى الولايات المتحدة لكى يراك . إن لدينا مجموعة من التقارير المؤكدة

(٣) صورة من المذكرة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٤١ صفحة ٩٢٠ .

تشير إلى ان موقف سعود ينهاوى بسرعة . فيصل هو الثانى فى الصف . وهو هنا لكى يعرف منك كيف يمكن له ولبلاده ان يعتمدا على الولايات المتحدة . وتستطيع ان تتحدث بصراحة إليه ...... (سطر محذوف) . النقطة المهمة ان فيصل يريد بشدة نصف ساعة فى حديث خاص معك لا يحضره ايا من مرافقيه السعوديين . وهو يرغب فى ان يتحدث إليك فى مسائل تخص مستقبله الخاص . لماذا لا تاخذه إلى الدور العلوى لفنجان قهوة بعد الغداء مباشرة - إن إنجليزيته معقولة ، وإذا اردت مترجما ، او إذا اراد هو فسوف يكون صباغ مترجم الخارجية تحت طلبك ليقوم بالترجمة .

من سوء الحظ ان التمرد فى اليمن اوصل المخاوف السعودية من الناصرية إلى نقطة الغليان . إن اسرة سعود تعتقد انها قد تكون هدف ناصر التالى . إن فيصل يريد مساندتك من اجل جهد بريطانى - سعودى مشترك للعمل فى اليمن ، وقد يكون من الصعب عليك ان تستجيب إلى طلبه فى هذا الخصوص .

إن سياستنا الحالية فى اليمن حتى الآن هى سياسة عدم التدخل . وليس فى إمكاننا عمل شىء على اى حال فى الوقت الراهن . كما ان نظام الإمام كان اكثر النظم تخلفا فى العالم . ومن الواضح ان ناصر يؤيد التمرد كما ان إذاعاته لا تخفى عن سعود انه الهدف التالى . ومن هنا فإن السعوديين يشعرون انهم مضطرون لرد الفعل .... (ثلاثة سطور محذوفة) .

وعلى هذا الأساس ، فقد يكون من الأفضل توجيه اهتمام فيصل من اليمن إلى العلاقات الأمريكية السعودية . وفى هذا الصدد فإن امامك :

□ اولا - ان تؤكد لفيصل مرة اخرى مساندتنا للأسرة السعودية .

□ ثانيا - سياستنا تجاه ناصر .

وإذا استطعت نقل هاتين النقطتين إلى فيصل بوضوح فى اثناء الغداء ، فسوف يكون ذلك نجاحا كبيرا .

إن فيصل كان فى وقت من الأوقات مواليا لناصر ، ولكنه الآن شانه شان سعود يكرهه ويخشاه ، وهو يشك فى اننا غيرنا سياستنا العربية إلى سياسة تؤيد ناصر باعتباره رجلنا المختار . وانا احثك على ان تطرد هذه الفكرة من ذهنه بطريقة لا تحتمل الشك . إن تاييدنا للسعودية مؤكد ، ومن ذلك فنحن لن نتعامل مع ناصر باعتباره السيد الكبير فى العالم العربى . وتستطيع ان تشرح له ان سياستنا تجاه ناصر قد رسمت لتحقيق الأهداف التالية :

(ا) رده إلى داخل بلاده .

(ب) زيادة إمكانياتنا فى الضغط عليه ، وهذا هو هدف مساعداتنا له .

(جـ) إذا لم نساعده نحن فسوف يتجه إلى السوفيت ، وهذا سوف يكون ضارا بمصالح أصدقائنا العرب فى المنطقة .

وربما المحت له إلى اننا نتوقع من السعوديين انفسهم ان يتحركوا إلى الأمام بعض الشىء فى اتجاه التحديث والتنمية . إن بعض الإصلاحات الداخلية هى افضل طريق لمواجهة الناصرية ، ونحن سعداء ان هناك بعض المؤشرات المشجعة فى هذا الاتجاه ، وإن كنا نتساءل عما إذا كانت سرعة إحداثها كافية .

اعتقد ايضا انه يتعين عليك ان تثير مسالة التمييز ضد اليهود الأمريكيين فى السعودية باعتبارها عاملا يؤثر على صداقتنا . إن سعود كان قد وعدك فى فبراير الماضى انه سيغير سياسته ، ولكننا لم نر اثرا لذلك . ونحن نفهم مشاعر السعوديين فيما يختص بإسرائيل ، ولكننا نامل ان يتمكنوا بدورهم من فهم مشاعرنا . ولك ان تشرح له ان اهتمامنا بهذه القضية لا ينبع من جماعات ضغط تمارس نفوذا على السياسة الأمريكية . وعليه ان يعرف منك ان إسرائيل هنا لتبقى ، وسوف نعارض اى هجوم عليها ، كما اننا سوف نعارض اى جهد إسرائيلى للتوسع . لا تجعل لديه اى شك فى اننا سوف نواصل الوقوف بجانب اصدقائنا .

إمضاء
روبرت كومر

□ ملحوظة : مرفق مع هذا مجموعة من المذكرات تستطيع الاطلاع عليها إذا كان لديك وقت ، كما ان هناك تقريرا جديدا من الخارجية سوف يصلك عن آخر آراء فيصل ، وعن تعليقاتهم عليها . »

ووصلت مذكرة فى آخر لحظة من وزارة الخارجية الأمريكية ، وكانت تحمل بعض المعلومات الإضافية التى رأى « دين راسك » وزير الخارجية أن يكون الرئيس على علم بها قبل أن يقابل ولى العهد السعودى ، وكان أهم هذه المعلومات :

١ ـ إن الأمير « فيصل » تلقى معلومات بأن الإمام « محمد البدر » لم يقتل كما أذيع من قبل ، وإنما تمكن من الهرب برغم الحصار الذى فرضه الثوار على قصره ، ووصل إلى منطقة « حجة » ومن هناك استطاع الوصول إلى « نجران » فى السعودية . وهو الآن يقود المقاومة ضد الثورة من هناك .

٢ ـ إن الأمير « فيصل » تلقى معلومات من الأمير « حسن » عم الإمام « البدر » بأنه على اتصال مع زعماء قبائل « حاشد » و « بكيل » فى شمال شرق اليمن ، وأنهم أخبروه بأنهم لم يتعهدوا بالتأييد لانقلاب الجيش .

٣ ـ إن الأمير « فيصل » ليست لديه معلومات كافية عن موضوع التجاء الطيارين السعوديين بطائراتهم المحملة بالسلاح المشحون للملكيين فى اليمن ـ إلى مصر . ولا يستبعد الأمير أن تكون هناك خلايا سرية بين الضباط السعوديين الشبان استطاع عملاء « ناصر » تجنيدها .

وقضى الأمير « فيصل » يوم ٤ أكتوبر ساعة ونصف الساعة داخل البيت الأبيض . كان ابرز وقائعها اجتماع ثنائى بينه وبين « كنيدى » بعد الغداء فى الطابق العلوى على فنجان قهوة ، كما اقترح « روبرت كومر » . ومع أنه لا توجد وثائق بتفاصيل هذا الاجتماع ، فإن هناك بعض الشواهد التى تشير إلى أن « فيصل » رغم اتفاقه مع « كنيدى » فى كثير من الأمور ـ **لم يخرج مرتاحا بالكامل من نتائج هذا الاجتماع ، فقد ساوره الإحساس بأن « كنيدى » ينظر إلى علاقته مع « عبد الناصر » فى إطار الصراع الدولى اكثر مما ينظر إليها من منظور الصراع بين الجمهوريات والملكيات المحافظة فى المنطقة . وقد اعرب الأمير « فيصل » بعد ذلك عن قلقه من ان « كنيدى » اعطاه الإيحاء بانه يفكر فى القيام بدور وساطة بينه وبين « جمال عبد الناصر » بغية التوصل إلى حل لأزمة اليمن ، وهو تفكير كان يراه الأمير « فيصل » خطرا ومؤذيا .**

□

وتوحى تطورات الحوادث بأن « كنيدى » **بعد لقائه بالأمير « فيصل » انشغل** بالكامل فى أزمة الصواريخ الكوبية وعواقبها ، **ولكن الأمير « فيصل » لم يتحول** باهتمامه لحظة عن اليمن . وهكذا **فإنه غادر الولايات المتحدة ، وتوقف لبضعة أيام فى** لندن فى طريقه إلى السعودية .

وفى لندن كان التجاوب مع الأمير **« فيصل » اقوى واشد مما احس به فى** واشنطن . فبريطانيا التى كانت قد **بدأت تحتك فعلا من محميتها** فى عدن والجنوب العربى بالثورة اليمنية ، كانت على استعداد للتنسيق **كطرف مهتم وفاعل** ، وكان أى حديث عن الوساطة **بالنسبة لها تخاذلا وضعفا** .

والحقيقة أن لحظة وصول الأمير « فيصل » إلى لندن كانت اللحظة المواتية تماما ، فقد تزامنت مع بدء وصول طلائع القوات المصرية إلى اليمن . وهكذا فإن الطرفين وجدا أمامهما نفس العدو على الأرض يهددهما معا فى الأمن وفى المصالح ، ولم يكن اتفاقهما على مواجهته فى حاجة إلى مقدمات ، بل إن تنسيق العمل يكاد يكون قد بدأ تلقائيا . وكانت مقابلات الأمير « فيصل » فى لندن كلها تؤكد ذلك ، فلم تقتصر اجتماعاته على رئيس الوزراء « هارولد ماكميلان » ووزير الخارجية « دوجلاس هيوم »

وإنما امتدت فشملت مجموعة النواب المحافظين الذين اشتهروا باسم « مجموعة السويس » برئاسة « جوليان ايمرى » وهؤلاء كانت دعوتهم باستمرار « حتمية التصدى بالقوة لناصر » ولو كرد على « إهانة السويس » . كذلك من الدلالات الهامة أن الأمير « فيصل » اجتمع مع السير « دوجلاس وايت » رئيس جهاز الـ M.I.6 وكان الذى رتب هذه المقابلة هو « جوليان ايمرى » زعيم مجموعة السويس .

وقد كتب « جوليان ايمرى » بعد فترة قصيرة من هذه اللقاءات كتيبا صغيرا[٤] عن « **الصراع على اليمن** » يفصح إلى حد ما عن طبيعة ما جرت مناقشته فى هذه الاجتماعات . وكان ابرز ما قاله : « **إن نجاح الكولونيل ناصر فى الحصول على موطىء قدم لمشروعاته الانقلابية فى شبه الجزيرة العربية ـ وهى موطن اهم مصادر البترول واحتياطياته فى العالم ـ هو نذير شؤم يجب أن يتعاون على مقاومته كل الأطراف الذين لهم مصلحة فى ذلك داخل العالم العربى وخارجه** . »

وكان مؤدى التقديرات البريطانية فى شأن الأزمة الناشبة فى اليمن يتلخص فى النقط التالية :

١ ـ عدم الاعتراف بالنظام الجديد فى اليمن مهما كانت الظروف ، ومحاولة التأثير على أكبر عدد من الدول لكى تحجب اعترافها عنه باعتبار أن ذلك ينتقص من شرعيته .

٢ ـ إن هذه الشرعية الناقصة من شأنها أن تشجع عناصر كثيرة فى اليمن على إثارة المتاعب للنظام الجديد ، وفى أبسط الأحوال فإن هذه العناصر ، وفى مقدمتها قبائل اليمن الكبرى سوف ترفع ثمن ولائها للنظام الجديد بما يفرض عليه أثقالا لا يستطيع احتمالها .

٣ ـ إن ذلك بدوره سوف يفتح المجال لأى نفوذ يستطيع أن ينفذ لهذه القبائل ، خصوصا إذا كان هذا النفوذ معززا بضغط عسكرى بريطانى فى محمياتها فى الجنوب العربى من ناحية ، وبالذهب السعودى من ناحية أخرى .

٤ ـ إن التحالف الأردنى السعودى يستطيع أن يلعب دورا مؤثرا فى اليمن ، فالجيش العربى الأردنى بولاءاته التقليدية معبأ ضد الأفكار الثورية الجديدة .

□

---

(٤) وزع هذا الكتيب فى مجلس العموم ، ومجلس اللوردات فى الأسبوع الأول من شهر ديسمبر ١٩٦٢ وقد اشارت إليه صحيفة « ديلى تلجراف » ، واستشهدت بفقرات منه فى إحدى افتتاحياتها فى تلك الفترة .

وفى يوم ١٢ نوفمبر ١٩٦٢ هبطت فى مطار القاهرة على غير انتظار طائرة من طراز « دى هافيلاند هورن » ذات اربعة محركات تحمل رقم (١٠٦) وكانت المفاجاة ان قائدها هو الطيار « سهل حمزة » قائد سلاح الطيران الاردنى الذى طلب حق الالتجاء السياسى إلى مصر . وفى اليوم التالى ـ ١٣ نوفمبر ـ هبطت فى مطار القاهرة ايضا طائرتان اردنيتان من طراز « هوكر هنتر » ونزل منهما ضابطان ، وهما الطياران « تحسين صيمة » و « حربى صندوقه » وقد طلب كلاهما الالتجاء إلى مصر . وكان دافع الطيارين الثلاثة هو نفس الدافع ، فكلهم لم يكونوا مستعدين لنقل الأسلحة والذخائر إلى حشود الملكيين فى « جيزان » و « نجران » ولا كانوا مستعدين للاشتراك فى عمليات عسكرية ضد الثورة اليمنية .

وقامت طائرة مصرية بعملية استطلاع فوق منطقة الحدود اليمنية ـ السعودية ، والتقطت صورا لحشود عسكرية تتجمع وتستعد للحركة . وطلبت الحكومة اليمنية عرقلة تقدم هذه الحشود إلى اطول فترة ممكنة ، وتمت الموافقة على طلبها ، وقامت طائرتان مصريتان بغارة على مواقع الحشود ، وكانت التعليمات تقضى بأن يكون هدف الغارة هو بعثرة الحشود لتخويفها . وبالفعل فإن كل ما اطلقته الطائرتان فى هذه الغارة الأولى كان قنابل مشاعل مضيئة تحدث فرقعة ووهجا بغير إصابات بشرية !

٣

فى أواخر شهر أكتوبر ، وأوائل شهر نوفمبر ١٩٦٢ كانت هناك اتصالات نشيطة على جانبى الأطلنطى بين الولايات المتحدة وبريطانيا . ولم تكن هذه الاتصالات مقصورة على القنوات الرسمية ، وإنما شاركت فيها بحكم طبائع الأمور قوى لها مصالح اقتصادية ومالية وحيوية فى شبه الجزيرة العربية وثرواتها الطائلة .

كانت هناك بالطبع اتصالات عن طريق القنوات الرسمية ، فقد دخلت واشنطن ولندن فى جدل اتسم بالحدة أحيانا حول الطريقة الأمثل لمواجهة الأزمة فى اليمن ، فقد

كان « كنيدى » لا يزال ميالا إلى حل توفيقى ، فى حين ان الحكومة البريطانية كانت ترى ضرورة مواجهة « جمال عبد الناصر » بالحزم إلى درجته القصوى .

وقد فزعت الحكومة البريطانية عندما فهمت من المراسلات الدائرة بين وزارتى الخارجية فى البلدين أن هناك اتجاها أمريكيا لاعتراف مشروط بثورة اليمن . وكان ردها أن هذا الاعتراف ينطوى على مخاطر شديدة ، وأن الأجدر بالعواصم الغربية كلها أن تتخذ موقف رفض الاعتراف بمنطق « أنه ليس واضحا حتى الآن أن الحكومة الجديدة فى صنعاء تملك السيطرة الكاملة على كل التراب اليمنى » .

وكانت المصالح الاقتصادية والمالية الأمريكية فى نفس الاتجاه ـ مع الحكومة البريطانية ـ ذلك لأن شركات البترول ، وخطوط الأنابيب والنقل ، ومجموعات البنوك ـ كان رأيها قاطعا بأنه لا يمكن السماح « لأية اتجاهات ثورية أن توجد قرب منابع البترول ، أو تمثل تهديدا محتملا للنظم التى استقرت قواعد التعامل معها منذ سنوات طويلة ، وأن أى شىء غير ذلك قبول باحتمالات مجهولة وخطرة على حساب أوضاع معروفة ومأمونة » .

كان « كنيدى » لا يزال مترددا ، وانتهى تردده ، وقرر فى حوالى منتصف شهر نوفمبر أن يتحرك بمزيج من المرونة والحزم(٥) ، وهكذا كتب يوم ١٧ نوفمبر خطابا إلى « جمال عبد الناصر » جاء فيه بالنص :(٦)

« البيت الأبيض ـ سرى   ١٧ نوفمبر ١٩٦٢

السيد الرئيس

إننى حزين للخلافات التى نشأت بين دول ترغب الولايات المتحدة فى ان تحتفظ معها باوثق علاقات الصداقة . كما اننى شديد القلق من ان يؤدى الصراع على اليمن إلى تعريض استقرار المنطقة للخطر . وبناء على ذلك اناشد زعماء الدول المشتركة فى هذا الصراع الآن ان يفكروا فى المخاطر الكبرى التى يمكن ان تتحقق إذا ما سمحوا للتطورات الحالية بان تمضى دون مراجعة . وبصورة شخصية وسرية ، فإنى اقترح عليكم تنفيذ الخطة التالية للعمل من اجل تطبيع الموقف . وإنى موجه رسائل مماثلة إلى جلالة الملك حسين ، وصاحب السمو الأمير فيصل(٧) ، وصاحب السعادة عبد الله السلال .

(٥) كان « كنيدى » فى مراسلاته السابقة يوجه خطابه لـ « جمال عبد الناصر » بعبارة « عزيزى الرئيس » وفى هذه الرسالة الأولى بعد ازمة اليمن اختار ان يوجه الخطاب بعبارة « السيد الرئيس » !

(٦) اصل الرسالة فى وثائق مكتبة « كنيدى » وايضا فى مجموعة وثائق الخارجية الأمريكية .

(٧) يلاحظ ان الرئيس « كنيدى » اسقط الملك « سعود » نهائيا كطرف يمكن توجيه الخطاب إليه فى الأزمة وهذه علامة لها دلالتها .

تتمثل العناصر الرئيسية للخطة التى اقترحها فيما يلى :

١ ـ انسحاب القوات الأجنبية من اليمن على مراحل ، وإن تكن مراحل متسارعة .

٢ ـ إنهاء المساندة الخارجية للملكيين .

٣ ـ سحب القوات التى ادخلت بعد ثورة اليمن إلى المنطقة المجاورة للحدود السعودية اليمنية على مراحل ، وإن تكن متسارعة(٨) .

واتصور عند القيام بالانسحاب ان يكون هناك اتصال مباشر بين الأطراف المعنية مع قيام طرف ثالث بمساع حميدة ، وقد يكون من الممكن ايضا إنشاء نظام للرقابة او الإشراف على عملية فض الاشتباك بواسطة الأمم المتحدة . وسوف يكون ممثلو الولايات المتحدة فى المنطقة على استعداد لبحث الخطط بحثا اوليا .

وإنى اقترح اتخاذ الخطوات المبدئية التالية :

١ ـ تصدر الجمهورية العربية المتحدة بيانا يشير إلى استعدادها لإجراء فض للاشتباك متبادل وسريع تقوم على اساسه بسحب قواتها على مراحل على ان يتم فى اثناء ذلك : (أ) نقل القوات السعودية والأردنية من منطقة الحدود . (ب) وقف المساندة السعودية الأردنية للملكيين اليمنيين .

٢ ـ تؤكد الجمهورية العربية اليمنية مجددا وبصورة علنية نيتها على احترام الالتزامات الدولية ، والسعى لتطبيع علاقاتها مع جيرانها وإقامتها على أساس ودى ، والتركيز على الشؤون المحلية . كما توجه الجمهورية العربية اليمنية الدعوة إلى اليمنيين فى المناطق المجاورة(٩) ليتصرفوا كمواطنين ملتزمين بالقانون .

٣ ـ بمجرد إصدار البيانات المناسبة حسبما هو متصور فيما تقدم يمكن إعادة تنشيط عمل بعثة المعونة الأمريكية لليمن . كما تبادر الولايات المتحدة بإعلان اعترافها بالجمهورية العربية اليمنية .

واثناء إجراء عملية فض الاشتباك المتصورة ، فلنا طبعا ان نامل فى الا يشترك طرف من الأطراف فى انشطة تتعارض مع روح هذا التفاهم .

(٨) تحمل هذه العبارة إشارة معناها ان هناك قوات غير سعودية دخلت إلى هذه المنطقة ، وراحت تشارك عسكريا فى العمليات .

(٩) يقصد اليمنيين الموجودين فى السعودية سواء من سكان « جيزان » و « نجران » او غيرهم .

وإنى لأتمنى تعاونكم السريع والفورى فى هذه المهمة الحيوية قبل ان يدخل الصراع على اليمن مرحلة اشد خطورة . وليمنحنا الله جميعا القوة والحكمة للسير بهذه المساعى الهامة إلى نهايتها الموفقة .

المخلص
جون ف . كنيدى »

□

قام السفير « جون بادو » سفير الولايات المتحدة فى القاهرة بتسليم هذه الرسالة إلى « جمال عبد الناصر » مساء يوم ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ واستأذن الرئيس فى أن يضيف إلى رسالة « كنيدى » بعض انطباعاته . وكان « جمال عبد الناصر » يقدر خبرة الدكتور « بادو » الذى كان مستشرقا عمل لسنوات طويلة كمدير للجامعة الأمريكية فى القاهرة ، واستطاع خلال هذه الفترة أن يتصل بمشاعر وأفكار أجيال من شباب المصريين العرب . ولعل السبب الوحيد للخلاف بين الاثنين فى ذلك الوقت هو إصرار الدكتور « بادو » على إجراء حواراته مع « جمال عبد الناصر » باللغة العربية . وفى بعض الأحيان كان « جمال عبد الناصر » يعجز عن فهم لكنته . وقد طلب إلى « بادو » أكثر من مرة أن يستعمل اللغة الانجليزية لأن القضايا التى يتحدث فيها كسفير بطبيعتها دقيقة وحساسة ، وأن أى خطأ أو لبس فى فهم معانى الكلمات قد يؤدى إلى سوء فهم لا لزوم له ـ لكن الدكتور « بادو » اعتبر الملاحظة تشكيكا فى قدرته على الحديث باللغة العربية ورجاه أن يتسامح معه ، وأن يأذن له فى استعمالها فى لقاءاته معه ، وتعهد ضمانا لتجنب سوء الفهم أن يبعث كتابة بعد كل اجتماع يتم بينهما ملخصا وافيا لما قاله ولما سمعه .

وفى ذلك اليوم الذى سلم فيه « بادو » رسالة « كنيدى » بتاريخ ١٧ نوفمبر ـ قال « بادو » إنه يريد أن يشرح للرئيس أهمية العلاقات الأمريكية ـ السعودية ، وانه لا يتردد فى ان يقول بصراحة بان هذه العلاقة هى أهم علاقة عربية امريكية على الإطلاق . فحجم المصالح المشتركة بين البلدين لا تدانيه ، او تقترب منه مصلحة أخرى تربط الولايات المتحدة بأى بلد عربى . وبالتالى فهو يرجو من الرئيس أن يضع هذه الحقيقة فى حساباته ولا يتركها تغيب عنه .

ويوم ١٨ نوفمبر رد « جمال عبد الناصر » على « كنيدى » وجاء فى رده بالنص ما يلى :

« الجمهورية العربية المتحدة ـ الرئيس ١٨ نوفمبر ١٩٦٢

الرئيس جون ف . كنيدى

إنى شاكر لكم خطابكم بتاريخ ١٧ نوفمبر ، وما فيه من دلائل على اهتمامكم بسير الحوادث فى العالم العربى .

على انه لابد لى ان الاحظ ان هذه اول مرة اسمح لنفسى فيها ان اناقش مشاكل العالم العربى مع طرف من خارجه . فلقد آثرت دائما ان تبقى الخلافات الداخلية للعالم العربى فى نطاقها المحلى ، برغم المحاولات المتكررة من جانب غيرنا لإخراجها من هذا الإطار .

وفى المشكلة التى طرات اخيرا بعد الثورة اليمنية ، وما نتج عنها من مضاعفات وآثار على الحدود بين الجمهورية العربية اليمنية والمملكة العربية السعودية ـ وجدت انه لابد لى من الاستجابة لاهتمامكم ، نظرا لما اعرفه ، وما اكده لى السفير الأمريكى فى القاهرة الدكتور « جون بادو » ، من ارتباطاتكم الوثيقة بالمملكة العربية السعودية .

واحب ان أؤكد لكم اننى قبلت من غير تردد اقتراحك البناء بتفادى الصدام على حدود اليمن ، ولقد كان ذلك اصلا واساسا هو الهدف الذى من اجله ذهبت قوات من الجمهورية العربية المتحدة إلى اليمن . ولقد حاولنا ذلك سلما بمختلف البيانات التى صدرت عن الجمهورية العربية المتحدة وعبرت عن سياستها تجاه الثورة الوطنية فى اليمن ، وابرزها البيان الذى اذيع من القاهرة فى الساعات الأولى من يوم ٢٧ سبتمبر بضرورة عدم التدخل الخارجى فى شؤون اليمن ، وترك الشعب اليمنى حرا فى إعمال إرادته وصياغتها على النحو الذى يريده . ومن سوء الحظ ان صاحب الجلالة الملك سعود اخذ الأمر على غير وجهته الصحيحة ، فلقد تصور الثورة فى اليمن معركة بين النظامين الملكى والجمهورى ، ومن ثم فإنه بهذا التصور غير الصحيح اندفع بكل طاقته وإمكانياته إلى محاولة لغزو اليمن من الخارج . ولعلكم علمتم ان عددا من الطيارين السعوديين الأحرار الذين كلفوا باعمال عدوانية ضد ثورة اليمن قادوا طائراتهم إلى القاهرة بدافع من ضميرهم القومى ، وكانت هذه الطائرات امريكية الصنع ، كما ان حمولتها من الأسلحة والذخائر كانت لا تزال فى صناديق المعونة الأمريكية .

ولقد كان ذلك بالنسبة إلينا ـ فضلا عما ينطوى عليه من نوايا عدوانية ـ دليلا على ان نداءنا للجميع بالابتعاد عن حدود اليمن وعدم التدخل فى شؤونه الداخلية ، وتجنب فرض الحرب عليه من وراء الحدود ـ لم يجد اذنا صاغية فى الرياض . ومن ثم كانت استجابتنا ضرورية لطلب حكومة الجمهورية العربية اليمنية بوضع

بعض قواتنا تحت تصرفها لتشترك معها فى الدفاع ضد الهجمات العنيفة التى تتعرض لها حدودها الشمالية فى منطقة « صعدة » فى ذلك الوقت ، والتى اتخذت من منطقة نجران فى السعودية قاعدة لها .

وأؤكد لك ان الجمهورية العربية المتحدة تملك الوثائق التى تثبت ان بعض الطيارين الأمريكيين اشتركوا فى عمليات نقل العتاد والجنود ما بين الأردن والسعودية إلى حدود اليمن . على اننا نعرف ان هؤلاء الطيارين ، وقد كانوا فى خدمة الخطوط الجوية السعودية ، كانوا يعملون تحت عقود ملزمة ، وفى إطار ظروف فرضت عليهم ما قاموا به . وربما لم تكن ابعاد المسؤولية عما فعلوا واضحة امامهم . »

ومضى « جمال عبد الناصر » فى رسالته إلى « كنيدى » يقول بالنص :

« إن الجمهورية العربية المتحدة لا تريد حربا مع السعودية على حدود اليمن . فإن الخلاف التاريخى بين حكومة المملكة العربية السعودية ، وبين الجمهورية العربية المتحدة ليس خلافا من النوع الذى يحسمه الصدام المسلح ، وإنما هو خلاف يضرب بجذوره فى اعماق الأوضاع الاجتماعية السائدة فى العالم العربى ، ومحاولة آمال المستقبل ان تنزع نفسها من بقايا الماضى ورواسبه . فقد كنا ـ يعلم الله ـ حريصين على تجنب القوة حفاظا على كل نقطة دم عربية . ومن حسن الحظ ان القوات المسلحة فى السعودية والأردن بذلت من جانبها جهدا واضحا لتحذير الراغبين فى العدوان . وقد تجلى ذلك فى مجىء طلائع من الطيارين الأردنيين إلى القاهرة حيث لحقوا بزملائهم السعوديين ، وكان يتقدمهم القائد العام لسلاح الطيران الملكى الأردنى . »

واستطرد « جمال عبد الناصر » بعد ذلك فى رسالته ، فناقش مقترحات « كنيدى » وأبدى استعدادا للموافقة عليها بعد التشاور مع الحكومة اليمنية .

□

ويوم ١٩ نوفمبر ١٩٦٢ بعث « جمال عبد الناصر » ببرقية شفرية عاجلة إلى الرئيس « عبد الله السلال » يقترح عليه فيها قبول المقترحات الأمريكية . ووافق « السلال » وفهمت القاهرة بعد ذلك أن الأطراف على الجانب الآخر قد وافقت أيضا ، فقد أعلن أن الرئيس « كنيدى » عين ممثلا خاصا له لتنفيذ مشروعه الخاص بحل الأزمة فى اليمن ، وهو السفير المخضرم « ألزورث بانكر » ، كذلك كلفت الأمم المتحدة بإرسال هيئة مراقبين ، وطار مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة ، وهو الدكتور « رالف بانش » إلى صنعاء لترتيب إجراءات عمل فريق المراقبين الدوليين .

وبعد أن قام الدكتور « رالف بانش » بجولة سريعة فى اليمن عاد إلى صنعاء ، وكان أول تعليق له هو قوله مرتاعا :

« لقد كنت حتى الآن اتصور اننى رايت اسوا صور التخلف فى الكونجو ، ولكن ما رايته هنا فى اليمن اقنعنى بان هناك ما هو اسوا فى التخلف من الكونجو »[١٠] .

□

وفى ساعة متأخرة من مساء يوم ١٩ ديسمبر أعلن الرئيس « جون كنيدى » أن حكومة الولايات المتحدة تعترف اعترافا فعليا وقانونيا بالجمهورية العربية اليمنية .

وأحدث ذلك الاعتراف رضا عميقا فى القاهرة ، وفى صنعاء ، وفى مواقع أخرى من العالم العربى . ولكن عواصف الغضب ثارت فى عواصم عربية أخرى ، وفى مراكز للمصالح والنفوذ خارج العالم العربى !

(١٠) من لقاءات بين الدكتور « رالف بانش » و « محمد حسنين هيكل » ، جرت فى صنعاء فى اواخر شهر نوفمبر ١٩٦٢ .

الفصل الخامس

الحرب الأهلية باردة وساخنة

١

أى اتفاق ، على أى مستوى ، ينجح أو لا ينجح ـ ليس فقط بنصوصه ، وليس بنوايا أطرافه الأصليين ، وليس برغبتهم حتى وإن صدقت فى حسن تنفيذه ـ فكل هذه عوامل مساعدة ، وأما الاختبار الحقيقى لأى اتفاق ، ففى مجالات أخرى غير النصوص والنوايا وصدق الرغبات !

● **هناك ـ أولا ـ طبيعة المشكلة** التى يتعرض لها الاتفاق ، وما إذا كانت واضحة حتى لدى أطراف الاتفاق أنفسهم قبل غيرهم ، بحيث يتأكد لهم بيقين أنهم يتحدثون عن نفس الشىء على أساس توصيف مشترك يتحققون بواسطته مما إذا كانوا يملكون بالفعل عقد اتفاق نافذ بينهم فى موضوعه ؟!

● **وهناك ـ ثانيا ـ نوعية العناصر** المؤثرة فى المشكلة ، وتركيبة هذه العناصر وقوتها وقدرتها على الحركة المستقلة بعيدا عن أطراف الاتفاق الأصليين ، بما فى ذلك تحدى رغبات هؤلاء الأطراف الأصليين إذا وجدت ذلك لازما .

● **وهناك ـ ثالثا ـ رؤية هذه العناصر** المؤثرة لمطالبها ، سواء من ناحية الأمن ، أو من ناحية المصلحة ، وهل تتحقق هذه المصالح ، أو لا تتحقق بالاتفاق ؟

● **وهناك ـ رابعا ـ حقائق وتفاعلات المرحلة التاريخية** التى يجرى فيها عقد الاتفاق ، فليس هناك حدث يستطيع أن يعيش خارج البيئة العامة لزمانه ومنفصلا عنها .

● **وهناك ـ خامسا ـ المواريث السياسية والفكرية** ، والقناعات المسبقة للجميع سواء فى ذلك أطراف الاتفاق الأصليين أو غيرهم من العناصر المؤثرة فيه ، فالاتفاقات القادرة على الحياة لا تولد بين يوم وليلة ، وأى صفحة جديدة من كتاب ليست قصته عند سطرها الأول !

وفى الاتفاق الذى جرى التوصل إليه بين « جون كنيدى » و « جمال عبد الناصر » حول أزمة اليمن ، والذى بمقتضاه تم اعتراف حكومة الولايات المتحدة بالجمهورية العربية اليمنية ـ فإن هذه الشروط الحقيقية والضرورية لنجاح أى اتفاق ـ كانت غائمة ورمادية !

■

ولم يكن « كنيدى » و « عبد الناصر » **يعرفان ما فيه الكفاية** عن طبائع الأمور فى اليمن ، وكذلك كان حال معظم المحيطين بالاثنين رجالا كانوا أو أجهزة .

كان « كنيدى » و « عبد الناصر » كلاهما مهتما بالاتفاق ، أو على الأقل تجنب الصدام ، بينهما ، أو بين الولايات المتحدة وبين الجمهورية العربية المتحدة ، ولم يكن ذلك صميم القضية ، فلا يمكن فصل صميم أى قضية عن موضوعها اى عن اليمن فى هذه الحالة .

ولم يكن أحدهما واضحا فى تصوراته عن اليمن ، ولعل « كنيدى » كان **يقيس** بمقدار ما يعرف عن بلاد القلاقل والانقلابات وحتى الثورات فى أمريكا اللاتينية ، ولعل « جمال عبد الناصر » كان يقيس بمقدار ما عرف عن سوريا أو السودان أو الجزائر ، ولم يكن القياس فى الحالتين صحيحا .

ولقد فزع « كنيدى » وشكا لـ « جمال عبد الناصر » عندما لفتوا نظره إلى تصريح للرئيس « السلال » غداة يوم اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الجديد فى صنعاء جاء فيه على لسان « السلال » أن « **اليمن يملك صواريخ يستطيع ان يهدم بها قصور الرجعية فى الرياض على رؤوس ساكنيها** » !

وفزع « جمال عبد الناصر » ولم يجد من يشكو له حين قرأ مأساة اول شهيد من الضباط المصريين فى اليمن ، وهو الشهيد « نبيل الوقاد » واكتشف ان احد زعماء القبائل الموالين للجمهورية باعه بيعا بعشرين قطعة من الذهب ، وقام بنفسه بإطلاق الرصاص عليه من الخلف !

ولم تهدأ مخاوفه عندما علم أنه لا يوجد طبيب مؤهل أو مدرس مؤهل أو مهندس من أبناء اليمن ، بل إن خزينة الحكومة اليمنية لا يوجد فيها مليم واحد لأن الخزينة **كانت** فى جيب الإمام ، وعندما هرب كانت الخزينة معه !

ولم يكن المهتمون باليمن هم أطراف الاتفاق بين « كنيدى » و « عبد الناصر » وإنما كانت هناك عناصر أخرى ليست أقل قوة وقدرة من الأطراف الأصليين الذين وقعوا عليه ، فقد كانت **السعودية** عنصرا رئيسيا لا يمكن تجاهل أهميته بحكم الجوار ، وبحكم التشابك الجغرافى والإنسانى ، وبحكم أوضاع قبلية غائرة فى قرون الزمان . وكذلك كانت **بريطانيا** عنصرا رئيسيا بحكم وجودها العسكرى فى الجنوب العربى ، وهو حقيقة ، وبحكم استراتيجيتها فى شرق السويس ، وبحكم نظرتها لحركة القومية العربية ، وبحكم عدائها لـ « جمال عبد الناصر » وهذه كلها أيضا حقائق .

كذلك كان **الأردن** ، وكذلك كان « قاسم » فى **العراق** ، وكذلك كانت بقايا حكم الانفصال المتهاوى والآيل للسقوط فى **سوريا** .

إيران كان لها دور رئيسى ، فقد كان الشاه يعتبر أن الشاطىء الآخر للخليج العربى وحتى مداخل البحر الأحمر منطقة أمن إيرانى .

تركيا وباكستان أيضا كان لهما دور بحكم حلف بغداد .

فرنسا كانت قريبة ، فهى موجودة فى جيبوتى ، وهى جريحة فى الجزائر - ومن الطبيعى أن تهتم .

وإسرائيل كان محققا أن تجد لنفسها دورا بحكم تفاعلات الصراع فى الشرق الأوسط .

وخارج إطار الدول كانت هناك عناصر مؤثرة أبرزها شركات البترول ، والبنوك والمؤسسات الاقتصادية المالية العالمية ذات الصلة بالبترول ، وهى كثيرة وكبيرة .

بل إن قبائل اليمن الكبرى ، وحتى الصغرى أصبحت من عناصر المعادلات التى لا يمكن نسيانها .

أخطر من ذلك ، فإن القرار الأمريكى معقد ومركب ، وفى كل الأحوال ، فإن صنعه لا يقتصر على البيت الأبيض وسيده ، وإنما هناك قوى أخرى تصل فى تأثيرها إلى حد أنها تستطيع اتخاذ سياسات مختلفة تخلق بها حقائق واقعة على الأرض تفرض على صانع القرار الرسمى فى البيت الأبيض حتى وإن لم يكن مقتنعا بسلامتها .

■

وليس صحيحا أن الأطراف الأصليين فى أى اتفاق يستطيعون فرضه على كل العناصر المهتمة فى أزمة من الأزمات ، فعند لحظة معينة ، وعندما تكون رؤى المصالح والأمن معرضة للخطر ، فإن أطرافا ثانويين يستطيعون بشىء من المخاطرة أن يزيحوا

الأطراف الأصليين ، ويتقدموا هم إلى مواقع الصدارة فى تحريك الحوادث . ذلك أن أى طرف مهما كان ثانويا يملك حجما من الإرادة المستقلة يكبر بمقدار استعداده لتحمل المخاطر منفردا .

وعلى سبيل المثال ، فإن بريطانيا التى أسلمت بقايا إمبراطوريتها للولايات المتحدة فى مؤتمر « برمودا » سنة ١٩٥٧ والتى راحت تفكر بعد ذلك فى سحب قواتها شرق السويس معتمدة على الولايات المتحدة فى كل شىء - كانت على استعداد فى هذه اللحظة للخروج من تحت المظلة الأمريكية مهما كان الثمن لأنها وجدت نفسها مهددة عند آخر موقع بقى لها عند نقطة التقاء البحر الأحمر مع المحيط الهندى ، ولقد فضلت أن تواجه سوء تفاهم مع الولايات المتحدة - إذا كان ذلك ضروريا فى النهاية - على أن تسقط فى البحر أمام حركة القومية العربية من آخر موطىء قدم لها عند الطرف الشرقى الجنوبى من شبه الجزيرة العربية .

أى أن بريطانيا وغيرها من العناصر المؤثرة كانوا على استعداد عند لحظة الخطر لتحمل سوء فهم مع الولايات المتحدة يصل إلى درجة التحدى لحليفهم الكبير على أن يسايروا ثم يقعوا على الأرض من أول ضربة يوجهها إليهم عدوهم اللدود !

■

وعندما تكون هناك بحكم المراحل التاريخية حالة فوران يصل إلى درجة الغليان فى منطقة من مناطق العالم - فإن الاتفاقيات لا يمكن أن تكون ضابط التداعيات ولا رابطها .

وفى تلك الأيام كانت المنطقة العربية كلها - بل وكان العالم الثالث على امتداده - فى شبه حالة ثورية .

وكانت هذه الحالة غير مسبوقة فى التاريخ ، فقد تفجرت فى عالم تلاشت فيه الحدود والمسافات ، وتصارعت فيه قوى عظمى وعقائد ، وظهرت فيه وسائل وأسباب لم تتح من قبل لحركات الثورة فى التاريخ ، وأولها الإذاعة والتليفزيون ، وبالتالى فإن الأحلام استطاعت أن تجد لنفسها أجنحة تطير بها بعيدا عن أرض الواقع ، وكان هذا كله معززا بقفزة هائلة فى تكنولوجيا الأسلحة الصغيرة ، وبمدد من الذهب كأنه إناء بلا قاع !

وفى شبه الجزيرة العربية وما حولها ، فإن هذه الأجواء أحدثت متناقضات بدا بعضها مثيرا للضحك ، وبعضها داعيا إلى البكاء .

■

ووراء سطور الاتفاق بين واشنطن والقاهرة ، فإن تجارب الماضى ورواسبه كانت تؤثر فى الطرفين : « جون كنيدى » و « جمال عبد الناصر » .

وعند أول لحظة شك ـ حتى ولو ثبتت البراءة فيما بعد ـ فإن اللحظة كانت تستدعى تلقائيا كل المخزون قبلها فى العلاقات ما بين البلدين .

وهكذا فإن الاتفاق بين الرجلين كان أشبه ما يكون بشمعة واحدة فى جو مظلم ، ومعبأ ومسكون بالأشباح .

وكان كلا الرجلين يحاول ، وإن كان واقع الأمور يجعل المحاولة : نصف جهد ، بنصف اقتناع ، خطوة إلى الأمام ، ثم تردد وتلفت ، فى انتظار ما سوف يفعله الآخر ، وكانت تلك هى الفترة التى غاصت فيها تحت سطح الأرض فى الشرق الأوسط ألغام لم يلبث بعضها أن تفجر سريعا فى حين ظل بعضها الآخر نائما فى انتظار أيام أخرى مازالت مواقيتها مؤجلة !

□

إن الطريقة التى تواصلت بها ، وتداعت وقائع الأحداث فى اليمن تكشف بسياقها ومضاعفاتها حجم النتائج المأساوية التى يمكن أن تصيب أزمة من الأزمات نتيجة للفشل فى فهم طبيعتها وتوصيفها ، وتحديد أطرافها ورؤاهم ومصالحهم وإنجازاتهم المسبقة .

وربما كان تتبع سياق الأحداث فى هذه الفترة الحساسة هو القادر أكثر من أى أسلوب آخر على رسم الصورة الكاملة لأسابيع خطرة أصبحت مفترق طرق كثيرة فى الشرق الأوسط ، وفى العالم العربى بأكثر مما كانت أى فترة أخرى فى تاريخه الحديث :

● يوم ١٧ ديسمبر ١٩٦٢ ، وفى الوقت الذى كان فيه « جون كنيدى » على وشك إعلان اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الثورى فى اليمن ـ كان « جمال عبد الناصر » غير مقتنع بصدق نوايا الرئيس الأمريكى ، وقد كتب بخط يده خطابا إلى « عبد الحكيم عامر » الذى ذهب إلى اليمن ليشرف على معركة لتطهير أطراف الحدود اليمنية من إغارات وقعت عليها ، وتمكنت من احتلال بعض أراضيها ، وبالذات فى منطقة « الجوف » . وكانت صورة المخطط الكامل للهجوم على الجمهورية العربية اليمنية أمامه كاملة ، فإن أجهزة التقاط الإشارات وحل الشفرات فى المخابرات العامة كانت تتابع الأجواء فى المنطقة ، وتتعقب معظم الموجات العابرة فيها . وكتب « جمال عبد الناصر » من القاهرة بخط يده إلى « عبد الحكيم عامر » فى صنعاء يقول له بالحرف :

« عزيزى عبد الحكيم[1]

تقبل تحياتى . وارجو من الله ان يوفقنا ، وقلبى معك ، واشعر باطمئنان ، وسينصرنا الله لاننا نحارب بلا هدف إلا قضية الحرية وتاكيدها ، وقضية الثورة التى هى حق لكل شعب مغلوب على امره .

من تتبعى للإشارات الملتقطة اشعر ان العدو مستمر فى الحشد وتكديس السلاح والذخيرة والمفرقعات فى نجران ، ومنها يحولها إلى عبد الله بن الحسن ، والحسن ، وعبد الله بن الحسين . كما ان هناك طائرات محملة بالسلاح والذخيرة من بلجيكا بدات تصل إلى نجران . وصلت الطائرة الأولى امس ، وستصل الثانية يوم ٢٨ ديسمبر ، والثالثة والرابعة يوم ٢٩ ديسمبر ، والخامسة يوم ٣٠ ديسمبر . والمفهوم ان هذه الطائرات ستصل إلى الطائف ومنها تنقل البنادق بالطائرات إلى نجران وجيزان ، والذخيرة بالسيارات . كذلك تكدس الآن متفجرات فى نجران وجيزان ، كل هذا مع استمرار نقل الأسلحة والذخيرة إلى نجران وجيزان . وانا الآن اشد اقتناعا ان علينا ان نهاجم نجران وجيزان وننقل معركتنا من الدفاع إلى الهجوم . وفى رايى ان الوساطة الأمريكية كانت خدعة الغرض منها تخفيف حماسنا واندفاعنا ، ومنعنا من القيام باى عمل ضد قواعد الحشد فى السعودية . »

● وفى اليوم التالى ـ ١٨ ديسمبر ـ تأكد « جمال عبد الناصر » أن « كنيدى » على وشك الاعتراف فعلا بحكومة الثورة فى صنعاء ، وأن هذا الاعتراف على وشك أن يعلن خلال ساعات . وكتب إلى « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٦٢ ـ وبخط يده[2] يقول له :

« عزيزى عبد الحكيم

تقبل سلامى وتحياتى . اكتب إليك الآن فى المساء قبل سفر شمس[3] عن التطورات الأخيرة بالنسبة لاعتراف امريكا بالجمهورية اليمنية ، وكذلك الغرب وتاثير ذلك . قابل على صبرى السفير الأمريكى قبل ظهر اليوم . وتم الاتفاق على ان يعلن بياننا الساعة الحادية عشرة مساء ، وعلى ان يصدر البيان الأمريكى ظهر باكر بتوقيت « واشنجطن » او الساعة السادسة بتوقيت القاهرة . وقد ابلغ على صبرى السفير الأمريكى ان سير الأمور فى الأراضى السعودية على حدود اليمن وخصوصا فى نجران تدل على ان السعودية لن تلتزم بما جاء فى جواب كنيدى عن

(١) الصفحتان الأولى والثانية من خطاب « جمال عبد الناصر » بخط يده منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٤٢ صفحة ٩٢٤

(٢) الصفحتان الأولى والثانية من خطاب « جمال عبد الناصر » بخط يده منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٤٣ صفحة ٩٢٦

(٣) يقصد شمس بدران الذى كان وقتها مديرا لمكتب القائد العام للقوات المسلحة .

الـ disengagement(*) لانهم يشونون الاسلحة والذخائر . الخ ويدفعون المتسللين ويدفعون الاموال ، وكان الرد انهم سيضغطوا لإنهاء ذلك .....

عموما بعد اعتراف امريكا اعتقد ان ما جاء فى جوابى بالامس اصبح الآن سابق لوقته ، او فى حاجة لاعادة النظر من جديد . وفى رايى ان الواجب ان نحاول سياسيا مرة اخرى للوصول إلى إيقاف النشاط السعودى . وإذا لم يتحقق ذلك ، فالخطوة التالية تكون إنذار بهدم قواعد العدوان .....

إنى على يقين ان فيصل لن يسكت ، ولكن بعد ظهور العامل الجديد باعتراف الغرب وفيه كسب معنوى ، ومعناه ان الثورة اليمنية توطدت وعجزوا عن قهرها ، فالتوقيت يحتاج لبحث ..... من المهم وضع السلال فى الصورة عن نشاط السعودية على الحدود وهذا واضح فى تقارير المخابرات الملتقطة حتى لا يطمئن إلى ان امريكا ستوقف كل شىء ضده فى الحال . ففيصل سيعمل ، والبدر ، وكذلك الانجليز باستمرار للضغط على الجمهورية اليمنية . »

● فى ذلك الوقت من أواخر شهر ديسمبر ١٩٦٢ كانت قوات الجيش المصرى فى اليمن قد استطاعت القيام بحركة واسعة فى شرق وشمال اليمن تمكنت بها من تحقيق سيطرة الجمهورية العربية اليمنية على كل أطراف اليمن . وحين وصل الدكتور « رالف بانش » مبعوثا من « يوثانت » السكرتير العام للأمم المتحدة ، وطار فوق كل أرجاء اليمن ، ونزل فى عدد من قرى الحدود الرئيسية كان تقريره للأمين العام بعد ذلك أنه يرى أن النظام الثورى الجديد قد مد سلطته على كامل التراب اليمنى . وأن القوى المعادية للثورة اليمنية كلها متمركزة الآن فى قواعد خارج الأرض اليمنية .

وربما بمقاييس ما هو عادى فى أى بقعة من العالم بعيدا عن الشرق الأوسط وعن اليمن ، فقد كان يمكن لأى مراقب أن يتصور أن الأزمة فى طريقها إلى الحل . ولكن حجم المصالح فى شبه الجزيرة العربية ، وتشابك العلاقات بين الأطراف المعنية جعل من هذا التصور ، أو أى شىء مماثل له ضربا من التعلق بالوهم .

● بدأ الرئيس الأمريكى « جون كنيدى » فور إعلان اعترافه بالحكومة اليمنية يتعرض لضغوط شديدة متعددة الاتجاهات . وكان أهم مصدر لهذه الضغوط شركات البترول والبنوك إلى جانب الحكومة البريطانية . وتلقى الرئيس « كنيدى » اكثر من رسالة من المنطقة ومن خارجها ، ومن جهات سياسية واقتصادية ومالية وأجهزة مخابرات معلومات مؤداها أن النظام فى السعودية ، وفى غيرها معرض لأشد المخاطر إذا ما ترك الأمور فى جنوب شبه الجزيرة العربية تتفاعل مبتدئة من النقطة التى جرى فيها الاعتراف الأمريكى بثورة اليمن . وذهب مجلس إدارة « ارامكو » بكامل هيئته تقريبا إلى البيت الابيض ،

(*) كتبها « جمال عبد الناصر » باللغة الانجليزية طبقا للتعبير الشائع . ومعناه « فك الاشتباك » .

وكان معهم ممثلون لمجموعة من البنوك الأمريكية اهمها بنك « تشيس مانهاتن » و « مورجان جارانتى » . وهناك التقوا بـ « ماك جورج باندى » مستشار الرئيس للأمن القومى ، وانتهى لقاؤهم إلى أن البيت الابيض قد يكون له الحق فى ممارسة سياسته مع « ناصر » بالطريقة التى يراها ، وللأهداف التى يقدرها ـ ولكن الحكم فى السعودية يحتاج إلى عملية تدعيم لا شك فيها أمام الأصدقاء والأعداء معا . وقدم رئيس مجلس إدارة « أرامكو » لـ « ماك جورج باندى » رسالة شفوية من الأمير « فيصل » مؤداها أنه حينما التقى بالرئيس « كنيدى » قبل أسابيع ـ فإنه حصل من الرئيس على وعد مؤكد بأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تقف بحزم لضمان أمن السعودية وسلامتها من أى تهديد . وان الظروف الجديدة الواقعة فى اليمن الآن بما فيها الاعتراف الأمريكى والعملية العسكرية المصرية الناجحة تمثل جميعا تهديدا صريحا للسعودية ، يضاف إلى ذلك أن طائرات الاستطلاع المصرية دائمة التحليق قرب الحدود السعودية ، وأحيانا تقوم باختراقها .

ونقل « ماك جورج باندى » وقائع اجتماعه بمن قابلهم جميعا إلى الرئيس « كنيدى » واستقر الرأى على تشكيل لجنة خاصة من مجلس الأمن القومى تتولى متابعة ، وتنسيق السياسة الأمريكية إزاء اليمن والسعودية بالاتصال والتعاون بين شركة « أرامكو » ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية . وعهد برئاسة هذه اللجنة إلى المستر « روبرت كومر » وهو مساعد « باندى » والمسؤول فى مجلس الأمن القومى عن امور الشرق الأوسط وقتئذ .

وبعد أيام تقدم « كومر » بخطة للعمل أطلق عليها الاسم الرمزى « السطح الصلب » "Hard Surface" . وكان مجمل هذه الخطة يقضى بإجراء عرض للقوة الأمريكية فى السعودية يتمثل فى إجراءين :

أولهما ـ إرسال سرب واحد من الطائرات إلى السعودية للمرابطة فى احد مطاراتها مع الاعلان عن ذلك بطريقة تلفت الأنظار إلى أن هناك تعهدا امريكيا قاطعا بالدفاع عن أمن السعودية ونظامها . والإجراء الثانى ـ إرسال أسطول صغير من المدمرات الأمريكية يقوم بزيارات لموانىء المنطقة الشرقية لكى يكون من ذلك مزيد من التأكيد للضمان الأمريكى .

وفى الوقت الذى أعلنت فيه هذه الاجراءات وسط ضجة دعائية كبيرة كانت الحشود فى مناطق « نجران » و « جيزان » تزيد بطريقة ملفتة ، كما أن نشاط « البدر » و « الحسن » وعدد من المسؤولين السعوديين تركز بطريقة مريبة على الاتصال ببعض رؤساء القبائل فى اليمن ، كما أن معدل تهريب السلاح والذخيرة إلى

داخل اليمن بدأ يتصاعد بطريقة تدعو إلى الريبة والشك . وعاد نشاط الاستطلاع الجوى فوق مناطق الحدود السعودية ، وقامت إحدى الطائرات بإطلاق النار على بعض الحشود فعلا .

● وأمام هذه المحاولات وقف الرئيس « السلال » فى اجتماع عام فى اليمن يلقى خطابه المشهور عن « امتلاك الثورة اليمنية لصواريخ قادرة على ضرب قصور الرجعية فى الرياض » . وراح الحوار بين الفعل ، ورد الفعل يدفع الأمور إلى درجة الانفلات من كل النواحى .

● ولم يكن مراقبو الأمم المتحدة قادرين على متابعة كل ما يجرى على حدود اليمن ، ويبدو من مذكرات الجنرال السويدى « فان هورن » أنه كان مشغولا بمشاكله ومشاعره الشخصية ، فقد كتب نصف صفحة كاملة عن إحساسه وهو يركب سيارة الإمام « أحمد » التى وضعت تحت تصرفه كقائد لقوة المراقبين الدولية . كما أنه كتب نصف صفحة أخرى فى مذكراته عن الحصان الأبيض الذى كان يملكه إمام اليمن المخلوع ، وقدمته حكومة الثورة هدية له لكى يمارس به رياضته المفضلة فى ركوب الخيل فى ضواحى صنعاء .

● ولم تكن واشنطن والقاهرة قادرتين على الحوار المباشر والمفيد بينهما حول تطورات الأمور . فقد كانت السفارة المصرية فى واشنطن تعمل من منظور رؤيتها للموقف . كما أن القوات المصرية فى اليمن لم يكن تحت تصرفها ضابط اتصال سياسى يتولى شرح السياسة العامة للقاهرة فى اليمن وفق تعليمات محددة ، وهكذا على سبيل المثال كتب الجنرال « فان هورن » فى أحد تقاريره أن أحد أبرز قادة القوات المصرية ، وهو اللواء « أنور القاضى » قال له ما فهم هو (أى الجنرال « فان هورن ») منه « أن القوات المصرية لن تنسحب تماما من اليمن . ومع أن القوة الرئيسية فى الجيش سوف تعود إلى بلادها ، فإن هناك قوة مؤثرة سوف تبقى فى اليمن حتى تطمئن القاهرة إلى سلامة الجمهورية العربية اليمنية بشكل نهائى وقاطع » . وعلق الجنرال « فان هورن » على ذلك بقوله : « إننى بدأت أعتقد أنه لا السعوديين ولا المصريين لديهم النية لفك الاشتباك . ويزداد اعتقادى يوما بعد يوم أن وجود مراقبين للأمم المتحدة فى اليمن هو فى الواقع عملية تغطية سياسية موجهة للرأى العالمى » .

● وفى ٤ فبراير ١٩٦٢ كتب « جمال عبد الناصر » خطابا جديدا بخط يده إلى « عبد الحكيم عامر » الذى كان قد عاد مرة أخرى إلى اليمن يقول له فيه بالنص :

« عزيزى عبد الحكيم

تحياتى واشواقى وارجو ان تكون بخير . وسلامى واشواقى لانور (يقصد انور السادات الذى كان مع عبد الحكيم عامر عندما عاد إلى اليمن) ونحن فى انتظاركم فقد تركتم فراغا كبيرا .

هناك اهتمام كبير الآن باخبار اليمن حتى ان الاهتمام غطى على اخبار العراق . وارجو الله ان ينتهى الأمر قريبا بالنصر الكامل . اكتب لك الآن ، وساقابل السفير الأمريكى بعد ساعة ، واظن انه سيبحث موضوع الغارة على نجران ، وقد ابلغ ان عنده رسالة من كنيدى . وقد ابلغ السفير الأمريكى ان كنيدى سوف يرسل مندوبا خاصا ، وبصفة سرية جدا ليقابل فيصل لتسوية الأمر . وسيصل المندوب اليوم ٤ فبراير .

سعدت جدا بانباء الانتصار وروح الجنود المعنوية العالية . واظن انك تعرف ان موضوع اليمن سبب لى فى الماضى الكثير من القلق ، ولكن الحمد لله على النتائج الأخيرة ، واعتقد ان وجودك كان ضرورى لتحقيق ذلك .

هناك موضوع مطلوب رايك فيه على ان يصلنى فى الحال وهو ان الشيخ حافظ وهبة (سفير السعودية فى لندن والمستشار المقرب من الامير فيصل) اتصل بالامين العام للجامعة العربية ، وطلب منه الالتقاء مع كمال رفعت من اجل بحث العلاقة بين السعودية ومصر . وقد اتصل حسونة بالدكتور فوزى ليبلغه الرسالة واريد ان اعرف رايك . »

● كان المندوب الأمريكى الذى بعث به الرئيس « جون كنيدى » إلى الأمير « فيصل » لـ « تسوية الأمور » هو السفير « الزورث بنكر » . وقد كانت المقابلة التى تمت بينهما مقابلة سيئة الحظ ، فقد انتهت بسوء تفاهم كامل بين الاثنين كاد يصل إلى درجة الأزمة ، فإن السفير « بنكر » قال للأمير « فيصل » إن مظاهرة القوة الجوية والبحرية التى قامت بها الولايات المتحدة لإعلان مساندتها له تمت على شرط إيقاف التدخل السعودى فى اليمن ، وأن الطائرات الأمريكية الثمانى المرابطة فى السعودية لن تشتبك مع أية قوات مصرية إلا فى حالة الدفاع الواضح والمحدد . ورد الأمير « فيصل » بحدة بأنه لم يفهم من كلام الرئيس « كنيدى » أن هناك شرطا عليه ، وأن كلمة « شرط » تبدو له غير مقبولة . وتدخل السفير الأمريكى فى السعودية وهو المستر « بيتر هارت » وكان يحضر المقابلة بين الأمير السعودى والمبعوث الرئاسى ، وقال إن هناك خطا فى الترجمة لكلمة « شرط » باللغة العربية ليست هى ما عناه الرئيس « كنيدى » فى رسالته ، وأنه يفضل استبدالها بكلمة « فهم مشترك » ، ولكن محاولة السفير « هارت » لم تفلح لأن السفير « بنكر » ما لبث بعد ذلك ان اضاف إلى ما قاله « ان الرئيس كنيدى يرى أن يوجه الأمير فيصل بعض اهتمامه إلى الشؤون الداخلية

فى السعودية ، فالأوضاع فى الأسرة ، وفى الدولة ليست على ما يرام ، وهناك جهود كثيرة مطلوبة لوضع هذا كله على مسار صحيح » . وانفعل الأمير « فيصل » قائلا إن أمن أسرته وبلاده فى خطر ، وهو غير مستعد لسماع نصائح تجيئه من مصادر بعيدة عن الواقع الذى يواجهه هو ويعانى آثاره كل يوم .

● وكانت قرون الاستشعار البريطانى فى لندن ، وفى عدن ، متنبهة ومتحفزة وقد رأت على الفور أن الفرصة سانحة لتعاون أوثق مع السعودية وأصدقائها ، وكذلك مع بعض القوى والمصالح الهامة فى الولايات المتحدة بصرف النظر عن استراتيجية أو تكتيك البيت الأبيض . وفى هذا الوقت توصلت لندن إلى نتيجة ظهرت واضحة فى مذكرة صادرة عن إدارة الـ M.I.6 قدمت إلى السير « اليك دوجلاس هيوم » وزير الخارجية البريطانية ، وجاء فيها بالنص ما يلى :[٤]

« فى هذا المنعطف الهام من سير الأمور فى اليمن ، فهناك ثلاثة حلول مطروحة للبحث ، ومن الصعب البحث عن خيار آخر خارج إطارها :

١ ـ الاعتراف بالثورة اليمنية ، وقبول الأمر الواقع ـ وهذا احتمال لا يمكن قبوله ، واضراره لا تحتاج إلى تفصيل .

٢ ـ وهناك إمكانية إقناع ناصر بسحب قواته من اليمن بصرف النظر عما يمكن ان يحدث للنظام الجديد فى صنعاء ـ ومن الواضح ان هذه الإمكانية ميئوس منها ، فإن ناصر بعد كل ما وصل إليه لتاييد التمرد فى اليمن لا يستطيع ان يتراجع عند منتصف الطريق .

٣ ـ يبقى الاحتمال الثالث ، وهو قبول واقع الحال كما هو ، والعمل على استمراره ـ اى قبول بقاء الجيش المصرى فى اليمن ، ورفع تكاليف بقائه فيها بما يؤثر حتى على نظام ناصر فى القاهرة ـ وهذا احتمال تكمن فيه فرص هائلة إذا احسن استغلالها خصوصا وان طبيعة الارض فى اليمن وقبائله كما اثبتت تجارب الماضى بما فيها تجاربنا نحن ، تقدم ظروفا مواتية للاستنزاف . »

وراحت حرب عربية أهلية بدأت باردة ، تتحول إلى حرب عربية أهلية تزداد سخونتها يوما بعد يوم بمشاركة أطراف كثيرين بينهم غير العرب .

(٤) ارسلت نسخ من هذه المذكرة إلى مكتب المندوب السامى البريطانى فى عدن ، وإلى قيادة القوات البريطانية فى الجنوب العربى .

٢

وكان « كنيدى » ما زال يحاول . وقد أحس مبكرا باحتمالات سوء الفهم التى يمكن أن تعرقل محاولته التى كانت تهدف أساسا إلى إقناع مصر بالانكفاء على الداخل ، وهكذا فإنه بعد أسابيع من الصمت ـ كتب إلى « جمال عبد الناصر » خطابا جاء فيه بالنص ما يلى :

« البيت الأبيض[٥]

عزيزى الرئيس

عندما انبريتم انتم وانا لما اعتبرناه معا علاقة متبادلة تبشر بالخير ـ اتفقنا على انه من الضرورى ان تستند صلاتنا إلى اقصى حد من الصراحة من الجانبين . اما وقد تابعت عن كثب طريق العذاب الذى سارت فيه احداث اليمن ، فقد بت اخشى ان تكون هذه المسالة قد اثارت اسبابا لسوء الفهم ، وما لم نتحدث بصراحة مع بعضنا البعض فيها ، فإن الإساءة قد تلحق بعلاقاتنا الآخذة فى النمو .

عندما وافقت الجمهورية العربية المتحدة على الاضطلاع بالتزامات معينة كان لدىّ الأمل باننا احرزنا تقدما كبيرا . لكننى الآن استشعر ان هناك شكوكا تثور عندكم من ناحية الولايات المتحدة . فقد تتصورون ان الولايات المتحدة بسبب امتناع المملكة العربية السعودية عن سحب مساندتها للملكيين ـ كانت تتبع فى اليمن سياسة مزدوجة . دعنى أؤكد لكم تاكيدا قاطعا بان الأمر ليس كذلك . إننا عملنا ، وسنعمل كل ما هو ضرورى لحماية مصالحنا الحيوية فى شبه الجزيرة العربية ، ولكن حسابات ذلك قد تمت باقصى دقة حتى لا يكون حرصنا على مصالحنا معناه فى النهاية تاييد السياسات السعودية فى اليمن .

ولعل ما هو اخطر من ذلك هو الاحساس المحتمل من جانب الجمهورية العربية المتحدة باننا ينبغى ان نكون قادرين على إرغام السعوديين على فض الاشتباك فى اليمن . ودعنى اصارحك مرة اخرى باننا كنا نحث فيصل على فض الاشتباك بإقناعه ان ذلك يحقق مصلحته الخاصة . على انكم تعرفون حق المعرفة بان استعمال الضغط الارغامى على اى زعيم عربى من اصدقائنا ليس اسلوبا تاخذ به الولايات المتحدة . ثم إن فيصل لن يستجيب له . وهو يرى فى هذه اللحظة ان سياسته تجاه اليمن هى سياسة ضرورية للحفاظ على هيبة المملكة العربية السعودية بالذات .

(٥) مجموعة اوراق « كنيدى » فى مكتبته . وهذا الخطاب موجود فى الجزء الخاص بالشرق الأوسط (الجمهورية العربية المتحدة) صندوق رقم ٤٦ .

واخشى ان تكون اقوال وافعال الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية هى التى ساعدت على إقناعه بهذا الامر . والواقع اننا كلما شعرنا فى كل مرة باننا نحرز شيئا من التقدم نحو فض الاشتباك ـ وجدنا انفسنا نرتد على اعقابنا بسبب عمليات مثل الغارة على نجران . ومن المتعين ان اقول لك بكل صراحة بان هذه الافعال ـ كما تبدو لنا من هنا ـ لا تؤدى إلى تخويف فيصل بل تؤدى إلى إثارة حنقه . وفى رايى ان هذا الموقف يحتاج إلى صبر ، وإلى ممارسة تلك الحنكة السياسية التى اطريناها نحن وغيرنا فيكم فى مناسبات سابقة .

وبالمثل فإن اسباب التردد فى الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية من جانب الحكومة البريطانية ، إنما تنبعث بوضوح من قلق هذه الحكومة حول عدن ، كما ان التهديدات المتكررة التى رددها السلال لن تؤدى إلا إلى زيادة هذه المخاوف ، فى حين اننى اثق ان عبارات التطمين إنما تساعد على تحقيق اعتراف الحكومة البريطانية بالجمهورية العربية اليمنية . وانا ارغب رغبة صادقة فى حدوث هذا الاعتراف ، ولكنى لست فى وضع يسمح لى ان اضغط على الحكومة البريطانية لكى تعترف فى مواجهة بيانات غير حكيمة تصدر من صنعاء .

وفى يقينى اننا قدمنا فعلا برهانا كافيا على صدق اهتمامنا بالعلاقات الطيبة مع الجمهورية العربية المتحدة . وقد تذكرون اننا بذلنا كل جهد لكى نتاكد من ان مصالحنا الخاصة فى عدن ، وفى شبه الجزيرة العربية مفهومة من جانبكم . وإذا استطعنا تحقيق الفهم الكامل على الناحيتين ، فإننى لا ارى سببا يعوق علاقات تبعث على الرضا بين بلدينا . وآمل ان يكون فى وسع الجمهورية العربية المتحدة ، والولايات المتحدة السعى إلى تحقيق هذا الهدف بثقة وفهم متبادلين ، وعلينا ان نهتدى إلى صيغة تهيىء لفيصل سندا علنيا ومقبولا لفض الاشتباك . وفى وسع السفير بادو ان يوضح لكم اكثر ما يجول فى خاطرى . وإنى لآمل ان يساعد هذا الخطاب على تصفية الجو بيننا علما بانه يوجد فى بلدينا كثيرون يشككون فيما إذا كان من الممكن فعلا قيام علاقات طيبة بيننا . وفى اعتقادى ان هؤلاء على خطا ، ولكن علينا نحن ان نبرهن لهم بانفسنا انهم على خطا .

المخلص

جون كنيدى »

وفى ٣ مارس ١٩٦٣ بعث « جمال عبد الناصر » برده على « كنيدى » . وجاء فى رسالته بالنص ما يلى :

« عزيزى الرئيس

شكرا لكم على رسالتكم الأخيرة التى حوت إيضاحات قيمة تتعلق بالجهود التى تبذلونها لإيجاد حل للمشاكل التى اعقبت ثورة اليمن . والحقيقة اننى احسست ان هذه الرسالة فى حد ذاتها دليل على متابعة سليمة للموقف فى الشرق العربى ومضاعفاته السياسية ، بل وحتى عقده النفسية .

والواقع . كما لاحظت فى رسالتكم ، انه كانت هناك شكوك حول مساعى الولايات المتحدة فى مشكلة اليمن ، وكانت هذه الشكوك تشغل بال عناصر وطنية عربية عديدة فى المنطقة ، وكانت حجة هذه العناصر فى شكوكها ان الولايات المتحدة لها ارتباطات مع قوى معادية للقومية العربية وللثورة العربية ، تؤثر فى سياساتها تاثيرا لا سبيل إلى تجاهله . مع انى شخصيا اتفق مع هذه العناصر الوطنية العربية فى بعض ما تذهب إليه نتيجة لتجارب طويلة سبقت ، فإنى اريد ان اقول لكم إننى بالنسبة لمسعاكم فى مشكلة اليمن ، كنت مطمئنا إلى سلامة مقاصدكم ، وكان منطقى فى ذلك ، ولقد شرحته بنفسى لكثيرين من رفاقى ـ يستند على إحساسى بان صدور المسعى الأمريكى عنكم شخصيا لابد ان يستبعد من فكرنا كل شك فى ان تكون المحاولة كلها مجرد مناورة سياسية ، وكان رايى ، وما زال ان الولايات المتحدة حتى وإن ارادت المناورة السياسية ليست فى حاجة إلى الزج برئيس الولايات المتحدة نفسه فى مثل هذه المحاولة . »

ثم مضى الرئيس بعد ذلك يقول إنه يريد « تحديد بعض النقط العملية لتكون امامكم وتحت نظركم ، وهى على النحو التالى :

□ اولا ـ ان الجمهورية العربية المتحدة مازالت مفتوحة الفكر لكل مسعى يعزز السلام القائم على العدل .

□ ثانيا ـ إن الجمهورية العربية المتحدة لا تريد ان تتدخل فى الطريقة التى قد تحاولون بها إقناع اصدقائكم بما ترونه مناسبا حتى لمصلحتهم انفسهم ، ولا تملك الجمهورية العربية المتحدة ان تفرض ـ ولا حتى ان تشير ـ بشىء فى هذا الصدد بغية إقناع الأسرة المالكة السعودية بعدم جدوى العدوان ، او بإقناع الحكومة البريطانية بعدم جدوى تجاهل الحقائق ، ونحن نؤمن ان حركة التاريخ سوف تتولى نيابة عنكم وعنا إقناعهم بحتمية التطور .

□ ثالثا ـ إن الجمهورية العربية المتحدة فى إيمانها بحتمية التطور لا تجد نفسها بحكم مسؤولياتها العربية ، قادرة على الوقوف مكتوفة اليدين امام محاولات متعمدة وعدوانية للتصدى لحق شعوب الأمة العربية فى صنع مستقبلها بالكرامة والحرية .

وفى الختام ـ يا عزيزى الرئيس ـ فإننا نسجل لكم بالتقدير العميق كل مشاعركم ومساعيكم الحميدة ، ونتمنى من قلوبنا ان يكتب لها النجاح الذى تستحقه .

إمضاء

جمال عبد الناصر »

□

ولم يكن هذا كله قادرا على إيقاف تداعى الحوادث نحو الأسوأ فى اليمن ، فالمصالح المتناقضة والمتصارعة كبيرة وهائلة ، والمهتمون بها أطراف عديدون ، ومن

مواقع وتوجهات مختلفة . وارض الصراع ذاتها اشبه ما تكون ببحر من الرمال المتحركة .

وكان السفير « جون بادو » يحاول بكل جهده فى القاهرة . وحاول سفير الجمهورية العربية المتحدة فى واشنطن أن يدخل فى الصورة ، فطلب مقابلة « روبرت كومر » الذى كان يعرف أنه مسؤول البيت الأبيض الذى يتولى إدارة الأزمة فى مجلس الأمن القومى . وبالفعل تم بين الاثنين (« كومر » والسفير « مصطفى كامل ») لقاء يوم ١٨ مارس ١٩٦٣ . ولم يكن اللقاء موفقا ، وقد كتب « كومر » عن وقائعه مذكرة إلى الرئيس « كنيدى » جاء فيها ما يلى بالحرف :

« سـرى

مذكرة عن حديث

بناء على دعوة من كامل سفير الجمهورية العربية المتحدة تناولت الشاى معه مدة ٤٥ دقيقة يوم الاثنين ١٨ مارس . وقد بدا لى ان غرضه الرئيسى هو ان يقول لى إنه يريد الاجتماع بالرئيس ، وهو موضوع ذكره ملحقه الصحفى بعد ذلك لتوم سورنسن (المساعد الشخصى للرئيس كنيدى) الذى نقله إلىّ . وكانت حجة الملحق الصحفى ان لبادو فى القاهرة اتصالا متواترا بناصر بحيث يتعين علينا هنا ان نولى كامل شيئا اكثر من الاعتبار . ولم يثر كامل الموضوع بهذه الكيفية ، ولكنه قال إنه يامل ان تتاح له مرة اخرى فرصة التحدث مع الرئيس فى القريب . واشار إلى حديثه مع الرئيس ايزنهاور الذى استبقاه ، على حد قوله ، ٤٥ دقيقة فوق المدة الأصلية للزيارة وهى ١٥ دقيقة . ولم يكن لدىّ ما اقوله له سوى اننى اعتقد ان الرئيس قد يستفيد من إجراء جولة فى الأفق مع كامل متى أصبح اليمن وراء ظهورنا .

وفيما عدا ذلك ، فإن كامل استمر يسمعنى مونولوجه الدرامى ساردا فيه بعثته الناجحة إلى واشنطن ، وهو كما يعرف ذلك جميع الذين يتحدثون مع كامل يعد نفسه الشخص الذى يكاد يعمل بمفرده فى تحقيق التحول فى سياسة الولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة ابتداء من عام ١٩٥٩ . ومما اكده لى ضمن امور اخرى انه فيما يتعلق بمصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ، والتى نعدها مصالح جوهرية - فإنه لا يرى فى ذلك اى صعوبة محتملة بيننا . اما فيما يتعلق بإسرائيل ، فهى موضوعة داخل ثلاجة ومن الممكن بقاؤها فيها . واما فيما يتعلق بالبترول ، فقد حرص على ان يقول لى إن مصالح البترول الأمريكية لن تعانى شيئا بغض النظر عن اى تغييرات سياسية فى العالم العربى مثل مجىء انظمة عربية « اكثر تحررا » . وقد اصر إصرارا شديدا على انه لا حاجة بنا إلى القلق من هذه الناحية .

إمضاء

ر . و . كومر »

وقامت فى الصحف الأمريكية ، وعلى شبكات الإذاعة والتليفزيون حملات عنيفة تزعمها فى جريدة « النيويورك تايمز » الصحفى الشهير « جوزيف ألسوب » وكان معروفا أن أهم مصادره هم كبار المسؤولين فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وفى « البنتاجون » . وكتب « ألسوب » فى هذه الفترة مقالا أثار ضجة جاء فيه أن « **ناصر يستعد لغزو المملكة العربية السعودية ، وأن النشاط الذى يقوم به سلاح الطيران المصرى على مناطق الحدود سواء بالاستطلاع ، أو بغيره من الوسائل هو نوع من عمليات التمهيد العملى أو النفسى للغزو** .

وتظهر وثائق البيت الأبيض أن الرئيس « كنيدى » قرأ مقالة « جوزيف السوب » ووضع على رأسها علامة استفهام ، وبعث بها إلى « روبرت كومر » . وكتب « روبرت كومر » مذكرة لـ « كنيدى » كان نصها كما يلى :(٦)

« مذكرة إلى الرئيس

إن هناك من الدخان اكثر مما هناك من النار فى الكلام الذى كتبه جو السوب من ان ناصر سيغزو المملكة العربية السعودية ، وما قالة ايضا من ان البنتاجون يتلهف على استخدام الأسطول السادس (الأسطول الأمريكى فى البحر الأبيض) لردع ناصر ولكن السذج فى وزارة الخارجية يعارضون ذلك .

لقد قمنا فعلا بالكثير فى سبيل ردع الجمهورية العربية المتحدة عن التصعيد . وجعلنا المدمرات الأمريكية تزور ميناء سعوديا وقاذفات القنابل تطير إلى هناك ، والآن يوجد فى السعودية فريق لقوة خاصة . وقد انذرنا ناصر مرة بعد مرة بان لا يدوس على اصابع اقدامنا . اما فيما يتعلق بلهفة البنتاجون على استعمال الأسطول السادس ضد ناصر ...... (عبارة محذوفة) . إن الجنرال تيلور (يقصد الجنرال ماكسويل تيلور رئيس هيئة اركان الحرب المشتركة) وهيئة اركان الحرب المشتركة نفسها ، وكذلك نيتز (يقصد بول نيتز مساعد وزير الدفاع) كانوا جميعا ...... (عبارة محذوفة) . ويستدل من مراجعة سريعة قمت بها انه ليس فى البنتاجون حتى هذه اللحظة صقور حرب يمكن تحديدهم بالاسم .

صحيح ان ناصر ربما حاول برغم ذلك الضغط على السعوديين ضغطا اشد .... (عبارة محذوفة) . وقد قدرنا باستمرار ، وتقديرنا صحيح حتى الآن ، ان ناصر سيقوم بالتصعيد عوضا عن الخروج من اليمن . وها هو قد استانف القصف فعلا ، واكتشفنا ان مظلات الجمهورية العربية المتحدة اسقطت مؤنا على من يفترض انهم مشايعون لهم فى الحجاز ، ويعتقد بعض ...... (عبارة محذوفة) بان الجمهورية العربية المتحدة قد تحاول إحداث ثورة فى الحجاز ، او الإغارة على مستودع سعودى للمؤن .

(٦) مجموعة وثائق مجلس الأمن القومى الأمريكى ، وهناك صورة من صفحات هذه الوثيقة منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٤٤ صفحة ٩٢٨

ونحن ننذر ناصر مرة اخرى ...... (عبارة محذوفة).

ولأن كان كل جهدنا الحالي مؤلما وغير مؤكد ، وهو كذلك فعلا ، فلست ارى بديلا عمليا في الوقت الحالي .... (عبارة محذوفة) .

إمضاء

ر . و . كومر »

□

وكان هذا الذي أشار إليه « كومر » في مذكرته لـ « كنيدي » عن « إسقاط مؤن على من يفترض أنهم مشايعون لهم في الحجاز » ـ صحيحا إلى حد كبير . ولكنه كان جهدا فرعيا قامت به المخابرات العسكرية المصرية استجابة لخطة طرحها الأمير « طلال » .

كان الأمير « طلال » متحمسا « للعمل الثوري » في السعودية . وفي اجتماع شارك فيه مع اللواء « عبد القادر حسن » مساعد قائد القوات المصرية في اليمن ، واللواء « عماد ثابت » مدير المخابرات العسكرية وقتها ، عرض الأمير « طلال » خطة للعمل العسكري داخل السعودية . فقد أبدى أنه على اتصال ببعض القبائل في شمال السعودية ، وبالذات في منطقة « تبوك » وما حولها . واقترح إنشاء معسكر تدريب في سيناء لعدد من أبناء هذه القبائل بهدف إنشاء قوة خاصة منهم يجرى إسقاطها بالمظلات بعد فترة تدريب تستمر ثلاثة أشهر . واقترح أيضا أن يضم إلى هذه القوة الطيارون السعوديون الذين لجأوا إلى الجمهورية العربية المتحدة بطائراتهم ، وبالتالي فإن قوة العمل الخاص تصبح ممثلة للقبائل وللجيش في السعودية .

وبدأ التحضير فعلا في إطار المخابرات للقيام بهذا النوع من العمليات ، ولو لمجرد الإزعاج ، وتشتيت التركيز الرسمي السعودي عن الجنوب إزاء اليمن ، ولفته إلى الشمال في منطقة « تبوك » . وفي إطار هذه العملية تمت بالفعل عملية إسقاط مؤن في مناطق القبائل المعنية ، وكان الترتيب أن تصل إلى هؤلاء الذين قصدهم الأمير « طلال » في خطته .

وعرف « جمال عبد الناصر » من قراءاته للبرقيات السعودية الملتقطة ، والتي كسرت شفرتها وأمكن حلها بما حدث . وسأل عن أصل الموضوع ، وتلقى ردا من القيادة العامة للقوات المسلحة بأن هذه العملية جرى إعدادها كعملية فرعية ضمن التوجيه العام بالتعاون مع الأمير « طلال » **وأشر عليها بخطه بجملة واحدة** :

« **لا داعي** » .

وكتبت له إدارة المخابرات العسكرية مذكرة قالت فيها إنها كانت « تفكر في وقف العملية بسبب صعوبة التوفيق بين آراء الأمير طلال ، وبين الطيارين السعوديين اللاجئين للقاهرة ، فقد تعذر التوفيق بينهم لأن الطيارين مع تقديرهم لموقف الأمير طلال لم يكونوا على استعداد للتعامل مع الأمراء من أساسه » .

وهكذا على بعد المسافة بين القاهرة وواشنطن كان كل من « عبد الناصر » و « كنيدي » يجرب نفس الأسلوب : يستعمل إمكانياته إلى مداها ، ويفرق بين التكتيك والاستراتيجية ، ويحاول قدر ما يستطيع أن يحتفظ بحريته في الحركة داخل إطار معين لا يتجاوزه بحيث « لا يدوس على أطراف أصابع الطرف الآخر » ـ على حد التعبير الذي استعمله « كومر » في مذكرته لـ « كنيدي » !!

٣

على ساحة الحرب في اليمن ظهر عنصر جديد ، لا يهمه أن يدوس على أطراف غيره ، ولم يكن ظهوره مرة واحدة ، وإنما تدرجت عملية ظهوره خطوة بعد خطوة حتى تحول إلى أمر واقع شديد الخطورة وباهظ التكاليف .

كان هذا العنصر هو **جيش المرتزقة** الأجانب الذين جرى استئجارهم من كل عواصم أوروبا ، لكي يقاتلوا ضد القوات المصرية في اليمن . وكان التفكير الذي قاد إلى هذه الظاهرة تفكيرا منطقيا من وجهة نظر أصحابه ، وقد تم التوصل إلى مقدماته مبكرا ، ومنذ الوقت الذي بدأ فيه لجوء الطائرات والطيارين السعوديين والأردنيين إلى القاهرة . وكانت الخطوات التي تداعى إليها هذا التفكير المنطقي من وجهة نظر أصحابه تجرى على النحو التالي :

١ ـ إن هناك ضرورة لشن القتال ضد الثورة اليمنية ، وقوات الجمهورية العربية المتحدة التي تساندها .

٢ ـ إن القوات الأصلية للأطراف الراغبين في شن هذه الحرب ضد الثورة

اليمنية ليست مأمونة ولا يمكن الاعتماد عليها ، كما أثبتت التجارب العملية .

٣ - إن هناك وفرة فى أهم الوسائل الضرورية للقتال وهى المال ، والمثل الفرنسى الشهير القائل بأن « المال هو الذى يصنع الحرب » - ماثل فى الأذهان ، وهو صادق بتجارب كثيرة فى التاريخ .

٤ - وإذن فإن الحل العملى لهذه المعادلة الصعبة يكمن فى استخدام المال لتأجير مقاتلين يقومون بشن الحرب نيابة عن الراغبين فيها ، وغير القادرين عليها بأنفسهم ، ولديهم ما يكفى من المال لتأجير هؤلاء المقاتلين .

٥ - إن تجربة المرتزقة فى الكونجو أثبتت أن استخدام المرتزقة على نطاق كبير ممكن ، كما أن هناك فائضا كبيرا فى السوق من هؤلاء المرتزقة بعد هدوء الأحوال فى الكونجو .

□

كانت بعض العواصم الأوروبية قد تحولت إلى أسواق للجنود والمرتزقة المستعدين للقتال بأجر للراغبين فى خدماتهم . وهى حرفة ظهرت منذ أقدم أيام التاريخ ، وحين كان الملاك يطمئنون إلى رعايا لهم فى الحقول يحملون الفؤوس ، ولا يطمئنون إليهم يحملون السلاح فى ميادين الحرب .

كانت لندن أهم هذه الأسواق ، وكانت لبريطانيا تجربة سابقة فى هذا المجال بدأها فى الواقع البريجادير « وينجيت » الذى اشتهر بغاراته الجريئة وراء خطوط القتال فى الحرب العالمية الثانية . ولم يكن « وينجيت » مرتزقا مأجورا ، ولكنه كان صاحب مدرسة فى حرب العصابات تقوم على فكرة إنشاء مجموعات مستقلة من المقاتلين المحترفين يستطيعون التسلل وراء خطوط القتال ، والعمل بطريقة مستقلة تماما لإرباك العدو من مؤخرته . وقد قام « وينجيت » وقواته المستقلة بعمليات بالغة الجرأة وراء الخطوط فى الصحراء الغربية ، وفى وقت من الأوقات سنة ١٩٤٢ بلغت جرأة خطتهم إلى حد مهاجمة بعض مراكز القيادة الألمانية فى ليبيا ، كما أنهم فى إحدى المرات وضعوا خطة عملية خاصة لاغتيال الماريشال « رومل » القائد الألمانى الشهير .

وفى داخل القوة المستقلة للبريجادير « وينجيت »[٧] ظهرت أسماء شهيرة مثل

(٧) خدم البريجادير « وينجيت » قبل الحرب العالمية فى فلسطين ، وكانت آراؤه فى قوات العمل الخاصة قد أثرت على عدد كبير من قادة الحركة الصهيونية ، وكان « وينجيت » نفسه متعاطفا مع هذه الحركة ، وقد قام بمساعدة الوكالة اليهودية على تدريب بعض وحداتها العسكرية ، وهناك فى إسرائيل من يعتبرون أن « وينجيت » هو العقل المنظم للقوات الإسرائيلية الخاصة منذ نشأة جماعة « شتيرن » الذى كان هو نفسه فى وقت من الأوقات جاويشا مع « وينجيت » .

الكولونيل « سترلينج » الذى قاد وحدة من وحدات قوات العمل الخاصة تولت مهام عديدة فى مسارح العمليات من الشرق الأوسط إلى جنوب شرق آسيا ، وكذلك برز اسم البريجادير « فيتزروى ماكلين » الذى قاد وحدة عمليات خاصة حققت شهرة كبيرة فى البلقان ، وبعد أن انتهت الحرب دخل « ماكلين » إلى حلبة الحياة السياسية ورشح نفسه لعضوية مجلس العموم ، وانتخب فعلا - ومع ذلك فإن حياة المغامرات ظلت تستهويه وتناديه .

وكان « فيتزروى ماكلين » صديقا مقربا من « جوليان ايمرى »[٨] رئيس مجموعة نواب السويس ، والذى كان فى نفس الوقت زوجا لابنة « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء البريطانى ، وكانت مجموعة نواب السويس (كما سبقت الإشارة من قبل) أبرز قوى الضغط التى تحركت للعمل فى أعقاب ثورة اليمن ، وكان شعارها « إن عدن لن تلحق بالسويس » ، ولم تكتف المجموعة بإطلاق الشعارات ، وإنما اتجهت إلى العمل المباشر ضمن تحالف القوى التى تصدت لحرب ثورة اليمن .

وقد استطاع « جوليان ايمرى » وبعض أصدقائه أن ينشئوا مكتبا للاتصال والدفاع عن الإمامة فى اليمن . وفى أيام قليلة كان هذا المكتب قد تلقى اعتمادات ضخمة حولت إليه من الرياض ومن نيويورك ومن غيرهما من المراكز ، وبدأ يتصل ببعض الضباط المحترفين ، وبينهم الميجور « جون كوبر » الذى راح يتردد على بعض وكالات تأجير المرتزقة فى شارع سلون فى لندن ، ولم تمض بضعة أسابيع بعد ثورة اليمن والتجاء الطائرات إلى القاهرة بطياريها - حتى كان « جون كوبر » قد وصل إلى نجران ، وتسلل داخلا إلى منطقة الجوف ومعه قوة خاصة من مساعديه ، وهناك أنشأوا قاعدة للاستقبال والإعداد يتوجه إليها القادمون بعدهم ، وكان هناك منهم كثيرون تعطلوا بعد أن انتهت خدماتهم فى الكونجو !

■

فى نفس الوقت كان هناك نشاط مشابه فى باريس ، وقد كانت باريس ذات خبرة واسعة فى نشاط الجنود المرتزقة منذ تجربتها مع الفرقة الأجنبية

(٨) كانت أسرة « ايمرى » من أصل يهودى ، وكانت مثل عدد من الأسر المنحدرة من أصول يهودية من غلاة المتحمسين للوطنية البريطانية بصورتها الاستعمارية ، وقد كانت لدى « جوليان ايمرى » عقدة خاصة ، فشقيقه « جون ايمرى » تعاون مع الألمان فى أثناء الحرب عندما وقع فى أيديهم أسيرا ، وقد تولى تجنيد مجموعة منهم تعاونت مع النازى عندما تصور البعض أن انتصارهم مؤكد بعد سقوط فرنسا . وبعد الحرب قبض على « جون ايمرى » وحوكم ، وصدر الحكم بإعدامه ونفذ الحكم . وكان « جوليان ايمرى » إلى جانب ذلك صديقا لشاه إيران . وقد باعه مجموعة من الصور الفارسية كانت فى ملكية أسرته عندما أراد الشاه أن يسترد كل روائع الفن الفارسى إلى إيران . وكان الثمن قرابة نصف مليون جنيه استرلينى ، وهو مبلغ ضخم فى ذلك الوقت .

الفرنسية التى حققت لنفسها سمعة كريهة فى كل حروب فرنسا الاستعمارية . كانت هذه الفرقة قد حلت رسميا وأصبح جنودها بلا عمل مستعدين لمن يدفع الثمن . وقد دخلت سوق المرتزقة أيضا فى هذا الوقت بقايا الجيش السرى الفرنسى الذى فقد صوابه بعد ثورة الجزائر ، واعتبر أفراده أن القتال فى اليمن عودة إلى الثأر من ثورة الجزائر والذين انتصروا لها ، خصوصا وأن الأجر الشهرى الذى كان معروضا فى السوق للجندى المرتزق وصل إلى ما بين أربعمائة إلى خمسمائة جنيه استرلينى .

■

وحدث فى عدن شىء مشابه ، واختلف فى تفاصيله عما جرى فى لندن وباريس ، فهناك وجد بعض ضباط الاحتلال البريطانى فى الجنوب العربى أن الفرصة سانحة أمامهم للقيام بأدوار قريبة من دور « لورنس » فى حروب الصحراء مع قوات « الشريف حسين » فى أواخر الحرب العالمية الأولى وفى أعقابها ضد الأتراك . وهكذا تركوا وحداتهم وتسللوا إلى قرب الحدود اليمنية يتحينون الفرصة لدخولها ، والانضمام إلى قوات « الملكيين » !

□

ومع خريف سنة ١٩٦٣ كان واضحا لقيادة القوات المصرية فى اليمن أن هناك عنصرا جديدا يشارك فى المعارك ، ولم تكن الحقيقة مؤكدة فى بداية الأمر رغم أن الرئيس « قوامى نكروما » رئيس جمهورية غانا كتب خطابا شخصيا إلى « جمال عبد الناصر » حوى فقرة تقول بالحرف : « **يهمنى أن تعرف أن عددا من الجنود المرتزقة الذين كانوا يعملون فى جيش كاتنجا يجدون الآن عروضا مغرية لكى يعملوا ضدكم فى اليمن » ولكن الأمر كان يحتاج إلى دليل مادى . ولم تلبث إحدى دوريات الهليكوبتر المصرية العاملة فى منطقة بيحان أن عثرت على هذا الدليل ، فقد قبضت الدورية على شخص كان يسير بين الجبال ويحاول التخفى ، وعندما قبض عليه ، وتم تفتيشه ظهر أنه كان يخفى فى ملابسه مجموعة من الرسائل الموجهة إلى عدد من المرتزقة العاملين فى جبال الحدود باليمن وقد وصلت إليهم عن طريق عدن ، وكان على حاملها أن يوصلها إلى مخبأ « عبد الله بن الحسن » فى منطقة خولان .**

وكانت الرسائل واضحة فيما تشير إليه ، فقد جاء فى الرسالة الأولى منها :

« لندن فى ٢٥ اكتوبر ١٩٦٣

عزيزى جون (الميجور جون كوبر)

اشكرك على خطابيك بتاريخ اول اكتوبر و ٣٠ سبتمبر إلى « بيتر » و « جيم » على التوالى .

يبدو انك قائم بالعمل على خير وجه . وسوف ارسل لك عامل لاسلكى وجهاز او جهازين للراديو لكى يكونوا فى خدمتك . وقد اتضح ان اجهزة الراديو الالمانية غير ناجحة إلى درجة اننا فى تقديرنا اسقطناها من حسابنا . وقررنا إنشاء شبكة خاصة بنا . وسيدخل الفرنسيون فيها حينما نحتاج إليهم . ويفضل ان تكون كاجهزة الاتصال بين الوحدات او الجيوش .

واخر الأخبار . . . . . . »

ثم يمضى الخطاب عدة صفحات بعد ذلك ، وتلحق به خطابات أخرى كلها مليئة بالتفاصيل عن الأجور والمرتبات وغيرها . وقام « الأهرام » بنشر هذه الخطابات كلها كوثائق تثبت أن هناك قوات لمرتزقة أجانب فى اليمن ، وأثار النشر ضجة كبيرة فى العالم ، وخصوصا فى بريطانيا ، وكان من أثر هذه الضجة أن الحقائق تأكدت بما لا يدع مجالا للشك ، وبمناقشات رسمية فى مجلس العموم(٩) . فقد نقلت وكالة « رويتر » فى برقية لها من لندن أن رئيس وزراء بريطانيا قال فى مجلس العموم إنه علم « أمس » فقط أن أحد مساعدى المندوب السامى البريطانى فى عدن كان يهرب الأسلحة إلى داخل اليمن ، وقال : « **إن الحاكم العام السابق لعدن السير كنيدى تريفاسكيس لم يكن على دراية بالنشاط الذى يقوم به ياوره الجوى » . ونشرت** جريدة **الأوبزرفر**(١٠) **البريطانية تحقيقا عن الياور الطيار للمندوب السامى** لعدن ، **فقالت إن اسمه هو « أنتونى ألكسندر بويل » وهو ابن ماريشال الجو** البريطانى **السير « ديرموت بويل » وكان يعمل فى سلاح الطيران الملكى** البريطانى **حتى آخر يناير عام ١٩٦٣ وكان يعمل منتدبا كياور للمندوب السامى** فى عدن . **ثم نشرت الأوبزرفر تحقيقا عما وصفته بأنه الفرقة الأجنبية التابعة** لإمام **اليمن المخلوع ، والتى يتولى قيادتها العامة ضابط بريطانى هو الميجور « جون كوبر » ، وقالت الأوبزرفر ما نصه :**

« إن الميجور جون كوبر ، يعد من أعجب الشخصيات العسكرية ، وقد ظل يعيش قريبا من صوت طلقات المدافع منذ الحرب العالمية الثانية إلى الوقت الذى كتبت فيه تلك الرسائل .

انضم كوبر إلى الجيش البريطانى كضابط ، ثم اشترك فى إنشاء « الفرقة الجوية الخاصة » ، التى فكر فى إنشائها الكولونيل دافيد سترلينج لكى تحارب وراء خطوط العدو فى الصحراء الغربية ، اثناء الحرب العالمية الثانية .

وقد الفت عنه فرجينيا كاولز كتابا فى سنة ١٩٥٨ باسم « الميجور الشبح » ، تحدثت

(٩) جلسة مجلس العموم بتاريخ الاثنين ٣ مايو ١٩٦٤ ، وكان ذلك هو الوقت الذى اذيعت فيه الوثائق رغم ان الوقائع المتعلقة بها كانت قد سبقت قبل ذلك باكثر من عام .

(١٠) جريدة الاوبزرفر بتاريخ ٩ مايو ١٩٦٤

فيه عن مغامراته العسكرية ، وكيف ان كوبر كان ينظر إلى اية عملية جريئة او طائشة من عمليات « الفرقة الجوية الخاصة » كمجرد « نزهة ممتعة » .

وبالنسبة لكوبر لم تنته هذه النزهات بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، إذ مضى يقاتل ويحارب كضابط في « الفرقة الجوية الخاصة » واشترك في محاربة رجال حرب العصابات الشيوعيين في الملايو في المدة من سنة ١٩٥١ إلى سنة ١٩٥٩ .

ولما انهزم رجال حرب العصابات بالملايو ، نقلت « الفرقة الجوية الخاصة » نشاطها إلى الشرق الأوسط .

ويبدو ان كوبر ينتمي إلى ذلك الطراز من الانجليز الأشداء المتمسكين بمثل عليا معينة ويعملون على تحقيقها بطريقة رومانتيكية ، مثل لورنس وجلوب وغيرهما من الذين شدتهم خيالات الصحارى العربية ، وهو التعليل التقليدي الذي يذكر في مثل هذه الحالات .

وقد توجه كوبر إلى اليمن بعد قيام الثورة هناك بعدة اشهر (الثورة قامت في سبتمبر سنة ١٩٦٢) ، ومن المؤكد انه يتكلم العربية بطلاقة ، وانه من الد خصوم الرئيس ناصر .

وفي اليمن وجد كوبر حربا وصفت ذات مرة بالعبارة التالية « القرن العاشر يحارب القرن العشرين » فقد كان خمسون الفا من رجال القبائل غير المدربين ، والتابعين للإمام المخلوع ، يتدفقون لمحاربة الجنود المصريين المدربين تدريبا جيدا ، والمسلحين بدبابات روسية من طراز « ت - ٣٤ » .

وكان من راى كثير من الانجليز الذين زاروا العناصر الملكية اليمنية ، ومن بينهم النائب المحافظ الكولونيل ماكلين ، ان سياسة بريطانيا القائمة على اساس عدم الاكتراث بما يجرى في اليمن ، يستغلها المصريون بما يفيدهم في اليمن وفي الشرق الاوسط بوجه عام .

ولهذا قرر كوبر ان ينظم بنفسه برنامجا خاصا به ليقدم به مساعدات عسكرية إلى العناصر الملكية .

ويحيط الغموض بتفاصيل المنظمة التى انشاها كوبر لهذا الغرض ، ولكن يبدو من الواضح ان الأموال اللازمة لدفع مرتبات الجنود المرتزقة الذين استعان بهم كوبر ، كانت تاتى من المملكة السعودية ، على اساس ٤٠٠ جنيه استرليني شهريا لكل جندى .

ويبدو ان دافيد سترلينج ، القائد السابق لكوبر ، ورئيس جمعية جنود وضباط « الفرقة الجوية الخاصة » قدم نصائح لكوبر على الأقل فيما يتعلق بالجنود والأعوان الذين سيستعين بهم على تنفيذ برنامجه . وجدير بالذكر ان كوبر كان يتولى قيادة طائرة سترلينج في الصحراء الغربية في اثناء الحرب العالمية الثانية . »

□

وبعد هذه الضجة في بريطانيا كان لابد أن يهدأ هذا النوع من النشاط في لندن ، وقد هدأ في لندن وازداد بروزه في باريس ، وانضم إلى « الفرق الأجنبية في اليمن » عدد من « نجوم » المرتزقة بينهم المرتزق المشهور باسم « ميشيل المجنون » و « شرام » و « دينار » و « فولكس » . ويروى المؤلف البريطاني « أنتوني موكلر » في كتابه الذي صدر في لندن بعنوان « المرتزقة » وفي الفصل الحادي عشر من هذا الكتاب ، والذي كان عنوانه « من اليمن إلى بيافرا »[11] :

« إن الضابط « هور » وهو أحد المرتزقة البريطانيين فكر في التعاون مع حكومة جنوب أفريقيا لكي يستولى على إحدى محميات الخليج ، ويعلنها إمارة مستقلة له ولأنصاره بعد أن أعلنت بريطانيا سياسة الانسحاب من شرق السويس . » !!

ولعل أخطر ما أسفر عنه هذا النوع من النشاط هو ظهور « نخبة قوة جديدة » في المشرق العربي ، فقد كان السيد « كمال أدهم » (شقيق زوجة الأمير « فيصل ») ومستشاره لشئون الأمن ، والمشرف بذلك على المخابرات وعلى المباحث في السعودية هو المسؤول عن أعمال وميزانية النشاط السري في اليمن ، وكانت اعتمادات تجنيد المرتزقة تحول بواسطته إلى لندن وباريس وغيرهما من العواصم . وعندما ظهرت الحاجة إلى السلاح استعان « كمال أدهم » بصديق وزميل له في كلية فيكتوريا في الاسكندرية ، وهو السيد « عدنان خاشقجي » الذي عرف تجارة السلاح من يومها .

وحول الاثنان ظهرت دوائر من الشبكات والأعوان ، واتسع المجال لأطراف جديدة مهتمة ، وكان لبعضها ارتباطات داخل مصر ذاتها !

وعندما أدلى السيد « عدنان خاشقجي » بشهاداته في وقائع فضيحة « إيران جيت » سنة ١٩٨٧ وهي الفضيحة التي جرى فيها بيع سلاح إسرائيلي لايران ، وحولت فوائضه إلى جماعات « الكونترا » في نيكاراجوا - لفت الانظار قوله إنه التقى بـ « شيمون بيريز » (مساعد وزير الدفاع الاسرائيلي وقتها ورئيس وزراء إسرائيل ووزير خارجيتها فيما بعد) وتعرف إليه لأول مرة في باريس سنة ١٩٦٣ !!

وقد تأكد فيما بعد أن إسرائيل شاركت فعليا في عمليات اليمن ، وتولت إسقاط أسلحة وذخائر لجيوب الملكيين المحاصرة في جبال اليمن ، وكانت تمارس هذا النشاط من قاعدة « جيبوتي » الواقعة تحت

---

(١١) صفحة ٢٥٥ .

الاحتلال الفرنسى فى ذلك الوقت وهى موقع حاكم فى مواجهة اليمن على الشاطىء الآخر للبحر الاحمر ، وكان الاسم الرمزى لدور إسرائيل فى عملية إسقاط الاسلحة والذخائر والمؤن على مواقع المرتزقة فى اليمن هو : « مانجو » !

وإلى جانب ذلك قامت إسرائيل بنشاط على جبهة أخرى ، فقد استطاعت إسقاط أعداد من اليمنيين اليهود الذين هاجروا إليها لكى يقوموا ببعض « العمليات الخاصة » فى المجهود الحربى ، ثم يكون عليهم بعد ذلك أن يتسللوا لكى يذوبوا وسط الجماهير اليمنية فى المدن أو القرى .

وتتراوح تقديرات أعداد اليمنيين الاسرائيليين الذين جرى إسقاطهم بالمظلات ما بين ثلاثمائة وأربعمائة فرد .

كانت لندن وباريس وواشنطن جميعا تتابع ما يجرى ، ولعلها وجدته أكثر ملاءمة لها من ظروف تضطرها إلى التدخل المباشر . فهذا الذى يجرى فى اليمن - كالذى حدث قبله فى الكونجو - يحقق لها مزايا بدون تكاليف ، ويوفر لها مطالب بغير مسؤوليات مباشرة !

□

كان زمام المبادأة ينتقل تدريجيا من أيدى حكومات كبرى لكى يستقر فى أيدى مزيج غريب من القوى : أجهزة مخابرات - شركات بترول وسلاح وبنوك - تجار وسماسرة سلاح - مرتزقة - جماعات ضغط سياسى أوروبية وأمريكية - قبائل عربية وعشائر[١٢] . . . الخ . . .

ولعل أكثر من راقب الصورة عن كثب ، واستطاع الاحاطة بتفاصيلها هو اللواء « فؤاد شهاب » رئيس جمهورية لبنان الذى وجد عاصمة بلاده « بيروت » وقد تحولت إلى مركز اتصالات وعمل مباشر وقريب من مسارح الأحداث .

وكانت مدة رئاسته للبنان قرب نهايتها ، واختار أن يبعث بأحد كبار ضباطه الموثوقين من المكتب الثانى اللبنانى (المخابرات)[١٣] إلى القاهرة مباشرة . وبعد يومين من وصوله كان فى مكتب « جمال عبد الناصر » ينقل إليه - بأوامر من رئيس الجمهورية اللبنانية - صورة لما يجرى فى بيروت .

(١٢) تكرر ظهور هذا المزيج من القوى فى مواقع اخرى من العالم فيما بعد ، واقرب نموذج له ما ظهر فى تحقيقات « إيران - كونترا » فى عهد الرئيس الأمريكى « ريجان » سنة ١٩٨٧ .

(١٣) هذا الضابط ما زال على قيد الحياة ، وهو اليوم لاجىء فى عاصمة أوروبية وليس من صالح امنه تحديد اسمه .

كانت القاهرة تعرف كثيرا عما يجرى فى العاصمة اللبنانية ، ومع ذلك فإن بعض التفاصيل كانت مذهلة ![١٤]

□

وكان المشهد فى المنطقة بأسرها داعيا للانقباض . . .

كانه صفحة مستعارة من مشهد إحدى قصص « كافكا » المليئة بالعبثية والكآبة على أرضية لزجة وموحلة . . وأمام خلفية داكنة ومعتمة !

(١٤) تتعرض هذه المعلومات - إلى جانب ذلك - للنشاط الخارجى الذى اتخذ لبنان قاعدة له وتكشف تورط جهات لبنانية : صحف وساسة وشخصيات عامة . واكثر من ذلك ، فإنها تظهر ان عناصر فى الأمن اللبنانى نفسه دخلت رسميا إلى دائرة النشاط المكثف فى بيروت ، وقد اوضح ممثل اللواء « شهاب » ان « رئيسه لا يريد ان يفتح على نفسه ابوابا لا يستطيع إغلاقها خصوصا وأن مدة رئاسته فى نهايتها ، وانه يوشك ان يترك مكانه فى قصر « بعبدا » للرئيس المنتخب بعده ، وهو الأستاذ « شارل حلو » »

(تم تسجيل اللقاء بين « جمال عبد الناصر » وبين الضابط اللبنانى الذى حمل رسالة الرئيس « شهاب » ، والتسجيل فى ارشيف المخابرات العامة المصرية ، وقد جرى تفريغه وطبعت منه عدة نسخ !) .

الباب السادس

على سفوح البركان

« وقائع التاريخ الكبرى عائمات جليد طرفها ظاهر فوق الماء ، وكتلتها الرئيسية تحت سطحه ، ومن يريد استكشافها عليه أن يغوص ! »

الفصل الأول

شلال يتدفق على الصخور

١

فى ربيع سنة ١٩٦٣ ، اتخذ مسار الحوادث فى الشرق الأوسط منعطفا حادا لم يكن متوقعا من ظاهر الأحوال على الأقل ، وبهذا المنعطف الحاد لاح وكأن الحوادث اصبحت أشبه ما تكون بشلال ماء يتدفق فوق صخور ، قوى وخطر ، فيه ما يثير الانبهار ، وما يستوجب الحذر فى نفس الوقت .

بدأ الانعطاف الظاهر فى مجرى الحوادث صباح يوم الجمعة ٨ فبراير ١٩٦٣ ، لقد كانت جماعات من القوى القومية قد حددت الساعة التاسعة والنصف صباحا لكى تكون ساعة الصفر فى بدء تحركها ضد حكم « عبد الكريم قاسم » فى العراق . كان هذا الحكم قد قاد العراق وشعبه إلى مذابح دامية ، وإلى ليل طويل من ظلام الاستبداد وجنون العظمة ، وكانت حبال الصبر قد تقطعت ، ولم يعد فى وسع أحد أن يحول دون الثورة ـ وقد كان .

وفى ساعة الصفر المقررة للانقضاض على « عبد الكريم قاسم » بدأ سلاح الطيران الذى كان يقوده اللواء « عارف عبد الرزاق » يضرب وزارة الدفاع مقر قيادة « قاسم » ومسكنه بالصواريخ ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه عناصر من القوى السياسية المختلفة ، وفى مقدمتها البعثيون والقوميون يتحركون للاستيلاء على المواقع الحساسة فى العاصمة العراقية ، كما كان واضحا أن وحدات عديدة من الجيش العراقى تؤيدهم ، وتستعد للعمل جنبا إلى جنب معهم .



عبد الكريم قاسم مضرجا فى دمائه ، فى مقر قيادته فى وزارة الدفاع .

كان « عبد الكريم قاسم » معتادا على أن يسهر الليل كله ، وينام النهار متحسبا من حدوث انقلاب فى الليل أو عند الفجر ، وحين بدأت التحركات ضد نظامه فى الساعة التاسعة والنصف صباحا لم يكن قد نام بعد ، وإنما كان جالسا مع بعض أعوانه يراجع قائمة بأسماء ٥٨ ضابطا قرر إحالتهم إلى الاستيداع بعد أن وصلته معلومات عن نشاطهم ضده فى الوحدات العسكرية . وحين انقضت أول طائرة مقاتلة قادمة من قاعدة « الحبانية » وضربت مقر وزارة الدفاع ، وأصابت المبنى الذى كان يقيم فيه داخلها بصاروخين من صواريخها تصور « قاسم » أنه يواجه مجرد محاولة اغتيال فردى قام بها أحد الطيارين ، وأنه نجا منها ، وأن الطيار سوف يهرب بطائرته بعدها خارج الحدود .

وحاول « قاسم » أن يتصل تليفونيا بقاعدة « الحبانية » . وكان مدير مكتبه العقيد « وصفى طاهر » هو الذى يحاول إجراء هذه الاتصالات بينما كان « عبد الكريم قاسم » فى حالة عصبية شديدة .

ولم تمض دقائق حتى لحقت بالطائرة الأولى طائرة ثانية ، وطائرة ثالثة ، وبدا المبنى الذى يقيم فيه « قاسم » يتعرض لضرب مركز ، ومع ذلك فإن « قاسم » ظل على اعتقاده أنه يواجه محاولة لاغتياله شارك فيها عدد من طيارى السلاح الجوى العراقى . وكان كل هم « قاسم » وقتها أن يتمكن من الاتصال بقائد القوات الجوية اللواء « جلال الأوقاتى » وهو ضابط شيوعى كان « قاسم » قد عينه مديرا لسلاح الطيران .

وكان الحزب الشيوعى العراقى الذى عرف بما يجرى فوق وزارة الدفاع وحولها قد دفع بعض أنصاره تحت شعار « الدفاع عن النظام » لكى يتوجهوا إلى مقر « قاسم » تأييدا له وتظاهرا لنصرته .

وفى هذه اللحظة بدأ هجوم المدرعات على وزارة الدفاع ، وكان يقوده العقيد الركن المظلى « عبد الكريم مصطفى نصرت » ، وحاول عدد من ضباط « قاسم » وحرسه أن يوقفوا زحف القوات ، فدخلوا فى اشتباك بالمدافع الرشاشة مع طلائعها ، ولكن المعركة كانت محسومة تماما .

وتدفقت على شوارع بغداد جماهير واسعة اشتعلت حماستها وراحت تزحف نحو وزارة الدفاع ، وهناك وقفت تراقب عملية ضرب وزارة الدفاع ، ثم وجدت نفسها مشتبكة فى قتال شوارع مع مظاهرات الشيوعيين التى جاءت تاييدا لـ « قاسم » . وحينما تقدمت القوات المدرعة القادمة من « الحبانية » كان ظاهرا أن الموقف كله يرتهن بالمعركة الدائرة بين حرس « قاسم » وبين القوات المهاجمة . ثم ما لبثت الأنباء أن تسربت بأن « عبد الكريم قاسم » قد قتل رميا بالرصاص داخل ستوديو خاص أقيم فى وزارة الدفاع لكى يسجل منه بياناته للاذاعة وللتليفزيون . وحين داهمته القوات المهاجمة واقتحمت عليه معقله - لقد كان فى داخل هذا الاستوديو يحاول أن يسجل للتليفزيون بيانا يدعو فيه إلى مقاومة الثورة عليه . ولم تمض ثوان حتى كان « عبد الكريم قاسم » قد سقط قتيلا . ومعه عدد من معاونيه بينهم ابن خالته العقيد « فاضل عباس المهداوى » ومدير مكتبه الخاص العقيد « وصفى طاهر » .

وفى الساعة العاشرة إلا ثلثا كانت إذاعة بغداد تذيع البيان الأول للثورة ، وجاء فيه :

« أيها الشعب العراقى الكريم

لقد تم بعون الله القضاء على حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته التى

سخرت موارد البلاد ، وصادرت الحريات ، وداست الكرامات ، وخانت الأمانات ، وعطلت القوانين ، واضطهدت المواطنين ، الخ . . . »

ثم توالت بيانات المجلس الوطنى لقيادة الثورة ، وتجلت توجهاتها الوطنية والقومية ، فقد تضمنت فصل كل أعوان « قاسم » وإعادة الاعتبار إلى كل الذين وقفوا ضده ، كما أن توجهاتها السياسية راحت تتضح مع كل بيان جديد .

وحينما أعلن عن تشكيل مجلس قيادة الثورة تأكدت هوية الثوار بطريقة قاطعة ، فقد كان الرئيس هو « عبد السلام عارف » كما كان الأعضاء عددا من قيادات حزب البعث إلى جانب عناصر من القوميين والناصريين .

وبشكل ما فإن القاهرة كانت على علم بالثورة ضد « قاسم » قبل حدوثها . ففى الخطاب الذى كتبه « جمال عبد الناصر » بخطه إلى « عبد الحكيم عامر » الذى كان موجودا وقتها فى اليمن بتاريخ ٩ فبراير ١٩٦٣ أى غداة يوم الثورة مباشرة كتب « جمال عبد الناصر » يقول :(١)

« معذرة عن تاخرى فى الرد على جوابك ، ففى الأيام الأخيرة انشغلت بموضوع العراق وثورته إلى اقصى حد .

لقد اتصل بنا القوميون العرب منذ عدة اسابيع . حوالى اربعة اسابيع ، وابلغونا ان الفئات القومية اتفقت ـ البعثيون ، القوميون العرب ، والناصريون ـ وشكلوا مجلس ثورة ووزارة ، وان الثورة يمكن ان تتم فى اى وقت . وسالونا عن موقفنا ، وكان ردى اننا نؤيد اى ثورة عربية ، ولا يهم الأشخاص ، ولكن تهم المبادىء .

وفى يوم الجمعة بدات الثورة فى بغداد الساعة التاسعة والنصف صباحا بتوقيت بغداد . وقد ساندناها منذ الدقائق الأولى مساندة واضحة ، وفى المساء اعلنت الحكومة ، وظهر من الإعلان ان بها النصف من البعثيين . وقد ظهر ان عبد السلام عارف لا يمثل القوى الحقيقية . إذ ان البعثيين لهم قيادة ويمثلون حزب سياسى ، اما الباقى فكل وحده ولا حزب يجمعهم . ومن هذا يظهر ان حزب البعث (جناح عفلق) يسيطر على الثورة لحد كبير . نائب رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية ، ووزير الخارجية ، ووزير الدفاع ، ووزير التربية من حزب البعث .

ولكن قيادة الجيش من القوميين ، ولكن ايضا الحرس القومى من البعثيين . وارى اتباع سياسة التروى ، فقد كان البعثيون فى العراق على سياسة طيبة معنا . ولكن ماذا سيكون تاثير « ميشيل » ؟ وفى رايى ايضا ان الفئات القومية الأخرى لن تقبل بسهولة انفراد البعث ، وان عارف لن يقبل بسهولة ان يكون صورة . ونحن حتى الآن لا نعرف مجلس الثورة الجديد إذ ان الأسماء التى بلغت لنا منذ اربعة

(١) صورة من صفحات هذا الخطاب كما كتبها « جمال عبد الناصر » منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٤٥ صفحة ٩٣٠

اسابيع ـ فى رايى ـ ليست هى النهائية . بل حصل تغيير فى اخر وقت نتيجة ضغط البعث من اجل الحصول على عدد اكبر فى المجلس وفى الوزارة ، ومن اجل الحصول على الوزارات الحساسة . ويتضح من الاتصال بالبعثيين فى القاهرة شعورهم بالقوة انهم الحركة العقائدية التى عملت وحدها ونجحت فى القيام بالثورة ، وهذا مبالغ فيه جدا إذ ان عارف عبد الرزاق الذى قاد سلاح الطيران ـ وانت تعرفه ـ قومى ، وكذلك عدد كبير من الضباط الذين اشتركوا فى الثورة . ولكن كان من الضرورى لنجاح الثورة ان تتحد كل العناصر القومية فى جبهة واحدة .

استمع الآن إلى راديو بغداد الذى ينقل مشاعر الشعب . والشعب يهتف « بدنا وحدة عربية » واليوم منعوا فى بغداد طبع صور جمال عبد الناصر(٢) وعبد السلام عارف ، وكنا قد نبهنا على سفارتنا بعدم توزيع اى صور لجمال عبد الناصر بعد ان بدا بعض الناس فى طلبها .

واليوم اعلن عفلق ان الحورانى انتهازى منحرف لا مكان له فى حزب البعث . ومن الملاحظ ان مجلس الثورة لا يرغب فى إظهار عبد السلام عارف أو اى شخص أخر فى الوقت الحاضر ، وهذا ضد طبيعة الأمور . ولابد من حصول معارك صامتة داخل مجلس الثورة . ومن غير الطبيعى ان تكون الثورة بدون قائد رغم وجود مجلس الثورة .

معلوماتى ان السوفيت اصيبوا بذهول لما حصل فى العراق لقاسم ، ولما حدث للشيوعيين الموالين له . ولاحظت ان صحافة الشيوعيين فى بيروت تقول إن الثورة امريكية ناصرية ، وهذا شىء غريب . »

وكانت ملاحظة « جمال عبد الناصر » معبرة ، فإن الشيوعيين فى العراق كانوا الآن يواجهون رد فعل عنيفا متوازيا مع فعلهم السابق حين تصوروا أن العراق قد اصبح تحت سيطرتهم الكاملة .

□

وبدأ أول اتصال رسمى مع النظام الثورى الجديد فى العراق فى مساء نفس يوم ٨ فبراير ، فقد بعث الرئيس « عبد السلام عارف » رسالة إلى « جمال عبد الناصر » نصها : « **إننى أخوك الوفى الباقى على العهد** » .

ثم اتسعت دائرة الاتصالات واتسعت موضوعاتها واهتماماتها ، ثم فوجئت القاهرة برسالة من مجلس الثورة العراقى الجديد تقول إن المجلس يريد أن يشارك

(٢) يلاحظ ان « جمال عبد الناصر » حينما كان يتحدث او يكتب عن نفسه فى معرض رواية سياسية كان يستعمل الضمير الثالث . وكانه يتحدث او يكتب عن شخص أخر تماما . وكذلك كان يفعل عندما يحكى بعض النكات التى يسمعها ويكون هو موضوعها

بعدد من اعضائه فى احتفالات عيد الوحدة التى تقام عادة فى القاهرة فى ذكرى قيام الجمهورية العربية المتحدة (٢٢ فبراير) بين مصر وسوريا .

وفى يوم ٢٣ فبراير عاد « جمال عبد الناصر » يكتب إلى « عبد الحكيم عامر » الذى كان لا يزال فى اليمن خطابا بخط يده يروى له فيه انطباعاته وأراءه بعد أن التقى بوفد مجلس قيادة الثورة العراقى الذى جاء فعلا للمشاركة فى احتفالات ذكرى الوحدة . وقال « جمال عبد الناصر » فى خطابه بالنص :

« إن الموقف فى العالم العربى تغير بشكل كاسح بعد ثورة العراق . ومع ذلك فانا ما زلت اشعر بالقلق ، فقد ارسل لى عبد السلام عارف عدة جوابات قبل وصول وفد مجلس قيادة الثورة الذى حضر لاحتفالات الوحدة . وفى هذه الجوابات فهمت ان عبد السلام عارف متخوف من البعثيين ، ولكنه لم يذكر ذلك صراحة .

وقد وصل وفد العراق اول امس ، وهو مكون من :(٣)

السعدى امين عام حزب البعث ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية . وهو صريح مغرور . مندفع . كان فى السجن وقت قيام الثورة ، واظن انك لاحظت انه لم يذكر فى خطابه اسم عبد السلام عارف بل تجاهله كلية ، كما تجاهله فى المباحثات . ولكن انطباعى بالنسبة له انه وطنى مخلص .

والفريق على صالح عماشة وزير الدفاع ، وكان أيضا فى السجن يوم الثورة . وهو هادىء ذكى ، وقد ارتحت جدا إليه . وهو من جماعة الحاج سرى(٤) *ولكن انضم اخيرا إلى حزب البعث .*

وطالب شبيب وزير الخارجية ، وهو بعثى ذكى لبق متحدث ، وقد استرحت إليه .

عمر الأول ٣٠ سنة ، والثانى حوالى ٣٨ سنة ، والثالث حوالى ٢٨ سنة . وضم الوفد ضابطين من مجلس الثورة ، وقد تكلمت معهم بصراحة فى جلسة اول امس بعد الفطار(٥) *إلى الساعة الواحدة والنصف ، وامس بعد الصلاة إلى موعد الافطار .*

ويظهر من كلامهم انهم مقدرون المتاعب ويريدون علاقة وثيقة مع الجمهورية العربية المتحدة ، وقد قلت لهم إننا لا نريد منهم اى شىء سوى وحدة الهدف ، وإننا حتى لا نمانع إذا تحررت سوريا فى ان تتحد مع العراق بل سنؤيد ذلك . وقد قال عماشة إن سوريا يجب ان تتحد مع مصر اولا . وان اى اتحاد بين سوريا والعراق معناه منافسة بين بغداد والقاهرة او مظهر منافسة . وبعد ذلك يتحد

(٣) صورة من وصف « جمال عبد الناصر » بخط يده فى خطابه لـ « عبد الحكيم عامر » للقائه ومحادثاته مع الوفد العراقى منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٤٦ صفحة ٩٣٢

(٤) يقصد العقيد « رفعت الحاج سرى » احد القادة القوميين البارزين للتيار القومى فى الجيش العراقى ، وقد اعدمه « قاسم » رميا بالرصاص لانه عارض سياساته ، كما اعدم معه فى نفس اليوم زميلا له هو العقيد « ناظم الطبقجلى » .

(٥) كان ذلك فى شهر رمضان المعظم .

العراق . وقد تكلمت معهم بصراحة عن الأخطاء ـ اخطاء حزب البعث . وان اى ممارسة وتطبيق لاى هدف لابد ان تتعرض لأخطاء .

اما الاكراد ـ وزير وممثل للبرازانى ـ فقد طلبوا ان يقابلونى على انفراد منفصلين عن الآخرين . وقد وافق الوفد على ذلك . وقالوا لى فى المقابلة إنهم لا يثقوا فى اى وعود من الحكومة إلا إذا ضمنت شخصيا تطبيق هذه الوعود . وهم يطالبون بالحكم الذاتى وقد اوقفوا القتال بعد قيام الثورة . وكان لهم اتصال مع رجال الثورة وقتها واخذوا وعود والملاحظ ان الحكومة تتهرب .

عموما المشاكل التى تجابه ثورة العراق كبيرة جدا . قال عماشة إن المجلس الوطنى قرر انه لابد من موافقتنا على اى حل لمشكلة الأكراد وكذلك لمشكلة الكويت ، حيث ان هذه الأمور تتعلق بالوحدة التى هى الهدف النهائى للثورة . وقال لى عماشة إنه يوجد سبعة الوية تحارب فى المناطق الكردية ، وهم فى حاجة إلى ذخيرة وقنابل طائرات واسلحة . وطلبوا ان يحصلوا على الذخيرة من عندنا لأن الاتحاد السوفيتى موقفه عدائى جدا . ذخيرة الدبابات والمدفعية ، الخ . وطلب إحياء الاتفاقية العسكرية ، والحصول على طائرات من إنتاجنا ورشاشات بور سعيد وبنادق ، الخ .

وقال عماشة إنهم اعتقلوا ٨٠٠ ضابط شيوعى منهم ١٥٠ طيارا لدرجة ان الأسراب الآن بدون طيارين . وقد دمروا سرب « ميج ١٩ » موالى لقاسم ، واعتقلوا اربعة آلاف شيوعى ، وقتلوا عددا كبيرا منهم بدون محاكمة فى اول يوم .

عموما الموقف ايضا فى الجيش وبين الفئات القومية لا يدعو إلى الارتياح ، فمجلس الثورة اغلبه من البعثيين . وعارف عبد الرزاق ليس من ضمن المجلس . والثورة قام بما يقرب من ٩٠٪ منها القوميون فى الجيش ـ غير البعثيين ـ و ١٠٪ بعثيين . وقد اعتمد البعثيين على الحرس القومى ـ ١٠٠٪ بعثيين . وفى رايى ان الكل متربص بالآخر . البعث يريد السيطرة الكاملة ، والكل متخوف من البعث .

وقد تكلمت معهم امس فى ضرورة جمع كل الفئات القومية حتى لا يعزلوا . وان اى نكسة لن تكون لصالح القوميين ، بل لصالح الرجعيين او الشيوعيين . وكان الرد انهم يتجهون إلى المستقبل وينسون الماضى ، ويعملون على تجميع كل القوميين . ولكن رغم ذلك فإن عماشة قال امس لطلعت صدقى(٦) *ـ فى الأوبرج ـ إن امام عبد السلام عارف ثلاثة اشهر فقط ، ويفهم ان البعث يعتبر هذا التحالف مرحلة . كما ان السعدى قال لطلعت فى الأوبرج بعد ان شرب ١٤ كاس ويسكى ـ إننا لا نريد ان نقابل الرئيس مرة اخرى لأنه بلشف الجميع بكلامه وتحليله . ورغم ذلك فساتقابل معهم اول يوم العيد بعد عودتهم من الجزائر وقبل سفرهم (إلى بغداد) .*

(٦) ضابط سورى فى مكتب الشؤون العربية ، وكان مسؤولا فى ذلك الوقت عن تنظيم رحلات الوفود العربية فى الجمهورية العربية المتحدة .

وفى رأيى انهم شباب يحتاج إلى رعاية وتوجيه . وقد لاحظت انهم فى شدة التعب لدرجة ان السعدى نام فى اول جلسة . عموما اعتقد رغم اخطاء البعث ان واجبنا ان نحافظ على ثورة العراق ، وليس امامهم إلا اللقاء معنا .

اما صديق شنشل فيقول إن عبد السلام عارف يترك لهم الأمور فى هذه المرحلة التى سترتكب فيها اخطاء كثيرة ، وان هناك تجمع قومى من الجيش والفئات القومية الأخرى . »

□

ورغم كل مخاوف « جمال عبد الناصر » فإن سقوط نظام « عبد الكريم قاسم » كان منعطفا كبيرا فى مسار الحوادث على أرض المنطقة .

٢

يوم ٨ مارس ـ أى بعد شهر بالضبط من سقوط نظام « عبد الكريم قاسم » فى العراق ـ تحركت دمشق ، وأسقطت بقايا نظام الانفصال المتهالك الذى كان لا يزال يحاول الامساك بالسلطة فى سوريا .

فى الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم قطع راديو دمشق إذاعته العادية ، وأذاع البيان الأول لقيادة الثورة التى تولت الأمور فيها بعد أن استولت القوات المسلحة السورية على السلطة عند الفجر . وكان نص هذا البيان كما يلى :

« منذ فجر التاريخ العربى وسوريا تلعب دورا إيجابيا مناضلا فى حمل راية العروبة والوحدة . وكانت سوريا العربية وشعبها لا يعترفون بحدود قطرهم ، وإنما يعيشون دائما وأبدا ، فى حدود الوطن العربى الكبير . حتى أن النشيد السورى لم يحو كلمة واحدة عن سوريا ، وإنما كلماته كلها تمجيد للعروبة وتخليد لمفاخر العرب وبطولاتهم . ولما قامت الجامعة العربية اندفعت سوريا تدعمها وتدفع بها للأمام ، ثم أتت وحدة مصر وسوريا فى الجمهورية العربية المتحدة نموذجا لآمال شعبنا فى تحقيق وحدته الكبرى . واندفع الشعب

العربى فى سوريا كلها بقلبه وروحه وإيمانه معطيا إياها كل ما تريد من قوة وتدعيم .

ولكن الرجعية العميلة والاستعمار والانتهازية أبت إلا أن تكشف عن نفسها مستغلة الأخطاء فى تلك الحقبة ، فذهبت بالتآمر على تلك الجمهورية إلى أقصى ما تستطيع ، فكانت نكبة الانفصال .

أيها الشعب العربى فى سوريا . سنة ونصف مرت على الانفصال وأنت تعانى أصعب فترة مرت عليك ـ انتخابات الاستغلال أشرف عليها الاستعمار والرجعية ، وصحف مأجورة تنهش أمانيك ولا تعبر عن عقيدتك ومشاعرك ، وبعد عن الدول المتحررة يزداد يوما بعد يوم . حتى أضحت العزلة هى الطابع الأساسى لسوريا .

أيها الشعب العربى فى سوريا . كل ذلك وجيشك لم يكن بالجيش الغافل عن واجبه ، ولم يكن لنا فى قيادته المنحرفة المراوغة إلا مشجعا على تحقيق رغبة الشعب ، فقام فى صباح هذا اليوم بحركة ثورية ليعبر عن المبادىء الآتية الخ . . . . »

ومضى البيان بعد ذلك يعدد هذه المبادىء بأنها الوحدة العربية ، والحياد الإيجابى ، وتأييد ثورة اليمن الشقيق ، ومباركة ثورة العراق ، واستعداد النظام الثورى الجديد لمد يده إلى القاهرة وبغداد وصنعاء والجزائر ، وإلى كل الأحرار فى كل مكان .

وتوالت بيانات الثورة بعد ذلك تشرح بالتفصيل حقائق حكم الانفصال ابتداء من ٢٨ سبتمبر ، والمحاولات المتكررة لتصحيح آثاره حتى جاءت ثورة ٨ مارس .

□

كان يوما حافلا بالاثارة فى دمشق ، فقد جرى اعتقال اللواء « عبد الكريم زهر الدين » قائد الجيش السورى طوال فترة الانفصال ، وأعلن عن خلع السيد « ناظم القدسى » من رئاسة الجمهورية . والتجأ السيد « خالد العظم » رئيس الوزراء السورى إلى السفارة التركية فى دمشق مصطحبا معه أسرته ، وصدرت قرارات تعيد إلى الخدمة فى الجيش عشرات من الضباط الذين كانوا قد سرحوا منه بعد الانفصال وفى عهده . وراحت الأنباء المتسربة من دمشق تشير إلى أن القيادة التى قامت على رأس الجيش السورى والتى يبدو أنها قادت حركته تتمثل فى ثلاثة ضباط هم : **العقيد « لؤى الأتاسى »** الذى أعلنت ترقيته إلى رتبة الفريق ، وعين قائدا عاما للجيش السورى ـ **والعميد « راشد قطينى »** الذى أعلنت ترقيته إلى رتبة لواء ، وعين نائبا

للقائد العام ـ والعقيد « زياد الحريرى » الذى اعلنت ترقيته إلى رتبة لواء ، وعين رئيسا لقيادة أركان حرب الجيش .

واتصل الرئيس « عبد السلام عارف » من بغداد بـ « جمال عبد الناصر » فى القاهرة وأبلغه « أنهم قد استطاعوا تحقيق اتصال مباشر باللاسلكى مع قيادة الثورة فى دمشق ، وأنهم أبلغوهم بأن العراق سوف يقف معهم إلى آخر المدى ، وأن أى عدوان عليهم سوف يعتبر بمثابة إعلان للحرب على العراق » . ثم قال الرئيس « عارف » لـ « جمال عبد الناصر » على التليفون :

« إننا تلقينا من قيادة الثورة فى سوريا الآن برقية قالوا فيها : الموقف جيد ـ نسيطر عليه ـ الموقف لا يستوجب أى عمل من ناحيتكم » . وبعد أن قرأ « عبد السلام عارف » على « جمال عبد الناصر » هذه الرسالة قال له :

« إنهم يحاولون الاتصال تليفونيا من بغداد بقيادة الثورة فى دمشق ، وأنه سيعود إلى الاتصال به فور أن يتلقوا أية معلومات جديدة » .

□

كان « جمال عبد الناصر » يتابع من جانبه ما يجرى فى دمشق منذ اللحظة الأولى ، وقد لاحظ ظاهرة لفتت نظره لأول وهلة ، فقد عرف أن العقيد « لؤى الأتاسى » الذى رقى إلى رتبة الفريق وعين قائدا عاما للجيش السورى ـ كان حبيسا فى إحدى زنزانات سجن « المزة » عندما وقع الانقلاب . وكان نظام الانفصال قد اعتقله فى هذا السجن بعد أن نفاه خارج سوريا لبعض الوقت ، ثم اكتشفت سلطاته أن « لؤى الأتاسى » عاد إلى دمشق بدون إذن ـ وهكذا جرى اعتقاله . وكانت ملاحظة « جمال عبد الناصر » هى أن « لؤى الأتاسي » لا ينتمى إلى أى حزب ، وهكذا فإن حقيقة وجوده فى السجن وقت قيام الانقلاب معناها أنه لم يشترك فى تدبيره أو تنفيذه ، وفى نفس الوقت فإن تعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة وللمجلس الوطنى لقيادة الثورة بعد وقوعها يعنى أن هناك مساومات بين أطراف متعددة جعلتهم يلجأون إلى وضع طرف لم يشترك فى العملية على رأس قيادتها . وهذا يعنى أن هناك ازدواجية فى السلطة وصفقات بين أطراف تختلف أدوارهم ، وقد تختلف توجهاتهم . **وكانت الملاحظة فى موضعها ، فقد عرف بعد قليل أن قائد العملية الفعلى هو العقيد « زياد الحريرى » الذى رقى إلى رتبة لواء وعين رئيسا لأركان الحرب .**

ولم يكن لدى « جمال عبد الناصر » وقت طويل للتفكير فى دلالات الأمور ، فقد كان تيار الحوادث الكاسح يجرف كل شىء أمامه . ومن ناحية إنسانية ، فقد كان ما يحدث فى دمشق يمثل إلى حد كبير إنصافا لموقفه بعد الانفصال ، فها هو نظام الانفصال الذى قام فى سوريا يسقط سقوطا نهائيا ، وأبطاله يقدمون

للمحاكمة . والكثير من اسراره ووقائعه يتكشف بحيث يتاكد العالم العربى ، والعالم الأوسع خارجه ان ما حدث فى سوريا يوم ٢٨ سبتمبر كان بالفعل مؤامرة . وربما أرضته إنسانيا أول برقية تلقاها من دمشق بعد نجاح الثورة ، وقد وصلته فى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٨ مارس ، وكان نصها :

« الرئيس جمال عبد الناصر ـ القاهرة . .
لقد ثأرنا من الانفصال وغسلنا عاره .
المجلس الوطنى للثورة فى سوريا »

□

ويروى اللواء « عبد الكريم زهر الدين » الذى كان قائدا للجيش السورى طوال فترة الانفصال فى مذكراته[٧] :

« إن الفئات الرئيسية التى قامت بحركة ٨ مارس هى : الناصريون ، والبعثيون ، والقوميون العرب ، والوحدويون الاشتراكيون . وكانت تجرى فيما بينها الاتصالات ، وكانت ترسم الخطط الاجمالية للحركة . لكن كل فئة منها كانت تضع لنفسها مخططا بعد نجاح الحركة . . »

ويستطرد اللواء « عبد الكريم زهر الدين » فيقول[٨] :

« كانت المؤامرة تحاك بصورة شبه علنية ، وكان اسم زياد الحريرى يتردد على كل لسان فى سوريا . غير أن رئيس شعبة المخابرات كان ينفى تلك الاشاعات ، ويحول الأنظار إلى عناصر أخرى مشهورة بإخلاصها وولائها للقيادة وممن كنت أعتمد عليهم ، والذين كانوا يؤكدون لى الولاء والسهر الدائم على الوضع وعلى سلامة العهد . وكنت ويا للأسف أثق بأقوالهم ، وأهزأ من الاشاعات التى كانت تطلق حول زياد الحريرى وإمكانية قيامه بأية حركة . »

ثم يتطرق اللواء « عبد الكريم زهر الدين » إلى أسباب نجاح ثورة ٨ مارس فيقول[٩] :

« لقد كثرت الأسباب والدوافع التى أدت إلى هذا الانقلاب الذى وضع حدا لعهد ما بعد الوحدة المصرية ـ السورية والذى لقب بعهد

---

(٧) مذكرات اللواء . عبد الكريم زهر الدين . صفحة ٤١٦ .
(٨) مذكرات اللواء . عبد الكريم زهر الدين . صفحة ٤١٨ .
(٩) مذكرات اللواء . عبد الكريم زهر الدين . صفحة ٤١٩ .

« الانفصال » . **والأسباب الرئيسية لتلك النهاية نوجزها فيما يلى :**

١ ـ المد الوحدوى : من أهم أسباب حركة ٨ مارس (آذار) هى الوحدة التى فقدتها كل من مصر وسوريا بصورة خاصة وعملية ، وفقدتها الدول العربية بصورة عامة ومعنوية . لقد أدت تطورات حركة ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ (الانفصال) ـ إلى انتكاسة ظالمة للمد العربى الذى كان قد شعر عند قيام الوحدة بأنه اهتدى إلى الطريق السليم الذى سيقوده إلى وحدة الوطن العربى بكل أطرافه وأجزائه .

٢ ـ محاولة القضاء على الخط الاشتراكى : فقد كانت الأغلبية الساحقة من الشعب ومن الجيش بصورة خاصة تنادى بمبدأ الاشتراكية العادلة . وبما أن عهد ٢٨ سبتمبر قضى على هذا المبدأ عندما عدل القوانين الاشتراكية ، وخاصة قانون الاصلاح الزراعى ، فإن المقاومة ضده أصبحت شديدة . »

وأضاف قائد الجيش السورى السابق إلى هذين السببين الرئيسيين عناصر أخرى تكررت الاشارة إليها فى مذكراته ، وهى ظهور الحقيقة عن القوى التى دبرت لمؤامرة الانفصال من خارج سوريا ـ وتكالب نظام الانفصال على المنافع الشخصية لأقطابه ـ وضعف هذا النظام إلى درجة شديدة نتيجة لافتقاره إلى أسس الشرعية .

ولقد كانت قرارات العزل التى أصدرها مجلس الثورة فى سوريا بمثابة تعرية لمؤامرة الانفصال قبل أن تكون عقابا للذين شاركوا فيه ، فقد شملت قوائم المعزولين ٧٤ شخصا يمثلون ست فئات على النحو التالى ، طبقا لنصوص القرارات :

- **الفئة الأولى** ، تضم الضباط الذين قبضوا أموالا من الخارج بطريق غير مباشر من أجل التدبير لمؤامرة الانفصال ، مثل العقيد « فيصل سر الحسينى » والعقيد « حيدر الكزبرى » وشقيقه « خلوصى الكزبرى » .
- **الفئة الثانية** ، وتضم الضباط الذين قاموا بتنفيذ المؤامرة ، وبينهم « عبد الكريم النحلاوى » و« موفق عصاصة » و « عبد الغنى دهمان » ، الخ .
- **الفئة الثالثة** ، وهى تضم رؤساء الجمهورية ، ورؤساء وزارات حكومات الانفصال ، وبينهم « ناظم القدسى » و « خالد العظم » و « مأمون الكزبرى » و« معروف الدواليبى » الخ .
- **الفئة الرابعة** ، وتضم الصحفيين والكتاب الذين هاجموا الوحدة ، وتآمروا مع الرجعية وارتشوا منها لتكريس الانفصال .

- **الفئة الخامسة** ، وتشمل كبار الراسماليين الذين حاولوا السيطرة على الدولة ونهب مواردها فى فترة الانفصال .
- **الفئة السادسة** ، وتضم كل الذين اشتركوا فى مؤتمر « شتورا » الذى كرس للتشهير بالجمهورية العربية المتحدة .

□

لم تلبث الظاهرة التى لفتت نظر « جمال عبد الناصر » لأول وهلة يوم قيام ثورة ٨ مارس فى سوريا ـ أن كشفت عن نفسها بطريقة أصرح .

كان المجلس الوطنى لقيادة الثورة فى سوريا قد شكل وزارة برئاسة الأستاذ « صلاح البيطار » وكانت الوزارة تضم قوى التحالف الذى قام بإسقاط نظام الانفصال ، وهو التحالف الذى يضم مجموع القوى التقدمية الوحدوية فى سوريا وهى : حزب البعث ، وحركة القوميين العرب ، وحركة الوحدويين الاشتراكيين ، والجبهة العربية المتحدة .

وكان الميزان يميل لصالح حزب البعث بحكم عنصرين برزا فى الموقف ، وأولهما الأثر الذى نشأ عن ظهور دور حزب البعث فى الثورة على « عبد الكريم قاسم » فى بغداد ، وما حققه ذلك من ارتفاع فى معنويات الحزب وأرصدته على الساحة العربية بصفة عامة ـ والثانى أن رئيس الوزراء الجديد فى سوريا وهو الأستاذ « صلاح البيطار » كان هو نفسه أحد مؤسسى حركة البعث .

وواجه الوضع الجديد فى دمشق معضلة حرجة من أول لحظة ، فقد كانت الجماهير السورية فيما يبدو تتوقع بيانا يعلن استعادة الجمهورية العربية المتحدة كاملة بعودة الوحدة الفورية بين مصر وسوريا . وكان ذلك املا مشروعا ، وربما كان شرعيا كذلك ـ ولكن الظروف الموضوعية كانت تقتضى عملا مدروسا يتكفل بوضع أساس صلب لأى محاولة وحدوية جديدة .

وهكذا فإنه بسبب التناقضات بين القوى المختلفة والتطلعات المتباينة ، ورواسب التجارب وشكوكها ـ فإن النظام الجديد فى دمشق بدأ يواجه أزمة بعد أيام قليلة من قيامه . فقد وقع الخلاف بين حزب البعث من ناحية ، وبين بقية المجموعات المشتركة معه فى الحكم بسبب ما أسمى وقتها بـ « ضرورة المشاركة المتكافئة فى المسؤولية بين القوى الوحدوية والتقدمية » . وتطورت هذه الأزمة بسرعة إلى درجة أن ستة من الوزراء غير البعثيين قدموا استقالاتهم من الوزارة لكى يتركوا المسؤولية كلها للبعث يتصرف فيها أمام الجماهير السورية ، ويتحمل تبعاتها .

وكان طبيعيا ان يميل حزب البعث فى بغداد إلى رفاقه فى سوريا ، وان يحاول دعمهم فى دمشق ذاتها . وهكذا طار إلى دمشق يوم ١٠ مارس (بعد يومين من الثورة) وفد من حزب البعث العراقى يرأسه السيد « على صالح السعدى » أمين عام الحزب ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، والرجل القوى فى البعث العراقى وقتها ، ومعه مجموعة من زملائه . **وقد وصلوا إلى العاصمة السورية لكى يجدوا الجو فيها ساخنا إلى درجة تهدد بالاشتعال ، فقد سرى الشك بين جماهير واسعة ، وبين قوى سياسية متعددة بأن البعض فى بغداد ودمشق يفكرون فى وحدة بعثية أكثر مما يفكرون فى وحدة عربية .**

ويوم ١١ مارس وصل إلى القاهرة وزير الخارجية العراقى « طالب شبيب » قادما من دمشق حيث كان يشارك فى اجتماعات الوفد العراقى الذى قصد إليها برئاسة السيد « على صالح السعدى » .

كان السيد « طالب شبيب » يريد أن ينقل إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » صورة مما جرى فى العاصمة السورية بالأمس ، وكانت الرسالة التى حملها السيد « طالب شبيب » معه هى أن « **الاخوان العراقيين والسوريين الذين اجتمعوا أمس فى دمشق يقترحون وحدة ثلاثية تضم مصر وسوريا والعراق - وأن هذه الوحدة فى رأيهم هى الأمل الحقيقى والمرتجى للأمة العربية فضلا عن انه أمل أصبح الآن ممكنا بفعل ما جرى فى بغداد ، وما لحقه فى دمشق** » .

وفى يوم ١٤ مارس وصل إلى القاهرة وفد عراقى يرأسه السيد « على صالح السعدى » ، ولحق به وفد سورى يرأسه السيد « نهاد القاسم » نائب رئيس الوزراء الجديد فى سوريا ، ويضم فى عضويته اللواء « زياد الحريرى » والوزير البعثى الدكتور « عبد الكريم زهور » واللواء « راشد قطينى » والمقدم « فهد الشاعر » من أعضاء مجلس الثورة .

وفى يوم ١٥ مارس عقد « جمال عبد الناصر » فى قصر القبة اجتماعا موسعا شاركت فيه وفود من الدول الثلاث : مصر والعراق وسوريا . وبعد يومين أعيد تشكيل الوفد السورى إلى هذه الاجتماعات ، وانضم إليه السيد « ميشيل عفلق » أمين عام حزب البعث ، والسيد « صلاح البيطار » رئيس الوزراء السورى ، والفريق « لؤى الأتاسى » رئيس مجلس الثورة السورى .

ودخلت محادثات الوحدة الثلاثية (مصر وسوريا والعراق) طورا جديدا .

٣

امتدت محادثات الوحدة الثلاثية فاستغرقت جلساتها ما تبقى من شهر مارس ، وامتدت لتشمل النصف الأول من شهر أبريل سنة ١٩٦٣ . وتتكفل الصفحات الأولى من محاضر الوحدة الرسمية برسم صورة دقيقة وكاملة لاختلاف الرؤى والتوجهات . وتجرى الصفحات الأولى من محضر الجلسة الأولى للمحادثات على النحو التالى :[١٠]

□ **السيد نهاد القاسم** : « الحمد لله الذى حضرنا هنا . . سبق أن قلت لك يا سيدى الرئيس إن الزعيم البطل هو الذى ينزع من النكسة الانتصار ، وقد حضرنا لنهنئكم على النصر الذى أحرزه الشعب السورى ، ولنطمئن سيادتكم بأن ثورة سوريا الأخيرة هى ثورة وطنية وحدوية تقدمية اشتراكية . وقد حضر معنا ممثلون من ثورة العراق ، الثورة التى عجلت بثورة سوريا ، إن هذا الاجتماع التاريخى يجمع رجال ثلاث ثورات ، إننا متأكدون أن القاهرة ستستجيب لمطلبنا ، لقد حضرنا لنبحث معكم إقامة اتحاد أو وحدة اتحادية بين الجمهوريات الثلاث على أسس مدروسة سليمة » .

□ **السيد على صالح السعدى** : « لقد تبين لنا أنه يجب أن نخطو خطوات فعلية لتأخذ الوحدة مكانها فى الواقع ، ولتكون قاعدة لباقى الدول المتحررة ، فتتسع وتنضم إليها دول أكثر وأكثر . إن القضية الآن هى مسألة تقرير مصير ، إنها مسألة خطيرة وتتطلب دراسات فى شتى النواحى ، إن ما نطلبه الآن هو أن نعلن هذا الشىء للعالم . . وهو أننا نسعى فى سبيل الوحدة ، وأن تكون الأيام القادمة لتقرير الخطوات نحو الوصول للوحدة المطلوبة .

إننا نعتبر الانفصال نكبة وكارثة ، ولكنه فى نفس الوقت كان خيرا لنا إذ أنه عزز ومكن من فكرة القومية العربية وجعلها على أسس راسخة ، وأثبت أنها ليست مجرد فكرة طارئة ، ولقد جئنا إلى القاهرة لنعلن للعرب أننا سوف نسوى الوحدة » .

■ **الرئيس جمال عبد الناصر** : « لا شك أن هذا اليوم من أعز الأيام إذ نلتقى من أجل الوحدة ، وخاصة بين مصر والعراق وسوريا ، وإنى كنت أعتبر ذلك أملا يصعب تحقيقه بهذه السرعة . . ومنذ شهر كان السيد على صالح السعدى

(١٠) لقد قصدت ان استشهد بفقرات طويلة من المحاضر لانها فى اعتقادى تشرح ظروفا كثيرة . وملابسات معقدة يصعب شرحها باختصار وكفاءة كما تشرحها المحاضر ذاتها .

موجودا معى فى نفس هذا المكان ولم نكن نعتقد ان الكلام عن الوحدة سيجىء بهذه السرعة .

نحن طلاب وحدة ، ووحدويون عن اقتناع بدليل أننا قبلناها فى عام ١٩٥٨ والجميع يعلم أنها كانت صعبة .

إنى أرحب بالوحدة مع سوريا والعراق ، ولكننا نريدها وحدة لا انفصال مغلفا فى شكل وحدوى لأن الأمة العربية لا تحتمل جريمة انفصالية أخرى ، لقد اكتوينا بنار الانفصال بدرجة لا توصف ، لقد تسببت عنها ردة فى مصر وكنت أخشى أن تصبح مصر انفصالية ، إن الوحدة أو الاتحاد المطلوب هو ما يتمناه الشعب ، ولكن لابد من أن نتناول الأمر بمنتهى الصراحة والوضوح .

إننا فى بداية علاقاتنا مع العراق ، وليست بيننا مشاكل ، ولكن مع السوريين لنا خمس سنوات ، وهناك عدة مواضيع لابد أن نعرضها بصراحة ، إن المسألة ليست مسألة أشخاص ولكنها مسألة الأمة العربية بأسرها .

هناك إقليمية فى مصر وأخرى فى سوريا ، ومن الخطأ أن نتجاهل هذا الاعتبار . . هذه مسألة .

ومسألة أخرى هى أننا لابد أن نتعامل على نور . . هل المطلوب منا الآن أن نقيم وحدة مع حزب البعث . . أم وحدة مع سوريا ؟ . . إذا كان حزب البعث هو الذى يحكم سوريا وستكون الوحدة معه ، فأنا على غير استعداد للبحث على الاطلاق .

وحدة مع سوريا كلها أنا على استعداد لها .

وحدة مع حزب البعث سأقول لكم متأسف .

إن حزب البعث فى رأيى انقلب على تجربة الوحدة وحاربها ، وكان من القوى التى مهدت للانفصال ! ولم يكتف بذلك بل أراد أن يؤثر فى الأوضاع فى مصر نفسها فى المرحلة الحرجة بعد الانفصال ، وأنا أعتبر ذلك جريمة . . كذلك لابد أن نتكلم عن الشعارات التى رفعت والتى رفعها حزب البعث فى تعميماته التى قرأتها ينادى فيها بوحدة بدون عبد الناصر ، وكل مسألة فى رأيى يمكن أن تحل ، حتى لو كانت مصلحة الأمة العربية فى وحدة بدون عبد الناصر ، فإننا نستطيع أن نجد حلا لذلك ، وأنا الآن لا أتكلم كعبد الناصر ولكننى أتكلم كرئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة . . وإنى لا أعقد الأمور ، فأنا شخصيا أشد الناس تحمسا فى مصر لهذه الوحدة ، ولكن الموضوع يتعلق بمستقبل أمة .

ما هو المطلوب ؟

هل المطلوب وحدة أم وحدة اتحادية ؟

هل الاتحاد المطلوب صورى أم حقيقى ؟

هل المطلوب وحدة تنفذ او وحدة مؤجلة ؟

كل هذه أسئلة مهمة . كذلك لابد أن نسأل : ما هو الوضع الآن فى سوريا ؟

هل فى سوريا ثورة أو فى سوريا انقلاب ؟

هل الجيش فى سوريا يحكم ام الوزارة فى سوريا تحكم ؟

هل الحكم فى سوريا بعثى ام الحكم فى سوريا قومى ؟

ذلك ضرورى أن يتضح لكى نتصرف جميعا على هدى .

لابد من عملية فحص وتدقيق ودراسة واسعة وجدية .

لنستعرض كل هذه الأمور . . وكل خطأ من الممكن تقويمه ، ولنرى ماذا يمكن عمله ، وبهذا يمكن تنفيذ العملية .

هل هناك شكوك ؟ . . هناك شكوك بغير جدال !

وهناك أخطاء حدثت أثناء الوحدة السابقة ، ولكنى أقول طالما اننا نعمل فستحدث دائما اخطاء ، ستقابل الوحدة بقوى معادية كبيرة ، ستحاربها دول الاستعمار كلها ، ودول حلف بغداد ، والرجعيات العربية ، والاحزاب الشيوعية . . والشعوبية والانتهازية . .

ولا أنسى منذ الشهر الثالث للوحدة السابقة أننى سمعت اصطلاح « الاستعمار المصرى » و « التسلط المصرى » من داخل الحكم ومن الذين يشاركون فى الوحدة . . من حزب البعث .

كيف إذن نطمئن هذه المرة . . ؟

قبل أن ندخل فى وحدة يجب مناقشة جميع هذه النقاط .

وفيما يتعلق بالتجربة السابقة ، فإنى لم أكن شخصيا احكم سوريا وإنما كان يحكمها السوريون . . على سبيل المثال كان الحورانى رئيسا للمجلس التنفيذى ، واتخذ قرارا برفع رسوم الجمارك على كل شىء فى سوريا حتى على الاكل ، واتخذ قرارا بغير علمى ومع ذلك تنصل هو من مسؤوليته وتنصل كل واحد غيره .

قيل ـ كما قرأت فى تعميمات حزب البعث ـ إن المطلوب وحدة ديمقراطية ، قيل





اجتماعات مناقشة الوحدة الثلا ... ـصر وسوريا والعراق .

وحدة اتحادية ، وقيل وحدة بدون عبد الناصر ، وقيل وحدة بدون الحكم الحالى فى مصر . . كل ذلك قيل ونحن على استعداد لبحث جميع هذه النقاط . . كذلك أريد أن أعرف ما هى الوحدة ، وما هى الحرية ، وما هى الاشتراكية ؟

لابد أن نلتقى على تعريفات لها وليس المطلوب أن نلتقى على شعارات فقط ، ولابد فى هذا الاجتماع أن نتكاشف بكل وضوح وصراحة ونبحث كيف نقيم الوحدة الجديدة ـ ما دامت هى غايتنا ـ سليمة قادرة على البقاء .

عايزين وحدة بدون انفصال ، عايزين وحدة أبدية تجمع باقى الدول العربية ، وعلينا أن نقرر هل نريد وحدة حقيقية أو صورية ، وعلينا ان نقرر هل نريد وحدة تقوم على مبدأ المشاركة ام وحدة وكل واحد يعمل اللى عايزه .

فى هذا الاجتماع أنا أريد أن أسمع أكثر مما أتكلم . . موقفنا نحن تكلمنا فيه كثيرا ، نقدنا أنفسنا فى التجربة السابقة ، وأنا مارست النقد الذاتى فيها علنا . . ونحن طلاب وحدة فى كل وقت ، ولا أظن أحدا يشك فى ذلك ، لهذا نريد ان نسمع من سوريا ومن العراق ، ونريد أن نسمع بالتفصيل عن الماضى وعن المستقبل . »

□ السيد على صالح السعدى : « إننا فعلا لم نحضر إلا لنقيم ، وحدة لا تنفصم وطلبنا الآن هو ان تعلن الدول العربية الثلاث انها فى سبيل تحقيق وحدة اتحادية ثم تكون هذه الخطوة مفتاحا للدخول لهذا الشىء ، قد تطول الدراسة سنة او سنتين أو ثلاثا ، ولكن المهم أن نعلن ذلك فورا وأن نباشر الدراسة فى نفس الوقت . »

□ **السيد نهاد القاسم** : « إن ما قاله الأخ على صالح قد يكون مناسبا للوضع فى العراق ولكن ليس بالنسبة لسوريا ، لذلك فإنى أتحفظ بالنسبة لما قاله ، إن الوضع فى سوريا مختلف عنه فى العراق نهائيا ، ففى سوريا من ينادى بوحدة فورية ، وهناك من يطلب وحدة بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة ، وإن ما صرح به الأخ على صالح يعتبر عملية تخدير لمطلب الوحدة وللرأى العام فى سوريا ، والمهم هو أن ندرس الأخطاء ونتصارح إلى أبعد الحدود ، وأسجل أنى سبق أن قلت إن الأخطاء لم يكن المسؤول عنها جمال عبد الناصر فكلنا مسؤولون ، يجب أن نخرج من هنا بنتيجة إيجابية وبمشروع يباشر فورا .

والشعارات الموجودة فى سوريا الآن هى « لا درس ولا تدريس إلا بعد عودة الرئيس » ، « ناصر ناصر ناصر » . »

□ **السيد عبد الحليم سويدان** : « لا شك أن الوصول إلى الوحدة يقتضى منا حربا مريرة ، وفى هذه الحرب قد نخسر بعض المعارك ولكن فى النهاية سنربح المعركة ، ولقد كان الشعب السورى أول من نادى بالقومية العربية والوحدة العربية ، لقد عاش هذا الشعب إبان الانفصال أشد تحمسا وتمسكا بالوحدة إيمانا منه بها ، وحرصا عليها ، وفى صبيحة الثامن من آذار (مارس) مسحت الثورة آثار الخيانة والعار من جبين الجيش العربى والشعب العربى فى سوريا وفرضت إرادة الشعب ، إنها الثأر الأول لكارثة ٢٨ أيلول (سبتمبر) ، وتعتبر ثورة اليمن الثأر الثانى لكارثة ٢٨ أيلول (سبتمبر) ، وثورة ١٤ رمضان الثأر الثالث لها .

والآن توجد فى سوريا هزة رائعة للوحدة العربية ، إن الوضع للثورات العربية الثلاث جعل الشعوب العربية تنظر إليها على أنها دعائم أساسية للوحدة العربية ، إن القسم الأعظم من الشعب فى سوريا يعتقد أن الوحدة يجب أن تبدأ من هذا المنطلق الثلاثى ، لقد تفضلتم يا سيادة الرئيس بذكر أعداء الوحدة ، وعلى قدر قوتهم يجب أن نكون على مستوى الرسالة ، ولو خسرنا الحرب الآن فلا شك أننا سنربحها فى النهاية . »

□ **السيد عبد الكريم زهور** : « الحقيقة أن الوحدة العربية ليست حلما فقط ، ولكنها طريق الخلاص الوحيد للأمة العربية ، الطريق الوحيد الذى يجعلها تقوى فى هذا العالم ، ولقد ظهرت فى سوريا القومية العربية بوضوح لأسباب واقعية خاصة بها ، وقبل أن تظهر على هذا المستوى فى الأقطار العربية الأخرى ، ولم تكفر بها سوريا بتاتا .

بالطبع هناك خونة إلا أنهم لا يعبرون عن هذا الشعب أبدا ، وسوريا عام ١٩٥٨ أقبلت من تلقاء نفسها على الوحدة ، وما ذكره السيد الرئيس صحيح ، واذكر

ذلك عندما كنت عضوا فى الوفد البرلمانى الذى حضر للقاهرة قبل الوحدة للتدارس مع إخوانه فى مصر عنها .

واذكر انى سمعت قول سيادتكم بأن القومية العربية تصبح هدفا ماديا تصوب إليه السهام عندما تتجسم فى الوحدة ، ولا شك أن هذا قول صحيح أيدته التجارب ، ولا شك أنه يجب أن تتم الوحدة تدريجيا شيئا فشيئا وفقا للدراسات الاقتصادية والعسكرية ، والوحدة السياسية آخر هذه المراحل . . ولقد سمعت من قبل بالنسبة للوحدة السابقة من السيد محمود رياض أنها تحتاج إلى خمس سنوات ، صحيح كانت هناك أزمة سياسية وقتئذ دفعت إلى الاسراع نحو الوحدة ، ولكنها لم تكن الدافع الوحيد لذلك إذ كانت القومية العربية هى المحرك الأساسى لها .

حدثت الوحدة وكانت تجربة رائدة وهامة ، وكان البعثيون أول من سمى الانفصال نكسة . فلنسأل لماذا حدثت النكسة . . كما قال السيد الرئيس يجب الفحص ، لقد علمتنا التجربة الماضية أن العواطف وحدها غير كافية ، لابد من دراسة الوحدة والانفصال والأخطاء وكما قال السيد الرئيس حتى لا تحدث أخطاء ، ولكن على الأقل لا نريد أن نقع فى نفس الأخطاء القديمة ، لا أدرى إذا كان من الممكن عمليا دراسة أخطاء الوحدة التى ساعدت على الانفصال ، وفى مشروع الوحدة القادمة يجب ان نتجنب كل تلك الأخطاء .

لقد تمت الوحدة السابقة عام ١٩٥٨ ونحن اليوم فى عام ١٩٦٣ وقد تغيرت الظروف كثيرا وخاصة خلال السنة الماضية . اليمن ثار . وتدافع قوات الجمهورية العربية المتحدة مع قوات اليمن عن ثورته ، والعراق ثار . وها هى سوريا ثارت ، إذن هذا ظرف جديد ، ويقتضى التفكير بشكل جديد للوحدة . صورة جديدة للوحدة .

يا سيادة الرئيس هناك خطر دائم فى المشرق العربى أن يظل العراق بعيدا ، او أن تظل مصر بعيدة ، لذلك كان من اللازم العمل مخلصين لوحدة الأقطار الثلاثة حتى نسد الطريق أمام إمكان عودة الصراع لهذا المشرق العربى ، وأعتقد اننا لو نجحنا فى التخطيط ، فسنجعل موضوع تحقيق وحدة المشرق العربى مسألة زمن لا اكثر ولا أقل ، لا شك أن السيد على صالح بالغ عندما قال بدراسة الوحدة لمدة سنة او سنتين أو ثلاث ، فإن القضية لا تحتمل مثل هذا الزمن الطويل ، كذلك من غير المعقول أن نعلن الوحدة ثم إذا هى وحدة مرجأة ، يجب الا تعلن إلا عند ممارستها وإلا نكون قد ضحكنا على أنفسنا ، ينبغى أن نعلن عن هذا الاجتماع التمهيدى اننا سائرون فيه نحو الوحدة ، لم نأت هنا لنلهى الناس ، ولكن لتشكيل لجنة من الأقطار الثلاثة لتبدأ الدراسة الفعلية للوحدة . وتنبثق عنها لجان فرعية لدراسة المسائل العسكرية والاقتصادية إلى آخره .

سيدى الرئيس . . لست أدافع عن البعث الآن ولكنها حقيقة ، إن البعثيين بعد الانفصال كانوا هم أشد الفئات تحمسا للوحدة ، أما عن الحورانى فوضعه معروف وقد أصدر الحزب قرارا بشأنه .

أما عن تساؤلات الرئيس ما هو الوضع فى سوريا ؟ هل هو انقلاب أم ثورة ؟ من الذى يحكم سوريا ؟ الوزارة أم الجيش أم من ؟ . سؤال صحيح جدا . الحقيقة أن هناك انقلابا قد حدث ولكن دافعه ثورى ، لقد شن الانفصاليون حملة عنيفة قاسية ولكنها لم تؤثر على الشعب العربى إلا اندفاعا نحو الأمة العربية ، ولا يمكن أن نقول إن إخواننا الضباط قاموا بالانقلاب إلا لوجود دوافع شعبية ثورية .

شكل مجلس وطنى لقيادة الثورة وسيكون مختلطا من المدنيين والعسكريين ، ونتيجة للمشاورات يصدر قراراته ، هذا المجلس هو الذى يعبر عن الثورة ، القيادة فيه جماعية ، والقرارات بالأغلبية ، وهو الممثل الحقيقى للثورة .

نحن آتون بشكل جدى لكى نصل للوحدة لأن القضية بالنسبة لأمتنا قضية حياة أو موت ، الوحدة بالنسبة لنا قضية مصير . »

□ **اللواء راشد قطينى** : « سأبدأ الحديث منذ ٢٨ أيلول (سبتمبر) ، لقد قامت بكارثة الانفصال فئة ساندتها الشعوبية والطبقية الرجعية اليمينية استولت على الحكم بطريق عاجل ، ومنذ اليوم الأول قابلها الشعب السورى بوجوم ، منذ اليوم الأول بدأت الاتصالات فى الجيش للوقوف فى وجه هذا التيار الانفصالى ، ومنذ فترة اجتمعت عدة فئات عسكرية قومية واتفقت فيما بينها على الثورة ، ولم يكن هناك فيما بينها وبين أية جهة مدنية أى اتصال ، وقد شكل مجلس قيادة الثورة من جميع الفئات والهيئات التى اتصلت ثم نفذت الثورة .

لقد أقسم المجلس منذ اليوم الأول أنه لا يوجد هدف للجيش فى الحكم ، ولقد درس موضوع قيام وحدة أو اتحاد ، وهناك رغبة جامحة لاقامة وحدة اتحادية بين الدول الثلاث ، وذلك للوقوف أساسا أمام الخطر الكبير الذى يبعد عن دمشق بما لا يزيد عن ستين ميلا ، لقد شكلت الوزارة على النحو المعروف لكم ، ورأسها واحد من الموثوقين ، وتمت إجراءات عنيفة لتطهير الجيش وأقصى منه كل من ليس بعربى ، وأصدرت الوزارة بيانها الوزارى الذى صدر أمس ، كما طلب المجلس تلبية لرغبة الرأى العام تخصيص فقرة للوحدة الاتحادية بين الدول الثلاث .

ويؤمن الجيش بالفكرة ويطلب تحقيقها ، والرغبة الملحة أنه لا داعى أن ندخل من الآن فى تطويلات لنتجنب إرجاء الوحدة ، ولقد سبق أن أخطرنا السيد

طالب شبيب عند عودته من القاهرة منذ أيام بواسطة على صالح بضرورة سفر وفد سورى إلى القاهرة .

أما عن سؤال السيد الرئيس من يحكم سوريا ؟ إن الذى يحكم الآن مؤقتا هو لجنة مركزية من مجلس الثورة ، وتختص بالتوجيه السياسى والتخطيط العام ، وقد اجتمعت هذه اللجنة أمس وقررت أن تبدأ معكم فى محادثات عن الوحدة الاتحادية وليس مفاوضات ، إن الرأى العام السورى لا ينتظر ولا يرحم ، إنه يريد أعمالا وليس أقوالا ، إنى أتكلم باسم القيادة والجيش مؤمنا بضرورة البدء فورا بتشكيل لجنة لوضع الأسس التى ستجمع هذه البلدان فى وحدة تدوم آلاف السنين . »

□ **اللواء زياد الحريرى** : « الموضوع ببساطة اننا فى الجيش قمنا بثورة لاقامة الوحدة ، لقد قام النحلاوى بعملية غدر ، وكان المسيطر فى ٨ أيلول (سبتمبر) الطبقة الرجعية ، ثم جاء ٨ آذار (مارس) وطالب الجيش بضرورة تصحيح الأوضاع . والطريق الصحيح لنا هو إقامة الوحدة المطلوبة ، وإنها بالنسبة لنا حياة أو موت ، لقد حدثت ثورة العراق يوم ١٤ رمضان ، ثم حدثت ثورة سوريا لتضعها فى مكانها الصحيح وبوجهها الصحيح ، ورغم الصعوبات فقد نجحت الثورة ، ومنذ اليوم الأول بدأنا دراسة إعادة الوحدة ، وقرر المجلس أنه بدلا من وحدة ثنائية أن تضم لها دولة ثالثة لتكون المنطلق الجديد للوحدة ، ولا ننسى أن العراق كان دائما إقليما منفصلا بعيدا عنا .

والمطلوب الآن يا سيادة الرئيس هو العمل بأقصى سرعة بما يحقق لنا الوصول إلى هدفنا . »

□ **المقدم فهد الشاعر** : « من الطبيعى أن يكون للوحدة أخطاء ، وإننا جميعا فى سوريا وفى مصر مسؤولون عنها ، ولكن لا ينبغى أن نبحث عمن أساء ، ولكن يجب القضاء على كل إساءة . لقد عم القوات المسلحة والجيش فى فترة الانفصال استياء عام وتذمر ، ولولا هذا لما نجحت الثورة . ونحن كعسكريين قد نخطىء أثناء المعركة ، ولكن المهم هو العمل على تفادى هذه الأخطاء لانجاح المعركة .

ولم يكن إيمان السوريين بوحدة بين قطر أو قطرين فقط ، وإنما هم يؤمنون بالوحدة الشاملة بين جميع الدول العربية ، وعلى هذا الأساس قام التنظيم العسكرى يدعمه الشعب مؤمنا بفكرة الوحدة العربية .

ولقد دخلت حركة التطهير فى القوات المسلحة بهدف الابقاء على العنصر العربى الذى يؤمن بهدف الثورة ، وهو الوحدة ، والتى لا يحميها إلا واقع عملى . . نحن الآن

نمثل ثلاثة أقطار عربية متحررة ، وهناك دول عربية أخرى مثل الجزائر واليمن وغيرهما ، ولذلك فإنه يتحتم على دولنا الثلاث العمل بشكل جدى ، وبدون تأجيل من أجل الوحدة ، لأن التأجيل ليس فى صالحنا ، وأرى أن يتفق المجتمعون على مباشرة العمل السريع فى هذا السبيل .

أما بالنسبة لطريقة البدء ، هل نبدأ بالوحدة السياسية ، أم بالوحدة الاقتصادية ، أم بالوحدة العسكرية . فلست أعتقد أن حل هذه الأمور بالأمر الصعب . فالشعب العربى فى كل قطر عربى شىء واحد ، فالفلاح الموجود فى الصعيد هو نفس الفلاح الموجود فى شمال سوريا ، وهو نفس الفلاح الموجود فى جنوب العراق ، والاختلاف موجود فقط بين الطبقة المثقفة . إن الشعوب العربية لا تحتمل التأخير أو أى عبث ، ولندع الكلام المطاط ، ولننطلق فورا . »

□ **السيد طالب شبيب** : « إن ثورة ١٤ رمضان لم تكن فى الحقيقة ثورة عراقية إقليمية ، ولكن العراق عملت فيه الشعوبية والشيوعية لتحطيم الحس القومى ، ويوجد بالعراق مليون كردى لا يرحبون بالوحدة ، وهناك اختلاف طائفى إلى غير ذلك ، كذلك كانت القاهرة وبغداد فى أغلب الأحيان فى تنافر تنفيذا لسياسة استعمارية قديمة ، ويجب وضع هذا موضع الاعتبار والتريث قبل اتخاذ قرارات سريعة .

ولا شك من ناحية أخرى أن الوحدة التى تمت بين مصر وسوريا تعد عاملا أساسيا لدعم القوى القومية وتفجير الثورة فى ١٤ تموز (يوليو) فى العراق ، ولا شك أيضا فى أن الأخطاء التى تعرضت لها الوحدة ستفيد حتما كتجربة فى وضع الأسس الجديدة ، لكننا يجب أن نضع فى الاعتبار أن الوحدة لا يجب أن تتأثر بعواطف الجماهير ، كذلك أريد أن ألفت النظر إلى أن العراق له مشاكله الداخلية الخاصة ، وهى مشاكل معقدة . »

□

وتشعبت المحادثات وطالت وبرزت آراء واجتهادات ، واتضحت أسرار وحقائق ، وبدا واضحا لـ « جمال عبد الناصر » أن هناك « رغبة حقيقية ، وإن تكن مكبوتة » بين جناحى حزب البعث فى العراق وسوريا فى إنشاء « وحدة بعث » تكون هى الطرف الآخر فى الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .

ولم يكن لدى « جمال عبد الناصر » فى أعماق أعماقه اعتراض على قيام وحدة بين العراق وسوريا ، كذلك كان يعتقد أن بعث العراق يختلف عن بعث سوريا ، وكان يشعر بأنه يفهم بعث العراق ويتعاطف معه أكثر ـ كما قال هو

بنفسه لـ « صالح السعدى » وكتب بخط يده لـ « عبد الحكيم عامر » ـ لكنه كان يشك فى قدرة « وحدة الحزب » على إقامة « وحدة الدولة » بين العراق وسوريا ، وعلى أى حال فإذا كان ذلك ما تريده الحكومتان فى بغداد ودمشق ، فليكن إعلانه صريحا من ناحيتهما حتى يعرف الناس بالضبط ما هم مقبلون عليه ، وفى هذه الحالة ، فلا داعى لاقحامه هو فى الموضوع ، واستغلاله كستار لتصرفات غيره ، وفى كل الأحوال فإنه لم يكن على استعداد للدخول فى تجربة وحدوية جديدة لا يستطيع أن يضمن مسارها ، ولا أن يتحمل نتائجها .

وصحيح انه تم التوقيع فى نهاية محادثات القاهرة على بيان مشترك لانشاء جمهورية عربية متحدة تضم مصر والعراق وسوريا ، وتكون القاهرة عاصمتها ، لكنه كان يعرف منذ اللحظة الأولى أن هذا الميثاق لن يدخل حيز التنفيذ ، ومهما يكن من امر ، فإن الأسابيع والشهور اللاحقة لم تلبث أن اتت بانقلابات سياسية لها مضاعفاتها فى كل من بغداد ودمشق .

ومن ناحية اخرى ، فقد كان عليه الكثير ، وكانت ضغوط الحوادث تفرض نفسها عليه ، وتتجاذب اهتمامه من اتجاهات شتى !

الفصل الثانى

... ومفاجآت إضافية !

١

كانت ردود الفعل إزاء هذه المتغيرات التى طرأت على موازين القوى فى الشرق الأوسط بعد أحداث بغداد ودمشق ـ مختلفة باختلاف الأطراف وزاوية رؤيتهم .

ولم يكن هناك شك لدى الجميع فى أن ما حدث ينطوى على احتمالات لا يمكن الاستهانة بها ، خصوصا إذا وضعت هذه المتغيرات فى مجرى السياق العام للحوادث : انتصار الثورة الجزائرية واستقلال الجزائر (يوليو ١٩٦٢) ـ يليه قيام وصمود الثورة فى اليمن (سبتمبر ١٩٦٢) ـ ثم سقوط نظام « عبد الكريم قاسم » فى العراق (فبراير ١٩٦٣) ـ ثم انهيار نظام الانفصال فى دمشق بعد سلسلة من الهزات ضربت أساسه (مارس ١٩٦٣) .

كانت هناك ردود فعل متباينة فى المنطقة العربية نفسها ، كما كانت هناك ردود فعل متباينة فى العواصم العالمية المهتمة بالمنطقة :

■ **فى السعودية** بدا رد الفعل الأول وكأنه نوع من التردد ومراجعة النفس . وقد روى « جمال عبد الناصر » فى خطاب كتبه بخط يده إلى « عبد الحكيم عامر »[١] (الذى كان فى اليمن) يقول له :

(١) نصوص حرفية من خطابين من « جمال عبد الناصر » إلى « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٤ فبراير و ٧ مارس ١٩٦٣ وهناك صور لهذه الصفحات فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت ارقام ٤٧ و ٤٨ صفحة ٩٣٧ ، ٩٣٨

« اتصل الشيخ حافظ وهبة بالامين العام للجامعة العربية . وطلب منه الالتقاء مع كمال رفعت من اجل بحث العلاقة بين السعودية ومصر . وقد اتصل حسونة بالدكتور فوزى الذى تحدث معى فى الموضوع . وقد كان ردى ان الشيخ حافظ وهبة اتصل فعلا مع على خشبة[٢] . وإذا كان هناك ما يود إبلاغه فليكن عن طريق على خشبة . وكان قد اتصل بعلى خشبة تليفونيا . حدث هذا من ١٥ يوم تقريبا . وتمت المقابلة مع على خشبة ـ اى بعد ثورة العراق باسبوع . وقال فى حديثه إن فيصل ضد الحرب ، ولكن سعود هو الذى يصمم على الحرب . وان إخوة فيصل يلحون على إيقاف القتال خصوصا بعد ثورة العراق . وقال (حافظ وهبة) إن استمرار المعارك سيستنزف موارد مصر والسعودية ، وان الذى يستفيد من ذلك هو المستعمر . وقال حافظ وهبة إنه لا يرحب ان تقوم الوساطة لايقاف القتال بين الجانبين عن طريق اجنبى بل كان يفضل ان يقوم بها العرب . وقال إننا يمكن ان نتفق على إيقاف القتال . ثم سال هل نحن على استعداد للاستماع إلى ما يقول وهو مصرى لا يريد إلا الخير ، وكان الرد نحن على استعداد دائما ان نسمع . وبعد ذلك تمت مقابلة اخرى بين على خشبة وحافظ وهبة فهم منها على خشبة ان فيصل يخشى من تسلل المصريين واليمنيين إلى القبائل فى جنوب المملكة والمنطقة الشرقية » .

ثم استطرد « جمال عبد الناصر » يروى لـ « عبد الحكيم عامر » تفاصيل المقترحات السعودية ، فقال بالحرف :

« إن حافظ وهبة قال إنه لا فائدة من زيارات « بانش » المقبلة (لليمن) وهو (اى الشيخ حافظ وهبة) يفضل ان تكون الحلول بين الطرفين الحقيقيين المؤثرين فى المعركة ، وهما الجمهورية العربية المتحدة والسعودية ، وكانت هذه المقابلة حوالى ١٩ فبراير .

وبعد ذلك حدثت مقابلة ثالثة يوم ٢٧ فبراير بناء على طلب الشيخ حافظ وهبة الذى قال إنه يفضل ان يسافر إلى السعودية لأن البرقيات قد لا تعطى صورة عن الواقع ، ولذلك فهو يرى ان يعرض الآتى :

١ ـ يجب تجاهل سعود وموقفه تجاهلا تاما ، وان فيصل قد افاق لنفسه بعد ان ادرك انه مخلب قط فى يد الانجليز .

٢ ـ يمكن الاتفاق على إيقاف القتال من الجانبين على ان يبدا التنفيذ يوم اجتماع مندوبين عن السعودية والجمهورية العربية المتحدة .

٣ ـ يرى ان يتم اجتماع للطرفين فى روما ، او اى بلد آخر بعيدا عن الصحافة .

٤ ـ يمثل الطرف السعودى الأمير سلطان ، والشيخ حافظ وهبة .

٥ ـ يبحث الطرفان كيفية تطبيق إيقاف القتال والانسحاب التدريجى ، وطريقة المراقبة والتنفيذ .

(٢) السفير « على خشبة » وقد جرى اللقاء بين الاثنين فى لندن على الأرجح .

٦ - يرى أن يكف الطرفان أثناء المفاوضات عن الهجوم الإذاعي والصحفي .

٧ - يرى عدم التعرض للماضي أثناء المفاوضات ومحاولة نسيانه » .

وخلص « جمال عبد الناصر » بعد ذلك بأنه قرر الموافقة ، ورأى أن يكون وفد الجمهورية العربية المتحدة في محادثات روما المقترحة برئاسة « كمال رفعت » ، وفي هذه الحالة « فسنطلب إرسال ضابط كبير من عندك للاشتراك في المفاوضات » .

■ ■ في الأردن كان رد الفعل مرتبكا ، فإن التغييرات التي حدثت في بغداد ، ثم في دمشق بعدها ، وما تلا ذلك من مفاوضات ثلاثية في القاهرة ، أحدث هزة بين الجماهير في الأردن ، وقامت مظاهرات في عمان وفي المدن الكبرى من الضفة الغربية للأردن تطالب الحكومة بالالتحاق بمفاوضات الوحدة في القاهرة ، وكان ذلك أكثر مما تحتمله الظروف . ووقعت مصادمات وجرت اشتباكات سقط فيها قتلى وجرحى ، واستقالت وزارة السيد « وصفي التل » وعهد إلى « سمير الرفاعي » بتشكيل وزارة جديدة كان عليها أن تواجه موقفا مشحونا بالتوتر . وأخطر ما في الأمر أن هذا الذي كان يجري في الأردن أثار ثائرة إسرائيل ، فبدأت في حشد بعض وحداتها على الخطوط ، وزاد الموقف ارتباكا .

□

■ ■ وفي إسرائيل كان القلق حقيقيا يختلف عن المرات التي تقوم فيها إسرائيل بافتعال الخطر لكي تستغل الشعور به سواء داخلها أو خارجها ، وحيث يزداد الاهتمام بأمنها وضماناتها .

وفي ربيع ١٩٦٣ وبعد الشكل الذي أخذته الحوادث في الجزائر واليمن ، ثم في العراق وسوريا - فإن القلق في إسرائيل كان حقيقيا هذه المرة . وطوال شهر أبريل سنة ١٩٦٣ (الوقت الذي كانت تجري فيه محادثات الوحدة في القاهرة) كان مجلس الوزراء الإسرائيلي في حالة انعقاد شبه دائمة ، سواء على مستوى المجلس بأكمله ، أو على مستوى مجموعة الأمن والدفاع فيه .

وفي ٢٦ أبريل ١٩٦٣ كتب « دافيد بن جوريون » إلى الرئيس الأمريكي « جون كنيدي » خطابا يمكن أن تعتبر محتوياته ونقاطه تلخيصا قريبا إلى حد كبير لما كان يدور في مناقشات مجلس الوزراء . وقد حدد « دافيد بن جوريون » في خطابه إلى « كنيدي » أربع نقاط رئيسية :(٣)

(٣) دراسة على وثائق العلاقات الأمريكية الإسرائيلية قام بها الجنرال « موردخاي جازيت » ، مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية ، ونشرها معهد « شلواح » لدراسات الشرق الأوسط وأفريقيا بجامعة تل أبيب سنة ١٩٨٣ .

١ - إن التعهد بإقامة اتحاد عسكري بين الدول العربية الثلاث (مصر - سوريا - العراق) يتضمن وعدا بالعمل على تحرير فلسطين ، وهذا التحالف العسكري في حد ذاته سوف يؤثر سلبيا على استقرار ، وأمن إسرائيل .

٢ - إذا حدث اختبار للقوة ، فإن إسرائيل تعتقد أن في استطاعتها إلحاق الهزيمة بالدول الثلاث ، وإن كانت لا تتحرق شوقا إلى مثل ذلك .

٣ - إن المساعدات الغربية والأمريكية للجمهورية العربية المتحدة قد ساعدتها على أن تحصل على الأسلحة السوفيتية لأي عمل ضد إسرائيل دون أن يختصم ذلك من ميزانيات التنمية .

٤ - إن الحل الفعال الوحيد لدرء خطر مخططات الجمهورية العربية المتحدة يكمن في إعلان أمريكي - سوفيتي مشترك يضمن السلام الإقليمي والأمن لدول الشرق الأوسط ، ويترتب عليه قطع كل أنواع المساعدات الاقتصادية والعسكرية لأي طرف يرفض الاعتراف بجيرانه .

وقد ركز « بن جوريون » في خطابه على قوله : « إنه يعتبر الموقف خطيرا إلى درجة أنه على استعداد للقيام بزيارة سرية يلتقي فيها مع الرئيس كنيدي دون إعلان أو دعاية لبحث الموقف » . وأضاف إلى ذلك أنه « مع عرفانه الشديد لأهمية صفقة صواريخ الهوك التي قدمتها الولايات المتحدة لإسرائيل ، فإن مجلس الوزراء الإسرائيلي ليس في مقدوره أن يعتبر صواريخ الهوك رادعا كافيا في مواجهة الأسلحة الهجومية الجديدة التي يتزود بها جيران إسرائيل » .

ورد « كنيدي » على هذا الخطاب من « بن جوريون » وقام سفيره في إسرائيل « والوورث باربور » بتسليم رده إلى رئيس وزراء إسرائيل « دافيد بن جوريون » الذي قرأه في حضور السفير ، ثم أبدى خيبة أمله . وحاول السفير الأمريكي أن يشرح لرئيس الوزراء الإسرائيلي أن أي رد أكثر صراحة على رسالته يمكن أن يحدث آثارا غير مواتية في الأردن ، وفي هذه الأوقات التي تثور فيها المتاعب في عمان . ورد « بن جوريون » على السفير « والوورث باربور » قائلا: « إن هذه الاضطرابات الجارية في الأردن الآن تواجهنا باحتمال أن نستيقظ ذات صباح فإذا على الضفة الغربية أمامنا قوات من المصريين والعراقيين والسوريين . أو قد نجد أن الجيش الأردني قد وضع تحت قيادة مصرية ، وهذا وضع لا يمكن احتماله بالنسبة لإسرائيل » .

وحاول السفير الامريكى طمأنة رئيس الوزراء الاسرائيلى قائلا له : « إن تقديرات المخابرات الامريكية تشير إلى أن الوحدة بين مصر وسوريا والعراق ليست وشيكة الوقوع كما يتصور ، وأن الوحدة العربية لن تتحقق لسنوات طويلة . وفى كل الاحوال ، فإن تحالف الدول الثلاث لن يؤثر كثيرا على التفوق الاسرائيلى . »

وخلال المناقشة أحس « بن جوريون » أن الرئيس الأمريكى ليس متحمسا لاقتراحه (أى اقتراح « بن جوريون ») بإصدار بيان أمريكى سوفيتى . وهكذا فى نفس الجلسة فإن « بن جوريون » اقترح أن يكون البديل ـ وهو يراه أكثر فاعلية ـ أن يكون هناك حلف دفاعى بين إسرائيل والولايات المتحدة تتعهد به الولايات المتحدة ان تقدم لاسرائيل من السلاح ما يوازى ما تحصل عليه مصر وبقية الدول العربية . وعند هذه النقطة استفاض « بن جوريون » فى الحديث عن المشروع النووى المصرى ، وعن مشروع صناعة الصواريخ فى مصر . وتوقف « بن جوريون » كذلك طويلا أمام العلماء الألمان الذين تستخدمهم مصر فى ابحاث صناعة الطائرات والصواريخ .

□

ولم تكن ضغوط إسرائيل و « بن جوريون » مقصورة على تبادل الخطابات والرسائل ، أو الحوار مع الرئيس « كنيدى » أو مع سفيره فى إسرائيل ، وإنما راحت إسرائيل تحرك كل الموالين والمتعاطفين معها فى واشنطن خصوصا فى الكونجرس ، وفى الصحافة والتليفزيون . وعندما عقد الرئيس « كنيدى » مؤتمرا صحفيا يوم ٢٦ أبريل ١٩٦٣ كانت معظم الأسئلة التى وجهت إليه تدور حول الخطر الذى تتعرض له إسرائيل ، وصناعة الصواريخ والطائرات فى مصر ، والعلماء الألمان الذين يعملون فيها .

وفى نفس الوقت كانت الريح تهب من الكونجرس على البيت الأبيض شديدة وصاخبة . ولم تقتصر مطالب الكونجرس على الالحاح لتزويد إسرائيل بما تحتاجه من الأسلحة ، وإنما بدأ التوقيع على مذكرات تطالب الرئيس بوقف المساعدات الأمريكية عن الجمهورية العربية المتحدة . وقام « كنيدى » بإرسال مساعد وزير الخارجية « ايفريل هاريمان » المعروف بعلاقاته الوثيقة مع الكونجرس ، لكى يستمع إلى أعضائه ويتحدث إليهم . ثم طلب « كنيدى » إلى مجلس الأمن إجراء تقييم جديد للأوضاع فى الشرق الأوسط . واقترح « روبرت

ومر »(٤) . وهو رئيس مجموعة العمل الخاصة فى مجلس الامن القومى المسؤولة عن الشرق الأوسط ـ ان يسافر بنفسه إلى المنطقة ، لكى يتحسس نبضها ويقيس درجة حرارتها بنفسه ، كما قال . وجاء « كومر » إلى المنطقة لا . وزار عددا من العواصم العربية بما فيها القاهرة ، وكانت إسرائيل هى المحطة التى توقف فيها طويلا فى أثناء جولته فى المنطقة .

٢

وبتاريخ ٢٧ مايو ١٩٦٣ بعث الرئيس « كنيدى » إلى « جمال عبد الناصر » خطابا يمكن اعتباره نقطة تحول فى المراسلات الدائرة بين الرجلين . قبلها كان الموضوع المطروح على اهتمامهما هو الأزمة فى اليمن . وكانت الاتصالات بينهما فى هذا الشأن قد توقفت قرابة شهرين بدا خلالهما أن ترتيبات فض الاشتباك فى اليمن سائرة فى طريقها برغم العثرات والعقبات .

والآن وفى الرسالة الجديدة (يوم ٢٧ مايو) لم يعد الموضوع هو أزمة اليمن فقط ، وإنما اتسع نطاق الموضوع فإذا هو يشمل إسرائيل والمفاعلات النووية والصواريخ وضغوط الكونجرس ، الخ . وكان « كنيدى » فى نهاية خطابه يتقدم إلى « جمال عبد الناصر » باقتراح أن يوفد ممثلا شخصيا على مستوى عال لكى يقابله فى القاهرة ، ويتباحث معه فى هذه الموضوعات كلها . وكان نص رسالة « كنيدى » كما يلى :(٥)

(٤) كان « روبرت كومر » شخصية غريبة ، وكانت خدمته كلها فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، ومنها اختاره « ماك جورج باندى » مستشار الرئيس للأمن القومى لكى يعمل معه مختصا بالشرق الأوسط ، وكان ذلك هو الذى جعله مسؤولا عن مجموعة العمل الخاصة بالشرق الأوسط فى مجلس الأمن القومى . وفيما بعد عين « كومر » سفيرا للولايات المتحدة فى انقرة ، وسبقته إلى هناك سمعته بالخدمة فى وكالة المخابرات المركزية ، وتسربت فى ذلك الوقت وثيقة أكدت للأتراك دوره البارز فى العمليات السرية لهذه الوكالة . واستقبلته فى انقرة مظاهرات عدائية ، واضطرت حكومته إلى سحبه والاعتذار رسميا عن تعيينه للحكومة التركية .

(٥) مجموعة اوراق « كنيدى » الخاصة ، وهى محفوظة فى مكتبته ، وكذلك وثائق ملفات وزارة الخارجية الامريكية . وتوجد كذلك نسخة من هذه الرسالة فى ارشيف منشية البكرى ، كما توجد نسخ منها فى وزارة الخارجية المصرية ، والقيادة العامة للقوات المسلحة .

« عزيزى الرئيس ناصر

رجوت السفير بادو بان يقدم إليكم هذه الرسالة ويتحدث معكم فى شانها . اما وعملية فض الاشتباك فى اليمن تقترب من بدايتها ، على ما هو مؤمل ، فقد بدا لى من المستصوب ان اعاود الاتصال فى ضوء تطورات بضعة الاشهر الأخيرة .

إن سياسة الولايات المتحدة ، كما شرحتها لكم ، لم تتغير ، ولست ارى فى الوقت الحالى سببا لتغييرها . وطبيعى ان الكونجرس يضطلع ايضا بدور رئيسى فى الامور المتعلقة بالمعونة . ولكن سياستى تتحصل فى مواصلة برامجنا المتعلقة بالمعونة الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة ، وآمل ان يواصل الكونجرس رؤية الأمور على هذا النحو ايضا .

لقد شدت انتباهى يا سيادة الرئيس عدة نقاط وردت فى خطابكم الأخير إلىّ . إذ قلتم إن الجمهورية العربية المتحدة لا تعتبر ان رسالتها تتمثل فى توزيع الثورة بطريقة عشوائية على الشعوب الأخرى فى العالم العربى ، واعربتم عن اعتقادكم بان افضل ما تستطيع الجمهورية العربية المتحدة تقديمه من حيث رسالتها الثورية إزاء العرب هو ان تكون نموذجا عمليا لقدرة العربى على تطوير حياته صوب مستقبل افضل . وإننا لنتعاطف مع هذا الاعتقاد ، ولهذا السبب عينه حاولنا ان نكون عونا للجمهورية العربية المتحدة فى إيجاد النموذج العملى ، وظللنا نسعى فى هذا السبيل .

وفى الوقت عينه ، فإنى واثق من انكم تشاطروننى قلقى خشية ان تحدث فى الفترة الحالية للمناورة والتقلب فى الشرق الأدنى تطورات غير مواتية تسبب لكلينا مشكلات ، ولهذا السبب اود التعبير بصراحة عن « لماذا انا قلق ؟ »

□ اولا – إنى لمنزعج اشد الانزعاج لانه إذا اصبح الأردن ميدانا لصراع عربى ، فإن التدخل الاسرائيلى فى الأردن كفيل بتدمير سلام الشرق الأوسط بحجة المصالح الأمنية الخاصة لاسرائيل . وربما واجهنا امرا واقعا ، فإذا رات الدول العربية الأخرى انها ملزمة بالرد على مثل هذا الموقف ، فربما ترتب على ذلك صراع كبير ، وهو صراع يوحى تقييمنا له بان القوات العربية ربما كانت بلا اى مزية منه .

□ وثانيا – إن سباق التسلح يحمل بذور الكارثة ايضا بالنسبة لنا جميعا ، ونحن مغتبطون لانه ليس بين دول الشرق الأدنى دولة استحدثت الأسلحة النووية ، وسنواصل النصح بعدم اتباع هذه السياسة . وإن التقدم الجارى فى استخدام الطاقة النووية فى الأغراض السلمية فى إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ليبشر بالرفاهية لشعوب المنطقة . على انه إن لم توجد ضمانات كافية ، فلعل مفاعلات الطاقة تحول إلى اغراض عسكرية . ومن هنا تستطيع إسرائيل ان تمتلك القدرة على استحداث اسلحة نووية فى بضع السنين المقبلة إذا ما حولت جهودها صوب هذا الاتجاه . إن القذائف الهجومية التى يجرى اليوم استحداثها فى كل من إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة من شانها بدورها ان تضيف بعدا جديدا خطيرا ، ولابد من درء هذه المخاطر بكيفية ما .

□ وثالثا – الولايات المتحدة تدرس بصورة عاجلة ما يتعين عمله للمساعدة على تفادى حدوث اضطراب خطير فى المنطقة . ونحن فى هذا المسعى نضع نصب اعيننا آراء العرب ومصالحهم بكل شدة . وإذا كانت مسالة امن إسرائيل ووحدة اراضيها – باعتبارهما من الاهتمامات العميقة والمستمرة للولايات المتحدة – لم تحل حتى هذه النقطة دون نمو علاقات ودية بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، فإنى آمل الا تحول دون ذلك فى المستقبل . وايا كان ما نستكشفه من تدابير او ما نعيد إعلانه من سياساتنا مما نشعر باننا ملزمون بإجرائه بسبب الوضع الناشىء ، فلن يكون هذا معاديا للجمهورية العربية المتحدة ، ولا نحن ضد وحدة عربية يتم اختيارها بحرية على ما اوضحت لكم . وإننا لنؤيد عملية صبغ العالم العربى بالصبغة العصرية ، كما اعتقد اننا اظهرنا ذلك فى اليمن . على اننا مهتمون طبعا بالا تكون هذه الحركات على حساب امن إسرائيل ، او الدول العربية التى إذ تاخذ نفسها بالنظم العصرية ، تفضل الابقاء على انظمة الحكم الحالية فيها . وبالمثل فإذا كنا نعارض العدوان من دولة ضد دولة اخرى فى المنطقة ، فالذى نعنيه ليس اعتداء العرب على إسرائيل وحسب ، وإنما نعنى ايضا اى اعتداء إسرائيلى ، وهو ما برهنا عليه فى عام ١٩٥٦ ، وما نعنيه بنفس القدر فى يومنا الحالى .

وصفوة القول اننا سنزن اقوالنا وافعالنا بالدقة ، وبالقدر الذى تبدو ضرورته لكى نوضح المبادىء الأساسية لسياستنا . ويهمنا ان ننهج سبيلا متعادلا مع جميع اصدقائنا ، ونامل الا يصبح هذا الأمر صعبا علينا بلا ضرورة . ويهمنى ، بموافقتكم ، ان اوفد مساعدا موثوقا به لكى يقابلكم فى القريب بشان بعض من هذه الأمور .

المخلص

جون ف. كنيدى »

□

ويوم ٧ يونيو رد « جمال عبد الناصر » على رسالة « كنيدى » وتعمد أن يكون رده عليها مفصلا ، وكان نص خطابه إلى الرئيس الأمريكى كما يلى :(٦)

« عزيزى الرئيس كنيدى

تسلمت خطابكم بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٦٣ ، وقبل ان ابدى بعض الملاحظات عليه ، فإنى اود ان اكرر لكم شكرى على كل الجهود التى بذلتموها وتبذلونها من اجل الوصول إلى حل للازمة التى وقعت نتيجة لما تعرضت له الثورة اليمنية من تهديد وجه إليها من خارج الحدود .

---

(٦) اصل الرسالة موجود فى ارشيف منشية البكرى ، وتوجد نسخ منه فى ملفات رئاسة الوزراء ، ووزارة الخارجية ، والقيادة العامة للقوات المسلحة .

وما من شك ان شعوب الأمة العربية تقدر كل جهد يبذل لتحقيق السلام القائم على العدل ، وليس يقلل من قيمة جهودكم فى تقديرنا ان الطرف الآخر ما زال يحاول ، حتى الآن ، مواصلة نشاطه العدوانى ضد ثورة اليمن ـ لقد بذلتم جهودا مخلصة ، ونرجو ان تمكن إجراءات الرقابة الدولية من تدعيم هذه الجهود بما يحقق هدفها ، ولا يترك مجالا لاحتكاكات على حدود جمهورية اليمن يمكن ان تكون لها آثار بعيدة .

وانتقل بعد ذلك إلى ما اود إبداؤه من ملاحظات ارجو ان تتقبلوا صراحتى فى عرضها ، فكل هدف منها هو تعميق التفاهم بيننا ، وتوضيح فكر كل منا امام الآخر على نحو محدد وامين :

□ اولا ـ لابد لى ان اسجل عرفانى للمساعدات التى تقدمها لنا الولايات المتحدة الأمريكية ، إن هذه المساعدات ، بغير جدال ، تزيد من سرعة التقدم الذى يضطلع به شعب الجمهورية العربية المتحدة ، ليكون ، فضلا عن قيمته الذاتية له ، نموذجا بناء فى العمل الثورى امام كل الشعوب المتطلعة بحق إلى حرية الوطن وحرية الانسان المواطن .

ومن هنا فإن هذه المساعدات فى راينا لا تخدم الأمل العربى وحده ، وإنما هى تخدم امل الانسان فى كل البلاد المتطلعة إلى غد افضل . ولقد اشرتم إلى دور الكونجرس الأمريكى فى تقرير المساعدات الأمريكية ، ولست اخفى عليكم ان تصريحات بعض اعضائه بصدد هذه المساعدات تحدث فى بلادنا آثارا كان يمكن لها ان تقلل من حماستنا لها ، لكن ذلك يعوضه شعورنا بالجهد الذى تبذلونه لاقرارها ـ كذلك فنحن نفهم طبيعة الضغوط التى يتعرض لها بعض اعضاء الكونجرس من قوى تملك كل إمكانيات التاثير ـ وتصدر فى اعمالها عن مصالح غير امريكية ، على اننا نؤمن دائما بانتصار الحق مهما واجهته المصاعب .

□ ثانيا ـ لقد اشرتم إلى الاضطرابات التى حدثت فى الأردن ، وانا اود ان اتوجه بكل شرف إليكم بسؤال :

ـ ما الذى سبب هذه الاضطرابات ؟

إن هذه الاضطرابات كانت رد فعل مباشر للسياسة الخاطئة التى تورطت فيها حكومة الأردن ضد النظام الثورى فى اليمن ـ هذه هى الحقيقة وليس من حقنا جميعا ان ننساها .

إن تورط الحكومة الأردنية فى الأعمال المعادية للثورة اليمنية احدث تمزقا فى القوات المسلحة الأردنية التى امر افراد منها بسفك دماء إخوة لهم فى الوطن وفى المصير ، وقد عكس هذا التمزق نفسه فى عملية مجىء قائد سلاح الطيران الأردنى بنفسه إلى القاهرة لاجئا سياسيا ، وتبعه فى اليوم التالى اثنين من طياريه بطائراتهم الحديثة من طراز « هنتر » يريدون الانضمام لصفوف الثورة فى اليمن ويرفضون ، حتى وإن كان الأمر صادرا إليهم من حكومتهم ، ان يقفوا فى الصف المعادى للثورة .

ولقد سرى رد الفعل الذى ظهر تمزقا فى القوات المسلحة فى سلسلة متداعية ، فظهر فى صفوف مجلس النواب الأردنى برغم كل الاجراءات التى اتخذت اثناء انتخاباته لضمان سيطرة الحكومة عليه ـ ثم تفجر ذلك كله غضبا شعبيا عبر عن نفسه بقوة ووضوح فى اول مناسبة مكنته الظروف منها .

واضيف إلى هذا تفصيلا اكثر .

لعلكم تعرفون انه كانت تربطنى شخصيا فى يوم من الأيام صداقة بالملك سعود ، وفى تلك الأيام فلقد كنت اعرف ان هذه الصداقة تتصادم مع الواقع الذى يمثله كل منا ، لكنى مع ذلك كنت حريصا على هذه الصداقة لأسباب كثيرة ليست كلها مما يدخل فى باب العاطفة ، لقد كنت اعرف طبيعة النظام الملكى فى السعودية ، وكنت اعرف انه متعارض مع طبيعة العصر ذاتها ، ولقد كنت اتمنى لو استطاعت صداقتنا مع الملك سعود ان تنبهه تدريجيا إلى اتجاهات اكثر ملاءمة مع طبيعة العصر ، ويشهد الله اننى لم اقصر ابدا فى مصارحته بكل ما اعتقده خيرا له وخيرا لبلاده ، وكان اقصى مناى لو استطاع الملك ان يمد بصره إلى بعيد ، وان يسبق التطور المحتوم ويمهد للتقدم ، ولا يعرض بلاده واسرته لتجربة لا مفر منها إذا ما سارت الأمور فيما كانت تسير فيه ، خصوصا فى مثل الأوضاع التى تسود بلاده .

ومن سوء الحظ ان الملك لم يسمع ، واكثر من ذلك اندفع يحاول ان يفرض على المنطقة اتجاها معاكسا لاتجاه مسيرها التقدمى ، ومن هنا مشاكله ، ومشاكل كل النظم التى تسير فى طريق بعيد عن امانى شعوبها .

ولقد كنت وما زلت اؤمن انه خير ما يستطيعه هؤلاء الذين لا يستطيعون مسايرة التقدم ، هو ان يتواروا ولا يعترضوا مساره الحتمى .

إنهم بمحاولتهم التصدى للتقدم لا يحققون اكثر من تعويقه قليلا من الوقت ، لكنهم يعرضون انفسهم لمخاطر محققة .

وهكذا ، فإنه فى الأردن ، وفى السعودية تقع مسؤولية المتاعب الداخلية اولا واخيرا على الذين ينسون انه لا شىء يستطيع التصدى لارادة الحياة الجديدة .

□ ثالثا ـ تحدثتم باستفاضة عن سباق التسلح فى الشرق الأوسط ، وعن احتمالاته الخطيرة ، ولقد تابعت على كل حال الضجة الكبيرة التى اثيرت فى عواصم العالم كلها ضد الجمهورية العربية المتحدة بسبب ما نشر عن استعداداتها للدفاع عن نفسها ، وتحاول إسرائيل ، فى هذه الظروف بالذات ، ان تثير مسالة استعانة الجمهورية العربية المتحدة ببعض العلماء الألمان .

ولقد كنا نتوقع هذه الضجة ونحسب حسابها ، وفى ظننا انها سوف تزيد مرات عما هى عليه الآن بقصد التاثير على الراى العام الأمريكى ، وعلى مؤسساته الدستورية فى ظروف تقترب فيها الانتخابات العامة ، خصوصا انتخابات الرئاسة

إن هذه الضجة كلها تستهدف إحداث نتيجتين :

١ - زيادة حصيلة صناديق الجباية الاسرائيلية تحت إنذار الخطر الموهوم .

٢ - الإساءة للعلاقات النامية بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة ، والشعوب العربية بوجه عام .

إن إسرائيل تعرف ان جو الصداقة يفتح آفاق النية الحسنة ، وبالتالى يمكن من التعاون الحر المثمر ، كما انها تعرف ان جو الشك يصبح هو نفسه السياسة المفروضة على كل الأطراف مهما كانت نواياها .

ولقد لفتت نظرى فى خطابكم عبارة قلتم فيها « إنه فى تقديركم إذا نشبت معركة مسلحة بين العرب وإسرائيل ، فإن القوات العربية قد لا تكون فى مركز المتفوق » .

إن هذه العبارة تدفع إلى تساؤلات كثيرة ، خصوصا إذا ما لاحظنا ان الجمهورية العربية المتحدة لم تبدا ابدا بعدوان وإنما كان العدوان دائما من الجانب الآخر المعادى لها .

هذه التساؤلات :

١ - إذا كانت الولايات المتحدة ترى تفوق إسرائيل فى السلاح ، فلماذا تبيع لها المزيد منه ، كما حدث اخيرا بتزويدها بالصواريخ من طراز « هوك » ؟

٢ - إذا كان الأمر كذلك ، ومع ثبوت نوايا العدوان الاسرائيلى بالتجارب ، تجربة بعد تجربة ، الا يصبح من حق الطرف العربى ان يصحح موقفه ، وان يكون على استعداد لمواجهة الأسوا ؟

□ رابعا - اشرتم إلى موقف الولايات المتحدة الامريكية من الصراع العربى - الاسرائيلى ، ومحاولاتها الوصول به إلى حل ، وإنى لأسمح لنفسى هنا ان اذكركم بما تشرفت بإبدائه لكم فى خطاب سبق ، وهو اننى اصلى إلى الله من اجل يوم تواجه فيه الولايات المتحدة مشاكل الشرق العربى بوحى من المبادىء الأمريكية والمصالح الأمريكية . إن السلام لا يقوم - فى راينا - إلا على العدل ، وبغير عدل لا يكون سلام ، وسلام الأمر الواقع ليس سلاما حقيقيا ، وإنما هو هدنة يحكمها تغير موازين القوى التى تخلق امرا واقعا جديدا .

وليس يخالجنى شك ان ميزان القوى يتجه إلى صالح العرب ، فإن هنا ، فى هذه المنطقة ، من الخليج العربى إلى المحيط الاطلسى ، امة عربية سوف تتحد يوما مهما طال عناؤها فى سبيل وحدتها ، وذلك امر جربته الأمة الأمريكية العظيمة ذاتها فى تجربة وحدتها . وإذن فاى سلام يمكن ان يقوم على الأمر الواقع اليوم ، ويقدر على مواجهة الغد إذا لم يكن على العدل سنده ؟

إننى افتح لك قلبى مؤمنا بحقك علىّ ، كصديق ، ان اضع امامك صورة دقيقة لما اؤمن به .

وبعد فلقد اشرتم - يا عزيزى الرئيس - فى ختام خطابكم إلى انكم تريدون إرسال

احد معاونيكم لمقابلتى والتحدث إلىّ بشان بعض ما اشرتم إليه فى خطابكم . وإنه ليسعدنى دائما ان استقبل من ترون إرساله من معاونيكم لهذا الغرض . ولسوف تكون حفاوتنا الحقيقية به ، كممثل لكم ، ان نتحدث إليه فى صراحة الأصدقاء وإخلاصهم .

إمضاء
جمال عبد الناصر »

□

وفى ١٥ يونيو ١٩٦٣ رد « كنيدى » على رد « جمال عبد الناصر » عليه ، وكان نص رده كما يلى :(٧)

« عزيزى الرئيس ناصر

تلقيت رسالتكم المؤرخة فى ٧ يونيو وقراتها باهتمام . وإنى لأرحب بالصراحة التى اعربتم بها عن آرائكم فيها . وكما اشرتم بحق ، فإنه بمثل هذه الصراحة يمكن تحقيق فهم افضل لمشكلاتنا المشتركة . وسابقى لا اقل صراحة فى عرض المسائل التى تهم حكومتى .

وبادىء ذى بدء ، دعنى يا سيادة الرئيس اعرب عن اغتباطى الشخصى لانه ترتب على الاجراء الذى اتخذه مجلس الأمن فى ١١ يونيو ان اتخذ مراقبو الأمم المتحدة طريقهم الآن إلى اليمن . وبات الآن ميسورا الشروع بكل صدق فى فض الاشتباك . وإن الدور البناء الذى قام به وفدكم فى الأمم المتحدة ، وسفارتكم فى واشنطن للمساعدة على تحقيق ذلك ، لهو دور جزيل الفائدة . ولست ارى اى بديل عمل لكون جميع الأطراف تعمل على جعل فض الاشتباك المذكور عملا ناجحا .

ثانيا ، عند النظر فى الدائرة الكاملة للمشكلات التى يواجهها كلانا ، فالذى انا مقتنع به هو انه لا يوجد ما هو اهم من مشكلة استمرار سباق التسلح فى الشرق الادنى . وفى الفترة الأخيرة شهدت كل سنة منقضية مزيدا من الأسلحة المتطورة تدخل إلى المنطقة . وما لم يتم كبح جماحها ، فقد تصبح حتى الأسلحة النووية امرا محتملا فى المستقبل غير المفرط فى نايه . واعتقد ، كما اوضحت فى رسالتى المؤرخة فى ٢٧ مايو ، ان من المفيد إرسال مساعد موثوق به لكى يقلب الراى معكم فيما يمكن لنا القيام به سوية لوقف هذا التصعيد الخطير فى سباق التسلح .

وقد طلب لى ان اسمع من السفير بادو انكم ترحبون بزيارة هذا الممثل الشخصى ، وقد رجوت السيد جون ج. ماكلوى ان ينوب عنى فى التحدث فى هذا الشان . والسيد ماكلوى هو من ابرز مواطنى امريكا ، وله فى الخدمة العامة سجل طويل ، وفى مجال الحد من الأسلحة تجربة لا نظير لها . وهو يتمتع بثقتى الكاملة . والذى

(٧) مجموعة الأوراق الخاصة للرئيس الامريكى ، جون كنيدى .

فهمته هو انه يناسبكم استقبال السيد ماكلوى بين يومى ٢٦ يونيو و ٢٩ يونيو ، وساطلب منه زيارة القاهرة فى هذه الفترة .

وسيرافق السيد ماكلوى اثنان من رجال وزارة الخارجية لمساعدته . وأمل ان توافقوا على عقد هذه المباحثات فى سرية تامة دون نشر شىء عنها رغبة فى ضمان جدواها .

المخلص

جون ف. كنيدى »

٣

بدأ المستر « جون ماكلوى » المبعوث الخاص الذى اختاره الرئيس الأمريكى « جون كنيدى » لبحث التطورات والأحوال فى الشرق الأوسط على الطبيعة وبعد كل ما طرأ من المستجدات ـ يستعد لزيارة المنطقة ، وكانت وجهته الأساسية فى رحلته هى مصر وإسرائيل بالذات . وقدم له « روبرت كومر » مجموعة من التقارير المتوافرة لدى مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض . ومن جانبه قام « ماكلوى » بزيارة مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى ضواحى واشنطن ، وقد حضر اجتماعا مطولا للتعرف على الحقائق والمعلومات عقد فى مكتب « جون ماكون » مدير الوكالة ، وكان أبرز الحاضرين فيه هو « جيمس أنجلتون » مساعد مدير الوكالة وزعيم التيار المنادى داخل الوكالة بأن إسرائيل هى الصديق الحقيقى الذى يمكن الاعتماد عليه فى المنطقة .

كان « جيمس أنجلتون » هو مدير العمليات الخاصة للوكالة إلى جانب كونه مساعدا لمديرها ، وكان (وقد سبقت الاشارة إلى ذلك) هو المشرف على ميزانية « الصندوق الاسرائيلى » الذى أنشىء من أيام الحرب العالمية الثانية لمساعدة اليهود فى أوروبا ، ثم تحول بعد الحرب لكى ينظم عمليات جمع المعلومات التى تقوم بها بعض « العناصر اليهودية » التى تعيش فى البلدان الشيوعية بما فيها الاتحاد السوفيتى .

واثبتت هذه المهمة الجديدة فائدتها القصوى(٨) ، وزادت قيمة « الصندوق الاسرائيلى » كما زادت بشدة سقوف اعتماداته !

والآن وفى الاجتماع الذى عقد فى مكتب « ماكون » أحس « جون ماكلوى » أن « جيمس أنجلتون » متحمس إلى درجة زائدة لمشروع إسرائيل النووى فى « ديمونة » ، بل وسمع بعد الاجتماع من همسوا فى أذنه بأن « أنجلتون » بالتعاون مع إسرائيل يشحن لها بعض المعدات والمواد اللازمة لمشروعها النووى ، ويصرف عليها من موازنة « الصندوق الاسرائيلى » .

ولقد أدرك « ماكلوى » أن مهمته أصعب مما قدر .

ورأى « ماكلوى » أن يفضى إلى الرئيس « كنيدى » ببعض مخاوفه ، وأولها أن تنجح إسرائيل فى مشروعها النووى الأمر الذى سيفرض على العرب أن يبحثوا لأنفسهم عن مخرج نووى .

وتكشف الوثائق الأمريكية أن « كنيدى » طلب تقدير وكالة المخابرات المركزية عن قدرات إسرائيل النووية ، ولفت النظر أن رد الوكالة عليه كان غريبا فى لهجته فقد جاء فيه بالنص ما يلى :(٩)

« إن أى صرخات يطلقها العرب (حول المشروع النووى الاسرائيلى) سوف تنتهى بالاحباط ، ولن يجدوا أمامهم طريقا مفتوحا لمعادلة إمكانيات الانجاز الاسرائيلى . فنحن لا نعتقد أن الاتحاد السوفيتى على استعداد لتقديم سلاح نووى إلى الحكومات العربية . فليس معقولا من وجهة نظرنا أن يقدم الاتحاد السوفيتى إلى مثل هذه الأنظمة أنواعا من نظم السلاح لم يقدمها إلى توابعه فى الكتلة الشرقية . إن الاتحاد السوفيتى ليس أمامه إلا محاولة استغلال الفرص السياسية » .

□

قبل أن يغادر « جون ماكلوى » واشنطن فى طريقه إلى المنطقة وقع تطور لم يحسب له فى إسرائيل . ففى أواخر شهر يونيو قدم « دافيد بن جوريون » استقالته

---

(٨) استطاع اليهود فى الاتحاد السوفيتى الحصول على نص الخطاب السرى الذى القاه الزعيم السوفيتى نيكيتا خروشوف ، فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى (فبراير ١٩٥٨) والذى تضمن هجوما حادا على عهد « ستالين » ، والذى احدث تسريبه بواسطة وكالة المخابرات المركزية ضجة كبرى فى العالم ادت إلى حرج شديد للقيادة السوفيتية ، وللحزب الشيوعى السوفيتى .

(٩) نص من مذكرة وقعها رئيس لجنة التقديرات فى الوكالة ، وهو المستر « شيرمان كنت » ، والنص الكامل للمذكرة موجود فى مكتب الرئيس « جون كنيدى » بالصندوق رقم ١١٩ .

من رئاسة الوزارة فى إسرائيل بعد ان استفحلت الصراعات والانقسامات بين الأحزاب والكتل المشاركة فيها ـ وقامت وزارة جديدة برئاسة « ليفى أشكول » .

واتصل « جون ماكلوى » بالرئيس « كنيدى » يسأله ما إذا كانت الظروف ما زالت مناسبة فى رأيه للمضى فى مهمته فى الشرق الأوسط بعد استقالة « دافيد بن جوريون » أو أن الأنسب هو التأجيل حتى تستقر الوزارة الاسرائيلية الجديدة برئاسة « ليفى أشكول » وتقوم بـ « إعادة دراسة الملفات » . وقام الرئيس « كنيدى » بطرح المسألة من جديد فى مجلس الأمن القومى ، وكان الغريب أن « ماك جورج باندى » مستشار الأمن القومى فى البيت الأبيض اتصل بـ « ماكلوى » تليفونيا بعد جلسة مجلس الأمن القومى ، وأبلغه بأن « **الرئيس يرى أن تمضى فى مهمتك ، وأن تقتصر المهمة على القاهرة فقط لأن الاسرائيليين فى ظروفهم السياسية الطارئة بالتغيير الوزارى ليسوا مستعدين بعد لاستقباله** » .

بدا الأمر غريبا فى القاهرة عندما اتضح لها أنها المقصودة وحدها بمهمة « ماكلوى » ، وطلب « جمال عبد الناصر » من الدكتور « محمود فوزى » إعداد تقدير موقف سياسى لما يراه فى هذا الوضع . وكتب الدكتور « فوزى » بخط يده مذكرة جاء فيها :

« *السيد الرئيس*

١ ـ لقد فهمنا من رسالة كنيدى ان مهمة ماكلوى سوف تجرى بالتوازى على الناحيتين .

٢ ـ اقتصار هذه المهمة على القاهرة معناه انهم يريدون الحصول منا على وعود دون مقابل لها من الطرف الآخر .

٣ ـ قد ترون مناسبا ان يكون موقفنا موقف من يفسح صدره لما يسمع دون ان يربط نفسه بقرار نهائى .

٤ ـ قد تذكرون ان التجارب اثبتت لنا اننا نمارس السياسة بنوايا طيبة ، وليس ذلك مسلك الطرف الآخر . ثم نجد انفسنا ملزمين بوعودنا ، واما هم فلا يلزمون انفسهم بعهد ، وإذا تعهدوا فالعهد وسيلة لكسب الوقت تساعدهم على السير اسرع فيما هم فيه سائرون . »

□

ووصل « جون ماكلوى » إلى القاهرة ، وعقد اجتماعا مطولا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » حضره الدكتور « محمود فوزى » .

وفى أثناء الاجتماع تجلى لحظة بعد لحظة ان مخاوف الدكتور « محمود فوزى » كان لها ما يبررها ، فقد تبدت مطالب « ماكلوى » فى النهاية على النحو التالى :(١٠)

١ ـ إن الولايات المتحدة تطلب من مصر إيقاف برنامجها لانتاج الصواريخ .

[وسأله « جمال عبد الناصر » عن برنامج الصواريخ الاسرائيلى ، ورد « ماكلوى » بأنه سوف يذهب إلى إسرائيل فى رحلة اخرى يقوم بها مستقبلا إلى الشرق الأوسط ، وسوف يحاول الحصول منها على وعد مماثل . واضاف « ماكلوى » أنه لا يستطيع أن يضمن أن الرد الاسرائيلى سوف يكون فى ذلك الوقت إيجابيا لكنه يعتقد أن حصوله على رد إيجابى من مصر الآن يعزز موقفه أمام الاسرائيليين حين يقابلهم ، كما أن مثل هذا الرد الايجابى يثبت للرئيس « كنيدى » صدق نوايا الجانب المصرى ، كما يسهل موقفه إزاء الكونجرس فى موضوع المساعدات الاقتصادية لمصر .]

٢ ـ طلب « ماكلوى » أن تقوم الجمهورية العربية المتحدة بالاستغناء عن خدمات عالم الصواريخ الألمانى الشهير الدكتور « وولفجانج بيلز » باعتباره نازيا سابقا ، واضاف أن معلومات المخابرات الأمريكية أن « بيلز » كان هو الذى اشرف على تطوير صواريخ V-1 و V-2 التى وجهها « هتلر » إلى لندن فى المراحل الأخيرة من الحرب العالمية الثانية . كذلك طلب « ماكلوى » أن تستغنى الجمهورية العربية المتحدة عن خدمات الخبراء الألمان الذين يعملون مع « بيلز » .

[ورد « جمال عبد الناصر » بأن العالم كله بما فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يستخدم الخبراء الألمان فى الصواريخ . وأنه لم يسمع أن صوتا فى الولايات المتحدة ارتفع مطالبا بإخراج الدكتور « فون براون » المشرف على مشروع الصواريخ الأمريكى بدعوى أنه نازى سابق فى حين أنه كان كذلك ، وأكثر من الدكتور « بيلز » فى حماسته لألمانيا الهتلرية . وأضاف قائلا إن صناعة الصواريخ فى رأيه لا تعنى إنتاج الصواريخ كمجرد سلاح عسكرى ، وإنما هو يراها كما يرى صناعة الطائرات ـ محاولة عربية للتعرف على تكنولوجيا العلم الحديث . وأن مدرسة الخبراء المصريين المحيطين بالدكتور

---

(١٠) مذكرة كتبها الدكتور « محمود فوزى » بخط يده ، ثم تولت مكاتب الرئاسة طبعها على الآلة الكاتبة من خمس نسخ وزعت على : ارشيف منشية البكرى ـ رئيس مجلس الوزراء ـ وزير الحربية ـ وزير الخارجية ـ رئيس هيئة المخابرات العامة

« بيلز » والذين يتعلمون منه ومن زملائه هى فى رأيه أهم من مصنع الصواريخ .]

٣ ـ أشار « ماكلوى » فى حديثه إلى أن الولايات المتحدة ترى أنه يجب أن يكون لها فريق تفتيش على المنشآت النووية فى مصر بما فيها مفاعل « أنشاص » يكون له الحق فى زيارتها دوريا إلى جانب القيام بزيارات مفاجئة للتأكد من أنها باقية فى إطار « الذرة من أجل السلام » .

[ورد « جمال عبد الناصر » بأنه يعتبر ذلك تدخلا فى مسائل من صميم السيادة المصرية ، خصوصا وأنه يعلم بيقين أن الحكومة الاسرائيلية رفضت أن تعطى لحكومة الولايات المتحدة أية معلومات عن مفاعل ديمونة . بل إن الحكومة الاسرائيلية رفضت أن تسمح بزيارة وفد من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى لمفاعل ديمونة رغم إلحاح أعضاء هذا الوفد على « دافيد بن جوريون » شخصيا فى أثناء زيارة أخيرة لهم لاسرائيل .]

وعاد « جون ماكلوى » إلى واشنطن ليقول للرئيس « كنيدى » ـ فى تقرير قدمه إليه ـ صراحة إنه لم يحرز تقدما يذكر فى القاهرة ، وأنه يعتقد أن هذا التقدم لا يمكن إحرازه إلا إذا كان الجهد الأمريكى قادرا على أن يثبت وجوده فى إسرائيل بحيث تتأكد القاهرة أن هناك نوعا من التوازى ، أو التوازن فى المسعى الأمريكى .

□

كانت إسرائيل بكل ما تقدر عليه من وسائل ، وما يملكه أصدقاؤها من إمكانيات سياسية أو غير سياسية تحاول وقف برامج مصر غير التقليدية . ولم يكن اعتمادها على ما يبذله الرئيس « كنيدى » من جهود ، أو ما يقوم به مبعوثه الخاص من اتصالات . كانت فى حالة مزاج سوداوى تزين لها العمل المباشر مهما كانت مخاطره .

وفى ذلك الوقت تلقت القاهرة تقريرا حصلت عليه المخابرات اليوجوسلافية من روما ، وكان التقرير يشير إلى الحملة الواسعة والمركزة التى تقوم بها إسرائيل ضد العلماء الألمان بالتحديد . ويقول التقرير : **« إن هذه الحملة تحاول أن تثبت فى أذهان الرأى العام العالمى ثلاث نقط يزداد الالحاح عليها يوما بعد يوم :**

١ ـ إن هؤلاء العلماء الألمان آثروا خدمة مصر استمرارا لتعصبهم ضد اليهود ، وقد كان فى استطاعتهم الحصول على شروط وظروف أفضل للعمل فى الولايات المتحدة ، أو الاتحاد السوفيتى .

٢ ـ إن هؤلاء العلماء الألمان يعملون فى إنتاج أسلحة غير تقليدية بعضها محرم دوليا كالأشعاعات والأسلحة الكيماوية ، وهذا يجعلهم بمثابة مجرمى حرب .

٣ ـ إن إسرائيل لا تستطيع أن تقف موقف المحكوم عليه فى انتظار الحكم ، وإنما يتعين عليها أن تتصرف قبل أن يفوت الأوان . »

ومضى التقرير اليوجوسلافى بعد ذلك يقول : **« إن هيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلى قدمت إلى رئيس الوزراء « دافيد بن جوريون » قبل استقالته خطة عمل يقوم به سلاح الطيران الاسرائيلى مرة واحدة بغارة مفاجئة ومركزة على مصانع وقواعد الصواريخ المصرية فى الصحراء الغربية ، وتدميرها تدميرا كاملا وشاملا » .**

ثم يستطرد التقرير فيقول : **« إن الخيارات المفتوحة أمام مصر لمواجهة مثل هذه الغارة سوف تكون أحد احتمالين :**

١ ـ إما أن تلجأ مصر إلى الأمم المتحدة بشكوى ضد إسرائيل ، وفى هذه الحالة تستطيع إسرائيل إبراز حقها فى الردع المبكر فى الدفاع عن النفس .

٢ ـ وإما أن ترد مصر بالحرب معتبرة أن الغارة الاسرائيلية ضربة أولى ، وفى هذه الحالة ، فإن التفوق العسكرى سوف يسمح لاسرائيل بضربة إجهاض قبل أن تتغير خريطة الشرق الأوسط بالوحدة الثلاثية أو بأى عمل وحدوى غيرها ، وقبل أن يصل برنامج الصواريخ المصرى إلى حد النجاح الكامل . »

ولم يحدث ما توقعه التقرير ، ويبدو أن استقالة « بن جوريون » ومجىء « ليفى اشكول » بدلا منه غيّر الموقف على مستوى صنع القرار الاسرائيلى عند القمة ، ومع ذلك ، فإن أساليب العمل المباشر لم تتوقف .

□

وفى صيف ١٩٦٣ كان الدكتور « هاينز كروجر » وهو أحد مساعدى الدكتور « بيلز » قد سافر إلى ميونيخ فى ألمانيا الغربية لاجازة مع أسرته . وفجأة اختفى الدكتور « كروجر » ولم يعثر له على أثر ، وتأكد أنه خطف فى ميونيخ ، وأنه أرسل بطريقة ما إلى إسرائيل ، ومن يومها ضاع كل أثر له . وبعدها بأيام كان الدكتور « هانز كلاينفستر » وهو أحدى مساعدى الدكتور « بيلز » يقوم

بنزهة فى احد منتجعات الغابة السوداء فى المانيا الغربية ـ حين فوجىء بمجموعة رجال مسلحين يطلقون النار عليه ، وقد أصيب بجراح ، ولكنه نجا بمعجزة !

وفى أثناء احتفالات عيد الميلاد سنة ١٩٦٣ تلقت سكرتيرة الدكتور « بيلز » الآنسة « هيلدا ايكبرج » طردا تصورته يحمل هدية لها ، وكان بالفعل يحمل لها كتابا صدر حديثا فى ألمانيا . وفتحته ، وإذا بشحنة متفجرة تمزق وجهها وتصيبها بالعمى .

وكان الدكتور « بيلز » يقضى إجازة عيد الميلاد فى ألمانيا ، وفوجىء برسالة تدعوه إلى مقابلة المستشار الألمانى « لودفيج إيرهارد » . وذهب « بيلز » إلى موعده مع المستشار ، وإذا هو يقول له : « **إن الحكومة الألمانية ترى أن نشاطه فى مصر يعرضها لمشاكل كثيرة من جهات متعددة . وانه يرجوه باسم الوطن ان يجد لنشاطه مجالا آخر غير مصر** » !!

الفصل الثالث

السحب الزاحفة

١

عندما وصلت محادثات الوحدة الثلاثية إلى الطريق المسدود الذى وصلت إليه مع بدايات صيف ١٩٦٣ ـ لم يكن معنى ذلك أن الحوادث سوف يتوقف زحامها وتدافعها . أو أن الموقف يمكن تثبيته عند النقطة التى كان عليها . كان طبيعيا ان تكون هناك ردود فعل لتعثر محادثات الوحدة الثلاثية سواء على مستوى العمل العربى العام ، أو على مستوى الأقطار التى كانت معنية بها ، خصوصا إذا وضعت فى الاعتبار حقائق التناقضات الداخلية القائمة بين الأطراف التى قامت بالتغيير فى بغداد ودمشق .

والذى حدث أنه ما كادت محادثات الوحدة الثلاثية تقف أمام الباب المسدود ، حتى بدأ التراجع إلى مواقع الخلاف الذى لم يكن هناك سبيل إنسانى لايقافه . وشهدت بغداد تقلصات عنيفة توقفت عند النقطة التى تمكن فيها الرئيس « عبد السلام عارف » من الانفراد وحده بالسلطة وإزاحة حزب البعث رغم دوره الكبير فى حركة ٨ فبراير .

وفى سوريا تسارعت مشاهد الصراع بين الضباط الذين قاموا بحركة ٨ مارس فاختفى قائد هذه الحركة « زياد الحريرى » ونفى إلى أوروبا ، كما أزيح الفريق « لؤى الأتاسى » الذى كان قائدا عاما للقوات المسلحة ، ثم توالت عمليات السقوط

والاختفاء ، ولحقتها بالطبع عمليات الظهور والبروز لعناصر جديدة تحاول تأمين نفسها قبل أى اعتبار آخر .

وكانت تلك حالة تبعث على القلق فى المشرق العربى .

□

وفى جنوب شبه الجزيرة العربية كانت هناك شواهد كثيرة تدعو بدورها إلى القلق . وكانت جهود فض الاشتباك فى اليمن هى الأخرى أمام طريق مسدود ، فالأوضاع فى اليمن ما زالت هشة والعمليات العسكرية ما زالت تجرى ، وقد تعقد الموقف العسكرى أكثر بظهور عنصر المرتزقة الأجانب . وكانت المشكلة الملحة أن فريق مراقبى الأمم المتحدة الذى أوكلت إليه مهمة الاشراف على فك الاشتباك فى اليمن لم يعد فى استطاعته العمل لاختلاط المواقع ، كما أن المدة المقررة لمهمته وهى ستة شهور كانت قرب نهايتها ، وكذلك كانت الاعتمادات المالية المخصصة لتمويل مهمة هذا الفريق قد أوشكت على النفاد .

وفى يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٣ استقبل « جمال عبد الناصر » السفير « جون بادو »[١] الذى عاد قبل أيام من إجازته فى الولايات المتحدة ، والذى أراد أن ينقل إلى الرئيس المصرى تفاصيل لقاء له مع الرئيس الأمريكى « جون كنيدى » جرى بينهما يوم ١٠ سبتمبر .

وقال السفير « بادو » للرئيس « جمال عبد الناصر » نقلا عن الرئيس « كنيدى » :

« إن المشكلة المباشرة فى راى الرئيس كنيدى هى خطر انتهاء نشاط مراقبى الامم المتحدة ، فعمل هذا الفريق سوف يتوقف تماما فى اوائل شهر نوفمبر اللهم إلا إذا تم عمل شىء لمد اجله . ولو حدث ان سقط دور الامم المتحدة فى هذا المنعطف الحرج لكانت النتيجة فى اقل القليل نوعا من الكارثة . ففى غياب نشاط مراقبى الامم المتحدة فإن الاحتمال كبير بان تحاول الحكومة السعودية زيادة دعمها على نطاق واسع للملكيين ، ولو حدث هذا فربما ادى إلى حدوث مصادمات متجددة على الحدود بين الجمهورية العربية المتحدة والقوات السعودية ، وهو امر يؤدى إلى استرجاع جميع المشكلات التى كانت قائمة فى الشتاء الماضى . وإذا حدثت مواجهة مباشرة بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية ، فلن يكون من شان ذلك

---

(١) مذكرة كتبها السفير « جون بادو » عن وقائع المقابلة بتاريخ ٧ اكتوبر ، وعنوانها « مذكرة بمناقشة عن الموقف فى اليمن بين الرئيس جمال عبد الناصر ، والسفير الامريكى جون س . بادو يوم ٥ اكتوبر ١٩٦٣ » . وقد ارسل بادو نسخة منها إلى رئاسة الجمهورية ، واصلها موجود فى ارشيف منشية البكرى ، كما ان هناك نسخة منها فى ارشيف وزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، وهيئة المخابرات العامة .

إلا زيادة القلق الشديد ، وازدياد الانتقاد فى الولايات المتحدة الملتزمة كما يعرف الرئيس جيدا باستقرار المملكة العربية السعودية » . وعاد « بادو » بعد ان خلص ن عرض محصلة حواره مع الرئيس « كنيدى » - إلى تسجيل بقية وقائع لقائه مع الرئيس « جمال عبد الناصر » فقال « لقد الح السفير فى اتخاذ الخطوات التى تكفل استمرار العمليات الحالية للأمم المتحدة . وقال إن تحقيق هذا يحتاج إلى قيام الأطراف المعنية - وهى الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية - بإبلاغ السكرتير العام للأمم المتحدة برغبتهما فى ان تواصل الامم المتحدة القيام بدورها كمراقب ، وكذلك فإن على هاتين الدولتين ان تعربا للسكرتير العام عن استعدادهما للاستمرار فى تقديم مساهمتهما المالية اللازمة لعملية الامم المتحدة فى اليمن ، لأن الجوانب المالية عنصر اساسى فى ذهن السكرتير العام الآن .

راتفق الرئيس « ناصر » على ان إنهاء عمل فريق مراقبى الامم المتحدة فى اليمن موضوع خطير ، وفى اعتقاده ان حكومته قد تؤيد ما اقترحه السفير من اسلوب عمل .

ثم قال السفير إن إجراء قدر من الانسحابات الجديدة لقوات الجمهورية العربية المتحدة من اليمن فى المستقبل القريب يخدم مصالحها خدمة كبيرة ، ويساعد على تهدئة الموقف . كما قال إن آخر تقديرات المخابرات المتاحة للرئيس « كنيدى » تظهر ان الجمهورية العربية المتحدة ما زالت تحتفظ بنحو ٣٢ الف جندى فى اليمن .

وقال الرئيس إن الجمهورية العربية المتحدة قامت بسحب بعض قواتها فعلا ، ففى وقت من الأوقات وصل عدد القوات المصرية فى اليمن إلى ٤٠ الف جندى ، وهم الآن فعلا فى الحدود التى ذكرها السفير . وهناك خطة الآن لسحب بعض الوحدات ، وليس فى النية استبدالها . وقال السفير إنه سيعاود الاتصال بالرئيس بعد طلب تعليمات جديدة مفصلة من واشنطن . »

وفى يوم ١٩ أكتوبر ١٩٦٣ بعث الرئيس « كنيدى » برسالة شخصية إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » قام بتسليمها له السفير « جون بادو » وجاء فى نص الرسالة :[٢]

« يتعين علىّ بروح التبادل الصريح للآراء الذى اعتقد ان كلينا بات يقدر قيمته - ان انهى إليكم قلقى الشخصى الشديد لتباطؤ الجمهورية العربية المتحدة حتى الآن على الاضطلاع بدورها فى اتفاقية فض الاشتباك فى اليمن . واعتقد ان من الانصاف ان اذكر ان السعوديين يضطلعون بالجانب الخاص بهم من الصفقة . وبناء عليه فلا املك اى تاثير على فيصل عندما يتبين انه ، وقد اضطلع بجانبه من الصفقة ،

---

(٢) مجموعة اوراق « كنيدى » وملفات الخارجية الامريكية - كما توجد ايضا نسخة فى ارشيف منشية البكرى .

ما زال يرى القوات المصرية فى اليمن ويسمع من القاهرة عبارات معادية .

ومن ناحية اخرى ، لم تقم الجمهورية العربية المتحدة بانسحابات على مراحل ، وبالدرجة التى تتفق مع فهمنا لروح الاتفاقية . ونحن نفهم بعض الأسباب التى دعت إلى ذلك . ومع هذا فلا يسعنا ان نغمض العين إزاء حقيقة ان الجمهورية العربية المتحدة لا تفى بعهد قطعته للأمم المتحدة وتم بضمانة الولايات المتحدة باعتبارها صديقا للطرفين . وبسبب دورى الشخصى فى هذا الأمر ، فاعتقد انكم تستطيعون فهم شعورى بالورطة حين ارى حكومة الولايات المتحدة تتعرض للنقد من الخارج والداخل على حد سواء . وليس امامى مفر من ان اقول لكم إن هذه المسألة تعقد جهودى الخاصة فى الكونجرس لمواصلة سياستنا الودية فى مجالات المصلحة المتبادلة . وإذا نحن سمحنا لليمن بان تؤثر فى مصالحنا الأكبر منها ، فإننا نكون بذلك فقدنا قدرتنا على تشكيل الحوادث وسمحنا لها بان تطغى علينا . »

وأحس « جمال عبد الناصر » أن الرسالة فى بعض تعبيراتها تحمل مظنة تهديد ، وأبدى رأيه بذلك للسفير « جون بادو » . ثم أبدى بعد ذلك ملاحظة قال فيها :

« إنه على استعداد لان يقدر الورطة التى يتحدث عنها الرئيس كنيدى لسياسته فى اليمن . وهو على استعداد لان يسلم بان السعودية خففت بعض اوجه نشاطها المباشر فى اليمن ، لكنه كان يتصور ان المخابرات الأمريكية التى احصت عدد القوات المصرية الموجودة فى اليمن وابلغت به كنيدى ـ كان عليها ان تحصى ايضا عدد المرتزقة الأجانب العاملين فى اليمن ، وتبليغ الرئيس الأمريكى بعددهم ايضا . » ثم اضاف « جمال عبد الناصر » : « إنه ليس مستريحا لبعض العبارات الواردة فى رسالة كنيدى إليه ، وهو يؤثر ان يتغاضى عنها حرصا على العلاقات الأكبر التى يتحدث عنها الرئيس كنيدى ، ولكن الأطراف جميعها عليها ان تتحلى بقدر من الصبر وضبط النفس لأن ازمة اليمن بطبيعة المسرح الذى تجرى عليه ، والمناخ السائد على هذا المسرح ـ تحتوى على عناصر وقوى تصعب السيطرة عليها من الناحيتين ! »

□

وكان الموقف فى المغرب لا يقل مدعاة للقلق عنه فى المشرق العربى ، أو فى الجنوب العربى ـ فقد راحت القاهرة تتابع محاولات أمريكية لتدعيم وجودها فى قاعدة « هويلس » فى ليبيا . وتظهر وثائق مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض أن سياسة الولايات المتحدة فى ليبيا كانت ـ إلى جانب أهداف أخرى متعددة ـ تسعى لتعزيز وجودها العسكرى قريبا من الجمهورية العربية المتحدة .

فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦٣ كتب « روبرت كومر » مذكرة[٣] للرئيس « كنيدى » جاء فيها بالنص :

« ســرى

مذكرة إلى الرئيس

إنك سوف تقابل رئيس وزراء ليبيا الجديد « الفكينى » صباح يوم الاثنين المقبل ، وعليك ان تتحدث إليه برقة ، وان تقنعه بان بلاده ليست فى حاجة إلى مساعدات امريكية .

إن تعداد سكان ليبيا هو مليون وربع مليون نسمة ، وقد عاشوا حتى الآن على كرم الولايات المتحدة التى اعطتهم فى السنة المالية ١٩٦٣ ـ مساعدات قدرها ٢٠٦ ملايين دولار . والآن فإن ليبيا تعوم على بحر من رسوم إنتاج البترول فقط . وفى السنة القادمة سوف يزيد هذا المبلغ إلى مائة مليون ، وفى السنة التالية سوف يصل إلى ٣٠٠ مليون ، ويواصل الزيادة بعد ذلك . إن ليبيا على هذا النحو هى « كويت » اخرى ، ولم تعد فى حاجة إلى مساعدات امريكية .

ولكن « الفكينى » يستعمل وجود قاعدة « هويلس » كحجة لطلب مساعدات منا ، وهو يدعى ان وجود القاعدة يخلق مشاعر معادية لها (للقاعدة) ويتعلل بان الوسيلة الوحيدة لتخفيف حدة هذا العداء للقاعدة ان تكون هناك مساعدات امريكية فى مقابلها .

فى هذه النقطة عليك ان تتحدث له بصراحة بان وجودنا فى قاعدة هويلس شانه شان وجود البريطانيين فى قاعدة العظم (طبرق) هما خير ضمان لتامين ليبيا ضد اى محاولة للاستيلاء عليها من ناصر الذى يقف على الباب المجاور . إن وجودنا فى ليبيا هو الضمان الحقيقى لأمنها ، وعليك ان تقول لرئيس الوزراء الليبى « إننا لا نرى سببا يجعلنا ندفع لهم لميزة اننا نقوم بحمايتهم ، وعلى رئيس الوزراء الليبى ان يواجه منتقديه بهذه الحجة القاطعة » . بجانب ذلك فعليك ان تذكره بان الاستثمارات الأمريكية هى التى اعطت ليبيا ثروتها من البترول ، وسوف يكون من الصعب علينا ان نقنع الكونجرس بغير ذلك .

الفكينى ايضا قد يسمعك بعض النغمات المعادية لاسرائيل ، وعليك ان تكون حازما معه ، وتواجهه باننا لا ننوى ان نسمح للعرب بالهجوم على إسرائيل او العكس .

لاحظ انك تركت انطباعا عظيما على الفكينى عندما قابلته من قبل فى اثناء عمله كسفير لبلاده هنا ، وقد ابديت امامه بعض الآراء السياسية العامة ، وسوف يكون سعيدا إذا فعلت ذلك مرة اخرى .

كومر »

(٣) مجموعة وثائق مجلس الأمن القومى ـ مكتبة الرئيس « كنيدى » برقم ٣٥٤٥ .

وراء ليبيا إلى الغرب كانت حكومة الجزائر المستقلة تواجه أوضاعا حرجة مع بداية عهد الاستقلال ، فقد كانت هناك أولا تناقضات الثورة بملابساتها الانسانية والسياسية والتاريخية . وكذلك كان هناك ـ ثانيا ـ الموقف الذى نشأ عن رحيل المستوطنين الفرنسيين تاركين مزارعهم للبوار . ثم كانت هناك ـ ثالثا ـ تطلعات الشعب الجزائرى الذى ضحى بمليون شهيد ، وكان أمله الآن أن يعيش السلام فى حين أن الوضع الاقتصادى العام كان مترديا .

وكتب « بن بيلا » إلى « جمال عبد الناصر » بحقيقة الأوضاع الاقتصادية فى الجزائر . ورد عليه « جمال عبد الناصر » برسالة كتب أصلها بخط يده وجاء فيها :

« شعرت بالقلق بعد اطلاعى على رسالتكم الخاصة بالحالة الاقتصادية لأن الأوضاع الاقتصادية لها التأثير الأول على الوضع السياسى .

نحن على استعداد لمعاونتكم بكل ما نستطيع لمواجهة الموقف . وانا على استعداد لايفاد الدكتور القيسونى فى الحال إليكم ليشرح لكم رايه فى حل هذا الموقف .

ولمواجهة الموقف بسرعة ارى ان تاخذوا المبادأة ، وتكون الحركة على مراحل . . . . » . ومضى « جمال عبد الناصر » بعد ذلك يشرح مراحل العمل الذى يقترحه على « بن بيلا »(٤) .

□

وفى هذه الظروف الصعبة من الناحية السياسية والاقتصادية والنفسية فى الجزائر ، نشب فجأة على الحدود بينها ، وبين المغرب نزاع على منطقة « تندوف » . وتطور النزاع على تخطيط الحدود بين البلدين بسرعة خطرة إلى حد ينذر باللجوء للسلاح . وكانت القاهرة أقرب إلى الجزائر بتأثير علاقات خاصة ربطتها بالثورة الجزائرية من أول يوم . وقد قامت بإرسال بعض المساعدات للجزائر ، ولكن هذه المساعدات سبقتها رسالة من « جمال عبد الناصر » إلى « بن بيلا » جاء فيها بالحرف :

« إننى أناشدك أن تحول بكل جهدك دون تحوّل خلافكم مع المغرب إلى صراع مسلح . وأرجوك أن تعرف أن المساعدات التى هى فى الطريق إليكم لها هدف معنوى وسياسى بالدرجة الأولى ، ولذلك فإننى أدعوك إلى التزام أقصى درجات الحذر واليقظة فى هذه الظروف العاصفة . »

---

(٤) النص الكامل لرسالة « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى « بن بيلا » منشورة بالكامل فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٤٩ صفحة ٩٤١

وفى يوم ٢٧ اكتوبر طلب السفير الأمريكى « جون بادو » مقابلة عاجلة مع « جمال عبد الناصر » ليبلغه رسالة شفوية جديدة من الرئيس « كنيدى » إليه عن تطورات النزاع الجزائرى ـ المغربى ، والدور المحتمل للجمهورية العربية المتحدة فيه . وجاء فى هذه الرسالة الشفوية(٥) ما يلى :

« ١ ـ إن الولايات المتحدة تشعر بقلق شديد بسبب الخصومة الجزائرية ـ المغربية . وهناك دلائل تشير إلى ان هذه الخصومة قد تتحول إلى حرب ربما سبقت إليها دول اخرى .

٢ ـ إن الولايات المتحدة حرصت ـ كما حرص غيرها من الدول الغربية ـ على تفادى التورط فى هذه الأزمة برغم ان هناك انباء تواترت فى العالم على خلاف ذلك .

٣ ـ إن إعادة السلم إلى شمال افريقيا هو امر حيوى بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة .

٤ ـ إن الولايات المتحدة بناء على ذلك مستعدة لتاييد الأمم المتحدة ، او اى مبادرة دولية اخرى تبشر بحل عادل سلمى .

٥ ـ إن اى تدخل على نطاق واسع من جانب حلفاء الجزائر قد يؤدى إلى إثارة حرب شاملة يمكن ان تطغى فيها اعتبارات الدول الكبرى على المصالح المحلية .

٦ ـ بالنظر إلى قلق المملكة العربية السعودية من فشل فض الاشتباك فى اليمن ـ فإن اى تورط متزايد من جانب الجمهورية العربية المتحدة فى الجزائر قد يشجع السعوديين رغم الاحتجاجات القوية والمستمرة من جانب الولايات المتحدة على مناصرة الملكيين اليمنيين ، حتى على مستوى اعلى مما كان قبلا .

٧ ـ إن مجلس الشيوخ الأمريكى ، سوف يقترع فى الأسبوع المقبل على قانون المساعدات الخارجية بعد مناقشات غير معتادة من حيث طولها ومرارتها . وقد تعرض موقف الجمهورية العربية المتحدة لضعف خطير بسبب فشلها فى فض الاشتباك بصورة جوهرية فى اليمن . وإن اى دليل على ان الجمهورية العربية المتحدة ترسل اسلحة او مواد او رجالا إلى الجزائر قد يؤدى فعلا إلى إجراء تشريعى يمنع الادارة من المضى فى تقديم معونة فعالة إلى الجمهورية العربية المتحدة .

٨ ـ إن الولايات المتحدة لا تستطيع ان تتصور ان الجمهورية العربية المتحدة ترغب فى توريط نفسها فى موقف من شانه ان يزيد الصراع ويدعو إلى تدخل خارجى ، ويرهق الموارد الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة ، ويعجل باتخاذ

---

(٥) كتب السفير « بادو » مذكرة عن النقط التى ابلغها للرئيس « عبد الناصر » نقلا عن الرئيس « كنيدى » وبعث بنسخة منها فى اليوم التالى إلى رئاسة الجمهورية . واصل المذكرة محفوظ فى ارشيف منشية البكرى ، وقد ارسلت نسخ منها إلى وزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، وهيئة المخابرات العامة .

إجراء من جانب الكونجرس الأمريكي من شأنه إضعاف العلاقات القائمة بين الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية العربية المتحدة إضعافا خطيرا . »

وأضاف السفير الأمريكي إلى ذلك من عنده أنه سمع عن معلومات تشير إلى أن كوبا الشيوعية تقوم بمساعدة الجزائر ، وهو لايتصور أن القاهرة سوف تضع نفسها فى ذات الموقع مع كوبا .

وأصغى « جمال عبد الناصر » إلى رسالة « كنيدى » الشفوية التى نقلها إليه « بادو » وقال له : « إنه يجدها رسالة هامة ، وتستحق ردا تكون معانيه وألفاظه محددة بما لا يقبل مجالا للبس أو سوء الفهم ، وأن على صبرى سوف يسلمه فى الوقت المناسب - وقريبا جدا - ردا مكتوبا منه على رسالة كنيدى . »

وفى يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٦٣ بعث السفير الأمريكي « جون بادو » بخطاب شخصى منه إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » جاء فيه بالنص :

« عزيزى السيد الرئيس

فى اثناء نقاشنا الذى جرى يوم الأحد اشرت امامكم إلى معلومات سمعتها عن التأييد الكوبى لحكومة الجزائر فى نزاعها الحالى مع المغرب . وقد راجعت بعناية آخر التقارير المتاحة من المخابرات ، ويتضح منها ان هناك سفينتين كوبيتين على الأقل دخلتا ميناء « وهران » وتواتر انهما تنقلان دبابات واسلحة . وهناك سفينة كوبية ثالثة وردت إلينا اخبار موثوقة بانها فى الطريق .

واستنتج مما تقدم ان الكوبيين يحاولون تقديم عون عسكرى ضخم إلى الرئيس بن بيلا .

مع الاحترام .

جون س. بادو
السفير الأمريكي »

وفى يوم ٣١ أكتوبر عاد « جون بادو » فكتب خطابا[٦] آخر إلى « جمال عبد الناصر » جاء فيه بالنص :

«عزيزى السيد الرئيس

واصلت عن كثب متابعة التقارير المتعلقة بالمساعدة الكوبية للجزائر ، ويؤخذ من آخر معلوماتى التى يعول عليها انه فى الفترة بين ٢١ - ٢٣ اكتوبر قامت سفينة الشحن الكوبية « ارازيليا اجليسياس » بدخول ميناء وهران ، وانزلت منها معدات

(٦) صور من رسائل « بادو » وبتوقيعه منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت ارقام ٥٠ و ٥١ صفحة ٩٤٤ ، ٩٤٥

عسكرية متنوعة ، منها دبابات ت - ٣٤ ، وسيارات لورى ، ومدافع هاوتزر من عيار ١٢٢ مم وذخائر . وفى يوم ٢٥ اكتوبر نزل من هذه السفينة بضع مئات من الكوبيين يرتدون ازياء الجيش الجزائرى . وفى ٢٢ اكتوبر هبطت طائرتا نقل كوبيتان من طراز « بريتانيا » فى مطار الدار البيضاء فى الجزائر ، ونزل منها ما جملته ٣٤٠ فردا من العسكريين .

باحترام .

جون س. بادو
السفير الأمريكي »

□

كان « جمال عبد الناصر » يعد مسودة رده على « كنيدى » - وكانت تتنازعه عوامل سياسية ونفسية متعددة . كان يريد أن يحتفظ بالعلاقات مع « جون كنيدى » ودية وبأسلوب الحوار طالما أن ذلك كان ممكنا ، وفى نفس الوقت لم يكن يريد أن يغامر بالمساعدات الأمريكية ببساطة فى إطار خلافات عاصفة ، وإن كان يراها مؤقتة - لكنه فى نفس الوقت لم يكن مرتاحا لنبرة التهديد التى بدأت تظهر فى رسائل « كنيدى » وبتكرر ظهورها يوما بعد يوم . كما أن حرصه على المساعدات الأمريكية لم يكن فى رأيه كافيا لجعله يتهاون فى قبول أى قيد على حرية حركته . وكتب ثلاث مسودات لمشروع الرد ، ولم يرض عن أى منها .

وفجأة ، وفى الساعة التاسعة وعشر دقائق من مساء يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ - أصيب العالم كله بذهول ، وهو يستمع إلى نبأ اغتيال الرئيس الأمريكي « جون كنيدى » بطلقات رصاص وجهها إلى ظهره « لى اوزوالد » فى اثناء زيارة قام بها الرئيس الأمريكي لمدينة « دالاس » .

لم يكن « جمال عبد الناصر » قد التقى وجها لوجه بـ « جون كنيدى » لكن الرسائل المتصلة والمتبادلة خلقت بينهما نوعا من الصداقة الوثيقة رغم كل أسباب سوء الفهم ، وصعوبة القضايا التى كان عليهما مواجهتها معا .

كان « جمال عبد الناصر » يشعر إلى جانب أسفه الشخصى لاغتيال « كنيدى » - أن الموقف الدولى بعد غيابه عن المسرح سوف يتأثر على نحو أو آخر . وقد التقى بعد عدة أيام من اغتيال « كنيدى » بالسيدة « باندرانايكا » رئيسة وزراء سيلان ، وأعرب لها عن مخاوفه من احتمالات الموقف الدولى بعد غياب « كنيدى » . وكان يتوقع مرحلة جديدة من الحرب الباردة يثبت فيها « ليندون جونسون » خليفة « كنيدى » فى البيت الأبيض قدرته على إدارة شئون العالم من منظور واشنطن ، ولم

يكن ما يسمعه ويقرؤه عن « جونسون » مشجعا . واقترح « جمال عبد الناصر » على « باندرانايكا » أن « الوقت قد حان لعقد مؤتمر جديد على مستوى القمة للدول غير المنحازة ، فأمام هذه الدول على الأرجح مرحلة جديدة من الحرب الباردة لابد أن تتأهب لها حتى لا تفاجأ بأية تطورات » .

وبعث « جمال عبد الناصر » برسالة إلى « نهرو » عن خواطره فى هذا الشأن ، ورد عليه « نهرو » بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٦٣ برسالة شخصية جاء فيها :

« صديقى العزيز

سلمنى سفيركم فى دلهى خطابكم إلىّ وارانى على اتفاق معك ومع رئيسة وزراء سيلان فى ضرورة عقد مؤتمر آخر لبلدان عدم الانحياز فى وقت ما فى العام القادم . وسوف اظل على اتصال بسفيركم هنا لتطوير هذه المبادرة .

إن ما حدث مؤخرا من اغتيال الرئيس كنيدى ، ابعد عن الساحة الدولية واحدا من المهندسين الرئيسيين لسياسة الانفراج الدولى . وإذا كان الرئيس جونسون قد اعرب عن عزمه على مواصلة سياسات كنيدى ، فإن وفاة الرئيس كنيدى المبكرة وإبعاد يده المتزنة عن توجيه سياسات الولايات المتحدة ، ربما تؤدى إلى إبطاء سير عملية الانفراج .

جواهر لال نهرو »

٢

مساء يوم ١٥ ديسمبر ١٩٦٣ عاد « جمال عبد الناصر » إلى بيته بعد منتصف الليل بعد أن انتهى لتوه من محادثات طالت إلى أكثر من ثلاث ساعات مع « شوين لاى » رئيس وزراء الصين الذى كان يقوم بزيارة رسمية إلى القاهرة وقتها . ومر بمكتبه فى الدور الأول من بيته قبل أن يصعد إلى غرفة نومه فى الدور الثانى ، لكى يحمل معه ملف التقارير اليومية الذى كان يحرص على الاطلاع عليه كل ليلة قبل أن يأوى إلى فراشه . ومع أنه كان يشعر بإرهاق شديد نتيجة لعمل يوم اتصل حتى منتصف الليل ، فإنه فيما يبدو أراد أن يلقى نظرة - ولو سريعة - على أحداث اليوم ، لكى يتأكد من أنه ليس هناك مسألة تقتضى قرارا عاجلا .

وأوى إلى فراشه وبجانبه ملف ضخم ، وسحب منه أول مجموعة من الأوراق يلقى نظرة عليها ، واستغرقه ما قرأ . وقضى الليل ساهرا حتى الصباح يفكر فيه . كان ما قرأه يحمل عنوان « توصيات الهيئة الاستشارية العسكرية لمجلس رؤساء أركان حرب الجيوش العربية فى الدورة السابعة غير العادية المنعقدة فى المدة من ٧ - ٩ ديسمبر ١٩٦٣ » - وكان برفقة هذا التقرير بالتوصيات تلخيص لمحضر اجتماع رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ، ومجمل لوقائع المناقشات التى دارت بينهم .

لقد وضح أمامه أن رؤساء أركان حرب الجيوش العربية[٧] يقفون أمام مأزق لا يستطيعون تجاوزه . وكان المأزق سياسيا لأن الحكومات العربية عهدت إلى مجلس الدفاع المشترك منذ أكثر من سنة بأن يدرس الوسائل الكفيلة بمنع إسرائيل من إتمام مشروعها لتحويل مياه الأردن . ثم نسيت هذه الحكومات العربية كل شىء عن الموضوع ، وانهمكت فى خلافاتها الداخلية والعربية . واحس « جمال عبد الناصر » وهو يقرأ أوراقه أن رؤساء أركان الحرب يوجهون نداء استغاثة إلى السياسيين الذين وضعوهم أمام مهمة مستحيلة ، وتركوهم هناك وانصرفوا عنهم إلى شواغلهم الصغيرة .

وعند الفجر طلب « جمال عبد الناصر » تليفونيا من مكتبه أن يتصل باللواء « عبد المنعم رياض » وهو عضو فى الهيئة الاستشارية العسكرية لمجلس رؤساء أركان حرب الجيوش العربية - حتى يجىء إلى مقابلته فى الساعة الثامنة صباحا ، لكى يسمع منه تفصيلا حقائق ما دار فى الاجتماع .

ووصل « عبد المنعم رياض » فى موعده ، وبدأ على الفور يقدم تقريرا شفويا إلى « جمال عبد الناصر » عما جرى فى الاجتماعات . وكانت الصورة التى رواها « عبد المنعم رياض » قاتمة ، فشعور قادة الجيوش العربية كله مرارة ، وإحساسهم بالعجز شديد وهم يرون أنهم يكلفون بمهام لا يجدون تحت تصرفهم وسائل تنفيذها ، فى الوقت الذى يقوم فيه السياسيون بمزايدات هدفها إحراج بعضهم البعض بينما إسرائيل ماضية فى مشروعاتها بدون توقف .

يوم ١٦ ديسمبر حضر « جمال عبد الناصر » وكان معه « شوين لاى » احتفال عيد العلم فى جامعة القاهرة . ثم تحولت زيارة « شوين لاى » من زيارة رسمية إلى زيارة شخصية لأن رئيس وزراء الصين كان يريد أن يخصص ثلاثة أيام للتعرف على حضارة مصر القديمة .

(٧) اشترك فى الاجتماعات رؤساء اركان حرب جيوش : الأردن والجزائر والسودان والعراق والسعودية وسوريا ومصر واليمن والكويت ولبنان وليبيا مع الأمين العام لجامعة الدول العربية ، بالإضافة إلى مقر الهيئة الاستشارية العسكرية التابعة لمجلس الدفاع المشترك .

وتفرغ « جمال عبد الناصر » للموضوع الذى أصبح شاغله مستوليا على كل اهتمامه وفكره .

كان تفكيره يتحرك على الخطوط التالية :[٨]

١ - إن الأوضاع فى العالم العربى تتطلب خطوة كبيرة تضعه على طريق آخر غير هذا الطريق الذى يسير فيه الآن .

٢ - إذا كنا نفكر ونعد لمؤتمر قمة لدول عدم الانحياز - فمن باب أولى أن نفكر ونحاول عقد مؤتمر على مستوى القمة للعالم العربى . خصوصا وأن أى تعديل أساسى فى المسار العربى لا يمكن تحقيقه الآن إلا على مستوى القمة . خصوصا وأن إمكانيات أى عمل وحدوى ليست متاحة فى الوقت الراهن ، ومن الصعب الاقتراب منها - كما أن سياسة المحاور لم تؤد فى الماضى إلا إلى زيادة الاستقطاب العربى .

٣ - إنه مهما كانت الصعوبات والحساسيات التى تحكم الموقف العربى الآن ، فإن المحاولة تستحق أى جهد يبذل فيها .

٤ - إنه إذا أمكن عقد مؤتمر قمة عربى ، فإن مثل هذا المؤتمر قد يكون الاطار الذى يمكن أن تتحقق فيه تصفية لمشاكل الماضى أو لبعضها (ويمكن أن يكون بينها مشاكل اليمن والصراع الجزائرى - المغربى ، الخ) .

٥ - إذا أمكن الوصول إلى ذلك ، أو إلى شىء قريب منه ، فإنه يمكن وضع برنامج عمل للمستقبل . خصوصا فيما يتعلق بأزمة تحويل مياه الأردن وبقية جوانب المشكلة الفلسطينية .

ويوما بعد يوم كان « جمال عبد الناصر » يزداد اقتناعا بإمكانيات فكرته . وكان على موعد مع جماهير بورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ليتحدث فى احتفالات الذكرى السابعة لانتصار السويس سنة ١٩٥٦ . **وانتهز الفرصة ، وصارح الجماهير بما يشغل خواطره . تحدث عن مؤتمر رؤساء اركان حرب الجيوش العربية ، وقال : « إننا وضعناهم فى حلقة مفرغة » ، ثم استطرد ليقول : « إن العسكرية تابعة للسياسة » . ثم وصل إلى قوله : « لقد جاء الوقت لكى نتكلم جدا ، فنحن لا نستطيع ان نقول فى العلن إننا على استعداد لاستخدام القوة لمنع تنفيذ المشروعات الاسرائيلية ، ثم نقول فى الحجرات المغلقة إننا عاجزون عن**

---

(٨) مجموعة اوراق تحوى تفاصيل مقابلة مع « جمال عبد الناصر » فى بيته فى الساعة التاسعة صباحا يوم ١٧ ديسمبر ١٩٦٣ .

استخدامها . لقد آن ان نكف عن المزايدات ، فإذا كنا نستطيع الحرب نحارب وإذا كنا لا نستطيع فعلينا ان نستعد ، وانا لا استحى من ان اقف امامكم لاقول إننى لا استطيع ان احارب الآن . ولا ارضى لنفسى ان اقامر بالبلد فى مزايدة لا اعرف اولها ولا آخرها » . ثم اعلن اقتراحه المحدد بالدعوة لاجتماع للملوك والرؤساء العرب على مستوى القمة لبحث كل قضايا المصير سياسيا حتى يكون رؤساء اركان حرب الجيوش على نور وثقة فيما يكلفون به .

□

وفى اليوم التالى لالقاء هذا الخطاب - أى يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٣ - قامت وزارة الخارجية المصرية بإرسال نسخة منه إلى السيد « عبد الخالق حسونة » الأمين العام لجامعة الدول العربية ، ومعه خطاب رجته فيه أن يعتبر هذا الخطاب طلبا رسميا من حكومة الجمهورية العربية المتحدة بتوجيه الدعوة إلى مؤتمر على مستوى القمة لدول الجامعة العربية .

وفى نفس اليوم أعلنت كل من العراق واليمن ولبنان والأردن وسوريا والكويت والجزائر موافقتها على عقد المؤتمر . ولم يصدر رد عن السعودية ، ومع ذلك فإن الأمين العام لجامعة الدول العربية اعلن انه يقترح عقد المؤتمر يوم الاثنين ١٣ يناير ١٩٦٤ . وتلقى موافقات كل الدول العربية التى سبق لها الاعلان عن قبول الاقتراح الأصلى به . ومرة أخرى كان الصمت ينزل بالرياض ، وإن كانت الأنباء قد تسربت من العاصمة السعودية بوجود خلاف بين الملك « سعود » وبين نائب الملك الأمير « فيصل » حول أيهما يحضر الاجتماع ويمثل السعودية فيه . وكان « جمال عبد الناصر » يتمنى أن يكون الأمير « فيصل » هو رئيس الوفد السعودى ، فلم يكن هناك شك فى أن نائب الملك - وليس الملك - هو القوة الحقيقية التى تملك القرار السعودى . ولم يتحقق ما تمناه ، ولم تلبث السعودية أن أعلنت موافقتها على حضور الاجتماع ، ثم كان إعلانها بأن الملك « سعود » هو الذى سيرأس وفد السعودية إلى المؤتمر .

وجرت عملية إعداد سريع للمؤتمر ، فتقرر أن تتم جلسات القمة فى مبنى جامعة الدول العربية - على أن يخصص فندق « هيلتون » المجاور له لاقامة الوفود . وتم بناء جسر مباشر بين الفندق ومبنى الجامعة العربية تنتقل عليه الوفود من مكان إقامتها إلى مقر عملها دون أن تتسبب مواكبها فى إرباك الحياة العادية فى القاهرة .

□

وفى الظروف الموضوعية التى انعقد فيها المؤتمر ـ فليس هناك شك فى ان نتائجه كانت إيجابية . فقد استطاع فى عمل عدة أيام أن يحقق عددا من النتائج الهامة كبداية يمكن أن تكون مبشرة بخير ، إذا أمكن المحافظة على قوة الاندفاع :

١ ـ وضع المؤتمر الخطوط العامة لمشروع عربى لتحويل مياه الأردن داخل البلاد العربية ، ودون التعرض للمشروع الاسرائيلى حتى لا تتذرع إسرائيل بدعوى الدفاع عن النفس . وكان تنفيذ المشروعات العربية كفيلا بالحصول على مياه الأردن قبل أن تصل إلى المشروعات الاسرائيلية ، وبالتالى فقد كانت تلك وسيلة لتحقيق المطلوب العربى من موقف الدفاع ، وليس من موقف الهجوم .

٢ ـ ووضع المؤتمر خطة لانشاء قيادة عربية موحدة تكون مهمتها حماية تنفيذ المشروعات العربية لتحويل مياه الأردن على الأراضى العربية ـ والتصدى لأى استفزاز يصاحب عملية التنفيذ ، أو يحاول عرقلتها مباشرة أو بطريق غير مباشر . كذلك اعتمد المؤتمر الموارد المالية اللازمة للتسليح والتدريب والقيادة المشتركة ، كما خصص قوات من كل بلد لكى توضع تحت تصرف هذه القيادة المشتركة .

٣ ـ وضع المؤتمر مشروعا لاقامة كيان فلسطينى مستقل يستطيع أن يمثل الشعب الفلسطينى ويعبر عنه ، مع المحافظة فى نفس الوقت على أمن الأردن الذى يملك أطول خطوط مواجهة مع إسرائيل . وقد عهد المؤتمر إلى السياسى الفلسطينى المخضرم الأستاذ « أحمد الشقيرى » ببدء العمل لانشاء هذا الكيان الذى تحول فيما بعد إلى « منظمة التحرير الفلسطينية » .

ولم يكن ممكنا أن يصل المؤتمر إلى هذه القرارات إلا إذا كانت المقدمة لها رغبة جادة فى تصفية الخلافات العربية ، وحوارا بناء لازالة رواسبها وشوائبها . وقد تحقق من ذلك شوط لا بأس به ، وإن كان غياب الأمير « فيصل » قد جعل مناقشة أزمة اليمن وإنهاء ذيولها رغبة مؤجلة لان مثل هذا الجهد مع الملك « سعود » لم تكن هناك جدوى منه . ومع ذلك ، فقد تطوع العراق والجزائر لبذل وساطة مع الأمير « فيصل » حتى يمكن حل أزمة اليمن فى إطار عربى ـ عربى يغنى عن الدور الأمريكى الذى راح يخلط بين أزمة اليمن ، وأزمات أخرى فى المنطقة وفى العالم .

ولم تمض أيام بعد انتهاء مؤتمر القمة العربى حتى طار المشير « عبد الحكيم عامر » والسيد « أنور السادات » ومعهما الدكتور « شامل السامرائى » وزير الصحة العراقى ممثلا للرئيس « عبد السلام عارف » والسيد « احمد توفيق المدنى » وزير

الأوقاف الجزائرى ممثلا للرئيس « احمد بن بيلا » . **ودارت فى الرياض محادثات مكثفة ، ثم صدر بيان يعلن الاتفاق على عودة العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ، مع اتفاق البلدين على التاييد المطلق لاستقلال اليمن وحرية شعبه ، والتعهد بحل اية خلافات بطريق الحوار الودى .**

كان على القمة العربية أن تعود للاجتماع فى شهر سبتمبر فى الاسكندرية ، لكى تراجع ما تم فى تنفيذ مقررات اجتماعها الأول .

وفى الوقت الذى كان فيه العالم العربى يتابع ما يجرى ، وينتظر خطوات التنفيذ ـ لم تكن إسرائيل على استعداد للانتظار . واصدر مجلس الوزراء الاسرائيلى بيانا اذاعه رئيسه « ليفى اشكول » يقول فيه : « إن قرارات مؤتمر القمة العربى تضمنت تهديدا باستعمال القوة المسلحة ضد إسرائيل ، وانه ـ اى اشكول ـ على استعداد للسفر فورا إلى الولايات المتحدة ، لكى يبحث مع الرئيس الأمريكى الجديد ليندون جونسون مخاطر التهديدات التى تتعرض لها إسرائيل بسبب تجمع العالم العربى ضدها » .

٣

كان « ليندون جونسون » **الرئيس الجديد للولايات المتحدة الأمريكية شخصية من اعقد الشخصيات التى عاشت فى البيت الأبيض ـ رغم ان قائمة الذين سكنوا هذا البيت فريدة فى نوعها وداعية للتامل !**

كان وصول « جونسون » إلى الساحة السياسية فى العاصمة واشنطن قادما من حافة مدينة صغيرة فى « تكساس » ـ طريقا مليئا بالمنحنيات والتعرجات والالتواءات ، لدرجة أن مؤرخه الرسمى(*) « روبرت كارو » لم يجد وصفا مهذبا لملخص تاريخ حياته إلا انها « **سلسلة من الصفقات معظمها بطريقة المقايضة** » !

وقد عبر « روبرت كنيدى » ـ شقيق الرئيس « كنيدى » ـ عن ذلك بصورة اخرى اشتهرت عنه ، وهى قوله : « إن وصول « ليندون جونسون » إلى حيث وصل

ليس فقط دليلا على جدية الديمقراطية الأمريكية التى تسمح لأى من كان بالوصول إلى أى مكان ـ وإنما هو أيضا دليل على صحة القول بالفصل بين السياسة والأخلاق » .

ولقد وصل « ليندون جونسون » إلى حيث أصبح زعيما للأغلبية الديمقراطية ، ومن هناك راودته أحلام الرئاسة ، ولقد كان نفوذه يمكنه من الحصول على ترشيح حزبه للانتخابات ، ولكن مناخ الشك العام المحيط بشخصيته كان يجعل فوزه فى الانتخابات مسألة غير مضمونة . فالحصول على ترشيح الحزب قد يكون مسألة « صفقات » ، ولكن الفوز فى الانتخابات يتطلب « صورة » جذابة !

ولقد ظن الذين نظموا وأداروا حملة الحزب الديمقراطى فى انتخابات الرئاسة سنة ١٩٦٠ أنهم توصلوا إلى المعادلة الصحيحة : « كنيدى » لمنصب الرئيس بصورته الجذابة ، و « جونسون » لنائب الرئيس بنفوذه خصوصا فى الجنوب بما فيه معقله الأصلى فى ولاية تكساس ، وكان هذا المزيج من الجاذبية والنفوذ ، يعطى الحزب الديمقراطى ميزة كبيرة على الحزب الجمهورى ، وقد حدث .

وكان كل المحيطين بـ « كنيدى » يكرهون « جونسون » وكان هو يبادلهم الكراهية أضعافا ، وكانت الهوة بين الفريقين واسعة ، فمجموعة « كنيدى » من رجال الفكر ، ومجموعة « جونسون » من رجال السوق ، وهما عنصران غير قابلين للامتزاج . وهكذا فإن مكتب الرئيس ، ومكتب نائب الرئيس فى نفس الطابق من البيت الأبيض كانت بينهما مسافات شاسعة ، ولم يكن رجال الرئيس على أى حال مهتمين بمشاعر نائب الرئيس ، فهو رجل بلا مستقبل ، فرجلهم أصغر عمرا منه ، وإذا جرت الأمور فى مسارها الطبيعى ، فإن « كنيدى » سوف يعيش بعد « جونسون » وبالتالى فإن « جونسون » سوف يقضى بقية عمره على الهامش مثل معظم نواب الرئيس فى الولايات المتحدة . خصوصا إذا كانوا اكبر عمرا من رؤسائهم بحيث لا ينتظر لهم ان يرشحوا انفسهم بعدهم .

وربما كان وجه الشبه الوحيد بين « كنيدى » و « جونسون » غرام كل منهما الزائد بالجنس الآخر ، ومع ذلك فقد كان الأسلوب لدى كل منهما مختلفا .

وكان « كنيدى » وهو فى وسط معركة الرئاسة طرفا فى غرام مع « مارلين مونرو » . وأما « جونسون » فقد دس نفسه عاريا فى فراش سكرتيرة من مكتبه كانت نائمة فى بيته فى « تكساس » حيث ذهب إليه لأول إجازة بعد توليه الرئاسة ، وانتدبت هى لمرافقته كحلقة اتصال مع مكتبه فى البيت الأبيض فى واشنطن ، وحين تنبهت السكرتيرة إلى أن رجلا دخل معها إلى الفراش فى غرفة

النوم ، وانتفضت لتقوم وجدت يدا تمسك بها ثم سمعت صوتا لاهثا يقول لها : « اطمئنى يا طفلتى هذا رئيسك » "Relax baby, this is your President" !(٩)

□

وعندما دخل « ليندون جونسون » لأول مرة إلى المكتب البيضاوى رئيسا للولايات المتحدة دعا كل رجال « كنيدى » إلى اجتماع معه ، وقال لهم بطريقة مسرحية :

« أنتم أول من يعرف أننى أجهل كل شىء عن سياسات العالم ، فذلك لم يكن مجال اهتمامى . إننى كنت دائما فى وسط السياسة المحلية ، وأعرف عنها الكثير ، وأما خارج ذلك فليست لى وسيلة إليه غيركم أنتم . وأنا أريدكم أن تبقوا معى ليس من أجلى ، ولكن من أجل الولايات المتحدة . »

ثم بدأ يمسح دموعا سالت من عينيه .

ويقول كبير مستشارى « كنيدى » وهو « ماك جورج باندى » :

« كنت أعرف أنه يمثل ، ولكن جهله كان حقيقة لا يمكن إنكارها . ولقد قبلت ـ وقبل غيرى ـ أن نتعاون معه ، ولكننا فعلنا ذلك ليس لأننا اقتنعنا بحسن نواياه ، ولكن لأنه لم يكن هناك بديل آخر . »

ومع ذلك ، فلم تكد تنقضى شهور بعد وفاة « كنيدى » حتى بدأ معظم رجاله يشعرون أن الحياة لا تحتمل مع السيد الجديد فى البيت الأبيض ، وبدأوا يجدون طريقهم إلى أبواب الخروج واحدا بعد الآخر .

□

ولقد كانت معرفة « جونسون » بالسياسة الداخلية للولايات المتحدة هى التى قادته إلى الاقتراب إلى حد الالتصاق بجماعات الضغط اليهودى فى الولايات المتحدة ، فقد كان تأثير هذه الجماعات أقوى وأظهر ما يكون فى مجالات التبرعات بالمال للحملات الانتخابية ، وعدد الأصوات التى ترجح الحساب فى الدوائر والولايات ، وإمكانيات التأثير غير الظاهر فى وسائل الاعلام .

وفى يوميات « ايزنهاور » خلال « أزمة السويس » إشارات متعددة لـ « ليندون

(٩) وردت الاشارة إليها فى كتاب « كارو » عن سيرة « جونسون » وهو المؤرخ الشخصى له ، كما نشرتها صحيفة « نيويورك تايمز » ، ثم رددتها مجلة « تايم » ضمن مقال عن الحياة الشخصية للرؤساء الامريكيين .

جونسون » باعتباره « عمدة أصدقاء إسرائيل والمدافع عن وجهات نظرها[١٠] ، متحمسا فى البداية لترك البريطانيين والفرنسيين والاسرائيليين ينهون « بالحملة التى أعدوا أنفسهم للقيام بها » ثم مطالبا بعد ذلك بعدم مشاركة الولايات المتحدة مع الأمم المتحدة فى ممارسة أى ضغط على إسرائيل للانسحاب من سيناء وغزة بعد انسحاب البريطانيين والفرنسيين من بورسعيد . ويشعر القارىء ليوميات « ايزنهاور » أنه لم يكن معجبا بـ « جونسون » ولكنه كان متحسبا لنفوذه .

ولم تكن علاقات « جونسون » الخاصة بإسرائيل غائبة عن القاهرة ، ومع ذلك فإن أحدا لم يعتبرها عاملا مؤثرا لأن نائب الرئيس كان أبعد ما يكون وقتها عن عملية صنع القرار ، وعندما اصبح القرار الأمريكى كله فى يد « جونسون » تحول اهتمام القاهرة إليه ، وكان اهتماما مشوبا بكثير من الحذر والتوجس .

□

كانت بداية العلاقة بين « جونسون » والقاهرة سوء تفاهم أبدته حساسية البيت الأبيض فى عهد « جونسون » . فبعد يومين من اغتيال « كنيدى » تلقت وزارة الخارجية فى القاهرة برقية رمزية من سفيرها فى واشنطن الدكتور « مصطفى كامل » برقم ٦٩٩١/ ٣٩٥ جاء فيها :

« رسالة عاجلة لسكرتارية الرئيس :

١ ـ نشرت الصحف اليوم ان السيد الرئيس تفضل وارسل برقية عزاء لحرم الرئيس الراحل كنيدى .

٢ ـ لم تصل بعد برقية عزاء لرئيس الجمهورية الجديد .

٣ ـ اتصل بى مسؤول البروتوكول فى البيت الأبيض مستفسرا عما إذا كنا ارسلنا برقية عزاء إلى الرئيس ، فلم يصلهم من القاهرة شيئا حتى الآن . وقد استفسروا منا عما إذا كانت لدينا نسخة من برقية العزاء التى يفترض ان يكون السيد الرئيس قد بعث بها إلى الرئيس جونسون .

٤ ـ نرجوكم إفادتنا بسرعة ما إذا كانت برقية عزاء قد ارسلت إلى رئيس الجمهورية الجديد .

إمضاء
السفير »

(١٠) رجاء مراجعة كتاب « ملفات السويس » صفحة ٥٨٤ والاشارة الواردة فى يوميات « ايزنهاور » صفحة ٣٨٧ .

ولم يكن هناك قصد متعمد فى تأخير إرسال برقية عزاء لـ « جونسون » وإن كانت طبيعة المشاعر الانسانية قد استدعت التعجيل بإرسال برقية عزاء إلى « جاكلين كنيدى » قبل أى طرف آخر . وقد أبدى بروتوكول وزارة الخارجية دهشته من أن يلاحظ البروتوكول فى البيت الأبيض تأخر وصول برقية عزاء من القاهرة إلى الرئيس الجديد وسط زحام البرقيات التى كانت تنهال على البيت الأبيض فى ذلك الوقت . ومع ذلك لم يتوقف أحد طويلا أمام هذه الملاحظة .

□

وفى يوم ٦ فبراير ١٩٦٤ توجه الرئيس الأمريكى الجديد لأول مرة باهتمامه إلى شؤون الشرق الأوسط ، وكان اختياره للمنبر الذى قرر إظهار اهتمامه بالشرق الأوسط من خلاله منبرا غريبا . فقد ظهر فى اجتماع لجمع التبرعات لمعهد « وايزمان » ـ وهو ارقى المعاهد العلمية فى إسرائيل ـ لكى يعلن ان الولايات المتحدة قررت أن تتعاون مع إسرائيل فى إيجاد طريقة رخيصة لتحويل مياه البحر المالحة إلى مياه عذبة صالحة للرى وللشرب ، وذلك ضمن سياسة استخدام الذرة من اجل السلام ، ثم أضاف « جونسون » إلى ذلك فى خطابه إشارة إلى رسالة « ليفى اشكول » إليه فى أعقاب مؤتمر القمة العربى ، والتى قال فيها « أشكول » إن « قرارات مؤتمر القمة العربى تضمنت تهديدا باستعمال القوة المسلحة ضد إسرائيل ، وأنه على استعداد للسفر إلى الولايات المتحدة لكى يبحث مع الرئيس الأمريكى الجديد مخاطر التهديدات التى تتعرض لها إسرائيل بسبب تجمع العالم العربى ضدها » . وعلق « جونسون » على ذلك بقوله : « إن الولايات المتحدة ستواصل سياستها الحيادية فى الشرق الأدنى إلا أنها مستعدة للوقوف مع أى دولة فى المنطقة يقع عليها عدوان من دولة أو دول أخرى فى المنطقة » . ولم يكن فى هذا القول على إطلاقه ما يدعو إلى القلق ولكن وروده فى سياق خطاب فى معهد « وايزمان » وفى أعقاب إعلان تعاون مع إسرائيل لتحلية المياه عن طريق الطاقة النووية ـ وكذلك فى سياق الرد على رسالة « ليفى اشكول » ـ كان يحمل إيماءات يصعب تجاهلها .

ولم تشأ القاهرة أن ترد بسرعة على تصريحات « جونسون » وتقرر تشكيل لجنة عمل خاصة من وزارة الخارجية ، وهيئة الطاقة الذرية ، وهيئة المخابرات العامة لتقييم الدلالات الحقيقية التى ينطوى عليها بيان الرئيس الجديد ، واهمها ما يتعلق باتفاق التعاون العلمى والفنى بين الولايات المتحدة وإسرائيل فى مسألة تحلية مياه البحر . وطلب « جمال عبد الناصر » إلى الدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشئون الخارجية أن يقوم باستدعاء السفير الأمريكى « جون بادو » ويبلغه بقلق حكومة الجمهورية العربية المتحدة الشديد إزاء تصريحات « جونسون » .

وكتب الدكتور « محمود فوزى » بعد اجتماعه بالسفير تقريرا عما دار بينهما جاء فيه بالنص :[١١]

« جاء السفير الأمريكى لمقابلتى بناء على دعوة منى . ابلغته بما لا يقبل اختلاف التفسير والاجتهاد قلق الحكومة من البيان الذى اعلنه الرئيس جونسون فى معهد وايزمان . قلت له مبتدئا إن وايزمان كما لعله يتذكر هو مؤسس دولة إسرائيل ، وان يختار الرئيس الجديد هذا المكان بالذات لبيان عن السياسة الأمريكية امرلا يدعونا إلى التفاؤل والغبطة . ونحن لا نستطيع ان نرد ما قاله الرئيس جونسون إلى ضرورات الحملة الانتخابية كما فعلنا إزاء تصريحات له سبقت من قبل فى اجتماعات حزبية . فهو الآن فى البيت الأبيض وفى مكان السلطة .

ومن الناحية الموضوعية ، فإن لدينا ملاحظات اجملتها للسفير الأمريكى فيما يلى :

١ ـ إننا إذا صدقنا ما قاله الرئيس جونسون ـ وليس امامنا غير ان نصدقه ، فمعنى ذلك ان الولايات المتحدة سوف تقدم لاسرائيل مفاعلا نوويا ضخما يستطيع تنفيذ المطلب المتفق عليه .

٢ ـ إن النتيجة التى سوف تترتب على هذا هى ان الولايات المتحدة تعتزم إتاحة الفرصة لعلماء إسرائيليين ، لكى يتدربوا على ايدى علماء امريكيين على كيفية التعامل وإدارة مفاعل نووى ضخم .

٣ ـ بالتوازى مع ذلك فإن هذا الوضع سوف يتضمن ـ مهما كانت النوايا ـ فرصة ان يتعرف العلماء الاسرائيليون على الامكانيات الامريكية بتعمق خاص ، وهى ميزة ليست متاحة للعرب .

٤ ـ ونظرا لحجم مثل هذا المفاعل وقوته ، فسوف يكون استخدامه لليورانيوم عاليا ، وبالتالى فسوف تنتج عن التشغيل كميات من مادة البلوتونيوم التى قد تتيح الفرصة لانتاج اسلحة نووية .

وعدنى السفير بانه عائد إلى حكومته فمبلغها بقلقنا ، ثم عائدا إلى بما يرونه من إيضاحات ملائمة .

إمضاء

محمود فوزى »

وفى يوم ١٤ فبراير ١٩٦٤ طلب السفير الأمريكى « جون بادو » مقابلة الدكتور « محمود فوزى » وقدم إليه مذكرة مكتوبة بالرد على التساؤلات القلقة لحكومة الجمهورية العربية المتحدة .

---

(١١) ارشيف وزارة الخارجية المصرية ، وكان اصل هذا التقرير محفوظا فى غرفة المحفوظات الخاصة بالوزير ، وهى مجاورة لمكتبه وتقع تحت السلم فى المقر الرسمى لوزارة الخارجية المواجه لمبنى الجامعة العربية .

وكان الرد الأمريكى كما يلى بالنص :[١٢]

« ينتاب حكومة الولايات المتحدة قلق بسبب ما يبدو من سوء فهم فى دوائر الجمهورية العربية المتحدة بشأن اعتزام الولايات المتحدة مواصلة سياستها للتعاون مع جميع الدول فى الشرق الأوسط دون تحيز . وهى تاسف بصورة خاصة لمحاولات الصحف العربية تفسير خطبة الرئيس جونسون بتاريخ ٦ فبراير بانها تعنى تعديلا فى سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط . لقد كان بيان الرئيس تاكيدا مجددا للرغبة المستمرة للولايات المتحدة فى التعاون مع جميع دول المنطقة وليس حيادا عن هذه الرغبة .

والولايات المتحدة راغبة فى التعاون مع جميع البلدان فى تكنولوجيا إزالة ملوحة مياه البحر ، سواء ما كان منها نوويا او غير نووى ، ومما يدل على ذلك ان فنيى الولايات المتحدة من المقرر زيارتهم للمملكة العربية السعودية فى الشهر المقبل لاستكشاف إمكانيات إزالة ملوحة مياه البحر هناك . وإن الولايات المتحدة لترحب بالتعاون العلمى والتقنى بين حكومتينا . ونحن نعلم بان حكومة الجمهورية العربية المتحدة معنية فى المقام الأول باستغلال مصادر مياه النيل ، إلا ان تحويل الماء المالح إلى ماء عذب بالفصل الغشائى الكهربائى بالاستعانة بالطاقة من السد العالى ، او من (منخفض) القطارة هو مشروع يبدو ان له إمكانيات للنجاح ، وبالمثل ربما برهن استخدام الموارد البترولية فى منطقة البحر الأحمر فى تغطية مياه البحر بالوميض المتعدد على انه مشروع مجد .

وفيما يتعلق باستخدام الطاقة النووية فى إزالة ملوحة المياه ، فإن حكومة الولايات المتحدة يهمها ان تؤكد سياساتها السلمية إلى التوصل إلى نزع سلاح خاضع للاشراف على اساس علمى ، وهى تعترض اعتراضا جازما على انتشار الاسلحة النووية . وتمشيا مع هذه السياسات ، فسنقوم بتهيئة الضمانات المعتادة للوكالة الدولية للطاقة الذرية ، او اى ترتيبات مماثلة لاجراء الرقابة على اى مشروعات للمعونة تستخدم التكنولوجيا النووية .

وهكذا نقدم معونة غير متحيزة لجميع الدول التى ترغب فى زيادة مواردها المائية من خلال إزالة ملوحة مياه البحر ، مع التاكد فى الوقت عينه عن طريق المراقبة الدولية من ان اى تكنولوجيا نووية داخلة فى الأمر لن تستخدم إلا للاغراض السلمية . وهذا العرض يتمشى مع سياستنا العامة فى الشرق الادنى التى تسعى إلى تعزيز استقلال جميع الدول من خلال المعونة الاقتصادية ، وتحول فى الوقت عينه دون اى صراع يمكن ان يمتد إلى خارج المنطقة . ونعتقد اعتقادا جازما بان مصالحنا فى هذه الأمور إنما تتساوى بصورة عامة مع مصالح جميع بلدان المنطقة ، ويهمنا ضمان الا تؤول سياساتنا خطا بانها تتحيز لأى بلد واحد ، او مجموعة من البلدان . »

---

(١٢) وثائق وزارة الخارجية الامريكية ، وكذلك ارشيف منشية البكرى ، وارشيف وزارة الخارجية المصرية .

ومع أن الرد بدا مائعا ، فإن القاهرة آثرت الانتظار ومتابعة التطورات .

□

ويبدو أن « جونسون » أحس – وربما بتأثير بعض مستشاريه الباقين من عهد « كنيدى » – بأنه تصرف على نحو أثار الشكوك العربية إزاء إدارته بدون مبرر ، وفى وقت مبكر من رئاسته ، مما قد يحدث مضاعفات قد تؤثر على التوازنات الحرجة فى المنطقة بدون ضرورة فى هذه الظروف . وهكذا فى ٢٧ فبراير ١٩٦٤ بادر « جونسون » إلى كتابة أول خطاب شخصى[١٣] منه إلى « جمال عبد الناصر » ، وكان نصه كما يلى :

« البيت الأبيض

واشنطن

سرى ٢٧ فبراير ١٩٦٤

عزيزى السيد الرئيس

قرأت بعناية مراسلاتكم المسهبة مع الرئيس كنيدى ، وإننى مأخوذ بما كشفت عنه من مقدار الاحترام والتفاهم المتبادلين ، كما احسست بان هناك إرادة صادقة للسير قدما فيما نستطيعه من مجالات ، تاركين جانبا القضايا التى نختلف فيها بحكم الضرورة ، وعاملين على الحد من وطأتها . ومن جانبى ، يهمنى استمرار هذا الشعور بالثقة المتنامية بين الجانبين ، وقطع الطريق على إساءة تفسير سياسات بعضنا البعض مما أضر بعلاقاتنا فى الماضى .

ويهمنى فى هذا السبيل ان أؤكد لكم شخصيا باننا مصرون إصرارنا فى اى وقت مضى على السير قدما بسياسات التعاون البناء داخل الأمم المتحدة ، وخارجها مع الحكومات الأخرى التى لها مثل هذه النية . ولهذا اتطلع إلى استمرار التعاون المثمر مع حكومتكم ، ومع الحكومات الأخرى فى الشرق الأوسط ، وإلى تبادل الآراء معكم حول مصالحنا المتبادلة .

وفى اعتقادى ان الاهتمام الرئيسى للزعماء فى جميع الأمم ينبغى ان ينصب اليوم على الحيلولة دون تكاثف سحب الحرب . فقد اضاف العالم النووى إلى الحرب ابعادا جديدة مفزعة ، ولا سبيل إلى جعل العلم النووى علما سلميا عوضا عن تسخيره عسكريا إلا بالتعاون والتفاهم الدوليين العميقين والدائمين . ولكم ان تثقوا فى اننا سنظل نعارض الانتشار النووى فى اى منطقة من العالم .

ولما كان لا معدى للأمم عن ان تختلف ، ففى اعتقادنا انه يتعين علينا ان نحاول بكل

(١٣) مجموعة وثائق مكتبة « ليندون جونسون » فى تكساس ، وهذه الرسالة موجودة فى الصندوق رقم ٩٤ ويضم أوراق « جونسون » الخاصة بالشرق الأوسط – وتوجد نسخ من الرسالة فى ارشيف منشية البكرى ، ومكتب نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ، إلى جانب نسخة ثالثة فى مكتب وزير الخارجية .

مثابرة إحراز ما يستطاع إحرازه من تقدم فى تسوية القضايا المتنازع عليها . وعلينا فى الوقت عينه ان نركز على توسيع مجالات الاتفاق . وقد اغتبطت بالتاكيد الاخير لزعماء العرب الذين اجتمعوا فى القاهرة للنظرية القائلة إن على الأمم ان تحل خلافاتها بالوسائل السلمية . وإننا لنقدر بالحنكة السياسية التى دعت إلى التضييق من اسباب المظالم خدمة للمصلحة العامة ، والتى انشات جوا من التعاون فيما بين الحكومات العربية المختلفة . وإننا لنرحب بإمكان عودة الأمور إلى حالتها الطبيعية فى اليمن ، وضبط النفس فى المشكلة العربية الاسرائيلية ، وتزايد إمكانيات الجامعة العربية فى التعاون البناء .

وإنى آمل ان نستطيع فى الأشهر المقبلة العمل معا لتوسيع مجالات المصلحة المشتركة ، وتضييق ما قد نختلف فيه . ويهمنى فى هذه الاثناء ان يستمر الحوار الصريح الودى الذى اسهم فعلا فى التفاهم بين حكومتينا . وستكون بضع السنين المقبلة عبئا على كلينا ، ولكن للولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة الكثير الذى تكسبانه من خلال العلاقات الطيبة ، بحيث يتعين على كلينا الجهد فى سبيل المحافظة على (هذه المكاسب) والتوسع فيها عوضا عن ترك امتينا تنجرفان إلى التباعد .

المخلص

ليندون ب. جونسون »

وانتظر « جمال عبد الناصر » عدة أسابيع قبل أن يرد على رسالة « جونسون » كان خلالها يحاول تقييم موقف الرئيس الأمريكى الجديد ، ويدرس طبيعة ارتباطاته السابقة والراهنة .

وكان هناك سبب آخر للانتظار ، فقد اتصل السفير الأمريكى « جون بادو » بالدكتور « محمود فوزى » وأبلغه أن مساعد وزير الخارجية الأمريكية « فيليبس تالبوت » ينوى زيارة القاهرة فى الأسبوع الأول من شهر مارس ، ويرجو أن يقابل الرئيس لكى يؤكد له أنه ليس هناك تغيير فى السياسة الأمريكية تجاه العالم العربى . ووصل « فيليبس تالبوت » إلى القاهرة يوم ٢ مارس ، والتقى بالرئيس « جمال عبد الناصر » يوم ٣ مارس ، وقضى معه ساعتين كاملتين . ولم يستطع « تالبوت » ان يخفف من شكوك « جمال عبد الناصر » ولعله نجح فى تحقيق العكس ، فقد طرح مرة اخرى قضية الصواريخ المصرية ، وقضية صناعة الطائرات ، وقضية النشاط النووى فى الجمهورية العربية المتحدة ، ثم عاد إلى ما سبق أن طرحه « جون ماكلوى » حول افضلية قيام الولايات المتحدة بالتفتيش على المنشآت المصرية فى هذه المجالات الثلاثة معا .

وبعدما قرر « جمال عبد الناصر » أن يرد على رسالة « جونسون » وفى حدود ما أثاره الرئيس الأمريكى فيها فعلا ، وتجاهل ما جاء به « فيليبس تالبوت » بعدها .

وكانت تلك مشورة الدكتور « محمود فوزى » الذى كان رأيه أن يرد الرئيس المصرى على رسالة الرئيس الأمريكى فى حدود ما تقتضيه دون التشعب إلى ما جاء بـ « تالبوت » ، وإذا أراد « جونسون » أن يتناول بنفسه إعادة إثارة الموضوعات التى طرحها « تالبوت » فليكن لذلك إطاره المستقل . وفى ٢٦ أبريل ١٩٦٤ كتب « جمال عبد الناصر » إلى « ليندون جونسون » رسالة شخصية آثر أن يشرح فيها رؤوس المسائل الهامة فى العلاقات العربية ـ الأمريكية ، والقضايا المفاتيح فى مسيرة العالم العربى . وكان نصها كما يلى :(١٤)

« عزيزى الرئيس

تلقيت بكل اهتمام مبادرتكم الطيبة بالكتابة إلىّ استئنافا لاتصالات جرت بين سلفكم الراحل وبينى ، حاول كل منا بواسطتها ان يقترب من فكر الآخر بالفهم .

ولقد اسعدنى ان اتاحت لكم مشاغلكم فرصة الاطلاع على المراسلات المتبادلة بينه وبينى حول العديد من المشاكل والموضوعات التى اثارت اهتمامنا المشترك ، سواء فى العلاقات المباشرة بين بلدينا ، او فى الدائرة العالمية الاوسع بعدها ، واثقا ان ذلك سوف يضع تحت تصرفكم صورة صحيحة من فكر الجمهورية العربية المتحدة ، ودوافعها فى كل موقف اتخذته .

وإنى لأؤمن بجدوى الاتصال الشخصى المباشر بين رؤساء الدول ، واعتبر ان ذلك يمنح العلاقات الدولية نظرة إنسانية تستطيع دائما ان تتلمس ، حتى فى وسط الأزمات المحتدمة اسبابا للاتصال .

وإنى لالتقى معكم فى كثير من المسائل التى تعرضت لها رسالتكم إلىّ .

التقى فى الآمال المعلقة على الأمم المتحدة ، والتعاون معها فى إطارها طريقا إلى عالم اكثر انسجاما وسلاما .

والتقى فى اهمية تطوير العلم الذرى لكى يخدم السلم ولا يسخر للحرب ، وفى ضرورة حصر انتشار الأسلحة النووية .

والتقى فى ضرورة توسيع وتعميق العلاقات العربية ـ الامريكية ، وفتح طريقها بالتفاهم وبالاحترام المتبادل .

والتقى فى ضرورة البحث دواما عن الطريق لتضييق مجال الخلاف قدر المستطاع ، وفى مقابلة ذلك توسيع مجال التعاون حيث يمكن ان تكون له فرصة وامل .

على انى اريد ان اضيف بعض الملاحظات التى اشعر من خلال التجربة بحيوية دورها ، واشعر ايضا بضرورة ملاقاتها بالتقدير الكافى من جانب كل الذين يهمهم

(١٤) مجموعة وثائق مكتبة ليندون جونسون ، وارشيف منشية البكرى ، وارشيف وزارة الخارجية ، وهناك تاشيرات تفيد ان نسخا ارسلت إلى وزارة الحربية ، وإلى رئاسة مجلس الوزراء ، وإلى هيئة المخابرات العامة .

استقرار السلام واستمراره . ولربما كان تركيزى الاكبر فى هذه الملاحظات على الشرق العربى بوجه خاص ، وعلى العالم الافريقى الاسيوى بوجه عام .

□ اولا : إن هناك صراعا ضد الاستعمار ما زال قائما ، ولا يمكن إنكار وجود هذا الصراع ولا التقليل من اخطاره على السلام ، واشير هنا على سبيل المثال إلى موقف بريطانيا فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وإلى موقف البرتغال فى انجولا وموزمبيق .

□ ثانيا : إن هناك صراعا من اجل الوحدة ، باعتبارها تحقيقا للذات القومية لامم عديدة ، بينها الامة العربية ، امم مزقتها مصالح الدول الاستعمارية الكبرى فى ظروف سابقة ، وما زال هذا التمزق فى الكثير من الاحيان قائما تتحصن وراءه رواسب انفصالية تغذيها فعلا من الخارج نفس القوى صاحبة المصلحة فى التمزق .

□ ثالثا : إن هناك صراعا بين التقدم والتخلف ، بتعبير آخر بين الغنى والفقر ، ويمارس هذا الصراع دوره على مستوى الدول خصوصا مع التقدم العلمى والتكنولوجى العظيم اللذين اوجدا تناقضا طبيعيا ، وإن بدا للوهلة الاولى غريبا ، ذلك انه يمنح المتقدمين الفرصة ليكونوا اكثر تقدما ، ويفرض على المتخلفين برغم كل ما يبذلونه من جهود ان يكونوا اكثر تخلفا ، ولو بالقياس إلى غيرهم من المتقدمين .

□ رابعا : إن هناك صراعا اجتماعيا فى داخل هذه الامم المتنبهة حديثا إلى ابعاد القرن العشرين وآماله الواسعة . يستهدف إقامة حرية الانسان على اوثق الضمانات ، ويربط الحرية السياسية واى معنى قد يكون لها ، بالحرية الاجتماعية ومضمونها الاصيل ، وإنى لاستذكر فى هذا المجال ما ورد فى الميثاق الوطنى للجمهورية العربية المتحدة فى ان حرية تذكرة الانتخابات ترتبط بحرية رغيف العيش .

وإنى لاثق انكم اول من يقدر شرعية هذا الصراع ، وضرورة مواجهته بكل مسؤولية الضمير الوطنى ، فلقد اثارت الاعجاب فى بلادنا حملتكم ضد الفقر فى الولايات المتحدة اغنى البلاد فى عالمنا المعاصر .

□ خامسا : بالنسبة للشرق العربى هناك صراع بين الامة العربية ، وبين إسرائيل التى كان قيامها نتيجة للرغبة فى تمزيق وحدة العرب والحيلولة دون التقاء شعوبه من ناحية ، وإبقاء قاعدة وسط الارض العربية لاستمرار تهديدها ، كما اثبتت بجلاء عملية التواطؤ بالعدوان على مصر سنة ١٩٥٦ .

ولربما كان يمكن تلخيص هذه الملاحظات التى اوردتها فى عبارة واحدة هى ان السلام لا يمكن ان يستقر ، او يستمر حقيقة إلا إذا كان مدعما بالعدل ، وسلام الامر الواقع مهما خلصت النوايا لا يستطيع غير ان يلعب دور الهدوء الذى يسبق العاصفة .

وإني لأؤكد لك ان الجمهورية العربية المتحدة لا تتردد فى بذل اى جهد من اجل تحقيق مثل هذا السلام القائم على العدل ، وتمد بغير تحفظ ، وبغير شروط يدها بالمحبة والأمل والرغبة فى التعاون الصادق إلى كل من يشغل بالهم مستقبل السلام وكفالته .

وإني لأثق فى نفس الوقت ان الولايات المتحدة الامريكية وشعبها العظيم تعطى قضية السلام كل اهتمامها ، وليست هنك فى هذا العصر مسؤولية تضارع مسؤولية الولايات المتحدة وقيادتها .

ومن صميم قلوبنا ، نحن نتمنى كل التوفيق للولايات المتحدة ، كما نتمنى لكم شخصيا كل النجاح فى المسؤلية العظيمة التى تتحملون تبعاتها .

وتفضلوا بقبول موفور تحيتى .

إمضـاء

جمال عبد الناصر »

وتحقق ما توقعه الدكتور « محمود فوزى » . فإن الرئيس « جونسون » ما لبث أن أثار بنفسه ذات الموضوعات التى جاء بها « تالبوت » ، واصبح باديا أن هذه الموضوعات هى الهدف الرئيسى ، وان ما حولها مما تضمنته المراسلات مجرد مقدمات دبلوماسية تمهد للقصد المطلوب .

ويوم أول مايو ١٩٦٤ اتصل السفير الأمريكى « جون بادو » بالدكتور « محمود فوزى » يطلب موعدا مع الرئيس « جمال عبد الناصر » . وفى ٧ مايو تم اللقاء .

وفى بداية اللقاء قدم السفير الأمريكى رسالة مكتوبة من الرئيس « جونسون » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » ، وكانت الرسالة مقتضبة ومقصورة على دعوة « لرئيس الجمهورية العربية المتحدة » إلى أن يقدم تأكيدات بإمكان تجميد استحداث أى أسلحة جديدة (فى مجالات الصواريخ والطائرات والمفاعلات النووية) عند المستوى الحالى لا تتجاوزه . وأضاف بعد ذلك أنه « طلب إلى سفيره جون بادو أن يناقش هذه المسائل شفويا مع الرئيس جمال عبد الناصر » . واستمع « جمال عبد الناصر » تفصيلا إلى ما قاله « بادو » وفى النهاية طلب منه إعداد مذكرة مكتوبة بتلخيص ما قاله له حتى يمكن دراسته على مهل وبتأن على أن يعود إلى مناقشته بالتفصيل معه فى لقاء آخر يتم بينهما فى موعد لاحق ، وبعد انتهاء زيارة « نيكيتا خروشوف » رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى الذى كان فى طريقه لزيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة .

وبالفعل كتب « بادو » مذكرة بما عرضه على الرئيس « جمال عبد الناصر »

وبعث بها إلى رئاسة الجمهورية بتاريخ ١١ مايو ١٩٦٤ . وكان نص هذه المذكرة كما يلى :

« سفارة الولايات المتحدة

القـاهرة

شخصى وغير رسمى[١٥]

مذكرة غير رسمية عن مناقشات بين

الرئيس جمال عبد الناصر والسفير جون س. بادو

٧ مايو ١٩٦٤

فى يوم ٧ مايو استقبل الرئيس جمال عبد الناصر السفير بادو فى مقر إقامته فى منشية البكرى ، وسلم السفير إلى الرئيس عبد الناصر رسالة شخصية من الرئيس ليندون ب. جونسون . وبعدما قرا الرئيس عبد الناصر الرسالة قال السفير إن الرئيس جونسون طلب منه ان يتقدم بعرض يتحصل فى الموجز غير الرسمى التالى :

. . . .

إن الرئيس جونسون يقدر تقديرا عميقا الرسالة التى بعث بها إليه الرئيس عبد الناصر مؤخرا ، وقد لاحظ بصورة خاصة تأكيدات الرئيس عبد الناصر لمعارضة الجمهورية العربية المتحدة لانتشار الأسلحة النووية . والرئيس جونسون معنى بالوسائل العملية التى من شانها الحد من الخطر النووى وتقليص سباق التسلح ، ورجا السفير ان يبحث هذا الموضوع مع الرئيس عبد الناصر من حيث الموقف فى الشرق الأوسط . واعاد السفير إلى الذاكرة ان هذا الموضوع قد ناقشه مع الرئيس عبد الناصر السيد جون ماكلوى الذى اوفده الرئيس كنيدى كمبعوث خاص . كما اشير إليه مرة اخرى من جانب مساعد وزير الخارجية تالبوت عند زيارته الأخيرة للرئيس عبد الناصر .

ولقد استبد بالرئيس كنيدى قلق عميق إزاء انتشار الأسلحة النووية ، وجاءت بعثة السيد ماكلوى نتيجة لهذا القلق . ويؤخذ مما قاله الرئيس جونسون فى رسالته انه راجع سجلات هذه اللقاءات ، وانه يشاطر الرئيس كنيدى قلقه ، ويسعى فى المضى قدما باسلوب عملى يحول دون سباق التسلح النووى .

كما إن الولايات المتحدة مستمرة فى قلقها الشديد إزاء حصول بلدان الشرق الأوسط على الأسلحة المتقدمة بسرعة متزايدة . وقد سرّ الرئيس جونسون ان يقف من

---

(١٥) مجموعة وثائق وزارة الخارجية الامريكية ـ مكتب مساعد وزير الخارجية ، وتحمل خاتما بتاريخ ١٤ مايو ١٩٦٤ ، كما توجد نسخ اخرى منها فى ارشيف منشية البكرى ، ووزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، وهيئة المخابرات العامة .

مساعد الوزير تالبوت على ما قاله الرئيس ناصر اثناء حديثه مع السيد تالبوت من ان الجمهورية العربية المتحدة لا تخطط الآن لأى نشر كبير للقذائف ارض ـ ارض .

إلا ان المشكلة ما زالت باقية . فكل تقدم فى اسلحة الجمهورية العربية المتحدة يستدعى تقدما من ناحية إسرائيل ، ولدى إسرائيل كل من القدرة المالية والتقنية للحصول على ما تراه ضروريا من اى اسلحة متطورة مماشاة مع ما تحصل عليه الجمهورية العربية المتحدة ـ كما يتضح من بيان السيد ادزوبى فى باريس (بما يعنى ضمنا ان إسرائيل تحصل على عدد قليل من قذائف ارض ـ ارض من فرنسا) .

ونخشى إذا استمر سباق التسلح الحالى ان تجد إسرائيل إغراء فى السعى لاستحداث اسلحة نووية . وستقوم الولايات المتحدة بمعارضة كل انتشار للأسلحة النووية معارضة قوية . ولكن برغم الضغط الامريكى ، فإن إسرائيل قد تغرى باستحداث اسلحة نووية رداً على مضى الجمهورية العربية المتحدة فى تكديس قذائف ارض ـ ارض .

إذن ، فالذى يبدو انه يخدم مصالح جميع ذوى الشان على خير وجه إنما يتمثل فى البحث فيما إذا كان مستطاعا إعداد ترتيب ما لتجميد سباق التسلح (ولا سيما فى مجال القذائف ارض ـ ارض) عند مستواها الحالى . ومن شان هذا ان يقلل من الضغط للحصول على اسلحة نووية ، كما انه يخفف من العبء المالى الثقيل الذى لا شك فى ان سباق التسلح الدائم الاضطراد ينطوى عليه بالنسبة لجميع الأطراف .

والولايات المتحدة إذ تدرس هذا الاحتمال ، إنما تستشهد بتجربتها الخاصة . فقد قامت الولايات المتحدة ، بالاضافة إلى المعاهدة الرسمية لحظر التجارب ، بتخفيض الانتاج من المواد القابلة للانشطار ، وستمتنع عن وضع القنابل فى الفضاء الخارجى . واتخذ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية إجراء مماثلا دون اى اتفاق رسمى . وهذه القرارات المتقابلة لا تنطوى على اى تفتيش دولى او قيام باعمال البوليس الدولى ، لأن لكل دولة من القدرة على الاستخبار ما يكفيها لتكون على علم بالاجراءات التى يتخذها الطرف الآخر .

وفى اعتقاد الرئيس جونسون انه ربما كان ممكنا للجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل انتهاج نهج مماثل . فإذا كان من الممكن التذرع بضبط النفس بإجراءات متبادلة ومتقابلة من الدولتين العظميين فى العالم ، وجب ان يكون ذلك مستطاعا بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة ، باعتبارها دولة عظمى فى الشرق الأوسط ، فتشارك بسلوك مماثل .

والذى يجول بخاطر الرئيس جونسون هو ان الجمهورية العربية المتحدة تستطيع ان تؤكد للولايات المتحدة فى هدوء بانها تعتزم تجميد استحداث القذائف ارض ـ ارض عند المستوى الحالى ، ويسرى هذا على كل من عدد القذائف ، وحالتها الحاضرة من حيث التطور التقنى . يضاف إلى ذلك انها تستطيع ان تؤكد للولايات

المتحدة بان الجمهورية العربية المتحدة لا تعتزم استحداث اسلحة نووية او الحصول عليها .

وفى اعتقاد الرئيس جونسون بانه من الممكن الحصول من إسرائيل على تاكيدات مماثلة . وبهذه الكيفية يخف الضغط على البلدان فى ابواب الإنفاق المضطردة الزيادة فى مجال الأسلحة ، ويقل إلى حد كبير خطر وجود اسلحة نووية فى الشرق الادنى . وتعترف الولايات المتحدة بان للجمهورية العربية المتحدة احتياجات مشروعة إلى قوة دفاعية كافية ، غير انه يعتقد بان هذا التحرك المقترح لن يعرض امن الجمهورية العربية المتحدة للخطر لأن من شانه منع إسرائيل من استحداث قذائف واسلحة نووية تشكل تهديدا مضطرد النمو لكل من الجمهورية العربية المتحدة والعالم العربى .

وفيما يتعلق بالأسلحة النووية ، فإن الرئيس عبد الناصر قد ابلغ فى مناسبات سابقة بان الولايات المتحدة تحث إسرائيل تكرارا على قبول وضع ضمانات دولية على تطورها النووى . وستواصل الولايات المتحدة القيام بذلك اعتقادا منها بان التطبيق العالمى (لقواعد) الوكالة الدولية للطاقة الذرية هو انجع ضمان لتطوير الطاقة النووية السلمية بصورة سليمة مع الحرص على عدم استحداث الأسلحة النووية علنا او سرا .

والولايات المتحدة متحيرة شيئا ما تلقاء بيانات ممثل الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر نزع السلاح فى جنيف حول مقترحات الوكالة الدولية للطاقة الذرية . فقد اعترضت الجمهورية العربية المتحدة على ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية (المفروضة) على نقل المواد القابلة للانشطار والمعدات وفقا لما اقترحه وفد الولايات المتحدة فى ٥ مارس . وقد اشار الرئيس عبد الناصر اثناء الحديث الذى جرى يوم ٣ مارس مع مساعد وزير الخارجية تالبوت إلى انه ربما امكن للجمهورية العربية المتحدة قبول ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى وقت مناسب . وربما ارتات الجمهورية العربية المتحدة ان الترتيبات المقترحة من الوكالة الدولية للطاقة الذرية هى ترتيبات شديدة الصعوبة او التعقيد . فإن كان الأمر كذلك ، فإن الولايات المتحدة لترحب بوجهات نظر الرئيس عبد الناصر .

وإن الرئيس جونسون ليرحب بصورة خاصة بتاييد الجمهورية العربية المتحدة لمبدا ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية لأن من شان هذا ان يساعد جهدنا الدولى فى حماية العالم من اى استحداث جديد للأسلحة النووية ، وحتى تبين الولايات المتحدة إخلاصها لبرنامج الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، فقد عرضت إجراء تفتيش على مفاعل من اهم مفاعلاتها النووية .

والولايات المتحدة إذ تبسط قضية ضبط النفس فى استحداث الأسلحة بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل ، إنما تكرر بانها لا تفعل ذلك لكى تحمى إسرائيل او تخدم المصالح الاسرائيلية . وهمها إنما ينصرف إلى التخفيف من التوترات فى الشرق الأوسط ، والمساعدة فى الضمان الذى يقى من مخاطر الحروب .

والولايات المتحدة على علم بان العالم العربى يعد إسرائيل دولة لا مفر من كونها توسعية . ولئن لم تشاطر الولايات المتحدة هذا الاعتقاد ، فإن السفير مخوّل بان يقول بصفة قاطعة بان الولايات المتحدة ستعارض بشدة اى جهد تبذله إسرائيل لتوسيع حدودها ، كما انه سيكون لها رد فعل إزاء التهديدات بالعدوان على اى دولة فى منطقة الشرق الأوسط سواء داخل الأمم المتحدة ، او فيما وراءها .

وفى الختام ، الح السفير فى إيلاء المشكلة المعروضة فيما تقدم ادق قدر من التفكير . والبادى ان سباق التسلح ، سواء فى الأسلحة التقليدية ، او فى الاسلحة الجديدة المتطورة ، آخذ فى الازدياد . إن الوقت يمر حتما ، وإن لم تتخذ الآن خطوات إلى الامام ، فقد تفلت المسالة من اليد . لهذا عاد السفير ، فاشار إلى رسالة الرئيس جونسون الذى قام بتسليمها وتساءل فيها عما إذا كان مستطاعا ان يبذل الرئيس عبد الناصر تاكيدات بان الجمهورية العربية المتحدة لا تعتزم الحصول على الأسلحة النووية ، اما فيما يتعلق بإمكان تجميد استحداث الأسلحة عند مستواها الحالى ، فقد اعرب السفير عن الأمل فى ان يكون فى وسعه إجراء مناقشة اخرى حول هذا الموضوع بعد زيارة رئيس الوزراء خروشوف .

وقد اجاب الرئيس عبد الناصر بقوله إنه سيرد على رسالة الرئيس جونسون ، اما اقتراح تجميد مستوى الأسلحة فهو من الخطورة بحيث يحتاج إلى إمعان فكر ، وطلب من السفير ان يقدم إليه مذكرة غير رسمية عن المناقشة ، وانه ، بعد زيارة رئيس الوزراء خروشوف ، سيبحث الموضوع بحثا آخر .

جون بادو
سفير الولايات المتحدة

السفارة الأمريكية
القاهرة ، ج . ع . م .
١١ مايو ١٩٦٤ »

□

وتلت ذلك مفاجاة لم تكن متوقعة ، ففى يوم ١٧ مايو ١٩٦٤ اعلن السفير الأمريكى فى القاهرة « جون بادو » انه قدم استقالته من منصبه على أن تكون نافذة المفعول ابتداء من يوم ٩ يونيو ـ اى بعد اقل من شهر . وكان تفسيره لهذه المفاجاة « انه قرر العودة إلى مجال التعليم مرة اخرى ، فقبل منصب أستاذ فى جامعة كولومبيا » !!

ولم يكن سبب الاستقالة مقنعا ، والأرجح ان « بادو » راح يحس يوما بعد يوم انه اصبح فى موقف مستحيل ، وانه وضع بين شقى الرحى !!

وهكذا لم تتح له فرصة مناقشة مذكرته وما حوته من موضوعات خطيرة مع الرئيس « جمال عبد الناصر » ـ كما اتفقا ـ بعد انتهاء زيارة « خروشوف » لمصر .

الفصل الرابع

عاصمة العالم الثالث

١

كان « نيكيتا خروشوف » الزعيم الأشهر للاتحاد السوفيتى فى طريقه بالبحر ـ رحلة خمسة أيام من يالطا إلى الاسكندرية ـ على ظهر الباخرة « ارمينيا » ـ وشاءت الظروف أن أكون معه ، ضيفا عليه فى بيته ليوم واحد قبل الابحار من يالطا ، ثم مدعوا معه على ظهر الباخرة « أرمينيا » طوال أيام السفر الخمسة حتى الاسكندرية .

كان الترتيب لزيارة « خروشوف » قد بدأ قبل ذلك بشهور ، وبالتحديد حين وجد الاتحاد السوفيتى انه مطالب بإعادة النظر فى سياساته العربية بعد سلسلة الهزائم والتراجعات التى لحقت به فى المنطقة .

فلقد فشلت سياسته فى الاعتماد على الأحزاب الشيوعية العربية ، وتأكد له خطأ نظرته إلى قضية الوحدة العربية بعد أن سقط نظام الانفصال فى دمشق . كذلك انهار أمامه فى بغداد نظام « عبد الكريم قاسم» الذى توهمه قادرا على التصدى للقاهرة . وفوق ذلك فإن المذابح التى قام بها الشيوعيون فى العراق ، وردود الفعل التى استدعتها بعد سقوط « عبد الكريم قاسم » أحدثت سلسلة من الصدمات فى موسكو ، مما فرض على القيادة السوفيتية أن تبحث فى الأسباب ، وفى الدوافع ، وفى أى من القضايا واصولها .

لم يكن الاتحاد السوفيتى من الأساس معتقدا بصحة فكرة القومية العربية ، ولم يكن يرى فى الشعوب العربية أمة واحدة سائرة فى يوم من الأيام إلى تحقيق وحدتها ، وإنما كان يراها شعوبا مختلفة ودولا متفرقة بينها روابط ثقافية معينة تستطيع تحقيق نوع من التجانس والقرب ، ولكنها لا تصل إلى أكثر من ذلك أو أبعد . وصحيح أن الاتحاد السوفيتى أبدى فى بعض الفترات قبولا ظاهريا للفكر القومى العربى ، ولكن ذلك كان من قبيل المجاملة السياسية ، ومنطق فض المجالس . ومن هنا فإنه وقف موقفا معارضا للوحدة بين مصر وسوريا ، ومؤيدا للانفصال ، ثم إنه اتخذ ما اتخذ من مواقف بعد ثورة ١٤ يوليو فى العراق . ثم دخل من ذلك إلى خلاف ساخن ، ومشتعل فى بعض اللحظات مع الجمهورية العربية المتحدة وقياداتها .

وعندما تغيرت الأوضاع فى بغداد ودمشق ، وعندما بدأت محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق ، وجد الاتحاد السوفيتى نفسه أمام ظواهر تؤكد له ضرورة إعادة النظر فى قناعاته ومنطلقاته ، وإلا كان عليه أن يواجه عزلة فى المنطقة تؤثر على هيبته ، وعلى حركته فى السياسة العالمية .

وفى أثناء اجتماع الحزب الشيوعى السوفيتى فى مايو ١٩٦٣ أعيد طرح قضية الوحدة العربية مرة أخرى ، ودارت مناقشات معمقة شارك فيها كثير من العقائديين والساسة فى الحزب . وفيما يبدو فإنهم انتهوا إلى إقرار ورقة أعدها خبير الحزب المتخصص فى قضايا حركة التحرر الوطنى وهو « أوليانوفسكى » ، **وكانت النتيجة التى توصل إليها فى ورقته أن هناك بالفعل أمة عربية واحدة فى طريقها إلى التكوين ، وأنه قد يكون من صالح الاتحاد السوفيتى أن يتعامل مع مشروع هذه الأمة ككل ، ومن مركز رئيسى واحد هو القاهرة ، دون أن يعنى ذلك بالضرورة إغلاق أية مسالك فرعية أخرى إلى عواصم عربية غير القاهرة . وذهب « أوليانوفسكى » فى ورقته إلى أن « كنيدى » نفسه يتبع هذا الخط مع « جمال عبد الناصر » بينما الاتحاد السوفيتى مشتبك مع هذا « الزعيم البارز للعالم العربى » فى معارك سياسية وإعلامية بسبب أحزاب شيوعية ضعيفة وهامشية !**

وعلى هذا الأساس جرت إعادة النظر فى سياسة الاتحاد السوفيتى ، وتم التوصل إلى اعتماد سياسة جديدة تستند على ورقة « أوليانوفسكى » وتبحث عن وسائل للتعبير عن نفسها عمليا . وأصبحت المشكلة المطروحة فى موسكو هى كيف يمكن خلق فرص تتم فيها عملية جس نبض القاهرة ، ومعرفة مدى استعدادها لفتح صفحة جديدة فى العلاقات توقف المعارك الاعلامية المتبادلة ، ثم تفتح الأبواب بعدها لمرحلة أخرى .

□

وكانت هناك علاقات ود تربطنى بـ « اليكسى ادجوبى » رئيس تحرير صحيفة « ازفستيا » ، وكان « ادجوبى » فى نفس الوقت متزوجا من « رادا » ابنة الزعيم السوفيتى « خروشوف » . وفى هذه الفترة تلقيت خطابا من « أدجوبى » تحدث فيه مطولا عن قضايا سياسية وصحفية مما كانت تحتويه مراسلاتنا عادة ، ثم وصل فى نهاية الخطاب إلى فقرة قال فيها إنه قرأ فى بعض صحف الغرب عن مشروع مبنى « الأهرام » الجديد الذى فرغنا من دراسته وبدأنا تنفيذه ، وأنه كان يتمنى أن تتاح له الفرصة لكى يطلع على مشروعنا ، وأن تكون من ذلك فرصة لكى يرى الأهرام وابو الهول والأقصر . وفى أول لقاء لى بعد ذلك مع « جمال عبد الناصر » أطلعته على خطاب « أدجوبى » وأبديت ملاحظة مؤداها أن فى رغبة « ادجوبى » لزيارة مصر إشارة واضحة ، وأننى أفكر فعلا فى توجيه دعوة إليه هو وزوجته لزيارة مصر . وبدا على « جمال عبد الناصر » أنه تذكر شيئا ، وكان قوله بعد ذلك : « إن أدجوبى أبدى مثل هذه الملاحظة عندما كان فى وداع « هدى »[1] فى مطار موسكو ، فقد قال لسفيرنا عند سلم الطائرة « إن السفر إلى مصر كان دائما حلما من أحلامه » . » ثم وافق « جمال عبد الناصر » على فكرة توجيه الدعوة إلى « اليكسى » و« رادا » . وكانت فى رايه محاولة لتصفية أجواء العلاقات العربية السوفيتية مما علق بها من آثار معارك سياسية دامت خمس سنوات ، وحان الوقت لانهائها .

وبعثت إلى « ادجوبى » بدعوة من « الأهرام » لزيارة مصر هو وزوجته ، وتلقيت قبولهما للدعوة عن طريق السفارة السوفيتية بالقاهرة فى ظرف ايام قليلة . وقبل أن يمر اسبوعان على توجيه الدعوة كان الاثنان فى القاهرة . وعندما ذهبنا جميعا فى أحد ايام الزيارة إلى منطقة الأهرامات ، وقف « اليكسى » امام الهرم الأكبر ، وقال موجها كلامه لزوجته « رادا » متعمدا أن يكون كلامه باللغة الانجليزية : « الا تظنين أن الرجل الكبير سوف يقف مبهورا أمام هذا المشهد ؟ » وكان واضحا أنه يعنى « خروشوف » وبشكل ما فقد احسست أن جزءا من تساؤله موجه إلىّ كما هو موجه إلى « رادا » . وقلت على الفور : « ولم لا ؟ » . وكان سؤاله بعدها ما إذا كنت أظن أن الرئيس « جمال عبد الناصر » على استعداد لتوجيه الدعوة لـ « خروشوف » لزيارة مصر ، وكان ردى أن هناك على حد علمى دعوة قائمة لـ « خروشوف » بزيارة مصر ، ردا على زيارتين قام بهما « جمال عبد الناصر » للاتحاد السوفيتى (زيارة رسمية فى ابريل ١٩٥٨ وزيارة سرية فى يوليو ١٩٥٨ فى أعقاب ثورة العراق) . ثم اضفت أنهما سيقابلان الرئيس معى غدا ، واننا نستطيع أن نفتح الموضوع أمامه ونستطلع رأيه .

وكان « جمال عبد الناصر » مستعدا للموضوع عندما أثير التساؤل فى

(١) الابنة الكبرى للرئيس « جمال عبد الناصر » . وكانت قد عادت قبل اسابيع من رحلة إلى الاتحاد السوفيتى .

حضوره . كان جاهزا بمناسبة الدعوة ، وقد اختار لها شهر مايو فى مناسبة إتمام تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع السد العالى .

وفى الأيام الأخيرة من أبريل ١٩٦٤ ـ كنت فى اليمن أتابع الأحداث فيها حين تلقيت تليفونا من موسكو ، وكان المتحدث هو « أليكسى أدجوبى » الذى قال لى : « إن الرجل الكبير قادم إلى بلادكم كما تعرف بعد انتهاء احتفالات اول مايو فى الاتحاد السوفيتى ، وقد كنا معه بالأمس نتحدث فى شأن هذه الزيارة ، واقترح ان تجىء إلى الاتحاد السوفيتى لكى تحضر معنا عيد اول مايو ثم تعود معه إلى مصر . إن لديه اسئلة كثيرة عن بلادكم ، وعن العالم العربى ، وهو يريد ان يناقشها بطريقة غير رسمية وبصراحة ، وقد اتفقنا جميعا على ان مناقشاته معك يمكن ان تكون مفيدة » . وسألته « إذا كان يعرف انه يكلمنى وانا فى صنعاء ؟ » وقال « إنه يعرف » ، وقلت إن « هذا هو اليوم الأخير فى شهر ابريل وغدا هو اول مايو ، ولا استطيع عمليا ان احضر احتفالات اول مايو » ، وكان رده « انه يعرف ، وانه ليس مهما ان احضر استعراض اول مايو فقد شهدته من قبل ، ومع ذلك فقد يكون من الأنسب ان اذهب إليهم باسرع ما استطيع ، والحق بقية الاحتفالات التالية للاستعراض الكبير ـ ثم نعود جميعا إلى مصر » .

وفرغت من الحديث مع « أدجوبى » لأجد ضابطا من القيادة العامة للقوات المصرية فى اليمن يحمل إلىّ رسالة تلقتها القيادة باللاسلكى من القاهرة موجهة إلىّ من الرئيس « جمال عبد الناصر » . وكان نصها : « اقترح السوفيت ان تسافر إلى موسكو ، وان تعود مع خروشوف لأن لديه اشياء كثيرة سياسية وغير سياسية يريد ان يستوضحها منك ـ وارى ان تعود فورا إلى القاهرة لكى تتوجه إلى موسكو بعد ان تقابلنى » . وركبت اول طائرة من صنعاء إلى القاهرة ، وتوجهت مباشرة إلى بيت « جمال عبد الناصر » ومنه عدت إلى طائرة موسكو .

□

ولأيام متصلة من شهر مايو ١٩٦٤ وجدت نفسى أعيش مع « خروشوف » . وفى اليوم التالى لوصولى إلى العاصمة السوفيتية ، وجدتنى على مائدة الافطار معه ومع ضيفه فى احتفالات أول مايو الرئيس الجزائرى « أحمد بن بيلا » . ومن الحق ان يقال إن « احمد بن بيلا » اضاف كثيرا إلى معلومات « خروشوف » عن دور مصر الخاص فى العالم العربى ، وعن مكانة « جمال عبد الناصر » المتميزة فى قيادة حركة القومية العربية .

كان « خروشوف » معجبا بكفاح الشعب الجزائرى وصلابة نضاله ، وكان « أحمد بن بيلا » فى ذلك الوقت هو الرمز الحى لذلك الكفاح . ومن هذا الموقع ، فإن

« بن بيلا » كان أول زعيم عربى يحصل على وسام « بطل الاتحاد السوفيتى » وهو أعلى الأوسمة السوفيتية . وعندما قال « بن بيلا » بطريقة لا تحتمل اللبس لـ « خروشوف » إن « علاقاتكم مع مصر ومع جمال عبد الناصر هى المعيار لعلاقاتكم بالعرب جميعا » كان « خروشوف » يستمع ويهز رأسه باهتمام .

وبعد احتفالات أول مايو توجه « خروشوف » ومعه « بن بيلا » إلى القرم لإجازة مدتها ثلاثة أيام ، ثم لحقنا بهما جميعا فى يالطا . وعاد « بن بيلا » من يالطا إلى الجزائر ، وبدأ المسافرون إلى القاهرة يستعدون لرحلة البحر إلى الاسكندرية . وكان الوفد السوفيتى المسافر مع « خروشوف » كبيرا على المستوى الرسمي والشخصى . كان من أعضاء الوفد الرسميين كل من « أندريه جروميكو » وزير الخارجية ، والماريشال « جريتشكو » وزير الدفاع ، و « نيباروجنى » وزير الطاقة الكهربائية ، و « سكاتشكوف » وزير العلاقات الاقتصادية الخارجية ، و « اليكسى أدجوبى » رئيس تحرير « ازفستيا » ، و « ساتياكوف » رئيس تحرير جريدة « برافدا » . وعلى الناحية الشخصية كانت هناك « نينا بيتروفنا » زوجة « خروشوف » ، و « رادا » ابنته ، و « سيرجى » ابن « خروشوف » وقرينته « جالينا » ، ثم « تانيا » ابنة « ساتياكوف » رئيس تحرير « برافدا » . وكانت دارسة لآداب اللغة العربية فى جامعة موسكو .

كانت الحياة مع « خروشوف » خلال هذه الأيام ـ فى بيته فى يالطا ، وعلى ظهر الباخرة « أرمينيا » من البحر الأسود إلى جنوب البحر الأبيض ـ مثيرة إلى أبعد حد . فقد كان الرجل مليئا بالفضول تجاه العالم الغريب عنه والذى يوشك ان يزوره لأول مرة . ولم تنقطع اسئلته ولا ملاحظاته ، وكان معظمها يدور حول فكرة القومية العربية ، وحول الروابط الثقافية والتاريخية والسياسية بين شعوب هذه الأمة ، وحول إمكانياتها ومواردها واحتمال تطورها فى المستقبل . وقد لفت نظرى باكثر من اى مرة التقيته فيها سابقا ، كثير من جوانب شخصيته المتعددة الزوايا والألوان . وكذلك لفتت نظرى فيه ظاهرة لم تكن مألوفة فى غيره من زعماء العالم الذين عرفتهم . فقد كانت تلقائيته مثيرة للدهشة فى بعض الأحيان إلى حد يدعو للحرج .

وقد حدث على سبيل المثال عندما كانت الباخرة « أرمينيا » تعبر البسفور بين ضفافه التركية أن صعد قائد الأسطول التركى إلى ظهر الباخرة « أرمينيا » ليرحب رسميا بزعيم الاتحاد السوفيتى الذى يعبر المياه الاقليمية التركية . وقبل ان يستقر الأميرال التركى فى مقعد أعد له على ظهر الباخرة بجوار « خروشوف » إذا هو يفاجأ بـ « خروشوف » يقول له : « تعال يا سيدى الأميرال ، وانظر من خلال نظارتى

المكبرة إلى هذه الاستحكامات المقامة على شواطئكم . إننى أرى هناك بعض التحصينات وبعض أوكار المدافع ، وأسالكم لماذا تضيعون وقتكم فى مثل هذا الهراء الذى لا ينفع ولا يجدى . انتم لم تتعلموا بعد طبيعة الحرب الحديثة ، ولا تدركون أن كل هذا الذى تحصنون به شواطئكم هو لعب اطفال تتكسر فى أول ثانية من الحرب » . وفوجىء الأميرال التركى ، ولم يستطع أن يجد كلمة يرد بها على زعيم الاتحاد السوفيتى .

وفى مثال آخر صعد « خروشوف » ليتمشى على ظهر الباخرة « أرمينيا » ووجدنى هناك على جسرها ممسكا بجهاز راديو صغير أحاول أن التقط به إذاعة القاهرة . وأقبل علىّ بخطى سريعة ليسألنى عما أسمعه ، وقلت له إننى أحاول أن التقط أيا من الاذاعات المصرية . وفوجئت به يقول لى : « اسمع ، أنا لا أستطيع أن أخفى ما بقلبى . لقد تلقيت قبل قليل تقريرا من القاهرة بأن الحكومة هناك تحاول تحجيم استقبال جماهير شعبكم لى ، وأنا لا أفهم هذا إلا إذا كنا ما زلنا أسرى خلافاتنا القديمة » . وقلت له : « هل تأذن لى أن أرد عليك بصراحة كما سألتنى بصراحة » ورد علىّ قائلا : « بالطبع وإلا فلماذا سألتك ؟ » وقلت له : « إن الذى كتب هذا التقرير واحد من اثنين : إما رجل يجهل الحقائق ، وإما أنه يقصد أن يخدعك » ثم استطردت « أرجوك أن تعرف أنك فى مصر سوف تكون ضيفا على جمال عبد الناصر ، واستقبالك فيها ليس أمرا متعلقا بقيمتك ، وإنما هو متعلق بمضيفك . وإذا كان استقبالك أقل مما تستحق ، فلن يكون هذا انتقاصا من قدرك أنت ، وإنما انتقاص من قدر الرجل الذى أنت ضيف عليه ـ هكذا التقاليد العربية » . وكان « خروشوف » يصغى باهتمام ، وكان تعليقه « أن ما قلته له يبدو له معقولا ، ومع ذلك فإن كفلاح بالطبيعة يؤثر أن ينتظر حتى يرى بنفسه » .

□

وعندما وصل « خروشوف » إلى القاهرة كان استقباله فيها حافلا ، وعندما دخل إلى قصر القبة بعد رحلته بالقطار من الاسكندرية ، وبعد أن اخترق شوارع القاهرة من محطة السكك الحديدية إلى قصر القبة كانت الدموع فى عينيه تأثرا وانفعالا . وكان أول ما فعله بعد أن دخل غرفة نومه أن طلب استدعائى ليقول لى : « إنك لم تكذب علىّ فأنا لم أر فى حياتى ما رأيته فى هذا اليوم » .

وكانت رحلة « خروشوف » إلى مصر ناجحة بكل المعايير ، ولم تشبها غير حادثتين جرت أولاهما خلال الاحتفال الرسمى بتحويل مجرى النيل ، فقد وقف « خروشوف » ليخطب فى الاحتفال ، وكان خطابه باللغة الروسية بالطبع ، وكان يتوقف بين فقرة وأخرى لكى يستطيع مترجمه أن يعيد على الجماهير ما قاله رئيسه بلغة

عربية ركيكة لم تكن تثير سامعيه . وبعد أن انتهى « خروشوف » كان الدور على الرئيس « عبد السلام عارف » الذى كان هو والرئيس « بن بيلا » ضيوفا فى الاحتفال . والذى حدث أن الرئيس « عارف » ملأ خطابه باستشهادات من آيات القرآن الكريم ألهبت حماسة الجماهير المحتشدة فى الاحتفال .

وعندما انتهت المراسم ، وعاد « خروشوف » إلى فندق « كاتاراكت » للاستراحة فوجئت به يدعونى إلى غرفته . ودخلت لأجده ممددا على سريره بملابسه الداخلية ، وقد تحول جسده الأبيض من تاثير حرارة شمس أسوان إلى لون الطماطم الحمراء . وفوجئت مرة أخرى به يقول : « لم أفهم حماستهم الزائدة لعارف » ، ثم راح يسألنى « هل ستظل العنزة معنا طوال الرحلة ؟ » وسألته عما يقصده بـ « العنزة » ، ومد يده إلى إحدى صحف الصباح التى كانت فى غرفته ، وفى صفحتها الأولى صورة لضيوف احتفال السد العالى عند وصولهم بالأمس إلى أسوان ، وهو يقول لى : « عارف . . عارف . ألا تراه هنا فى هذه الصورة أشبه ما يكون بالعنزة » !!

ووقعت الحادثة الثانية على ظهر الباخرة « الحرية » التى انتقل إليها الجميع من أسوان إلى شاطىء البحر الأحمر ليوم نزهة بحرية كان مفروضا أن تخصص لصيد السمك . وكان حظ السمك طيبا لأن اليوم كله ضاع فى مناقشات عنيفة لم تسمح لأحد أن يمسك بسنارة صيد . كان « خروشوف » معبأ ضد « عبد السلام عارف » وزاد من حدة مشاعره أنه قرأ عن تنفيذ أحكام بالاعدام فى بعض الشيوعيين فى بغداد قبل يومين اثنين . وهكذا فإنه عندما صعد إلى ظهر الباخرة « الحرية » الراسية فى ميناء « برنيس » ووجد « جمال عبد الناصر » و « أحمد بن بيلا » و « عبد السلام عارف » فى انتظاره على ظهرها ـ صافح « جمال عبد الناصر » و « أحمد بن بيلا » ثم سحب يده قائلا لـ « عبد السلام عارف » إنه لا يستطيع أن يصافح الأيدى الملوثة بدماء الشيوعيين فى العراق . وتوتر الجو إلى درجة خطيرة ، وتدخل « جمال عبد الناصر » وطلب إلى « خروشوف » أن يمد يده إلى « عبد السلام عارف » ثم يجلس لمناقشة الأمر فى هدوء . وأحس « خروشوف » أن الموقف يمكن أن يتطور إلى حد لا يريده أحد ، فمد يده لمصافحة « عبد السلام عارف » وقال إنه يريد أن يسمع منه . وانبرى « بن بيـلا » يقول لـ « خروشوف » : « بل ستسمع منى أولا » . ثم بدأ « بن بيلا » يشرح التناقضات التى لابد من الاعتراف بها بين عقائد العرب وجوهرها الاسلام ، وبين العقائد المادية للفكر الماركسى . ثم تطرق من ذلك إلى الحديث عن دور التنظيمات الشيوعية فى العالم العربى مركزا على دور الحزب الشيوعى فى الجزائر ، وكيف انه اعتبر نفسه امتدادا للحزب الشيوعى الفرنسى ولم يقم بأى

جهد فى النضال التحررى الجزائرى ، بل إن العكس مع الأسف كان هو الصحيح . ثم حان الدور على « جمال عبد الناصر » لكى يتكلم . وراح بدوره يتحدث عن ضرورة الاتفاق على ان بين القوميين العرب ، وبين الشيوعيين خلاف يحسن بالأطراف جميعا ان يسلموا بوجوده ، وان يتعلموا كيف يتعاملون مع بعضهم من خلال التسليم بحقائقه ، فالاسلام هو الجوهر الحضارى للقومية العربية ، والاسلام دين سماوى ، والمؤمنون به ليسوا مستعدين للمساومة فيه سياسيا مهما كان الثمن . ثم راح « جمال عبد الناصر » يعد أسباب التناقض واحدا بعد واحد منتهيا بانه لا مستقبل للشيوعية فى العالم العربى ، وان هذا لا يقلل من التوجهات التقدمية لحركة القومية العربية . ثم راح يستعرض تصرفات الأحزاب الشيوعية العربية فى مختلف بلاد العالم العربى واحدة بعد واحدة بادئا من مصر إلى سوريا إلى العراق قائلا فى النهاية : « إنهم فقدوا اى مصداقية يمكن ان تكون لهم ، وان الاتحاد السوفيتى يخطىء كثيرا إذا ربط سياساته فى العالم العربى بالأحزاب الشيوعية » . ثم قال : « إنكم تستطيعون اعتبارهم اصدقاء عقائديين لكم تدعونهم إلى احتفالات أول مايو او احتفالات ثورة اكتوبر ، فهذا حقكم لا ننازعكم فيه ، واما هنا فى العالم العربى ، فإنهم اختاروا العمل تحت الأرض ، وسوف يبقون فى المكان الذى اختاروه لأنفسهم » .

□

وربما أضفت إلى هاتين الحادثتين حادثة ثالثة وقعت معى ، فقد كتبت فى « الأهرام » سلسلة مقالات عن تجربة تلك الأيام مع « خروشوف » وجاء فى أولاها ، وقد نشرت فى أثناء وجود « خروشوف » فى مصر أنه « اشبه مايكون بفلاح يطل براسه من إحدى قصص « دوستويفسكى » ! »

ودعانى « خروشوف » إلى لقائه فى يوم سفره من مصر ليانبنى ، وقلت له : « إنك كررت لى اكثر من مرة انك تعتبر نفسك « فلاحا » وتتصرف فى كل موقف على هذا الأساس » . ورد بسرعة :

« لا اعاتبك لأنك قلت إننى فلاح ، وإنما اعاتبك لانك قلت إننى فلاح من قصص « دستويفسكى » ـ لماذا لم تجدنى فلاحا من قصص « تولستوى » ـ فلاح « دستويفسكى » خبيث وشخصيته معقدة ، واما فلاح « تولستوى » فطيب وشخصيته بسيطة ! »

□

وعندما غادر « خروشوف » القاهرة عائدا إلى موسكو كانت العلاقات العربية السوفيتية قد وضعت على أساس سليم ، وكانت احتمالات نموها فى المستقبل قد تحددت واتضحت توجهاتها . وكذلك كانت نتائجها العملية فى مجالات التصنيع ، والتسليح ، واستصلاح الأراضى نتائج بالغة الأهمية والأثر .

□

لم تكد طائرة « خروشوف » تقلع من مطار القاهرة عائدة به إلى موسكو حتى كانت طائرة « ليفى اشكول » رئيس وزراء إسرائيل تهبط به فى « فيلادلفيا » التى وصلها بادئا زيارة رتبت على عجل للقاء بينه وبين الرئيس « جونسون » » .(٢)

وفى يوم ٢ يونيو ١٩٦٤ كان « جونسون » فى انتظار « اشكول » على أبواب البيت الأبيض مرحبا بعبارات لم يسمعها أحد من قبل صادرة عن رئيس امريكى موجهة إلى رئيس وزراء إسرائيلى ، فقد قال « جونسون » موجها كلامه لـ « اشكول » : « إن إسرائيل لها ان تعرف وان تثق بان لها صديقا وفيا وحميما فى البيت الأبيض ، وان سلامة وامن إسرائيل هما جزء لا يتجزأ من سلامة وامن الولايات المتحدة » .

واجتمع ثلاثة عشر سفيرا عربيا فى واشنطن ، وقرروا أن يذهبوا معا إلى وزارة الخارجية ليسلموا احتجاجا جماعيا باسم العرب جميعا ، واستقبلهم هناك مساعد وزير الخارجية الأمريكية الذى قال لهم : « إن مواكب احتجاج السفراء العرب ان لها ان تتوقف ، وانها اصبحت مثل مواكب الجنازات » ، واعتبرها السفراء العرب استفزازا ، وغادروا مكتب مساعد وزير الخارجية معلنين انهم قرروا التشاور مع حكوماتهم فيما اعتبروه إهانةِ جماعية لحقت بهم .(٣)

وكان المحقق ان نجاح زيارة « خروشوف » لمصر لم يكن موضع رضا فى واشنطن !

(٢) امتدت زيارة « اشكول » للولايات المتحدة اثنى عشر يوما ، وقد بدات يوم ٣١ مايو وانتهت يوم ١١ يونيو .

(٣) تقرير مشترك من السفراء العرب إلى السيد « عبد الخالق حسونة » الأمين العام لجامعة الدول العربية ، فضلا عن التقارير التى ارسلها كل سفير منهم إلى حكومته .

٢

كانت زيارة « نيكيتا خروشوف » فى شهر مايو ١٩٦٤ حدثا دوليا هاما ، ومع ذلك فإنها لم تكن الحدث الدولى الهام الوحيد الذى شهدته القاهرة فى هذه السنة . فقبلها كانت القاهرة ملتقى لاجتماع القمة العربى (يناير ١٩٦٤) ، وبعدها بشهرين لحق بزيارة « خروشوف » للقاهرة مؤتمر على مستوى القمة لمنظمة الوحدة الافريقية شاركت فى أعماله ٢٤ دولة من القارة السوداء .

كانت القاهرة منذ البداية أحد مؤسسى منظمة الوحدة الافريقية ، فقد كانت « الدائرة الافريقية » ضمن الدوائر الثلاث الشهيرة للعمل المصرى كما حدده « جمال عبد الناصر » فى « فلسفة الثورة » . وهكذا قامت مصر بتكوين مجموعة الدار البيضاء التى مثلت الدول المتحررة فى إفريقيا سنة ١٩٦١ ، ثم سعت بعد ذلك إلى دمج هذه المجموعة مع المجموعة الأخرى التى نشأت فى مواجهتها ، وهى مجموعة دول المالاجاش . ثم توصل العمل الافريقى وضروراته إلى دمج المجموعتين بتأسيس منظمة الوحدة الافريقية فى اجتماع على مستوى القمة فى أديس أبابا فى مايو ١٩٦٣ .

وفى يوليو ١٩٦٤ كان موعد لقاء القمة الافريقى فى القاهرة ، وكان هذا هو اجتماع العمل الأول ـ بعد اجتماع التأسيس فى أديس أبابا ـ وقد تقرر عقده فى القاهرة اعترافا بدورها فى النضال الافريقى .

كانت القاهرة تريد أن تجعل من القمة الافريقية مؤتمرا ناجحا . ولكن الجلسة الأولى للمؤتمر كانت تعبيرا متجددا عن أحزان أفريقيا : **الشكوى من الاحتكارات المسيطرة مثل احتكار « أوبنهايمر » الذى أثاره الرئيس « نكروما » وشرح فى أثناء كلامه عنه كيف أن « أوبنهايمر » ابتلع ١٠٤ شركات تحتكر الآن فيما بينها ٨٠ فى المائة من الماس فى العالم ـ والشكوى من التمييز العنصرى ، وقد اثارها بانفعال الرئيس « موديبوكيتا » رئيس مالى ، وزاد انفعاله وصوته يجلجل فى قاعة المؤتمر « الا تعرفون ايها السادة أن العنصرية هى الابنة الشرعية للعبودية ؟ » ثم انفجر يتحدث عن تجارة العبيد ، ولحقه الرئيس « نكروما » الذى قال إن بريطانيا كانت تاجر العبيد الأكبر فى التاريخ ، وانه وجد وثائق فى « أكرا » من عهد الاحتلال تثبت له ان عدد العبيد الذين اسرهم البريطانيون وشحنوهم إلى مستعمراتهم ، او تاجروا فيهم حيث شاعوا يصل تعدادهم إلى ما بين ٢٠ إلى ٥٠ مليونا من البشر .**

وحتى ثائر جديد مثل الرئيس « بن بيلا » وجد نفسه يجارى هذه الأصوات المثقلة بالأحزان ، فتحدث عن الطريقة التى تصرف بها آخر مقيم فرنسى عام فى الجزائر قبل الاستقلال ، وقد وصل به الأمر إلى حد شحن كل ما كان موجودا فى القصور من تحف وأثاث ، حتى لقد حمل معه لمبات الكهرباء التى كانت تضىء مقره ، والذى تحول فيما بعد إلى قصر الشعب .

وتضامن الرئيس « نيريرى » مع هذا الشجن فوقف يتساءل هل يعقل أن بلدا مثل بلجيكا يستعمر بلدا مثل الكونجو وهو أكبر منه فى الحجم ٧٧ مرة ؟ والأسوأ من ذلك أن مستعمرة الكونجو كانت من أولها إلى آخرها ملكا شخصيا لـ « ليوبولد السادس » من سنة ١٨٧٦ إلى ١٩٠٨ وهذا جعله أغنى رجل فى العالم فى زمانه ، ومسيطرا على أهم مناجم الذهب والنحاس والماس ومزارع المطاط وتجارة العاج ، لكن أكثر من ٥ ملايين كونجولى ماتوا جوعا فى أسر عبوديته . ولم يسكت الرئيس « نيريرى » عند هذا الحد ، وإنما قفز من الماضى إلى الحاضر ليقول : **« والآن امامنا فى الكونجو الجنرال موبوتو ، وهو يزعم ان الله قد هداه فرأى النور . ولست مستعدا ان اصدق ان المعجزة التى حدثت للقديس بولس يمكن ان تتكرر مرة اخرى مع الجنرال موبوتو » .**

وكانت بعض الاقتراحات التى قدمت للمؤتمر جامحة او على الأقل سابقة لأوانها . وكان المتحمس الأكبر كالعادة هو الرئيس « نكروما » الذى طالب بالوحدة الافريقية فورا « هنا والآن » . ثم تقدم باقتراح مكتوب ينص على إقامة حكومة اتحادية لكل افريقيا ، وإنشاء قيادة عسكرية عليا لأفريقيا .

□

واحس « جمال عبد الناصر » بالقلق من وقائع جلسات أول يوم للمؤتمر . وفى اليوم التالى وجد أن عليه أن يتكلم مرة أخرى ، فقد كان هو بوصفه رئيسا للدولة المضيفة قد افتتح المؤتمر بكلمة منه ، وكان المفروض بعدها أن يترك مجال الكلام فسيحا لغيره . وتسجل محاضر الجلسة الصباحية لليوم الثالث للمؤتمر ، وكانت جلسة مناقشات مفتوحة أنه قال : **« إننى اردت ان اتحدث إليكم من دافع حرصى على نجاح هذا المؤتمر الذى تتطلع إليه ابصار الدنيا . والحقيقة اننى فى حاجة إلى ان اذكركم باننا نريد ان نجعل من هذا المؤتمر إطلالة على مستقبل افريقيا ، وليس مجرد نواح على احزان ماضيها . فانا اول من يعرف ثقل الميراث الاستعمارى ومصائبه . ولكننى اعرف ايضا اننا إذا تركنا مشاعرنا للغضب فسوف توجهنا إلى الانتقام . وهذا شىء سلبى لا يحقق لنا شيئا ، وإنما يتركنا**

بكثير من المرارة فى حلوقنا » . ثم قال إنه يجد نفسه حائرا بين نغمتين تترددان فى المؤتمر : نغمة المطالبين بأكثر مما تحتمله الظروف مثل حكومة واحدة لكل افريقيا وجيش واحد لكل أفريقيا ـ ونغمة المطالبين بقبول الأمر الواقع والرضا بأحكامه ، وهو يراها أقل كثيرا مما تسمح به الظروف . وظروف أفريقيا فى الحقيقة تسمح لها بتحقيق أشياء عملية كثيرة . ونقطة البداية الصحيحة فى رأيه أن تتمكن افريقيا أولا من حل المشاكل الافريقية ـ الافريقية ، وفى مقدمتها مشاكل النزاع على الحدود . واضاف : « إن كل دولة منا على نزاع مع جيرانها حول تقسيم الحدود . ونحن جميعا نسلم بان هذه الحدود لا تمثل اى حقائق جغرافيا ، او حقائق تاريخ ، او حقائق امن ، وانها مجرد خطوط رسمت على خرائط بحدود الاستكشافات او امتيازات الشركات الاستعمارية الكبرى المستغلة » . وقاطعه الرئيس « نكروما » عند هذه النقطة قائلا : « إن هذه الاستكشافات التى قام بها الرحالة الأوروبيون ، وادعوا بعدها انهم « وضعوها على خريطة العالم » هى ايضا إهانة . فانا لا اعرف كيف استكشفوا ما كان موجودا قبل ان يوجدوا هم . وعندما يجىء رجل مثل « ليفينجستون » ويقول إنه اكتشف الكونجو فإننى اشعر بنار تشتعل فى راسى . فالكونجو كان موجودا قبل أن يولد « ليفينجستون » وكان سكانه يعيشون على ضفافه منذ اقدم عصور التاريخ . كان الأجدر بـ « ليفينجستون » أن يقول إنه اول اوروبى وصل إلى الكونجو وطاف بارجائه ، ولكن ان يقول إنه اكتشفه فهذه وقاحة ، وإلا فمن حقى وانا اول غانى زار امريكا ان اقول إننى اكتشفتها ، وان اطالب بوضع تمثال لى امام مبنى الكابيتول . » وضحك الملوك والرؤساء ، واستاذن « جمال عبد الناصر » فى ان يكمل كلامه . واستطرد قائلا : « كنت اتحدث عن نزاعات الحدود ، وارى ان هذه النزاعات قد تسبب كوارث بيننا . ومع تسليمى بانها هى الأخرى ميراث استعمارى ورثناه ، فإننى لا اجد سبيلا إلى حلها غير وسيلة التفاوض والتوفيق ، وهذا اسلوب يجب ان نتفق عليه .

والمشكلة الثانية التى اراها امامنا هى مشكلة التخلف . فنحن من ناحية أمام موارد ومصادر للثروة منهوبة ، ولا تزال كذلك حتى الآن . ويضاعف من هذه المشكلة أننا لا نملك الكوادر الفنية والادارية اللازمة لاستغلال ما لدينا ، حتى وإن قمنا باسترداده ممن يسيطرون عليه الآن . وهذه مشكلة لا حل لها فى رأيى غير تعزيز إمكانيات التعاون بيننا ، بحيث يستطيع الذين سبقوا منا أن يساعدوا اللاحقين . وهنا فإن الجمهورية العربية المتحدة على استعداد لأن تضع ما لديها من إمكانيات وخبرة تحت تصرف قارتها . وفى كل الأحوال فنحن مقتنعون بأن الاستقلال هو مجرد « يافطة » وأن الحقيقة الفعلية وراء هذه اليافطة « اقتصاد » !

والمشكلة الثالثة ، وقد كان يحدثنى فيها وزير الاقتصاد عندنا ، وهو الدكتور القيسونى هى مشكلة شروط التجارة الدولية . فشروط التجارة الدولية الآن تلحق بنا غبنا شديدا من حيث أنها تضع مواردنا من المواد الخام تحت رحمة أسواق وبورصات الغرب ، وهذه مشكلة لا نستطيع أن نواجهها إلا مجتمعين على سياسة واحدة . وقد طلبت من الدكتور القيسونى أن يعد تقريرا حول هذه القضية ، وسوف نتقدم به إليكم قبل انتهاء جلسات المؤتمر . »

ثم استطرد « جمال عبد الناصر » : « هناك مسألة أخرى قد تبدو إجرائية ، فقد اقترح صديقى الرئيس نكروما أن نختم أعمالنا هنا بتوقيع اتفاقية ملزمة لكل دول افريقيا ، واعتقادى أنه من الصعب الآن إلزام ٣٤ دولة إفريقية بأحكام اتفاقية عامة واحدة . ولذلك فإننى اقترح ان ننهى اعمالنا هنا بإعلان للمبادىء نتفق على خطوطه العريضة ، وليس باتفاقية تلزمنا نصوصها متوقعين ان يقبل الجميع بعد أن يعودوا إلى بلادهم بالبقاء داخل هذه النصوص . »

وكانت هناك مشكلة عملية أخرى معلقة من الاجتماع التأسيسى الأول ، وهى مشكلة اختيار المقر الدائم لسكرتارية منظمة الوحدة الافريقية . واقترح « جمال عبد الناصر » أن تكون أثيوبيا هى المقر الدائم لسكرتارية المنظمة .(٤)

وبقيت مشكلة اخرى حرص « جمال عبد الناصر » على ان يستبقيها إلى النهاية ، وهى مشكلة إسرائيل . وقد بدأ حديثه فيها قائلا : « إنه استبقى إلى النهاية مسألة يعرف انها حساسة ، ومبعث الحساسية فيها أن هناك عددا من زملائنا واصدقائنا يتصورون اننا نلح على خطر إسرائيل من تأثير صراعنا كعرب معها ، وأننا نريد توريط افريقيا فى مشاكلنا الاقليمية . ونحن نختلف مع اصحاب هذه النظرة ، فحين نثير قضية إسرائيل امام افريقيا فنحن نفعل ذلك من يقيننا من أن إسرائيل من نفس الطينة العنصرية التى وجدت منها جنوب افريقيا . وقد اعددنا تقريرا مفصلا لكم عن مجالات التعاون بين إسرائيل وجنوب افريقيا ، وهى مجالات تمتد من تجارة العبيد الآثمة ، وحتى ميدان التعاون النووى المشبوه . ومن جانبنا فإننا لا ننوى أن نطرح عليكم اتخاذ اية

---

(٤) لعله فى هذا كان يصدر عن اعتبار مصرى خاص يتعلق بالعلاقات مع اثيوبيا ، فلقد كان اعتقاده دائما ان مصر يتحتم عليها رعاية مشاعر اديس ابابا إلى اقصى حد ممكن ، وذلك فى إطار سياستها المائية ، فهضبة الحبشة هى المصدر الرئيسى لمياه الفيضان ، وهو ضرورة حيوية بالنسبة لمصالح مصر . وانه بصرف النظر عن اعتراضات بعض الزعماء الافريقيين الجدد على شخص الامبراطور « هيلاسلاسى » الذى يبدو لهم وكانه شخصية منتزعة من قلب اساطير القرون الوسطى ـ فإن احدا لا يحق له ان ينكر دوره فى الكفاح الافريقى ، كما ان مصر عليها ان تجامله إلى اخر الحدود حتى وإن كان حكمه الاقطاعى نقيضا متعارضا مع افكارها ودعوتها الثورية .

قرارات فيما يتعلق بافريقيا . ونؤثر ان تجيء اى اقتراحات بهذا الصدد من افارقة غير عرب إذا هم اقتنعوا بمحض إرادتهم بان إسرائيل خطر على افريقيا بمقدار ما هى خطر على العرب . »

ونجح مؤتمر القمة الافريقى باى معيار يمكن ان يقاس به نجاح قمة إفريقية ، وكان « جمال عبد الناصر » مستغرقا بالكامل فى مهمة إنجاح المؤتمر . ولعل مجموعة أوراقه وتوجيهاته فى اثناء جلسات المؤتمر تعطى فكرة كافية عن الأسلوب الذى عمل به من اجل بلوغ هذا النجاح[٥] .

٣

كانت مصر ملتقى للقمم طوال سنة ١٩٦٤ :

- مؤتمر قمة عربية فى القاهرة (١٣ يناير ١٩٦٤) .
- مؤتمر قمة عربية سوفيتية بين « خروشوف » و « جمال عبد الناصر » ، وشارك فى مرحلة لاحقة منه كل من الرئيس الجزائرى « بن بيلا » ، والرئيس العراقى « عبد السلام عارف » (مايو ١٩٦٤) .
- مؤتمر قمة إفريقى فى القاهرة ايضا (يوليو ١٩٦٤) .

والآن وفى يوم ٥ سبتمبر ١٩٦٤ كان الموعد المحدد لانعقاد مؤتمر قمة عربى ثان تقرر هذه المرة أن يكون فى الاسكندرية . وكان مؤتمرا صعبا وشائكا ، ففى حين أن المؤتمر الأول فى يناير كان مؤتمرا استكشافيا لامكانيات القمة العربية[٦] ، وقد توصل بالفعل إلى قرارات هامة فى قضايا محددة ـ فإن القمة الثانية لم تكن مجرد استكشاف ، وإنما كانت عملية ممارسة . فضلا عن أنها وجدت نفسها فى مواجهة نتائج وآثار القمة الأولى .

---

(٥) صور من اوراق وتوجيهات « جمال عبد الناصر » كتبها بخط يده فى اثناء انعقاد جلسات المؤتمر منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٥٢ صفحة ٩٤٦

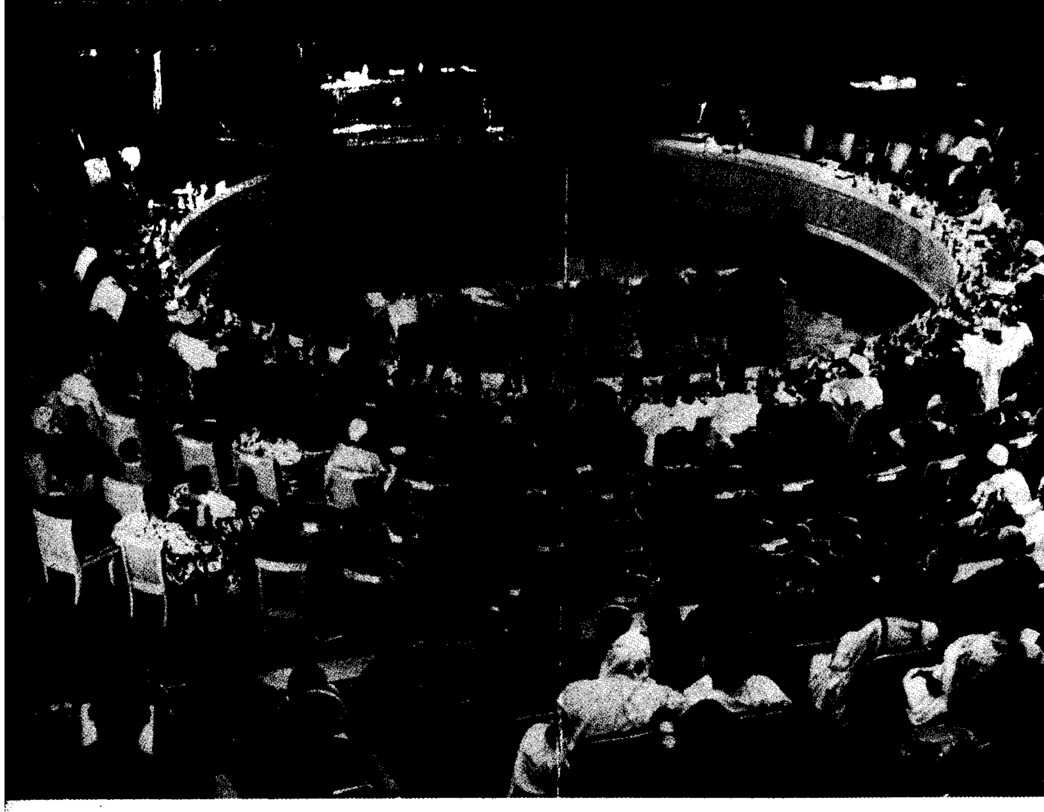
(٦) كانت محاولة القمة الوحيدة السابقة لذلك هى محاولة الملك « فاروق » فى اجتماع « انشاص » سنة ١٩٤٦ وكانت محاولة محدودة اقتصرت على لقاء اجتماعى ، وصدر عنها بيان مقتضب اقتصر على إعلان نوايا .



بورقيبه والحسن وبن بيلا فى جناح بورقيبه اثناء مؤتمر القمة فى القاهرة

كانت العقبة الأولى أمام القمة العربية الثانية هى المشاكل المعلقة من قرارات وتوصيات القمة العربية الأولى :

١ ـ كانت مشروعات تحويل مياه الأردن من داخل الأراضى العربية متعثرة لعدة أسباب مالية وعسكرية . فبعض الدول التى قبلت على نفسها بالتزامات مالية لم تنفذ ما وعدت به ، ثم إن حكومة لبنان ، وكذلك حكومة الأردن بعثتا إلى القائد العام للقيادة العربية الموحدة لجيوش الدول العربية الفريق أول « على على عامر » بخطابات سرية تبلغه فيها أنها لا تستطيع السماح بدخول قوات دعم أو مساندة عربية لحماية تنفيذ مشروعات التحويل ـ لأن ذلك قد يعتبر استفزازا لإسرائيل تستغله للتدخل عسكريا ضد البلدان التى تسمح به مما يعرض هذه البلدان لخطر حال . فى حين أن القوات المطلوبة لجيوش القيادة العربية الموحدة لم تتحقق بعد .



عبد الناصر يلقى خطاب افتتاح مؤتمر القمة الافريقى فى القاهرة ..

٢ ـ إن التقرير الذى قدمه السيد « أحمد الشقيرى » المكلف بإقامة الكيان الفلسطينى أشار إلى المصاعب التى تواجهها مهمته ، فقد ظهرت الحساسية ـ وحتى النفور ـ بسرعة بينه وبين السلطات الأردنية التى خشيت أن يكون من نشاطه تهديد للضفة الغربية الواقعة فى الوقت الراهن على الأقل تحت المسؤولية السياسية والعسكرية للأردن . ومن ناحية أخرى ، بدا أن التفكير الخطابى يشد الأستاذ « أحمد الشقيرى » إلى أبعد مما هو قائم عمليا . ومن نماذج ذلك ما كتبه فى الصفحة الرابعة من تقريره حيث قال « ومن الهتافات التى أطلقتها ألسنة الشعب فى كل مكان ذهبت إليه فى الضفة والقطاع ، وبصورة عفوية ـ هتافات « يا شقيرى بدنا سلاح ـ يا شقيرى هات سلاح وخذ رجال ـ يا شقيرى هات سلاح وخذ تحرير » . والمهم أن الدعوة إلى الكفاح لم تكن مجرد شعارات وعبارات ، ولكن كل الدلائل كانت صريحة فى أن وراءها تصميما قاطعا وعزما أكيدا على خوض معركة التحرير . »

٣ ـ وكانت أزمة اليمن لا تزال عقبة كؤوداً ، وزاد من تعقيد الأزمة أن الدور البريطانى فى الحرب ضدها زاد بروزا مما دعا السيد « عبد الخالق حسونة » الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يعد للمؤتمر مذكرة بدأها بقوله : « إن التآمر على سلامة الجمهورية العربية اليمنية ، ومحاولة القضاء عليها أصبحا من السمات البارزة فى السياسة البريطانية . وقد ظهر من تصريحات المسؤولين البريطانيين ، ومما تكتبه صحافة لندن أن ذلك يعود إلى خشية بريطانيا من الثورة اليمنية على مصير وجودها فى الجنوب المحتل » ـ ثم امتد تقرير الأمين العام بعد ذلك إلى تسع صفحات حتى وصل فى فقرته النهائية إلى القول : « لقد بلغ العدوان البريطانى على الجمهورية العربية اليمنية حدا بعيدا من الشراسة والضراوة تنفيذا لمخططها الاستعمارى البعيد المدى ، والذى لا يقصد إلى النيل من الجمهورية العربية اليمنية فحسب ، بل يتناول المنطقة العربية بأسرها » .

□

وكانت العقبة الثانية هى أن ظهور واستمرار اللقاءات العربية على مستوى القمة فتح الباب أمام كل الأطراف لعرض سيل من القضايا والمشاكل والأزمات وجدها كل منهم جديرة باهتمام القمة :

١ ـ أرادت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن تلفت نظر القمة إلى خطورة النشاط النووى لاسرائيل ، فقدمت إلى المؤتمر تقريرا من ثمانى صفحات يتحدث عن إمكانيات مفاعل « ديمونة » الذى بنته إسرائيل بمساعدة فرنسا ، وذكرت « أن هناك أنباء لدى إحدى دول المعسكر الشرقى تستوجب الاحساس بالخطر إزاء إمكانيات النشاط النووى فى إسرائيل » . ثم ذكر الأمين العام فى تقريره(٧) أن ما بلغه من هذه المعلومات يظهر « أن مفاعل ديمونة يعمل فيه عدد كبير من الخبراء الفرنسيين جاءوا من فرنسا مع عائلاتهم ، وتحمل سياراتهم أرقاما فرنسية ، وقد خصص لسكناهم سلسلة من الأبنية المتجاورة فى المدينة الذرية الاسرائيلية ، وهم غالبا ما يتجمعون فى مقهى فى بئر سبع أطلق عليه اسم المقهى الفرنسى (الشهير فى باريس) « كافيه دى لابيه » وصاحبه يهودى يونانى . كما أرسلت إسرائيل تباعا عددا من العمال الفنيين اليهود للتدريب فى المعاهد الذرية الفرنسية والعمل فى هذا المفاعل بعد عودتهم . وإلى جانب مفاعل « ديمونة »

(٧) تقرير السيد « عبد الخالق حسونة » إلى مؤتمر القمة العربى برقم د ٢/٢/١ ـ ج .

فهناك معاهد أخرى فى إسرائيل تعمل لخدمة التطور النووى ، وهى : معهد « وايزمان بروخوبوت » ويشتمل على ٧١ مختبرا و ٦١ غرفة للدراسة . وفيه جهاز ذرى لانتاج الطاقة الكهربائية ، وجهاز آخر لانتاج المياه الثقيلة ، وميزانية المعهد تزيد على ١٠ ملايين دولار سنويا ـ ومعهد « التخنيون » (الهندسة التطبيقية) فى حيفا ، وفيه يتخرج مهندسون ذريون ـ والجامعة العبرية ، وفيها جهاز لتوليد البروتونات والذرات الخفيفة بالتعاون مع جامعة « كورنيل » فى أمريكا ـ ومركز ذرى مقام على جبل الكرمل بحيفا أقيم بواسطة خبراء أمريكيين يشرفون عليه ويدربون الاسرائيليين فيه . »

٢ ـ وأرادت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أيضا أن تلفت نظر الرؤساء العرب إلى خطورة التغلغل الصهيونى فى الدول النامية ، وبالذات فى افريقيا .(٨)

٣ ـ وإضافة إلى ذلك أرادت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن تلفت نظر القمة العربية إلى خطورة النشاط الاسرائيلى فى أمريكا اللاتينية ، وكان ذلك بناء على مذكرة من حكومة الأردن التى قام وزير خارجيتها بزيارة لأمريكا اللاتينية عاد منها وقد أزعجه ما رأى ، فالمسرح متروك لاسرائيل ، والوجود العربى ليس مؤثرا ، كما أن الجاليات العربية هناك « لا تؤدى مع الأسف ما عليها من واجب » .(٩)

٤ ـ ثم أرادت الأمانة العامة أخيرا بناء على مذكرات من حكومة الكويت أن تلفت نظر القمة إلى التغلغل الأجنبى فى منطقة الخليج العربى . وجاء فى مذكرة الأمين العام لجامعة الدول العربية(١٠) « أن الحكومة البريطانية ـ على سبيل المثال ـ تمكنت بوسائل الضغط والخديعة أن تفرض على حكام المنطقة اتفاقيات ومعاهدات غير متكافئة لايقرها عرف ولا قانون . فقد نصت هذه الاتفاقيات على تعهد الأمراء المشايخ بألا يسمحوا لوكلاء أية دولة غير بريطانيا بالاقامة فى بلادهم ، أو حتى مكاتبهم ، وألا يمنحوا أية امتيازات تجارية أو بحرية إلا لبريطانيا . بل إنها فرضت عليهم ألا يستغلوا بأنفسهم ما قد يكتشف فى بلادهم من بترول إلا عن طريق بريطانيا أو بموافقتها ، وأن تتولى عنهم شئون الدفاع الخارجى والأمن الداخلى والعلاقات الدولية » .

---

(٨) تقرير السيد « عبد الخالق حسونة » إلى مؤتمر القمة العربى برقم د ٢/٢/١ ـ هـ .
(٩) تقرير السيد « عبد الخالق حسونة » إلى مؤتمر القمة العربى برقم د ٢/٢/١ ـ و .
(١٠) تقرير السيد « عبد الخالق حسونة » إلى مؤتمر القمة العربى برقم د ٢/٢/٦ .

٥ ـ وأرادت حكومة الكويت ان تلفت نظر القمة العربية إلى نشاط إيران فى إمارات الخليج ابتداء من ابو ظبى إلى مسقط . وقد أشارت المذكرة الكويتية(١١) إلى مظاهر نشاط عسكرى واقتصادى وسياسى وثقافى يدعو إلى التخوف ، خصوصا وأنه يصاحبه نشاط إرهابى لا تخفى مقاصده ، ومن ذلك أنه قبض على إيرانى يشعل حرائق عن عمد فى دبى ، وقبض على أربعة إيرانيين أشعلوا أربعة حرائق فى رأس الخيمة ، وشب حريق كبير فى ابو ظبى ، واشتعلت حرائق كبرى فى سلطنة مسقط ، وقد جرى إحراق ١٥٠٠ منزل فى مدينة مطرح ، وهرب سكانها إلى داخل عمان . كما أن قاربا كان مفروضا أن يحمل أدوية للمستوصف الايرانى فى مشيخة عجمان ـ ظهر فى الواقع أنه يحمل أسلحة وذخائر اكثرها مسدسات . كما أن هناك إشاعات عن وجود ضباط إيرانيين بأثواب مدنية فى دبى .

□

وكانت الشخصية التى ظهرت فى قمة الاسكندرية ، ولفتت الانظار إليها هى شخصية اللواء « أمين الحافظ » رئيس مجلس قيادة الثورة فى سوريا . وكان ما لفت الأنظار إليه هو الأسلوب الذى تدخل به فى أعمال المؤتمر . فقد بدا يقول إن كل ما يسمعه مضيعة للوقت ، وأن مشاكل العرب كلها تبدأ وتنتهى بإسرائيل ، وأن القضاء عليها ممكن ومتاح إذا استطاع العرب تجميع اربعين لواء من القوات المسلحة ، وأنه كفيل بتقديم خطة إلى المؤتمر تضمن تحقيق هذا الهدف فى أربعة أيام .

وبدا أن المؤتمر بدأ ينجرف إلى مزايدات عقيمة لن تصل بطبيعتها إلا إلى مزيد من الاحباط وضياع الجهود . كما بدا أن بعض الدول مهتمة بإنشاء مشروعات خاصة بها على حساب الخطر المشترك . وكذلك بدا أن هناك من يفضلون دور المتفرج على دور المشارك الفعلى فى مسؤوليات العمل .

كان الأمير « فيصل » قد حضر القمة الثانية بعد أن تغيب عن القمة الأولى ، وكان واضحا أن الصراع الداخلى فى السعودية قد حسم لصالحه ، وبدا أن نوعا من التفاهم قد بدأ يعود إلى العلاقات بينه وبين « جمال عبد الناصر » . وكان الأمير « فيصل » هو الذى تدخل لمناقشة اللواء « أمين الحافظ » فى خطته « بالقضاء على إسرائيل فى اربعة أيام بأربعين لواء من القوات المسلحة » . فقد طلب الأمير « فيصل » من اللواء « أمين الحافظ » أن يضع خطته تفصيليا ثم تناقشها بعد ذلك

---

(١١) تقرير وزارة الخارجية الكويتية برقم ١٥٢/ ٦٤ .

قمة عربية أخرى تنعقد فى الرباط بعد شهور . وفى نفس الوقت تكون القيادة الموحدة للجيوش العربية قد أعدت تقديراتها لامكانيات العمل المسلح من أجل فلسطين . وساعتها يمكن مقارنة الأوراق والخطط ، ويمكن الوصول إلى قرار أو قرارات .

□ □ □

فى أجواء مؤتمر القمة العربية فى الاسكندرية كان « جمال عبد الناصر » يشعر أن الأوضاع فى العالم العربى راحت تتفاعل عند بعض التخوم بغير حسابات دقيقة ، وأن الظروف تفرض الامساك بزمام الحوادث ، وإلا تعقدت الأوضاع أكثر مما هى معقدة ، خصوصا بعد أن أصبحت القمة العربية الثانية مسرحا للمزايدات .

وقد حدث فى هذه الأجواء أن وصل إلى القاهرة الدكتور « جورج حبش » زعيم حركة القوميين العرب وقتها ، والتقى بالسيد « سامى شرف » سكرتير الرئيس للمعلومات الذى كتب بعد اللقاء تقريرا يتضمن تقدير الدكتور « جورج حبش » للأوضاع فى العالم العربى . ويلفت النظر ما جاء فى الصفحة الخامسة من هذا التقرير تحت بند :

« د ـ فلسطين

اتصل بهم بعض الشبان الفلسطينين فى الكويت ، وذكروا لهانى الهندى (احد اقطاب حركة القوميين العرب فى ذلك الوقت) انهم قرروا إشعال ثورة شعبية مسلحة من داخل إسرائيل ، وان لديهم تنظيم كامل مسلح ، كما ان هناك اسلحة ومخازن داخل إسرائيل . وان ثورتهم قد تستمر من شهر ونصف إلى ستة اشهر ، وهم يرجون ان تتوسط حركة القوميين العرب لدى الجمهورية العربية المتحدة . كما انهم على استعداد لإيفاد اشخاص للتفاهم حول هذا الموضوع . كما الحوا بانهم إذا لم يتلقوا ردا مقنعا ، فإنهم قد يبداون بالعملية سواء كانت الجمهورية العربية المتحدة توافق او لا توافق ، وليضعوا المسؤولين العرب امام امر واقع .

ذكر لى الدكتور جورج ان هؤلاء الشباب متصلون بالجزائر فعلا ، ولهم مندوب هناك على اتصال بالحزب ، وتصدر صورة من جريدتهم « فلسطيننا » بالجزائر ، وان الدكتور جورج فهم ان اتجاه الجزائر بالنسبة لهذه العملية هو ترك الراى النهائى فيها إلى الجمهورية العربية المتحدة ، ولكنها فى نفس الوقت تعتقد ان هذا هو الأسلوب الذى يجب ان تحرر به فلسطين .

الدكتور جورج وهانى الهندى سيلتقيان بمندوب هذه الحركة فى خلال يومين او ثلاثة حيث سيوضحوا له ـ بناء على طلبه ـ اتجاههم السياسى الغير واضح حتى الآن . وهم بالرغم من انهم غير مرتاحين لطريقة هؤلاء الشباب التى يسودها عاطفة فقط دون تدبر او روية فى معالجة الموضوع إلا انهم لا يريدون قطع الصلة او صدهم ، ويريدون معرفة توجيهات سيادتكم . »

ويتضح بالطبع أن هذه هى بدايات حركة « فتح » .

كان « جمال عبد الناصر » مؤمنا بالعمل المسلح ، مؤمنا به من الداخل ، فهناك فى رأيه موقع الحسم ، ولكنه بشكل ما كان يشعر ان الظروف تحتاج إلى حسابات أدق ـ فالمسألة ليست « وضع المسؤولين العرب امام امر واقع » ، كما نقل الدكتور « حبش »ـ ولكنها نظرة أوسع على موازين الصراع وإمكانيات تحريكها ، وفى أى توقيت ؟ وبشكل ما فإنه فى هذه الفترة كان يشعر ان البؤر القابلة للانفجار فى العالم العربى قد تناثرت بشكل يدعو إلى القلق ، وكانت هذه نتيجة طبيعية فى تقديره لثورة آمال محبوسة ـ ومع ذلك فقد كان فى أعماقه يحس بأن المسائل يجب أن « لا تنفلت » على حد تعبيره .

وكتب « جمال عبد الناصر » على هامش تقرير هذه المقابلة مع الدكتور « جورج حبش » تأشيرة بخطه جاء فيها بالحرف :

« أرى إرجاء هذه الحركة حتى عودة قواتنا الأساسية من اليمن حيث أن قواتنا (هناك) حوالى أربعون ألفا سننسحب منها بعد الاتفاق مع السعودية ٣٠ ألفا ، ويترك فى اليمن ١٠ آلاف فقط »(١٢) .

□

وكانت الأوضاع فى العراق تهتز تحت رئاسة الرئيس « عبد السلام عارف » . وما كاد مؤتمر القمة فى الاسكندرية ينتهى حتى بعث الرئيس « عارف » برسالة مؤداها أنه يريد أن يعود إلى القاهرة بهدف إتمام الوحدة . وتلقى « جمال عبد الناصر » يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٦٤ رسالة بخط الفريق « طاهر يحيى »(١٣) رئيس وزراء العراق يقول فى ختامها « إن الشعب يطالبنا الآن بإلحاح وإصرار بالتقدم به نحو هدفه الثانى ، وهو إعلان الوحدة مع شقيقته الكبرى العربية المتحدة » .

وفى تقدير « جمال عبد الناصر » وقتها ، فلم تكن الظروف مهياة لوحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق بمقدار ما أن هذه الظروف لم تكن مهياة للعمل المسلح داخل إسرائيل بصرف النظر عن النتائج طبقا للآراء التى نقلها الدكتور « جورج حبش » عن تنظيم « فتح » .

---

(١٢) الصفحة السابعة من تقرير « سامى شرف » التى تتضمن هذه الفقرة ، وعلى هامشها تاشيرة « جمال عبد الناصر » بخطه منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٥٣ صفحة ٩٥٠ ، والاصل محفوظ فى ارشيف منشية البكرى .

(١٣) صورة من رسالة الفريق « طاهر يحيى » بخط يده منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ٥٤ صفحة ٩٥١ . والاصل مودع بارشيف قصر عابدين .

٤

ولم تكن القمة العربية الثانية آخر القمم فى مصر سنة ١٩٦٤ . ففى ٥ أكتوبر ١٩٦٤ انعقد فى القاهرة مؤتمر لرؤساء دول وحكومات الدول غير المنحازة ، وحضرته ٤٦ دولة إلى جانب إحدى عشرة دولة شهدته من موقع المراقب .

كان هذا المؤتمر أول قمة للدول غير المنحازة لا يحضره قطبها الكبير « جواهر لال نهرو » فقد توفى قبلها بعدة شهور تاركا وراءه وصية مؤثرة تليق بإنسان عظيم قضى حياته فى النضال من أجل حرية وطنه ، ومن أجل سلام العالم . وقد ختمها بقوله **« إننى أريد أن يحرق جثمانى ، وأن تحمله طائرة تصعد به إلى الأجواء العليا ، وأن تلقى بذراته من الهواء لكى تنزل على الحقول التى يرويها عرق فلاح الهند ، وأتمنى أن تمتزج بتراب بلدى وتصبح جزءا لا يتجزأ منه »** .

وكان هناك غائب حاضر آخر عن المؤتمر وهو « مويس تشومبى » رئيس كاتنجا والشريك الرئيسى فى قتل « لومومبا » . وقد وصل إلى القاهرة دون دعوة لحضور مؤتمر عدم الانحياز ، وأصدر « جمال عبد الناصر » قرارا باحتجازه فى أحد القصور حتى تنتهى أعمال المؤتمر !

□

وربما بتأثير « نهرو » الحاضر الغائب فى المؤتمر ، فإن قمة عدم الانحياز كرست جهدها لاصدار إعلان عن مبادىء السلام والتعاون الدولى . وقد طالب هذا الاعلان بعدة أهداف محددة يتحقق بها السلام ، وهى :

١ ـ عمل موحد من أجل تحرير البلاد التى لا تزال غير مستقلة للقضاء على الاستعمار والاستعمار الجديد والامبريالية .

٢ ـ تأكيد احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، والتنديد باستخدام القوة ضد ممارسة هذا الحق .

٣ ـ مقاومة التمييز العنصرى ، وسياسة التفرقة العنصرية .

٤ ـ التمسك بالتعايش السلمى ، وتقنين مبادئه بواسطة الأمم المتحدة .

٥ ـ احترام سيادة الدول وسلامة أراضيها .

٦ ـ حل المنازعات بدون التهديد باستعمال القوة أو استخدامها وفقا لمبادىء الأمم المتحدة .

٧ ـ نزع السلاح العام الشامل ، واستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية ، وتحريم جميع تجارب الأسلحة النووية وإنشاء مناطق مجردة من الأسلحة النووية ، ومنع انتشار هذه الأسلحة تمهيدا لالغائها .

٨ ـ فك جميع الأحلاف والقواعد العسكرية .

٩ ـ تأكيد دور الأمم المتحدة فى الشؤون الدولية ، والتمسك بتنفيذ قراراتها ، وتعديل ميثاقها إذا كان ذلك ضروريا .

١٠ ـ فتح كل الأبواب للتنمية والتعاون الاقتصادى بين الدول .

وتلقى السفير « محمد القونى » مندوب الجمهورية العربية المتحدة الدائم فى الأمم المتحدة تعليمات بأن يعقد اجتماعا موسعا لكل سفراء الدول المشتركة فى عدم الانحياز والمعتمدين لدى الأمم المتحدة لكى يذهبوا جميعا فى موكب واحد ، ويقدموا إعلان برنامج السلام والتعاون الدولى الصادر عن قمة عدم الانحياز إلى « يوثانت » السكرتير العام للأمم المتحدة ، ولكى يكون من هذه المظاهرة فى تقديم الاعلان إلى « يوثانت » رمزا لتصميم وإرادة أكبر مجموعة من الدول التقت على برنامج واحد فى العمل الدولى .

□

ولم يكن ذلك كله مقبولا فى البيت الأبيض الذى يجلس « ليندون جونسون » فى مكتبه البيضاوى الشهير . فلم تكن كل هذه القرارات والاعلانات الصادرة عن قمم القاهرة متفقة مع آرائه ، أو مع سياساته ، أو مع مزاجه . ولم يكن سعيدا وهو يرى القاهرة وقد تحولت سنة ١٩٦٤ لتصبح أقرب ما تكون إلى عاصمة لا تنازع لنعالم الثالث بآماله وطموحاته وحركته .

الفصل الخامس

الاقتــراب من فوهة البركان

وفى يوم أول نوفمبر كتب السفير « محمد القونى » المندوب الدائم للجمهورية العربية المتحدة لدى الأمم المتحدة فى نيويورك خطابا شخصيا إلى الدكتور « محمود فوزى » نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية ، وبعث به إليه فى الحقيبة الدبلوماسية . وقرأه الدكتور « فوزى » ثم كتب لـ « جمال عبد الناصر » مذكرة قال فيها بالنص :(١)

« السيد الرئيس

تسلمت من السفير القونى خطابا جاء فى مشتملاته جزء راى القونى ، واوافقه ، بان من المناسب ان اطلعكم عليه ، وقمت باستخراج هذا الجزء دون بقية الخطاب توفيرا لوقتكم حيث ان الخطاب فى اصله شخصى ، ومما يكتبه الاصدقاء بعضهم لبعض .

مقدما لكم التحية ، مع موفور الاحترام .

محمود فوزى »

□

وكانت الفقرات التى اختارها الدكتور « فوزى » من خطاب السفير « القونى » ـ ليطلع الرئيس « عبد الناصر » عليها ـ كما يلى :

. . . .

. . . .

(١) اصل مذكرة الدكتور « محمود فوزى » ومرفقاته موجود فى ارشيف وزارة الخارجية ، وفى ارشيف منشية البكرى ، وتوجد ايضا نسخة منه فى اصول كتاب الدكتور « محمود فوزى » عن تجربته السياسية والذى اختار له عنوان « اما بعد » ـ ولم ينشر هذا الكتاب لان الدكتور « محمود فوزى » لم يكن قد فرغ من إعداده كاملا .

بعد ما « وجعت راسك » بكل ما كتبته فى هذه الصفحات لا يبقى عندى من اخبار الدورة غير مسالة اخيرة تركتها إلى نهاية الخطاب ، واترك لك تقدير اهميتها من عدمه ، وإذا وجدت لها اهمية فربما تنتهز اى فرصة وتضعها تحت علم السيد الرئيس ـ هذا مع العلم اننى اجدها مستوجبة للاهتمام ، وعلى العموم فإن الراى اولا واخيرا لتقديرك الذى نحترمه كلنا . والمسالة هى :

« اول امس كنا مدعوين لكوكتيل اقامه المستر ادلاى ستيفنسون (رئيس الوفد الامريكى الدائم إلى الامم المتحدة) وهو بالمناسبة يسلم عليك ويفتقد عدم حضورك للدورة الجديدة ، ويقول إن هذا اول موسم لا يراك فيه فى الامم المتحدة ، وإن كان يامل ان تسمح ظروفك الجديدة(٢) بحضورك ، ولو فى جزء من الدورة .

كان المدعوين إلى الكوكتيل عدد كبير ، وفيهم كثير من معارفك وهم ايضا سالوا عنك . المهم كان بين المدعوين اللورد « هارليك » وهو كما تعرف السفير الانجليزى فى واشنطن ، وهو متداخل جدا فى اوساطها السياسية ، وكان كما تذكر من اقرب المقربين للبيت الأبيض فى إدارة كنيدى ، وهو الآن لا يتورع عن انتقاد « جونسون » ويقارن كثيرا بين الرجلين لمصلحة كنيدى بطبيعة الحال ، وقد وجدت انتقاداته شديدة ودهشت من انه لم يتحرج فى إبدائها امام ستيفنسون وهو مهما يكون رئيس الوفد الامريكى الرسمى ، ويمثل الرئيس الجديد كما كان يمثل الرئيس القديم . والذى لاحظته ودعانى إلى الاندهاش ان ستيفنسون كان يظهر عليه انه لا يعترض على ما يبديه اللورد هارليك ، حتى كدت اعتقد انه يوافقه على ما يقوله وإنما يتحرج من ان يقوله بنفسه .

الاهم بعد ذلك ان موضوع التصعيد الأخير فى فيتنام كان هو الموضوع الذى يستولى على اهتمام الجميع ويتحدثون عنه ، ويناقشون تاثيره على اعمال الدورة الجديدة . وكان الجميع مستغربين لأمر جونسون بضرب فيتنام الشمالية مع ابتداء الدورة ، ويضربون اخماسا فى اسداس عن الحقيقة فى موضوع خليج تونكين ، وقد قال اللورد هارليك إن حادثة خليج تونكين(٣) مدبرة ، لكى يستطيع جونسون ان يتخذها عذرا لتصعيد الحرب مع فيتنام . إذ انه فيما يظهر سوف يجعل انتصار امريكا فى فيتنام هو اساس حملته الانتخابية للرئاسة ، واثناء

(٢) كان الدكتور « محمود فوزى » قد ترك وزارة الخارجية ، وعين مساعدا لرئيس الجمهورية للشؤون الخارجية .

(٣) كانت حادثة خليج تونكين بالفعل مدبرة ، فقد اعلن جونسون ان مدفعية الشواطىء الفيتنامية ، اعتدت بمدافعها على قطع بحرية امريكية خارج المياه الاقليمية الفيتنامية ، واتخذ من ذلك تكاة لغارات مكثفة على فيتنام الشمالية دون الرجوع إلى الكونجرس ، وقد اثبتت تحقيقات السناتور فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ الامريكى هذه الحقيقة ، عندما قامت بمناقشة حرب فيتنام فى جلسات استماع مفتوحة ، وكان انكشاف هذا التدبير بين الاسباب التى ارغمت جونسون على عدم ترشيح نفسه لمدة جديدة فى انتخابات الرئاسة سنة ١٩٦٨

النقاش بيننا فى هذه الأمور وجه اللورد هارليك حديثه إلى امام ستيفنسون ، وبحضور سفير فرنسا وسفير بناما وسفير غانا ، وقال : « إن هذه المسالة تهمكم انتم فى الشرق الأوسط على الخصوص لأن جونسون ليس عنده وقت الآن لمعالجة امور الشرق الأوسط وازماته ، فهو يريد التفرغ لموضوع فيتنام ، وبما انه لا يستطيع ان يهمل او يستغنى عن الشرق الأوسط ، ولهذا فإنه بنصيحة اصحابه قرر ان يترك الزمام فيه لاسرائيل لأنها تعرف المنطقة وهى فى وسطها وما يجرى فيها يهمها اكثر مما يهم غيرها ، كما وانه مما لا شك فيه ان مصالح الاثنين (امريكا وإسرائيل) ليست بعيدة عن بعضها » . ولما ابديت له اننى اجد ما يقوله شيئا غريبا ، شرح المسالة هكذا :

اساس المشكلة فى تقديره ان الرئيس جونسون متضايق اشد الضيق من السياسة المصرية من كل النواحى ، وهو ينتقد سياسة كنيدى ناحيتنا ويراها سياسة ضعيفة رسمها مستشارو كنيدى المتاثرون بالمدرسة الانجليزية ، وهو يقول إن فى ايام لورنس لم يكن العرب ينتجون صواريخ وطائرات ويجيئون بعلماء المان وخلافه !

وقال اللورد هارليك إنه سمع هو شخصيا من اقرب المقربين إلى جونسون انه متازم من الدور الذى تقوم به مصر ، والظاهر من كلامه ان مؤتمرات القمة التى اجتمعت فى القاهرة ضايقت جونسون ، وكذا زيارة خروشوف ، وكذلك مؤتمر عدم الانحياز . والمؤتمر الافريقى بالذات يظهر انه اثار اعصابه (جونسون) وحسبه على انه مؤثر بالضرر على مصالح امريكا وحلفائها من ناحية المواد الخام الاستراتيجية .

والنقطة التالية فى كلام اللورد هارليك ان عنصر الوقت مهم لأن مصر تاخذ مكانا اكبر من مكانها وتقوم بحشر غيرها ، وإذا تركوها بدون تعرض ، فالمسالة قد تتفاقم اخطارها فى المستقبل ويصعب تداركها او تصبح اصعب واصعب فى كل يوم .

وتعبير اللورد هارليك كان انه إذا وجد جونسون نفسه امام مشكلة فى الشرق الأوسط وليس لديه الوقت الكافى لعلاجها ، فمن طبيعة الحال ان يعتمد على صديق او حليف او نائب عنه بصفة وكيل .

وإسرائيل تقدم نفسها إليه بهذه الصفة ، وبصفة إخلاصها وصداقتها الموثوقة القديمة معه .

وتحدث اللورد هارليك عن الفوائد التى يعود بها هذا الحل على جونسون :

١ ـ هذا الحل يوفر الوقت لجونسون حتى يركز على فيتنام ، ويرتب كل الأوضاع فى الشرق الأقصى ـ مستفيدا ايضا من الخلاف الصينى السوفيتى .

٢ ـ وهذا الحل يوفر له تاييد اصدقاء إسرائيل فى امريكا ، ويجعلهم يقفون صفا واحدا مرصوصا وراء سياسة جونسون فى فيتنام ، وهذا مهم من ناحية تاثير اليهود على التيارات الليبرالية فى امريكا .

٣ ـ وهذا الحل مهما تكون النتائج التى تنتج عنه لا يؤدى إلى تدخل دول كبرى اخرى فيما يحدث فى المنطقة ، كما حدث فى وقت السويس ، لأن المسالة سوف تكون فى هذه الحالة مسالة محلية ومحدودة لا تستطيع اى قوة ، ولا حتى الاتحاد السوفيتى ـ ان تدعى انها ازمة عالمية .

٤ ـ إن هذا الحل بما معناه إطلاق يد إسرائيل فى التصرف لن يؤدى إلى إغضاب كل العرب ، بل يمكن ان يكون فيهم من سيكونوا سعداء إذا استطاعت إسرائيل حصر الدور المصرى وخنقه ، وهذا على اى حال هو المطلوب الذى تبغيه السياسة الأمريكية .

٥ ـ ذكرنى اللورد هارليك كذلك بما كان يدعيه الاسرائيليون فى السنوات الأخيرة من انهم كانوا يقدرون وحدهم على هزيمة مصر فى سنة ١٩٥٦ وان اشتراك فرنسا وانجلترا لم يساعدهم كما كان يقال ، وإنما اضر بهم دون شك . وقد ظلوا يقولون هذا ، ويطالبون الأمريكان « بان يعطوهم الوسائل وهم يقوموا وحدهم بالمهمة Give us the tools and we finish the job » .

وقال اللورد هارليك إن عناصر كثيرة فى البنتاجون والأمن القومى والمخابرات اصبحت تتبنى الدعوة إلى هذا الحل وتؤيده ، وإن هذا الحل هو اقرب ما يكون إلى استعداد الرئيس جونسون وميوله ما فى ذلك شك .

هذا مجمل ما دار ، وإننى حرصت على ان يكون فيه شىء من التفصيل لكى تتمكن بنفسك من وزن قيمته والتصرف بما تجده مناسبا من جهة إطلاع السيد الرئيس بالطريقة التى تراها .

وكان يراودنى شك فى كلام اللورد هارليك لأنى اعرف صداقته بجماعة كنيدى ونفوره من جماعة جونسون ، والمشاكل بين الطرفين الآن على اشدها ـ ولكن لأن تحليله فيه منطق ، ولأنه مطلع ولا شك فى هذا ، ولأن الكلام جرى كله امام ستيفنسون ، وامام سفراء دول ، فإننى قدرت ضرورة إخباركم بتفصيلاته » .

□

قرأ « جمال عبد الناصر » هذه الفقرات من خطاب السفير « محمد القونى » إلى « محمود فوزى » يوم ٦ نوفمبر ١٩٦٤ .

وفى نفس اليوم تلقى الصورة الكاملة لنتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية ، وكانت قضية فيتنام هى الموضوع المركزى فيها ، وقد انتهت بفوز ساحق

لـ « جونسون » على منافسه « جولدووتر » وكان توزيع الأصوات ٤١٠١٧٢٧١ صوتا لـ « جونسون » فى مقابل ٢٥٩١٦٢٥٨ صوتا لـ « جولدووتر » .

كان رد فعله الأول أن دعا الدكتور « محمود فوزى » إلى اجتماع معه فى بيته لمناقشة « سياسة جونسون » بعد عودته للرئاسة منتخبا بشخصه لأول مرة ، وليس فقط باعتباره نائب الرئيس الذى أكمل مدة رئاسة سلفه الذى اغتيل بالرصاص فجأة .

□

ويوم ١٤ نوفمبر ١٩٦٤ حدثت معركة جوية فوق سوريا قام فيها الطيران الاسرائيلى باختراق المجال الجوى السورى ، واستدراج الطيران السورى إلى معركة مقاتلات . وفقد الطيران السورى الذى اخذ على غرة أكثر من عشر طائرات . وتقدمت سوريا بشكوى عاجلة لمجلس الأمن الذى اجتمع يوم ١٦ نوفمبر لمناقشة العدوان . وكانت اللهجة التى تكلمت بها إسرائيل معباة بنبرة مبطنة بالاستعلاء . ولعلها كانت تقوم باستعراض للقوة يقنع واشنطن قبل غيرها من العواصم ، بما فيها العواصم العربية ذاتها ، وهى المقصودة بالضربة والدرس !

□

وعلى الأرض العربية ـ وتحت هذه الأجواء التى تقاطعت فيها خيوط النار ـ فإن المشهد العام كان باعثا على القلق . مراحل من التاريخ والتطور تتصادم مع مراحل . وافكار وتجارب مشتبكة مع تقاليد ومواريث . وصحارى ونجوع فى حالة خصام مع وديان ومدن . ومعارك بالقنابل والرصاص والخناجر تشابكت ، وتداخلت فيها مواقع الأطراف . وقوى خارجية لها مطالبها ، وبعضها له خرائطه ، وتحركها نحو ما تريد كظاهر وفاعل فى بؤر ، وفاعل دون ظهور فى بؤر أخرى !

وكانت هناك فى المنطقة حرب أهلية ساخنة ، وحرب خارجية باردة فى نفس الوقت .

وكان هناك تغيير على وشك ان يطرا : الحرب الأهلية الساخنة بدات تميل إلى البرودة ، والحرب الخارجية الباردة بدا يجرى تسخينها .

ثم إن هناك صراعا تتسع رقعته بمساحة قارات (خصوصا فى افريقيا) ، وآمالا تتجاوز بطموحاتها إمكانيات التحقيق ، وحتى إيقاع الزمن !

إلى جانب ذلك فإن الخطوط كانت قد طالت على كل الاتجاهات ، كما تكاثرت الجيوب التى تركتها عمليات الاختراق والتقدم والتطويق وراءها ، واتصلت بعض هذه الجيوب ببعضها ، واختلط الخارج بالداخل ، والعكس .

ولقد كان فى وسع إطلالة سريعة على هذا المشهد ان تظهر بقدر كاف من اليقين ان المنطقة كلها تعيش على حافة بركان . وكان البركان قد عانى سنوات من الغليان ، وكان الغليان حتى الآن مكتوما إلا من زفير بخار محبوس ، وتماوج ابخرة ساخنة متصاعدة ، وبقع حمم ملتهبة تتناثر احيانا هنا وهناك من تاثير النار المكبوتة فى الأعماق .

شواهد توحى كلها باحتمال انفجار !

□

شواهد بدا منها ان الصراع على الشرق الأوسط ، وفيه قد انتقل إلى البند الثانى من التقرير الشهير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية[٤] الذى رأى انه لا وسيلة إزاء مصر غير بديلين :

- إما الاغتيال
- وإما هزيمة ساحقة امام إسرائيل

ولقد جرت تجربة الطريق الأول عمليا وسياسيا إلى مداه (وسراديبه ما زالت على اى حال مفتوحة !)

والآن (و « جونسون » يتفرغ لحرب فيتنام) فقد حان الأوان لتجربة الطريق الثانى .

(٤) سبقت الاشارة إلى هذا التقرير على صفحة ١٨٦ . كما ان صورة من الصفحة الاولى منه ، والتى تقدم ملخصا حاسما له منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم ١٣ صفحة ٨٢٢

الملحق الوثائقى

مقـــــدمة

تتضمن الصفحات التالية من الكتاب ملحقا وثائقيا كاملا يعزز نصه الأصلى وفى بعض الأحيان يضيف إليه .

وتحسن الإشارة مقدما إلى بعض الملاحظات :

١ ـ كل الوثائق العربية التى يتضمنها الكتاب وملحقه الوثائقى مثبتة بمواضع حفظ اصولها فى الملفات الرسمية ، وقد جرت الإشارة إليها جميعا فى حواشى الصفحات وحيث استلزم الأمر ذلك . وربما لوحظت الإشارة المتكررة إلى ارشيف منشية البكرى ، وهذا الأرشيف كان موجودا فى مكتب الرئيس « جمال عبد الناصر » فى مبنى مواجه لبيته ، وقد تقرر نقل محتويات هذا الأرشيف بأمر من الرئيس « انور السادات » إلى قصر عابدين ، وتم بالفعل نقلها خلال شهرى يوليو وأغسطس ١٩٧١ .

٢ ـ كل الوثائق الأجنبية فى هذا الملحق ـ واهمها مجموعة الوثائق الأمريكية ، وبعضها تم الحصول عليه بمقتضى قانون حرية المعلومات ـ سلمت إلى « مركز الأهرام للترجمة والنشر » ليقوم بترجمتها إلى اللغة العربية ، وكان ذلك من جانب مؤلف الكتاب ضمانا إضافيا لحياد الترجمة معنى ولفظا .

٣ ـ ومن داعى الحرص على عدم التكرار ، فإن الوثائق التى جرى استعمالها فى النص الأصلى للكتاب لم ترد فى الملحق الوثائقى ، واما ما جاء فى هذا الملحق فقد اشير إليه فى موضعه مجرد إشارة رغبة فى ان يكون الملحق الوثائقى جزءا من الكتاب يقرا فى حد ذاته ، ويؤدى دوره فى إلقاء أضواء إضافية على جوانب مختلفة من الصورة العامة للأحداث .

٤ ـ يلاحظ فى هذا الملحق كثرة وتعدد الوثائق المكتوبة بخط الرئيس « جمال عبد الناصر » نفسه ، وكان هذا مقصودا بحكم أن أدق شهادة على تصرفات اى رجل هى ما كتبه بنفسه وبخط يده وفى ظروف لم يكن نشر ما كتب مطروحا من قريب او من بعيد .

الوثيقة رقم (١)

محضر للحوار الذى دار بين المستر « سلوين لويد » وزير الخارجية البريطانى والمستر « جون فوستر دالاس » وزير خارجية الولايات المتحدة يوم ١٠ ديسمبر ١٩٥٦ .

THIS DOCUMENT IS THE PROPERTY OF HER BRITANNIC MAJESTY'S GOVERNMENT

SECRET — *Middle East (Secret) Cabinet Distribution*

JE 1094/363G — *Copy No.* 13

RECORD OF A CONVERSATION BETWEEN THE SECRETARY OF STATE AND MR. DULLES ON MONDAY, DECEMBER 10, 1956, IN PARIS

The Secretary of State said that as a result of what we had been told by the United States Administration, and particularly the threat to sterling, we had agreed to withdraw our forces from Port Said virtually without conditions. He was, however, much concerned about the repercussions if in fact we obtained no satisfaction on any of the issues which were of concern to us. For instance, we had received certain assurances from the Secretary-General about clearance of the Canal. It now seemed that the Egyptians had obstructed General Wheeler's journey to Cairo and we had no indication that any of our salvage resources

هذه الوثيقة تخص حكومة جلالة ملكة بريطانيا

سرى

للتوزيع (السرى) على مستوى مجلس الوزراء بشان الشرق الاوسط

JE 1094 / 363G — النسخة رقم ١٣

محضر للحوار الذى دار بين وزير الخارجية والسيد دالاس يوم الاثنين ١٠ ديسمبر ١٩٥٦ فى باريس .

قال وزير الخارجية إنه نتيجة لما ابلغتنا به حكومة الولايات المتحدة ، ولا سيما التهديد المتعلق بالجنيه الاسترلينى ، فقد وافقنا على سحب قواتنا من بور سعيد بدون شروط من الناحية العملية . غير انه يشعر بقلق شديد للنتائج التى يمكن ان تترتب على عدم حصولنا على ترضية بشان اى قضية من القضايا التى تهمنا . وعلى سبيل

المثال ، فقد تلقينا تأكيدات معينة من السكرتير العام للأمم المتحدة بشان تطهير القناة .
ويبدو الآن أن مصر عطلت سفر الجنرال هويلر إلى القاهرة ، ولم نتلق ما يفيد ان أيا من معدات الإنقاذ التابعة لنا سوف تستخدم . وليس في وسعنا ان نترك سفن الإنقاذ التابعة لنا في بور سعيد بدون أطقمها البريطانية بعد خروجنا ، ونحن مضطرون بسبب عامل الوقت إلى البدء في سحب تلك المعدات يوم الأربعاء ١٢ ديسمبر إذا لم يتم التوصل حتى ذلك الحين إلى ترتيب مناسب لاستخدامها . وبذلك سينشأ موقف يتسم بطابع عبثي ينسحب فيه أسطول ضخم للتطهير من القناة ، وسيكون من اللازم في بعض الحالات ترك بعض الحطام الذى رفع جزئيا ليسقط إلى القاع مرة أخرى .

٢ - وفيما يتعلق بنظام القناة في المستقبل ، فقد كنا على استعداد لأن نأخذ رسالة السكرتير العام المؤرخة في ٢٤ أكتوبر ، نقطة بدء لمحادثات جديدة ، لكن السكرتير العام نفسه أبلغنا الآن أن موقف فوزى من هذه المسألة اصبح اكثر تشددا .

٣ - وهناك أيضا مسألة المطالبات ، والمطالبات المضادة التى لم يتم التوصل إلى إتفاق بشانها حتى فيما يتعلق بالإجراءات . فالمصريون ماضون في مصادرة الممتلكات البريطانية في مصر ، واستولوا على المواد الموجودة في قاعدة القناة . ولا شك في أنهم سيقدمون لنا فاتورة هائلة بسبب أضرار الحرب التى وقعت في بور سعيد وغيرها . ومن الواضح انه ليس في الوسع تسوية جميع هذه المطالبات ، والمطالبات المضادة قبل إتمام انسحابنا ، ولكن يمكن على الأقل الاتفاق على تسويتها عن طريق التحكيم .

٤ - وكذلك فإن وضع الرعايا البريطانيين في مصر ، يبعث على القلق الشديد . فالمصريون يلزمونهم بالمغادرة ، ومن المشكوك فيه للغاية ان تتخذ إجراءات مناسبة لحماية ممتلكاتهم . وذلك بالاضافة إلى اعتقال نحو ٥٠٠ من المقاولين المدنيين في القاعدة . ولم نتلق اى تأكيد بالإفراج عنهم . وقد يكون هذا الجانب من الموضوع اكثر اهمية من الجوانب الأخرى من وجهة نظر الرأى العام في المملكة المتحدة .

٥ - ولو اننا توصلنا إلى اتفاق مع المصريين بشأن انسحابنا لكان الأرجح ان نسوى جميع هذه المسائل كجزء من الاتفاق ، إلا أن تطور الأمور ، كما جرى في الواقع ضيع هذه الورقة من يدنا . لكن قد لا يكون ذلك قد حدث بالفعل إذ أن الانسحاب لن يستكمل قبل أسبوع ، أو عشرة ايام . بل إن الفرنسيين كانوا حريصين ، لأسباب برلمانية ، على الا يتم الانسحاب حتى يوم ٢٢ او ٢٣ ديسمبر ، وقد يكون في الوسع إتاحة هذه الأيام القليلة الاضافية لهم عن طريق ترتيب إدارى يوضع مع الجنرال بيرنز . لكن يبدو لنا انه من الأهمية بمكان كبير التوصل إلى تسوية او على الأقل تحقيق تقدم بشأن هذه المسائل الأخرى خلال هذه الفترة . وقال وزير الخارجية : إنه يقترح تأكيد أهمية هذه المسألة للسكرتير العام ، ويا حبذا لو سافر السكرتير العام بنفسه إلى القاهرة . وفيما يتعلق بالتطهير ، فإننا نقوم بالفعل بالاتصال بالبلدان الأخرى المستخدمة للقناة .

٦ - ذكر السيد دالاس أن القول بأن « الولايات المتحدة طلبت منا ان نخرج » ليس دقيقا تماما . إلا انهم يتصورون ان كثيرا من النتائج السيئة التى ترتبت على تحركنا يمكن أن تعالج على نحو افضل بعد انسحابنا من بور سعيد . وهم طبعا لا يستطيعون ان يضمنوا ذلك ، غير

ان هناك اشياء معينة يستطيعون ان يفعلوها بانفسهم ، مثل دعم الجنيه الاسترليني الذى وعدوا به الآن . وقال وزير الخارجية إنه لا يريد ان يظن احد اننا لا نشعر بالامتنان لهذا العمل من جانب حكومة الولايات المتحدة . وقد اسعدنا البيان الذى صدر يوم الاثنين الماضى والكلمة التى القاها نيكسون نائب الرئيس . وقال السيد دالاس إنه شخصيا ناقش هذا الخطاب مع السيد نيكسون سلفا ، وانه مطمئن إلى ان الجو في الولايات المتحدة افضل الآن بصورة عامة ، وان الخطوة التى اتخذت لدعم الجنيه الاسترليني كان مصدرها اقتناعهم بان مصالح البلدين مترابطة ولكنهم لم يكونوا يستطيعون أن يفعلوا ذلك قبل أن يتاكدوا من انسحابنا . وكان رد الفعل في الكونجرس وبين الراى العام مشجعا . وقال السيد دالاس إن العمل البريطاني الفرنسى في مصر أثار الاستياء في جميع انحاء الولايات المتحدة ، ربما باستثناء بسيط ، في السواحل الشرقية وفي صحف مثل نيويورك تايمز وهيرالد تريبيون . غير ان هذه الصحف لا تعبر عن مجموع الراى العام في الولايات المتحدة . ولكنه يعتقد ان الميدان أصبح الآن مهيئا لاستئناف علاقات وثيقة بين البلدين . وقد علم بان الضغط على الجنيه الاسترليني قد توقف خلال اليوم او اليومين الأخيرين ، وذلك امر من الواضح ان الثقة تلعب فيه دورا حاسما ، وان الدعم الذى تقدمه حكومة الولايات المتحدة سيسبب لها صعوبات كبيرة في وقت تواجه فيه مشكلة زيادة تكاليف الدفاع . وربما نجد ان السيد همفرى مازال متشددا إلى حد ما في هذا الصدد ، وانه سيسعى إلى إنقاص المساعدات الخارجية التى تقدمها الولايات المتحدة من أجل تعويض التكاليف الإضافية للدفاع . لكن السيد دالاس يعتقد ان هناك شعورا متزايدا بانه يجب على بلدينا ان يعودا للاتفاق ، وهو على ثقة من ان الرئيس نفسه سيستخدم كل نفوذه الشخصى في هذا الاتجاه ، ولا سيما في خطابه في افتتاح الكونجرس في يناير .

٧ - وقال السيد دالاس : إن رد فعل الولايات المتحدة تجاه تحركنا في مصر لم يكن راجعا إلى اى حب للمصريين ، إلا ان الولايات المتحدة لا ترى كيف كان للنظام العالمى ان يستقر لو أنها أغمضت عينيها . وبعد وقوع ما حدث في مصر ، شرع الرئيس رى ، وشيانج كاى شيك في العمل معا على شن حرب في آسيا عن طريق شن هجمات منسقة على كوريا الشمالية وأراضى الصين . وهو امر من الواضح انه يمكن أن يتسبب في كوارث ، إلا انه يبين نوع النتائج المحتملة حيث اصبح من المقبول أن تسوى المنازعات عن طريق القوة .

٨ - وقال السيد دالاس : إنه ليس من سياسة حكومة الولايات المتحدة استرضاء عبد الناصر ، او التودد إلى العرب ، وانها لا تثق بعبد الناصر ، وهى مستعدة للضغط عليه لتسوية المسائل الشبيهة بما اشار إليه وزير الخارجية . وقد يكون لحكومة الولايات المتحدة قدر من التاثير على عبد الناصر في الوقت الحاضر لكن المتوقع ان يتناقص هذا التاثير عند عودة العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، خاصة وان عبد الناصر لمس بنفسه أن دافع الولايات المتحدة لم يكن حبها له . وستكون حكومة الولايات المتحدة مستعدة لان تفعل كل ما في وسعها بشأن مسائل مثل تطهير القناة ووضع النظام الذى ستتبعه في المستقبل . وقال دالاس بشان هذه النقطة الأخيرة إن الشعور حاليا في واشنطن هو ان افضل السبل يتمثل في أن يستانف السكرتير العام المناقشات من النقطة التى قطعت عندها في اكتوبر ، ولذا تميل الولايات المتحدة إلى إرجاء مشروع قرارها الخاص بتشكيل لجنة تابعة

للأمم المتحدة . وترى الولايات المتحدة أنه كلما عجل السكرتير العام ببدء المباحثات كان ذلك أفضل .

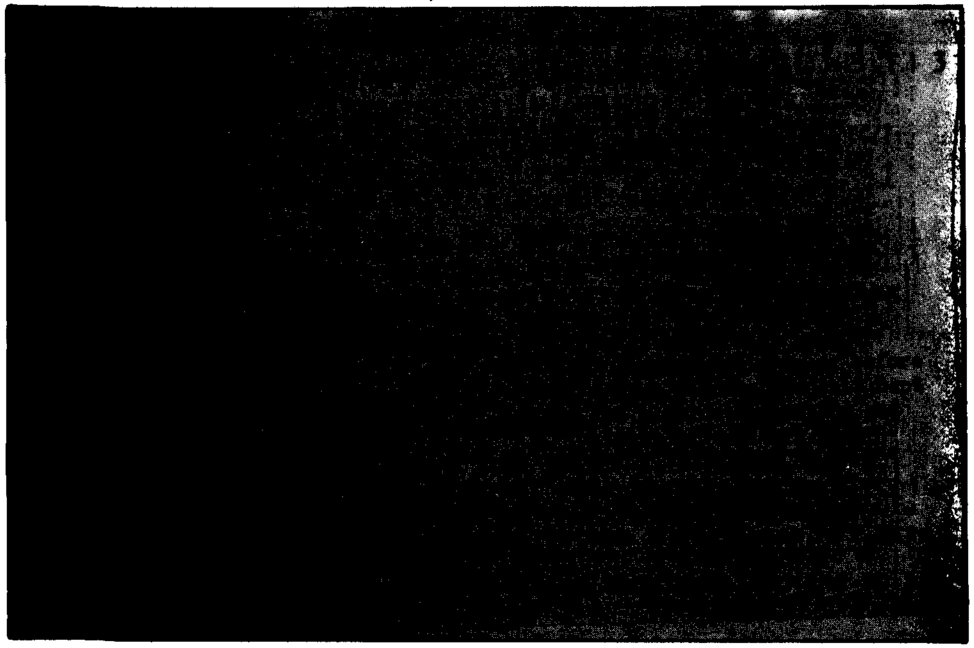
٩ ـ قال وزير الخارجية : إنه لا يريد أن يعود إلى أحداث الماضى ، فالمطلوب الآن هو راب الصدع ، وانه على الرغم من الضغوط الشديدة التى تعرض لها ، احجم عن توجيه أى لوم للولايات المتحدة فى البيانات التى أدلى بها فى البرلمان . وانه لم يشر إلى مسالة الانسحاب الآن إلا لاعتقاده بانه ليس من المصلحة ، لا للمملكة المتحدة ، ولا للصداقة الانجلو امريكية أيضا ، أن يبقى ذلك النوع من المسائل التى اشار إليها بغير حل فى الوقت الذى يتم فيه الانسحاب . فبعد الانسحاب قد يتشدد موقف عبد الناصر ، ويصبح من الصعب الوصول إلى تسويات مرضية . وقد تكون النتيجة أن يتفاقم هذا الشعور فى المملكة المتحدة ، ويتجه الكثيرون إلى القول ـ الذى قد يكون مجرد ذريعة ـ بانه لولا معارضة الولايات المتحدة لحققت عملياتنا نجاحا كاملا ، وان جميع متاعبنا ترجع إلى الأمريكيين . وهو أمر يمكن أن يصيب العلاقات بين بلدينا بابلغ الاضرار .

١٠ ـ قال السيد دالاس : إنه يوافق على ضرورة السعى للوصول إلى إتفاق مع المصريين على هذه المسائل قبل إتمام انسحابنا . وأن حكومة الولايات المتحدة ستضغط من اجل ذلك . وفى مسالة تطهير القناة فإنها ستسعى بلا إبطاء لمعرفة راى الجنرال هويلر . وقال وزير الخارجية إننا لا نحاول أن نتنصل من تعهدنا بالانسحاب . ويجب الا نشعر بان ذلك كان يمكن أن يحدث بدون الموافقة الضمنية على الأقل من جانب الولايات المتحدة إن لم يكن موافقتها العلنية . وقال السيد دالاس : إنه لا يستطيع أن يحلنا من تعهدنا فى هذا الصدد لأن ذلك سيكون من قبيل النكث بالوعود من جانب حكومة الولايات المتحدة امام الكونجرس والراى العام الامريكى . لكن الحكومة ستمارس اقصى ضغط ممكن على عبد الناصر خلال الأيام العشرة او نحوها التى مازالت باقية ، سواء فيما يتعلق بالتطهير ، أو بمستقبل القناة .

واقترح وزير الخارجية أن تثار ايضا مسالة المعتقلين والاتفاق على التحكيم فيما يتعلق بالمطالبات ، وانه ربما كان افضل من يقوم بهذه المهمة هو سفير الولايات المتحدة فى القاهرة . ووعد السيد دالاس بالنظر فى هاتين النقطتين .

الوثائق أرقام ٢ ٣ ٤

صور كاملة من المراسلات السرية التى بعث بها الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » إلى الملك « سعود » ردا على الملك الذى تحمل مسؤولية قضية خليج العقبة . وقد سبق نشر رسائل الملك « سعود » إلى الرئيس الأمريكى فى الملحق الوثائقى لكتاب « ملفات السويس » . والآن تتاح لأول مرة فرصة الحصول على ردود الرئيس الأمريكى على الملك السعودى . (ويلاحظ ان اهتمام ايزنهاور بدأ يتناقص بالموضوع ، فقد أبدى اهتمامه الشديد فى بداية المراسلات ، وانتهى باقتراح عرض القضية على محكمة العدل الدولية) .



مرسل إلى : السفارة الأمريكية بجدة
رسائل الرئيس

نرجو تسليم الرسالة التالية من الرئيس إلى الملك سعود ، ونرجو تاكيد تاريخ وساعة التسليم . وإذا كان هناك تأخير كبير قبل عودة الملك يرجى التشاور مع الوزارة بشان وسيلة اخرى ووقت آخر للتسليم .

« ١٥ مايو ١٩٥٧ »

صاحب الجلالة :

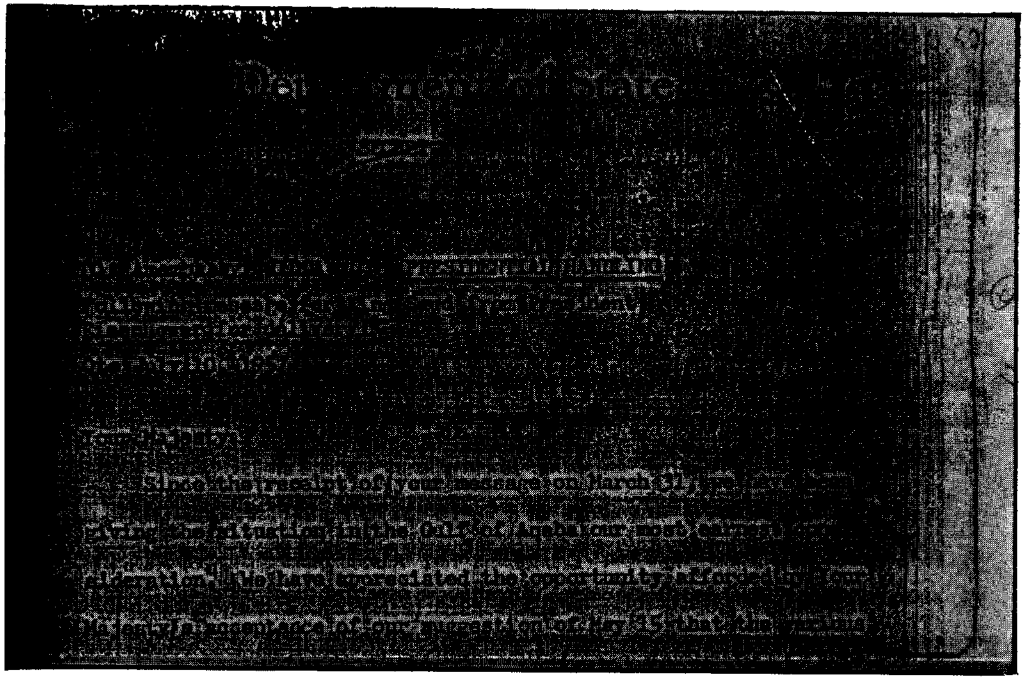
قرات باهتمام شديد رسالتكم المؤرخة فى ٧ مايو والتى سلمها السفير الخيال إلى البيت الأبيض . وقد اوليتها اهتمامى العاجل والمتمعن ، وكانت موضع دراسة تفصيلية لدى حكومة الولايات المتحدة .

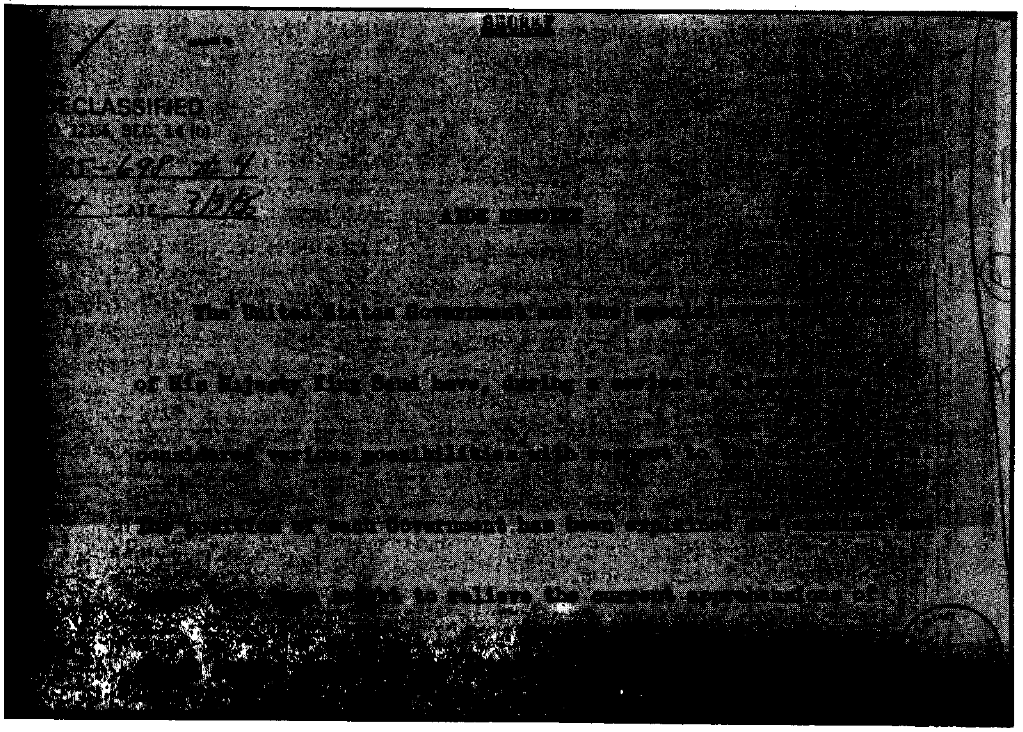
ونحن نقدر لجلالتكم انكم تشاورتم معنا ، بروح التعاون التى تميز علاقاتنا فى مسالة خليج العقبة المعقدة . كما نقدر لجلالتكم أنكم اتبعتم فى مسائل أخرى سبيل الحل السلمى لمثل هذه القضايا . ونحن على ثقة من انه يمكن العثور على وسيلة تتيح لنا ان نعمل معا لحل هذه القضية وغيرها مما يؤثر على السلم والاستقرار فى الشرق الأوسط .

ورسالتكم المؤرخة فى ٧ مايو تتناول مباشرة مشكلة مرور السفن الحربية الإسرائيلية فى المياه الإقليمية للملكة العربية السعودية فى خليج العقبة ، وقد احطنا علما بان جلالتكم رفعتم الأمر إلى مجلس الأمن وانكم تنتظرون راينا قبل اتخاذ إجراء آخر ، وموقفنا فيما يتعلق بنظر الموضوع فى الأمم المتحدة يتوقف جزئيا على النهج والإجراء الذى تعتزم حكومتكم اتخاذه . ولذا قد يكون من المستصوب إجراء المزيد من المناقشات بيننا ، وربما مع ممثل جلالتكم فى هذا البلد .

ويمكن خلال هذه المناقشات أن نستعرض مع ممثل جلالتكم مختلف الجوانب المتعلقة بعرض الموضوع على مجلس الأمن . ونحن نعترف بانه قد تكون هناك فائدة فى نظر مجلس الامن فى الموضوع ، ونعترف ايضا بان هذا النظر قد يتحول إلى جدل يفضى إلى تفاقم الوضع فى المنطقة ، ويعطى الفرصة لمزيد من الأعمال الهدامة من جانب الاتحاد السوفييتى وقوى الشيوعية الدولية .

ويمكن ايضا خلال المزيد من التشاور مع ممثليكم ان نستعرض مسالة الوضع القانونى لخليج العقبة ومضايق تيران التى تشيرون إليها فى رسالتكم المؤرخة فى ٣١ مارس . وتعرفون جلالتكم ان للدول المختلفة آراء مختلفة بشان القانون الواجب التطبيق فى هذه المسالة . ونحن نعرف أن آراء الولايات المتحدة التى شرحها الوزير دالاس وشرحتها بنفسى عندما كنتم هنا ، والتى سجلت فى مذكرة مؤرخة فى ١١ فبراير ١٩٥٧ ونشرت فى ١٧ فبراير ، تختلف عن اراء جلالتكم ، ولكننى أرجو ان نتمكن من مناقشة هذا الاختلاف فى الراى بروح الصداقة والتعاون التى ميزت علاقاتنا فى الماضى . وقد وجدنا ان هذه المسالة يمكن ان تحال إلى محكمة العدل الدولية عن طريق حكومة . او عن طريق الأمم المتحدة . فإذا حدث ذلك ، فإن حكومة


Since the receipt of your message on March 31,


ECLASSIFIED

الولايات المتحدة ستدخل فى اعتبارها بطبيعة الحال قرار المحكمة او رايها فيما يتعلق بالمنطقة .

وكان فى ذهننا دائما عند نظرنا فى هذين الموضوعين صداقتنا الوطيدة مع المملكة العربية السعودية ، ورغبتنا فى تجنب اى عمل ينطوى على تهديد لاستقلال مملكتكم ، او سلامتها الإقليمية . ونحن نقدر ما اعربتم عنه فى رسالتكم من قلق . وسوف نشير فى علاقاتنا مع دول المنطقة بالتزام الاعتدال والحكمة وتجنب اى اعمال استفزازية او عدوانية ، ولا سيما اية اعمال تمس الأماكن المقدسة التى تقومون جلالتكم بحمايتها .

وسوف نحيطكم علما بأى تطورات تصل إلينا عن المشكلتين اللتين اثرتهما يا صاحب الجلالة ، وسنبقى فى الوقت نفسه على اتصال وثيق بممثليكم فى الولايات المتحدة .

حفظكم الله ورعاكم .

صديقك المخلص

دوايت د . ايزنهاور

تراعى القواعد المتبعة فى تسليم رسائل الرئيس

(إمضاء)

دالاس

وزارة الخارجية

إلى : السفارة الأمريكية فى جدة

نرجو تسليم الرسالة التالية إلى الملك سعود من الرئيس ايزنهاور .

١٠ يوليو ١٩٥٧

صاحب الجلالة

منذ تسلمنا رسالتكم المؤرخة فى ٣١ مارس ، كان الوضع فى خليج العقبة موضع دراستنا الدقيقة . وقد قدرنا لجلالتكم الفرصة التى أتحتموها بقبولكم اقتراحنا فى ١٥ مايو أن تجرى مناقشة الجوانب المختلفة لهذه المسألة مع ممثلكم . وفى جميع أوقات المناقشة كنا مدركين على الخصوص لموقف جلالتكم بوصفكم حامى الأماكن المقدسة للإسلام ، ولكونكم زعيم دولة عربية هامة على الخليج .

وقد أطلعنى وزير الخارجية دالاس باستمرار على مسار مناقشاته ومناقشات غيره من المسؤولين فى الوزارة مع عزام باشا ، وأعتقد أن المحادثات كانت مفيدة فى إيجاد وسائل ممكنة لتخفيف الوضع فى الخليج . وقد أعد وزير الخارجية مذكرة تتضمن بعض السبل المقترحة سيسلمها إلى عزام باشا الذى أعتقد انه سيتخذ الترتيبات اللازمة لتنظر فيها جلالتكم مع مستشاريكم .

وتهدف المذكرة إلى معالجة مصادر القلق الرئيسية التى بدت من رسالتكم ومن محادثاتنا اللاحقة مع عزام باشا ، وهى : وجود سفن حربية إسرائيلية فى الخليج ، ومسألة أمن الحجاج المسلمين المارين فى الخليج ، ومسؤوليات سفن الولايات المتحدة من السيادة الساحلية على الخليج ، والوضع القانونى لخليج العقبة والمضايق المؤدية إليه .

ونحن فى دراستنا لهذه المشكلة ، لا تغيب عن بالنا المسؤوليات الخاصة التى تحملونها جلالتكم فى أثناء موسم الحج الحالى . وإنى أؤكد لكم كما أكدت فى الماضى اننا ندين بكل شدة اى إجراء يتخذه أى بلد يكون من شأنه المساس بالمرور الآمن للحجاج ، وإذا رايتم جلالتكم خلال مداولاتكم مع ممثلى الدول الإسلامية الأخرى فى أثناء الحج الحالى انه من المفيد ان تذكروا تأكيدنا المتعلق بهذا الموضوع ، فإن لكم أن تفعلوا ذلك بلا تردد .

وإنى ممتن لجلالتكم لما نبهتمونى إليه فى رسالتكم المؤرخة فى ٢٥ ابريل ١٩٥٧ من قلقكم الخاص لما ورد فى كتاب دورى أرسل إلى ملاك السفن بشأن الخليج . وقد شرحت وزارة الخارجية للسفير الخيال ولعزام باشا الطبيعة الروتينية لهذا الكتاب الدورى ، وانه لم يقصد منع الامتثال لشرط الإخطار المسبق الذى أصدرته الدولة الساحلية وفقا لمبادىء القانون الدولى .

ويقوم إعلاننا المتعلق بالوضع القانونى لخليج العقبة على الالتزام بالمبادىء وبالقانون الدولى . وذلك ما اهتدينا به فى تصرفاتنا فى أثناء أحداث اكتوبر ونوفمبر الماضيين . وحتى فى هذا الصدد فنحن لم نتمسك بآرائنا ونعتبرها غير قابلة للمناقشة ، بل ذكرنا أنه إذا اختلفت الآراء حول هذا الموضوع فإن الأمر برمته يمكن أن يحال إلى محكمة العدل الدولية فى لاهاى . ونحن على استعداد للالتزام بقرارها مقدما . وإنه لمن المؤسف حقا أن يؤدى إعلان هذا الموقف إلى اختلاف بيننا وبين المملكة العربية السعودية فى الوقت الذى يتجلى فيه اتفاق أهدافنا فى المنطقة بصورة أكثر وضوحا . وآمل أن يكون ما نقترحه سبيلا للحد من هذه الخلافات ، وإقرار السلام والهدوء اللذين نرجوهما كلانا للمنطقة بإخلاص .

حفظكم الله ورعاكم .

صديقكم المخلص

دوايت د. ايزنهاور

صاحب الجلالة

سعود بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

نرجو إخطارنا بتاريخ وموعد التسليم .

تراعى القواعد المتبعة بالنسبة لرسائل الرئيس .

توقيع

دالاس

مذكـــرة

قامت حكومة الولايات المتحدة والممثل الخاص لجلالة الملك سعود ، خلال سلسلة من المناقشات ، بدراسة الاحتمالات المختلفة المتعلقة بخليج العقبة . وقد تم شرح وبحث موقف كل من الحكومتين ، والسعى إلى تبديد المخاوف الحالية التى تشعر بها المملكة العربية السعودية بشأن الموقف فى الخليج .

وتسلم الولايات المتحدة بأن هناك خلافا فى الرأى حول الوضع القانونى للخليج . وهى تشارك الملك سعود حرصه على صيانة السلام والهدوء فى منطقة الخليج . وتعترف الولايات المتحدة بالأهمية التاريخية للخليج بوصفه طريقا تقليديا للحجاج المسلمين إلى الأماكن المقدسة القائمة فى المملكة العربية السعودية ، وتسلم بأن الوضع فى الخليج مصدر قلق مشروع لجلالة الملك سعود ، لا بوصفه حاكما لإحدى الدول العربية الهامة والمشاطئة للخليج فحسب ، بل أيضا بوصفه حامى الأماكن المقدسة للإسلام .

ومن رأى حكومة الولايات المتحدة أن خليج العقبة يعتبر مياها دولية . وأن للسفن التجارية لجميع الدول حق المرور الحر والبرىء عبر مضيق تيران وفى الخليج . وأكدت الحكومة أن هذا الموقف يعتمد على مبادىء القانون الدولى المسلم بها ، مع المراعاة الواجبة لمصالح الولايات المتحدة بوصفها دولة بحرية . وقد كان مبدأ حرية البحار من النقاط الجوهرية فى سياسة الولايات المتحدة منذ قيام الجمهورية . وليس المقصود بتطبيق الولايات المتحدة لهذا المبدأ على خليج العقبة إنشاء أى حق لأى أمة على الخليج ، أو أى أمة أخرى بدون أن يكون هذا الحق مقررا لها من قبل .

وسعت الولايات المتحدة إلى تحديد الطريقة التى يمكن أن تحل بها المسائل القانونية على يد هيئة محايدة مختصة ، وتحديد الخطوات العملية التى يمكن اتخاذها لصون السلام والهدوء .

وعلى وجه التحديد ، فإن الولايات المتحدة تقترح ما يلى :

١ ـ قد ترغب المملكة العربية السعودية فى عرض مسألة الوضع القانونى لخليج العقبة على محكمة العدل الدولية . وفيما يتعلق بالسفن المسجلة لدى الولايات المتحدة فإن الولايات المتحدة ستلتزم بأى حكم أو فتوى تصدرها المحكمة .

٢ ـ وتدرك الولايات المتحدة أن المسألة الأساسية التى أثارها جلالته من قبل المحادثات الحالية ، هى تحرك القوات البحرية والجوية الإسرائيلية فى المياه الاقليمية للدول الشاطئية الأخرى على الخليج . وليس من رأى الولايات المتحدة أن موقفها المعلن من طبيعة الخليج يعنى المرور غير المقيد للسفن الحربية فى المياه الإقليمية للخليج فى ظل الظروف الحاضرة . وتلبية لاهتمام جلالته الخاص بهذا الموضوع ، فإن الولايات المتحدة على استعداد ، لمصلحة صيانة السلام والهدوء فى الخليج ، لأن تبحث بصورة مباشرة أو عن طريق وسيط مناسب القيود التى ينبغى أن توضع على استخدام القوات البحرية والجوية الإسرائيلية للخليج ، بما فى ذلك تدابير مثل رباط السفن فى إيلات ، أو إبعادها من الخليج .

٣ ـ والولايات المتحدة على استعداد ، إذا طلب منها ذلك لأن تطلب من السفن المسجلة فى الولايات المتحدة أن تتجنب المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية عند مرورها فى الخليج . كما أن الولايات المتحدة مستعدة لأن تطلب من ربابنة السفن المسجلة لدى الولايات المتحدة أن يقوموا بالإخطار بمرورهم عندما تشترط ذلك القواعد التى تضعها الدول الشاطئية بما يتفق مع القواعد المقبولة للقانون الدولى .

٤ ـ ربما ترغب المملكة العربية السعودية فى أن ينظر مجلس الأمن مسألة سلامة الحجاج بقصد اتخاذ قرار ينشىء ممرا دوليا معترفا به للحجاج فى مياه خليج العقبة . ومن شأن مثل هذا القرار أن يوفر ضمانات مناسبة للمرور الآمن للحجاج بتقييد الأنشطة التى تهدد سلامتهم . والولايات المتحدة مستعدة للتشاور مع حكومة المملكة العربية السعودية حول الشكل الذى يتخذه هذا القرار ، وأن تعزز الجهود المعقولة فى هذا الاتجاه فى مجلس الأمن . وتعترف الولايات المتحدة بأنه قد يتبين أن الطابع الخاص لطرق الحج التقليدية يمكن أن يكون أساسا لمعاملة خاصة .

والولايات المتحدة إذ تتقدم بهذه الاقتراحات ، تتصرف بروح الصداقة الوطيدة التى ميزت دائما العلاقات مع المملكة العربية السعودية . وتود الولايات المتحدة أن تقرر وتؤكد مرة أخرى ما سبق أن أكدته فى مناسبات عديدة من أنها تؤيد بحزم استقلال المملكة العربية السعودية وسلامة اراضيها . كما أوضحنا أننا ننظر بقلق بالغ لأى تهديد للمرور الآمن للحجاج الدينيين المتجهين إلى الأماكن الإسلامية المقدسة . ولا شك فى أن الولايات المتحدة لا تود أن تقوم بدور الدولة المعنية مباشرة بهذا الموضوع الذى يشمل حقوقا بحرية لدول عديدة ، وحقوقا إقليمية لعدد من الدول . ونحن على ثقة من أنه إذا توافر حسن النية أمكن حل الخلاف فى الرأى بطريقة عملية وبوسيلة تتفق مع الاهتمامات المشروعة ، وتحمى المصالح العادلة لجميع الأطراف المعنية .

وزارة الخارجية
واشـنطن

الوثيقة رقم ٥

رياسة مجلس الوزراء

في ١٦ ابريل سنة ١٩٤٦

حضرة صاحب المعالي وزير الشئون الاجتماعية

ان المهمة التي تتقدم بها اللجنة العليا لمقاومة الفقر والمرض والجهل يستدعي اول ما يستدعيه وضع التشريع الذي ينظم الاصلاح الزراعي [illegible] ثلاثة ارباع سكان القطر [illegible]
وقد قامت صفوة من الباحثين الاجتماعيين [illegible]
[illegible] فيما يأتي

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

(٣) تقييد الملكيات الكبيرة [illegible]

(٤) [illegible]

[illegible]

وثيقة بخط اسماعيل صدقي (باشا) رئيس الوزراء سنة ١٩٤٦ وهي تظهر الاهتمام المبكر بقضية ملكية الأرض في مصر ، وهي قضية لم تجد الإرادة القادرة على تنفيذها إلا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .

الوثيقــة رقم ٦

صورة وثيقة تتضمن خطابا بتوقيع « ابو الفتح » باسم « لجنة احرار العرب » (مصر الحرة) وهو موجه إلى « انتونى ايدن » رئيس الوزراء البريطانى . والوثيقة حافلة باراء اسرة « ابو الفتح » ورايها في التصرف مع مصر بما في ذلك دعوة الغرب إلى استعمال القوة المسلحة ضد مصر . كما تتضمن ايضا طلب اموال من الغرب بطريقة مكشوفة لتمويل جهد شامل في الدعاية ضد « الخطر المصرى » على المنطقة !

وتستحق هذه الوثيقة ان تقرا بعناية شديدة لان الخطوط الرئيسية التى احتوت عليها ما تزال سارية حتى الآن . كما ان الإشارة واضحة فيها إلى عناصر تعمل مع اسرة « ابو الفتح » في الداخل وفي الخارج .

THE FREE ARAB COMMITTEE

Beirut, Lebanon

January 27, 1956

The Right Honorable Sir Anthony Eden
Prime Minister,
British Embassy
Washington, D. C.

Dear Mr. Prime Minister:

The writers of this letter asked one of their friends last June, to submit to you letters and a background note concerning the military dictatorship and the communist menace in Egypt. Since then the situation has deteriorated and the communist threat has reached grave proportions. We therefore feel duty-bound to write you once more on the matter.

The gravity of the situation and its internal and regional dangers are now fully recognized by the United States of America and the United Kingdom. In addition to a reinforced police state and its inherent instability, the situation in Egypt presents the West with a Russian-communist challenge, more complex than the one they faced in Guatemala. Indeed, unlike the latter, Egypt exercises great influence in its region, while Egypt's neighboring countries are much less protected against and more exposed to communist subversion and infiltration than Guatemala's.

Instead of appeasement, a firm policy should be instated. A show of force, such as sending some Anglo-American warships to the Middle East with the threat of taking military measures with a simultaneous outright support to all Western friends could be fruitful since it would enjoy the support of the captive people of Egypt.

لجنة احرار العرب
بيروت ، لبنان

٢٧ يناير ١٩٥٦

الرايت اونرابل سير انتونى ايدن
رئيس الوزراء
السفارة البريطانية
واشنطن ، دى . سى .

عزيزى السيد رئيس الوزراء

طلب محررو هذه الرسالة من احد اصدقائهم فى شهر يونيو الماضى ، ان يقدم إليكم خطابات ومذكرة تحوى معلومات اساسية عن الدكتاتورية العسكرية والخطر الشيوعى فى مصر . وقد ازداد الوضع تدهورا منذ ذلك الحين ، ووصل التهديد الشيوعى إلى أبعاد خطيرة . ولذا نشعر أن الواجب يملى علينا أن نكتب لكم مرة أخرى فى هذا الموضوع .

إن الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المتحدة تعترفان الآن على نحو كامل ، بخطورة الوضع وما ينطوى عليه من مخاطر داخلية وإقليمية . فإلى جانب وجود دولة بوليسية قوية وما يصاحب ذلك حتما من عدم استقرار ، فإن الوضع فى مصر يواجه الغرب بتحد من جانب الشيوعية الروسية ، اكثر تعقيدا مما كان عليه الحال فى جواتيمالا . فمصر ، على غير الحال هناك ، لها تاثير كبير فى المنطقة ، كما أن جيرانها من البلدان اكثر تعرضا واقل حصانة فى مواجهة التغلغل الشيوعى والاعمال الشيوعية الهدامة من جيران جواتيمالا .

السيد رئيس الوزراء ، ليس فى نيتنا ان نقدم إليكم النصيحة بشان سياساتكم الخاصة بمصر والشرق الأوسط ، ولكننا كأشخاص يعنيهم الأمر مباشرة ، نرى من واجبنا الوطنى ان نخاطبكم مرة أخرى ، ولا سيما فى هذه المرحلة الحاسمة وربما الفاصلة فى العلاقات العربية الانجليزية الامريكية .

ونذكر ابتداء بكل احترام أن مسالة التوسع الروسى والإثارة الشيوعية فى الشرق الأوسط ترتبط ارتباطا وثيقا بالدكتاتورية البغيضة الطاغية فى مصر . ومن نافلة القول ان نذكر انه لكى تبقى الدكتاتورية التى يلفظها الشعب ، والتى لا تحكم إلا بالقوة والتخويف

Prime Minister Eden -8- January 27, 1956

responsibility without your Government having an open part in it, provided that they receive the necessary financial assistance to build up an efficient organization for propaganda and counter-propaganda. Priority should be given to them to import and erect a powerful broadcasting station. No less important is the question of Western diplomatic representation in the Middle East with responsible and qualified diplomats.

....

Britain is now spending millions of pounds yearly to retain a shaky footing in Jordan, - and America is spending millions of dollars to regain a doubtful friendship and initiate a constructive cooperation in the Middle East, -- Yet, American and Britain could, with a fraction of this money, help their friends there to create an effective and efficient propaganda service and defend the interests for which they are blackmailed into paying millions!

With our highest esteem,

For The Committee.

Note: The Free Arab Commitee was created recently in Beirut by leading and influential personalities representing Egypt, Syria, Iraq and Lebanon, whose identity cannot be revealed for the time being, -- they are however known to the American and British diplomatic mission in those countries.

وتستمر ، فإنها مضطرة لأن تستمر فى سياستها الحالية المعادية للغرب . وفضلا عن ذلك ، فإنه لم يعد سرا أن دكتاتورية البكباشى عبد الناصر اصبحت الآن فى قبضة الشيوعيين ، ومن نهج نهجهم بصورة نهائية .

وقد سبق أن تناولت هذا الأمر بالتفصيل المذكرة التى قدمها اصدقاؤنا إليكم فى شهر يونيو الماضى . ولكننا نود ان نضيف هنا المعلومات التالية المستمدة من اوثق المصادر :

إن الساعد الايمن للبكباشى عبد الناصر شيوعى متعصب . وهو اللواء عبد الحكيم عامر القائد الاعلى للجيش المصرى ووزير الدفاع . ورغم غرابة الامر ، فإن عبد الناصر نفسه

كان عضوا فى الحزب الشيوعى ، وقد ضمه إليه فى ذلك الوقت احمد فؤاد ، الذى عرفه عن طريق الصاغ خالد محيى الدين وهو يقر بشيوعيته . وكان عبد الناصر معروفا فى الخلية الشيوعية بالقاهرة بوصفه رقم ١١٧ ، وشقيق خالد محيى الدين يشغل حاليا منصبى وزير الداخلية ورئيس المخابرات المصرية .

وهذا ما يفسر الدور الرئيسى الذى قام به احمد فؤاد ، السكرتير العام للحزب الشيوعى المصرى ، بالتعاون مع شيوعى بارز آخر هو الدكتور راشد البراوى ، فى استهلال الاصلاحات الاقتصادية والمالية لنظام عبد الناصر . ويسيطر هذان الشيوعيان ايضا على اهم بنكين فى الحياة الاقتصادية للبلاد . وقد استقال احمد فؤاد من الحزب شكليا ، ولكنه ما زال رغم ذلك عقله المفكر واعلى قائد تنفيذى له من وراء الستار .

وبالإضافة إلى اللواء عامر وخالد محيى الدين ، هناك خمسة آخرون من اعضاء ما يسمى مجلس الثورة من الشيوعيين .

وهذه وقائع مزعجة حقا ، وجديرة بان تلقى عنايتكم التامة .

وعلى ضوئها ، فإنه وهم ان نتوقع ان يعمل البكباشى عبد الناصر (بافتراض انه شيوعى انتهازى) على التخلص من نفوذ هذه العقول المفكرة الشيوعية القوية ، وإن كانت تعمل فى الخفاء ، بدون ان يعرض مصير دكتاتوريته للخطر .

ويستطيع الدكتاتور المصرى بطبيعة الحال ان يقوم من حين لآخر - لاسباب تكتيكية - باعتقال بعض « الشيوعيين » ، ولكنه لن يجرؤ فى اى وقت على المساس بانشطة القادة الحقيقيين للمؤامرة الشيوعية الذين يعيشون فى خفاء كامل ويعملون تحت الارض داخل الجيش ، وفى جميع الهيئات الحكومية تحت حماية الشيوعيين الأقوياء ، واعوانهم من المحيطين بعبد الناصر .

وهذه الحقائق المذهلة هى وحدها التى تفسر الانجراف السريع للدكتاتورية المصرية نحو سياسة ما يسمى « الحياد » والتى تتسم عمليا بالتعاون البناء والودى مع العالم الشيوعى وباتباع سياسة الابتزاز والعداء نحو الغرب .

وقد ظهر تاثير أولئك الشيوعيين المصريين على البكباشى عبد الناصر فى صفقة الأسلحة التشيكية . إذا استغل الشيوعيون قيام الدول الغربية بتزويد العراق بالأسلحة وازدياد التوتر داخل الجيش المصرى ، فنصحوا عبد الناصر بالاتجاه إلى الروس . واقترح الشيوعيون فى نفس الوقت ، وهم يتنبأون بدقة برد فعل المستر بايرود ، ان يقوم عبد الناصر بدعوة السفير الأمريكى وإنذاره بانه سيسعى للحصول على الأسلحة من الروس إذا تخلت عنه الولايات المتحدة .

وكان الشيوعيون على يقين من ان المستر بايرود سيرفض هذا الإنذار باعتباره نوعا من الابتزاز او التهويش ، وان النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة لن يسمح ابدا بمثل هذه المساعدة ، ولم يكن السفير الأمريكى يعرف ان صفقة الأسلحة الشيوعية كانت بالفعل محلا للتفاوض عليها من قبل ان يستدعيه البكباشى عبد الناصر لمقابلته .

وعلى اى حال ، فإن الإعلان عن صفقة الاسلحة عزز مكانة عبد الناصر إلى حد ما داخل مصر (حيث ينحى الشعب باللائمة على الغرب ، لإعادة دكتاتورية عبد الناصر فى مارس ١٩٥٤) ، ودعمت مكانته بدرجة اكبر فى البلاد العربية الأخرى التى تهددها القوة المتزايدة للدولة اليهودية ، والتى لا يعنيها غير الانتقام لمأساة فلسطين .

لقد كان عبد الناصر هو اول حاكم عربى يجرؤ على صفع الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والسخرية منهم ، ويكسب من وراء ذلك ، وهو ما اكدته الزيارة غير العادية التى قام بها السيد جورج آلن إلى القاهرة فى ذلك الحين .

ومن المهم إدراك ان ذلك كان ، فى راى العرب ، اول فوز يحصلون عليه من « الغرب القوى المتغطرس ، المعتز بقوته » ، والذى كان نادرا ما يتخذ موقفا وديا او متفهما ، ويبدو انه يتصور ان إلقاء بضعة ملايين من الدولارات إلى العرب من حين لآخر يكفى لضمان ولائهم وإمتنانهم .

وينبع العداء العربى للغرب من مصادر عديدة . ففى الماضى (ولا يزال هذا هو الحال فى بعض الأراضى حتى الآن) كان السبب فى هذا هو السيطرة التى كانت فى كثير من الأحيان غير إنسانية وغير عادلة وغير متعاطفة ، وادت إلى استغلال السكان والموارد استغلالا قاسيا . وفى البلدان التى كان الاستعمار فيها اقل وحشية ، ادى التمييز فى المعاملة ، وإقامة النوادى والمناطق المغلقة على الأجانب ، وحاجز اللون ، إلى خلق شعور قوى من التذمر .

وازداد العداء اشتعالا فى السنوات الأخيرة نتيجة للقمع الوحشى للحركات الوطنية فى كل مكان .

ولم يكن لروسيا فى أى وقت مستعمرات فى افريقيا او آسيا . وبينما كانت امريكا تساعد الدول الاستعمارية وتؤيد إسرائيل بكل قواها ، وكان الافارقة والآسيويون يشعرون بان الديمقراطيات الغربية متفقة على إدامة خضوعهما ، كان الروس يعلنون انهم انصار الحرية ، ودعاة السيادة لجميع الشعوب ، وانهم محررو البشرية من العوز والمرض ، ومن الخوف والإذلال الذى كان الغرب يفرضه على افريقيا وآسيا .

ومن ثم ، ينبغى إدراك ان العداء للغرب ، وليس الحب لعبد الناصر ، هو الذى حرك الشعوب العربية ضد حلف بغداد ، وضد قرار الأردن بالإنضمام إليه . ولو كان الذى دعا إلى هذا الحلف عبد الناصر وليس رئيس الوزراء نورى السعيد والعراق ، لكانت معارضة الشعوب العربية له اشد ، بسبب السجل الأسود لعبد الناصر ونظامه ، الذى يحكم الشعب بالتعذيب والقمع والعنف بدرجة لم يسبق لها مثيل فى اى بلد عربى .

هذه هى اهم العوامل النفسية والسياسية التى يجب ان تؤخذ فى الحسبان عند وضع تقييم واقعى للوضع الحالى فى الشرق الاوسط . وبالمثل ، ينبغى إدراك ان تسوية جميع المشاكل المعلقة - سواء مسالة التغلغل الروسى ، او مسالة فلسطين ، او امن الشرق الأوسط - تتوقف على المسلك الذى تود الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ان تتخذانه تجاه النظام العسكرى فى مصر .

ويبدو وفقا لتقارير جديرة بالثقة ، ان هناك المزيد من التنازلات التى ستقدم لاسترضاء

عبد الناصر ، إذ تعتزم الدبلوماسية الأمريكية البريطانية فى هذه المرة أن تقدم له مساعدة اقتصادية ومالية كبيرة ، بالإضافة إلى تعديلات طفيفة تتعلق باراضى فلسطين .

ويتطابق موقف محررى هذه المذكرة بشأن هذه المسالة الأخيرة مع الموقف الذى وافقت عليه دول الجامعة العربية وعبرت عنه بوضوح . ومن الخطأ تصور أن هذه المسالة يمكن أن يبت فيها نظام مصرى غير دستورى وغير شعبى . فالبكباشى عبد الناصر الذى يعنيه فى المقام الأول أمن نظامه ، مضطر فى الوقت الحالى ، كما كان فى الماضى ، إلى أن يتمسك علنا بسياسته الداعية إلى « تحرير فلسطين » ـ بينما يستمر بشكل غير رسمى فى تقديم أية وعود يتطلبها الأمر حتى يستمر فى الحصول على الدعم الأنجلوأمريكى لنظامه .

وليست هناك حاجة إلى تذكير حكومة جلالة الملكة بالوعود التى قدمها لها البكباشى جمال عبد الناصر قبل اتفاق السويس ولم يوف بها . ولابد أن التطورات الدبلوماسية الأخيرة فى مصر قد كشفت لحكومة الولايات المتحدة عن القيمة الحقيقية لكلمة رجل يدين بنجاح انقلابه فى ١٩٥٤ جزئيا إلى الدعم السياسى والاقتصادى الذى لقيه من الولايات المتحدة .

اما عن المعونة الاقتصادية لمصر ، فإننا كعرب نرحب بطبيعة الحال باى جهد يمكن ان يساعد فى تحسين ظروف معيشة الجماهير المحرومة . ومصر فى أمس الحاجة إلى هذه المعونة التى نشعر بالامتنان لها . ولكن هل ستستخدم هذه المساعدة السخية لتعزيز نظام دكتاتورى حاقد ، وبذلك يطول أمد معاناة أشقائنا المصريين .. ؟ أم أنها ستستخدم لأغراض بناءة .. ؟ نحن نخشى انه إذا لم تربط هذه المعونة بشروط واضحة فإنها يمكن ان توجه لخدمة اغراض سياسية ، تسفر عن المزيد من العداء الشعبى للدول الغربية .

والدول الغربية إذ تلعب المباراة وفقا للقواعد التى يضعها عبد الناصر ، وإذ تستسلم لمطالبه ، لا يمكن أن تكسبه إلى جانبها ، بل إن الشعب المصرى سيفقد بذلك كل ما قد يكون قد بقى لديه من ثقة بالغرب ، ويتجه يائسا إلى الشيوعية على نحو ما فعل شعب الصين .

ومن شأن المزيد من التنازلات أن يشجع عبد الناصر على الاستمرار فى سياسة الابتزاز من موقع أكثر قوة ، وستكون النتيجة الحتمية لذلك هى إضعاف مكانة وعزيمة الأصدقاء الحقيقيين للغرب فى الدول العربية والإسلامية الأخرى .

وعندئذ سيجد القادة الموالون للغرب فى العراق وباكستان وإيران وتركيا انهم مضطرون ، خضوعا للضغط الشعبى المتزايد ، إما إلى إعادة النظر فى سياستهم أو إلى ضياع مكانتهم ، وستكون هذه هى المعضلة التى يواجهها رجال من أمثال نورى السعيد باشا ، والدكتور فاضل الجمالى وغيرهما ، ممن تعرضوا ـ كما تعرضت الأسرة المالكة فى العراق بشكل يبعث على الخجل ـ إلى حملات غير إنسانية لم يسبق لها مثيل من جانب الإذاعة والصحافة ـ المرتشية باموال العملاء السعوديين والمصريين ـ لا لشىء إلا لأنهم كانوا أصدقاءكم وحلفاءكم .

ويجب أن يتم تقييم سياسة الدكتاتور المصرى على اساس تصريحاته العلنية لا على اساس « مساوماته السرية » . وحديث عبد الناصر عن «تحرير البلاد العربية » إنما يعنى

تحريرها من النفوذ الغربى ، وشعاره الغوغائى « افريقيا للافريقيين » إنما يعنى استبعاد السيطرة الأوربية . هذه هى خطة الرجل الذى تاملون فى كسبه إلى جانبكم بتقديم مساعدات اقتصادية جديدة .

إن البكباشى عبد الناصر لا يمكن ان يصبح حليفا صادقا ونشيطا للغرب ، لأن من شان ذلك ان يبدد المكانة التى اكتسبها بمشقة ـ وكان على استعداد لأن يفعل فى سبيلها اى شىء ـ كما انه يرفع عنه عباءة « صلاح الدين » ، ويكشفه امام العرب فى صورته الحقيقية كدكتاتور لا يرحم . وبطبيعة الحال ، فإنه سيكون فى احاديثه غير الرسمية مستعدا لقبول اى اقتراح للحد من ارتباطاته بالبلدان الشيوعية و / او التعاون الوثيق مع الغرب ، حتى فيما يتعلق بتصفية القضية الفلسطينية . بل إنه قد يوحى بانه يؤيد تلك الاقتراحات جميعا على نحو ما فعل عندما التقى به السير انتونى ايدن منذ فترة وتحدث معه عن تسوية النزاع مع إسرائيل .

وكما فعل فى الماضى ، فإنه سيطلب ثمنا لذلك ، وسيكون ثمنا باهظا ! وسيتشبث بالحصول على ذلك الثمن مقدما وبالكامل ـ وسيقدم حججا مختلفة لهذا الطلب ـ وما ان يحصل على مبتغاه ، حتى يجد ذرائع لعدم الوفاء بما وعد . ولكنه لن يقبل ابدا الالتزام باى اتفاق رسمى .

لقد استخدم الدكتاتور هذا الأسلوب فى الماضى وبنجاح . وساعده فى هذا التكتيك دبلوماسيون غربيون اصبحوا بإراداتهم ، او رغما عنهم ادوات فى يده . وكان ممن ساعدوه بغير إرادتهم اولئك السفراء الذين توصل إلى معرفة جوانب ضعف شخصية خطيرة بشانهم عن طريق جهاز مخابرات شبيه بالجستابو ، وهددهم بانه قادر على تدمير سمعتهم وهدم بيوتهم ومستقبلهم إذا لم يتعاونوا معه . ومن الأمور ذات الدلالة ان بعض هؤلاء الدبلوماسيين هم الآن من المؤيدين المتحمسين لعبد الناصر ، ويدافعون عنه حتى ضد مصالح بلادهم .

وفى اعتقادنا ان اى تسوية للوضع الراهن يجب فى آخر الأمر ان تستند إلى صداقة الشعوب العربية ، وليس إلى دكتاتور يرفضه شعبه نفسه ويدين بشعبيته فى البلاد العربية الاخرى إلى موقفه المناهض للغرب .

وليس ذلك هدفا بعيد المنال . فالسياسة الواقعية تحتاج إلى تاييد الشعب ، ولن تتمكن دول الغرب ابدا من مواجهة التحدى الشيوعى بسياسة الاستسلام لدكتاتورية موالية للروس او تدعو للحياد .

وبدلا من الترضية والملاينة ، ينبغى استخدام سياسة متشددة . وقد يفيد فى ذلك استعراض القوة ، وذلك مثلا بإرسال سفن حربية انجليزية وامريكية إلى الشرق الأوسط مع التهديد باتخاذ تدابير عسكرية ، والإعراب فى الوقت ذاته عن التاييد الصريح لجميع اصدقاء الغرب ، لأن خطوة كهذه سوف تلقى تاييد الشعب المصرى المغلوب على امره . وسيكون من الميسور ، باستخدام الوثائق ونشر التفاصيل ، تبديد الأسطورة التى نسجت حول عبد الناصر ونظامه على يد عدد من الصحفيين المرتشين والدبلوماسيين الذين خضعوا

بالابتزاز . ومن المؤسف ان ينجح هؤلاء الدبلوماسيون والصحفيون في تضليلهم ، في الوقت الذي يغدو فيه وضع تقييم صحيح للوقائع امرا جوهريا . وحقيقة الأمر هي ان النظام العسكري المصري لا يتمتع بأى تاييد شعبي في مصر ، وان العالم العربي سيبقى فيما هو عليه الآن من القلق والاضطراب ما دام ذلك البلد محروما من الحياة الدستورية والطبيعية .

وختاما ، فإننا نود ان نذكر ما يلي :

إن تجنب وقوع كارثة في الشرق الأوسط ، يستلزم الا توحى سياسة الغرب بالتردد او الضعف او الاستسلام ، بل يجب ان تكشف عن القوة والعزم ، مصحوبتين بجهد صادق لكسب ثقة الشعوب وصداقتها . وفي وسعنا ان نقدم المشورة بشان الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف الضرورى . ولابد للدبلوماسية الانجلوامريكية ان تسترد من روسيا زمام المبادرة في الشرق الأوسط .

ويجب ان ترتكز هذه السياسة على اصدقاء الغرب ، وعلى مساعدتهم بكل وسيلة ممكنة لمواجهة الإثارة التي يقوم بها الشيوعيون والغوغائيون . واصدقاء الغرب هؤلاء قادرون على النهوض بهذه المسؤولية دون ان يكون لحكومتكم دور ظاهر فيها ، على ان يتلقوا المساعدة المالية اللازمة لإنشاء منظمة قادرة على بث الدعاية والدعاية المضادة . ويجب ان تكون لهم الأولوية في استيراد وإقامة محطة إذاعة قوية . ولا يقل عن ذلك اهمية ان يكون التمثيل الدبلوماسي للغرب في الشرق الأوسط قائما على دبلوماسيين مسؤولين ومؤهلين .

. . . .

إن بريطانيا تنفق الآن ملايين الجنيهات في كل سنة للاحتفاظ بنفوذها المهتز في الأردن ، وتنفق امريكا ملايين الدولارات لتستعيد صداقة مشكوك فيها في الشرق الأوسط ولتقيم تعاونا بناء مع بلدانه . ومع ذلك كانت امريكا وبريطانيا تستطيعان ، بجزء من تلك الأموال ، مساعدة اصدقائهما في إنشاء جهاز فعال وكفء للدعاية والدفاع عن المصالح التي يضطر البلدان - بالابتزاز - إلى دفع الملايين للدفاع عنها !

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

عن اللجنة (توقيع)

□ ملاحظة : انشئت لجنة احرار العرب منذ وقت قريب في بيروت على يد شخصيات بارزة وواسعة النفوذ ، تمثل مصر وسوريا والعراق ولبنان . ولا يمكن الكشف عن اشخاص اعضاء اللجنة في الوقت الحالي ، غير انهم معروفون لدى البعثات الدبلوماسية الأمريكية والبريطانية في هذه البلدان .

الوثيقة رقم ٧

وثيقة بتوقيع الاحرف الأولى من اسم السير « ايفون كيركباتريك » الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية عن المحادثات مع الحكومة الفرنسية حول الحكومات البديلة لمصر بعد سقوط « جمال عبد الناصر » .

JE1015/72 J

M. GAZIER said that he wished to raise the question of an Egyptian regime, if Nasser fell. He understood that we were disposed to favour the Wafd. But the French Government thought this a mistake. What was required was a new Egyptian Government based on progressive elements.

2. I said that I did not think we differed in our aims. We also would like to see a new democratic and progressive Government in Egypt. But the important thing was to get rid of Nasser and first things must come first. We did not believe that there was anyone in the progressive

• تقرير من السير ايفون كيركباتريك (٣)
رقم ٧٢/١٠١٥
١٥ نوفمبر ١٩٥٦

(١) قال لي المسيو جازييه إنه يريد ان يبحث معي مسالة النظام المصري الجديد الذي يتعين إقامته عندما يسقط ناصر . وقال إنه فهم اننا نتجه إلى صالح تشكيل حكومة من الوفد . ولكن الحكومة الفرنسية ترى ان ذلك خطا لان الأمور تتطلب حكومة مصرية جديدة تقوم على عناصر تقدمية .

(٢) قلت إنني لا اعتقد اننا نختلف في اهدافنا ، فنحن ايضا نرغب في إقامة حكومة ديمقراطية وتقدمية في مصر . ولكن الشيء المهم ان نتخلص من ناصر لان اولويات المسائل لها الأولوية . ونحن لا نعتقد ان هناك الآن في مصر اى شخص او جهة تقدمية يمكن لها ان تشكل معارضة متجانسة تقوم بقلب نظام ناصر . ونحن نتصور ان الوفد هو الوحيد الذي يستطيع ذلك .

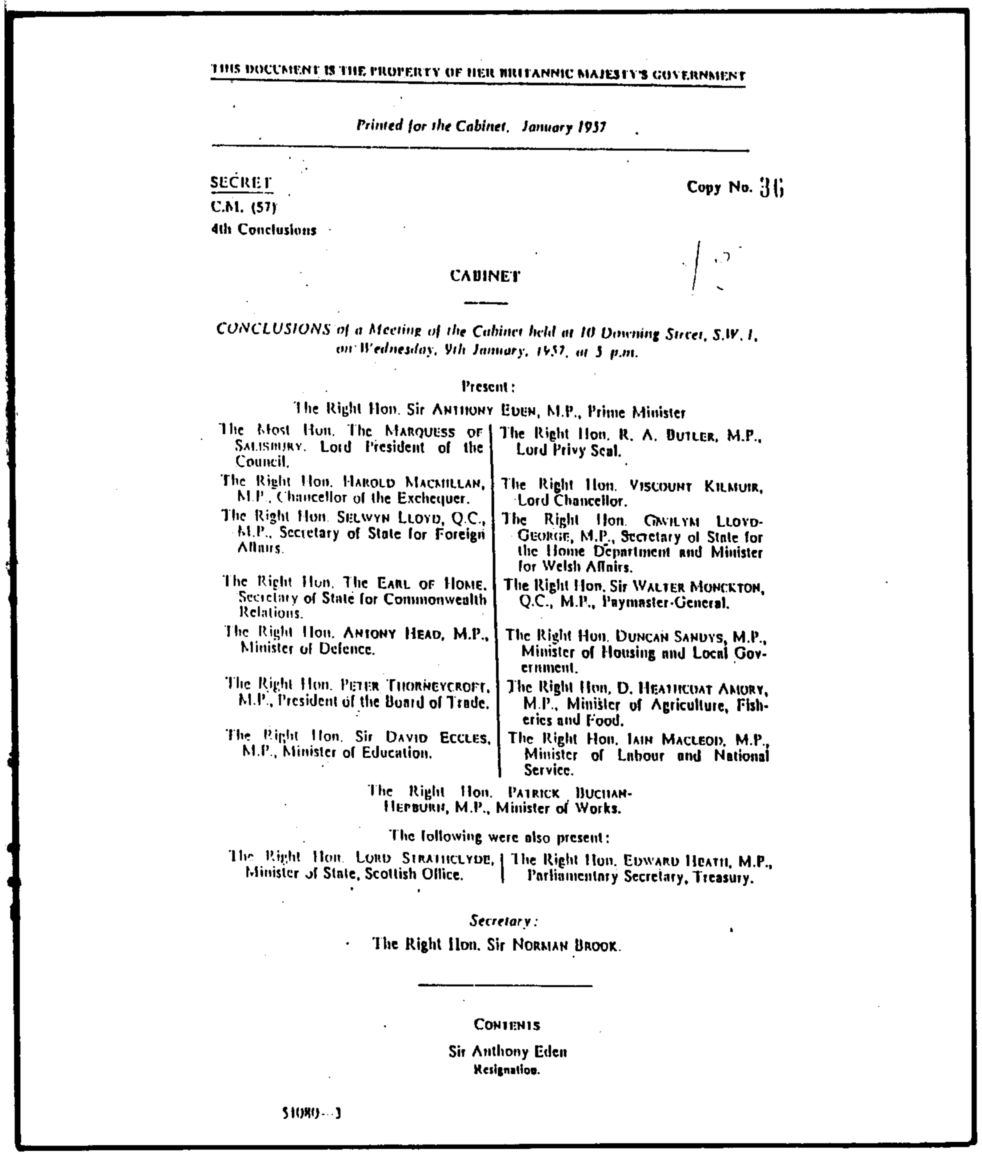
(٣) قال المسيو جازييه إنه يظن انه يستطيع ان يتفهم موقفنا فنحن من انصار الوفد ، ليس على اساس عقائدي ولكن لأننا نعتبر الوفديين هم اقرب العناصر التي يمكن ان تنجح في إسقاط ناصر . وقد امنت على فهمه ذلك قائلا إن ذلك بالضبط موقفنا .

(التوقيع)
ايفون كيركباتريك •

الدقائق التى انتهت فيها الامبراطورية

الوثيقة رقم (٨)

نص المحضر الرسمى والسرى لجلسة مجلس الوزراء البريطانى التى اخطر فيها السير « انتونى ايدن » زملاءه اعضاء مجلس الوزراء بعزمه على تقديم استقالته إلى الملكة . والوثيقة ترسم صورة حية لنهاية إمبراطورية .



THIS DOCUMENT IS THE PROPERTY OF HER BRITANNIC MAJESTY'S GOVERNMENT

Printed for the Cabinet. January 1957

SECRET
C.M. (57)
4th Conclusions

Copy No. 36

CABINET

CONCLUSIONS of a Meeting of the Cabinet held at 10 Downing Street, S.W. 1, on Wednesday, 9th January, 1957, at 5 p.m.

Present:

The Right Hon. Sir ANTHONY EDEN, M.P., Prime Minister

The Most Hon. The MARQUESS OF SALISBURY, Lord President of the Council.

The Right Hon. HAROLD MACMILLAN, M.P., Chancellor of the Exchequer.

The Right Hon. SELWYN LLOYD, Q.C., M.P., Secretary of State for Foreign Affairs.

The Right Hon. The EARL OF HOME, Secretary of State for Commonwealth Relations.

The Right Hon. ANTONY HEAD, M.P., Minister of Defence.

The Right Hon. PETER THORNEYCROFT, M.P., President of the Board of Trade.

The Right Hon. Sir DAVID ECCLES, M.P., Minister of Education.

The Right Hon. R. A. BUTLER, M.P., Lord Privy Seal.

The Right Hon. VISCOUNT KILMUIR, Lord Chancellor.

The Right Hon. GWILYM LLOYD-GEORGE, M.P., Secretary of State for the Home Department and Minister for Welsh Affairs.

The Right Hon. Sir WALTER MONCKTON, Q.C., M.P., Paymaster-General.

The Right Hon. DUNCAN SANDYS, M.P., Minister of Housing and Local Government.

The Right Hon. D. HEATHCOAT AMORY, M.P., Minister of Agriculture, Fisheries and Food.

The Right Hon. IAIN MACLEOD, M.P., Minister of Labour and National Service.

The Right Hon. PATRICK BUCHAN-HEPBURN, M.P., Minister of Works.

The following were also present:

The Right Hon. LORD STRATHCLYDE, Minister of State, Scottish Office.

The Right Hon. EDWARD HEATH, M.P., Parliamentary Secretary, Treasury.

Secretary:

The Right Hon. Sir NORMAN BROOK.

CONTENTS

Sir Anthony Eden
Resignation.

51080—3

هذه الوثيقة تخص حكومة جلالة ملكة بريطانيا

طبعت لمجلس الوزراء ، يناير ١٩٥٧

سرى

النسخة رقم ٣٦

C.M. (57)

النتائج (المحضر الرابع)

مجلس الوزراء

النتائج التى خلص إليها اجتماع المجلس المنعقد فى ١٠ داوننج ستريت ، ج . غ . ١ يوم الاثنين ٩ يناير ١٩٥٧ ، الساعة ٥ مساء

الحاضرون :

الرايت اونرابل سير انتونى ايدن رئيس الوزراء

الموست اونرابل مركيز سالزبرى ، رئيس المجلس .

الرايت اونرابل هارولد ماكميلان ، عضو البرلمان ووزير المالية .

الرايت اونرابل سلوين لويد ، عضو البرلمان ومستشار الملكة ووزير الدولة للشؤون الخارجية .

الرايت اونرابل ايرل اوف هوم ، وزير الدولة لعلاقات الكومنولث .

الرايت اونرابل انتونى هيد ، عضو البرلمان ووزير الدفاع .

الرايت اونرابل بيتر ثورن كروفت ، عضو البرلمان وزير التجارة .

الرايت اونرابل سير دافيد اكليس ، عضو البرلمان ووزير التعليم .

الرايت اونرابل ر. ا. باتلر ، عضو البرلمان وحامل اختام الملكة .

الرايت اونرابل الفيكونت كيلمور ، رئيس مجلس اللوردات والرئيس الأعلى للقضاة .

الرايت اونرابل وليم لويد جورج ، عضو البرلمان ووزير الدولة للشؤون الداخلية ووزير شؤون ويلز .

الرايت اونرابل سير والترمونكتون ، مستشار الملكة وعضو البرلمان ووزير الدولة للخزانة .

الرايت اونرابل دنكان ساندبز ، عضو البرلمان ووزير الإسكان والحكم المحلى .

الرايت اونرابل د. هيثكوت اموري ، عضو البرلمان ووزير الزراعة ومصايد الأسماك والأغذية .

الرايت اونرابل إيان مكلويد ، عضو البرلمان ووزير العمل والخدمة الوطنية .

الرايت اونرابل باتريك بوكان هيبرن
عضو البرلمان ووزير الأشغال

وحضر الاجتماع ايضا :

الرايت اونرابل لورد ستر اثكلايد ، وزير الدولة لشؤون اسكتلندا .

الرايت اونرابل ادوارد هيث ، عضو البرلمان ووزير البرلمان .

وتولى اعمال السكرتارية :

الرايت اونرابل سير نورمان بروك

□ سير أنتونى ايدن الاستقالة

قال رئيس الوزراء إنه يأسف إذ يضطر لإبلاغ زملائه أنه غير قادر على الاستمرار فى الاضطلاع بمسؤوليته . فبعد فترة الراحة التى حصل عليها قبل الكريسماس ، بناء على نصيحة الأطباء ، كان يأمل أن يسترد عافيته بما يسمح له بأن يواصل عمله لفترة طويلة . إلا أنه وجد بعد ذلك أنه بحاجة إلى استشارة طبية أخرى ، ووصل الأطباء الأربعة الذين استعان بهم إلى رأى إجماعى مؤداه أن صحته لم تعد تمكنه من الاستمرار فى تحمل عبء العمل كرئيس للوزراء . وقد قرر على أساس ذلك أنه ليس أمامه بديل عن الاستقالة ، وأنه أبلغ الملكة بما استقر رأيه عليه عندما قام بزيارة قصر ساندرينجهام فى اليوم السابق . وأنه سيقدم استقالته إلى جلالة الملكة رسميا عند استقبالها له بقصر بكنجهام فى وقت لاحق من نفس المساء .

وقال رئيس الوزراء : إن استقالته تعنى استقالة الحكومة بكاملها ، وأن الوزراء الآخرين ليسوا بحاجة إلى تقديم استقالاتهم للملكة ، ولكنهم ينبغى أن يضعوا وظائفهم تحت تصرف من سيخلفه ، وعليهم فى الوقت ذاته أن يواصلوا إدارة شؤون وزاراتهم إلى حين تشكيل الحكومة الجديدة ، وأن الوزراء الإداريين الذين ليسوا أعضاء فى المجلس ، ووزراء الدولة ، سوف يبلغون بذلك فى اجتماع يعقده فى وقت لاحق فى نفس المساء . كما سيبلغ الأمر إلى الوزراء المساعدين بخطاب .

وقال رئيس الوزراء إنه يبقى عليه أن يعرب عن أسفه للقرار الذى اضطر إلى اتخاذه . فإنه لمن دواعى حزنه الشديد أن يفترق عن زملائه فى هذا الوقت . وهو يعتقد أن الشهور المقبلة ، وإن كانت حافلة بالمصاعب إلا انها تفتح الطريق أمام إمكانيات عظيمة ، وأنه كان يأمل أن يتمكن من المساعدة فى تحويل تلك الإمكانيات إلى حقائق . وتمنى لزملائه حظا طيبا فى المستقبل .

وقال اللورد الرئيس : إنه استمع لهذا القرار بأسف بالغ ، ولكن نظرا لتقرير الأطباء ، فإنه لا يستطيع أن يطلب من رئيس الوزراء أن يعيد النظر فيه . وهو شخصيا يشعر بمرارة شديدة للافتراق عن رئيس الوزراء بعد صداقة سياسية وثيقة استمرت اكثر من ثلاثين عاما . وأنهما مرا خلال هذه الفترة بأوقات صعبة كثيرة ، ولكنهما لم يفترقا فى أى وقت . وأن رئيس الوزراء كان بالنسبة للجميع نموذجا للشجاعة والاستقامة . وأن الشجاعة التى أبداها خلال أحداث الشهور الستة الأخيرة ضاعفت من الحب والإعجاب اللذين يكنهما له البلد بأسره ، وأن زملاءه الذين سيواصلون عمله سيستمدون القوة عندما يذكرون قدوته وقيادته فى السنوات المقبلة .

وقال حامل اختام الملكة : إن استقالة رئيس الوزراء ليست مجرد صدمة شخصية له ، بل إنها أيضا خسارة سياسية شديدة لحزب المحافظين . وأن جميع زملائه يودون أن يعربوا له عن تعاطفهم العميق ، وأملهم المخلص فى أن يسترد عافيته كاملة حتى يمكن أن توضع مواهبه العظيمة مرة أخرى فى خدمة بلده .

وقال وزير المالية : إنه يشعر بحزن عميق لاضطراره الآن إلى إنهاء الوشائج السياسية الوثيقة التى ربطته برئيس الوزراء فى مجلس العموم لاكثر من ثلاثين عاما . وكان مما يجمع بينهما فى هذه الفترة الطويلة أنهما من القلائل الذين استمرا فى العمل بعد الحرب العالمية الأولى التى مات فيها خيرة أبناء جيلهم . وفى اعتقاده أنه عندما يكتب تاريخ أزمة السويس ، سوف يعرف أن رئيس الوزراء كانت تحركه أسمى الدوافع الوطنية ، وإذا اقتفى زملاؤه خطاه ، فقد يحسنون الاستفادة بالإمكانيات التى وفرتها سياسته وأعماله .

وقال رئيس الوزراء : إنه اتخذ قراره مع شعور بالأسف العميق ، وان الكلمات التى قيلت قد اثلجت صدره . ولم يعد له إلا أن يشكر زملاءه لإخلاصهم ودعمهم الكامل طوال الفترة التى قضاها فى منصب رئيس الوزراء .

□ الحالة الاقتصادية
(المرجع السابق C.M. (57)
الاستنتاجات الأولى المحضر ٣)

قال وزير المالية* : إن أزمة السويس وما ترتب عليها من فقد الثقة بالجنيه الاسترلينى كشفت عن الضعف الهيكلى لاقتصادنا فى فترة ما بعد الحرب . وأن الوقت ما زال مبكرا لتقدير جميع النتائج الاقتصادية التى تمثلت فى نقص الإنتاج ، وزيادة الإنفاق بالدولار للحصول على البترول وخدمة الديون الجديدة . ولكننا كنا مضطرين إلى تعبئة جميع الإمكانيات للحصول على القروض المتاحة حتى نحافظ على سعر الجنيه الاسترلينى . وفى هذه الظروف التى يعانى فيها الاقتصاد الوطنى من عبء الديون الخارجية والداخلية الذى تجاوز ٢٧٠٠٠ مليون جنيه استرلينى ، لم يكن من المتوقع أن يتحمل هذا الاقتصاد الاعتمادات المتزايدة لأغراض الدفاع والإنفاق المدنى فى السنة المقبلة ، بالإضافة إلى تكاليف الاستثمار فى الصناعات المؤممة . وقد كشفت التقديرات الموضوعة لعام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ عن عجز متوقع مقداره ٥٦٤ مليون جنيه تحت العجز والزيادة ، فى مقابل عجز يقدر بمبلغ ٣٥٢ مليون جنيه فى السنة الجارية . وإذا لم يمكن الحد من الإنفاق الحكومى بصورة فعالة ، فلن يكون فى الوسع الاحتفاظ بالثقة الدولية بالجنيه الاسترلينى . وإذا اريد حماية الجنيه الاسترلينى فى هذه الظروف بطريقة فعالة ، فإن النظرة المالية السليمة تقضى بزيادة الايرادات فى الميزانية ، وإنقاص المصروفات بالقدر الذى يسمح بالوصول إلى توازن إجمالى . وإذا كان من الصعب عمليا فى رأيه إجراء خفض بهذا الحجم ، فإنه يعتقد أنه يمكن تحقيق خفض فى النفقات المقدرة فى حدود ٣٠٠ مليون جنيه استرلينى ، إذ يأمل فى خفض الإنفاق العسكرى بمقدار ٢٠٠ مليون جنيه استرلينى ، وخفض الانفاق على الخدمات الاجتماعية بنحو ٨٠ ـ ١٠٠ مليون جنيه استرلينى ، كما يتطلع إلى خفض كبير فى الإنفاق على الدفاع المدنى وعلى خدمات الصحة الوطنية . وأعرب عن أمله فى أن يوافق المجلس على الاقتراح بأن تقدم وزارة المالية للسلطات المحلية اعتمادا إجماليا بدلا من النظام الحالى القائم على تقديم اعتمادات تفصيلية . وأن زيادة المبالغ التى يدفعها الآباء مقابل الوجبة الغذائية فى المدارس يمكن أن توفر ١٠ ملايين جنيه استرلينى أخرى . وإذا وضعت الميزانية على هذه الأسس فانها ستحافظ على التوازن العام للاقتصاد ، وتسمح بقدر من الإعفاءات الضريبية الرامية إلى زيادة الكفاءة والإنتاجية .

اما الاستثمار فى الصناعات المؤممة فإنه مشكلة قائمة بذاتها . فقد أبدت أكثر من لجنة من لجان تقص الحقائق فى تقاريرها عن الصناعات المؤممة ، عدم ارتياحها للترتيبات التى تضعها تلك الصناعات لبرامج تمويلها . ولما كانت الصناعات المؤممة غير قادرة على الاقتراض من السوق اعتمادا على جدارتها الائتمانية الخاصة ، فإن الخزانة ملزمة بأن تتحمل المسؤولية عن تمويل احتياجاتها . لكن مجمل مسألة النفقات الراسمالية لتلك الصناعات ، والجهاز المركزى للسيطرة عليها ، يحتاجان إلى مزيد من البحث للاطمئنان إلى أن الحصول على رؤوس اموال جديدة لا يتم إلا لمشروعات ، أو إضافات يرجح أن تحقق أرباحا .

وفى الدراسة الأولية للوضع الذى صورته مذكرة وزير المالية هذه ، ركز المجلس إهتمامه فى المقام الأول على النفقات المتعلقة بالدفاع ونفقات الخدمات الصحية الوطنية .

* سبق تسجيله فى مرفق للتوزيع على نطاق محدود

□ الدفاع

قال **وزير الدفاع** : إن نفقات الدفاع تنقسم بالتساوى تقريبا بين توفير المعدات وتكاليف الأفراد العسكريين . وأن أى خفض كبير فى الإنفاق على المعدات بدون خفض مناظر له فى الإنفاق على الأفراد سيجعل القوات ضعيفة التسليح . وفى اعتقاده أن السياسة الدفاعية فى الأجل الطويل يجب أن تقوم على مبدأ وجود قوات أصغر حجما مزودة بأحدث الأسلحة . وعلى ذلك فهو يقترح خفض العدد الإجمالى للذكور العاملين فى الخدمة العسكرية من جميع الرتب من الرقم الحالى وهو نحو ٧٦٠٠٠٠ جندى إلى نحو ٤٥٠٠٠٠ جندى فى نهاية المطاف . وهو يوافق على ضرورة تحقيق هذا الخفض فى أقرب وقت ممكن ، ولكن هناك حدودا للقدرة على الإسراع بهذه العملية ، وسيكون الهدف فى الأجل الطويل هو زيادة عدد الجنود النظاميين فى القوات وإنقاص نسبة المتطوعين . وعلى ذلك فإن الخفض سيحدث فى المقام الأول عن طريق إنقاص عدد المتطوعين . ومن وسائل تحقيق ذلك إنقاص مدة الخدمة المتصلة إلى ثمانية عشر شهرا أو سنة ، لكن ستترتب على ذلك صعوبات بالنسبة للقوات تتعلق بالتدريب وتوفير الأعداد اللازمة للوحدات المتمركزة فيما وراء البحار . وهنا إمكانية أخرى وهى إنقاص عدد المقبولين من المتطوعين . إلا أن هناك أسبابا عملية وسياسية تحول دون الامتناع الكامل عن قبول المتطوعين ، ولو لفترة قصيرة ، لأنه لابد من استمرار نوع من الخدمة الوطنية حتى إذا نقص حجم القوات . ومع ذلك ، فالمرجو أن يتم خفض مجموع العاملين فى القوات المسلحة بنحو ٧٠ الف جندى خلال السنة المقبلة . والوزير مقتنع بأن إنقاص حجم القوات هو السبيل السليم لتحقيق الوفر فى الإنفاق العسكرى . فالمحاولات التى بذلت فى الماضى لتحقيق الخفض عن طريق التراضى بين الأسلحة المختلفة على إنقاص اعتماداتها ، أو المبالغ المخصصة لشراء المعدات ، لم تؤد إلا إلى حلول وسط قصيرة الأجل . وحجم القوات مسألة يجب ان توضع لها سياسة طويلة الأجل ، وأن تنفذ تلك السياسة بإصرار ، وبذلك يمكن تحقيق وفورات كبيرة فى المدى الطويل . إلا أن هناك صعوبات فى تحقيق أى وفورات أخرى فى المدى القصير . وقد كان من المقرر ، على أساس البرنامج الدفاعى الذى وضع منذ نحو ١٨ شهرا ، أن تكون الميزانية الدفاعية للسنة المقبلة فى حدود ٢٠٠٠ مليون جنيه استرلينى . وقد أمكن من خلال المناقشات التى أجريت مع الأسلحة الرئيسية ، ورؤساء الأركان خفض هذا الرقم الإجمالى إلى ١٥٥٠ مليون جنيه استرلينى .

وذلك بالإضافة إلى ٥٠ مليون جنيه استرلينى اخرى اسهمت بها القوات المسلحة فى الوفورات التى تحققت خلال السنة المالية الجارية ، وبلغت ١٠٠ مليون جنيه استرلينى . وفوق ذلك فإن التخفيضات الفعلية التى حققتها القوات المسلحة تبلغ أكثر من ذلك ، لأن الرقم الإجمالى الجديد يشمل التكلفة الكاملة لوجود القوات البريطانية فى ألمانيا . ولم يأخذ فى الحسبان أية مبالغ يمكن أن تسهم بها الولايات المتحدة على سبيل المساعدة . ولهذه الأسباب سيكون من الصعب زيادة الخفض فى حجم القوات المسلحة خلال السنة المالية المقبلة ، وأن المجال لإحداث خفض فى الإنفاق على المعدات محدود أيضا بسبب التكلفة العالية التى تترتب على إلغاء التعاقدات . وهناك بديل آخر وهو تأجيل تسليم المعدات ، ولكن ذلك سينطوى على تبديد للموارد لأنه سيؤدى إلى زيادة تكلفة الأسلحة فى النهاية . أما إذا أريد أن يكون الخفض فى تكاليف الخدمات ، فسيكون الجزء الأكبر منه فى بند توفير مرافق جديدة لإيواء القوات وإعاشتها ، وهو أمر قد يضر بتجنيد العسكريين النظاميين الذين لا غنى عنهم لتحسين تشكيل القوات فى المدى الطويل . ومع ذلك ، فإنه سيبحث إمكانات تحقيق وفورات أخرى خلال السنة المالية المقبلة ، وسيقدم إلى المجلس تقريرا آخر فى اليوم التالى .

وخلال المناقشة أثيرت مسألة أن نسبة أكبر مما ينبغى من جهود البحث والتطوير فى مجال الصناعة فى البلاد موجهة لأغراض الدفاع ، ويحسن أن يخف هذا العبء عن كاهل الصناعة حتى يمكن تحرير مزيد من الموارد للمجالات المدنية فى البحث والتطوير ، للمساهمة فى زيادة الكفاءة الصناعية والانتاجية .

□ الخدمات الصحية والوطنية

قال **وزير الصحة** : إنه لا يستطيع أن يحقق وفرا مقداره ١٥ مليون جنيه استرلينى فى النفقات التقديرية المتعلقة بالخدمات الصحية الوطنية بغير زيادة الرسوم ، أو إنقاص عدد أسرة المستشفيات بما يقرب من ٢٠ الف سرير . ولما كان عدد من يتلقون خدمات الوزارة فى أى وقت يبلغ نحو ٦٠٠ الف شخص ، فإن زيادة تكاليف الخبز واللبن مثلا ، وهى الزيادة التى ترتبت على التدابير الاقتصادية التى طبقتها الحكومة خلال السنة الحالية ، أدت بشكل مباشر إلى زيادة مقدارها ١٩ مليون جنيه استرلينى فى تقديرات تكاليف الخدمة الطبية . وذلك إضافة إلى أن الرقم يتضمن الزيادة فى أجور العاملين ومرتباتهم ، وهى زيادة تقررت مؤخرا ضمن الزيادات الأخرى فى الأجور ، والأمر يتطلب إقرار اعتمادات أخرى لزيادة أجور الأطباء . وأن تكاليف الخدمة الصحية الوطنية الآن ، قياسا إلى الدخل الوطنى ، اصبحت تقل بنسبة ١٢,٥ فى المائة عما كانت عليه فى عام ١٩٥١ ، وأن الانفاق على الانشاءات فى المستشفيات نقص بكثير عما كان عليه ولا سيما فى مستشفيات الأمراض العقلية .

قائمة بمجموعة مراسلات « مايلز كوبلاند » :

□ **٢٩ نوفمبر ١٩٥٨** : برقية يعرض فيها مايلز كوبلاند استعداده لجمع معلومات عن الأوضاع فى العراق يقدمها إلى المخابرات المصرية .

(تلقى ردا بالاعتذار)

□ **١٦ مارس ١٩٦١** : رسالة من مايلز كوبلاند إلى مكتب الرئيس عبد الناصر يقترح فيها تكليفه بإنشاء مركز لتدريب بعض الشباب الأفارقة ، ويعرض فى نفس الوقت استعداده لتقديم عرض لمعدات مكتبية لهذا المركز تشتريها الحكومة المصرية .

(تلقى من القاهرة ردا بالاعتذار)

□ **١٦ فبراير ١٩٦٢** : عرض بإقناع بعض أصحاب رؤوس الأموال الأجانب لإنشاء مصنع للمثلجات (أيس كريم) فى مصر .

(لم يتلق من القاهرة ردا على عرضه)

□ **١٣ مارس ١٩٦٢** : طلب للسماح لشركة يمثلها بتصوير فيلم فى مصر وعنها تتولى هذه الشركة تمويله .

(لم يتلق ردا على عرضه)

□ **٢٣ مارس ١٩٦٢** : عرض من بعض المستثمرين الأجانب الذين اختاروه لتمثيلهم لإنشاء « صناعة سينما دولية » فى مصر .

(لم يتلق ردا على عرضه)

□ **٣١ اغسطس ١٩٦٢** : خطاب إلى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر يقترح فيه أن يعهد إليه بتأليف كتاب عن أفكاره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

(لم يتلق ردا على عرضه)

□ **١٦ فبراير ١٩٦٣** : رسالة إلى مدير المخابرات المصرية يعرض فيها ـ مرة أخرى ـ جمع معلومات وتقديمها إليه عن الأحوال فى العراق .

(لم يتلق ردا على عرضه)

□ **١٢ مارس ١٩٦٣** : رسالة إلى محمد حسنين هيكل يعرض فيها بيع مطابع لمشروع الأهرام الجديد من شركة « هاريس » التى « قال » إنها على استعداد لاعتماده وكيلا يمثلها !

(تلقى ردا بالاعتذار لأن الأهرام اشترى ما يحتاج إليه فعلا من شركة « هاو »)

□ **٣ ابريل ١٩٦٦** : تقرير إلى مدير مكتب السيد زكريا محيى الدين يعرض فيه تأسيس نشرة أنباء خاصة فى لندن توجه اهتمامها لرجال الأعمال والمموّلين المهتمين بأسواق الشرق الأوسط وافريقيا .

(تلقى ردا بأن الموضوع سوف يبحث وسوف يخطر بالنتيجة ، ثم تلقى إخطارا بالاعتذار)

□ **٣ ابريل ١٩٦٦** : رسالة إلى مدير مكتب نائب رئيس الجمهورية يعرض فيها بيع أجهزة حاسبة طراز N.C.R. قائلا إنه مفوض .

(تلقى ردا بالاعتذار)

□ **٦ ابريل ١٩٦٦** : رسالة إلى مكتب الرئيس عبد الناصر يؤكد فيها إنه يستطيع أن يحصل لمصر على مساعدات مالية طائلة من الحكومة الكويتية ، ويقول إن له نفوذا على فوائض الأموال الكويتية لأنه « هو الذى قدم للحكومة الكويتية مشروعا لإنشاء صندوق التنمية الكويتى » !!

(لم يتلق ردا على عرضه)

□ **٧ مايو ١٩٦٦** : رسالة إلى السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات يعرض فيها أن يقوم بدور ضابط اتصال لمصر مع روبرت آندرسون الذى كلفه الرئيس جونسون بمهمة لتقصى الحقائق فى الشرق الأوسط .

(لم يتلق ردا)

□ **٢٦ يناير ١٩٦٧** : تقرير بمعلومات عن الأوضاع فى الشرق الأوسط ادعى انه حصل عليه بصلاته القديمة من

وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وقد بعث به إلى مكتب عبد الناصر لإظهار مدى قدرته فى الحصول على معلومات يستطيع أن يقدمها إلى المخابرات المصرية .

(لم يتلق ردا)

□ **١٥ مارس ١٩٦٧** : رسالة إلى مكتب السيد زكريا محيى الدين يطلب فيها تذكرة سفر من لندن إلى القاهرة لكى يستطيع أن يشرح أحواله .

(لم يتلق ردا)

□ **٢٧ ابريل ١٩٦٧** : رسالة إلى السيد سامى شرف يقول فيها إنه يستطيع ترتيب اجتماع بين الرئيس عبد الناصر والرئيس الأمريكى ليندون جونسون .

(لم يتلق ردا)

□ **٨ اغسطس ١٩٦٧** : رسالة إلى السيد سامى شرف يقترح فيها تكليفه بالوساطة بين مصر والمغرب

(لم يتلق ردا)

□ **سبتمبر ١٩٦٧** : رسالة إلى مكتب نائب رئيس الجمهورية يطلب فيها مبلغ ١٥٠,٠٠٠ جنيه تدفع لشركة اقامها مع بعض الأمريكيين والأوروبيين للإعلان والإدارة ، متعهدا بالدعاية للصناعات المصرية المؤممة إذا حصل على المبلغ لشركته التى أسماها شركة « انترسير » .

(لم يتلق ردا على عرضه)

□ **٧ يناير ١٩٦٨** : رسالة إلى مكتب السيد سامى شرف يقترح فيها أن « يتفضل الرئيس جمال عبد الناصر بتحديد موعد لمقابلة المستر فاندربك ممثل شركة بان أمريكان للبترول » ، قائلا إن هذه الشركة تستطيع أن تقوم بضغوط على الحكومة الأمريكية لكى تضغط بدورها على إسرائيل لتسهيل إعادة فتح قناة السويس .

□ **٥ ابريل ١٩٦٨** : رسالة إلى السيد سامى شرف يطلب فيها معلومات يستطيع أن يواجه بها الدعاية الموجهة للرئيس جمال عبد الناصر فى الغرب ، ويقترح تكليفه بوساطة سرية مع إسرائيل .

□ **١٥ يناير ١٩٦٩** : تقرير مرفوع من سامى شرف إلى الرئيس عبد الناصر بخصوص مقابلة بينه وبين مايلز كوبلاند يعرض فيها الأخير قيامه بدور الوساطة بين مصر وإسرائيل .

□ **١٥ سبتمبر ١٩٦٩** : رسالة إلى السيد سمير أحمد فى السفارة المصرية فى لندن يقول فيها إنه يستنكر أقوالا نسبت إليه تدعى عليه أنه قال إن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كانت تعرف بموعد انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ويقول أن هذا الإدعاء عليه كذب ومحض هراء .

(فى هذه الفترة حاول مايلز كوبلاند أن يجيء إلى مصر ، ووصل إلى مطار القاهرة فعلا ، وصدر أمر باحتجازه فى المطار وترحيله فى أول طائرة عائدة إلى لندن بعد أن تبين انه يستغل صلات مزعومة له فى القاهرة مع بعض الشركات الأمريكية) .

□ **١٥ سبتمبر ١٩٦٩** : رسالة إلى مكتب الرئيس عبد الناصر يقول فيها إنه أعد كتابا عن الثورة المصرية بعنوان « لعبة الأمم » ويعرض إرسال بروفات منه لكى يحذف من النص أو يضاف إليه ما تشاء السلطات المصرية .

(لم يتلق ردا على عرضه ، واعتبرت محاولته نوعا من الابتزاز ، وساعد على ذلك أن بعض أجهزة الدعاية المعادية لمصر بدأت تستعين به فعلا) .

□ **٢٤ سبتمبر ١٩٦٩** : رسالة موجهة إلى محمد حسنين هيكل يقول فيها إنه كتب كتاب « لعبة الأمم » ووضع فيه وقائع يعرف أنها غير صحيحة ، ولكنه وضعها لكى يزيد من مصداقيته فى الصحافة الأجنبية ثم يستطيع بعد ذلك استعمال هذه المصداقية فى الدعاية لجمال عبد الناصر ... الخ ، الخ ، الخ ، ويقترح أن يأتى إلى مصر ويعيد كتابة النسخة الأجنبية .

□ **٢٦ نوفمبر ١٩٦٩** : رسالة من مايلز كوبلاند إلى محمد حسنين هيكل يعرض عليه تغيير ما يراه فى كتابه « لعبة الأمم » .

(لم يتلق ردا)

□ **٦ ابريل ١٩٧٠** : رسالة من مايلز كوبلاند إلى محمد حسنين هيكل بشأن ترجمات كتابه « لعبة الأمم » التى نشرت فى بيروت دون تصريح من كوبلاند .

الوثيقة رقم ٩

خطاب من « مايلز كوبلاند » إلى الوزير المفوض « سمير احمد » بالسفارة المصرية في لندن ذلك الوقت ، وهو بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ وفي الوقت الذى ظهر فيه كتابه « لعبة الامم » وفيه يروى نواياه الحقيقية كما يتصورها من الكتاب ، كما يعرض خدماته . واهم شيء في هذا الخطاب العبارة التى يقول فيها « إن احد كتاب الإثارة واسمه اندرو توللى قد تسرع في جمع مواد لكتاب « يثبت » (وضع الاقواس للتشكيك في الكلمة وضعه مايلز كوبلاند بنص خطابه) ـ فيه « ان عبد الناصر بدا انقلابه وهو عميل للمخابرات المركزية الامريكية ، وان المصريين كانوا ياوون ضباطا نازيين بالتواطؤ مع المخابرات المركزية الأمريكية » والكثير من هذا الهراء ! » .

PERSONAL AND CONFIDENTIAL

15 September 1969

Samir Ahmed, Esq.
U. A. R. Embassy
London

Dear Samir:

I started drafting a memorandum to Sami Sharraf, which I was going to ask you to send along to Cairo, when I called your office to learn that you were in Cairo yourself. Accordingly, I am asking your Embassy to pass this on to you, in the hope that while you are in Cairo you will be able to discuss the subject of the letter with Sami, Heykel, or whoever else you think ought to know about it, then bring me some answers when you return to London.

Here is a summary of the facts.

1. Over a year ago, the American oil company which employs me in Egypt said that there was nothng I could do directly for the company since all was going well. On the other hand, the company wanted to keep me [illegible] "on tab" so that I would be in a position to help with government relations in case something went wrong. My oil company employer told me (and later told Sami Sharraf) that I was free to spend all my time at projects which would help the UAR "image" in the U. S., and that the company would pay my salary and expenses so that my talents would come to the U.A.R. free of charge, for whatever help your Government [illegible] to get from me.

2. I discussed a number of projects with Sami, with Dr. Zayyat, and with others. It soon became apparent that there was only one field where I could be of real assistance: getting information into business confidential newsletters (these are highly influential in the U.S. under a Republican administration) which would assist the American businessmen and financiers to understand President Nasser's position, and to induce them to bring influence to bear on the President of [illegible] the United States, key Congressmen, and others. But this wasn't enough. I wanted to get articles into influential magazines, and to develop a "name" for myself so that they would carry weight. For over a year now, I have been working at the book so as to develop this "name."

3. Two facts quickly became apparent: first, you can't make a name for yourself -- or, for that matter, you can't even get your articles accepted -- if you are openly pro-Egyptian or pro-Arab and anti-Israel. Second, even if you get your articles into print they don't carry much weight until you have established your objectivity and your credentials for knowing first hand what you are talking about. It was for this reason that I hit upon the idea of writing THE GAME OF NATIONS, a book which would show that I knew first hand what I was talking about but which would not be openly pro-Nasser. There was another reason why the idea seemed a good one: a sensatonal writer named Andrew Tully had been gathering material on which to write a book to "prove" that "Nasser started his coup as a CIA agent," that the Egyptians harbored Nazi officers with CIA connivance, and other such nonsense. It occurred to me that it would be

شخصى وسرى

١٥ سبتمبر ١٩٦٩

السيد سمير احمد
سفارة الجمهورية العربية المتحدة
لندن

عزيزى سمير

كنت قد شرعت في كتابة مذكرة موجهة إلى سامى شرف وفي نيتى ان ارجو منك إرسالها إلى القاهرة ، إلا انى عندما سالت عنك في مكتبك علمت انك موجود بالفعل في القاهرة . وعلى ذلك طلبت من سفارتكم توصيل هذه المذكرة إليك ، على امل ان تتمكن في اثناء وجودك في القاهرة من مناقشة موضوعها مع سامى ، او هيكل ، او اى شخص اخر تعتقد انه يجب ان يعرف بها ، ثم تاتينى برد عند عودتك إلى لندن .

وهذا ملخص للوقائع .

١ ـ منذ أكثر من عام مضى ابلغتنى شركة البترول الأمريكية التى اشتغل لحسابها في مصر انه ليس هناك ما استطيع ان أعمله لها بصورة مباشرة لأن جميع امورها تسير على ما يرام ، لكنها أرادت من ناحية اخرى ان تستبقينى « بصفة احتياطية » بحيث استطيع ان اقدم لها يد المساعدة فيما يتصل بالعلاقات الحكومية إذا ما حدثت اية مشاكل . واخبرتنى الشركة (وأخبرت سامى شرف فيما بعد) ان لدى الحرية الكاملة لقضاء وقتى كله في المشروعات التى يمكن أن تساعد على تحسين « صورة الجمهورية العربية المتحدة في الولايات المتحدة » وان الشركة ستدفع مرتبى ومصاريفى بحيث تستفيد الجمهورية العربية المتحدة من كفاءتى في كل ما يساعد حكومتكم بغير مقابل .

٢ ـ وقد ناقشت عددا من المشروعات مع سامى ، ومع الدكتور الزيات ، ومع اخرين . وسرعان ما اتضح انه ليس هناك غير مجال واحد يمكن أن اقدم فيه مساعدة حقيقية : وهو نشر معلومات في النشرات الإخبارية غير المخصصة للتوزيع العام والتى تعنى باخبار دوائر الأعمال (وهى نشرات لها تاثير كبير في الولايات المتحدة في ظل حكومة الحزب الجمهورى) مما يمكن أن يساعد رجال الأعمال والمال الأمريكيين على فهم موقف الرئيس عبد الناصر ، ودفعهم إلى التأثير على رئيس الولايات المتحدة ورجال الكونجرس ذوى النفوذ ، وغيرهم من الشخصيات . لكن ذلك لم يكن كافيا ، فقد كنت اريد ان انشر مقالات في المجلات الواسعة النفوذ ، وان يصبح لى « اسم » حتى يصبح لمقالاتى وزنها . وقد انقضى الآن اكثر من عام وانا اشتغل في الكتاب حتى اصنع هذا « الاسم » .

٣ ـ لم تلبث أن اتضحت حقيقتان : الأولى ، ان المرء لا يستطيع ان يصنع لنفسه اسما ـ بل ولن تقبل مقالاته اصلا ـ إذا كان مؤيدا لمصر علنا او مؤيدا للعرب او معاديا لإسرائيل . والثانية ، انه حتى إذا نجح في نشر مقالاته فلن يكون لها وزنها إلا إذا ثبتت موضوعيته ، وقدرته على الوصول إلى المعلومات من مصادرها دون وسيط . ولهذا السبب فكرت في كتابة « لعبة الامم » وهو كتاب يبين ان معلوماتى فيما اتحدث عنه معلومات

مباشرة ، ولكن دون ان اوضح صراحة تاييدى لعبد الناصر . وكان هناك سبب اخر حبّب إلى الفكرة : فقد كان احد كتاب الإثارة واسمه اندرو تولى قد تسرع فى جمع المواد لإعداد كتاب « يثبت » فيه ان « عبد الناصر بدا انقلابه وهو عميل للمخابرات المركزية الامريكية ، وان المصريين كانوا يأوون ضباطا نازيين بالتواطؤ مع المخابرات المركزية الامريكية » والكثير من مثل هذا الهراء . وخطر لى انى ساسدى لحكومتكم خدمة إذا افسدت مشروع تولى بتاليف كتاب اقل عداء لعبد الناصر .

٤ ـ والآن بعد نشر كتابى ، تخلى تولى عن مشروع كتابه . كما ان مكانتى اصبحت مسلما بها . ففى انجلترا بيعت الطبعة الاولى من « لعبة الامم » بكاملها فى ثلاثة ايام . وطلب منى ان اظهر فى التليفزيون ، وان اتكلم فى الإذاعة ، وان اكتب العديد من المقالات فى مجلات واسعة النفوذ ، وان احرر اعمدة توزع على الصحف فى نفس الوقت ، وان اقوم بجولة لإلقاء محاضرات فى الولايات المتحدة فى شهر مارس ، عندما تصدر الطبعة الامريكية من الكتاب . ولم تكن هناك غير مسالة واحدة مقلقة على الجانب الغربى للسور . وهى ان الخبراء الحقيقيين ادركوا ان الكتاب « مؤيد لعبد الناصر فى الواقع (حتى إذا لم يكن مؤيدا لعبد الناصر فى الظاهر) واتخذت كثير من المنظمات الصهيونية والإسرائيلية خطوات لتلطيخ سمعتى لا بين الجمهور الواسع فحسب بل ولدى حكومتكم ايضا . فهم يستطيعون ان يقبلوا اى شخص يعلن صراحة وبوضوح انه موال للعرب ، ولكنهم يكرهون ويخشون اى شخص يدعى انه محايد او موضوعى . (انظر مثلا عرض جون كيمش لكتابى) . وتذكر ايضا ما زعمته السفارة الإسرائيلية من انى لعبت « لعبة » اكسفورد بإذن صريح من الرئيس عبد الناصر ـ وذلك محض اختلاق . إلا ان ذلك لم يحدث ضررا حقيقيا بسمعتى ، وما زالت العروض تتدفق علىّ .

٥ ـ لكن كثيرا من الامور لم تسر على ما يرام على الجانب المصرى من الحوار . وعلى الرغم من انى شرحت مقدما لكثير من كبار المسؤولين فى حكومتكم بالدقة ما سيكون عليه كتابى « لعبة الامم » ، وما كنت ارجو ان احققه عن طريقه ، فإنه مع ذلك اثار استياء الكثيرين لديكم . فقد راوا انه يسىء إلى الرئيس عبد الناصر فى العالم العربى ، ولم يفهموا النفسية الغربية بما يكفى لإدراك مدى ما يحققه له هذا الكتاب من خير فى العالم الغربى . كما كان هناك برنامج فى الإذاعة البريطانية (B.B.C.) قلت فيه اشياء اعتقدت انها ترضى رجال الدعاية عندكم ، ولكن تبين انها ليست الأشياء المطلوبة ، نظرا لانه لم تتح لى الفرصة لاناقشها معهم مسبقا . وكان من نتيجة ذلك انى عندما ذهبت إلى القاهرة فى آخر مرة منعنى ضباط إدارة الهجرة من الدخول .

٦ ـ وقد لا يكون هذا بالضرورة امرا سيئا . فإذا حدثت الدعاية الصحيحة ، فإن منعى من دخول مصر يمكن ان يستخدم كدليل على انى لست داعية اسود (اى بطريق غير مباشر) للرئيس عبد الناصر ، وان يكون هذا المنع اداة لتعزيز دعواى فى الحياد والموضوعية . ويجب فى الوقت ذاته ان تتم هذه الدعاية بعناية فائقة . وان نتفق معا على ما يجب ان اقوله للصحفيين عندما يوجهون إلىّ الأسئلة ، وماذا يكون رد فعلى لاية انتقادات عربية للكتاب . وهذه النقطة الأخيرة بالغة الاهمية . فالطبعة الامريكية لكتابى ستصدر فى مارس المقبل ، وناشرى فى نيويورك يقوم بقدر كبير من الدعاية واعمال العلاقات العامة مما يتيح للكتاب

اكبر فرصة ممكنة ليصبح من اكثر الكتب رواجا . فإذا كانت هناك فى الطبعة البريطانية اشياء يعترض عليها الرئيس عبد الناصر او تعترض عليها حكومتكم ، يسعدنى ان تتاح لى الفرصة لإدخال التعديلات اللازمة على الطبعة الأمريكية قبل ان يفوت الأوان . وبالمثل إذا كنت قد ادليت بأقوال تعتقد حكومتكم انها ضارة ، فإنى على استعداد لتصحيحها لا بمجرد الاستعانة بموضعى الجديد الذى يسمح لى بكتابة مقالات باسمى مباشرة ، بل ايضا بالإدلاء ببيانات لصحفيين كبار يمكن ان يعرضوا ما ساقدمه من تصحيح على انه قصة إخبارية عادية . والخلاصة ان كل ما اريده هو فرصة لتصحيح اى خطأ ترى حكومتكم انى وقعت فيه .

٧ ـ وهناك نقطة هامة أخرى : كان من نتيجة صدور كتابى ، وما صحبه من دعاية ، ان اصبحت الفرص تتاح لى الآن لإلقاء نظرة من الداخل على الجهود الماكرة التى يبذلها اعداء الرئيس عبد الناصر لاستخدام وسائل الدعاية غير المباشرة وغيرها من الأساليب لإحراجه ، ولبث الفرقة بين القادة العرب الذين يسعى إلى توحيدهم ، وما إلى ذلك . وعلى سبيل المثال ، فقد اطلعت على كثير من مشروعات الدعاية التى تبدو فى ظاهرها ودية نحو الرئيس عبد الناصر ، ولكنها تهدف بغير شك إلى الإضرار به ـ وذلك على خلاف كتابى الذى يبدو فى ظاهره محايدا (بل وغير ودى فى بعض الأجزاء) ولكنه فى الواقع يساعد فى تحسين صورته ، فى بلدان الغرب على الأقل . بل إن الأمر اخطر من ذلك ، إذ ان تلك الجهود سترتبط بهجمات عسكرية إسرائيلية لن يكون الهدف منها كما تعرفون بغير شك ، تحقيق اغراض عسكرية خالصة بقدر ما هو إحداث إرتباك وإضعاف الروح المعنوية ، ولن تكون الهجمات وحدها قادرة على تحقيق هذا الغرض ، ولكنها إذا اقترنت بدعاية بارعة من نوع المصارعة اليابانية « جون جيتسو » فمن المحتمل ان تنجح .

٨ ـ عندما طلبت السلطات منى ان اغادر القاهرة كان ذلك فى مساء الجمعة ، وهو اسوا وقت ممكن للاتصال باى شخص تليفونيا . وعلى ذلك لم تتح لى الفرصة لتبليغ هذا كله لاى إنسان ـ هذا كله واشياء كثيرة اخرى لا اريد ان اسجلها كتابة . ولهذا السبب ، فإنى اقترح ما يلى : ان تعطونى تاشيرة للدخول إلى مصر لمدة اربع وعشرين ساعة فقط (او الافضل مدة اربع وعشرين ساعة بالإضافة إلى يوم او نحوه لوضع برنامج ساقترحه فى صورة مذكرة مكتوبة) ، ومقابلة سامى او هيكل ، ثم اغادر البلد لابدا العمل فى اى موضوع يتم الاتفاق عليه ، وإذا لم توافق حكومتكم على اى شىء فإنها لن تكون قد خسرت شيئا اكثر من الساعة او نحوها التى انقضت فى سماع ما اريد ان اقوله .

وعلى اى حال فإنك يا سمير تؤدى لى معروفا كبيرا بتوصيل الرسالة التالية إلى هيكل او سامى شرف ، او اى شخص آخر تعتقد انه ينبغى ان يسمعها : إذا كنت قد اسات إلى الرئيس عبد الناصر ، أو إلى حكومتكم بكتابى « لعبة الامم » فإنى شديد الأسف ، وسانتهز كل فرصة لتصحيح ما ذكرته إذا ما حدد لى احد التصحيح المطلوب . وليس لهذا اى علاقة بامكانيات التعاون فى المستقبل . وحتى إذا لم يكن هناك تعاون ، وحتى إذا لم يصرح لى بالعودة إلى مصر ، فسيكون هذا شعورى وسابقى دائما على استعداد للمساعدة .

ارجو ان تستمتع باجازتك ، وان اراك فى لندن قريبا .

ولك احسن التمنيات .

مايلز

الوثيقة رقم ١٠

خطاب من « مايلز كوبلاند » إلى « محمد حسنين هيكل » بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٦٩ وهو يعرض فيه تغيير اى شىء يكون موضع اعتراض فى كتاب « لعبة الامم » كما انه يعرض خدماته . واغرب فقرة فى هذا الخطاب هى قوله فى الصفحة الأولى منه بالحرف : « سوف يتضح انه كانت هناك اوقات تشكك فيها من يرسمون السياسات العليا فى حكومتى بشان الجهة التى امنحها ولائى الحقيقى ، وعندما حدث التحول الكبير وانتقل « كيم » (روزفلت) وجميع الآخرين إلى السياسة المناهضة لعبد الناصر ، بقيت وحدى منبوذا وكان علىّ ان استقيل » .

PERSONAL AND CONFIDENTIAL

21 MARLBOROUGH PLACE
LONDON, N.W.8
TEL: JUN 0600

24 September 1969

Dear Heykel:

More than any of my other friends in Cairo, you in particular should be able to understand how my being kept out of Egypt makes me feel. I feel like a man who has been married for twenty-five years (the length of time I have been coming to Egypt) and who has been told by his wife that she doesn't love him any more, and that he should shove off. My relations with Egypt have been a love-hate sort of thing, it is true, but the love part has always been dominant, and my commitment to Egypt has been uncompromising and complete. When the official U. S. Government history of Egyptian-American relations comes out (it is now being written for official annals, but it will be released to the public during the seventies) it will show that there were times when top decision makers in my Government had doubts about where my true sympathies were. And when the Great Switch occurred, and when Kim and all the others swung over to an anti-Nasser policy, I was left high and dry and had to resign. Subsequehtly, when my life-on-the-outside ran into difficulties, the President (through Sami and others in his office) came to my rescue in a way which I will appreciate for the rest of my life. It would be unthinkable for me knowingly to do anything against the President's interests.

But I gather that some of my Egyptian friends, including yourself, think I have done just that. I am told that you and others think that my *Game of Nations*, my television and radio appearances in connection with it, and my other related activities have been damaging to U.A.R. interests. (This is strange, since the Zionists and Zionist sympathizers both in England and in the United States insist that my book is part of a pro-Nasser plot, and that it is "subtle pro-Nasser propaganda" -- which, in fact, it is intended to be.) You from long experience know two things about me: first, I wouldn't wiggle a little finger in a way to affect Egypt without first making certain, through *some* responsible official, that it was okay; second, when I check my proposed works with a responsible official I do not ask him to *endorse* them -- in other words, I do not ask him to join with me in responsibility so that if things go wrong I can get myself off the hook by saying, "I checked with So-and-so and he said there was no objection." Anyone in your Government can express a favorable opinion about any project I propose, and know that he doesn't have to worry from then on about the possibility of its backfiring and getting him into trouble.

Thus, if people in your Government don't like my book I must shoulder the entire responsibility. On my own I must do what I can to remedy any damage

شخصى وسرى

٢١ مارلبورو بلاس
لندن ، ش . غ . ٨
تليفون : جون ٠٦٠٠
٢٤ سبتمبر ١٩٦٩

عزيزى هيكل

لابد أنك أنت بالذات تدرك ، أكثر من أى من أصدقائى الآخرين فى القاهرة ، حقيقة مشاعرى بسبب اضطرارى للبقاء بعيدا عن مصر . إنى أحس بمشاعر الرجل الذى مر على زواجه خمسةوعشرون عاما (المدة التى كنت أتردد خلالها على مصر) ثم تقول له زوجته إنها لم تعد تحبه وانه يجب أن يرحل . لقد كانت علاقتى بمصر من ذلك النوع الذى يختلط فيه الحب بالكراهية . وذلك لا شك فيه ، ولكن جانب الحب كان دائما هو الغالب ، وكان التزامى نحو مصر كاملا ولا يتزعزع . وعندما يخرج إلى النور التاريخ الرسمى الذى تعده حكومة الولايات المتحدة عن العلاقات المصرية الأمريكية (وهو يكتب الآن فى الحوليات الرسمية ، ولكنه سينشر على الجمهور خلال السبعينات) ، سوف يتضح أنه كانت هناك أوقات تشكك فيها من يرسمون السياسات العليا فى حكومتى بشأن الجهة التى أمنحها ولائى الحقيقى . وعندما حدث التحول الكبير ، وانتقل كيم وجميع الآخرين إلى السياسة المناهضة لعبد الناصر ، بقيت وحدى منبوذا وكان علىّ أن استقيل . وعلى أثر ذلك ، وعندما اكتنفت المتاعب حياتى الظاهرة ، مد الرئيس يده لإنقاذى (عن طريق سامى وآخرين فى مكتبه) بطريقة سأبقى ممتنا لها بقية حياتى . ولا يمكن أن يخطر بذهن أحد أنى أقدم متعمدا على شىء يتعارض مع مصلحة الرئيس .

ولكنى علمت أن بعض أصدقائى المصريين ، وأنت منهم ، يظنون أنى فعلت ذلك . وقيل لى : انك وآخرون تظنون أن كتابى « لعبة الأمم » والبرامج التليفزيونية والاذاعية التى ارتبطت به ، وغيرها من الأنشطة المتصلة بذلك كلها معادية لمصالح الجمهورية العربية المتحدة . (وهو أمر غريب ، لأن الصهيونيين ومن يتعاطفون مع الصهيونية ، سواء فى انجلترا ، أو الولايات المتحدة ، يصرون على أن كتابى جزء من مؤامرة موالية لعبد الناصر ، وأنه « دعاية ماكرة مؤيدة لعبد الناصر » ـ وذلك فى الواقع هو المقصود به) . وأنت من خبرتك الطويلة بى تعرف عنى شيئين : الأول ، إنى لا يمكن أن أحرك أصبعا بما يمس مصر دون أن أتأكد أولا ، عن طريق شخص مسؤول ، أن ما سأقدم عليه لا ضرر منه . والثانى ، إنى عندما أعرض اقتراحا يتصل بعملى على شخص مسؤول لا أطلب منه أن يعتمد ذلك العمل ـ أى إننى لا أطلب منه أن يشترك معى فى المسؤولية بحيث أستطيع أن اتملص منها إذا تعقدت الأمور بأن أقول « إننى عرضت الأمر على فلان ، وقال إنه لا مانع » . وفى وسع أى شخص فى حكومتكم أن يبدى موافقته على أى اقتراح اتقدم به دون أن يخشى أن يتحول الأمر لغير صالحه ويجر عليه المتاعب .

ومن ثم ، إذا كان الناس فى حكومتكم غير راضيين عن كتابى ، فمن واجبى أن أتحمل المسؤولية كاملة . ويجب أن أقوم من جانبى بكل ما أستطيع لعلاج ما تسببت فيه من اضرار ـ أو ما يعتقد رجال حكومتكم أنى تسببت فيه من أضرار . لقد كنت أتصور أنى أقوم بعملية « دعاية غير مباشرة » ذكية لاقصى حد ، تهدف إلى عرض قضاياكم المختلفة فى منظور موات (احسن منظور

ممكن) وأن أكسب لنفسى فى الوقت ذاته مكانة ، يكون لها اثرها على كتاباتى المقبلة (حصلت على مبلغ كبير مقدما عن كتابى الجديد ، الذى سأعرضه بغير شك عليك ، وعلى غيرك سلفا ، كما جاءتنى عروض لكتابة عدد من المقالات) . وقد كتبت رسالة مطولة فى الموضوع وارسلتها إلى احد أصدقائنا المشتركين ، ومن ثم فلن أكرر ما جاء فيها . ولكنى أريد أن اقول إننى على استعداد للعودة إلى القاهرة لإعادة صياغة الكتاب كله تمهيدا لإصدار الطبعة الأمريكية (وموعدها فى مارس ، والمقدر لتوزيعها ١٠٠ ألف نسخة) ولعمل كل ما يطلب منى لتنظيف صفحتى .

وهناك أشياء عديدة أستطيع أن أقوم بها ، لا لمجرد تنظيف الصفحة بل أيضا للمساهمة مساهمة ايجابية فى الحرب النفسية المقبلة التى تتوقعها ، عن حق ، فى مقالاتك . فلا شك فى أن لدى معرفة مباشرة بهذه الحرب ، وبما يمكن توقعه فيها . وقد تقدمت لحكومتكم منذ أمد قريب باقتراح للاستفادة بهذه المعرفة ، وطلبت السماح لى بالعودة إلى مصر خلال ما يقرب من عشرة ايام لمناقشة هذا الاقتراح .

واظن أن أول من يجب أن أقابله هو سامى شرف . غير أنى أود بعد ذلك مباشرة أن أتحدث طويلا معك لأشرح لك خلفية الكتاب ، وكيف كتب ، و « المؤامرة » الحقيقية التى يعتبر جزءا منها ، والمؤامرة الخبيثة التى يعارضها ، وما إلى ذلك . وأود أن أشرح لك خلال مناقشتنا كيف حدث أن ذكرتك على النحو الذى ذكرتك به (وكانت النسخة الأصلية تحوى كلاما كثيرا عنك) ولماذا تأخرت لمدة طويلة فى أن أرسل نسخة من التجارب غير المصححة للكتاب - وإن كان عليك يا صديقى هيكل أن تسلّم بأن الحصول على موعد معك فى مصر ليس من الأمور السهلة ، وانى فى المرتين الأخيرتين اللتين حاولت أن أراك فيهما وجدتك غارقا إلى أذنيك فى مواعيد أخرى ، ولم أتمكن من رؤيتك .

وهناك شىء آخر : إذا لم أحصل على الإذن بالحضور إلى مصر خلال الأيام العشرة القادمة ستفصلنى شركة البترول التى أعمل معها ، ومن ثم لن أستطيع على الإطلاق أن أحضر إلى مصر . (جيم فاندربيك لم يعرف بعد أنى طردت من مصر) . ولذا فمن المهم أن أحصل على التأشيرة على الفور تقريبا . وسأكون ممتنا للغاية لما يمكن ان تفعله فى هذا الصدد .

وعلى كل حال ، فمهما يحدث ، وسواء حصلت على التأشيرة أم لم أحصل عليها ، وسواء أتيحت لى الفرصة لتصحيح موقفى أم لم تتح ، فإنى اريدك أنت على الأخص أن تعرف أنه لن يكون فى نفسى غير أحر المشاعر نحو بلدكم الذى قضيت فيه كل هذا الوقت ، والذى منيت فيه بكثير من خيبة الأمل ، ولكنى قضيت فيه أيضا الكثير من الأوقات السعيدة . واظن أن فى وسعى أن اقول بأمانة ، إنه على الرغم من كل خيبة الأمل ، فإنى بقيت متفائلا على امتداد السنين ، وإنى أستطيع أن أشير إلى حالات كان تفاؤلى فيها صحيحا ومفيدا ، وما زلت على ثقة من انه يمكن أن يكون مفيدا حتى الآن . وكل ما أطلبه هو أن تتاح لى فرصة جديدة .

وإليك أفضل تمنياتى الشخصية

المخلص ،

مايلز

الوثيقة رقم (١١)

خطاب من « مايلز كوبلاند » إلى « محمد حسنين هيكل » بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٦٩ وهو يعيد فيه شرح موقفه ، ويعرض إجراء اى تغييرات فى الكتاب

21 MARLBOROUGH PLACE
LONDON, N.W.8
TEL: JUN 0600

26 November 1969

Dear Heykel,

To an extent I never would have believed, Egyptian friends I have know for years have gone out of their way to tell me what a terrible book I have written and what I scoundrel I am for having written it. All I have from you is a cool silence, but others have used such phrases as "traitor" and "stab in the back." One Egyptian friend whose opinions I respect tells me that President Nasser was personally hurt by the book.

Why do such reactions surprise me? Well, unsophisticated and uninformed persons take everything at face value and assume that I mean, literally *mean*, everything I write in the same way they assume that you mean literally everything you write -- without regard to the motives behind the writing, that is. But Egyptians (and Americans and British) who understand me and who are in-the-know with respect to my motives should know better. It is inconceivable to me that President Nasser -- or you, or any of my other Egyptian friends -- could believe that I would do anything, knowingly, to do even the slightest damage to President Nasser. This should be especially true of those to whom I showed an advance copy of the book (and who had plenty of opportunity to object to it in time for me to make changes before it went to the printer), and who knew that (a) I believed it advisable to make enough of a "splash" in the journalistic world to ensure my getting future assignments, (b) that I would be of no value to you until I freed myself of my reputation of being a Nasserist apologist -- a tag which has for years dulled the effectiveness of all my representations in Washington, and (c) that my allegations which seemed "anti-Nasser" would be such that they couldn't conceivably do the President any real harm.

It never occurred to me that any of you would think I meant what I said when (for example) I said that staying in power was the President's first objective. Moreover, I thought you would all realize that such a remark is not uncomplimentary when spoken of a Western leader in Western circles (to which, after all, the book was addressed) since it can be said of virtually every United States President and British Prime Minister except those who were visionary fools. Moreover, I believed -- and still believe -- it safe to assure that the remark would do no harm at all in Arab and Middle Eastern circles since it wouldn't get much reading there anyhow, and since the few who read it wouldn't like it or believe it anyhow.

There is no use going on with this, since I appear to have thought wrongly -- or, anyhow, it is clear that you and my other friends don't agree with me. All that is left for me to do is to do the best I can to remedy the situation

With all best wishes,

PS You may have heard that I'm suing those people in Beirut who did the Arabic translation without my permission, and that Arabic rights are up for grabs. Want them? I'll give you freedom to translate any way you want.

٢١ مارلبورو بلاس
لندن ش. غ. ٨
تليفون : جون ٦٠٠ .
٢٦ نوفمبر ١٩٦٩

عزيزى هيكل

لدرجة لم اكن اصدقها ابدا ، تعمد اصدقائى من المصريين الذين عرفتهم لسنوات طويلة الخروج على مالوف عاداتهم ليقولوا لى إن الكتاب الذى الفته كتاب شنيع ، وانى اعتبر وغدا لإقدامى على كتابته . اما انت فلا اجد منك إلا صمتا باردا ، فى حين استخدم الآخرون كلمات مثل « الخائن » و « الطعن فى الظهر » . وقد اخبرنى احد الأصدقاء المصريين الذين احترم آراءهم ، ان الرئيس عبد الناصر شخصيا شعر بالاستياء من الكتاب .

ولماذا تدهشنى ردود الأفعال هذه ؟ الواقع ان غير المحنكين وغير المطلعين يأخذون كل شىء على ظاهره ، ويفترضون اننى اعنى ، وحرفيا ، كل كلمة اكتبها ، على نحو ما يفترضون انك تعنى حرفيا كل كلمة تكتبها – اى بغير اعتبار للدوافع الكامنة وراء الكتابة . ولكن المصريين (وكذلك الامريكيون والبريطانيون) الذين يفهموننى ، والمطلعون على دوافعى ، يجب ان يكون لهم موقف آخر .

ولا اتصور ان يصدق الرئيس عبد الناصر – او انت ، او اى من اصدقائى المصريين الآخرين – انى يمكن ان افعل عامدا اى شىء يمكن أن يسبب للرئيس عبد الناصر ادنى ضرر . وينطبق ذلك بشكل خاص على من اطلعتهم على نسخة سابقة من الكتاب (وكانت لديهم الفرصة كاملة للاعتراض عليه فى وقت يسمح بإدخال تعديلات قبل ان ادفع به إلى المطبعة) ومن كانوا يعرفون (أ) انى كنت ارى من المستحسن ان احدث « فرقعة » فى العالم الصحفى لأضمن تكليفى باعمال اخرى فى المستقبل ، (ب) وانى لن اكون مفيدا لكم إلا إذا تخلصت من السمعة التى تلاحقنى بانى ناصرى متحمس – وهى بطاقة ظلت لسنوات طويلة تقلل من فاعلية كل ما اعرضه فى واشنطن ، (جـ) ان اقوالى التى تبدو « معادية لعبد الناصر » مصاغة بحيث لا يمكن عقلا ان تضر به ضررا حقيقيا .

ولم يخطر لى فى اى وقت أن احدا منكم يدور بخلده انى أعنى ما اقول عندما اردد (مثلا) ان البقاء فى السلطة هو الهدف الاول للرئيس . وكنت فوق ذلك اظنكم جميعا تدركون ان قولا كهذا لا يعد بعيدا عن المديح إذا قيل عن قائد غربى فى الدوائر الغربية (وهى فى آخر الأمر الدوائر المقصودة بالكتاب) لانه شىء يمكن أن يقال عن كل واحد من رؤساء الولايات المتحدة وعن كل من تولى رئاسة الوزارة فى بريطانيا ، فيما عدا اولئك الحمقى الحالمين . وفوق ذلك ، كنت اعتقد – وما ازال – ان هذه الملاحظة لا يمكن ان تحدث ضررا على الإطلاق فى الدوائر العربية ، ودوائر الشرق الأوسط ، ما دامت لن تقرا فيهما على نطاق واسع على اى حال ، وما دام القلائل الذين سيقراونها لن تعجبهم ولن يصدقوها .

وليست هناك جدوى من الاستمرار فى هذه الأقوال ، إذ يبدو اننى اخطأت التفكير ، او انكم واصدقائى الآخرين لا تتفقون معى كما هو واضح . ولم يبق امامى غير ان ابذل جهدى لتصحيح خطئى بقدر ما استطيع . ولا شك فى انكم علمتم الآن ان طبع الكتاب توقف عند ٢٠٠٠ نسخة (وهو عدد ضئيل حتى بالمقاييس البريطانية) . وقد أصبح من المستحيل الآن الحصول على نسخة منه فى انجلترا . ووافق الناشر على إدخال تعديلات على الطبعة الجديدة (٥٠٠٠ نسخة فى البداية ، تضاف إليها ٥٠٠٠ نسخة أخرى إذا نفدت بسرعة) بشرط ان ادخل التعديلات قبل يوم ١٥ ديسمبر . وكذلك

تاجل إصدار الطبعة الامريكية (٢٠ الف نسخة فى البداية ، مع وضع هدف للتوزيع هو ١٠٠ الف نسخة فى السنة الأولى) إلى شهر ابريل . ويمكن ان ندخل عليها تعديلات جوهرية ، بشرط ان تدخل هذه التعديلات فى موعد لا يتجاوز منتصف يناير ، إذ ان عملية الطباعة تحتاج إلى ثلاثة اشهر كحد ادنى .

وبصراحة ، فإنى اشعر أن ذلك كله أمر محزن ، لانى اعتقد مخلصا ان الكتاب بصورته الحالية لا يضر الرئيس جمال عبد الناصر باى شكل ، بل إنه يوضح للقارىء الامريكى ، ولا سيما القارىء المثقف ، المنطق الذى نبع منه سلوك الرئيس ، وهو منطق تقبله العقلية الأمريكية . واصدقائى فى البيت الأبيض الذين قرأوا الكتاب يقولون ذلك عنه بلا مواربة ، واتحداك ان تجد امريكيا ذكيا (او بريطانيا) واحدا يعتبر أن هذا الكتاب « معاد لعبد الناصر » . واسال مثلا ديك بومون ، او اى واحد غيره من البريطانيين ، او الامريكيين الذين تعرفهم فى القاهرة ، فيما عدا اولئك الذين يكرهون الكتاب (أو يكرهوننى) لاسباب بعيدة عن ذلك تماما . وعلى اى حال ، فإذا كان الكتاب يغضب اصدقائى المصريين ، فإنى على استعداد لتغييره بغير مزيد من المناقشة . بل إنى فى الوقت الحالى اشعر بالندم لدرجة انى مستعد لإعادة صياغة الكتاب حتى يصبح مؤيدا للرئيس عبد الناصر صراحة إذا كان هذا هو ما تريدونه جميعكم .

والمشكلة بطبيعة الحال هى الحضور إلى القاهرة . وكان طبيعيا أن يفصلنى زبائنى الذين كانوا يدفعون مصاريف سفرى ، فى نفس اللحظة التى عرفوا فيها انى اصبحت ممنوعا من دخول بلدكم . غير انى أستطيع ان احملهم جزءا على الاقل من مصاريف السفر وذلك حتى اول يناير ، وهو الموعد الذى ينتهى فيه آخر عقودى . ولذا اود ان احضر إلى القاهرة خلال الاسبوع القادم او نحو ذلك – بتاشيرة سياحة عادية بطبيعة الحال – لغرض واحد هو ان اتحدث معك ومع سامى ، وربما ايضا مع محمد فايق ، حتى اعرف بدقة ماذا تريدون منى أن افعل ، لا فيما يتعلق بتغيير الكتاب فحسب ، بل ايضا فى كتابة مقالات إضافية ، والقيام باى عمل آخر مطلوب للحصول على غفران جزئى على الاقل . وكذلك فإن هناك خلفيات كثيرة تتعلق بالموضوع من ناحية واشنطن ، واود ان اشرحها لك شخصيا – وكنت اظن انك ستخمنها بنفسك ، ولكن من الواضح ان ذلك لم يحدث .

وبإيجاز ، فإنى ساطلب من سفارتكم خلال يوم أو نحوه ان ترسل برقية إلى القاهرة تطلب الاذن بمنحى تاشيرة سياحة ، وآمل انك سترى من المناسب ان توصى بمنحها لى (واقصد التوصية فى القاهرة ، وللجهة التى تبت فى مثل هذه الامور) . كما آمل ان تجد الفرصة لتحدث الرئيس عن خطابى ، وان تذكر له فى اثناء ذلك انى آسف اشد الأسف لكونى اقدمت على شىء لا يرتاح إليه . ولست اجد وسيلة اعبر لكم بها غير المى الشديد عندما عرفت انى وقعت فى ذلك .

مع افضل تمنياتى . .

مايلز

□ ملاحظة :

لعلك سمعت بانى رفعت قضية على اولئك الذين اصدروا فى بيروت ترجمة عربية لكتابى بدون إذنى ، وان حقوق الطبعة العربية معروضة لمن يطلبها . هل تريدها ؟ إنى على استعداد لاعطائك حرية الترجمة بالشكل الذى تراه .

الوثيقة رقم (١٢)

خطاب من « مايلز كوبلاند » إلى « محمد حسنين هيكل » بتاريخ ٦ ابريل ١٩٧٠ وهو يتحدث عن الترجمات التى نشرت فى بيروت فى ذلك الوقت ، وبينها جريدة « الحياة » التى نشرت ترجمة قامت بها للكتاب دون تصريح منه (واتجاهات جريدة « الحياة » وارتباطاتها فى ذلك الوقت معروفة !) .

21 MARLBOROUGH PLACE
LONDON, N.W.8
TEL: JUN 0600

6th April 1970

Mohammed Hassanein Heykel, Esq.
el Ahram
Cairo
United Arab Republic

Dear Heykel,

You are no doubt up to date on the difficulties Ghassan Tuweini has been having with the Arabic translation of *The Game of Nations*. It wasn't my idea to publish in Arabic in the first place (the Hayat translation was totally unauthorized), but I did see it as an opportunity to straighten out misconceptions which arose in the Arab world from the English language edition. Last week, I wrote to their publishing house in Beirut, in which you have an interest, offering to donate to him ~~all rights~~ to edit and translate, but on condition that he get together with you to work out something that will not only be inoffensive but actually helpful.

I suppose that, like similar proposals I have made in the past, this particular one will get nowhere. None the less, I want to repeat it to you. It's simply this: I agree to turn over to you the right to edit, abridge, translate and publish *The Game of Nations* and to retain all income derived from it -- the part of such income which would normally come to me as author to be donated to any philanthropy of your choosing. My only condition is this: that you at least give me the privilege of discussing details of the book with you beforehand and explaining to you, for the benefit of President Nasser as of yourself, how the book came to be written in the first place. This would presumably mean getting me a tourist visa to visit Egypt, so there must be another condition: the visa must be in my hands not later than May 1st (or, preferably, a week earlier than that) so that there will still be time to hold up the Simon & Schuster publication if, after our talk, this appears to be advisable.

٢١ مارلبورو بلاس
لندن ش. غ. ٨
تليفون : چون ٦٠٠ .
٦ ابريل ١٩٧٠

السيد محمد حسنين هيكل
الأهرام
القاهرة
الجمهورية العربية المتحدة

عزيزى هيكل

لا شك فى انك مطلع على الصعوبات التى واجهها غسان توينى فى الترجمة العربية لكتاب « لعبة الأمم » . واصلا ، فإن فكرة نشر طبعة عربية من الكتاب لم تكن فكرتى (وترجمة « الحياة » صدرت بدون تصريح منى) . ولكنى وجدتها فرصة لتصحيح المفاهيم الخاطئة التى انتشرت فى العالم العربى نتيجة للطبعة الانجليزية . وفى الأسبوع الماضى ، كتبت إلى تلك الدار فى بيروت ، والتى لها علاقة بكم (مصر) ، اعرض عليهم ان يكون لهم الحق المطلق فى المراجعة والترجمة ، بشرط ان يتصلوا بك لتعملوا معا على ضمان الا يحوى النص شيئا هجوميا بل وان يكون نافعا .

ويخيل لى ان الاقتراح الذى ساقدمه هنا لن ينتهى إلى نتيجة ملموسة ، كما حدث مع غيره من الاقتراحات التى قدمتها فى الماضى ، ومع ذلك ، فإنى اريد ان اكرر عليك امرا ، وهو ببساطة ما يلى: إنى اوافق على ان احول إليك حق تحرير كتاب « لعبة الامم » واختصاره وترجمته ونشره والاحتفاظ بجميع إيراداته ـ على ان تمنح الحصة المعتادة التى تؤول إلىّ بوصفى مؤلفا لأى هيئة خيرية تختارها . وشرطى الوحيد هو : ان تتيح لى على الأقل فرصة مناقشة تفاصيل الكتاب معك مسبقا ، وان اشرح لك ـ لمعلومات الرئيس عبد الناصر ولمعلوماتك ـ كيف الف هذا الكتاب اصلا . واعتقد ان ذلك يعنى إعطائى تاشيرة سياحة لزيارة مصر ، وبالتالى يكون هناك شرط آخر : ان استلم تلك التاشيرة فى موعد لا يتاخر عن اول مايو (ومن الافضل ان يكون قبل ذلك باسبوع) حتى يكون هناك متسع من الوقت لإيقاف الطبعة التى سيصدرها الناشر سيمون آند شوستر إذا راينا بعد مناقشتنا ان ذلك مستصوب .

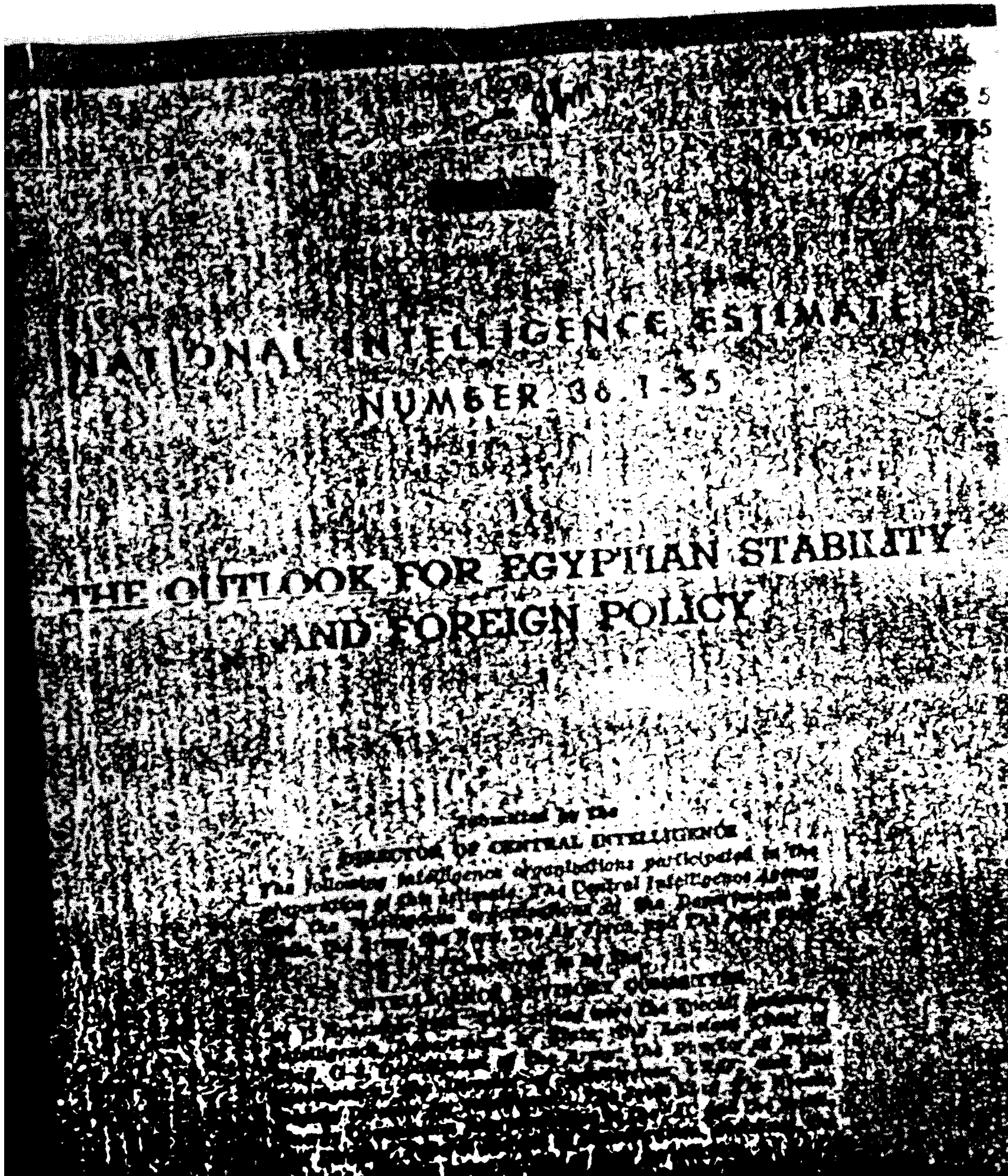
وإذا كانت اخبارى لا تزال تهمك ، فإنى اصبحت هذه الأيام بعيدا تماما عن مسرح الشرق الأوسط ، واحاول ان اركز افكارى فى كتاب جديد ، وبضعة برامج للتليفزيون ، وفيلم سينمائى . ومع ذلك ، فإنى اعترف بان الأيام الماضية السعيدة توحشنى من حين لآخر . ورغم انه لم تعد لى مصالح عملية فى القاهرة ، فإنى افتقدها لأسباب عاطفية .

وإليك افضل تمنياتى . .

مايلز

الوثيقة رقم (١٣)

وثيقة تقرير « تقدير موقف مخابرات » صادر عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية برقم (٣٦/١/٥٥) عن إمكانيات الاستقرار فى مصر ، وهو يقول بوضوح إن النظام فى مصر باق إلا إذا واجه أحد احتمالين : اغتيال ، أو هزيمة عسكرية امام إسرائيل .



THE PROBLEM

To estimate probable trends in Egypt's foreign and domestic policies and in its internal stability over the next few years, and to assess the implications of these trends for US interests in the Middle East.

CONCLUSIONS

1. Barring such grave developments as assassination or military defeat by Israel, the Nasir regime is likely to remain in control of Egypt at least for the next year or so. The regime's power will continue to depend primarily on the support of the armed forces. *(Paras. 19–20)*

المشكلة (التى يتعرض لها التقرير)

تقدير الاتجاهات المحتملة فى سياسات مصر الداخلية والخارجية ، وكذلك احتمالات الاستقرار فيها للسنوات القليلة القادمة . وقياس تأثيرات هذه الاتجاهات على مصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط .

المحصلة (التى توصل إليها التقرير)

ما لم تحدث تطورات خطيرة مثل الاغتيال ، او هزيمة عسكرية أمام إسرائيل ، فإن نظام ناصر سوف يبقى مسيطرا على مصر على الأقل طوال السنة القادمة . إن قوة النظام سوف تظل مرتكزة أولا إلى تأييد القوات المسلحة .

الوثيقة رقم ١٤

الوثيقة التى تحوى نص رسالة « ايزنهاور » إلى « دالاس » بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٥٦ وحينما كان وزير الخارجية الامريكى يحضر اجتماعا لوزراء حلف الأطلنطى فى باريس . والوثيقة واضحة فى ضرورة إيجاد بديل لـ « جمال عبد الناصر » فى المنطقة .

Document 12/12/56

EGRAM TO THE SECRETARY OF STATE

Foster:

Thank you very much for your cable report that I received erday morning. I am of course delighted that our friends ned to accept our conviction that bilageral are preferable to artite talks and conferences.

تلغراف إلى وزير الخارجية

فوستر :

اشكرك أجزل الشكر على تقريرك البرقى الذى تلقيته صباح أمس . ويسعدنى طبعا أن يكون أصدقاؤنا ميالين إلى قبول اقتناعنا بأن المحادثات والمؤتمرات الثنائية افضل من الثلاثية .

وآمل أن يفهم أصدقاؤنا فى منظمة حلف شمال الأطلنطى بصورة واضحة بأنه ليست لدينا أى نية للوقوف مكتوف اليدين نتفرج على الجناح الجنوبى للمنظمة وهو ينهار انهيارا تاما بسبب تغلغل الشيوعيين إلى الشرق الأوسط ، ونجاحهم هناك فى حين أننا لا نعمل شيئا إزاء هذا . وإنى لواثق من أنهم يعرفون بأننا نرى أن لناصر تأثير شرير . كما أعتقد بأننا بيّنا بوضوح شديد بأننا وإن كنا نشاطر البريطانيين والفرنسيين آراءهم حول ناصر إلى حد كبير ، فنحن نصر على أنهم قد اختاروا الوقت والحادثة السيئين للإقدام على تدابيرهم التصحيحية استنادا إليهما .

وأهم من كل شىء هو أملى فى أن يرى أصدقاؤنا فى أوربا ، كما نرى ذلك نحن ، ضرورة الشروع سرا وعلى مستوى أركان الحرب لوضع سياسات وخطط يستطيع الغرب بمقتضاها العمل سوية على جعل الشرق الأوسط آمنا من التغلغل السوفيتى . وليس يخالجنى أى شك فى انه سيكون من المتعين علينا فى قابل الأيام ، ولو فى نظر الرأى العام على الاقل ، أن نكون رأس الحربة فى أى حركة من هذا القبيل . ولكن يبدو اننا سنستطيع فى خاتمة المطاف التوصل إلى اتفاق عام جيد جدا فيما بيننا بشأن ما يتعين عمله وكيف يتأتى لنا القيام به .

ويحدونى اعتقاد مستمر ، كما اظن بانه يحدوكم ، بأن من بين الإجراءات التى يتعين علينا اتخاذها أن نقيم غريما عربيا لناصر ، والاختيار الطبيعى هو على ما يبدو يتمثل فى الرجل الذى طالما تحدثت أنت وأنا عنه . فإذا استطعنا إقامته باعتباره الشخص الذى يستحوذ على خيال العالم العربى ، لم يعد المقام يطول بناصر .

وقد تلقيت من بضعة أيام خطاب بتوقيع الجنرال ويجاند والمارشال جوان أرسلت إلىّ على حد قولهما استنادا إلى سبق اشتراكنا فى زمالة السلاح . وأعتقد أن وزارة الخارجية ربما أبرقت اليك بمقتبسات معينة من الخطاب . وقد لا تكون له أهمية كبيرة ، ولكنه يبين ولو ضربا واحدا من ضروب التفكير السائدة فى أوروبا الغربية ، ولا سيما فى فرنسا .

موضوع جديد . أمس توقف رئيس الوزراء سان لوران فى أوجستا لزيارتى . ولئن كانت الزيارة زيارة اجتماعية إلى حد كبير ، فقد كانت لديه بعض افكار عن الزيارة المقبلة لصديقنا الآسيوى - ولم يكن فى هذه الأفكار شىء جديد بصورة خاصة ، ولهذا لن ازعجك هنا بإعادتها . والأرجح أن أراك يوم السبت .

مع التحيات الفائقة الحرارة ، وآمل الا تعانى شيئا من الآثار المرضية عند عودتك إلى العمل بهذه السرعة بعد مرضك الأخير .

المخلص

د . ا .

الوثيقة رقم ١٥

صورة من خطاب « جرينوود » إلى « محمد حسنين هيكل » بشأن تأجير قناة السويس ، وإعطاء قرض كبير لمصر ، وإعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين ، وقد رفض العرض في القاهرة جملة وتفصيلا ، وخطاب « جرينوود » يشرح خيبة أمله من جراء ذلك . وقد أرسل خطابه من فندق « سميراميس » الذى كان يقيم فيه أثناء وجوده بالقاهرة .

ALL COMMUNICATIONS TO BE ADDRESSED TO THE MANAGER

فندق سميراميس بالقاهرة
شركة الفنادق المصرية

Semiramis Hotel

THE EGYPTIAN HOTELS LTD.

UNDER THE SAME MANAGEMENT
SHEPHEARD'S HOTEL
CAIRO

Teleg. Address: SEMIRAMIS - CAIRO

CAIRO May 10, 1957

Mr. Mohammed Hassanein Haikel
14 Chariah Chagaret El Dor
Zamalek, Cairo
Egypt

Dear Mohammed:

**Sixty-two Senators, 116 Congressmen, 23 Governors and 44 leading United States business executives cannot all be wrong. This is the "score" of the people voicing an active interest in our Plans and Proposals up to the time I left Washington; and I am advised there are more than 200 letters received by our Washington office since I left.

What greater proof do you want that the American people wish to cooperate with Egypt and are willing to implement the proposals I have submitted to President Eisenhower, Congress and our State Department pertaining to the commercial loan for Egypt.

I have asked you to help me call Dulles' hand by cooperating with me as much as possible while I am over here. Instead you are playing right into his hand by your "brush off" tactics.

If you are no longer interested in the loan we proposed, say so and we will stop wasting our time.

Respectfully,

MIDEAST SETTLEMENT COMMITTEE

E. H. Greenwood, Chairman
Semiramis Hotel
Cairo, Egypt

EMG:B

**These letters are available for your inspection.

فندق سميراميس بالقاهرة
شركة الفنادق المصرية
القاهرة ١٠ مايو ١٩٥٧

السيد محمد حسنين هيكل
١٤ شارع شجرة الدر
الزمالك ، القاهرة
مصر

عزيزى ...

إن اثنتى وستين سناتورا ، و ١١٦ من رجال الكونجرس ، و ٢٣ من حكام الولايات ، و ٤٤ من كبار رجال الأعمال في الولايات المتحدة لا يمكن أن يكونوا جميعا مخطئين . وهذه هى « حصيلة » الأشخاص الذين أبدوا اهتماما واضحا بخططنا واقتراحاتنا حتى وقت مغادرتى واشنطن ، وقد علمت أن مكتبنا في واشنطن تلقى أكثر من ٢٠٠ خطاب بعد سفرى** .

فأى دليل تريده أكبر من ذلك على أن الشعب الأمريكى يرغب في التعاون مع مصر ، ومستعد لتنفيذ الاقتراحات التى قدمتها إلى الرئيس ايزنهاور والكونجرس ووزارة الخارجية بشأن القرض التجارى لمصر .

وقد طلبت منك أن تساعدنى في غل يدّ دالاس بتعاونك معى إلى أقصى حد ممكن أثناء وجودى هنا . ولكنك بدلا من ذلك تساعده في تحقيق أغراضه بتكتيك « الصد والرفض » الذى تتبعه .

إذا كنت لم تعد مهتما بالقرض الذى اقترحناه فأخبرنا بذلك وسنكف عن تضييع وقتنا .

وأرجو قبول فائق الاحترام ،

لجنة التسويات في الشرق الأوسط
توقيع
أ . م . جرينوود ، رئيس اللجنة
فندق سميراميس
القاهرة ، مصر

** هذه الخطابات موجودة وتستطيع الاطلاع عليها .

خطة لتحقيق الفوز

١ - عقد قرض تجارى لمصر يحقق الاستقرار فى الشرق الأوسط .

٢ - ينبغى أن تعقد مصر هذا القرض عن طريق المصدر والوكيل الذى يستطيع أن يدافع بصورة بناءة عن قضيتها فى الولايات المتحدة .

٣ - هذا المصدر والوكيل يمكن أن يكون شخصية رئيسية فى سياسة الولايات المتحدة ، وأن تكون له أهمية خاصة فى المساعدة فى اختيار رئيس جمهوريتها المقبل .

٤ - مع وجود صديق لمصر فى البيت الأبيض يمكن ايقاف المصدرين الأساسيين للمعونة المالية لإسرائيل (التبرعات المخصومة من الضرائب والمعونة المباشرة) . كما يمكن تخفيف شروط الهجرة بحيث يصبح فى وسع ٧٥٪ من اليهود أن يخرجوا من إسرائيل (وهو ما يرغبون فيه) .

ليست هناك وسيلة متاحة لمصر لإحراز نصر تام على إسرائيل غير الخطوات المذكورة آنفا ، على أن تنفذ تنفيذا جيدا حتى نهايتها الموفقة .

ولجنتنا الحالية المؤلفة من صغار رجال الأعمال يمكن أن تتحول إلى مؤسسة وطنية قوية تضم آلافا عديدة من الأعضاء (بدون حملات لجمع الأموال) تسعى من أجل مبادىء السلام الدائم مع العدل .

وقد أرسلت خطط ومقترحات لجنتنا بالفعل إلى كل سناتور وكل عضو فى الكونجرس وكل حكام الولايات وكل المسؤولين الحكوميين وكل رابطة تجارية وكل نقابة عمالية فى الولايات المتحدة . وكانت الاستجابة مشجعة للغاية ، ويمكن خلال وقت قصير تدعيم هذه القوى وتوجيهها نحو أهدافنا المشتركة ، وهى :

١ - إصدار « سندات السلام » لتمويل حملة عالمية واسعة النطاق من أجل السلام . السلام عن طريق الاستثمار - لا عن طريق الاستغلال .

٢ - التخطيط على المدى الطويل للتعاون فى المساعدات الخارجية على أساس تجارى عملى بدون شروط ، أو قيود سياسية . فلم يعد هناك محل للمنح التى تعطى على حساب دافع الضرائب الأمريكى .

٣ - إعادة توطين اللاجئين من المناطق المتفجرة فى المناطق الراكدة التى تحتاج إلى مهاجرين ، وإلى تنمية جيدة التخطيط .

٤ - الاستفادة بموارد العالم الطبيعية غير المستغلة من أجل تمويل الأمن الوطنى والاقتصاد الداخلى لكل بلد .

الوثيقة رقم (١٦)

اول وثيقة بتوقيع « ايزنهاور » بسريان قانون الأمن المتبادل على المملكة العربية السعودية .

E.O. 12356, Sec. 3.4(b)
MR 85-390 #3
By DJH Date 2/27/86

March 14 1953

MEMORANDUM FOR THE DIRECTOR FOR MUTUAL SECURITY

In accordance with the recommendation contained in your memorandum of March 2, 1953, I hereby determine, pursuant to the authority vested in my by Section 202 of the Mutual Security Act of 1951, as amended, that it is essential for the purpose of that Act that the Government of Saudi Arabia be provided military assistance, pursuant to the provisions of the Mutual Defense Assistance Act of 1949, as amended. In making this determination, I find that (1) the strategic location of Saudi Arabia mades it of direct importance to the defense of the Near East area, (2) the assistance to be furnished is of critical importance to the defense of the free nations, and (3) the immediately increased ability of Saudi Arabia to defend itself is important to the preservation of the peace and security of the Near East area, and to the security of the United States.

The Secretaries of State and of Defense are to be notified by you of this determination.

DWIGHT D. EISENHOWER
The President

Recommended by: The Department of State-Walter B. Levith March 12, 1953
The Department of Defense-Frank C. Nash March 12, 1953
The Director of the Budget-J. March 12, 1953
The Director for Mutual Security- 00015601/17 March 12, 1953

رفع عنها الحظر فى ١٩٨٦/٢/٢٧

١٤ مارس ١٩٥٣

مذكرة لمدير الأمن المتبادل

عملا بالتوصية الواردة فى مذكرتكم المؤرخة فى ٢ مارس ١٩٥٣ ، أقرر بناء على السلطة المخولة لى بمقتضى المادة ٢٠٢ من قانون الأمن المتبادل لعام ١٩٥١ بصورته المعدلة ، أن من الضرورى لأغراض ذلك القانون ، توفير المساعدة العسكرية لحكومة المملكة العربية السعودية بمقتضى أحكام قانون المساعدة العسكرية المتبادلة لعام ١٩٤٩ بصورته المعدلة . وإنى إذ أتخذ هذا القرار أرى : (١) أن الموقع الاستراتيجى للمملكة العربية السعودية يجعل لها أهمية مباشرة فى الدفاع عن منطقة الشرق الأدنى ، (٢) أن للمساعدة التى ستقدم أهمية قصوى للدفاع عن الأمم الحرة ، (٣) أن زيادة قدرة المملكة العربية السعودية على الفور على الدفاع عن نفسها له أهميته فى صون السلام ، والأمن فى منطقة الشرق الأدنى ، وأمن الولايات المتحدة .

وعليكم إخطار وزيرى الخارجية والدفاع بهذا القرار .

دوايت د . ايزنهاور
رئيس الجمهورية

أوصت به : وزارة الخارجية ـ والتر ب . ليفيز	١٢ مارس ١٩٥٣
وزارة الدفاع ـ فرانك ك . ناش	١٢ مارس ١٩٥٣
مدير الميزانية	١٢ مارس ١٩٥٣
مدير الأمن المتبادل	١٢ مارس ١٩٥٣

الوثيقة رقم ١٧

صورة وثيقة بمذكرة صادرة من وزير الخارجية « جون فوستر دالاس » إلى الرئيس « ايزنهاور » بشأن بدايات الحملة على سوريا .

THE SECRETARY OF STATE
WASHINGTON

August 20, 1957

MEMORANDUM FOR THE PRESIDENT
THE WHITE HOUSE

On the Syrian matter, I think it important that you avoid any statement or implication that you have as yet determined that Syria is now "controlled by International Communism" within the meaning of the Middle East Resolution. On the other hand, I would avoid any statement that you think it is not so controlled. The situation is still confused. There is a tight censorship. Our Embassy is virtually blockaded and we cannot yet make a clear political judgment as to the actual extent of Communist penetration.

For your confidential information, Ambassador Moose, who is here in Washington, feels it possible that the change has not been as great as appears on the surface, and that the Leftist take-over is not yet complete.

I think it important that you should say nothing which would encourage Israel, for example, to stimulate an incident with Syria on the theory that we have judged Syria to be Communist controlled. On the other hand, we would want to keep freedom of action to make such a decision under certain contingencies. We would like to keep the Syrian Government uncertain as to our intentions.

I suggest that the line to take is that recent charges against the United States have been a smokescreen for anti-Western and pro-Soviet elements to seek to strengthen their control in the government. There is evidence in Syria of the development of a dangerous and classic pattern. The Soviets first promise and extend aid, military and/or economic. With this aid they promote the control of any positions by pro-Soviet persons. The end result sought is that the country will fall under the control of International Communism and become a Soviet satellite, whose destinies are directed from Moscow. All of this is under a smokescreen of false charges that others are conspiring, e.g., the United States.

002094 – 1987

We do not yet know how far along this pattern Syria has yet gone, but certainly what has already happened is a sign of danger and should be a warning to others who are sought to be lured by the Communist technique.

The Middle East, as we know, has recently become a prime target of Communist aspirations. The Soviet and Chinese Communists have sought every opportunity to promote instability and disunity in this area. We are following with concern developments in Syria as they affect the peace, tranquillity and prosperity of the area.

John Foster Dulles

وزارة الخارجية
واشنطن

سرى

٢٠ اغسطس ١٩٥٧

مذكرة للعرض على الرئيس
البيت الأبيض

فى موضوع سوريا ، أعتقد أنه من المهم أن تتجنبوا الادلاء بأى تصريح ، أو تلميح يفهم منه أنكم وصلتم إلى قرار بأن سوريا أصبحت الآن « تحت سيطرة الشيوعية الدولية » بالمعنى المقصود فى القرار الخاص بالشرق الأوسط . ومن الناحية الأخرى ، فلنتجنب أى تصريح بأنكم تعتقدون أنها **ليست** تحت تلك السيطرة . فما زال الموقف غير واضح . والرقابة صارمة . وسفارتنا تحت الحصار من الناحية العملية ، ولا نستطيع حتى الآن أن نصدر حكما سياسيا واضحا بشأن مدى التغلغل الشيوعى .

ولمعلوماتكم الخاصة ، فإن السفير موس ، الموجود حاليا فى واشنطن ، يرى أنه من المحتمل ألا يكون التغيير كبيرا بقدر ما يبدو على السطح ، وأن التحول إلى اليسار ليس كاملا حتى الآن .

واعتقد أنه من المهم ألا تقولوا شيئا يشجع إسرائيل مثلا على افتعال حادث مع سوريا ، اعتمادا على نظرية أننا حكمنا بان سوريا خاضعة للسيطرة الشيوعية . ونحن من الناحية الأخرى نريد أن نحتفظ بحرية اتخاذ مثل هذا القرار فى ظروف معينة . ونريد الآن أن تبقى الحكومة السورية غير متأكدة من نوايانا .

وأقترح أن يكون الخط الذى نتبعه هو أن الاتهامات التى وجهت إلى الولايات المتحدة فى الآونة الأخيرة كانت ستارا تستخدمه العناصر المعادية للغرب ، والموالية للسوفيت لتعزيز سيطرتها على الحكومة . وهناك دلائل على أن ما يجرى فى سوريا يسير وفقا لنمط كلاسيكى خطر . فالسوفيت يبدأون بتقديم الوعود ، ثم بتقديم المساعدة العسكرية ، أو الاقتصادية أو كليهما . ومن خلال هذه المساعدة يعملون على أن يسيطر أشخاص موالون للسوفيت على أية مواقع كانت . والنتيجة الأخيرة المرجوة هى أن يسقط البلد تحت سيطرة الشيوعية الدولية ، ويدور فى الفلك السوفيتى ، وتدار مصائره من موسكو . ويجرى ذلك كله وراء ستار من الاتهامات الكاذبة بأن هناك آخرين يتآمرون ، ومن أمثالهم الولايات المتحدة .

ونحن لا نعرف حتى الآن إلى أى مدى ذهبت سوريا فى هذا السبيل ، ولكن لا شك فى أن ما حدث بالفعل مؤشر على الخطر ، ويجب أن يكون إنذارا للآخرين ممن تعمل الأساليب السوفيتية على جذبهم .

وقد أصبح الشرق الأوسط كما نعرف هدفا أساسيا للتطلعات الشيوعية فى الآونة الأخيرة . وقد استغل الشيوعيون السوفيت والصينيون كل فرصة متاحة ، لبث التفرقة ، وعدم الاستقرار فى المنطقة . ونحن نتابع التطورات الجارية فى سوريا بقلق إذ أنها تمس سلم المنطقة ، وهدوءها ، ورخاءها .

توقيع
جون فوستر دالاس

الوثيقة رقم (١٨)

صورة وثيقة تتضمن خطابا من « جون فوستر دالاس » إلى « سلوين لويد » وهى البداية الحقيقية لعملية حصار سوريا .

OUTGOING TELEGRAM

INDICATE: ☐ COLLECT ☐ CHARGE TO

Department of State

TOP SECRET

1957 AUG 21 PM 7 59
11730
DC/1

2090

53 SENT TO: Amembassy LONDON NIACT 1491 32

Origin SS
Info RMR
C
SP
C
R
NEA

LIMIT DISTRIBUTION

Please deliver following personal message from Secretary to ~~Selwyn~~ Foreign Minister:

QTE Dear Selwyn:

We are deeply concerned, as I know you are, about developments in Syria. It seems to us that there is now little hope of correction from within and that we must think in terms of the external assets reflected by the deep concern of the ~~Muslim~~ Moslem States having common borders with Syria. We must perhaps be prepared to ~~make~~ take some serious risks to avoid even greater risks and ~~more~~ dangers later on. We are giving this matter our most concentrated attention and will no doubt want to exchange views with you tomorrow or Friday.

Sincerely yours,

Foster UNQTE

DULLES

DECLASSIFIED
Authority NLE Date 3/20/87
By bcc

002090/87

S JFDulles:ma — SJFDULLES

Cleared by NEA - Rountree

TOP SECRET

REPRODUCTION FROM THIS COPY, IF CLASSIFIED, IS PROHIBITED.

وزارة الخـارجية

سـرى جـدا

برقية صادرة
المرسل إليه : السفارة الأمريكية فى لندن
التوزيع محدود

ارجو إبلاغ الرسالة الشخصية التالية من وزير الخارجية (الامريكية) إلى وزير الخارجية (البريطانية) . .

« عزيزى سلوين :

إننا نشعر بقلق شديد للأحداث الجارية فى سوريا ، وأعرف انها تسبب لك القلق ايضا . ويبدو لنا انه ليس هناك امل فى التصحيح من الداخل ، وعلينا أن نفكر فى الامكانيات الخارجية التى تتمثل فى القلق الشديد الذى تشعر به الدول الاسلامية التى لها حدود مشتركة مع سوريا . وقد يلزم ان نكون مستعدين لتحمل قدر من المخاطرة الجدية تجنبا لمخاطر واخطار اكبر فيما بعد . ونحن نولى هذا الأمر اشد الاهتمام ، وسنكون فى حاجة ـ بغير شك ـ إلى تبادل الراى معكم غدا ، أو يوم الجمعة .

« المخلص
فوستر »

الوثيقة رقم (١٩)

صورة وثيقة تتضمن خطابا موجها من « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية الأمريكى إلى « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء البريطانى ، وهى تعزيز لخطابه إلى « سلوين لويد » وتفصيل اكثر لعملية الضغط على سوريا .

OUTGOING TELEGRAM Department of State

INDICATE: ☐ COLLECT ☐ CHARGE TO

2091

TOP SECRET

PRESIDENTIAL HANDLING

1957 AUG 22 PM 12 46

12035

SENT TO: Amembassy LONDON NIACT 1509

36

Origin SS

Please pass following to Prime Minister: 2

August 22, 1957

QTE/ Dear Harold:

This supplements my message to Selwyn of yesterday which our Embassy tells me was given to you as Acting Foreign Secretary in Selwyn's absence.

After reviewing the situation fully with the President we have decided to ask Loy Henderson, who is my principal deputy on administrative matters, to accelerate his proposed visit to some of our Embassies and to put Ankara first on the list. This will enable him in addition to his normal function to get at firsthand information in Turkey about the attitude

Authority MR 86-435 #4 By bc NLE Date 3/20/87

« تصرف رئاسى »

عزيزى هارولد

بعد دراسة الموقف دراسة وافية مع الرئيس قررنا ان نطلب من لوى هندرسون وهو وكيلى الأول ان يعجل بزيارته المقترحة لبعض سفاراتنا ، وان يضع انقرة على راس القائمة . وسوف يتيح له ذلك بالاضافة إلى اعماله العادية ان يحصل فى تركيا على معلومات مباشرة عن موقف بعض جيران سوريا من التطورات الجارية هناك . وقد علمنا ان العراقيين ، وربما الأردنيين سيكونون هناك فى ذلك الوقت ، وسوف يتصل لوى بسفيركم فى انقرة .

وقد ارسلت امس رسالة شخصية إلى بن جوريون اعرب فيها عن الأمل فى اننا نستطيع ان نتصرف مفترضين انه لن يتخذ إجراء يربط المسالة السورية بجوانب النزاع العربى الاسرائيلى ، ففى رايى ان هذا شرط لا غنى عنه حتى يمكن الوصول إلى حل بناء تحت رعاية عربية وإسلامية .

كما بعث الرئيس رسالة إلى الملك سعود يعرب فيها عن الأمل فى ان يستخدم الملك بوصفه حامى الأماكن الاسلامية المقدسة نفوذه الكبير لمنع تمركز العقيدة الشيوعية الملحدة فى احد المراكز الرئيسية فى العالم الاسلامى .

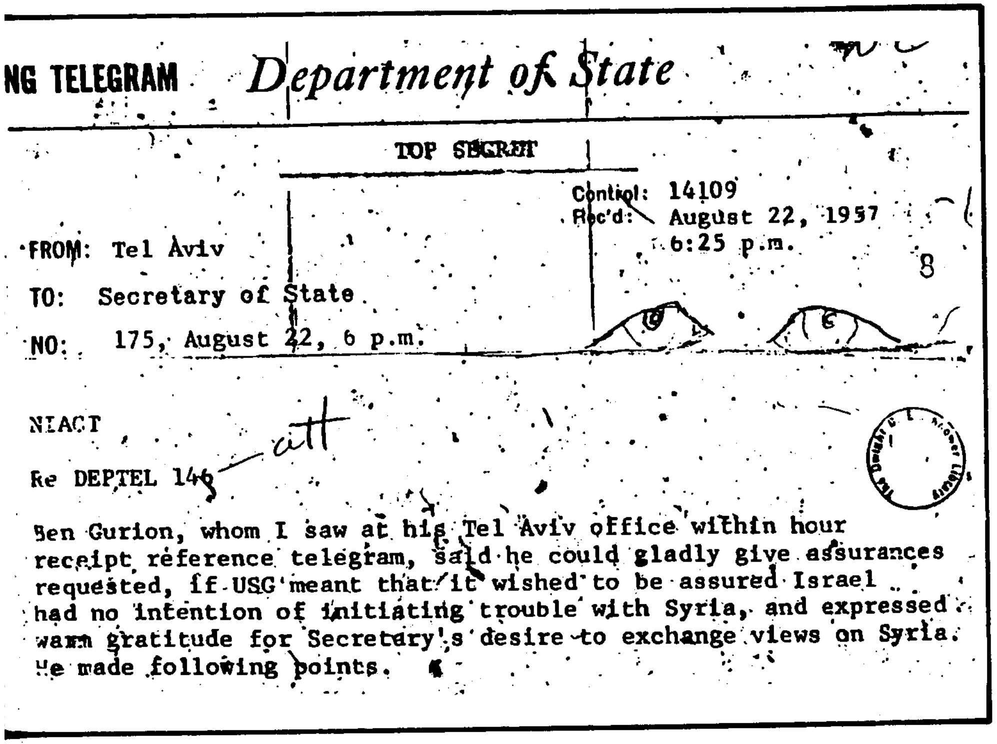
ويسرنى ان اعرف رايكم فى هذا الموقف ، واعتقد انه من المهم الا تمتنع إسرائيل فقط عن التدخل فى التطورات المحتملة فى سوريا ، بل وان تمتنع عن ذلك الدول الغربية ايضا . ويكفى ان يعرف جيران سوريا انهم سيلقون منا كل تاييد معنوى لأى تدبير دفاعى يرون ان عليهم اتخاذه .

المخلص

فوستر »

الوثيقة رقم (٢٠)

صورة وثيقة تتضمن تقريرا من السفير الأمريكى فى إسرائيل « باكستر » إلى وزير الخارجية الأمريكى « جون فوستر دالاس » بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٥٧ وهى تتضمن تفاصيل لقاء بين السفير الأمريكى و « دافيد بن جوريون » رئيس الوزراء الاسرائيلى . والتحريض الاسرائيلى على سوريا واضح فى الوثيقة ، وكذلك رغبتها فى المشاركة فى العمليات الموجهة ضد سوريا .



NG TELEGRAM Department of State

TOP SECRET

Control: 14109
Rec'd: August 22, 1957
6:25 p.m.

FROM: Tel Aviv

TO: Secretary of State

NO: 175, August 22, 6 p.m.

NIACT

Re DEPTEL 146

Ben Gurion, whom I saw at his Tel Aviv office within hour receipt reference telegram, said he could gladly give assurances requested, if USG meant that it wished to be assured Israel had no intention of initiating trouble with Syria, and expressed warm gratitude for Secretary's desire to exchange views on Syria. He made following points.

« قال لى بن جوريون الذى قابلته فى مكتبه بتل ابيب بعد ساعة من تسلم برقيتكم إنه يستطيع أن يعطى بسرور التاكيدات المطلوبة إذا كانت الحكومة الأمريكية تعنى انها تريد تاكيدا بان إسرائيل لا تعتزم ان تكون البادئة بالمتاعب مع سوريا . واعرب عن شكره الحار لرغبة الوزير فى تبادل الآراء معه بشان سوريا . وابدى النقاط التالية :

١ - إنه يشاطر الولايات المتحدة القلق من التطورات الجارية فى سوريا لأنه فى رايه يستحيل التمييز بين « سوريا وروسيا » . فإسرائيل هى الهدف النهائى للأسلحة التى تتدفق من الاتحاد السوفيتى على سوريا ، وإن كان من الممكن ان يقال نظريا إن هذه الأسلحة تهدد

لبنان او دولا عربية اخرى . وهو يود ان يعرف ما ستفعله الحكومة الامريكية إذا تعرضت إسرائيل لهجوم من روسيا عن طريق سوريا .

وقال إن الصحف السوفيتية التى لا تنشر ابدا شيئا بدون غرض كانت بشعة فى الهجوم على إسرائيل فى الآونة الأخيرة ، واستشهد على ذلك بانباء تقول إن إيلات قد سلمت للولايات المتحدة لتجعل منها قاعدة بحرية على خليج العقبة ، وان فرنسا وإسرائيل تستعدان للهجوم على سوريا .

كما استشهد بن جوريون فى حديثه معى بملاحظة يبدو ان حكومته تتوجس منها بشكل خاص ، إذ ان السفير السوفيتى آبراموف قال لعضو المابام حزان اثناء لقاء بينهما ما نصه : « إن المدن الاسرائيلية لم تعرف بعد معنى التعرض للقذف بالقنابل » .

(راجع رسالة إيبان إلى وكيل الوزارة هيرتر فى ٢٥ / ٧ / ١٩٥٧)

٢ - وقال بن جوريون : « إن المطلوب هو تحرك امريكى قوى على غرار التحركات التى اوقفت السوفيت عند حدهم ، كما حدث مؤخرا عندما اقترب الأسطول الأمريكى السادس من الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط تاييدا للأردن ، والتصريح الأمريكى الذى سبق ذلك لتاييد فورموزا » .

٣ - وقال بلهجة عتاب معتدلة : « إن سوريا تتلقى من روسيا كميات هائلة من الأسلحة تشكل خطرا على إسرائيل اكثر من اى بلد آخر . وبينما تقوم الولايات المتحدة بتزويد لبنان والملكة السعودية والعراق بالأسلحة ، فإنها ما زالت تمنع الأسلحة عن إسرائيل تنفيذا - فيما يبدو - لقرار الأمم المتحدة الصادر فى ٢ نوفمبر (١٩٥٦) - « وإن كان لماذا ، لست ادرى » ؟

وتمضى برقية السفير الأمريكى فى إسرائيل بعد ذلك لتصل إلى البند الخامس الذى روى فيه السفير نقلا عن « بن جوريون » قوله « إنه يرحب بوجه خاص بان يفهم ماذا يعنى بعبارة « حل بناء » . » ثم اضاف السفير إلى مقابلته مع « بن جوريون » إضافة من عنده قال فيها :

« تعليق : ربما كانت الطلاقة التى تكلم بها بن جوريون بعد قراءته للرسالة مباشرة دليلا على انه اعطانى خلاصة مركزة لتفكير الحكومة الاسرائيلية الذى وصلت إليه بعد ايام متوالية من المتابعة المستمرة للأوضاع فى جارتها الشمالية . وقد دار حديثنا بلهجة معتدلة وبغير انفعال . ولكنه كان يردد كثيرا عبارة « نحن قلقون ، قلقون للغاية » . وقد قال لى : « إننا سنتلقى ردا رسميا على رسالة وزير الخارجية فى المستقبل القريب ، عندما تكون الفرصة قد اتيحت له لمناقشة الموضوع مع إيبان الذى كان ينتظر فى الغرفة المجاورة عندما غادرت المكتب بعد محادثتنا التى استمرت عشرين دقيقة » .

واتفقنا على اننا سنرد على أسئلة الصحفيين بان المقابلة تمت بناء على طلبى لنناقش الأمور الجارية ذات الاهتمام المتبادل . فإذا سئلنا عما إذا كانت سوريا بين موضوعات المناقشة ، ساجيب بان بلدينا يهتمان بطبيعة الحال بالتطورات فى سوريا .

إمضاء
باكستر »

الوثيقة رقم (٢١)

صورة وثيقة تتضمن تقريرا من السفير الامريكى فى إسرائيل عن اتصالات قام بها فى وزارة الخارجية الإسرائيلية تتعلق بالازمة فى سوريا .

ING TELEGRAM . *Department of State*

1 SECRET

Control: 18033
Rec'd: August 28, 1957
5:33 p.m.

FROM: Tel Aviv

TO: Secretary of State

NO: 199, August 28, 8 p.m.

PRIORITY

SENT NIACT BEIRUT 57, DEPARTMENT PRIORITY 199, REPEATED INFORMATION AMMAN 29, ANKARA 8, BAGHDAD 18, CAIRO 31, DAMASCUS 25, JIDDA 15, PARIS 24, LONDON 33, MOSCOW 4.

BEIRUT FOR HENDERSON

At Israeli initiative I called at Foreign Ministry today for talk about Syria with Herzog, Comay and Shiloah latter now functioning in newly created position of adviser to Foreign Minister on political and policy planning affairs.

وزارة الخارجية

برقية واردة

من : تل أبيب — **رقم المراجعة : ١٨٠٣٣**

إلى : وزارة الخارجية — **تاريخ التسلم فى : ٢٨ أغسطس ١٩٥٧**

الرقم : ١٩٩ ، ٢٨ أغسطس ، ٨ مساء — **٥ : ٣٣ مساء**

ارسلت صورة إلى بيروت ٥٧ ، ، اولوية الوزارة ١٩٩ ، ارسلت للعلم إلى عمان ٢٩ ، انقرة ٨ ، بغداد ١٨ ، القاهرة ٣١ ، دمشق ٢٥ ، جدة ١٥ ، باريس ٢٤ ، لندن ٣٣ ، موسكو ٤ .

بيروت ، تسلم لهندرسون

بناء على طلب الجانب الإسرائيلى توجهت اليوم إلى وزارة الخارجية لمناقشة المسائل المتعلقة بسوريا مع هرتزوج ، وكوماى ، وشيلواح الذى يشغل الآن وظيفة انشئت حديثا كمستشار لوزير الخارجية لشؤون التخطيط السياسى وتخطيط السياسات .

عندما قلت إنى ارحب بهذه الفرصة للاستماع إلى آرائهم ، ولكن الدراسة الجارية حاليا للموقف من جانب واشنطن لم تسفر عن تصفية الآراء الامريكية بحيث يمكن نقلها إلى حكومة إسرائيل . ذكروا ان هذا الاعلام السلبى نفسه يزيد من عدم تشجيعهم ، ويضيف إلى تقديرهم غير المتفائل بالنسبة لاحتمالات المستقبل . وهم يرون أن للوقت اهمية خاصة . فكل يوم يتأخر فيه التعبير عن رد فعل قوى وإيجابى من جانب الولايات المتحدة بوصفها زعيمة للعالم الغربى ، يزيد من الاحتمالات الخطرة بالتغاضى عن خطورة التهديد الذى تمثله سوريا . فإذا لم تكن هناك دلائل على ان ثمة خطوات يجرى بحثها للتحرك من اجل عكس اتجاه الأحداث الحالية فى سوريا ، فقد يؤدى التفكير بالامانى إلى قبول النظرية الخطرة التى تود سوريا والكرملين نشرها ، ومؤداها إن الهزة التى وقعت فى سوريا لا تزيد عن ان تكون تغييرا فى الحكومة ، تم بالوسائل الدستورية ، واسفر عن اتجاه إلى اليسار ولكنه لم يسفر عن خلق دولة شيوعية ، او بلد يدور فى الفلك السوفيتى على نحو ما كان يخشى فى البداية . وقال شيلواح : إن الموقف شبيه بما حدث مع مصر فى ١٩٥٥ ، عندما حاول الغرب ان يقلل من اهمية صفقة الأسلحة التشيكية بناء على اعتقاد ، ثبت الآن خطؤه ، بانه ما زال فى وسع الغرب أن يتعامل مع عبد الناصر ، وان إتخاذ موقف قوى إزاء الصفقة التشيكية ربما يؤدى إلى الإسراع بدفعه إلى المعسكر السوفيتى . كما تعتقد الحكومة الإسرائيلية ان التصور بان عبد الناصر يشعر بالقلق لاحداث سوريا إنما هو من قبيل طمأنة النفس . وهو ربما حاول إعطاء هذا الانطباع للدبلوماسيين الغربيين ، لكنه هو بذاته الذى اقنع القوتلى بالعدول عن قراره بالاستقالة .

وفى رأى « خبراء الشؤون العربية » فى الحكومة الإسرائيلية ان تحوّل سوريا إلى بلد يدور فى الفلك السوفيتى اسهل بكثير من تحوّل مصر . ورغم ان عبد الناصر اداة طيعة للسوفيت ، فإنه يصر على ان يعملوا من خلاله ، ولديه سيطرة قوية على جميع العناصر فى الحكومة المصرية . اما فى سوريا فهناك حركة شيوعية قوية ، وخلاياها على استعداد لتولى جميع الوظائف والعمل فى جميع المستويات الحكومية . وإذا لم يعمل شىء لمنع ذلك ، يجب ان نتوقع تطهيرا يجرى خطوة بعد خطوة ، ويسفر عن قيام هنجاريا اخرى لا يكون الغرب قادرا على التحرك ضدها . لكن الحكومة الإسرائيلية ترى انه ما زال هناك بعض الوقت الذى يمكن فيه تقديم المساعدة للعناصر السورية المعارضة للمسار الحالى ، وتشجيعها على عكس الاتجاه ، وان ذلك إذا تم بسرعة وبتشجيع علنى ، او سرى من جانب الولايات المتحدة واصدقائها فى المنطقة ، يمكن إنجازه بغير نشوب حرب واسعة ، وبغير اللجوء إلى « استخدام الولايات المتحدة للقوة الغاشمة » .

وأكد ممثلو وزارة الخارجية ان إسرائيل ايضا جزء من المنطقة ، وهى كغيرها من بلدان المنطقة تشعر بقلق بالغ لاحتمال وجود « قاعدة سوفيتية » على حدودها . وان هندرسون ارسل فى مهمة خاصة ليسمع اراء « بعض جيران سوريا » ، وقد اجرى بالفعل اتصالاته مع تركيا والعراق والاردن ، ويقال الآن إنه سيسافر إلى بيروت . وربما ينشأ الانطباع قريبا بان الولايات المتحدة لا تعتبر إسرائيل « جزءا من المنطقة ، او من جيران سوريا » .

وعندما قال شيلواح : إن تركيا ، والأردن ، والعراق لابد قد عرفت من هندرسون شيئا من الآراء المبدئية للوزارة ، او اتجاه تفكيرها ، وهى امور غير متاحة لإسرائيل لتساعدها فى مناقشتها للموقف ، ذكرت انى اعتقد ان بعثة هندرسون هى بالضبط ، كما جاء فى الصحف ، لا تزيد عن كونها بعثة لتقصى الحقائق ، ولابلاغ أراء زعماء المنطقة بصورة مباشرة إلى وزير الخارجية ، لمساعدة الوزارة فى تقييم التطورات الجارية فى سوريا . ودون أن يسأل عما إذا كان فى نية هندرسون أن تكون إسرائيل جزءا من جولته ، تطوع بالقول بان الحكومة الاسرائيلية يسعدها ان تستقبله إذا رغب فى الحضور .

باكستر

الوثيقة رقم (٢٢)

صورة وثيقة تتضمن رسالة موجهة من « لوى هندرسون » المبعوث الخاص « لايزنهاور » إلى الشرق الأوسط بتاريخ ٢٨ اغسطس ١٩٥٧ تحت رقم ١٨٠٣٧ ، وهى تحتوى على نتيجة مباحثاته مع وزير الخارجية اللبنانى الدكتور « شارل مالك » حول الموقف فى سوريا .

2095

IING TELEGRAM — Department of State

1 — TOP SECRET

Control: 18037
Rec'd: August 28, 1957
5:43 p.m.

FROM: Beirut

TO: Secretary of State

NO: 563, August 28, 9 p.m. (SECTION ONE OF THREE)

NIACT

FROM HENDERSON

(1) I arrived Beirut 11 a.m. Ambassador Heath met me airport and took me directly Foreign Office meet Foreign Minister Malik then visit Prime Minister Sami Solh for brief meeting thence to President Chamoun for more detailed conversation.

٢٨ اغسطس ١٩٥٧
٥ : ٤٣ مساء

« وزارة الخارجية

سرى جدا - من بيروت - إلى وزير الخارجية
الرقم : ٥٦٣ (الجزء الأول من ثلاثة)

من هندرسون إلى الوزير :

(١) وصلت إلى بيروت ١١ صباحا . قابلنى السفير هيث فى المطار ، واخذنى مباشرة إلى وزارة الخارجية حيث استقبلنا وزير الخارجية مالك ، ثم قمنا بزيارة قصيرة لرئيس الوزراء سامى الصلح ، وبعدها انتقلنا لمقابلة الرئيس شمعون لمحادثته اكثر تفصيلا .

(٢) شرحت لمالك ان من اغراض زيارتى للشرق الأوسط ان اناقش سفراءنا ، وان اتحدث مع اعضاء الحكومات الصديقة فى الشرق الأوسط حول المشاكل الناشئة عن التطورات الاخيرة فى سوريا . وقد تبادلت الراى فى استانبول مع رئيس وزراء تركيا ، ومع الملك حسين ، والملك فيصل ، وولى عهد العراق وغيره من القادة العراقيين . وانى مستعد لأناقش معه اراء حكومتنا ، ولكنى اكون شاكرا لو اعطانى قبل ذلك آراءه بشان التاثير المحتمل للتطورات الجارية فى سوريا على لبنان .

(٣) قال مالك وهو يقرأ من مذكرات معدة سلفا ، إن هناك ثمانى نقاط يريد ان يبديها بشان الحالة فى سوريا .

(ا) الموقف خطير للغاية ، ويتطلب ان تتشاور جميع البلدان العربية والغربية المعنية ، وان تتصرف بطريقة موحدة .

(ب) إذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للعراق ، والاردن ، وتركيا ، ولبنان ، وإلى حد ما المملكة العربية السعودية ، وجميعها لا توافق على النظام السورى الحاضر ، وإذا كانت الحكمة والموارد المجتمعة للولايات المتحدة ودول الغرب الرئيسية غير قادرة على الوصول إلى حل للمشاكل السورية ، فلابد ان هناك ضعفا مخيفا فى العالم الغربى .

(جـ) إن الاقتحام الشيوعى فى سوريا هو نمو طبيعى لسنوات من التحضير الشيوعى ، وهو جزئيا نتيجة لمبدأ ايزنهاور . واضاف بين قوسين ان هذا النبات كان سيصل إلى مرحلة الازدهار على اى حال ، ولكن مبدأ ايزنهاور عجل بالعملية .

(د) إن الرد المناسب على هذا التطور الشيوعى فى سوريا حتمى وملح .

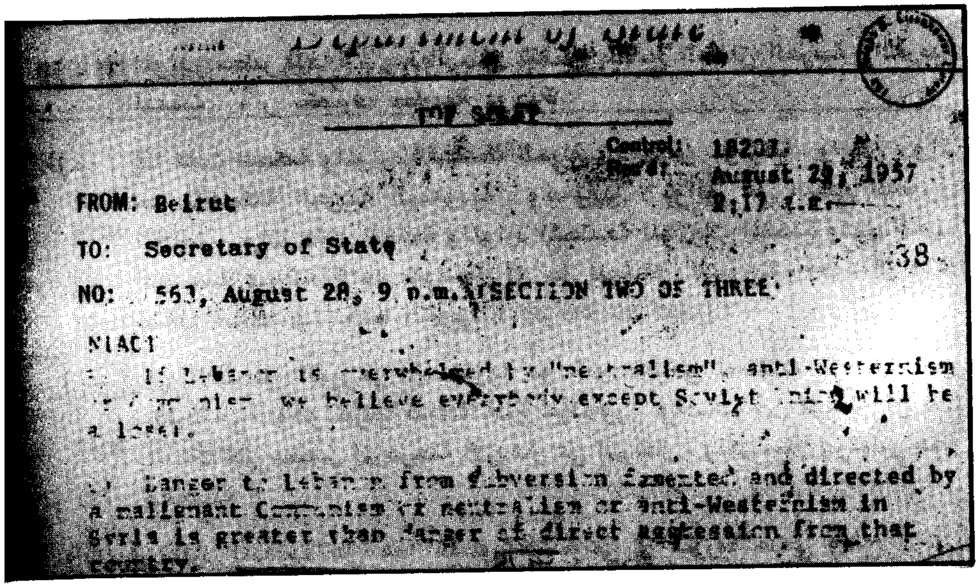
(هـ) إن التعايش بين سوريا « المحايدة » (على الطريقة اليوجوسلافية) والمتجهة إلى الشيوعية ، وبين لبنان المتجه إلى الغرب مستحيل . فآجلا ، او عاجلا لابد ان يختفى أحدهما . وينتج من ذلك بالنسبة لنا فى لبنان ان حياد سوريا ، او اتجاهها إلى الشيوعية هو بالنسبة لنا مسالة حياة ، أو موت بكل معنى الكلمة .

هيث

□ ملاحظة : تم إخطار السيد بورديت (الشرق الادنى) فى ٨,١٠ مساء ، ٥٧/٨/٢٨ .

الوثيقة رقم (٢٣)

صورة وثيقة تتضمن تقريرا عن محادثات « لوى هندرسون » فى بيروت بتاريخ ٢٩ اغسطس ١٩٥٧ تحت رقم ١٨٢٠٧ ، وهى تحتوى على نتائج محادثاته مع كل من وزير الخارجية اللبنانى ، ورئيس الجمهورية فى ذلك الوقت وهو « كميل شمعون » .


Department of State

TOP SECRET

Control: 18207
Rec'd: August 29, 1957
2:17 a.m.

FROM: Beirut

TO: Secretary of State

NO: 563, August 28, 9 p.m. (SECTION TWO OF THREE)

NIACT

If Lebanon is overwhelmed by "neutralism", anti-Westernism or communism we believe everybody except Soviet Union will be a loser.

Danger to Lebanon from subversion fomented and directed by a malignant Communism or neutralism or anti-Westernism in Syria is greater than danger of direct aggression from that country.

٢٩ اغسطس ١٩٥٧
١٧ : ٢ صباحا

سرى جدا - من بيروت - إلى وزير الخارجية
الرقم : ٥٦٣ (الجزء الثانى من ثلاثة)

(تكملة المقابلة مع « شارل مالك »)

« (و) إذا اجتاحت لبنان نزعة « الحياد » أو معاداة الغرب او الشيوعية سيخرج الجميع خاسرين ، فيما عدا الاتحاد السوفيتى .

(ز) إن الخطر الذى يتعرض له لبنان من الاعمال الهدامة التى تحركها ، أو توجهها اتجاهات خبيثة ، شيوعية ، أو حيادية ، او معادية للغرب فى سوريا ، اكبر من خطر عدوان سورى مباشر .

(ح) إن الاعتبار الوحيد الهام الطيب هو ان الاغلبية الساحقة من الشعب السورى تنفر من النظام الحاضر .

(٤) شكرته ، وقلت إنى واثق من ان الحكومة الامريكية تتفق معه تماما ، ثم اعطيته تحليلنا للموقف فى سوريا ، وأوضحت انه إذا ظل النظام السورى الحالى فى السلطة ، فمن المحتم تقريبا ان تتحول سوريا خلال وقت قصير إلى دولة تدور فى فلك السوفيت ، وتستخدم كقلعة شيوعية مدججة بالسلاح فى الشرق الأوسط . وان قرون الاستشعار الممتدة من ذلك البلد التابع ستتغلغل فى البلدان المجاورة ، وتضعف مؤسساتها ، وتجذبها فى النهاية إلى الفلك السوفيتى . وعلى ذلك فإن استمرار العملية الجارية الآن فى سوريا سيكون معناها خسارة العالم الحر للشرق الأوسط ، وتهديد السلام العالمى . وقال مالك إن حكومته توافق على هذا التحليل موافقة تامة .

(٥) اعرب رئيس الوزراء الذى قمنا بزيارته بعد ذلك عن القلق الشديد للتطورات الجارية فى سوريا ، وقال إنه وقد اقام فى سوريا لفترة طويلة لديه اصدقاء سوريون كثيرون ، وانه يستقبل الآن سيلا من الزائرين السوريين الذين يعربون له - جميعهم تقريبا - عن الانزعاج للاحداث الجارية فى سوريا . وكانت زيارتنا لرئيس الوزراء اقرب إلى زيارة المجاملة ، ولم يذكر فيها شىء له اهمية سياسية .

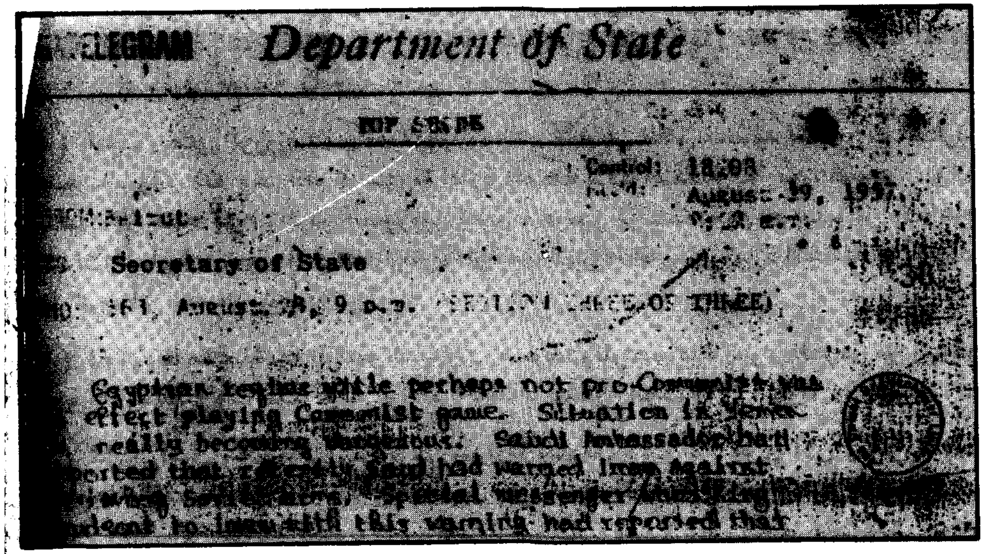
(٦) ثم أخذنا مالك لمقابلة الرئيس شمعون . فشرحت للرئيس مرة أخرى الغرض من زيارتى للشرق الأوسط ، وطرحت عليه آراءنا ، وقلقنا بشأن الوضع فى سوريا .

(٧) قال الرئيس ، إنه يوافق تماما على تقديرنا للموقف . وان ما يجرى الآن فى سوريا إنما هو المرحلة الأخيرة مما كان جاريا منذ سنتين . وانه حذرنا فى ١٩٥٥ من ان سوريا تتحول إلى منصة عسكرية وسياسية للسوفيت . ويستطيع المرء ان يقول الآن إنه لم يعد هناك وجود لحكومة سورية ، فالرئيس القوتلى مجرد من السلطة ، والبلد الآن فى يد مجموعة من العسكريين ، هم بدورهم تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى . وهذا الوضع مصدر للقلق الشديد ، ولاسيما فى لبنان ، والأردن . وقد تلقى للتو رسالة من الملك حسين يعبر فيها عن الانزعاج للموقف . وقد تحدث بالأمس مع وزير خارجية العراق الذى يرى الموقف خطيرا بالمثل . والسفير السعودى الذى عاد لتوه من الرياض يقول : إن الملك سعود يشعر ايضا بالقلق الشديد . غير ان الرئيس لم يشر إلى جزء من الرسالة التى حملها السفير السعودى معه ، والتى كان مالك قد ذكرها لنا فى اثناء محادثتنا السابقة . فوفقا لما قاله مالك ، فإن السفير السعودى ، بعد أن اشار إلى ما ابداه الملك من اشمئزاز من السياسات السورية الحالية ، ذكر مع ذلك انه من الخطأ أن يحاول جزء من العالم العربى ان يعزل سوريا ومصر . وقال الرئيس شمعون إن الحقيقة أن الملك سعود يخشى إذاعة القاهرة التى إذا هاجمته يمكن بسهولة ان تخلق له المتاعب ، بل وربما تشعل ثورة . ونظرا لوجود عدد كبير من الضباط والمعلمين والفنيين المصريين ، فإن لمصر تاثيرا كبيرا على المملكة السعودية . واكد الرئيس ان المشكلة التى تواجهنا لا تتعلق بسوريا وحدها ، فالحقيقة ان السوفيت يحاولون الاستيلاء على العالم العربى .

هيث .

الوثيقة رقم (٢٤)

صورة وثيقة تتضمن بقية تقرير « لوى هندرسون » عن محادثاته فى بيروت بتاريخ ٢٩ اغسطس ١٩٥٧ تحت رقم ١٨٢٠٨ مع الرئيس « كميل شمعون » .


Department of State

Control: 18208

Secretary of State

Egyptian regime while perhaps not pro-Communist was effect playing Communist game. Situation in Yemen really becoming dangerous. Saudi Ambassador had ... warned Imam against ... this warning had reported that

وزارة الخارجية

برقية واردة

من : بيروت — رقم المراجعة : ١٨٢٠٨

إلى : وزير الخارجية — تاريخ التسلم فى : ٢٩ اغسطس ١٩٥٧
٢٢ : ٧ صباحا

الرقم : ٦٦٣ ، ٢٨ اغسطس ، ٩ مساء (الجزء الثالث من ثلاثة)

« (٨) ربما لا يكون النظام المصرى مواليا للشيوعية ولكنه يلعب فى الواقع لعبة الشيوعيين . والموقف فى اليمن قد أصبح خطرا حقا . وقد ذكر السفير السعودى ان الملك سعود نبه الإمام مؤخرا إلى وصول أسلحة سوفيتية . وان المبعوث الخاص الذى ارسله الملك سعود إلى الإمام بهذا التحذير ذكر انه شخصيا راى ١٠٠ طائرة سوفيتية فى

اليمن ، واسلحة لم يتم تفريغها من صناديقها . وذكر الرئيس ان اليمنيين يحتاجون إلى مائة سنة ليتعلموا قيادة هذه الطائرات . وقد لاحظ مبعوث الملك السعودى وصول عدة مجموعات من الفنيين السوفيت . وحتى إذا كان هذا التقرير عن شحنات الأسلحة السوفيتية مبالغا فيه فإن الوضع يدعو للانزعاج ، خاصة وان الروس لابد انهم يعتزمون إحضار طيارين سوفيت ، أو طيارين دربهم السوفيت لقيادة تلك الطائرات .

(٩) إن الأعمال الشيوعية الهدامة الموجهة من سوريا بدات تصبح ملموسة بالفعل فى لبنان . وأن حرس الحدود يعتقلون باستمرار شبانا لبنانيين عائدين من سوريا ، وقد حملهم الضباط السوريون منشورات هدامة وذخائر . وان هذه العملية كانت تجرى منذ عدة شهور ، ولكنها زادت بدرجة كبيرة فى الأسابيع الأخيرة . ويبدو الآن انها اصبحت نشاطا منظما بعناية . والشبان اللبنانيون المعنيون هم عملاء لسوريا ، ومن الواضح انهم ليسوا من الشيوعيين العاملين . كما انهم لا يعملون على ابتلاع سوريا للبنان فى الوقت الحالى ، ولا يطلب منهم السوريون غير الإطاحة بالحكومة اللبنانية الحالية ، وإقامة حكومة اخرى تتبع خطى سوريا فى السياسة الخارجية . وعند ذلك تدخل مالك قائلا إنه إذا لم تتخذ خطوات قوية دون إبطاء ، فإن العالم الحر سيفقد لبنان والشرق الأوسط ، كما فقد الصين من قبل .

(١٠) قال الرئيس شمعون إن الكارثة ستقع إذا لم يوضع حد للتطورات الجارية فى سوريا . فإما « ان نصبح اقوى ، وسوريا اضعف ، او ان ننهار » . ثم اعرب كل من الرئيس ومالك عن الأمل فى الا يكون معنى البيان الصحفى الذى ادلى به الرئيس فى ٢١ اغسطس بشان سوريا ، ان تعتقد الولايات المتحدة ان بلدان الشرق الأوسط يمكن ان تتعايش مع سوريا ذات الاتجاه الشيوعى . واكدت لهما انه لا يمكن استخلاص شىء كهذا من بيان الرئيس .

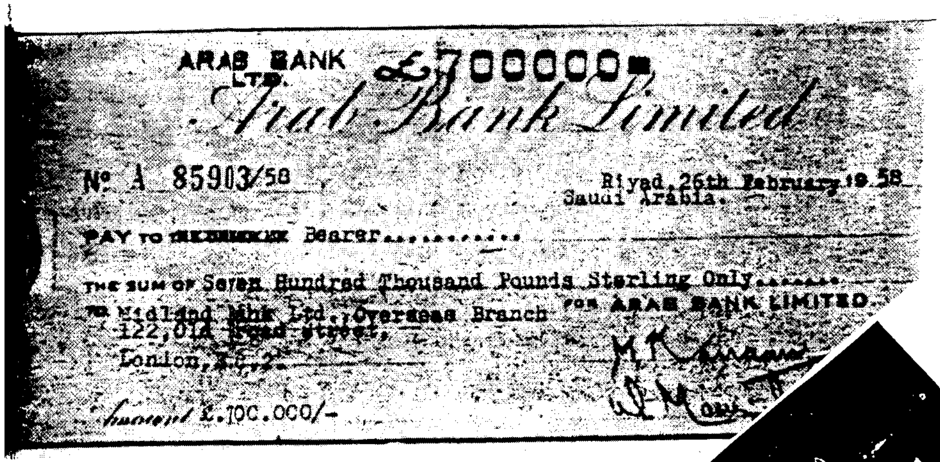
(١١) وقلت إنه من الواضح ان حكومتينا تتفقان تماما على ان استمرار وجود النظام الحالى فى سوريا يشكل خطرا على الشرق الأوسط ، وعلى السلام العالمى . وسالت عما إذا كانت لديه اقتراحات لوقف الاتجاهات الحالية فى سوريا ، وقلت إنى لا اتوقع منه ان يقدم اقتراحات محـددة فى محادثتنا الأولية ، واننا يمكن ان نناقش الأمر فى مقابلة ثانية . وسالت عما إذا كانت لديه تعليقات يريد ان يبديها فى الوقت الحالى .

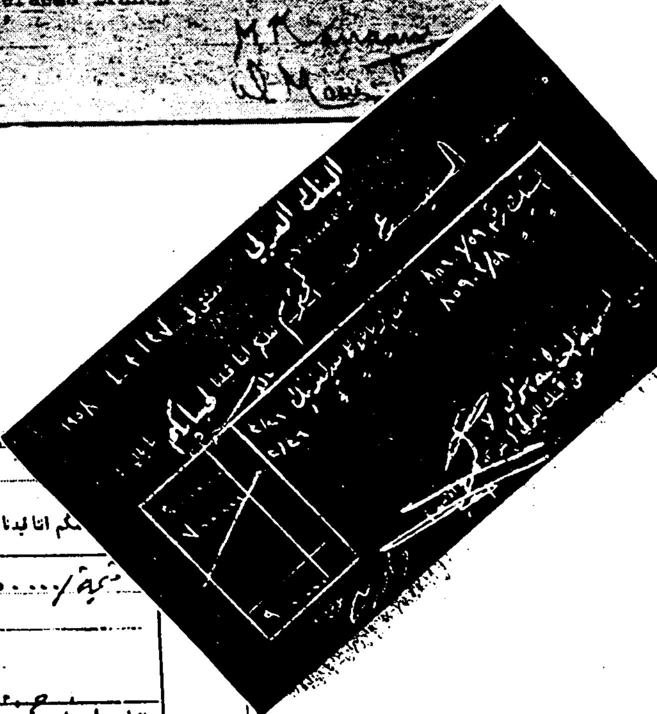
(١٢) قال الرئيس إنه يود ان يناقش معنا هذا الأمر فيما بعد .

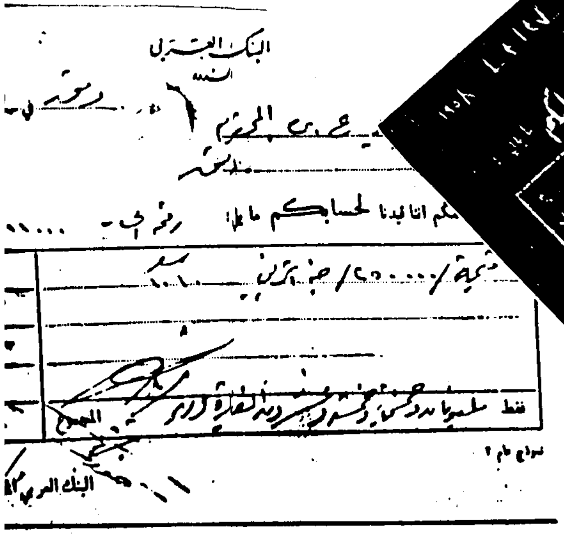
هيث »

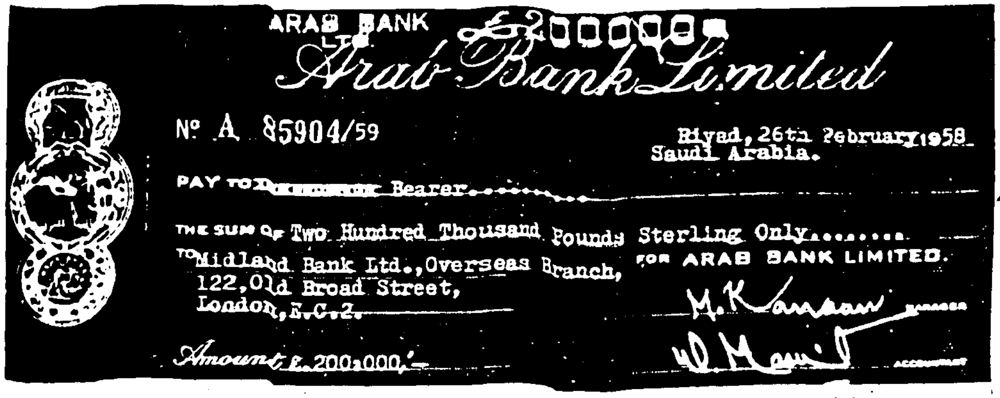
الوثيقة رقم ٢٥

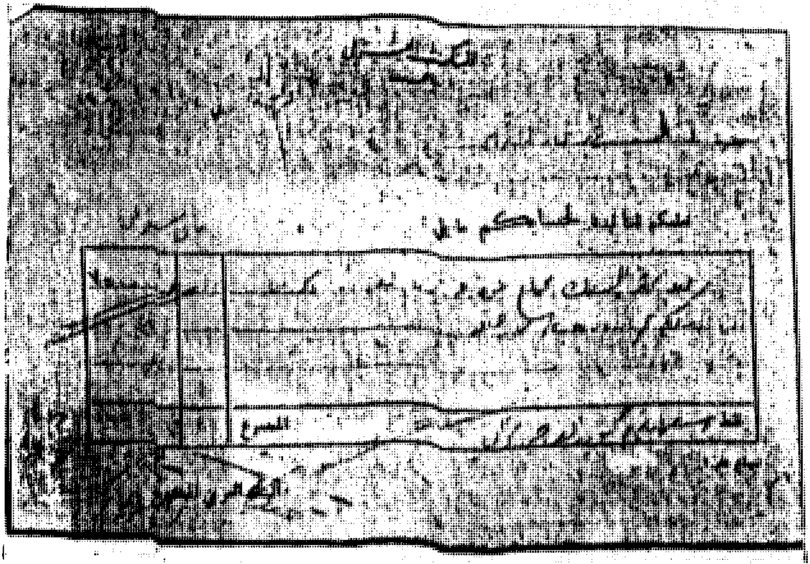
صور من مجموعة الشيكات التى تلقاها « عبد الحميد السراج » من الملك « سعود » وهى عبارة عن ثلاثة شيكات ، أولها بمبلغ مليون جنيه استرليني ، والثانى بمبلغ ٧٠٠ الف جنيه استرليني ، والثالث بمبلغ ٢٠٠ الف جنيه استرليني ، وكلها مسحوبة لأمر حامله ـ وكذلك صور لإشعارات الإيداع فى البنك العربى المحدود فى جنيف ، وهى صادرة باسم السيد « ع . س . » (والمقصود بالطبع « عبد الحميد السراج ») .

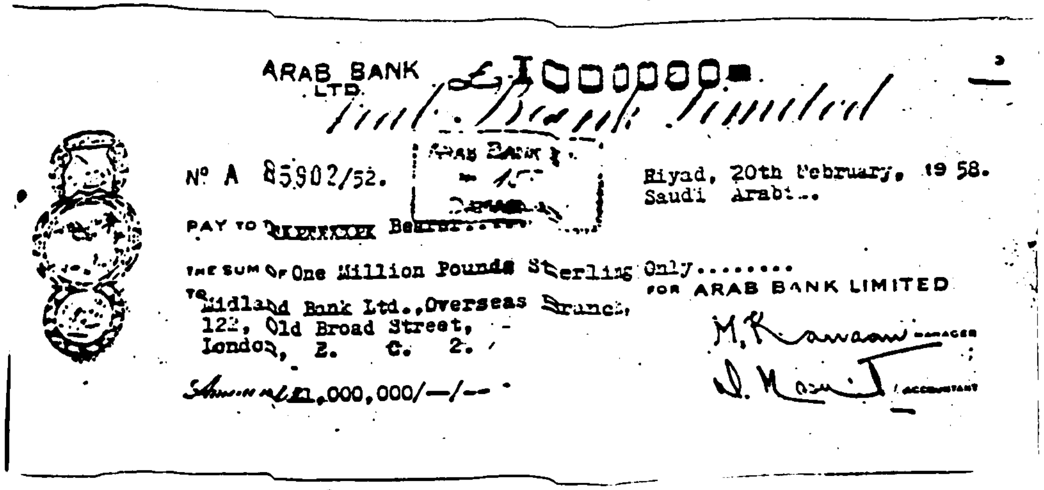

ARAB BANK LTD. £700000
Arab Bank Limited
No A 85903/58 Riyad 26th February 1958 Saudi Arabia.
PAY TO Bearer............
THE SUM OF Seven Hundred Thousand Pounds Sterling Only.....
TO Midland Bank Ltd., Overseas Branch
122, Old Broad Street,
London, E.C.2.
FOR ARAB BANK LIMITED
Amount £.700.000/-


البنك العربي


البنك العربي
نعلمكم اننا قيدنا لحسابكم ما يلي

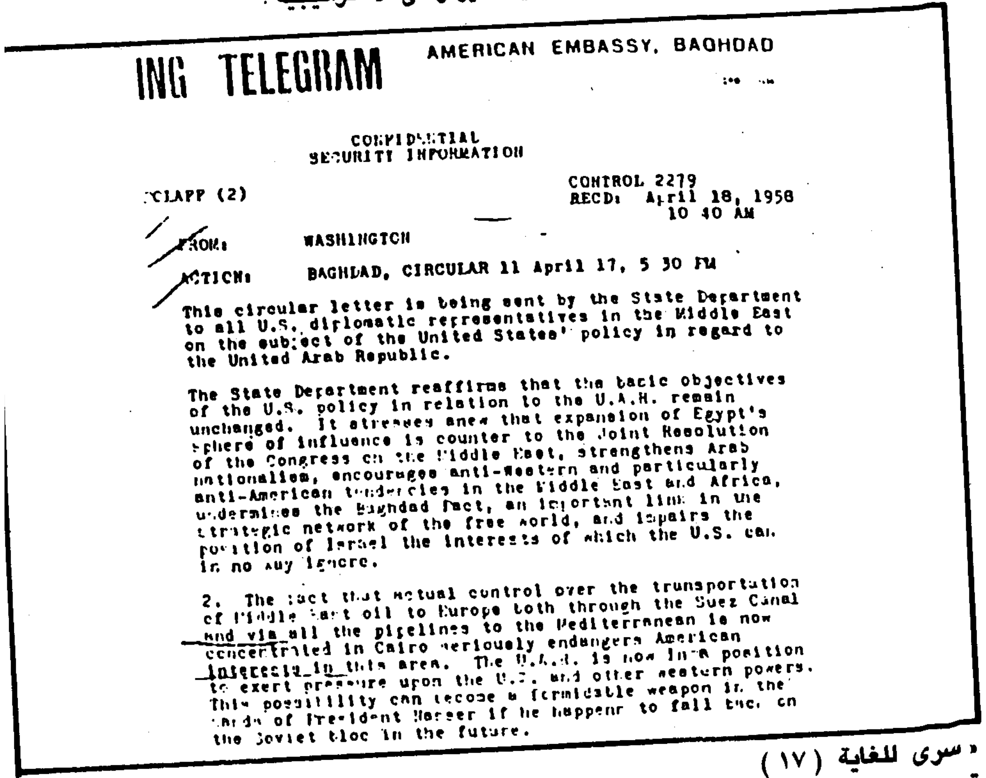

ARAB BANK LTD. £200000
Arab Bank Limited
No A 85904/59 Riyad, 26th February 1958 Saudi Arabia.
PAY TO Bearer.........
THE SUM OF Two Hundred Thousand Pounds Sterling Only.........
TO Midland Bank Ltd., Overseas Branch,
122, Old Broad Street,
London, E.C.2.
FOR ARAB BANK LIMITED
Amount £.200.000/-




ARAB BANK LTD. £1000000
Arab Bank Limited
No A 85902/52. Riyad, 20th February, 1958. Saudi Arabia.
PAY TO Bearer
THE SUM OF One Million Pounds Sterling Only........
TO Midland Bank Ltd., Overseas Branch,
122, Old Broad Street,
London, E. C. 2.
FOR ARAB BANK LIMITED
Amount £1,000,000/-/-

الوثيقة رقم (٢٦)

صورة وثيقة تتضمن توجيها لرؤساء البعثات الدبلوماسية في الشرق الأوسط وحدهم ، ومؤدى ما تحتويه ان سياسة الولايات المتحدة في المنطقة لم تتغير سواء بالنسبة لعزل مصر او لكسر الوحدة بينها وبين سوريا ، وان اى تغييرات ظاهرة في السياسة الأمريكية هى نوع من التكتيك لا يؤثر على الاستراتيجية .


ING TELEGRAM AMERICAN EMBASSY, BAGHDAD

CONFIDENTIAL
SECURITY INFORMATION

CONTROL 2279
RECD: April 18, 1958
10 40 AM

CIAPP (2)

FROM: WASHINGTON

ACTION: BAGHDAD, CIRCULAR 11 April 17, 5 30 PM

This circular letter is being sent by the State Department to all U.S. diplomatic representatives in the Middle East on the subject of the United States' policy in regard to the United Arab Republic.

The State Department reaffirms that the basic objectives of the U.S. policy in relation to the U.A.R. remain unchanged. It stresses anew that expansion of Egypt's sphere of influence is counter to the Joint Resolution of the Congress on the Middle East, strengthens Arab nationalism, encourages anti-Western and particularly anti-American tendencies in the Middle East and Africa, undermines the Baghdad Pact, an important link in the strategic network of the free world, and impairs the position of Israel the interests of which the U.S. can in no way ignore.

2. The fact that actual control over the transportation of Middle East oil to Europe both through the Suez Canal and via all the pipelines to the Mediterranean is now concentrated in Cairo seriously endangers American interests in this area. The U.A.R. is now in a position to exert pressure upon the U.S. and other western powers. This possibility can become a formidable weapon in the hands of President Nasser if he happens to fall into the Soviet bloc in the future.

« سرى للغاية (١٧)
توجيه رقم : ٢٢٧٩
تسجيل : ١٨ ابريل ١٩٥٨

خاص ولعلم رؤساء البعثات الأمريكية في الشرق الأوسط وحدهم
سياسة الولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة

١ - إن وزارة الخارجية تؤكد ان الأهداف الأساسية لسياسة الولايات المتحدة في علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة ، باقية من غير تغيير .

إنها تؤكد من جديد أن ازدياد نفوذ مصر يتعارض مع القرار المشترك للكونجرس عن الشرق الأوسط . ويؤدى إلى تقوية القومية العربية ويشجع الاتجاهات المضادة للغرب ، وبالتحديد الاتجاهات المضادة لأمريكا ، في الشرق الأوسط وفي افريقيا ، ثم هو يؤثر على هيبة حلف بغداد ، الذى يعتبر حلقة هامة في شبكة الدفاع عن العالم الحر ، ويمس بالضرر موقف إسرائيل ومصالحها ، الأمر الذى لا تستطيع الولايات المتحدة ان تتجاهله .

٢ - إن وجود السيطرة على مواصلات نقل بترول الشرق الأوسط إلى اوروبا ، سواء عن طريق قناة السويس ، او عن طريق انابيب البترول المتجهة إلى البحر الأبيض - تحت السيطرة الفعلية للقاهرة ، يعرض المصالح الامريكية في المنطقة لخطر اكيد . فإن ذلك يجعل الجمهورية العربية المتحدة الآن في وضع يمكنها من ممارسة ضغط على الولايات المتحدة وغيرها من القوى الغربية ، وهذا الاحتمال يمكن ان يتحول إلى سلاح مخيف في يد الرئيس ناصر .

٣ - ....

٤ - وفي الظروف الحالية ، فإن متابعة الأسلوب السابق تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، لن يؤدى إلا إلى مضاعفة سخط العرب ، ودفعهم إلى احضان السوفيت ، وهذا يتطلب بعض التغييرات في أسلوب متابعة سياستنا ، ومن هنا تجىء مسألة « تخفيف » علاقاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة .

ولا يتضمن الأمر إعادة تقدير أساسى لسياستنا ، وإنما هناك تحول تاكتيكى مؤقت تفرضه الضرورة ، وعليه فإن الإفراج عن أرصدة مصر من الدولارات المجمدة في الولايات المتحدة ، وتخفيف بعض القيود المفروضة على التجارة ، وبعض الخطوات الأخرى ، تجرى دراسته في الوقت الحاضر .

وإذا نجحنا في أن نقنع ناصر أن الولايات المتحدة ، قد وطدت نفسها على حكمه ، وانها الآن على استعداد للاستجابة لبعض شروطه ، فإن النتيجة الحتمية لذلك ستكون فتورا في العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والكتلة السوفيتية .

وإن احتمال نجاح تطور على هذا النحو موجود ويستدل عليه من تصريحات صادرة عن مصر - بينها تصريحات من ناصر نفسه - بما معناه ان الصلات القريبة بين مصر وروسيا قد استمدت جذورها من رفض الغرب ان يتفاوض مع مصر على اساس الشروط المصرية ، وهكذا فإن تحسنا في العلاقات بين الولايات المتحدة ، والجمهورية العربية المتحدة ، يمكن أن يؤدى - على المدى البعيد - إلى إثارة الشكوك في الكرملين ، ثم إلى إضعاف العلاقات العربية السوفيتية ، إن لم يؤد إلى قطعها تماما .

٥ - يتحتم أن تظل جهودنا متجهة إلى مهاجمة فكرة الوحدة بين مصر وسوريا ، ولا يجب ان تتوقف جهودنا لإيجاد فاصل بين البلدين ، وينبغى أن يظل ذلك من ابرز اسس سياستنا في المنطقة .

وهناك قوى داخلية تشارك الغرب معتقداته ، كما أن هناك قوى خارجية يمكنها في اى لحظة ملائمة ان تتدخل ، وينبغى تدعيم هذه القوى من غير كلل ، وينبغى أن نذكر دائما ان اى تفسخ في الجمهورية العربية المتحدة لن يقرر فقط مصير مصر تحت حكم ناصر ، وإنما سوف يجعل من السهل ايضا محاربة القومية العربية ، في اى شكل تتخذه في الشرق الأوسط .

٦ - ولسوف تكلل جهودنا بالنجاح اكثر إذا أمكن عزل الجمهورية العربية المتحدة عن باقى العالم العربى ، وبالنسبة لهذه المهمة ، فإن ممثلى الولايات المتحدة ، سواء في الأقسام الدبلوماسية او في اقسام الاستعلامات والدعاية في العالم العربى ، عليهم ان ينشروا الاعتقاد العام بان الجمهورية العربية المتحدة تشكل خطرا مباشرا على كل الحكومات العربية .

وفي البلاد الملكية علينا أن نشرح بقوة أن تدعيم الجمهورية العربية المتحدة قد يؤدى إلى سقوط حكم جميع البيوت الحاكمة ، كما انه في الجمهوريات يمكن بث الخوف من ابتلاع القاهرة لهذه الجمهوريات .

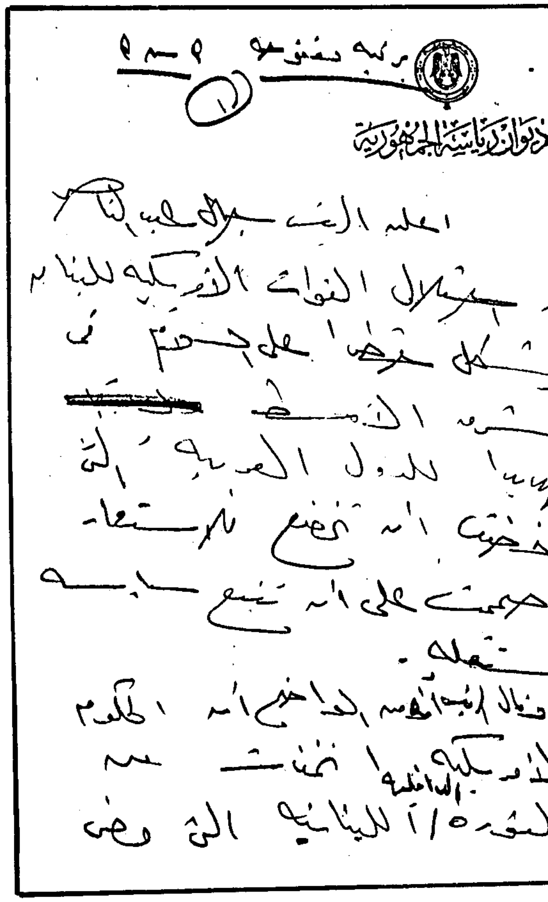
وفي النهاية ، ينبغى انتهاز كل فرصة لتقوية الاتحاد العراقى الأردنى الذى سوف يستمر في الحصول على تاييد الولايات المتحدة ضد الاتحاد السورى المصرى .

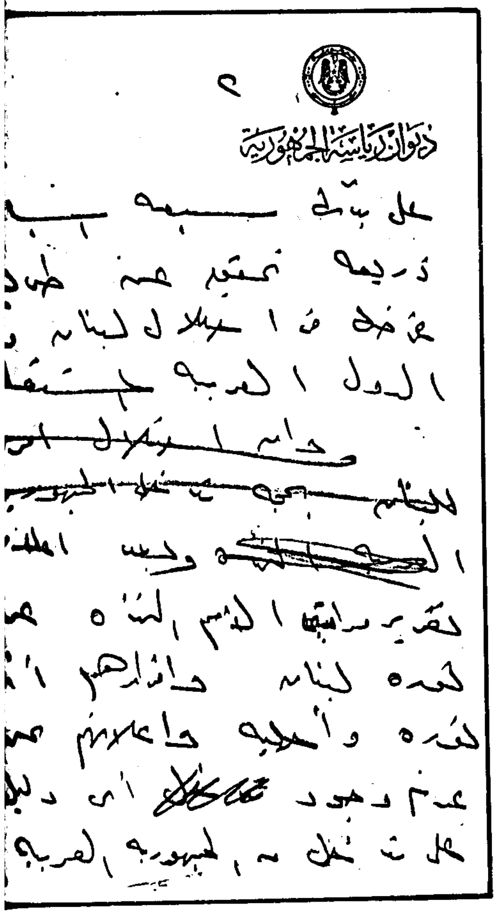
٧ - إن هذا المنشور يقدم تصويرا عاما لبعثات الولايات المتحدة الدبلوماسية في الشرق الأوسط ، وتتلقى كل بعثة منها بالذات تعليمات مفصلة تناسب مكانها .

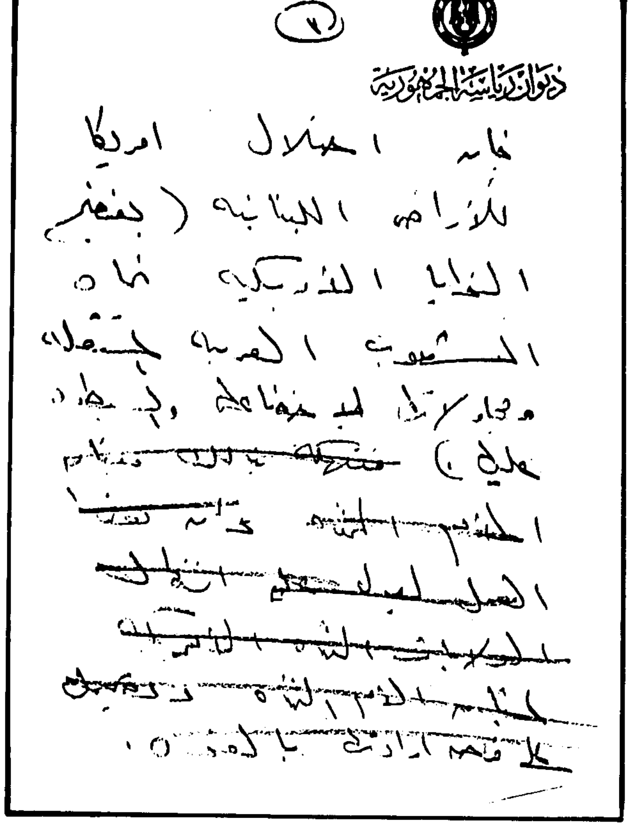
توقيع
دالس »

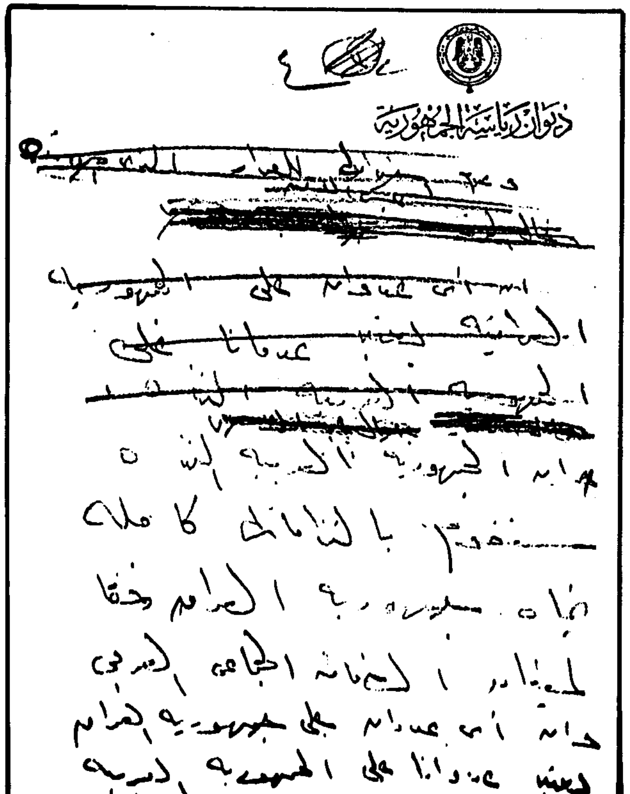
الوثيقة رقم (٢٧)

صورة وثيقة بخط يد الرئيس « جمال عبد الناصر » تتضمن نص البيان الذى كتبه فى بريونى لكى يذاع معلنا تاييد الجمهورية العربية المتحدة لثورة العراق . وقد كتبه الرئيس على اوراق ديوان رئاسة الجمهورية ، وكتب فى اعلاه عبارة « برقية مفتوحة ا ش ا » (اى وكالة انباء الشرق الأوسط) .









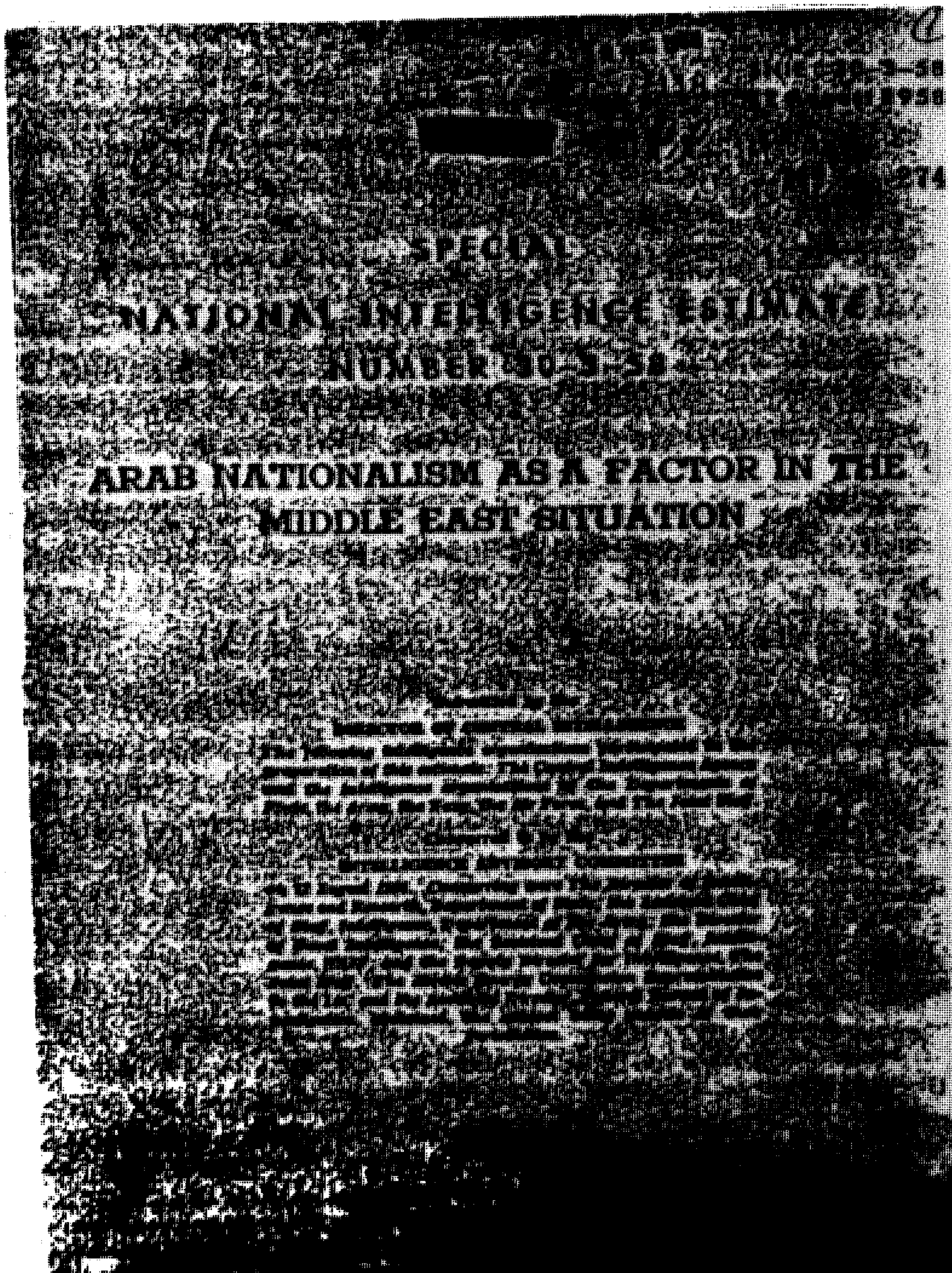
اعلن الرئيس جمال عبد الناصر ان احتلال القوات الأمريكية للبنان يشكل خطرا على السلام فى الشرق الأوسط ويعتبر تهديدا للدول العربية التى رفضت أن تخضع للاستعمار وصممت على ان تتبع سياسة مستقلة .

وقال الرئيس انه من الواضح ان الحكومة الأمريكية اتخذت من الثورة الداخلية اللبنانية التى مضى على بقائها سبعة اسابيع ذريعة تحقق عن طريقها غرضها فى احتلال لبنان وتهديد الدول العربية المستقلة وبعد إعلان تقرير مراقبى الأمم المتحدة عن ثورة لبنان واقرارهم انها ثورة داخلية واعلانهم عن عدم وجود اى دليل على تدخل من الجمهورية العربية المتحدة فان احتلال امريكا للأراضى اللبنانية (يفضح النوايا الأمريكية تجاه الشعوب العربية المستقلة ومحاولاتها لاخضاعها والسيطرة عليها) .

إن الجمهورية العربية المتحدة ستقوم بالتزاماتها كاملة تجاه جمهورية العراق وفقا لميثاق الضمان الجماعى العربى وأن أى عدوان على جمهورية العراق يعتبر عدوانا على الجمهورية العربية المتحدة .

الوثيقة رقم (٢٨)

صورة وثيقة تقدير موقف أعدته وكالة المخابرات المركزية الامريكية تحت عنوان « القومية العربية كعامل مؤثر فى الموقف فى الشرق الأوسط » ، والتقرير برقم ٥٨٣٣٠ .


SPECIAL
NATIONAL INTELLIGENCE ESTIMATE
NUMBER 30-3-58

ARAB NATIONALISM AS A FACTOR IN THE MIDDLE EAST SITUATION

تقرير خاص ٥٨٣٣٠
٢ اغسطس ١٩٥٨

تقرير خاص شامل من المخابرات
العـدد ٥٨٣٣٠

القومية العربية بوصفها من العوامل المؤثرة فى الوضع فى الشرق الأوسط

تقرير أعده مدير المخابرات المركزية

القومية العربية بوصفها عاملا مؤثرا فى الوضع فى الشرق الأوسط

المشـــــكلة

تقدير الوضع الحالى للقومية العربية باعتبارها عاملا مؤثرا فى الوضع فى الشرق الأوسط .

المناقشـــة

أولا : الوضع الحالى
(الفقرة بكاملها محذوفة)

٢ - أوجد تدخل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة فى لبنان والأردن قدرا من الاستقرار المؤقت فى هذين البلدين ، وربما ساعد فى ردع عبد الناصر وانصاره عن تشجيع حدوث انتفاضات ثورية فورية فى اماكن أخرى من المنطقة خوفا من الاصطدام بقوات الدول الغربية . غير أن النتيجة النهائية لثورة العراق وغيرها من الأحداث التى وقعت فى الآونة الأخيرة هى تعزيز مركز الراديكاليين من دعاة الوحدة العربية .

٣ - وفوق ذلك ، فإن التعارض طويل الأمد والمستمر بين النظم الوطنية الراديكالية والنظم المحافظة التى يؤيدها الغرب ، فتح الطريق امام الاتحاد السوفيتى للحصول على نفوذ له يتزايد باضطراد فى المنطقة بمساندته للنظم الراديكالية .

ثانيا : القومية العربية - اغراضها واهدافها :

٤ - القومية العربية حركة طال عليها الأمد ، لها جاذبية عاطفية هائلة ، ترمى إلى بعث الشعوب العربية واستعادة سيادتها ووحدتها وقوتها ومكانتها . وقد شجع عليها منذ الحرب العالمية الثانية اتجاه شعوب المناطق المتخلفة فى انحاء العالم إلى مناهضة « الاستعمار » والمطالبة بحق تقرير المصير . وقد أعلن كل من الوطنيين المحافظين القدامى ، وانصار الحركة الراديكالية الجديدة بقيادة عبد الناصر هدف التخلص من النفوذ « الاستعمارى » الغربى ، واتفقوا على العداء لإسرائيل . إلا ان المحافظين قبلوا عادة المساعدة من الدول الغربية ، وتعاونوا مع الغرب بالرغم من كابوس ارتباط الغرب بإسرائيل . ويرجع ذلك جزئيا إلى أن مصالحهم التجارية او الثقافية تقع مع الغرب ، وجزئيا إلى انهم يحتاجون مساندة الغرب للبقاء فى السلطة . أما الوطنيون الراديكاليون فكانوا أقل ثقة بالغرب ، واكثر تصميما على إزالة القيود الغربية الباقية فى الحياة السياسية والاقتصادية العربية . وكانوا اكثر جدية فى العمل لتحقيق هدف الوحدة العربية (وعدم الاكتفاء بالإشادة به) . وفوق ذلك اضاف الوطنيون الراديكاليون إلى المبادىء القديمة للقومية العربية نظرية فى الثورة الاجتماعية والإصلاح ، وبذلك تعارضت دعوتهم مع الطبقات العليا التقليدية ومع النظم الاجتماعية والاقتصادية فى العالم العربى التى تستند إليها سلطة المحافظين . واخيرا ، فإن الوطنيين الراديكاليين على خلاف المحافظين ، سعوا للحصول - وحصلوا - على تاييد الكتلة السوفيتية فى صراعهم مع الدول الغربية ، ومع النظم العربية المؤيدة للغرب .

٥ - وكانت القومية العربية ترتبط دائما بالولاء « للأمة » العربية فى مجموعها ، لا إلى واحدة او أخرى من الدول العربية القائمة ، والتى كان كيانها مصطنعا فى كثير من الحالات . ولكن من الناحية العملية كانت قوة القادة المحافظين تقف عقبة فى سبيل هدف الوحدة العربية الذى رفعته الحركة الوطنية ، وكان هذا الهدف ينطمس وراء اختلاف الأوضاع الاقتصادية والجغرافية والثقافية فى العالم العربى ، وكذلك وراء المصادمات بين الدول والقادة المتنافسين . وقد أبعدت الخلافات السياسية والثقافية مصر عن منطقة الهلال

الخصيب التى تقع إلى شمالها . حيث ترفض المنطقة إدعاء مصر بزعامة العالم العربى . كما ان الثقافة الاسلامية المحافظة فى شبه الجزيرة العربية لم تجد ما يربطها بثقافة الدول العلمانية الاكثر تقدما على ساحل البحر المتوسط . غير ان حيوية الحركة الوطنية الراديكالية ، وضعف المحافظين فى وجهها اديا خلال العامين الماضيين إلى الحد من اهمية هذه العوائق . وقد تزامنت هذه النهضة مع ظهور جمال عبد الناصر كرمز وقائد لها ، وهى تعتمد عليه إلى حد كبير ، واسهم التأييد السوفيتى بدور ملموس فى رفع مكانة عبد الناصر وزيادة إمكانياته . وقد اتخذت تحت رعايته خطوات نحو الوحدة العربية كانت تبدو فى حكم المستحيل منذ عامين اثنين .

٦ - وهكذا ثبت أن لفكرة الوحدة قوة هائلة وجاذبية شديدة فى كافة انحاء العالم العربى تقريبا ، وان لها قوة دفع لا ينتظر ان تفقدها فى المستقبل القريب . إلا اننا لا نعتقد ان توحيد الدول العربية ودمجها فى إمبراطورية مركزية موحدة ممكن فى المستقبل المنظور . فهناك فى المنطقة ظروف واوضاع سوف تتحرك ضد النجاح النهائى لاقامة دولة عربية مركزية ، وذلك بمجرد تحقيق الهدف الأساسى للتضامن العربى ، الا وهو التخلص من السيطرة الأجنبية . فعلى رغم وجود بعض أوجه التشابه الاثنى والدينى ، هناك مصالح عديدة - وطنية وثقافية وتجارية واقتصادية - يمكن ان تكون عوامل تفرقة فى اى دولة عربية موحدة ، بل وفى اى نوع من الاتحاد الفيدرالى . فسوريا والعراق مثلا بينهما فى الجوانب التجارية والاقتصادية وغيرها من المصالح رابطة اقوى مما بين اى منهما ومصر وصلات التقارب الطبيعية يمكن ان تعمل بمرور الوقت ضد قبول التفوق المصرى ، او تعمل على إحياء الخوف من « الاستعمار » المصرى . وربما لا يقبل كثير من صانعى الثورة العراقية ان تكون القاهرة هى المصدر النهائى والوحيد للسلطة فى شؤون العراق . وقد يحدث نزاع بينهم وبين الناصريين . وفوق ذلك ، فحتى إذا قبلت بعض البلدان الغنية بالبترول ان تتقاسم ارباحها مع البلدان العربية الأخرى ، فمن المؤكد ان ينشا تعارض المصالح حول هذه القضية .

٧ - غير اننا نعتقد ان العوامل المختلفة المؤدية إلى التفرقة فى المنطقة سوف تختفى لبعض الوقت نتيجة للجاذبية العاطفية القوية لحركة الوحدة العربية ، وخاصة إذا استمر وجود بعض اجزاء من العالم العربى تحت سيطرة الدول الغربية او نفوذها . وفوق ذلك ، فإن وجود إسرائيل سيستمر فى إحداث تاثير توحيدى قوى بين العرب .

٨ - دور عبد الناصر : واكتسب عبد الناصر مكانته كبطل وطنى عربى شعبى نتيجة لسلسلة من الأحداث احرز فيها ، او بدا على الأقل انه احرز فيها انتصارات للقومية العربية ضد معارضيها ، مثل نجاحه فى الحصول على اسلحة سوفيتية ، وتاميمه لشركة قناة السويس ، واستعادته مكانته بعد الهجوم الاسرائيلى البريطانى الفرنسى فى اواخر ١٩٥٦ ، والوحدة مع سوريا . كما انه عزز نفوذه فى المنطقة عن طريق استخدامه البارع والقاسى للأعمال الهدامة والدعاية . وهذه هى الأسلحة الطبيعية لحركة ثورية ، ومن المستبعد ان يتخلى عن استخدامها - بغض النظر عن حالة علاقاته مع الغرب - ما دامت اهدافه الثورية لم تتحقق . وهو يرى - ومعه اغلبية انصاره - ان معظم الحدود الوطنية فى المنطقة ، وجميع الحكومات المحافظة ، كيانات مصطنعة خلقتها قوى خارجية ، وبالتالى فإنهم لا يقتنعون

11. *Nasser's Objectives.* We believe that Nasser's position and his objectives are essentially as he has stated them. He intends to eliminate all vestiges of special foreign positions and to bring the resources of the Arab world completely under Arab nationalist control. He aims at uniting the entire Arab world with a common foreign policy and a common program of modernization, development, and reform. We believe that Nasser, in pursuit of these objectives, will continue to use the instruments of propaganda, subversion, and assistance to local forces of Arab nationalism. We do not believe that Nasser has a precise schedule or a detailed blueprint for the unified Arab state toward which he is working. We believe that he will wish to avoid direct conflict with Western, Turkish, or Israeli forces and will probably be prepared to accept a considerable degree of local autonomy in states which may affiliate with the UAR and UAS.

بالحجج الداعية إلى الإبقاء عليها . وفوق ذلك فإن عبد الناصر مقتنع بان الغرب ، ولا سيما الولايات المتحدة ، يقوم بنشاط هدام ودعايات واسعة ضده فى المنطقة العربية .

٩ ـ ومع ذلك ، ورغم قوة عبد الناصر ومكانته ، فإن سيطرته على حركة الوحدة العربية الراديكالية ـ خارج مصر على الأقل وبدرجة ادنى فى سوريا ـ ليست سيطرة مطلقة . وفيما يتعلق بالشؤون الداخلية لكل دولة على حدة فى المنطقة ، فإن سلطته ليست كاملة ، وهناك مجال واسع للخروج على إرادته . وفى اعتقادنا ان نفوذه يعتمد على الجاذبية العاطفية لبرنامجه ، وعلى شخصيته ، وعلى كفاءة دعايته ، اكثر مما يعتمد على اى تنظيم يأتمر بامره ، سواء كان سريا أم علنيا .

١٠ ـ ومع ذلك ، فإننا نعتقد انه من الضرورى فى كافة الأمور العملية تصور عبد الناصر والجماهير الوطنية العربية كوحدة لا تنفصم . فقد توحد بوضوح مع اعظم انتصارات القومية العربية بحيث لا ينتظر ان ينافسه احد إلا إذا تعرض لسلسلة من الهزائم . وليس هناك ما يدل على وجود جماعة لها اهميتها معادية لعبد الناصر داخل حركة الوحدة العربية . وفوق ذلك ، فحتى فى حالة اختفاء عبد الناصر ، من المستبعد ان تتسم الحركة الوطنية العربية بسمات مختلفة جوهريا ، لأن عبد الناصر ربما كان اداة للحركة بقدر

ما هو قائدها . بل إن خليفته يمكن ان يكون اقل قدرة منه على كبح جماح الوطنيين العرب ، واقل حذرا فى علاقاته مع الكتلة السوفيتية .

١١ ـ اهداف عبد الناصر : نعتقد ان موقف عبد الناصر واهدافه هى فى جوهرها كما اعلنها بنفسه . فهو يعتزم القضاء على جميع بقايا المواقع الأجنبية الخاصة ، ووضع موارد العالم العربى بالكامل تحت تصرف القوى الوطنية العربية ، وهو يهدف إلى توحيد العالم العربى قاطبة وراء سياسة خارجية مشتركة وبرنامج مشترك للتحديث والتنمية والاصلاح . ونعتقد أن عبد الناصر ، فى سعيه لتحقيق هذه الأهداف ، سيستمر فى استخدام وسائل الدعاية والنشاط الهدام ومساعدة القوى المحلية للقومية العربية . ولا نعتقد ان لدى عبد الناصر برنامجا محددا ، ولا خطة مفصلة للدولة العربية الموحدة التى يعمل لاقامتها . ونعتقد أنه سيكون راغبا فى تجنب الصدام المباشر مع القوى الغربية او التركية او الاسرائيلية ، وربما يكون على استعداد لقبول درجة كبيرة من الاستقلال الذاتى المحلى تتمتع به الدول التى قد ترتبط بالجمهورية العربية المتحدة او الدول العربية المتحدة .

١٢ ـ واهداف القومية العربية الراديكالية لا تتعارض دائما مع المصالح الأمريكية . وهكذا ، فإن الهدفين العربيين المتمثلين فى صون الاستقلال ، واستخدام ارباح البترول العربى ، يتفقان مع اثنتين من المصالح الأساسية للولايات المتحدة ، وهما عدم خضوع المنطقة للسيطرة السوفيتية ، واستمرار الغرب فى الحصول على بترول الشرق الأوسط . إلا ان هناك مصالح اخرى للولايات المتحدة ، مثل المحافظة على إسرائيل ، يبدو الا سبيل إلى التوفيق بينها وبين اهداف الحركة القومية العربية . وينطبق نفس القول على المحافظة على سيطرة الغرب على بترول المنطقة (وذلك غير القدرة على الحصول على البترول) والقدرة على استخدام القواعد العسكرية . وفوق ذلك فإن طموح عبد الناصر لا يقتصر على العالم العربى . فهو يعتزم القضاء على السيطرة الأوروبية على اجزاء من افريقيا وإدخالها فى كتلته المحايدة . والأرجح ان يكون هناك صدام مستمر فى المصالح بسبب تاثير النفوذ الثورى لعبد الناصر فى مناطق اخرى من العالم الإسلامى : السودان وليبيا وشمال افريقيا ، واجزاء اخرى من افريقيا وإيران . ولعله يضع فى المدى الأطول خططا لإقامة مركز مستقل للقوى ، يتخذ قاعدته فى مصر ، ويرتفع به إلى موقع قيادة كتلة افروآسيوية .

١٣ ـ ونحن لا نعتقد ان عبد الناصر شيوعى او متعاطف مع العقيدة الشيوعية . وهو يعارض الشيوعيين العرب لأنهم يمثلون تحديا لسلطته . وهو يرى ان الاتحاد السوفيتى دولة كبرى لها مصالح وسياسات فى الشرق الأوسط تصادف انها تتفق فى هذه المرحلة مع مصالحه وسياساته . وهو سيستمر فى التطلع إلى الاتحاد السوفيتى فى طلب المساعدة ، ويستجيب للمزاعم السوفيتية المناهضة للغرب . وفى اعتقادنا انه ما زال يامل فى حماية الوحدة العربية التى يسعى لاقامتها عن طريق موازنة النفوذ السوفيتى ، والنفوذ الغربى فى المنطقة العربية ، بالرغم من احداث السنوات الثلاث الأخيرة التى عمقت ـ بغير شك ـ ريبة عبد الناصر تجاه الغرب ، وربما انقصت عدم اطمئنانه إلى السوفيت

الوثيقة رقم (٢٩)

صورة خطاب إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥٨ بتوقيع اللواء « فؤاد شهاب » قائد الجيش اللبنانى ، والذى انتخب بعد الأزمة رئيسا لجمهورية لبنان ، وقد كانت تلك اول رسالة يكتبها الرئيس الجديد ، وقد كتبها على الأوراق الرسمية لقائد الجيش .

الجمهورية اللبنانية
وزارة الدفاع الوطني

قائد الجيش
اركان الحرب (الغرفة)

٨٢٨
٥٨/٩/١٠

سيـــادة الاخ الرئيـــــس

من دواعي اغتباطي الشديد ان تكون اول رسالة اكتبها بعد وقوع اختيار مواطني اللبنانيين على شخصي للقيام بمهام رئاسة الجمهورية ، هي التي اوجهها الى سيادتكم .

واذا كنت أرى هذه الفاتحة وليدة الامر الطبيعي اكثر مما هي وليدة الصدفة ، فانني لأجد فيها رمزا عفويا لما ارجوه من عهد جديد بين الجمهورية العربية المتحـــدة الشقيقة ولبنـــان .

لقد قامت الجمهورية الشقيقة بخطوات ايجابيـة للمعاونة على تصفية الجو بينها وبين لبنان ، واني وكل من امكنه ان يطلع على الوقائع كما اطلعت لنعرف في هذه الخطـوات رغبتكم وتدخلكم الشخـصي ونسجل فيه فضلكم الكبيـــــر .

ويسعدني انكم تعرفون ما عندى من رغبة مماثلة . وتقدرون انني سأبذل اقصى الجهد لازالة التوتر الذى اصاب علاقات بلدينا الاخوية ، واعادتها الى أصفى ما كانـــت عليه في سابق العهد وامتن ، تحقيقا لخيرهما جميعا ، ولسلامة وحدة الصف العربي كلــه وتراصّه .

ان تلك الخطوات الاخيرة من قبل الجمهورية الشقيقة ، تشجعني على البحـــث منذ الان ، أي قبل تسلمي رسميا مقاليـد الرئاسة ، في خطوات ايجابية اخرى من جانبهـا تساعد كثيرا على دخول بلدينا دون ابطاء في عهد من التعاون العملي المبني على الاخلاص والصراحـــة .

.../...

الجمهورية اللبنانية
وزارة الدفاع الوطني

قائد الجيش
اركان الحرب (الغرفة)

= ٢ =

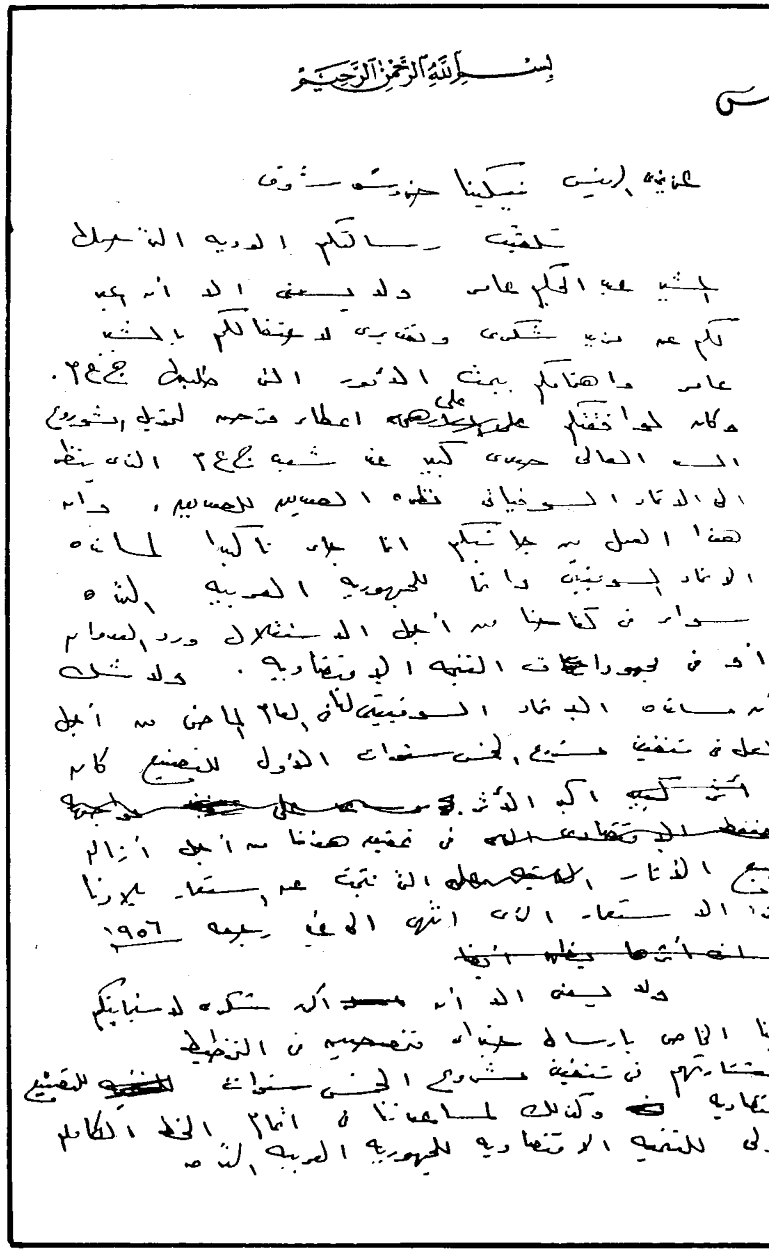
ولقد عهدت الى الصديق العزيز السيد علي بزى ان يعرضها لسيادتكم ، وهو محل ثقتنا وتقديرنا الشخصـية وثقة وتقدير جميع من عرفوا تجرده ومزاياه الكثيرة ، ووطنيته الصادقـة التي دفعته دائما للسعي من اجل قيام اوثق التعاون والتصافي بين لبنان وكل بلد عربي بنوع عام ، وبينه وبين الجمهورية العربية المتحدة بنوع خاص .

واني وانا اعرب عن أملي ، بل ثقتي ان يلقى لدى سيادتكم ما يكلل سعيه بالنجاح ، ارجو ان تتفضلوا يا سيادة الرئيس بقبول اصدق عواطفي الاخوية متمنيا لشخصكم الكريم التوفيـق والسؤدد ، ولشعب الجمهورية الشقيقة السعادة والمجـــد ./.

اللواء فؤاد شهاب
فؤاد شهاب

الوثيقة رقم (٣٠)

صورة لمسودة خطاب من الرئيس « جمال عبد الناصر » وبخط يده إلى الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » وهو يتضمن ردا من الرئيس على رسالة من « خروشوف » حملها المشير « عبد الحكيم عامر » .



عزيزى الرئيس
نيكيتا خروشوف

تلقيت رسالتكم ال
التى حملها الم
عبد الحكيم عا
ولا يسعنى إلا ان
لكم عن مزيد شك
وتقديرى لاحتفا
بالمشير عامر واهتما
ببحث الأمور التى ط
ج . ع . م وكان لموافق
على إعطاء قرض لتم
مشروع السد العالى صد
كبير عند شعب ج . ع
الذى ينظر إلى الات
السوفياتى نظرة الص
للصديق ، وإن هذا ال
من جانبكم إنما جاء تأك
لمساندة الاتح
السوفييتى دائ
للجمهورية العر
المتحدة سواء فى كفا
من أجل الاستقلال
العدوان أو فى مجهود
التنمية الاقتصادي
ولا شك ان مساندة الا
السوفييتى لنا فى ا
الماضى من اجل العمل
تنفيذ مشروع الخ
سنوات الأول للتص
كان له اكبر الأثر فى تح
هدفنا من اجل إزالة جم

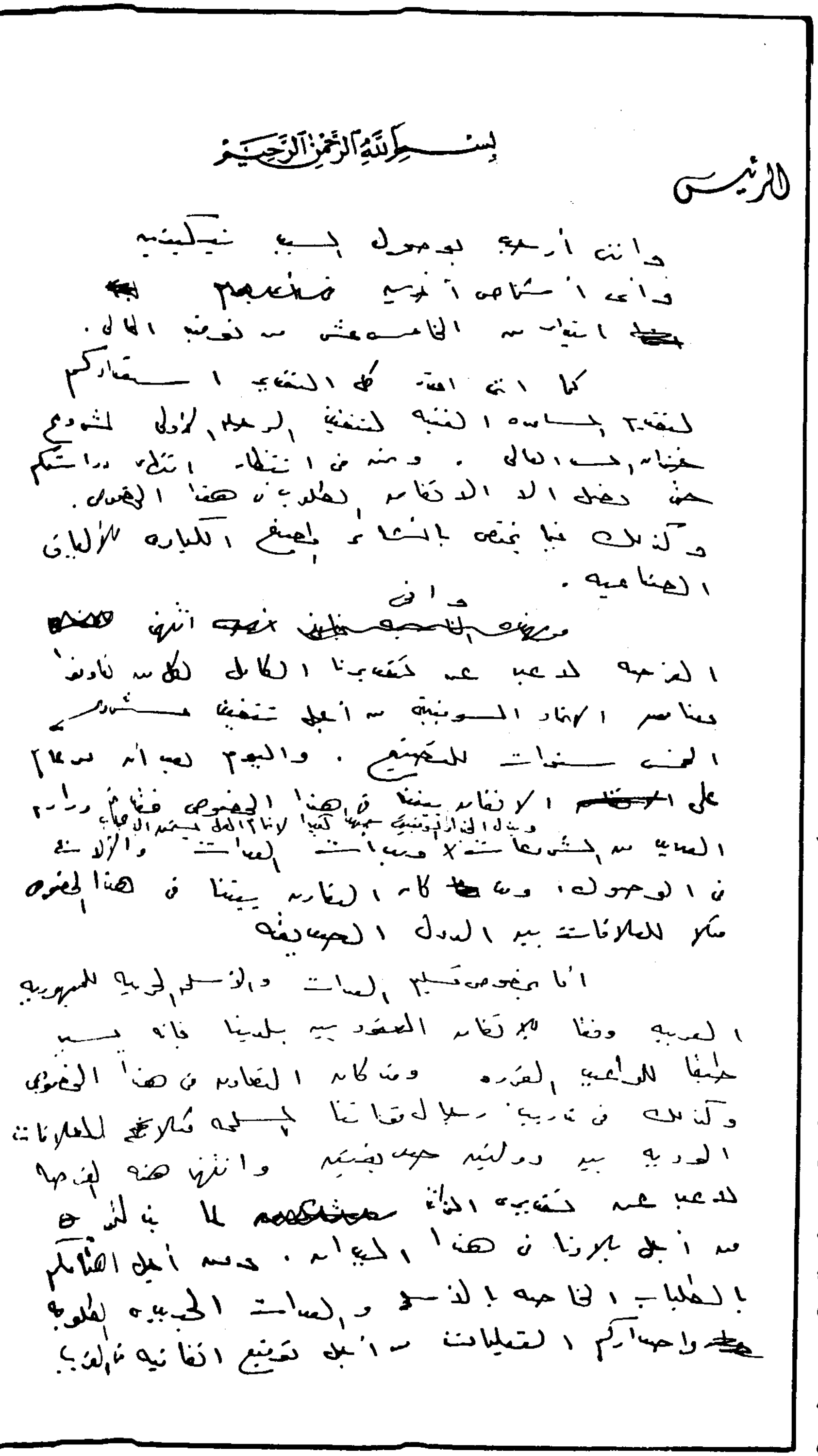
الاثار التى نتجت عن استعمار بلادنا هذا الاستعمار الذى انتهى إلى غير رجعة سنة ١٩٥٦ .

ولا يسعنى إلا أن اكرر شكرى لاستجابتكم لطلبنا الخاص بإرسال خبراء متخصصين فى التخطيط لاستشارتهم فى تنفيذ مشروع الخمس سنوات للتصنيع الاقتصادية وكذلك لمساعدتنا فى اتمام الخطة الكاملة الأولى للتنمية الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة .

وانني ارحب بوصول السيد نيكيتين واى اشخاص آخرين ابتداء من الخامس عشر من نوفمبر الحالى .

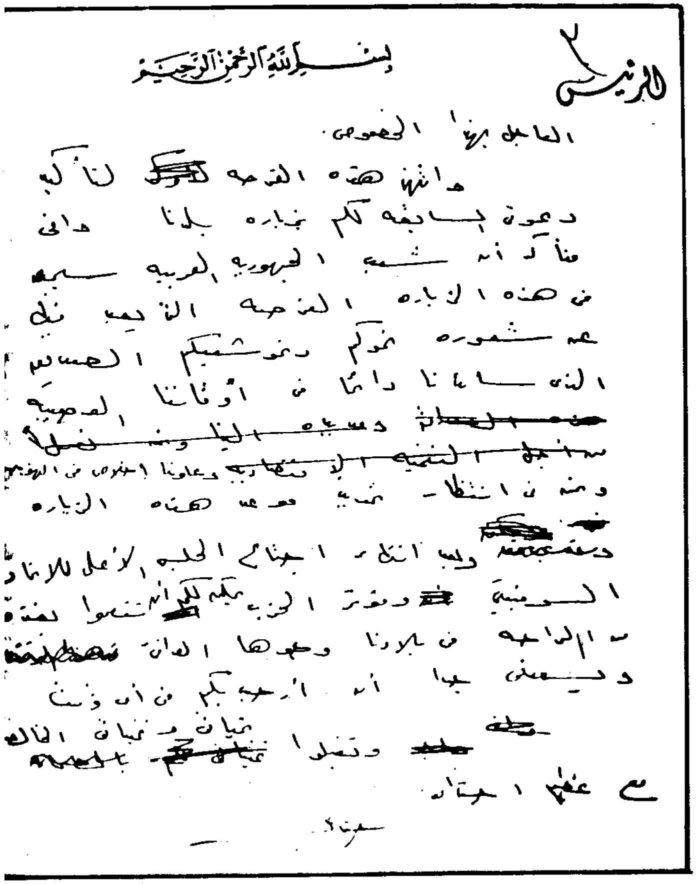
كما اننى اقدر كل التقدير استعدادكم لتقديم المساعدة الفنية لتنفيذ المرحلة الأولى لمشروع خزان السد العالى . ونحن فى انتظار انتهاء دراستكم حتى نصل إلى الاتفاق المطلوب فى هذا الخصوص . وكذلك فيما يختص بانشاء المصنع الكيماوى للألياف الصناعية .

وانى انتهز الفرصة لاعبر عن تقديرنا الكامل



لكل من تعاونوا معنا من الاتحاد السوفييتى من اجل تنفيذ مشروع الخمس سنوات للتصنيع . واليوم بعد ان مر عام على الاتفاق بيننا فى هذا الخصوص فقد تم دراسة العديد من المشروعات وبذل الخبراء السوفييت جهدا كبيرا لإتمام العمل يستحق الإعجاب وبدات المعدات والالات فى الوصول ، وقد كان التعاون بيننا فى هذا الخصوص مثلا للعلاقات بين الدول الصديقة .

أما بخصوص تسليم المعدات والأسلحة الحربية للجمهورية العربية وفقا للإتفاق المعقود بين بلدينا فانه يسير طبقا للمواعيد المقررة وقد كان التعاون فى هذا الخصوص وكذلك فى تدريب رجال قواتنا المسلحة مثلا للعلاقات الودية بين دولتين صديقتين وانتهز هذه الفرصة لاعبر عن تقديرى الزائد لما بذلتموه من اجل بلادنا فى هذا الميدان . ومن اجل اهتمامكم بالطلبات الخاصة بالأسلحة والمعدات الجديدة المطلوبة واصداركم التعليمات من اجل توقيع اتفاقية فى القريب العاجل بهذا الخصوص .



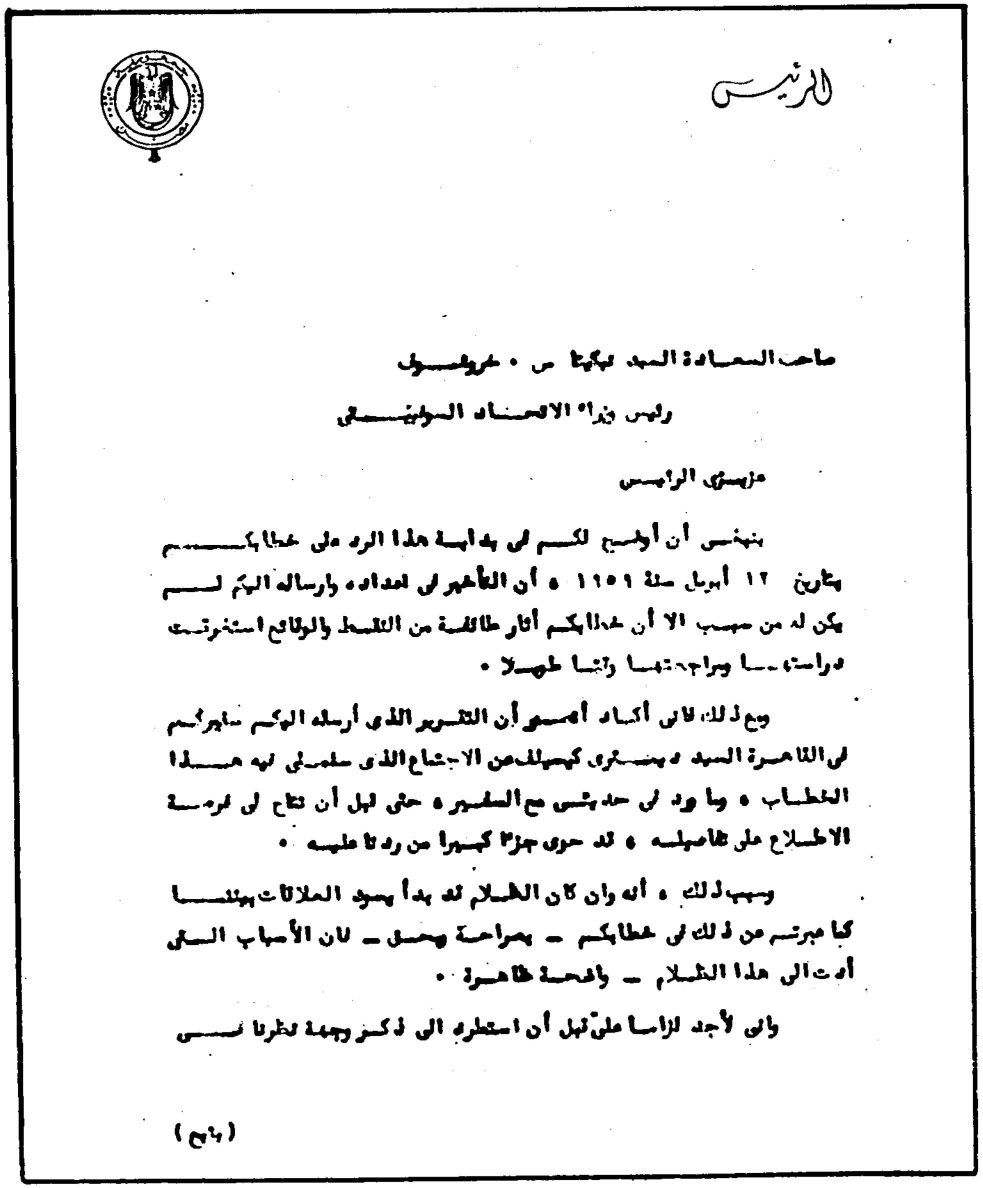
وانتهز هذه الفرصة لتاكيد دعوتى السابقة لكم بزيارة بلدنا وانى متاكد ان شعب الجمهورية العربية سيجد فى هذه الزيارة الفرصة التى يعبر فيها عن شعوره نحوكم ونحو شعبكم الصديق الباسل الذى ساعدنا دائما فى أوقاتنا العصيبة . وعاوننا باخلاص فى النهوض باقتصاد البلاد

ونحن فى انتظار تحديد موعد هذه الزيارة وبعد انتهاء اجتماع المجلس الأعلى للاتحاد السوفييتى ومؤتمر الحزب يمكن لكم ان تنعموا بفترة من الراحة فى بلادنا وجوها الدافئ ويسعدنى جدا ان ارحب بكم فى اى وقت وتقبلوا تحياتى وتمنياتى الخالصة مع عظيم احترامى .

الامضاء

الوثيقة رقم (٣١)

صورة اطول خطاب كتبه « جمال عبد الناصر » إلى الزعيم السوفيتى « نيكيتا خروشوف » وكان ذلك بعد أن استفحلت الخلافات بين الاثنين فى ربيع سنة ١٩٥٩ . وقد جاء هذا الخطاب ردا على خطاب سبقه من « خروشوف » ، ويحتوى نص رد « جمال عبد الناصر » على كل النقاط التى اثارها « خروشوف » فى رسالته الاصلية .



الرئيس

صاحب السعادة السيد نيكيتا س . خروشوف
رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى

عزيزى الرئيس

يؤسفنى أن أوضح لكم فى بداية هذا الرد على خطابكم بتاريخ ١٢ أبريل سنة ١٩٥٩ ، أن التأخير فى اعداده وارساله اليكم لم يكن له من سبب الا أن خطابكم أثار طائفة من النقط والوقائع استغرقت دراستها ومراجعتها وقتا طويلا .

ومع ذلك فانى أكاد أحس أن التقرير الذى أرسله اليكم سفيركم فى القاهرة السيد ديمترى كيسيليف عن الاجتماع الذى سلمنى فيه هذا الخطاب ، وما ورد فى حديثى مع السفير ، حتى قبل أن تتاح لى فرصة الاطلاع على تفاصيله ، قد حوى جزءا كبيرا من ردنا عليه .

وسبب ذلك ، أنه وإن كان الظلام قد بدأ يسود العلاقات بيننا كما عبرتم من ذلك فى خطابكم — بصراحة وبحق — فإن الأسباب التى أدت الى هذا الظلام — واضحة ظاهرة .

وانى لأجد لزاما على قبل أن استطرد الى ذكر وجهة نظرنا فى

(يتبع)

صاحب السعادة نيكيتا س . خروشوف
رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى
عزيزى الرئيس

ينبغى ان اوضح لكم فى بداية هذا الرد على خطابكم بتاريخ ١٢ ابريل سنة ١٩٥٩ ، ان التاخير فى إعداده وإرساله إليكم لم يكن له من سبب إلا ان خطابكم اثار طائفة من النقط والوقائع استغرقت دراستها ومراجعتها وقتا طويلا .

ومع ذلك فانى اكاد اتصور ان التقرير الذى ارسله إليكم سفيركم فى القاهرة السيد ديمترى كيسيليف عن الاجتماع الذى سلمنى فيه هذا الخطاب ، وما ورد فى حديثى مع السفير ، حتى قبل ان تتاح لى فرصة الاطلاع على تفاصيله ، قد حوى جزءا كبيرا من ردنا عليه .

وسبب ذلك ، انه وإن كان الظلام قد بدا يسود العلاقات بيننا كما عبرتم عن ذلك فى خطابكم ـ بصراحة وبحق ـ فإن الأسباب التى ادت إلى هذا الظلام ـ واضحة ظاهرة .

وانى لأجد لزاما على قبل ان استطرد إلى ذكر وجهة نظرنا فى هذه الأسباب ، ان اقرر انه ليس هناك من هو اكثر منى اسفا على الحالة التى وصلت إليها علاقاتنا .

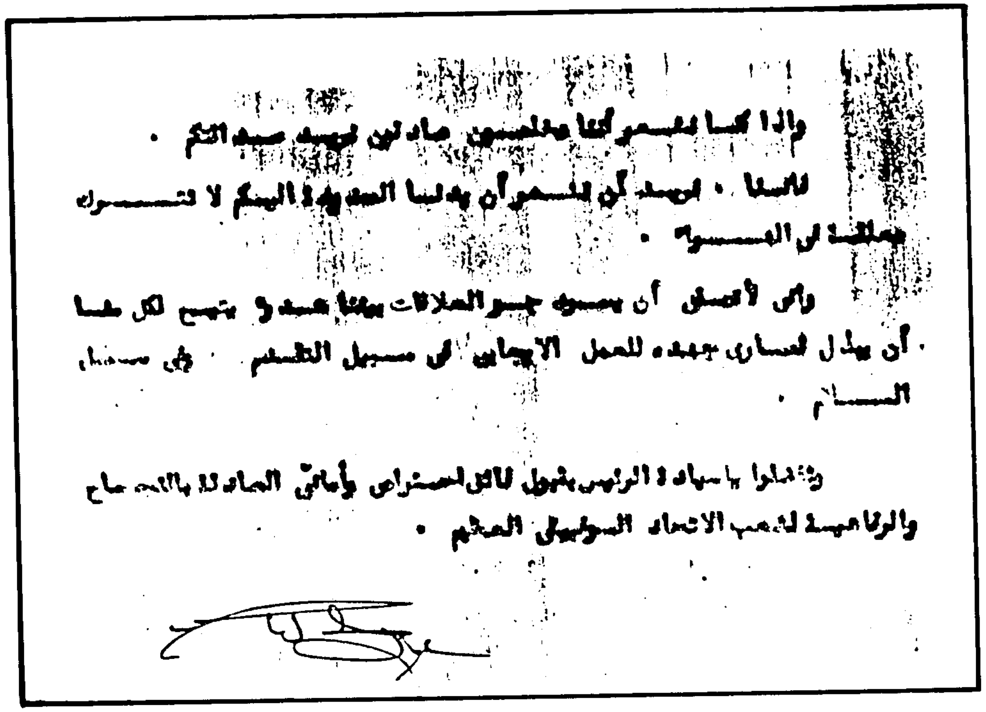
فلقد كنت ـ ومازلت ـ أعتز بالصداقة التى جمعت بين بلدينا ـ واستطعنا فى إطارها ان نواجه طائفة من المصاعب التى اعترضت سبيل التطور التاريخى نحو الاستقلال الوطنى فى الشرق الأوسط والتى كادت فى كثير من الاحيان ان تتطور إلى تهديد خطير للسلام العالمى كله .

كذلك كنت ـ ومازلت ـ أعتز باننا فى العلاقات بيننا ، رسمنا لدول كثيرة غيرنا من الدول الصغرى فى افريقيا وآسيا نموذجا للعلاقات الدولية بين بلدين تتفاوت مراتب القوة بينهما ، وتتباعد النظم الاجتماعية فيهما ، ومع ذلك فانهما وجدا ارضا للقاء مشترك قائم على المساواة .

ولقد كنا نشعر ان المدى الذى وصل إليه تعاوننا المتكافىء لا يلتزم حدود بلادنا فحسب ، وانما هو يتعداها ليكون مثالا لغيرنا من الشعوب التى تمر بنفس ظروفنا ، واظنكم يا سيادة الرئيس تستطيعون ان تجدوا فى تطورات علاقاتكم مع دول كثيرة فى افريقيا وآسيا شواهد متعددة على الأثر الذى أحدثه النموذج الحى الذى صنعناه بالعلاقات بيننا .

ولم نكن نرضى بسهولة ان نفرط فى هذا الكسب العظيم الذى حققناه فى ميدان العلاقات الدولية تطبيقا لمبادىء باندونج .

وفق ذلك ، فانكم لتعلمون يا سيادة الرئيس إنه إذا كانت قوة الدول الكبرى تقاس بارصدتها من الأسلحة النووية والقاذفات عابرة القارات ، فإن الدول الصغرى ـ فى المعترك العالمى ـ تقاس قوتها بارصدتها من الصداقات الدولية ، ولقد كانت صداقتنا معكم بندا هاما فى رصيدنا الدولى ، بحيث لم يكن من المتصور ان نتطوع بتبديد اى قسط منها ، الأمر الذى يزداد وضوحا إذا ما راجعتم ما تعلمونه اكثر منى عن موقف الاستعمار من القومية العربية ،


وإذا كنا نشعر الآن مخلصين صادقين بصدق صداقتكم .
فإننا ، نعتقد أن نشعر أن بلدينا الصديقين لا تستمر
خلافاتهما إلى الأبد .
وإنى لآمل أن يسود جو العلاقات بيننا عهد يتيح لكل منا
أن يبذل قصارى جهده للعمل الإيجابي في سبيل التقدم في سبيل
السلام .
وتقبلوا يا سيادة الرئيس فائق الاحترام وأمانى الصادقة بالنجاح
والرفاهية لشعب الاتحاد السوفيتى العظيم .

وتربصه بها ، لكى يسترد منها ما انتزعته شعوبها من انتصارات ضده فى منطقة ظل يعتبرها ميدانا لنفوذه منذ قرون ، ثم ليثبت هذا النفوذ بعد ان يسترد ما ضاع منه .

وحتى لو لم يكن ذلك موقف الاستعمار المتربص بنا ، فإن حرصنا على صداقتكم فى حد ذاتها يكفى لكى نبذل لتامينه ، ولصيانتها ، كل جهد .

وانكم لتعرفون يا عزيزى الرئيس ـ ان صداقتنا معكم كانت بالنسبة لنا فرصة التعاون الوثيق معكم ـ ولم تكن هذه الصداقة بالنسبة لنا نقطة مساومة ، ولا كانت عملية مضاربة ضد كتلة دولية قوية بكتلة دولية اخرى تتوازن معها فى القوة .

ولقد كانت هذه المبادىء ، وما تعرضنا له بسبب ايماننا بها هى التى فتحت لكم طريق معرفتنا على النحو الصحيح ، رغم انكم فى بداية ثورتنا القومية سنة ١٩٥٢ ـ تاثرتم بما كانت تروجه الجماعات الشيوعية فى بلادنا ضد هذه الثورة ـ ومن ثم تجدون سيادتكم فى اذاعاتكم وفى صحفكم خلال هذه الفترة الأولى من سنين ثورتنا القومية إشارات لها باعتبارها حركة فاشستية ، وكنا فى ذلك الوقت كما تذكرون نحارب معركة لا هوادة فيها ضد الاستعمار البريطانى .

ولكن هذا الموقف البدائى عن ثورتنا ، لم يغير من ايماننا بمبادئنا ، وكذلك لم يغير من تقديرنا لكم حين اقتنعتم بمنطق الحوادث ذاتها بخطا الصورة التى نقلت إليكم ، ولقد خضنا ـ يا سيادة الرئيس ـ معركة ضد الاحلاف العسكرية الاستعمارية ، وكانت هذه الاحلاف

موجهة دون مواربة إلى بلادكم وشعوبكم ، وتستهدف تطويقها بالقواعد العسكرية والمطارات المعدة لقاذفات القنابل الذرية .

ولقد رفضنا بوحى من مبادئنا وحدها ومن غير إتصال بيننا كما تعلمون سيادتكم ان نكون إحدى حلقات الحصار الذى من حولكم بل ولعلكم يا سيادة الرئيس تذكرون ان حربنا ضد الاحلاف الاستعمارية التى يتجه عدوانها إليكم ، لم تقتصر على حدود بلادنا ، وإنما كنا نحارب المعركة من اجل مبادئنا فى منطقة باكملها تحيط بنا ويرتبط تاريخها بتاريخنا ، ومصيرها بمصيرنا .

وفى ذلك الوقت ، وفى تلك الظروف ، يا سيادة الرئيس وجهت إلينا التهم من غير حساب ، من ناحية الدوائر الاستعمارية والصهيونية التى تعرفونها جيدا .

واتهمنا فى ذلك الوقت باننا لا نعرف مصلحتنا ، وكانت مصلحتنا فى منطق الاستعمار ان نتحول إلى قواعد عسكرية ومطارات ذرية .

واتهمنا فى ذلك الوقت باننا نخرق وحدة العرب ، وكانت وحدة العرب فى منطق الاستعمار ان نساير الذين اقاموا حلف بغداد الاستعمارى او فى القليل نهادنهم .

واتهمنا فى ذلك الوقت باننا نتدخل فى الشؤون الداخلية لغيرنا ، وكان اقناعنا عن التدخل فى منطق الاستعمار ان نتركه يضم الدول العربية واحدة بعد واحدة إلى حلف بغداد وان يجر شعوبها واحدا بعد الآخر إلى ميدان الحرب الباردة ، وان يقامر بها فى مغامرة الحرب الساخنة التى كانت احتمالاتها تزداد خطرا لو ان حلف بغداد العدوانى حقق ماربه وتوصل إلى اغراضه ، ولكن ايماننا يا سيادة الرئيس - بعدم الانحياز - حتى من قبل باندونج - جعلنا نقف من مشاريع الاستعمار العدوانية موقف المناضل العنيد .

كذلك كان ايماننا بالقومية العربية هو الذى جعلنا نمد حدود المعركة خارج بلادنا دفاعا عن امة ينص دستورنا كما تعلم يا سيادة الرئيس على ان شعبنا جزءا منها ، كذلك كان ينص دستور سوريا قبل الوحدة ، وكذلك ينص الآن دستور العراق بعد ثورته الوطنية فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ .

وانكم لتذكرون ان المعارك بمختلف اشكالها فرضت علينا فرضا حتى نتحول عن الايمان بمبادئنا .

ولقد حاولت قوات الإحتلال البريطانية التى لم يهدأ كفاح شعبنا ضدها خلال عشرات السنين ، أن تعزل منطقة من ارضنا فحملنا السلاح لكى نجعل حياة جنود الاحتلال فى هذه المنطقة جحيما لا يحتمل .

ثم حاول الدهاء البريطانى على مائدة المفاوضات ان ياخذ منا باليسار ما كان يوهمنا انه يعطيه الينا باليمين ، ولكن الدهاء البريطانى اضطر ان يوقع على اتفاقية الجلاء فى خريف ١٩٥٤ .

وحين رفضنا أحلاف الاستعمار بدات محاولات اخضاعنا باحتكار السلاح ، ومنعه عنا ، وتحريض إسرائيل ، كما جرى فى الغارة على غزة بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٥٥ - ان تعتدى على ارضنا .

ثم كان التضييق الاقتصادى علينا تمهيدا للحصار الكامل ثم كانت حرب الدعاية ضدنا وتشويه مقاصد ثورتنا واهدافها ، هذه الحرب التى وصلت ذروتها فى إبان معركتنا الاولى لإسقاط حلف بغداد فى الشهور الأولى لسنة ١٩٥٥ .

وخلال هذا كله ، كما لابد تذكرون يا سيادة الرئيس لم تكن الصلات بيننا قد توثقت ، ولا كان التعاون بين بلدينا قد ترابطت عراه .

وإنما كان الأمر بالنسبة لنا امر مبادىء آمنا بها ، ووجدنا واجبنا الوطنى ان ندافع عنها بكل ما فى طاقتنا من القدرة على التضحية والصمود بل والعناد وهى صفة اجد الآن مع الأسف ، انها لم تعد تلق الفهم الذى كانت تلقاه ، وتحولت فى تقديركم إلى عيب كبير ، وكانت من قبل ، فى ظروف اخرى ، مزية كبيرة .

ولو ان الإصرار على التضحية والصمود - بل والعناد - كانت اقل ما هى فعلا - لكان من العسير علينا يا سيادة الرئيس ان نواجه الاستعمار بمثل ما واجهناه به من رفض للمساومة فى استقلالنا ومن إعراض عن مشاريعه العدوانية ، ومن حرب على هذه المشاريع كيلا تنجح فى بلادنا ، ومن تحمل للضيق الاقتصادى ، ومن مواجهة لحرب الأعصاب والدعاية ، ومن احتكار للسلاح .

ولولا هذا الإصرار والصمود ، بل والعناد يا سيادة الرئيس ما كانت ايدينا قد وجدت الشجاعة ان تمتد لكى تطلب منكم السلاح الذى قبلتم مشكورين فى ذلك الوقت ان تبيعوه لنا - بعد ان تبين لكم فى غير شك او تردد ان ثورتنا الوطنية لا تضرب جذورها إلا فى ارض آبائنا .

وهكذا يا سيادة الرئيس ، تكفلت التجربة العملية ، وتكفلت الحوادث نفسها ، بان تغير موقفكم من ثورتنا الوطنية ، فاصبحتم تعرفونها على حقيقتها ، وليس كما حاولت بعض الجماعات التى ترفع الأعلام الشيوعية ، والتى فشلت فى استغلال الثورة الوطنية فى مصر لصالحها ، ان تصورها لكم .

وهذا تجلى فى تعاملكم معنا اثر هذه المعرفة ومن ثم بدات العلاقات بين بلدينا تدخل طورا جديدا من اطوارها تقوم اسسه على مبادىء التعايش السلمى .

وانكم لتعلمون - يا سيادة الرئيس - ان الاستعمار وقد هاله التاثير البعيد المدى لهذا النموذج الذى حاولنا ان نرسمه فى العلاقات الدولية - قد حاول بعدها بكل ما وسعه الجهد ان يقطع هذه الصلات التى قامت بيننا .

هكذا راح الاستعمار يتهمنا باننا اصبحنا منطقة لنفوذكم . . بل مستعمرة لكم .

ثم راح الاستعمار يحاول تشكيكا فيكم وهو يصور لنا انكم ما مددتم يد التعاون إلينا إلا لأنكم تريدوننا لعبة فى الحرب الباردة .

بل راح الاستعمار يقدم إلينا من المغريات ما يباعد طريقنا عن التعاون معكم ، وفى تلك الظروف كما تعلمون تقدم إلينا عرض المساهمة والمساعدة ، فى تمويل مشروع السد العالى ، ولكن التكتيك لم يلق غير الفشل .

وكذلك لم يستطع الاغراء ـ مهما بلغت شدته ـ ان يجعلنا نفرط فيما نؤمن انه مبدأ وعقيدة .

وهكذا دخلت علاقاتنا مع الاستعمار فى مرحلة عنيفة بدات بمحاولة عقابنا على كل ما اصررنا عليه وصمدنا وعاندنا ، وكان من ذلك سحب عرض المساهمة ـ والمساعدة ـ فى تمويل السد العالى ـ وبالطريقة التى تم بها هذا السحب ، وغير خاف عليكم يا سيادة الرئيس ما كان هذا السحب ، والطريقة التى تم بها ، تستهدفه من تاثير فى الأوضاع الداخلية لجمهورية مصر فى ذلك الوقت .

وكان امامنا ـ إما ان نستسلم لكل هذه الأنواع من الضغط يا سيادة الرئيس ، ومن ثم يضيع كل ما حققناه ، وتنهار مبادىء الثورة الوطنية فى مصر وهى الركيزة القوية للقومية العربية ، وتعود المنطقة كلها كما كانت منطقة نفوذ للاستعمار دون منازع ، وقاعدة عسكرية هائلة لأحلافه العسكرية العدوانية .

وإما ان نصمد وأن نستنجد بكل ما فى طاقتنا من الإصرار على التضحية والصمود ، بل والعناد ايضا ، لكى نحبط خطة الاستعمار ونفوت عليه هدفه .

وعادت قناة السويس إلى الشعب الذى حفرها بشقائه وعنائه عادت إليه لتساهم فى بنائه ورخائه ، وكانت تلك كما تعلمون سيادتكم ضربة لا إلى الاستعمار وحده وإنما إلى كل القوى التى تحركه وفى مقدمتها الاحتكارات المتخلفة من افكار القرن التاسع عشر .

ولقد قمنا بهذه الخطوة وحدنا كما تذكرون سيادتكم لم نتشاور فيها معكم ولا حملناكم شيئا من تبعات ما يمكن ان نواجهه نتيجة لها ، وكنا ندرك منذ البداية ان المعركة ستكون عنيفة مضنية ، ولكنها كانت بالنسبة لنا معركة دفاعية لا مفر منها ، ولا بديل عنها إلا ان نستسلم للأمر الواقع كما يريد الاستعمار أن يفرضه .

ولقد كان عرفاننا عميقا ، وتقديرنا بالغا ، لما اعلنتم بعد ستة وثلاثون ساعة من تاميم قناة السويس انكم تؤيدون موقفنا .

ولقد كنا ندرك خلال الساعات التى سبقت إعلان رايكم ان من حقكم ان تدرسوا التطور الكبير الذى كان مفاجاة لكم ، وان تقدروا نتائجه بأنفسكم قبل ان تحددوا موقفكم منه .

ولقد حاولنا بعد التاميم بكل طاقتنا ان نشرح للراى العام العالمى موقفنا وان نحبط خطط العدوان الاستعمارية التى بدات نذرها تملأ الجو من حولنا وذهبنا إلى الأمم المتحدة نحتكم للعقل حتى لا يكون الاحتكام للمدافع وما قد يجره ذلك على السلام العالمى من اخطار .

ولا نستطيع يا سيادة الرئيس ان نصل إلى هذا الحد من استعراضنا للأمور ـ دون ان نعود للاشادة بما كان لكم . ولدول أخرى صديقة فى طليعتها جمهورية الهند ، من جهد بارز فى محاولة الوصول إلى حل سلمى لذلك الموقف الذى بدأ العالم يسمع فيه قعقعة السلاح .

ولكن الاستعمار الذى فقد قاعدته فى بلادنا ، وفقد نفوذه فى المنطقة من حولنا ، والذى ضيع مع هذه الهزائم منطق الحق والعدل لم يجد باقيا فى يده من وسائل العمل غير السلاح .

وانى لاستبيحك العذر ـ يا سيادة الرئيس ـ اننى اعيد عليك هذا كله الآن ، ولكنى اجد هذا امرا لا مفر منه فى هذه المرحلة من علاقاتنا إذا كنا نريد بإخلاص وصدق ان نبدد الظلام الذى بدا يسود علاقاتنا .

فإنه ما لم توضع المسائل كلها بوضوح ، وما لم يترابط سياقها فى غير مجال للبس فإننا سنتعرض للذى يبدو لى اننا تعرضنا له فعلا من سوء الفهم او سوء النقل ولست اخفى عليك اننى بعد ان فرغت من قراءة خطابك لى بتاريخ ١٢ ابريل تملكتنى الدهشة لبعض ما ورد فيه حتى لقد احسست امام بعض الفقرات اننى اقرأ مقالا فى إحدى صحف الغرب ، حيث تنحرف الوقائع عن اصلها ، وحيث تمتلىء الفجوات بين الحوادث بالتصورات وحيث تعز الحقائق على الكتاب فيلجاون إلى الخيال .

وإن التفسير الوحيد الذى أجده فى قدرتى لذلك الوضع هو ان اخطاء لا تغتفر قد وقعت فى الفهم ، أو فى النقل ، أو فى الترجمة ولعلك لم تنس يا سيادة الرئيس انك قلت لى مرة اثناء اجتماعنا فى شهر مايو سنة ١٩٥٨ ان اخطاء فى الترجمة كانت من اهم اسباب الخلافات بينكم وبين الماريشال جوزيب بروز تيتو رئيس اتحاد الجمهوريات اليوغوسلافية الاشتراكية الشعبية .

ويظهر ان هذا السبب ، سوء الترجمة على ارجح الفروض ، قد عاد يفعل نفس التاثير المدمر فى ازمة العلاقات بين بلدينا .

لهذا فإنى كما قلت لك ـ حريص فى هذه المناسبة ان لا أضيع هذه الفرصة ، فى هذه اللحظات الحاسمة ، لكى اشرح لك باستفاضة وتفصيل كل وجهة نظرى كما اراها واسجل ذلك كتابة على الورق لا اتركه لذاكرتك او لذاكرتى ، ولا لقدرة مترجم يقدر او يعجز عن التعبير .

عزيزى الرئيس ..

وإنكم لتذكرون كيف جاءنا العدوان على غير انتظار ، انه وقت كنا فيه نعتقد ـ وكانت المعلومات التى اتيتم بها إلينا فى ذلك الوقت تساند هذا الاعتقاد ـ بان ذروة الأزمة قد مرت بسلام ، وأن المفاوضات التى تقرر ان تستمر فى جنيف والتى حدد لها يوم ٢٩ اكتوبر تحت إشراف الأمم المتحدة قد قضت إلى حد كبير على احتمالات التدخل العسكرى المسلح .

ولكن العدوان كما تذكرون سيادتكم جاء فى نفس الوقت الذى كنا نستعد فيه للمفاوضات فى جنيف .

ولقد وجدنا انفسنا فجاة نتعرض لعدوان بشع لا اجد فى وصفه ابرع ولا ادق من العبارات التى وصفته فى أحاديثكم العديدة وفى خطبكم التى نقلتها الأنباء إلينا فى ظروف تلك الأزمة العصيبة والتى كان لها من الوقع فى نفس الشعب المصرى وفى نفوس الشعوب العربية ، وفى نفسى كمواطن عربى ، اثرا لا اظننى اقدر على أن افيه حقه من الوفاء والوقار .

ودعنى هنا يا سيادة الرئيس أوضح نقطة اشتد فيها الجدل بيننا والنقاش .

لقد قلت فى خطبة القيتها فى دمشق اننا نقف فى مواجهة العدوان الثلاثى فى ميدان القتال وحدنا ننتظر معونة احد .

ولكن هذه العبارة على ما احسست من خطابك ومن تصريحات لك ـ لم تقع منك موقع الرضا .

واحب ان اقول انه لم يخطر فى بالى ، ولا فى بال احد من اعضاء حكومتى أن يقلل من قيمة الإنذار الذى وجهه رئيس الوزراء السوفييتى فى ذلك الوقت ، ولكن هذا لا يعنى أن الحقيقة التى اوردتها فى خطابى بدمشق ليست صحيحة إلى ابعد الحدود .

لقد كنا فى ميدان القتال وحدنا .

كان جنودنا فى سيناء يحاربون على ارض سيناء وحدهم .

وكان جيشنا وشعبنا فى بورسعيد يحاربون فى شوارع بورسعيد وحدهم .

ولم نكن نؤمل فى عون إلا من الله .

ولعلك يا سيادة الرئيس تذكر انه فى اثناء العدوان الثلاثى على مصر ، تصادف ان زار الاتحاد السوفييتى وقتها السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وانه وجد بدافع التضامن العربى وبحافز الأخوة المخلصة ان يتباحث مع اقطاب حكومتكم فيما يمكن ان تقدمه بلادكم لنا من مساعدة .

وكان العدوان الثلاثى ضدنا كما تذكرون سيادتكم قد بدا يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر عام ١٩٥٦ وكانت زيارة الرئيس شكرى القوتلى تبدا يوم ٣٠ اكتوبر ، ثم اتيحت له فرصة التباحث مع رئيس الوزارة السوفييتية السيد نيكولاى بولجانين بحضور عدد من قادة الاتحاد السوفييتى وكبار ماريشالاته العسكريين ، ثم تلقيت رسالة بعث بها إلى الرئيس شكرى القوتلى حددت موقفكم من العدوان وكانت هذه الرسالة تمثل الموقف كما حدده الرئيس القوتلى بعد اجتماعاته بقادة الاتحاد السوفييتى .

وكان واضحا فى هذه الرسالة :

١ ـ ان الاتحاد السوفييتى غير مستعد لدخول حرب عالمية .

٢ ـ انه على هذا الأساس لا يستطيع الاتحاد السوفييتى ان يتدخل عسكريا ولا حتى بإرسال متطوعين .

٣ ـ ان اقصى ما يمكنه عمله لمساعدتنا هو إرسال بعض المعدات إلينا ومعها بعض الفنيين .

وأؤكد لك يا سيادة الرئيس ـ اننى قدرت هذه الرسالة حق قدرها ولم يخطر ببالى حتى فى الجو المكفهر الذى كان يحيط بوطننا وقتها ان احملكم فوق ما تقررون انكم قادرون على احتماله .

ولقد كان كل ما فعلته واسمح لى ان اذكر لك هذا السر الآن اننى نزعت هذه الرسالة من الملف الذى كان يضمها ووضعتها فى جيبى لأنى لم اشا ان يطلع عليها من قد تتاثر روحه المعنوية بقراءتها .

ولم تخرج هذه الرسالة من جيبى إلا بعد ان كانت المعركة قد انتهت فامرت ان تعاد إلى مكانها فى الملف كإحدى وثائق الدولة وشواهد التاريخ .

وما زلت اعتقد ان هذه الوثيقة شرف كبير لنا ، إذ هى خير دليل على اننا حاربنا ولم نكن فى ميدان القتال وحدنا فقط ، وإنما كنا ندرك ايضا اننا سنظل وحدنا .

ولعلك تدرك يا سيادة الرئيس ان الإنذار السوفييتى الذى لا يستطيع احد ان ينكر اثره قد صدر من موسكو مفاجاة لنا بعد ان مرَّت تسعة ايام كنا فيها فى ميدان القتال وحدنا ، ولقد كان يمكن ان نفقد عزيمتنا ، ولقد كان يمكن ان يشتد الياس بنا ، ولقد كان جائزا يا سيادة الرئيس ان نستسلم امام ثلاث دول هاجمتنا فجاة وبينها دولتان من الدول العظمى ـ كان يمكن ان نستسلم بعد يومين او ثلاثة ، او اسبوع بل لقد كان يجوز ان نستسلم صباح اليوم الذى صدر فيه إنذاركم من موسكو وماذا كان يجدى الإنذار يومها يا سيادة الرئيس إذا كان موضوعه قد انتهى وسقط .

وإذن فإن الأمر على حقيقته لم يكن فقط ان الشعب المصرى حارب وحده فى الميدان ، ولم يكن فقط يعرف انه سيظل وحده فى الميدان بل كان كل شىء حتى الإنذار السوفييتى الذى صدر بعد تسعة ايام من بدء القتال يتوقف على صمود هذا الشعب واستعداده للتضحية ، بل وتصميمه على العناد .

ومع ذلك فلقد اشدنا بالإنذار السوفييتى واثره ، ولم نكن نمل الحديث عنه عرفانا وإقرارا .

لقد كانت إشادتنا باثر هذا الإنذار من اسباب تعرضنا بعد العدوان لحملة عنيفة اتهمنا خلالها باننا نسينا الموقف الذى اتخذته الأمم المتحدة ، ونسينا دور الضمير العالمى فى وقف العدوان .

ولقد كان الأمر الذى استوجب التصريحات التى لم تقع منكم موقع الرضا عن الحقيقة فى امر العدوان ـ ان إذاعات كثيرة تنطق باسمكم وصحف تصدر فى بلادكم راحت وسط مناقشات بيننا وبين الحزب الشيوعى السورى تعود بالفضل كله إلى هذا الإنذار وتصور الأمر على نحو يبدو معه ان الشعب المصرى لم يقاتل والشعب السورى لم يهب ، والشعوب العربية كلها لم تتحفز ، وإنما هى جميعا قبعت ساكتة فى انتظار ان ينقذها هذا الإنذار .

ولقد كان واجبا علىّ ان احق الحق وارد الأمر إلى نصابه وان اضع دور شعبنا فى مكانه الصحيح باعتبار انه كان الجيش الحقيقى بل الجيش الوحيد فى ميدان القتال ، ولست ارى انه يمكن إنكار هذه الحقيقة كذلك لست ارى انه ينبغى الإقلال من قيمتها او تجاهلها .

اما الحديث هنا عن دور الله فى المعركة والتساؤل الذى ورد فى خطابكم ـ وتكرر قبل خطابكم فى بعض إذاعاتكم ـ فى معرض التساؤل عما فعله الله وعما فعله الاتحاد السوفييتى ، فإنى اسمح لنفسى ان اقول اننا لا نفصل الدور الذى قام به الله فى معركتنا عن الدور الذى قمنا به بانفسنا ، ذلك ان إيماننا العميق هو ان روح الله كانت فى قلوبنا تشد عزائمنا وتقوى باسنا .

وليست هذه يا سيادة الرئيس محاولة للتبشير بالدين ، وإنما هى محاولة لإظهار ان المقاييس المادية لا تكفى وحدها لوزن الأمور فى كثير من الأحيان .

ولو ان هذه المقاييس المادية وحدها طبقت فى ظروف العدوان لكان حتما علينا ان نستسلم ولا نقاوم ، واين هو العقل الذى يقبل ان يقف شعب صغير فى مواجهة دولتين من

الدول العظمى معهما دولة ثالثة من صنائعهما ، جاءوا من كل ناحية حولها وسدوا مداخل البحر ـ وكان لابد ان يسدوها بأساطيلهم ، وسيطروا على الجو وكان حتما ان يسيطروا عليه . وانك لتذكر ان المعلومات التى توافرت لديكم أثناء ما ذكرت ـ كما ورد فى ذلك الوقت فى إذاعاتكم بأن ما اشترك من طائرات عدونا فى العمل ضدنا وصل إلى اكثر من الف وخمسمائة طائرة .

وكنا وحدنا فى مواجهة هذا كله يا سيادة الرئيس حتى من الناحية الجغرافية ، وهبوا جدلا أنكم اردتم وقتها أن تسيروا جيوشكم لنجدتنا فكيف كانت تصل إلينا وبيننا وبينكم بحار وبلاد تعيش فيها دول بعيدة عن موضوع النزاع .

ودعنى اعود فاكرر اننا كنا نقدّر موقفكم ونفهم دوافعه ، ولم يخطر ببالنا فى اى وقت ان نطلب منكم ـ أو نتوقع ـ أن تدخلوا حربا عالمية من اجلنا .

واننا لندرك بأنكم تزنون الأمور حق وزنها ، وما من منطق يرضى ان تتولى تجارب بلادنا ، أن تفرض عليكم موعد الحرب العالمية الثالثة وإنما لظروفكم اعتباراتها الخاصة ، ولمقاييسكم أسبابها ، وينبغى ان يكون أصدقاؤكم أول من يفهم ويقدر ، ولقد كنا ـ ولازلنا ـ يا سيادة الرئيس نعتبر أنفسنا من اصدقائكم ، ولذلك حاولنا ان نكون اول من يفهم ويقدر .

ولقد تعرضنا كما تذكرون بعد العدوان مباشرة لمحاولات أخرى حاولت ان تحقق نفس اهداف العدوان بأساليب اكثر هدوءا واقل صخبا .

ولكن هدف الاستعمار بقى نفس الهدف وهو ان يقضى على بلادنا وعلى الركيزة التى رست فى أرضها حركة القومية العربية .

وكل الفارق بين المحاولات الجديدة والمحاولات السابقة هو الفرق بين محاولة قتل فرد بالرصاص وقتله بالجوع .

ولربما كان القتل بالرصاص اكثر صخبا .

ولكن محاولة القتل بالجوع كانت أشد قسوة .

وفى الوقت نفسه بدأت كما تذكرون محاولة عزلنا عن باقى الدول العربية المحيطة بنا .

اشتد الحصار الاقتصادى علينا ، وبذرت الشكوك بيننا وبين اخواننا ، بل ولفقت ضدنا الأدلة المزيفة .

وما اكثر ما تردد فى ذلك الوقت يا سيادة الرئيس اننا نتدخل فى الشؤون الداخلية لهذا البلد أو ذاك من البلاد المحيطة بنا ...

ولقد قيل فى ذلك الوقت أننا نتدخل فى شؤون لبنان الداخلية وقيل فى ذلك الوقت أننا نتدخل فى شؤون الأردن الداخلية ، بل وجرى الإدعاء على حد إتهامكم معنا فى مؤامرة تستهدف السيطرة على الأردن واتخذ ذلك ذريعة للقيام بانقلاب على الحكم الوطنى فى الأردن .

وقيل فى ذلك الوقت أننا نتدخل فى شؤون المملكة العربية السعودية الداخلية وفى شؤون السودان وفى شؤون ليبيا ، وفى شؤون تونس .

ومن عجب يا عزيزى الرئيس انكم فى رسالتكم بتاريخ ١٢ أبريل أكملتم الطريق إلى الحد الذى اتهمونا فيه بالتدخل فى شؤون الاتحاد السوفييتى الداخلية .

ويا له من طريق طويل ، ذلك الذى قطعه تدخلنا المزعوم فى الشؤون الداخلية لغيرنا منذ بدأنا نحاوله فى الأردن وحتى وجدنا الجراة على ان نمارسها فى الاتحاد السوفييتى ذاته .

وعلى اى حال فقد كان موقفكم من تهم التدخل التى وجهت إلينا فى الماضى تختلف عن موقفكم الآن ، ولقد كان واضحا فى ذلك الوقت أنكم تعرفون دور الاستعمار وتدركون خطته ، وكانت إذاعاتكم وصحفكم بل وتصريحاتكم شخصيا فى ذلك الوقت ، من اكبر العوامل الفعالة فى كشف المؤامرة الموجهة إلى عزل مصر عن العالم العربى والتى اشتهرت باسم مشروع ايزنهاور .

بل ولقد مضيتم يومها فى مشاركتنا فى دفع خطر هذه المحاولة لتحقيق اهداف العدوان بوسائله المختلفة إلى حد إيجابى ، حينما استجبتم لما طلبناه منكم فى إرسال بعثة من بلادنا توجهت إلى عاصمتكم برئاسة المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ونائب رئيس الجمهورية يطلب منكم المساهمة فى تمويل مشروعاتنا الصناعية التى وجدنا انه لابد لنا من القيام بها لمواجهة الحصار الاقتصادى وحرب الجوع الموجهة إلينا .

ولقد تمكنا بفضل روح التعاون التى لقيتها بعثتنا فى عاصمتكم ، وبفضل الجهود التى كنتم تبذلونها شخصيا ، من الوصول إلى اتفاقية للتعاون الاقتصادى ثم توقيعها فى ١٨ من نوفمبر ١٩٥٧ ، وبمقتضاها وضعتم تحت تصرفنا مبلغا يساوى ٦٢ مليونا من الجنيهات قرضا يسدد على آجال طويلة ويخصص لمشروعات التنمية الاقتصادية فى بلادنا .

وينبغى ان اذكر لك هنا ونحن نتحدث بهذه الصراحة فى محاولة جادة لتصفية اسباب الظلام الذى بدأ يسود علاقاتنا ـ أن البعثة المصرية فى موسكو واجهت بعض ما اثار انتباهها فلقد جرى حديث بين السيد تسائيسيف رئيس قسم الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية السوفييتية وقتها ، وهو يتولى منصب السفير السوفييتى فى العراق الآن ـ وبين ثلاثة افراد من افراد البعثة المصرية هم اللواء حافظ إسماعيل نائب رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، واللواء عبد العزيز مصطفى قائد المشروعات ، واللواء جمال عفيفى مدير العمليات فى سلاح الطيران ـ وفى هذا الحديث الذى دار فى قصر الكرملين سمع الثلاثة من السيد تسائيسيف ما ملخصه :

« أن الحياد الدولى خرافة » .

وانه يتعين على مصر ان تختار معسكرا دوليا تنضم إليه وانها لن تجد القوة الحقيقية إلا إذا انضمت لمعسكر قوى ثم استطرد السيد تسائيسيف يقول لهم :

« لماذا تخافون من الشيوعية ، تقبلوها ونحن نقويكم ونداقع عنكم ، إن الحياد لعب على الحبل لا يطول أمره » . ولقد رأى المشير عبد الحكيم عامر رئيس البعثة المصرية بعد ان نقل إليه هذا الحديث أن لا يثيره على نطاق واسع خوف التاثير الذى يمكن ان يلحقه بالعلاقات بيننا ، وفضل ، وفضلت معه ـ حين وصلنى الأمر ـ أن لا نصنع منه ازمة تكدر العلاقات بيننا .

وعلى اى حال فلقد أقنعنا التعاون ـ الذى بدا خلال مفاوضات التعاون الاقتصادى ، والنتائج التى انتهت إليها ـ بان السيد تسائيسيف كان يتحدث بارائه الشخصية ، ومن سوء الحظ أن بعض التطورات الأخيرة والجهود التى يبذلها السيد تسائيسيف نفسه كسفير

للاتحاد السوفييتى فى العراق ، قد بدات توحى بان الأمر اكثر من مجرد الآراء الشخصية لسفير .

ولقد مضى برنامج التعاون الاقتصادى بيننا على اى حال وبدا يحقق الآمال المعلقة عليه وكانت مناقشته فى مجلس الأمة المصرى فرصة اتخذناها للتعبير مجددا عن شكرنا للاتحاد السوفييتى .

وهنا ينبغى - يا سيادة الرئيس - ان أرد على ملاحظاتكم التى وردت فى خطابكم عن المساعدة الاقتصادية وكيف انكم لا تفرضونها على احد لا يريدها .

واحب ان أؤكد لك يا سيادة الرئيس اننا نحن الذين سعينا إلى معونتكم الاقتصادية وطلبناها بشجاعة وشرف .

وأؤكد لك ايضا اننا لازلنا نتمسك بها ولا نعتبرها قيدا على حريتنا ، نقول لك ذلك بشجاعة وبشرف ايضا .

والدليل على ذلك انها لم تمنعنا ان نبدى لك راينا - بشجاعة وبشرف - فيما بدا لنا من مواقفكم تجاهنا .

وسيظل ذلك دائما موقفنا ، من غير إدعاء ومن غير ضعف ، وإننا نتصور انك خلال معرفتك بتاريخنا تتفق معنا فى هذا الراى .

وعلى اى حال فقد بدأ العمل بيننا بوضع اتفاقية التعاون الاقتصادى موضع التنفيذ .

وهنا ايضا حرصنا على ان نضعها امام الراى العالمى كنموذج حى من نماذج تطبيق روح باندونج للتعاون الدولى غير المشروط فى سبيل التنمية الاقتصادية .

وإن الأحاديث الصحفية ، والخطب ، ومقالات الصحف ، وإذاعات الجمهورية العربية المتحدة ، لتحفل فى تلك الفترة بالإشادة بكم وبتعاونكم المخلص على اساس التعايش السلمى مع الدول التى تختلف عنكم فى مناهجها الاجتماعية .

وحاولنا ، بل ونجحنا تماما ، فى أن نزيل من أذهاننا كل اثر لملاحظات السيد تسائيسيف ولكن سوء الحظ قضى ان تعود التطورات إلى تذكيرنا بها ، إذ راح ما حدث فى موسكو يتكرر على نمط متشابه مع ما بدأ يحدث فى دمشق حين اخذ موضوع الوحدة الدستورية بين مصر وسوريا طابعا عمليا فى بداية عام ١٩٥٨ .

ولقد كان من حقنا ان نتساءل عن حقيقة موقفكم من هذه الخطوة التى تضع حلما عربيا خالدا موضع التنفيذ بعد كفاح طويل مرير استغرق مئات السنين .

كان من حقنا يا سيادة الرئيس أن نتساءل والشواهد أو مظاهرها تشير إلى ان الاتجاه الجديد إلى الوحدة لا يلائم ميولكم ورغباتكم .

ولقد كان مما يشير إلى هذا تلك الاقوال والملاحظات والعبارات التى صدرت عن افراد سفارتكم فى دمشق ، ولعلكم تذكرون يا سيادة الرئيس اننى فى هذه الفترة بعثت إليكم بنماذج مما جاءنا نقلا عن هؤلاء الأفراد من سفارتكم ولعلكم تذكرون أننى سالتكم عما إذا كان ذلك يعبر عن راى الحكومة السوفييتية وكان الرد الذى تلقيته بالنفى .

وكان مما يشير إلى اتجاهكم من الوحدة موقف الحزب الشيوعى السورى الذى عز عليه

ان يتقبل الإجماع الشامل للشعب السورى ، وكان النائب الشيوعى هو النائب الوحيد الذى فضل ان يهرب من البلاد كلها كى لا يرى الشعب يحقق بنفسه ما يريد .

ولقد تاكد لنا ان تصرفات هذا النائب الشيوعى تشير إلى اتجاهكم عندما وجدناه يلجا إلى بعض بلدان الكتلة الاشتراكية ، ثم زاد على ذلك اخيرا ان وقف بجواركم فى احتفال المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعى وراح يتهجم على حكومة بلاده الأمر الذى سبب لنا مزيدا من القلق والانزعاج ومبعث هذا القلق والانزعاج ليس فيما يمكن ان يحدثه كلام هذا الهارب ، فإن نتيجة الاستفتاء على الوحدة فى سوريا كانت بمثابة تصفية نهائية لكل ما يدعيه وإنما كان مبعث القلق والانزعاج ان تنتهك مبادىء التعايش السلمى بهذا الشكل العلنى ، وان يضار شعور إجماع الشعب ، من اجل فرد ثبت انه لا يمثل من الأمة شيئا .

كذلك كان مما يشير إلى اتجاهكم ان الاتحاد السوفييتى بعد إعلان الوحدة فى اول فبراير من القاهرة ظل اكثر من اسبوعين حريصا على الامتناع عن إبداء رايه فيها سواء عن طريق رجاله الرسميين أو عن طريق إذاعته وصحافته التى تنطق دائما بوجهة النظر الرسمية .

وعلى اى حال فلقد كان لحكم الطبيعة وحكم التاريخ وحكم المستقبل ان ياخذ مجراه فتحققت الوحدة .

وبدات اتطلع إلى فرصة نجتمع فيها ونتبادل فيها وجهات النظر ونتعرف معا على مشاكل كل منا ونظرته للأمور ، لذلك كانت سعادتى غامرة ان اتيحت لى فرصة زيارة بلدكم العظيم فى شهر ابريل من سنة ١٩٥٨ ، وكانت تلك اول زيارة لى خارج بلادى بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد كنت اتطلع إلى حديث مفيد وإلى مناقشات مجدية وإلى استقرار فى العلاقات بين بلدينا وإلى دعائم من الفهم المستنير تقوم عليها هذه العلاقات .

والعجيب يا سيادة الرئيس اننى عدت إلى وطنى وفى تصورى ان جزءا كبيرا من ذلك قد تحقق ، ولكننى وجدت اخيرا ان الصواب لم يكن معى فيما تصورت .

ولقد هالنى يا سيادة الرئيس - أؤكد لك - ان اقرا فى خطابك الاخير بعض ما تبين انك فهمته مما قلته لك فى الاجتماعات بيننا فى بلادك .

وأؤكد لك اننى لا أستطيع ان أتصور ان اى اخطاء فى الترجمة مهما كانت فداحتها كان يمكن ان تؤدى إلى هذا التباين بين ما دار بيننا كما اراه ، وبين ما رايته انت على حد ما جاء فى خطابك لى .

وينبغى أن اقول لك فى صراحة اننى لم اجد نفسى ولا وجدت آرائى التى أؤمن بها فى بعض ما ورد فى خطابك ، وإنما واستسمحك العذر ، وجدت شيئا اقرب ما يكون إلى روايات صحف الغرب فى حملاتها العنيفة التى كانت تستهدف تشويهنا .

من ذلك مثلا ما تناول حديثنا فى موسكو عن الأوضاع فى البلاد العربية المجاورة لنا .

ولقد رويت أننى سالتك عما يمكن عمله لتغيير الأوضاع فى هذه البلاد بالقوة واننى سالتك العون وانك اسديت لى بان امتنع عن التدخل إلى آخر ما جاء فى خطابك حول هذا الموضوع .

لقد هالتنى - أؤكد لك يا سيادة الرئيس - هذه الرواية كما جاءت فى خطابكم فإنها فى سياقها وتفاصيلها ابعد ما تكون عن الحقيقة .

ولقد كان ما حدث ولعلكم تعيدون التحقق من المترجم الذى كان ينقل حديثنا - اننى سألتك :

- ماذا سيكون موقف الاتحاد السوفييتى إذا حدثت محاولة من الداخل لتغيير الأوضاع فى البلاد القريبة منا والتى تخضع لنفوذ الاستعمار ؟

بل لقد حددت سؤالى بعد ذلك صراحة اثناء المناقشة .

- هبوا ان ثورة حصلت فى العراق او فى الأردن ثم تبعها تدخل إسرائيلى بالاشتراك مع الدول الاستعمارية ، فماذا يكون موقف الاتحاد السوفييتى فى هذه الحالة ؟

ولعلك تذكر يا سيادة الرئيس وانى لاذكر قطعا انك قلت لى :

- اننا نفضل ان لا يحدث شىء ، ونفضل ان يتم اى تغيير بالوسائل السلمية وقلت لك :

- ان احتمالات حدوث حركة داخلية بالوسائل السلمية فى هذه البلاد التى يسيطر عليها الاستعمار والرجعية قليل ، والخوف هو ان نفاجأ بأمر واقعى من جماعات وطنية متحمسة لا تستطيع ان تترك الاستعمار يضربها ويسحق آمالها وقلت لى :

- إذا كنت تستطيع الإتصال بهذه الجماعات فاستعمل نفوذك معها لكى لا تتحرك .

وقلت لك :

- إن الذى يفكر فى عمل من هذا النوع لا يتصل بى وإنما الذى اخشاه ان نفاجأ بامر واقعى لم نتأهب له .

ولقد انتهت مناقشتنا دون ان أحصل منك - كما لعلك تذكر - على رد إيجابى للمشكلة التى كان واضحا اننا سنواجهها يوما ما فى الشرق الأوسط ، ولقد تحقق ما كنا نتوقعه فعلا . بل واثبتت التطورات اننا لم نكن نتعجل الحوادث .

ومن العجيب ان ما ورد فى خطابك يبين انك تصورت الأمر على عكس ما كنت اقصده ، فلم يخطر ببالى على الإطلاق ان نكون فى موقف المهاجم وإنما كنت اريد ان نكون فى وضع المستعد للدفاع ، وكيف كان يخطر ببالى مثلا ان اتصدى لمهاجمة الأوضاع بالقوة فى بلاد يسيطر عليها حلف بغداد بكل الإمكانيات العسكرية له وللدول المشتركة فيه .

كذلك لم يخطر ببالى ان يرتفع سلاح عربى ضد بلد عربى ولقد واجهت فى الماضى من الاستعمار استفزازات لا حد لها عسى ان تفلت منا اعصابنا ونخرج عن قاعدة التزمنا بها خلال تاريخ طويل ، ولقد خابت استفزازات الاستعمار واحدة بعد واحدة .

وإنه ليدهشنى انك تصورت انى اريد عونك فى مغامرة عسكرية ضد بلاد عربية ، وكيف يمكن ان يستقيم ذلك ونحن نعتبر اى تهديد لأى بلد عربى مهما كانت ظروفه تهديدا لنا ، وإذن فكيف يمكن ان ندفعك إلى مكان نجد انفسنا مرغمين على التصدى لك فيه - تضامنا مع شعوب امتنا - حين تتعرض لتهديد منكم .

كذلك لو ان تغيير الأوضاع بالقوة فى العراق او فى الأردن كان مما يمكن ان يخطر ببالى لما كان اسهل محاولته على الأقل ولقد كان الجيش السورى فى الأردن وما كان اسهل إصدار

الأمر بالقتال ولكن ذلك شىء لا تأباه مبادئنا فقط بل تنكره كل قطرة من الدم العربى الذى يسرى فى عروق شعبنا .

وانى لأخالك ايضا يا سيادة الرئيس ، تستبعد ان يكون الحديث فعلا قد جرى بيننا على النحو الذى يرويه خطابكم وذلك فى رايى سبب إصراركم على تكرار انكم تعتمدون على المحاضر التى كتبها المترجمون خلال اجتماعاتنا اما انا فقد كنت اعتمد على ذاكرتى .

والواقع اننى لم اكن احمّل ذاكرتى فوق ما تطيق فإنى كنت دائما بعد كل اجتماع من اجتماعاتى بكم اعقد لجنة من وفدنا اروى لها ما حدث ونسجله فى محاضر ولقد كانت دهشة افراد هذه اللجنة لبعض ما ورد فى خطابكم عميقة ومن هؤلاء السيد اكرم الحورانى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة الذى أبدى استغرابه لما جاء فى خطابكم من اننى شكوت لكم منه وهو امر غير جائز الحدوث لا من ناحية المبادىء التى أؤمن بها وإنما من الأخلاق التى لا تنفصل فى رايى عن السياسة ولعل اكثر ما عانيناه فى تجاربنا السياسية اننا كنا لا نساوم على المبادىء ولا نفصل الكرامة عن المصالح .

وإنى لأذكر تماما ، ويذكر زملائى ، وتسجل المحاضر التى امليتها فى اعقاب اجتماعاتنا مباشرة ، ذلك الحديث الذى دار بيننا وجرى فيه ذكر الوحدة .

ولست اذكر أنك لم تبد رضاءك الكامل عن الوحدة ولم يكن بيدى ما افرض به عليك الاقتناع ، ولقد حدثتنى عن زعماء الأحزاب فى سوريا وقلت لك ان العناصر الوطنية فى سوريا كلها على وجه التقريب تشترك معى فى الوزارة وعددت لك هذه الأسماء ، وسألتك من غير هؤلاء الذين عددتهم لك تعنيه بإشارتك وقلت لى ولعلك تذكر : العظم .

وفهمت انك تشير إلى السيد خالد العظم .

ولم اسمح لنفسى أن امضى فى مناقشة معك حول الأشخاص فانتقلنا من الموضوع إلى غيره .

وإذا كان ما ورد فى خطابكم عن اجتماعنا الأول فى موسكو قد هالنى فلقد هالنى ايضا وبطريقة اشد ما ورد فى هذا الخطاب عن اجتماعى الثانى بكم فى موسكو فى يوم ١٦ يوليو فى اعقاب ثورة العراق .

ولقد كان الاجتماع بكم اول ما خطر ببالى بعد ان وقعت الثورة فى العراق وهو امر كنت اتوقعه على نحو ما دار بيننا من مناقشات فى اجتماعنا الأول فى موسكو .

لقد قامت عناصر وطنية من جيش العراق بما كنا نحسب حسابه ، ولم يكن جائزا فى تصورنا ان نترك الاستعمار يسحق الثورة الوطنية فى مهدها ، ولقد كان موقفنا واضحا فى اننا سنقف بجانب هذه الثورة مهما كانت النتائج .

اما موقفكم منها ومنا فى هذه الحالة فلقد خطر ببالى انه ربما تكون الظروف ملائمة بعد التطور الجديد لكى اسمع منكم ردا واضحا على السؤال الذى وجهته لكم افتراضا فى اجتماعنا الأول فى موسكو خصوصا وقد تكلفت الحوادث بتحويله من مجرد افتراض إلى امر واقع .

وكان هذا السبب المباشر فى اننى طلبت ان اجتمع بكم فى اى مكان يناسبكم وقررتم ان يتم اجتماعنا فى موسكو ومن سوء الحظ اننى لم استطع ان احصل منكم على جواب واضح

عن السؤال ، الذى طرحته من قبل كما قلت لكم افتراضا فى شهر ابريل ، ثم طرحته الحوادث واقعا فى شهر يوليو وانكم الآن تعللون عدم حصولى على إجابة وافية منكم عليه لأنكم كنتم تخشون من ان تشجعنى معرفتى بمساعدتكم غير المحدودة على الاندفاع إلى عمل عسكرى يزيد الموقف خطرا .

ومع ان هذا التعليل لا يقنعنى فإننى اود ان اتساءل ما هو العمل العسكرى الذى كان يمكن ان اندفع إليه ؟ ولقد كنا وقتها وكانت ثورة العراق الوطنية فى مهدها ، نقف موقفا دفاعيا بحتا . وكان الأسطول الأمريكى السادس يقذف بحارته على الشاطىء اللبنانى ، كما كان جنود المظلات البريطانيون يهبطون فى الأردن فهل كان العقل يتصور انه فى إمكاننا ان نقوم بإجراءات هجومية .

هل كان من المتصور مثلا يا سيادة الرئيس ـ لو اننا علمنا انكم على استعداد للوقوف معنا ـ ان نبادر بالهجوم على الاسطول الأمريكى السادس بوحداته المسلحة بالأسلحة النووية والقذائف الموجهة .

أو هل كان من المتصور مثلا ان نهاجم مناطق احتشاد جنود المظلات البريطانيين فى الأردن ، أو القواعد التى يطيرون منها فى قبرص .

لعلك يا سيادة الرئيس توافقنى ان تلك كلها تعليلات تدعو إلى الاستغراب .

كذلك يدعو إلى الاستغراب ما جاء فى خطابك انك فهمته عن طلباتنا العسكرية فى ذلك الوقت .

ولقد طلبت منكم عددا من قاذفات القنابل وهذا صحيح وهو طلب عادى للسلاح .

وطلبت منكم ايضا بعض صواريخ المدفعية متوسطة المدى ، ولقد قلت فى خطابك وهذا حق اننى طلبت صواريخ إلى مدى ٥٠ أو ٧٠ ميلا ولقد ادهشنا ايضا تعليقك على هذا الطلب بانك قلت لى ان الصواريخ المتوسطة التى يملكها الاتحاد السوفييتى هى لمدى من ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ آلاف ميل ، فلقد حددت ما طلبت وحددت مداه ولعل الترجمة واللبس بين كلمة Rockets وهو ما طلبته ، وكلمة Missiles وهو ما لم اطلبه ، هو المسئول عن هذا الخطا ، وإن كان من الصعب الاطمئنان إلى هذا التفسير فى هذه الواقعة بالذات على ضوء هذه السلسلة من الاختلافات بين الواقع كما جرى ، وبين روايتكم له كما جاءت فى خطابكم بتاريخ ١٢ ابريل .

ومهما يكن من امر فلقد عدت بعد لقائنا من موسكو إلى دمشق وكان الموقف كما لخصته للوزراء فى الجمهورية العربية المتحدة حين اجتماعى بهم .

« إن علينا ان نعمل لأحسن الاحتمالات ، وان نستعد لأسوئها » .

ولقد كنا دائما نؤمن بالسلام ، إن لم يكن ايمانا منا بالمبادىء فلأننا على الأقل لا نملك سلاح الحرب ، ولكن ايماننا بالسلام ، والسلاح المحدود الذى نملكه ، لم يكن يمنعنا ان نستعد باتخاذ الوسائل الدفاعية ضد من يتربص بسلامة بلادنا .

ولقد كانت ثورة العراق بداية فى نفس الوقت للأزمة الطارئة على علاقاتنا ، وإن كان

الكثير مما ورد فى خطابكم قد فتح عيوننا إلى أن اسباب سوء الفهم بيننا كانت تمتد ـ على غير علم منا وعلى غير قصد وعلى غير اساس ـ إلى ما قبل هذه الثورة بكثير كما اوضحت لسيادتكم فى مناقشة مارويتموه عن اجتماعاتنا الأولى والثانية فى موسكو والتصادم الشديد بيننا وبين الحقيقة التى يؤيدها منطق الحوادث نفسها من غير اعتماد لا على ذاكرتكم ولا على ذاكرتى .

ولقد كنت اتصور انكم اول من يقدر موقفنا المجرد من الأنانية فى نصرة ثورة العراق ، فلقد لمستم بانفسكم استعدادنا للتضحية ، كذلك كنتم انتم اول من لفت انظارنا إلى المخاطر التى تعرضنا لها فى هذه الفترة ، وانى لأستعيد الآن فى ذاكرتى الجهود التى بذلتموها لتامين سلامة عودتى إلى الوطن وكيف انكم طرحتم امر هذه السلامة على مخابراتكم لترتيب خطة لها تولى امرها الجنرال سيروف وزير الأمن لديكم فى تلك الظروف ، كذلك استعيد فى ذاكرتى مشاهد حفاوتكم الحارة بى إلى الحد الذى دفعكم مشكورين وقتها ان تقترحوا شرب نخبى كزعيم لجميع العرب ، واود ان اعقب لكم هنا فى صراحة وأمانة اننى عددت النخب مجاملة كريمة لى لا اكثر ولا اقل ، فليست زعامة جميع العرب هدفا اسعى إليه ، كذلك فإن هذه الزعامة لا تخلع على أى عربى من خارج الوطن العربى ولا من غير الشعوب العربية ، وانما ذكرت هذه الواقعة لأنها هى الأخرى تتصادم مع ما ورد فى خطابكم من اننى حاولت بعد ثورة العراق ان افرض على شعبه قيادة معينة وان هذا من أسباب الأزمة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين جمهورية العراق وبالتالى كان هذا بدوره احد مسببات الظلام الذى بدأ يسود علاقاتنا .

قلت لسيادتكم اننى كنت اتصور ان تكونوا اول من يقدر موقفنا المجرد من الأنانية فى نصرة ثورة العراق ، كنت اتصور ذلك لا لأنكم كنتم قريبين من الحوادث التى احاطت بالآثار التى ترتبت فجاة على قيام الثورة فحسب ، ولكن لأننى كنت اتصور انكم اقدر من غيركم على فهم طبيعة الحوادث فى المنطقة وعلى فهم تيارات التاريخ الكبرى وعلى فهم التفاعلات النفسية والاجتماعية العميقة التى تصنع التطورات .

ولقد كان اول دليل عملى يؤكد تصورنا هذا هو موقفكم الظاهر منا فى ازمات مفتعلة اثارها الاستعمار ، واتهمنا فيها تجاه دول عربية معينة بنفس ما يتهمنا به الحزب الشيوعى فى العراق اليوم بالنسبة للعراق .

فى تلك التجارب السابقة يا سيادة الرئيس ، وفى مواجهة مثل الحملات التى نتعرض لها الآن ، كان موقفكم يعكس إدراكا صحيحا للدوافع التى تملى على الاستعمار حملات التشهير التى يقوم بها .

ومن ناحية أخرى يا سيادة الرئيس فقد كنت اتصور ان المرات التى اتيح لى فيها ان احدثكم عن القومية العربية استطاعت ان تضع امامكم صورة اجلى لحقيقة ايماننا بالقومية العربية .

ومن عجب اننا الآن نسمع من دوائر مختلفة هجوما على القومية العربية كاساس .

ومن الناحية العلمية ـ إذا جاز لى أن انتهز فرصة هذا الخطاب لمناقشة علمية ـ فما هى عناصر القومية .

فى رأيى انها باختصار ، عقل مشترك ، وضمير مشترك .

فاما عقل الأمة فهو اللغة .

واما ضميرها فهو التاريخ .

وفى حالة القومية العربية فانكم لتجدون ان شعوب المنطقة فضلا عن اعتبارات شتى ، مادية وروحية ، تشترك فى اكبر ما يمهد للقومية الواحدة ، العقل الواحد ، والضمير الواحد .

كذلك فاننى واثق انك تذكر ، ولقد قلت لك ، وكررت ما قلته فى عديد من الخطب التى القيتها فى مناسبات مختلفة وهى ان القومية العربية فى رأيى تضامن ، وليست إطارا دستوريا بحال من الأحوال ، ولقد يجوز ان تتحول بإرادة الاجماع إلى إطار دستورى ، ولكن التضامن هو الأساس الأول .

وانى لأشعر ان سجل استعدادنا للتضامن مع ثورة العراق هو مما يحق لنا ان نفخر به ، ولقد بدأ هذا التضامن منذ وقت طويل ، انا واثق يا سيادة الرئيس انك تعلم ان عددا من قادة ثورة العراق ، وبينهم اللواء عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية قد اتصلوا بنا قبل الثورة وطلبوا ان نساعدهم فى تخطيطها كما سالونا عن الضمانات التى يمكن ان نقدمها إليهم فى حالة فشلها ، ولم تكن نصيحتنا إليهم هى نصيحة من يريد التدخل فى شؤون غيره او يفرض عليهم وصاية ، وإنما كانت نصيحتنا لهم ان يحفظوا امرهم سرا حتى علينا ، وان لا ينشدوا العون إلا من شعبهم ، وان لا يتولى وضع خطة الثورة الا الذين سوف يقع عليهم عبء تنفيذها ، كذلك قلنا لهم ان الثورة فى العراق يجب ان تظل فكرا وتصميما وعملا وحيا عراقيا خالصا .

وبعد ان نجحت ثورة العراق ، وبذلنا كل ما بذلناه لتأمينها ، لم يتغير رأينا ، ولقد ظلت نصيحتنا الصادقة الأخوية لهم ، وكان السيد كامل الجادرجى آخر من سمعها منا من ساسة العراق ، هى ان لا يشغلوا انفسهم فى الوقت الحاضر بالصور الدستورية للوحدة او الإتحاد وإنما الأجدى لهم وللأمة العربية كلها ان يتوافروا على إنجاح الثورة داخل العراق وذلك بدفع أهدافها الحقة إلى خدمة الجماهير على أن اقصى ما نطلبه منه هو التضامن العربى فى شكل اتفاقيات اقتصادية وثقافية وعسكرية تنسق نشاط الشعبين بما يعود بالخير المشترك عليهما وعلى الأمة العربية كلها .

ومن سوء الحظ يا سيادة الرئيس أن الحزب الشيوعى فى العراق ـ الذى عاد افراده من المخابىء التى هربوا إليها فى حكم نورى السعيد ـ اراد انتهاز الفرصة للسيطرة على ثورة العراق ودفعها إلى الوجهة التى تناسب ميوله فاستغل خلافا شخصيا نشب بين اللواء عبد الكريم قاسم ، وبين نائبه العقيد عبد السلام عارف لكى يخلق جو من البلبلة يساعده على تحقيق اغراضه ، وهو خلاف كان رأينا وتصرفاتنا العملية شاهد على ذلك ودليل ، أنه ينبغى ان يترك اللواء عبد الكريم قاسم قائد ثورة العراق يسويه على النحو الذى يجده اكثر ملاءمة لأهداف الثورة وسلامتها ، ولكن الحزب الشيوعى فى العراق بدأ يثير الفتنة لا بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وحسب ، وإنما مد نشاطه إلى الإساءة للعلاقات بين جمهورية العراق والجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك باثارة مناقشة مفتعلة عن المفاضلة

بين الوحدة والاتحاد ، مالبثت ان تطورت إلى هجوم سافر ضد فكرة الوحدة الأمر الذى اظهر أن الهدف هو التأثير فى الأوضاع فى سوريا ، ولقد تجلى ذلك بوضوح خلال التعاون الوثيق بين الحزب الشيوعى العراقى والحزب الشيوعى السورى ، ثم اتخذ هذا التعاون شكل نشاط سافر سواء فى الاقليم السورى من الجمهورية العربية المتحدة او فى جمهورية العراق .

ولقد بدأت فى الاقليم السورى تحركات مريبة تستهدف تعكير صفو الاستقرار واتخذ ذلك فى بعض الأحيان اشكالا لا يسهل تصديقها للوهلة الأولى ومن بين النماذج على ذلك هجوم الحزب الشيوعى السورى على قانون الإصلاح الزراعى ، الذى كان هدفه ان يتيح لأكبر عدد من الفلاحين فى سوريا فرصة ملكية الأرض ، كذلك كان هدفه تحطيم الإقطاع ، ومن ذلك ايضا نشاط الحزب ضد الوحدة وهو نشاط كان واضحا انه ليس موجها ضد الاستعمار ، ولعلك توافقنى يا سيادة الرئيس أن قيام الجمهورية العربية المتحدة كان تتويجا للكفاح ضد الاستعمار ، وكان الحصن الكبير الذى تلتمس الحماية لديه ، كل حركات التحرير فى الوطن العربى .

ووصل الأمر بالحزب الشيوعى السورى إلى حد ان رئيسه بدأ يدلى بتصريحات علنية نشرتها صحف تنطق بلسان الاستعمار كما تعلمون ، كذلك روجت لها إذاعات بعض الدول الاشتراكية ، وصورت هذه التصريحات هجوما عنيفا على الوحدة قصد به تقويض دعائمها وهو امر لا يختلف انسان من العرب فى انه لا يتوجه إلى حرب الاستعمار .

وفى تلك الفترة وكان السيد نور الدين محيى الدينوف يزور القاهرة سمحت لنفسى ان احدثه فى هذا الموضوع صراحة وسألته عما إذا كان نشاط الأحزاب الشيوعية فى سوريا وفى العراق يعكس وجهة نظر الاتحاد السوفييتى ولقد كانت اجابته علىّ صراحة هى النفى والإنكار .

ولابد انك علمت بما دار بيننا من مناقشات ولعلك تذكر ان موضوع نشاط الأحزاب الشيوعية المحلية فى منطقتنا كان موضوع مناقشة بيننا فى اجتماعنا الأول فى موسكو فى ابريل ١٩٥٨ .

ولعلك يا سيادة الرئيس تذكر اننى اشرت فى حديثى معك إلى نشاط الأحزاب الشيوعية فى الجمهورية العربية المتحدة وهو نشاط كنا نعتبر انه يخرج عن الخط الوطنى فى بعض الأحيان بحيث لا يخدم إلا مصالح اعداء وطننا ، وكنت اخشى ايضا ان يفسر اى إجراء نتخذه ضد هذه الأحزاب على انه موجه إلى الاتحاد السوفييتى لذلك رأيت رعاية لمشاعركم واحتراما لها ان اثير الموضوع مبتدئا معكم فى موسكو ولقد قلت لكم وقتها :

« اننى ارجو ان لا يفسر اى إجراء نتخذه ضد الأحزاب الشيوعية فى بلادنا بانه عمل عدائى ضد الاتحاد السوفييتى » .

ولقد قلت لك أن كثيرين منهم ينتمون فى الواقع إلى اسر إقطاعية ورأسمالية وانه ليس يكفى ان يضع اى واحد منهم لافتة فوق رأسه بانه شيوعى ومن ثم يصبح شيوعيا واضفت ان لدينا فى الاقليم المصرى مثلا ثلاثة احزاب شيوعية او هكذا تدعى وكل منها فى منشوراته يتهم الآخر بالمروق والانحراف ويصل تبادل التهم بينهم إلى حد الخيانة ، ولا نستطيع نحن ان

نحدد من هو الشيوعى الحقيقى ومن هو غير الشيوعى ، ونكاد فى خاتمة المطاف نصدق فيهم جميعا ما يقولونه فى بعضهم جميعا .

وانى لأذكر انك نظرت إلىّ فى ذلك اليوم وهززت راسك ، ولم اجد ان اطيل فى مناقشة هذا الموضوع معك ، واعتبرت اننى اخطرتك بحقيقة موقفى حتى لا نفاجأ يوما حين نضطر إزاء نشاطهم المعادى لمصالح الشعب إلى إجراءات ضدهم وحينئذ قد يتبادر إلى الأذهان اى تفسير لا ينطبق على الحقيقة خصوصا وانه فى ذلك الوقت سوف تحاول صحف الاستعمار ودوائره ان تضف من الملابسات على تصرفنا ما قد يفسر فى ظاهره على انه فتور فى العلاقات يومئذ .

ولقد ادهشنى يا سيادة الرئيس انه فى مناقشتك فى خطابك بتاريخ ١٢ ابريل ، لما قلته فى إحدى خطبى من ان الشيوعيين اتباع يتلقون التعليمات من الخارج ، انك عدت إلى مناقشتنا فى موسكو وذكرت ما قلته لك وقتها عن انقسام الشيوعيين فى الاقليم المصرى إلى ثلاثة احزاب ثم عقبت على ذلك بقولك : « انهم لو كانوا يتلقون التعليمات من الخارج لكان أول ما ينصحون به أن يوحدوا جبهتهم » .

ومن عجب انه ما كاد النشاط الشيوعى فى الجمهورية العربية المتحدة يشتد ، حتى توحدت الأحزاب الثلاثة وتناست ما بينها .

ولقد كان ذلك هو الذى فرض علىّ فى يوم الاحتفال بالجلاء عن بور سعيد فى يوم ٢٣ ديسمبر ان اشير إلى النشاط المعادى للوطن الذى تقوم به المنظمات الشيوعية او التى تدعى انها شيوعية ، وقصرت كلامى على هذه المنظمات فى حدود الجمهورية العربية المتحدة ، ولم تستغرق إشارتى اكثر من عشر سطور ولقد قصدتها ان تكون تحذيرا واضحا باننى لست على استعداد لان اسمح داخل الجمهورية العربية المتحدة باى نشاط لا يخدم إلا اهداف الاستعمار .

وفى هذا كان حديثى يتجه إلى المنظمات الشيوعية داخل الجمهورية العربية المتحدة ، ولم ارض فى ذلك الوقت حتى أن اشير إلى النشاط الشيوعى فى العراق ، وهو نشاط لم يكن يتجه مع الأسف إلى حرب الاستعمار ، وإنما كان مع الأسف ايضا يهادن الاستعمار ليتفرغ بطاقته كلها لضرب الجمهورية العربية المتحدة ، بل وفكرة القومية العربية أساسا .

ولعلكم لو طلبتم تقريرا عما كانت تنشره الصحف العراقية فى تلك الفترة لخيل إليكم ان الجمهورية العربية المتحدة ، وليس بريطانيا هى التى كانت تحتل العراق قبل الثورة وهى التى كانت تقيم صنائعها لحكم العراق ، ولخيل إليكم ايضا أن الجمهورية العربية المتحدة هى التى غللت شعب العراق بقيود حلف بغداد .

ولقد كانت الهدنة مع الاستعمار كاملة وكانت الحرب مع القوى الوطنية فى المنطقة على اشدها ، وتلك حقيقة لا مجال لإنكارها ولا يكفى لدحضها ان يقال جزافا ان الشيوعيين هم طليعة الصف المناضل ضد الاستعمار ، فان الشيوعيين كغيرهم من البشر كما لعلكم تذكرون ، عرضة للخطأ بل عرضة للانحراف .

ولقد احسست من تقرير بعث به إلىّ سفيرنا فى موسكو عن حديث له مع السيد نور الدين محيى الدينوف أن إشارتى إلى النشاط الشيوعى فى الجمهورية العربية المتحدة فى

خطاب ٢٣ ديسمبر قد حملت على غير محطها الصحيح فبعثت إلى السفير كما طلبت من كل وسائل التوجيه فى الجمهورية العربية المتحدة ان تشرح وجهة نظرنا فى الأمر تلافيا لأى سوء فهم .

وهكذا كرّسنا جهودا كبيرة لكى نشرح ان هجومنا لا يتجه على الشيوعية كعقيدة لأن ذلك ليس شاننا ، ونحن نفضل ان نشرح عقيدتنا الخاصة وتبلورها ، ولا نظن انها تكسب كثيرا بمحاولة هدم العقائد الأخرى .

كذلك كرسنا جهودا كبيرة لكى نشرح ان هجومنا لا يتعدى هؤلاء الذين يدعون الشيوعية فى بلادنا والذين نرى فى نشاطهم ضررا يلحق بوحدة الشعب ، وانه لا يخرج عن هذا الحد إلى المساس باى شيوعى غيرهم بل وعددنا فى هذا المجال ان ثمة افرادا ممتازين من الشيوعيين تقدرهم شعوبنا حق قدرهم وكنت انتم يا سيادة الرئيس على راس القائمة من هؤلاء الأفراد الممتازين .

ومن سوء الحظ مرة اخرى ان محاولاتنا على ما يبدو لنا الآن لم تكن كافية لشرح وجهة نظرنا ، فاننا ما لبثنا أن وجدناكم تتعرضون للموضوع فى خطابكم فى الحفل الافتتاحى للمؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعى .

ورغبة منا فى عدم توسيع شقة الخلاف ـ رغم ما ورد فى خطابكم من عبارات ـ ورغم بعض الملابسات التى احاطت بظروف إلقاء خطابكم ومنها ان جلس معكم على المنصة بعض الهاربين من الشيوعيين من بلادنا ـ وتعرض احدهم بما لا يليق بنائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ـ فإننا قصدنا أن لا نتعرض لهذا الخطاب بما قد يزيد سوء الفهم استحكاما . ولقد نشر أحد الصحفيين مقالا ناقش فيه عباراتكم بالفاظ ملؤها التقدير والاحترام ـ والتزم فيها الجانب الموضوعى التزاما دقيقا ـ فإذا صحف رسمية فى بلادكم وإذاعات تتهمه بانه عميل امريكى ، ومع ذلك فلقد شئنا أن لا نفتح بابا للخلاف لا يفيد منه إلا الاستعمار .

وكان ذلك ايضا هو حافزى حين بعثت إليكم برسالة مع السيد ديمترى كيسيليف اشرح لكم فيها ان صداقة الشعوب العربية لكم لا ترجع إلى نشاط الأحزاب الشيوعية ، بل هى بالرغم من هذه الأحزاب الشيوعية ، وانه لا يتفق مع الصواب فى تقديرى ان تنحازوا داخل بلادنا إلى اقلية لا تمثل شيئا من مجموع الشعب وتغامرون بتقدير الإجماع الساحق للشعب لكم .

وكان ذلك ايضا هو حافزى حينما سلمنى القائم باعمال السفارة السوفييتية فى القاهرة فى يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٩ خطابا منكم تردون فيه على الملاحظات التى حملها إليكم سفيركم فى القاهرة ، وبادرت باستعمال فقرات منه على الفور ـ قبل ان تمضى اربع وعشرون ساعة على تسليمه إلىّ ، وذلك فى خطابى يوم ٢١ فبراير لكى اقفل نهائيا باب الخلاف بيننا وبينكم ، وهو باب كنت ارى ان الاستعمار ، وان الاحزاب الشيوعية فى بلادنا مع الأسف الشديد تساعده فى ذلك ، يحاول جاهدا ان يفتحه على آخره .

ولقد كان يقال ، كما تعرفون ، انكم كنتم تقفون معنا لمواجهة حلف بغداد ، فلما إنهار حلف بغداد ، لم تعد لكم فائدة من الوقوف معنا .

وكان يقال ، كما تعلمون ، انكم إنما كنتم تستعملون القومية العربية لأغراض تكتيكية فى الحرب الباردة ، فلما تحققت لكم هذه الأغراض تغير موقفكم .

وكان يقال ، كما تعلمون ، انكم كنتم تتقبلون فكرة الحياد لما كانت المعركة بين الاستعمار وبين القومية العربية ، فلما وجهت الضربة القاضية إلى الاستعمار ، بعد الثورة فى العراق ، وبدا بعدها النشاط الشيوعى يشتد فى المنطقة ، بدأتم تخرجون عن تقبل فكرة الحياد فى المنطقة .

وكنا نرفض أن نصدق ذلك وغيره . رغم ما كانت الشواهد تشير إليه مما ينشر فى صحف العراق . وما يروجه الحزب الشيوعى فى الاقليم السورى ، وما تردده ، نقلا عنها ، إذاعات وصحف عديدة فى بلاد الكتلة الاشتراكية .

لذلك ، يا سيادة الرئيس تلقيت من خطابكم بعض الفقرات التى ترجح حسن النية من جانبكم ، وإذعتها فى خطابى بتاريخ ٢١ فبراير وكان هدفى ، كما شرحت لكم ، ان اسد الثغرة بيننا ، وأن افوت على الاستعمار فرصة تصور انه على وشك الظفر بها .

ولقد سافرت بعد ذلك الخطاب إلى الاقليم السورى ، وألقيت أكثر من عشرين خطابا ، لم اشر فيها بغير الود إلى الاتحاد السوفييتى ، بل وكذلك قللت جهد الامكان من الاشارة إلى المنظمات الشيوعية ، حتى تتاح الفرصة لاعصابنا جميعا أن تستوعب ضرورة العمل على سد الثغرة ، وعلى ضرورة استعادة الثقة الكاملة فيما بيننا .

وكنا نحاول ما وسعنا الجهد فى ذلك الوقت أيضا أن نصفى الخلافات التى لا سبب لنا ولا اصل ولا أساس . والتى اتصلت اتصالا بيننا وبين اللواء عبد الكريم قاسم ، ومضينا فى هذه المحاولة إلى حد اننا اقترحنا اكثر من مرة أن نجتمع باللواء عبد الكريم قاسم فى اى مكان ، حتى نصفى أسباب التوتر ، وحتى تتاح لنا الفرصة لنؤكد له اننا لا نريد أن نفرض عليه شيئا لا يريده ، ونبين له بالدليل العملى اننا لا نقصد غير التضامن العربى ، وأننا على استعداد لأن نسير مع كل بلد عربى إلى المدى الذى يرتضيه هذا البلد العربى ، وعلاقاتنا باليمن حتى مع قيام الإتحاد ، مثال حى لما نقول .

ولكن هذا الاجتماع ، مع الأسف ، لم يتم ، كما شوهت فى صحف العراق ، التى تنطق بلسان الحزب الشيوعى ، مقاصدنا من ورائه ، حتى فقد إدعى إدعاء اننا نريد أن نعيد عصر تقرير مصائر الشعوب بالاجتماع بين الحكام ، وهو أمر لم يخطر لنا على بال .

كذلك حاولنا فى خطب علنية ، اذيعت على الرأى العام العربى كله ، ان نناشد اللواء عبد الكريم قاسم أن يصد صوت الفتنة عن اذنيه ، حتى لا تكون الفرقة بيننا ، وانى لاحيلكم فى هذا الصدد على خطب عديدة القيتها فى مدينة المنيا وفى القاهرة وفى دمشق .

ثم كان ما وقع فى الموصل ، وهو أمر تنطق كل تفاصيله بانه كان من وحى العاطفة المندفعة اكثر ما كان وحيا لتدبير متآمر ، فلقد استفزت مجموعة من الضباط الشبان استفزازا

دفعهم دفعا إلى ما اقدموا عليه ، وكانت المفاجأة لنا ان الحزب الشيوعى فى العراق ، حتى قبل أن تتاح الفرصة الكاملة لتحقيق ما حدث فى الموصل وتقصى دوافعه ، بادر على الفور إلى اتهام الجمهورية العربية المتحدة ، الأمر الذى كان يدفع إلى زيادة العلاقات بيننا وبين العراق سوءا ، ولا يخدم مرةأخرى غير أهداف الاستعمار .

ومن سوء الحظ ، أن الحكومة العراقية انساقت ، ببعض اجهزتها الرسمية ، بما فى ذلك إذاعة بغداد ، والمحكمة العسكرية فيها ، إلى هذا التيار ، وهكذا اصبحنا امام ازمة عنيفة بالغة الخطر .

وفى ذلك الوقت ، كان خطابكم فى حفل تكريم الوفد العراقى بتاريخ ١٦ مارس ١٩٥٩ الذى اجد من واجبى أن أصارحكم بانه لا يتناقض فقط مع الحقيقة . وإنما يتناقض اولا مع كل ما كان يصدر منكم قبل ثورة العراق .

ولقد اثار هذا الخطاب فى نفوسنا ـ فضلا عما حواه من التجنى ـ ما لم يكن يسعنا عن ان نسكت عليه ، وما من شك فى انه بدا لنا نقطة تحول خطيرة فى علاقاتنا .

وينبغى أن أصارحك أن الاحتمالات التى رسمها امامنا هذا الخطاب بدت قائمة وقوية .

ولقد كان بين هذه الاحتمالات أنكم الآن غيرتم موقفكم تماما فبعد ان كنتم قبل ثورة العراق ، ويوم لم تكن الأحزاب الشيوعية عنصرا بارزا فى الميزان تتعاملون مع القوى الوطنية ، بدأتم الآن تفضلون ، وقد خرجت الأحزاب الشيوعية إلى النشاط الصريح ، ان تتعاملوا معها ، مهما تضاءل ما تمثله فى الكيان الشعبى .

كذلك كان بين هذه الاحتمالات ما بدا واضحا أمام شعوبنا أنكم رميتم بكل ثقلكم إلى جانب الأحزاب الشيوعية ، فلقد استمعت شعوبنا وشاهدت مدى ما يبذله هؤلاء من نشاط هدام ضد أوطانهم ومع اننا قابلنا ذلك بالصبر شهورا طويلة امتدت من أعقاب ثورة العراق مباشرة ، فاننا ما كدنا نفضح نشاطهم فى يوم ١٩ مارس ونسلط عليه الأضواء حتى خرجتم بعد أربعة أيام فقط إلى نصرتهم ، ولم تقتصر صراحتكم إلى مجرد نصرتهم ، وإنما امتدت المحاولة إلى إتهام الوطنيين بأنهم يتكلمون بلسان الاستعمار ، ثم تعرضتم للقومية العربية ذاتها ، وزدتم عليه التعرض للأوضاع الداخلية فى بلادنا .

ومعنى ذلك ، ان منطقكم كان يرتضى أن يهاجمونا فإذا ما رددنا بعد الصبر الطويل ، انبريتم للدفاع عنهم .

كذلك كان بين هذه الاحتمالات ، انكم توقفون الفكرة التقدمية حكرا على الشيوعيين وحدهم ، ناسون أن الأفكار التقدمية تستطيع أن تجد لها مجالا فسيحا للازدهار فى مجتمعات لا تؤمن بالشيوعية وهو أمر يتناهى فى غرابته ، كما لعلك توافقنى ، إذا ابتعدنا عن التعصب الفكرى ، كل منا لعقيدته .

وأنه لمن العجيب أن يكرس الشيوعيون فى الاقليم السورى جزءا كبيرا من نشاطهم لمقاومة الإصلاح الزراعى ، وما أظن ذلك ـ فى اى مقياس ـ يمكن أن يعتبر عملا تقدميا .

كذلك لا استطيع ان اتصور ان السكوت على الاستعمار ، وهو ما لا يزال الحزب الشيوعى العراقى متلبسا به فى وضح الشمس ، عملا تقدميا .

وإذا كانت هذه التصرفات كلها من الشيوعيين فى بلادنا عجيبة ، فلقد كان الأعجب منها ان تتصدى بنفسك ، ولك من المكانة فى نفوسنا ما تعرفه ، للدفاع عنهم ، وتبرير تصرفاتهم ، الأمر الذى لم يكن مفر من ان يربط بينهم وبين الاتحاد السوفييتى فى اذهان الناس فى بلادنا ، وما يترتب على ذلك من آثار لا يمكن ان تخدم مصلحة العلاقات بين بلادنا .

ولقد حوت خطبتك بتاريخ ١٦ مارس ، كما حوى خطابك الشخصى لى بتاريخ ١٢ ابريل ، دفاعا عن النظرية الشيوعية وشرحا وافيا لها .

ولست أريد ان اناقشك فيما قلت ، فإن احترام العقائد الاخرى من سمات مجتمعنا ، وإنما دعنى أؤكد لك اننا نحاول – وبمنهاج قد يختلف عن منهاجكم – ان نلبى حاجيات الجماهير الأساسية .

ولعلك ترى معى ان ذلك يستغرق منا عملا وجهدا وفكرا تجعلنا نعزف عن الدخول فى مناقشات لا طائل من ورائها ، وانك لتدرك يا سيادة الرئيس ان ثورة اكتوبر ، وقد مضى عليها الآن اكثر من اربعين عاما لم تصل بعد إلى ما تريدون تحقيقه تلبية لمطالب الجماهير .

ولقد بدات تجربتنا معا عن طريق المنهاج الاشتراكى الديمقراطى التعاونى منذ اقل من سبع سنوات ، ضاع منها جزء طويل كما تعلمون فى مواجهة مؤامرات الاستعمار وعدوانه ، ومع ذلك ، فان ما حققناه ، سواء للفلاحين او للعمال ، يمكن اعتباره بداية لبناء ايجابى ، خصوصا بعد ان تمكنا فى هذه الفترة من القضاء تماما على سيطرة الاقطاع ، وعلى سيطرة راس المال على الحكم .

وإذا كنا فى هذه المرحلة نمنع قيام الأحزاب صيانة لوحدة الشعب ، ونعبىء نضاله الوطنى داخل اتحاد قومى ، فان ذلك كان حريا بان يجد لديكم من رحابة الفهم ، خصوصا وقد مررتم فى الاتحاد السوفييتى بتجربة مماثلة ، وليس يجدى ، يا سيادة الرئيس ، ان يقال ان انعدام الأحزاب فى الاتحاد السوفييتى يمكن ان يبرره ان مجتمعكم قد قضى على الطبقات ، ولعلك تذكر انه بعد ثورة اكتوبر ، تعرضت الثورة السوفييتية لأعاصير من الداخل ومن الخارج عرضتها لأقصى الاخطار كما لا يمكن ان يقال اطلاقا ان إلغاء الطبقات قد تم بين يوم وليلة .

ومما يثير التساؤل مثلا ان الحزب الشيوعى فى العراق ، وكان دفاعكم عنه من اسباب ازمة العلاقات بيننا ، وهو الحزب الذى لا يفتأ يندد بالأوضاع الداخلية فى بلادنا بسبب عدم سماحنا بقيام احزاب لم يجد ما يعلق به على خطاب رسمى لرئيس الحكومة العراقية ، نبذ فيه فكرة الأحزاب وهاجمها ، وطالب كما تطالب بفترة انتقال تصبح فيها الأمة كلها على حد ما قال « حزب الله » .

كذلك ، فلقد اشدتم غير مرة ، يا سيادة الرئيس ، بجهودنا فى تنمية الانتاج ، وتنشيط الثقافة ، ارساءا لقواعد مجتمع متحرر .

ولذلك ، كانت دهشتنا لما ورد فى خطابك من قولك اننا نواجه مصاعب جمة نتصور اننا نستطيع مواجهتها بشن حرب صليبية ضد الشيوعية .

وأؤكد لك ، يا سيادة الرئيس ، اننا لا نرى امامنا مصاعب جمة ، وانما نرى امامنا عملا شاقا .

والصعوبة الحقيقية ان يتخبط المرء فلا يجد طريقه ، وليست الصعوبة ان يجد الطريق ، ثم يجده طويلا .

وإننا لندرك ان الطريق امامنا شاقا ، واننا لندرك ان سبيلنا عليه هو العمل ، وهو المعركة المستنيرة الدائبة .

وليس هجومنا على الشيوعيين حلا يقصر الطريق – نحن نوافقك فى ذلك – وانما هجومنا كان لأن الشيوعيين حاولوا إقامة العقبات على هذا الطريق .

ولقد احسست ، يا سيادة الرئيس ، ان جزءا كبيرا من ضيقك بهجومنا على الشيوعيين كان مبعثه الحرص على الفكرة التى ينسبون انفسهم اليها ان تضار بسبب الهجوم عليهم .

ولست ادرى فى الحقيقة كيف كان يمكن ان نكشف اعمالهم دون ان نسميهم بالصفة التى ادعوها لأنفسهم .

وأؤكد لك ، وما اظننى فى حاجة إلى تاكيد ، اننى حريص على مشاعرك ، لا كصديق فقط ، وانما بصفتك مؤمن بالفكرة الشيوعية ولكن حقيقة لا اعرف كيف يمكن ان اتعرض للتصرفات التى قام بها الشيوعيون دون ان اسمهم شيوعيون ؟ !

ولقد ساعد على تعقيد الأمر ، ما صدر عنكم من تصريحات وما صدر عن صحفكم واذاعاتكم ، بل لقد وجدنا انفسنا فجاة فى وجه حملة منظمة تمتد على جبهة عريضة واسعة ابتداء من جريدة الديلى ووركر التى تصدر فى لندن إلى جريدة الراية الحمراء التى تصدر فى الصين .

ومع ذلك ، فحتى بعد هذا كله ، كنا حريصين بكل قوانا ان نحصر جبهة الخلاف ، ولعلكم تلاحظون مثلا اننا لم نتعرض على الإطلاق لكل ما وجه إلينا من الصين الشعبية .

وفى الجبهة الضيقة ، التى حاولنا فيها ان نرد على ما وجه الينا ، كان موقفنا دفاعيا بحتا ، فى وجه عمل هجومى لم يقتصر على حد العدوان بالدعاية بل كاد يصل إلى حد العدوان الفعلى ، واظنكم تسلمون ان العمل لهدم الوحدة بين مصر وسوريا وهدم الأساس الذى تقوم عليه الجمهورية العربية المتحدة هو عدوان كامل على بلادنا .

وهكذا فان الموقف ، يا سيادة الرئيس ، اصبح يتلخص فيما يلى :

١ – لقد وجدنا انفسنا مرغمون على الدفاع عن بلادنا ضد نشاط المنظمات الشيوعية داخل حدود الجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك هدف حديثى بتاريخ ٢٣ ديسمبر .

٢ – ثم وجدنا انفسنا مرغمون على الدفاع عن انفسنا ضد مساندتك شخصيا لهذا الحزب ، ولقد تجلى ذلك فى خطابك فى المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى ، وإن كان واضحا ان دفاعنا عن انفسنا فى هذه الحالة ، لم يتعد مقالا واحدا نشره احد الصحفيين

٣ - ثم وجدنا انفسنا مرغمين - بعد استفزازات طال صبرنا عليها - على الدفاع عن انفسنا ضد هجوم الحزب الشيوعى العراقى علينا واتهامه لنا ، ومحاولته الواضحة لتكدير العلاقات بيننا وبين شعب العراق .

٤ - ثم وجدنا انفسنا مرغمين على الدفاع عن انفسنا ضد مساندتك لهذا الحزب فيما يقوم به ، ولقد تجلى ذلك فى خطابك بتاريخ ١٦ مارس .

٥ - ثم وجدنا انفسنا مرغمين على الدفاع عن انفسنا فى وجه الحرب العنيفة التى خرجت علينا بها الاحزاب الشيوعية والمنظمات الشيوعية فى العالم كله ، وهى حرب مازالت مستمرة حتى هذه اللحظات .

وهكذا ندور الآن فى حلقة مفرغة .

فالواضح اننا لا نستطيع السكوت باى حال على هذا الذى يوجه ضد مبادئنا ومعتقداتنا بل ضد سلامة وطننا .

لا نستطيع أن نسكت عليه ، حين يقوم به افراد من بلادنا ، ولا نستطيع ان نسكت عليه حين يجد هؤلاء الأفراد قوة من الخارج تسندهم ، وتعين ازرهم وليس يجدى فى تخفيف اثر ذلك يا سيادة الرئيس ان نبدى الأسف ، لأنك انسقتم وراء هؤلاء الأفراد ، كذلك ليس يجدى التساؤل - المقرون بالأسف ايضا - عن الحجج التى ساقها اليكم هؤلاء الأفراد ، ودفعوكم دفعا إلى هذا الموقف الصعب الذى تقفونه الآن فى حكم الراى العام العربى ، بل والراى العام فى كل افريقيا وآسيا ، وما من شك انها كانت حججا لا تقوم على اساس ، ومعلومات لا تستند إلا إلى التضليل ، ومن سوء الحظ أن جزءا كبيرا من الضرر الذى وقع سوف يقتضى ازالة آثاره جهودا كبيرة .

والواضح ان هجومنا ضد الشيوعية ليس هجوما على عقيدة ، وإنما هو دفاعا عن انفسنا ضد حملة عنيفة موجهة إلينا .

والواضح ايضا انه ليس امامنا مفر من استعمال صفة هؤلاء المهاجمين فى محاولة دفاعنا عن انفسنا .

والواضح ايضا انك تعتبر كل هجوم على الشيوعيين هجوما عليك وتجد نفسك مضطرا إلى الاشتراك فى المعركة ، وهو امر أؤكد لك إننا لا نريده ولا نسعى إليه .

ولقد كنا نهاجم نورى السعيد وهو مسلم ، بل كنا نهاجم الأسرة المالكة فى العراق وهى سليلة نبى الاسلام ، ولكننا كنا نهاجم انحرافات اشخاص ، ولا نقصد مهاجمة العقيدة التى يؤمنون بها ، بل وكان الأمر فى حالتنا معهم اكثر تعقيدا منه فى حالتنا معك ، فان الدين الذى كانوا ينتمون اليه هو نفس الدين الذى نتشرف باعتناقنا له .

وكذلك ندور فى الحلقة المفرغة .

وأننى أؤكد لك صادق النية بنفس العزم على انه لا شئ احب إلىّ من ان نخرج من هذه الحلقة المفرغة إلى استقرار يسود العلاقات بين بلدينا ، وهى علاقات اكدت لكم ومازلت أؤكد أنها من دواعى فخرنا واعتزازنا .

وما اظننى فى حاجة إلى أن اعدد لكم المبررات التى تحبب إلىّ ان يعود الصفاء بيننا ، وهى ابرز واوضح من ان تحتاج إلى مزيد تكرار .

إننا نؤمن بالتعايش السلمى ونحن نؤمن بالصداقة بين الشعوب ، ونحن نرفض الحرب لأنها تتنافر مع مبادئنا . سواء فى ذلك الحرب الساخنة أو الحرب الباردة ، بل نحن لا نملك كما تعلم أسلحة الحرب الساخنة ولا نملك الوقت الذى نضيعه فى الحرب الباردة بسبب سعينا للحاق بالتقدم البشرى الذى أرغمنا على التخلف عنه بفعل الاستعمار .

ثم اننا نقدر تمام التقدير مواقفكم منا منذ بدا التعاون الوثيق بيننا فى سنة ١٩٥٥ حتى بدات الأوضاع التى يتملكنا الأسف الشديد لوقوعها فى نهاية ١٩٥٨ وبداية ١٩٥٩ .

ولكنك تدرك ان فى الأمر طرفين ، ولقد استعملت يا سيدى الرئيس ، مثلا روسيا شائعا فى خطابك ، فاسمح لى أن استعمل مثلا عربيا شائعا يقول ان « يدا واحدة لا تصفق » .

وإذا كنا نشعر اننا مخلصون صادقون نريد صداقتكم .

فاننا ، نريد ان نشعر أن يدنا الممدودة إليكم لا تترك معلقة فى الهواء .

وإنى لأتمنى ان يسود جسر العلاقات بيننا هدوء يتيح لكل منا أن يبذل قصارى جهده للعمل الايجابى فى سبيل التقدم وفى سبيل السلام .

وتفضلوا يا سيادة الرئيس بقبول فائق احترامى وامانىّ الصادقة بالنجاح والرفاهية لشعب الاتحاد السوفييتى العظيم .

امضـــاء

جمال عبد النـاصر

الوثيقة رقم (٣٢)

صورة من خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى الرئيس الامريكى « جون كنيدى » بتاريخ اول اغسطس ١٩٦١ ردا على اول خطاب اثار فيه الرئيس « كنيدى » فجاة ، وبدون مقدمات ، قضية فلسطين ورغبته فى إجراء صلح بين العرب وإسرائيل .

عزيـزى الرئيس جـون • ف • كنيـدى

لقـد تلقيـت بمزيد من الارتيـاح والتقديـر خطابكـم الـذى بتاريـخ ١١ مايو ١٩٦١ ، والذى تفضلتم فيه باثارة بعض جوانـب المشكلـة ، ذات الأهميـة البالغة ، والخاصـة ، بالنسبة للأمـة العربيـة على اختـلاف شعوبها ، وهى — دون شك — قضيـة فلسطين •

واذا كنت قد تأخرت فى الرد على هـذا الخطاب فلقد كان باعـث التأخيـر هو اعطاؤه مايستحقه من فرصـة الدراسة الدقيقـة المتأنيـة •

ولعل مبعث الارتياح الذى شعرت به حين تلقيت خطابكم ، كما أشـرت فى العبارة الأولى من هذا الخطاب ، أننى كنت من جانـبى أقلـب النظـر فى فكرة الاتصال بكم بشأن نفس هذه القضية التى أثرتـم فى خطابكـم بعـض جوانبهـا •

ولقد كان فكرى فى الاتصال بكم ، يرتكز على مجموعة من العوامـل :

أولهمـا — أن ماتم بالفعل من تبادل المراسلات بيننـا فى عدد مـن مختلـف المشاكل العالميـة كان واضحا فى دلالتـه على أنكـم تحاولون فتـح

(يتبع)

عزيزى الرئيس جون . ف. كنيدى

لقد تلقيت بمزيد من الارتياح والتقدير خطابكم إلىّ بتاريخ ١١ مايو ١٩٦١ ، والذى تفضلتم فيه بإثارة بعض جوانب المشكلة ، ذات الاهمية البالغة ، والخاصة ، بالنسبة للأمة العربية على اختلاف شعوبها ، وهى ـ دون شك ـ قضية فلسطين .

وإذا كنت قد تاخرت فى الرد على هذا الخطاب فلقد كان باعث التاخير هو إعطاؤه ما يستحقه من فرصة الدراسة الدقيقة المتانية .

ولعل مبعث الارتياح الذى شعرت به حين تلقيت خطابكم ، كما اشرت فى العبارة الأولى من هذا الخطاب ، اننى كنت من جانبى اقلب النظر فى فكرة الإتصال بكم بشان نفس هذه القضية التى اثرتم فى خطابكم بعض جوانبها .

ولقد كان فكرى فى الإتصال بكم ، يرتكز على مجموعة من العوامل :

اولها ـ ان ما تم بالفعل من تبادل المراسلات بيننا فى عدد من مختلف المشاكل العالمية كان واضحا فى دلالته على انكم تحاولون فتح ابواب التفاهم ـ وابقائها مفتوحة ـ بينكم وبين عدد من الشعوب الاخرى التى تولى قضايا السلام اهتمامها الأول ، حفاظا على هذا السلام وصونا للجنس البشرى مما يتهدده من اخطار ، وفى اعتبارنا ان الوصول إلى التفاهم المشترك بين الشعوب ، هو فى الوقت نفسه إقامة فرص للسلام على امتن الأسس واصلبها .

ثانيا ـ ان قضية فلسطين وما تفرع عنها من مشاكل هى ، بجانب كونها من القضايا الرئيسية التى تمس السلام العالمى مباشرة فى عصرنا ، فهى فى الوقت نفسه ذات إتصال وثيق بالعلاقات ما بين شعبينا ، واحب هنا ان اضيف اننى لا اربط احتمالات التفاهم بيننا بضرورة التقاء وجهات نظرنا فى هذه المشكلة على نحو كامل التطابق ، وإنما الذى اقوله هو انه من الامور الحيوية فى هذا الصدد ان تكون لدى كل منا صورة واضحة للحقيقة ، بقدر ما يمكن أن يبدو منها انسانيا من وراء ضباب الزمان ، ودخان الأزمات .

ثالثا ـ اننى تابعت باهتمام كل مرة تعرضتم فيها لهذه المشكلة سواء فيما القيتم من خطابات فى الكونجرس حين كنتم تمثلون ولاية « ماساشوستس » او ما صدر عنكم خلال حملة انتخابات الرياسة ، ولست اخفى عليكم اننى قبل ان يصلنى خطابكم كنت ـ من تاثير فكرة الإتصال بكم فى موضوع فلسطين ـ احاول ان استشف صورة لموقفكم منه خلال سطور كتابكم عن استراتيجية السلام ـ ولقد كان احساسى بما قرات عنكم مباشرة ، او بما نسب إليكم فى هذا الموضوع ـ يجعلنى اعتقد ان هناك زوايا كثيرة فى المشكلة تستحق مزيدا من الضوء .

على انى برغم هذا كله تصورت انه ربما كان المناسب أن ارجىء الاتصال بكم فى هذا الامر باعتبار ما كان يواجهكم من مشاكل ضخمة ذات طابع ملح وعاجل فى الميدان الدولى .

ومن هنا ـ كما قلت لكم ـ اثار ارتياحى انكم اخذتم المبادرة وكتبتم إلىّ فى بعض زوايا الموضوع الذى كان بودى ان احدثكم من جانبى فى صورته الكاملة كما نراها هنا على الناحية العربية منها ، ولست اريد هنا ان املأ هذا الخطاب بالوثائق ومعانيها ، والقرارات واحكامها ، فذلك كله قد يكون له مجاله ، وإنما انا هنا احاول ان انقل إليكم تصورنا العام للمشكلة ، واسمح لى هنا ان أؤكد لك ان هذا التصور لا يقوم على اساس عاطفى ، وانما ما حدث ماديا ، هو اساسه الوحيد .

سيادة الرئيس

اسمحوا لى أن أضع امامكم هذه الملاحظات التالية ، علها تساعد مترابطة ، على توضيح صورة سريعة للمشكلة :

١ ـ لقد أعطى من لا يملك ، وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان « من لا يملك » و « من لا يستحق » ، بالقوة وبالخديعة ، أن يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه ، فيما يملكه وفيما يستحق .

تلك هى الصورة الحقيقية لوعد بلفور ، الذى قطعته بريطانيا على نفسها ، وأعطت فيه ـ من أرض لا تملكها ، وإنما يملكها الشعب العربى الفلسطينى ـ عهدا بإقامة وطن يهودى فى فلسطين .

وعلى المستوى الفردى ـ يا سيادة الرئيس ـ فضلا عن المستوى الدولى ، فإن الصورة على هذا النحو تشكل قضية نصب واضحة تستطيع اى محكمة عادية ان تحكم بالإدانة على المسؤولين عنها .

٢ ـ ومن سوء الحظ يا سيادة الرئيس أن الولايات المتحدة وضعت ثقلها كله فى غير جانب العدل والقانون فى هذه القضية ، مجافاة لكل مبادىء الحرية الأمريكية والديموقراطية الأمريكية ، وكان الدافع لذلك مع الأسف هو اعتبارات سياسية محلية لا تتصل بالمبادىء الأمريكية بل ولا بالمصلحة الأمريكية على مستواها العالمى ، ولقد كانت محاولة اكتساب الأصوات اليهودية فى انتخابات الرئاسة هى ذلك الدافع المحلى ، ولقد قرانا لأحد السفراء الأمريكيين السابقين فى المنطقة ان سلفكم المستر هارى س . ترومان لما القى بكل قوته ، وفيها بالقطع قوة منصبه الخطير ، على رأس الأمة الأمريكية ضد الحق الواضح فى مستقبل فلسطين لم يكن له من حجة ازاء الذين لفتوا نظره من المسؤولين إلى خطورة موقفه غير قوله :

هل للعرب أصوات فى انتخابات الرئاسة الأمريكية ؟

٣ ـ ان خرافة الانتصار العسكرى ، الذى تحاول بعض العناصر ان تقيم على أساسه حقا مكتسبا للدولة الإسرائيلية فى فلسطين ، ليست إلا وهما صنعته الدعايات التى بذلت جهدها لاخفاء معالم الحقيقة .

ولست أريدك أن تسمع ـ فى هذا المجال ـ شهادتى كجندى عاش هذه التجربة بنفسه ، وإنما وثائق الأمم المتحدة وتقارير وسيط الهدنة الدولية فى فلسطين ، ولجانها ، تستطيع أن تثبت لك ان القوات الإسرائيلية لم تستطع إحتلال ما احتلته من الأراضى خلال المعارك ، وانما من العجيب ان ذلك كله تم خلال الهدنة ، ولقد كان ما فعله العرب فى ذلك الوقت انهم احسنوا الظن بالأمم المتحدة ، وتصوروها قوة قادرة على فرض العدل ، خصوصا إذا كان العدل اساسا هو كلمتها وقرارها ، ولقد ظن العرب ان الجانب الاسرائيلى سوف يعاقب على خرقه لاحكام الهدنة الدولية ، وان ما تسلل إليه من الأرض تحت ستار الهدنة سوف يعاد إلى مكانه الأصلى ، ومن سوء الحظ اننا عوقبنا فيما بعد على ان نظرتنا إلى الأمم المتحدة كانت نظرة مثالية تنبع من الثقة .

٤ ـ ان الخطر الإسرائيلى بعد ذلك كله ، لا يمثل مجرد ما تم حتى الآن من عدوان على الحق العربى ، وإنما هو يمتد إلى المستقبل العربى ويهدده بافدح الأخطار ، وإذا ما لاحظتم استمرار الهجرة اليهودية إلى إسرائيل وتشجيعها وفتح الأبواب أمامها رايتم معنا ان هذه الهجرة تصنع ضغطا

داخل إسرائيل لابد له ان ينفجر ويتجه إلى التوسع ، ولعل ذلك هو التفسير المنطقى للتحالف القوى بين إسرائيل وبين مصالح الاستعمار فى منطقتنا ، فإن إسرائيل منذ قيامها لم تبتعد كثيرا عن الفلك الاستعمارى وكان واضحا انها تشعر بترابط مصالحها مع الاستعمار ، كذلك كان الاستعمار من ناحيته يستخدم إسرائيل كاداة لفصل الأمة العربية فصلا جغرافيا عن بعضها ، وكذلك كان يستخدمها كقاعدة لتهديد اى حركة تسعى للتحرر من سيطرته ولست فى حاجة للتدليل على ذلك الا بتذكيركم بالظروف التى تم فيها العدوان الثلاثى علينا ، والتواطؤ الذى سبقه سنة ١٩٥٦ .

من هذا العرض السريع للصورة فى خطوطها العامة اردت ان اقول لكم ان موقفنا من إسرائيل ليس عقدة مشحونة بالعواطف وإنما هو :

عدوان تم فى الماضى

واخطار تتحرك فى الحاضر

ومستقبل غامض محفوف باسباب التوتر والقلق معرض للانفجار فى اى وقت .

ولكى اكون منصفا فإنه يبدو لى ان بعض العناصر العربية قد ساهمت فى تصوير المشكلة لديكم باعتبارها شحنة عاطفية ، واذكر فى هذا المجال أن سلفكم الرئيس دوايت ايزنهاور قال لى عندما كان لى شرف لقائه فى نيويورك فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٠ ان بعض الساسة العرب كانوا يدلون بتصريحات علنية متشددة فى موضوع فلسطين ثم يتصلون بالحكومة الأمريكية يخففون من وقع تشددهم قائلين أن تصريحاتهم كانت موجهة للاستهلاك المحلى العربى .

وإنى لأسف حقيقة ان هذه الأصوات المتخاذلة المترددة استطاعت ان تجد من يسمعها فى بلادكم ، وإن كانت فى بلادنا ـ مهما تظاهرت بالتصلب فى الحق ـ لم تجد من يسمعها او يثق بها ـ ولقد أثبتت الحوادث فيما بعد على اى حال ان هؤلاء الذين خدعوكم لم يتمكنوا من خداع شعوبهم .

سيادة الرئيس

لقد حاولت ان اكون صريحا إلى ابعد حدود الصراحة فى حديثى إليكم ، ولقد يبدو من اصول اللغة الدبلوماسية التقليدية ـ اننى جاوزت ما تفرضه اعتبارات المجاملة ، ولكنى أؤكد لكم انه فى اعتبارى لا يوجد اشرف فى تكريم الصديق والحفاوة به خيرا من التعبير الصادق كما يحس به صاحبه ، ومن هذا الأساس فانى استاذنكم بعد ان عرضت للصورة ـ من ناحيتها الإسرائيلية ـ ان استطرد للناحية الأمريكية منها .

واسمحوا لى اولا ان أؤكد لكم ان ايمانى العميق ـ كان ولا يزال ـ ان الوصول إلى تفاهم عربى أمريكى هدف هام بالنسبة لنا يستحق ان نبذل من اجله كل الجهود ، ونحاول من اجله ولا نياس من المحاولة او نمل .

ونحن فى هذا نصدر عن تتبع واع لمجرى التاريخ الأمريكى ، وعن إعجاب عميق بخصائص الأمة الأمريكية ، وعن مشاركة مخلصة فى كثير من مبادىء النضال التى استهدت بها امتكم العظيمة فى صنع مكانها .

والآن استاذنكم فى إبداء هذه الملاحظات :

١ ـ لقد حاولنا دائما ، ومازلنا نحاول ، ولسوف نصر دائما على المحاولة ، ان نمد ايدينا للأمة

الامريكية ، واؤكد لكم انه مما يحز فى نفوسنا إلى ابعد الحدود اننا فى كثير من الاحيان نجد يدنا معلقة وحدها فى الهواء .

ولقد تفضلتم ـ يا سيادة الرئيس ـ واشرتم فى خطابكم إلى دور الرئيس وودرو ويلسون ، وفرانكلين روزفلت ، فى بروز دول عربية مستقلة ذات سيادة متكافئة فى المجتمع الدولى .

واسمحوا لى ان اقول ان الرئيسين الكبيرين لا يمثلان فى بلادنا آمالا تحققت ، بقدر ما يمثلان آمالا لم تتحقق .

لقد كانت فى بلادنا ثورة وطنية عارمة تطلب حق تقرير المصير ، ولما اعلن الرئيس ويلسون نقطه الأربعة عشر المشهورة كان صداها على الثورة الوطنية العارمة فى بلادنا قويا وفعالا .

ولقد ذهب وفد يمثل الثورة الوطنية فى مصر ـ فى ذلك الوقت ـ إلى باريس ليحضر مؤتمر الصلح وينادى بحق مصر فى تقرير مصيرها وكان هذا الوفد يرفع ـ بين ما يرفع من الأعلام ـ نفس مبادىء الرئيس وودرو ويلسون ويستند عليها ، ولكن الرئيس ويلسون رفض مقابلة هذا الوفد ، كما ان هذا الوفد لم يجد فرصة يشرح فيها قضية بلاده امام مؤتمر الصلح فى باريس ، ولم يكن امام هذا الوفد وامام الشعب الذى ارسله إلى باريس غير المقاومة الشعبية المسلحة ضد الاستعمار ، وكانت القوة القاهرة سلاح الاستعمار لقمع الثورة الشعبية خلافا مع كل دعوى عن تقرير المصير .

كذلك استطاعت مبادىء الاطلنطى التى اعلنها الرئيس روزفلت سنة ١٩٤١ عن تحرير الشعوب ان تشد إليها آمال شعبنا ولربما كان سوء حظنا ان الرئيس روزفلت لم يعش ليرى يوم انتهاء الحرب حتى تتاح له الفرصة لوضع قوته الضخمة وقوة وطنه وراء المبادىء التى اعلنها وقت محنة الطغيان الفاشيستى .

٢ ـ كانت الصدمة الكبرى فى العلاقات العربية الأمريكية ، هى غلبة اعتبارات السياسة المحلية الأمريكية ، على اعتبارات العدل الامريكى والمصلحة الامريكية فى تقرير موقفكم من الظروف التى اهدر فيها الحق العربى فى فلسطين اهدارا كاملا ولقد سبقت لى الاشارة الى هذا الأمر حين تعرضت لمشكلة فلسطين من جانبها الإسرائيلى .

٣ ـ احتدم الخلاف بيننا ، وزادت حدته ما بين سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٥٥ بسبب التباين بين نظرة كل منا إلى مشكلة واحدة ، هى مشكلة الدفاع عن الشرق الأوسط .

كان راينا ان الأحلاف العسكرية ، خصوصا تلك التى تستند على قوى عالمية كبرى ، لا تكفل الدفاع عن الشرق الأوسط ، وإنما هى تزيد تعرضه للخطر بمقدار ما تزج به إلى الحرب الباردة .

وكان راينا ان الدفاع الحقيقى عن الشرق الأوسط تقوم به بلدان هذا الشرق الأوسط وان ميدانه ليس الخطوط الدفاعية بقدر ما هو الجبهات الداخلية للشعوب ، وكان الاستقلال الحر غير المشروط ، والاتجاه المجدى إلى التطوير الوطنى البناء هو خير ضمان لسلامة الشرق الأوسط ضد اى عدوان كيفما كان مصدره ، ولقد اتيح لى ان اشرح بنفسى موقفنا هذا للمستر جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة فى ذلك الوقت عندما اتيحت لى فرصة لقائه سنة ١٩٥٣ فى القاهرة .

٤ ـ فى غمرة المناقشة الكبرى حول الدفاع عن الشرق الأوسط ، وقعت الحادثة التى كانت بمثابة نقطة التحول فى اتجاهات الحوادث واعنى بها الغارة على غزة فى فبراير ١٩٥٥ ، حيث قام

الجيش الإسرائيلى بغارة هجومية وحشية على مدينة غزة الفلسطينية ، ولست اريد ان اصف هذه الغارة باكثر مما وصفته بها وثائق الأمم المتحدة ، وقد وصفتها بانها غارة « وحشية ومدبرة » ومع ذلك فإن وزير الدفاع الإسرائيلى ، ورئيس الوزراء الحالى ، بعث بتهنئته إلى الذين قاموا بها بناء على امره ، ومواصلة نفس الخطة العدوانية على مصر ـ فى ذلك الوقت ـ هذه الخطة التى كانت تستهدف الجبهة الداخلية لمصر ـ على حد ما تشهد به الوقائع المتسربة مما يسمونه عملية لافون فى إسرائيل والتى اتضح منها ان الهدف كان تفجير القنابل فى بلادنا وتدمير منشاتنا واساءة العلاقات بيننا وبين دول صديقة بينها الولايات المتحدة الأمريكية التى وضع العملاء الإسرائيليون القنابل الحارقة امام مكاتبها فى القاهرة ـ وفى نفس الوقت كانت هذه الخطة تستهدف خطوط الهدنة كما تجلى فى الغارة على غزة .

ولقد دفعنا ذلك إلى الاحساس بان انهماكنا فى عملية التطوير الوطنى لا يجدى ازاء العدوان وتحتم أن نوجه جزءا من الاهتمام ـ بجانب التطوير ـ إلى الاستعداد المسلح لرد العدوان إذا ما تحرك ضدنا .

ولقد كان من هنا ان بدانا بطلب شراء السلاح من الولايات المتحدة بالحاح ، ولما ووجهنا بالمماطلة ثم بالرفض كان ان اتخذت قرار شراء السلاح من الاتحاد السوفييتى ، واؤكد لك اننى سوف اظل احتفظ بكثير من الوفاء لحكومة الاتحاد السوفييتى ، واتصور انك لو كنت مكانى لكان ذلك نفس شعورك وانت ترى التهديد يحيط بوطنك وتجد فى الوقت نفسه انك لا تملك وسيلة إنزال العقاب بالمعتدين .

٥ ـ كان من أثر ذلك ان مرت العلاقات بيننا بفترة عاصفة وجرت محاولة تشويه سياستنا الوطنية عن عمد وتعرضنا لألوان من الحرب النفسية بينها توجيه عدد من محطات الإذاعة السرية توجه دعاياتها المسمومة إلى شعبنا بغية تحويله عن الصمود وراء حكومته الثورية ، ثم كانت ذروة الحرب النفسية هنا ، هو ذلك القرار الذى اتخذ بسحب عرض المساهمة الأمريكية فى تمويل سد اسوان العالى ، وهو العرض الذى كانت الحكومة الامريكية قد تقدمت مختارة مشكورة به ، ثم تبع ذلك انسحاب البنك الدولى من عملية تمويله ، ولم يكن هناك شك فى ان الطريقة التى تم بها سحب هذا العرض كانت تنطوى على الكثير مما لا يرضى الشعب العربى فى مصر لنفسه ان تتقبله .

٦ ـ قدرنا للولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك موقفها فى محاولة إيجاد حل سلمى للمشكلة التى ثارت فى ذلك الوقت بعد تاميم شركة قناة السويس ، كذلك كان تقديرنا فائقا للتأييد العظيم الذى لقيته قضية الحرية فى بلادنا من جانب الحكومة الامريكية والشعب الأمريكى وكان ذلك حينما تكشفت مؤامرة التواطؤ على بلادنا من جانب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، ثم حينما بدات عملية الغزو ـ يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ ـ فى نفس اليوم الذى كان محددا لبدء المفاوضات فى جنيف بغية الوصول إلى حل نهائى على ضوء قرارات مجلس الأمن بشان قناة السويس .

ولقد كان احساسنا ان الشعب الأمريكى يشعر بموقفنا من ذكريات تجاربه فى بيرل هاربور ، وصدق احساسنا ومن سوء الحظ ان التحسن الكبير الذى طرا على علاقاتنا فى ظروف المحنة الدامية بدأ يتعرض لنكسة خطيرة ، فإن سياسة الولايات المتحدة اتجهت فى اعقاب إنهاء معركة السويس بهزيمة العدوان ، إلى عزل مصر ومحاولة تحقيق اهداف العدوان بوسائل سلمية ، وكان ذلك عن طريق مشروع ايزنهاور الذى أراد معاملة الشرق الاوسط ـ على حد تعبيركم اثناء المناقشة بصدده فى الكونجرس الأمريكى ـ كما لو كان مقاطعة امريكية

٧ - تعرضت سوريا بعد ذلك لأزمة خطيرة تهدد سلامتها ، وكان ذلك بتاثير تجمع عدد من دول حلف بغداد ، سواء بمجموعهم كاعضاء منظمة ، او بجهودهم المنفردة ، وكان الهدف هو ضرب الجبهة الداخلية الوطنية لسوريا ، وهو امر كان يمكن ان تنتج عنه اوخم العواقب على سلامة الشرق الأوسط كله ، ولقد حاولنا مرارا ان نلفت نظر الحكومة الأمريكية إلى خطورة مثل هذه الجهود الهدامة من جانب حلف بغداد ودوله .

٨ - انهار حلف بغداد ، وكان يوم الثورة فى العراق ، هو اليوم الفاصل فى امره ، وبانهيار هذا الحلف إنهارت كذلك سياسة الولايات المتحدة تجاه المنطقة العربية واصبحت الحاجة ماسة إلى سياسة جديدة واعية تستلهم الماضى تجربته ، وتقدر على مواجهة الحاضر وعلى ملاقاة المستقبل .

ولقد كان املنا كبيرا ان تهيا الفرصة امام الولايات المتحدة لتدرس المنطقة على ضوء نظرة جديدة غير متاثرة بالاعتبارات القديمة ، وغير خاضعة لارتباطات لا تمثل الأمانى الحقيقية للشعوب العربية .

ولقد كان مؤلما حقيقة ان لا تسال حكومة الولايات المتحدة نفسها بعد انهيار حلف بغداد فيما يتعلق بصلة الشعوب العربية به :

« لماذا تحولت السياسة الأمريكية إلى انقاض على هذا النحو ؟ » .

« لماذا اختفى معظم الأصدقاء التقليديين للسياسة الأمريكية وحكمت عليهم شعوبهم ؟ » .

« لماذا تقف الولايات المتحدة ، وهى دولة قامت على الحرية وعلى الثورة ، ضد نزعة الحرية ونزعة الثورة وتجد نفسها مع القوى الرجعية والعناصر المعادية للتقدم ، فى صف واحد ؟ » .

٩ - بدات بعد ذلك مرحلة من التحسن فى العلاقات العربية الأمريكية ، ولكن التحسن كان بطيئا ، وكانت الصدمات تتربص له دائما بتاثير دوافع غير امريكية على الإطلاق ، واذكر منها مقاطعة الباخرة العربية كليوباترة على ارصفة ميناء نيويورك .

ولقد اتيح لى بعد ذلك فى سبتمبر ١٩٦٠ ان التقى بسلفكم الجنرال دوايت ايزنهاور ، وان اتحدث إليه فى العلاقات ما بين بلدينا وفى تطوراتها وفى ضرورة النظر إليها على ضوء جديد يتماشى مع ما نتطلع إليه جميعا من سلام قائم على العدل ، ولكن ذلك كان كما تذكرون فى اواخر مدة رياسته ، ومن ثم لم يتح للمحاولة الجديدة ان توضع موضع الاختبار .

سيادة الرئيس

وليس معنى ذلك بحال من الأحوال ان علاقاتنا خلال هذا كله لم تعش لحظاتها المشرقة .

كان هناك فى تاريخ الأمة الأمريكية ما يشدنا إلى الكثير من المبادىء الأمريكية وإلى ما اعطته الثورة الأمريكية للتراث الانسانى من التجارب العميقة ومن الرجال الأبطال .

وكان هناك موقف بلادكم منا وقت العدوان علينا انتصارا للمبادىء وهو موقف اشدنا به دائما ، ولسوف يظل يحظى بعرفاننا مهما كان من تطورات العلاقات بيننا .

كذلك كانت هناك مساعداتكم القيمة لنا عن طريق تصدير القمح او عن طريق قروض صندوق التنمية ، كذلك لا يفوتنى هنا ان اشيد بمساهمتكم القيمة فى مشروع إنقاذ آثار النوبة ، ولقد كانت رسالتكم إلى الكونجرس فى هذا الصدد تحية كريمة تقبلها شعبنا بمزيد من التقدير والرضا .

واؤكد لك - بشرف - ان ما يحكم موقفى ونظرتى الى قضية فلسطين ليس هو كونى رئيس للجمهورية العربية ، وانما الأصل والأساس هنا ، هو موقفى ونظرتى ، كوطنى عربى ، كواحد من ملايين الوطنيين العرب .

وتقبلوا يا سيادة الرئيس عميق احترامى وتقديرى .

(امضاء)

الوثيقة رقم (٣٣)

صورة خطاب من الملك « سعود » إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٥٨ وهو يدور حول خبر غير صحيح نشر عن تلحين القرآن . وقد ظهرت على الملف الذى حفظ فيه الخطاب اصلا مجموعة تاشيرات للرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده ، وكذلك ملاحظة بخط السيد « على صبرى » (وزير شئون رئاسة الجمهورية وقتها) .

الرياض في ٧ ربيع الاول سنة ١٣٧٨هـ

الموافـق ٢١ سبتمبـــر سنة ١٩٥٨ م

من ســـــعود بن عبد العزيز آل ســـعود الى حضرة صاحب الفخامة السيد جمال عبد الناصـــــــر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة حفظـــه اللـــه

حضرة الأخ الكريـــم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد ارجو لسيادة الأخ موفور الصحة والعافية وان يديم المولى علينا نعمه ويوفقنا جميعا لما فيه الخير والصلاح انه سميع مجيب .

راجعني كبار المشايخ والعلماء في البلاد بخصوص ما اطلعوا عليه اخيرا في الصحف المصريـــــة من وجود فكرة لدى بعض الأوساط بمصر لتلحين القرآن العظيم على الآلات الموسيقية وانغامهـــا وافادوني بانه قد حصل لهم اضطراب وتشويش عظيم من ذلك ، خوفا من ان تحدث هذه الخطوة ثغـرة كبيرة في الدين ، لقد دعاني هذا الحادث لما فيه من الخطورة ان اراجع سيادة الأخ والفـــت نظره ، راجيا منه لما اعلم فيه من حصافة الرأى وصدق العقيدة ان يعمل بنفوذه الكبير على منع هذا الامر الذى لا يأتي منه الا التفرقـة والشقاق بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، والذى نحن في غنى عنه ، انى اعتقد بانكم توافقونني بان اعداء الاسلام والعروبـة سيجدون في هذا المجال مرتعا خصبـــا لبث سمومهم القتالـة ، وهي فرصـة ذهبية لا يجدونها في كل وقت ، وبالأخص في الدور الذى نجتـازه نحن العرب ، ولذلك فـاني لأرجو مخلصـــا بـأن نـكون جميعا ممن يحافظ ويدافع عن قدســـية كتاب الله ويحرص على كرامتـــه من اى عبث يراد به ، واني لمطمئن بانه سوف لا ينال احد منه شـــيئـــا وقد وعد وهو اصدق الواعدين وقال : في تنزيله الحكيم ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظـــــون)).

وفي انتظار ما يطمئن الخاطر في هذا الخصوص .

ابعث اليـــكم باطيب تحياتي ، مقرونـة باجمل اماني . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ،،،

اخوكم

سعود السعود

وزير الدولة
لشئون رئاسة الجمهورية

٦٨٠
٥٨/٩/٢٩

٤١٦
٥٨/١٠/١٤

٥١٢١

عاجل

السيد سامي شرف

رجاء الإفادة. وقد سلم الكتاب المرفق

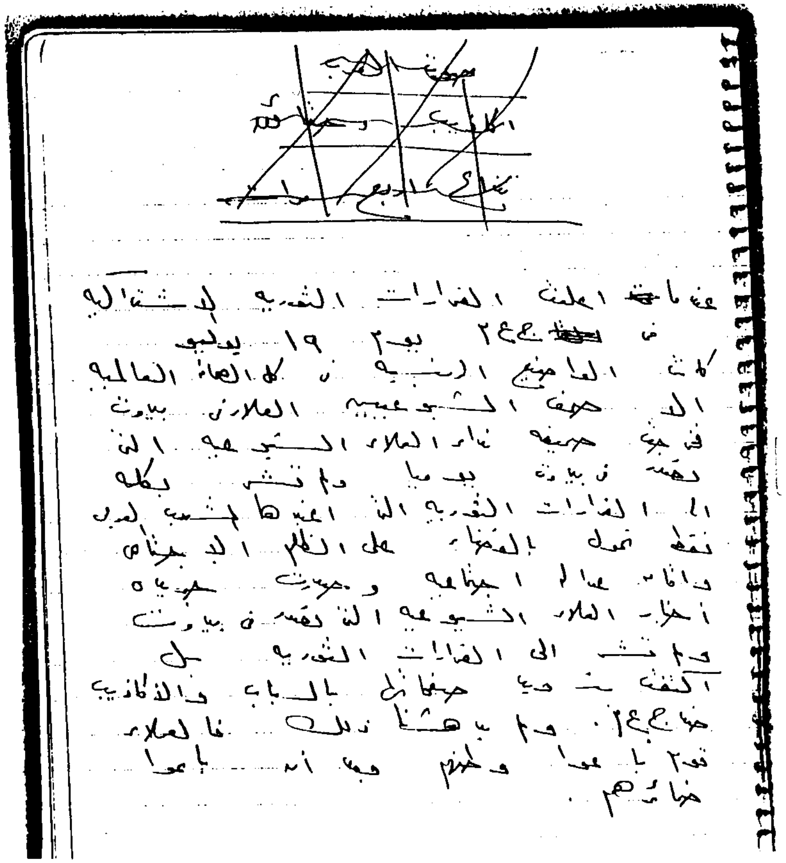
للسيد الوزير بواسطة القائم بالأعمال السعودي

١٤/١٠/٥٨

الوثيقة رقم (٣٤)

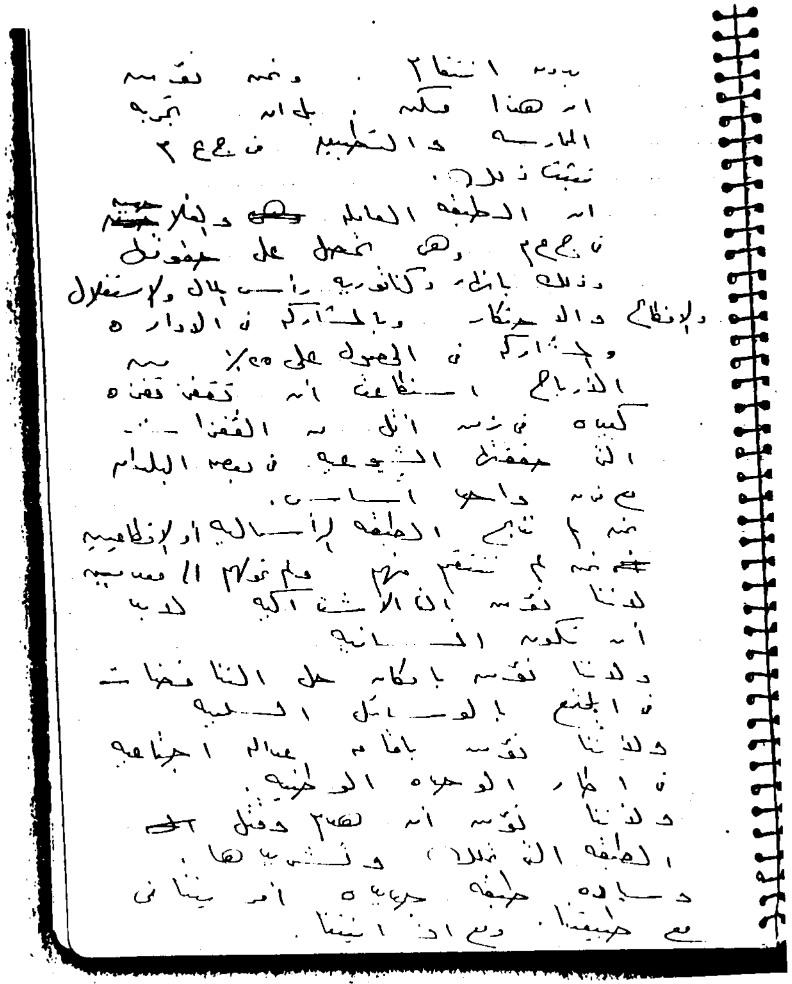
وثيقة تتضمن ردا كتبه « جمال عبد الناصر » بنفسه لكى يذاع من إذاعة « صوت العرب » ردا على موقف الشيوعيين من قرارات يوليو الاشتراكية كما عبرت عنه صحفهم الصادرة فى بيروت .

لقد كان الرد الذى كتبه « جمال عبد الناصر » بخط يده موجها فى ظاهره إلى ما نشرته صحف الحزب الشيوعى فى بيروت ، ولكن الرد فى جوهره كان موجها فى الحقيقة إلى شرح الاختلافات الفكرية والتطبيقية التى تفرق ما بين رؤية الحركة القومية العربية لعملية التحول الاجتماعى ، وبين رؤية الحركة الشيوعية .
ومن هنا فإن هذا الرد وثيقة فريدة من نوعها فى وصف الخلاف الواسع ما بين موقفين ورؤيتين وتقديرين لتوجهات العمل الاجتماعى سواء على مستوى الغايات ، أو الوسائل .



صوت العرب [illegible]

عندما اعلنت القرارات الثورية الاشتراكية
في ج ع م يوم ١٩ يوليو
كانت المواضيع الرئيسية في كل الصحافة العالمية
الا صحف الشيوعيين العملاء في بيروت
فخرجت صحيفة نداء العملاء الشيوعية التي
تصدر في بيروت يوميا ولم تشر بكلمة
الى القرارات الثورية التي اعتبرها الشعب العربي
نقطة تحول بالقضاء على الظلم الاجتماعي
واقامة عدالة اجتماعية وصدرت جريدة
اخبار العملاء الشيوعية التي تصدر في بيروت
ولم تشر الى القرارات الثورية بل
اكتفت بتسويد صفحاتها بالسباب والاكاذيب
ضد ج ع م ولم يدهشنا ذلك فالعملاء
قوم باعوا وطنهم بعد ان باعوا
ضمائرهم.



بعد اثنا عشر يوما من [illegible]
ان هذا مكسب [illegible]
[illegible] والتطبيق في ج ع م
نتيجة لذلك
ان الطبقة العاملة [illegible]
في ج ع م وهي تحصل على حقوقها
[illegible] والاستغلال
[illegible] والمشاركة في الادارة
والمشاركة في الحصول على ٢٥٪ من
الارباح استطاعت ان تحقق نقلة
كبيرة في زمن اقل من [illegible]
التي حققتها الشيوعية في بعض البلاد
في زمن [illegible]
[illegible] الطبقة الرأسمالية او الاقطاعية
[illegible]
لذلك نقول ان الاشتراكية لابد
ان تكون انسانية
ولذلك نقول بالحل للتناقضات
في المجتمع بالوسائل السلمية
ولذلك نقول [illegible] عدالة اجتماعية
في اطار الوحدة الوطنية.
ولذلك نرفض ان [illegible]
الطبقة التي [illegible] وتشويهها
[illegible]
[illegible]

عندما أعلنت القرارات الثورية الاشتراكية فى ج . ع . م . يوم ١٩ يوليو كانت المواضيع الرئيسية فى كل الصحافة العالمية إلا صحف الشيوعيون العملاء فى بيروت فخرجت صحيفة نداء العملاء الشيوعية التى تصدر فى بيروت يوميا ولم تشر بكلمة إلى القرارات الثورية التى اعتبرها الشعب العربى نقطة تحول بالقضاء على الظلم الاجتماعى وإقامة عدالة اجتماعية . وصدرت جريدة اخبار العملاء الشيوعية التى تصدر فى بيروت ولم تشر إلى القرارات الثورية بل اكتفت بتسويد صفحاتها بالسباب والاكاذيب ضد ج . ع . م . ولم يدهشنا ذلك فالعملاء قوم باعوا وطنهم بعد أن باعوا ضمائرهم .

ولكن جرائد الشيوعيين التى تصدر فى بيروت ـ خرجت يوم الاحد الماضى بعد اثنى عشر يوما من إعلان القرارات الثورية الاشتراكية الانسانية وسودت صفحاتها بحملة ضد ج . ع . م .

ما معنى ذلك كله ؟ .

معناه ان الشيوعيين العرب قد افلسوا إفلاسا كاملا .

لقد كشفت الأمة العربية الأحزاب الشيوعية فى بلادها . وبوعى الأمة العربية الأصيل عرفت حقيقتهم . وان الشعارات التى اطلقوها ليست إلا خداع لتخدير الشعوب يمكنها من الانقضاض على الشعوب العربية الطيبة لتغرقها فى بحار من الدماء كما حصل فى العراق .

ولكن الشعب العربى عزل الأحزاب الشيوعية .

ماذا قالت جريدة الأحزاب الشيوعية العربية ؟ قالت :

« إن الشروط الرئيسية للاشتراكية كما تحددها المبادىء العلمية هى الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج الرئيسية وضمان سلطة البروليتاريا المتالفة مع جماهير الفلاحين . ثم قالت ان الاشتراكية تتطلب القضاء على كل اساس للراسمال الفردى » .

هذا ما قالته جريدة الشيوعيين .

وردنا على ذلك واضح ان اشتراكيتنا اشتراكية إنسانية فهى كما تعمل لإقامة عدالة اجتماعية وإنهاء الظلم الاجتماعى تحترم الانسان وترفض ان تجرده من آدميته . إن اشتراكيتنا التى اعلنت الثورة عنها فى اول يوم لها فى المبادىء الستة تهدف إلى القضاء على الإقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال وإقامة عدالة اجتماعية ولكنها ترفض ان يكون الانسان كالآلة الصماء لا مجال له فى الحياة . إن اشتراكيتنا تضع قيمة الانسان فى الاعتبار الأول فهو حر وله مجال للحركة والنشاط على اساس من مصلحة المجتمع وذلك بمنع الاحتكار والاستغلال وسيطرة راس المال .

كما ان اشتراكيتنا فى طابعها الانسانى تسير فى طريق ينبع من طبيعة الشعب العربى .

إن اشتراكيتنا تهدف إلى بناء مجتمع متحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى بالوسائل السلمية لا بالهدم والقتل ، نريد إقامة العدالة الاجتماعية والمساواة بدون أن تسود طبقة على طبقة بدون انتقام . ونحن نؤمن ان هذا ممكن . بل ان تجربة الممارسة والتطبيق فى ج. ع. م. تثبت ذلك .

إن الطبقة العاملة والفلاحين فى ج. ع. م. وهى تحصل على حقوقها وذلك بإنهاء دكتاتورية رأس المال والاستغلال والإقطاع والاحتكار وبالمشاركة فى الادارة والمشاركة فى الحصول على ٢٥٪ من الأرباح استطاعت ان تقفز قفزة كبيرة فى زمن اقل من القفزات التى حققتها الشيوعية فى بعض البلدان مع فرق واحد أساسى . نحن لم نذبح الطبقة الراسمالية او الاقطاعيين نحن لم ننتقم منهم ولم نحولهم إلى معدمين لأننا نؤمن أن الاشتراكية لابد أن تكون إنسانية . ولأننا نؤمن بإمكان حل التناقضات فى المجتمع بالوسائل السلمية ولأننا نؤمن بإقامة عدالة اجتماعية فى إطار الوحدة الوطنية . ولأننا نؤمن أن هدم وقتل الطبقة التى تملك وتشريدها وسيادة طبقة جديدة أمر يتنافى مع طبيعتنا ومع إنسانيتنا أمر لا ينتج عنه إلا إضعاف لبلدنا وإدخال شعبنا فى دوامة الإرهاب الطبقى . أن شعبنا سيفخر دائما ويرتاح ضميره لأنه يطبق الاشتراكية على أسس إنسانية ولأنه لم يتخل عن أى فرد من أبنائه ولم يذبح جزء منه ولم يستعبد أى من أفراده أو يشرده لا لسبب إلا لأنه خلق فى مجتمع ورث الإقطاع والرأسمالية .

إن شعبنا سيبنى المجتمع الاشتراكى الجديد بدون دم وبدون حقد وبدون انتقام سيبنيه على اسس إنسانية . إن الشعب العربى يرى فى الاشتراكية بعثا جديدا للإنسان لكل إنسان ولا يقبل ان تكون الاشتراكية تجريدا للإنسان من آدميته . إن التطورات الضخمة التى شهدتها ج. ع. م. فى ميدان التطبيق الاشتراكى منذ اول الثورة حتى الآن تتم بطريقة سلمية وبدون حقد للوصول إلى مجتمع تسوده العدالة والمساواة . مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات .

إن شعب ج. ع. م. يحقق المجتمع الاشتراكى بالوسائل السلمية بالمحبة والعمل ويرفض ان يكون سبيله إلى الاشتراكية والعدالة الاجتماعية عن طريق الحرب الطبقية داخل صفوف الشعب او عن طريق الحرب الأهلية .

يرفض شعب ج. ع. م. تغذية الصراع الطبقى داخل صفوف الشعب بفرض دفع التناقض إلى اقصى درجاته لإثارة حربا اهلية تؤدى إلى تدمير الطبقة التى تملك من اجل إقامة مجتمع المساواة عن طريق تمزيق شعبى داخلى عنيف ولكن شعب ج. ع. م. يريد ان يحقق الاشتراكية بطريقة اخرى فيها الإيمان الكامل بضرورة المساواة والعدالة الاجتماعية والقضاء على التناقض الطبقى دون حرب اهلية . إن اشتراكيتنا العربية تنادى بإذابة الفوارق بين الطبقات بالوسائل السلمية .

فإذا كانت الحرب الأهلية الطبقية بالنسبة للماركسية الطريق الوحيد للاشتراكية او الطريق الذى تقرره حتمية التاريخ والذى يجب ان يخضع له كل الاشتراكيين فإن ج. ع. م. فى تجربتها الاشتراكية تؤمن ان الحرب الأهلية الطبقية ليست امرا حتميا للوصول إلى الاشتراكية . إن شعب ج. ع. م. الذى يؤمن بالمحبة والعمل والوحدة الوطنية يعمل وهو يسير فى طريق الاشتراكية على إزالة التناقض الطبقى فى إطار من الوحدة الوطنية وإذا كان من الممكن الوصول إلى الاشتراكية دون أن تعانى الأمة من الصراع الطبقى الدموى الذى يمزق المجتمع بقسوة فلماذا الاصرار على إثارة الحرب الأهلية الطبقية واعتبارها امرا لا مفر منه . ولماذا الاصرار فى أن تسود طبقة البروليتاريا وتحطم وتسحق كل الطبقات إذا كانت الاشتراكية تحقق المساواة والعدالة الاجتماعية لصالح مجموع الشعب . إن شعب ج. ع. م. وهو يعمل للتحويل الاشتراكى وهو يرفض إثارة الحرب الأهلية الطبقية يصمم على انتزاع حقوق الطبقة العاملة بالوسائل السلمية كما يصمم على تطهير المجتمع من الإقطاع والاستغلال وسيطرة راس المال . إن الاشتراكية التى نعمل بها لا تستهدف تجميد النضال الطبقى وتثبيت الاستغلال والتحكم والسيطرة بل تهدف إلى إزالة الاستغلال وسيطرة راس المال والإقطاع وإقامة المساواة والعدالة الاجتماعية بدون تعريض المجتمع لحرب طبقية مدمرة . يقول الشيوعيون ان هذا مستحيل والاشتراكية الحقيقية لا يمكن ان تتحقق إلا من خلال ثورة طبقية تمحو بالدم كل آثار الاستغلال .

إن ثورة ج. ع. م. اثبتت إمكان إقامة مجتمع اشتراكى دون إشعال الحرب الطبقية المدمرة داخل صفوف الشعب كما اثبتت إمكان إقامة مجتمع اشتراكى فى إطار من الوحدة القومية .

قالت جريدة الأخبار البيروتية الناطقة باسم الشيوعيين :

« إن التدابير التى اتخذتها ج. ع. م أبقت جميع الأسس الراسمالية فما زال هناك حق الملكية الكبيرة هناك حق ملكية ١٠٠ فدان وهذا يعنى استثمار الإنسان للإنسان » .

وردنا على جريدة الشيوعيين بسيط واضح . لقد فقد الشيوعيون رؤوسهم حينما شعروا أن الاشتراكية تطبق بدون حرب طبقية وبدون حمامات الدم وبدون قتل الطبقات التى تملك . هل يذكر الشيوعيون ان ملكية الأرض فى ألمانيا الشرقية الشيوعية ٢٥٠ فدان وما راى فلاسفتهم فى هذا التطبيق . إن الاشتراكية لا يمكن ان تكون نظاما واحدا ثابتا او نظرية شاملة مخطوطة معدة للتطبيق فى كل مكان حتى المعسكر الشيوعى نفسه انقسم الراى فيه حول مفهوم الاشتراكية الصحيح . إن اشتراكية لينين غير اشتراكية ستالين غير اشتراكية خروشوف غير اشتراكية ماوتسى تونج وغير اشتراكية تيتو .

وهناك اتهامات متبادلة بالانحراف فالشيوعيون الصينيون يعلنون عن عزمهم على تطبيق اشتراكية ماركس بحرفيتها لبلوغ الشيوعية .

إن لكل بلد من الأسباب ما يجعله اقدر على معرفة الاشتراكية التى تناسبه .

إن اشتراكية ج. ع. م منبثقة من ظروف شعبنا واهدافه وحاجاته وتكوينه وطبيعته انها ليست اشتراكية ماركس أو لينين او ماوتسى تونج او تيتو او حزب العمال البريطانى .

إن اشتراكيتنا هى الحل الصحيح لمشاكل المجتمع فى بلدنا .

إن الماركسية تنص على ان الانتقال للشيوعية أو الاشتراكية لا يتم إلا بعد ان يتحول المجتمع الإقطاعى إلى مجتمع برجوازى اى نتيجة لتطور الصناعة وزيادة الطبقة العاملة وان الثورة الشيوعية ستحدث فى بلد صناعى . ولكن لينين خالف هذه النظرية وصمم على الانتقال للشيوعية راسا وقد عارضه كبار الشيوعيين فى حزبه ولكنه قال ان الهدف هو الوصول إلى الحكم وعن طريق الحكم سيطبق الشيوعية بل هل طبق لينين الشيوعية إنه حافظ على الكولاك حتى يحصل للشعب على حاجته من القمح وحتى لا تطيح المجاعة بالحكم .

إن اكبر عار يحيط بالشيوعيين العرب انهم قفلوا على عقولهم باغلال التبعية فالاشتراكية بالنسبة لهم ليست إلا ان يتحول الفرد إلى عميل . اما مفهوم الاشتراكية اما القضاء على الظلم الاجتماعى وإقامة عدالة اجتماعية فامور لا تعنيهم بشىء ولو طبقت اى بلد الشيوعية بحذافيرها ورفضت التبعية فإن الشيوعيين لن يقبلوا فالتبعية دينهم الوحيد وكل ما يقال غير ذلك ليس إلا خداعا وتضليلا .

وتستمر جريدة الأخبار الناطقة باسم الشيوعيين العرب العملاء فتقول :

« إن هذه التدابير تدخل ضمن نطاق ما يسمى براسمالية الدولة . ثم تقول ان البرجوازية ترى فى هذا القطاع العام تعبيرا عن مصالحها . فهى لضعف تراكم الراسمال لديها ولعدم قدرتها على بناء مشاريع كبيرة كمحطات توليد الكهرباء والسدود ومشاريع الرى وسكك الحديد والأساطيل البحرية والنهرية تشجع الدولة على القيام بهذه المشاريع لكى تستخدمها فيما بعد بأسعار رخيصة ومن هنا تظهر ناحية هامة وهى ارتباط محتوى وصفه القطاع العام بالسلطة القائمة ففى كل سلطة البروليتاريا يعتبر قطاع الدولة مؤسسة اشتراكية لأنه لا يوجد لصالح الجماهير اما فى ظل سلطة البرجوازية فهذا القطاع لا يتصف

بهذه الصفة ابدا . وهو موضوع نضال بين البرجوازية التى تحاول دائما تسخيره لمصالحها وبين الجماهير الشعبية التى تعمل لإنقاذه وجعله فى خدمة المصالح الشعبية العامة » .

الا يظهر من هذا القول ان الشيوعيين فقدوا عقولهم .

هل إشراك العمال فى الإدارة راسمالية الدولة ؟

هل اشتراك العمال فى ٢٥٪ من الأرباح رأسمالية الدولة ؟

هل التاميم لصالح البرجوازية كما يقول الشيوعيون ؟

هل التاميم والقطاع العام لصالح الاحتكارات كما يقول الشيوعيون ؟

إن ما يعنيه الشيوعيون ان القطاع العام لا يعتبر مؤسسة اشتراكية إلا فى حالة واحدة فقط وهى حكم البروليتاريا اى حكم الحزب الشيوعى . اما تطبيق الاشتراكية بغير الحزب الشيوعى فامر محرم لا يرضى به الشيوعيون الذين قفلوا عقولهم ولا يمكن ان يتصوروا ان الاشتراكية يمكن ان تطبق بدون حمامات الدم وبدون الحرب الاهلية الطبقية .

يقول الشيوعيون ان القطاع العام لخدمة البرجوازية والاحتكار لان السلطة برجوازية . هذا هو الموضوع . السلطة . كل ما يتم حلال وصحيح إذا كانت السلطة شيوعية . القتل مباح إذا كانت السلطة شيوعية . السحل مباح إذا كانت السلطة شيوعية . الإرهاب مباح إذا كانت السلطة شيوعية . الظلم مباح إذا كانت السلطة شيوعية . معسكرات الاعتقال مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . الحزب الواحد مباح إذا كانت السلطة شيوعية . المحاكم الخاصة مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . الملكية مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . ملكية ٢٥٠ فدان مباحة إذا كانت السلطة شيوعية . حتى الملكية الراسمالية ابيحت فى السلطة الشيوعية . كل شىء مباح على شرط ان يتربع الحزب الشيوعى فى الحكم . على شرط ان تسود البروليتاريا التى يمثلها الحزب الشيوعى . اما الاشتراكية اما العدالة الاجتماعية فلا يباح لغير الشيوعيين ان يمارسوها مهما بلغت عدالتها ومهما بلغت فى التطبيق لان الشيوعيين هدفهم الأممية قبل الاشتراكية والأممية هى حركة عالمية لا تقوم على المساواة بل تقوم على التبعية . إننا نطالب الشيوعيين ان يدلونا على الاحتكاريين فى بلادنا او يدلونا على سيطرة رأس المال لصالح البرجوازية فى بلادنا . إنها شعارات بالية شبع الشعب من سماعها وكشفها بل كشف الشيوعيين عن طريقها . إن الشيوعيون يريدون السلطة يريدون الحكم ولو تحالفوا مع الرجعية والإقطاع . إن الشيوعيين لا مبدأ لهم فالغاية تبرر اى فعل . تبرر الطعن فى اشرف ثورة عربية . إن الشيوعيين يريدون العمل من أجل الجماهير من اجل العمال والفلاحين احتكارا لهم حتى يستخدموا الطبقة العاملة فى الوصول إلى الحكم وحتى يجعلوا من بلدهم بلدا تابعا .

قالت جريدة الأخبار لسان حال الشيوعيين العرب :

« إن الحكم فى ج. ع. م حكم إرهابى موجه ضد جماهير العمال والفلاحين وضد مصالح البرجوازية الوطنية فى سوريا » .

الم يفقد الشيوعيون العقول ؟ الم يفقدوا المنطق ؟ هل تحديد الملكية الزراعية والقضاء على الاقطاع موجه ضد الفلاحين ؟

لصالح من ؟ لصالح الإقطاع ؟ هل تاميم ٨٠٪ من وسائل الإنتاج موجه ضد العمال لصالح من ؟ لصالح راس المال او لصالح البرجوازية ؟

ثم يكشف الشيوعيون انفسهم وهدفهم حينما يتملقون البرجوازية السورية ـ إن الأمر واضح وضوح الشمس . إن حقد الشيوعيين مرض مزمن خطير ولا يمكن ان يبراوا منه . لقد فقدوا املهم فى الحكم ففقدوا املهم فى سوريا بعد ان كشفهم الشعب . إن الشيوعيين افلسوا . لن تنفع شعاراتهم ليس امامهم إلا البرجوازية والإقطاع ليتحالفوا معهم لا لهدف إلا الوصول إلى الحكم . ولكن اشتراكيتنا تسير فى إطار من الوحدة الوطنية . ومهما تباكى الشيوعيون على البرجوازية الوطنية فإن الكل يعرف انهم لو وجدوا الفرصة لذبحوهم جميعا بل لذبحوا بعضهم البعض فى سبيل شىء واحد السلطة . الحكم .

ثم تستمر جريدة الأخبار الشيوعية فى هذيانها فتقول :

«إن الراسمال الاستعمارى يشارك فى القطاع العام ويجثم خطر توسع الاستغلال الاستعمارى للشعب فى إقليمى الجمهورية عن طريق هذا القطاع . ويمكن القول ان الرساميل الاستعمارية التى كانت سوريا مغلقة امامها امكن دخولها تحت ستار هذا القطاع » .

ثم تستمر فى الهذيان وتقول :

« إن قضية تاميم التجارة الخارجية ستكون عاملا مفيدا لاقتصاد البلاد إذا ترافق بتوسيع التعامل مع المعسكر الاشتراكى . اما إذا اتجه لتوسيع التعامل مع المعسكر الراسمالى ـ وهذا ما هو ملحوظ حاليا فإن الوضع سيتردى كثيرا ـ اما القروض فهى وسيلة استثمار اخرى » .

حقا لقد فقدتم عقولكم . اين هو الراسمال الاستعمارى سواء فى سوريا او فى مصر . لقد اممنا كل المؤسسات البريطانية وكل المؤسسات الفرنسية وكل المؤسسات البلجيكية ـ ثم اممنا ٦٠٪ من شركة البترول البريطانية . اين الراسمال الغربى الذى دخل سوريا بعد عام ٥٨ بعد الوحدة للاستثمار .

لم يدخل سوريا راسمال للاستثمار اما مصر فإن استثمار راس المال الأجنبى مشروط بصدور قرار جمهورى . ما دخل مصر منذ اول الثورة حتى الآن لا يزيد عن ثمانية ملايين من الجنيهات من مجموع استثمار ٨٠٠ مليون جنيه سنويا وفق سنة ٦١ / ٦٢ .

وهل نسى الشيوعيون ان لينين بعد نجاح ثورته طالب بالراسمال الأجنبى واباحه . وهل ينسى الشيوعيون ان لينين بعد الثورة حاول بكل الوسائل ان يحصل على قروض اجنبية من الدول الغربية لينقذ الاقتصاد المنهار . اما عن التجارة فلماذا يريد منا الشيوعيون ان لا نتاجر إلا مع المعسكر الاشتراكى . لماذا حلال على دول المعسكر الاشتراكى ان تتاجر مع الدول الراسمالية مع امريكا والمانيا وانجلترا وإيطاليا وفرنسا ولماذا يحرم علينا ان نتعامل مع العالم على قدم المساواة . الم يوقع الاتحاد السوفييتى إتفاقية مع بريطانيا منذ عدة اسابيع اشترى عن طريقها المصانع والآلات . هذا مباح . اما نحن فغير مباح لنا ذلك . الم تحصل بولندا على مساعدات من امريكا . فائض القمح والمواد الغذائية بما يبلغ ٦٠٠ مليون دولار . هذا مباح لبولندا . اما لنا فغير مباح وفق راى الشيوعيين إلا ان نتعامل مع المعسكر

الاشتراكى نرضى بما يعطينا ولا مجال لنا فى ان نخرج من هذه الدائرة . هذا منطق العملاء . إن القروض نبنى بها بلدنا وندفعها من عملنا . إننا نتاجر مع العالم كله . ناخذ احسن الأسعار . تجارتنا مع العالم كله بلا قيد ولا شرط . نقترض من العالم كله بلا قيد ولا شرط . اما كلامكم فهو قول الاتباع الذين لا تهمهم مصالح بلادهم او رفاهية شعوبهم وكل ما يهمهم ان يكونوا عملاء .

واستمرت جريدة الشيوعيين فى هذيانها فقالت :

« هناك شكل خطير يطبق فى الصناعة فى ج . ع . م إذ تقوم صناعات مشتركة تساهم فيها شركات استعمارية مع راسمالية الدولة مثل صناعة السيارات . فهذه الصناعة المتفق عليها مع شركات المانيا وإيطاليا تقوم على تصنيع الأجزاء الرئيسية للسيارة فى الخارج وتجمع فى ج . ع . م وتستثمر اليد العاملة بواسطة الشركات الأجنبية الغربية وتعفى من الجمارك والضرائب وتحتكر السوق وتجنى ارباحا طائلة تحت ستار قطاع الدولة » .

وردنا على ذلك ان الشيوعيين يتبعون اسلوبهم المبنى على التجرد من كل اخلاق .

إن صناعة السيارات فى ج . ع . م صناعة عربية خالصة . إن الإتفاق مع الشركات الألمانية هو اتفاق لبناء مصنع لعربات النقل والأمنيبوس . ونص فى الاتفاق على ان يقوم التصنيع على مراحل ثلاث كل مرحلة سنة واحدة فى السنة الأولى نصنع ٣٠٪ من السيارة وفى الثانية نصنع ٧٠٪ من السيارة وفى الثالثة نصنع ٩٥٪ من السيارة . وكذلك فى عربات الركوب ستقوم الشركة الايطالية فيات ببناء المصنع وبعد ثلاث سنوات يتم تصنيع ٩٦٪ من السيارة فى ج . ع . م .

واستمرت جريدة الشيوعيين فقالت :

« إن اخطر ظاهرة فى الاستقراض من الدول الاستعمارية استخدام القروض فى الدول الأخرى ايضا . وفى القرض الألمانى الغربى الأخير بند يقول بإمكان التعاون فى توظيف كميات من هذا القرض فى البلدان الأخرى وهذا يعنى ان قطاع الدولة فى ج . ع . م سيكون ستارا للاستعمار الألمانى الغربى للتغلغل فى البلدان الافريقية التى يصعب عليه الدخول فيها » .

وردنا على ذلك ان الشيوعيين لم يكتفوا بنشر الأكاذيب لخلق الشكوك فى داخل الأمة العربية بل يحاولون ان ينشروا الشك فى افريقيا . ان ج . ع . م وهى تعطى القروض للدول الافريقية إنما تحارب نفوذ الاستعمار بكل اشكاله ونفوذ إسرائيل . وهى تعطى هذه القروض من اموالها .

اما النص الذى نشرته صحيفة الشيوعيين العملاء عن بند يسمح بإعطاء جزء من قروض المانيا إلى افريقيا فلا يوجد إلا فى رؤوس الشيوعيين . لا يوجد نص بهذا الشكل ولا يسمح للجمهورية العربية المتحدة بأن تصرف القرض فى بلد آخر . هناك نص يقول يمكن لالمانيا ان تحصل على القرض من بلد آخر اما نحن فلا نحصل على القروض اموال سائلة سواء من روسيا او المانيا ولكنا نحصل عليها على شكل آلات . إن حقد الشيوعيين يدفعهم لأن يسهلوا الطريق لإسرائيل فى افريقيا لتسيطر فهذا لا يهم الشيوعيين فى شىء اما ما يقلق الشيوعيين فهى ج . ع . م لأنها تسير فى طريق الاشتراكية المستقلة ، لأنها لا تقبل طريق التبعية .

ثم تقول صحيفة الشيوعيين :

« إن الغرض من التاميم وضع اليد على ودائع البنوك وشركات التامين لاغراض التنمية . ومن المعروف ان نتائج السنة الأولى لخطة التنمية لم تنجح تماما وفى سوريا لم ينفذ اكثر من ٤٠٪ مما هو مرسوم فى الخطة » .

الا يدعو هذا الكلام إلى السخرية وإلى الضحك ؟

إذا تركنا البنوك قلتم احتكارات برجوازية . إذا أممنا البنوك قلتم ما الغرض ؟ الغرض استخدامها فى التنمية .

الغرض مرض ومرضكم معروف . مرضكم الفشل المريع . مرضكم الانعزال عن الشعب العربى . من سوء حظكم أن الخطة نجحت فى مصر . ومن بلاء حظكم انها نجحت فى سوريا ايضا . إن الخطة للسنة الأولى فى مصر تم منها تنفيذا ٨٥٪ والباقى فى طريق التنفيذ . وما نفذ حتى الآن يمثل ضعف ما نفذ فى العام الماضى . اما فى سوريا فإن الخطة للسنة الأولى نفذ منها ٧٥٪ والباقى فى طريق التنفيذ . وما نفذ اكثر من ضعف ما نفذ فى العام الماضى .

ثم تقول جريدة الشيوعيين :

« إن الغرض من هذه التدابير هو الوفاء باعباء القروض المختلفة فإن العربية المتحدة لجات إلى سياسة الاستقراض بشكل واسع وخاصة من الدول الاستعمارية وهى مدينة لالمانيا الغربية وحدها باكثر من ٢٠٠ مليون جنيه وللولايات المتحدة باكثر من ٣٠٠ مليون جنيه عدا ديون إيطاليا وانجلترا واليابان وتعويض حملة اسهم قنال السويس واصحاب الأملاك الانجليزية والفرنسية والبلجيكية المؤممة . إن العربية المتحدة امام موقف دقيق ولابد من وسيلة لجمع الأموال للايفاء بهذه الاعباء » .

هذا ما يقوله الشيوعيون فهو كلام يقال إما عن جهل او سوء نية . إن ج . ع . م حصلت على قروض قيمتها ٤٠٠ مليون جنيه . منها ٢٠٠ مليون من الاتحاد السوفييتى استخدم منها حتى الآن ٥٠ مليون فقط ومنها ٢٠٠ مليون من الدول الغربية استخدم منها ٢٥ مليون لالمانيا .

١٠ مليون لليابان .

والباقى لم يستخدم حتى الآن .

اما قروض امريكا فهى نتيجة شراء حاصلات بالعملة المحلية .

اما اموال المؤسسات البريطانية والفرنسيةالمؤممة فقد دفعت بالكامل . اما تعويض تاميم قنال السويس فقد دفع عدا قسط واحد .

هذه هى الحقيقة . .

ثم تقول جريدة الشيوعيين :

« إن من الأسباب القابعة وراء هذا التدبير ـ تقوية الطابع الاحتكارى للاقتصاد والتناقض بين الزمرة الحاكمة وبعض الاحتكاريين المصريين لان الزمرة الحاكمة فى مصر منذ ٩ سنوات اصبحت لها اسس ومصالح اقتصادية » .

وردنا على ذلك ان الشيوعيين يتخبطون . هل توزيع الأرض على الفلاحين تقوية للطابع

الاحتكارى ؟ هل قوانين تحديد الدخل والضرائب التصاعدية تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل التاميم تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل تحديد الملكية فى الشركات تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل إشراك العمال فى الإدارة تقوية للطابع الاحتكارى ؟ هل إشراك العمال فى الأرباح وتوزيع ٢٥٪ منها عليهم تقوية للطابع الاحتكارى ؟ ونسال الشيوعيين ما هى المصالح الاقتصادية للزمرة الحاكمة كما تقولون .

إن هذا القول لا دافع له إلا الحقد الذى تنفعل به قلوبكم بعد ان آمن الشعب العربى بالاشتراكية العربية القومية ونفض أساليب الشيوعيين لانه كشفهم . لقد كشف الشعب العربى تضليل الاحزاب الشيوعية واصبحت الاحزاب الشيوعية فى البلاد العربية معزولة ومنبوذة . وبعد ثورة العراق كان اى شيوعى يخرج فى الطريق يتابعه الاحرار بهتاف دخل التاريخ . شيوعى فوضوى عميل .

وقالت جريدة الشيوعيين :

« ضمن القرارات التى صدرت قرار يقول بمنح ٢٥٪ من صافى الأرباح للعمال وهذا القرار اكثر القرارات تضليلا وهو الكذبة الكبرى » .

وقالت الجريدة « وسيرافق كل ذلك محاولات لانعدام الصراع الطبقى » .

وردنا على ذلك ان الشيوعيين فقدوا كل الأرض التى تصوروا انهم يقفون عليها وهم يصرون على النضال الطبقى والحرب الأهلية ولا يهمهم بحال تحسين حالة العمال أو مشاركتهم فى الإدارة نتيجة عملهم بدلا من استمرار الإدارة مقصورة على اصحاب راس المال .

لا يهمهم ان ياخذ العمال ٢٥٪ من الارباح بدلا من قصر الأرباح جميعها على راس المال . اليس هذا انحرافا عن جميع الأفكار الاشتراكية ؟ ـ لقد صعق الشيوعيون لأن هذه الخطوة الجبارة تعتبر نقطة تحول عظمى بالنسبة للعامل فى العالم اجمع . بل إن العامل فى الدول الشيوعية لم يحصل على هذه الامتيازات . إنها امتيازات تتصف بالصفة الإنسانية . فالعامل ليس آلة بل إنسان يشارك فى الإدارة ويشارك فى الأرباح ولا يريد الشيوعيون للعامل إلا ان يكون آلة ضمن المصنع لا إنسانية له ولا آدمية . كل ما يطلبون هو الصراع الطبقى حتى تصل البروليتاريا إلى الحكم وتهدم المجتمع بالعنف . وإذا حصل العامل على هذه الامتيازات تبخرت آمال الشيوعيين فى حتمية الصراع الطبقى وضاع املهم فى الحكم وضاع املهم فى هدم المجتمع بالقوة والعنف واصبحوا فى وضع منعزل .

وقالت جريدة الشيوعيين :

« إن عبد الناصر وعد بتحقيق يوم العمل بالسبع ساعات ثم قالت إن هذا قول ستجرى المماطلة حوله ولن يتم ومن الواضح ان هذا التدبير يهدف إلى تشغيل عدد من العاطلين عن العمل » .

وردنا على هذا القول ان الشيوعيين صعقوا من هذا الإجراء فإن الدول التى تطبق يوم العمل بالسبع ساعات لا تزيد عن ثلاث دول أو أربع والكثير من الدول الشيوعية لا زالت تطبق معسكرات العمل والثمان ساعات . هل هذا ما تريدون ان نطبقه فى بلدنا .

إن الصناعة فى ج . ع . م سارت فى تطورها وتضاعف إنتاجها فى سبع سنوات وان الالات الحديثة التى تستخدم والأوتوميشن تستدعى عددا اقل من العمال لتشغيل الماكينات وهذا

سبب لتخفيض ساعات العمل . اما البطالة التى يتشدق بها الشيوعيون فهى نتيجة الاستعمار وحكم اعوان الاستعمار . فكيف حلتها الشيوعية . او كيف يقترح الشيوعيون الحلول لها . إن البطالة استمرت فى الاتحاد السوفييتى بعد الثورة الشيوعية إلى ما بعد عام ٣٢ - ولكن اشتراكيتنا ستقضى على البطالة بمضاعفة الإنتاج كل خمس سنوات ومضاعفة الدخل القومى كل عشر سنوات وبتقليل ساعات العمل . ولن نبقى البطالة سيفا مصلطا كما يقول الشيوعيون . من اجل القضاء على البطالة نتوسع فى التصنيع ونحصل على القروض التى لا يرضاها الشيوعيون . إن الشيوعيين يهاجمون التوسع التجارى فى افريقيا ويقولون هذه سياسة توسعيه ويهاجمون الحصول على القروض من الدول الراسمالية ويقولون اقصروها على الدول الشيوعية . ثم يقولون ان هناك بطالة . باى منطق يتكلم الشيوعيون .

ثم يقول الشيوعيون فى جريدتهم :

« إن امرا هاما يجب ذكره فى هذا المجال ففى سجون ج. ع. م. عدد كبير من الشيوعيين وهؤلاء هم اشد انصار الاشتراكية فكيف يمكن التوفيق بين إدعاء الاشتراكية وحبس الشيوعيين » .

وردنا على هذا اننا نحبس الشيوعيين لانهم عملاء تنكروا لوطنهم وشعبهم وقوميتهم وعروبتهم . وهل هناك دليل على هذا اوضح من هذا البيان الذى نشرتموه . إن الاشتراكية ليست احتكارا . إن الاشتراكية ملازمة للقومية . تنكرتم للوطنية وتنكرتم للقومية بل تريدونها حربا اهلية طبقية تهدم وتقتل لتسيل بحار الدماء .

إن الاشتراكية مرادفة للإنسانية وانتم تنكرتم لكل قيمة إنسانية . هدفكم الحكم والهدم والقتل . إن الاشتراكية ملازمة للأخلاق واين الأخلاق منكم إن الغاية تبرر الواسطة . الغاية الحكم اما الواسطة فلا حد لها . إن مكان العملاء فى بلادنا هو السجن اما العمل فهو للشرفاء .

وهاجمت جريدة الشيوعيين كل هذه الإجراءات وقالت انها سابقة لأوانها بالنسبة لسوريا . فقد تناولت تدابير التاميم او توسيع القطاع العام عددا من الشركات الصناعية السورية ومعروف ان لسوريا ظروفها الخاصة وهنا يطرح سؤال : اليس وراء هذه التدابير ابتلاع سوريا نهائيا .

وردنا على ذلك ان المنطق ينقصكم . لماذا تتمسحون وتتملقون البرجوازية فى سوريا . لماذا تتناسون برامجكم التى تطبقونها إذا وصلتم للحكم . الا ينص برامجكم على هدم الطبقات البرجوازية بالقوة والقضاء عليها وتجريدها من كل ما تملك . سيادة البروليتاريا . الم تطبق الشيوعية ذلك ؟ لماذا تذرفون دموع التماسيح على البرجوازية فى سوريا ولو وقعت فى يدكم لذبحتموها وجردتموها من كل ما تملك .

إن املكم فى ابتلاع سوريا ضاع ولهذا تتملقون البرجوازية عسى ان تساندكم وتتحالف معكم لتوصلكم إلى هدفكم فتنقلبوا عليها بعد هذا وتهدموها وتقتلوها وتسلبوها كل ما تملك . ولكن هل تفلح هذه الحيل . إن الاشتراكية العربية تبنى مجتمعا إنسانيا بلا قتل ولا هدم . بالوسائل السلمية . وهذا يجردكم من كل اسلحتكم التى استخدمت لإثارة الصراع الطبقى لاستخدامه للوصول إلى الحكم . إنكم اعداء للوحدة العربية ولهذا تقولون ان هذه الإجراءات ستبتلع سوريا .

ولكن ما رايكم بالأمية بل ما رايكم بالتبعية ؟ إن هذا واضح فى برامجكم . الامية ترضونها والتبعية ترضونها اما الوحدة العربية . اما القضاء على الحدود المصطنعة التى خططها الاستعمار فلا توافقون عليها .

ثم يستمر الشيوعيون فيقولون « إن مبدا الضريبة التصاعدية مبدا صحيح ولكن مبادىء العدل تتطلب بالدرجة الأولى إلغاء الضرائب غير المباشرة » .

هل المجتمع الاشتراكى يعتمد اصلا على الضرائب المباشرة ؟ لناخذ الاتحاد السوفييتى مثلا : إن ٨٥٪ من الضرائب غير مباشرة . اما بالنسبة لأسعار المواد الاستهلاكية كالسكر او الكماليات وهذا امر طبيعى فالضرائب المباشرة تطبق على الملكيات الكبيرة . وفى النظام الاشتراكى لا توجد ملكيات كبيرة .

إن نظامنا الاشتراكى يعتمد على الضرائب المباشرة وغير المباشرة .
إن الأنظمة الشيوعية تعتمد اساسا على الضرائب غير المباشرة .
ثمن كيلو السكر عشر اضعاف ثمنه فى ج. ع. م.
ثمن الملبوسات عشر اضعاف ثمنها فى ج. ع. م.
اليس كلامكم كله تضليل ؟
ثم يقول الشيوعيون فى جريدتهم :

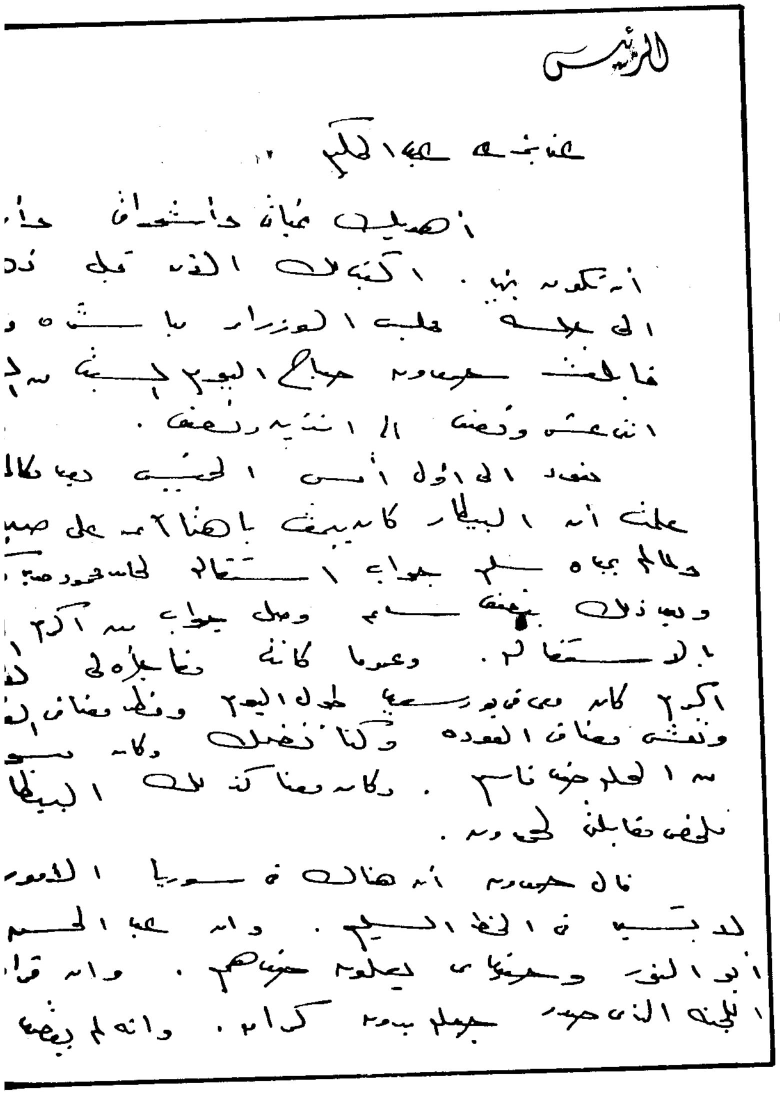
« إن تقوية الجبهة الوطنية امر هام جدا ويجب توسيع النشاط بتوحيد جميع القوى الوطنية المختلفة من اجل إعادة النظر فى اسس الوحدة ونشر الديمقراطية وسلوك سياسة وطنية » .

لقد كشف الشيوعيون انفسهم مرة أخرى فهدفهم الأول هو كسر الوحدة العربية ولو تحالفوا مع البرجوازية ومع الإقطاع والرجعية . الأمر للشيوعيين ليس إقامة عدالة اجتماعية بل الأمر بالنسبة لهم أمر واحد : السيطرة الشيوعية .

لقد اكتسح تيار القومية العربية الشيوعية . لقد اكتسح التيار الاشتراكى العربى الشيوعيين . فاين اصبحوا الآن ؟ نسوا كل ما تكلموا عنه وذكروا شيئا واحدا لابد من سيادة الحزب الشيوعى وهدم كل الأمة بكل مقوماتها بالقوة والعنف . هذه هى الديمقراطية . ان يحكم الحزب الشيوعى وان يقتل كل من يعارضه . الديمقراطية فى عرفكم معسكرات العمل والسخرة . الديمقراطية فى عرفكم أن يكون الإنسان كالآلة لا مجال له إلا ما يقرره الحزب الشيوعى . إن الشعب العربى كشف الشيوعية وعرفها وكشف الشيوعيين وسيسير فى طريق الاشتراكية الإنسانية .

الوثيقة رقم (٣٥)

صورة للصفحة الأولى من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٥٩ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » الذى كان موجودا فى دمشق ، وهو يشرح فيه بداية وتفاصيل الأزمة مع حزب البعث السورى .



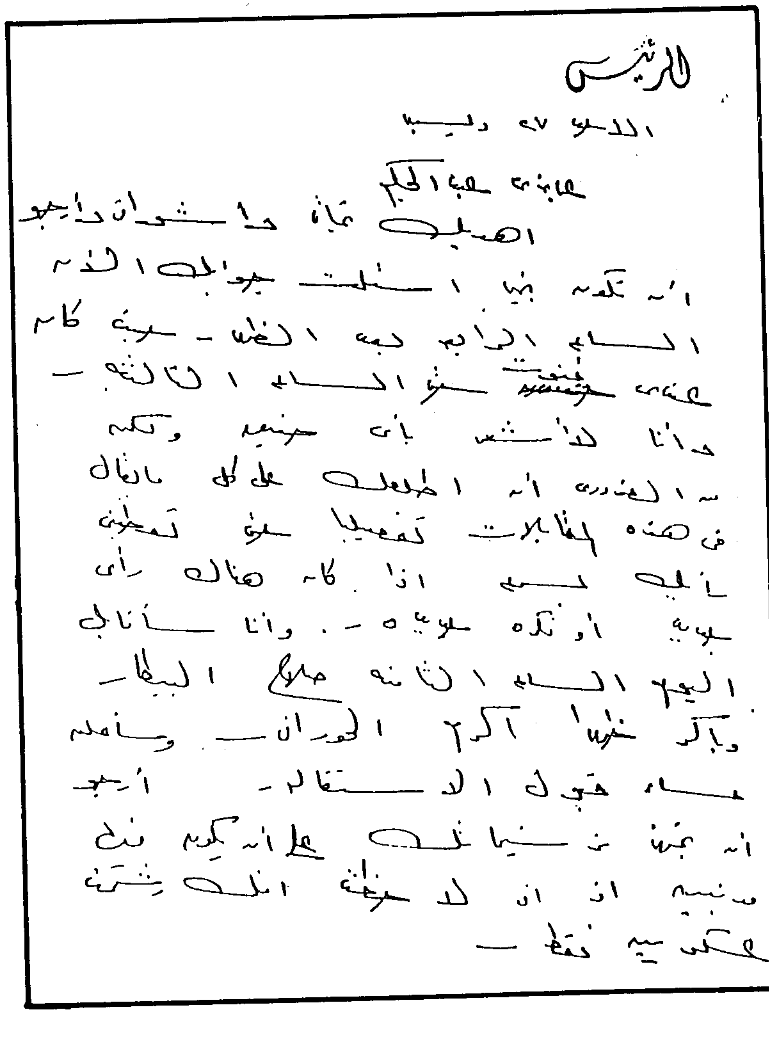
عزيزى عبد الحكيم
اهـديـك تحيـاتـى
واشواقى وارجو ان تكون
بخير . اكتب لك الآن قبل
ذهابى إلى جلسة مجلس
الوزراء مباشرة وقد قابلت
حمدون صباح اليوم
السبت من الساعة اثنى
عشر ونصف إلى اثنين
ونصف .

نعود إلى اول امس
الخميس بعد مكالمتك
علمت ان البيطار كان
يبحث باهتمام عن على
صبرى ولما لم يجده سلم
جواب استقالة لحامد
محمود مدير مكتبه وبعد
ذلك بنصف ساعة وصل
جواب من اكرم الحورانى
بالاستقالة . وعموما كانت
مفاجاة لى لأن اكرم كان
معى فى بور سعيد طول
اليوم وفطر معنا فى القطار
وتعشى معنا فى العودة
وكنا نضحك وكان مبسوط
من الحملة ضد قاسم .

وكان معنا كذلك البيطار فلخص مقابلتى لحمدون . قال حمدون ان هناك فى سوريا الأمور لا تسير فى الخط السليم . وان عبد المحسن ابو النور وحنيدى يعملون ضدهم . وان قرار اللجنة الذى صدر جعله بدون كرامة . وانه لم يقصد

الوثيقة رقم (٣٦)

صورة للصفحة الأولى من خطاب ثان كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٥٩ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » الذى كان لا يزال فى دمشق ، وهو يروى فيه تفاصيل الأزمة الممتدة مع حزب البعث السورى . ويلاحظ فى هذا الخطاب قول الرئيس « جمال عبد الناصر » : « ارجو ان تجهز ترشيحاتك (للوزارة الجديدة) على ان يكون فيها مدنيين إذ اننى لاحظت انك رشحت عسكريين فقط » .



الأحد ٢٧ ديسمبر

عزيزى عبد الحكيم
اهـديـك تحيـاتـى
واشواقى وارجو ان تكون
بخير استلمت جوابك الآن
الساعة الرابعة بعد
الظهر - حيث كان عندى
قنوت حتى الساعة
الثالثة - وانا لا اشعر باى
ضيق ولكن من الضرورى
ان اطلعك على كل ما يقال
فى هذه المقابلات تفصيليا
حتى تعطينى رايك بسرعة
إذا كان هناك راى جديد
او فكرة جديدة - . وانا
ساقابل اليوم الساعة
الثامنة صلاح البيطار
وباكر ظهرا اكرم
الحورانى - وساعلن مساء
قبول الاستقالة - ارجو ان
تجهز ترشيحاتك على ان
يكون فيها مدنيين إذ انى
لاحظت انك رشحت
عسكريين فقط .

الوثيقة رقم (٣٧)

صورة للصفحة السادسة من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٥٩ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » الذى كان لا يزال فى دمشق ، وهو يحتوى على جزء من مناقشة بين الرئيس والأستاذ « صلاح البيطار » حول تجربة الوحدة مع سوريا .

هـذا ملخص لكـلام البيطار لمدة ساعة . وبعد ذلك ناقشته فى كلامه ـ فقلت له ـ هل تذكر ان نغمة الاستعمار المصرى ليست جديدة وانها قديمة وكـانت موجـودة بعـد عودتى من روسيا فى مايو من العام الماضى وانى تكلمت معك فى ذلك على اساس انها كانت تردد من البعثيين فقال نعم وقلت له انكم اتبعتم طريقة سلبية للضغط ثم اتبعتم طريقة اللمز ولذلك فانا اغلقت جريدة « الراى العام » التى كانت تحاول ان تبين مصرى وسورى وحينما بحثنا الأمر اقترح ميشيل ان تشكل لجنة من اكرم وميشيل والبيطار وثلاثة من مصر يكون لها السلطة فى كل شىء وانى رفضت ذلك وقلت انى لن اقبل لجنة وصاية وهناك دستور ومنظمات يمكن ان تكون ليكون جهاز الحكم طبيعى أما اللجنة السرية فسيكون ضررها بالغا فقال لقد كانت هذه فكرة ميشيل وانا لم

الوثيقة رقم (٣٨)

صورة للصفحة الثامنة من خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٥٩ ويلاحظ فيها إلحاحه على تفضيل المدنيين فى الوزارة ، كما يلاحظ فيها طلبه فى التخفيف من إجراءات « الدولة البوليسية » بعد ان سمع من كثيرين عن نشاط وزارة الداخلية فى سوريا .

بملتهم فى دمشق والأمر بالنسبة لهم مسالة حياة اوموت .

اعود واقول انى اترك امر الترشيحات الجديدة لك ولكن افضل المدنيين او اكثرية من المدنيين .

وهذا كله لن يكون مفيد اوجدى مالم نعمل بسرعة على إزالة الأسباب التى تؤدى إلى النقد العام .

واهم شىء يركزون عليه الآن هو الدولة البوليسية ولذا فمن الضرورى أن نخفف وزارة الداخلية فى اسلوبها فى العمل ـ ويجب منع الاعتقالات كلية إلا بقرار منك ويجب منع اى ضرب او تعذيب .

كما أن الأساليب التى يتبعها بوليس الآداب بالرغم من تفاهة الموضوعات

الوثيقة رقم (٣٩)

صورة للصفحة الأخيرة من خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٥ يناير ١٩٦٠ ويلاحظ فيها قول الرئيس بعد الخلافات مع البعث السورى « وانا الآن خائف على نفسى خائف من ان اكفر بالقومية والعروبة والوحدة ـ لأن هؤلاء الناس قرفونى كل واحد يشتم فى الثانى ويسبه فى كل شيء » .

الرئيس

وانا الآن خائف على نفسى
خائف من ان اكفر بالقومية والعروبة
والوحدة - لأن هؤلاء الناس
قرفونى كل واحد يشتم فى الثانى ويسبه
فى كل شئ ارجو لك التوفيق
جمال
طيه قصاصة من الوحدة يظهر فيها الدس
جمال ٥ يناير ١٩٦٠

وانا الآن خائف على نفسى خائف من ان اكفر بالقومية والعروبة والوحدة ـ لأن هؤلاء الناس قرفونى كل واحد يشتم فى الثانى ويسبه فى كل شيء ارجو لك التوفيق .

جمال

طية قصاصة من الوحدة يظهر فيها الدس .

جمال
٥ يناير ١٩٦٠

الوثيقة رقم (٤٠)

صورة من خطاب بعث به السفير الأمريكى فى القاهرة المستر « جون بادو » بتاريخ ٢٢ اكتوبر ١٩٦٢ موجه إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » . واهم ما فيه تاكيداته عن المفاعل الذرى الاسرائيلى فى « ديمونة » ، وانه ليس ثمة دليل على التاهب لإنتاج اسلحة نووية .

American Embassy,
Cairo, United Arab Republic,
October 23, 1962.

My dear Mr. President:

At President Kennedy's request, I am with this delivering to you the text of a letter concerning the situation in Cuba and also the text of President Kennedy's address to the American nation, made last evening (October 22). I am at the disposal of your Government further to discuss this matter if so required.

May I take this occasion to inform you confidentially that recently American scientists visited the Dimona atomic reactor in Israel. On the basis of their visit and inspection, the United States Government renews its assurances of June 1961 that these observations confirm Israeli statements that the reactor is intended for peaceful purposes only. Work on the reactor is progressing normally and there is no evidence of preparation for nuclear weapons production.

Respectfully yours,

John S. Badeau
American Ambassador

His Excellency
Gamal Abdel Nasser,
President of the United Arab Republic,
Cairo.

السفارة الأمريكية
القاهرة ـ الجمهورية العربية المتحدة
٢٣ اكتوبر ١٩٦٢

عزيزى السيد الرئيس

بناء على طلب الرئيس كيندى ارفق مع هذا نص كتاب يتعلق بالوضع فى كوبا وكذلك نص خطاب الرئيس كيندى إلى الامة الأمريكية الذى القاه مساء امس (٢٢ اكتوبر) . وإنى رهن حكومتكم للاستزادة من بحث هذا الموضوع إذا رغبت فى ذلك .

وهل لى ان انتهز هذه الفرصة لانهى إليكم بصورة سرية ان علماء امريكيين قاموا اخيرا بزيارة مفاعل ديمونة الذرى فى اسرائيل . واستنادا إلى زيارتهم وتفقدهم تجدّد حكومة الولايات المتحدة تاكيداتها التى اعطتها فى يونيو ١٩٦١ وهى ان هذه الملاحظات تؤكد البيانات الاسرائيلية القائلة إن المفاعل لا يراد إلا للاغراض السلمية وحدها . ويجرى العمل فى هذا المفاعل بصورة عادية وليس ثمة دليل على التاهب لانتاج اسلحة نووية .

باحترام
جون س . بادو
السفير الأمريكى

صاحب الفخامة جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة القاهرة

الوثيقة رقم (٤١)

صورة وثيقة تتضمن مذكرة كتبها « روبرت كومر » مستشار الأمن القومى فى البيت الابيض الأمريكى المختص بالشرق الأوسط ـ إلى الرئيس « جون كنيدى » وهى تتحدث عن اللقاء المرتقب بين الأمير « فيصل » ولى عهد المملكة العربية السعودية والرئيس الأمريكى « جون كنيدى » .

(Rec'd from Mrs. Lincoln 10/4)

~~SECRET~~ October 4, 1962

MEMORANDUM FOR

THE PRESIDENT

Faisal is in the US primarily to see you. We've had numerous reports that Saud is rapidly failing. Faisal, next in line, is probably here to find out how much he and his country can rely on US support. You can talk frankly to him, [redacted]

Most important, Faisal wants very much a half hour privately with you, without any other Saudis present. He may want to say a few things about his own future. Why not take him upstairs for coffee right after luncheon. His English is fair (or you can ask along our own Arab interpreter, Sabbagh, to translate).

Unfortunately, the Yemen revolt has brought to a boil all Saudi fears of Nasserism (the house of Saud well knows it might be next). Faisal wants US backing for the UK/Saudi counter-effort in Yemen. It will be hard to satisfy him on this score.

Our current Yemen policy is one of non-involvement. We can't do much anyway, and the Imam's regime was one of the most backward in the world. However, Nasser clearly backed the revolt and his radio is telling Saud he'll be next. So the Saudis feel compelled to react. [redacted]

Therefore, it would be best to steer Feisal off Yemen and on to US-Saudi relations. Here the important thing is to reassure Faisal as to our firm backing of the House of Saud and as to our policy toward Nasser. If you can get just these two points across at luncheon, it will be a great success.

Faisal was once pro-Nasser, but now (like Saud) hates and fears him; he suspects we have really changed our Arab policy to one of supporting Nasser as our chosen instrument. I urge disabusing him in no uncertain terms. We are not backing Nasser against the other Arab states, with whom we have longstanding cordial relations. If this were the case, why are we continuing to be helpful to Saudis, [redacted] and giving major new aid to Syria, plus underwriting the independence of [illegible]? These actions are totally inconsistent with any suggestion we [illegible]ing Nasser as Mr. Big in the Arab world.

003566/87

~~SECRET~~

« ٤ اكتوبر ١٩٦٢

مذكرة إلى الرئيس ـ رجاء الإطلاع عليها قبل الغداء .

إن فيصل هنا فى الولايات المتحدة لكى يراك . إن لدينا مجموعة من التقارير المؤكدة تشير إلى ان موقف سعود يتهاوى بسرعة . فيصل هو الثانى فى الصف . وهو هنا لكى يعرف منك كيف يمكن له ولبلاده ان يعتمدا على الولايات المتحدة . وتستطيع ان تتحدث بصراحة إليه ..... (سطر محذوف) . النقطة المهمة ان فيصل يريد بشدة نصف ساعة فى حديث خاص معك لا يحضره ايا من مرافقيه السعوديين . وهو يرغب فى ان يتحدث إليك فى مسائل تخص مستقبله الخاص . لماذا لا تأخذه إلى الدور العلوى لفنجان قهوة بعد الغداء مباشرة ـ إن انجليزيته معقولة ، وإذا أردت مترجما ، او إذا اراد هو فسوف يكون صباغ مترجم الخارجية تحت طلبك ليقوم بالترجمة .

من سوء الحظ ان التمرد فى اليمن اوصل المخاوف السعودية من الناصرية إلى نقطة الغليان . إن اسرة سعود تعتقد انها قد تكون هدف ناصر التالى . إن فيصل يريد مساندتك من اجل جهد بريطانى ـ سعودى مشترك للعمل فى اليمن ، وقد يكون من الصعب عليك ان تستجيب إلى طلبه فى هذا الخصوص .

إن سياستنا الحالية فى اليمن حتى الآن هى سياسة عدم التدخل . وليس فى إمكاننا عمل شىء على اى حال فى الوقت الراهن . كما ان نظام الإمام كان اكثر النظم تخلفا فى العالم . ومن الواضح أن ناصر يؤيد التمرد ، كما أن إذاعاته لا تخفى عن سعود انه الهدف التالى . ومن هنا فإن السعوديين يشعرون أنهم مضطرون لرد الفعل .... (ثلاثة سطور محذوفة) .

وعلى هذا الأساس فقد يكون من الأفضل توجيه اهتمام فيصل من اليمن إلى العلاقات الأمريكية السعودية . وفى هذا الصدد فإن امامك

اولا ـ ان تؤكد لفيصل مرة اخرى مساندتنا للأسرة السعودية .

ثانيا ـ سياستنا تجاه ناصر .

وإذا استطعت نقل هاتين النقطتين إلى فيصل بوضوح اثناء الغداء فسوف يكون ذلك نجاحا كبيرا .

إن فيصل كان فى وقت من الأوقات مواليا لناصر ، ولكنه الآن شانه شان سعود يكرهه ويخشاه ، وهو يشك فى اننا غيرنا سياستنا العربية إلى سياسة تؤيد ناصر باعتباره رجلنا المختار . وانا احثك على ان تطرد هذه الفكرة من ذهنه بطريقة لا تحتمل الشك . إن تاييدنا للسعودية مؤكد ، ومن ذلك فنحن لن نتعامل مع ناصر باعتباره السيد الكبير فى العالم العربى . وتستطيع ان تشرح له ان سياستنا تجاه ناصر قد رسمت لتحقيق الأهداف التالية :

ا - رده إلى داخل بلاده .

ب - زيادة امكانياتنا فى الضغط عليه ، وهذا هو هدف مساعداتنا له .

جـ - إذا لم نساعده نحن فسوف يتجه إلى السوفيت ، وهذا سوف يكون ضارا بمصالح اصدقائنا العرب فى المنطقة .

وربما المحت له إلى اننا نتوقع من السعوديين انفسهم ان يتحركوا إلى الأمام بعض الشىء فى اتجاه التحديث والتنمية . إن بعض الإصلاحات الداخلية هى افضل طريق لمواجهة الناصرية ، ونحن سعداء ان هناك بعض المؤشرات المشجعة فى هذا الاتجاه ، وإن كنا نتساءل عما إذا كانت سرعة إحداثها كافية .

اعتقد ايضا انه يتعين عليك ان تثير مسالة التمييز ضد اليهود الأمريكيين فى السعودية باعتبارها عاملا يؤثر على صداقتنا . إن سعود كان قد وعدك فى فبراير الماضى انه سيغير سياسته ولكننا لم نر اثرا لذلك . ونحن نفهم مشاعر السعوديين فيما يختص بإسرائيل ، ولكننا نامل ان يتمكنوا بدورهم من فهم مشاعرنا . ولك ان تشرح له ان اهتمامنا بهذه القضية لا ينبع من جماعات ضغط تمارس نفوذا على السياسة الأمريكية . وعليه ان يعرف منك ان إسرائيل هنا لتبقى وسوف نعارض اى هجوم عليها ، كما اننا سوف نعارض اى جهد إسرائيلى للتوسع . لا تجعل لديه اى شك فى اننا سوف نواصل الوقوف بجانب اصدقائنا .

إمضاء

روبرت كومر

□ ملحوظة : مرفق مع هذا مجموعة من المذكرات تستطيع الإطلاع عليها إذا كان لديك وقت ، كما ان هناك تقريرا جديدا من الخارجية سوف يصلك عن اخر اراء فيصل وعن تعليقاتهم عليها .

~~SECRET~~

2.

Indeed, our policy toward Nasser is designed (a) to turn him inward; and (b) to increase US leverage on him so that we can encourage policies less antagonistic to our interests and those of our friends. We do not think US aid (mostly food) is keeping Nasser in power. If we didn't help, he'd merely turn more to the Soviets, which would be emphatically against US and Arab interests.

The other side of the coin is to convince Faisal that we still strongly support the Saudi regime. We met all three requests made to you by Saud last February: (1) an arms credit--for $13.5 million; (2) a gift of three radio transmitters; and (3) an economic survey team (Saudis have the report). We've also met the Saudi request that we keep our Military Training Mission there, and are ready to sell an excellent new fighter, the F-5A. We're ready to provide further experts in specialized fields (though we'd prefer Saudis to pay for them; we also doubt any US loans are needed in light of their $300 million oil revenues).

But we think ~~the~~ Saudis themselves must press forward with modernization and development. Deliberate, controlled internal reform is the best antidote to Nasserism. We're pleased with the signs of progress to date, but wonder if it's fast enough.

I also think you should brace Faisal on the discrimination issue, as one factor which puts a real strain on our ability to pursue a friendly policy. Saud told you last February that he intended to apply the policy followed by other Arab states, but we've seen no signs yet. We know how deeply the Saudis feel about Israel, but they must understand our feelings too. This is not just a matter of a US pressure group influencing our policy, but of a fixed position of the US government. Israel is here to stay and we will oppose any efforts to attack it, just as we will oppose any Israeli effort at expansion.

Finally, you might give Faisal a personal, oral message to take back to Saud, i.e. let there be no doubt that we continue to stand by our friends.

R.W. Komer

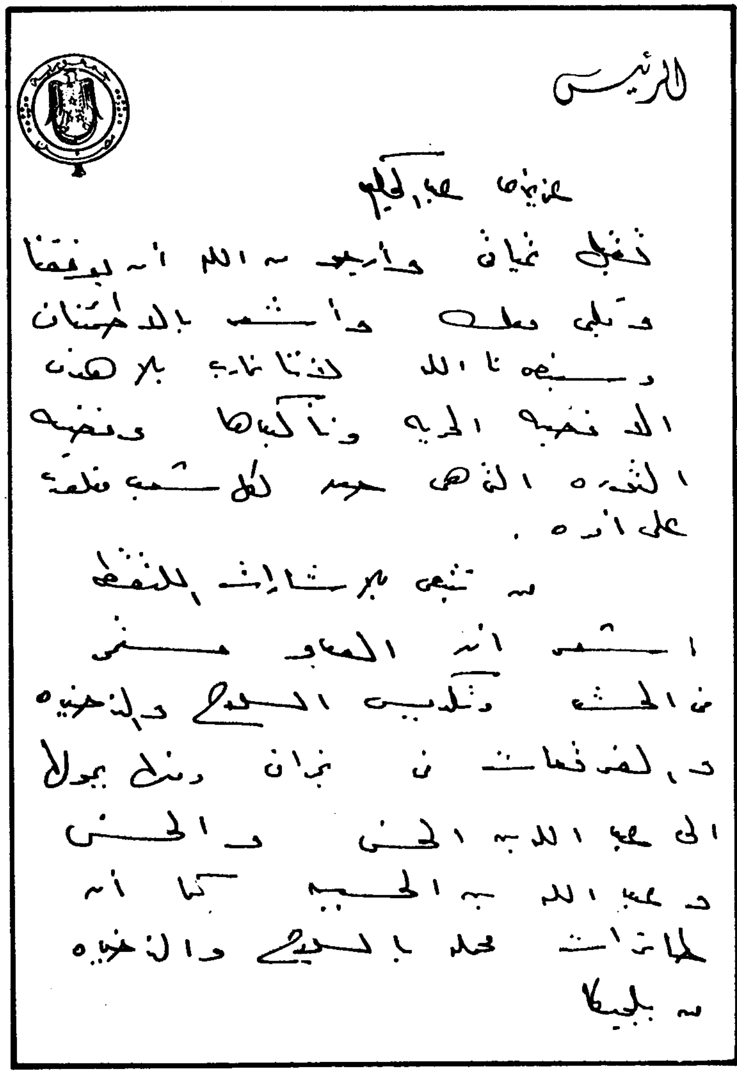
R. W. KOMER

Read Tabs I-A and III-A of attached briefing book if you have time, but State is sending over a supplementary memo giving their last-minute views.

~~SECRET~~

الوثيقة رقم (٤٢)

صورة للصفحتين الأولى والثانية من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٦٢ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » الذى كان فى اليمن وقتها . وهذا الجزء من الخطاب يتعرض لعمليات المساعدات الخارجية الموجهة ضد الثورة اليمنية .

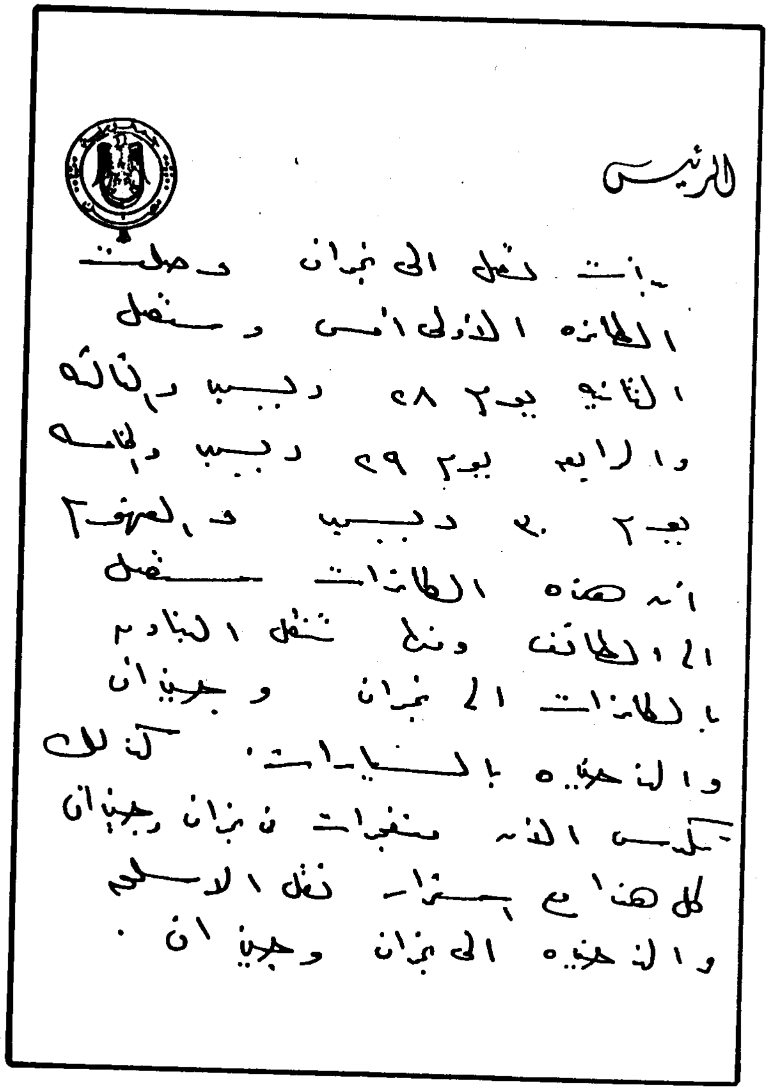


عزيزى عبد الحكيم

تقبل تحياتى وارجو من الله ان يوفقنا وقلبى معك واشعر بالاطمئنان وسينصرنا الله لأننا نحارب بلا هدف إلا قضية الحرية وتاكيدها وقضية الثورة التى هى حق لكل شعب مغلوب على امره .

من تتبعى للإشارات الملتقطة اشعر أن العدو مستمر فى الحشد وتكديس السلاح والذخيرة والمفرقعات فى نجران ومنها يحولها إلى عبدالله بن الحسن والحسن وعبد الله ابن الحسين كما

ان طائرات محملة بالسلاح والذخيرة من بلجيكا بدات تصل إلى نجران وصلت الطائرة الأولى امس وستصل الثانية يوم ٢٨ ديسمبر والثالثة والرابعة يوم ٢٩ ديسمبر والخامسة يوم ٣٠ ديسمبر والمفهوم ان هذه الطائرات ستصل إلى الطائف ومنها تنقل البنادق بالطائرات إلى نجران وجيزان والذخيرة بالسيارات . كذلك تكدس الآن متفجرات فى نجران وجيزان كل هذا مع استمرار نقل الأسلحة والذخيرة إلى نجران وجيزان .



الوثيقة رقم (٤٣)

صورة للصفحتين الأولى والثانية من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٦٢ إلى المشير « عبد الحكيم عامر » أثناء وجوده في اليمن ، وقد جاء هذا الخطاب في أعقاب محاولة الرئيس « كنيدى » للوصول إلى حل وسط في اليمن .

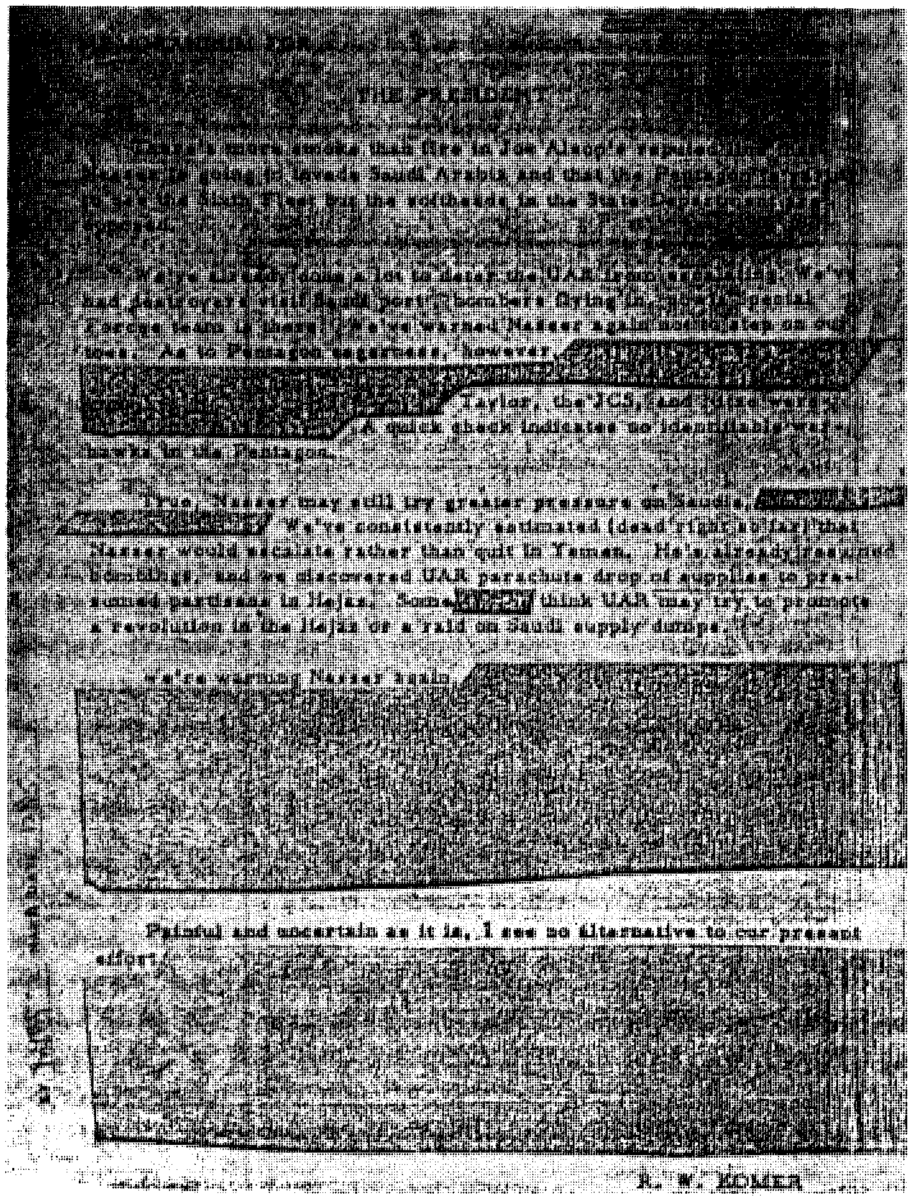
١٨ ديسمبر ١٩٦٢

عزيزى عبد الحكيم

تقبل سلامى وتحياتى اكتب إليك الآن في المساء قبل سفر شمس عن التطورات الأخيرة بالنسبة لاعتراف امريكا بالجمهورية اليمنية وكذلك الغرب وتاثير ذلك . قابل على صبرى السفير الأمريكي ظهر اليوم وتم الإتفاق على أن يعلن بياننا الساعة الحادية عشر مساء اليوم وعلى أن يصدر البيان الأمريكي ظهر باكر بتوقيت واشنجطن او الساعة السادسة بتوقيت القاهرة . وقد ابلغ على صبرى السفير الأمريكي . ان سير الأمور في الأراضى السعودية على حدود اليمن وخصوصا في نجران تدل على ان السعودية لن تلتزم بما جاء في جواب كينيدى عن الـ Disengagement لانهم يشونون الأسلحة والذخائر الخ ويدفعون المتسللين ويدفعون الأموال . وكان الرد انهم سيضغطوا لإنهاء ذلك .

عموما بعد اعتراف أمريكا . اعتقد ان ما جاء في جوابى بالأمس اصبح الآن سابق لوقته او في حاجة لإعادة النظر من جديد . وفي رايى أن الواجب ان نحاول سياسيا مرة أخرى للوصول إلى إيقاف النشاط السعودى .

صورة وثيقة تتضمن مذكرة من « روبرت كومر » مستشار الأمن القومى فى البيت الابيض الامريكى المختص بالشرق الأوسط - وفيها يشير إلى حملات صحفية تثيرها وزارة الدفاع والبنتاجون بخصوص الموقف فى اليمن . ويشير « كومر » فى مذكرته إلى تواجد عسكرى بحرى وبرى وجوى للولايات المتحدة الامريكية فى شبه الجزيرة العربية .



[redacted]

THE PRESIDENT

There's more smoke than fire in Joe Alsop's report that Nasser is going to invade Saudi Arabia and that the Pentagon wants to use the Sixth Fleet but the softheads in the State Department are opposed.

We've already done a lot to deter the UAR from escalating. We've had destroyers visit Saudi port, bombers flying in, and a special Air Force team is there. We've warned Nasser again not to step on our toes. As to Pentagon eagerness, however, [redacted] Taylor, the JCS, and [redacted]. A quick check indicates no identifiable war-hawks in the Pentagon.

True, Nasser may still try greater pressure on Saudis, [redacted]. We've consistently estimated (dead right so far) that Nasser would escalate rather than quit in Yemen. He's already resumed bombings, and we discovered UAR parachute drop of supplies to presumed partisans in Hejaz. Some [redacted] think UAR may try to promote a revolution in the Hejaz or a raid on Saudi supply dumps.

We're warning Nasser again. [redacted]

Painful and uncertain as it is, I see no alternative to our present effort. [redacted]

R. W. KOMER

مذكرة مرفوعة

إلى الرئيس

إن هناك من الدخان أكثر مما هناك من نار فى السطر المشهور الذى كتبه جو السوب من أن ناصر سيغزو المملكة العربية السعودية ، وان البنتاجون تتلهف على استخدام الأسطول السادس ولكن السذّج فى وزارة الخارجية يعارضون ذلك .

لقد قمنا فعلا بالكثير فى سبيل نهى الجمهورية العربية المتحدة عن التصعيد . وجعلنا المدمرات تزور ميناء سعوديا ، وقاذفات القنابل تطير إلى هناك ، والآن هناك فريق للقوة خاصة . وقد انذرنا ناصر مرة اخرى بالا يدوس على اصابع اقدامنا . اما فيما يتعلق بلهفة البنتاجون (عبارة محذوفة) فإن تيلور والـ ج . سى . س . ونيتز كانوا (عبارة محذوفة) . ويستدل من مراجعة سريعة انه ليس فى البنتاجون صقور حرب يمكن تحديدهم .

صحيح ان ناصر ربما حاول برغم ذلك الضغط على السعوديين ضغطا اشد (عبارة محذوفة) . وقد قدّرنا باستمرار (وهو تقدير صحيح حتى الآن) ان ناصر سيقوم بالتصعيد عوضا عن الخروج من اليمن . وها هو قد استانف القصف فعلا ، واكتشفنا ان مظلات الجمهورية العربية المتحدة اسقطت مؤنا على من يفترض انهم مشايعون لهم فى الحجاز . ويعتقد بعض (عبارة محذوفة) بأن الجمهورية العربية المتحدة قد تحاول إحداث ثورة فى الحجاز أو الإغارة على مستودع سعودى للمؤن .

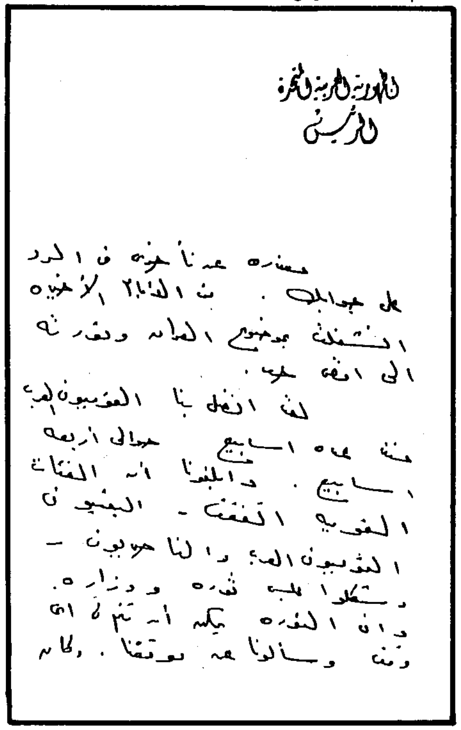
ونحن ننذر ناصر مرة اخرى (عبارة محذوفة) .

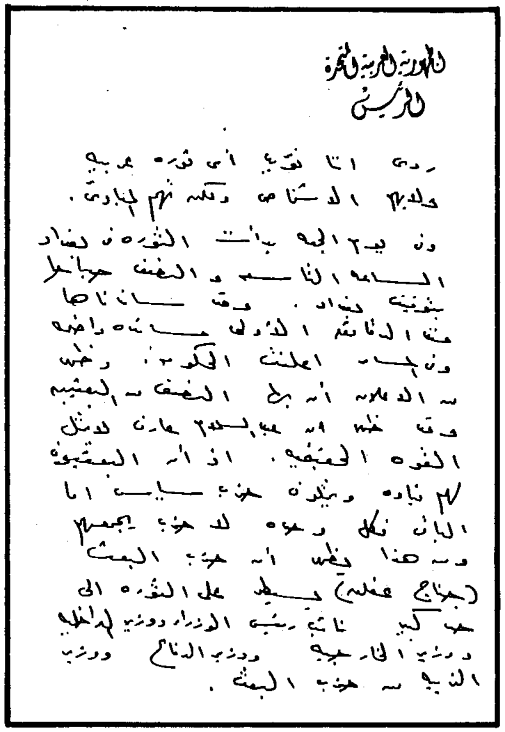
ولئن كان جهدنا الحالى مؤلما وغير مؤكد ، كما هو حاله ، فلست ارى له بديلا . (عبارة محذوفة) .

ر . و . كومر

الوثيقة رقم ٤٥

صور لعدد من الصفحات من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٩ فبراير ١٩٦٣ يروى له فيه قصة الإتصالات التى جرت مع القاهرة قبل قيام الثورة ضد نظام « عبد الكريم قاسم » فى العراق .

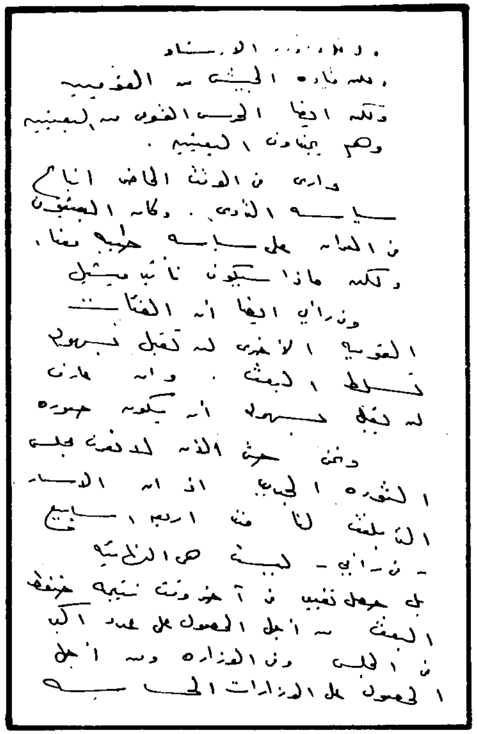


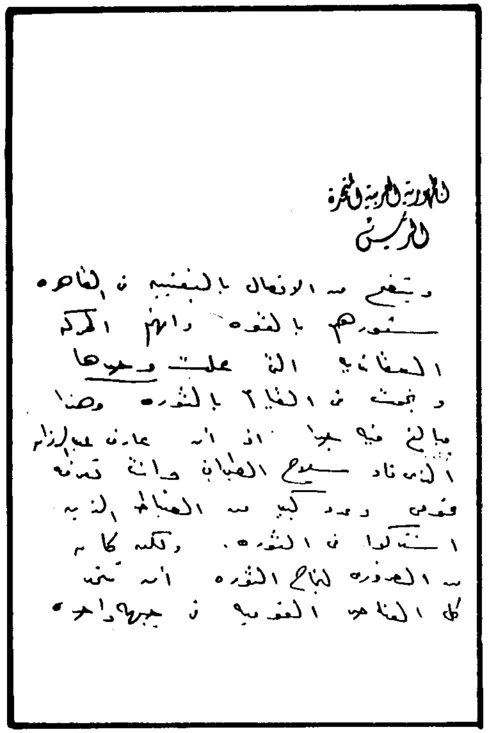


معذرة عن تاخرى فى الرد على جوابك . فى الأيام الأخيرة انشغلت بموضوع العراق وثورته إلى اقصى حد .

لقد اتصل بنا القوميون العرب منذ عدة اسابيع حوالى اربعة اسابيع . وابلغونا ان الفئات القومية اتفقت ـ البعثيون القوميون العرب والناصريون ـ وشكلوا مجلس ثورة ووزارة . وان الثورة يمكن ان تتم فى اى وقت وسالونا عن موقفنا . وكان ردى اننا نؤيد اى ثورة عربية ولا يهم الأشخاص ولكن تهم المبادىء .

وفى يوم الجمعة بدات الثورة فى بغداد الساعة التاسعة والنصف صباحا بتوقيت بغداد . وقد ساندناها منذ الدقائق الأولى مساندة واضحة وفى المساء أعلنت الحكومة . وظهر من الإعلان ان بها النصف من البعثيين وقد ظهر ان عبد السلام عارف لا يمثل القوة الحقيقية . إذ ان البعثيون لهم قيادة ويمثلون حزب سياسى اما الباقى فكل وحده لا حزب يجمعهم ومن هذا يظهر ان حزب البعث (جناح عفلق) يسيطر على الثورة إلى حد كبير نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ووزير الخارجية ووزير الدفاع ووزير التربية من حزب البعث . وكذلك وزير الإرشاد .





ولكن قيادة الجيش من القوميين ولكن ايضا الحرس القومى من البعثيين وهم يجندون البعثيين .

وارى فى الوقت الحاضر إتباع سياسة التروى . وكان البعثيون فى العراق على سياسة طيبة معنا .

ولكن ماذا سيكون تاثير ميشيل .

وفى رايى ايضا ان الفئات القومية الأخرى لن تقبل بسهولة تسلط البعث . وان عارف لن يقبل بسهولة ان يكون صورة .

ونحن حتى الآن لا نعرف مجلس الثورة الجديد إذ ان الاسماء التى بلغت لنا منذ اربعة اسابيع ـ فى رايى ـ ليست هى النهائية بل حصل تغيير فى آخر وقت نتيجة ضغط البعث من اجل الحصول على عدد اكبر فى المجلس وفى الوزارة ومن اجل الحصول على الوزارات الحساسة .

ويتضح من الإتصال بالبعثيين فى القاهرة شعورهم بالقوة وانهم الحركة العقائدية التى عملت وحدها ونجحت فى القيام بالثورة وهذا مبالغ فيه جدا . إذ ان عارف عبد الرزاق الذى قاد سلاح الطيران وانت تعرفه قومى وعدد كبير من الضباط الذين اشتركوا فى الثورة . ولكن كان من الضرورى لنجاح الثورة ان تتحد كل العناصر القومية فى جبهة واحدة .

صور لعدد من الصفحات من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٦٣ يصف فيها انطباعاته عن اعضاء الوفد العراقى الذى جاء إلى القاهرة بعد الثورة ضد « عبد الكريم قاسم » .

وقد وصل وفد العراق اول امس وهو مكوّن من السعدى امين عام حزب البعث ونـائـب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وهو صريـح . مغرور . مندفع كان فى السجن وقت قيام الثورة واظن انك لاحظت انه لم يذكر فى خطابه اسم عبد السلام عارف بل تجاهله كلية كما تجاهله فى المباحثات ولكن انطباعى بالنسبة له انه وطنى مخلص .

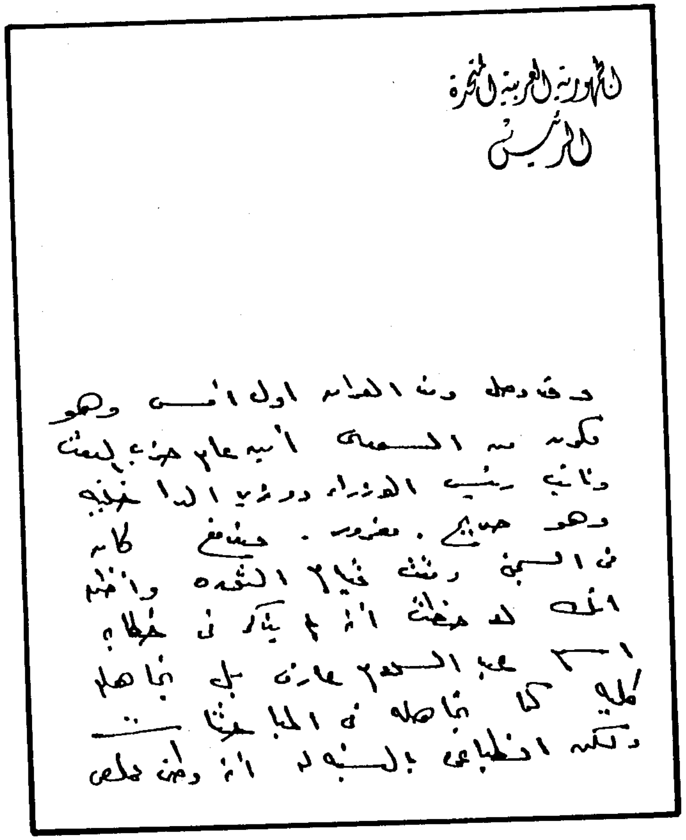
والفريق على صـالح عماشه وزير الدفاع وكان ايضـا فى السجن يوم الثورة وهو هادىء ذكى . وقد ارتحت جدا إليه . وهو من جماعة الحاج سرى ولكن انضم اخيرا إلى حزب البعث .

وطـالب شبيب وزير الخارجية وهو بعثى ذكى لبق متحدث وقد استرحت إليه .

عمر الأول ٣٠ سنة والثانى حوالى ٣٨ سنة والثالث حوالى ٢٨ سنة وضم الوفد ضابطين من مجلس الثورة .

وقـد تكلمت معـهم بصراحة فى جلسة اول امس بعـد الفطار إلى الساعة الواحدة والنصف وامس بعد الصلاة إلى موعد الإفطار .

ويظهر من كلامهم انهم مقدرون المتاعب ويريدون علاقة وثيقة مع ج . ع . م . وقد قلت لهم اننا لا نريد منهم اى شىء سوى وحدة

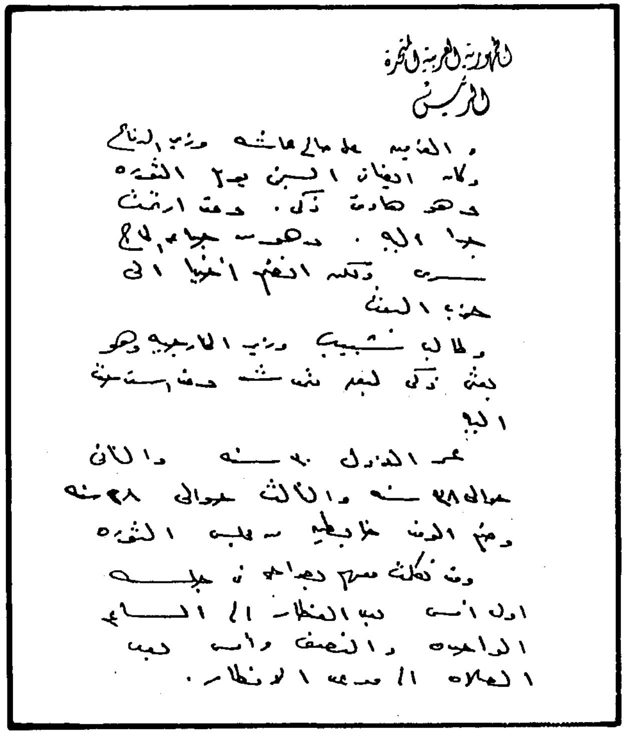

الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

وقد وصل وفد العراق اول امس وهو
مكون من السعدى أمين عام حزب البعث
ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية
وهو صريح . مغرور . مندفع كان
فى السجن وقت قيام الثورة واظن
انك لاحظت انه لم يذكر فى خطابه
اسم عبد السلام عارف بل تجاهله
كلية كما تجاهله فى المباحثات
ولكن انطباعى بالنسبة له انه وطنى مخلص

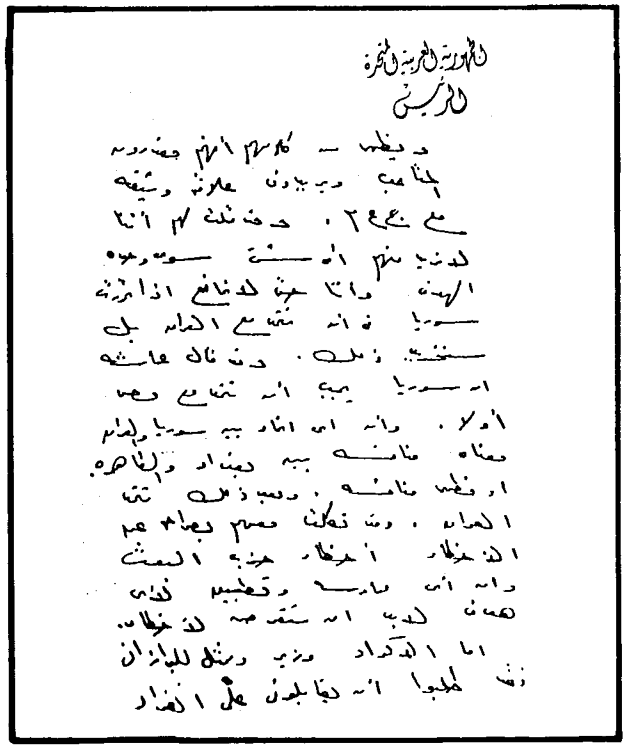
الهدف واننا حتى لا نمانع إذا تحررت سوريا فى ان تتحـد مع العـراق بل سنؤيد ذلك . وقد قال عماشه ان سوريا يجب ان تتحد مع مصر اولا . وان اى إتحاد بين سوريا والعراق معناه منافسة بين بغداد والقاهـرة . او مظهر منافسة . وبعد ذلك تتحد العراق . وقد تكلمت معهم بصراحة عن الأخطـاء اخطاء حـزب البعث وان اى ممارسة وتطبيق لأى هدف لابد ان تتعرض لأخطاء .

اما الاكراد وزير وممثل للبرازانى فقد طلبوا ان يقـابلونى عـلى انفـراد منفصلين عن الآخرين وقد وافق الوفد على ذلك . وقالوا لى فى المقابلة انهم لا يثقوا فى اى وعود من الحكومة إلا إذا ضمنت شخصيـا تطبيق هـذه الـوعود وهم يطـالبون بالحكم الذاتى وقد اوقفوا القتال بعد قيام الثورة وكان لهم إتصال مع رجال الثورة قبل قيامها واخذوا وعـود والمـلاحظ ان الحكومة تتهرب .

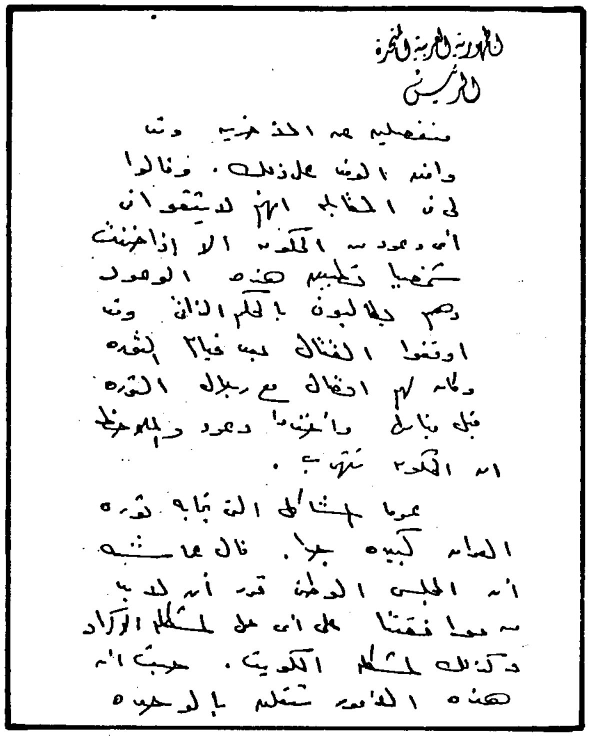
عموما المشاكل التى تجابه ثورة العراق كبيرة جدا . قال عمـاشة ان المجلس الوطنى قرر ان

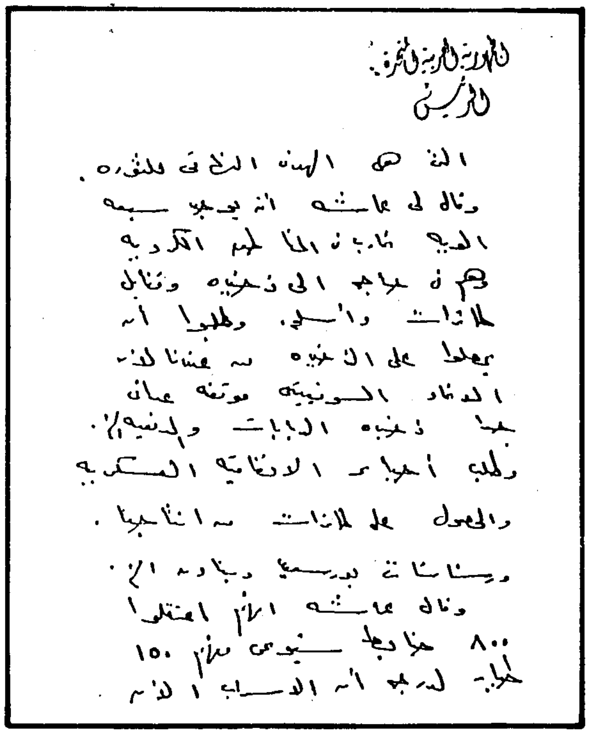

الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

والفريق على صالح عماشه وزير الدفاع
وكان ايضا فى السجن يوم الثورة
وهو هادئ ذكى . وقد ارتحت
جدا إليه . وهو من جماعة الحاج
سرى ولكنه انضم اخيرا الى
حزب البعث
وطالب شبيب وزير الخارجية وهو
بعثى ذكى لبق متحدث وقد استرحت
اليه
عمر الاول ٣٠ سنة والثانى
حوالى ٣٨ سنة والثالث حوالى ٢٨ سنة
وضم الوفد ضابطين من مجلس الثورة
وقد تكلمت معهم بصراحة فى جلسة
اول امس بعد الفطار الى الساعة
الواحدة والنصف وامس بعد
الصلاة الى موعد الافطار .


الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

ويظهر من كلامهم انهم مقدرون
المتاعب ويريدون علاقة وثيقة
مع ج ع م . وقد قلت لهم اننا
لا نريد منهم اى شئ سوى وحدة
الهدف واننا حتى لا نمانع اذا تحررت
سوريا فى ان تتحد مع العراق بل
سنؤيد ذلك . وقد قال عماشه
ان سوريا يجب ان تتحد مع مصر
اولا . وان اى اتحاد بين سوريا والعراق
معناه منافسة بين بغداد والقاهرة .
او مظهر منافسة . وبعد ذلك تتحد
العراق . وقد تكلمت معهم بصراحة عن
الاخطاء اخطاء حزب البعث
وان اى ممارسة وتطبيق لاى
هدف لابد ان يتعرض للاخطاء .
اما الاكراد وزير وممثل للبرازانى
فقد طلبوا ان يقابلونى على انفراد


الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

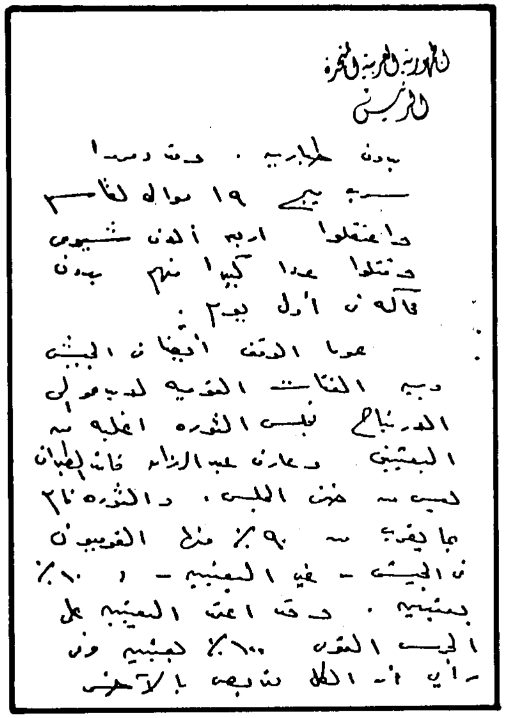

الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

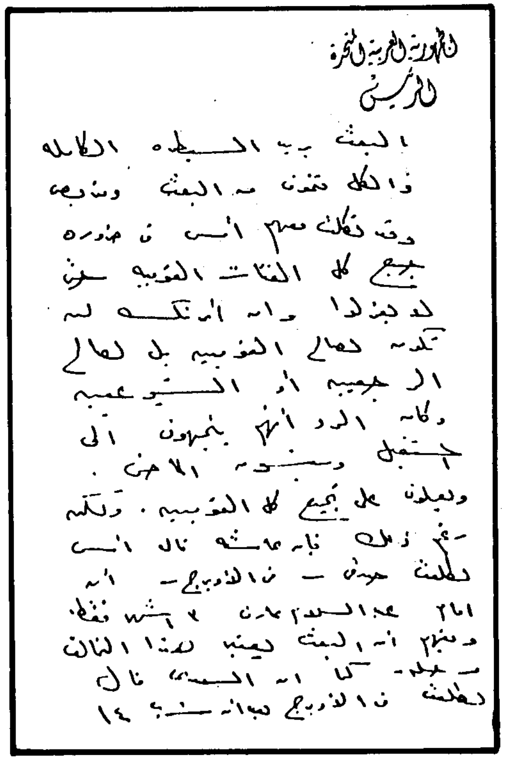
لابد من موافقتنا على اى حل لمشكلة الاكراد . وكذلك لمشكلة الكويت . حيث ان هذه الأمور تتعلق بالوحدة التى هى الهدف النهائى للثورة . وقال لى عماشة انه يوجد سبعة الوية تحارب فى المناطق الكردية وهم فى حاجة إلى ذخيرة وقنابل طائرات واسلحة . وطلبوا ان يحصلوا على الذخيرة من عندنا لأن الاتحاد السوفييتى موقفه عدائى جدا ذخيرة الدبابات والمدفعية . . الخ . وطلب إحياء الإتفاقية العسكرية والحصول على طائرات من إنتاجنا : ورشاشات بور سعيد وبنادق . . الخ .

وقال عماشة انهم اعتقلوا ٨٠٠ ضابط شيوعى منهم ١٥٠ طيار لدرجة ان الاسراب الآن بدون طيارين . وقد دمروا سرب ميج ١٩ موالى لقاسم واعتقلوا اربعة آلاف شيوعى وقتلوا عددا كبيرا منهم بدون محاكمة فى اول يوم .

عموما الموقف ايضا فى الجيش وبين الفئات القومية لا يدعو إلى الارتياح فمجلس الثورة اغلبه من البعثيين وعارف

عبد الرزاق قائد الطيران ليس من ضمن المجلس . والثورة قام بما يقرب من ٩٠٪ منها القوميون فى الجيش - غير البعثيين - و ١٠٪ بعثيين . وقد اعتمد البعثيين على الحرس القومى ١٠٠٪ بعثيين وفى رايى ان الكل متربص بالآخر البعث يريد السيطرة الكاملة والكل متخوف من البعث ومتربص وقد تكلمت معهم امس فى ضرورة جمع كل الفئات القومية حتى لا يعزلوا وان اى نكسة لن تكون لصالح القوميين بل لصالح الرجعيين او الشيوعيين وكان الرد انهم يتجهون إلى المستقبل وينسون الماضى . ويعملون على تجميع كل القوميين . ولكن رغم ذلك فإن عماشة قال امس لطلعت صدقى - فى الأوبرج - ان امام عبد السلام عارف ٣ اشهر فقط ويفهم ان البعث يعتبر هذا التحالف مرحلة - كما ان السعدى قال لطلعت فى الأوبرج بعد ان شرب ١٤ كاس ويسكى - اننا لا نريد ان نقابل الرئيس مرة اخرى لأنه بلشف الجميع بكلامه وتحليله . ورغم ذلك فسانقابل معهم اول يوم


الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس


الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

العيد بعد عودتهم من الجزائر وقبل سفرهم .

وفي رايي انهم شباب يحتاج إلى رعاية وتوجيه .

وقد لاحظت انهم في شدة التعب لدرجة ان السعدى نام في اول جلسة .

عموما اعتقد رغم اخطاء البعث ان واجبنا ان نحافظ على ثورة العراق وليس امامهم إلا اللقاء معنا .

اما صديق شنشل فيقول ان عبد السلام عارف يترك لهم الأمور في هذه المرحلة التي سترتكب فيها اخطاء كثيرة وان هناك تجمع قومي من الجيش والفئات القومية الأخرى .

الوثيقة رقم (٤٧)

صورة للصفحة الثانية من خطاب الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٤ فبراير ١٩٦٣ وهو يشير فيه إلى رسالة جاءته من الرئيس « كنيدى » بشان اليمن ، كما يشير ايضا إلى إتصال قام به الشيخ « حافظ وهبة » السفير السعودى فى لندن بشان نفس المشكلة .

وقد ابلغ السفير الأمريكي سامي ان كينيدى سيرسل مندوبا خاصا بصفة سرية جدا ليقابل فيصل لتسوية الأمر . وسيصل المندوب اليوم ٤ فبراير .

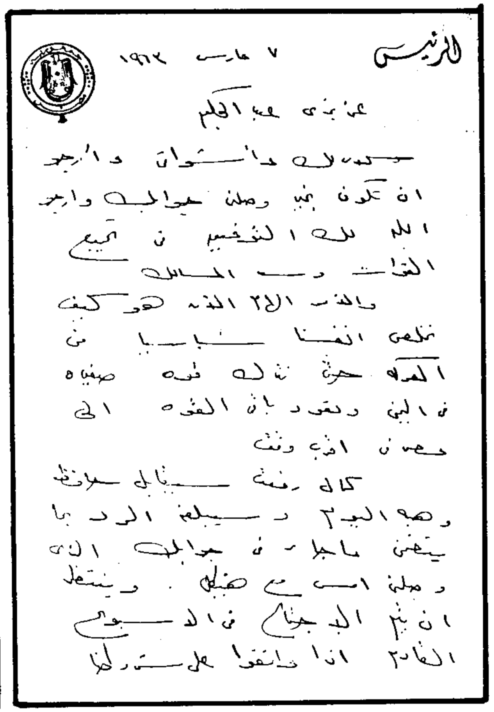
سعدت جدا بنبأ الانتصار وروح الجنود المعنوية العالية . واظن انك تعرف ان موضوع اليمن سبّب لى فى الماضى الكثير من القلق ولكن الحمد لله على النتائج الأخيرة . واعتقد ان وجودك كان ضرورى لتحقيق ذلك .

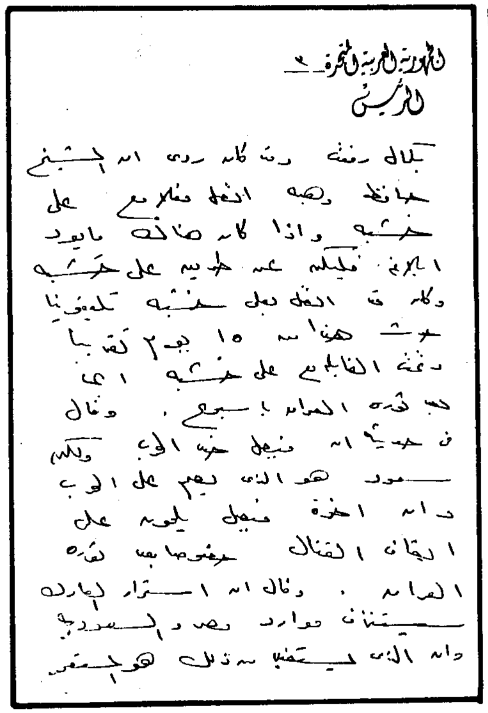
هناك موضوع مطلوب رايك فيه على ان يصلنى فى الحال . وهو اتصل الشيخ حافظ وهبة بالأمين العام للجامعة العربية وطلب منه الالتقاء مع كمال رفعت من اجل بحث العلاقة بين السعودية ومصر . وقد اتصل حسونة .

الوثيقة رقم ٤٨

صورة من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى المشير « عبد الحكيم عامر » بتاريخ ٧ مارس ١٩٦٣ وهو يشرح فيه كل المقترحات التى عرضها الشيخ « حافظ وهبة » باسم الامير « فيصل » تمهيدا لحل الازمة فى اليمن .

ويلاحظ ان الصفحة الثانية من هذا الخطاب مفقودة لسوء الحظ من النصوص الأصلية لهذه المجموعة من الخطابات التى بعث بها الرئيس « جمال عبد الناصر » إلى المشير « عبد الحكيم عامر » اثناء وجوده فى اليمن .


الرئيس
٧ مارس ١٩٦٣
عزيزى عبد الحكيم


الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

عزيزى عبد الحكيم

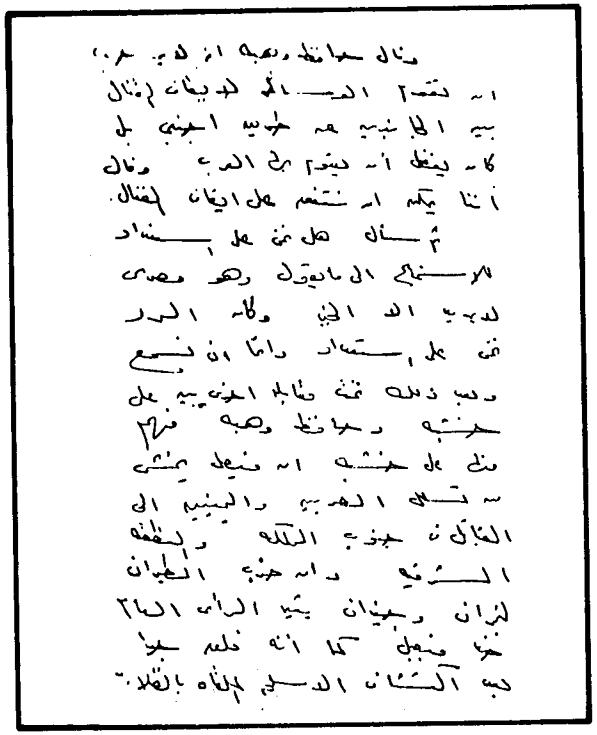
سلامى لك واشواقى وارجو ان تكون بخير وصلنى جوابك وارجو الله لك التوفيق فى تجميع القوات وسد المسالك .

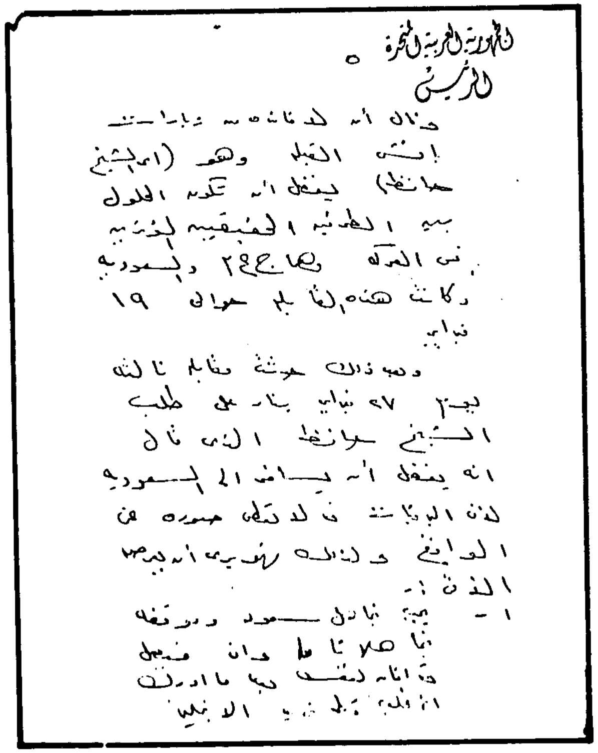
والأمر الهام الآن هو كيف نخلص انفسنا سياسيا فى المعركة حتى نترك قوة صغيرة فى اليمن وتعود باقى القوة إلى مصر فى أقرب وقت .

كمال رفعت سيقابل حافظ وهبة اليوم وسيبلغه الرد بما يتضمن ما جاء فى جوابك الذى وصلنى امس مع هيكل . وينتظر ان يتم الاجتماع فى الأسبوع القادم إذا وافقوا على شروطنا بكمال رفعت وقد كان ردى ان الشيخ حافظ وهبه اتصل فعلا مع على خشبة وإذا كان هناك ما يود إبلاغه فليكن عن طريق على خشبة وكان قد اتصل بعلى خشبة تليفونيا حدث هذا من ١٥ يوم تقريبا وتمت المقابلة مع على خشبة اى بعد ثورة العراق باسبوع . وقال فى حديثه ان فيصل ضد الحرب ولكن سعود هو الذى يصمم على الحرب وان اخوة فيصل يلحون على إيقاف القتال خصوصا بعد ثورة العراق . وقال إن استمرار المعارك سيستنزف موارد مصر والسعودية وان الذى يستفيد من ذلك هو المستعمر .

وقال حافظ وهبة انه لا يرحب ان تقوم الوساطة لإيقاف القتال بين الجانبين عن طريق أجنبى بل كان يفضل أن يقوم بها العرب وقال اننا يمكن ان نتفق على إيقاف القتال .

ثم سال هل نحن على استعداد للاستماع إلى ما يقول وهو مصرى لا يريد إلا الخير وكان الرد نحن على استعداد دائما ان نسمع وبعد ذلك تمت مقابلة اخرى بين على خشبة وحافظ وهبة فهم منها على خشبة ان فيصل يخشى من تسلل المصريين واليمنيين إلى القبائل فى جنوب المملكة والمنطقة الشرقية وان ضرب




الجمهورية العربية المتحدة
٥
الرئيس

الطيران لنجران وجيزان يثير الرأى العام ضد فيصل كما انه قلق جدا بعد اكتشاف الأسلحة الملقاة بالمظلات .

وقال ان لا فائدة من زيارات بانش المقبلة وهو (اى الشيخ حافظ) يفضل ان تكون الحلول بين الطرفين الحقيقيين المؤثرين فى المعركة وهما ج . ع . م . والسعودية وكانت هذه المقابلة حوالى ١٩ فبراير .

وبعد ذلك حدثت مقابلة ثالثة يوم ٢٧ فبراير بناء على طلب الشيخ حافظ وهبة الذى قال انه يفضل ان يسافر إلى السعودية لأن البرقيات قد لا تعطى صورة عن الواقع ولذلك فهو يرى ان يعرض الآتى :

١ ـ يجب تجاهل سعود وموقفه تجاهلا تاما وان فيصل قد افاق لنفسه بعد ما ادرك انه مخلب قط فى يد الانجليز .

٢ ـ يمكن الإتفاق على إيقاف القتال من الجانبين على ان يبدا التنفيذ يوم اجتماع مندوبين عن السعودية و ج . ع . م .

٣ ـ يرى ان يتم اجتماع للطرفين فى روما او اى بلد آخر بعيدا عن الصحافة .

٤ ـ يمثل الطرف السعودى الأمير سلطان والشيخ حافظ وهبة .

٥ ـ يبحث الطرفان كيفية تطبيق إيقاف القتال والانسحاب التدريجى وطريقة المراقبة والتنفيذ .

٦ ـ يرى ان يكف الطرفان اثناء المفاوضات عن الهجوم الإذاعى والصحفى .

٧ ـ يرى عدم التعرض للماضى اثناء المفاوضات ومحاولة نسيانه .

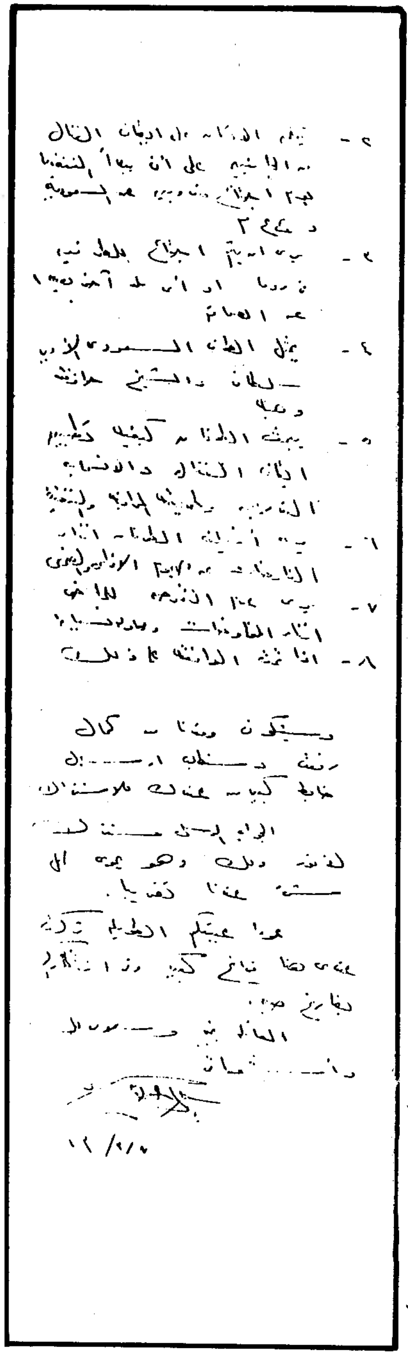
٨ ـ إذا تمت الموافقة على ذلك وسيتكون وفدنا من كمال رفعت وسنطلب إرسال ضابط كبير من عندك للاشتراك .

الجواب المرسل مشترك لانور ولك وهو يحوى كل شىء عندنا تقريبا .

عموما غيبتكم الطويلة تركت عندى هنا فراغ كبير وفى انتظاركم بفارغ صبر .

العائلة بخير وسلامى لك واشواقى .

جمال عبد الناصر
٧/ ٣ / ١٩٦٣



الوثيقة رقم (٤٩)

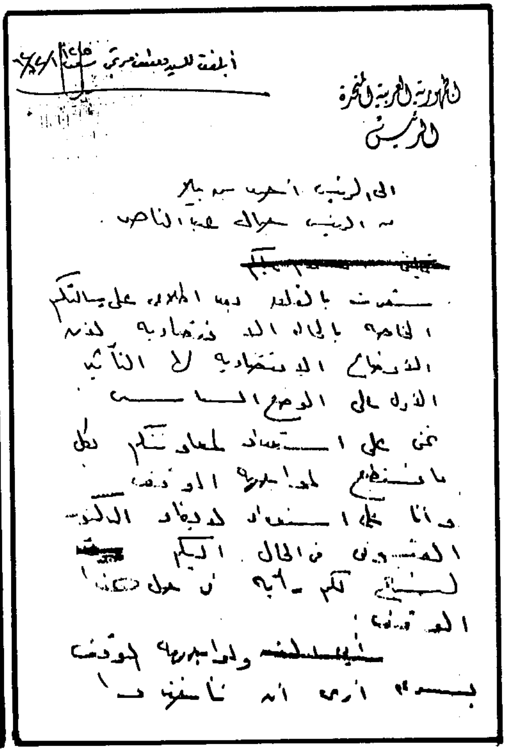
صورة من خطاب كتبه الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده إلى الرئيس الجزائرى « احمد بن بيلا » بتاريخ اول ديسمبر ١٩٦٢ وهو يقترح فيه على « بن بيلا » خطة عمل لمواجهة الموقف الاقتصادى فى الجزائر .

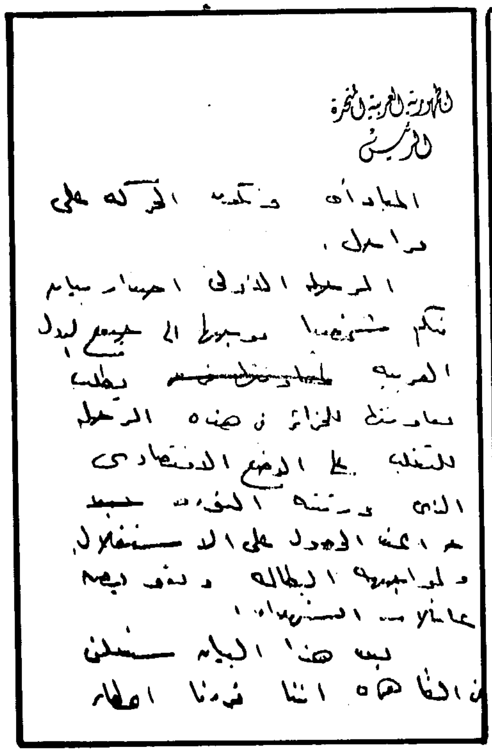
إلى الرئيس أحمد بن بيلا ..
من الرئيس جمال عبد الناصر

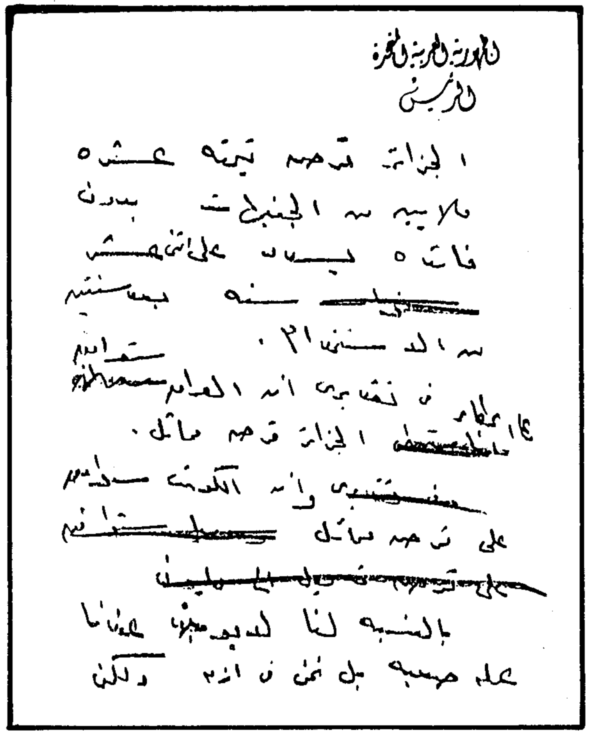
شعرت بالقلق بعد إطلاعى على رسالتكم الخاصة بالحالة الاقتصادية لأن الأوضاع الاقتصادية لها التاثير الأول على الوضع السياسى . نحن على استعداد لمعاونتكم بكل ما نستطيع لمواجهة الموقف . وانا على استعداد لإيفاد الدكتور القيسونى فى الحال إليكم ليشرح لكم رايه فى حل هذا الموقف .

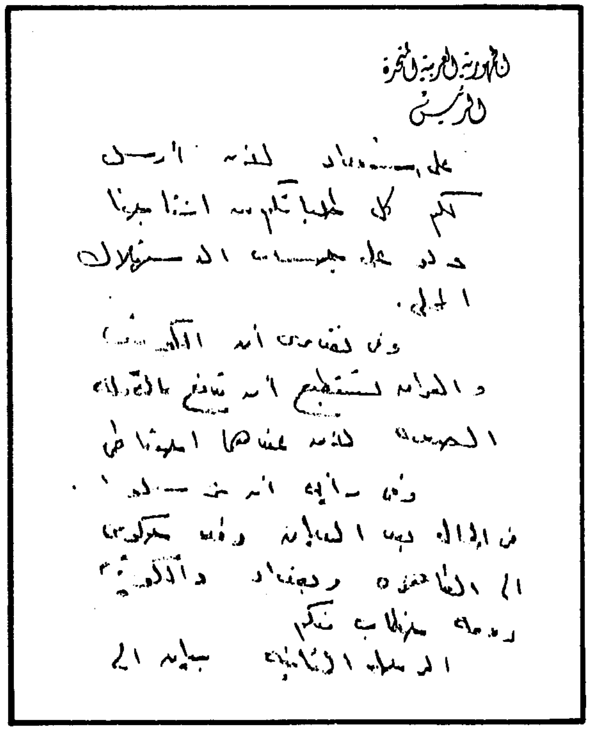
ولمواجهة الموقف بسرعة ارى ان تاخذوا المبادأة وتكون الحركة على مراحل .

المرحلة الأولى إصدار بيان منكم شخصيا موجها إلى جميع الدول العربية يطلب معاونتها للجزائر فى هذه المرحلة للتغلب على الوضع الاقتصادى الذى


الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس


الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس





ورثته الثورة عند الحصول على الاستقلال . ولمواجهة البطالة وتعويض عائلات الشهداء .

بعد هذا البيان سنعلن فى القاهرة اننا قررنا إعطاء الجزائر قرض قيمته عشرة ملايين من الجنيهات بدون فائدة يسدد على اثنى عشر سنة بعد سنتين من الاستخدام .

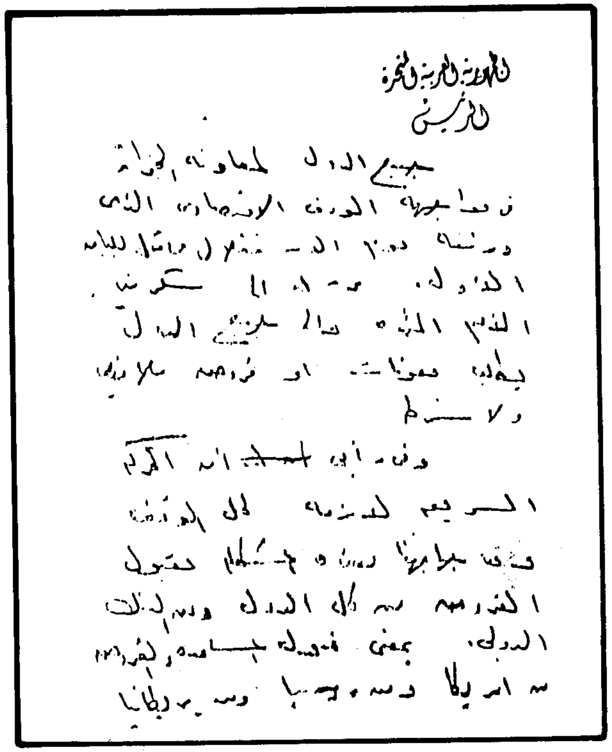
فى تقديرى أن العراق ستوافق على إعطاء الجزائر قرض مماثل .

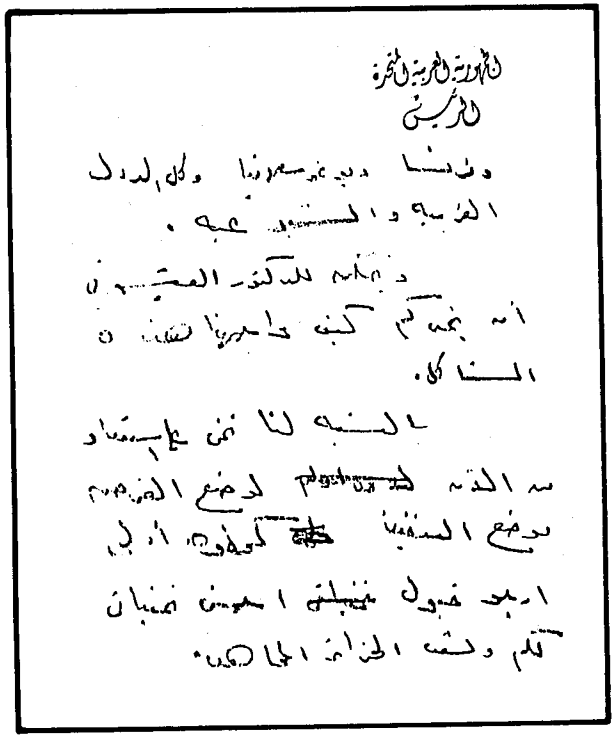
وان الكويت ستوافق على قرض مماثل .

بالنسبة لنا لا يوجد عندنا عملة صعبة بل نحن فى ازمة ولكنى على استعداد لأن ارسل لكم كل طلباتكم من إنتاجنا ولو على حساب الاستهلاك المحلى .

وفى تقديرى ان الكويت والعراق تستطيع ان تدفع بالعملة الصعبة لأن عندهما احتياطى .

وفى رأيى أن ترسلوا فى الحال بعد البيان وفد حكومى إلى القاهرة وبغداد والكويت ومعه خطاب منكم .





المرحلة الثانية بيان إلى جميع الدول لمعاونة الجزائر فى مواجهة الموقف الاقتصادى الذى ورثته يوم الاستقلال مماثل للبيان الأول . يرسل إلى سكرتير الأمم المتحدة وإلى جميع الدول بطلب معونات او قروض بلا قيد ولا شرط .

وفى رأيى ان الحركة السريعة لازمة لحل الموقف وقد جابهنا هذه المشكلة بقبول القروض من كل الدول ومن البنك الدولى . بمعنى قبول المساعدة والقروض من امريكا ومن روسيا ومن بريطانيا وفرنسا ويوغوسلافيا وكل الدول الغربية والشيوعية .

ويمكن للدكتور القيسونى ان يخبركم كيف واجهنا هذه المشاكل .

بالنسبة لنا نحن على استعداد من الآن لوضع القرض موضع التنفيذ كخطوة اولى . ارجو قبول احسن تمنياتى لكم ولشعب الجزائر المجاهد .

الوثيقة رقم (٥٠)

صورة وثيقة تتضمن مذكرة من السفير الأمريكى فى القاهرة « جون بادو » بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٦٣ حول مخاوف الولايات المتحدة من النشاط الكوبى فى الجزائر .

EMBASSY OF THE
UNITED STATES OF AMERICA

Cairo, United Arab Republic,
October 29, 1963.

Dear Mr. President:

During our conversation of last Sunday, I said that I would let you know if I had further information about alleged Cuban support for the Government of Algeria in its present dispute with Morocco.

I have carefully reviewed the latest available intelligence and it shows that at least two Cuban ships have landed at Oran. These are known to have tanks and arms on board. A third Cuban ship is reliably reported as being under way.

From the above, I would gather that the Cubans are attempting to provide large military support to President Ben Bella.

Respectfully yours,

John S. Badeau
American Ambassador

His Excellency
Gamal Abdel Nasser,
President of the
United Arab Republic,
Cairo.

« عزيزى السيد الرئيس

فى أثناء نقاشنا الذى جرى يوم الأحد أشرت أمامكم إلى معلومات سمعتها عن التأييد الكوبى لحكومة الجزائر فى نزاعها الحالى مع المغرب . وقد راجعت بعناية آخر التقارير المتاحة من المخابرات ، ويتضح منها أن هناك سفينتين كوبيتين على الأقل دخلتا ميناء « وهران » ، وتواتر انهما تنقلان دبابات وأسلحة . وهناك سفينة كوبية ثالثة وردت إلينا أخبار موثوقة بأنها فى الطريق .

واستنتج مما تقدم أن الكوبيين يحاولون تقديم عون عسكرى ضخم إلى الرئيس بن بيلا .

مع الاحترام

جون س . بادو
السفير الأمريكى »

الوثيقة رقم (٥١)

صورة وثيقة تتضمن مذكرة ثانية من السفير الأمريكى فى القاهرة . جون بادو » بتاريخ ٣١ أكتوبر ١٩٦٣ وهى تضيف معلومات جديدة عن النشاط الكوبى فى الجزائر .

EMBASSY OF THE
UNITED STATES OF AMERICA

Cairo, United Arab Republic,
October 31, 1963.

My dear Mr. President:

I have continued to follow closely reports of Cuban assistance to Algeria. My latest dependable information indicates that between October 21 and 23 at the port of Oran the Cuban freighter ARACZLIA IGLESIAS unloaded various military equipment, including T-34 tanks, lorries, 122 mm howitzers, armored cars, and ammunition. On October 25 several hundred Cubans dressed in Algerian army uniforms were disembarked from this ship. On October 22 two Cuban transport aircraft (Britannias) landed at the Maison Blanche Airport in Algiers and discharged a total of about 340 military personnel.

Respectfully yours,

John S. Badeau
American Ambassador

His Excellency
Gamal Abdel Nasser,
President of the
United Arab Republic,
Cairo.

« عزيزى السيد الرئيس

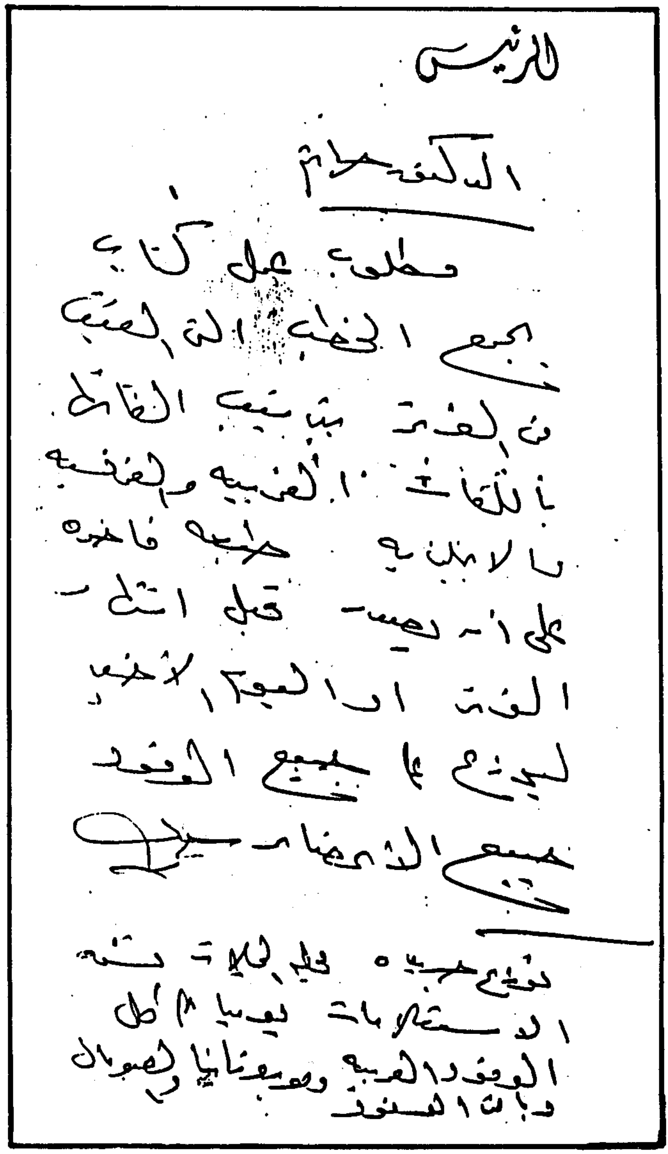
واصلت عن كثب متابعة التقارير المتعلقة بالمساعدة الكوبية للجزائر ، ويؤخذ من اخر معلوماتى التى يعول عليها أنه فى الفترة بين ٢١ - ٢٣ أكتوبر قامت سفينة الشحن الكوبية « ارازليا اجليسياس » بدخول ميناء وهران ، وأنزلت منها معدات عسكرية متنوعة منها دبابات ت - ٣٤ ، وسيارات لورى ومدافع هاوتزر من عيار ١٢٢ مم وذخائر . وفى يوم ٢٥ أكتوبر نزل من هذه السفينة بضع مئات من الكوبيين يرتدون أزياء الجيش الجزائرى . وفى ٢٢ أكتوبر هبطت طائرتا نقل كوبيتان من طراز « بريتانيا » فى مطار الدار البيضاء فى الجزائر ، ونزل منهما ما جملته ٣٤٠ فردا من العسكريين .

باحترام .

جون س . بادو
السفير الأمريكى .

الوثيقة رقم (٥٢)

صور من مجموعة أوراق صغيرة تحمل تعليمات كتبها الرئيس « جمال عبد الناصر » بخط يده وبعث بها إلى مكتبه ، وكان مكتبه قد اتخذ مركزا مؤقتا فى مبنى الجامعة العربية أثناء جلسات مؤتمر القمة الإفريقى ، وهى تتعرض لملاحظات مختلفة طرات للرئيس خلال الجلسات الطويلة للمؤتمر .

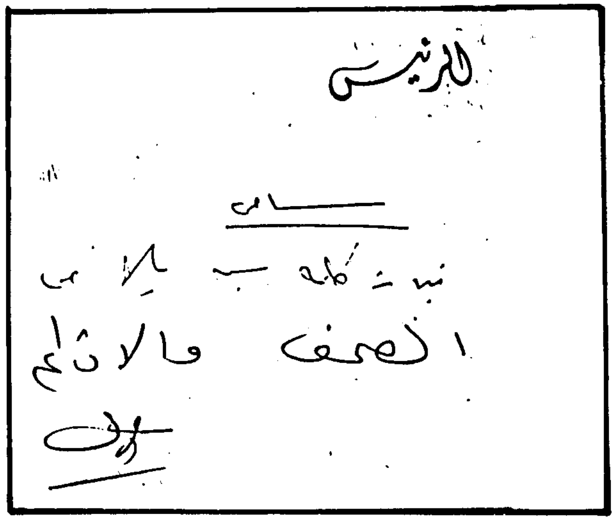


□ الدكتور حاتم

مطلوب عمل كتاب يجمع الخطب التى القيت فى المؤتمر بترتيب إلقائها باللغات العربية والفرنسية والانجليزية طبعة فاخرة على أن يصدر قبل انتهاء المؤتمر او اليوم الأخير ليوزع على جميع الوفود جميع الأعضاء .

جمال

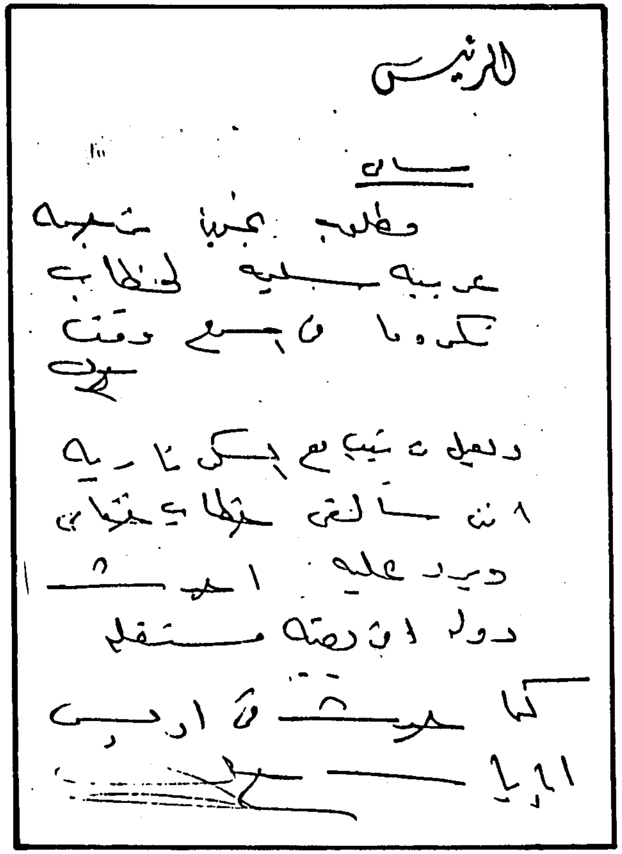
توزع جريدة مجلة المجلات نشرة الاستعلامات يوميا على كل الوفود العربية وموروتانيا والصومال وباقى الوفود .



□ سامى

تبرز كلمة بن بيلا فى الصحف والإذاعة .

جمال



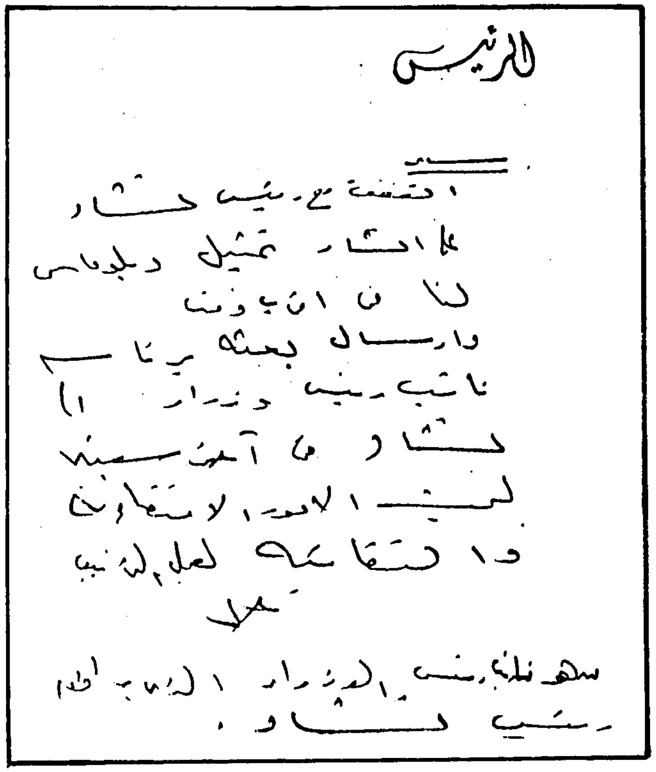
□ سامى

مطلوب تجهيز ترجمة عربية سليمة لخطاب نكروما فى أسرع وقت .

جمال

ويعمل ترتيب مع السكرتارية أننى سالقى خطاب ختامى ويرد عليه أحدث دولة أفريقية مستقلة كما حدث فى أديس أبابا .

جمال

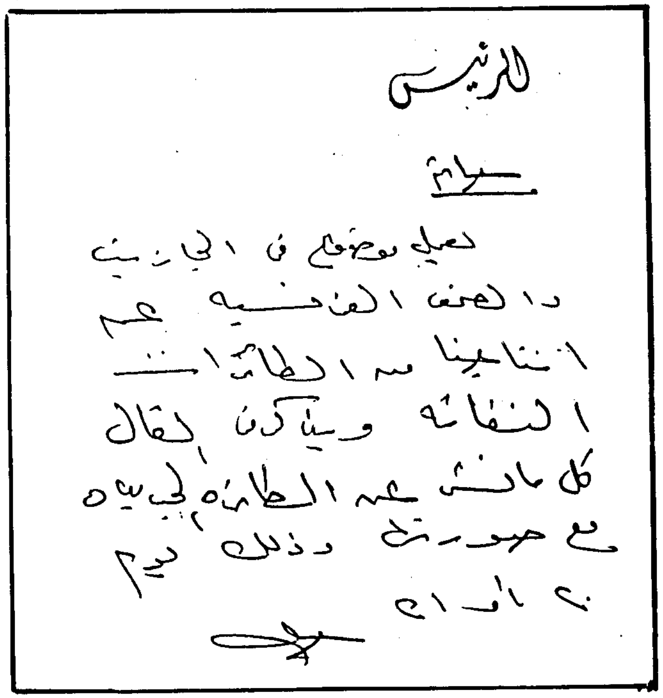


□ **سامي**

اتفقت مع رئيس تشاد على إنشاء تمثيل دبلوماسى لنا فى أقرب وقت وإرسال بعثة برئاسة نائب رئيس وزراء إلى تشاد فى آخر سبتمبر لبحث الأمور الاقتصادية والثقافية لعمل الترتيب .

جمال

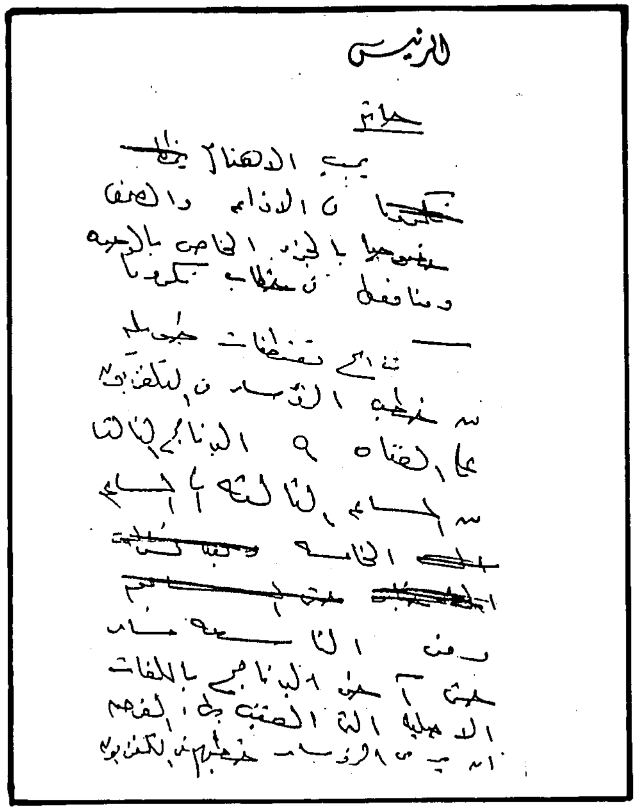
من هو نائب رئيس الوزراء الذى يرافق رئيس تشاد .



□ **حاتم**

يعمل موضوع فى الجازيت والصحف الفرنسية عن إنتاجنا من الطائرات النفاثة ويذكر فى المقال كل ما نشر عن الطائرة الجديدة مع صورتها وذلك يوم ٢٠ أو ٢١

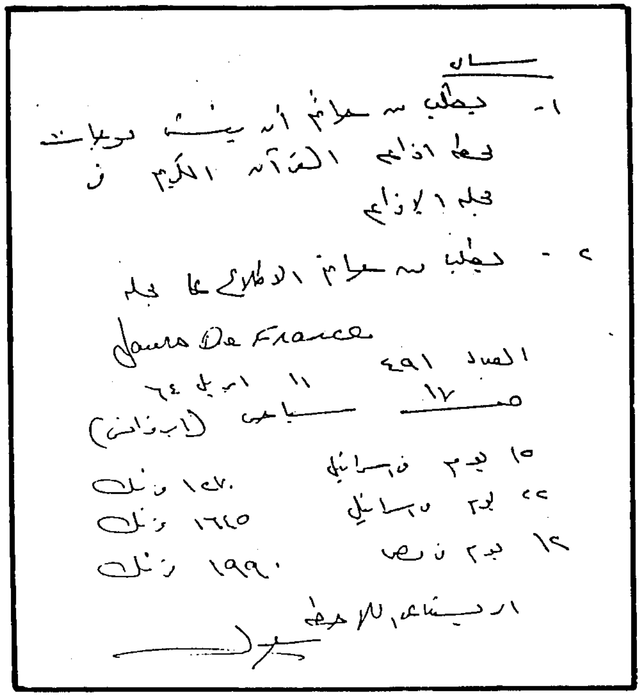
جمال



□ **حاتم**

يجب الاهتمام فى الاذاعة والصحف خصوصا بالجزء الخاص بالوحدة ومنافعها فى خطاب نكروما .

تذاع مقتطفات طويلة من خطب الرؤساء فى التلفزيون على القناة ٩ البرنامج الثالث من الساعة الثالثة إلى الساعة الخامسة ومن التاسعة مساء حتى آخر البرنامج باللغات الأصلية التى القيت بها . الغرض أن يرى الرؤساء خطبهم فى التلفزيون .



□ **سامي**

١ - يطلب من حاتم أن ينشر موجات محطة إذاعة القرآن الكريم فى مجلة الإذاعة .

٢ - يطلب من حاتم الإطلاع على مجلة Jours De France العدد ٤٩١ ١١ ابريل ٦٤ ص ١٧ سياحى (ايرفرانس)

١٥ يوم فى إسرائيل ١٢٧٠ فرنك

٢٢ يوم فى إسرائيل ١٦٤٥ فرنك

١٢ يوم فى مصر ١٩٩٠ فرنك

أمر يستدعى الملاحظة

جمال

الوثيقة رقم (٥٣)

صورة وثيقة تتضمن تقريرا بخط السيد « سامى شرف » بتاريخ ٧ أبريل ١٩٦٤ عن حديث له مع الدكتور « جورج حبش » وهو يتضمن إشارة إلى بدايات حركة « فتح » . وتوجد تاشيرة على حافة التقرير بخط يد الرئيس « جمال عبد الناصر » وهو يرى فيها إرجاء الحركة حتى عودة القوات المصرية الأساسية من اليمن .

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة
سكرتارية الرئيس للمعلومات

٧

لجنة الطلبة هو ترك الرأي للذي قبلي الى ج ع م
ولكن في نفس الوقت نعتقد أن هذا هو الأسلوب
الذي يجب أن نكرر به ذلك الجهد .
[illegible] وهاني الهندي ... يلتقيان بمندوب
هذه الحركة في خلال يومين أو ثلاثة حيث سيوضحوا
له ... [illegible] ... أبعادهم السياسية والأيدلوجية في الأمر
وهم بالرغم من أنهم غير مرتاحين لطبيعة هؤلاء الشباب
التي يسودها عاطفة فقط ودون تدبر أو روية في معالجة
الموضوع إلا أنهم لا يريدون قطع الصلة أو صدهم
دون معرفة توجيه ... سيادتكم .

٣ . أبلغني الدكتور جورج حبش أن هاني ومحسن سيصلان هذا الأسبوع
(الخميس أو الجمعة) وهم يرجون التشرف بمقابلة سيادتكم
٤ . اقترح لو استحسن سيادتكم مقابلة جورج قبل وصول هاني ومحسن
باعتباره رئيسا للحركة ومن ناحية أخرى لشعوره

الوثيقة رقم (٥٤)

صورة من خطاب كتبه السيد « طاهر يحيى » رئيس وزراء العراق إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٦٤ يلح فيه على طلب العراق إقامة وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .

رئاسة الوزراء

بغداد في ٣٠/٩/١٩٦٤

سيادة الأخ الرئيس جمال عبد الناصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد
فلقد علمتم بأن الشعب العربي في العراق تحت قيادة الرئيس عبد السلام محمد عارف وإخوانه [illegible] قد ثار في
١٨ تشرين الثاني ٦٣ ليحقق الاستقرار والاطمئنان والانضباط بين الجند [illegible]
في البلاد الداخلية والخارجية ، ليتسنى له العمل من أجل بناء هذا الجزء من الوطن العربي
الكبير ، البناء الصحيح الذي يحقق له أمانيه الغالية في الحرية والاشتراكية والوحدة .
والتي لم يقبل عنها بديلا [illegible]
[illegible] أن الاستقرار والطمأنينة التي [illegible]
في [illegible] لنتيجة إيجابية لسياسة أخيكم الرئيس عبد السلام محمد عارف
الرشيدة وقيادته الحكيمة [illegible] الجيش الوطني لقيادة الثورة [illegible]
[illegible] الاشتراكية [illegible] الدليل القاطع على [illegible]
[illegible] الانفصاليون والرجعيون [illegible]
[illegible] والعودة بالبلاد [illegible]
[illegible] ذلك .
سيادة الأخ ... إن الشعب العربي [illegible]
[illegible] بالتقدم [illegible]
الكبرى العربية [illegible] الوحدة التي [illegible]
سيادة الأخ ... [illegible] الأخ الرئيس عبد السلام محمد عارف [illegible]
[illegible] الوحدة . [illegible] بأن سيادة الأخ
الرئيس عبد السلام محمد عارف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الجمهورية [illegible]
وتفضلوا بقبول أسمى الاحترام يا سيادة الرئيس

طاهر يحيى
رئيس الوزراء